نزهة الجليس

ومنية الأديب الأنيس

تأليف

العلامة السيد العباس المكي الحسيني الموسوي

المتوفى حدود سنة ١١٨٠ هـ

انتشارات مكتبة الحيدرية

نزهة الجليس

ومنية الأديب الأنيس

تأليف

سماحة العلامة المتضلع السيد

العباس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي المكي

المتوفى حدود سنة ١١٨٠ هـ

وضع المقدمة

السيد محمد مهدي الخرسان

الجزء الأول

منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف

١٣٨٧ — ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هوية الكتاب

اسم الكتاب : نزهة الجليس

المؤلف : السيد العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي

الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية

المطبعة : امير - قم

الطبعة : الاولى في ايران

تاريخ الطبع : ١٤١٧ هـ. ق - ١٣٧٥ هـ. ش

سعر الدورة : [illegible]

عدد الصفحات والقطع : ٦٥٦ صفحة وزيري المجلد الاول

حياة المؤلف والتعريف بالكتاب

بقلم : السيد محمد مهدي الخرسان

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على محمد المصطفى ، وعلى آله الطيبين الشرفا . وبعد : فهذا كتاب « نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس » الذي سجل فيه مؤلفه العلامة الأديب المؤرخ النسابة : السيد عباس المكي ما شاهده في أسفاره من العجائب في البلدان ، وحيث ان ذهن رحالتنا المكي لم يقف فيه عند ذكر ذلك فحسب ، بل تجاوزه إلى أبعد من ذلك مما يشهد له بعلو كعبه في مقام الفضل ، فبينما يترجم الشخصية الاسلامية الفذة من أئمة المسلمين ، يعرض تاريخ علم من أعلام الأدب ، ويستشهد بالبيت العربي النادر ، والمثل السائر ، والنكتة الأدبية ، والطرفة النادرة ، والحادثة التاريخية ، والبحوث اللغوية ، مضافاً الى إيضاح ابعاد المسافات بين تلك الأقطار التي زارها أحيانا ، الى غير ذلك مما أفادنا به وحفل به كتابه الذي طابق اسمه مسماه فهو (نزهة الجليس) ، وقد طبع سنة ١٢٩٣ هـ فما ظنك بكتاب كهذا ويمر على طبعه ما يقرب من قرن كيف لا تعز نسخته بل تندر حتى تكون من نفائس المكتبات التي حوتها .

لذلك انبرى الأخ محمد كاظم الكتبي ـ سلمه الله ـ الى إعادة طبعه تيسيراً له وخدمة للقراء ، وقد طلب إلي ان أقدم للكتاب بما يعرّف المؤلف عند القارىء ولو بصورة موجزة ، وحيث ان في ذلك خدمة للمؤلف وهو من أعلام الأدب الأفذاذ ، ولكتابه وهو من الكتب الممتعة التي تستحق التقديم ، وللقراء وهم اهل لذلك ، فأجبته داعياً بالموفقية والتسديد والله ولي ذلك انه سميع مجيب .

السيد المكي مؤلف النزهة

نسبه :

هو السيد عباس بن السيد علي بن نور الدين علي بن علي نور الدين بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن العاملي الموسوي (١) ابن محمد بن عبد الله بن احمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة ابن محمد بن محمد بن عبد الله (٢) بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن طاهر بن الحسين (بن موسى) بن ابراهيم بن الامام موسى بن جعفر عليه السلام (٣) .

والى (علي) وهو خير أرومة   نسب تبلج كالسماء الضاحية

---

(١) الى هذا السيد ترجع انساب كثير من العلويين العامليين كآل شرف الدين وآل الصدر وآل المرتضى وآل نور الدين وغيرهم ، ولا تزال اليوم في جبل عامل من ينتسب اليه فيقال لهم آل (أبي الحسن) .

(٢) هو ابو محمد كان بالكرخ انتقل الى الحائر وصار عقبه بالحائر .

(٣) نقلنا نسبه عن صورة خط السيد حسين بن السيد محمد ـ صاحب مدارك الأحكام ـ وهو ابن عم ابيه ، كما حكاه الشيخ الحر العاملي في كتابه امل الامل ج ١ ص ٧٩ طبع النجف الأشرف . وقد سقط منه ما ذكرناه بين قوسين وهو مذكور في نسب الامام الحجة شرف الدين الذى ختم به رسالته (الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء) ص ٤٠ طبع صيدا سنة ١٣٤٧ هـ . ويؤيده ما ذكر في كتب الأنساب ان ابراهيم بن الامام موسى « ع » وهو المرتضى لا يصح له عقب إلا من موسى ابي سبحة ، وهو الذي ذكرناه بين قوسين ، ومن جعفر ، وزاد ابن ـ

أسرته :

لا يسعني استيفاء جميع افراد اسرته العلمية ولا استقصاء اخبارهم واستقراء آثارهم فان ذلك يحتاج الى وقت طويل وجهد بالغ ، مع قلة فائدة بعد ان استوفى ذلك بعض احفادهم وهو الحجة السيد شرف الدين في كتابه (بغية الراغبين) واستعرض كثيراً منهم السيد الحسن الصدر في كتابه (التكملة) .

ولكن من الخير عرض شيء عن آباء المترجم له خاصة اولئك الذين ورث عنهم المجد والفضل ، وأثنت عليهم المعاجم ، بما يكشف عن جوانب الخير فيهم . مقتبساً منها ما يسعني - بهذه المناسبة - اقتباسه وهم :

١ - الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن ابي الحسن العاملي ؛

كان عالماً فاضلاً فقيهاً جليلاً مقدماً ، معاصراً للشيخ الشهيد الثاني ، وكان الشهيد مصاهراً له على ابنته ، من اجلة سادات العلماء ، وله كتب الشيخ الشهيد رسالة عدم جواز تقليد الميت .

ترجمه الميرزا عبد الله الأفندي في رياض العلماء (مخطوط) والشيخ الحر العاملي في امل الامل ج ١ ص ٦٨ والسيد الامين في اعيان الشيعة ج ٢٥ ص ٣٠ واطراه الشيخ علي الحفيد في الدر المنثور كما حكي عنه بقوله : الامام السيد البدر اوحد الفضلاء وزبدة الاتقياء السيد المرحوم المبرور عز الدين .. الخ .

- طباطبا النسابة: اسماعيل ايضاً ، وقيل بانقراض ذرية اسماعيل ، وأين من هؤلاء الحسين والد طاهر اذا لم نثبت الزيادة . مضافاً الى تصريح النسابين ان والد طاهر هو الحسين القطعي ابن موسى ابي سبحة .

٢ ـ السيد علي نور الدين بن الحسين الآنف الذكر .

كان فاضلا عالماً كاملا محققاً وصفه المحقق الداماد بالسيد الثقة الثبت المركون اليه في فقهه المأمون في حديثه وذلك في روايته عنه وقد قرأ عليه وسمع منه واجازه سنة ٩٨٨ في المشهد الرضوي على صاحبه السلام .

وذكره المحقق البحراني في اللؤلؤة ص ٥٢ فقال : كان من اعيان العلماء والفضلاء في عصره ، جليل القدر من تلامذة شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله ولد سنة ٩٣١ في جبع من ابوين كريمين فوالده هو الحسين المتقدم الذكر وأمه بنت الشيخ شمس الدين محمد بن مكي العاملي الشامي احد شيوخ الشهيد الثاني .

قرأ اولا على ابيه ثم لازم الشيخ الشهيد وكانت شقيقته زوجة الشهيد الثاني فرباه كالوالد لولده ، ورقاه الى المعالي بمفرده ، وزوجه ابنته ـ من غير العلوية بنت الحسين ـ رغبة فيه ، وجعله من خواص ملازميه ، قرأ عليه جملة من العلوم الفقهية والعقلية والأدبية وغيرها واجازه اجازة عامة ويروي عنه جماعة من علماء عصره كالأمير فيض الله التفريشي والمحقق الداماد والشيخ حسن صاحب المعالم وولديه السيد محمد صاحب المدارك والسيد نور الدين علي ـ وهو اخ الشيخ حسن صاحب المعالم لأمه ـ واستجازه الشيخ محمد بن فخر الدين الاردكاني فأجازه وكتب له الاجازة بخطه على نسخة من مصباح المتهجد تاريخها سنة ٩٩٩ .

تشرف بحج بيت الله الحرام وزيارة الرسول (ص) سنة ٩٥٢ وفي سنة ٩٨٨ تشرف بزيارة الرضا «ع» ترجم له الشيخ علي الحفيد في الدر المنثور وابن العودي العاملي في تاريخه في احوال الشهيد واثنى عليه ثناءاً بليغاً ومدحه مدحاً عظيماً (امل الآمل ج ١ ص ١١٩) والشيخ الحر العاملي في امل الآمل ج ١ ص ١١٨ والبحراني في لؤلؤة البحرين ص٥٢ والمحدث النوري في خاتمة المستدرك ج ٣ص٣٩٢ والسيد الأمين في اعيان الشيعة ج ٤١ ص ١٢٣ .

٣ ـ السيد نور الدين علي بن علي نور الدين الآنف الذكر .

طود العلم المنيف ، وعضد الدين الحنيف ، ومالك ازمة التأليف والتصنيف الباهر بالروايـة والدراية ، والرافع لخميس المكارم اعظم راية ، فضل يعثر في مداه مقتفيه ، ومحل يتمنى البدر لو اشرق فيه ، وكرم يخجل المزن الهاطل ، وشيم يتحلى بها جيد الزمن العاطل ، وصيت حل من حسن السمعة بين السحر والنحر .

فسار مسير الشمس في كل بلدة   وهب هبوب الريح في البر والبحر

وكان له في مبدأ أمره بالشام ، مكان لا يكذبه بارق العز اذا شام ، بين إعزاز وتمكين ومكانـ في جانب صاحبها مكين ، ثم قطن مكة شرفها الله وهو كعبتها الثانية ، يعتقد الحجيج قصده من غفران الخطايا ، وينشد بحضرته : تمـام الحج ان تقف المطايا (١) ، كان عالماً فاضلا اديباً شاعراً منشئاً ، جليل القدر ، عظيم الشأن ، قرأ على ابيه واخويه صاحبي المعالم والمدارك (٢) .

ووصفه البحراني في الؤلؤة ص٤٠ بقوله : كان فاضلا محققاً مدققاً مشاراً اليه في وقته وقد توطن بمكة المشرفة .

تولد في جبع سنة ٩٧٠ وامه ام الشيخ حسن صاحب المعالم . فان والده كان قد تزوج بابنة الشهيد الثاني في حياته فولد له منها صاحب المدارك ، ثم تزوج ام الشيخ حسن بعـد شهادة ابيه التي هي غير ام زوجته فولد له منهـا صاحب الترجمة . فهو اخو السيـد محمد صاحب المدارك لأبيه . واخو الشيخ حسن صاحب المعالم لأمه .

رآه الشيخ الحر العاملي في عاملة وحضر درسه بالشام اياماً يسيرة قال: وكنت صغير السن ورأيته بمكة ايضاً اياماً وكان ساكناً بها اكثر من عشرين سنة .

ورآه السيد علي خان المدني صاحب السلافة قال فيها ـ ص٣٢ ـ : وقد رأيته

---

(١) سلافة العصر ص ٣٠٢ .

(٢) امل الآمل ج ١ ص ١٢٤ .

بها ـ بمكة ـ وقد أناف على التسعين ، والناس تستعين به ولا يستعين ، والنور يسطع من اسارير جبهته ، والعز يرتع في ميادين جدهته .

ورآه السيد ضامن بن شدقم صاحب تحفة الأزهار قال فيها بعد الثناء عليه : منشؤه في الشام ، ثم عطف عنان عزمه الى البيت الحرام تشرفنا برؤيته مراراً بمكة المكرمة له من التصانيف : الغرر الجامع على المختصر النافع قال في اللؤلؤة : وهو جيد قد أطال فيه البحث والاستدلال إلا انه لم يتم . وكتاب الفوائد المكية في الرد على الفوائد المدنية كتبه رداً على الملا محمد أمين الاسترابادي الاخباري . وشرح الأثنى عشرية في الصلاة للبهائي . ورسالة في تفسير قوله تعالى : (قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى) وغنية المسافر عن النديم والمسامر ، يشتمل على فوائد واخبار ونوادر واشعار ، وتعليقات كثيرة على كتب الفقه والاصول والحديث . واجوبة وسؤالات وغيرها .

يروي عن أخيه لأبيه السيد شمس الدين محمد صاحب المدارك .

وعن اخيه لأمه الشيخ حسن صاحب المعالم والمنتقى .

وعن السيد الفاضل الورع التقي السيد علي العلوي البعلبكي .

اما مشايخه من العامة فقد ذكر في اجازته للمولى محمد محسن بن محمد مؤمن المؤرخة يوم الجمعة ١١ ربيع الآخر سنة ١٠٥١ فقال: اني أروي جانباً من مؤلفات العامة في المعقول والفقه والحديث عن الشيخين الجليلين المحدثين اعلمي زمانهما ورئيسي اوانهما عمر العرضي الحلبي ، وحسن البوريني الشامي بالاجازة منهما بالطرق المفصلة في اجازتهما إلي . . الخ (١) .

وروى عنه المولى الأمير محمد مؤمن الحسني الاسترابادي كما في اجازته للمجلسي (٢) .

---

(١) بحار الانوار ج ٢٦ ص ١٤١ .

(٢) بحار الانوار ج ٢٦ ص ١٦٤ .

وروى عنه المولى الفاضل محمد باقر الخراساني كما في اجازته للمولى محمد شفيع (١) .

وروى عنه المولى محمد محسن بن محمد مؤمن كما سلف .

وروى عنه الشيخ ابو عبد الله الحسين بن الحسن العاملي كما في اجازة الشيخ الحر العاملي للمجلسي الثاني (٢) وغيرها .

وروى عنه اجازة محمد طاهر القمي من مشايخ المجلسي رحمه الله .

وروى عنه اجازة وقراءة الشيخ علي بن الشيخ محمد سبط الشهيد الثاني من مشايخ المجلسي (٣) وغيرهم جمع كثير .

توفي في ١٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٠٦٨ ورثاه الشيخ الحر العاملي بقصيدة قال : نظمتها في يوم واحد وأولها :

على مثلها شقت حشاً وقلوب ... اذا شققت عند المصاب جيوب

لحا الله قلباً لا يذوب لفادح ... تكاد له صم الصخور تذوب

ومنها قوله :

ومن يجمع الدنيا مع الدين والتقى ... مع الجاه إن المكرمات ضروب (٤)

وذكره حفيده في نزهة الجليس ج ١ ص ١١١ ـ ١١٤ وقال : وله شعر يدل على علو محله وابلاغ هدى القول الى محله ، ثم ذكر نماذج من شعره ـ فلتراجع في محلها .

وذكره السيد الأمين في اعيان الشيعة ج ٤١ ص ٣٥١ قال : ووجد على جامع

---

(١) بحار الانوار ج ٢٦ ص ١٥٦ .

(٢) » » » » ١٥٩ .

(٣) » » » » ١٦٥ .

(٤) امل الآمل ج ١ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

في جبع ما صورته :

قد وفق الله لهذا البنا ولم يكن في الوسع تيسيره
فهو بحمد الله قد تم في أحسن ما قد كان تصويره
من بدوه احكم بنيانه بالخير والتقوى وتفسيره
فجاء تاريخ به معبد كان لوجه الله تعميره

عمر هذا المسجد بعد اندراسه ، وجدده بعد انطماسه راجي عفو ربه وغفرانه نور الدين بن علي الحسين الشهير بابن ابي الحسن الموسوي تجاوز الله عن سيئاتهم بده في ختامه سنة (١٠٢٩) تسع وعشرين بعد الألف من الهجرة .

ترجم سيدنا نور الدين في سلافة العصر ص ٣٠٢ وامل الآمل ج ١ ص ١٢٤ وتحفة الأزهار (مخطوط) ولؤلؤة البحرين ص ٤٠ وقصص العلماء ص ٢٧٩ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ٣٨٩ ونزهة الجليس ج ١ ص ١١١ وغيرها .

٤ ـ السيد علي بن نور الدين علي المتقدم الذكر .

جهبذ نحرير فاضل ، فما الصاحب لديه وما الفاضل ، تفرد بعلم البديع والمعاني ففاق البديع الهمداني ، وتوحد بالنحو والصرف ، فلو عاصره سيبويه والتفتازاني ما نطقا في حضرته بحرف ، وتعزز في اللغة وعلوم الأوائل ، فبارز في حلبة الفصاحة والبلاغة قس بن ساعدة وسحبان بن وائل ، وتبحر في سائر العلوم ، وتفنن في المنطوق والمفهوم .

كان بمكة المشرفة . . . . . وما برح مشهوراً بكل فضل لدى البادي والحاضر ، وموقراً ومكرماً عند السادة آل الحسن وجميع الرؤساء والوزراء والأكابر (١) .

وذكره الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل ج ١ ص ١٢٨ وقال :

فاضل صالح شاعر أديب . . .

---

(١) نزهة الجليس ج ١ ص ٥٠

وذكره المحبي في خلاصة الأثر في ذيل ترجمة اخيه السيد جمال الدين (١) فقال : كما اخبرني بذلك اخوه روح الأدب السيد علي بمكة المشرفة (٢) .

ولد بمكة المعظمة سنة ١٠٦١ ولما مات ابوه كان عمره سبع سنين فكفله اخوه السيد زين العابدين فعلمه القراءة والكتابة ، ولما بلغ اثنى عشر عاماً توفي اخوه ايضاً فتولى تربيته جماعة من تلامذة أبيه ، فأخذ عنهم وعن غيرهم من علماء الخاصة والعامة .

توفي بمكة صبح ثامن عشر من ذي الحجة الحرام سنة ١١١٩ وارخ وفاته ولده السيد مصطفى بقوله (دخل الجنات) واعقب ثلاثة اولاد وهم السيد مصطفى والسيد سليمان (٣) والسيد عباس ـ مؤلف كتابنا هذا ـ .

وللمترجم له شعر مذكور في النزهة ووصفه بقوله: وله كل قصيدة تهزأ باللؤلؤ المنثور وتخجل بحسنها الورد والياسمين والمنثور ، ثم ذكر شيئاً من غزله وقصيدة له مصدراً ومعجزاً قصيدة ذي الوزارتين القائد ابو عيسى بن لبون (٤) وذكر له في ترجمة الشيخ البهائي قصيدة كافية عارض بها قصيدة البهائي (ره) وقد ذكر منها في الأعيان اربعة ابيات . وقد خلط السيد الأمين بين مشايخ السيد علي ـ المترجم له ـ وبين مشايخ أبيه السيد نور الدين علي ـ المترجم آنفاً . والعصمة لله وحده .

ترجم السيد علي المذكور الشيخ الحر العاملي في امل الآمل ج ١ ص ١٢٨ وولده في النزهة ج ١ ص ٥٠ والسيد الأمين في الاعيان ج ٤١ ص ٣٥٢ .

---

(١) المترجم في نزهة الجليس ج ١ ص ٧٨

(٢) خلاصة الأثر ج ١ ص ٤٩٥

(٣) المذكور في النزهة ج ١ ص ٢٧٥

(٤) ترجمه الفتح بن خاقان في قلائد العقيان ص ٩٨

ولادته ونشأته :

ولد السيد المكي ـ مؤلف النزهة ـ بمكة في سنة ١١١٠ هـ ونشأ بها ولا نعرف عن نشأته شيئاً يعبأ به ، سوى أنه اصيب بفقد ابيه وهو ابن تسع سنين ، والمظنون قوياً ان الذي تولى تربيته وتوجيهه هما اخواه السيد مصطفى والسيد سلمان ، وقد ذكر المكي أخاه الثاني فأطراه بقوله : أخي الشقيق الشفيق وعضدي القوي وركني الوثيق ، ولعله الذي كفله .

دراسته وشيوخه :

لم نعثر على كل مشايخه الذين اخذ عنهم في جميع مراحل دراسته ، ولكنا نذكر من صرح هو بأخذه عنهم وتلمذه عليهم وهم :

١ ـ السيد نصر الفائزي الحائري المدرس المستشهد فقد صرح بتلمذه عليه وهو ابن عشرين سنة فقال :

كنت مغرماً بفن القريض ، راتعاً في روضه الأريض ، مولعاً بانشائه وانشاده .... لكني لم اظفر بمن يثقف قناتي ، ويجلو صدأ مرآتي ، فلذا كان يخفى تارة وتارة يستبين ..... حتى ظفرت بجهينة الاخبار ، ونادرة الفلك الدوار ... السيد نصر الله ...

ظفرت بالكنز فاحمل من نفائسه وقد وقفت ببحر الفضل فاغترف

فسقاني بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، وناولني راية الأدب ، فتناولها عرابة فكري باليمين .

فاشتغلت بالطلب لديه ۰ ۰ ۰ ۰ ففتح الفتاح ومنح ، وجاد في الوقت بمغيتي وسمح ونلت الأدب ۰ ۰ ۰ ۰ فكان اجتماعي به بمكة المشرفة عام ۱۱۳۰ هـ ۰

واستاذه هذا هو الذي اشار عليه بالسفر معه الى العراق وحفزه على ذلك بما أنشده من ابيات تنسب الى الامام امير المؤمنين « ع » أولها :

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الاسفار خمس فوائد

وكان سفره هذا مع استاذه أول اسفاره المتتابعة التي تمخضت عنها رحلته ـ نزهة الجليس ـ .

۲ ـ السيد عبدالله بن جعفر باعلوي الملقب بمدهر وقد وصفه بقوله: شيخنا واستاذنا العالم العلامة الحبر الفهامة ۰

۳ ـ السيد بدر بن السيد غالب الرفاعي ووصفه بقوله عندما اجتمع به ببلاد كوندو الهندية : السيد الكريم صاحب الفضل العميم والخلق العظيم والخلق الوسيم الرئيس الأجل ، الكهف الأظل شيخي واستاذي ، وعمدتي وملاذي ، دليلي الى الله في طريقة الرفاعية وكذلك القادرية ۰ مولانا الذي لم ازل لاحسانه شاكرا ولجنابه بالدوام داعي ۰ ۰ ۰

٤ ـ السيد علي نقيب القادرية ببغداد ، أخذ على يديه الطريقة وألبسه استاذه المذكور خرقة التصوف وقلده الخلافة القادرية ۰

٥ ـ الشيخ محمد بن احمد عقيلة الاحمدي الشناوي الصوفي الحنفي المكي ووصفه بقوله: شيخنا إمام اهل العرفان وخلاصة الصوفية اولياء الرحمن ، المحقق المدقق العلامة الفهامة ...

٦ ـ السيد يوسف بن عبد الرحيم الرفاعي ووصفه بقوله وقد صحبه الى بلدة عالي جهان من بلاد الهند : السيد السند ، الصدر المعتمد ، شيخي في علوم الشريعة والطريقة ، ودليلي الى الوصول لعلم المعرفة والحقيقة ، من هو لنهج السلوك ساع وراع ۰ ۰ ۰ ۰

۷ ـ العلامة الشيخ عبد اللطيف وهو نجل ابن عمته ، حضر دروسه في شرح الملا جامي على الكافية في اصفهان ۰

الرحلة واسبابها، مبدؤها ومنتهاها:

لم يكن رحالتنا المكي من اولئك الذين استهواهم حب الاستطلاع على المسالك والممالك فشد الرحال ، وركب الأهوال ، وجاب البلاد ليسجل مشاهداته الشخصية وملاحظاته الخاصة فيبين حدود الاقاليم وخططها وطبائع اهلها وخصائص تربتها ، باحثاً ناقداً يتحرى التمحيص في ذلك السبيل شأن الجغرافيين الذين جابوا البلاد ، فانهم وان اختلفت اهواؤهم والدواعي التي حدت بهم الى ذلك ولكل منهم شأن إلا أنهم جميعاً دونوا الأبعاد بين البلدان ووصفها وخصائصها من صناعة وزراعة وتجارة وقد لايغفلون الاشارة الى اخلاق الناس وعاداتهم وتقاليدهم وغير ذلك مما دونوه اعتماداً على مشاهداتهم الخاصة في الغالب ، وان توسع بعضهم فدوّن ما سمعه من أفواه النقلة والرحلة عن البلاد التي لم يطأ ثراها ولم تبلغه اليها الركائب .

فان رحالتنا لم يكن كاولئك الجغرافيين ، بل انه سجل مشاهداته الخاصة وملاحظاته الشخصية في البلاد التي ساقته اليها المقادير فدوّن ما استهواه من نوادر وآثار ، ولم يستهدف من رحلته معرفة الاقاليم ولا مشاهدة المسالك والممالك ، لذلك كانت رحلته لا تشبه رحلات الرحالين في كثير من النواحي .

اما الاسباب التي حدت به الى تلك الرحلة والتي استدامت ردحاً من الزمن فقد اوضحها في مقدمة كتابنا هذا ـ النزهة ـ ويجمل بنا الاشارة الى بعض تلك الاسباب ، ولعل اقواها وأبلغها اثراً هو الضغط المادي الذي كان يعانيه حتى اضطره الى الاعلان به تبريراً لهجره وطنه ومسقط رأسه ومهبط آبائه مستشهداً لذلك بأحاديث وآثار ، واخبار واشعار كلها تبيح لأمثاله هجر الوطن مع الذل والغربة مع العز ، ولم يقصد بالذل الذي سامه الزمان به إلا الضائقة المالية التي كان

يعاني ألمها وحده مضافاً الى ما حاطت به من عوامل أخرى من يتم مبكر ، ومحاربة اخوان حسدا ، واعداء بغضا كل ذلك مما ألهب في نفسه جذوة تستعر ، تركته يفكر في الخلاص من ذلك الأسر الاجتماعي الذي لا يستساغ لأمثاله . وكيف تستساغ حياة الجحيم لانسان أخذ من اطراف العز أعلاها وأغلاها ، فنسب وضاح ومواهب جمة وسن فتية . وقوى متكاملة . كل ذلك مما يأبى له الاقامة بدار تظن عليه بلماظ العيش ، ولعل أصرح شاهد على ذلك قوله :

ولم اغترب إلا لأكتسب الغنى　　فاسقي منه كل ذي ظمأ سجلا

ويعلو الغمام الارض من أجل انه　　يسوق اليها وهي لن تبرح الوبلا

اذا ما قضت نفسي من العز حاجة　　فلست ابالي الدهر أملي لها أملا .

فهو مرغم على رحلته التي دامت اثنتى عشرة سنة يسيح في ارض الله العريضة طلباً للقوت ونيل النوال ، ويكفينا دليلاً على ذلك قوله :

وكان يعز عليّ سفري من بيت الله الحرام ، ومفارقتي لتلك المآثر العظام :

بلاد بها نيطت علي تمائمي　　وأول ارض مس جلدي ترابها

لكن لي برسول الله (ص) اسوة فانه خرج منها وهي احب البقاع اليه حين آذاه اهل الشرك والطغيان ، فهاجر منها الى طيبة واقام بها الى ان كان من امره ما كان :

وان صريح الحزم والجد لامرىء　　اذا بلغته الشمس ان يتحولا

فاني لحقت فيها وقتاً قليل الانصاف ، ينصب السفلة ويخفض الاشراف ، ويرفع فيه الجاهل وينحط العالم ، ويتدنى فيه سهيل وتستعلي النعائم :

هذا الزمان على ما فيه من كدر　　حكى انقلاب لياليه باهليه

غدير ماء تراءى في اسافله　　خيال قوم عشوا في نواحيه

فالرجل تنظر مرفوعاً اسافلها　　والرأس ينظر منكوساً اعاليه

وبليت فيه بأقارب ، هم في الحقيقة كالمقارب ، واصحاب واخوان ، اشد اذية من الثعبان .

واخوان اتخذتهم دروعاً فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب لقدصدقوا ولكن عنودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي لقد صدقوا ولكنفيفسادي

فهؤلاء الذين ظلموني ببعدي عن بلد الله الأمين المأمون ، (وي كأنه لا يفلح الظالمون) .

اما مبدؤ رحلته فكان فيسنة ١١٣١ هـ وذلك بعد اجتماعه باستاذه العلامة الجليلالسيد نصرالله الحائري فيسنة ١١٣٠ فهو الذيشجعه على السفر والاغتراب. ولعل السر في مطاوعة التلميذ المكي لاستاذه الحائري هو ما كان يلمسه لديه من عطفوحنان غمره بهما ذلك السيد الجليل ، كما كفل تربيته ادبياً مدة اقامته بمكة . فقد كان مؤلفنا وهو ابن عشرين سنةفي عنفوان شبابه يدفعه به طموحه الأدبي الى نظم القريض متردداً بين اغواره وانجاده ، ومولعاً بانشائه وانشاده ، لكنه لم يظفر بمن يثقف قناته ، ويجلو صدأ مرآته ، فبقي على ذلك حتى ظفر بحاجته عند السيد الحائري الذي انشد عند بلوغ قصده يحكي حاله :

ظفرت بالكنز فاحمل من نفائسه وقد وقفت ببحر الفضل فاغترف

ولما انقضى موسم الحج من عام ١١٣١ هـ تأهب السيد الحائرى للسفر مع الحاج العراقى قاصداً العودة الى بلاده كربلا ، وكان صحبة والده السيد حسين الحائرى ، فأشار على تلميذه بالسفر وانشده ابياتاً لاح له منها الظفر كما يقول في النزهة ، فامتثل أمر استاذه واكترى له جملا وصمم على السفر صحبة استاذه ، تاركاً أهله على الله كما يشعر بذلك قوله :

ان الذي وجهت وجهي له هو الذي خلفت في اهلي
فانه اشفق مني بهم وفضله اوسع من فضلي

وفيعصر ثامنمنذي الحجة الحرام منالسنة المذكورة خرج الركب الىالأبطح

ومعهم مؤلفنا الرحالة المكي وهذا اول رحلته التي زار فيها كثيراً من الاقطار الاسلامية وافداً على ملوكها وامرائها . واول قطر اسلامي بلغته اليه الركائب هو العراق ، كما ان اول بلد زاره من بلدانه هو النجف الأشرف وكان ذلك بتاريخ ٣ صفر سنة ١١٣١ وقد وصف زيارته تلك وما لاقاه فيها من حفاوة واكرام من اهالي البلد وعلمائها بكل فخر واعجاب ولسانه ينشد فيهم :

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم　　يسلو عن الأهل والاصحاب والوطن

وكان نزوله في دار العالم العامل النحرير الفاضل مولانا الشيخ ابراهيم الخميسي (خميس) . وكانت مدة اقامته في النجف الاشرف شهراً تاماً اجتمع خلالها باقطاب العلم والفضيلة ذكر منهم الولي الشهير ، المجتهد الكبير ، العابد الزاهد ، بحر المعارف والفوائد ، تاج السادة الاكارم ، مولانا السيد هاشم (١) وبالعالم العامل الفاضل ، التقي النقي الكامل ، الشيخ محمد يحيى الخميسي . وبالفاضل الاديب العاقل الكامل الاريب ، الشاعر الماهر اللطيف ، المؤنس الظريف ، الشيخ يونس بن أنسى . كما اجتمع بحاكم النجف يومئذ السيد مراد (٢) وقد اكرم الجميع وفادته .

---

(١) هو العلامة السيد هاشم الحطاب الذي اطراه الشيخ الكبير شيخ مشايخ المسلمين الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء كثيراً في رسالته المسماة ايضاً كشف الغطاء عن معائب ميرزا محمد عدو العلماء وارسلها الى السلطان فتحعلي شاه القاجار حتى عبر عنه بالسيد السند الواحد الأوحد واحد عصره وفريد دهره العابد الزاهد والراكع الساجد العالم العامل والفاضل الكامل . . . روضات الجنات ص ١٥٣ .

(٢) هو السيد مراد بن السيد احمد ، واحتمل بعضهم انه من العميديين . وكان نقيب النجف وحاكمها تولى حكومة النجف ونقابة كربلا كما حكى عن ذيل روضة الصفا وكان حياً الى سنة ١٢٠٠ وكان اديباً كاملا شاعراً وهو ممن خمس بيتي ابي الحسن التهامي اللذين استشهد بهما السلطان مراد العثماني عند زيارته ـ

وزار كربلا بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١١٣١ وأقام بها شهرين موضع عناية استاذه واجتمع بها بالسادن السيد حسين (١) واخيه السيد مرتضى وبالعالم العلامة المولى ابي الحسن وهذا الأخير هو الذي جمع بين مؤلفنا وبين الأمير حسين أوغلي بيك ايشك اغاسي باشي الحرم ، وكان هذا الأمير قد تشرف بالزيارة ذلك العام فأشار على المترجم له ان يذهب معه الى اصفهان حيث مقر السلطنة لكي يجمعه مع السلطان الشاه حسين الصفوي . ويظهر ان اشارة الامير صادفت من المترجم له رغبة تامة ، فأجاب شاكراً وسافر صحبته بعد ان زار بقية المشاهد الشريفة في بغداد والكاظميين وسامراء والمدائن ، واجتمع فيها ببعض العلماء واخذ عن بعضهم

ـ للنجف سنة ١٠٤٧ وغيره من آبائه ، وقد خمسهما اكثر من عشرين شاعراً كما في سمير الحاضر وانيس المسافر للعلامة الشيخ علي كاشف الغطاء المتوفى سنة ---- وعد منهم السيد مراد حاكم النجف واليك الاصل مع التخميس :

علي امير النحل عالي جنابه شفاء من الأسقام مس ترابه
ومن اجل سر مودع في رحابه تزاحم تيجان الملوك ببابه
ويكثر عند الاستلام ازدحامها

إمام قناه للأعادي تنصلت وكم نقمة منه لهم قد تعجلت
لهيبته صيد الملوك تذللت اذا ما رأته من بعيد ترجلت
وإن هي لم تفعل ترجل هامها

وقد مدح السيد مراد كثير من الشعراء كصاحب نشوة السلافة الشيخ محمد علي موحي كما انه كتب له بخطه (بحر الانساب) ، وكالسيد محمد زيني وله فيه شعر كثير في شتى مناسباته ، وكالشيخ علي بن احمد القصير العاملي وغيرهم .

(١) ذكره السيد محمد حسن مصطفى في كتابه مدينة الحسين ج ١ ص ٧٦ واشار الى اجتماع مؤلفنا به .

وقد قال في سفره ذلك :

اذا اذن الله في حاجة   اتاك النجاح على رسله
وقرب ما كان مستبعداً   ورد الغريب الى اهله

ووصل الى اصفهان في ١١ رجب ١١٣١ فأنزله الأمير الذي اصطحبه معه في داره فكان موضع تجلة الامراء وعناية الاعلام واجتمع في اصفهان بابن عمه السيد المرتضى ، وبنجل ابن عمه السيد بدر الدين بن كمال الدين ، وبابن عمته الشيخ زين الدين ، وبنجل ابن عمته الشيخ عبد اللطيف وحضر دروسه في شرح الملا جامي على الكافية ، ووصف هؤلاء كلهم بما يشعر بمقامهم العلمي خصوصاً ابن عمته الشيخ زين الدين الذي اطراه كثيراً . وذكر شيئاً من شعره كما سيقرؤه القارىء في كتابنا هذا ـ النزهة ـ .

والذي يظهر ان الحظ لم يحالف رحالتنا في سفره هذا كما ينبغي ، او انه حالفه ولكن لم يحسن هو مداراته ـ كما يقولون ـ ولعل قوله بعد وصفه النعمة التي صادفها والخير الوفير الذي حازه :

لكني لم اقم لتلك النعمة بأداء بعض الشكر ، فلهذا خلعت من ملك النعيم واعتضت عن حلاوة الاقبال ، مرار تقلب الاحوال بالبؤس والضر :

رزقت ملكاً فلم أحسن سياسته   وكل من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا   شكر عليه فمنه الله ينزعه

كل هذا يشعر انه لم يكن موفقاً في سفره هذا لذلك عاد ايام الموسم مع الحاج وصحبة امرائه الى بلاده وصادف في رجوعه من المزعجات ما اتعبه وكان آخرها الحرب التي دارت بين جند امير الحاج وبين عبيد شرفاء مكة وكادت ان تصد الناس عن اداء المناسك ، وقد خرج لاستقباله الى الابطح اخوه السيد سليمان المتوفى سنة ١١٣٤ في غيبة رحالتنا الى الهند وقد رثاه بأبيات لما بلغه خبر موته .

وكانت رحلته هذه مفتاحاً لرحلات متوالية ففي سنة ١١٣٢ خرج مع الحاج العراق متوجهاً الى العراق مرة ثانية وزار المشهد العلوي على صاحبه السلام ، وزار الحلة وحدث عن مشاهدته لمنارة مسجد الشمس المشهور فقال :

ورأينا المنارة التي هي من عجائب الدهور ، فانها تهتز بقوة اذا حلفتها بعلي ابن ابي طالب اسد الله المنصور ، فصعدنا فوقها وحلفناها أن تهتز بعلي ، فاهتزت حتى خشينا ان تقع من عل ، بل نقول ان هذه المنارة ليست من العجائب ، فكم مثلها من معجزات وغرائب وهذا قليل من كثير من معجزاته وبراهينه وآياته .. الخ .

وتوجه من العراق الى اصفهان ثانياً فدخلها في ٢٤ جمادى الاولى من تلك السنة ونزل بدار السيد سعد بن السيد جعفر نقيب السادة الحسينية فأكرم مثواه .

وخرج من اصفهان في ٢٤ ج ١ الى شيراز ودخلها في ٦ ج ٢ ونزل فيها بدار الأمير ميرزا محمد تقي وزير شيراز ، واجتمع بها بالسيد محمد النجفي وابنه السيد علي النجفي وشيخ الاسلام السيد مهدي ، وزار قبور جماعة من العلويين هناك كقبر السيد احمد بن الامام موسى بن جعفر المعروف شاه جراغ وقبر السيد عليخان المدني صاحب السلافة .

ثم أنهى رحلته في البلدان الايرانية في ١٨ رجب حيث خرج من بندر ابي شهر الى الحسا ومنها الى البصرة ، وقد دخل بندر الريق فنزل في دار أميره الأمير سليمان بن مسفر ، وجمع الأمير بينه وبين صهره حاكم البندر الامير عبد الرحيم . وفي ٦ شعبان خرج من البندر على ظهر سفينة الأمير سليمان بن مسفر الى البصرة فدخلها في ١٢ شعبان . وقد أطنب في كتابه النزهة ـ هذا ـ في وصف البصرة . وكان نزوله في دار الحاج محمود القندي ، وسرد اسماء من اجتمع بهم من ذوي الشأن من أعلام سواء كانوا من العلماء او التجار او الزعماء او غيرهم من ذوي النباهة ، ومن الطريف انه كلما ذكر اسم واحد منهم ذكره محفوفاً بالألقاب المشعرة بالتعظيم وختم ذلك ببيت شعر يمدحه به ، وهم تسعة عشر رجلاً وقد حصل له من

هؤلاء القبول والاكرام فشكرهم على ذلك واختتم حديثه بقوله :

لو كنت اعلم فوق الشكر منزلة أعلى من الشكر لاستقصيتها لهم

ومن البصرة صح عزمه على التوجه الى بلاد الهند فغادرها عصر ٦ صفر سنة ١١٣٣ في مركب كان قد استأجره الأمير فارس خان امير سورت لنفسه خاصة وسمح له بصحبته فيه ، فدخل في غرة ربيع الأول بندر كنج وهناك اجتمع بالعلامة الشيخ محمد بن ماجد البحراني .

وفي صبح ٢٧ منه دخل بندر سورت واجتمع بأميرها فارس خان فأكرمه وكذلك اجتمع بحاكم سورت شيخ الاسلام خان فذمه كثيراً لأنه كان اعمى البصيرة والبصائر . وقد مدح من اجتمع بهم من اعيان وتجار واشراف لأنهم اكرموا مثواه .

ودخل من بلاد الهند بلدة عالي مهان وكان ذلك في ١٥ شعبان سنة ١١٣٣ كما انه تولى الحسبة في قرية (ديوهي) وذلك ايام عظمة السلطان مهر علي خان .

ودخل من بلاد الهند بلدة برها نبور ونزل بدار الامير السيد احمد الدمشقي (كنوال البلاد) اي محتسبها . ودخل ايضاً بلاد كوندواند ، ونزل بدار سلطانها الراجه بخت بلند ، وفيها اجتمع بشيخه السيد بدر الرفاعي فتقدم الى السلطان بنقل المؤلف من منزل الراجة الى منزله ، فنقله اليه ، وقد اصطحبه استاذه المذكور الى بعض البلدان فكان موضع حفاوة امرائها وسلاطينها كما حدث بذلك عن سفرهم الى بلدة باكرة وخروج سلطانها الراجة علي شاه لاستقبالهم على بعد نصف مرحلة وكان في جمع كثير وموكب كبير بالخيل والجنود والرايات والبنود وصنع لهم وليمة عظيمة ، وامر بانزالهم بدار الأمير شير خان وكان صاحب الديوان .

ودخل من بلاد الهند الشهيرة في ٢٣ ربيع الثاني سنة ١١٦٣ هـ واجتمع بحاكمها وهو عم الوزير نظام الملك الأمير حامدخان وبجماعة من الامراء وغيرهم .

كما انه وصل الى شاه جهان آباد وذلك بصحبة شريف مكة الشيخ احمد

علان وكان على طريقه على احمد اباد فشهد الحرب الضروس بين الراجات حتى سئمت نفسه فصحب عمة الأمير قمر الدين خان وزير السلطان وكانت قاصدة للحج فسار معها الى سورت فدخلها في ٢٨ رمضان ١١٣٨ واقام بها حتى غرة جمادى الآخرة سنة ١١٣٩ . ثم خرج منها متوجهاً الى عدن فوصلها في ١٨ من الشهر المذكور .

ووصل بندر المخا في ٢٠ ج ٢ وحاكمها يومئذ الأمير احمد بن يحيى خزندار وهو الذي كتب برسمه هذا الكتاب ، والشيء الذي يلفت النظر في هذا الكتاب ان المؤلف كان يرعى الجميل بلسان الثناء والشكر لكل من أولاه احساناً واكرم مثواه ، ولما كان اهالي بندر المخا وحاكمهم قد بالغوا في اكرامه فقد اطنب في مدحهم بكل جميل وأثنى عليهم بشعره كما يلاحظ ذلك عند ذكر بندر المخا وذلك في الجزء الثاني من الرحلة فراجع .

ولقد اقام في المخا حتى ١٢ ربيع الأول سنة ١١٤٠ ثم توجه الى جدة قاصداً للحج فنزلها غرة ج ١ ومنها توجه الى المدينة فدخلها ٢٢ ج ١ سنة ١١٤٠ وقد ارخ ذلك شعراً . فاجتمع فيها بجماعة الاشراف والعلماء وقدسماهم ومدح بعضهم شعراً ، واقام بينهم الى ١٥ شعبان حيث توجه تلقاء البيت الحرام فدخل مكة المكرمة في ٢٨ شعبان ، وارخ ذلك بشعره ، وكان نزوله في دار ابن عمه السيد نور الدين ابن السيد احمد وقد ترجمه ، واجتمع بآخرين من الاعلام والتجار والحكام . وفي ٦ شوال رحل الى الطائف ويبدو انه كان يروم الاجتماع بالامير الشريف باز ابن الشريف شبير بن مبارك وقد ترجمه في كتابه ومدحه بقصيدة مثبتة في كتابه هذا . وفي ذي الحجة سنة ١١٤٠ قفل راجعاً الى مكة صحبة الأمير الآنف الذكر . وبعد انقضاء مناسك الحج عاد معه الى الطائف في ٦ محرم سنة ١١٤١ وبقي حتى ٩ شوال خرج منها متوجهاً الى بندر اللحية . وقد فصل في رحلته وارتحاله وذكر زعماء القبائل الذين نزل عليهم في طريقه حتى وصوله الى بند اللحية في ٩ محرم سنة ١١٤٢ وخرج منها الى بيت الفقيه ومنه الى صنعاء فدخلها غرة صفر سنة ١١٤٢

وقد مدح حاكمها ابراهيم بن المهدي بقصيدة ، ولم يطل مكثه بها حيث لم يجد مايؤمل فيها فقفل الى بندر المخا فدخله في ٨ ربيع الاول سنة ١١٤٢ ، وما زال متردداً بينه وبين مكة الى سنة ١١٤٥ حيث نوى الاقامة بالبندر المذكور . وتزوج هناك وولد له بها ابنه عبد الله سنة ١١٤٦ وابنه الآخر محمد وكان ذلك آخر تطوافه في البلاد فبقي حتى سنة ١١٤٧ وسنة ١١٤٨ حيث أرخ دخول الأمير عبد الله بن احمد الخزندار إلى المخا قادماً من صنعاء ٠

وفي هذه ختم كتابه الرحلة ـ النزهة ـ في ٤ شوال سنة ١١٤٨ وذلك ببندر المخا المذكور حيث وجد فيه ضمان عيشه وتقدير مواهبه ، وقد صرح بذلك في ختام رحلته حيث تزوج هناك واقام مدة ست سنوات ٠

مؤلفاته :

لم يذكر مترجوه له من التآليف سوى كتابه (نزهة الجليس) وهو هذا الذي نقدمه للقراء كما انه الأثر الوحيد المنتشر من آثاره الفكرية ٠

اما كتابه الآخر (ازهار الناظرين في أخبار الأولين والآخرين) فقد ذكره المؤرخون استناداً الى تصريح المؤلف نفسه بذلك في كتابه النزهة الآنف الذكر حيث أحال كثيراً على كتابه الأزهار ، والذي يظهر من حوالاته الكثيرة عليه انه مؤلف ضخم جامع ٠ وقد ذكر الحجة الخبير الرازي في كتابه الذريعة للمؤلف (ازهار بستان الناظرين في سيرة رسول رب العالمين واخباره وآثاره) ووصفه بأنه مجلد كبير ، وكانت نسخته في خزانة الحاج شيخ عبد الحسين بن الشيخ محمدرحيم البروجردي المشهدي . ولعل الذي ذكره الرازي دام ظله هو بعض كتابه الازهار حيث صرح بأن المجلد المذكور في سيرة النبي (ص) وكتابه الازهار

في اخبار الأولين والآخرين كما في النزهة وغيرها فلاحظ .

وللمؤلف تأليف ثالث لم يذكره مترجموه وقد ذكره هو نفسه في كتابه النزهة . هو مؤلفه الذي جمع فيه شعر ونثر صديقه السيد عبد المطلب الحسيني المكي في ديوان مفرد ، ولعل السر في عدم ذكر مترجميه لذلك ضياع نسخته منذ عهد مؤلفه كما صرح بذلك حيث قال :

(وكنت قد جمعت كثيراً من رقيق شعره وأنيق نثره فلم أدر أين ضاع مني ؟) .

شعره :

كان المؤلف شاعراً متفنناً في ضروب الشعر ، حتى التخميس والمسلسل والدوبيت المستزاد وغيره ، وشعره متوسط قليل الجيد ، يغلب عليه طابع عصره من التزام الصناعة اللفظية ، وكثرة استعمال المعاني البديعية .

والغالب على اغراضه الشعرية شكوى الزمان الذي حاربه وامثاله من الموهوبين حتى طغت تلك الظاهرة حتى على مدحه لذوي اليسار والمعروف الذين استرفدهم بحكم ظروفه القاسية ، والتي اضطرته الى ان يجوب شرق البلاد وغربها وبرها وبحرها . ويجد القارىء في ثنايا كتابه النزهة ـ هذا ـ نماذج كثيرة لذلك كما يجد له متفرقاً في اغراض اخرى ، وجميعها تكشف عن ذهنية خصبة وحس مرهف . ونماذج شعره في كتابه هذا مبثوثة تكشف عن قابليته الشعرية وقوته الأدبية والتي يطغى عليها أثر ما قلناه من تعقيد في شؤون الحياة ، وربما يكون لذلك كبير الأثر في إلهاب الجذوة الشعرية في نفسه .

ولم يكن مقتصراً في نظمه على اللغة العربية الفصحى فحسب ، بل كان

ينظم باللغة العربية الدارجة ، فقد روى له السيد الأمين في الاعيان وقبله الشرواني في الحديقة بيتاً على طريقة (المواليا) العراق الأعرج وذلك قوله :

دموع عيني بما تخفي الجوانح وشن   وعلي غار الهوى من كل جانب وشن
وانت يا من شحذ اسياف لحظه وسن   تروم قتلي بهـــا بالله بيّن إلي
من جوّز القتل في شرع المحبة وسن

ولقوته الأدبية ومعرفته ببعض اللغات الحية غير العربية كالفارسية والهندية والتركية والتي أجادها بحكم اسفاره الى بلادها واقامته بين ظهراني أهلها فقد كان يحسن النظم ببعضها كما انه استفاد ادبياً من جميعها حيث قرأ لشعرائها وأطلع على لفتاتهم وبدائع افكارهم فاستحسن منها ما جعله يترجم بعضه الى لغته الأصليـة ـ العربية ـ كما صنع ذلك مع شعر (سورداس) الشاعر الأعمى الهندي الشهير فانه ترجم بعض شعره .

اما نظمه بغير العربية فقد ذكر لنفسه قصيدة بالفارسية وعظية تناهز الأربعين بيتاً أولها :

بشنو از گنجشك اين نقل خبر   يا سليمـان نبي خير البشر

كما ان له قصيدة اخرى ملمعة عربية وفارسية وتركية تنوف على الثلاثين بيتاً عارض بها قصيدة السيد علي المهري الملمعة والتي أولها :

لي دلبر آب الحياة   معتـق بدهـــانه
الماء طرة وجهه   والدر من دندانه

فعـارضه المؤلف بقصيدة وأولها :

لي شادن أضنى الحشا   بالسحر من چشمانه
أصمى الفؤاد وصادني   بالتير من مچكانه

كما ان له في المعارضة قوة عارضة فقد يطيل الحديث عن ذلك ويروي الكثير من الشواهد ، فمن ذلك عند ذكره لقصيدة المرحوم الشيخ الحسين بن عبد الصمد والد

الشيخ البهائي الكافية والتي أولها :

لست أسلو هواك لا وأبيك يا حبيبي وطرفي الفتيك

فقد استعرض كل من عارضها وذكر شعرهم وعد منهم والده السيد علي المكي واول قصيدته :

من لصب قضى غراماً فيك يا غزالاً بالحسن صار مليك

ثم ذكر تسعة آخرين منهم السيد عليخان المدني والشيخ البهائي وغيرهم وختم ذلك بقصيدته التي عارض بها قصيدة والده والحسين بن عبد الصمد وأولها :

فاح نشر الصبا وصاح الديك فانتبه وأنف عنك ما ينفيك

وفي ثنايا كتابه شواهد اخرى لا نطيل الحديث عنها ٠

مدح المؤلف والثناء عليه :

ذكر المؤلف كثير من أعلام الفضيلة والأدب واثنوا عليه بما يكشف عن علو مقامه ولعل اقدمهم استاذه الروحي وموجه الأدبي السيد نصر الله الحائري فقد كتب اليه حين ارسل المؤلف الى استاذه مشطين احدهما ابيض والآخر اصفر :

ايا عباس السباق بالاعذار للجاني
ويا من جود راحته جنى جناته داني
بعثت لنا بعاجي اب يض وباصفر ثاني
كجبهة فاتن غنج وجبهة مغرم عان
هلالا افق كل ندى ولكن لا يغيبان
فكفي معهما ابداً لها شان من الشان

(فامساك بمعروف وتسريح باحسان) (١)

وذكره الشرواني اليماني صاحب حديقة الأفراح حيث قال :

السيد عباس بن علي الموسوي المكي صاحب (نزهة الجليس) المحتوي على كل معنى نفيس ، فصيح البسه الله حلة الكمال ، وبليغ نسج القريض على احسن منوال .

ثم ذكر نماذج من شعره ومنها تخميسه للبيتين المشهورين :

دع الدنيا الدنية مع بنيها وطلقها الثلاث وكن نبيها
ألم ينبيك ما قد قيل فيها هي الدنيا تقول لساكنيها
حذار حذار من بطشي وفتكي
فلم يسمع لها فيهم كلام وتاهوا في محبتها وهاموا
وكم نصحت وقالت يا نيام فلا يغرركم مني ابتسام
فقولي مضحك والفعل مبكي

وذكره الشيخ علي بن محمد السبيتي العاملي الكفراوي المتوفى سنة ١٣٠٣ في كتابه (العقد المنضد في شرح قصيدة علي بك الأسعد) فقال :

كعبة اهل الأدب ، وجهبذ الجهابذة في لغة العرب ، العباس بن علي . . . .

ثم ذكر شيئاً من احواله من ولادته حتى وفاته .

وترجمه المرحوم السيد الأمين في الاعيان ج ٣٧ ص ٧١ الى ص ٧٤ .

كما ترجمه المرحوم السيد شرف الدين في بغية الراغبين (مخطوط) على ما حكي عنه .

وذكره الحجة الشيخ اغا بزرك الطهراني سلمه الله في الكواكب المنتثرة (مخطوط) فقال :

العالم الفاضل الكامل الناظم الناثر الجامع لكل الفضائل المؤرخ النسابة المفسر المحدث . . . .

---

(١) ديوان السيد نصر الله الحائري ص ٢١٣ .

وذكرته بقية المعاجم المعنية بفهرسة اسماء المؤلفين او المؤلفات ، فورد ذكره في :

١ ـ الذريعة ج ١ ص ٥٣٣ وص ٥٣٦ .

٢ ـ معجم المطبوعات ص ١٢٦٦ .

٣ ـ معجم المؤلفين ج ٥ ص ٦٥ .

٤ ـ الاعلام للزركلي ج ٤ ص ٣٦ .

٥ ـ فهرس المكتبة الازهرية ج ٦ ص ٢٨٥ .

٦ ـ فهرس المكتبة البلدية ـ الادب ص ١٧٤ .

٧ ـ فهرس دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ .

٨ ـ بروكلمان : الملحق الثاني ص ٥١٢ طبع ليدن .

وفاته :

ذكر الشيخ علي السبيتي في رسالته (العقد المنضد والجوهر المجرد في شرح قصيدة علي بك الأسعد) : ان المؤلف رحمه الله رجع في آخر أيامه الى مسقط رأسه مكة المكرمة ، فلبث فيها الى موسم الحج تلك السنة ، ثم جاء مع الحاج الشامي الى بلادنا فقطن جبشيت وتوفي فيها هو وولده زين العابدين في سنة واحدة وله سبعون سنة تقريباً ، أما ولده فلم يتجاوز العشرين .

وبناءاً على ذلك فتكون وفاته في حدود سنة ١١٨٠ هـ إذ سبق ان ذكرنا ولادته في سنة ١١١٠ هـ فلاحظ .

ذريته :

ذكر المؤلف في حديثه عن صاحب بندر المخا الفقيه احمد بن يحيى الخزندار وما شمله به من عطف واكرام حتى رتب له من بيت المال مرتباً ضمن له الحياة الهادئة فصمم على الاقامة بالبندر المذكور وذلك في سنة ١١٤٥ هـ قال :

فلما رأيت توجههم إلي وبرهم بي واحسانهم علي استخرت الله تعالى ونويت الاقامة ببندر المخا ، ومجاورة اهل الكرم والسخاء ، المعتمد عليهم في الشدة والرخاء واقمت والحمد لله في ظلال عدلهم ، وتزوجت وذلك من فضل الله وفضلهم ، ورزقت ولداً بقدرة الله وسميته عبد الله وذلك وقت الشروق يوم الاثنين غرة ذي القعدة الحرام سنة ١١٤٦ ٠٠٠٠٠ وارخت ولادته بقولي :

قد حباني خالق رب السما   بغلام طاب أصلا ونما
وهو عبد الله قد سميته   راجياً من فضله أن يسلما
فلربي الحمد والشكر فكم   عمني فضلا وكم قد انعما
واتى التاريخ في مولده   بيت شعر مثل در نظما
(أبقه يارب لي طول الزمان   في سعود وصعود قد سما)

ثم توفي ذلك المولود في صبح ١٤ صفر من تلك السنة ٠

ثم رزقني الله بعد ذلك الولد ولداً وسميته محمداً وكانت ولادته في نصف الليل من ليلة الاربعاء ، عندما ذكر المذكر في السحر ودعا ، في ١٦ محرم الحرام سنة ١١٤٨ ٠٠٠٠

وهذا كله من فضل ربي توكلت عليه ، وفضل مولانا الفقيه احمد المشار اليه لا زال لواء الدولة والاقبال منشوراً عليه وعلى اولاده وكل من لديه .

وهذا دعاء لا يرد لأنه اذا ما دعونا امنته الملائك

وذكر الشيخ علي السبيتي ـ فيما حكي عن كتابه ـ ان له زين العابدين ـ المتوفى هو وابوه في سنة واحدة ـ ومنه عقبه في السيد عبد السلام المولود في حدود سنة ١١٧٩ وكان من الفقهاء والمحدثين ، وقد ذكر في تكملة الأمل للصدر والبغية والاعيان وغيرها ٠

ومن عبد السلام بقي عقب جده ـ المؤلف ـ فان عبدالسلام بن زين العابدين ابن المؤلف اعقب اربعة وهم : السيد عيسى ، والسيد موسى ، والسيد ابراهيم ، والسيد محمد ٠ والسيد عيسى هو والد السيد عباس المؤرخ الثقة وقد شافه الشيخ السبيتي بتاريخ آبائه ٠

وللسيد عباس خمسة اولاد : السيد امين سم بمصر ومات بها ، والسيد محمد نزيل بلاد الفرس صاحب الرياضيات والكرامات مات في النجف الأشرف ، والسيد محمود ، والسيد علي ، والسيد قاسم ٠

والسيدموسى بن عبدالسلام كان فاضلاً اديباً شاعراً ووصفه السبيتي بالثقة .

وقال : وذريتهم ميمونة صالحة تعرف ببيت عباس ـ نسبة الى جدهم الأعلى السيد عباس المكي مؤلف النزهة ـ وفيهم الفقهاء والادباء ٠

نزهة الجليس :

كتابنا هذا الذي نقدمه للقراء اسماه مؤلفه بـ (نزهة الجليس ومنية الاديب الأنيس) وهو كاسمه ، حيث يجد القارىء فيه الطرفة الممتعة والنادرة الأدبية ، والحادثة التاريخية ، والنكتة اللغوية ، فهو كمن ينتقل بين الرياض المونقة ، ويستاف منها مختلف الروائح الذكية . ولقد وصفه مؤلفه واطراه بقوله :

جميع الكتب يدرك من قراها ... ملال او فتور او سئآمه
سوى هذا الكتاب فان فيه ... بدائع لا تمل الى القيامه

وقد جعل تأليفه لكتابه هذا جزاءاً للاحسان الذي غمره به الفقيه عبد الله بن احمد الخزندار فقال :

وجعلته باسم مولانا الفقيه المشار اليه .... ولم اجعله باسم احد غيره لما ترادف علي من وافر إحسانه وخيره .... فكم له علينا من فضل وأيد وكم اغنانا عن بذل ماء الوجه لعمرو وزيد .... فلهذا ختمت هذا الكتاب بذكر جنابه ....

وكان الفراغ من تأليفه ببندر المخا في رابع شوال سنة ١١٤٨ هـ

هذا ما تيسر لنا عرضه من حديث عن المؤلف وكتابه ، وارجو ان اكون قد أفدت القارىء بشيء عن حياة المؤلف رحمه الله . والحمد لله بدءاً وختاماً .

النجف الأشرف

١١ ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ

محمد مهدي السيد حسن الخرسان

كلمة شكر و تقدير

لا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى سماحة العلامة المحقق السيد أحمد الحسيني دامت بركاته ؛ حيث تفضل علينا باعطائنا نسخة من هذا الكتاب الذى بين يديك ـ أيها القارئ الكريم ـ و هو « نزهة الجليس ، و منية الأديب الأنيس » و على أثر ذلك أعدنا طباعته مرة أخرى ؛ لما فيه من الفائدة .

و السيد أحمد الحسيني ـ أيده اللّه تعالى ـ غني عن التعريف و البيان ؛ إذ عرف بالخلق الرفيع ، و الورع أولاً ،

و هو أحد وجوه الشيعة المحققين البارزين ثانياً .

كما عرف بغيرته و حرصه الشديد على إحياء تراث أهل البيت «عليهم السلام » ثالثاً .

و انطلاقاً من ذلك فقد تصدى لمهمة التأليف و التحقيق فى تراث أهل البيت « عليهم السلام » و ما خلفه السلف الصالح من الأصحاب و العلماء الاعلام رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين منذ اكثر من ثلاثين عاماً .

و كل ذلك كان بدأب وجد متواصلين حتى بلغ مجموع ما قدمه من إنتاج الى المكتبة الإسلامية اكثر من ثمانين مؤلفاً و محققاً ، و لا زال منكباً على التراث خدمة و عطاء .

و اللّه تعالى نسأل أن يطيل عمره الشريف فى خير و عافيه ، و أن يسدد خطاه ، و يبارك فى قلمه انه سميع مجيب .

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(إبتدأت كتابي هذا) بالبسملة، اقتداء بالكتاب العزيز، وعملا بقوله ﷺ: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالبسملة، وفي رواية بالحمد لله، فهو أقطع، وفي رواية فهو أجذم، وفي رواية فهو أبتر. والمعنى انه ناقص قليل البركة. والباء في بسم الله للملابسة، وقيل للمصاحبة، وقيل للاستعانة. والأول أقوى، ومعناه ألابس كتابي هذا ببركة بسم الله تعالى.

وأما قول من قال انها للمصاحبة، فمردود لأن المصاحبة تقتضي استمرار المصاحبين من ابتداء الفعل إلى آخره. كما في قولك: جئت بزيد، فزيد مصاحب لفاعل المجيء من ابتدائه إلى انتهائه. والتأليف لا تصاحبه البسملة، إذ ينقطع بالشروع في الكتاب، وقول من قال انها للاستعانة مردوداً أيضاً لان الاستعانة لا تكون إلا بآلة، كما في قولك ضربت بالسيف.

وأسماؤه تعالى يجب تنزيهها عن جعلها آلة يستعان بها، كما انه يجب تنزيه ذاته تعالى.

والاسم مشتق من السمو، أي العلو، على رأي البصريين، ومن السمة، أي العلامة على رأي الكوفيين.

وباسم: جار ومجرور متعلق بألابس، والله اصله إله، كاما ادخلت عليه ال، فصار الاله، وقعت الهمزة بين متماثلين فحذفت فصار أل لاه، ادغمت اللام الاولى في الثانية، فصار اللاه، ثم فخم، فصار: الله.

والرحمن الرحيم: صفتان بنيتا للمبالغة، فمعنى الرحمن هو المنعم بجلائل النعم والرحيم هو المنعم بدقائقها، انتهى.

اللهم يا من قصرت عن ادراك حقيقة كنه ذاته الفكر ، وسافرت فيه العقول فما ربحت إلا أذى السفر ، فرجعت حسرى ، وما وقعت على عين ولا أثر . لان الذي تطلبه خارج عن قوة البشر :

فيك يا اغلوطة الفكر … حار فكري وأنقضى عمري

سافرت فيك العقول فما … ربحت إلا أذى السفر

رجعت حسرى وما وقعت … لا على عين ولا أثر

فلحا الله الأولى زعموا … انك المشهود بالنظر

كذبوا ان الذي طلبوا … خارج عن قوة البشر

﴿شرح﴾ أصل اللهم عند الخليل ياالله ، حذف حرف النداء وعوض عنه الميم ولذلك لا يجمع بينهما إلا ضرورة ، كقول الراجز :

انى إذا ما حدث ألما … أقول ياو اللهم يا اللهما

وانما أخرت الميم تبركا باسمه تعالى ، وخصت بذلك دون غيرها ، لان الميم عهد زيادتها آخراً كميم زرقم ، الشديد الزرقة ، هـــذا مذهب البصريين ، وذهب الكوفيون إلى ان الميم ليست عوضاً ، بل بقية من جملة محذوفة ، وهي آمنا بخير .

قال الرضى : وهذا ليس بوجه ، لأنك تقول : اللهم آمنهم بخير .

وقال ابو علي : ولانه لو كان كما ذكر لما حسن اللهم آمنا بخير ، وفي حسنه دليل على ان الميم ليست مأخوذة منه إذ لو كان كذلك لكان تكراراً ، انتهى .

وقصر : بالضم من القصر ، كعنب خلاف الطول فيكون من باب الاستعارة التبعية . وأما القصور بمعنى العجز ، ففعله قصر السهم عن الهدف إذا لم يبلغه والله سبحانه أعلم .

رافع السموات وباسط الارضين ومرسي الجبال ومفجر العيون ، وخالق البحر المسجور ، ومجري فيه الجوار المنشآت كالاعلام لمصالح عباده ليعلم الشكور

منهم والكفور . اوجد بحكمته الخلائق ، وهداهم إلى احسن الخلائق ، وبين لهم اوضح الطرايق ، وأرشدهم إلى أنجح الامور ، وجعل لهم الارض ذلولا ، وأمرهم بالمشى فى مناكبها لاكتساب الارزاق الدنيوية والأخروية ، طبق مقتضى حكمته وقدره المقدور . فقال عز من قائل : (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) فنحمده من حكيم قادر حليم ساتر عظيم قاهر كريم غافر ، اشرق شموس البلاغة في افلاك سماء الخواطر ، وأطلع بدور الفصاحة في افق روية كل ناظم وناثر

﴿ شرح ﴾ الحمد : ينقسم إلى معنيين ، لغوى واصطلاحي ، فاللغوي هو الثناء باللسان على الجميل الاختياى على جهة التعظيم والتبجيل سواء تعلق بنعمة أم لا ، والاصطلاحي هو فعل ينبيء عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد او غيره ، فبينهما عموم وخصوص من وجه ، فاللغوي أعم باعتبار المتعلق ، وال في الحمد للجنس ، كما قال المحققون ، واللام في لله للاختصاص ، فمعناه جنس الحمد مختص بالله تعالى .

ونشكره من جليل جبار لاتدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وبرأ بقدرته الليل والنهار ، والفلك الدوار ، وخلق الشمس والقمر آيتين لأولى الالباب والافكار ، وجعل الأدب روضاً ناضراً لازهار عطر النسائم تقطف منه أنامل البصائر والابصار ، ومنهلا صافياً ترده هيم الافكار .

﴿ شرح ﴾ الشكر حالة نفسانية تنشأ من العلم بالمشكور وصفاته وانعامه وتثمر العمل بالقلب واللسان والاركان وهم بالنظر إلى تلك الثمرة عرفوه بانه فعل دال على تعظيم المنعم قولا وعملا واعتقاداً ، وما احسن قول محمود الوراق :

شكر الإله نعمة موجبة لشكره
وكيف شكري بره وشكره من بره

ونصلي ونسلم على حبيبه وصفيه سيدنا محمد النبي المختار الذي نظم عقود الدين بالاسمر الرديني ، ونثر رؤس الجاحدين بالابيض البتار الصادع بتبليغ الرسالة

المنقذ العالم من الجهالة، اشرف المرسلين فضلا وقدراً ، القائل ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا :

الله فضل قدر جاه محمد وأناله شرفا لديه عظيما
في محكم التنزيل قال لخلقه صلوا عليه وسلموا تسليما

《 شرح 》 اختلف العلماء في اشتقاق الصلاة ، فقيل : انها مأخوذة من صليت العود بالنار إذا لينته وقومته ، لان المصلي يلين بالحنو والعطف ويسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذي يعرض على النار .

قال النووي : وفي هذا القول غباوة من صاحبه ، لأن الصلاة واوية وصليت العود من ذوات الياء ، فكيف يصح الاشتقاق .

قال الزركشي : وهو عجيب فان المشدد تقلب منه الواو ياء ، كما في زكيت المال والظاهر ان النووي توهم انه ماخوذ من صليت المخففة ذاهلا عن كون الثقيلة وهي التصلية كالتزكية مصدر صلى المشددة ، لا المخففة ، انتهى .

وهذا التعجب أعجب فان كلا من صليت العود ، وصليته المخففة والمشددة من ذوات الياء ، فلم تقلب الواو في المشددة ياء ، كما زعمه الزركشي بل الياء فيهما من سنخ الكلمة بخلاف التزكية ، فانها واوية ، فقلبت الواو ياء مع التشديد ، وهذا ظاهر ، وقيل : ان الصلاة مشتقة من الصلوين ، وهما عرقان من جانبي الذنب وعظمان ينحنيان عند الانحناء، فناسب ان يراد بهما الحنو والانعطاف المعنويين .

وقال الزمخشري : الصلاة فعلة من صلى ، كالزكاة من زكى ، وكتبت بالواو على لفظ المفخم ، وحقيقة صلى حرك الصلوين ، لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ، انتهى .

فان قلت هذا الاشتقاق انما يناسب معنى الصلاة ذات الركوع والسجود لا المعنى المراد منها هنا .

قلت : اجيب بأن المصلي لما كان ينعطف في ركوعه وسجوده ، فكانت

الصلاة ذات الاركان مشتملة على التعطف صيرت للتعطيف على الغير حنواً وترؤفاً

وقيل : بل اصل الصلاة اللغوي بمعنى الدعاء ويؤيده ان الصلاة بهذا المعنى في اشعار الجاهلية كثيرة الاستعمال .

وقال الجمهور الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ، ومن الآدميين الدعاء واستبعد هذا من جهات ، احدها اقتضاؤه الاشتراك ، والاصل عدمه لما فيه من الالباس حتى ان قوماً ينفونه ، ثم المثبتون له يقولون متى عارضه غيره مما يخالف الاصل كالمجاز قدم عليه ولذلك تسمعهم يقولون المجاز خير من الاشتراك .

الثانية : إنا لا نعرف في العربية فعلا واحداً يختلف معناه باختلاف المسند اليه إذا كان الاسناد حقيقياً .

الثالثة : ان الرحمة فعلها متعد والصلاة فعلها قاصر ولا يحسن تفسير القاصر بالمتعدي .

الرابعة : انه لو قيل مكان صلى عليه دعا عليه انعكس المعنى وخفي المراد بين صحة حلول كل منهما محل الآخر .

وقال شيخ الطائفة الشيخ زين الدين في بعض مصنفاته : الصلاة هي الدعاء من الله ومن غيره ، لكنها منه تعالى مجاز في الرحمة وهو اولى مما قيل من انها منه تعالى بمعنى الرحمة ، ومن غيره الدعاء بطلبها او انها منه كذلك ، ومن ملائكته الاستغفار ، ومن المؤمنين الدعاء لاستلزام الاشتراك والمجاز خير منه والمعنى الاصلي اولى من النقل وعطف الرحمة على الصلاة في قوله تعالى : (اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) لا يقدح في كونها بمعناها لجواز عطف الشيء على مرادفه ، كقوله تعالى : (انما اشكو بثي وحزني إلى الله ولا ترى فيها عوجا ولا إمتاً) وهو كثير ، انتهى كلامه رفع مقامه .

وقال المحققون : انها لغة بمعنى واحد ، وهو العطف بالنسبة إلى الله تعالى الرحمة اللائقة به تعالى ، وإلى الملائكة الاستغفار ، وإلى الآدميين دعاء بعضهم لبعض

قال السهيلي في نتائج الفكر : الصلاة كلها وان اختلفت معانيها راجعة إلى اصل واحد فلا تظنها لفظ اشتراك واستعارة ، انما معناها العطف ، ويكون محسوساً ومعقولا ، انتهى .

والحاصل: ان الاختلاف على هذا القول في افراد معنى الصلاة ، وعلى قول الجمهور في نفس معنى الصلاة ، ومعنى الصلاة على رسول الله ﷺ تعظيمه في الدنيا باعلاء كلمته وابقاء شريعته ، وفي الآخرة بتضعيف مثوبته والزيادة في رفع درجته وغاية الدعاء بذلك عائد إلى المصلي ، لان الله تعالى قد اعطاه من اعلاء الكلمة وعلو الدرجة ، ورفع المنزلة ما لا يؤثر فيه صلاة مصل ، ولا دعاء داع ، وقيل : بل غايته طلب زيادة كماله وقربه من الله إذ مراتب استحقاق نعم الله تعالى غير متناهية

وأما الصلاة عليه في غير الصلاة وعند عدم ذكره فمستحبة عند جميع أهل الاسلام ولا نعرف من قال بوجوبها غير الكرخي ، فانه اوجبها في العمر مرة كما في الشهادتين .

وأما في الصلاة فهي واجبة عند الامامية في التشهدين معاً .

وقال الشافعي : هي مستحبة في الأول واجبة في الثاني .

وقال ابو حنيفة ومالك : مستحبة فيهما .

وأما عند ذكره ﷺ فظاهر في كثير من الاخبار ، كقوله ﷺ : من ذكرت عنده ولم يصل علي دخل النار ، ومن ذكرت عنده فنسي الصلاة علي خطىء به طريق الجنة .

وقوله من ذكرت عنده ولم يصل علي دخل النار وأبعده الله ، دليل على انها تجب كلما ذكر وكلما سمع ذكره لان الوعيد امارة الوجوب ، ومنهم من اوجبها في العمر مرة ، صلى الله عليه وعلى آله خير آل ، عليهم سلام الله مالمع آل :

يا بني الزهراء والنور الذي	ظن موسى انه نار قبس
لا أوالي الدهر من عاداكم	انه آخر حرف في عبس

أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فمن والاهم فقد نال نعيما وملكا كبيرا في جنة لا يرى فيها شمساً ولا زمهريرا . ومن عاداهم فسوف يصلى سعيراً :

يا أهل بيت النبي من بذلت ... في حبكم روحه فما غبنا

من جاء عن بيته يحدثكم ... قولوا له البيت والحديث لنا

أقول: قال في القاموس في باب اللام فصل الهمزة أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه إلى ان قال : وللرجل زوجته كأهلته ، وللنبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره علي او نساؤه ، والرجال الذين هم آله ، ولكل نبي امته .

قال المحقق المدقق الحبر العلامة عمي السيد محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه الطاهرة الآتي ذكر ترجمته ان شاء رب الدنيا والآخرة في حاشيته المسماة برجل الطاوس إذا تبختر القاموس ، وهي حاشية عليه مفيدة عزيزة ، ما هذا لفظه .

أقول : قد قال في مادة أول الآل ما أشرف من البعير إلى ان قال : وأهل الرجل وأتباعه وأولياؤه ولا يستعمل إلا فيما فيه شرف غالباً فلا يقال آل الاسكاف كما يقال اهله واصله ، أهل أبدلت الهاء همزة فصارت أأل توالت همزتان فأبدلت الثانية الفاً تصغيره اويل وأهيل ، انتهى .

ومقتضى قوله وأهل الرجل ان يصدق الآل على ما يصدق عليه الاهل وهو عشيرة الرجل وذو قرباه ، وعلى زوجته أيضاً لانه بذلك فسر الأهل ، ثم نص على ان الآل بمعنى الاهل لكن قيد الآل بما فيه شرف غالباً .

(وفي الصحاح) وآل الرجل اهله وعياله وآله ايضاً اتباعه ، وقال في الأهل أهل الرجل واهل الدار ، وكذلك الأهلة ، انتهى . وهي عبارة تؤدي مؤدى عبارة القاموس ، لكن لم يفيد بما فيه شرف وتفيدان المؤنث بالهاء لا يختص بالزوجة بل يطلق على غيرها ممن يصدق عليه الاهل ويكون التأنيث بمعنى الجماعة فتأمل ذلك .

وعندي في اطلاق الآل على الزوجة في كلام العرب توقف لعزة شاهد يدل عليه والله تعالى اعلم .

وقوله : وللنبي ﷺ أزواجه إلى قوله ولكل نبي امته ، لا يخفى ان هـذا المعنى المختص بالنبي ﷺ على الخلاف فيه ليس هو بمقتضى الاطلاق اللغوي . وانما الاطلاق شرعي ان ثبتت الحقائق الشرعية . وإلا فهو اطلاق في عرف المتشرعة أي حقيقة عرفية ، وكذلك القول في قوله : ولـكل نبي امته وذلك لان مقتضى اطلاق الحقيقة اللغوية ان اضافة اهل إلى نبينا ﷺ مثل اضافته إلى غيره في احتمال المعاني المشتركة فيها لفظ الاهل فانه حسبما نص عليه مشترك بين العشيرة وذي القربى وبين الزوجة ، ثم ان هذين المعنيين اللذين ذكرهما في كل منهما استعمال المشترك في معنييه فان تناوله للازواج لان زوجة الرجل اهل وتناوله لبناته وصهره علي لان العشيرة وذوي القربى اهل وكذا القول في قوله او نساؤه والرجال الذين هم آله ، فما لم يكن هذا المعنى حقيقة شرعية او عرفية لم يصح من حيث اللغة إلا مجازاً ، لأن استعمال المشترك في معنييه يمنعه الـكثيرون ، ومن يجيزه من المحققين يجيزه مجازاً لا حقيقة على ان المعروف في هـذا المعنى الذى قلنا انه شرعي او عرفي هو اضافة اهل إلى بيت المضاف إلى النبي (ص) لفظاً والمنوي فيه اضافته اليه حسبما هو في قوله تعالى (ليذهب عنكم الرجس اهل البيت) وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم: وعترتي اهل بيتي ، وغيره من الاحاديث وهي كثيرة ومقتضى عبارة القاموس تقرر هـذا المعنى في اضافة اهل الى النبي (ص) وليس كذلك وان كان الآل في الاضافتين واحـداً هذا والشأن في اثبات كون هذين المعنيين حقيقة شرعية او عرفية فضلاعن ان تكون لغوية ، ومن اطلع على اختلاف العلماء في المراد بأهل بيت النبي (ص) في آية التطهير وفي الاحاديث رجح عدم الحقيقة الشرعية او العرفية وان بناءهم انما هو على اللغوية (ونحن) نشرح الخلاف في هذا المعنى الذي قلنا انه شرعي اوعرفي، ثم نتكلم فيه .

قال فاضل الشافعية السيد علي السمهودي في جواهر العقدين في آية التطهير

وقد اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى في هذه الآية (أهل البيت) فقالت فرقة منهم ابو بكر النقاش : هم نساء النبي (ص) لانهن في بيت سكناه ، ولقوله تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) والرجال الذين هم آله يعني أهل بيت نسبه وهم من حرم الصدقة كما سيأتي، والألف واللام في البيت لشمول بيت السكنى وبيت النسب ، قال السيد: وهذا القول هو المعتمد الذي رجحه جماعة ، وقالت فرقة اخرى منهم الكلبي: هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة للاحاديث المعتمدة ، قال ابو بكر النقاش في تفسيره : اجمع اكثر اهل التفسير انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ، انتهى .

واستدلوا بتذكير الضمير في قوله تعالى : (ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) ولو كان لنسائه خاصة كما هو ظاهر السياق وذهب اليه فرقة اخرى لقال عنكن ويطهركن إلا ان يقال التذكير رعاية لفظ اهل ، والمراد بيت سكناه إلى ان قال السيد : وذهب الثعلبي ان المراد من اهل البيت في الآية بنو هاشم بناء على ان المراد بيت النسب فقط ، انتهى .

المراد من كلامه وقد أفاد ان في المراد بأهل البيت في الآية الكريمة اربعة اقوال ، من جملتها القولان اللذان ذكرهما صاحب القاموس زاعماً انهما حقيقة لغوية إذ لا يذكر في كتب اللغة إلا هي ولا خفاء في ان مرجع كل من الاقوال الاربعة بنوع اعتبار إلى معنى الاهل ، ومعنى البيت لغة وليس شيء منها حقيقة شرعية ولا عرفية وبيان مرجعهما إلى المعنى اللغوي ان الآل والأهل في اللغة مشترك بين الزوجة وسكان الدار ، وبين عشيرة الرجل وذوي قرباه ، كما نص عليه هو وغيره ، والبيت مشترك بين بيت السكنى والعيال وبيت الشعر وبيت النسب ، والاخير عبر عنه في القاموس بقوله والشرف ولم يذكره في الصحاح .

وقال ابن الاثير في النهاية: بيت الرجل داره وقصره وشرفه إلى ان قال : وفي

شعر العباس رضي الله عنه يمدح النبي (ص) (وهو) :

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

أراد شرفه فجعله في اعلى خندف بيتاً والمهيمن الشاهد ، أي الشاهد بفضلك ، انتهى ما في النهاية .

فمقتضى اللغة انه حيث قيل اهل بيت النبي ، او اهل النبي (ص) كان محتملا لعشيرته وذوي قرباه ، ولمن يعد من عياله وسكان داره واخصهم الزوجات وبخصوص الزوجات لا يتعين لاحد المعاني المذكورة إلا بالقرينة فالمفسرون المتكلمون في الآية الشريفة رجع كل ذي قول منهم إلى معنى لغوي حسبما دل عليه الدليل عنده ، فمن قال المراد نساء النبي (ص) رجع إلى معنى الزوجة وأهل الدار ، أي سكانه بدليل السباق والسياق لان ما قبل الآية وما بعدها في زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولقوله لانهن في بيت سكناه وكأنه يريد ان معنى بيت السكنى أظهر عند اطلاق لفظ البيت والزوجات أهل البيت بهذا المعنى ، ومن قال المراد بنوهاشم رجع إلى معنى بيت النسب بدليل تذكير الضمير من قوله (عنكم ويطهركم) وبذلك يستدل ايضاً من قال علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة ، وله ان يرجع إلى معنى بيت النسب وان يرجع إلى معنى اهل الدار ، أي سكانه لان المذكورين رضي الله عنهم من اهل دار رسول الله (ص) فان فاطمة بنته ، والبنت اخص بأهلية الدار وسكنه من الزوجة والصنو بذلك ، وعلي من اهل داره صلى الله عليه وآله لم يفارقه منذ اخذه من والده ابي طالب في القحط الذي وقع لقريش وكفله وهو صغير السن إلى ان زوجه فاطمة واسكنه في داره ايضاً ، وهذه دار فاطمة تعد من من داره صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ان صاحب هذا القول استدل على ارادة خصوص هؤلاء من بين اهل بيت النسب وسكان الدار بالاحاديث الصحيحة الكثيرة ، وقد اوردها السيد في جواهر العقدين ، ومن جملتها احاديث وضع الكساء على اربعة ، ثم تلاوته صلى الله عليه وآله وسلم للآية ، وقوله : هؤلاء

أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، قالوا : وهي عبارة تفيد قصر أهل البيت في الآية على المذكورين ، ثم طلبت أم سلمة رضي الله عنها الدخول معهم فنعها صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال: انك إلى خير وذلك في صحيح مسلم وهو دليل على عدم تناول الآية للازواج ، ولا يخفى ان هذا القول مبني على اطلاق العام وارادة الخاص ، كما في قوله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم) الآية ، قالوا : المراد شخص مخصوص من الصحابة ، وهذا في القرآن كثير وهو غير ذكر العام ثم تخصيصه ، واجاب اهل هذا القول عن دليل السباق والسياق بمعارضته بدليل تذكير ضمير عنكم ويطهركم ، وبانه كثير في القرآن الكريم الخروج من مقصد إلى مقصد ، ثم الرجوع إلى المقصد الأول ومن أبلغ ذلك قوله تعالى (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه) فخرج عن هذا بقوله (ووصينا الانسان بوالديه) وما بعدها من الآيات ، ثم عاد إلى كلام لقمان لابنه ، ولئن كان ذلك لمناسبة ذكرها البيضاوي ، فالمناسبة فيما نحن فيه ظاهرة وهي حث الزوجات على امتثال الاوامر التي في آياتهن قبل هذه الآية وبعدها بذكر عناية الله العظيمة بهؤلاء حتى حصر ارادته تعالى اذهاب الرجس والتطهير فيهم ، وليس ذلك إلا لقوة امتثالهم أوامر الله تعالى ، وإذا تقرر ذلك علم ان القول بان المراد من الآية نساء النبي ﷺ والرجال الذين هم آله أي اهل بيت نسبه ضعيف لانه مبني على استعمال المشترك في معنييه ، لان اللفظ مشترك كما علمت بين الزوجة وبين العشيرة وذوي القربى ، وقد علمت ان كثيراً من المحققين يمنعونه مطلقاً ومن المحققين من يمنعه حقيقة ويجوزه مجازاً والمجاز يتوقف على القرينة ، ولا قرينة في الآية الكريمة على ذلك وانما الموجود قرينة ارادة الزوجات فقط وهي قرينة السياق والسباق وقرينة ضد ذلك وهي تذكير ضمير عنكم ويطهركم فلا محيص عن تقوية احد القرينتين والبناء في معنى الآية عليها والنقل من السنة الشريفة عاضد للقرينة الثانية وهو احاديث الكساء التي اشرنا اليها ، وناهيك باخراج ام سلمة ، وهي بعض الزوجات

رضي الله عنهن ، وانما ذكرنا الاقوال في هذه الآية ، ودليل كل منها ونحو ذلك من كلام العلماء في لفظ اهل البيت الوارد في الاحاديث الشريفة وفي لفظ آل محمد الوارد في الصلاة عليهم في التشهد وغيره ، وراجع كتاب جواهر العقدين في ذلك تعرفه لتعلم ان القولين المذكورين بقوله ، وللنبي ﷺ ازواجه وبناته وصهره الخ انما هما مذهبان للعلماء المتكلمين في هذه الآية وفي الاحاديث تبعاً للحقيقة اللغوية للفظ الاهل والبيت وليسا بحقيقة لغوية بل ولاعرفية في عصره ﷺ ومما يستظرف من الجهل الواضح والكذب الفاضح زعم بعض من عاصرنا من العلماء ، ان العترة أهل البيت في قوله ﷺ : انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى اهل بيتي ، وان اللطيف الخبير اخبرنى ان يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بم تخلفونى فيهما ، هذا لفظه في مسند الامام احمد والاوسط للطبرانى وكتاب ابي يعلى ونحوه في الترمذي ، وقال حسن غريب ونحوه فى صحيح مسلم وغيره ، كما ذكر في جواهر العقدين ، المراد بهم علماء الامة مطلقاً ، وصنف في ذلك رسالة سماها اقالة العترة ببيان معنى العترة او نحو هذا اللفظ ، وهذا يكذبه اولا عبارة القاموس التي نحن بصددها ، ويضاف اليه عبارته في تفسير العترة هي : وقوله والعترة بالكسر قلادة ، إلى ان قال : ونسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون ، انتهى .

وفي الصحاح : وعترة الرجل نسله ورهطه الأدنون ، انتهى .

وعبارته في تفسير الأهل ، وتفسير البيت نحو عبارة القاموس ، ومثله عبارة ابن الأثير فى النهاية وفي جامع الاصول ، وعبارة كل كتاب مصنف في اللغة او في الغريبين ، ويكذبه ثانياً كلام العلماء الذين صنفوا في فضائل أهل بيت النبي (ص) والآيات والاحاديث الواردة فيهم ، كالمحب الطبري في ذخائر العقبى ، والسخاوي في استجلاب ارتقاء الغرف ، والسيد علي السمهودي في جواهر العقدين ، والجلال السيوطي في احياء الميت ، والجمال الحافظ الزرندي في درر السمطين ، وابن طلحة

الشافعي في غاية السؤول ، وابى الحسن علي السفاقسي ثم المالكى في الفصول المهمة والعلامة ابن حجر الهيثمي في الصواعق ، وفي شرح همزية الابوصيري وغيرهم فجميعهم فسروا لفظ العترة ولفظ اهل البيت بنحو ما ذكرناه ولم يحتج احد إلى ما ذكره هذا الرجل . (وانما) جاء قول في لفظ آل محمد الوارد في تشهد الصلاة انهم امته صلى الله عليه وآله وسلم وهو خلاف ما عليه المحققون وقد ردوه كما في جواهر العقدين ، وحسبك في رده حديث الحاكم في مستدركه (ولفظه) فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم اهل البيت ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، تمام الحديث .

قال في جواهر العقدين : اخرجه الحاكم في مستدركه وأشار إلى ان ما استدركه مع كونه في الصحيحين من هذا الوجه لافادة ان اهل البيت هم الآل إلى آخر كلام صاحب جواهر العقدين ، والله تعالى اعلم وعلى اصحابه السادة الكرام البررة سيوف الله المسلولة على اعدائه الكفرة ، السالكين نهج الخلافة الراشدة والدين القويم ، والباذلين مهجهم واموالهم في حبه عليه افضل الصلاة وازكى التسليم :

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ... ماذا رأى منهم في كل مصطدم
وسل حنيناً وسل بدراً وسل أحداً ... فصول حتف لهم ادهى من الوخم

وعلى سائر التابعين والاتباع والتبع ، صلاة تأمن بها من هول يوم الفزع ، ماعطرت الرياض نوافح الازهار وغردت على الافنان الاطيار ، وغنت بصوتها المغني عن الناي والاوتار وساح السائح في الاقطار ، وشاهد عجائب ملكوت الواحد القهار .

﴿ فائدة ﴾

الصحابى : من صحب النبي ﷺ ، والتابعي : من رأى الصحابى ولم ير النبي ﷺ ، والتباع : من رأى التابعي ولم ير الصحابى ، والتبع : من رأى الاتباع ولم ير التابعي ، بيان ذلك عبد الله بن عمر صحابى ، ونافع روى الحديث عنه وهو

من التابعين ، ومالك بن انس روى الحديث عن نافع وهو من الاتباع ، والشافعي روى الحديث عن مالك فهو من التبع .

وبعد : فيقول المستمسك بحبل اصحاب الصراط السوي العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي غفر الله له ولوالديه ، واحسن اليهما واليه وجعل سحائب بره هاطلة عليه ، لايخفى على كل ذي نفس ابية وهمة علوية ان الاقامة بدار الذل والهوان بين الاعداء والحساد ابناء هذا الزمان هو الداء العضال ، بل الموت الاحمر ، وان التنقل منها إلى غيرها وارتكاب شدائد الاسفار أجمل له واستر :

سأعمل نص العيس حتى يكفني عن المال يوماً او عن الحدثان

فللموت خير من حياة يرى لها على المرء بالاقلال وسم هوان

كيف وقد قيل من الـكلم النوابغ والحـكم ، إذا لم تكن ذا عرنين اشم لريح الذل اشم :

ولم اغترب إلا لاكتسب الغنى فأسقي منه كل ذي ظمأ سجلا

ويعلو الغمام الارض من اجل انه يسوق اليها وهي لن تبرح الوبلا

إذا ماقضت نفسي من العز حاجة فلست ابالي الدهر أملي لها ام لا

وقال بعض بلغاء الزمان ، صعود الآكام وهبوط الغيطان خير من القعود بين الحيطان :

لا يمنعنك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى اهل وأوطان

تلق بـكل بلاد ان حللت بها ارضاً بأرض وجيراناً بجيران

وقيل من كلام الحـكمة التي لا تستغني عنها الامـة ، ان الله لم يجمع منافع الدنيا في ارض ، بل فرقها واحوج بعضهم إلى بعض ، فمن ساح في الاقطار ، وتنقل بين القرى والامصار كان حريا ان يرى العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب:

ان مقام المرء في بيته مثل مقام الميت في لحده

فاستغنم الرحلة نحو الغنى فالسيف لايقطع في غمده

والنار لا يحرق مشبوبها   إلا إذا ما طار عن زنده

وقال النبي الشفيع في العصاة: العباد عباد الله ، والبلاد بلاد الله ، فاينما وجدت الخير فأقم واتق الله .

وطول مقام المرء في الحي مخلق   لديباجتيـــه فاغترب تتجدد
فانى رأيت الشمس زيدت محبة   إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد

وقال من قوله الصدق ، الاصح سافروا تصحوا :

سافر إذا حاولت قدرا   سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ان جرى   طيباً ويخبث ما استقرا
وبنقلة الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا

وفي التوراة مكتوب ، من كلام علام الغيوب ، الذي افنى وابقى ، واسعد واشقى ، ابن آدم احدث سفراً أحدث لك رزقا :

أما تريني على بغي العلاء لاعباء العناء حولا دائم النصب
فما استوى شرف إلا على كلف   ولا صفا ذهب إلا على لهب

والاسفار مما تدعو إلى شكر نعمـة الكريم الغفار ، وتزيد علما بقدرة الواحد القهار وحكمة الحـكيم الستار :

قالوا نراك كثير السير مجتهداً   في الارض تنزلها طوراً وترتحل
فقلت لو لم يكن في السير فائدة   ما كانت الشمس في الابراج تنتقل

وكنت كثيراً اقضى ليالي وأيامى بالآمال ، لان فيها راحة للنفوس ، واتمنى الاسفار في الاقطار والانتقال ، لما قاسيت في وطني من المشقة والبؤس :

ان كنت تبغي وطناً   من العلا فاغترب
فالسمر في غاياتها   ممدودة في القصب
والشمس لا ترقب في المشرق لو لم تغرب

فما برحت اقطع اوقاتي بصارم الامل ، واعلل نفسى بحتى ولعل ، قال من به

ارجو غفران زلتي الامل راحة لامتي :

أماني من ليلي حساناً كأنما	سقتني بها ليلى على ظمأ بردا
مني ان تكن حقاً تكن المنى	وإلا فقدعشنا بها زمناً رغدا

وقال سيد الخلائق بلا امترا ، لو لا الأمل ما أرضعت والدة ولدا ولا غرس غارس شجرا :

لو لا ثلاث هن أقصى المنى	لم اهب الموت الذي يردي
تكميل ذاتي والعلوم التي	تنفعني ان صرت في لحدي
والسعي في رد الحقوق التي	لصاحب نلت بها قصدي
فبعدها اليوم الذي حم لي	عندي استوى في القرب والبعد

ثم من بعد ليتما وليت ، بلغني الله ما تمنيت ، فسافرت من بيت الله ، وسحت اثنتى عشرة سنة في ارض الله :

أقول لجارتي والدمع جاري	ولي عزم الرحيل من الديار
ذريني ان اسير ولا تنوحي	فان الشهب اشرفها السواري

وكان يعز علي سفري من بيت الله الحرام ومفارقتي لتلك المآثر المظام :

بلاد بها نيطت علي تمائمي	وأول ارض مس جلدي ترابها

لكن لي اسوة برسول الله ﷺ فانه خرج منها وهي احب البقاع اليه حين آذاه اهل الشرك والطغيان ، فهاجر منها إلى طيبة وأقام بها ، إلى ان كان من امره ما كان :

وان صريح الحزم والجد لامرىء	إذا بلغته الشمس ان يتحولا

فاني لحقت فيها وقتاً قليل الانصاف ، ينصب السفلة ويخفض الاشراف ، ويرفع فيه الجاهل ، وينحط العالم ، ويتدنى فيه سهيل وتستعلي النعائم :

هذا الزمان على ما فيه من كدر	حكى انقلاب لياليه بأهليه
غدير ماء تراءى في اسافله	خيال قوم تمشوا في نواحيه

فالرجل تنظر مرفوعا اسافلها والرأس ينظر منكوساً اعاليه

وبليت فيه بأقارب ، هم في الحقيقة كالعقارب ، وأصحاب وأخوان ، اشد أذية من الثعبان :

واخوان اتخذتهم دروعا فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب لقدصدقوا ولكن عن ودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي لقد صدقوا ولكن في فسادي

فهؤلاء الذين ظلموني ببعدي عن بلد الله الامين المأمون . وي كأنه لا يفلح الظالمون .

(فائدة)

وي : منفصلة عن كأن عند البصريين.
قال سيبويه : وي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم يستعملها النادم لاظهار ندامته
قال الثعلبي : اختلفوا في هذه اللفظة ، فقال الكسائي : معناها ألم تر أن الله يبسط الرزق ، وي كأنه يعني انه لا يفلح .
وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : وي كأن أي او لا يعلم ان الله يبسط الرزق ، وهذا شاهد لقول الكسائي ، وذكر الخليل انها مفصولة وي ، ثم يبتديء فيقول كأن .
وقال ابن عباس في رواية صالح : كأن الله يبسط الرزق كأنه لا يفلح الكافرون . وقال : وي صلة في الكلام وهذا شاهد لقول الخليل .
وقال الزجاجي : الذي قاله الخليل اجود وهو أن قوله وي مفصولة عن كأن لأن من ندم على شيء يقول وي ، ولما رأيتهم لايتغيرون ولا يحولون عن هذا الحال ، كرهت الاقامة بينهم واخترت الترحال :

فكل امرىء يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

وكنت في مدة هذه الاسفار اسطر كل ما شاهدته من العجائب في تلك البلدان والاقطار وأثبت اسم كل من اجتمعت به من العلماء الاحبار ، والصلحاء الابرار والرؤساء ذوي الافتخار والامراء والوزراء والادباء والشعراء ، وادون كل ما سمعته منهم ، من شعر لطيف ، وخبر ظريف ، ومسائل علمية ، ونكت ادبية فلما رأيت قد اجتمع عندي من ذلك شيئاً كثيرا استخرت الله سبحانه واهتديت به في كل الامور ، وكفى بربك هادياً ونصيرا ، وجعلت هذه الرحلة موافقة لحالي لائقة لمثلي وامثالي ، وسهرت على تأليفها الليالي ، وان كان جرابي من زاد الآداب خالي ، واثبت فيها هذا الذي نقلته ، وجمعته وحررته ، رجاء ان تكون تذكرة من بعدي للاصحاب ، ذوي البلاغة والآداب ، وتبصرة لمن تهزه نفسه لركوب غارب بعير الاغتراب ، وان يستفيد بمطالعتها الاصدقاء والاحباب ، فقد قيل :

أعز مكان في الدنا ظهر سابح وخير جليس في الزمان كتاب

ولم اسلك فيها طريق السلف اهل الرحل ، الذين بأحاديث فضلهم ، وكمالهم وادبهم يضرب المثل ، بل اخترقت لها جادة غير تلك الجادة ، ومادة ليست كتلك المادة، معترفاً بعجزي عن ادراك شأو اولئك الذين لهم في كل علم مصنف، وفي كل فن مؤلف ، وايضاً من أقر بعجزه ، فقد انصف ، وعملا بقول القائل : خالف تعرف ، فجاءت على كل حال ، بعون المعين المتعال ، رحلة لطيفة ، انيسة ظريفة ، بليغة مفيدة ، وحيدة فريدة ، جميل معناها والبيان ، بثنية الحسن بلا دهان ، قد راقت الفاظها ورقت ، وحسنت معانيها البليغة ودقت ، فأتت بعون الخبير اللطيف على وضع بديع لطيف ، محتوية على تواريخ وتراجم ، يهش لمعانيها الرائقة كشاجم وفوائد ادبية ، يشتاق لها ابن القرية ، واجوبة وايرادات ، والغاز ومعميات ، ورسائل انيسة ، وانشاءات نفيسة ، ومواعظ وتفاسير ، وتحارير وتقارير ، وعلوم غريبة ، وشواهد عجيبة ، وأحاديث واخبار ، ونثر واشعار ، ونكت ولطائف ، وحكايات وظرائف ، ومسائل ومباحث ، يعجز في حلبتها كل مناضل ومنافث ،

فاذ أتت بعون القريب المجيب ، على هذا الاسلوب الظريف العجيب ، الذي يشتاق اليه الاديب ، شوق المحب إلى الحبيب ، وبرزت في حلية الكمال ، واسفرت عن وجه الجمال ، وتنزهت عن الزور والمحال وفاح عرف ازهارها ، واشتاقت الاعين إلى مشاهدة حسنها وانوارها .

سميتها : (نزهة الجليس) ومنية الاديب الانيس ، واسأل الرب العلام ، ان يبلغني المرام ، ويوفقني للاتمام ويحسن مبدئي والختام (وخدمت) بها حضرة المخدوم الاعظم ، الرئيس المعظم ، رفيع الرتبة والقدر ، الذى اغناني في غربتي عن بذل ماء وجهي لزيد وعمرو ، وخالد وبكر ، الفقيه النبيه الذي لسان حالي ينشد فيه :

ولو ان لي في كل منبت شعرة لساناً يبث الشكر كنت مقصرا

احمدي الخلق ، حيدري الشجاعة ، كسروي العدل ، مأموني الفضل ، معتصمي الهمة ، عصامي النفس ، حاتمي الكف ، احنفي الحلم ، قيسي الرأي ، اياسي الذكاء ، اصمعي الرواية والدراية ، العاقد لمكارم المحامد ، ومحامد المكارم اشرف راية معدن الصلة ، والعائدة والافادة :

الذي طالما شقيت ولكن ادركتني على يديه السعادة

صاحب القلم والسيف ، حامي الجار ، ومقري الضيف ، درة تاج وزراء اليمن ، وغرة جبهة وجه الزمن ، الحاكم العادل ، الثقة المؤتمن ، كامل السؤدد والفخار ، سامي الرتبة والمقدار ، صاحب الكرم الهاطل ، والجود المدرار ، الخير نسل الاخيار ، عزيزنا ومولانا ، وعمدتنا ومقتدانا ، الفقيه احمد بن المرحوم يحيي خزندار ، عصمه الله تعالى من شر كل غاشم وطارق آناء الليل واطراف النهار بحرمة البيت ذي الاستار ، والحجر والحجر والمستجار ، والشفيع الحبيب محمد المختار ، وآله واصحابه الاكرمين الاطهار ولا زال محروساً في الأهل والمال والولد من شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد ، بحرمة قل هو الله احد :

ما قلت في وصفه شيأ لامدحه إلا وجدت ثناه فوق ما اصف

غيره :

فسأثني بكل خير عليه ان ترحلت او اردت مقاما

كيف لا وهو الذي غمرني بنواله ، وجبرني بافضاله ، وكملني بكماله ، حتى خلت انني من آله ، فالله تعالى يجزيه عني افضل جزائه ، ويزيده من اوفر نعمائه ومن الله المسؤل والمأمول ان يلاحظ تأليفي هذا بعين القبول ، فان لسان حالي ينشد ويقول :

إذا صح منك الود يا غاية المنى فكل الذى فوق التراب تراب

* * *

غيره :

اوصافنا لم تزده معرفة وانما لذة ذكرناها

وحسبي الله وكفى ، وصلى الله على نبيه المصطفى ، وآله وصحبه الشرفا اهل الفضل والجود والوفا .

ثم انه دعاني للسفر والاغتراب داع آخر ، به قويت بالجد عزمتي ولم تمل لقول من ساخر ، وذلك انني كنت في عنفوان الشباب ، وعصر المرح والتصاب كنت مغرما بفن القريض رائعاً في روضة الاريض ، مولعاً بانشائه وانشاده ، متردداً بين اغواره وانجاده ، مستنشقاً نسائمه العاطرة ، مجتلياً بدوره الزاهرة ، لكنني لم اظفر بمن يثقف قناتي ، ويجلو صدأ مرآتي ، فاذا كان يخفى تارة وتارة يستبين ، وينزو مرة والأخرى يلين ، حتى ظفرت بجهينة الاخبار ، ونادرة الفلك الدوار ، من هو من غير الفضائل والمكارم بري ، مولانا ابي الفتح السيد نصر الله ابن السيد حسين الحسيني الحائري ، فانشدني لسان الحال ، على سبيل الاستعجال :

ظفرت بالكنز فاحمل من نفائسه وقد وقفت ببحر الفضل فاغترف

فسقاني بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، وناولني راية الادب ،

فتناولها عرابة فكري باليمين :

ومن كان الهزار له دليلا يمر به على ورد نضيد

فاشتغلت بالطلب لديه ، اسبل الله ستره الضافي عليه ، ففتح الفتاح ومنح ، وجاد لي الوقت ببغيتي وسمح ، ونلت الادب بعون رب الملا ، وان كان قد انقضى زمانه ، فلا ولا ، وكان اجتماعي به بمكة المشرفة ، اعز الله قدره السامي وشرفه ، عام الف ومائة وثلاثين ، من تاريخ هجرة خاتم النبيين .

﴿ فائدة ﴾

التاريخ سنة ماضية ، وطريقة راضية ، امر بها رسول الله ﷺ حين كتب إلى نصارى نجران ، فأمر علياً رضي الله عنه ان يكتب فيه كتب لخمس من الهجرة

وقال ابن شهاب : التأريخ من يوم قدم النبي (ص) مهاجراً ، وقيل اول من كتب التاريخ في الاسلام عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته كتب اليه ابو موسى الاشعري انه يأتينا من قبلك كتب ليس لها تاريخ فاستشارهم في التأريخ فاجمعوا على الهجرة بعد ان اختلفوا في جعل مبدئه هل هو مولد النبي او مبعثه اوهجرته ثم قالوا بأي شيء نبدأ فنصيره اول السنة؟ فقال بعضهم رجب وقال بعضهم: رمضان وبعضهم قال : الحجة ، وبعضهم قال الشهر الذي خرج فيه من مكة ، وبعضهم قال : الشهر الذي قدم فيه المدينة ، وقال عثمان ارخوا من محرم فانه اول السنة وهو شهر حرام ، واول الشهور في العدة وتنصرف فيه الناس عن الحج فاجتمعوا على ذلك .

وقال ابن عساكر وغيره: انه لم يزل الناس كانوا يؤرخون في الدهر الاول من هبوط آدم عليه السلام فلم يزل كذلك حتى بعث الله نوحا عليه السلام فارخوا من الطوفان ، ثم لم يزل كذلك حتى حرق ابراهيم عليه السلام فارخوا من تحريقه ، ثم اختلفوا فارخ بنو اسحاق من نار ابراهيم إلى مبعث يوسف عليه السلام ، ومن مبعث يوسف إلى ملك سليمان عليه السلام ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى عليه السلام ، ومن مبعث عيسى

إلى مبعث سيدنا رسول الله ﷺ ، وأرخ بنو اسماعيل من بنيان الكعبة إلى موت كعب بن لؤي ، ومن موت كعب بن لؤي إلى عام الفيل ، فارخوا منه .

وكانت النصارى تؤرخ بعهد اسكندر ذي القرنين ، وكان الفرس يؤرخون بعهد ملوكهم .

﴿ فائدة ﴾

روى عبد الله بن قتيبة في كتاب المعارف : ان آدم عليه السلام عاش الف سنة ، وكان بين موته والطوفان الفا سنة ومائتا سنة واثنان واربعون سنة ، وبين الطوفان وموت نوح عليه السلام ثلاثمائة سنة وخمسون سنة وبين نوح وابراهيم الفا سنة ، وبين ابراهيم وموسى تسعمائة سنة ، وبين موسى وداود خمسمائة سنة ، وبين داود وعيسى الف سنة ومائتا سنة ، وبين عيسى ونبينا محمد ﷺ ستمائة سنة وعشرون سنة فكان من عهد آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ سبعة آلاف سنة وثمانمائة سنة .

﴿ فائدة ﴾

وفاة الجوهري سنة ٣٩٢ ، ابن سينا سنة ٤٢٨ ، ابو العلا المعري سنة ٤٤٩ ابو نصر الفارابي سنة ٣٣٩ ، امام الحرمين سنة ٣٨٥ ، الوزير ابن العميد سنة٣٦٥ جار الله الزمخشري سنة ٥٤٨ ، الصاحب بن عباد سنة ٣٨٥ ، ومحمد الشهرستانى سنة ٥٤٨ ، السيد المرتضى سنة ٤٣٦ ، اخوه السيد الرضى سنة ٣٣٩ ، ابو حامد الغزالي سنة ٥٠٥ ، محي الدين بن العربي سنة ٤٣٨ ، البيضاوي سنة ٦٦٣ ، العلامة الشيرازي سنة ٦١٠ ، اخوه ابو الفتح سنة ٥٤٠ ، الشيخ عبد الرزاق الكاشى سنة ٧٣٥ ، العلامة الحلي سنة ٧٤٦ ، ابن الجوزي سنة ٥٩٧ ، ابو البقاء سنة ٦١٦ ، النووي سنة ٦٧٦ ، الشيخ المقتول سنة ٥٨٧ ، الامام الرازي سنة ٦٠٦ ، ابن الحاجب سنة ٦٤٦ ، ابن البيطار سنة ٦٤٤ ، المحقق الطوسي سنة ٤٧٢ ،

الجار بر دي سنة ٦٤٦ ، المحقق التفتازاني سنة ٦٩٢ ، قاسم البحراني سنة ٤٧٩ ، الشاطبي سنة ٥٦٠ ، جلال الدين القزويني سنة ٧٣٩ ، البديع الهمداني سنة ٣٩٦ ، الآمدي سنة ٦٣١ ، الجمدي سنة ٩٨٧ .

ثم انه دخل علينا شهر الحج واقبل الناس إلى مكة المشرفة يهرعون من كل فج ، فاشتغلنا بعضنا عن بعض ، إلى ان ادينا مناسك الفرض ، وكان استاذي إمام الفضل على الاطلاق ، قد تأهب للسفر مع حج العراق ، وقصد التوجه إلى بلده ، وتجديد العهد بأهله وولده ، صحبة والده الجناب الكريم السيد حسين ، لا زال به قرير العين :

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما ... يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

وكان قاطناً بأرض كربلا ، حماه الله من كل ضيم وبلا :

من كان بكربلا نزيل الاعتاب ... لا يدركه الضيم ولو صار تراب
لا بد وان يجعل منه سبح ... للذكر تقلبها اكف الانجاب

فأشار علي بالسفر ، وانشدني ابياتاً لاح لي منها الظفر :

تغرب عن الاوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد
وان قيل في الاسفار ذل وغربة ... وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من حياته ... بدار هوان بين واش وحاسد

فسمعت منه ما قال ، واكثريت لي جملا من الجمال :

ان الذي وجهت وجهي له ... هو الذي خلفت في اهلي
فانه اشفق مني بهم ... وفضله اوسع من فضلي

فلما كان عصرنا من عشر من ذي الحجة الحرام ، عام الف ومائة وأحد وثلاثين من هجرة خير الانام ، خرجنا إلى الابطح واقمنا به اربعة ايام ننتظر وصول من بقي في مكة من اهل العراق والاعجام .

﴿ فائدة ـ ذكر مكة ، حدودها وعيونها ﴾

سمي الابطح أبطحاً لان آدم عليه السلام امر ان ينبطح في بطحاء جمع ، فانبطح حتى فجر الصبح ، ومكة المشرفة هي البلد الامين شرفها الله ، وهي مدينة في واد والجبال مشرفة عليها من جوانبها وبناؤها بالحجارة السود ، وهي حارة في الصيف جداً، وليلها أطيب من نهارها ، وكان أول من سكنها في مبدأ الزمان شيث بن آدم عليهما السلام ، وكانت مدينة جرداء ليس فيها بئر ولا نهر ولا عين ، وانما ماؤها من الامطار وليس بها شجرة مثمرة ، وانما الاشجار والآبار حولها وليس بها مزارع ، وبها الحرم المكي ومساحته بريد في بريد والبريد منتهى البصر .

وأما حدوده : فمن جهة المدينة المنورة ثلاثة اميال ، ومن جهة العراق سبعة اميال ، ومن اليمن مثلها ، ومن جهة جدة عشرة ، ومن الجعرانة تسعة ، ومن جهة الطائف سبعة كالعراق واليمن ، ونظمها بعض علماء التاريخ فقال :

وللحرم التحديد من ارض طيبة ثلاثة اميال إذا رمت اتقانه
وسبعة اميال عراق وطائف وجدة عشر ثم تسع جعرانه
ومن يمن سبع بتقديم سينه وقد كملت فاشكر لربك احسانه

وعلى هذا التحديد اجماع مؤرخي مكة المشرفة ، وعلى الحدود المذكورة من جميع الجهات ابنية قديمة في غاية الشهرة ، ذكر ذلك في منسكه ابن عمي السيد رضي الدين الآتي ذكر ترجمته ان شاء مالك يوم الدين ، وفي الحرم بيت الله الشريف واول من عمره بالحجارة ابراهيم الخليل عليه السلام وكان يستعين على بنائه بولده اسماعيل عليه السلام وكان حول الحرم غوطة مشتبكة باشجار ذات شوك فقطعها عبد مناف ابن قصي احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم وهو اول من بنى داراً بمكة ولم تبن بمكة دار قبلها بل كان بها مضارب للعرب من الشعر الاسود. واما الحرم فاول من بنى عليه الحائط عمر بن الخطاب ، ثم زاد فيه عبد الله بن الزبير ، ثم ان عبد الملك بن مروان زاد

في ابوابه وارتفاع حيطانه ، فلما ولي ابو جعفر المنصور العباسي زاد في الحرم وجعل طوله ثلاثمائة وسبعين ذارعا بذراع العمل وعرضه ثلاثمائة وخمسة عشر ذراعا وأما اعمدة الحرم فكانت اربعمائة وثلاثين عموداً ، وصار كل من ولي من الخلفاء والسلاطين يزيد في اتساع الحرم ، حتى صار على ما هو عليه الآن ، وابو جعفر المنصور هو الذي عقد القبـــة على بئر زمزم وفرش ارضها بالرخام وجعل بها الشبابيك النحاس .

قال اسماعيل السدي : ان الله تعالى أظهر بئر زمزم على يد عبد المطلب جد رسول الله ﷺ بعد ما كانت قد طمست وتناسى امرها ، وأما الكعبة زادها الله تعالى شرفا فهي بيت الله الحرام ، وقد ورد في الاخبار ان اول ما خلق الله الارض من زبد الماء ، كان مكان الكعبة حشفة بيضاء ، فهي سرة الارض ، ثم امتدت تلك الحشفة حتى صارت ارضاً متسعة ، ولهذا يقال لمكة ام القرى ، ثم بنى ابراهيم الخليل عليه السلام مكان تلك الحشفة في وسط الحرم بيتاً مربع الشكل وله باب مرتفع عن الارض قدر قامة ، ثم هدم هذا البيت في زمن رسول الله (ص) وذلك قبل النبوة بعدة ، وبنته قريش ، فاستمر على ذلك حتى هدمه عبد الله بن الزبير وعمره وأدخل الحجر في البيت ، ثم لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير هدم ما كان بناه ، وجدد بناء الكعبة الشريفة على ما هي عليه الآن وذلك بعد وفاة رسول الله (ص) باثنين وسبعين سنة في خلافة عبد الملك بن مروان فاستمر على ذلك إلى الآن وجعل طول البيت اربعة وعشرين ذراعا وعرضه من كل جهة خمسة وعشرين ذراعا واخرج الحجر عن البيت وزخرف حيطان الحجر مع ارضه بالرخام الملون وجعل على حائط الكعبة من جهة الشام ميزابا قد البس بالذهب فيصب منه ماء الامطار في الحجر ، وجعل على البيت بابا على قدر قامة من البيت ، وهو مصفح بصفايح من الفضة المطلية بالذهب وكسا البيت الشريف بالديباج وهو اول من كساه به ، وجعل حول البيت شاذر وانا مجصصاً بالرخام ارتفاعه عن الارض ذراع وعرض مثله وهو

وقاية للبيت من السيل ، وباب البيت في وجه الشرق وطوله ستة اذرع وعشرة اصابع ، وعرضه ثلاثة اذرع وثمانية عشر اصبعاً

وأما الحجر الاسود فقد اظهره الله تعالى على يد قصي احد اجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما نسي امره ، وكانت قبيلة اياد دفنته في جبال مكة فرأتهم امرأة حين دفنوه فلم يزل قصي يتلطف بتلك المرأة حتي دلته على مكانه فاخرجه من الجبل واستمر عند جماعة من قريش يتوارثونه حتى بنت قريش الكعبة فوضعوه بركن البيت بازاء باب الكعبة في آخر الركن الشرق وارتفاعه عن الارض ذراعان بالعمل ونصف ذراع وثلاثة اصابع ، وانما يقبل الحجر ويستلم ليؤدي إلى الله عزوجل العهد الذي اخذه على بني آدم والميثاق ، وانما وضع الله عز وجل الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يضعه في غيره لانه تبارك وتعالى حين اخذ الميثاق اخذه في ذلك المكان وجرت السنة بالتكبير واستقبال الركن الذي فيه الحجر لان آدم عليه السلام لما نظر من الصفا وقد وضع الحجر في الركن كبر الله عز وجل ، وهلله ومجده وانما جعل الميثاق في الحجر ، لان الله عز وجل لما اخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة اصطكت فرائص الملائكة ، فاول من اسرع إلى الاقرار بذلك الحجر ، فلذلك اختاره الله عز وجل وألهمه الميثاق ، وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق ، وعين ناظرة يشهد لكل من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق ، وانما اخرج الحجر من الجنة ليذكر آدم ما نسي من العهد والميثاق ، وقد كان الحجر اشد بياضاً من اللبن فاسود من خطايا بنى آدم ، ولو لا ما مسه من ارجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا بريء .

وسمي الحطيم حطيما لان الناس يحطم بعضهم بعضاً هنالك ، وصار الناس يستلمون الحجر والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين لان الحجر الاسود والركن اليماني عن يمين العرش ، وانما امر الله عز وجل ان يستلم ما عن يمين عرشه وأما مقام ابراهيم عليه السلام فهو حجر اسود اللون كان ابراهيم عليه السلام يقف عليه حين

بنى البيت ، وكان فيه أثر قدم ابراهيم عليه السلام ، ولـكن محي ذلك من تقادم السنين والايام ، وانما صار مقام ابراهيم عليه السلام عن يسار البيت ، لان لابراهيم عليه السلام مقاماً في القيامة ، ولمحمد صلى الله عليه وآله مقام ، فمقام محمـــد صلى الله عليه وآله عن يمين عرش ربنا عز وجل ومقام ابراهيم عن شمال عرشه ، فمقام ابراهيم في مقامه يوم القيامة ، وعرش ربنا عز وجل مقبل غير مدبر .

وسميت الـكعبة بكة لانها تبك اعناق الجبابرة ، اي تدقها او لازدحام الناس بها او لان الناس يبك بعضهم بعضاً فيها بالايدي ، او لبكاء الناس حولها وفيها ، والقرية مكة ، وبها الصفا والمروة ، وهما من شعائر الله تعالى ، وانما سمي الصفا صفا لان المصطفى آدم عليه السلام هبط عليه فقطع للجبل اسم من اسم آدم ، لقوله عز وجل : (ان الله اصطفى آدم ونوحا) وهبطت حواء على المروة فسميت مروة ، لان المرأة هبطت عليه فقطع لها اسم من اسم المرأة ، وانما صار المسعى احب البقاع إلى الله عز وجل لانه يذل فيه كل جبار .

وبمكة جبل ابي قبيس سمي برجل من مذحج حداد لانه اول من بنى فيه ، وكان يسمى الامين لان الركن كان مستودعا فيه ، وزعموا انه من أكل عليه الرأس المشوي أمن من صداع الرأس .

ويروى ان اول جبل نصب على وجه الارض جبل ابي قبيس ، وهو مطل على مكة وبها بئر زمزم التي انبعها الله تعالى لاسماعيل عليه السلام ، وهي تجاه باب الكعبة وذرعها من اعلاها إلى اسفلها اربعون ذراعاً ، وفي قعرها ثلاث عيون تنبع وذرع دورها احد عشر ذراعاً ، وسعة فمها ثلاثة اذرع وثلثا ذراع ، وعليها اثنتا عشرة بكرة تسحب منها الماء ، وماؤها مبارك جـداً ، وانما لم يعذب ماء زمزم لانها تكبرت وتفاخرت على المياه ، وانما صار ماء زمزم يعذب في وقت دون وقت لانه يجري اليها عين من تحت الحجر ، فاذا غلب ماء العين عذب ماء زمزم .

وبها قبر اسماعيل عليـــه السلام وامه هاجر ، وهما في الحجر تحت الميزاب

وفي الطواف بالبيت يقول القائل :

خزياً لابليس فقد نلنا الخلاص من يديه
فان في طوافنا دائرة السوء عليه

وبها المقام الشريف مولد النبي ﷺ وهو بسوق الليل ، ومقام لعلي بن ابي طالب ، وهو بشعب علي ، ومولد فاطمة الزهراء ام الحسنين ، وهو بيت خديجة الكبرى بنت خويلد بزقاق الحجر ، ومقام ابي بكر الصديق بزقاق الحجر أيضاً ، وبها جبل ثور ، وبه الغار الذي اختفى فيه النبي ﷺ وصاحبه حين اخرجه كفار قريش من مكة ، وبها جبل حرا ، وبه الغار الذي كان يتعبد فيه النبي (ص) ، ومن مشاعرها منى ، وسميت بذلك لان جبرئيل « ع » اتى ابراهيم « ع » فقال له : تمن يا ابراهيم .

وروي انها سميت منى لان ابراهيم « ع » تمنى هناك ان يجعل الله مكان ابنه كبشاً يأمره بذبحه فدية له ؛ وبها مسجد الخيف المأثور .

روى انه صلى في مسجد الخيف بمنى سبعمائة نبي ، وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده عند المنارة التي فى وسط المسجد ، وفوقها إلى القبلة نحو ثلاثين ذراعا عن يمينها ، وعن يسارها ، وخلفها نحو ذلك ، وسمي الخيف خيفا لانه مرتفع عن الوادي وكل ما ارتفع عن الوادي سمي خيفا ، وبها المشعر ، ويسمى مزدلفة ، سمي بذلك لان جبرئيل « ع » قال لابراهيم « ع » بعرفات : يا ابراهيم ازدلف إلى المشعر الحرام أي اقترب ، وبها عرفة وبينها وبين مكة اربعة فراسخ وبها جبل صغير وعلى رأسه قبة يقال ان آدم وحواء تعارفا به ، فسمي بذلك ، وقيل ان جبرئيل « ع » قال لابراهيم « ع » هناك اعترف بذنبك ، واعرف مناسكك فلذلك سميت عرفة ، ولا يتم للحاج الوقوف إلا بها وبها تنزل الرحمة على الحجاج وأما مكة المشرفة الآن فقد صار بها القصور والبدور والبساتين والرياحين والزهور مثل بستان الوزير المعان الجلبي عثمان حميدان ، وبستان الوزير عين الاعيان الجلبي

ابراهيم حميدان ، وبستان الشريف صاحب الطالع والسعد، ملك مكة المشرفة سعيد ابن سعد ، وبستان الشريف ابي نمى ، وبستان موسى اغا ، وزاوية الشيخ محمد بن احمد عقيله ، وبستان مصطفى الناظر ، وبستان الارض رومي ، والدرويشية والبخارية ، وقد عمرتها والدة المرحوم الشريف عبد الله بن سعيد والخشخان ، والدفتردار ، والزمانية ، والبشناقية ، والسردارية ، والحافظية ، وسبيل فرهاد ، والمنشية انشأها عين الرؤساء الشيخ سالم بن المرحوم المقدس الشيخ عبد الله البصري امام الحديث ، وزاد فيها حاكم بندر جده بكر باشا لانه ابتاعها منه وصارت اليه ، وهذه الاماكن كلها متنزهات لطيفة في نهاية الشراحة وبها بركه ماجن وبها حمامان لطيفان مبنيان بأحجار الرخام الملونة ، وبالزجاج الملون ، احدهما ، وهو الاكبر بباب العمرة ، والآخر بسوق الليل ، وبها عين حنين المشهورة ، وماؤها عذب لطيف وهي من عمل ام جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هارون الرشيد واسمها امة العزيز وكان جدها المنصور يرقصها وهي طفلة ، وكان يقول لها زبيدة فاشتهرت به ، وكانت من اهل الخيرات ، ولها مآثر كثيرة عظيمة ، منها اجراء عين حنين هذه إلى مكة المشرفة ، وانفقت عليها خزائن اموال حتى اوصلتها إلى مكة المشرفة وهي بواد قليل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات ، وصفها الله تعالى انها بواد غير ذي زرع وقد تقدم ذكر ذلك ، فنقبت ام جعفر زبيدة الجبال إلى ان سلك الماء من ارض الحل إلى ارض الحرم ، وانفقت على عملها الف الف مثقال من الذهب الاحمر ، فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها واخرجوا دفاترهم لاخراج الحساب فيما صرفوه لكي يخرجوا من عهدة ما تسلموه من خزائن الاموال ، وكانت في قصر عال مشرف على دجلة ، فاخذت الدفاتر منهم ورمتها في بحر الفرات ، وقالت : تركنا الحساب ليوم الحساب ، فمن فضل عنده شيء من بقية المال فهو له ، ومن بقي له شيء عندنا اعطيناه ، ثم البستهم الخلع رحمها الله تعالى واسكنها الفردوس في اعلي عليين ، وكانت هذه العين ترد إلى مكة وينتفع بها الناس

ومنبع هذه العين في جبل شامخ شاهق يقال له (طاد) بالطاء المهملة والالف بعدها دال مهملة ، من جبال الثنية من طريق الطائف ، وكان يجري الماء إلى ارض يقال لها حنين يسقى بها مزارع مملوكة للناس واليها ينتهي جريان هذا الماء ، وكان يسمى حائط حنين ، يعني بستان حنين وهو موضع غزا فيه النبي (ص) المشركين ، ويقال لتلك الغزوة غزوة حنين ، مذكورة في سير النبي (ص) فاشترت زبيدة هذا الحائط ، وابطلت تلك المزارع والنخيل ، وشقت له القناة في الارض ، وجعلت له الشحاحيذ في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الامطار ، وجعلت فيها قناة متصلة إلى مجرى هذه العين ، في محاذاتها يحصل منه المدد لهذه العين فصار كل شحاذ عيناً يساعد عين حنين ، ومنها عين مشاش ، وعين ميمون ، وعين الزعفران ، وعين البرود ، وعين الطارقي ، وعين ثقبة ، وعين الجريبات ، وكل هذه العيون تنصب في ذيل عين حنين ويبطل بعضها ، وبعضها يزيد والبعض ينقص بحسب الامطار الواقعة على ام تلك العيون او على ام احدها إلى ان وصلت على هذه الصورة إلى مكة المشرفة ، ثم انها امرت باجراء عين وادي نعمان إلى عرفة .

قال القطبي : وعين نعمان منبعها ذيل جبل كرا ، وهو جبل شامخ عال جداً اعلاه ارض الطائف مسيرة نصف نهار من اسفله إلى اعلاه من صعد فيه او نزل منه مرة لا يعود اليه لوعورة مرقاه وصعوبته ، وينصب من ذيل جبل كرا في قناة إلى موضع يقال له الاوجر من وادي نعمان ، ثم يجري منه إلى موضع بين جبلين شاهقين ، في علو ارض عرفات فيها مزارع ، والشعراء العرب تشوقات وتغزلات في وادي نعمان ، وفيه يقول القائل :

أيا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يهدي إلي نسيمها

فعملت القنوات ، إلى ان جرى ماء عين نعمان إلى عرفات ، ثم اديرت القناة بجبل الرحمة ، محل الوقوف الشريف الاعظم في الحج وجعل منها الطرف إلى البرك التي في ارض عرفات ، فتمتلىء ماء يشرب الحاج في يوم عرفة ، ثم استمر عمل القناة

إلى ان خرجت إلى ارض عرفات إلى خلف جبل من وراء المأزمين على يسار العائد من عرفات . ويقال له طريق ضب ـ بالضاد المعجمة المفتوحة بعدها باء موحـــدة مشددة ـ وتسمى الآن عند اهل مـكة المظلمة ـ بضم الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة ثم ميم مفتوحة ثم هاء التأنيث ـ ثم تصل منها إلى مزدلفة ، ثم تستمر إلى جبل خلف منى ، ثم في قبليها تنصب إلى بئر عظيمة مطوية باحجار كبار جداً تسمى بئر زبيدة . ينتهي عمل هـذه القناة اليها ، وهي من الابنية المهولة مما يتوهم انه من بناء الجن ، ثم صارت عين حنين ، وعين عرفـة تنقطع لقلة الامطار وتنهدم قنواتها وتخربها السيول بطول الايام وكانت الخلفاء والسلاطين إذا بلغهم ذلك ارسلوا وعمروها مع انتظام سلطنتهم وقوة مكنتهم فتجري تارة وتنقطع تارة اخرى واستمر الحال على هذا المنوال ، فمن عمرها صاحب اربل ، وهو الملك الجليل مظفر الدين كجك كوكبري بن علي في سنة اربع وتسعين وخمسمائة وكوكبوري معناه بالتركي الذئب الازرق ، وكان كثير الخير والاحسان جداً ، وله ترجمة واسعة في وفيات الاعيان ، لقاضي القضاة احمد بن خلـكان ، رحمهما الله تعالى . ذكر له اوصافاً كريمة ، ومكارم عظيمة ، ذكر منها عين عرفات ، وغيرها من جزيل الخيرات ، ثم عمرها صاحب اربل مظفر الدين المذكور ايضاً في سنة خمس وعشرين وستمائة ، ثم في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، كما وجدت ذلك مكتوبا في نصب حجارة في قرب الموقف الشريف في عرفات ، ثم بعد مائة عام تقريباً عمر عين حنين الامير جوكان نائب السلطنة بالعراقين فى ايام السلطان ابى سعيد خـدا بنده في سنة ست وعشرين وسبعمائة ، فاجرى عين حنين إلى مكة ، وعم نفعها لأهل مكة فانهم كانوا في جهد عظيم لقلة الماء ، فرحمهم الله بذلك ، رحم الله اهل الخير .

ثم عمرها شريف مكة يومئذ السيد حسن بن عجلان ، جـد ساداتنا اشراف مكة الآن ، ابقاهم الله تعالى وأدام عزهم مدى الازمان ، وكان من اهل الخير والاحسان ، اجزل الله ثوابه في الجنان ، وكان تعميره لها في سنة احدى عشرة

وثمانمائة فجرت ، وانفجرت ، ونفعت وابلجت ، وكثر الدعاء له من اهل البلاد والحجاج والعباد ، وتقبل الله منه عمله ، ثم انقطعت ولقي الناس لذلك شدة شديدة إلى ان عمرها صاحب مصر من ملوك الشراكسة المؤيد ابو النصر شيخ المحمودي في سنة احدى وعشرين وثمانمائة ، هكذا ذكره التقي الفاسي رحمه الله تعالى ، ثم عمرها وعمر عين عرفات أيضاً بعد ذلك من ملوك الشراكسة السلطان الملك الاشرف قايتباي رحمه الله تعالى ، فعمر عين عرفات وأجراها إلى ارض عرفات وعمر عين حنين حتى جرت إلى مكة ، وعمر عين خليص وحصل منها الرفق للحجاج وأهل البلاد ودعوا له وأثنوا عليه بذلك ، وعم احسانه ، وكثرت خيراته ، ضاعف الله اجره ومثوباته ، وذلك بمباشرة الامير يوسف الجمالي وأخيه الامير سنقر الجمالي رحمهم الله اجمعين ، وذلك في سنة خمس وسبعين وثمانمائة . ثم عمر عين حنين آخر ملوك الشراكسة ، السلطان قانصوه الغوري رحمه الله تعالى حتى جرت وملأت برك الحجاج في المعلاة ، ثم جرت إلى بازان وإلى بركة ماجن في درب اليمن من اسفل مكة ، وارتفق الناس بذلك ، ثم انقطعت في اوائل السلطنة العثمانية بهذه الاقطار الحجازية ، وبطلت العيون لقلة الامطار ، وتهدمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة ، وصار اهل البلاد يستقون من الآبار حول مكة من آبار يقال لها المسيلان في علو مكة قريب من المنحنى ، ومن آبار في اسفل مكة في مكان يقال له الزاهر ، في طريق التنعيم ، وكان الماء غالياً قليل الوجود ، وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها ، وكان الحجاج يحملون الماء إلى عرفات من الامكنة البعيدة وصار فقراء الحجاج في يوم عرفة لا يطلبون شيئاً غير الماء لعزته ، ولا يطلبون الزاد ، وربما جلبه بعض الاقوياء من الاماكن البعيدة للبيع فيحصلون اموالا لغلو ثمنه .

قال القطبي : واني اذكر ان في سنة ثلاثين وتسعمائة قل الماء في الآبار البعيدة أيضاً ، فارتفع سعر الماء جداً في يوم عرفة وكنت يومئذ مراهقاً في خدمة

والدي رحمه الله تعالى ، وفرغ الماء الذي كنا حملناه من مكة إلى عرفات وعطش اهلنا فتطلبت قليلا من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم ، فاشتريت قربة ماء صغيرة جداً يكاد يحملها الانسان بأصبعه بدينار ذهب ! والفقراء يضجون من العطش ويطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف ، فشرب اهلنا بعض تلك القربة ، وتصدقوا بباقيه على من كان مضطراً من الفقراء وعطشنا عقيبه ، وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاشى يلهثون ، فأمطرت السماء ، وسالت السيول من فضل الله ورحمته ، والناس واقفون تحت جبل الرحمة ، فصاروا يشربون من السيل من تحت ارجلهم ويسقون دوابهم ، وحصل البكاء الشديد والضجيج من الحجاج في وقت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه بهم ، واحسانه اليهم ، وتكرمه عليهم ، ولا أزال اتذكر تلك الساعة ، وما حصل فيها من اللطف العظيم ، من كرم الله العميم ، وأرجوانه الرب الكريم ، واتيقن انه الغفور الرحيم ، ذو العرش المجيد ، الذي ينزل الغيث على عباده من بعد ما قنطوا ، وينشر رحمته وهو الولي الحميد . ثم برزت الاوامر السلطانية الشريفة السليمانية باصلاح عين حنين ، وعين عرفات ، وعين لهما ناظراً اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة ، فبذل جهده في عمارتهما، واصلح قنواتهما، إلى ان جرت عين حنين ودخلت إلى مكة ، وخرجت من اسفلها ، من بركة ماجن ، وأصلح عين عرفات وأجراها حتى صارت تملأ البرك بعرفات ، وذلك في سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ، وصار الحجاج يرتوون من ذلك الماء العذب الفرات ، بعد ذلك العطش الشديد في يوم عرفات ، ويدعون لمن كان سبباً لاجراء هذه الخيرات ، ثم اشترى ناظر العين عبيداً سوداً من مال السلطنة ، وجعل لهم من خزائن السلطنة جرايات وعلوفات ، لأجل خدمتهم العين ، واخراج اتربتها من الذيول والقنوات ، وهذه خدمتهم دائماً ، وصاروا يتوالدون ، وهم إلى الآن باقون ، طبقة بعد طبقة لهذه الخدمة ، ثم توجه مصطفى ناظر العين إلى الابواب الشريفة السلطانية وعرض في امر العين أحوالا يجب عرضها ، فاجيب إلى

ما سأل فيه ، وعاد مجبوراً إلى مصر ، ثم ركب من بندر السويس إلى مكة ، فغرق في بحر القلزم شهيداً ، وما غرق إلا في بحر رحمة الله تعالى ، وما مات بل هو حي عند الله ، وكانت وفاته في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة ، واستمرت عين حنين جارية إلى مكة المشرفة ، لكنها تقل تارة وتكثر تارة بحسب قلة الامطار وكثرتها ، وعين عرفات تجري من نعمان إلى عرفات إلى ان صارت بساتين وغروس ، وصارت مرجة خضراء تتجلى كالعروس ، إلى ان قلت الامطار ، ويبست العيون ، ونزحت الآبار في سنين متعددة ، من سنة خمس وستين وتسعمائة وما بعدها ، وكانت تشبه سنين يوسف عجافا ، وانقطعت العيون إلا عين عرفة ، فانها لم تنقطع إلا انها قل ماؤها وخف جريانها في تلك السنين ، ولما عرضت احوال العيون إلى الابواب الشريفة السلطانية السليمانية ، التفت الخاطر العاطر السليماني ، وتوجه العطف الشريف السلطاني إلى تدارك ذلك بأي وجه كان ، وأمر بالفحص عن احوال العيون ، وكيف يمكن اجراؤها إلى بلد الله الامين المأمون ، واجتمع المرحوم عبد الباقي بن علي العربي قاضي مكة يومئذ والامير خير الدين خضر سنجق جده يومئذ وغيرهما من الاعيان ، وفحصوا وداروا وتأملوا وتشاوروا ، فاجتمع رأيهم على ان اقوى العيون عين عرفات وطريقها ظاهرة وذيولها إلى بئر زبيدة خلف منى ، وان الذي يغلب على الظن ان ذيولها من بئر زبيدة إلى مكة مبنية أيضاً وانها مخفية تحت الارض وانها تحتاج إلى الكشف عنها والحفر إلى ان تظهر لأن زبيدة لما بنت الذيول من عرفة إلى بئرها المشهورة خلف منى الذي جميعها ظاهر على وجه الارض فالباقي ايضاً من ذلك إلى مكة مبني ايضاً واستغنى عنها بعين حنين ، وتركت ونسيت وطمست وغفل عنها ، هكذا ظنوا وخمنوا انهم إذا تتبعوا ذلك في عين عرفات من اولها إلى الاوجر إلى عرفة ، ثم إلى مزدلفة ثم بئر زبيدة ، واصلحوا هذه الذيول الظاهرة وكشفوا عن الباقي احتاجوا إلى ثلاثين الف دينار ذهباً ليبنوا ما وجدوا منها منهدما ويرمموا الباقي ، ثم انهم ذرعوه وقاسوه فكان من الاوجر إلى مكة

خمساً واربعين الف ذراع ، بذراع البنائين الآن وهو اكبر من الذراع الشرعي بقدر ربعه ، وهذا الذي تخيلوه من وجود بقية الذيول تحت الارض لم يوجد في كتب التأريخ ، وانما أداهم إلى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن وعرضوا ذلك إلى الباب الشريف في اوائل سنة تسع وستين وتسعمائة ، فلما وصل علم ذلك إلى المسامع الشريفة السلطانية ، التمست صاحبة الخيرات ، اكليلة المخدرات ، تاج المحصنات ملكة الملكات ، علية الذات ، قدسية الصفات ، ذات العلى والسعادات ، حضرة خاتم سلطان ، كريمة حضرة السلطان الاعظم سليمان ، سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان ، ان يأذن لها في عمل هذه الخيرات ، فاذن لها في ذلك ، فاستشارت الحضرة السلطانية وزراء ديوانها الشريف العالي فيمن يصلح لهذه الخدمة ، فاتفق رأيهم على ان هذه الخدمة لا يقوم بها إلا دفتردار مصر الامير الكبير المعظم ، فائض الجود والكرم ، صاحب السيف والقلم ، والعلم والعلم ، الامير ابراهيم بن تغرى بردى المهمندار ، بوأه الله جنات تجري من تحتها الانهار ، وسقاه من حوض الكوثر زلالا بارداً يطفيء الاوام والاوار ، وكان يومئذ قد عزل عن منصب الدفتردارية وامر بالتفتيش عليه عن ايام الدفتردارية فاعفى عن التفتيش ، واعطته السلطنة خمسين الف دينار ذهباً ، بزيادة عشرين الف ذهب على ما خمنوه ليصرفها في عمل هذه العين المباركة فتوجه من البحر إلى مكة المشرفة بتجمل عظيم ، وبرزق كثير ، وترتيب يعجز عنه كبار البكلاربكية ، وكان ذا همة عليه ، واقدام عظيم ، واهتمام تام ، وكرم نفس ، وشهامة ، وحسن تدبير ومعرفة ، وحذاقة وفطنة .

قال القطبي : وكان بيني وبينه سابقة اجتماع وما رأيت احداً من الامراء والوزراء والبكلاربكية مع كثرة من اجتمعت به منهم اجمل نظاما ولا احسن ترتيباً وانتظاما ، ولا ادق فكراً ، ولا اعلى همة ولا اصدق وفاء منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وغفرله مغفرة جامعة ، وبوأه الفردوس الاعلى ، وأرضى عنه خصماءه يوم القيام ، وكان وصوله إلى بندر جدة المعمورة في يوم الجمعة لثمان بقين من

ذي القعدة الحرام سنة تسع وستين وتسعمائة فتوجهت إلى ملاقاته لسابق احسانه إلي فرأيته نزل بوطاقة خارج جدة من الجهة الشامية ، فقابلني بالاجلال والاكرام وركب من جدة إلى سيدنا ومولانا الشريف العالي نجم الدنيا والدين محمد بن ابي نمى خلد الله تعالى سيادته ، وأبد دولته ورياسته ، وكان يومئذ نازلا في مر الظهران فقابله بالاجلال والتعظيم ، والترحيب والتكريم ومد له سماطاً عظيما ولاطفه وواكله ، واكرمه وباسطه وجابره ، فعرض على حضرته الشريفة ما جاء بصدده ، فقوبل بامتثال الامر الشريف السلطانى ، وبذل الهمة والجهد في اتمام المهم المنيف الخاقانى ، وانه يقوم بذلك بنفسه وولده ، واتباعه وخدمه ، ثم ركب من عنده مجبور الخاطر ، مسرور الفؤاد ، وتوجه إلى مكة المشرفة ، فلاقاه عند دخوله اليها سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين السيد حسن بن ابي نمى صاحب مكة أدام الله عزه وسعادته وضاعف نصره ، وتأبيده وسيادته وابدى له الاجلال والاكرام ، وقابله بالترحيب والاحترام ، وجابره ولاطفه ، وباسطه ووالفه وأقبل كل منهما على الآخر كمال الاقبال وتحادثا بغاية الادب والاجلال ، واستمر معه إلى ان فارقه من باب السلام ، ودخل المسجد الحرام ، وطاف طواف القدوم ، وكان محرما بالحج وسعى ما بين الصفا والمروة ، وعاد إلى مجمع قايتباي ، وهو المحل الذي عين لنزوله فيه ، ومد فيه من قبل مولانا السيد حسن مد الله ظلال سعادته ، سماط عظيم جميل كبير ، فجلس عليه واكل منه وخاصته وأذن لأهل الرباط والفقراء والفقهاء وعامة الناس ، فاكلوا وابقوا شيئاً كثيراً فأمر بتفريقه على الفقراء والبس الذي مد السماط قفطاناً من الصراصر العال واعطاه ذهباً كثيراً ، ثم جاء للسلام عليه سيدنا ومولانا رئيس الحرمين الشريفين ، وكبير البلدين المنيفين السيدالحسيني القاضي حسين أدام الله عزه واقباله ، وخلد دولته وسعادته واجلاله ، ففرح به الاميرابراهيم ، وقابله بالاجلال والتعظيم ، وعرض عليه اموره واحواله ، واستشاره في سائر ما بدا له ، فاشار عليه بالآراء الصائبة ، واعلمه بما ينبغي رعايته ، ويرعى

جانبه ، وما يجب عليه ملاحظته من الامور اللازمة الواجبة ، فاول ما بدأ الامير ابراهيم بتنظيف بعض الآبار التي يستقي الناس منها ، واخراج ترابها وزيادة حفرها ليكثر ماؤها وحصل للناس بذلك رفق كبير ، ثم شرع في تحصيل ما يحتاج اليه في عمله وتوجه للكشف عنه إلى اعلى عرفات وكثر تردده اليه وتفطنه لمجاريها ومثاقبها ومشاربها ومساربها والفحص عن احوالها إلى ان وصل الركب المصري وكان امير الحاج يومئذ افتخار الامراء الكرام ، عثمان بك بن بكلاربكي اليمن ثم بكلاربكي الحبشة ازدمر باشا ، وصار هـذا عثمان بك بعد وفاة أبيه بكلاربكي اليمن ، واظهر اليد البيضاء في افتتاح مـدينة تعز ، ثم صار بكلاربكي الحسا ، وهو من البكلاربكية الكرماء العظام ، المتجملين المشهورين بالكرم والشجاعة ، ابقاه الله تعالى ، ووصل إلى مكة المشرفة قاضيها في ذلك الموسم مع الركب الشامي ، وهو اعلم العلماء الموالي ، وأفضل الفضلاء الاهالي ، مولانا فضيل افندي بن مولانا علي چلبي الجمالي ، وهو من اصل العلماء العظام ، له التصانيف الحسنة المقبولة ، وهو الآن اوتورق في الباب العالي ، امد الله تعالى في افضاله ، وأدام مودة عظمته واجلاله ، وفاض على الطلاب سحائب فضله وكماله ، وحج الناس حجة هنية ، وحج الامير ابراهيم فرض حجه ، وعاد الحجاج إلى اوطانهم فائزين بالغفران والقبول حائزين لكل مطلوب وسول ، وشرع الامير ابراهيم في الكشف عن ذيول عين عرفات ، وضرب وطاقه من الاوجر من وادي نعمان في علو عرفات ، وشرع في حفر قفرها وتنظيف ذيولها بهمة عالية جداً ، وكانت مماليكه القائمون في خـدمته نحو اربعمائة مملوك في غاية الجمالة والرشاقة ، والحذاقة واللباقة ، اقامهم في هـذا العمل من الاوجر إلى عرفات ومزدلفة وكتب نحو الف نفس من العمال والبنائين والمهندسين والحفارين ، وجلب من مصر والصعيد وبلاد الشام وحلب واسلامبول ومن طوائف بعد المهندسين وخدام العيون والآبار والحجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج اليهم ، وجاء بآلات العمارة ، صحبها معه من مصر ، من مكاتل لوماحي

ومساحي ومجاريف وحديد وبولاد ونحاس ورصاص ، وغير ذلك من الهمة القوية والاقدام التام والاهتمام .

وعين لـكل طائفة قطعة من الارض لحفرها وتنظيف ما فيها من الذيول ، ليظهر فيها سعيه واجتهاده .

وكان يظن انه يفرغ من هـذا العمل الذى جاء بصدده فيما دون عام ويعود إلى الابواب السلطانية ، لينال المناصب العلية ، ويظفر بالمراتب السمية ، ويأبى الله إلا ما أراد ، وما كل ما يتمنى المرء يدركه من المراد ، وألسنة الاقدار تناديه من وراء الحجاب ، كيف الخلاص واليه الذهاب .

واستمر على هـذا الجد والاجتهاد إلى ان اتصل عمله بعمل زبيدة إلى البئر الذي انتهى عملها اليها ، ولم يجد بعدها ذيلا ولا آثار عمل ، وضاق ذرعه بذلك ، وعلم ان الخطب كبير ، وان العمل كثير .

وتحقق ان القدر الباقي من هـــذا العمل ، انما تركته زبيدة اضطراراً لا اختياراً ، وعدلت عنه إلى عين حنين .

وترك العمل من عند البئر لصلابة الحجر وصعوبة قطعه ، وطول مسافته فانه يحتاج من بئر زبيدة إلى ذيل منقور تحت الارض في الحجر الصوان طوله الفا ذراع بذراع البنائين ، حتى يتصل بذيل عين حنين ، وينصب فيه ويصل إلى مكة ، ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الارض ، فانه يحتاج إلى النزول إلى خمسين ذراعا في العمق ، وصار لا يمكنـه ترك ذلك بعـد الشروع فيه حفظاً لناموس السلطنة الشريفة ، فما وجد الامير ابراهيم حيلة غير ان يحفر وجه الارض إلى ان يصل إلى الحجر الصوان ، ثم يوقد عليه النار مقدار مائة حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة في مقدار سبعة اذرع من وجه الارض والنار لا تعمل إلا في العلو لكنها تعمل عملا يسيراً من جانب السفل مقدار قيراطين من اربعة وعشرين قيراطاً من ذراع فيكسر بالحديد ، إلى ان يوصل إلى الحجر الصلب الشديد ، فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة

اخرى وهلم جرا . . . إلى ان ينزل في ذلك الحجر مقدار خمسين ذراعا في العمق في عرض خمسة اذرع ، إلى ان يستوفي الفي ذراع ، ثم يقطع على هذا الحكم وذلك يحتاج إلى عمر نوح ، وخزائن قارون ، وصبر ايوب .

وما رأى من ذلك محيصاً فأقدم عليه حتى فرغ الحطب من جميع جبال مكة وصار يجلب من المسافات البعيدة ، وغلا سعره ، وضاق الناس بذلك وتعب الامير لذلك وذهبت امواله وخدامه وأولاده ومماليكه ، وهو يتجلد على ذلك إلى ان قطع من المسافة الف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل ، وصار كلما فرغ المصروف ارسل وطلب مصروفا آخر إلى ان صرف اكثر من خمسمائة الف دينار ذهباً من الخزائن العامرة السلطانية ، وغرق له مركب كان فيه باقي تجملاته وخزائن نقوده وفيه جملة من اسبابه وعبيده ، وكان يتوف على مائة الف ذهب في ابتداء امره .

ثم مات له ولد صغير نجيب كان خلفه بمصر ، فاحترق قلبه عليه كثيراً ، ثم مات له ولدان نجيبان مراهقان اخذا بمجامع قلبه وفتتا كبده ، ثم مات كتخداه وكان بمنزلة امراء الصناجق ، ثم مات أكبر مماليكه وهو يتجلد لتلك المصائب العظيمة ، ويتصبر عليها ويظهر الجلد فيها إلى ان ذهب قواه ، وما بقي رمقه ولا ذماه ، ونزفه الاسهال ورمته الاهوال ، وجاءه الاجل الذي لا يتقدم ولا يتأخر ، وان اجل الله إذا جاء لا يؤخر ، فمات غريباً شهيداً ، ومضى إلى رحمة الله وحيداً فريداً ، في ليلة الاثنين ثاني رجب المرجب سنة اربع وسبعين وتسعمائة ، وصلى عليه عند باب الكعبة ، وكانت جنازته حافلة جداً .

وأسف الناس عليه وعلى فقده لكثرة احسانه ، ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد إلى الابطح في تربة كان اعدها لنفسه تسمى الدفتردارية ، ودفن فيها ولديه قبله وخلف طفلاً صغيراً ، وحملا وبنتاً من اهل الخير ، كثيرة الصلاح والعبادة ، وكان ذكر لي ان مولده سنة اثنين وعشرين وتسعمائة ، رحمه الله تعالى وأرضى عنه خصماءه يوم القيامة ، يوم الفزع الاكبر ، وسقاه من حوض الكوثر .

ثم اقيم بعده في هذه الخدمة سنجق جده الامير قاسم بك باقامة سيدنا ومولانا الشريف بدر الدين السيد حسن صاحب مكة أدام الله تعالى دولته وسعادته وشيد عزه وسيادته ، فعرض ذلك إلى الباب الشريف العالي وأمره ان يباشر هذه الخدمة إلى ان يصل من تعيينه الحضرة السلطانية الشريفة العظمى والخلافة العلية الكبرى ، وكانت قد انتقلت من المرحوم السلطان سليمان خان ، إلى نجله السعيد الامجد السلطان سليم خان ، سقى الله عهدهما صوب الرحمة والرضوان ، فعين لها في الباب العالي دفتردار مصر محمد بك الجلجي زاده وكان متجملا من اعيان الامراء الصناجق الكبراء ؛ وكان ذا رأى ثاقب تام ، واحسان وانعام ، وتلطف وتعطف واكرام ، فوصل إلى هذه الخدمة الشاقة ، وبذل فيها نفسه وماله ، وأظهر تجملاته وتحملاته واحتماله ، وقطع مسافة وما بلغ التمام ، إلى ان وافاه الحمام ، فانتقل إلى رحمة الملك العلام سعيداً شهيداً بمرض الاسهال ، وقدم على ربه الكريم المتعال وذلك في ليلة الثلاثاء وقت السحر لاربع ليال بقين من جمادي الاولى سنة ست وسبعين وتسعمائة ، وصلى عليه عند باب الكعبة الشريفة ودفن في المعلاة قبال تربة الامير ابراهيم الدفتردار على يسار الذاهب إلى الابطح .

وتأسف الناس على فقده وترحموا عليه وأثنوا عليه خيراً رحمه الله تعالى وخلف ولداً صغيراً اسمه بير احمد ، وبنتاً اسمها خديجة ، جبر الله قلوبهما ويتمهما وجعل وصيه عليهما عتيقه فرهاد كتخدا ، وفقه الله تعالى واعانه .

ثم اقيم بعده فى خدمة عمل العين الامير قاسم المذكور اولا سنجق جدة المعمورة اقامه فيها السيد حسن صاحب مكة أدام الله عزه ودولته وامره بمباشرة العمل ، وعرض ذلك إلى الابواب السلطانية السليمية فبرزا لامر الشريف السلطاني باستمرار قاسم بك المذكور في خدمة العين أميناً على مصارفها ، وان يكون سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ، قاضى القضاة ، وناظر المسجد الحرام ، بدر الدنيا والدين القاضى حسين الحسيني المالكي خلد الله ظلال سيادته ، وأبد قيام سعادته ، ناظراً

على ما بقي من عمل عين عرفات إلى ان تصل إلى مكة المشرفة .

فاستمر الامير قاسم مباشراً لتعاطي هذه الخدمة ، ولا يخلو من قصور الفهم وحب الاستقلال ، وبعض العناد وما اراد مولانا شيخ الاسلام معارضته ، فتركه على رأيه ، وما اراد الله ان يتم العمل الشريف على يد قاسم بك ، فكان ثالث الاميرين السابقين ، فطرقه الاجل وادركه الحين ، وفاز لغربته بمرتبة الشهادة وكان من شهداء العين ، وانتقل من دار الدنيا الفانية ، إلى دار الآخرة الباقية قرير العين ، لليلة خلت من رجب ، الفرد الاصب ، سنة تسع وسبعين وتسعمائة ، وصلى عليه عند باب الكعبة الشريفة ، ودفن بالمعلاة ، إلى جانب الامير محمد بك دفتردار مصر المتوفى قبله امين العين المبرور ، فاستوفت العين به ثلاثة من الامراء الصناجق سقاهم الله شرابا طهورا ، وكان بهم براً روفاً رحيما غفورا .

ثم توجه سيدنا ومولانا شيخ الاسلام القاضي حسين الحسيني المالكي مد الله ظلال افضاله ، وأقام خيام عزه وعظمته واجلاله ، توجها تاماً إلى تكميل ما بقي من عين عرفات ، باعتبار ما بيديه من النظر عليها حسب الاحكام الشريفة السلطانية النافذة في الجهات ، وجدّ في الاهتمام ، وبذل الجهد التام ، وعرض إلى الابواب الشريفة السلطانية بوفاة قاسم بك المرحوم وعدم تعطيل العمل إلى ان يصل امين لاكمال العمل من الباب العالي .

فبرزت الاوامر الشريفة السلطانية السليمية بأن يكمل ذلك العمل شيخ الاسلام القاضي حسين الحسيني المشار اليه آنفاً ، فأقدم بهمته العلية أتم اقدام إلى هذا العمل الشريف بالاهتمام التام ، فساعدته السعادة والاقبال على الاتمام والاكمال فكمل العمل المبارك ، فيما دون خمسة اشهر بعد ان عجزت عن اتمامه الامراء المذكورون قريباً من عشرة اعوام ، وهلكت نفوسهم وأموالهم وخدامهم ، وما ظفروا بهذا المرام ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فجرت عين عرفات وتفجرت ينابيعها الجاريات ، ووصل الماء وهو يجري في

تلك الذيول والقنوات ، حتى وصل مكة المشرفة لعشرة بقين من ذي القعدة الحرام سنة تسع وسبعين وتسعمائة ، وكان ذلك اليوم عيدا كبيرا عند الناس، وزال بوصول يوم ذلك الماء إلى البلد كل هم وباس ، وعمل ذلك اليوم مولانا المشار اسمطة عظيمة في الأبطح ، وببستانه الواسع الافيح ، وجمع جميع الاكابر والاعيان ونصب لهم السرادقات والصيوان ، وذبح اكثر من مائة من الغنم ، ونحر عدة من الابل والنعم وخلع علي اكثر من عشرة من المعلمين والبنائين والمهندسين خلعاً فاخرة ، واحسن إلى باقيهم بالاحسانات الوافرة ، ثم تصدق على الفقراء والمساكين ، وانعم على الكبراء والاسطائين شكراً لهذه النعمة الجزيلة ، وحمداً على هذه المنة الجميلة حيث أنعم الله بها على عباده واحي بها وأخصب منها خير بلاده ، وكان يوما مشهوداً وساعة سعيدة وزمانا مسعودا ثم جهز اخبار هذه البشائر العظمى ، وحصول هذه النعمة الجزيلة الكبرى إلى الباب الشريف العالي السلطاني الاعظم الخاقاني ، الاكرم الافخم ، مولانا السلطان ، سليم خان ، سقاه الله كؤس الرحمة والرضوان ، من حوض الكوثر في اعلى غرف الجنان ، ثم إلى سرادقات ذات الحجاب الرفيع ، والستر السابغ المنيع ، صاحبة الخيرات مليكة الملكات ، بلقيس الزمان ، خانم خان ، أدام الله ظلال عفتها وعصمتها ، وأسبل استار عظمتها ورفعتها ، فانعمت بالصدقات الشريفة السلطانية ، والانعامات الجزيلة ، والترقيات الكثيرة الجميلة ، على سائر المباشرين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجليلة .

وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار اليه ترقيات عظيمة ، فصارت مدرسته السلطانية السليمانية بمائة عثماني وما عهد ذلك لاحد من الموالي العظام في مدارسهم ، وجهزت اليه انواعا من الخلع والتشاريف الفاخرة الشريفة ، وخوطب من قبل السلطنة الشريفة الخاقانية ، بالخطابات العالية السامية الوفية ، المتضمنة لشكر الجميل منه ، وانه ادخل في جملة خواص السلطنة الشريفة ، المشمولين بنظر عواطفها المنيفة وانعاماتها الوريفة ، وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالي

والايام والاعمال الصالحات التي لا يمحوها تكرر السنين والاعوام ، وما عند الله من الاجر والثواب فهو خير وأبقى عند اولي الالباب ، انتهى ما نقلته من تاريخ القطبي .

أقول : هذا كان في زمن اولئك السعداء الكرام ، ذوي الجود والفضل والاهتمام ، فمن اين لنا في زماننا هذا بمثلهم ، أومن يفعل كفعلهم ، رحمهم الله تعالى ، وأفاض وابل غفرانه عليهم ووالى ، شعر :

رضى الله عن اناس تولوا ⁂ فمضى الجود بعدهم والفوت
عمرونا جوداً وماتوا جميعاً ⁂ فثناهم وذكرهم لا يموت

وأما عين حنين في هذا الزمان ، فقد انقطعت من مدة عشرين عاماً وصارت في خبر كان ، إلا ان ذيولها وآثارها باقية إلى الآن ، حتى يأذن الرحمن ، باللطف منه على جيران حرمه الشريف والاحسان .

وأما عين (عرفة) فتارة تزيد وتارة تنقص ، ومرة تمشي وأخرى تقف ، والسلطنة لم تلتفت إلى ذلك إلى اواخر عام الف ومائة وثلاث واربعين فانقطع ماؤها اجمع ، وفي ذلك العام توجهت من بندر المخا قاصداً للحج وصحبتي ابنا اخي فرأيت أهل مكة وسائر الحجاج والناس في اوفى تعب ، من قلة الماء وأشد باس ، وأغلب الناس صار من هـذا الامر متفكراً حائراً خائف ، وأختار السكنى بارض الطائف ، وصار الناس يستقون من آبار العسيلان والزاهر ، وباب السلام والشرشورة وبعضهم يأتي بماء كريه وخيم ، وغلا سعر الماء جداً ، إلى ان صار الوعل يباع بعشرة ديوانية ، ثم ارتفع سعره إلى خمسة عشر ديواني ، وعشرين وثلاثين إلى قرش ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فعسى الله ان يأتي بالفتح أوامر من عنده ، وينظر إلى جيران بيته وسكان حرمـه ، ويشملهم بمزيد رحمته وكرمـه ويمطر عليهم سحائب ديمه ، ويرحم ضعفاء الأمة ، ويكشف عنهم هذه الغمة ، فانه

على كل شيء قدير ، وبالاجابة جدير ، وبعباده لطيف خبير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

عسى فرج يأتى به الله انه   له كل يوم في خليقته امر

﴿ فائدة ﴾

قال النسفي في المدارك عند قوله تعالى : (وقيل ياارض ابلعي ماءك) أي انشقي وتشربي ، والبلع النشف ، ويا سماء اقلعي ، اي امسكي ، وغيض الماء أي نقص من غاضه إذا نقصه ، وهو لازم ومتعد ، وقضي الأمر وانجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه ، واستوت على الجودي ، أي استقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها في ستة أشهر ، والجودى جبل بالموصل ، وقيل : بعداً للقوم الظالمين ، أي سحقاً لقوم نوح الذين غرقوا .

يقال بعد بعداً إذا أرادوا البعد ، البعيد من حيث الهلاك والموت ، ولذلك اختص بدعاء السوء .

والنظر في هذه الآية من اربع جهات : من جهة علم البيان ، وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتعلق بها .

فنقول : انه تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الارض إلى بطنها فارتد ، وان نقطع طوفان السماء فانقطع ، وان يغيض الماء النازل من السماء فغيض ، وان نقضى امر نوح ، وهو انجاز ماوعدناه من اغراق قومه فقضى ، وان نسوي السفينة على الجودي فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على ان المراد بالمأمور الذى لايتأتى منه لكمال هيبة العصيان ، وتشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويراً لاقتداره العظيم ، وان السموات والارض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لارادته فيها تغييراً وتبديلا ، فكأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق المعرفة ، وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لأمره والاذعان

لحكمه ، وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ، ثم على تشبيه هـذا نظم الكلام ، فقال عز وجل ، وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل ، وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض ويا سماء ، ثم قال مخاطباً لهما يارض وياسماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور، ثم استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجارحة في المطعوم للشبه بينهما ، وهو الذهاب إلى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوى الارض في الإنبات تقوي الآكل بالطعام ، ثم قال: ماءك باضافة الماء إلى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض، كاتصال الملك بالمالك ، ثم اختار لاحتباس الماء الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التأتي ، ثم قال وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً ، ولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر ، وسوى السفينة وقال بعداً ، كما لم يصرح بقائل يا ارض ويا سماء ، سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية لان تلك الامور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر ، وتكوين مكون قاهر ، وان فاعلها واحـد لا يشاركه في فعله ، فلا يذهب الوهم إلى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ، وأن لا يكون الغائض والقاضي والمسوي غيره ، ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيهاً لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً لأنفسهم اظهاراً لمكان السخط ، وان ذلك العذاب الشديد ما كان إلا لظلمهم، ومن جهة علم المعاني ، وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها . وذلك انه اختير يادون أخواتها لكونها اكثر استعمالا ، ولدلالتها على بعد المنادى الذي يستدعيه مقامه اظهار لعظمة والملكوت ، وابداء العزة ، والجبروت: وهو تبعيد المنادي المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا ارضي لزيادة التهاون إذ الاضافة تستدعي القرب ، ولم يقل يا ايتها الارض ، للاختصار ، واختير لفظ الارض والسماء لكونهما اخف وأدور ، واختير ابلعي على ابتلعي لكونها اخصر وللتجانس بينه وبين اقلعي ، وقيل اقلعي ، ولم يقل عين المطر ، وكذا لم يقل يا ارض ابلعي

ماءك فبلعت ، ويا سماء اقلعي ، فقلعت ، اختصاراً ، واختير غيض على غيض وقيل الماء ، دون ان يقال ماء الطوفان والامر ولم يقل امر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودى ، أي اقرت على نحو قيل وغيض اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله ، (وهى تجري بهم ارادة للمطابقة) ثم قيل بعداً للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلباً للتأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم .

وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل ، فذلك انه قدم النداء على الامر ، فقيل يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي ، ولم يقل ابلعي يا ارض وأقلعي يا سماء ، جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس المنادي قصداً بذلك لمعنى الترشيح ، ثم قدم امر الارض على السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ، ثم اتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها ، ثم ذكر ما هو المقصود من القصة ، وهو قوله (وقضى الأمر) أي انجز الموعود من اهلاك الكفرة ، وانجاء نوح عليه السلام ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبروا من جهة الفصاحة المعنوية ، وهي كما ترى نظما للمعاني وتأدية لها ملخصة مبينة لاتعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشبك الطريق إلى المرتاد

ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية ، مستعملة سليمة عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عذبة على العذبات ، سليسة على الاسلاس ، كل منها كالماء في السلاسة ، وكالعسل في الحلاوة ، وكالنسيم في الرقة ، ومن ثم اطبق المعاندون على ان طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هـذه الآية ، ولله در شأن التنزيل ، ألا يتأمل العالم آية من آياته ، ألا ادرك لطائف لا تسع الحصر ، ولا تظنوا الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك اكثر من المسطور .

﴿ فائدة في سفينة نوح ﴾

روي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين ، وكان طولها ثلثمائة ذراع ، أو الفاً ومأتي ذراع وعرضها خمسين ذراعا ، او ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا ، وجعل لها ثلاثة بطون ، فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والاوسط الدواب والانعام ؛ وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام ، وجعله معترضاً بين النساء والرجال ، وقوله تعالى (وما آمن معه إلا قليل) قال النبي صلى الله عليه وسلم : كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم ، وقيل : كانوا عشرة ، خمسة رجال ، وخمسة نسوة ، وقيل: كانوا أثنين وسبعين رجلا وأمرأة ، وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم ، فالجميع ثمانية وسبعون ، نصفهم رجال ، ونصفهم نساء ، والله تعالى بغيبه اعلم ، وأدرى واعز وأحكم .

﴿ مسألة ﴾ قوله تعالى : (ولو ان مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) قال الشيخ شهاب الدين احمد بن ادريس القرافي رحمه الله قاعدة لو إذا دخلت على ثبوتين ، كانا منفيين اوعلى نفيين كانا ثبوتين او نفي وثبوت ، فالنفي ثبوت ، والثبوت نفي ، تقول لو جاءني لاكرمته ، فهما ثبوتان فماجاءك ولا اكرمته ، ولو لم يستبدن لم يطالب ، فهما نفيان، وقد استدان وطولب ، ولو لم يؤمن أريق دمه التقدير ان آمن لم يرق دمه ، وبالعكس لو آمن لم يقتل وإذا تقررت هذه القاعدة فيلزم ان تكون كلمات الله قد نفدت ، وليس كذلك ، لان لودخلت على ثبوت اولا ونفي آخراً ، فيكون الأول نفياً ، وهو كذلك ، لان الشجرة ليست أقلاما ، ويلزم ان يكون النفي الاخير ثبوتاً فتكون نفدت ، وليس كذلك .

قال القاضي صلاح الدين الصفدي رحمه الله في شرح لامية العجم : ونظير

هذه الآية ، الحديث نعم العبد صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصيه ، يقتضي انه خاف وعصى من الخوف وهو أقبح فيكون ذلك ذما ، لكن الحديث سيق للمدح ، أما الآية فعلي من يتفطن لها وذكر الفضلاء في الحديث وجوهاً ، أماالآية فلم ار لأحد فيها شيئاً ، ويمكن تخريجها على ما قالوه في الحديث .

قال الصفدي : غير اني ظهر لي جواب عن الآية والحديث جميعاً سأذكره .

قال ابن عصفور : لو في الحديث بمعنى ان لمطلق الربط ، وان لا يكون نفيها ثبوتاً ، ولا ثبوتها نفياً ، فيندفع الاشكال .

وقال الشيخ شهاب الدين الخسرو شاهي : ان لو في اصل اللغة لمطلق الربط ، وانما اشتهرت في العرف في انقلاب ثبوتها نفياً ، وبالعكس ، والحديث انما ورد بمعنى اللفظ في اللغة .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله : الشيء الواحد قد يكون له سبب واحد فينتفي عند انتفائه ، وقد يكون له سببان لا يلزم من احدهما عدمه لان السبب الثاني يخلف الاول ، كقولنا في زوج هو ابن عم لو لم يكن زوجا ورث ، اي بالتعصيب فانهما سببان لا يلزم من عدم احدهما عدم الآخر ، وكذلك هاهنا الناس في الغالب انما لم يعصوا لأجل الخوف ، فاذا ذهب الخوف عصوا لاتحاد السبب في حقهم ، فأخبر عليه الصلاة والسلام ان صهيباً رضى الله عنه اجتمع له سببان يمنعانه من المعصية الخوف والاجلال ، وهذا حد جميل ، وكلام حسن وأجاب غيرهم ان الجواب محذوف تقدير لو لم يخف الله عصمه الله ودل على ذلك قوله لم يعصه ، وهذه الاجوبة تأتى في الآية غير الثالث ، فان عدم نفود كلمات الله وانها غير متناهية أمر ثابت لها لذاتها ، وأما بالذات لا يعلل بالاسباب ، فتأمل ذلك فهذا الكلام الذى اتصل بى .

قال الصفدي : والذي يظهر لي ان لو اصلها ان تستعمل للربط بين شيئين كما تقدم ، ثم ايضاً تستعمل لقطع الرابط ، فيكون جوابا لسؤال محقق ومتوهم وقع

فيه ربطه فتقطعه أنت لاعتقادك بطلان ذلك الربط ، اي الربط بين عدم الزوجية وعدم الارث ليس بحق فمقصودك قطع ربط كلامه لا ربط كلامك ، وتقول لو لم يكن زيد عالماً لأكرمته، أي لشجاعته، جوابا لسؤال سائل تتوهمه، او سمعته يقول لو لم يكن زيد عالماً لم يكرمه، فيربط بين عدم العلم وعدم الاكرام، لان ذلك ليس بمناسب ولا من اغراض العقلاء ، ولا يتجه كلامك إلا على عدم الربط ، كذلك الحديث لما كان الغالب على الناس ان يرتبط عصيانهم بعدم خوف الله تعالى ، وان ذلك في الاوهام ، فقطع رسول الله ﷺ هـذا الربط وقال : لو لم يخف الله لم يعصه ، وكذلك لما كان الغالب على الاوهام ان الاشجار كلها إذا صارت أقلاما ، والبحر المالح مع غيره يكتب به الجميع ، يقول : ما يكتب بهذا الشيء إلا نفد ، وما عساه ان يكون ، فدفع الله تعالى هذا الربط .

وقال : ما نفدت كلمات الله ، وهـذا الجواب اصلح الاجوبة المتقدمة من وجهين ، احدها شموله لهذين الموضعين وبعضها لم يشمل كما تقدم ، وثانيها ان لو بمعنى خلاف الظاهر ، وما ذكرته من الجواب ليس مخالفاً لعرف اهل اللغة ، فان أهل العرف يستعملون ما ذكرته ولا يفهمون غيره من تلك الموارد ، ويعم هـذا الجواب الواجب لذاته ، كصفات الله تعالى وكلماته ، والممكن القابل للتعليل كطاعة صهيب رضي الله عنه .

﴿ ترجمة والدي وسيدي جمال البلغاء وفاضل الزمن السيد علي بن ﴾
(نور الدين بن أبي الحسن)

جهبذ نحرير فاضل ، فما الصاحب لديه وما الفاضل ، تفرد بعلم البديع والمعاني ، ففاق البديع الهمداني ، وتوحد بالنحو والصرف ، فلو عاصره سيبويه والتفتازاني مانطقا في حضرته بحرف ، وتعزز في اللغة وعلوم الاوائل ، فبارز في حلبة الفصاحة والبلاغه قس بن ساعدة وسحبان وائل ، وتبحر في سائر العلوم ، وتفنن في المنطوق والمفهوم ، إلى كرم يخجل قطر المطر ، واخلاق ألطف وأرق من نسمة السحر أفضل من نثر الدر من البلغاء ونظم وفضل علي اشهر من نار على علم ، كان بمكة المشرفة كالحجر الاسعد الاسود يستلمه تيمناً وتبركا به الابيض والاسود ، ومابرح مشهوراً بكل فضل لدى البادي والحاضر ، وموقراً ومكرما عند السادة آل الحسن ، وجميع الرؤساء والوزراء والاكابر ، إلى ان دعاه إلى جواره الكريم ، فنقله من دار الدنيا الفانية إلى جنة النعيم ، صبح ثامن عشر من ذي الحجة الحرام ، عام الف ومائة وتسع عشرة من هجرة خير الانام ، وارخ وفاته اخي السيد مصطفى نثراً بقوله : (دخل الجنات) رحمه الرحيم الرحمن ، وأسكنه بحبوحة الجنان ، وله كل قصيدة تهزأ باللؤلؤ المنثور وتخجل بحسنها الورد والياسمين والمنثور ، فمن شعره السهل الممتع الرقيق ، ونظمه المنسجم المنسبك الانيق ، قوله متغزلا :

أيا قلب بح مستشهراً بهوى دعد ... وخض جاسراً لج الصبابة والوجد
ولا تعدلن عن حبها ولو انها ... صلتك بنيران التجافي مع البعد
عليك بها عذراء معسولة اللمى ... معقربة الصدغين ممشوقة القد
مدملجة الساقين مهضومة الحشا ... موردة الخدين فاحمة الجعد
إذا ما بدت تختال في حلل البها ... فياخجلة السمر المثقفة الملد
عجبت لجسم كالحرير منعم ... يضم فؤاداً قد من حجر صلد

لها الله من رعبوبة سفكت دمي ... بمرهف ماضي اللحظ منها على عمد
تمشقتها أخت المهاة خريدة ... ثوى حبها في القلب مذ كنت في المهد
فمني اليك اليوم يا لائمي اتئد ... أتحسب ان اللوم في حبها يجدي
أتمذلني في حب دعد ضلالة ... وتزعم يا مغرور أنك ذو رشد
أيقبل فيها اللوم سمعي وقد سرت ... محبتها في الجسم بالعكس والطرد
وأقسم بالمسود من مسك خالها ... وبالشفق المحمر من صفحة الخد
وبالمقلة النجلاء والمبسم الذي ... تستر بالياقوت والمرشف الشهدي
لو انك تشكو ما بقلبي عذرتني ... وما لمت لكن ما بقلبك ما عندي

وقوله مصدراً ومعجزاً قصيدة ذي الوزارتين ، القائد عيسى بن لبون الذي ترجمه الفتح بن خاقان في قلائد العقيان :

خليلي عوجا بي على مسقط اللوى ... أروي بصوب الدمع من مقلتي الثرى
قفا بي قليلا لا عدمت وفاكما ... لعل رسوم الدار لن تتغيرا
فأسأل عن ليل تولى بانسنا ... وعصر مضى كالحلم في سنة الكرى
وألثم آثار الأولى سكنوا الحشا ... وأندب اياما تقضت وأعصرا
ليالي إذ كان الزمان مسالماً ... وأمري عليه نافذ الحكم في الورى
إذ الخرد البيض الدمى تحت قبضتي ... وإذ كان غصن العيش فينان اخضرا
وإذ كنت اسقى الراح من كف أغيد ... أغن عفيف النفس بالروح يشترى
معتقة في الدن من عصر جرهم ... يناولنيها رائحاً ومبكرا
أعانق منه الغصن يهتز ناعماً ... وارشف منه الثغر شهداً وكوثرا
وأقطف من وجناته الورد يانعاً ... وألثم منه البدر يطلع مقمرا
وقد ضربت ايدي الاماني قبابها ... بساحتنا والهم ولى وأدبرا
ومدت لييلات التهاني رواقها ... علينا وكف الدهر عنا واقصرا
فما شئت من لهو وما شئت من دد ... وما شئت من قد حكي الغصن مثمرا

وما شئت من وجه يروقك حسنه ... ومن مبسم يجنيك عذبا مؤثرا

وما شئت من عود يغنيك مفصحاً ... ومن غادة تشجيك صوتاً ومنظرا

تحرك منك الوجد ان هي انشدت ... سما لك مجد بعد ما كان قصرا

ولكنها الدنيا تخادع اهلها ... فتضحكهم يوما ويبكون اعصرا

وذو العقل لم يركن اليها لانها ... تغر بصفو وهي تنوي تكدرا

لقد اوردتني بعد ذلك كله ... مواردكم اردت اناساً ومعشرا

على الرغم مني كان قسراً ورودها ... موارد ما الفيت عنهن مصدرا

وكم كابدت نفسي لها من ملمة ... ومن حادث قد كان حتما مقدرا

وكم محنة قضيتها متصبراً ... وكم بات طرفي من اساها مسهرا

خليلي ما بالي على صدق عزمتي ... إذا رمت من دنياي امراً تعسرا

الام ولي نفس تروم اقتنا العلا ... أرى من زماني ونية وتعذرا

ووالله ما ادري لأي جريمة ... اصر على كيدي وللغدر اضمرا

وما علمت نفسي بأي جناية ... يجني ولا عن أي ذنب تغيرا

ولم أك عن كسب المكارم عاجزاً ... إذا الغير ابدى عجزه وتأخرا

ولا كنت ممن تألف القبض كفه ... ولا كنت عن نيل انيل مقصرا

لئن ساء تمزيق الزمان لدولتي ... فما كان إلا واعظاً لي ومنذرا

جزى الله هذا الدهر خير جزائه ... فقد رد عن جهل كثير وبصرا

وأيقظ من نوم الغرارة نائماً ... وأهلك قدما من طغى وتجبرا

ونبه من سكر الجهالة غافلا ... وأكسب علماً بالزمان وبالورى

أقول : ذو الوزارتين هذا المذكور ، ترجمه القيسي ايضاً ، ووصفه بعزة العظما ، وهزة الكرما ، والشغف بالجود ، والكلف بالوفود ، ونفاق بضائع البدايع في زمانه ، واشراق مطالع الصنائع باحسانه ، واتسقت مناظم سلكه ، في مراسم ملكه ، وجرى مدار فلكه ، على مراد فلكه ، وكانت مربيطة مربض جياده ،

ومنهض اجناده ، ومربط افراس بأسه ، ومسقط رأس ايناسه ، والدهر مسالمه ، والقدر مساعده ، والامل مساعفه ، والوطر معاضده ، فاخذها ابن درين ، وتركه على ارض الشليب حزين ، وانعكس حظه وانتكس لحظه ورابه الزمن ، والمكاره دون مكارمه وحار مهما في بحار مهامه محارمه، وله نظم يظمأ إلى ورده ويجلي الحسن من مطالع سعده ، فمن ذلك قوله يعاتب بعض اخوانه ، ويخاطب بعض خلانه :

لحا الله قلبي كم يميل اليكم وقد بعتم حظي وضاع لديكم
إذا نحن أنصفنا كم من نفوسنا ولم تنصفونا فالسلام عليكم

وقال بعد التسلط عليه في سلطانه ، يحن إلى اوطاره في اوطانه :

يا ليت شعري وهل في ليت من ارب هيهات لا ينقضي من ليت آراب
وأين تلك الليالي اذيلم بها فيها وقــــد نام حراس وحجاب
أين الشموس التي كانت تطالعنا والجو من فوقه لليل جلباب
يهدي الينا لجيناً حشوه ذهب انامل العاج والاطراف عناب

قال بعض البلغاء : الدنيا ان اقبلت بلت او ادبرت برت او اطنبت نبت او اركبت كبت ، او بهجت هجت ، او اسعفت عفت ، او اينعت نعت ، او اكرمت رمت ، او عاونت ونت ، او ماجنت جنت ، او سامحت محت ، او صالحت لحت ، او واصلت صلت ، او بالغت لغت ، او وافرت فرت ، او زوجت وجت ، اونوهت وهت ، او ولهت لهت ، او بسطت سطت ، احتضر بالنزع بعض اهل الدنيا المترفين وكان كلما قيل له : لا إله إلا الله يقول هذا البيت :

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب

وسبب ذلك ان امرأة عفيفة حسناء خرجت إلى حمام معروف بحمام منجاب فلم تعرف طريقه ، وتعبت من المشي فرأت رجلا واقفاً على باب داره فسألته عن الحمام ، فقال : هو هـذا ـ وأشار إلى باب داره ـ فلما دخلت اغلق الباب عليها ، فلما عرفت مكره ، اظهرت له كمال الرغبة والسرور ، وقالت : اشتر لنا شيئاً من

الطعام وشيئاً من الطيب ، وعجل بالعود الينا ، فلما خرج لم يغلق الباب عليها واثقاً بها وبرغبتها فخرجت وتخلصت منه ، فانظر كيف منعته هذه الخطيئة عن الاقرار بالشهادة عند الموت مع انه لم يصدر منه إلا ادخال المرأة في بيته وعزمه على الزنا فقط من دون وقوعه منه ، نسأل الله الحماية ، ولله در من قال :

قواك وهت عند وقت المشيب   وما كان من دأبها ان تهي
وباينت نفسك لما كبرت   فلا هي انت ولا انت هي
وما زلت مستغرقا في الذنوب   وما قلت قد آن ان انتهي
متى يشتهي الجائعون الطعام   فما تشتهي غير ان تشتهي

ومثله قول ابي اسحاق ابراهيم بن خفاجة الاندلسي رحمه الله تعالى :

ألا قلت تنهى النفس يوماً عن الهوى   أراني وقد ولى الصبا لست انتهي
ولا أنبذ الدنيا وراءي وقد أتى   لمرة حبلي ان ترث وان تهي
وهلا وقد واريت يوماً جنازة   رأيت اعتباراً ثم انك انت هي

ويعجبني قوله ايضاً في هذا الباب ، عليه رحمة رب الارباب :

ان الفتى من إذا استوهبته وهبا   وفاض جوداً وان احفظته انتهبا
وجردت سيفه نفس سجيتها   ان لا تهاب وكف شاء ان تهبا
فقال يوم الوغى للسيف انت لظى   يصلي ويوم الندى للمال انت هبا

﴿ في حسن التوكل ﴾

كتب رجل إلى شخص تخلى للعبادة وانقطع عن الناس ، بلغني انك اعتزلت عن الخلق وتفرغت لعبادة الحق ، فما سبب معاشك ؟ فكتب اليه : يا احمق يبلغك انى منقطع إلى الله سبحانه وتعالى وتسألني عن المعاش .

قال بعض العارفين: الوعد حق الخلق على الله فهو احق من وفى والوعيد حق الله علي الخلق فهو أحق من عفا ، وكانت العرب تفتخر بوفاء الوعد ، وخلف الوعيد

قال الشاعر :

وانى إذا أوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

قال عيسى بن ابان : كنت عند المأمون فاستأذنته في الخروج إلى البصرة إلى عيالي ، فقال : انا اشوق منك إلى عيالي ولكن وجه اليهم فيحملوا ، ثم قال الخادم على رأسه : مرهم بالوصول ، فأقبل غلام كالبدر لانبات بعارضيه ، فسلم فقال له مرحباً ، واجلسه على فخذه الايمن ، واقبل آخر فأقعده على فخـــذه الايسر فجعلت انظر اليهما وإلى حسنهما ، فقال : يا عيسى بم ترى ان ابدأ ، فقلت أعيذ امير المؤمنين بالله ، فقد نزهه الله عن هذا وصانه ، فقال : يا عيسى ليس هذا الذي ذهبت اليه انهما جاريتان اشتهيتهما في زي الغلمان ، قلت امير المؤمنين اعلى عيناً ، فقالت الأولى : والله يا عيسى ما تحسن الحكومة ، ألم تسمع قول الله تعالى (والسابقون السابقون اولئك المقربون)، قال فبقيت والله متعجباً وتمنيت انى كنت اهتديت إلى ما قالت بجميع ملكي ، ثم قالت الأخرى : والله ما تبصر في الحكومة شيئاً ألم تسمع قول الله تعالى (وللآخرة خير لك من الاولى) قال: فتركتهما معه وانصرفت . ذكر ذلك صاحب كتاب (الجليس والانيس) .

أقول : ومثل هذه الحكاية ما حكي ان الرشيد سأل جعفراً عن جواريه فقال : يا امير المؤمنين كنت في الليلة الماضية مضطجعاً وعندى جاريتان وهما يكبسانى فتناومت عليهما لانظر صنعهما واحداها مكية ، والاخرى مدنية ، فمدت المدنية يدها إلى ذلك الشيء ، فلعبت به فانتصب قائماً ، فوثبت عليه المكية وقعدت عليه ، فقالت المدنية : انا احق به لانى حدثت عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ انه قال : من احيا ارضاً ميتة فهي له ، فقالت المكية : وانا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال ليس الصيد لمن اثاره ، انما الصيد لمن قنصه ، فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ، وقال : هل من سلوة عنهما ؟ فقال جعفر : هما ومولاهما بحكم امير المؤمنين وحملهما اليه .

وما أحسن قول عبد القدوس :

وليس رزق الفتى من حسن حيلته ... لكن حظوظ بارزاق وأقسام

كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد ... يرمي فيرزقه من ليس بالرامي

فلما اسفر صبح ثاني وعشرين من ذي الحجة الحرام عام الف ومائة واحدى وثلاثين من هجرة خير الانام ، رحلنا من الأبطح بعون المعين في الشدة والضيق ، وسرنا إلى وادي المضيق ، فأنخنا به العيس ، في ساعة التعريس :

سقاك الله يا وادي المضيق ... حياء في المساء وفي الشروق

فانك جالب الافراح حقاً ... ومؤنس كل ذي كرب وضيق

زهورك قد سكرنا من شذاها ... فوا شوقي لوردك والشقيق

وادحفت به الاشجار ، بانواع الثمار ، والوان الازهار ، وغنت عليها صنوف الاطيار ، ما بين شحرور ، وقمري وبلبل وهزار ، واشرقت فيه شموس الضحى وطلعت به الاقمار ، كأنه جنة عدن تجري من تحتها الانهار ، فاقمنا به يوماً وليلة ، ونحن في انس وسرور ، وغبطة وحبور ، سالمين من طوارق الدهر ، لم ندر فيه عن زيد ولا عمرو :

لا تفوت لذة قد امكنت ... انما الدهر سريع النقم

فلما اسفر وجه الصباح ، ونودي بحي على الفلاح ، عزمنا على الرحيل ، وسرنا خلف الدليل ، فمشينا إلى الزوال ، وإذا بعرب عتيبة ترصدنا على رؤس الجبال ، وقد قصدوا معنا الحرب ، وعزموا على الطمن والضرب ، وكان امير الحاج يومئذ الشجاع المقدام الهزبر الضرغام ، السيف الصمصام ، البحر القمقام حاكم مدينة الحلة يوسف باشا ، بلغه الله من الدنيا والآخرة ما شا ، فحين شاهد الاعراب قد رمتنا بالرصاص حتى خلنا ان ليس لنا من ايديهم خلاص ، امر الحجاج إذ ذاك بالوقوف ، وجيش الجيوش وصف الصفوف ، وما الطف قول الوزير ابن زيدون :

إذا جيش الاحباب جيشاً من الجفا ... بنينا من الصبر الجميل حصونا

وان ارسلوا خيل الصدود مغيرة جعلنا لهم خيل الخضوع كمينا
وان جردوا اسياف بين وفرقة صبرنا على احكامهم ورضينا
ولو قطعونا ما سلتهم قلوبنا لانا نرى حفظ المودة دينا

ثم ان الباشا اشار على من معه من الرجال الصناديد الابطال ، بصعود تلك الجبال ، وفتح باب القتال ، فوقع إذ ذاك الكر والفر ، والقتل والاسر ، من الظهر إلى العصر ، وحصر الباشا الاعراب بصمصامه البتار ، اشد حصر :

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

ثم ان البطل الغضنفر المشهور ، سلطان بك نجل الباشا المذكور ، الذي هو لأوصاف الكمال جامع ، اشار على ابيه بان يرمي الاعراب برصاص المدافع ، الذي ليس لهم به من دافع ، فصعدت الاقيال ، بالمدافع إلى رؤوس الجبال ، ومعهم بقية العسكر والرجال ، فابعدوا عتيبة وادنوا منهم الآجال ، وفرقوهم في تلك البراري والقفار ، وبعثروهم بين السهول ، والاوعار :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

وكان لنا يوم ، يا له من يوم ، لم نر فيه غير نقع ثائر ، واسد إلى الكفاح غائر ، وجبان خائف من برق السيوف ومن رعد المدافع والبنادق حائر ، ورصاص كالبرد على الفريقين مصبوب ، وقتيل اختطفته ايدي شعوب ، وفرس براكبه طامح وجمل بحمله طائح ، وذهب جمع الاعراب شذر مذر ، وغنم العسكر شيئاً كثيراً من الخيل والابل والغنم ، وليس لهم بقر واسروا أربعة من مشايخ عتيبة واذاقوهم كأس المذلة والخيبة ، وحصل الفتح بعون المجيب القريب ، كيف لا ومعنا نصر من الله وفتح قريب وخرجنا من بين ذاك المضيق وتلك الجبال بالسلامة وبلغ الله الباشا مطلبه ومرامه ، واجتمع الشمل بعد الشتات وسرنا وحثثنا اليعملات

فلم نزل نقطع البر الاقفر والمهمه الاغبر ، إلى ان اتينا بعد تسعة أيام سد عنتر وهو جبل ما اضيقه واوعره واطوله ، بينه وبين المدينة المنورة مرحلة ، وفي اسفله غار في نهاية السعة والكبر ، يزعم عرب تلك الجهات انه اصطبل عنتر ، وحوله غدير ماء كبير يصدر منه الجمع الكثير ، فاقمنا به يوماً وليلة ، ثم سرنا قاصدين زيارة الرسول ، ومفتاح ابواب المطالب والسؤل :

من زار قبر نبيه وجبت له منه الشفاعه
هي طاعة واخالها في الفضل تعدل الف طاعه

صلى الله عليه وآله وسلم ، وشرف قدره وكرم :

يا عين هذا السيد الاكبر وهذه الروضة والمنبر
فشاهدي في حرم المصطفى من نوره الساطع ما يبهر

فانخنا الركاب في الحرة ، وطاب وقتنا بالفرح والمسرة ، ثم دخلنا المدينة ، البرة الامينة ، الطيبة الحصينة ، مأوى صاحب الوقار والسكينة ، ومسكن الاخيار الابرار الكرام جيران الحبيب عليه افضل الصلاة وازكى السلام :

قسما بالبيت والركن الذي طاب تقبيلا ومسحا واستلاما
ان في طيبة قوما جارهم في محل النجم يملوا ان يضاما
روضة الجنة في اوطانهم وترى آثارهم يبري الجذاما
كل من لم ير فضلا حبهم فهو في النار وان صلى وصاما

صفوة الصفوة ، وخلاصة الخلاصة ، يؤثرون الغريب على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ويحبون من هاجر اليهم ، اسبل الله ستره عليهم :

يا ساكني طيبة لا زلتم طول المدى في عيشة راضيه
لاتخشوا الضيم ولاتحزنوا فانتم في جنة عاليه
وفي جوار الطهر خير الورى رب العلا والرتبة الساميه

﴿ ذكر المدينة المنورة ﴾

فائدة ـ قال ابن أياس في نشق الازهار: مدينة يثرب سماها رسول الله ﷺ مدينة طيبة ، وبها دفن رسول الله ﷺ وهي مدينة حسنة في مستو من الارض ، وعليها سور مانـع وقلعة منيعة ، وأرضها سبخة ، وقـد طابت منذ دخل فيها رسول الله ﷺ وسكن فيها ، وفيها يقول القائل :

طيبة أطيب البـلاد وأبهى   لفؤادي من كل شيء وأشهى
روضة من رياض جنة عدن   ليس تحت الزرقاء احسن منها

وأهلها أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، وبها التمر الشلبي الذي لا يوجد في غيرها من البلاد في الحلاوة والطعم ، وبها حب البان الذي يعمل منه الغالية ، وهي ذات نخل كثير وزرع وأشجار ، وفواكه وثمار وعيون وآبار وبساتين مبسوطة بألوان الأزهار ، واليها ينسب الامام ابو عبد الله مالك بن أنس المدني الاصبحي صاحب الموطأ في الحديث ، وهو شيخ الامام الشافعي ولد في سنة ثلاث او اربع وتسعين من الهجرة ، وتوفي سنة تسعاً وسبعين ومائة ، واليها ينسب ابو هريرة ونافع والزهري وغير ذلك من رواة الحديث ، واليها ينسب عرقوب الذي يضرب به المثل في خلف الوعد ، قيل انه كان من العماليق ، ونشأ بمدينة يثرب ، وسبب شهرته بخلف الوعد قيل انه اتاه اخوه يسأله شيئاً بقتات به من التمر ، فقال له عرقوب إذا اطلعت هذه النخلة فأعطيك من طلعها شيئاً ، فلما اطلعت اتاه اخوه ، فقال له دعها حتى تصير رطباً ، فلما رطبت اتاه اخوه فقال له: دعها حتى تصير تمراً ، فلما اثمرت عمد اليها عرقوب في الليل واخذ ثمرها ورحل من المدينة ولم يعط اخاه شيئاً منها فصار مثلا عند العرب في خلف الوعد ، فقال في ذلك الاعشى الشاعر :

وعدت وكان الخلف منك سجية   مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

وقال كعب بن زهير في البردة :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا   وما مواعيدها إلا الاباطيل

حكي ان الوليد بن عبد الملك لما اراد ان يبني مسجد رسول الله ﷺ ارسل إلى صاحب الروم يطلب صناعا لعمارة المسجد الشريف فبعث اليه اربعين رجلا من صناع الروم ، واربعين رجلا من صناع القبط وارسل معهم اربعين الف مثقال من الذهب ، فبنوا أساس المسجد بالحجارة ، وجعلوا في وسطها اعمدة من الحديد وركبوها بالرصاص ، وجعلوا سقف المسجد مزخرفاً بالذهب وجعلوا وجه الحائط القبلي من داخل المسجد بالرخام الملون من اساسه إلى قدر قامة وجعلوا المنبر الذي كان يخطب عليه رسول الله ﷺ غشاء لمنبر جديد من الخشب وجعلوا للمسجد اربعة ابواب : باب السلام ، وباب الرحمة ، وباب جبريل ، وباب النساء ، وبالمسجد قبر رسول الله ﷺ .

ذكر عروة بن الزبير قال : دفن رسول الله ﷺ في السهوة ، ودفن ابو بكر خلف رسول الله ، ودفن عمر عند رجلي ابي بكر ، وبقية السهوة الشرقية فارغة فيها موضع قبر يقال ـ والله اعلم ـ ان عيسى بن مريم عليه السلام يدفن فيه ، وكذا جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ ، وقالت عائشة : رأيت ثلاثة اقمار سقوطاً في حجرتي فقصصت رؤياي على ابي بكر ، فقال لي : ياعائشة ليدفنن في بيتك من هم خير اهل الارض ، فلما توفي رسول الله ﷺ ، ودفن في بيتي قال ابو بكر يا عائشة هذا واحد من اقمارك وهو خيرهم ﷺ .

ذكر ذلك الامام ابو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي في دلائل الخيرات ومن خلف قبره ﷺ قبر فاطمة الزهراء على قول ، وسأذكر ترجمتها بالتفصيل ان شاء الرب الجليل في تاريخي ازهار الناظرين في اخبار الاولين والآخرين وبازاء المسجد من خارج السور البقيع وبه قبر العباس عم النبي (ص) والحسن بن علي بن ابي طالب وعلي بن الحسين بن ابي طالب عليه السلام ومحمد الباقر ، وجعفر الصادق عليهما السلام

وسأذكر تراجمهم جميعاً مبسوطةفي تاريخي ازها رالناظرين، وأسأل الله ان يوفقني على اتمامه ويمين ، الجميع في ضريح واحد وعليهم قبة عظيمة ومقابلهم قبر فاطمة الزهراء على قول ، وبه قبر عائشة وقبور أزواج النبي (ص) وقبر ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وبعض الاصحاب ، وقبر الامام أنس بن مالك ، ونافع ، وقبر عثمان بن عفان ، وعليه قبة عظيمة ، وقبر فاطمة بنت اسد ام علي بن ابي طالب ، وقبر حليمة السعدية مرضعة النبي (ص) وبالمدينة المنورة بئر بضاعة ، يقال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتى إلى بئر بضاعة فتوضأ من الدلو وردها إلى البئر وبصق فيها وشرب من مائها ، وكان إذا مرض احد بالمدينة في ايامه ، يقول : اغسلوه بماء بضاعة ، فيغسل من مائها ، فيقوم كأنما نشط من عقال .

قالت اسماء بنت ابي بكر : كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة ايام فيتعافون ، وبها بئر ذروان .

روي ان النبي (ص) مرض في بعض السنين فبينما هو بين النائم واليقظان إذ رأى ملكين اتياه ، فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : ما وجعه ؟ قال : طب اي سحر ، قال : ومن طبه ؟ قال : ابن الأعصم اليهودي ، قال : فأين طبه ؟ قال : في كرنبة تحت صخرة في بئر ذروان فانتبه رسول الله (ص) وقد حفظ كلامهما فارسل علي بن ابي طالب وعماراً مع جماعة من الصحابة فأتوا إلى تلك البئر فنزحوا ماءها وانتهوا إلى الصخرة التي بها فقلبوه فوجدوا الكرنبة تحتها وفيها وتر فيه احدى عشرة عقدة فأخرجوها فزال وجعه ، وانزل الله عليه المعوذتين وهما احدى عشرة آية على عدد العقد فجعل يقرأ آية ويحل عقدة بعد عقدة حتى حلها جميعها من ذلك الوتر ، وبها مسجد قبا المشهور المأثور ، وقبا هذه قرية على ميلين من المدينة المنورة وبها بئر غرس .

كان النبي (ص) يستطيب ماءها ويبارك فيها ، وقيل انه تفل فيها ، انتهى كلام ابن اياس في نشق الازهار وبها العين الزرقاء وماؤها عذب لطيف .

ولله در من قال :

مدينة خير الخلق تحلو لناظري فلا تعذلوني ان اموت بها عشقا
يقولون في زرق العيون شآمـة وعندي ان الحسن في عينها الزرقا

قال العلامة المحقق المدقق السيد محمد كبريت المدني في رحلته : العين الزرقاء منسوبة إلى الازرق بن مروان لانه اجراها وهو وال على المدينة المنورة واصلها من غربي مسجد قباء ، وتجري إلى المصلى وعليها قبة يخرج الماء منها على وجهين شرق وشمالي ، ولعل الزرقاء صفة للعين لان جميع مياه ذلك الوادي يرى كالنيل الازرق ، ولان ذلك الماء كان قبل مروان وآبائه ، وكانت في المدينة عيون متنوعة متعددة ، وقد صارت في خبر كان ، إلا ان ذيولها وآثارها باقية تشهد عليها .

قيل : وكان يجد بالمدينة وأعراضها مائة وخمسون الف وسق بعير من التمر ويحصد مائة الف وسق من الحنطة ، ويروى انه كان بالمدينة من عيون النبع غير الجارية ستة عشر الف سانية .

حكى السمهودي في الخلاصة : انه لما قدم المدينة تبع احصاها ، فكانت كذلك، وهذه الخلاصة من احسن تواريخ المدينة الشريفة ، وأنشد في ذلك اجازة لنفسه للشيخ ابراهيم ابي الحزم سنة ١٠٢٤ :

من رام يستقصي معالم طيبة ويشاهد المعدوم كالموجود
فعليـه باستيفاء تاريخ الوفا تأليف عالم طيبة السمهودي

انتهى كلامه رفع مقامه ، فاقمنا في طيبة اربعة ايام ، وبلغنا زيارة الحبيب المرام ، وصاحبيه الكرام ، وبنته فاطمة الزهراء سيدة نساء الأنام ، ام الأئمة الاعلام ، وزرنا سكان البقيع وجميع من جاور الشفيع ، وزرنا عم النبي اسعد السعداء ، حمزة سيد الشهداء :

زرنا وفزنا بالهنا والثنا والحمـد لله بلغنا المنا

﴿ ذكر مقامة الزرندى ﴾

أقول : لا بأس باثبات هذه المقامة اللطيفة ، وما حوت من المعانى البديعة الظريفة ، وانطوت عليه من الآيات والاحاديث الشريفة لانها قليلة الوجود ، وهي للفاضل العلامة المحقق النحرير الفهامة المدقق القاضي نور الدين علي بن يوسف الزرندي المدني الأنصاري الناظر في امر الحسبة والحكم بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، قالها عام ثمان واربعين وسبعمائة ، وسماها المرور بين العلمين إلى المفاخرة بين الحرمين .

قال : رحمه الله تعالى: الحمد لله ماحكي من مناظرة الحرمين ، ومفاخرة المحلين المعظمين ، ذكر انهما اجتمعا في ميدان الفخر ، ومن دونهما حجاز ، وليس معهما لغيرهما في هذا المقام على الحقيقة مجاز ، فبرز حرم المدينة ، وتسنم شرفاً من الشرف عالـ ، واستفتح المقام فقال : الحمد لله الذي فضلني على سائر البلاد ، وجمع لي بين طريف الفضل والتلاد ، وشرفني بحلول خير العباد ، واشرف كل حاضر وباد والبسني ملابس الفخر الفاخرة ، واعلى مقامي في الدنيا والآخرة ، وجعل تربتي شفاء من السقام ؛ وغباري دواء من الجذام ، فلي الشرف على كل اقليم ، والفضل في الحديث والقديم ، وباسمي ينوه كل خطيب ، وعرف تربتي اطيب من كل طيب :

لا تحسب المسك الذكى كتربها   هيهات اين المسك من رياها

فالمقام بي من المكاره جنة ، إذ كانت في روضة من رياض الجنة ، وحسبي فخرا بالمنبر الذي علت مراقيه ، وحاز جميع الشرف براقيه ، فالى مسجدي تشد الرحال من كل قرية وفلاه ، والصلاة فيه كما علم بألف صلاه ، فلي الفخار الباذخ والشرف الذي هو بأرض المجد راسخ فلا غرو ان سبقت في هذا المضمار وركضت في ميدان الفخر فاحق الخيل بالركض الفرس المعار ، فلما سمع الحرم المكي هذه العبارة وفهم دلالة تضمنها والاشارة .

قال كانك تقولين : اياك اعنى واسمعي يا جارة ، ايها المدينة المسكينـة ، عليك بالسكينة إلي تمرضين ، ام لي تتمرضين ، ام علي تستظهرين ، ام مع وجودي تفتخرين ، تالله ما سال اليك إلا ما فاض مني ولا وصل اليك إلا ما فصل عني ، أما علمت ان بنيتي افضل البنيات ، أما سمعت قوله تعالى (فيه آيات بينات) الك مثل الـكعبة ذات الستور ، او البيت المقابل بالبيت المعمور ، الذي هو عين الوجود ، ومطلع السعود ، أفي صفاتك كالصفا ام في نعيمك كالتنعيم ، ام هل قام لك مقام كمقام ابراهيم ، وهل حدا حادي مياهك مثل الصفا وزمزم ، ام تحققت كيمياء السعادة ، وظفرت بالحجر المكرم الذي هو كالمقلة السوداء في البيت ، او كمشكاة فيها من الجنـة زيت ، فارفقي بنفسك ، واياك ان تترفعي على ابناء جنسك ، فان كانت الصلاة في مسجدك بألف ، فهي في مسجدي بمائة الف ، وحول بيتي من الملائكة المصلين والطائفين كم من صف ، وان فخرت بحلول الشفيع ، ففي كان مسقط رأسه الرفيع ﷺ :

بلاد بها نيطت على تمائمي   واول ارض مس جلدي ترابها

فاقلي من هذا الفخر فربما ذم الفخور ، والمتشبع بما لم يؤت كلابس ثوبي زور فلما سمعت المدينة هذه المقالة ، اشتعلت ولا اشتعال الذبالة ، وبرزت بين انصارها واعوانها كالقمر وسط الهالة ، وقالت يا لله العجب ،من دفع الحق وقد وجب ،قول ولا معنى ، اسمع جعجعة ولا ارى طحنا ما هذا الفعل الذي اتيت ، لقد وقعت فيما ابيت ، وارتكبت ما عنه نهيت :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

ويلك ارفعي ذيل اعجابك ، وخفي فقد آذتك بعض اثوابك ، هيهات اين النجم من البدر والقطر من البحر ، ولـكن اليوم خمر ، وغداً امر ، فان كان فيك مقام الخليل ، فعندي المقام الجليل وان كانت كعبتك بثنية الحسن فخالي كله جميل ، وان فخرت بالبيت المقابل بالبيت المعمور ، فـكل بيت من بيوتي بنور الحبيب معمور ،

وان اتيت بالصفا أتيت بالنبي المصطفى ، وان جئت بالتنعيم جئت بروضة من جنات النعيم ، وان نظرت إلي من عين البيت وزمزم بالمقلة السوداء قابلتك بالقبة الخضراء وبهرتك من بيت مالي بالبيضاء والصفراء ، ونظرت اليك بالعين الزرقاء ، وان كان بيتك عين الوجود وظفرت بالحجر المكرم الذي لا يضاهى ولا يباهى فعندي :

إنسان عين الكون سر جماله (يس) إكسير المحامد (طه)

وأما ما ذكرت من تضعيف صلاتك ، وتكثير صلاتك ، بالتضعيف يحتاج إلى طبيب حاذق فانه ضعيف ، ولم يسلم بسنده ولامتنه بأسنة السنة النقاد من الطعن والتجريح ، وأما حديث مسجدي فشائع سائغ من المحض الصريح ، وان كان حولك من الملائكة صفوف ، ففي من صنوف الملائكة الوف ، او ما بلغك انه ينزل في كل يوم بعد صلاة الفجر والعصر ، على الضريح الشريف سبعون الف ملك ثم لا يعودون إلى آخر الدهر .

وأما ما ذكرت من ان فيك كان مولد النبي العظيم ، وبك كان مسقط رأسه الكريم ، فقد صدقت ولكن ولدتيه وربيته وأخرجتيه وآويته ، وخذلتيه ونصرته وعققتيه وبررته ، وكان بطني وعاءه ، وحجري فناءه ، وكنت له اماً شفيقه ، وبه ولله الحمد رفيقه ، وذلك كما قيل بجدي لا بكدي ، وبتوفيق الله كان سعدي ، فدعي المكابرة ، وانصفي عند البحث والمناظرة ، وأياك ان تأبى هذه الخطة فتقعي معي في ورطة ، فحين قرع سمع مكة هذا الكلام ، وفزعت بما القى اليها من الملام، قامت وقعدت وبرقت ورعدت ، واسفرت عن وجهها فضل نقابها ، وكشفت ما كانت سدلت من حجابها ودخلت إلى ميادين الفخر من بابها ، ونطقت بملء فيها ، واظهرت السرائر التي كانت تخفيها ، وقالت : واعجباه كيف جسرت على الاسد في آجامها الأرانب ، لقد ذل من بالت عليه الثعالب ، ولقد زاحمت الجلان القرح في المرعى ، واستنت الفصال حتى القرعى ، بأصفر او بأبيض غرى غيري ، ويحك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، فبالله إلا ما تنهنهت عن كلامك ، وتنبهت من

منامك ، فما هلك امرؤ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ، الست ام القرى ، الست انه اقام في ثلاثة وخمسين سنة سيد الورى ، وانما اقام بك عشراً او دون العشر ، فان لم يكن ذلك العشر فهو قريب من العشر ، الست اول بيت وضع للناس ، اليس ان الخليل والذبيح رفعا مني الاساس ، وهات خبريني ، افيك كل يوم وليلة ينزل مائة وعشرون رحمة ، او في كل ساعة تتوارد عليك نعمة أثر نعمة ، ام فيك الاماكن التي الدعاء فيها متحقق الاجابة ، ام بك مثل الحرم الرحب الذي حفته السعادة وملأت البركة رحابه ، ام لك مثل الميزاب الذي تصب منه الرحمة صباً ، ويغدو المشتاق اليه مغرما ويروح صباً ، ام في اوديتك كوادي ابراهيم ، الذي يجري بالخير العميم ، ويأتي بالبر الجسيم ، الك كالأبطح والبطحاء ، ام في ساعة انعام جبالك كنوز وحرا ، ام في ثنايا ثغورك ككداء وكرا ، كلا والله لا قائمة لك معي في بيت الفخار ، ولاقاعدة ولابارقة لك في سماء العلى ولا راعدة ، فاقعدي في بيت حيائك وقري ، وعزي من هو اكبر منك ووقري ، واياك ثم اياك ان تحتقري ، ولا تنقبي عما يعود عليك ضرره ولا تنقري ، واقصري من شأوك ، وقصري بعض خطوك ، فقد دللتك طريق اخوان الصفا ، وقد نصحتك فيما قلته وكفى .

فقامت المدينة عند ذلك على قدميها ، ونظرت بعين حمراء اليها ، وكشفت للحرب عن ساقها ، وامسكت ملابس فخار ضرتها من اطواقها ، وقالت :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى اضع العمامة تعرفوني

تالله لقد وضح الصبح لذي عينين ، ولا يطلب اثر بعد عين ، ويحك ما هذا الافتخار مع الافتقار ، والاستصغار لكبير المقدار ، فان تقولين اني اصغر منك سناً ، فافهمي المعنى ، فاشرف اعضاء الانسان العين واشرف العين الحدقة ، وان الذبابة لتدمي مقلة الاسد وفي الشرارة ضعف ، وهي محرقة كيف ومقداري كبير وشرفي خطير ، فاحذري ، فمتى لاقى زهير شبابي هرم سنك ، هزمت ولم يبق لك

بعد الهزيمة غير قرع سنك ، ويحك أما يكفيك انك لا تعين ، وتقولين ولا تسمعين ثم توبخين وتقر عين ، فلا بالموعظة تتعظين ، ولا من عض الملام تتمظين ، فان كنت ام القرى ، فمن صفتي اني القرية اكالة القرى ، فجميع البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت بالقرآن ، أما يكفيك ان مني ظهر الدين واشتهر الايمان ، فهل امتزت بهذه المزية ، ام حصلت لك هذه الخصوصية ، وعلى الحقيقة فانا الذي فتحتك ومنعت عنك الضير والخير منحتك ، فما عرفت لي هذا القدر ولا رفعت بذلك مني الاجر ، لا يشكر الله من لا يشكر الناس لكن :

من يفعل الخير لم يعدم جوازيه   لن يذهب العرف بين الله والناس

وأما قولك بأنك خصصت من الاقامة بالاكثر ، وخصصت بالدون ، فذهلت عن المعنى (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) بل اقول لك اعكسي تصيبي فنصيبك من ذلك عشر معشار نصيبي ، فانه ﷺ حي بمثواه ، ولكنه اوى إلى الله فآواه ، ومتى طلع بدري من ثنيات الوداع ، لم يطلع لك معي نجم ، او تبسمت ثنايا ثغور آكامي بكت جفون تلال كدائك ولم يبق لجسمها حجم ، او استرقت شياطين خرابتك السمع من سماء سموى قابلتها ملائكة السكينة من سكاني بالرجم وان افتخرت بوادي ابراهيم ، ففي كل واد من اوديتي قلب المحب يهيم ، وان كان حرا عندك جسمه وقلبه ، فأحد جبل يحبنا ونحبه ، واين العقيق من البطحة والدر من الحصباء ، بل اين الهبا من البها ، ومع ذلك فلي شرف سوى ما ذكرت ، ومجد غير ما اليه اشرت ، وهو ما يبدو بأرجائي من الانوار ، ويظهر من معروف جلي التجليات وسرى الاسرار ، ويكفيك من عظيم خطري وسعادة جدى ، ان البركة موجودة متحققة في صاعي ومدي فهل لك مثل هذه المنقبة ، أم هل وصلت إلى هذه المرتبة ، فلما سمعت مكة هذا القول قالت :

اللهم اني ابرأ اليك من القوة والحول ، واستمد منك الفضل والطول لقد آلت هذه الفريضة إلى العول ، ثم التفتت إلى صاحبتها التفات الاسد الخادر ،

وأتت من بيت مفاخرها بالاول والأخر ، وقالت : الآن حمي الوطيس ، وزال التدليس والتلبيس ، اذكرتني الطعن وكنت ناسياً ، ويحك أتسددين إلي سهاما أنا لك ريشتها ، وترسلين إلي من افتخارك ضبابا انا التي احترشتها ، اظننت انك مثلي او ان كلامك يدخل اذني او يقبله عقلي ، او ما عرفت من لفظي فضلي ، اما تحققت ان ابناء لبوتك لايستطيعون بزلي فهل لعقدك نحر كنحري ، أم قد غرقت سفينتك في لجة بحري ، أما خشيت ان تحترقي إذا دنوت من تلك الجمرات أما في قلبك من محسر حسرات ، بلي والله وتذهب عنك انصارك ويفترق الجمع ، متي قابلتك من مفردي بجمع ، فلو شاهدت عرفة لعرفت من قدرك ، ولحقرت ما عظمت من امرك ، اتراك ، إذا خطرت بوادي الأراك ، يخطر ببالك ان ما ثم سواك ، وإذا ذكر نعمان هل ينعم بال واديك ، بل إذا اعيد حديث حنين سكن حنين نياق ناديك ، فكم مخالف لهواه ، وهو لي محالف ، وكم من واقف ببابي وعاكف ، وكم من طائف لي ومعتمر ، فرحباً بطواف بفنائي ، وإذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ، أما علمت انه من شراب الجنة مشروبي ، أما عرفت انه لا يزال معي محبوبي ، أما كل من اتاني وقلبه سليم يروح وهومن الوجد بي سليم فاقسم من نجوم مياهي بالزاهر ، ومن جيادي في صافي مصافها بالسابق الباهر ، لئن لم تكفي غرب سوانيك وتثني عنان ثنائك على مغانيك لاجردن اليك من مفاخري جيشا مالك به يدان ، ولألقين انصارك بكل هاشمي خؤلته بنو عبد المدان ، فقفي عند حدك ، فكم ترهبين بجزرك ومدك ، ولا تكوني كالباحث عن حتفه بظلفه ، فمقتل المرء بين فكيه ، وربما قتل الانسان بسيفه ، واياك وبأسي العتيد ، وبطشي الشديد فان كان لسان فخرك ذهباً او فضة فلساني حديد وحذار ثم حذار من شفار النفار ونصال نضال النظار والنقار ، فقديما قيل :

توق معاداة الرجال فانها ... مكدرة للصفو في كل مشرب
ولاتستثر حرباً وان كنت واثقاً ... بشدة بأس او بقوة منكب

ولايشرب السم الزعاف اخوحجا   مدلا بدرياق لديه مجرب

ويكفيك ان الجمهور ، يحكم لي عليك بالغلبة والظهور . فلما سمعت المدينة كلامها ضربت طبولها ونشرت اعلامها ، وبرزت بروز الاسد من غابه ، والسيف من قرابه ، وقالت : ويحك أتستصغرين قدري ، وتختصرين امري ، وأنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، وسنامها المذرب ، وفارسها المجرب ، فوا عجبا تستخفين ثم تستخفين ، وتستنكفين ولا تنسكفين ، أما بلغك ان البادىء اظلم ، وان دفع الشر بالشر احزم ، أما سمعت قول الاول :

دع الشر وانزل بالنجاة بمعزل   إذا انت لم يصبغك بالشر صابغ
ولكن إذا ماالشر ارخى قناعه   عليك فجود دبغ ما أنت دابغ

وقول الآخر :

إذا أنت لم تنصف اخاك وجدته   على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من ان تضيمه   إذا لم يكن عن شفرة السيف مرحل

وعجبت منك تفتخرين ببواديك وبواديك ، وينادي مناديك بناديك ، وها أنا اقول ليس ذا بعشك ، فادرجي ، ولا بمقامك فاخرجي ، وحيث وصلت إلى هذا المعترك ، حصلت في الحبالة ووقعت في الشرك ، وامكنت الرامي من الرمية ، وارحتيه من هذه القضية ، فمتى ذكر لسمومك نسيمي العليل صار قلبه من حره مريضاً او كالمريض ، او عارض فضائي الواسع مآزميك ، وقع معه في الطويل العريض ، او عاينت شجرتك من نخيل تلك الثمرات ، تمل قلوبها غمرات ، ثم تتحلين ولكن يتحلى تلك الثمرات ، او شاهد واديك خلال اشجار العقيق ، ظلال تلك الثمرات يتلهف اسفاً على ما فاته من ذلك ويتلهب حسرات بالزفرات فلا جرم ان كان في قلبه لذلك جمرات ، ومهما بدت لك غابتي فررت من آسادها ، او لاحتلك العوالي ردت سيوف فخرك في اغمادها ، أما سمومك تذوب منه كل كبد حرا ، وكلما حلا وقت فيك ذهب سريعاً ومرا ، فاعقب مفارقه صبراً ، فأنت

في جبالك مع ارضى الواسعة في ضيق ، فلتسا فرعين شعابك الضيقة ، في فسيح ارضى ولتمر بي فانا على الطريق ، وما برحت تطيقي من الاكباد برياضى البهجة حرارها فتطفي نسائمي الارجة نارها وتخبو أوارها ، وأعلمي انك متى قابلتيني بنحرك كفتك حجتي ، ولم ادفع مقالتك بصدري ، او تبديت لي بحسنك قابلتك من الجمال ببدري ، وان جلوت عروس كعبتك اتيت من الملي بالبهاء والكمال الجلي ، او افتخرت بطوافك وعمرك افتخرت من مقامى بالجمال ، والجمال بعلي وان اجريت ذكر زمزمك ومصافيك ، او مراعي شعابك وواديك فاسمعي ثم انظري فليس الخبر كالعيان ، ماء ولا كصد او مرعى ولا كالسعدان ، وان كان عندك المشروب فعندي الساقي او سليم المحبة ، فلدي الصاعد في درج المعالي والراق ، واراك تفتخرين بوادي الاراك ، وتجنبين جيادك بين يديك ووراك ، فبالله إلاما تركت ما عداك من مرادفكم لي بارضى ، رياضي من عين ، كالخنساء تجري على صخر ، وأنا سيدة البلاد كما ان ساكني سيد العباد ولافخر ، وأقسم من غاباتي بالاسود ، ومن اكباد لابتي بالحرار السود ، ومن ازهار رياض بويتتي بالبرود ، ومن اغصان نخيلي واشجاري بكل قد املود ، ومن رماح بساتيني بالعالية ، ومن سوانى جنانى بكل ساقية جارية ، وجارية ساقية ، لئن لم تتركى بعض نفارك وتلبسى ثوب وقارك ، لأبعثن إلى مياهك من عيونى نقاد عيون يظهر زيف جيادها ولأجردن اليها من معالمي جيشاً يقلع خيام فخر جبالها باوتادها .

وأما ما احتججت به من كلام الجمهور ، وان ذلك عندهم هو القول المشهور فجوابك فرق ما بين الدرهم والدينار في الصرف ، والناس الف منهم كواحد وواحد كالالف ، وانت إذا حققت المآخذ والمدارك تيقنت ان كمالي فوق كمالك ، وإذا أمعنت النظر حق الامعان ، فمالك كمالك، وحسبك من دحوض حجتك والانقطاع ، ان ماضم اعضاءه الشريفة أفضل الارض بالاجماع ، وهاك خذي من الفضائل ماليس مثبتاً في بطاقتك ، ومن ابواب المفاخر ما يكون فوق طاقتك ، ان الطاعون لا

يقرب نقابي ، ولا يدخل كما لا يدخل الدجال باباً من ابوابي ، فهل لك في هـذه المسألة قول او عمل ، كلا والله لا ناقة لك في مرج هذه الخصوصية ولا جمل ، وما برح سكاني يودون من هاجر من كل واصل او وارد عليهم ؛ وكذلك يحبون من هاجر اليهم ، ولا يستبدون بشيء عن جارهم ولا يستأثرون ، ولا يجدون في صدورهم حاجـة مما اوتوا ويؤثرون ، فأسبلي عليك استار حجبك وارجعي من قريب إلى ربك ، واقلعي عن تيهك وعجبك .

فلما انتهى بهما الحال إلى هذا المقام وبليت كل واحدة من صاحبتها بالداء المقام ، أقبلت مكة عليها ، وقالت : دعينا من هذا المراء والجدال ، وكثرة القيل والقال ، فالى كم هذا النزاع والمصاع ، وكيل الكلام بالمد والصاع ، وتعالى فلنرفع امرنا إلى حاكم يريحنا من التعب والنصب ، ويزيحنا من مكاننا هذا الذي حصل فيه الخلاف والشغب ، فقالت لها اختها : ومن يكون ذلك ؟ او يجسر ان يسلك هـــذه المسالك ، غير من اعتضدت بنصرته الملة الاسلامية ، وظهرت بحسن ايالته الشريعة المحمدية ، المخصوص بعناية رب العالمين ، المؤيد بالملائكة المقربين سيد الملوك والسلاطين ، كهف الفقراء والمساكين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، الذي شمل عدله البلاد ، وعم فضله العباد ، السلطان الملك الناصر حسن :

تناؤنا لم يزده معرفة　　　وانما لذة ذكرناها

أدام الله ايامه وأعلى اعلامه ، ولازالت الامور برأيه العالى منتظمة وسيوفه في رقاب اعاديه محتكة ، والممالك بسياسته العظمى محوطة ، واموره بسيرته المحمودة مظبوطة ، وامره العالي نافذاً في الخافقين ، وحكمه السعيد يبلغ المشرقين والمغربين فقالت لها مكة : لله درك ما اظرفك ، واخبرك بطريق الرشاد واعرفك ، ولا غرو فقد كان يقال أفطن من مدني واخبث من ارمني ، فعلى الخبير سقطت ، وبباب المجد والعلى حططت ، فما هـذا التكاسل والقعود فلتركب كل واحد منا للاغتراب غارب قعود ، ولنتمثل بين يديه ، ولنطرح انفسنا لديه ، ولنبث له ما في صدورنا

ولنشرح له جميع امورنا ، ونبرز ما كان مكنوناً في تامورنا ، فقد وقفنا من عدله وفضله على علمين ، ووقفنا من امره العالي وفهمه إلى اشرف حكين ، ففي بيته يؤتى الحكم ، ومن معادنه تستنبط الحكم ، فتبادرا إلى المقام العالي ، وجريا جري السيل ، وتسابقا مسابقة النهار والليل ، فلما حلتا بالمقام الشريف ، ومد عليهما من ذلك الظل الوريف بدرت المدينة ، البرة الامينة ، وما زالت إلى الخير سابقة وصارت في المقدمة ، وخلفت اختها في السائقة ، وأنشدت :

سلا من سلاني والفؤاد له سكن عسى تقرب الحسنى إلى وجهه الحسن
يقولون لى صف من سباك جماله فقلت جوابا مجملا كله حسن
وقال لى العذال تعرف ذا الفتى وقد فتنوا اذ مر قلت فتى فتن

ومنها المخلص :

اليكم فانى في الملاح تغزلى ومدحي في السلطان ملك الورى حسن

وهى طويلة نحو تسعة وخمسين بيتاً ، فلما رأتها صاحبتها مجلية حين تقدمت وتكلمت ، وصارت هى خلفها مصلية سلمت ، ثم انها التفتت إلى صاحبتها وقالت لاعطر بعد عروس ، فقد زال عنا ولله الحمد العنا والبوس ، ووصلنا إلى المقام العالى والمحل المأنوس ، فلتندب كل واحدة منا مصابها ، ولتذكر ما أصابها ، فقالت لها المدينة قاتلك الله تسرين حسوا في ارتفاء وتمزجين شكوى برجاء ، على غيرك العفا فما هذا الدعاء والجفا ، فقالت : سبق السيف العذل ، وبطل القول بعد العمل ، فاتركى عنا اللوم واسعديني بعد اليوم فقد جمع المشكو والشاكى وان لم تبك فتباكى

بالله يا حمام اسعدينا ان الحزين يسعد الحزينا

ومن علي بقطرة ياخليلي من العين ، ليزول هذا البين من البين :

اجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

آخر :

وان لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا فكونوا اناساً يعرفون التجملا

ثم انها اقبلت على الجناب الشريف وتنهدت ، ورفعت عن برقعها وأنشدت:

أنقذ بقية شلوى من يدي زمن اضحى بقد أديمي قد منتهس

دعوتك الدعوة الاولى وبي رمق وهـذه دعوتي والدهر مفترسى

ثم قالت : ما قلت حتى لحق السكين العظم وبلغ السيل الربى ووصل الحزام الطبيين ، وقال الحائط للوتد لم تشقني ، قال سل من يدقني :

فان كنت مأكولافكن خير آكل وإلا فادركني ولما امزق

آخر :

وإذا الفتى لعبت به ايامه لم يستعن إلا بعون كريم

فاعن على الدهر الغشوم فانما يدعى العظيم لدفع كل عظيم

فقالت لها المدينة : وإلى هنا انتهيت ، فما أبعد ما رميت ، ثم قالت : لا عتب يغشاك ولا لوم ، ولا كرب عليك بعد اليوم :

وما شرب العشاق إلا بقيتي ولاوردوا في الحب إلا على وردي

ولـكن شكواي لا تشابه شكواك ، وبلواي لا تماثل بلواك ، وسؤالي غير سؤالك ، وحالي خلاف حالك ، أنت تشتكين من عدم الجيش ، وأنا اشتكي من قلة العيش ، وتذكرين اختلاف العمال ، وأنا اذكر قلة المال ، وتسألين الراحـة من الضير ، وأنا اسأل المزيد من الخير .

فقالت لها مكة : أليس الجنسية علة الضم ، وان الصداقة بين الاخوان نسب بني العم ، وقد اتفقنا في النسب ، وان اختلفنا في السبب ، فبينما هما يتجاذبان الحديث ، ويتذاكران ما دار بينها من القديم والحديث ، وإذا بزوال لائح ، وسواد سانح ، قد سد الافق ، وملأ الفجاج والطرق ، فقالتا ما الخبر وحققتا النظر ، وإذا بفقهاء المدرسة المعمورة ، وأرباب الاوقاف المبرورة قد اقبلوا زمرة أثر زمرة ، كانهم قافلون من حج او عمرة ، فجلسوا في مراتبهم ، وأخذوا ما لهم من رواتبهم ، وراح كل منهم بقسطه من ذلك وحقه ، ووصل اليه ما قسم له من

وافر رزقه ، فالتفتت المدينة إلى اختها وقالت : أترانا خلقنا بعد قسمة الارزاق ، أم ضاق علينا ما وسع الآفاق ، فما بالنا لم يحصل لنا من هذه القسمة قسم وان لم يكن لنا معهم فضل فلا اقل من الاسم .

ثم قالت : ان مثلنا في السكوت لا يعذر ، والشيء بالشيء يذكر ، والكلام في وقته عند ذوي المعروف غير منكر وقد تبد لنا بالبعد عن المقام الشريف والحمد لله قربا ، فتعالي فلنقدم بين يدي نجوانا صدقة ، وإذا حضر القسمة اولوا القربى ، ثم انها اقبلت على الدعاء للباب الشريف الغالى ، وأطالت وتوجهت إلى مقامه العالى ، وقالت : ليعلم مولانا السلطان ، أدام الله له التمكين والامكان وشيد بهمته العلية من الدين الاركان ، وجعل حكمه نافذاً بكل مكان ، ان المدارس خلت في تلك البقاع من الدروس والدارس ، وصارت كالطلل الدارس ، واعلام العلم بها خفى منه الرسم واعتل الجسم ، ولم يبق منها في الحقيقة إلا الاسم ، وقد كانت تلك الاماكن المطهرة ، منشأ الدين ومظهره ، ومشرع الشرع ومنبعه وينبوع بدر العلم ومطلعه ومبدأ الايمان ومعدنه ، ومحل التنزيل وموطنه ، وسبب قلة العلم بتلك الاماكن ، حتى لم يبق منه ساكن اشتغال طلبتها بطلب القوت ، وضيق احوالهم في غالب الوقوت ، وها نحن قد حضرنا لدى المقام الذي لا يخيب قاصده ، والباب الذي لا يشقى وافده ، والمورد العذب الذي لا يظمأ وارده ، فاجابت صدقاته العميمة ، وشيمه الكريمة ، وعواطفه الرحيمة ، وقالت لكل واحدة منهما لك هناك والقيام ان شاء الله تعالى بالأمر الذي عناك وعناك ، فليفرح روعك وليسكن روعك ، وبرز المرسوم الشريف باجابة سؤالهما ، والنظر في احوالهما ، فقبلتا الارض بين يديه واشتغلتا بالدعاء له والثناء عليه ، وابتهلتا إلى الله تعالى في دوام ايام دولته القاهرة ، وان يجعلهما على ممر الايام الظافرة الظاهرة ثم خرج لهما التشريف والانعام بعاماً لتاه على الدوام في كل عام ، ونهضتا قافلتين ظافرتين بسؤالهما بسلام ، وزال ما بينهما من الخصام والكلام ، والسلام .

﴿ فائدة ﴾

الكلام مشتق من الكلم بفتح الكاف وسكون اللام ، أي الجرح لتأثير معناه في النفوس السليمة كالجراح ، قال الشاعر :

جراحات السنان لها التآم ولا يلتام ما جرح اللسان

وعند الفقهاء هو عبارة عن حرف مفهم او حرفين افهما ام لا ، وعند اهل الكلام هو المعنى القائم بدأت الله تعالى لا الحروف ، ولا الاصوات ، وفي اللغة يطلق على ثلاثة امور الاول التكليم الذي هو الحديث .

تقول : اعجبني كلامك هندا ، أي تكليمك ، وإذا استعمل بهذا المعنى عمل عمل الافعال ، كما في المثال ، وكما في قول الشاعر :

قالوا كلامك هندا وهي مصغية يشفيك قلت صحيح ذاك لو كانا

أي تكليمك هندا ، والثاني ما في النفس مما يعبر عنه باللفظ المفيد ، فيسمى ذلك الذي تخيلته كلاما ، كقول الشاعر :

لا يعجبنك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام اصيلا

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والثالث ما تحصل به فائدة سواء ، كان خطاً او أشارة او لسان الحال ، والدليل على الخط قول العرب القلم احد اللسانين وتسميتهم ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى ، والدليل على الاشارة قوله تعالى ، قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام إلا رمزا ، فاستثنى الرمز والدليل على لسان الحال قول الشاعر :

فعاجوا فأثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

وفي الاصطلاح ماجمع قيود اربعة ، وهي اللفظ والتركيب والافادة والوضع من كلام النبي المكرم محمد ﷺ : ايها الناس انما انتم خلف ماضين ، وبقية متقدمين كانوا اكثر منكم بسطة ، واعظم سطوة ، فغدرت بهم اوثق ما كانوا بها ، فلم

تغن عنهم قوة عشيرة ، ولا قبلت منهم بدل فدية ، فارحلوا نفوسكم بزاد مبلغ قبل ان تؤخذوا علي فجأة ، فقد غفلتم عن الاستعداد ، وقد جف القلم بما هو كائن

من كلام الامام جعفر الصادق عليه السلام : فسد الزمان ، وتغير الاخوان ، فصار الانفراد اسكن للفؤاد :

يفشون بينهم المودة والوفا وقلوبهم محشوة بعقارب

توفي الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر عليهما السلام سنة ثمان وأربعين ومائة وصنف الخافية في علم الحروف ، وقد ازدحم على بابه العلماء ، واقتبس من مشكاة انواره الاصفياء ، وكان يتكلم بغوامض الاسرار والعلوم الحقيقية ، وهو ابن سبع سنين ، وقد جعل في خافيته الباب الكبير (أ ب ت ث) إلى آخرها والباب الصغير (ابجد هوز) إلى قرشت ، وهو مصوب ومقلوب .

من كلامهم : الوفاء شيمة الاخيار وصفة الابرار .

حكى اليافعي : ان النووي خطف سارق عمامته وهرب فتبعه وصار يعدو خلفه ويقول قد ملكتك إياها يا هذا ، فقل قبلت ، والسارق لم يلتفت إلى قوله .

توفي شيخ الشافعيـة محي الدين ابو زكريا يحيي بن شرف بن مري بن حسن الشافعي النووي بدمشق سنة ست وسبعين وستمائة وله التصانيف المشهورة التي هي بالفوائد مغمورة ، وقد نظم بعضها بعض الفضلاء ، فقال :

هذب المذهب شيخ أحسن الله خلاصه

ببسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

هـكذا سمعت هـذين البيتين في شأن النووي من شيخي واستاذي السيد عبد الله ، وسمعت من الفاضل المجيد مولانا السيد حسن ان هذين البيتين في شأن الامام الغزالي ، والله اعلم .

قال الشيخ العارف بالله محي الدين بن محمد العربي في كتابه الفتوحات المكية كان الشيـخ ابو عمران موسى السدراني من الابدال ، وقـد ظهرت عنه اسرار

عجيبة ، وحالات غريبة ، وكان سبب اجتماعي به اني قعدت يوماً بعد صلاة المغرب باشبيلية في حياة الشيخ ابي مدين وتمنيت اني لواجتمعت به والشيخ في ذلك ببجاية مسيرة خمسة واربعين يوماً ، فلما صليت المغرب دخل علي ابو عمران موسى وسلم فاجلسته إلى جانبي ، وقلت له : من اين جئت ؟ قال : من عند الشيخ ابي مدين من بجاية ، قلت : متى عهدك به ؟ قال : صليت معه هذه المغرب ، فرد وجهه إلي وقال لي : ان الشيخ محمد بن العربي باشبيلية خطر له كذا وكذا فسر اليه الساعة واجبه عني بكذا وكذا وذكر لي ما خطر لي من رغبتي في لقائه ، وقال لي : يقول لك الشيخ أما الاجتماع بالارواح فقد صح بيني وبينك وثبت ، وأما الاجتماع بالاجسام في هذه الدار فالى الله تعالى ذلك فسكن خاطرك ، والموعد بيني وبينك عند الله في مستقر رحمته ورجع اليه .

وكان الشيخ موسى السدراني من اهل السعة في الدنيا فخرج عنها والتحق بالابدال ، وكان يتبوأ من الارض حيث شاء ، وكان قد وشى بالشيخ موسى عند السلطان ، فأمر باحضاره ، فقيد بالحديد وصير به ، فلما قرب من مدينة فاس القي في بيت وأقفل عليه ، وبات عليه الحرس ، فلما اصبح فتح الباب فوجدوا الحديد الذي كان عليه مطروحا ، وما وجدوه في البيت ، فدخل الشيخ فاس وقصد دار أبي مدين شعيب فقرع الباب فخرج اليه الشيخ بنفسه وقال له : من انت؟ قال انا موسى فقال الشيخ وانا شعيب ادخل ولا تخف ، نجوت من القوم الظالمين .

قيل : الدهر حسود لا يأتي على شيء إلا وغيره ، وقيل لا ضمان على الزمان

حكي عن محمد بن القرظي انه قال : بلغنا ان عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس ، ومثلها للجن ، ومثلها للطير ، ومثلها للوحش :

لكل ولاية لا بد عزل وصرف الدهر عقد ثم حل

وأفضل دولة تبق لوال على الايام احسان وعدل

وقال بعض العلماء : انه كان حرس سليمان عليه السلام ستمائة الف ومنزله شهرا ،

فيا إخوان الصفا ، ويا خلان الوفا ، اين من لبس الحرير ، وجلس على السرير ، وملك الاقاليم السبعه ، وبث فيها عسكره وجمعه :

ان لله عباداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الاعمال فيها سفنا

* * *

﴿ ترجمة عين إمام الافاضل ، ودرة تاج السادة الاماثل ، عين ﴾
(ذوى البلاغة واللسن ، صاحب الذكر الجميل والثناء الحسن)
(السيد جمال الدين بن نور الدين بن أبي الحسن)

فاضل له في سائر العلوم الباع الاطول ، وهمام عليه في كل المهمات المعول ، ان تكلم في سائر العلوم شنف بلذيذ كلامه المسامع واحيا القلوب ، او لفظ إلى ساحله جواهر الالفاظ ، شهد له بأنه بحر البلاغة الجوهري ، واقر له ابن يعقوب وأما في النظم والنثر ، فاليه يشار بالاكف بين بلغاء العصر ، تغرب رحمه الله تعالى عن وطنه مكة المشرفة إلى الهند ، حيث لا ليلى ولا سعاد ولا هند :

يقول الهاشمي غداة جزنا بحار الهند نقطع كل وهد
أأسلو عن هوى أثلاث نجد وأين الهند من أثلاث نجد

ثم انه أقام بالدكن ، واختارها مقراً وسكن ، وما زال بها مقيا بعز وسؤدد وجاه ، ومكان مكين في جانب سلطانه ابى الحسن قطب شاه ، يقصده العفاة من كل مكان فيعمهم بالفضل والاحسان كانه في عصره سليمان ، وما برح في دولة ورياسة واكرام ، وكرم يخجل قطر الغمام ، إلى ان دعاه إلى قربه رب العباد فنقله إلى الجنة من حيدر آباد ، قدس الله روحه الطاهره ، وأفاض عليه شآبيب رحمات متواترة ، وله النظم الجيد الفريد ، الفائق على نظم جرير ولبيد ، فمن كلامه

اللطيف ، ونظمه الرائق الظريف ، الذي اقر له بالفصاحة الشاب الظريف ، قوله متغزلا على روي ، قصيدة الفاضل العلامة ، الحبر الفهامة ، الآتي ذكر ترجمته ان اذن الله لنا بالبقاء والسلامة ، الشيخ بهاء الدين محمدالعاملي ، عامله الله بفضله واحله دار المقامة ، ومطلعها :

يا نديمي بمهجتي افديك قم وهات الكؤس من هاتيك
اسقنيها ممزوجة من فيك بالذي اودع المحاسن فيك
وأجل كاساتها علي وقل يا نديمي بمهجتي افديك
وانتهز فرصة الزمان بها واغتنم صفوها فما يدريك
فهي راحي وراحتي وإلى حانها رحلتي بلا تشكيك
ان اكن مغرماً بها فلقد فتنت كل عابد نسيك
رب شمس في الليل طالعة بسنا نور كأسها تهديك
غاب في الشمر جرمها فغدت في سنا خدها الشعاع تريك
لست أنسى لياليا سلفت نلت فيها المنى بغير شريك
وسميري مهفهف غنج أحور الطرف للحسان مليك
غصن بان إذا بدا وإذا ما شدا عن حمامها يغنيك
يتثنى كأنه ألف عجباً وهو زائد التحريك
ان يمناي واليسار معاً احكما عند ضمه التشبيك
يا مليكاً قد عز جانبه صل دليلا قد حل في ناديك
ان بدر الدجى ولا عجب كاد لولا مغيبه يحكيك
كيف ما شئت كن فلا حرج أنا راض بكل ما يرضيك
لست اصغي إلى الملام ولو شن غارات حربه شانيك
ها كها ها كها منظمة كل بيت منها بألف ركيك
واجعلن مهرها القبول لها بالذي اودع المحاسن فيك

وقوله مخمساً :

وشادن لا يزال يوعدني بوصله تارة ويبعدني
مذ وفا باللقاء وأسعدني ارشفني ريقه ووسدني
يمينه والتحفت يسراه
وبات من لطفه يخاطبني خطاب أنس بما يناسبني
ثم انثنى هازلا يعاتبني وقال لي مازحا يداعبني
وهو على فيَّ واضع فاه
لم لا تذق من فمي مقبله اعفة ذاك قلت بل وله
قال إذا بالذي تؤمله تحبني صادقا فقلت له
أي والذي لا إله إلا هو

* * *

ومن نثره الدرر ، ولفظه الذي هو في جباه الدهر غرر ، قوله ملغزاً ايها الفاضل الاديب والماهر الاريب ، والخل الكريم ، والصديق الحميم ، الذي بزغت في سماء الالغاز شموسه ، وأقماره ، وأينعت في رياض المعميات أصوله وثماره .

اخبرني عن اسم رباعي الحروف ، وهو بين الناس مشهور ومعروف ، اوله جبل عظيم وآخره في البحر مقيم ، وطرفاه سورتان من القرآن ، ومجموع عدده يساوي مفرد الاكفان ، ومعكوس وسطيه ، في اسماء الشهور ، ومشددها نبات في القرآن مذكور ، وعكس نصفه نوع من الهوام ، وتصحيف ذلك امر من الوثوق والاستسلام ، رباعي الحروف ، فان حذفت منه حرفين بقي واحد ، فان حذفت ثالثه وزدت على آخره ربع اوله فهو في الظلام هاد وراشد ، ومن عجائبه انك إذا أبنت رأسه بان باقيه ، وان حذفت عجزه اضحى مائلا شرقيه ، وان نقصت منه حرفاً فهو نوع من الشجر ، وان نقصت حرفين فهو من انواع التمر ، وان حذفت ثانيه وجدته اسما لبعض الالوان ، وعكس ذلك جمع لمفرد من الحيوان وان حذفت آخره وصحفت باقيه فهو ثمر معروف ، وان ركبت آخره مع اوله

اضحى بالرقيـة موصوف ، وان حـذفت ثانيه وزدت على آخره عشر اوله مـع التصحيف فهو بلد مع البلدان ، وعكس ذلك مع التصحيف اسم لمدير الخمرة من الادنان ، وان ركبت اوله مع آخره ونقصت من الآخر عشر الاول فهو مدينة معمورة ، وان حذفت عجزه ونقصت من اوله متلو آخره صار اسما لقبيلة مشهورة وان ركبت تالي اوله مع متلو آخره فهو من حروف الاستفهام ، ومركب تالى الآخرة مع متلوه يورث العلل والاسقام ، وتصحيفه اسم لجماعة من الغوانى ، وبغير عجز تراه موصوفاً بالشرف في السبع المثانى ، وان عكسته وصحفته فهو اسم فاعل من الزيادة والرجحان ، وان حذفت ثانى معكوسه وحولت وسطه إلى عجزه فهو شجر في بعض البلدان ، وأزيدك وضوحا لحاله وتبيان ، انه لجميع الاشياء كالميزان مضعف اوله ثان ، لـكل فرد من الافراد ، وبضعف ثانيه تم الاعداد ، وثالثه مبتدأ لـكل انسان ، وآخره غاية لـكل حيوان ، بزيادة ضعف ثالثه على ثانيه يقتنى كل قد من القدود ، وبنصفه مع التصحيف شجر في بعض البلدان موجود .

﴿مسألة منظومة﴾

ولي خالة وأنا خالها ولي عمة وأنا عمها
ولسنا يهوداً ولا مشركين شريعـة احمـد نأتمها

صورتها الاولى رجل له امرأتان قد اولد واحدة بنتاً والأخرى ولداً ، ثم زوج بنته من ابن امرأته التي ولدت له ابناً فولدت بنتاً فهي خالته وهو خالها .

صورتها الثانية : رجل له ابن ولابنه اخ من أمه ، فزوج اخاه من ام ابيه فولدت بنتاً ، فهي حقاً عمته وهو عمها .

مسألة : قالت امرأة لأخرى مرحباً بك يا اختي يا من ابوها اخ لابني

صورتها ان رجلا له ولد وامرأة لها ام تزوج الولد ام تلك المرأة ، فاولد ذلك الرجل ام المرأة ابناً فصار اخالها واولدها هو ابناً ، فصار أخا لذلك الرجل فنادته بذلك .

ومما حكاه ابن الاثير في المثل بعد ان ذكر لغزاً في الخلخال ، وهو :

ومضروب بلا جرم مليح اللون ممشوق
له شكل الهلال على رشيق القد ممشوق
واكثر ما يرى ابداً على الامشاط في السوق

قال بلغني ان بعض الناس لما سمع هذه الابيات قال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيئاً ، ولو قال دخلت السوق فلم أر على الامشاط غير الشعر لكان أغرب وقد اوهم بالامشاط التي يرجل بها الشعر وهو يريد امشاط الاقدام ، وأوهم بالسوق التي يباع فيها ويشترى ، وهو يريد السوق جمع ساق الانسان .

﴿ لغز في الدملج ليحيى بن الجراح المصري ﴾

وهو : ما شيء قلبه حجر ، ووجهه قمر ، ان تعذبه صبر ، واعتزل البشر ، وان اجعته رضي بالنوى ، وانطوى على الخوى ، وان اشبعته قبل قدمك واصحب خدمك ، وان علقته ضاع ، وان ادخلته السوق ابى ان يباع ، وان اظهرته جمل المتاع ، واحسن الامتاع ، وان شددت ثانيه ، وحذفت منه القافية كدر الحياة ، واوجب التخفيف في الصلاة ، واحدث وقت العصر الضجر ، ووقت الفجر الخدر وجمع بين حسن العقبى وقبح الاثر ، هذا وان فصلته دعا لك ، ونصفه الباقي ان ركبته هالك ، وربما بلغك آمالك ، وكثر مالك ، واحسن بعون المساكين مآلك .

قوله : قلبه حجر ، أي جلمد ، ووجهه قمر ، أي مدور ، ان تعذبه صبر ، أي تعذبه بالطرق ، والتذويب ، واعتزل البشر ، جمع بشرة الانسان ، وان اجعته رضي بالنوى ، أي اخرجته من الساق فانه يكون فارغ الجوف كالجيمان وانطوى على الخوى ، اي الخلو وان اشبعته ، اي لبسته قبل قدمك ، وهو فوق القدم كأنه يقبله ، وان علقته ضاع ، أي عبقت رائحته ، وان ادخلته السوق ـ جمع ساق ـ ابى ان يباع لانه لا يباع حتى يخرج من السارق ، وان شددت ثانيه ،

وحذفت منه القافية ، كدر الحياة ، أي صار دملا ، واحدث وقت العصر الضجر أي وقت عصر الدمل ، ووقت الفجر الخدر، لان الانسان إذا انفجر دمله استراح وخدر موضعه وجمع بين حسن العقبى وقبح الاثر ، أي اثر الدمل ، وان فصلته دعا لك ، فان نصفه دم ، وهو دعاء بالدوام ، ونصفه الباقي ان ركبته هالك ، فان نصفه الآخر لج ، وهو البحر وربما بلغك آمالك ، وكثر مالك ، لان الانسان إذا ركب البحر ربما وصل إلى الموضع الذي يريده ، وكثر ما له لان الربح على قدر المشقة ، واحسن بعون المساكين مآلك ، يحتمل انه اراد السفينة وأصحابها لقوله تعالى : (أما السفينة فكانت لمساكين) الآية .

وما أصنع وابدع هذا اللغز للعلامة المحقق المدقق ، الشيخ بهاء الدين محمد العاملي ، (رحمه الله تعالى) . وهو :

يا من صرف في مطالعة النحو اياما وخاض فيه شهوراً وأعواما ، أخبرني عن إسم ثنائي الآحاد ، ثلاثي العشرات ثالثه آخر الحروف وهو بين الناس مشهور ومعروف ، فمن جملة حروفه حرف ربما تحلى بحلية الاسما ، فيجرى غالبا في مضمار المضمرات ، ويسلك نادرا مسالك المظهرات ، فما دام في ضمير الاضمار مكتوما يكون من ارتفاع المحل محروما ، وبسيمة النصب والجر موسوما ، ولا يزال دائماً معمولا ، ومن رتبة العمل معزولا ، وربما انخرط في سلك الحروف فيصير في بعض الاحيان عاملا ، وفي بعضها عن العمل عاطلا ، ومعموله كمعمول اخواته الست لايكون إلا ظاهرا وربما عمل في الضمائر نادرا .

(ومنها) : حرف هو رابع علائم الرفع في ثلاثة وخامس علائم النصب في ستة ولا يقع في أول شيء من الكلمات الثلاث ، ولكن يقع في آخر ما يتصف به الاناث ، ان جاوز الافعال صار من الاسماء وارتفع محله ومقداره ، وان خالط الاسماء عاد الى الحروف واختلف بالرفع والنصب آثاره ان أسقطته من عدد الاسماء اللازمة الرفع بقي عدد الجمل التي لها محل من الاعراب ، وان نقصته من

عدد الاسماء اللازمة النصب ومن الباقي عدد المبهمات بقي عدد الجمل التى عن المحل في غاية الاجتناب ، وان أضفت اليه عدد الاسماء التى تنصب تارة ولا تنصب أخرى ، ساوى عدد ماهو عن المتبوعية ممنوع وبالتابعية احرى وان زدت عليه عدد مايمتمد أسم الفاعل عليه في التقوى على معموله ، ساوى عدد المواضع الموجبة لتأخير الفاعل عن مفموله .

(ومنها) : حرف ربما ينتظم في سلك اخواته العشرة فيتصف با لفصاحة في بعض الاحيان ، وقد يندرج في سلك اخواته الخمس بعد احدى الست فينصب تاليه عند أهل اللسان .

(ومنها) : حرف ان جرى مجرى الاسماء فقد يكون محلى بكل من الحلى الثلاث فما دام مرفوعا فهو ملصق بعامله في جميع الاطوار وما دام منصوبا فهو مفترق عنه لئلا يسرى اليه الانكسار وبينهما فاصل يحفظه عن ذلك العار وهو في البحر داخل في عدد السمكات ، وفي اعمال النساء مانع لهن عن الحركات ، وان جرى مجرى الحروف يكون في أوائل بعض الكلمات للغياب ، وفي أواخر بعضها للانتساب ، وقد يتصل به الثاني فيعمل في الاسماء بالنيابة عن الافعال ، وعن مقلوبه أيضا على هذا المنوال ، لكنه قد يدخل في سلسلة الاسماء فيختص بين اخوانه وقد يلج في ربقة الحروف فيصير في عدد اخواته الموجبة للايجاب .

(ومنها) : حرف معدود في الاسماء غالبا وقد يعدّ في الحروف نادراً فما دام في الاسماء مدرجا ، وعن الحروف مخرجا ، فهو عن الفتح عرى ، وبالخفض والضم حرى ، فيخفض مازال الاربعة من الحروف الجارة معمولا ، ويضم مادام السبعة منها مدخولا ، ومتى صار بالحرفية موسوما ، ومن الاسمية محروما ، فقد يتصل ببعض الكلمات ، لافادة المبالغات ، فيلبس المذكرين حلية المؤنثات ، وقد يبنى على السكون ، فيلزم السكون ، أينمايكون ، فهذه صفات حروف هذاالاسم قد فصلتها لك تفصيلا شافيا ، وقررتها لك تقريرا وافيا ، وسأزيد في التوضيح

مما يقارب التصريح ، فأقول انه ظرف لحرف خص بالظرفية من بين اخواته وهو مع كمال ظهور بعض المخفى في حد ذاته ، ثم انك ان نقصت من رابعه موجبات الانفصال بقي عدد مانع وحذف حرف النداء ، وان أضفت الى خمس أوله مايوجب في كل نعت من العشر المشهورة حصل عدد روابط الجمل الخبرية بالمبتدأ ، وان نقصت من رابعه حروف الزيادة النحويه ، بقي عدد المواضع التي يعلق فيها العامل عن المعمول ، وان أسقطت من طرفيه عدد اخوات كان ، بقي عدد المواضع التي يعود الضمير فيها على المتأخر لفظا ورتبة ، وان نقصت من خمس ثالثه عدد موانع الصرف بقي عدد الأمور التي يتميز بها التمييز عن الحال ، وان زدت ثانيه على رابعه حصل عدد المواضع التي يجب فيها استتار الفاعل عن الافعال ، وان نقصت رابعه من الحروف الجارة بقي عدد الأمور التي يفترق بها البدل عن عطف البيان ، وان أسقطت عدد الاسماء العاملة المشبه بالفعل من اخويه بقي عدد الاشياء التي تمتاز بها الصفة المشبهة عن اسم الفاعل في كل حين وزمان ، ومما اختص بهذا الاسم الخماسي من الغرائب ، انك اذا نقصت من حروفه حرفين بقي حرف واحد وهذا من أعجب العجائب .

وله رحمه الله تعالى ملغزا في مدينة طوس :

ألا يا أخى سم لي بلدة	بها من أحب ومن أطلب
تشد الرحال الى نحوها	وفيها الكل فتى مأرب
اذا ماقلبت حروف اسمها	وجدت اسم شيء به يضرب
ومن عجبي انه مفرد	وجمع لشيء به يشرب
وثلثاه ربع لثلث له	ويظهر هذا لمن يحسب
فأسرع فديتك في حله	فاني بأوصافه معرب

وله رحمه الله :

ألا أيها الغادي على ظهر أجرد	يقد الفيافي فد فدا بعد فدفد

تسمع هداك الله مني رسالة لتبلغها أهل المدارس في غد
وقل لهم ماستة جمعت مما وما تسعة في فرد جلد مقلد
حواجبهم ستون في وجه واحد وأعينهم تسعون في خلق هدهد
وأسماؤهم حرفان من اسم جعفر وحرفان من إسمى علي وأحمد

(قلت) : رأيت جواب هذا اللغز للشيخ عبد الكريم الشماع الصمدي ، المكي في نحو ثلاثة أوراق وهو في الربع المجيب .

(وللامام) : العلامة علم الدين السنجازى رحمه الله تعالى .

وما اسم جمعه كالفعل منه وما اسم فاعل فيه كفعل
له وزنان يفترقان جمعا ويتحدان فيه بغير فصل

قوله : كالفعل منه يريد بالفعل المصدر مثل صيام هو مصدر وهو جمع صائم ومثله قعود جمع قاعد وهو مصدر قعد وأما فاعل كفعل فهو باز اذا قلت مررت بباز جاز أن يكون فاعلا كقاض وجاز أن يكون فعلا كتاج ، وقوله له وزنان يريد به باز وبازى والله أعلم ، وله أيضاً :

ما اسم أضيف فردته اضافته مؤنثا وهو بالتذكير معروف
وما الذى هو بالتنوين ذو عمل أوان يضاف وغير اللام مألوف

هو قولهم : ذهبت بعض أصابعه واجتمعت أهل اليمامة ونسيم الصبا جاءت ريا القرنفل . وأما الذي يعمل في حال التنوين وفي حال الاضافة ولا يعمل مع الالف واللام فهو المصدر يعمل عمل الفعل لانه أصله ولما كان الفعل يعمل في الاسم لم يمتنع أن يعمل في الاسم ما كان اصلا له واذا أضيف الى المفعول فالمفعول مجرور بالاضافة وهو في موضع النصب تقول عجبت من ضرب زيد عمرو واذا عطفت على زيد جاز أن تنصب المعطوف على موضع زيد تقول عجبت من ضرب زيد عمرا بكر ومنه قوله تعالى انا منجوك وأهلك وعمل المصدر مع التنوين هو الاقوى والاحسن لان التنوين للتنكير والفعل نكرة انتهى والله تعالى أعلم وهو حسبي وكفى .

وما الطف واضح هذا اللغز في المنارة :

ماسم شيء يعرب بالرفع والنصب   وان كان متقنا با لبناء
علم مفرد وقد انثوه   وبنوه عمداً لاجل النداء
انثوه ومنه جاء علم التذكير   فأنظر تناقض الاشياء
وهو ظرف فأين من فيه ظرف   ليجلى عن هذه العمياء

وما احكم قول ابن الفارض :

ما بلدة با لشام قلب اسمها   تصحيفه اخري بأرض العجم
وثلثه ان زال من قبله   وجدته طيراً شجي النغم
وثلثه نصف وربع له   وربعه ثلثاه حين انقسم

(وله ايضا) :

ما اسم لطير شطره بلدة   في الشرق من تصحيفها مشربى
وما بقى تصحيف مقلوبه   مضمفا قوم من المغربي

(وكتب) : المولى ولي الدين عبد الله بن المولى الشيخ الامام العلامة بهاء الدين ابى البقاء محمد السبكى الشافعي رحمهما الله تعالى ملغزا وهو :

وما اسم ياامام العصر حقا   ويامن حاز احسانا ولطفا
ثلاثى اذا ما الثلث منه   أبين غدا يراه الناس حرفا
ومع عكس الحروف يصير فعلا   لأنثى قد ثنت جيدا وعطفا
وان صحفته من بعد عكس   فدعه لأكبر الاعداء وصفا
يرى فوق الملوك بلا اشتباه   وكم قد حاز تشريفا وظرفا
أجب فلسيدى فكر دقيق   عليه مثل هذا ليس يخفى

فأجاب عنه الفاضل خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي رحمه الله تعالى وهو في تاج :

لقد أتحفتني ببديع لغز   حكى زهر الربى لطفا وعرفا

أدرت به علي كؤس نظم كان مزاجها عسل مصفى
أراه باح بالتصحيف حتى لقد كشف المغطى منه كشفا
فصرت وقد أتاني رب تاج تزف له معاني النظم زفا
وبات نضاره للجيد طوقا وأصبح دره للسمع شنفا
فدمت تجد للاداب رسما عفا وتجيد در الشعر رصفا

وكتب الي الاديب الرئيس الكمي ، الفقيه اسماعيل النهمي ، صهر امام اليمن الامين القاسم بن الحسين ، المتوكل على الله رب العالمين ملغزا :

صفة الدمع اسم من لم ابنه صحف الاسم بعد ان تقلبنه
وخذ الضد واقلب الميم ياه تجد الاسم واضحا فاعلمنه

فاجبته بجواب حسن موقعه لديه ، اسبل الله ستره عليه ، وهو :

ايها الفاضل الذي جاء منه نظم لغز يريد انى ابنه
انت والله للبلاغة اهل واديب تروى الفصاحة عنه
والفقير الحقير في ضيق عيش من زمان مكدر صد عنه
غير اني اقول والله ادرى حيث ان الجواب لابد منه
صفة الدمع يا رئيس سجوم وكذا القلب موجس فاعرفنه
واذا ما صحفته فهو لفظ موحش تنفر المسامع منه
تخذ الضد بعد ذا فهو شيء مونس لاتحل فديتك عنه
واقلب الميم بعد ذلك ياه فهو اذ ذاك يونس فاعلمنه
هكذا جاء يا جليل ببالي فاذا كان غير ذا فأبنه
واعذرا عذر فالفكر مني كليل لم يجد من يغيثه او يمنه
وابق واسلم مع الصفي بخير وكذاك العماد ربي يصنه

(من الكلام المرموز) : ان زمن الربيع لايعدم من العالم ، معناه تحصيل الكمالات ميسر في كل وقت من الاوقات ، سواء كان في وقت الشباب او في وقت

الكهولة ، او وقت الشيخوخة فلا ينبغي التقاعد عن اكتساب الفضائل في وقت من الاوقات وما احسن ما قال من قال ، دو بيت :

هذا زمن الربيع عالج كبدي ياصاح ولا تخل من الراح يدي
فالبلبل يتلو ويقول انتبهوا العمر مضى وما مضى لم يعد

ومن هذا القبيل قول العلامة بهاء الدين محمد العاملي رحمه الله تعالى :

لا يحسن في المدرسة اليوم قعود قم وامض الى الدير ببخت مسعود
واشرب قدحاوقل على صوت العود العمر مضى وما مضى ليس يعود

وما ابرع قوله أيضاً :

يا صاح إذا رمت نجاحا وفلاح قم وامض إلىالدير بعود وبراح
واشرب قدحا وقل بصوت حزن العمرمضى وصاحب النفخةصاح

وما الطف قوله ايضاً :

في مدرسة العشق انيني عودي والمهجة فوق نار قلبي عودي
ما نلت مقاصدي ولا موعودي يا عافيتي عجزت عودي عودي

وما أحسن قول البها زهير المصري :

كم تذهب يا عمري في خسران ما اشغلنى عنك وما الهاني
ان لم يكن الآن صلاحي فمتى هل بعدك يا عمري عمر ثانى

وأجاد صاحب الحلبة :

هذا زمن الربيع والكاسب فيه من نادمه الحبيب والكاس بفيه
والغبن نصيب كل من غمس فيه والدهر يقول كل من نم سفيه

القاضى نظام الدين من كتاب دو بيتاته وقد اجاد رحمه الله تعالى :

انتم لظلام قلبي الاضواء فيكم لفؤادي جمعت اهواء
يروى الظمآن ذكركم لا الماء داويت بغيركم فزاد الداء

وله أيضاً :

اوصيتك بالجد فدع من ساخر ... فاخر بفضيلة التقى من فاخر
لاترج سوى الله لكشف البلوى ... لا تدع مع الله إلهاً آخر

وله ايضاً :

دانا فجذبت عطفه المياداً ... شوقا وطلبت قبلة فانقادا
حاولت وراء ذاك منه نادا ... لا تطلب بعد بدعة الحادا

وما أرق قول ابن خلكان :

يا غصن نقا قوامه مياد ... أيام رضاك كلها اعياد
ما اكتم سري عندما تهجرني ... إلا حذراً أن تشمت الحساد

وما احلى قول السيد منصور النجفي :

الدمع على الخدود منكم جاري ... والدهر على دون غيري جاري
أبكي وانوح طول ليلي حتى ... قد حرمت الغمض عيون الجار

وما ابدع قول عفيف الدين التلمساني :

الدهر رياض نحن فيه الزهر ... والكون غصون نحن فيه الثمر
والملك لنا وما علينا حرج ... والعيش صفا فما الذي ننتظر

وما اترع قول الصفي الحلي :

ما ملت عن العهد وحاشاي امين ... بل كنت على البعد قويا وأمين
لا تحسبني إذا قسا الهجر ألين ... بل لو كشف الغطاء ماازددت يقين

وما أعذب قول الحاجري :

مذ صد وعن عهد وصالي حالا ... لا يبرح دمع مقلتي هطالا
ادعو بلسان يفعل الله به ... قلبي وحشاشتي يقولا لا لا

وما أظرف قول الصلاح الصفدي :

الطرف يقول قد رماني القلب ... والقلب لناظري يقول الذنب

والله لقد عجبت من حالهما هـذا دنف به وهـذا صب

وما اصدق قول ابن النحاس :

زر واجل لمسمعي كؤس اللفظ واجعل كبدى غمداً لسيف اللحظ
بل جر واهجر ولا تخف مظلمتي ما اورثنى البلاء إلا لحظى

وما أنحف قول ابن الفارض :

عرج بطويلع فلي ثم هوى واذكر خبر الغرام واسنده إلى
واشرح قصصى عليهم وابك علي قل مات ولم يحظ من الوصل بشي

وقلت أنا :

العمر مضى وانت لم ترض علي ما اوجب ذا أهل بدا منى شي
صل عبدك فالصدود قـد انحله والهجر شوى الفؤاد والمهجة شى

فلما كان سادس محرم الحرام ، عام الف ومائة وواحد وثلاثين من هجرة خير الانام ، فزنا من المدينة المنورة بالشرف العالي والمجـد ، ورحلنا منها قاصدين ديار نجـــد .

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد فقد زادنى مسراك وجداً على وجد

﴿ فائدة ﴾

ارض نجد عظيمة واسعة كثيرة الفواكه والثمار ، والمياه والازهار ، وهواها في غاية الصحة والاعتدال ، وكذلك ماؤها العـذب النمير الزلال ، وهى بين ارض الحجاز وارض اليمن ، فبعد يومين أتينا السويرقية ، فبتنا بها ليلة ورحلنا فأتينا بعد يومين ارض الحناكية ، فبتنا هناك ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد ثلاثة ايام على ارض الشمط ، وانخنا العيس في الصحصحان مساحب الحيات والافعوان ، وبتنا هناك ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد ثلاثة ايام على وادى الرمة ، وبتنا ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد يومين على ارض قطن ، وهى ارض بها الانس قطن ، فاقمنا بها يوما وليلة ،

ونحن في عيشة مرضية ، ثم رحلنا منها ، فأتينا بعد يومين ارض المطرفية ، فبتنا بها ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد ثلاثة أيام على جبل شمر ، والكل منا لذيل الانشراح شمر ، وهناك قرية تسمى حائل ، ضرب الانس بينها وبين الهموم بحائل ، ذات نخيل واشجار ، وعيون وآبار وطيور وأزهار ، وبساتين واسعة وعمار ، كانها روضة من رياض الجنان ، فيها من كل فاكهة زوجان ، وأهلها عرب كرام شمل كرمهم الخاص والعام ، لم تلق فيهم غير شجاع عظيم ، وجواد كريم ، وبها كل غادة املود ، تفتك بلبات الاسود ، هيفاء رعبوبة رداح ، محياها يضيء كالمصباح ، كاملة الحسن والاوصاف ، وجمعت بين الجمال والعفاف :

من كل غيداء إذا أسفرت   جلا محياها سجوف الدجون

والمقلة الكحلاء مهما رنت   أثارت الحرب بكسر الجفون

قال بعضهم : كنت في بعض مياه نجد فسمعت الناس يقولون قدجاءت ! قدجاءت قال : فتحرك الناس ؛ وقمت معهم ، فاذا بجارية قد وردت الماء ما رأيت مثلها قط في حسن وجهها ، فلما رأت كثرة تشوق الناس اليها ارسلت برقعها ، فكأنه غمامة غطت شمساً ، فقلت لها : لم تمنعينا النظر إلى وجهك الازهر ؟ فأنشأت تقول :

وكنت متى ارسلت طرفك رائداً   لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله انت قادر   عليه ولا عن بعضه انت صابر

قال : فنظر اليها اعرابي وقال : أنا والله ممن صبر ، ثم انشأ يقول :

اوحشية العينين اين لك الاهل   أبالحزن حلوا ام محلهم السهل

واية ارض اخرجتك فانني   أراك من الفردوس ان فتش الاصل

فقي خبرينا ما طعمت وما الذي   شربت ومن أين استقل بك الرحل

لان علامات الجنان مبينـــة   عليك وان الشكل يشبهه الشكل

وكان يقال من اطلق طرفه ، كثر اسفه ، وكان يقال من كثرت لحظاته ، دامت حسراته ، ومن غريب مايحكى ان يزيد بن عبد الملك كان صبا بحبابة جاريته

نخلا معها يوماً في لهو ، وقال : لأكذبن قول من قال ما صفا عيش لاحد قط
واحضر حاجبه ، وقال له : لاتأذن لاحد ولا تخبرني بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكي
مدة هذا اليوم ، وأقام معها في امتع حال إلى بعد العصر ، فتناولت رماناً فشرقت
فماتت لوقتها ، فعرض له عليها ضرب من الوله حال بينه وبين الصبر عنها ومنع من
دفنها حتى سألته جماعة من بنى امية في دفنها ولا طفوه في ذلك حتى امر بدفنها
وقال فيها :

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى ... فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وحكي انه لم يقم بعدها إلا سبعة ايام ومات ، ومثله في عدم دفنه لمحبوبه ،
ما حكي عن السلطان جلال الدين ابن خوارزم شاه ، لما مات مملوكه قلج منع عن
دفنه ، فكان يحمل معه في محفة ، وكلما اتى بين يديه طعام ، قال : احملوا هذا إلى
قلج ، فقال بعض الامراء : انه قد مات قلج فأمر بضرب عنقه .

* * *

أقول حيث وصلنا إلى ذكر العشق فلا بأس بذكر ما ورد فيه ، وفي مراتبه
ومدحه وذمه ، فان الشيء بالشيء يذكر ، قال في ديوان الصبابة :

يقول أناس لو نعت لنا الهوى ... فوالله ما ادري لهم كيف انعت
فليس لشيء منه حد احده ... وليس لشيء منه وقت موقت

وفيه : الجنون فنون ، والعشق من فنونه ، واحتج بقول قيس :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وانما يصرع المجنون في الحين

وفيه : العشق اول مرتبة الهوى ، وقد يطلق ويراد نفس المحبوب :

ان التي زعمت فؤادك ملها ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها

ثم العلاقة : وهو الحب الملازم للقلب ، وسمي علاقة لتعلق القلب بالمحبوب :

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني ... علق بقلبي في هواك قديم

ثم الكلف وهو شدة الحب واصله من الكلفة ، وهي المشقة يقال : كلفه تكليفاً إذا امره بما يشق عليه ، فكان الحبيب يكلف المحب بما لا يطيق ، ثم العشق وهو اسم لما فضل من المقدار الذي اسمه الحب .

وفي الصحاح انه فرط الحب وهو عند الحكماء من انواع الماليخوليا وهو يغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي إلى الفساد ، وهو ام هذه الاسماء ، وقلما نطقت به العرب وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء .

وقيل : ان شجرة يقال لها عاشقة تخضر ، ثم تدق ، ثم تصفر .

وقال الفراء : العشق نبت لزج ، والعشق الذي يكون في الانسان سمي به للصوقه بالقلب ، ثم الشغف . قيل : الشغاف غلاف القلب . وقيل : حبة وهي علقة سوداء في صميمه وشغفها حباً ، أي أصاب حبه شغاف قلبها . وقيل : اي ارتفع حبه إلى أعلى موضع في قلبها مشتق من شغاف الجبال ، أي رؤسها ، وقولهم فلان مشغوف بفلانة ، أي ذهب به الحب اقصى المذاهب .

وأما الشعف بالمهملة : فهو احراق الحب للقلب ، شعفه الحب ، اي احرق قلبه ، وقد قرىء بهما جميعاً .

وكذلك اللوعة ، واللاعج لعجه الضرب ، أي آلمه واحرق جلده ، والمراد في مقام العشق حرقة الفؤاد من شدة الحب ولوعة الحب حرقته .

ثم الجوى : وهو الحرقة ايضاً ، وشدة الوجد من عشق او حزن ، ثم التتيم وهو ان يستعبده الحب ، ومنه سمي تيم الله بن عبد الله ، ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى فهو متبول .

وفي الصحاح : تبلهم الدهر وأتبلهم ، اي افناهم ، ثم التدله : وهو ذهاب العقل ، دلهه الحب ، اي حيره ، ثم الهيام وهو ان يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ، هام يهيم ، فهو هائم ، والهيام بالكسر ، الابل العطاش ، وقوم هيم ، اي عطاش ، ثم الصبابة وهي رقة الشوق وحرارته ، ثم المقة وهي المحبة ، والوامق المحب

ثم الوجد وهو الحب الذي يتبعه الحزن ، وأكثر ما يستعمل في الحزن ثم الدنف ولا تستعمله العرب في الحب وانما ولع به المتأخرون ، وأستعمله العرب في المرض ، ثم الشجا : وهو الحزن الذي يتبعه الهم والحزن ، ثم الشوق وهو سفر القلب إلى المحبوب :

واعظم ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار

والشوق الحادث عند اللقاء غير النوع الذي يكون حالة الفراق ، ثم البلبال وهو الهم ووسواس الصدر ، والبلابل جمع بلبلة ، وبلابل الشوق وساوسه وهمومه والتباريح الشدائد والدواهي .

يقال : برح به الحب والشوق ، اي اشتد به ، ثم الغمر وهو ما يغمر القلب من حب او سكر او غفلة ، ثم الشجن وهو الحاجة حيث كانت ، رجز :

اني سأبدي لك فيما ابدي لي شجنان شجن بنجد
وشجن لي ببلاد السند

آخر :

تحمل اصحابي ولم يجدوا وجدي وللناس اشجان ولي شجن وحدي

ثم الوصب : وهو ألم الحب ومرضه فان أصل الوصب المرض ، ثم الكمد وهو الحزن المكتوم ثم الكمدة وهي تغير اللون ثم الأرق أى السهر وهو من لوازم المحبة والحنين الشوق والجنون أصله الستر والحب المفرط يستر العقل فهو شعبة من الجنون .

ثم الود وهو خالص الحب وألطفه وأرقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة .

ثم الخلة وهي توحيد المحبة فالخليل هو الذي يوحد حبه لمحبوبه .

ثم الغرام وهو الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب أي قد لزمه الحب ، وفي الصحاح الغرام الولوع والغريم الذي عليه الدين والذي له . ثم الوله وهو ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله أسماء أخر تركناها للاختصار .

ثم المحبة وهي باب هذه الاسماء وللناس في حدها كلام كثير ، فقيل هي الميل الدائم بالقلب الهائم ، وقيل قيامك لمحبوبك بكل مايحبه منك وقيل هو ذكر المحبوب على عدد الانفاس ، وقيل هي مصاحبة المحبوب على الدوام وقيل هي حضور المحب عند المحبوب كما قال :

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

وفي اشتقاقها أقوال أيضا ، قيل هي مشتقة من حبة القلب وهي سويداؤه فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب ، وقيل من اللزوم والثبات ومنه احب البعير اذا برك فلم يقم ، وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهي معظمه أوما يعلو عند المطر الشديد فعلى هذا فالمحبة غليان القلب ،

وقيل من الحب بضم الحاء ، وهو الذي يوضع فيه الماء ولا يمسك غيره اذا امتلأ به كذلك اذا امتلأ القلب من الحب فلا اتساع فيه لغير المحبوب . مما جاء في مدح العشق ، قول العباس بن الاحنف :

وما الناس إلا العاشقون ذووا الهوى ولا خــــير فيمن لايحب ويعشق

وقال بعضهم لايخلو أحد من العشق الا ان يكون جافي الخلقة ناقصها أوعلى خلاف تركيب الاعتدال :

فوا عجبا للدهر لم يخل مهجة من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ويكفى العاشق ان يرتاح لفعل المعروف ، واغاثة الملهوف .

ويرتاح للمعروف في طلب العلى لتحمد يوما عند ليلى شمائله

ومما جاء في ذم العشق قول الشاعر :

ظل من فرط حبه مملوكا ولقد كان قبل ذاك مليكا

تركته جآذر العصر صبا مستهاما على الصعيد بريكا

قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى ان وقف موقف التلف ، ليتخلص من التلف بالتلف ، وعلى هذا حكاية دعبل .

قال : كنت بالثغر فنودي بالنفير فخرجت مع الناس فاذا أنا بفتى يجر درعه بين يديه فالتفت الي وقال ، أنت دعبل قلت نعم قال اسمع مني هذه الابيات وانشد .

ان في أمري رشادي　　بين حب وجهاد
بدني يغزو عدوي　　والهوى يغزو فؤادي

ثم قال : كيف ترى قلت جيد والله قال والله ماخرجت الا هاربا من الحب، ثم قاتل حتى قتل وقال الوأواء الدمشقي :

سبيل الهوى وعر　　وحلو الهوى مر
وبرد الهوى حر　　ويوم الهوى دهر

تنبيه : الهوى أكثر مايستعمل في الحب المذموم قال الله تعالى : وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى الآية وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالا مقيداً ومنه الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ، ومما قيل في توحيد المحبوب عن الشريك :

ليس في القلب موضع لحبيبين　　ولا أحدث الامور اثنان
فكما العقل واحد ليس يدرى　　خالقا غير واحد رحمان
فكذا القلب واحد ليس يهوى　　غير فرد مباعد أو مدانى
هو في شرعة المودة شرك　　وبعيد في صحة الايمان
وكذا الدين واحد مستقيم　　وكفور من عنده دينان

فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشريك في المحبة لم يكن محبا حقيقة وهذا الغالب على الملوك لكثرة ماالديهم ، واختلاف الشكل عليهم ، كما قيل :

تنقل فلذات الهوى في التنقل　　ورد كل صاف لاتقف عند منهل

ثم ذكر أبيات الرشيد ، ملك الثلاث الغانيات عناني الخ ، وبعده قول المستعين الاموي ، عجبا يهاب الليث الخ ، وفيها زيادة وهي :

فأبحن من قلبي الحمى وتركنني　　في عز ملكي كالأسير العانى

لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى ذل الهوى ملك وعز ثانى
ماضر أنى عبدهن صبابة وبنو الزمان وهن من عبدانى

وقال المأمون وقيل هما للمهدي :

فما يكفيك انك تقتليني وان الناس كلهم عبيدي
وانك لو قطعت يدى ورجلى لقلت من الرضا أحسنت زيدي

وقال الملك الظاهر في مملوكه أيبك الجدار :

انا مالك مملوك ظبي أغيد ومن العجائب مالك مملوك
وانا الغنى واننى من وصله بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت دما بسيفي عنوة ودمي بسيف لحاظه مسفوك

وقال عبد الملك وزير البارسلان في غلام تركي كان واقفاً على رأسه يقطع بالسكين قصبة :

انا مشغوف بحبه وهو مشغوف بلعبه
صانه الله فما أكثر اعجابي بعجبه
لو اراد الله خيراً وصلاحا لمحبه
نقلت رقة خديه الى قسوة قلبه

وقال الملك الاشرف في مملوكه بيبرس وكان خازن داره (دو بيت) :

أفدى قمرا تحار فيه الصفة يسخو بدمى وهو أمين ثقة
هذا عجب يحفظ مالى ويرى روحى تلفت به ولا يلتفت

وحكي ان المأمون غضب على جاريته غريب المغنية وكان كلفا بها فأعرض عنها وأعرضت عنه ثم أسلمه الغرام ، وأقلقه الشوق والهيام ، حتى أرسل اليها يسألها مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه ، وكلمها فلم ترد عليه ، فأنشأ يقول :

اجيبي ليس يوجعك الكلام ولا يؤذي محاسنك السلام
انا المأمون والملك الهمام ولكني بحبك مستهام

يحق عليك انك تقتليني فيبقى الناس ليس لهم امام

فقالت له والدك اعشق منك حيث يقول :

ملك الثلاث الغانيات عناني وحللن من قلبي بكل مكان

الى آخر الأبيات المشهورة ، قال في ديوان الصبابة : ومن الناس من عشق على السماع وهو اعلى طبقة ممن عشق با لمس ، او غيره من بقية الحواس الخمس ، والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب في نفس الامر وتعارف سابق في عالم الذر ، كما قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، في مدح النبي سيد الناس :

محبة ماعرفت الدهر سلوتها تسرى الى النفس او تجرى مع النفس

ومالها آخر لكن اولها تعارف سابق في عالم القدس

في عالم الذر ناجاني البشير بها اهلا بعشيتها طهراً من الدنس

اشهى الى القلب من امن على وجل ومن مجال الكرى في الاعين النعس

ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سأل عائشة عن امراة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن ، وقدمت المدينة فنزلت على امرأة مثلها تضحك الناس على من نزلت فلانة المضحكة ، قالت على فلانة المضحكة فقال ﷺ : الحمد لله الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، الحديث .

وانشد طرفة :

تعارف ارواح الرجال إذا التقوا فمنهم عــــدو يتقي وخليل

ومنهم من يحب بمجرد الوصف دون المعاينة .

قال الشريف الرضي من قصيدة :

فاتني ان ارى الديار بطرفي فلعلي ارى الديار بسمعي

اخذ هذا المعنى القاضي الفاضل فقال :

عللوني عن الشآم بذكر ان قلبي لديه بالاشواق

مثلته الذكرى لسمعي كأنى اعشى هناك بالاحداق

وكان يقال الحب اوله السماع ثم النظر ، كما ان الحريق اوله الدخان ثم الشرر

حكي عن ابي تمام انه سمع جارية تغنى بالفارسية ، فشجاه صوتها فقال :

ولم افهم معانيها ولكن شجت قلبي فلم اجهل شجاها

فكنت كواجد اعمى معنى بحب الغانيات ولا يراها

قال ابن طاهر : قلت لابي تمام اخذت هذا المعنى من احد ؟ فقال : نعم من قول بشار :

قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم العين كالاذن تؤتي القلب ما كانا

وتبعه ابو يعقوب الحرعي فقال :

قالت وتهزأ بي غداة لقيتها يا للرجال لصبوة العميان

فأجبتها روحي فداؤك انما عيني واذني في الهوى سيان

وقال بشار :

يزهدني في حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب

وما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الاذنان إلا من القلب

قلت وقد صدق ، فيما نطق ، انما احست الحواس الخمس ، بواسطة توسطها للنفس ، وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى المصري فى الاعتذار عن العشق مع العمى :

قالوا عشقت وأنت اعمى ظبياً كحيل الطرف ألمى

وحلاه ما عاينتها فتقول قد شغفتك هما

وخياله بك في المنا م فما اطاف ولا ألما

من اين ارسل للفؤاد وانت لم تنظره سهما

ومتى رأيت جماله حتى كساك هواه سقما

وبأي جارحة وصلت لوصفه نثراً ونظما

والعين داعيـة الهوى وبها يتم إذا أتما

فأجبت انى موسوى العشق انصاتاً وفهـما

أهوى بجارحة السما ع ولا ارى ذات المسمى

ومنهم من يعشق اثراً رآه ، كما يحكى ان رجلا عشق كف امرأة في حائط فلما أيس اهله من صلاحه تركوه حتى مات .

ومنهم من يحب في النوم لشكل لا يعرفه ، فيهيم به ! كما قيل :

ياليت شعري من كانت وفيه سرت أطلعة الشمس كانت ام هي القمر

أظنها العقل ابداها مدبره او صورة الروح ابداها لي الفكر

اوصورت مثلت في النفس من املى فقد تحير في ادراكها النظر

لو لم يكن كل هذا فهي حادثة اتى بها سبباً في حتفي القـدر

ومنهم من يعشق باللمس وهو رأس الشهوة ، ومنهم من يعشق بالشم .

قال في ديوان الصبابة : ومنهم من اخبرني انه دخل الحمام ، فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم من هي فأخذها ، واقامت عنده زماناً طويلا فأصابه من حب صاحبتها ما اشرف به على التلف ، كما قيل :

تلفت بشعرة وسمعت غيري يقول سلمت من تلفي بشعره

ومنهم من يعشق جنية رآها في النوم ووصفت له نفسها وجاءته غير مرة على زعمه كما حكى ابو الفرَج الاموي ان جعفر بن ابى جعفر المنصور كان يتعشق امرأة من الجن، حتى كان قد كثر ولعه بها فصار يصرع في اليوم مرات حتى مات فحزن عليه ابو جعفر حزناً شديداً ، وقيل ان اناث الجن انما تصرع الرجال من الانس للعشق ، وطلب الفساد ، وكذلك رجال الجن مع نساء بني آدم .

قال اعرابي : العشق نبت بذره النظر ، وماؤه المزاورة ، ونماؤه الوصل ، وقتله الهجر وحصاده التجني .

وملت من شيء إلى ضده والجمع هذا شأنه فانتبه

فأقمنا في حائل اربع ليال بثلاثة ايام ، ولكنها مرت كأضغاث احلام :

ليالي سعود لو تباع شريتها ... بروحي ولكن لاتباع ولاتشرى
ولكنها مرت كأضغاث حالم ... فياليتها عادت لنا مرة اخرى

ثم انا رحلنا ، وعلى الله توكلنا ، فأتينا بعد اربعة ايام على ارض قفار ، فبتنا بها ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد يومين على ارض ام الدلا ، وبتنا بها ليلة ورحلنا فأتينا بعد اربعة ايام على ارض الباطن ، فبتنا بها ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد اربعة ايام على ارض بقعة ، فبتنا بها ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد اربعة ايام على ارض زبالة وبتنا بها ليلة ورحلنا فأتينا بعد ثلاثة ايام على ارض ام قرون وبتنا بها ليلة ورحلنا فأتينا بعد خمسة ايام على ارض السلمان ، فبتنا بها ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد ثلاثة ايام على ارض الاثيلة ، وبينها وبين ارض النجف مشهد علي بن ابي طالب عليه السلام نصف مرحلة ، وكل هذه الاراضي المذكورة بعضها عامر والبعض دامر ، وفي البعض منها آبار ، والبعض قفار ، وربما يحمل الماء معنا اربعة ايام ، أو ثلاثة ايام ، فخرج الينا اهل النجف بانواع المأكول الطيب والمشروب الهني والمشموم الذكي ولطائف التحف ، وبتنا تلك الليلة يا صاح بأكمل السرور ، وأتم الافراح ، والتقى الخلان والاصحاب ، واجتمع شمل الاحباب بالاحباب :

لئن عاد جمع الشمل في ذلك الحمى ... غفرت لدهري كل ذنب تقدما

وزال عنا بؤس السفر والمحن ، واعاد الله كل غريب إلى الوطن .

﴿ فائدة ﴾

التجريد سرعة العود إلى الوطن الاصلي ، والاتصال بالعالم العقلي ، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وآله (حب الوطن من الايمان) واليه يشير قوله تعالى : (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) واياك ان تفهم من الوطن دمشق وبغداد وماضاهاهما فانهما من الدنيا ، وقد قال سيد الكل في الكل : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، ووطن أيضاً موافق لفظ مكة عدداً ، فحبها يكون من الايمان

كما فسره بعضهم ، فأخرج نفسك من هذه القرية الظالم اهلها ، واشعر قلبك بقوله تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت ، فقد وقع اجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيما) .

قال بعض الحكماء : الدنيا انما تراد لثلاثة : العز ، والغنى ، والراحة ، فمن زهد فيها عز ، ومن قنع استغنى ، ومن ترك السعي استراح .

﴿ ذكر الإمام علي وأولاده عليهم السلام ﴾

فلما اسفر وجه الصباح ، باليمن والفرح والنجاح ، عن ثالث صفر ، المقرون بالخير والظفر ، دخلنا النجف مشهد امير المؤمنين ، ويعسوب الدين ، ليث بني غالب ، إمام المشارق والمغارب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

كان عليه السلام اصغر اخوته وبينه وبين طالب اخيه ثلاثون سنة ، وكان كل واحد من بني ابي طالب الاربعة اصغر من الآخر بعشر سنين اكبرهم ثم عقيل ، ثم علي امه فاطمة بنت اسد بن هاشم ، اسلمت وهاجرت ، وهو اول من اسلم من الذكور ، في اكثر الاقوال ، واول هاشمي ولد في الاسلام ، وولد بمكة في البيت الحرام ، يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل ، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله سواه ، وذلك اكراماً وتعظيما له من الله .

وكان قد ولد وابوه غائب فسمته امه فاطمة بنت اسد باسم ابيها ، فلما قدم ابو طالب سماه علياً ، ويكنى ابا الحسن وابا تراب ، وفضائله اشهر من ان تحصى .

شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ما عدا تبوك ، فانه خلفه في اهله ، وفيها قال له : يا علي ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى .

كان عليه السلام بطيناً شديد الادمة ، عظيم العينين ، اقرب من القصر إلى الطول ، كثير الشعر ، عريض اللحية اصلع الرأس ، استخلف يوم قتل عثمان في يوم الجمعة لثمان خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله تعالى ، سحر الليلة التاسعة عشر من شهر

رمضان سنة اربعين ، وتوفي ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان ، وسنه يومئذ ثلاث وستون سنة .

وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر واياماً . وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن العباس ، ودفن في ليلته قبل انصراف الناس من صلاة الصبح ، وقد اختلف الناس في موضع قبره ، والصحيح انه في الموضع المشهور الذى يزار فيه اليوم .

فقد روي ان عبد الله بن جعفر سأل أين دفنتم امير المؤمنين ؟ قال : خرجنا به حتى إذا كنا بظهر النجف دفناه هناك وقد ثبت ان زين العابدين علي بن الحسين وجعفر الصادق وابنه موسى الكاظم رضوان الله عليهم اجمعين زاروه في هذا المكان.

وروي عنه الحسن والحسين وعبد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وابو المسيب وابو عبد الرحمن السلمي وزيد بن وهب وخلق كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين .

واولاده عليه السلام : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله وابو بكر والعباس ومحسن ـ فيه خلاف ـ وعمر وعون ويحيي ومحمد الاصغر ومحمد الاوسط وجعفر وعثمان .

وبناته عليه السلام : امامة وام الحسن وزينب الكبرى وزينب الصغرى ورملة الكبرى ورملة الصغرى وام كلثوم وخديجة وام الكرام وام هانيء وميمونة وفاطمة ورقية .

يا صاحب القبة البيضاء على النجف　　من زار قبرك واستشفى لديك شفي
زوروا ابا الحسن المولى لعلكم　　تحظون بالاجر والاقبال والشرف

وان اذن الله بالبقاء الجميل فسأذكر ترجمته وترجمة ابنائه الائمة الكرام بالتفصيل في تاريخي ازهار الناظرين ، في اخبار الأولين والآخرين ، ان شاء الله تعالى ، وهو الموفق المعين .

فتشرفنا بزيارة الامام المؤيد بالنصر من ربه والفتوح ، وضجيعيه الكريمين

آدم ونوح ، وقد عقدت عليهم قبة عظيمة ، في زينة وسيمة ، وأول من عقد هذه القبة عليهم عبد الله بن حمدان في دولة بني العباس ، ثم عمرها الملوك من بعده وبها من الذهب الابريز والجواهر ، وخالص اللجين وانواع الفرش الفاخر ، ما يكل عنه قلم الحاصر ، والبلدة رخية أمينة ، طيبة حصينة ، سورها مكين ، وهي جنة المتقين واهلها سادة كرام ، ملجأ الخاص والعام :

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم　　يسلو عن الاهل والاصحاب والوطن

ثم خرجنا بعد ايام ، إلى مدينة الكوفة ، وزرنا مآثر الانبياء المشهورة المعروفة .

﴿ فائدة ﴾

الكوفة كانت من المدائن الكبار المشهورة ، بينها وبين النجف ستة اميال بنيت بعد البصرة بسنتين ، في خلافة عمر بن الخطاب ، وبنى بها مسجد المسلمين .

قيل ان نبي الله ادريس عليه‌السلام كان يخيط بها الاثواب ، وقيل انه رفع إلى السماء من مكان هذا المسجد .

ومنه خرج ابراهيم عليه‌السلام لقتال العمالقة ، وكان بها قصر اسمه طيار يسكنه جماعة من الامراء ممن يتولى على الكوفة ، وبها التنور الذي فار منه الماء عند وقوع الطوفان بقوم نوح .

وبها الموضع الذي صنع نوح عليه‌السلام به السفينة ، وهذه المدينة على شاطيء الفرات ، وقد كانت مدينة خصبة كثيرة الفواكه والبساتين ، ومنها ظهر الخط الكوفي ، واليها ينسب الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت ؛ نشأ بها ثم رحل إلى بغداد ، وتوفي بها سنة خمسين ومائة ، واليها ينسب سفيان بن سعد الثوري نشأ بها وتوفي سنة احدى وستين ومائة بالبصرة ، وعاش ستة وستين سنة ، واليها ينسب ابو الطيب المتنبي الشاعر ـ الآتي ذكره ان شاء رب المشاعر ـ وقتل في سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ، كما سيأتي ، واليها ينسب جماعة كثيرة من العلماء ، فاقمنا بها يوما

وليلة ، ثم سرنا منها وصرنا على مدينة الحيرة ، وهي قريب منها ، فرأيناها قد طمست آثارها ، وخربت ديارها :

تلك المنازل في الآفاق خاوية   اضحت خرابا وافنى الدهر بانيها

﴿ فائدة ﴾

الحيرة مدينة قديمة بناها النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي وبنى بها قصراً سماه الخورنق ، وزرع قدامه بستاناً ، وغرس فيه الزهر المسمى بشقائق النعمان ، فنسب اليه ، ثم خرب هذا القصر وبناه رجل من الروم اسمه سنمار وهذه المدينة بالقرب من الكوفة .

وكان هناك قديماً بحر يتلاطم بالامواج ، والآن ليس بها شيء من ذلك البحر ، وخربت تلك المدينة وطمست آثارها ، وكانت منازل ملوك بنى لخم ، فلما خربت الحيرة انتقل إلى الكوفة اهلها ، ثم عدنا راجعين من الحيرة ، إلى مشهد الامام علي بن ابي طالب ذي البراهين الشهيرة ، والانوار الباهرة المنيرة ، فاقمنا هناك شهراً تام ، في ارغد عيش مدام ، ونزلت بدار العالم العامل النحرير الفاضل مولانا الشيخ ابراهيم الخيسى ، واجتمعت بالولي الشهير ، المجتهد الكبير العابد الزاهد بحر المعارف والفوائد ، وتاج السادة الاكارم ، مولانا السيد هاشم واجتمعت بالعالم العامل الفاضل ، التقى النقى الكامل ، الشيخ محمد يحيي الخيسى واجتمعت بالفاضل الاديب العاقل الكامل الاريب ، الشاعر الماهر اللطيف ، المؤنس الظريف ، مولانا الشيخ يونس بن انس ، لا زالت انوار الكمالات من انوار كماله تقتبس ، واجتمعت بالسند السيد ، المعتمد الايد الامجد الانجد ، الاسعد الاصعد مولانا السيد مراد حاكم المشهد وحصل لي منه الاكرام والقبول ، ادامه الله تعالى بالرياسة والعز ما هبت الدبور والقبول ، وبلغه من دنياه واخراه كل سؤل واجتمعت بكثير من العلماء ، ورثة الانبياء الكرماء .

﴿ فائدة ﴾

قوله ﷺ: العلماء ورثة الانبياء ، المراد بالوارث هنا الباقي بعد المورث الذي يصير اليه ما بقي من المورث وتركته ، كما في قوله ﷺ : اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني اي ابقهما بعد انحلال القوى النفسانية حتى يصير اليهما مابقي بعدها من مواد تصرفها ويكون لهما فمن لم يبق منه إلا العلوم ولم يترك سواها لم يكن من صار اليه وارثاً سوى ما تركه وبقي منه فبينه بقوله ، وذلك ان الانبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً ، وانما ورثوا احاديث من احاديثهم ، اي من علومهم التي حدثوا بها واتى بمن التبعيضية لان من احاديثهم احاديث لم يورثوها بل نسخت فمن اخذ شيئاً من الاحاديث الموروثة متمسكا به فقد اخذ حظاً وافراً لشرف المأخوذ منه وفضيلته ، حيث انه من مآثر خير الناس ، ومن مواريثه التي تركها لامته ولا نجاة للامة إلا بها ولا غنى لهم عنها ، ومن كان هـذا شأنه فينبغي ان يهتم بامره ، ويأخذ من مأخـذه ، ولا يتساهل فيه ، فنبه ﷺ بقوله : فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، انتهى .

لم اسمع في ذم شحيح ابلغ ولا اوقع من قول كشاجم الـكاتب:

يا من يؤمل جعفراً من بين اهل زمانه
لو ان في امتك در هما لامتله بلسانه

ويعجبني قول ابي الفضل بن شمس الخلافة :

دع الـكبر واجنح للتواضع تستمل وداد منيع الود صعب مرامه
وداو بلين ما جرحت بغلظة فطيب كلام المرء طب كلامـه

أقول : هذا المرهم نافع للكريم التياه ، كعمارة بن حمزة والفضل بن يحيى وامثالهما ، وأما اللئيم التياه البغيض فليس ينفعه إلا تقطيع عرضه بسيوف القوافي ان كان له عرض .

وله ايضاً :

ساصبر حتى يأتي الله بالذي يشاء وحتى يعجز الصبر عن صبري

فكم فاقة بات الغنى من خلالها يلوح وكم عسر تكشف عن يسر

قلت : تذكرت باليسر قول الاديب احمد بن الحسين الرقيحي الصنعاني الصباغ الآتي ذكره ، في سبحة يسر :

اسبح باليسر المعظم ذكره واكثر في التقديس والحمد والشكر

وادعو إلى الله الكريم تضرعا يفرج عني ذلك العسر باليسر

وقال ابن شمس الخلافة ابو محمد المعروف بابن شكر وزير الملك العادل وولده الملك الكامل لما خرج من مصر إلى الشام :

على مهل فني الاحوال ريث اتخشى ان تضام وانت ليث

بمصر ان اقمت فأنت نيل وان جئت الشآم فأنت غيث

﴿ ذكر أرض مصر ﴾

قلت : جرت عادة الله ان مصر لا تمطر ولا ينتفع بمطرها لاستغنائها بالنيل وريها به وللفلاسفة في عدم نزول الغيث بها تعليل ذكروه وبسطه المقريزي في الخطط والآثار إلا ان جانبها الشمالي المجاور لبلاد الشام كرشيد ونحوها فيمطر بمطر الشام ، قال الفاضل القزويني في كتاب آثار البلاد ، واخبار العباد ، مصر ناحية مشهورة طولها اربعون ليلة من العريش الى اسوان وعرضها من برقة الى ايلة وسميت بمصر بن بنصر بن حام بن نوح عليه السلام وهي من أطيب الارض ترابا وابعدها خرابا ، ولا تزال البركة فيها مادام عليها انسان ، وفي الخطط ديار مصر بعضها واقع في الاقليم الثاني ، وبعضها في الاقليم الثالث ، وبناء مصر طبقات بعضها فوق بعض الى خمس وست وسبع وأحسنها القاهرة المعزية .

﴿ فائدة ﴾

مصر غير منصرف للعلمية والعجمة وللتأنيث المعنوي باعتبار البقعة ومصروف لسكون وسطه ، وأسماء البلاد تذكر وتؤنث وتصرف وتمنع ، قاله السيوطي .

وفي الخريدة أرض مصر وهي غربي جبل جالوت اقليم العجائب ومعدن الغرائب ، وكانت خمسا وثمانين كورة منها أسفل الارض خمس واربعون وفوق الارض اربعون ونهرها يشقها والمدن على جانبيه ومن أحسن مدنه الروضة وهي جزيرة يحيط بها النيل من جميع جهاتها المتنزهات والدور والقصور وتسمى دار المقياس .

وفي آثار البلاد أول من قاس النيل يوسف الصديق عليه السلام وبنى مقياسه بمنف وهي مدينة فرعون موسى ، قيل انها أول مدينة عمرت بعد الطوفان وهي المرادة بقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها وكان فيها أربعة أنهار تختلط مياهها في موضع سرير فرعون ولذلك قال وهذه الانهار تجري من تحتى .

﴿ فائدة ﴾

قال العصام نقلا عن التفتازاني ، فرعون : علم لمن هلك من العمالقة ويشبه أن يكون مثل كسرى وقيصر من علم الجنس لكن جمعه باعتبار الافراد مثل الفراعنة والقياصرة والاكاسرة يدل انه علم شخص يسمى به كل من ملك ذلك ابتداء وهو غير منصرف للعلمية والعجمة انتهى .

وقال ابن شمس الخلافة أيضا في رجل كثير الطلب من الناس :

أوراق كديته في بيت كل فتى ... على اتفاق معان واختلاف روي
قد طبق الارض من سهل الى جبل ... كأنه خط ذاك السائح الهروي

قلت : السائح الهروي كان قد طاف أكثر المعمور من البراري والجزائر

وكلما مر بمكان كتب بخطه مايليق به واستقر آخر حاله بحلب في مدرسة عمرها له الملك الظاهر بن صلاح الدين وتوفي في العشر الوسطى من شهر رمضان سنة احدى عشرة وستمائة واسمه ابو الحسن علي بن ابى بكر الهروي الاصل الموصلى المولد وكان فاضلا يعرف السيميا وبها تقدم عند الظاهر غازي وألف كتاب الاشارات في معرفة الزيارات .

قال القاضي ابن خلكان : ورأيت بخطه في ميضأة بحلب كتابة فتأملتها فاذا هي بيت المال في بيت الماء انتهى .

من كلامهم: من وعظ بقوله ضاع كلامه ، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وانشد :

يا أيها الرجل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها   فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تقبل ان وعظت ويقتدى   بالرأى منك وينفع التعليم

﴿ سؤال ﴾

ان قيل كيف عاب الله تعالى على المشركين والمنافقين قولهم وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ورد عليهم ذلك بقوله : قل كل من عند الله ، ثم قال بعد ذلك : ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيئة فمن نفسك ، واخبره بعين قولهم المردود عليهم .

﴿ الجواب ﴾

قيل : ان الثاني حكاية قولهم ايضاً ، وفيه اضمار تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً فيقولون ما اصابك ، الآية .

وقيل معناه ما اصابك ايها الانسان من حسنة ، اي من رخاء ونعمة ، فمن فضل الله ، وما اصابك من سيئة ، اي قحط وشدة فبشؤم فعلك ومعصيتك لا بشؤم محمد ﷺ كما زعم المشركون ، ويؤيده قوله تعالى (وما اصابكم من مصيبة

فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير) فان قيل: كيف يقال ان الشر والمعصية بارادة الله والله تعالى يقولـ : (وما اصابك من سيئة فمن نفسك) قلنا ليس المراد بالحسنة والسيئة الطاعة والمعصية ، بل القحط والرخاء والنصر والهزيمة على ما اختلف فيه العلماء ، ألا ترى انه قال: ما اصابك ، ولم يقل ما عملت من سيئة ، انتهى .

﴿ فائدة ﴾

ان سأل سائل وقال : الله تعالى عرف بالعقل ام بالنقل ؟ فالجواب ، الذي جنح اليه الامام ابو الحسن الأشعري انه عرف بالنقل مستدلا بقوله تعالى : (افمن كان على بينة من ربه) ولم يقل من عقله .

ذكر ذلك الشيخ تاج الدين السبكي في السيف المشهور .

﴿ ترجمة جدى علامة العصر وبليغ الزمن السيد نور الدين ﴾
(علي بن أبي الحسن)

جهبذ تأملت اوصافه ، فلم أر احسن من وصفه ، اديب العصر في الصلافة طود العلم المنيف وعضد الدين الحنيف ، ومالك ازمة التأليف والتصنيف ، الباهر بالرواية والدراية ، والرافع لجيش المكارم اعظم راية ، فضل يعثر في مداه مقتفيه ومحل يتمنى البدر لو اشرق فيه ، وكرم يخجل المزن الهاطل ، وشيم يتحلى بها جيد الزمن العاطل ، وصيت حل من حسن السمعة بين السحر والنحر .

فسار مسير الشمس في كل بلدة　　وهب هبوب الريح في البر والبحر

حتى كأن رائد المجد لم ينتجع سوى جنابه ، وبريد الفضل لم يقعقع سوى حلقة بابه ، وكان له في مبدأ امره بالشام ، مجال لا يكذبه بارق العز إذا شام ، بين اعزاز وتمكين ، ومكان في جانب صاحبها مكين .

ثم انثنى عاطفاً عنانه وثانيه ، فقطن بمكة شرفها الله وهو كعبتها الثانيه تستلم اركانه كما تستلم اركان البيت العتيق ، وتستنسم اخلاقه ، كما يستنسم المسك الفتيق ، يعتقد الحجيج قصده من غفران الذنوب والخطايا ، وينشد بحضرته تمام الحج ان تقف المطايا ، ولقد رأيته بها وقد اناف على التسمين ، والناس تستمين به ولا يستمين ، والنور يسطع من اسارير جبهته ، والعز يرتع في ميادين جلهته ، ولم يزل بها إلى ان دعي فاجاب ، وكأنه الغمام امرع البلاد فانجاب ، وكانت وفاته لثلاث عشرة بقين من ذي الحجة الحرام سنة ثمان وستين والف ، رحمه الله تعالى ، وله شعر يدل على علو محله ، وابلاغه هدى القول إلى محله .

فمن قوله متغزلا :

يا من مضوا بفؤادي عند ما رحلوا	من بعد ما في سويد القلب قد نزلوا
جاروا على مهجتي ظلماً بلا سبب	فليت شعرى إلى من في الهوى عدلوا
وأطلقوا عبرتى من بعد بعدهم	والعين اجفانها بالسهد قد كحلوا
يا من تعذب من تسويفهم كبدي	ما آن يوما لقطع الحبل ان تصلوا
جادوا على غيرنا بالوصل متصلاً	وفي الزمان علينا مرة بخلوا
كيف السبيل إلى من في هواه مضي	عمري وما صدنى عن ذكره شغل
واحيلتي ضاع ما اوليت من زمن	إذ خاب في وصل من اهواهم الامل
في اي شرع دماء العاشقين غدت	هدرى وليس لهم ثار إذا قتلوا
يا للرجال من البيض الرشاق اما	كفاهم ما الذي بالناس قد فعلوا
من منصفى من غزال ماله شغل	عنى ولا عاقنى عن حبه عمل
نصبت اشراك صيدى في محبته	والصيد فني ولي في طرقه حيل
فصاح بى صائح خفض عليك فقد	صادوا الغزال الذي تبغيه يا رجل
فصرت كالوا له الساهي وفارقنى	عقلي وضاقت علي الارض والسبل
وقلت بالله قل لي اين سار به	من صاده علهم في السير ما عجلوا

فقال لي كيف تلقاهم وقد رحلوا	من وقتهم وستجدت سيرها الابل

وقوله مادحا بعض الامراء، وهو من غرر كلامه ودرر نظامه:

لك الفخر بالعليا لك السعد راتب	لك العز بالاقبال والنصر صاحب
لك المجد والاجلال والجود والعطا	لك الفضل والنعما لك الشكر واجب
سموت على هام المجرة رفعة	ودارت على قطبي علاك الكواكب
فيا رتبة لو شئت ان تبلغ السهى	بها اقبلت طوعا اليك المطالب
بلغت العلا والمجد طفلا ويافعاً	ولا عجب فالشبل في المهد كاسب
سموت على قب السراحين صائلا	فكلت بكفيك القنا والقواضب
وحزت رهان السبق في حلبة العلى	فأنت لها دون البرية صاحب
وجلت بحومات الوغا جول باسل	فردت على اعقابهن الكتائب
فلا الدارعات المثقلات تكنها	ملابسها لما تحق المضارب
ولا كثرة الاعداء تغني جموعها	إذا لمعت منك النجوم الثواقب
خض الحتف لا تخش الردى واقهر العدى
فليس سوى الاقدام في الرأى صائب
وشمر ذيول الحزم عن ساق عزمها	فما ازدحمت إلا عليك المراتب
إذا صدقت للناظرين دلائل	فدع عنك ماتبدي الظنون الكواذب
ببيض المواضي يدرك المرء شأوه	وبالسمر ان ضاقت تهون المصاعب
لأسلافك الغر الكرام قواعد	على مثلها تبنى العلى والمناصب
زكوت وحزت المجد فرداً ومحتداً	فآباؤك الصيد الكرام الاطايب
ومن يزك اصلا في المعالي سمت به	ذرى المجد وانقادت اليه الرغائب
بنو هصكم لما أضات مشارق	بهم اشرقت منكم علينا مغارب
وفيكم لنا بدر من الغرب طالع	فلا غرو ان كانت لديه العجائب
هو الفخر مد الله في الارض ظله	ولا زال تجلى من سناه الغياهب

إلى حلب الشهباء مني بشارة ... تعطرها حتى تفوح الجوانب

إذا ما مضى من بعد عشر ثلاثة ... من الدور فيها تستتم المآرب

لقد حدثت عنها او لو العلم مثل ما ... جرى وانقضت تلك السنون الجواذب

بدا سعدها لما علي بدابها ... ويا طالما قد انحست وهو غارب

وفوز علي بالعلى فوزها به ... فكل إلى كل مضاف مناسب

كأني بسيف الدولة الآن وارداً ... اليها يلاقي ما جنته الثعالب

لقد جادها صوب الحيا بعد محلها ... وشرفها من احكمته التجارب

كريم إذا ما امحل الغيث امطرت ... اياديه جوداً منه تصفو المشارب

أديب اريب لو تجسم لفظه ... اصابته عقداً للنحور الكواعب

فيا ايها المنصور بشراك رتبة ... بها السعد حقاً والسرور مواظب

مدحتكم والمدح فيكم تجارة ... بها تثمر النعما وتغلو المكاسب

إلى باب عليا كم شددت رواحلي ... ويا طالما شدت اليها الركائب

بها الفضل منشور بها الجود وافر ... بها فتح من سدت عليه المذاهب

وما ذا عسى ان يبلغ الوصف فيكم ... إلى غاية هل ينقص البحر شارب

فلا زلتم في اكمل السعد والهنا ... مدى الدهر ما مالت وماست ذوائب

﴿ ذكر العروض والقافية ﴾

وأما بلاغته في النثر فهي ظاهرة غير خافية ، وله فيها القدح المعلى والقسمة الوافية ، ولا غرو فهو إمام الفصحاء وفارس النثر والعروض والقافية .

﴿ فائدة ﴾

قال الصفدي: العروض مؤنثة لأنها مشتقة اما من الناحية ، والمراد بذلك الناحية التي قصدتها العرب ، قال الاخفش بن شهاب :

لكل اناس من معد عمارة ... عروض اليها يلجؤن وجانب

واما من قولهم ناقة عروض : أي صعبة والمراد بذلك انها يراض بها الصعب حتى يدخل الوزن .

قال الصفدي في أول الغيث الذي انسجم : شرح لامية العجم ، وهذا أحسن من قول من قال انه ماخوذ من العرض لان الشعر يعرض على هذه الأوزان فما وافق كان صحيحا وما خالف كان سقيما اذ الصحيح انه معروض عليه اللهم إلا ان يقال فعول بمعنى مفعول فليس بشيء وعلى هذا كانت العروض تكون مذكرة وقيل من العروض أي الطريق التي في الجبل والمراد الطريق التي سلكتها العرب ، وقيل لما شبهوا البيت من الشعر ببيت الشعر شبهوا العروض الذي يقيم وزنه بالعروض وهي الخشبة المعترضة في سقف البيت كما شبهوا الاسباب بالأسباب والاوتاد بالاوتاد والفواصل بالفواصل .

والعروض اسم سمى به آخر الجزء الذي هو نصف البيت الأول وانما سمى عروضا لكثرة دوره ، كما سمى علم المواريث فرائض لكثرة قولهم فرض الزوجة كذا فرض الام كذا ، قال في الغيث الذي انسجم وأما حد العروض اصطلاحا فانه علم بمعرفة أوزان الشعر .

وقال الجاحظ : العروض ميزان الشعر ومعياره وبه يعرف الصحيح من السقيم ، والمعتل من السليم ، وعليه مدار القريض من الشعر ، وبه يسلم من الاود والكسر ، قلت وهذا أليق بالوصف من الحد .

وقال الجوهري: العروض ميزان الشعر وهي ترجمة عن ذوق الطباع السليمة .

وقال علي بن عبد الرحمن : العروض علم يدرك به معرفة ما تعتقده العرب من كلامها شعرا .

(قال المؤلف) وأنا أقول : العروض آلة قانونية تعصم مراعاتها الانسان عن أن يضل في وزن شعر العرب وهـذا الاحتراز أثبت لان اللغة اليونانية فيها الشعر ولهذا نسمعهم يقولون سولون الشاعر .

وقال ارسطو حكيم اليونان وخطيبهم وشاعرهم : وليس الشعر عندهم مايكون ذا وزن وقافية ولا ذلك ركن فيه بل الركن في ذلك ايراد المقدمات المخيلة حسب بان كانت المقدمة من معنيين شعري واقناعي .

قال أرباب المنطق : القياس الشعري قول مؤلف من مقدمات مخيلة تؤثر في النفس تأثيراً عجيبا من قبض أو بسط كقول القائل ع البيضة عذرة والخمر يا قوت سيال ، فالأول يؤثر في النفس انقباضا ، والثاني انبساطاً .

قال الصفدي : وذكر لي الشيخ الامام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري ان الشعر اليوناني له وزن مخصوص واليونان عروض لبحور الشعر والتفاعيل عندهم تسمى الايدي والارجل ، قلت ولا يبعد أن يكون وصل الى الخليل بن أحمد شيء من ذلك أعانه على ابراز العروض الى الوجود انتهى ، والحاجة ماسة وداعية لمعرفة الوزن وما يجوز من الزحاف في كل بحر ومالا يجوز فقد وقع في ذلك جماعة من كبار العرب ، كالمرقش ومهلهل وعلقمة بن عبدة وعبيد ابن الابرص وغيرهم من كبار المحدثين كأبي العتاهية والبحتري وأبي الطيب المتنبي وحسبك بوقوع مثل هؤلاء الفحول في الخروج عن الوزن ، واذا اتفق هذا لهؤلاء فما الظن بغيرهم .

قال الصفدي : وقال قوم لاحاجة الى العروض لان من نظم با لعروض شق ذلك عليه وأتى به متكلفا ولا يتأتى له وزن البيت الواحد بل الكلمة الواحدة حتى يدخل الوزن وينظر في حركاتها وسكناتها هل هي من سببين وفاصلة صغرى أولا الى غير ذلك من التفعيل إلا بعد مكابدة مشقة عظيمة والى أن ينظم الناظم في العروض بيتا نظم صاحب الطبع السليم قصيدة وما أحسن قول أبي فراس ابن حمدان :

تناهض الناس للمعالي لما رأوا نحوها نهوضي
تكلفوا المكرمات كدا تكلف النظم بالعروض

وقال ابن حجاج :

مستفعلن فاعلن فعول مسائل كلهـــا فضول
قد كان شعر الورى صحيحا من قبل أن يخلق الخليل

وهذا الوزن يعرف بمخلع البسيط ولابد للباغي من مصرع فان ابن حجاج بغى على الخليل فاورده بغيه مصرعا فظيعا وأوقعه الله في زحاف هذا الوزن بعينه لانه قال في أول قصيدته التي له في حرف الباء :

النيك عندي احلى وأطيب من عنب أصفر مزبب

فان وزنه مستفعلن مفعولن فعولن فاوقع مفعولن موقع فاعلن والعجز وزنه مفتعلن بدل من مستفعلن بالطى وقال ابن نقادة هجواً :

أعبيد من سماك النسا كاذب ما للوشاشة عن خلالك معدل
لأقت ميزان العروض فقد غدا تقطيع كاملها بوصفك يكمل
مستصفع مستقود مستجهل مستحمق مستبرد مستثقل
مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعل

وقال الجاحظ : العروض علم مستبرد ومذهب مرفوض وكلام مجهول ، يستشكل العقول بمستفعلن ومفعول ، من غير فائدة ولا محصول .

قيل ان أبا جعفر احمد النحاس المصري النحوى كان في سنة لم يزد فيها النيل والناس من امره في شدة قد جلس على درج المقياس وهو يقطع في بيت شعر فمر به اثنان ، فلما سمعاه يتكلم بكلام غير معقول المعنى توهما انه يسحر النيل ، فدفعاه في البحر فغرق .

وقيل ان بعض الاكابر مر بامرأة من بعض احياء العرب ، فقال : ممن المرأة ؟ قالت من بنى فلان ، فاراد العبث بها ، فقال لها : أتكتنون ؟ فقالت : نعم نكتني ، فقال لها معاذ الله ، ولو فعلت لاغتسلت ، فاجابته على الفور وقالت : دع

هذا أتعرف العروض ؟ قال : نعم ، قالت : قطع قول الشاعر :

حولوا عنا كنيستكم يا بني حمالة الحطب

فلما أخذ يقطعه ، قال : حولوا عن ، فاعلاتن ، ناكني ، فاعلن ، فقالت : ومن هو ذاك ؟ فقال : الله اكبر ان للباغي مصرعا .

وقد روى صاحب العقد: وغيره هذه الحكاية واختلفوا فيها وزادوها بيتاً آخر ، والذي اعتقده انها موضوعة على الجهلة ، فلا بأس بمعرفة ما امكن من العروض ، واحسن مافيه فك الدوائر ، وبمعرفة ذلك يعلم قدر واضعه الذي استنبطه فانه كان ذا ذهن متوقد وعقل صحيح وفطرة سليمة .

قيل : انه قال اريد ان اضع قاعدة في الحساب إذا توجهت الجارية بها إلى البقال ومعها درهم لايكاد يظلمها في فلس واحد ، وأخذ يفكر فيها وهو في المسجد ذاهباً وعائداً ، فبينما هو مشغول عن نفسه لطمته السارية ، فمات من ذلك والله اعلم

قال الصفدي : ومن فوائد العروض فصل القضية فيما يتنازع فيه هل هو شعر عربي او لا ، وقد ذهب بعض الناس ، أظنه الشيخ جمال الدين بن واصل رحمه الله تعالى في قول البها زهير المصري :

يا من لعبت به شمول ما ألطف هذه الشمائل

الابيات وهي مثبوتة في ديوانه إلا انها غير داخلة في أبحر العروض وتابعه والصحيح انها من بحر الوافر، إلا ان فيه العقص ، وهو اجتماع الخرم بالراء والنقص فيجعله مفعول بتحريك اللام ، وشاهده :

لو لا ملك رؤف رحيم تداركني برحمته هلكت

تقطيع بيت البها زهير وتفعيله :

يا من لـ : مفعولـ ، عبت به : مفاعلن ، شمول : فعولن . ما ألط : مفعولـ فهذه الش : مفاعلن ، شمائل : فعولن .

ورأيت قصيدة أظنها لابي الحسن الجزار رحمه الله تعالى ، مطلعها :

يا عاذلي هجر المحبوب او وصلا   أنا الذى لا أرى في حبه بدلا

هذا البيت من البسيط ، ويخرج منه وزن آخر من المديد ، وهو :

هجر المحبوب او وصلا   لا ارى في حبه بدلا

ثم قال الصفدي في شرح لامية الطغرائى ، والبحر البسيط نفسه مبنى على مستفعلن فاعلن ، ثمانية اجزاء ، وانما سمي البسيط بسيطاً لانبساط السببين على الوتد في اول جزء وهو مستفعلن لانها مركبة من سببين خفيفين ووتد مجموع .

وقيل : لانه بسطت اسبابه من اسباب الطويل ، لانه فك منه فان عيلن مفا هو مستفعلن .

وقيل : لانه كانت عروضه فاعلن وضربه ، كذلك فصار افعلن فانبسطت الحركات في قاعدتيه لان الالف كانت فاصلة ومانعة من انبساط الاولى إلى الثانية فهو فعيل بمعنى مفعول ، وهذا أحسن ما علل به .

ذكرت هنا لغزاً أنشدنيه بعض الاصحاب ، وزعم انه للشيخ شمس الدين ابن الصائغ ، وهو :

يا عروضياً له فطن   بحرها كالموج يضطرب

ايما اسم وضعه وتد   وهو ان صحفته سبب

ويرى في الوزن فاصلة   ساكناً تحريكه عجب

وهـــــذا لغز ظاهره مشكل إذ الوتد غير السبب ، والسبب غير الفاصلة عند العروضين ، وانما هذا في جبل ، واراد بالوتد المذكور في قوله تعالى (والجبال اوتاداً) وهو في تصحيفه حبل وهو السبب لغة ووزنه فاصلة صغرى لانه جبل فهو ثلاث متحركات وبعدها ساكن ، وقد جمع مثال السببين والوتدين في قول القائل لم ير على ظهر جبل سمكة .

والبحر البسيط من الدائرة الاولى وهي دائرة المختلف ، وانما سميت بذلك

لاختلاف اجزائها ، وهذه الدائرة لا يدخلها إلا بحر الطويل والبسيط والمديد .

قال الصفدي : انشدني بعض الاصحاب لغزاً ، وهو :

يا ايها الحبر الذي علم العروض به امتزج

ابن لنا دائرة فيها بسيط وهزج

ثم قال ان الشيخ الامام العلامة نجم الدين ابا الحسن علي بن داود القحفيري أنشده لبعض الطلبة في حلقته ، ففكر فيه ساعة طويلة ، ثم قال هذا لغز في الساقية فقال له الشيخ : إلا انك درت فيها زماناً طويلا حتى ظفرت بالمقصود ، وهذا من الشيخ احسن من الحل فانه ظرف في التنديد ، واللغز ظاهره مشكل لانه ليس في دوائر العروض ما يجمع بحر البسيط ، وبحر الهزج لان البسيط من دائرة المختلف كما تقدم ، والهزج من المختلف واوهم بالبسيط وهو يريد الماء لانه احد البسائط ، واوهم بالهزج وهو يريد الصوت الذي يسمع من الساقية حال دورانها ، انتهى الكلام في العروض .

وأما القافية فهي لغة تطلق على القصيدة ، قالت الخنساء :

وقافية مثل حد السنا ن تبقى ويذهب من قالها

قال الصفدي : واشتقاقها من قفوت اثره إذا تتبعته كان الشاعر يتتبع الكلم التي تناسب ما بني عليه قصيدته فحينئذ تكون فاعلة بمعنى مفعولة ، اي مقفوة كقوله تعالى (من ماء دافق) بمعنى مدفوق او كأن كل قافية تقفو صدر البيت الاول وما احسن قول ابي تمام :

وتقفو إلى الجدوى بجدوى وانما يروقك بيت الشعر حين يصرع

والقافية اصطلاحا اختلفوا فيها اختلافا كثيراً واصح الاقوال ما ذهب اليه الخليل بن احمد رحمه الله تعالى من انها آخر حرف في البيت إلى اول ساكن يليه مع حركة الحرف الذي قبله لانك ترى هـذا القول منتظماً لجميع العوارض في القافية من حروف وحركات تراعى احكامها ، ومتى اختل شيء مما اشترطه فسدت القافية

وانما انثوا القافية مع كون الروي والحرف مذكراً، لان حروف المعجم كلها مؤنثة، تقول هـذه باء حسنة وجيم مليحة والمتراكب من القوافي ماكان في آخر البيت فاصلة صغرى وهي ثلاث حركات بعدها ساكن وسمي هذا النوع متراكباً لتراكب حركاته وهو دون التكاوس لان التكاوس هو الاضطراب والمتكاوس في العروض ان تتوالى اربع متحركات والاضطراب اشد من التراكب والروي في اللغة هو الجمع والاتصال والضم، ومن ذلك الرواء، وهو الحبل الذى يشد به الاحمال والمتاع، قال الراجز:

اني إذا ما القوم كانوا نحيه   واضطرب القوم اضطراب الارشيه

وشد فوق بعضهم بالاوريه   هناك توصيني ولا توصى بيه

وقيل للماء الكثير رواء لاجتماع الناس اليه كأن هذا الحرف يربط القصيدة بجميعها والوصل هو الذي يصل حركة المجرى والمجرى هو حركة الروى.

قال الصفدي عند قول الشاعر:

يوشك من فر من منيته   في بعض غراته يصادفها

هذه القافية وأمثالها نهاية ما يمكن أن يجتمع في قافية وذلك لانه اجتمع فيها خمسة أحرف، وهي التأسيس، والدخيل، والروى، والصلة، والخروج، وكلها يلزم تكراره إلا الدخيل، واجتمع قبله أربع حركات، وهي الرس، والاشباع والاطلاق، والنفاد، فهذه تسعة أشياء اجتمعت في قافية واحدة كما ترى فالالف في الكلمة تأسيس، وحركة ما قبلها رس، والفاء دخيل وحركتها اشباع، والقاف روي وحركته اطلاق ومجرى ان شئت والهاء صلة وحركتها انفاد والالف خروج

قال الصفدى: ذكرت ها هنا ماكتب به بعض ادباء الاندلس الى الفقيه أبي عبد الله المأزرى بالمهدية وهو:

ربما عالج القوافي رجال   تلتوي تارة لهم وتلين

طاوعتهم عين وعين وعين   وعصتهم نون ونون ونون

فابن لي ماطاوعهم وماعصاهم ، فأجاب طاوعهم العجمة والعي والعجز ، وعصاهم اللسان والجنان والبنان وما أجاب بشيء ومال عن الجد الى الهزل وما ناسب بين الأول والثاني وكان ينبغي أن يقول طاوعهم العجمة والعي والعجز وعصاهم النحو والنقل والنظم أو يقول طاوعهم الهلع والجزع والطمع ، وعصاهم اللسان والجنان والبنان لتكون أوائل الكلمة من القسمين متناسبة وكذلك الاواخر منهما .

قال الصفدي : وأما الجواب عن هذين البيتين المذكورين في ذكر القوافي فهو ما وقفت عليه بالقاهرة المعزيه من خط الفقيه كمال الدين ابي العباس احمد بن سلمان بن ابراهيم الطوخي الشافعي صهر الشيخ جمال الدين بن الحاجب وصورته انشدني الشيخ جمال الدين ابو عمر وعثمان بن الحاجب ما ذكره بعض اصحاب التاريخ في المعميات فأقام وذكر البيتين ، ثم قال كتب هذان البيتان إلى حاذق عارف باخراج المعميات ، فأقام ستة اشهر ينظر فيهما إلى ان كشفهما ، ثم حلف بايمان مغلظة انه لا ينظر في معمى ابداً ولم يذكر تفصيلهما .

قال الشيخ رحمه الله : فاضربت عن النظر فيهما لما تبين من عسرها من سياق الحكاية ، ثم بعد اربعين سنة خطر لي بالليل فافكرت فيهما فظهر لي امرها ، وانه انما اراد بقوله طاوعتهم عين وعين وعين ، يعني يد وغد ودد لانها عينات مطاوعة القوافي مرفوعة كانت او منصوبة او مجرورة ، وكل واحد منها آخره عين الكلمة لان وزن غد فع ، ووزن يدفع ، ووزن دد فع ، وأرادبقوله وعصتهم نون ونون ونون الحوت ، لانه يسمى نوناً والدواة لانها تسمى نوناً ، والنون الذي هو حرف من حروف الهجاء ، وكلها نونات غير مطاوعة في القوافي إذ لا يلتئم احد منها مع الآخر ، ثم نظم ذلك في بيتين على وزن السؤال ، فقال :

أي غد مع يد دد ذو حروف طاوعت في الروي وهي عيون
ودواة والحوت والنون نونات عصتهم . وامرها مستبين

ثم قال : ولا يشك عارف بالمعميات انه لم يرد سوى ذلك .

وعلى ذكر القافية فما احلى قول السراج الوراق :

قلت صلني فقد تقيدت في الحب به والاسار في الحب ذل
قال يا من يجيد علم القوافي لا تغالط ما المقيد وصل

﴿ ترجمة الخليل ﴾

وهو الامام احمد ابو عبد الرحمن الفراهيدى الازدي البصرى ، كان من أفضل الناس وازهدهم واعلاهم نفساً واشدهم تعففاً ، وكانت الملوك والخلفاء تقصده وتتعرف اليه لينال منهم الخير ، فلم يفعل ابداً وكان معاشه من بستان خلفه له ابوه وكان يغزو سنة ويحج سنة إلى ان مات ، وكان الغاية في استخراج مسائل النحو ، وتصحيح القياس عليه ، وكان من اعلم الناس بالاخبار وايام الناس ، وكان شاعراً مفلقاً واديباً بارعا وخطيباً مصقعاً ، ولم يكن في زمنه ادق ذهناً منه ، وكانت بركته وفضله وبركة ابيه وفضله تشمل الناس لانه اول من سمى احمد بعد رسول الله ﷺ .

قال البصير : ما رأى الراؤن مثل الخليل ، ولا رأى هو مثل نفسه فانه كان اشعث الرأس قشف الهيئة مجهولا في الناس لا يعرف .

وروى الصولي عن محمـد بن يحيي الآدمي عن عبد الله بن الفضل عن ابيه ، قال : كان عندنا رجل يعطي دواء لظلمة العين ينتفع به فمات ، فاضر ذلك بمن كان يستعمله ، فذكر ذلك للخليل ، فقال : أله نسخة ؟ فقالوا : لم نجد له نسخة ، قال : فهل كانت له آنية يعمل فيها ؟ قالوا : نعم ، قال : فجيئوني بها ، فلما جيء بها جعل يشمها ويخرج نوعا حتى ذكر خمسة عشر نوعا ، ثم سأل عن جمعها ومقاديرها فعرف ذلك ممن يعالج مثله فعمله واعطاه الناس فانتفعوا به مثل ذلك .

ثم وجدت النسخة في بعض كتب الرجل فوجدت الاخلاط ستة عشر خلطاً كما ذكر الخليل ، لا يغفل منها إلا خلطاً واحداً .

وقال الخليل : أنا اول من سمى الاوعية ظروفا ، وانما قيل للانسان ظريفاً لحفظه الادب .

ومن كلامه : أثقل اوقاتي علي التي آكل فيها ، ذكره خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي في اوائل الجزء الحادي والاربعين من تذكرته ، اثابه الله جزيل مغفرته .

ومن كلامه : من يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ، ومن لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارشدوه .

قلت : هذا من قبيل الجاهل البسيط والجاهل المركب ، ولله در من قال :

قال حمار الحكيم يوما لوأنصفوني لكنت اركب
لأنني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب

ومن كلامه : التواني اضاعة ، والحزم بضاعة ، والانصاف راحة ، واللجاج وقاحة ، ومن شعره :

العلم يذكي عقولا حين يصحبها وقد يفيدهم طول التجاريب
فذو التأدب في الجهال مغترب يرى ويسمع انواع التعاجيب

وله اشعار كثيرة وهي في مظانها شهيرة ، وهو اول من استخرج علم العروض وحصر اشعار العرب فيها .

يقال انه مر بحارة القصارين فسمع الدق باصوات مختلفة ، وسمع من دار دق ومن دار اخرى دق دق ، ومن اخرى دق دقق ، فأعجبه ، وقال : والله لاضعن على هذا المعنى علماً غامضاً ، فصنع هذه العروض على حدود الشعر وجعل بحورها ستة عشر بحراً ، وقد نظم هذه البحور جم من الشعراء وممن قيدها بالنظم الصفي الحلي فانه نظمها تقريباً واختصاراً على بناء أصول الدوائر ، فقال :

الطويل : طويل له دون البحور فضائل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل
المديد : لمديد الشعر عندي صفات فاعلاتن فاعلن فاعلات

البسيط :	ان البسيط لديه يبسط الامل	مستفعلن فاعلن مستفعلن فعل
الوافر :	بحور الشعر وافرها جميل	مفاعلتن مفاعلتن فعول
الكامل :	كمل الجمال من البحور الكامل	متفاعلن متفاعلن متفاعل
الهزج :	على الاهزاج تسهيل	مفاعيلن مفاعيل
الرمل :	رمل الأبحر يرويه الثقات	فاعلاتن فاعلاتن فاعلات
السريع :	بحر سريع ما له ساحل	مستفعلن مستفعلن فاعل
الرجز :	في أبحر الارجاز بحر سهل	مستفعلن مستفعلن مستفعل
المنسرح:	منسرح فيه يضرب المثل	مستفعلن فاعلن مفتعل
الخفيف:	يا خفيفاً خفت به الحركات	فاعلاتن مستفعلن فاعلات
المضارع:	بعد المضارعات	فاعلات فاعلات
المقتضب:	اقتضب كما سألوا	فاعلات مفتعل
المجتث :	اجتثت الحاجات	مستفعلن فاعلات
المتقارب:	عن المتقارب قال الخليل	فعولن فعولن فعولن فعول
المحدث :	حركات المحدث تنتقل	فعلن فعلن فعلن فعل

ومن أناشيد بعض الاندلسيين في أبحر العروض :

الطويل :

بطول قصيدي واحتفال مدائحي　　　قصدت إلى الندب الكريم المسامح

المديد :

بمديد الشعر تمتد نفسي　　　فهو سؤلي ومناي وأنسي

البسيط :

ان البسيط لحن غر الاعاريض　　　فلا تكن منكراً مدحي وتعريفي

الوافر :

بوافر جودك استغنيت دهري فلست أخاف بؤساً طول عمري

الكامل :

يا كاملا في عقله متأدبا انى اتيتك واصلا متحببا

الهزج :

وفي هزج من الشعر مدحت مرجل الشعر

الرجز :

الرجز المنظوم في المليح من جل ما ينشد في المديح

الرمل :

رمل شعرك هذا في العروض ما لشعر معه فيه نهوض

السريع :

أيا سريع الهجر لا تهجر وأرث لصب دنف واعذر

المنسرح :

منسرح الشعر زاد في طربي ليس عروض سواه من اربي

الخفيف :

من خفيف العروض انشدت شعري انشراحا مني وانساً لصدري

المضارع :

مضارع هذا البيت عروض شجي الصوت

المقتضب :

اقتضاب شعرك لم يبق لي بمكان ألم

المجتث :

مجتث شعرك هذا جرى بقلبي التذاذا

المتقارب :

تقارب حبي من حبكا   فقلبي يحن إلى قلبكا

الخبب :

خبب الاشعار يذكرني   الفي ويحرك لي شجني

توفي الخليل سنة مائة وسبعين من الهجرة النبوية ، على صاحبها وآله وصحبه الصلاة والسلام والتحية ، ورحم الله الخليل رحمة مرضية ، تغشاه بكرة وعشية .

﴿ فائدة ﴾

ان قال قائل : هل العلم افضل من العقل ام العقل افضل من العلم ؟ فالجواب . ان العقل افضل كما قرره شيخ الاسلام ابن حجر في تحفته لانه منبع العلم واسه .
وذكر ناصر الشريعة النسفي في بحر الكلام ان العلم افضل وعليه الحنفية لانه تعالى يوصف بالعلم لا بالعقل انتهى .

﴿ فائدة ﴾

ذكر الحريري في درة الغواص عن المبرد انه قال : قصد بعض اهل الذمة ابا عثمان المازني ليقرأ عليه كتاب سيبويه فأبى فبذل له مائة دينار فامتنع من ذلك واصر على ردها ، قال : فقلت له جعلت فداك أترد هذه النفقة مع فاقتك وشدة اضاقتك ، فقال : ان هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل ولست ارى ان امكن منها ذمياً غيرة على كتاب الله سبحانه وحمية له ، قال : فاتفق ان غنت جارية في حضرة الواثق العباسي بقول العرجي :

أظلوم ان مصابكم رجلا   يهدي السلام عليكم ظلم

فاختلف من بالحضرة في اعراب رجل ، فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ،

ومنهم من رفعه فجعله خبر أن ، والجارية مصرة على ان شيخها ابا عثمان لقنها بالنصب فامر الواثق باحضاره ، قال ابو عثمان : فلما مثلت بين يديه ، قال : ممن الرجل ؟ قلت : من بني مازن ، قال : أي الموازن أمازن تميم أم مازن قيس ام مازن ربيعة ؟ قلت : من مازن ربيعة ، فكلمني بلسان قومي ، وقال با اسمك لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما فكرهت ان اجيبه على لغة قومي لئلا اواجهه بالمكر فقلت بكر ياامير المؤمنين ، ففطن لما قصدته واعجب به ، ثم قال : ما تقول في بيت الشاعر أظلوم البيت اترفع رجلا ام تنصبه ، فقلت : بل الوجه النصب يا امير المؤمنين قال : ولم ذاك ؟ قلت ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم ، فاخذ اليزيدي في معارضتي فقلت له : هو بمنزلة قولك ان ضربى زيدا ظلم ، فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل على ذلك ان الكلام معلق إلى ان تقول ظلم فيتم ، قال : فاستحسنه الواثق وقال : هل لك من ولد ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين بنية ، قال : ما قالت لك عند مسيرك ؟ قلت : انشدتني قول الاعشى :

يا ابتا لا ترم عندنا فانا بخير إذا لم ترم
وانا إذا اضمرتك الحتو ف نجفى وتقطع منا الرحم

قال : فما قلت لها ؟ قال : قلت لها قول جرير :

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

قال : انت على النجاح ان شاء الله ، ثم امر لى بالف دينار وردنى مكرما .

قال المبرد : فلما عاد إلى البصرة قال لى : كيف رأيت يا ابا العباس رددنا لله مائة فعوضنا الفاً ! قلت : لم تكن هذه المسألة مما تخفى على ابى محمد اليزيدي وهو الذي قال للكسائي يوما في بعض مناظراته كيف تقول ان من خير القوم او خيرهم نية زيد او زيداً ، فقال الكسائي : زيد بالرفع ، فقال له : اخطأت علام ترفعه ؟ قال : على انه خبر ان ، قال : ان قال فاين اسمها ، فالتبك ، فقال له : زيد اسم ان والخبر فى الجار والمجرور ؛ وهذا اليزيدي له مسائل عويصة سأل الكسائى عنها

وأخطأ في الجواب . منها انه سأله بحضرة هارون الرشيد ويحي بن خالد البرمكي عن قول الشاعر :

ما رأينا خربا نقر عنه البيض صقر
لا يكون العير مهراً لا يكون المهر مهر

فقال الكسائي : يجب ان يكون مهر منصوبا على انه خبر كان ففي البيت على هذا التقدير اقواء ، فقال اليزيدي : الشعر صواب لان الكلام تم عند قوله لا يكون الثانية ، وهي مؤكدة للاولى ، ثم استأنف الكلام ، فقال : المهر مهر وضرب بقلنسوته الارض ، وقال : انا ابو محمد ، فقال له يحي البرمكي : اتكتني بحضرة امير المؤمنين والله ان خطأ الكسائي مع حسن ادبه لأحسن من صوابك مع سوء ادبك ، فقال اليزيدي : حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ ، قلت : واخطأ الكسائي ايضاً في تسميته هذا أقواء لان الاقواء اختلاف حركة الروي بالرفع والجر ، كقول النابغة من قصيدته الدالية المجرورة (وبذاك خبرنا الغراب الاسود) وأما إذا كان الاختلاف بالنصب والرفع فهو الاصراف ، والذى ذكره الحريري فى معارضة هذا اليزيدي للمازنى بين يدي الواثق فيه تجوز لان ابا محمد اليزيدي كان يؤدب المأمون ، والكسائى كان يؤدب الامين ، وتوفى اليزيدي مع المأمون في مرو أو في بغداد سنة اثنتين ومائتين ، والواثق تولى الامر بعد وفاة ابيه المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين ، ولعل هذا اليزيدي المذكور هنا هو احد اولاد ابى محمد اليزيدي لانه كان له خمس بنين كلهم علماء ادباء شعراء رواة الاخبار ، وهم : ابو عبد الله محمد ، وابراهيم ، وابو القاسم اسماعيل ، وابو عبد الرحمن عبيد الله ، وابو يعقوب اسحاق ، وكلهم ألف في اللغة والعربية كتابا فان كان ذلك المذكور احد اولاد هؤلاء فكان ينبغي ان يعينه الحريري ولا يطلق لفظ اليزيدي لانه لا يفهم منه إلا ابو محمد اليزيدي ، انتهى .

قيل : ان ابن الزقاق البلنسي الشاعر المشهور كان يسهر بالليل ويشتغل بالادب وكان ابوه فقيراً حداداً فلامه ابوه وقال له نحن فقراء ولا طاقة لنا بشراء الزيت الذي تسهر عليه ، فاتفق انه برع في العلم ، وقال الشعر وعمل في ابي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة اولها :

يا شمس خدر ما لها مغرب   أرامة دارك ام غرب
ذهبت فاستعبر طرفي دما   مفضض الدمع به مذهب

ومنها :

ناشدتك الله نسيم الصبا   أين استقرت بعدنا زينب
لم تسر إلا بشذا عرفها   اولا فماذا النفس الطيب
ايه وان عذبني حبها   فمن عذاب النفس ما يعذب

فأطلق له ثلاثمائة دينار ، فجاء إلى ابيه وهو جالس في حانوته مكب على سنعته فوضعها في حجره وقال : خذها واشتر بها زيتاً .

ذكرت ببلنسية هنا ما حكاه صاحب الريحان والريمان ، قال : حضر شاب ذكي بعض مجالس اهل الادب ، فقال له بعضهم : ما تصحيف نصحت فخنتني ، قال تصحيف حسن ، فاستغرب اسراعه ، وكان في المجلس شاعر من اهل بلنسية فاتهم الشاب وقال له مختبراً : ما تصحيف بلنسية ، فأطرق ساعة ثم قال : اربعة اشهر فجعل البلنسي يقول : صدق ظني انك تدعي وتنتحل ما تقول ، والفتى يضحك ، ثم قال له الشاب أشعر فانت شاعر ، فقال له : وأي نسبة بين بلنسية واربعة اشهر ، فقال: الشاب ان لم يكن في اللفظ فهو في المعنى ، ثم قام وهو يقول : هو ذاك فتنبه بعض الحاضرين بعد حين ونظر فاذا أربعة اشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل المنازع ، ومضى إلى الشاب معتذراً .

وقال آخر لآخر ما تصحيف نصحت فضمت فجعل لا يهتدي إلى تصحيفه فلما اعياه الامر، قال له: ما تصحيفه؟ قال: تصحيف صعب ، قال : بالله قل ما تصحيفه

قال : تصحيف صعب ولم يزالا كذلك هو يسأله وذاك يجيبه ولم يهتد إلى ان ذلك هو الجواب .

وقال آخر لآخر : ما تصحيف استنصح ثقة ؟ ففكر فيه زماناً ، فلما اعياه قال : لم يظهر ايش تصحيفه ، فقال له : قد اجبت لم تعلم انك اجبت .

ومن التصحيف ما كتب به ابراهيم بن المهدي إلى اسحاق بن ابراهيم النديم أي شيء تصحيفه لا ترجّ مثل الاسنة ؟ فكتب اليه لا يرث جميل إلا بثينة ، فكتب اليه ابراهيم فما تصحيف هذا ؟ فكتب اليه وانه منك .

فلما اسفر الصباح عن وجه الهنا والانشراح ، رابع ربيع الاول عام الف ومائة وواحد وثلاثين من هجرة النبي المرسل ، توكلنا على الرب العلي ورحلنا من مشهد علي قاصدين زيارة الشهيد المبتلى المدفون بكربلا ، الحسين بن علي ومن معه من الشهداء الصابرين رضوان الله عليهم اجمعين ، ففي خامس الشهر المذكور اتينا على موضع يقال له الخان الاخير ، ومررنا في طريقنا بقبر النبي ذي الكفل عليه السلام فزرنا وبلغنا المرام ، وفي سادس الشهر دخلنا ارض الحائر مشهد الحسين الطاهر سلام الله عليه وعلى اخيه وعلى جده وابيه وامه وبنيه وسائر مواليه ومحبيه :

لله ايام مضت بكربلا	محروسة من كل كرب وبلا
بمشهد الطهر الحسين ذي العلا	ونسل خير الخلق من كل الملا
فحفني بجوده تفضـــلا	ونلت ما كنت له مؤملا
من زاره بالصدق فيه والولا	يعود مجبوراً بلا شك ولا
فاسمع لما قد قال ذو الفضل الحسن	محمد الحر الاصيل ابن الحسن
قد ارخ المولد في رجيزه	مفيدة جليـــلة وجيزه
فقال في ذكر الحسين بن علي	نظما بديع القول كالصبح الجلي
وكيف لا وهو الامام الرحله	نجل ثقات قادة اجـــله
خادم شرع المصطفى والمذهب	الطيب بن الطيب بن الطيب

من ذكره في العرب سار والعجم والشام والروم إلى اقصى ارم
بالفضل والتقوى مع العفاف والبر والاحسان والالطاف
عليه من رب العباد الرحمه تعمه وللجميع الامـه
فاسمع فهذا قوله المفيـد قد قال وهو الفاضل المجيـد
واسمع وقيت صولة الحوادث نظمي تاريخ الامام الثالث
روحي الفداء للحسين بن علي ذي المجد والسؤدد والقدر العلي
مولده في عام اربع مضت في شهر شعبان لخمس انقضت
يوم الخميس سيدي قد ولدا قيل بل السابع كان المولدا
وقيل في عام ثلاث فاعقل آخر يوم من ربيع الاول
يكنى بعبد الله وهو السبط لم يك مثله كريم قط
نسبه من اشرف الانساب حسبه من اكرم الاحساب
نص عليه بالامامة النبي فيا له من فضل مجد عجب
وبعـده ابوه واخوه ونال ذاك بعـده بنوه
خير الورى في العلم والزهاده والفضل والحلم وفي العباده
كرمـه وجوده قـد بلغا ما لم يحط به مقام البلغا
ولذة الكرام في الاطعام ولذة اللئام في الطعام
فاق الورى في الجود والسماحه والمجد والكمال والفصاحـه
اولاده ست وقيل عشـر وقيل تسع فانقدوه وادروا
منهم علي بن الحسين الاكبر ثم علي بن الحسين الاصغر
فالاول ابن بنت كسرى الملك ولم يكن في دينه بالمشرك
والثان من ليلى الفتاة فاعرف بنت ابي مرة اعني الثقفي
وجعفر والام من قضاعه كانت على ما نقل الجماعه
سكينة اخت لعبد الله فاحفظ وفكر لا تكن كاللاهي

من الرباب الحرة الابيه بنت امرىء القيس الفتى الكلبيه
وفاطم وامها في القوم بنت لطلحة الشهير التيمي
قيل ومن اخوتهم محمد علي الاوسط وهو الاسعد
وذاك زين العابدين الاشهر وزينب بنت الحسين تذكر
وقتله بكربلاء اشتهرا مضى شهيداً وبها قد قبرا
أمر يزيد وعبيد الله ابن زياد الخبيث اللاهي
قاتله سنان وابن سعد تعوضوا بنحسهم عن سعد
احدى وستون بها حل البلا بقتله مع شهداء كربلا
في عاشر المحرم المنحوس في يوم سبت ماخلا من بؤس
او يوم الاثنين وقيل الجمعة حل البلا به بتلك البقعة
وعمره سبع وخمسون سنه وبعدها مضى وحل مدفنه
عشر سنين اختص بالامامه بعد اخيه إذ مضى أمامه
صلى عليه الله ثم سلما وزاده من فضله وكرما
والنص فيه جاء بالامامه كما اتى لمن مضى امامه
من ربه وجده والوالد ومن اخيه ويل كل جاحد
ومعجزاته نصوص منها سبح الحصاة قد رووه عنها
ذلت له الاسد وكم قد اخبرا بما يكون فجرى ما قد جرى
وفي اجابة الدعاء منه غرائب قد نقلوها عنه
وما جرى في قتله من عجب من البراهين فكروا عجب
وعند نبش قبره كم ظهرا من معجز له عجيب بهرا
احيا له الاله ميتاً إذ دعا في خبر صح وعاه من وعى
ورأسه إذ سار يتلو الكهفا من فوق رمح اسفا والهفا
حدث رجلا فطار عقله وغاب حتى لا يراه اهله

حدث شخصاً ذا شباب وصبا ... فابيض شعره وصار أشيبا
أري الورى اباه بعد موته ... مخاطباً لهم عقيب فوته
وابيض شعر امرأة وشابت ... فذهبت محاسن وغابت
ثم دعا فرجع الشباب من ... بعد اليها فتعجب واستبن
دعا لنخل يابس فاخضرا ... واكل الاصحاب منه تمرا
وكم وكم من معجز رووه ... والحاضرون كلهم رأوه

فتشرفت والحمد لله بالزيارة ، ولاح لي من جنابه الشريف اشارة ، فأنى قصدته لحال ، وما كل ما يعلم يقال وقرت عيني بزيارة الشهيد علي الاصغر بن مولانا الحسين الشهيد الاكبر وزيارة سيدي الشهيد العباس بن علي بن ابي طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ، وأما ضريح سيدي الحسين ، فيه جملة قناديل من الورق المرصع والعين ما يبهت العين ، ومن انواع الجواهر الثمينة ، ما يساوي خراج مدينة ، وأغلب ذلك من ملوك العجم وعلى رأسه الشريف قنديل من الذهب الاحمر ، يبلغ وزنه منين بل اكثر ، وقد عقدت عليه قبة رفيعة السماك متصلة بالافلاك ، وبناؤها عجيب ، صنعة حكيم لبيب .

وقد اقمت شهرين ، بمشهد مولاي الحسين ، بلدة من كل المكاره جنة ، كأنها من رياض الجنة ، نخيلها باسقات ، وماؤها عذب زلال من شط الفرات وأقمارها مبدرة ، وانوارها مسفرة ، ووجوه قطانها ضاحكة مستبشرة ، وقصورها كغرف من الجنان مصنوعة ، فيها سرر مرفوعة ، واكواب موضوعة وفواكهها مختلفة الالوان ، واطيارها تسبح الرحمن على الاغصان ، وبساتينها مشرقة بانوار الورود والزهور ، وعرف ترابها كالمسك ولونه كالكافور ، واهلها كرام اماثل ، ليس لهم في عصرهم مماثل ، لم تلق فيهم غير عزيز جليل ، ورئيس صاحب خلق وخلق جميل ، وعالم فاضل ، وماجد عادل ، يحبون الغريب ويصلونه من برهم ، وبرهم باوفر نصيب ، ولا تلتفت إلى قول ابن اياس في نشق الازهار ، بأنهم من البخلاء

الاشرار ، فلله خرق العادة ، فانهم فوق ما اصف وزيادة :

هينون لينون ايسار ذوو كرم ... سواس مكرمة ابناء ايسار

ان يسئلوا الحق يعطوه وان خبروا ... في الجهد ادرك منهم طيب اخبار

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا ... ولا يمارون ان ماروا باكثار

فيهم ومنهم يعد المجد متلدا ... ولا يعد ثنا خزى ولا عار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

واجتمعت بالرئيس المعظم ، والعظيم المفخم ، ذي الشرف الباذخ والفخر الوضاح ، مولانا السيد حسين الكليدار يعنى صاحب المفتاح ، وباخيه الشهم النجيب الكريم ، النبيل العظيم ، مولانا السيد مرتضى حماه الله تعالى من حوادث القضا ، وبالعالم العلامة ، الحبر النحرير الرحلة الفهامة ، ذي الوصف الجميل والذكر الحسن ، مولانا الفاضل الملا ابو الحسن فجمع بيني وبين الامير المظفر ، الشجاع الغضنفر ، البحر الغطمطم ، الاسد الغشمشم بحر الاحسان ومعدن الكرم ، الامير حسين اوغلي بيك ايشك اغاسي باشي حرم ، سلطان العجم ، وكان قد استأذن من السلطان في ذلك العام ان يسير إلى العراق لزيارة الأئمة أعلام الهدى ومصابيح الظلام ، وهذا الامير من أكابر امراء أصفهان ، وهذا الخطاب الذي هو خطاب لرئيس الحجاب على ابواب حريم السلطان ، فأشار علي ذلك الامير المنصور المعان بالمسير صحبته إلى دار السلطنة اصفهان ، لكي يجمعني بالشاه حسين السلطان ، امنه الله من طوارق الحدثان :

إذا أذن الله في حاجة ... أتاك النجاح على رسله

وقرب ما كان مستبعداً ... ورد الغريب إلى اهله

فأعزني واكرمني غاية الكرامة ، ومشيت صحبته إلى ديار العجم بالسلامة ، احسن الله مبدأه وختامه ، ونلت كل خير من دولة هذا الامير الرئيس ، ورزقت بصيته صيتاً بذلك المكان ، وقدراً عزيزاً نفيس وملأت صندوق من عطاياه الجسيمة

والكيس ، لكنى لم اقم لتلك النعمة باداء بعض الشكر ، فلهذا خلعت من ملك النعيم واعتضت عن حلاوة الاقبال ، مرار تقلب الاحوال بالبؤس والضر :

رزقت ملكا فلم احسن سياسته ... وكل من لا يسوس الملك يخلعه

ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا ... شكر عليه فمنه الله ينزعه

﴿ فائدة ﴾

قال الصولي: الناس يرون كل سادس يقوم بامر الدين منذ اول الاسلام لابد ان يخلع النبي ﷺ وابو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن خلع ، ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك وعبد الله بن الزبير خلع .

ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد بن يزيد خلع ثم اتى الله بالدولة العباسية فكان السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والامين فخلع ثم قتل ، ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع، ثم المعتز بالله والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر ، فخلع في فتنة ابن المعتز ، ثم رد ، إلى هنا قول الصولي.

وقال صاحب رأس مال النديم : ثم القاهر والراضى والمقتفى والمستكفى والمطيع والطائع فخلع ، إلى هنا قول صاحب رأس مال النديم .

وقال الصفدي في شرح لامية العجم ، ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع ، ثم المقتفي والمستنجد والمستضيء والناصر والظاهر والمستنصر بالله ، قيل انه مات مسموماً ، وكان الذي سمه خلعه والمستعصم فخلع وقتل ايام هلاكو لما فتحت بغداد .

وكذلك العبيديون وهم الذين يسمون بالفاطميين اول من ملك بالمغرب المهدي عبيد الله والقائم بامر الله والمنصور صاحب افريقية ، والمعز باني القاهرة ، والعزيز والحاكم فقتلته اخته، ثم ولت ابنه الظاهر، والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ

والظافر فخلع ، وقتل وولي ابنه الفائز والعاضد ، وهذا كان آخرهم .

وكذلك بنو ايوب في ملك مصر اولهم صلاح الدين وولده العزيز واخوه الافضل بن صلاح الدين والعادل الكبير اخو صلاح الدين والكامل ولده والعادل الصغير فخلع ، قبض عليه امراء دولته واحضروا أخاه الصالح نجم الدين ايوب .

وكذلك دولة الاتراك اولهم المعز وابنه المنصور ، والمظفر والظاهر وابنه السعيد واخوه سلامش فخلع ، وملك السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون وخرج عليه سنقر الاشقر بدمشق ، ثم فر إلى حصن صهيون ، ثم ملك الاشرف خليل بن قلاون ، ثم اخوه الناصر محمد ، وتوجه إلى الكرك فولى كتبغا ، ثم تولى حسام الدين لاجين فخلع وقتل ، ثم طلب الناصر ، ثم رحل إلى الكرك فتولى الجاشنكير بيبرس المظفر ، ثم عاد الناصر ومات ، فملك المنصور ابو بكر وبعد الاشرف كجك ، ثم الناصر احمد فخلع وقتل ، ثم ولي الصالح اسماعيل ، ثم الكامل شعبان ، ثم المظفر حاجي ، ثم الناصر حسن ، ثم الصالح صالح ، ثم اعيد الناصر حسن وخلع ، انتهى .

﴿ فائدة ﴾

أصحاب العاهات من الملوك الاسكندر كان أحنف أنو شروان كان أعور يزدجرد كان أعرج جذيمة الوضاح كان أبرص النعمان بن المنذر كان أحمر العينين والشعر عبد الملك بن مروان كان ابخر يزيد بن عبد الملك كان أفقم هشام بن عبد الملك كان احول مروان الحمار كان اشقر أزرق عبد الله بن الزبير كان كوسج الهادى شفته العليا فيها تقلص كان أبوه المهدي قد رتب معه خادماً يلازمه متى غفل وفتح فاه قال له موسى اطبق ، ابراهيم بن المهدي كان اسود سميناً يلقب بالتنين .

﴿ فائدة ﴾

جبار بني العباس هو هارون الرشيد لانه اغزى ابنه القاسم الروم فقتل منهم خمسين ألفاً وأخذ منهم خمسة آلاف دابة بسروجها الفضة ولجمها واغزى علي بن عيسى بن ماهان بلاد الترك فقتل منهم أربعين ألفا وغزا هو بنفسه الروم فافتتح هرقلة واخذ الجزية من ملك الروم ، لبعضهم :

علمت يا مهجتي مهجتي واسهرت يا ناظري ناظري
أيا غائبا حاضرا في الفؤاد سلام على الغائب الحاضر

﴿ فائدة ﴾

لم يتقلد الخلافة هاشمي ابن هاشمية غير الحسن بن علي بن أبي طالب ومحمد الامين بن زبيدة ولم يل الخلافة من اسمه جعفر إلا المتوكل والمقتدر وقتلا جميعا المتوكل ليلة الاربعاء والمقتدر يوم الاربعاء .

﴿ فائدة ﴾

خليفة سلم عليه عمه وعم أبيه وعم جده هو هارون الرشيد سلم عليه سليمان بن المنصور والعباس بن محمد هو عم أبيه المهدى وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس هو عم جده المنصور .

﴿ فائدة ﴾

خليفة سلم عليه سبعة كلهم ابن خليفة هو المتوكل سلم عليه محمد بن الواثق وأحمد بن المعتصم ، وسليمان بن المأمون ، وعبد الله بن محمد الامين ، وأبواحمد بن الرشيد ، والعباس بن موسى ، ومنصور بن المهدى .

﴿ فائدة ﴾

أعرق الناس في الخلافة هو المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور .

﴿ فائدة ﴾

اعرق الناس في الوزارة هـو ابو علي الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب كان ابوه علي وزر للمقتدر وابوه القاسم وزر للمعتضد وسليمان وزر للمهتدي وبعده للمعتمد واخو ابي على ابو جعفر وزر للقاهر .

﴿ فائدة ﴾

اربعة من اهل البصرة لم يمت كل منهم حتى راى من ولده وولد ولده مائة انسان وهم انس بن مالك الانصاري ابو بكرة مولى رسول الله ﷺ عبد الرحمن ابن عمير الليثى خليفة بن بوا السعدي .

﴿ فائدة ﴾

فتاك العرب اربعة عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله قاتل علي بن ابي طالب شمر بن ذى الجوشن لعنه الله تعالى قاتل الحسين بن علي بن ابى طالب عمير بن جرموز قاتل الزبير بن العوام ابو لؤلؤة فيروز قاتل عمر بن الخطاب .

﴿ فائدة ﴾

لو لم يكن من فوائده علم التاريخ إلا واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودي لكفى ذلك وهوان بعض اليهود اظهر كتابا ادعى انه كتاب رسول الله ﷺ باسقاط الجزية عن اهل خيبر وفيه شهادة الصحابة منهم علي بن ابي طالب عليه السلام وحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء فعرضه على الحافظ ابى بكر خطيب بغداد

فتأمله وقال هذامزور قيل له من اين لك هذا ؟ قال فيه شهادة معاوية وهو اسلم عام الفتح وفتوح خيبر سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين فالزم اليهودي وحجه .

العلم نور وسراج مقتبس   صاحبه مؤيد حيث جلس
من فاته العلم تضنى وخنس   شتان ما بين حمار وفرس

من كتاب بحر الفوائد قيل ان عدد الجبال التي في الدنيا ، سوى جبل قاف ستة آلاف الف جبل وستمائة وثلاث وسبعون جبلا سوى التلول .

﴿ ترجمة عمي تاج الفضل الافخر ، ومصباح العلم الازهر ﴾
السيد محمد بن علي بن حيدر

قاموس العلوم الزاخر ، يلفظ الى ساحله الجوهر الثمين الفاخر ، وشمامة اهل الحجاز حقيقة لامجاز ، فاضل باحاديث فضله تضرب الامثال ، ومجتهد رحلة الى بابه تشد الرحال ، وبليغ تفرد بالبلاغة ، واديب المعي صاغ النظم والنثر احسن صياغه ، حاز العلوم والشرف الباهر ، وورث الفخار كابرا عن كابر ، له التصانيف العديده المشهورة المفيده ، منها برهان الحق المبين في مجلدين ، الحسام المطبوع في المعقول والمسموع في علم الكلام وهو مجلد ضخم ، تنبيه وسن العين في المفاخرة بين بنى السبطين ، رجل الطاوس اذا تبختر القاموس حاشية عليه مفيدة ، كنز فرائد الابيات للتمثل والمحاضرات وهو مجلد ضخم خـــدم به الشريف احمد بن سعيد بن شبر ، الثقوب السنيه في الفهوم الحسنية وهو مجلد ضخم جليل المقدار خدم به الشريف ناصر الحارث ، نجح اسباب الادب المبارك في فتح قرب المولى شبير بن مبارك خدمه به العباثر المزجيه في تركيب الخزرجيه ، مذاكرة ذوي الراحة والعنا في

المفاخرة بين الفقر والغنى كان رحمه الله تعالى بمكة المشرفة كالبيت العتيق ، يقصده الطلاب من كل فج عميق ، وما زال مقيما بها في أسمى ذروة الشرف والفضل والجاه ، الى أن دعاه الى قربه ملك الملوك فأجابه ولباه ، وكانت وفاته يوم الاثنين ثانى ذى الحجة الحرام ، عام تسع وثلاثين بعد الالف والمائة من هجرة خير الانام ، رحمه الرحمن الرحيم وأسكنه فراديس النعيم ، وله ديوان شعر عجيب يهش لسماعه الاديب ، فمن نظمه الرقيق المسبوك وكلامه الذي هو كلام الملوك قوله متغزلا :

لولا محياك الجميل المصون ... مابت تجري من عيوني عيون
ولا عرفت السقم لولا الهوى ... ولا تباريح الاسى والشجون
كم وقفة لي في طلول الحمى ... روى ثراها صوب دمعي الهتون
يا ربع خير لا جفاك الحيا ... ولهان لا يعرف غمض الجفون
هل كنت مغنى للغزال الذي ... اليه اصبو والتصابي فنون
وأشرقت فيك شموس الضحى ... ورنحت فوق رباها الغصون
من كل غيداء اذا أسفرت ... جلا محياها سجوف الدجون
صوارم الالحاظ ان جردت ... أثارت الحرب بكسر الجفون
وعامل القامة مهما انثنى ... نحوك لا تستطيع صرف المنون
والمقلة السوداء مهما رنت ... علمت الصب فنون الجنون
منيعة الحجب قليل اللقـا ... منها بعيد عن مرامي الظنون
عزيزة تحمى حمى خدرها ... أسود غيل فوق قب البطون
حسبك لوما يا عذولي اتئد ... انى لمهدى في الهوى لا اخون
لا تطلب السلوان من وامق ... فذاك امر ابدا لا يكون
دع السكارى بكؤس الهوى ... يا صاح في سكرتهم يعمهون
يا ويح عذالي اما شاهدوا ... طلعة من اهواه بل هم عمون
تحسبهم بالنون من حاجب ... عما يقولون وما يسطرون

أما ووجدي يا أهيل اللوى وعهدي الوافي وسري المصون

وما لكم من منزل عامر با لقلب لاسفح طوى والحجون

لقد أطمت الحب في حكمه عدلا وجوراً في جميع الشؤن

بذلت فيه الروح بذل امرىء لديه صعب الحتف فيهم يهون

وقوله مؤرخا ولادة الشريف بركات بن شبير ، رحمهما اللطيف الخبير :

أطلع السعد بأفق المجد نجما فجلا حكما أفاد العقل علما

دل ان شمنا هلالا مسفرا ان سيبدو بالسنا بدرا متما

منح الله شبيرا ذا العــلا وافدا بالبشر والافراح عما

خـير نجـل سر في مولده بركات قارنته اسما ورسما

ماجـد يحوي فخارا طارفا وتليدا وأبا يسمو وعما

ينشر المـدح على اعطافـه حللا موشية نثرا ونظما

دام في ظل أبيه سيدا سنداً لا يختشى راجيه هضما

وحباه الله في أخلاقـه فوق ما نأمله جوداً وحلما

وتلاه أوفر الاعداد من اخوة تبنى بيوت المجد حتما

فهو المسعود جـدا اذ غـدا ينتمي للفضل جدا حين ينما

سعد الطالع في ميلاده فأرانا منه في التاريخ حكما

أول الاقبال في تاريخـه بركات اسمه نفس المسمى

وقوله مؤرخا ولادة السيد الشريف مبارك بن بشير بن مبارك بن فضل بن مسعود ابن الشريف حسن ، لازال في عز وثناء جميل حسن :

وافت تباشير التهاني تشير ان بشير السعد وافى بشير

هو الهمام الماجد المرتقى بفخره الباذخ أوج الأثير

انسان عين المجد بل عينه فكل وصف عن علاه قصير

مولاي يامن محض ودي له كالمنهل العذب الزلال النمير

ومن اذا يوما دجا حادث   فانه حصن به أستجير
وافاك والأقدار قد أسعفت   في طالع السعد القوي المنير
نجل سعيد الحظ ميمونه   من منح الرب اللطيف الكبير
مبارك الغرة مسعودها   قدومه عنوان خير خطير
فاسمه الموروث من جده   بجده المسعود أضحى جدير
لذاك قد صحت له نسبة   بطالع الميلاد عند الخبير
قرت به عين أبيه ولا   زال به طرف المعالي قرير
هذا وفي تاريخ ميلاده   قال أتى با لحكم طبق الضمير
خذ غاية السؤل لتاريخه   مبارك للسعد وافى بشير

وقوله مؤرخا ولاية صاحب المجد والسعد ، شريف مكة المشرفة سعيد بن سعد ، المستمرة الى سنة ١١٣٨ وكانت في سنة ١١٢٤ ووقع هذا التاريخ عنده اجل موقع وهو :

طوالع السعد قالت   والدهر واف ومحسن
بيتا نأى عنه كيد   فجاء تاريخ متقن
بشر سعيد بن سعد   بملك زيد بن محسن

اقول : لا يخفى ما في التاريخ من اللطافة وانما زاد اربعا وثلاثين فاستثناها بقوله بيتا نأى عنه كيد وهو لفظ كيد بمفرده وهو اربع وثلاثون وهذا النوع من التاريخ يسمى التاريخ المستثنى .

قال العلامة السيد محمد كبريت المدني في كتابه نصر من الله وفتح قريب ومنه اي من التاريخ المستثنى ، ومثله للشيخ جمال الدين العصامي تاريخ وصول قاضي مكة المشرفة قاضينا حسن بلا كلام اى باسقاط عدد حروف كلام وهو في غاية الحسن مع التورية اللطيفة وما احلى قول بليغ الزمان ، الشيخ احمد بن علان ، الآتي ذكر ترجمته ان شاء عالم السر والاعلان ، مؤرخا من قصيدة كتبها بارض

الطائف في طراز ايوان الشريف ذى المكارم ، السيد احمد جازم ، وهو :

باسم مولاى قد كملت فأرخ ... انا مثوى الامان والافراح

اي بتكملة عدد حروف احمد وفيه تورية لطيفة .

(عود على بدء) وقوله مادحا السيد الشريف الماجد المدل مولانا السيد شبير بن مبارك بن فضل ومعارضا الشاعر اليمن ابراهيم بن صالح المعروف بالمهتدي وغيره من الفضلاء في تضمين بيتين لطيفين للبدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي وهما :

حمامة الوادي بشرق الغضا ... ان كنت مسعدة الحزين فرجعي

انا تقا سمنا الغضا فغصونه ... في راحتيك وجره في أضلعي

قال رحمه الرحيم المتعال :

نشر النسيم شذى الربى من لعلع ... فشظا فأكناف الحجون المرع

مستودعا من عرب ذياك الحمى ... سر الهوى وحديث تلك الاربع

وافى سحيرا والرفاق بهجعة ... متطلبا بين المضاجع مضجعي

فكأنما هو عالم لما سري ... ان المتيم طرفه لم يهجع

ذكر العهود ولم يذكر ناسيا ... فأثار كامن لوعتي من اضلعي

فأمد قلبي في حبائل غيه ... وامدها بحبائل من ادمعي

فتزايدت حرق فهب من الكرى ... صحبي انبعاثا عن جنان مروع

واتى عذولي الملام مرددا ... ذكر الاحبة والديار البلقع

فأصخت سمعي للعذول وما درى ... ذاك الجهول لمن اصاخة مسمعي

ولطالما قد قلت معتذرا له ... مهلا فانى لاارى قلبي معي

حتى اذا صدحت على ايك الحمى ... ورقاء ذات توجع وتولع

صدعت وقد صدحت بسري في الهوى ... ووعت حديثي والعواذل لاتعي

وتنوح نوحي غير اني باذل ... للدمع وهي ضنينة بالأدمع

ابثثتها سري وقلت مؤملا ... منها مقاسمة الحنين الموجع

أحمامة الوادي بشرق الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجره في اضلعي
حاشاك من اني أقول معاتبا ورقاء ذات تعزز وتمنع
نوحي جوى او فاسجعي طربا على فنن الربى غب السحاب الهمع
اولست في روض حكت ازهاره اخلاق مولانا الهمام الاروع
اعني شبيرا من تسامى مجده مترفعا فوق الاثير الارفع
هو منجدي يوم الخطوب ومسعدي عند الكروب وناصري في المجمع
وهو الذي استصفى لباب مودتي متملكاً رقي بغير تصنع
ابقى لنا الباري شريف وجوده متمتعاً في كل خير ممتع
ما غنت الورقاء في فنن وما جادت غوادي المزن ربوة لعلع

اقول اول من ابتكر هذا في الاسلام علي بن المتوكل الامام فقال :

صب يكاد يذوب من حر الجوى لولا انهمال جفونه بالأدمع
واذا تنفست الصبا ذكر الصبا ولياليا مرت بذات الاجرع
آه على ذاك الزمان وطيبه حيث الغضا وطني ومن اهوى معي
مازال ومض البرق يذكي لوعتي ويهيج تذكاري بذاك المربع
واذا تغنت في الغصون حمامة هاجت بلابل قلب صب مولع
سجعت على غصن ولم تذق الهوى مثلي ولم تدر الغرام ولم تعي
احمامة الوادي بشرق الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجره في اضلعي

واقترح موازنتها على من يجالسه ، فقال الاديب السراج عمر بن محمد الوزير مضمنا ومادحا له :

ذكر الحمى وحلول وادي لعلع صب ففاضت مقلتاه بأدمع
ومعاهدا مرت فبالله ما احلى واملحها فهل من مرجع

اسفي لفقدهم فيا ليت النوى   فمدت وحادي عيسهم لم يزمع
ادت وقد أبدت سرائر طيبها   ازكى سلام في الضمير مودع
وتألق البرق اللموع بذي الغضا   اجرى العقيق بسفح تلك الاربع
مازال يوضح في اشارة ومضه   رمز النسيم لكل صب المعي
وبديعة التطويق في قمص من النسرين والسوسان ذات تنوع
ورقاء قد صدحت على فنن اللوى   ولها ترنم ضارع متضرع
قرأت من الاوراق فوق غصونها   سطرا بتأدية الفصيح المسمع
وترنمت اذ اعربت الحانها   صوتا يروق السمع غير مقطع
صدحت وصرح شجوها عن لوعة   حرا كلوعة قلبي المتصدع
ناحت هوى للالف نوح صبابة   وجوى وما فجعت بيوم تودع
لما شدت عند الاصيل ترنما   قاسمتها وجدي وقلت لها اسجعي
ولطوقها الذهبي في تلوينه   معنى يناجيها بلفظ مبدع
احمامة الوادي بشرقي الغضا   ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه   في راحتيك وجمره في اضلعي
شببت ياورقا ومالك مهجة   شبت شرارتها باسجم اسفع
لو رمت من قفص الاسار تخلصا   بثنا علي فهو بدر المطلع

وتابعه احمد بن عبد الله الزوم فقال مضمنا ومادحا ابن الامام المذكور :

حسبت خضابي انه من ابدع   كخضابها ورقاء دعوى مدعي
قاسمتها صدق اليمين بانها   مخضوبة بيسار فضلة ادمعي
فأبت على حمل الهوى فبثثتها   بثاً وفي التفصيل أية مقنع
فثنت عناني نحو سود ليالي   بيض الايادي خضر عيش ممرع
مرت بما قد كان يحلو جيدها   وفمي ومنظرها البديع ومسمعي
وأعرتها ثوب الشبيبة اسودا   أتعود عارية بغير مودع

تلك الليالي التي قد حجبت ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع
بأغن مكحول الجفون غنيجها ... في جيده جيد يصول باتلع
وبخده نار تحف بجنة ... ضدان قد جمعا لمعنى مبدع
يجري على قسماته ماء الحيا ... مجرى الصبابة في الطباع الاربع
وبلحظه سحر القلوب ولفظه ... فتجمعت والسحر غير مجمع
اودعت قلبي خاله فاختاله ... خال تعجم فوق شمس المطلع
وتحمل الانسان شرخ شبيبتي ... والظلم في الانسان غير تطبع
فظليلة الافياء صافية الردا ... مسكية الاردان لميا المشرع
نسج الصبا نشر الخزاما حلة ... فيها وكلل تاجها بعقنع
لطفت نضارتها وعز نظيرها ... وطفت غضارتها خباء مشمشع
عكفت عليها الطير إذ داودها ... منها بلابل صادح متوجع
القت مقاليد الغنا في وكره ... ولشجوه عطف الربيع المربع
رام الحمام بأن يدير بكاسه ... فأداره في غلة لم تنقع
وبلابل الاشواق يسفع حرها ... مع برد ريا سجعها المتنوع
هدرت علىورق الحمى بشقاشق ... حنقاً تناديها ألا لاتسجعي
أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه ... في راحتيك وجره في اضلعي
فاستنطقي شجوي إذا هفت الصبا ... وتمنطقي بالسقم يا ورقائعي
واستمطري الشعرى فنارصبابتي ... مهما غلا قيظ الجوانح تسطع
وتلطفي لحيا بنان ابي الرضى ... فندى علي واكف لم يقشع

وما احلى قول ابراهيم المهتدي:

أنسيت مرتعنا بذات الأجرع ... ومنازلا بالرقتين ولعلع
ما انس لا انس العذيب وجيرة ... يردون منه نمير ازرق مترع

هيهات ما انسان عيني للحمى ناس فيعتاض الكرى عن ادمعي
ولجذوة التذكار من نفس الصبا لفح ينفح نسمة المتضوع
صحبت شذي هند ولو سحبت على حري لأحرقني زفير توجعي
قد خصها رب العباد بمقلة حقاً لها ان تدعي ما تدعي
لاشك عندي انها حورية فجمالها وخصالها شهدا معي
البدر عند طلوعه يحكي لوا ئح وجهها يا صاحبي فاسمع وعي
هجرت فأضنت جسم من لعب الهوى بفؤاده واقام بين الاضلع
ناشدتها هلا وصال بعد ذا لمتيم قلق الفؤاد مروع
قالت بعيد ما تروم لانني قصدي اعلمك الهوى يا مدعي
لله اشكو فعلها بتلطف شكوى الحزين بكل نوع موجع
سقياً لماضي أنسنا في روضة بين الزهور وصوت عود المسمع
وغصونها قد اينعت وورودها وحلولنا في جوفها بتمتع
وحمامة برخيم صوت اعربت فوق الغصون برقة وتسجع
ناديتها والقلب مني هائم بتذلل وترحم وتخشع
احمامة الوادي بشرق الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
إنا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجمره في اضلعي

وما ابدع قوله منها في المديح :

وإذا تكردست الصلادم في الوغا فالدار عين وسحبها لم تقلع

وما ابدع قوله ، منها :

وافاك كالريبال يزأر تحته جبل يحوم على الرياح الاربع

وقال الاديب سليم بن محمد علي الوزير :

الصب أضحى من جفاكم لا يعي وفؤاده قد ضاع حول المربع
والدمع يذرف والعيون تعينه والخد يشكو حر ذاك المدمع

هل سامع ما قبله ومبلغ … عنى غزيلات بذات الاجرع
فيهن خود قـدها قـد زانها … ولواحظ مثل السيوف اللمـــع
وحمامة صدحت على غصن النقا … فنحتها سحراً اصاخة مسمعي
لم تدر أني حلف وجد لم ازل … أصبو بسكان اللوى والاجرع
ناديتها مهلا نداء متيم … قبلى بفرط تخضع وتوجع
أحمامـة الوادي بشرقى الغضا … ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
إنا تقاسمنا الغضا فغصونه … في راحتيك وجمره في اضلعي
وارعى عهود اخي وداد مخلص … بالارفع ابن الارفع ابن الارفع

ويعجبني قول الاديب ابى بكر بن محمد الوزير :

هذي منازلهم بذات الاجرع … فاسفح بها ان شئت دمعك ادوع
واترك مقالة جاهل شأن الهوى … ان البـكاء لعاشق لم ينفع
كم عبرة كانت شفاء متيم … نقعت صدى منه بقلب موجع

يريد قولـ امرىء القيس الـكندي :

وان شفائى دمعة مهراقـة … فهل عند رسم دارس من معول

* * *

يا جيرة كانوا فبانوا وانقضى … عصر الشباب بهم ولما يرجع
هل عائد ماضي هوى قضيته … فيـكم وظل شبيبتي لم يقشع
هيهات يا هذا لقد حال النوى … دون المرام فسل نفسك ان تعي
اودع لذيذ العيش لا تحفل به … واشرب كذا سقياً صبيب الادمع
لهفى على زمن وصلتكم به … لم اخش مرتقباً ولم اتروع
لم ارض منكم هجر يوم واحد … حتى رضيت الآن هجر الابع
ذكر الحمى فهمت عليه ادمعي … والمنحنى فحنت عليه اضلعي
وديار نعمان الاراك وحاجر … حيث المعاهد سقيت من اربع

دار بها البيت العتيق وزمزم ومقام ابراهيم اشرف موضع
وطن بها وطنى ومن احببته فاذكر محاسنها وشنف مسمعي
سقياً لايام مضت ما كان احلاها فوا أسفاه ان لم ترجع
ايام لا صرف الزمان تروعني منه الخطوب إذا رمت بالشيدع
فلقد اثار كمين وجدي بمدهم ترجيم ساجعة بقلب موجع
حصداء اطربت الفؤاد وما درت عما به من هجر أهل الاجرع
ناحت فأذكت في الحشاء لهيبه ورسيس حب في الفؤاد مودع
فاجبتها مستأنساً ومضمنا قول الاديب الالمعي اللوذعي
أحمامة الوادي بشرق الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجمره في اضلعي

وما ألطف قول الاديب عبدالرحمن بن علي الوزير الآتي ذكر ترجمته ان شاء الملك الكبير:

هبت صبا وادي اللوى والاجرع فصبا اليها قلب صب مولع
وتواجد الاخوان من طيب الشذى طرباً إلى سكان ذاك المربع
وبدا لهم من بعد ذلك بارق بالابرقين ونحو وادي لعلع
فتحيروا في شأنهم ومسيرهم وتشتتوا في كل ارض بلقع
الا انا ما زلت من خمر الهوى نشوان وجداً لا افيق ولا اعي
يا جيرة رحلوا وخلونى لقى ابكيهم بصبابة وتوجع
ابكى على زمن مضى في قربهم ما بين معتم وبين مقنع
حيث الشباب وريقة اغصانه والدهر طوع يدي ومن اهوى معي
افديه من رشأ تجني تائها فأفاض من ذاك التمنع ادمعي
ولرب ساجعة باغصان الغضا سجعت فزاد تلهفي وتولعي
تبكى وتندب الفها بترنم وتقول اقلقها الغرام وتدعى
ناديتها ومدامعي تجري علي خدي نداء اخي غرام مبدع

أحمامة الوادي بشرق الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعى
انا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجمره في اضلعى

وما أحسن قول الاديب محمد بن قاسم الحسانى مضمناً ومصدراً ومعجزاً :

لله نوح حمامة ابصرتها والقلب منى في اسى وتولع
في ساحة الوادي بشرق الغضا تبكي وتندب من شجى بتفجع
قبضت على اغصانه قبضى على جيد الحبيب غداة يوم تودع
حاكت لنوحي في البكاء لو انها ذرفت دموعا في الربوع كادمعي
هب انها جادت بدمع احمر مثل العقيق عليه بين الاربع
من اين للورقا الحمامة مهجة تصلى الجوى او مقلة لم تهجع
ناديتها لما تزايد لوعتي ويدي على كبدي الحريق الموجع
وبأختها الاخرى اكفكف ادمعاً سقت البقاع من المكان البلقع
احمامة الوادي بشرق الغضا هيجت احزان الكئيب المولع
أ اسعدة هذا البكا ام من اسى ان كنت مسعدة الحزين فرجعى
انا تقاسمنا الغضا فغصونه قسم لديك وجمره قسم معى
فغدا الغضا ما بيننا اغصانه في راحتيك وجمره في اضلعى

ولما رأيت هذه التضامين الفريدة ، والعقود النضيدة ، وشاهدت فرسان الأدب قد ركضوا وجالوا في هذا الميدان ، وسحبوا ذيول فصاحتهم وبلاغتهم على سحبان ، احببت ان اجول معهم بالمجال ، ولو بالمحال ، فقلت مضمناً على منوالهم ، مستهديا بنور كمالهم :

شوقي لسكان الغضا وتولعى لا ينقضي وصبابتي وتوجعى
لي فيهم بدر تملك مهجتي أفديه من بدر عزيز المطلع
يا حسنه لما بدا بجماله يختال تيهاً لا بساً للمقنع
بدر تغار لحسنه شمس الضحى لو لا مخافة ربها لم تطلع

حاز الملاحة واللطافـة والعفا فـة والبها حقاً برغم المدعى
ما مثل بدري في البدور مشابه حاوي الحلى خلقاً بغير تصنع
اقسمت لا اسلو هواه ولم احل عن حبـه ابداً ليوم المرجع
يا طيب ايام مضت لي بالحمى مع من احب بعيشنا هل ترجعى
في مجلس حف السرور به وقـد غابت حواسدنا ومن اهوى معي
كم قـد تشاكينا الغرام وكم تناشدنا الحديث بعفـــة في المجمع
والوقت مسعفنا وعين الدهر نائمـة وآذان العواذل لا تعي
وأنا ومن اهوى على فرش العفاف بنعمة في طيب عيش ممتع
غدر الزمان فجاءنا بتباعد وتفرق من بعد حسن تجمع
فركبت إذ ذاك البحار ولم يكن في خاطري ان الزمان مروعي
وقصدت طيبة زائراً خير الورى وشفيع كل الخلق يوم المفزع
فانالني رب العباد مطالبي بزيارة المختار بدر المطلع
وقصدت مكة كي افوز بحجـة وزيارة البيت العتيق الارفع
فبلغت ما ارجو واسأله يمن بعودة فضلاً لذاك المربع
وأقمت منتظراً عوائد بره وعطائه فهو الكريم إذا دعي
بينا انا يوما بظل اراكة ياصاح من نحو الحجون المرع
اتذكر الاحباب سكان الغضا والقلب لاسكان ربوة لعلع
وانوح من فرط الغرام وتارة ابكي احبابي بدمع همع
إلا ونحوي قـد رأيت حمامـة تبكي على الف لها بتوجع
من علم الورقاء اني مغرم بالبدر حتى اقبلت تبكي معى
والفرق بيني في البكاء وبينها متباين ياصاحبي فاسمع وعي
فالدمع مني اربعون واربع يجري وتلك عيونها لم تدمـع
والقلب مني قد تقلى وانشوى فيحق لي ان ادعي ما ادعي

لـكنها مذ ساعدتني بالبـكا والنوح والاشواق نحو الاربع
ابثثتها شوقي وسري في الهوى واجبتها نظم البليغ اليلمعي
احمامـة الوادي بشرقي الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه لى راحتيك وجمره في اضلعي

﴿ مقامة لعم المؤلف ﴾

رجع إلى ترجمـة عمي قدس الله روحـه الطاهرة ، ونفعنا بعلومه في الدنيا والآخرة ، وأما في الانشاء الفريد العجيب ، فما الحريري لديه وما ابن حبيب ، فمن انشائه هـذه المقامة ، بوأه الله دار المقامـة ، وأعلى بها مقامـه ، فانها لفضله وبلاغته علامه ، وسماها مذاكرة ذوي الراحة والمنا ، في المفاخرة بين الفقر والغنى وهي عزيزة الوجود ، فريدة الموجود .

قال رحمـه الله تعالى ، وأفاض وابل غفرانه عليه ووالى : الحمد لله الحكيم القادر على الاطلاق ، الباسط المقدر للارزاق ، الذي جعل الفقر والغنى آيتين من أبدع آياته ، وغايتين في الحـكم من أبعد غاياته ، يتفكر فيهما ذو الفطنة والاعتبار ، فيتلو ربناماخلقت هذا باطلا ويجرى اليهما العبد على جياد الاقدار حالياً بزينة العقلاء وعاطلا ، فيسعد من يرشد للتسليم ، ايماناً وتصديقاً ويبعد من ينشد وهو المليم :

هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

والصلاة والسلام على نبيه المبعوث بالاسلام ، محمد الهادي للخلائق ، إلى أقوام الطرائق ، واكرم الخلائق ، صلى الله وسلم عليه ، وآله وصحبه الاغنياء بالله والفقراء اليه ، وبعد : فقد وقفت على مقامـة انشأها بعض المتأخرين من الافاضل الاعاظم ، ووشاها بدرر الفوائد هدية لـكل ناثر وناظم ، ابتدعها على لسان الغنى والفقر كالمفاخر بينهما والمفاضل ، واودعها من الحجج التي يفلج بمثلها المناظر

والمناضل ، فمد بها في العلوم باعه الاطول ، وأمد الفهوم بمصداق كم ترك الاول ، قاصداً بذلك رياضة العقول ، في رياض المقول ، وتبريض اللسان ، بوقائع شآبيب البيان ، وتمريض الاحسان ، للقانع بالاثر عن العيان ، فأيد فيها الفقر على الغنى وشيد له في الفخر على البنا ، وجعله سابق الحلبة مجلياً ، واتلاه بالغنى بعد لأي مصلياً ، حتى أقر بالتقديم تسليما واخلص لوداده بعد التندم على عناده قلباً سليما وان كان الفقر عند ابناء الدنا ، ملياً بالحساب العنا ، خلياً عن اسباب الغنى ، حفياً في اقتضاب المنى ، كفيا في سد ابواب الهنا ، وبينه وبين النفوس ، ما بين تغلب وبكر غب غزاة البسوس ، وقد اوقع فيها من المكروه والمساءه ، ما لم يوقعه قيس ببني بدر يوم جفر الهباء ، وحطمها ولا تحطم الابل المخبله ، جيوش لقيط يوم جبله ، ووسمها بالعار الباقي على الزمان ، كما وسم به الوليد الربيع في مجلس النعمان ونفورها عنه ولا نفور الغادة الفتية من مقاربة الشيب ، والشنشنة الاخزمية من مقارنة العيب ، وبعدها عنه بعد العزم اليقينية عن شبهات الريب ، والكثائف الجسمانية ، عن ادراك محجبات الغيب ، هـذا وعقال العقول ، في تقييد صعاب النفوس محلول ، وحسام الفكر المصقول ، عن قطع اعصاب الاهواء مفلول والناس اكيس من ان يمدحوا انسان ، مالم يرو عنده اثر احسان ، فلا جرم كاد ان ينعقد الاجماع ، كما لا يخفى على ذي نظر وسماع ، على بغض الفقر وذمه ، وقصده بالصد وامه ، وتوتر الدعاء بالهبل والثكل على امه :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فكان ما اختاره رحمه الله من هـذا الصنيع ، معدوداً في فن المغايرة من البديع ، وفيـه تسلية لنفس البائس الفقير ، وتقوية لقلب الآيس الحقير ، واعانة للمبتلي بهذا الداء المضال ، وابانة للغرض الداعي لنشط المقال ، لكن حقيقة الحال ان هذا الفاضل ، لما كان من كبار الاتقياء الزاهدين ، وخيار الصلحاء العابدين ، ومعلوم ان اكثرهم قد اختار التقشف الموصوف ، وشيد بناء الزهد المرصوف

ومجر انواع زخرف الدنيا وصنوفه ، حتى قطع مسافتها وما بل بحرها صوفه :

كانوا جمال زمانهم فتصدعوا   فكأنما لبس الزمان الصوفا

فبنى رحمه الله على مقتضى طريقتهم ، وفضل الفقر اذ كان مرتضى حقيقتهم ، وهو الحق الذي لاريب فيه ، والانصاف الذي يرتضيه الاديب ويصطفيه ، ولا يعارض في مراد مفاده قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده ، فان من ذادنفسه عن حلول هذه الساحه ، وخشي ان يغرق عند تلاطم الامواج وان كان متقنا للسباحه ، لايلزمه ان يقول بالتحريم وعدم الاباحه :

واحزم الناس من لو مات من ظمأ   لم يقرب الورد حتى يعرف الصدرا

وأما أرباب العصمه : فهم البريئون من كل وصمه ، فانهم شاهدوا حظهم الاوفر الاسمى ، فلم يثبتوا لما دونه رسما ولا اسما ، وقصروا نظرهم على الخالد الباقي ، وانفوا ان تطأ أقدامهم الارض وهم في اعلى المراقي ، ومن ورد البحر استقل السواقي ، فلما تأملت تلك المقامه ، رأيت مبنى الافضلية على ان جعل الفقر أمهر في تحصيل العلوم والمعارف ، واكثر مقيلا في ظلها الوارف ، وأقدر على ابراز الصواب ، عند السؤال والجواب ، لا على اقامة الدليل والبرهان بالأفضلية ، وجعل السابق في هذا صاحب الاولوية ، على ان هذا الميدان هو مجر العوالي ومجرى السوابق وفيه تزدحم كتائب فرسان الحقائق ، وتلتحم مناكب النظارة من الخلائق ، اذا لناس لعدم خلوهم من احد الوصفين ، ينقسمون الى صنفين ، وينتظمون في صفين ، وكل يحتج لصاحبه بالصفات الواقعية المرضيه ، لا المجازية الفرضيه ، فاحببت أن اجول في هذا المجال ، ولو بالمحال ، وانسج على هذا المنوال ، على وهن القدرة وضعف الحال ، وقصور عامل الفضل على التسلط على هذه الحال اعترافا مني بالتقصير ، واسماعا بطلب المسامحة لباعي القصير :

ومن يعص أطراف الزجاج فانه   يطيع العوالي ركبت كل لهذم

فبنيت هذا المقصد على وضع غريب ، وترتيب يهش له الاديب الاريب ،

واسلوب يأخذه الطبع السليم عن قريب ، وجعلت المفاخرة بينهما على حقائق الأوصاف ، وذكرت مايقابل الطرفين بنهاية الانصاف ، ثم أنهيت المخاصمه ، الى التراضي با لمحا كمه ، فحكمت بينهما مناط التكليف ، ورباط الفضل الذي اختص بـه النوع الشريف ، فحكم حكما يقضي منه الفريقان مآربهم ، ويعلم كل اناس مشربهم ، وكل في فلك يسبحون ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، والحق واضح المذر والاحجال لقوم يعرفون ، وماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون ، حدث الغزل الرقيق ، عن المديح الانيق ، عن السؤال الجميل ، عن النوال الجزيل ، عن الخاطر المطاع ، عن كريم الطباع ، قال حضرت مجلساً من المجالس السريه ، التي لم تزل تعقد بحضرة النفوس البشريه ، وقد حضر وزيرها الفهم ، وحاجبها الحلم ، وقائدها وقاضيها العلم ، وخازنها الحفظ ومنشيها المكر وشاعرها الخيال ، ونديمها الوهم ، ومثلت للخدمة اعوانها المتظاهره ، وهي المدارك الخمس الظاهره ، وانتظمت في مراتبها سائر القوى ، وغاب بحمد الله عدوها الهوى ، واتفق ان حضر الغنى والفقر ، الضدان المتناقضان ، بل العدوان المتباغضان ، والجوادان المتعارضان ، بل القرنان المتناهضان ، الا ان النادي جمع بينهما ، وقرب على سبيل الاتفاق بينهما ، وخاض القوم في مجامع الحديث ، من سوانح القديم والحديث ، فأراد بعض من حضر ، طراد جياد البحث والنظر ، فتلطف بلطفه ، ولحظ الغنى بطرف طرفه ، وقال اني احفظ بيتين ، ورد الأول منهما على روايتين ، ينبنى عليهما حكم واحكام ، اذا تقرر مفادها با حكام .

ولو أني وليت أمير جيش لما قابلت الا با لسؤال

لان الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطراف العوالى

ثم قال : والرواية الأخرى ، يعرفها من هو باحراز شرفها أحرى .

قال كريم الطباع : الراوي لهـذه الاسجاع ، فابتدر الغنى لجوابه ، وقد استخرج دقيق المعنى من جرابه ، فقال ان بعض من اسمده الجد بخدمتي ، وأيده

الجد بعزمتي ، وسدده المجد بهمتي ، انشده هذين البيتين بعض ندمائه ، وجلاهما كالنيرين في سمائه ، فتفطن ذلك الرئيس ، لمعنى فيهما نفيس ، وأعاد انشادها في الحال ، ووضع النوال موضع السؤال فاظهر شمائل همته العليه في دلائل عبارته الجليه وسدد سهم الاصابة بساعد الكرم فكمنت قوسه ووتره ، ورمى مقاتل الفقر وماظلم فادواه ووتره ، وألبس البيتين حلي الملوك ، بعد ان كانا في اسمال الصعلوك ، حتى أشرق معناها بالضياء المستفاد من شمسي ، واغدق مغناها بالانواء الهاطلة من صنائع يومي وامسى ، قال ثم تنبه الى ان هذا الكلام ، من بليغ الكلام ، وانه بغى والبغى مرتعه وخيم ، واظهر دعوى الفضل وفوق كل ذى علم عليم ، فكف من غربه ، ورجع عن شرقه وغربه ، واسترجع وسكت واطرق الى الارض ونكت ، لكنه قال في اثناء ذلك ، ماراني اضللت المسالك ، وانى ماقلت وان فاخرت وطلت لعنان الحق مالك ، وليس بملوم من نطق بالحق وصدع ، وان شق قلب المعاند وصدع ، والحق احق ان يتبع .

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه وانى لها فوق السماكين جاعل

قال كريم الطباع : فاستشاط الفقر من الغيظ ، وتلظت انفاسه احر من سموم القيظ ، وانف من الذل والاستكانه ، اذ انزله الغنى الى هذه المكانه ، وانشد وقد اشعل نار الحمية تسعيرها :

ونفسك اكرم عن امور كثيرة فما لك نفس بعدها تستعيرها

ثم انبرى للمقاومة مسترسلا ، بعد ان تضرع الى الله تعالى متوسلا وقال متمثلا :

احدي لياليك فهيسي هيسي لا تنعمى الليلة بالتعريس

الا انه خاطب خطاب من قيد الحلم الفاظه ، وسدد العلم ايعاظه ، فقال ايها الغنى لقد صرحت وما كنيت ، وعجلت وما تأنيت ، وليتك اذ صدفت عن الحق وابيت ، لم تعمر بيتا بخراب بيت ، اخبرنى عن هذا الرئيس ، الذى ملأت انت له

الكيس ، فزعمت انه انما صار لذلك قلاقلا من حيث كان في ظلالك قائلا ، فلو كان ظامي الفؤاد من مياه الكرم التي جرت فيه ، خاف القمود عن سلافة البلاغة التي رشفت فيه ، اتراه كان يقول ماقال ، ويتحمل ما استلزمه نطقه من الاثقال ، اوتراه لو كان مربوطا باشراكي ، مخروطا في اسلاكي ، محوطا بافلاكي ، ثم كان ممن تشق افعال الكرم من مصدر طبعه ، وتشق قسى الهموم من غروس نبعه ، الم يكن ينطق بما به نطق ، ويرشد الى ما اليه ارشد ، حين انشده البيتين من انشد ، فلا تجهل علوم الاخبار وانت خبيرها .

فما الجود من فقر الرجال ولا الغنى ولكنه خيم الرجال وخيرها

وما ازراؤك على الصعاليك ، لتزيد بذلك في مماليك ، فكفاهم فخراً في الدين ، قول علم المهتدين ، رب اشعث اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره وما اشبه هذا مما طرق سمعك غير مره ، وأما باعتبار الدنيا ، وزينتها الدنيا ، فان منهم ما علا بالاوصاف قدره ، وغلى للاضياف قدره ، حتى اشرق من افق السعد بدره :

ولكن صعلوكا صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور

إلى آخر الابيات ، المعلومة في الروايات ، فيا ايها الغني هلا إذ نطقت تحملت ما اطقت ورفعت نفسك من حيث لم تخفض سواك ، وجلوت ثغرك بغير هذا السواك ، فان الشريف الكريم ينقص قدراً بالتعدي على الشريف الكريم وولع الخمر بالعقول رماها بالتنجيس والتحريم .

قال : فنظر اليه الغني شزراً واعاره لحظاً نزرا ، وخاطبه مخاطبة متحكم ولاطفه ملاطفة متهكم ، فقال : عذراً ايها المسكين ورفقاً ايها المستكين فما انا بالذي بلغت عظمك السكين ، ولست الذي انزل شكلك هذا البيت من التسكين ، انما قلت ما قلت في وفيك ، ما كلانا به حقيق ، ونسبت إلي واليك ، ما انعقد عليه الاجماع بالتحقيق فاستمع بعض اوصافك وأردد جماح انفك بلجام انصافك : وان لم تصدق الناس ما

اقول ، فبرئت مني ذمة المقول ، ألست حائك شقق الهوان والاذلال ، وموشيها بوشي الكد والسؤال ، ومفصل اوصالها بمقراض الضجر والملال ، وخائط تفاصيلها بخيوط الالحاح الطوال ، ومقدرها على قامات الرجال ، ومفرعها عليهم لا للزينة والجمال ، فاستحل فيهم هذا الوصف الشنيع واستمل منهم شكر هذا الصنيع واعفني من عتابك ، فاني أربأ بنفسك عن خطابك :

وان حمى عزي منيع محرم ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ثم انك مع ذا أردت جلاء العين فزدت قذى ، وانزلت معاني الهدى مغاني الهوى ، وتكلمت في حضرتي بشريف الآثار كلام من يظن انه فيها ذو استئثار وأنت تعلم اني فارس نقعها المثار ، واستشهدت ببعض الاشعار ، فأشهدت أن لمانيها في ذهنك اشعار ، وكل عارف بأني لا اركب في مضمارها الفرس المعار ولا أقنع في معرفة اسرارها بالدثار دون الشعار ، وان كنت تستطيع معي صبراً فسأنبئك بما لم تحط به خبرا ، حسبي واياك صيتاً وذكرا ، ان الله سماني خيراً وسماك شراً ، ان الانسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا وجعلني من نعمه التي ذكرها عباده كثيراً ، وامددنا كم بأموال وبنين وجعلنا كم اكثر نفيرا ، بل يشمل سيد البشر هذا المعنى ، ووجدك عائلا فأغنى ، ومن دلائل فخري وسعدي ، وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي ، وجعلك من المحن التي تسكب عندها العبرات ، ولا تقال في حزونها العثرات ، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وان شئت خفضتك طبقة اخرى ، ورويت لك كاد الفقر أن يكون كفرا ، وما جرى هذا المجرى ، فأنت المبعد عن طاعة الخالق لما تنزل بالخلائق من الكرب والمضايق وهي القواطع والعوائق وانا الذى ايسر لهم سنى البضاعات ، المتوقف عليها كثير من الطاعات فلولا وجودي ووجد جودي لم يظفروا بثواب الزكاة والصدقات وصلة الارحام والنفقات ، ومن اعظم هذا المرام ، حج بيت الله الحرام ، وهل يستوي الايسار والافلاس ، والله لم

يدع إلى بيته سوى المياسير من الناس ، وتعلم كثرة دعاء الانبياء ، والمقتدين بهم من الاولياء ، بالاستعادة من جوارك ، والاستقالة من عثارك ، والتضرع إلى الله في محو آثارك ، وأما الشعراء فهاموا بهجوك في كل واد ، وقاموا بذمك على رؤس الاشهاد وأموا للهرب منك بالتغرب في البلاد ، ومقاساة الاين في ذلك والسهاد حتى رأت المقام على الاقتصاد ، قنوعا به ذلة في العباد ، وحسبك ببيت سار مسير المثل في الورى :

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

وقال من أنف من قدرك الحقير :

دعيني للغنى اسعى فاني ... رأيت الناس شرهم الفقير

ولو عقلت ما فاخرت الاقران ، وقد نظموك والكفر في قران :

ما احسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... واقبح الكفر والافلاس بالرجل

وصماليك اليهود ، على هذا البيت من الشهود ، ولو لا ذم الاطراء وخوف الملام ، وان يقول بعض الفقراء مادح نفسه يقرئك السلام ، لأوردت عليك ما نظموه فيَّ من المدائح ، وسريت لك در الفوائد من اخلاق القرائح ، وكيف لا وأنا علتهم الغائية في نظم مدائحهم المحبره ، ونعوتهم المحررة ، واغزالهم الرائقة ، وتخيلاتهم الفائقة ، وهل الممدوح إذاً مثل المادح لديه ، إلا الممهود الذي اقدره على اطلاق يديه ، فخذ اليك غيضاً من فيض ، ولمعة من روض ، وان اردت زيادة الخوض ، ملأت بهذا السجل لك الحوض ، حتى تقول قطني ، فقد مـلأت بطني قال كريم الطباع ، فاستجاش الفقر وازبأر ، واستوفز وأثار ، وقال كلا لا مفر إلى ربك يومئذ المستقر ، الآن حمي الوطيس ، والتف الخميس بالخميس ، وتـكلمت القلوب بألسنة احد من الصفاح ، بل تـكلمت ألسنة العذبات الحمر بافواه الجراح من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لابراح ، ايها الغنى امثلي تذال صعابه بالثرى ، ويركب اعجاز الابل ، وان طال السري اقسمت بمن جعلني في خلقه آية ، ورفع لي

على الطاغين أشرف راية وخلقني لمحق الباغين اشأم من ابن داية ، لتسمعن مني ما يدعك تقرع بأنامل الندم الثنايا ، وانا ابن جلا وطلاع الثنايا .

يا ايها الناعم في لباس العجب والتيه ، والزاعم انه مولي الفضل ومؤتيه ، والنازع إلي اخلاق اللؤم والرداءه ، المنازع رب الكبرياء رداءه ، لقد افتريت في وصفي ووصفك بهتك ، وابصرت القذاة في عيني ولم تبصر الجذع في عينك ، وصدفت عن مناهج الحق ومشارعه ، وحرفت الكلم عن مواضعـــه ، ولو انك شداد بن عاد ، ومتعك الله بارم ذات العماد ، وفرعون ذي الاوتاد ، ثم نجوت من اليم بمن معك من الاجناد ، وكليب بن ربيعة ولم يقدم عليك جساس في الحمى ، وابرهة ولم ترمك طير أبابيل من السما ، وزهير بن جذيمة ولم تأخذك يد خالد من قريب ، وابو جهل ولم تسحب إلى القليب ، لانفت لك من هذا العجب والاستطالة وضجرت منك إذ أطلت هذه الاطالة ، لكن لا بدع في ذلك فانك منبع الطغيان بنص القرآن ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان كان ذا مال وبنين ، إذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ، وان الذي جمع مالاً وعدده ، وحسب ان ماله اخلده منك استمد مدده ، وبك اعد في الكفر عدده ، وقد قالت قريش حين لفحها ريحك العقيم ، لو لا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، وقد علم مفضلك او مساويك ، ان لم يعمه حبك عن مساويك ، ان الخلق بك يخسرون ولا يربحون ، وانك من الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، فكم اقتضى غي اهوائك وعي ادوائك ، وسكر شرابك ، ومكر سرابك ، ان يقطع السارق ، ويقمع المارق ، ويردع الخائن ، ويصفع المائن ، ويدفع الغاصب القاسط ، ويتبع المحاسب المغالط وان يدنس بياض الاعراض ، بسواد دنايا الاغراض ، ويتحكم في صحاح العقول عضال الامراض من الاطماع الحقيقة بالاهمال والاعراض ، ويغص الحريص بالجريض عند الحث على الجود والتحريض ، وان يرتكب الحازم متون المآثم ، بغيب الظنون ويقدم السالك في المفاوز والمهالك ، على ريب المنون ، وكم وقعت فتنتك بين المرء

وابيه ، وخليله واخيه ، وصاحبته وبنيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الارض جميعاً ثم لا ينجيه ، ولعلك تقول ان من ذكرت ، وشنعت عليهم وانكرت ، منك هربوا ، فلاذوا بسابغ ظلي ، وفي حماك اجدبوا فاستسقوا وابلي وطلي ، فأنت الذي حملتهم على ان ارتكبوا ماارتكبوا ، حتى حادوا عن القصد ونكبوا فموقبوا ونكبوا كلا ان خرط القتاد دون هذا الايراد ، فمن المعلوم ان كثيراً ممن ظهرت غواياتهم وبعدت في الفساد غاياتهم ، قد يرضى لنفسه بسمة القباحة مع كوني لم اطرف له ساحة ، وانما يقصد الزيادة من كيلك ، او التقويم لاودك عند ميلك ، فيمشي عن بصيرته في ليك ، وأما من سواهم ، وقليل ما هم ، فلو كان قصده بأفعاله الشنيعة ، افلاته من حوزتي المنيعة ، لكنت تراه يكتفي بالطفيف الذي يبعده عني ، ولا يكاد مصاعد التمني والتعني :

دليلك ان الفقر خير من الغنى   وان القليل المال خير من المثرى

لقاؤك شخصاً قدعصى الله للغنى   ولم تر شخصاً قدعصى الله للفقر

ويؤكد هذه الاحكام العلية ، ما ابدته الادلة العقلية والنقلية ، ان جمع المال من وجوه الحلال ، يكاد يدخل في المحال ، أما تعلم ان من قابلني بالرضا ، والتسليم للقضا ، وكف نظره عن الطماح ، وعامل هواه بالزجر لا بالسماح ، ظفر بكنز القناعة وطفر عن وهاد الذل والخناعة وهجر كد الطاب ووباله ، وفرغ لطاعة مولاه خاطره وباله ، وتمسك باوثق الوسائل ، لتحصيل العلوم والفضائل ، استحق ان ينشد لسان افتخاره :

غيري تغيره فعال الجافي   ويحول عن شيم الكريم الوافي

ويرشد عند اختباره :

ان الغني هو الغني بنفسه   ولو انه عاري المناكب حافي

وأما من ابغضك واحبني ، ورفضك وقربني ، وأبعدك وأنت قائم في خدمته كبعض عبيده وطردك وانت باسط ذراعيك بوصيده ، فانه رجل الدنيا

وواحدها ، وطالب الآخرة فواجدها وحسبك بابراهيم بن ادهم بعد نزوله من أعلى القصور ، وعمرو بن عبيد وجلالة قدره عند المنصور .

دع أهل هذه الطبقة وما حووه من المفاخر ، وأتل لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، أليس قد ورد عنه صادق النبا ، بانه نشر عنك ونبا ، وقد عرض عليه ان تسير معه جبال تهامة فضة وذهبا ، ثم من العجيب زعمك انك العزيز وأنا الذليل ، وأني الحقير وانت الجليل ولو كنت تساوي عفطة عنز أو قلامة حافر ، لما متع الله بك الفاسق الكافر ، وان زعمت ان لك الفضل والنعمة ، لأن صاحبك يعد من أولي النعمة ، فان معك من المحن والاكدار ، وهموم الخوف من طوارق الاغيار ، وتوق سوء السمعة في هذه الدار ، ما لا ينقطع ولا ينتفي ،ولا يستتر ولا يختفي :

وازنت بين مليحها وقبيحها ... فاذا الملاحة بالقباحة لا تفي

وأني يهنأ بعيش مستطاب ، من يعلم ان حلالك حساب ،وحرامك عقاب ، وكيف يتحمل منك الافضال والانعام ، من سمع يدخل فقراء هذه الامة الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام ، فدونكها غارة شعواء ، تخبط في محاجها خبط عشواء وداهية دهياء ، تحقق عندي انك الداء العياء ، تمنع الحدث الغر أن يصول والهرم المجرب ان يقول :

يا ليتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع

وتقرر في العقول ، مفاد المثل المقول :

ما طار طير وارتفع ... إلا كما طار وقع

قد أصدرتها صيانة المروءةالشرعية ، وحياطة حقوق النفس المرعية ، لا ببوادر القوة الغضبية ، ونوادر النخوة والحمية ، لتفيدك موعظة حسنة ، وتتلو ولاتستوي السيئة ولا الحسنة ، وتنشد البيت الدائر على الألسنة :

الخير يبقى وان طال الزمان به ... والشر أخبث ماأوعيت من زاد

(قال كريم الطباع) : فلما أتم الفقر مقاله ، ورمى عن ظهره أثقاله ، أقبل الغنى على رأس المجلس وصدره ، وشمس المحفل وبدره ، وقال أيها النفس الشريفة ، أمد الله بك ظلال العقل الوريفة ، ان حال هذا الجاهل ظريفة وأى ظريفة ، لقد جهل الجهل المركب ، وركب في غير سرجه هـــذا المركب ، وقصد اذ شوه وجه جمالى ، وأود غصن كمالى أن ينشد حر كريم ، أو ذو أدب قويم .

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا انه لدميم

فيدخل بفحوى العموم في جملة أقرانى ، ويصعد بهذا المفهوم الى اوج قرانى ، وهيهات هيهات أين الثريا من يد المتناول ، ومتى قال السهى للشمس أنت خفية ، وقال الدجى للصبح لونك حائل ، ولو انثالت من جيوش الكلام هذه الجحافل ، في احقر الأندية والمحافل ، لميز في الحال بين البطل الشجاع ، والخنع اليراع ، واسقط سقط المتاع ، عن رتبة مكاب الذي لايمار ولا يباع ، فكيف بهذا المجلس الذي أنشر عليه غمام الأدب والفضل ، وسرت منه بوارق صوارم القول الفصل ، وارتعدت بصواعق الجد فيه فرائص الهزل ، وهمرت سيول النفع والضر في شعاب التولية والعزل ، وانى سأحبس عنانى ، ولا آخذ الا فيما عنانى ، حتى تنحسم الأباطيل والأمانى ، وتمحى عن صحائف الخواطر وساوس مانى ، واجازى بالشكر من عرف قدري فأسمانى .

(قال الراوي) : فبادر الفقر قائلا رب انى دعوت هذا الخصم للرشاد ليلا ونهارا ، ونصحته با لبيان المستفاد سرا وجهارا ، فلم يزده دعائى إلا فرارا ، واصرارا على الجور واستكبارا ، ثم لم يكتف بذلك حتى اخذ يمكر بى مكرا كبارا ، ويتقرب للحضرة السلطانية استظهارا على وانتصارا ، ويظن ان سينال بذلك لديها ايثارا ، كلا والله تلك حضرة شوط الباطل فيها قصير ، وهي للحق واهله نعم النصير ، ولا عيز عندها للمتربع فوق السرير ، على الجاثى على الحصير ، وقد وقف الكلام بمنتهاه وغايته وصار الى مصير ، ثم اقبل على العقل وقال يا مولانا

الوزير ، أنت المدبر والمشير ، والحاكم على كل مأمور وأمير ، وانت لسان الملك الناطق بلا اعتراض ، ويده المتصرفة في جميع الأغراض ، وطبيب احكامه الشافي من كل الامراض ، ولك الامر فاقض ما انت قاض .

قال كريم الطباع : الراوي لهذه الاسجاع ، فلما سمع العقل ماقالاه ، ورأى أنهما ألزماه الحكومة وان عثر ما اقالاه ، لبث هنيهة ينتظر الاذن في الكلام ، ويحرر من القول ما يخرجه عن الملام ، اجلالا للحضرة السلطانية وتبجيلا ، وعملا بما قيل :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

حتى حصلت له الاشاره ، ووصلت نتائج أفكاره المستشاره ، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقال بسم الله الرحمن الرحيم .

(أما بعد) : فالحكومة معيار الذمم ، ومحك الهمم ، وميزان الفضل والمعرفه ، وميدان الافكار المتصرفه ، وممر أنهار البلاغة والفصاحه ، ومقر أطواد الرصانة والرجاحه ، ومصرع جنوب المودة والصداقه ، لكن في معارك ذي الجهل والحماقه ، والحق يأبى الجمع بين النقيضين ، والعقل يحرض على الاصلاح بين البغيضين ، والتوفيق عزيز ، وخير الكلام الجامع الوجيز ، وبحر المدح والقدح لاتفنى عجائبه :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

ومن هنا أيها الفقر والغنى ، ينبغى ان تعلما أنكما ادخلتماني في اضيق من سم الخياط ، وكلفتماني المرور على جهنم فوق الصراط ، وأشق المسائل الشرعيه باب الاحتياط ، وأنا أستعين بالله واستهديه ، واسأله ان يوفقكما لقبول ماأبديه ، فقد اجبت السؤال واطمت ، وما اريد الا الاصلاح مااستطعت ، اما انت ايها الغنى ، فانك المحمود المذموم ، والميمون المشئوم ، المحبوب المبغوض ، المطلوب المرفوض ، النافع الضار ، المقيم الفار ، المنبه الغار ، واما أنت ايها الفقر ، فانك العدو الصديق ، المسعف الرفيق ، المشقي المسعد ، المهبط المصعد ، الممرض المعافي ، المعرض الموافي ،

المخل الكافي ، الناقص الوافي ، وانا أفصل لكما هذين الاجمالين ، وأرفع التناقض بين الاحتمالين ، حتى تنزهاني عن الجهل والمين ، وتنقلبا بحقائق الامور عالمين ، اعلما ان الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا ولعبا ، ولا يظلم ربك أحدا اولاه راحة وتعبا ، وجميع نعمه ونقمه ، منتظمة في اسلاك حكمه ، وكلما أودعه في عالم الكون والفساد ذريعة للعباد ، الى كسب الفوز في المعاد ، وملاك نتيجة كل قضيه ، ما يهدي الله الى اختياره حضرة النفس الانسانيه ، وقد أحلكما الله من عباده في مواقع ، يجوزها الشرع ولا يدافع ، من وافاها حقها ظفر بالعلم النافع ، ومن قصر جوزي بعذاب واقع ، ماله من الله من دافع ، فيكون الغنى منحة استعد لها العبد المطيع لحواها ، أو مصلحة لايصلح للعبد سواها ، أو محنـــة للاختبار والابتلا ، أو فتنة للاستدراج والاملا ، ويكون الفقر نعمة طبق الاستحقاق المسطور ، أو نقمة لتنزيه النفوس البشريه عن متاع الغرور ، ويشارك الغنى في الابتلاء والاختبار ، والمصلحة التي يعلمها الحكيم المختار ، فحق المحبو بالغنى ان لا يألو جهدا ، في ان يوالى شكراً وحمداً ، وان يتوصل به لاكتساب الأخرى ، ويتصرف فيه بما هو الأولى والأحرى ، ويتخرج من عهدة النوافل والحقوق ، ويتحرج عن وصمة التغافل والعقوق ، ويستعيذ بالله من املائه وفتنته ، ويحذر ان تغلب الغفلة على فطنته ، واياه ثم اياه ، ان يشغله عن مولاه ، وتحت هـذا الاجمال ، تفصيل طويل ، الويل لمن ضرب عنه والعويل ، وحق الممنو بالفقر أن يأخذ بالرضى والتسليم ويقابل حكم الحكيم بقلب سليم ، ويشكره على آلائه ، حيث خصه بشعار غالب انبيائه واوليائه ، وينيب الى باريه بالتوبه ، ويستعيذ به من شؤم الاثم والحوبه ، ويعتاض بعز القناعة والعفاف ، ويرتاض على الزهد والكفاف ، ويعتصم بحبل التقى ، ويحذر من التخلص بالشقاء من الشقا ، ولا ييأس من روح الفرج ، وان عز في الضيق المخرج ، ولا يدع التلطف في الحيله ، لتكلف المظاهر الجميله ، فهذه السنن المنيعة مقنعه ، في الخروج من عهدة المواقع الاربعه ، فاذا

علم ذلك وتقرر ، وثبت لديكما وتحرر ، فاعلما ان كلا منكما متى جاور من هذه صفاته ، وحاور من لاتصدع بالجهل صفاته ، فهو في معرك المفاخرة فارس الصفين ، والحائز للقسم المحمود من الوصفين ، والا فهو المتسم بالوصف الاخير ، الحري وان قدم با لتأخير ، ثم ان أبيتما ، الا التميز في الصفات بينكما ، فانت أيها الغنى كا لسيف الصقيل يضيء حده في اعناق المعتدين والمهتدين ، والجواد الاصيل ، يصلح جده لقطع السبيل ، واعزاز الدين ، فلك الفخر الذي يزاحم الكواكب بالمناكب ، لكن بعد النظر الى الضارب والراكب ، وأنت ايها الفقر كالبحر الاجاج ، تجري فيه الفلك مواخر ، ويستخرج منه الدر الفاخر ، والقفر الفجاج ، ينجو سالكه من طلب اعدائه ، ويرجو عند انتهاء المسير لقاء اودائه ، فأنت الحائز للمناقب ، لكن باعتبار العواقب .

ثم اني اقول ولا اخشى ملامه ان الفقر ادل على منهج الاستقامه ، واقرب الى ساحل السلامه ، وان كان الغنى اذا كشف عن صاحبه الدين ، ووفق الى عزه التوفيق لاحد الاختيارين ، فهو الظافر بسعادة الدارين وبهذا التأصيل الوثيق ، والتفصيل المطابق للتحقيق ، يرتفع التناقض بين ما اوردتماه من الحجج وقلتماه عند الخوض في تلك الاجج ، فتأملاه بعين البصيره ، وتناولاه بيد غير قصيرة وعلى كل حال فانا المبتلى الممتحن بكما ، والمرآة المجلي فيها شكلكما ، ولم يكفكما تكليفي المشاق منفردين ، حتى جئتما مجتمعين ، وحملتماني مالو عرض على الجبال لأبين ، وانا اسأل الله تعالى ان يمنح حكمي القبول ، ويوفق بينكما بالاصلاح وهيهات ان يتفق الدبور والقبول .

(قال كريم الطباع) : الراوي لهذه الاسجاع فلما سمع الغنى والفقر ماجلاه العقل من الدلائل ، وعلما انه لم يبق مقالا لقائل ، ولا مصالا لصائل ، قاما حامدين للحكومة راضيين ، وانطلقا لشأنهما كالسيفين الماضيين ، وتفرق ارباب المجلس ، وكل يقول هذا هو الحكم العدل ، والمنطق الفصل ، ولواهب العقل جزيل الحمد والمنة

والفضل ، وصلى الله على اكرم خلقه ، وسراج افقه ، سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، والحمد لله رب العالمين .

(رجع الى ترجمة العم) قدس الله روحه ، ونور ضريحه وهذا الذي اوردته ، ودونته وسطرته ، هو قطرة من غزير بليغ فصيح فسيح بحره ، ودرة من فريد نضيد حميد نظمه ونثره ، وإلا فالصبح لا يخفى لذي عينين ، وهو امام هذه الفنون في كلا الحالين .

﴿ فائدة ﴾

أعلم ان العرب ألحقت بباب المثنى اشياء ليست بمثنيات حقيقة كما فعلوا بباب جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم ، وهي كلا وكلتا بشرط الاضافة إلى المضمر كقولك جاءني كلاهما ورأيت كليهما ومررت بكليهما فلو اضيفا إلى مظهر لم يكن اعرابهما اعراب المثنى وتقول جاءني كلا الرجلين ورأيت كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين ، وكذلك اثنان واثنتان فان هذه الالفاظ اعربت اعراب المثنى وليست من بابه على الحقيقة لان حد المثنى لا يتناولهما ، إذ ليس كل منهما في آخره زيادة صالحة للتجريد ، ولا عطف احدهما على مثله لانه لا مفرد لكلا ولا كلتا ولا اثنين ولا اثنتين فاعرف ذلك .

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

ان التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصل

قال الحريري وغيره : اخبر بالتي عن مفرد فوحد ، ثم قال : كلتاهما فثنى وما معنى كلتاهما حلب العصير ، ولم يذكر إلا خمرة واحدة . وأخبر عن كلتاهما بأرخاهما والصحيح الاخبار عنهما بمفرد لانهم لحنوا من قال كلا الرجلين قاما ، وكلتا المرأتين حضرتا ، على اللغة الفصيحة . ويدل على ذلك قوله تعالى كلتا الجنتين آتت اكلها

وايضاً الرواية صحت في المفصل انه بكسر الميم وفتح الصاد ، وانما يقال مفصل بفتح الميم وكسر الصاد .

وأجاب الحريري وغيره بان قال : أما قوله ان التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت ، فانه خاطب به الساقي الذي كان ناوله كأسها ممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة إذا مزجتها فكأنه أراد يعلمه انه فطن لما فعله ، ثم انه دعا عليه بقوله قتلت وقوله ارخاها المفصل ، يعني به اللسان لانه يفصل بين الحق والباطل .

وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري : اجتمع قوم على شراب فغناهم المغني بالبيتين المتقدمين ، فقال بعضهم : امرأتي طالق ان لم اسأل الليلة القاضي عبيد الله بن الحسن عن علة هذا الشعر لم قال ان التي فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا إلى بني شقرة وعبيد الله يصلي ، فلما فرغ شرحوا له القصة وسألوه الجواب فقال لهم ان التي عنى بها الخمرة الممزوجة بالماء ، ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمرة المنحلبة من العنب والماء المنحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات ، قال الله تعالى (وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) انتهى .

قال النقيب الشجري رحمه الله تعالى : هذا التأويل يعنم منه ثلاثة اشياء : احدها انه قال كلتاهما حلب العصير ، وكلتا موضوعة لمؤنثين والماء مذكر والتذكير ابداً يغلب على التأنيث كتغليب القمر على الشمس .

قال الشاعر :

لنا قراها والنجوم طوالع

وليس للماء اسم آخر مؤنث فيقال : يحمل على المعنى كما قالوا : أتته كتابي فاحتقرها ، لان الكتاب في معنى الصحيفة ، وكما قال الشاعر :

قامت تبكيه على قبره ... من لي من بعدك يا عامر

تركتني في الدار ذا غربة ... قد ذل من ليس له ناصر

وكان الوجه ان يقول ذات غربة ، وإنما ذكر لان المرأة انسان والثانى انه قال ارخاهما للمفصل وأفعل هـذا موضوع لمشتركين في معنى وأحـدهما يزيد على الآخر في الوصف كقولك زيد أفضل الرجلين ، فزيد والرجل المضاف اليه مشتركان في الفضل ، إلا ان الفضل لزيد يزيد على الرجل والماء لا يشارك الخمر في ارخاء المفصل والثالث الخمر هو عصير العنب ، وقوله حلب العصير يمنع من هذا لانه إذا كان العصير هو الخمر والحلب هو الخمر فقد اضيفت الخمر إلى نفسها والشيء لايضاف إلى نفسه ، والصواب انه اراد كلتا الخمرتين الصرف والممزوجة ، انتهى .

وما أحسن قول مجير الدين بن تميم :

ومدامـــة كاساتها تعطي الامان من الزمان
قد احكمت علم النجو م وبعـده علم البيان
فاذا حساها الشاربو ن وأوقعتهم في الامان
بدأت باخراج الضمير وبعـده عقـد اللسان

ويعجبني قول ناصر الدين حسن بن النقيب :

ايها الساق بجفن وبجام خسرواني
لا تلمني ان تلجلجت فلم تفهم بياني
سحر عينيك وسكري احكما عقد لساني

﴿ فائدة ﴾

لا يستغني عنها كل شاعر ماهر ، وأديب بليغ متفرد بنظم الجواهر ، إذا امتدح ممدوحـه بقصيدة ان يتنبه في مطلعها ويلتفت إلي ، يجاوزه حال غفلته من كلمة يتطير بها ممدوحه فان هذا هو تفقه الادب .

روي ان رجلا شاعراً أنشد الشريف فخر الدولة ابن ابى الحسن نقيب الطالبيين قصيدة يهنيه فيها بشهر رمضان وكان الشريف يتأذى بالصوم لمرض يجده

فكان اولها (أيامنا بك كلها رمضان) فقال الشريف طوال والله مشؤمة مكروهة عندي مبغوضة إلي وحرمه ولم يعطه شيأ .

ومن هذا القبيل ماجرى لجرير لما انشد عبد الملك بن مروان قوله (أتصحو ام فؤادك غير صاح) فقال عبد الملك : بل فؤادك يا ابن الفاعلة ، كأنه استقبح هذا لمواجهته .

وكذلك انشد ذو الرمة قوله (مابال عينك منها الدمع ينسكب) وكان بعين عبد الملك مرض لا يزال عينه تدمع منه ، فقال له : وما سؤالك عن هذا يا جاهل ! وامر باخراجه ، وكذلك فعل ابنه هشام بأبي النجم لما انشده قوله :

صفراء قد كادت ولما تفعل   فكأنها في الافق عين الاحول

وكان هشام يعرف بالاحول فظن انه عرض به فامر باخراجه وطرده .

وكذلك ما وقع لابي جعفر يحيى بن خالد البرمكي لما انتقل إلى قصر جديد كان قد بناه ، فمدحه ابو نؤاس بقصيدة اولها :

اربع البلى ان الخشوع لباد   عليك واني لم اخنك ودادي

وختمها بقوله :

سلام على الدنيا إذا ما فقدتمو   بني برمك من رائحين وغادي

فتطير جعفر واشمأز وقال له قد نعيت الينا انفسنا ، وبعد أيام اوقع بهم الرشيد ، وقيل ان ابا نؤاس قصد التشاؤم لهم ، وكان في نفسه شيء من جعفر .

وأنشد ابو تمام ابادلف قصيدته التي اولها : (على مثلها من اربع وملاعب) وكان في المجلس رجل يبغضه فقال : لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، وكانت في ابي تمام حبسة شديدة ، فانقطع خجلا .

قال ابن ظافر : صنعت بالشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة قصيدة في الملك الافضل ابي الحسن علي بن الملك الناصر ، اولها :

دعها ولا تحبس زمام المقود   تطوي بايديها بساط الفدفد

وأنشدتها لمن كان بالعسكر من اصحابنا المنتسبين إلى الادب ، فما منهم إلا من بذل جهده في نقدها ، ثم حملتها إلى حضرته فصادفت قبولا فاتفق بعد ذلك أن أنشدتها لابن الاجل التكريتي ، فلما أنشدته البيت الاول قال ما كان يؤمنك إذا أخذها منك وفتحها فوجد اول ما فيها دعها فيلقيها من يديه ويقول قد فعلت ألست كنت تفتضح ؟ قلت : بلى والله ولكن قد ستر الله .

قلت : وهذا من غريب النقد .

وأنشد ابن مقاتل احد شعراء الجبال الداعي إلى الحق العلوي بطبرستان ابياتاً في يوم مهرجان اولها :

لا تقل بشرى ولكن بشريان   غرة الداعي ويوم المهرجان

فنفر منه وتطير به وقال له غيره واجمله ، ان تقل بشرى فهذي بشريان .

وروى حسن بن سعيد الكاتب المعروف بالمكربل قال أنشدني ابو المناقب قصيدة عيدية في الملك الافضل اولها : (نهنيك كلا بل نهني بك الدهرا) فقلت له هذا مما يتطير به الممدوح وذكرت له خبر ابن مقاتل فوافقني على ما قلته وغير الابتداء فقال : (نهنيك والاولى نهني بك الدهرا) فلما تبسم ثغر الصباح ، وتغنى القمري على الاغصان وصاح ، عن رابع جماد الاول عام الف ومائة واحد وثلاثين من هجرة النبي المكمل رحلنا من كربلا مشهد الحسين زين العباد ، إلى دار الخلافة بغداد ، وفي خامس الشهر المذكور أتينا على موضع يقال له المسيب وفى سادسه أتينا على موضع يسمى الخانه زاد ، وفي سابعه دخلنا دار السلام بغـــداد ، ونزلنا بالكاظميين بفرح وقرة عين ، وأقمنا هناك شهراً تام ، مع الامير المذكور سالفا احسن مقام وبلغنا السؤل والمراد بزيارة الامام موسى الكاظم والامام محمد الجواد وزيارة القطب الرباني محيي الدين عبد القادر الجيلاني وزيارة بحر المعارف والبيان ابي حنيفة النعمان وزيارة كثير من الاولياء الاحباب الاصفياء :

استودع الله في بغداد لي قمرا   بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

ودعته وبودي ان يودعني طيب الحياة واني لا اودعه

قال البستي من لبس البياض وقرأ لابي عمرو وتختم بالعقيق وتمذهب للشافعي وحفظ قصيدة ابن زريق البغدادي فقد كمل الادب ، وهي هذه :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

جاوزت في لومه حد المضر به من حيث قدرت ان اللوم ينفعه

فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا عن عذله فهو مضنى القلب موجعه

قد كان مضطلعاً بالخطب يحمله فضلعت بخطوب الدهر أضلعه

يكفيه عن لوعة التفنيد ان له من النوى كل يوم ما يروعه

ما آب من سفر إلا وأزعجه رأي إلى سفر بالبين يجمعه

تأبى المطالب إلا ان تجشمه للرزق كدحا وكم ممن تودعه

كانما هو في حل ومرتحل موكل بفضاء الارض يذرعه

إذا الزمان أراه في الرحيل غنى ولو إلى السد اضحى وهو يزمعه

وما مجاهدة الانسان واصلة رزقا ولا دعة الانسان تقطعه

والله قسم بين الناس رزقهم لم يخلق الله من خلق يضيعه

لـكنهم كلفوا رزقا فلست ترى مسترزقا وسوى الغايات تقنعه

والحرص في الرزق والارزاق قد قسمت

بغي ألا ان بغى المرء يصرعه

والدهر يعطى الفتى من حيث يمنعه اربا ويمنعه من حيث يطمعه

استودع الله في بغداد لى قمراً بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

أقول قوله : استودع الله البيت له قصة لطيفة ذكرها القاضي ابن خلكان لا باس بذكرها في هذا المكان ، وهي ان ابا علي الحسن بن الاشكري ، قال كنت من جلاس الامير تميم وممن يخف عليه جداً ، وهذا تميم هو ابن المعز بن باديس فارسلني إلى بغداد فابتعت له جارية فائقة رائقة في الغناء فسر بها سروراً عظيما

فدعا يوما جلساءه ، وكنت فيهم ثم مدت الستارة وأمر الجارية بالغناء فغنت بهذه الابيات :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تألق موهن لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمنع اركانه
فمضى لينظر كيف لاح فلم يطق نظراً اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سحت به اجفانه

وهذه الابيات للشريف ابي عبد الله محمد بن صالح الحسني .

قال ابن الاشكري : فاحسنت الجارية ما انشدت ، واستحسن الامير منها ذلك وطرب ومن حضر ، ثم غنت بصوت حسن رائق استودع الله الابيات فاستطرب الامير ومن معه جداً ، ثم قال لها : تمني ما شئت ، فقالت اتمني عافيـة الامير وسلامته ، فقال : لا والله لا بد لك من ذلك ، فقالت على الوفاء ايها الامير؟ قال : نعم ، قالت : اتمنى ان انشد بهذه الابيات في بغداد فانتقع لون الامير وتغير وجهه وتكدر مجلسه وقام وقمنا قال ابن الاشكري فلقيني بعض خدام الامير وقال: ارجع فالامير يدعوك فرجعت فوجدته جالساً ينتظرني ، فسلمت عليه ووقفت بين يديه فقال ويحك أرأيت ما امتحنا به فقلت نعم ايها الامير ، فقال لا بد من الوفاء لها ولا اثق في هذا بغيرك ، فتأهب لتحملها إلى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعاً وطاعة .

قال ثم قمت وقامت وامرها بالتأهب واصحبها جارية سوداء تعادلها وتخدمها وامر بناقة ومحمل ، فأدخلت فيـه والجارية ، فسرنا إلى مكة مع القافلة وقضينا حجنا ثم رحلنا في راحـلة العراق وسرنا ، فلما وردنا القادسية اتتنى الجارية السوداء عنها ، فقالت تقول لك سيدتى انخ ، قلت لها نزولا بالقادسية فانصرفت اليها واخبرتها فلم انشب ان سمعت صوتها وقد ارتفع بالغناء ، وغنت بهذه الابيات:

لما وردنا القادسية حيث مجتمع الرفاق

ايقنت لي ولمن احب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقاء كما بكيت من الفراق
لم يبق إلا جسمهم من هذه السبع البواق
حتى يطول حديثنا بصفاء ما كنا نلاق

قال : فتصايح الناس من اقطار القافلة اعيذي بالله اعيذي بالله ، قال : فما سمع لها كلمة ، قال : ثم نزلنا الياسرية وبينها وبين بغداد خمسة اميال في بساتين متصلة ينزل الناس فيبيتون ليلتهم ، ثم يبكرون بالدخول إلى بغداد ، فلما كان وقت الصباح اتتنى الجارية السوداء مذعورة ، فقلت لها ما الذي دهاك ؟ فقالت : ان سيدتى ليست بحاضرة ! فقلت لها : ويلك واين هي ؟ فقالت : والله لا ادري ، قال فلم احس لها اثراً بعد ذلك ودخلت بغداد وقضيت حوائجي وانصرفت إلى مصر للامير واخبرته خبرها فعظم ذلك عليه ، وكبر لديه ، واغتم غما شديداً ، ثم لم يزل بعد ذلك ذاكراً لها مترحما عليها .

رجع إلى قصيدة ابن زريق البغدادي :

وودعتـه وبودي ان يودعنى	طيب الحياة واني لا اودعه
كم قد تشفع بى أن لا افارقه	وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بى يوم الرحيل ضحى	وادمعي مستهلات وادمعه
لا اكذب الله ثوب الصبر منخرق	عنى بفرقتـه لـكن ارقعـه
انى اوسع غدري في جنايته	بالبين عنى وجرمي لا يوسعه
رزقت ملكا فلم احسن سياسته	وكل من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا	شكر عليه فمنه الله ينزعـه
اعتضت عن وجه خلي بعد فرقته	كأساً تجرع منها ما اجرعه
كم قائل لي ذنب البين قلت له	الذنب والله ذنبي لست ادفعـه
هلا اقمت فكان الرشد اجمعه	لو اننى يوم بان الرشد اتبعه

اني لاقطع آمالي وانفذها بحسرة منه في قلبي تقطعه
عن إذا هجع النوام بت له بلوعة منه ليلي لست اهجعه
لا يطمئن لجسمي مضجع وكذا لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت احسب ان الدهر يفجعني به ولا ان بي الايام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد عسراء تمنعني حق وتمنعه
قد كنت من ريب دهري جازعا فزعا
فلم اوق الذى قد كنت اجزعه
بالله يا منزل العيش الذي درست آثاره وعفت مذ بنت اربعه
هل الزمان معيد فيك عيشنا أم الليالي التى امضته ترجعه
في ذمة الله من اصبحت منزله وجاد غيث على مغناك يمرعه
من عنده لي عهد لا يضيعه كما له عهد صدق لا اضيعه
ومن يصدع قلبي ذكره واذا جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لأصبرن لدهر لا يمتعني به ولا بي في حال يمتعه
علما بان اصطباري معقب فرجا فأضيق الضيق ان فكرت أوسعه
عسى الليالي التي اضنت بفرقتنا جسمي ستجمعني يوما وتجمعه
وان تغل أحدا منا منيته فما الذي بقضاء الله نصنعه

(عود الى ذكر بغداد) : بلدة تكل عن حسن وصفها الألسن كأنها الفردوس فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين ، الا أن غالب اهلها اهل غلاظه ، وقسوة قلب وفظاظه ، وبخل عجيب وعدم محبة للغريب ، كأنهم خلقوا من طينة الامساك ، وما أدراك ما الامساك ، ترى المأمور منهم والأمير ، والغني والفقير ، والكبير والصغير ، والجاهل والخبير ، مهمها منبس ، مكرشما معبس ، مغضبا كاره ، ان رآك مررت بباب داره ، ولا عجب فالجنة حفت بالمكاره ، واجتمعت فيها بصاحب الرتبة السنيه ، والاخلاق المحمدية ، والهمة الاريحية ، مولانا السيد

علي نقيب السادة القادرية ، وأخذت على يديه الطريقة في مسلك القوم والعهد ، ولله الامر من قبل ومن بعد ، فألبسني خرقة القوم الصوفية ، وقلدني الخلافة القادريه .

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والامرا

وتلقنت منه الاذكار ، وبلغت بها الأوطار .

﴿ فائدة ﴾

بغداد من أعظم المدائن وهي قاعدة ارض العراق وتسمى الزوراء لازورار قبلتها ، وتسمى دار السلام .

وفي تسميتها بذلك قولان الاول : ان السلام اسم للدجلة ، الثاني : انه يسلم فيها على الخلفاء .

وفي بغداد لغات بغداذ بذال معجمة أخيرة ، وبذالين معجمتين ، وبدالين مهملتين ، وبغدان بنون بدل الدال الاخيرة ، ومغدان بميم بدل الباء .

وكان الاصمعي يأبى أن يقول بغداذ بالذال المعجمة الاخيرة ، ويقول داذ شيطان وبغ بستان .

وقيل ان اسمها بكداد ، ومعنى بك با لتركية الرب وداد العادل وكأنهم يقولون الله العادل .

وقيل غير ذلك ، وهي بلدة احدثها المنصور العباسي الدوانيقي سنة اربعين ومائة ونزلها في سنة ست واربعين وفي سنة تسع واربعين تم جميع بنائها وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربي على الدجلة ، وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث .

(قيل) : ان المنصور انفق على بنائها اربعة آلاف الف الف دينار ونقل ابواب مدينة واسط وجعلها عليها وجعل عليها سوراً محكما عظيما ابتداؤه من الدجلة وانتهاؤه الى الدجلة وهو محيط بها كشبه الهلال .

وبغداد الثانية هي الجديدةالتي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وبينهما جسرعظيم من السفن ، ومنصوب على جانبيه سلسلتان عظيمتان من اوله الى آخره .

قال الطبري في تاريخه : ان المنصور بنى بغداد واسسها على طالع القوس والشمس في درجة الطالع فلا تخرب الا بخراب الدنيا .

وقيل ان المنصور بنى اربع مدن على اربع طوالع فلا تخرب الا بخراب الدنيا وهي الرافقة بأرض الجزيرة والمصيصة بكسر الميم على بحر الشأم والمنصورة بالسند ، وطولها ميل في ميل وبغداد بالعراق .

وقيل ان اللبنة الأولى وضعها المنصور بيده وبنى بها قصراً عظيما ، قيل ان دوره اثنا عشر الف قصبة ومقابل قصر المنصور قصر ابنه المهدي وبنى جامعه في وسط المدينة وجعل على كل باب من ابواب المدينة قبة طولها ثمانون ذراعا وجعل في وسط المسجد قبة خضراء وعلى رأسها تمثال فارس وبيده رمح وقد سقط من على رأس القبة في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

وأما بساتينها فهي من الجانب الشرقي وهي تسقى بماء النهروان وعلى النهروان كورة تعرف بالنهروان وهي بين بغداد وواسط في شرقي الدجلة وكانت من اجل نواحي بغداد ، كثيرة الفواكه والثمار ، حسنة البساتين والازهار ، وهي الآن قفار ، والى هذه القرية ينسب القاضي أبو الفرج بن المعافى بن زكريا النهرواني وكان من أعيان العلماء وبهذه القرية كانت الوقعة بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والخوارج لعنهم الله .

وفي بغداد نهران عظيمان نهر عيسى ونهر الصراة ، ونهر الصراة لا تركب فيه سفينة لكثرة الطواحين المركبة عليه .

وكانت بغداد في أيام البرامكة من اعظم المدن ، وهي عبارة عن سبع محلات لا تفتقر محلة منها الى غيرها على شاطىء الدجلة فالذي في الجانب الشرقي الرصافة

بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بغداد بالرعية والاجناد سنة احدى وخمسين ، وهي مدينة مسورة ، والثانية مشهد ابى حنيفة ، والثالثة جامع السلطان غير مسور ، والرابعة مدينة المنصور من الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون الف مسجد وخمسة آلاف حمام ، وكان في ليلة العيد اذا دخلها نساء المدينة يستعملن من الصابون الخاص ثلاثمائة قنطار دون سائر الاصناف ، والخامسة مشهد موسى بن جعفر الصادق مسورة ، والسادسة الكرخ مسورة ، والسابعة دار العز مسورة يقال ان المنصور سأل راهباً كان في صومعة في مكان ببغداد عندما اراد ان يختطها اريد ان ابنى هنا مدينة فقال له الراهب انما يبنيها ملك يقال له ابو الدوانيق فضحك وقال انا هو .

وقيل : قال له انما يبنيها من يقال له مقلاص فقال انا كنت ادعى بذلك واختطها ، وكان المنصور مع جلالة قدره يحاسب على الدانق فسمى الدوانيق

قال الصفدي قرات على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين ابى عبد الله محمد ابن احمد بن عثمان الذهبي بدمشق المحروسة في ترجمة سنة ست واربعين ومائة من تاريخه الكبير .

قال : قال المدائني ، حدثنى الفضل بن الربيع ان المنصور لما فرغ من بناء قصره بمدينة بغداد دخله وطاف به واعجبه لكنه استكثر النفقة فقال لي احضر بناءاً فارها فاحضرته فقال له كيف عملت لنا في هذا القصر وكم اخذت لكل الف من الآجر فبقى البناء لا يقدران يرد عليه مخافه من الذي كان على العمل فقال له المنصور مالك ساكت ؟ فقال البناء لاعلم لي قال ويحك ، قل وانت آمن قال والله لااقف عليه ولا ادر به قال فأخذ بيده وقال تعال لاعلمك الله خيرا وادخله الحجرة التي استحسنها ، وقال له ابن لي طاقا يكون شبيها بالبيت لايدخل فيه الخشب ، قال نعم فاقبل على البناء واخذ يحصى جميع ما يدخل في الطاق من الآجر والجص ففرغ له في يومين ودعا السبب الذي كان على العمل ، وقال له الاجرة على حساب ما عمل

ممك فدفع له خمسة دراهم فاستكثر ذلك المنصور ، وقال : لا ارضى بذلك فلم يزل حتى نقصه درهما .

ثم انه اخذ الوكلاء والمسبب بحساب ما اتفقوا على نسبة ذلك حتى فضل عليهم ستة آلاف درهم ، ولم تزل بغداد عامرة حتى خربها هلاكو عند ما قتل الخليفة المستعصم بالله وجرى منه ما جرى وذلك في سنة ست وخمسين وخمسمائة .

قال ابو العلاء المعري في بغداد :

بت الزمان حبالي من حبالكم اعزز علي يكون الوصل مبتوتا
ذم الوليد ولم أذمم جواركم فقال ما انصفت بغداد حوشيتا

يشير إلى قول البحتري :

ما انصفت بغداد حين توحشت بنزيلها وهي المحل الآنس

وقال ابن الرومي يتشوق اليها :

بلد صحبت بها الشبيبة والصبا ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رأيته وعليه أغصان الشباب تميد

وقال الآخر متأسفاً على فراقها :

لهفي على بغداد من بلدة كانت من الاسقام لي جنه
كأنني عند فراقي لها آدم لما فارق الجنه

وقال الشيخ زين الدين بن الوردي في تفضيل مصر عليها :

ديار مصر هي الدنيا وساكنها هم الانام فقابلها بتفضيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل

ثم قلب المعنى فقال :

ان للدجلة ماء لم تصل مصر اليها
كم بمصر من وجوه نغض النيل عليها

وقال الشريف الرضى بذمها :

ما لى لا ارغب عن بلدة يكثر فيها الدهر حسادي

ما الرزق في الكرخ مقيما ولا طوق العلى في جيد بغداد

وقال القاضى عبد الوهاب المالكى يذمها :

بغداد دار لاهل المال طيبة وللمفاليس دار الضنك والضيق

ظللت حيران امشى في ازقتها كأنني مصحف في دار زنديق

قيل انه لما خرج من بغداد خرج لمشايعته من الرؤساء والاكابر ما ينوف عددهم على المائتين فالتفت اليهم وقال : لو وجدت فيكم من يكفيني كل يوم رغيف خبز و كوز ماء لما ترحلت عنكم فلم يجد فيهم من يكفيه ذلك فتأمل هؤلاء البخلاء ولا حول ولا :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

﴿ فائدة ﴾

قال العلامة السيد محمد كبريت المدنى في رحلته ، قال القاضى شهاب الدين في الفوائد السنية : اشتهر ان ملك الروم لا يموت بالطاعون ، كما ان صاحب مصر لا يموت بالفصل ، كما ان بغداد لا يموت بها خليفة . وفي ذلك يقول عمارة :

قضى ربها ان لا يموت خليفة بها ما يشاء الله في حكمه يقضى

وعلى ذكر الفصل لابى عبد الله الفيومى :

أرى الفصل داء والرحيل دواؤه فلا تسكنوا في بلدة قد حوت فصلا

وأملي لكم ان ترحلوا بينيكم ولا تقتلوا اولادكم خشية املا

فمن يترحل عنه يكفى شروره ومن يتثبت يكسب الاجر والفضلا

ونقل عن العلامة نور الدين الغزي حمل كتابة خلاق عليم يدفع الطاعون وانه مجرب .

وقيل : ان التختم بالعقيق في اليمنى يمنع الطاعون ، وإذا انقضت المدة ، لم تنفع العدة :

ان الطبيب له علم ومعرفة ... ما دام في اجل الانسان تأخير
حتى إذا ما انقضت ايام مدته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

وذكر الخطيب علي بن عراق في التذكرة : انه ظهر الطاعون بدمشق ايام عبد الملك بن مروان فخرج عبد الملك ومعه غلام له فكان يغلبه النوم ، والفرس تعدل به عن الجادة ، فقال لغلامه : ويلك حدثني بما تحدث به امثالك ، فقال الغلام بلغني ان ثعلباً صادق أسداً على ان يجيره من السباع ، فكان أبداً بين يديه فظهر في يوم من الايام عقاب في الهواء ، فخافه الثعلب ووثب على ظهر الاسد فانحط عليه العقاب فاختطفه ، فقال الثعلب العهد ياابا الحارث ، فقال له الاسد انما عاهدتك على الارض ان احفظك من اهل الارض ، وأما اهل السماء فلا قدرة لي عليهم فقال عبد الملك لقد وعظتني يا غلام ، ورجع إلى الشام وهو يقول لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم ، توفي سنة ست وثمانين وفيها كان الطاعون الفتياني ، وسمي بذلك لانه بدأ بالنساء :

مهما قضى يا نفس فاصطبري له ... ولك الامان من الذي لم يقدر
وتيقني ان المقدر كائن ... حتما عليك صبرت أم لم تصبري

﴿ فائدة ﴾

قال السيد محمد كبريت في رحلته : الطاعون يوناني .

قال البصير : هو كل ورم يظهر ، ثم خص بالحار السريع القتال ويطلق على الوباء لتلازم الحاصل بينهما وإلا فبينهما عموم وخصوص ، ثم سرنا بعد ايام إلى مدائن كسري صحبة الامير الذي كل عن وصف همته العلية لساني ، لزيارة سلمان الفارسي وحذيفة اليماني ، فزرناهما رضي الله عنهما وبلغنا الاماني .

﴿ فائدة ﴾

المدائن كانت سبع مدن من بناء الاكاسرة بنيت على طرف الدجلة ، وكان يسكنها ملوك بني ساسان إلى زمن عمر بن الخطاب ، فلما ملكت العرب الفرس واختطت البصرة والكوفة انتقل الناس اليهما فلما اختط الحجاج واسط وصارت دار الامارة انتقل الناس اليها فلما اختط المنصور بغداد انتقل اليها اكثر الناس والآن هذه المدائن كلها خراب .

وقيل : ان قد ما سكن بها جماعة بكثرة من الفلاحين ، وكانوا شيعة إمامية ومن عادتهم ان نساءهم لا يخرجون بالنهار أصلا دائماً .

وكانت الاكاسرة بنت هناك قصوراً مشيدة وكانت باقية إلى زمن المكتفي بالله العباس فامر بهدمها ، وبنى بانقاضها داراً على الدجلة وسماها التاج ، ولما هدم تلك القصور وترك ما بقي من ابواب كسرى انو شروان .

وكان بقي منه طاق الايوان وجناحاه وازجه وقد بنى بآجر طوال عراض وآثاره باقية إلى الآن ، وكان من اعظم الابنية واعلاها .

ثم سرنا من بغداد إلى سامرا صحبة الامير المذكور الشهم السري ، لزيارة الامام علي الهادي والامام حسن العسكري فزرناهما عليهما السلام ، وفزنا بالقبول ، وبلوغ المأمول ، وأقمنا بها ثلاثة ايام ، ورجعنا إلى بغداد دار السلام .

﴿ فائدة ﴾

مدينة سامراء على طرف شرقي الدجلة وهي بغداد وتكريت بناها المعتصم بالله العباسي سنة احدى وعشرين ومائتين عند ما ضاقت بغداد بعبيد الاتراك وانشأ جامعاً وعدة دور جليلة ، قيل انه انفق على بنائها خمسمائه الف الف دينار ، وبنى بها المنارة التي كانت من احدى العجائب ، وبنى بها قصوراً على شاطىء الدجلة

وبها نهران يشقان شوارعها ويشقان الجامع الذى بها ، وفي الجامع سرداب قد ثبت عند الشيعة الامامية ان المهدي محمد بن الحسن العسكري وهو صاحب الامر المنتظر قد غاب فيه الغيبة الكبرى ايام المتوكل العباسي .

قال عيسى على نبينا وعليه السلام : مثل عالم السوء مثل صخرة وقعت في فم النهر ، لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء ليتخلص إلى الزرع .

ذكر عند مولانا الامام جعفر الصادق عليه السلام قول النبي صلى الله عليه وآله : النظر إلى وجه العالم عبادة ، فقال : هو العالم الذي إذا نظرت اليه ذكرك الآخرة ، ومن كان على خلاف ذلك فالنظر اليه فتنة .

قال بعضهم : لا عيش اطيب من العافية ولا حارس احفظ من الصمت ، ولا آت اقرب من الموت ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا جهاد كمخالفة الهوى ، ولا نور كذكر المولى .

قال النبي صلى الله عليه وآله : العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فان خالطوه وادخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم .

وعنه صلى الله عليه وآله انه قال لاصحابه: تعلموا العلم وتعلموا له السكينة ولا تكونوا من جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم .

قيل لرجل ادركه الغرق: أتريد ان تنجوا ؟ قال: لا ، قيل: أتريد ان تغرق؟ قال : لا ، قالوا له : فماذا تريد ؟ قال : مرادي في مراده ، وانما اريد ما يريد .

﴿ فائدة ﴾

الذين رزقوا السعادة في اشياء لم يأت بعدهم من نالها وهم : ابوبكر الصديق في النسب فانه كان نسابة عصره ، علي بن ابي طالب في القضاء ، ابوعبيدة في الامانة ابو ذر في صدق اللهجة ، ابي بن كعب في القرآن ، الحسن البصري في التذكير ابن سيرين في التعبير ، وهب بن منبه في القصص ، ابن اسحاق في المغازي ، نافع

في القراءة ، أبو حنيفة في الفقه قياسا ، مقاتل في التأويل ، الكلبي في قصص القرآن ، ابن الكلبي الصغير في النسب ، أبو الحسن المدايني في الاخبار ، أبو عبيدة في الشعبية ، محمد بن جرير الطبري في علوم الأثر ، الخليل بن أحمد في العروض ، فضيل ابن عياض في العبارة ، مالك في العلم ، الشافعي في فقه الحديث ، أبو عبيدة في الغرائب ، علي بن المدايني في علل الحديث ، يحيي بن معين في الرجال ، أحمد بن حنبل في السنة ، البخاري في نقل الصحيح ، الجنيد في التصوّف ، محمد بن نصر المروزى في الاختلاف ، الجبائى في الاعتزال ، الأشعري في الكلام ، أبو القاسم الطبرانى فى العوالي ، عبد الرزاق في ارتحال الناس اليه ، ابن منده في سعة الرحلة ، الهروي في السياحة ، أبو بكر الخطيب فى سرعة القراءة ، ابن حزم في الظاهرية ، سيبويه في النحو ، التفتازانى في الصرف ، أبو الحسين البكري فى الكذب ، اياس في التفرس ، عبد الحميـــد في الكتابة والوفاء ، أبو مسلم الخراساني فى علو الهمة والحزم ، الموصلي النديم فى الغناء ، ابو الفرج الاصفهانى صاحب الاغانى في المحاضره ، أبو معشر في النجوم ، الرازى في الطب ، عمارة بن حزم في التيه ، الفضل بن يحيي في الجود ، جعفر بن يحيي في التوقيع ، ابن زيدون في سعة العباره ، ابن القرية في البلاغة ، الجاحظ في الادب والبيان ، الحريري في المقامات ، البديع الهمدانى في الحفظ ، أبو نواس فى المجون والخلاعة ، ابن حجاج في سخف الالفاظ ، المتنبي في الحكم والامثال شعرا ، الزمخشري في تعاطى العربية ، النسفي في الجدل ، جرير في الهجاء الخبيث ، الفرزدق في الحسد ، حماد الراوية فى شعر العرب ، معاوية في الحلم ، المأمون في حب العفو ، عمرو بن العاص في الدهاء ، الوليد في شرب الخمر ، أبو موسى فى سلامة الباطن ، عطاء السلمى في الخوف من الله ، أبو البواب فى الكتابة ، القاضي الفاضل في الترسل ، العماد الكاتب في الجناس ، ابن الجوزي في الوعظ ، أشعب فى الطمع ، أبو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء ومعرفته وتفسيره ، حنين بن اسحاق في ترجمة اليونانى الى العربى ، ثابت بن قرة الصابى في تهذيب مانقل

من الرياضى الى العربى ، ابن سينا في الفلسفة وعلوم الاوائل ، الامام فخر الدين الرازي في الاطلاع على العلوم ، السيف الآمدي في التحقيق ، النصير الطوسي فى المجصطى ، أبو الهيثم فى الرياضى ، نجم الدين الكاتبي فى المنطق ، أبو العلاء المعرى في الاطلاع على اللغة ، أبو العيناء في الاجوبة المسكتة ، مزيد في البخل ، القاضي أحمد بن أبي داودفى المرأة وحسن التقاضى ، ابن المعتز في التشبيه ، ابن الرومي فى التطير ، حجة الاسلام ابو محمد الغزالي في الجمع بين المعقول والمنقول ، ابن يعقوب في القاموس ، ابن الوليد بن رشد في تلخيص كتب الاقدمين الفلسفية والطبية ، الشيخ محي الدين بن عربى في علوم التصوف ، الصولي في الشطرنج .

(لطيفة) : يقال ان بعضهم كان اذا لعب بالشطرنج مع أي من كان تضاربا فوصف لبعض الظرفاء فقال أنا ألعب معه وألتزم انه ما يحصل بيني وبينه ضراب فلما أتى اليه ولعبا قال له في اثناء اللعب شاه أستر فقال مليح والله القرنان أنت والقواد أنت فقال له ياأخي ومالذي قلت لك؟ قال : قلت استر وهو تصحيف اشتر ومايشتر إلا الجمل والجمل تصحيفه حمل والحمل هو الكبش والكبش هو القرنان والقرنان هو الذي يقود فقال له ياأخي مارأيت من يضارب بتصحيف وتفسير وتسلسل غيرك .

(قلت) : وهذا غلط لان أشتر لايعرفه اهل اللغة وانما هو لفظ فارسي والذي يقولونه في كل ذى كرش انه يجتر بالجيم فاعرف ذلك .

﴿ ترجمة ابن عمى ، ومن أرجوه فى الحادثات والمشكلات لكشف غمى ﴾

السيد النسيب ، الشريف الحسيب ، الاديب الاريب ، المصقع المنبر الخطيب ، الذي بذكره ينشرح القلب ويطيب ، العلم السامى الاكبر ، الرئيس الكريم البر ، السيد رضي الدين بن العلامة الفهامة الحبر البحر ، السيد محمد حيدر هو مقدام البلغاء المترجين في هذه الرحلة ، عالم عامل رحله ، تشد إلى جنابه الرحال

وتزدحم على بابه الرجال ، لتحصيل الفوائد ، وتنويل الصلات والعوائد ، يسعى اليه كل ذي أمل ، إذا نادى مناديه بحي على خير العمل : كيف لا وهو فاضل اقرت له الفضائل بالوحده ، وذلك فضل الله يؤتيه عبده ، وأديب تربى في حجر الآداب ، ورضع لبان العقل والصواب ، ونام في مهد البلاغة فأيقظ بفصاحة تحريره وتقريره قلوب الطلاب ، وعلى كل حال فأليه في البلاغة المرجع والمآب وتحرير ما سمعنا بمثله ولا رأينا ، ورئيس كريم ينشد لسان حاله ،،ان آثارنا تدل علينا ، تفرد بالاريحية والفضل ، فما جعفر لدى جوده وما الفضل ، كان والده ممدناً لكل فضل وافادة ، وتاج الاماجد السادة ، وهو من بعده اخلفه وزيادة ، على رغم كل حلاف حنات مشاء بنميم نفاث ، وكانت ولادته عام الف ومائة وثلاث ، واسمه تاريخه كما لا يخفى لذي عينين ، لكنه زاد في العدد اثنين ، فاستثناها ولده رحمه الله بقوله :

رضي الدين تاريخ لعام فطامه الشرعي

وقال ايضاً :

رضي الدين تاريخه بحذف اثنين من عدده

له التصانيف الحالية ، الفريدة المفيدة الغالية ، منها تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية ، تاريخ جليل القدر جم الفوائد ، وله شعر يزري بعقود الجواهر في اجياد الابكار الخرائد ، بليغ الالفاظ لطيف المعانى ، يطرب لسماعه الحسن بن هانى ، فمنه قوله مادحا شريف مكة المشرفة السيد الأنجد ، الشهم الامجد الشريف مبارك بن احمد :

لملوى ربوع بالملوى وخدور	فهل لك يا حادي الظعون تزور
تجدد عهداً بالملوى جاده الحيا	فلي في رباه روضة وغدير
ونذكر اياما تقضت بسفحه	وعصراً به غصن الشباب نضير
سقى مربعا للعامرية باللوى	ملث تعم الارض منه بحور
فلم انس سرا قد اذاعته عندما	تدانى فراق بيننا ومسير

عشية قالت بالحمى سوف نلتقي … وقال لها الواشي ابوك غيور

فدتها الغواني كيف تفشي حديثها … اما علمت ان الوشاة حضور

اطعت الهوى في حبها ولو انه … وفي كبدي منه لظى وسعير

وقلت محب قد اتى يطلب الثوي … فقالت يقيم اليوم ثم يسير

فقلت لها ياعلو في غير ارضكم … اسير واما عندكم فأسير

اهاجرتي لا فرق الله بيننا … الى كم صدود في الهوى ونفور

أفي كل يوم لي اليكم وسيلة … أقدمها اني اذاً لصبور

على أنني لم أفش سرا ولم اخن … عهودا ولم تسند الي أمور

فقالت حماك الله من كل شيمة … تشين ولكن الوشاة كثير

اذا ظفروا يوماً بحر تبادروا … الى ذمه ان اللسان عثور

فقلت دعيهم لا أبا لأبيهم … فاني مليك في الهوى وأمير

فقالت نعم قد أيدتك شواهد … لدينا واخبار بذاك تسير

ولكن اذا فاض الحديث بمحفل … وأرجنا منه شذى وعبير

رايتك للاداب تصغي وللعلى … تميل وذاود لديك تمير

وتنظم من در الكلام قلائدا … تحلى بها للغانيات نحور

ألست الذي تطوى القفار لماجد … له بين سادات الأنام ظهور

فقلت بلى لله درك هذه … مطامع مثلي لا طلا وبخور

فقالت اذن فاقصد أخا المجد والتقى … ومن بالخصال الصالحات شهير

مبارك نجل الشهم أحمد من له … جميع البرايا بالاكف تشير

فقلت هو المولى الذى قط ماله … كما صح بين العالمين نظير

مليك عظيم ماجد متواضع … عليم باعقاب الامور خبير

مليك رقى هام السماكين واغتذى … لبان العلى والمجد وهو صغير

وساد بني السبط الذين هم همو … ملوك الورى بالسيف وهو كبير

مليك له يومان يوم لبؤسه ... فكل الفيافي للعصاة قبور
ويوم ندى عم الخلائق بره ... فلم يلف بين العالمين فقير
مليك عريق فاطمي مهذب ... علا أورثاه شبر وشبير
مليك خطيب مصقع ذو بلاغة ... يقصر عنها دعبل وجرير
مليك زهت أم القرى بقدومه ... وحف جميع الخلق منه سرور
فيا ملكا تروى أحاديث فضله ... ثقات عدول في الورى وصدور
عن السبط عن مولى الأنام بأسرهم ... علي كما قد اوضحته سطور
ويا ماجداً حاز القلوب بلطفه ... وكل وداد قد حواه ضمير
الم تدر اني لم ازل منذ اشرقت ... علي شموس من علاك تنير
واصفيتنى محض الوداد تفضلا ... وظنا بأني عالم وبصير
رجوت باني ارتقي كل رتبة ... ذراها يرد الطرف وهو حسير
فكان جزائي ضد ماقد رجوته ... على انني بالفضل منك جدير
على حظي المنحوس عتبي لانني ... ارى ان حظي قد علاه قصور
فان تولني منك الجميل فحبذا ... وإلا فاني عاذر وشكور

(اقول) : هذا البيت ضمنه في هذه القصيدة فاني رأيته مسطورا في كتاب مناهج التوصل ، في مباهج الترسل ، في ضمن رسالة ، هذه صورتها :

عندي حدائق جود من نوالكم ... قد مسها عطش فليسق من غرسا
تداركوها وفي اغصانها رمق ... فليس يرجى اخضرار العود أن يبسا

من رفعت له الدرجات ، ارتفعت اليه الحاجات .

لهمتك العلياء وجهت حاجتي ... وحاشا لقصاد الكريم تخيب

واعلم ان تفقد الاخوان ، وزيارة الخلان ، عادة الصالحين ، بل سنة المرسلين .
قال الله تعالى حاكياً عن سليمان عليه الصلاة والسلام ، وتفقد الطير فقال مالي لاارى الهدهد ، وذلك مايخل بجلالة قدره ، ونباهة امره ، وعلو شأنه ،

ورفعة ملكه ومكانه .

تفقد الخلان مستحسن فمن بداه فنعما بدا
سن سليمان لنا سنة وكان فيما سنه مقتدى
تفقد الطير على ملكه فقال مالي لا أرى الهدهدا

وهذه السنة السنية ، والطريقة الحسنة المرضية ، هي سنة الأنبياء والمرسلين ، والاولياء الكرام المكرمين ، وطريقة العلماء الاخيار ، والحكماء الأبرار .

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

فالمبارة في الحال ، أفصح من المقال ، ولكن الى متى يافتى ، اذا كان المرسل حليما ، والمرسل اليه عليما .

اذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه

أفضل المعروف اغاثة الملهوف

فان تولني منك الجميل فحبذا وإلا فاني عاذر وشكور

وما أحسن ماسمعت من لطيف التضمين ماحكى ان الامير بدر الدين بيلبك الخازندار احضره الى البلاد المصرية تاجر كان يحسن اليه وهو في رقه فلما باعه على الملك الظاهر وتنقلت به الايام الى ماصار اليه من علو الرتبة والمنصب وافتقر التاجر فيما بعد فحضر الى الديار المصريه ، وكتب اليه رقعة فيها :

كنا جميعين في بؤس نكابده وقلت والطرف مني في أذى وقذى
والآن أقبلت الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسى ان الكرام اذا

اشارة الى قول من قال :

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

ولعمري ان فيه من البلاغة حسن التضمين مع الاختصار ، الذي هو أشرف انواع البلاغة ، حكى ان الملك الظاهر لما استعرضه ليشتريه قال له التاجر ياخوندانه يكتب ويقرأ فأحضرت له دواة وقلم وورقة وتقدم اليه بان يكتب شيئاً فكتب :

لولا الضرورات مافارقتكم أبداً ولا تنقلت من ناس الى ناس

فاعجب الملك الظاهر الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك في مشتراه ، وقد أوردت في ترجمة والده قدس الله سره عدة قصائد كلها متضمنة تضمين بيتى الذهبي في الحمامة كما تقدم ، فراجعه ثمة والله أعلم ، بتتمة قصيدته المذكورة :

وهاك لآل في سموط نظمتها عقودا وفي اثناء ذاك شذور

هدية رق مخلص قد هفا به زمان لارباب الكمال كفور

وجد بقبول لابرحت معظما مهابا عزيزا والعدو حقير

ختام القصيدة :

ودم مالكا للمجد ثم متمما له بفخار لم يصبه دثور

وقوله على لسان بعض الاعزاء ، وطلب منه جريان الماء في العود ، وعود ليالي السعود ، والقصيدة ذات قواف أربع وهى :

لقد آن السرور بلا امتراء ووقت للمحبة والاخاء

لا المتاب لاالصدود والتدانى

وود صادق اضحى وثيقا لدى اهل التصادق والوفاء

والتصابى والعهود في الجنان

ويابن الاكرمين أباً وأماً لك الفضل الجميل مع الثناء

الثواب السعود بلا امتنان

فأنت فريد هذا العصر طرا على رغم الحسود بلا خفاء

تغابى جحود دهان

وبيت قصيده نسبا ومجدا بآباء كرام أصفياء

بالرغاب للوفود في الزمان

ودرة تاجه فضلا وعلما وقولا لايمازج بالخطاء

بالكذاب بالحقود بالهوان

فلا زالت بك الايام تزهو كنور جاده قطر السماء
السحاب الرعود الرثان

ولا برحت لك الدنيا فتاة تنيلك ما تؤمل من لقاء
طلاب وعود اماني

ولا فتىء الزمان لكم غلام مطيعاً في الغدو وفي المساء
الاياب الورود التداني

فدونكها تزف اليك بكرا سمت اوج المحاسن باعتلاء
بانتخاب بالصعود بالبيان

ودم ما قال مشتاق لخل لقد آن السرور بلا امتراء
ارتياب نكود تواني

وقوله مؤرخاً ولاية الشريف ذي العزم والايد ، مولانا الشريف علي بن سعيد بن زيد :

يا سيداً قد حاز فخر الأولى سبحان من بالملك قد كملك
ويا فريد العصر طراً ويا درة تاج الملك ما اعدلك
بسطت عدلا شاملا للورى بمنهج يسلكه من سلك
لذا اتى التاريخ عام الهنا علمكك الصاعد اوج الفلك
من بعد اخراج لجن علوا وأسعد الرحمن مستقبلك
فقد اتى بالسعد تاريخه ما تم للعالم ما تم لك

قلت : الشطر الاخير وهو التاريخ للبها زهير المصري رحمه الله تعالى من قصيدة اولها :

ويحك يا قلب أما قلت لك اياك ان تهلك فيمن هلك
حركت من نار الهوى ساكناً ما كان اغناك وما أجملك

ولو لا الاطالة لاوردتها بجملتها فانها في غاية من الرقة والانسجام ، وانما

ضمن هذا الشطر لمطابقته مقتضى الحال مع كونه صالحاً ان يكون تاريخاً وانما زاد ثلاثة وثمانين فاستثناها بقوله من بعد اخراج لجن علواً وهو لفظ لجن بمفرده وهو ثلاثة وثمانون . ولا يخفى ما في ذلك من التورية اللطيفة ، وقد قدمنا الكلام على هذا النوع من التاريخ في ترجمة والده قدس الله سره ، ومثله للشيخ ابراهيم بن ابي الحزم المدني تاريخ مقعد له :

عند ما تم مقعد الصدق هذا　　قيل ارخه قلت يا صاح حاضر
هاك تاريخه ولا شين فيه　　مقعد للجليل عال وعامر

أي باسقاط عدد حروف شين والتورية في هذا التاريخ ايضاً ظاهرة :

قيل : جلس نحوي إلى جانب واعظ فلحن الواعظ ، فقال له النحوي : اخطأت ولحنت ، فقال الواعظ : بديهة ايها المعرب في اقواله ، اللاحن في افعاله ، لأجل ضمة رفعت ، وفتحة نصبت ، وجرة خفضت ، وجزمة جزمت ، هلا رفعت إلى الله يدك في جميع الحاجات ، ونصبت بين عينيك ذكر الممات ، وخفضت نفسك عن اتباع الشهوات ، وجزمتها على ترك المحرمات ، أما علمت انه لا يقال لك يوم القيامة لم لا كنت فصيحاً معربا ، بل يقال لك لم كنت عاصياً مذنباً ، ولو كان الامر كما ذكرت لكان هارون احق بالخلافة من موسى إذ قال الله اخباراً عنه واخي هارون هو افصح مني لساناً فجعل الرسالة في موسى لثبات جنانه ، لا لفصاحة لسانه ، وأنشأ يقول :

وجاهل في الفعال ذي زلل　　حتى إذا قال قوله وزنه
قال وقد اعجبته لفظته　　تيها وعجبا اخطأت يالحنه
فقلت اخطأ الذي يقوم غداً　　ولا يرى في كتابه حسنه

قيل : اتى نحوي إلى بعض الولاة ، فقال : اعز الله الامير انى لي ابن اخ أشر بطر ، قد انطوى على كل سكير وخمير ، عمد إلى عود فنحته ، وإلى شعر برذون فعصبه به ، فطن وطنطن حتى فطن به فآذانى بتطنطنه فأحب عقوبته حتى ينتهي

عن ذلك ، فأمر الامير باحضاره ، فلما مثل بين يديه قال له : يا ابن اخي ألم اطعمك اطيب الطعام ، ألم اسقك ألذ الشراب ؟ قال : بلى يا عم ، قال : فمالك والتعدي ، أضجعوه وجبوا أنفه ، فالتفت اليه الشاب وقال : والله يا عم لضرب بالسياط على بدني خير من وقع كلامك في اذني ، فضحك منه الامير وأطلقه .

قيل : ان العتابي : هاج به الدم يوما فسقط على وجهه مغشياً عليه ، فاقبل اليه اصحابه ، وجعل بعضهم يفرك انامله ، وقوم يؤذنون في اذنه ظناً به انه مصروع ، فلما افاق من غشيته ورأى اصحابه محدقين به فقال لهم : ما لكم تكأكأتم علي كتكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني ، فقال بعضهم لبعض دعوه فان جنيه يتكلم بالهندية .

وقيل : نظر بعض الناس إلى العتابي وهو يأكل في السوق ، فقال له : أما تستحي بأن تأكل في السوق والناس تراك ؟ فقال له العتابي : أرأيت لو كنت في دار فيها بقر كنت تستحي بأن تأكل وهي تراك ، قال: لا ، فقال له : اصبر قليلا لأريك صدق ما قلته ، فصعد على دكة حانوت ووعظ فاجتمع عليه الناس ، فلما رأى كثرة اجتماعهم ، قال : ايها الناس قد روينا من غير وجه انه من بلغ لسانه إلى رأس انفه لم يدخل النار ، فلم يبق احد من القوم إلا وأخرج لسانه إلى رأس انفه لينظر هل يبلغ اليه أم لا ، فلما تفرقوا عنه قال للرجل ألم اخبرك انهم بقر .

وقيل : سأل منه مرة بعض اصحابه اعارة حمار وكان في مجلسه جماعة من اصحابه ، فأخرج له برذعة وقال له : ضعها على ظهر من شئت من هؤلاء الجماعة فاني اتيت اليوم من طريق بعيد وحماري اهلكه التعب .

لطيفة : ولى المنصور الدوانيقي سليمان بن راشد على الموصل وضم اليه الفاً من العجم وقال له : قد ضممت اليك الف شيطان تذل بهم العباد وتملك بهم البلاد فلما اتى الموصل عتوا في البلاد وقطعوا السبيل ، فأتى خبرهم إلى المنصور ، فكتب اليه كفرت النعمة يا سليمان ، فاجابه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فقبل

عذره وصرفهم عنه .

قيل : حبس عمرو بن العاص عن جنده العطاء ، فقام اليه رجل حميري وقال اصلح الله الامير إذا لم تعطنا شيئاً فانحت لك جنداً من حجارة لا يأكلون ولا يشربون ، فقال له عمرو : اسكت يا كلب العرب ، فقال الحميري : فأنت إذاً أمير الكلاب . لبعضهم :

ايها المرء ان دنياك بحر موجه طافح فلا تأمنها
وسبيل النجاة منها منير وهو اخذ الكفاف والقوت منها

لطيفة : لما ماتت حمادة بنت عيسى عمة المنصور العباسي فخرج في جنازتها فرأى ابا دلامة واقفاً على قبرها ، فقال له : ما اعددت لهذه الحفرة يا ابا دلامة ؟ فقال : عمة امير المؤمنين يؤتى بها الساعة ، فغلب المنصور الضحك حتى ستر وجهه بطرف رداءه حياء من الناس .

قيل : دخل شاب على المنصور فسأله عن وفاة والده ، فقال له الشاب: رحم الله ابي مرض يوم كذا ، وسار إلى رحمة الله يوم كذا ، وخلف من المال والمتاع كذا وكذا فانتهر الربيع وزير المنصور وقال له أما تستحي بحضرة أمير المؤمنين وأنت تعرف والدك ، فقال له الشاب : صدقت يا ربيع لانك ما تعرف حلاوة الآباء والامهات ، فضحك المنصور وخجل الربيع .

قال ابو الفرج الاصبهاني : كان الربيع هذا يدعي انه ابن يونس بن ابي فروة ، وبنو فروة يدعون انه لقيط وجدوه مرمياً على باب يونس فرباه فلما كبر وهبه المنصور قبل خلافته ، فلما تولى المنصور الخلافة جعله حاجباً ، ثم جعله وزيراً .

وقيل: ان الربيع لما كبر كان يونس مقلا فابتاعه ، على زياد بن عبد الله خال ابي العباس السفاح فاهداه إلى السفاح فلم يزل في خدمته حتى مات السفاح فخدم بعده ابا جعفر المنصور فلم يزل عنده في حظ وسعد حتى تولى الوزارة

وذلك لجزابته وهمته ونباهته .

لا تقل أصلي وفصلي أبداً … انما أصل الفتى ما قد حصل

قد يسود المرء من غير أب … وبحسن السبك قد ينفى الزغل

وكذا الورد من الشوك وما … ينبت النرجس إلا من بصل

لما وصل المعز ابو تميم معد بن منصور العبيدي إلى الديار المصرية بعد ما وصل غلامه القائد جوهر وملك مصر واختط له القاهرة ، وكان العبيديون ينسبون إلى فاطمة الزهراء عليها السلام خرج الناس إلى لقائه لما قرب من مصر وأجتمع به الاشراف ، فقال له: من بينهم ابو محمد عبد الله بن طباطبا العلوي إلى من ينتسب مولانا ؟ فقال له المعز سنعقد لكم مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام ، ثم جلس لهم ، وقال : هل بقي من رؤسائكم احد فقالوا : لم يبق معتبر ، فسل عند ذلك نصف سيفه ، وقال : هذا نسبي ثم نثر عليهم ذهباً كثيراً ، وقال : هذا حسبي ، فقالوا جميعاً سمعنا واطعنا ومازال هؤلاء الخلفاء بمصر يدعون الشرف ويقولون نحن من ولد فاطمة يريدون بذلك التبجح على بني العباس خلفاء بغداد ، فيقولون : ابونا علي بن ابي طالب وأمنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكان الحاكم منهم في كل جمعة يقول مثل هذا على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر في اشغال الناس ، فرفعت اليه رقعة فيها :

انا سمعنا نسباً منكراً … يتلى على المنبر في الجامع

ان كنت فيما قلته صادقاً … فانسب لنا نفسك كالطائع

او كان حقاً كل ما تدعي … فاعدد لنا بعد الاب السابع

أو فدع الاشياء مستورة … وأدخل بنا في النسب الواسع

فان انساب بني هاشم … يقصر عنها طمع الطامع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد ، والقيمون بعلم الانساب والتاريخ لا يثبتون لهم هذه النسبة .

قلت : قال الصفدي كذا رأيت جماعة من الفضلاء يروي هذه الواقعة للحاكم وليس بشيء لان الحاكم توفى سنة احدى عشرة واربعمائة ، وكان الخليفة ببغداد إذ ذاك القادر بالله لانه توفى سنة اثنين وعشرين واربعمائة ، والطائع لله خلع من الخلافة سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ، توفى مخلوعا سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، والذي كان خليفة مصر في ايامه انما هو العزيز ابو منصور نزار بن المعز لانه مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة ولي الامر سنة خمس وثلاثمائة وهو والد الحاكم ، وإذا كان كذلك فصاحب الواقعة انما هو العزيز ويحتمل ان يكون الحاكم بتأويل في الشعر ، بل الذي اتفق للحاكم انه كان يدعي علم الغيب ، فيقول فلان في بيته كذا وكذا ، وكان يفعل كذا وكذا ، وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز الذين يدخلون بيوت الناس ويتجسسون اخبارهم ، فرفعت اليه رقعة فيها :

بالظلم والجور قد رضينا ... وليس بالكذب والحماقة

ان كنت اوتيت علم غيب ... بين لنا كاتب البطاقة

فسكت بعد ذلك عن الكلام في المغيبات .

حكى ان فخر القضاة ابن بصاقة امسك له فأرة بيضاء فصنع لها قفصاً وكتب عليه من نظمه :

وفارة بيضاء لم تعنهن ... يوماً باطمام السنانير

إذ فارة المسك سمعنا بها ... وهذه فارة كافور

ومما يستغرب انه وجد في ذخائر ابى كاليجار سلطان الدولة ابن بهاء الدوله ابن بويه نملة في حلقها سلسلة تأكل كل يوم رطلى لحم بالبغدادي ، وعندي ان هذا مستبعد ، ذكر ذلك الصفدي في شرح لامية العجم عند آخر هذا البيت :

تنام عيني وعين النجم ساهرة ... وتستحيل وصبغ الليل لم يحل

ولى الحجاج أعرابيا ولاية فتصرف في الخراج فعزله فلما حضر بين يديه قال له ياعدو الله أكلت مال الله فقال الاعرابى ومال من آكل ان لم آكل مال الله

لقد راودت ابليس ان يعطيني فلساً واحدا فلم يقبل فضحك منه وعفا عنه .

فلما كان ليلة الخميس ، المبارك الانيس ، توكلنا على رب المثاني ، ورحلنا من بغداد ليلة الخامس من جمادي الثاني ، قاصدين دار السلطنة اصفهان ، لا زالت معمورة مغمورة على ممر الازمان ، صحبة الامير الشهم المذكور ، لا زال محبوراً ومشهوراً ، ولا برح مستوراً ، وأقمنا بها يوماً وهي قرية لطيفة على الشط يعبر اليها بالسفن في غاية الشراحة ، ما احسن ما كتب به ابن حكينا البغدادي إلى ابن التلميذ الطبيب وقد مرض بان يعبر اليه الدجلة ليداويه :

ان امرأ القيس الذي هام بذات المحمل
كان شفاه عبرة وعبرة تصلح لي

ويريد قول امرىء القيس :

وان شفائي دمعة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

فنقل ابن حكينا العبرة من كلام امرىء القيس من الدمع إلى العبرة في كلامه وهي التعدية في الدجلة ، والعبرة الدمع نفسه تجمع على عبرات يقال منها استعبر الرجل وتقول عبر الرجل يعبر عبراً فهو عابر والمرأة عابر ايضاً ، وعبرت عينه واستعبرت إذا انهل دمعهما والعبران الباكي ، والعبر بالتحريك سخنة في العين يبكيها والعبر بالضم مثلها يقال رأى عبر عينه ، أي ما يسخن عينه ، فاضافنا ذلك اليوم حاكم بهروز عثمان أغا ، ثم رحلنا فاتينا على قرية تسمى بلاد الروز وهي قرية كل ما فيها طيب حسن ، عامرة كانها من جنان عدن ، فاقمنا بها يوماً ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى بندر علي وهي قرية حسنة معمورة ، وبكل خير مغمورة ، وهذه الاربع المنازل من تعلقات بغداد كلها مشمولة بالخيرات ، محفوفة بالبركات ، فاقمنا هناك يوماً ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى سومار ، وهي اول حد العجم يسكنها الاكراد الاشرار ، فاقمنا بها يوماً ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى جنسور واقمنا بها باعزاز واكرام ثلاثة ايام في بيت حاكم الاكراد الامير محمد علي خان وفي كل

يوم يخرج بنا بين تلك المياه والزهور والآكام والربى ، لصيد الارانب والظبا ، وما أحسن قول عمي الفاضل الاب الاكبر ، السيد محمد بن علي بن حيدر ، المتقدم ذكره :

أقول لقلبي اذ تولع بالهوى وشرق في حب الملاح وغربا
اذا عز صيد الظبي فاقنع بغيره فكل الفلا صيدوان كان أرنبا

واسلوب هؤلاء الاكـــراد ، كالعرب البواد ، تراهم في كل جبل وواد ، متفرقين كالجراد .

﴿ لطيفة ﴾ : سمع بعضهم قارئاً يقرأ الاكراد أشد كفرا ونفاقا ، فقال له انما الآية الاعراب أشد كفراً ونفاقا ، فقال كلهم قطاع الطريق لعنة الله عليهم أجمعين ، قال بعض الاكراد يمدح الصاحب بن عباد ويتضمن فضل العجم على العرب :

غنينا بالطبول عن الطلول وعن عيس عذافرة ذمول
وأشغلني عقارى عن عقارى ففي أست القضاة مع المدول
فلست بتارك ايوان كسرى لحومل او لتوضح فالدحول
وضب بالفلا ساع وذئب بها يعوى وليث وسط غيل
اذا نحروا فذلك يوم عيد وان ذبحوا ففي عرس جليل
بأية رتبة قـدمتموهـــا على ذي البيت والشرف الاصيل
أما لو لم يكن للفرس الا نجاد الصاحب العدل الجليل
لكان لهم بذلك خير عـز وجيلهم بذلك خير جيل

فقال له الصاحب : لقد تجاوزت حدك ، ثم أمر بديع الزمان الهمداني ان يجيبه ، فقال بديهة في الحال :

أراك على شفا خطر مهول بما أودعت رأسك من فضول
طلبت على مكارمنا دليلا متى احتاج النهار الى دليل
ألسنا الضاربين جزى عليكم فأي الخزي أقعد بالذليل

متى قرع المنابر فارسي | متى عرف الأغر من الحجول
متى علقت وأنت بها زعيم | أكف الفرس اعراف الخيول
فخرت بملء ماضغتيك فخراً | على قحطان والبيت الأصيل
فخرت بأن مأكولا ولبسا | وذلك فخر ربات الحجول
تفاخرهن في خد أسيل | وشعر في مفارقه أسيل

قال : فلما أجبته بهذه الابيات نظر الصاحب الى الرجل فقال له ماترى ، قال : لو رأيت ما صدقت ، قال اذاً جائزتك عندي ان وجدتك بعدها في مملكتي أمرت بضرب عنقك ، ثم قال : ألا ترون احداً يفضل العجم على العرب الاوفيه عرق من المجوسية .

وقال بعض العجم أيضا مفتخراً على العرب :

أنا ابن الاكارم من آل جم | وطالب ارث ملوك العجم
لنا علم الكاويان الذي | به نرتجي ان نسود الامم
فقل لبني هاشم أجمعين | هلموا الى الخلع قبل الندم
وعودوا الى أرضكم بالحجاز | واكل الضباب ورعى الغنم
فاني سأرقى سرير الملوك | بحد الحسام ورأس القلم

(أقول) : قوله لنا علم الكاويان هو علم من جلد واصله الكابيء الحداد وهو كان عند الفرس يتوارثونه من زمن الملك الضحاك وله قصة ذكرها الفردوسي الطوسي في كتاب الشاه نامه الذي خدم به السلطان محمود الغزنوي .

ورأيت أيضاً في شرح رسالة الوزير أحمد بن زيدون التي جمعها على لسان ولادة بنت المستكفي بالله المعروف بالداخل في بني امية حين هام بها الوزير ابو عامر ابن عبدوس وأرسل اليها امرأة تستميلها اليه وتعد لها مناقبه وترغبها في الانفراد به ، وكانت ولادة هذه تتعشق الوزير أحمد بن زيدون وتميل اليه ونظمها وحكاياتها

منه مشهورة ، فمن نظمها ما كتبته اليه :

ترقب اذا جن الظلام زيارتي فاني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك مالو كان بالبدر لم ينر وبالشمس لم تشرق وبالنجم لم يسر

ومن قولها ما كتبته بالذهب على كم ثوبها :

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها
أمكن عاشقي من صحن خدي واعطي قبلتي من يشتهيها

فكتب ابن زيدون هذه الرسالة وهي مشهورة بديعة تتضمن غرائب من نسب أبي عامر والتهكم به والجهالة وجعلها جوابا عن لسان ولادة وارسلها عقيب رجوع المرأة فبلغت منه كل مبلغ واشتهر ذكرها في الآفاق وأمسك ابن عبدوس من التعرض لولادة الى ان انتقل ابن زيدون الى اشبيلية ومات بها تغمدهم الله برحمته وشارح هـــذه الرسالة الأديب ابن نباتة وهو شرح وجيز مفيد رأيت فيه عند قوله : قاطعة انك انفردت بالجمال ، واستأثرت بالكمال ، واستعليت في مراتب الجلال ، واستوليت على محاسن الخلال ، حتى خلت ان يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه ، وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ، وان قارون اصاب بعض ما كنزت ، والنطف عثر على فضل ما ركزت ، وكسرى حامل غاشيتك ، وقيصر راعى ماشيتك ، والاسكندر قتل دارا في طاعتك ، وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك ، والضحاك استدعى مسالمتك .

(ما صورته) : واختلف في نسب الضحاك فقيل هو من العرب من قحطان واليمانية تدعيه ، وفي ذلك يقول أبو نؤاس :

وكان منا الضحاك تحذره الخامل والوحش في مساربها

وقال قوم هو الضحاك بن الاهبوب بن عوج بن طهمورث بن آدم عليه السلام ، وزمنه بعد الطوفان وهو ابن اخت جمشيد بن أوشهنج ملك الاقاليم .

وقال قوم هو الضحاك بن علوان أول الفراعنة وهو الذي ولى اخاه سنان

بمصر على عهد ابراهيم عليه السلام ، وكان من سيرته ان جمشيد ومعناه سيد الشعاع ملك الاقاليم السبعة ، وهو اول من عمل السلاح واستخرج الابريسم والقز وألزم أهل الفساد في الاعمال الشاقة في قلع الصخور واستخراج المعادن وطال عمره وتجبر وادعى الربوبية فخرج عليه الضحاك هذا ، وتبعه خلق كثير فظفر بجمشيد ونشره بمنشار ، وقال له ان كنت إلها فادفع عن نفسك ، وملك بعده الضحاك فطغى أيضاً وتجبر وفجر ودان بدين البراهمة ، وهو اول من غنى بين يديه وضربت له الدراهم والدنانير ولبس التاج ووضع المشور وكان له سلعتان على كتفيه يدعي انهما حيتان يهول بهما الضعيف وكان يزعم انهما يضربان عليه ولا يسكنان حتى يطليهما بدماغي انسانين يذبحان له في كل يوم وكان له وزير صالح يذبح له كل يوم كبشاً ويترك الرجل ويقول عليك بالجبل فلا تظهر فيقال انهم الاكراد لأنهم يكردون الجبال .

ثم كثر فساد الضحاك فاجتمع الناس على افريدون بن اخت جمشيد وكان قد ترعرع فاستعد لقتال الضحاك وكان بأصبهان رجل حداد يقال له كاوى قتل له الضحاك ولدين فاجتمع عليه خلق كثير وكان له قطعة جلد يتقي بها حر النار فوضعها على رمح وخرج امام افريدون فبمجرد ما رآه الضحاك وقع الرعب في قلبه وانهزم وملك افريدون وعظم علم كاوى وصفحه بالذهب ورصعه بالجواهر وكانت الملوك تقدمه امام الجيوش فينصرون به وما يعلم سر هذا إلا الله وكان في الفرس كالتابوت في بني اسرائيل ويعرف هذا بدرفش كاويان ولم يزل في ايام الفرس في خزائنهم يتوارثونه الى ايام يزدجرد فأخذه المسلمون في وقعة القادسية وحملوه الى عمر بن الخطاب ففرق جوهره وذهبه في المسلمين .

(وقيل) : اجتمع الناس على باب الضحاك وفيهم كاوى الحداد فلما دخلوا عليه قال له كاوى السلام عليك سلام من ملك هذا الاقليم ام سلام من ملك الاقاليم ، قال بل سلام من ملك الاقاليم ، قال كاوى فاذا كنت قد ملكت الاقاليم فلم لا تجعل

لكل اقليم حظا من مكثك وبركتك ولم خصصت هذا الاقليم ؟ فأحجم الضحاك وانصف الناس وكانت أمه حاضرة فأنكرت عليه ذلك وقالت له لقد أجرأتهم فهلا قتلتهم فقال انهم يدعوني الى الحق فكنت كلما هممت بهم رأيت الحق يحول بيني وبينهم كالجبل ثم لم يزل كذلك الى ان كان من امره ما كان من قتل ابنى كاوى وخروج كاوى عليه مع افريدون .

(ثم رحلنا) من جنسورت فأتينا على قرية تسمى كيلانك ، فأقمنا هناك يوماً ورحلنا فأتيناعلى قرية تسمى جشمت قنبر ، قرية عليها الله اكبر ، والجشمت بالفارسية عين الماء يعني عين قنبر اسم لمن اجراها ، كانها من شدة بردها زمهرير ، ويصير بها ثلج عظيم يصد المسافرين عن المسير ، لانه ربما يعلو على الارض بقدر قامة أو أزيد من ذلك ، فيسد الطرقات والمسالك ، وربما تقطع يد الانسان أو رجله من شدة البرد وهو لم يشعر بذلك ، من قوة الثلج الهالك ، وبهذه القرية خان عظيم مكين ، بني للمسافرين ، فأقمنا بها يوماً ورحلنا فأتينا هارون أباد ، وهي قرية لطيفة ويوجد بها الصافنات الجياد ، يباع أنجبها بثمن بخس احقر ، بخمسة حمران وان عز فبعشرة الى خمسة عشر أحمر ، فأقمنا بها يوماً ورحلنا ، فأتينا على ماهي دشت ، وكل هذه القرى عامرة ، ذات خيرات وافرة ، فأقمنا بها يوماً ورحلنا فأتينا مدينة كرمان شاه ، مدينة ليس لها فى الحسن من شبيه ، بها كل ما يهوى القلب والنفس تشتهيه ، ويوجد بها بطيخ يبلغ وزن الواحدة منين وأكثر ، تخاله في الحلاوة كالسكر المكرر ، بعضه باطنه أحمر كالجلنار ، وبعضه أصفر كالزعفران في نهاية الاصفرار ، وغير ذلك من انواع الفواكه النفيسه ، الطيبة الانيسه ، وفيها القصور العالية ، والبدور الغالية ، والازهار الفائحة ، والانهار السائحة والبساتين التي كأنها من جنان النعيم ، والاسواق المملوأة بأنواع الخير العميم ، والحوانيت المعمورة بأصناف البز العظيم ، والسماسر التي يصبح لسان الواصف عنها قاصر ، فأقمنا بها ثلاثة أيام ، ونحن بعز مدام ، في دار حاكمها رفيع البنيان ، الغنى بذاته

الحميدة عن الوصف والتبيان ، الامير المظفر الممان ، حسن علي خان ، وحصل لي منه القبول والاكرام ، وبلغني من نواله المرام .

﴿ فائدة ﴾

كرمان شاه : بناها كرمان بن فارس بن طهمورس وهو الذي بنى كرمان الآتي ذكرها ان شاء الرحيم الرحمان .

وفي سنة أربعين وألف تمت عمارة الكعبة الشريفة زادها الله شرفا وذلك بأمر سلطان الحرمين الشريفين ، والروم والعراقين ، صاحب العزم والنجاد ، السلطان مراد ، وللقاضي تاج الدين المالكي مؤرخا لعمارتها وممتدحا معمرها بقوله :

هنيأً لملك خصه الله واجتبى ... وصداه للبيت العتيق مجده

بنى البيت بعد ابن الزبير ولم يفز ... سواه بهذا الفخر لازال سعده

مليك أقام الله ايام ملكه ... ولازال خفاقا مدى الدهر بنده

مليك ملوك الأرض طراً عبيده ... تدين له شرقا وغربا وجنده

مليك حباه الله فخراً وسؤددا ... وصيتاً مداه لاينال وحده

بتعميره بيت الاله على يدى ... من اختاره رب العلى دام رشده

فدونك تاريخاً لعام بنائه ... وفيا بضبط العام حين تعده

مراد بنى بيت الاله وزاده ... سناه بهى يزهى به زيد مجده

وله رحمه الله تاريخها نثراً ، أسس بنيانه على تقى من الله وهدى ، ثم نظمه فقال :

تاريخه إسس بنيانه ... على هدى تقوى من الله

قيل ان الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي رحمه الله حضر ذات يوم عند القاضي بهاء الدين بن شداد قاضي حلب فجرى ذكر زرقاء اليمامة فجعل الحاضرون يقولون ماعلموه من أمرها ، فقال الشيخ موفق الدين ان كانت الزرقاء

ترى الشيء من مسيرة ثلاثة أيام فأنا أري الشيء من مسيرة شهرين قال فتعجب الكل وما أمكنهم أن يقولوا للشيخ شيئاً فقال له القاضي كيف هذا ياموفق الدين قال لأني أرى الهلال فقال كنت تقول من مسيرة كذا وكذا سنة فقال لو قلت كذلك عرف الحاضرون غرضي فقصدت الايهام عليهم ، قلت لو قال الشيخ موفق الدين أنظر الى الشيء من مسيرة شهرين واكثر كان أحسن ايهاما .

ويقال ان هذه زرقاء اليمامة نظرت الى حمام يطير في الجو فقالت رجزا :

يا ليت ذا القطا لنا ومثل نصفه معه الى قطاة أهلنا اذن لنا قطاميه

وذكر أبو حاتم انها قالت :

ليت الحمام ليه الى حمامتيه ونصفه قديه تم الحمام ميه

فالحمام اذن ستة وستون ونصفه ثلاث وثلاثون الجملة ، تسعة وتسعون تضاف الى هذه الجملة حمامتها فتكمل المائة ويقال انها وقعت في شبكة صائد فعرف عددها وعندي ان هذا من المستحيل أن يتفق لأحد مع التساهل في تجويز الرؤية وسرعتها فكيف يتهيأ احصاؤه وهو في طيرانه وبعضه يتقدم ثم انه يتأخر وبعضه يتسفل ثم انه يعتلي ، وأغرب من هذا ماقاله النابغة في قصيدته وهو :

احكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق ويتبعه مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما حسبت ستاً وستين لم ينقص ولم يزد
فكملت مائة فيها حمامتها واسرعت حسبة في ذلك العدد

يريد بجانبي النيق حافتي الجبل واذا كان الحمام في مضيق بين جبلين ضاق المكان عليه وركب بعضه على بعض متراكما فيكون ابعد لاحصاء عدده بخلاف ما اذا كان منبسطاً في الجو فتأمل ذلك ، ومما يمتحن به الاذهان في الحساب .

قالوا صفان من الحمام قال الأعلى للاسفل كم عدد كم؟ فقالوا اذا طلع منا اليكم

واحد كنتم مثلينا ، واذا نزل منكم الينا واحد تساوينا فكم عدة كل صف ؟ الجواب الصف الأعلى سبع والصف الاسفل خمسة .

《 مسألة اخري 》

رفيقان اصطحبا في طريق مع احدهما خمسة ارغفة ومع الآخر ثلاثة ارغفة فعندا يأكلان فمر بهما آخر فأكل معهما وأكل كل منهم من الخبز على التساوي فلما فرغوا دفع ذلك الرجل اليهما ثمانية دراهم ، وسار فكيف يقسم ذلك بينهما والذي يبدو فى بادىء الرأى ان صاحب الخمسة له خمسة وصاحب الثلاثة له ثلاثة وليس كذلك ، والجواب ان صاحب الخمسة يستحق سبعة وصاحب الثلاثة يستحق واحدا والعلة في ذلك ان كلا منهم أكل رغيفين وثلثي رغيف يخص كل ثلث درهم .

《 مسألة اخرى 》

رفيقان في طريق مشتركان فى ثمانية أرطال زيتا أرادا قسمته بينهما ولم يكن معهما إلا وعاء يسع خمسة أرطال ووعاء يسع ثلاثة كيف الحيلة في قسمته ؟ الجواب أن يفرغ في وعاء الثلاثة ملأه ثم يقلب ذلك فى وعاء الخمسة ويملأ وعاء الثلاثة مرة ثانية ويفرغ منه في وعاء الخمسة تكملة وسعة وهو رطلان ويبقى في وعاء الثلاثة رطل واحد فيفرغ مافي الخمسة في وعاء الأصل ويقلب الرطل الذي بقي فى وعاء الخمسة ثم يملأ وعاء الثلاثة مرة ثالثة من الاصل ويضاف الى الرطل الذي في وعاء الخمسة فيجتمع فيه أربعة أرطال .

《 مسألة اخرى 》

بركة تمتلىء من نهر في يومين ومن نهر في ثلاثة أيام ومن نهر في أربعة أيام فتحت الانهار الثلاثة دفعة واحدة في كم تمتلىء ؟ الجواب في اثنى عشر جزأ من

ثلاثة عشر جزءاً من يوم واحد لأنك تأخذ مخرج النصف والثلث والربع وهو اثنا عشر وتقسمه على مجموع الاجزاء وهي ثلاثة عشر الخارج اثنا عشر جزءاً من ثلاثة عشر جزءاً من يوم لانه ينصب اليها من النهر الأعظم ستة اجزاء من ثلاثة عشر ومن الاوسط أربعة اجزاء ومن الاصغر ثلاثة اجزاء وذلك مجموعها .

(قيل) : أهجى بيت قالته العرب قول الاخطل وهو :

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم ... قالوا لأمهم بولي على النــــار

فضيقت فرجها بخلا ببولتهـا ... كيلا تبول لهم إلا بمقدار

اشتمل هذا البيت على عدة معائب من أهله اولها انهم قليلون حتى تنصت الاضياف لنباح كلابهم ، وثانيها أن نارهم قليلة لفقرهم فهي تطفأ ببول امرأة ، وثالثها ان امهم هي التي تخدمهم فليس لهم خدم غيرها ، ورابعها أنهم كسالى عن مباشرة أمورهم حتى تقوم بها امهم ، وخامسها عقوقهم والدتهم بحيث انهم يمتهنونها في الخدمة ، وسادسها عدم ادبهم لأنهم يخاطبون امهم بهذه المخاطبة التي يستحي الكرام من التفوه بها ، وسابعها انهم يتركون امهم تبيت عند مواقدهم لأنهم قالوا لها بولي على النار ولم يقولوا لها قومي الى النار فبولي ، وثامنها انهم جبناء لا يرقدون لأنهم مستيقظون يستمعون الحس الخفي من بعد ، وتاسعها قذارتهم لأنهم لا يبالون بما يصعد من رائحة البول اذا وقع في النار ، وعاشرها الزام والدتهم بأن لا تبول لهم إلا بمقدار وتدخر بولها لوقت الحاجة اليه والا فما كل وقت يطلب الانسان البول يجده فتجد لذلك مشقة وألما من احتباس البول ، وحادي عشر افراطهم في البخل الى غاية يشفقون معها على الماء ان تطفأ به النار فيروح مجاناً ، وثاني عشرها انه تأكد بهذا القول عداوة المجوس للعرب لان الفرس يعبدون النار واولئك يبولون عليها فيتأكد الحقد حينئذ ،

حكى ان بعضهم اضاف بعض الكسالى فلما اتى باللحم قال له ياخي قطع اللحم حتى اوقد النار ,فقال الضيف لا احسن ذلك فقال له نق هذا الارز إلى ان اشتغل

أنا بأمر اللحم على النار فقال له الضيف لا أحسن ذلك فقال له يا اخي مدّ السفرة فقال له لا أحسن ذلك فقال له ياسيدي قم وكل فقال الضيف والله لقد استحيت من كثرة خلافي لك وتقدم فأكل وما أحسن قول القاضي محي الدين عبد الله ابن عبد الظاهر :

سلفتنا على العقول السلافة   فتقاضت ديونها بلطافة
ضيفتنا بالبشر والنشر واليسر   ألا هكذا تكون الضيافة

لما مات ابن حزم رآه أحد اصحابه معلقا بين السماء والأرض وهو يقول :

أسفي ما مثله أسف   ندمي ما مثله ندم
هكذا بالبر يفعل بي   كيف لو زلت بي القدم

(فائدة)

البندق اذا اكل نفع من لدغ العقرب ومن أمسك معه بندقة صحيحة لم تضر به عقرب مادامت معه صحيح مجرب

(اعلم) : أن للشعراء الفاظاً صارت بينهم حقائق عرفية وإن كانت في الاصل مجازاً لكثرة دورها في كلامهم وتعاطيهم إستعمالها لانهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم ، فمن ذلك السلافة والعسل اذا أطلقوهما فهم منهما الريق ، والنرجس اذا اطلقوه فهم منه العيون ، وكذلك السيف والسحر ، والسقم اذا اطلقوه فهم منه الاهداب ، والغصن اذا اطلقوه فهم منه القوام ، والكثيب اذا اطلقوه فهم منه الردف ، والورد اذا اطلقوه فهم منه الوجنة ، والرمان اذا اطلقوه فهم منه النهد، والاقاحي اذا اطلقوه فهم منه الثغر، والطلع اذا اطلقوه فهم منه الاسنان ، وكذلك البرد والدر ، والعناب اذا أطلقوه فهم منه الشفة ، وكذلك العقيق ، واذا أطلقوا الآس والبنفسج أو الريحان فهم منه العذار ، كل هذه الاشياء انتقلت عن وضعها الاصلي وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح الى هذه

الاشياء وما احسن قول الشاعر :

واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت وردأ وعضت على العناب بالبرد

أحجية في المسامير :

يا فاضلا جوده توالى وهو على السائلين منعم
اجب سؤالي بلا توان مامثل قولي العشاء اطعم

أحجية في المعتصم :

يا فاضلا سار عنه ذكر يسر اهل الآداب اجمع
مثل فلا زلت ذا بيان قول محاجيك مس تمنع

احجية في حاذقين :

يامن اضحى يشجي الاضداد نظر قولي قارون حداد

أحجية في لبادين :

يامن بفن الآداب امسى في كل معنى اصلا وفرعا
اوضح لنادمت في نعيم ما مثل قولي اجاب شرعا

قيل ان الخليل بن احمد صاحب عروض الشعر رحمه الله اتى اليه رسول الخليفة يطلبه وهو جالس يبل خبزاً يابساً في ماء فاذا انتقع اكله فقال له الرسول اجب امير المؤمنين فقال له الخليل ما دمت اجد هذين فاني لااحتاج اليه .

﴿ فائدة ﴾

اصحاب النوادر : ابن عتيق ، اشعب الطماع ، ابو الغصن جحا ، ابو العيناء ، ابو العبر ، ابو العنبس ، ابن الجصاص ، مزبد المدني ، وسنذكر بعض نوادرهم فيما بعد .

﴿ فائدة ﴾

الذي يشبه النبي ﷺ خمسة ، وقد نظمهم الحافظ محمد بن سيد الناس اليعمري ، فقال :

لخمسة تشبه المختار من مضر ... ياشبه ماخولوا من شبهه الحسن
كجعفر وابن عم المصطفى قثم ... وسائب وابى سفيان والحسن

أما جعفر فهو ابن ابى طالب ، وأما قثم فهو ابن العباس ، وأما السائب فهو ابن عبيد جد الشافعي ، وأما ابو سفيان فهو ابن الحارث بن عبد المطلب ، وأما الحسن فهو ابن علي بن ابى طالب .

﴿ فائدة ﴾

الطلحات المعدودون في الجود ، طلحة بن عبيدالله احد العشرة وهو طلحة الفياض طلحة الخير طلحة الجود هو ابن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، طلحة الندى هو ابن عبد الله بن عوف الزهري ، طلحة الطلحات هو ابن عبد الله بن خلف الخزاعي

﴿ فائدة ﴾

أجود الاسلام عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ، عبدالله بن جعفر بن ابى طالب الحسن بن علي بن ابي طالب ، سعيد بن العاص بن سعد بن العاص بن امية ، عبد الله ابن عامر بن كريز حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن العيص ، قيس بن سعد بن عبادة الانصاري ، عتاب بن ابى ورقاء احد بنى رياح بن يربوع بن حنظلة ، أسماء بن خارجة ابن حصين بن بدر الفزاري ، عبيد الله بن ابى بكرة مولى رسول الله ﷺ .

ترجمة : الجواد الكريم النبيل العظيم ، الرئيس الكامل الفاضل ، عزيزي وسندي ، وصاحبي وابن بلدي ، الاديب الالمعي الحاذق ، الحسيب النسيب السيد صادق نجل العالم الفاضل ، الصالح العاقل ، السيد عبد المطلب الحسيني المكي ، سيد شريف النسب ، ورئيس رقى إلى اعلى ذروة الرتب ، وإمام مقدم في محاريب البلاغة

والادب ، الناظم الباهر الاديب اللوذعي الماهر ، الناثر على الطروس فاخر الجواهر ، لو رأى نظمه المتنبي لأثبت له فخراً وفضلا ، ولو شاهد نثره الفائق الحريري لقال له اهلا برئيس المنشئين وسهلا ، له الكرم والأريحية ، والهمم العلوية طلب العلوم بمكة المشرفة ، واجتهد في تحصيلها ، فاطلع باجتهاده على جملها وتفاصيلها ، وتبحر في فنون علوم الادب ، فنال منها الارب ، ثم سافر إلى الهند فاقام بها مدة وحصل من الاموال عـدة ، ثم عاد إلى مكة المشرفة ، وهو مشرف مبجل في مركب المنلا عبد الغفور فتح جنك الاول ، فانكسر بقدرة الحكيم القادر في مرسى عامر وذهب كل ما جاء به من نقد وذخائر فدخل مـكة صفر اليدين وآب بخفي حنين ، فاقام بها مدة ، وقاسى فيها في الحقيقة عظيم الشدة ، ثم ابت همته العلية عن الاقامة على الاذلال ، والعسر والاقلال لانها من سيمة الجهال :

ولا يقيم على ذلـ يراع به … إلا الاذلان عسير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته … وذا يدق فلا يرثى له احـد

فاخذته الحمية ، والهمة الهاشمية ، فكر راجعاً إلى الهند ، وتسلى عن هوى ليلي بهند ، فاقام ببندر سورت اياماً ثم رحل إلى شاه جهان اباد ، واجتهد في تحصيل المناصب ، وعلو المراتب ، فأظهر الرياسة والنظام ، وأقبلت الدنيا منقادة اليه بالزمام ، فهو اليوم من جملة الامراء الاجواد في شاه جان اباد ركن الغرباء وابناء البلاد ، ثم رفعه الامير سعادت خان بقدرة الملك السلطان ، رتبة علية ، وقلده منصب البخشية ، يعني امير الجيوش بلغة الهندية ، فما زال عنده في منصب كبير وكرم شهير بين الـكبير والصغير ، والغني والفقير على الخصوص مع ابناء بلده ، فانه قلد اعناقهم بورقه وعسجده ، إلى ان دعاه إلى قربه ملك الملوك ورزاق العباد ، فنقله من منصب الدنيا الفاني إلى منصب الاخرى الباقي من شاه جهان اباد رحمـه الرحيم الرحمن ، واسكنه في أعلى فراديس الجنان ، مع الحور والولدان وله نظم رقيق حالي ، ونثر انيق كالدر الغالي ، يشتاق اليه اهل الآداب والنفوس السامية ،

شوق المريض إلى العافية ، فمن نظمه قوله متغزلا :

جارت على مهجتي ظلما وما عدلت ... فليت شعري إلى من في الهوى عدلت
هيفاء كم اسرت صباً وكم قتلت ... وكم قلوب شوت يوم النوى وقلت
بهجرها اسقمت جسمي ووجنتها ... تسعرت نارها في مهجتي وغلت
تريك بدراً إذا ماست على غصن ... فاعجب لها بانة بدر الدجى حملت
عنها الغصون حديث البان ترفعها ... عن القوام وعندي صح ما نقلت
ماالظبي ان نفرت ماالغصن ان خطرت ... ماالصبح ان سفرت ماالليل ان سدلت
فالبدر ان ظهرت لم يبد من خجل ... والشمس ان ابصرتها في الضحى أفلت
والنرجس الغض عنها غض ناظره ... من الحيا وخدود الورد قد خجلت
تصدرت لخلافي وهي فارغة ... وبالصدود لقلبي في الهوى شغلت
تقلدت بسيوف من لواحظها ... ولي بما اهتز من اعطافها عقلت
مليكة بكنوز المال مسرفة ... لكن بدينار ذاك الخد قد بخلت
سحارة الطرف للالباب سالبة ... كأن بالسحر عيناها قد اكتحلت
لا واخذ الله هاتيك العيون بما ... أسيافها صنعت فينا وما فعلت

وكنت قد جمعت شيئاً كثيراً من رقيق شعره ، وأنيق نثره ، فلم أدر أين ضاع مني ، لكن هذه القصيدة التي أثبتناها له هي عن الجميع تغني ، كتب نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيق إلى الامام الناصر يعرض بالوزير القمي ، وكان يدعي انه شريف علوي :

خليلي قولا للخليفة أحمد ... توق وقيت الشر ما انت صانع
وزيرك هذا بين امرين فيهما ... صنيعك يا خير البرية ضائع
فان كان حقاً من سلالة احمد ... فهذا وزير في الخلافة طامع
وان كان فيما يدعي غير صادق ... فأضيع ما كانت لديه الصنائع

فلما وقف الناصر عليها ، كانت سبب تغيره عليه وأمر بحبسه ، فخرج اليه

مملوكان فهجما عليه وضرباه بدواته على رأسه وحملاه إلى المطبق ، فكتب إلى الخليفة :

ألقني في لظى فان احرقتني فتيقن أن لست بالياقوت
عرف النسج كل من حاك لكن نسج داود ليس كالعنكبوت

فكتب الخليفة الجواب اليه :

نسج داود لم يفد ليلة الغار وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النار مزيل فضيلة الياقوت

اخترناك فصرفناك ، واختبرناك فصرفناك ، والسلام .

﴿ ذكر الياقوت وأنواعه وخاصيته ﴾

والياقوت سيد الاحجار التي لاتذوب ولاتتكلس بالنار ، زعموا انه يتكون في كهوف الجبال ، ويتم نضجه في عشر سنين ، وعلة تكوينها ان مياه الامطار التي ترسخ في المغارات والكهوف متى لم تجد ما يخالطها من الترابية والطينية ، وطال وقوفها هناك ازدادت صفاء وثقلا وغلظاً بتسليط حرارة المعدن على تجفيفها وطبخها فانعقدت وصارت حجارة صلبة شفافة ، وتكون ألوانها وخفتها وثقلها بحسب أنوار الكواكب المستولية على ذلك الجنس من الجواهر على تلك البقاع على ما زعم اصحاب الكلام في احكام النجوم فانهم يقولون : السواد لزحل، والحمرة للمريخ ، والخضرة للمشتري ، والصفرة للشمس ، والزرقة للزهرة ، والملون لعطارد والبياض للقمر .

وأصحاب الكلام في الطبائع يقولون : سبب اختلاف الالوان بقاع الأرض التي تكون فيها ذلك لان الماء إذا وقع عليها وغاص فيها ودام تغير بما انحل فيه من يبس الارض وتسخين الشمس له فعلى قدر حرارته يتلون ، فاذا اشتدت حرارته وأفرطت وأستولى عليها اليبس عرض له السواد ، وظهر على اعلاه وبطنت الحمرة

التى هى عن الحرارة المعتدلة في باطنه ، وربما طرحت لونها ونورها إلى خارج مع ظهور السواد ، فقام بينهما اللون الاسمانجوني ، وان كانت الحرارة معتدلة انعقد احمر ، وهو أجود الياقوت ، وإذا قصرت الحرارة بمغالبة الرطوبة لها انعقد اصفر وان افرطت الرطوبة واستولت على الحرارة انعقد ابيض صافياً .

والاسمانجونى والاصفر إذا وضعا على النار ابيضا ولا يتغيران من البياض فهذه الالوان الاربعة يشملها جنس الياقوت .

والاحمر منها ينقسم إلى اربعة أصناف: البهرمان وهو أشدها حمرة واكثرها صفاء ، ويوجد منه ماوزنه اثنا عشر مثقالا . ثم الوردي وهو أردأ انواع الأحمر ويوجد منه ماوزنه ثلاثون مثقالا. ثم الخمري وأردأه ماقرب إلى البياض ، ثم الاحمر العصفري وأردأه ما قرب من لون الورس ، وأما الاصفر فمنه الرقيق الكثير الماء ثم الخلوق وهو اشبع صفرة من الاول ، ثم الجلناري ، وهو اشبع من الثانى واشد شعاعا واكثر ماء ، وهو اكثر من انواع الاصفر ويوجد من هذه الاصناف ما وزنه اربعون مثقالا .

وأما الاسمانجوني : فمنه الازرق ، واللازوردي ، والنيلي ، والكحلي وهو أرأدها ويوجد منه ما وزنه اربعون مثقالا .

وأما الابيض فمنه المهاوي وهو اشدها بياضاً واكثرها ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أردأ الاصناف من الياقوت .

والرمانى اعلاها وأغلاها ، وهو الشبيه بحب الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء .

وذكر القدماء أن قيمة المثقال الفائق من الياقوت ثلاثة آلاف دينار .

وأما في الدولة العباسية فان الغالب من قيمته ان الجيد منه إذا كان وزن طسوج يساوي خمسة دنانير وضعفه عشرين ديناراً ، وسدس مثقال ثلاثين ديناراً وثلث مثقال مائة وعشرين ديناراً ، ونصف مثقال اربعمائة دينار ، والمثقال بألف

دينار ، هذا ما تقرر في زمن المأمون مع كثرة الجواهر في ذلك الزمن .

والبهرماني مثقاله بثمانمائة دينار . والارجواني بخمسمائة دينار . والجلناري بمائتي دينار . واللحمي بمائة دينار . والبنفسجي يقاربه . والوردي دون ذلك .

وكان في خزانة الأمير عين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالا قومت بعشرين الف دينار .

قال ابن سينا : كان للمقتدر فص يسمى ورقة الآس لانه على شكلها ، وزنه مثقالان إلا شعرتين ، اشتراه بستين الف دينار .

قال ابن سينا : وخاصية الياقوت للتفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم .

وقال ابن زهير : شرب سحيقه ينفع الجذام ، والتختم به ينفع حدوث الصرع ، انتهى .

وخاصية الياقوت انه يقطع جميع الحجارة إلا الماس فانه يقطعه لصلابته وقلة مائيته وشدة الشعاع والملامسة والثبات على النار ، وهو لا ينجلي إلا على صفيحة من نحاس بكاس الجزع اليماني ، وهو أن يحرق حتى يصير كالنورة ، ثم يسخن الماء حتى يعود كالغراء ، ثم يحك به الياقوت لانه يخرج من معدنه وظاهره مظلم فيحتاج إلى الجلاء وربما وجد في باطن الحجر بعد جلائه طين وهو ما قصرت عنه حرارة المعدن في الطبخ ، فيطين ويجفف بعد ان يثقب بالماس ، ثم يلقى في النار ويوقد عليه بالحطب الجزل بقدر معلوم ، فانه يتقمر فاذا كان لونه اسمانجونياً او اصفر لم يدخل النار إلا ان كان في الاسمانجوني صفرة فيدخل قليلا بقدر ما ينغسل عنه فان زيد في حميه انسلخت لونيته وابيض وصار كالبلور ، وما احسن قول البلخي

أقمت لي قيمة مذ صرت تلحظني ... شمس الكفاة بعيني محسن النظر

كذا اليواقيت فيما قد سمعت به ... من حسن تأثير عين الشمس في الحجر

وقال بعضهم في مليح اسمه يا قوت :

ياقوت يا قوت قلبي المستهام به ... من المروءة أن لا يمنع القوت

سكنت قلبي وما تخشى تلهبه　　وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

﴿ ذكر السمند ﴾

وأما السمند فقال الصفدي في شرح لامية العجم ، قال الشيخ الامام العلامة شمس الدين ابوعبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال: اخبرني عز الدين عبد العزيز الحلبي المعروف بالكولمي ان السمند شيء بين غبار القطن ونسج العنكبوت يوجد بأرض الهند وانه قليل جداً لا يظفر منه إلا باليسير .

وقال الشيخ العلامة صلاح الدين محمد بن البرهان : ان الباى زهر الحيوانى يوجد في بعضه تجويف وفيه شيء شبيه بالقطن او الصوف إذا وضع في النار لم يحترق منه شيء البتة .

قال : واخبرني الشيخ شمس الدين ايضاً انه عاين عند الامير علاء الدين علي ابن عبدالبر وأتاه بالديار المصرية منشفة قدر طولها اربعة اشبار وعرضها دون ذلك يمسح بها الوجه واليدين فاذا تدنست تلق في النار فتنقى ، وذكروا أنها من السمند ولم يذكروا هل هو حيوان اوغيره ؟

وحكي انسان انه رأى عند انسان يعمل النشاب بين القصرين بالقاهرة ريشة بيضاء وانها توضع على الزيت وتلق في النار فلا تزال تعمل فيها إلى ان تنفد المادة من الزيت ، ثم يخرجها وهي سليمة بيضاء نقية .

واخبر الشيخ شمس الدين ايضاً انه رأى عند شرف الدين بن الزنبور انساناً مغربياً يعرف بزيد الصائغ دهن لحيته بدهن كان معه ووضع السراج فيها فاشتعلت ذقنه إلى ان نفدت مادة الدهن فضرب بيده ذقنه فطفئت النار ولم يحترق منها شيء

قلت : ولعل تلك الريشة التي ذكرها ذلك الرجل ، تدهن بهذا الدهن وهو معروف عند اصحاب الملح وذكر اصحاب الملح انه إذا أخذ الانسان جزأ من الطلق المحلول وجزأ من المغرة المكية وجزأ من عرف الخطمي الابيض وجزأ من الكثيرى

البيضاء ، وعجن ذلك بزلال البيض عجناً جيداً ولطخ به بدنه ودخل التنور او حمل النار فانها لا تؤثر فيه البتة .

وكذلك اذا دهن الانسان بدنه بشحم ضفدع لا تحرقه النار أبداً وهذه الخصوصيات كثيرة في الدهانات ، فان كانت الريشة التي ذكرناها من طائر ولها هذه الخصوصية فنقول هذا يؤيد حجة الاشاعرة في دعواهم ان الله تعالى يخلق الاحراق للنار عند قربها من الاجسام وليس الاحراق للنار نفسها ويخلق الشبع عند تناول الخبز وليس الشبع بنفس الخبز ويخلق الري عقيب شرب الماء وليس الري لنفس الماء فانا رأينا من يفرط في أكل الخبز ولم يشبع ومن يفرط في شرب الماء ولم يرو وما ورد في الاخبار الصحيحة من بقاء الحيات والعقارب في نار جهنم وعظم مقاديرهن فيها وهن حيوانات وليس هذا ممتنعاً على الفاعل المختار سبحانه وتعالى وهذا الطائر يمكن أنه يتولد في النار كما يتولد في كور الزجاجين الحيوان المسمى بالسرفوت وهو أشبه شيء بسام أبرص لايزال حيا مادام في النار وهي مضطرمة فاذا طفئت وبرد المكان مات .

وقال ارسطو لايبعد أن يكون في كل عنصر حيوان يتولد فيه كما يحكى ، انه في بلاد الترك طيور بيض اذا حصل لها مرض معروف عندهم حلقت في الهواء ونزلت ومعها حية بيضاء قدر الشبر فتأكلها فتبرأ مما تشكوه، وذكر ارسطو أيضاً السرفوت المذكور تأييداً لما ادعاه انتهى .

﴿ فائدة ﴾

سمت العرب ساعات النهار باسماء : فالاولى الذرور ، ثم البزوغ ، ثم الضحى ، ثم الغزالة ، ثم الهاجرة ، ثم الزوال ، ثم الدلوك ، ثم العصر ، ثم الاصيل ، ثم الصبوب ، ثم الحدود ، ثم الغروب ، ويقارب فيها أيضاً البكور ، ثم الشروق ، ثم الاشراق ، ثم الضحى ، ثم المتوع ، ثم الهاجرة ، ثم الاصيل ، ثم العصر ، ثم الطفل ، ثم الغروب .

﴿ فائدة ﴾

أسماء الشهور عندالعرب : محرم المؤتمر ، صفر ناجر ، ربيع الأول خوان ، ربيع الثاني بصان ، جمادي الاولى الحنين ، جمادي الآخرة الربه ، رجب الاصم ، شعبان العاذل ، رمضان الناتق ، شوال غلا ، ذو القعدة هواع ، ذو الحجة برك ، وما أحسن قول الشاعر وهو من أبيات المعاني وفيه تورية لطيفة :

وشادن مبتسم عن حبب   مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه   ومادرى شعبان أني رجب

حكي ان ابا الحسين الجزار والسراج الوراق : اصطحبا في طريق الحجاز فشكى السراج الوراق اسهالا معه فوصف له بعض الاطباء سفوفاً ، فلما تناوله وافرط به الاسهال ، فقال :

فتحت علي بابا للسفوف   وصلت به إلى الامر المخوف
ولكن الحكيم أراد خيراً   فجاء بغير ياء في الحروف

لله در البديع الهمداني حيث يقول في رسالة اجاب بها استاذه ابا الحسين بن فارس صاحب المجمل في اللغة عن رسالة كتبها اليه في ذم الزمان ، نعم اطال الله بقاء الشيخ ، انه الحمأ المسنون وان ظنت الظنون ، والناس لآدم ، وان كان العهد قد تقادم ، نقول فسد الزمان ، ولا نقول متى كان صالحاً أفي الدولة العباسية ؟ وقد رأينا آخرها ، وسمعنا اولها ، أم في الدولة المروانية ؟ وفي اخبارها ، ما يكسع القول بأغيارها ، أم في السنين الحربية ؟ والسيف يغمد في الطلى ، والرمح يركز في الكلى ، والحرتين وكربلا ، ومنية حجر في الفلا ، أم البيعة الهاشمية ، والعشرة براس ، من بني فراس ، أم الايام الاموية ، والنفير إلى الحجاز ، والبعوث على الاعجاز ، أم الامارة العدوية وصاحبها يقول ، وهل بعد الصعود إلا النزول ، أم في الخلافة التيمية ، وهو يقول ، طوبى لمن مات في نأنأة الاسلام ، أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتي يا فلانة قد ذهبت الامانة ، أم في الجاهلية ولبيد يقول :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الاجرب

أم قبل ذلك واخو عاد يقول :

بلاد بها كنا ونحن من اهلها   إذا الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ، ويروى عن آدم عليه السلام انه قال :

تغيرت البلاد ومن عليها   ووجه الارض مغبر قبيح

أم قبل ذلك ، وقد قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ما فسد الناس ، وانما اطرد القياس ، ولا اظلمت الايام ، وانما امتد الظلام ، وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح ، ويمسى المرء إلا عن صباح ، انتهى .

قلت : استدل بعضهم بهذه الآية الكريمة على انه كان قبل آدم خلق آخر في الارض ، وانهم افسدوا فيها واهلكهم الله تعالى ، لان الملائكة قالت : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء .

وقال آخرون لم يسكن الارض قبل آدم خلق آخر غيره ، وانما الملائكة علموا ان ذرية آدم يفسدون في الأرض ، من قوله تعالى (انى جاعل في الأرض خليفة) قالوا الخليفة الذي يحكم بين الخصوم والخصم ، أما ان يكون ظالماً او مظلوماً ومتى حصل التظالم بينهم حصل الفساد في الأرض وسفك الدماء ، فلهذا قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ انتهى .

فلما اسفر صبح سادس عشر جمادى الثانى ، بالعز والسعد والتهانى ، رحلنا من كرمان شاه في وقت مأمون ، وأتينا بيستون ، وهو اسم لجبل عظيم ، وتحته قرية لطيفة تنسب اليه ، وبها خان حصين لمن يأتى من المسافرين ، وهناك عين ماء تحت ذلك الجبل ، ابرد من الثلج وأحلى من العسل ، ومعنى بيستون يعني من غير عمد بلسان الفرس ، والجبل منحوت من اوله إلى آخره ، كأنما قسم بالمنشار نصفين ، وبه صورة خمسة من الرجال منقوشة على صخرة في ذلك الجبل قبل الاول في دبر الآخر ، وهكذا إلى الآخر .

وصانع هذا فرهاد البهلوان ، وعلى قدر أربعة فراسخ من ذلك الجبل جبل آخر يسمى أيضاً بيستون وله قصة عجيبة مشهورة عند الاعجام ، بين الخاص والعام وهو ان ملكا من ملوك الفرس ، يسمى خسرو وله زوجة تسمى شيرين ، وكانت عديمة المثال في الحسن والجمال ، والتيه والدلال ، فولع بها هذا البهلوان فرهاد ، وكان قويا شجاعا من الجبابرة الشداد فلم يزل من حبها يهيم ، وسكن بهذا الجبل وبقلبه من حبها نار الكليم ، وكثرت لاجلها على الملك مضراته ، واتصلت به في هواها معراته ، وكان الملك كلما أراد وقوعه في شباك المهالك ، لم يقدر على ذلك لبطش فرهاد وقوته واقدامه وشدته .

فلما رأى حال الملك الوزير ، وما يقاسيه من هذا الامر الخطير ، والحال العسير ، مع هذا الجبار الكبير ، قال له : الرأي عندي أن تأمر شيرين بارسال كتاب تعطف له ولين ، ويكون مضمونه اني احبك محبة صادقة، لما سمعت بهمتك العالية التي هي بالافلاك لاحقة ، واني سوف احتال على قتل الملك خسرو وأصل بنفسي اليك ، وإنما اولا أشرط شرط عليك ، وهو انك تنحت لي بيتاً بأعلى جبل بيستون ، يعجز عن مثله الذين كانوا ينحون بكل ريع آية يعبثون ، فاذا تم ذلك أصل اليك هنالك ، فهو لا شك إذا أغتر منها بمثل هذا الكلام يسعى لها في نيل المرام ، لانه عاشق مستهام .

ويرتاح للمعروف في طلب العلى لتحمد يوما عند ليلى شمائله

فلايفرغ من هذا العمل إلا بعد أعوام عديدة ، فنحن ندبر الحيلة على قتله في هذه المدة المديدة فاستصوب الملك رأي الوزير الصالح ، وانفتحت له ابواب المصالح ، فأمر إذ ذاك شيرين بارسال الكتاب اليه ، لعل ان تتم الحيلة عليه ، فلما وصلت فرهاد الرسالة ، وسمع هـــذه الاشارة من الغزالة ، اشتعل قلبه بالعشق كاشتعال الذبالة ، وراق فكره ، وانشرح صدره .

ثم انه أخذ بيده قدوما وصعد على جبل بيستون ، فنحت به بيتاً من رآه

صار من حسن صنعته مفتون ، واتخذ في ذلك الجبل مصانع ، يحتار فيها عقل كل صانع ، وفكر كل بازع ، وفي ذلك يقول بعض شعرائهم بالفارسية :

بي ستون راعشق كند وشهرتش فرهاد برد

صد جفا بلبل كشيد وبرك كلراباد برد

وملخص الكلام معناه ان هذا البيت المنحوت من هذا الجبل نحتته قوة العشق لا قوة فرهاد .

فلما تم له البنا ، وأيقن انه قد بلغ المنى ، ارسل إلى شيرين وطلب منها وفاء الوعد بالوصول في الحين ، فاخبرت الملك الخبر ، وقصت عليه الاثر فتغير حاله وزاد همه وبلباله ، وطلب الوزير وسأله التدبير ، فطلب الوزير إذ ذاك عجوزاً مشهورة بالعيارة ، للمكر في وجهها امارة ، فخلع عليها واسدى بالعطاء اليها ، وسألها ان تحتال فى قتل فرهاد ، وتخلص من أذاه العباد والبلاد ، فأخذت العجوز الخلع والاموال ، وشرعت تدبر في قتل فرهاد وتحتال ، فصنعت خبزاً وحلوى في الحين ومضت إلى فرهاد ، وكان جالساً في انتظار شيرين فحين رأته سلمت عليه ووضعت الخبز والحلوى بين يديه ، وكان فرهاد جائعاً إذ ذاك ولم يعلم ما خبىء له هناك :

كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السم في الدسم

فأخذ يأكل وجعلت العجوز تئن وتبكي ، وتحن وتشكى ، فالتفت اليها فرهاد وقال لها ما الذي دهاك ، ومن بشره رماك ، فقالت العجوز يا بهلوان أبكاني فقد من صنعت هذه الحلوى لأجلها ، وأتأسف على ذلك الوجه الصبيح ، والقوام الرجيح ، كيف سكن تحت التراب ، وفارق الاتراب ، فقال لها ويحك ومن صاحبة هذه الحلوى ؟ التي حلت بها البلوى ، فقالت له : اعلم انى امرأة غريبة عن الاهل والاوطان ، وأتيت في هذه الايام إلى بلدة شهربان ، فاتفق انى دخلت الحمام ، في بعض الأيام ، فرأيت فيه نسوة حسان ، كأنهن من حور الجنان ، قد فررن من رضوان ، وبينهن غادة ليس لها في حسنها نظير ، يخجل بضوء محياها البدر المنير ،

فسألت عنها ، فقيل لي ان هذه شيرين ، زوجة الملك خسرو ذات التعطف واللين فصرت إذ ذاك في حاله ، وبهت من نور تلك الغزاله ، ثم اني بعد مضي ثلاثة ايام من هذا الكلام ، رأيت جنازة قد مشى خلفها الخاص والعام ، وهم لا بسون السواد ، حتى ملك البلاد ، فسألت عن هذا الميت الكبير ، هل هو من اهل الملك أم الوزير ؟ فقيل لي ان هذه شيرين ذات الطلعة البهية ، قد تجرعت مرارة كأس المنية ، وهذه الحلوى قسمت على قبرها المرحوم ، ولكل امرىء اجل معلوم :

كل ابن انثى وان طالت سلامته   يوماً على آلة الحدباء محمول

فحين سمع منها هذا الخبر فرهاد ، زعق زعقة دوت منها البلاد ، وحلق بالقدوم الذي كان بيده في الهواء وتلقاه برأسه ، فانفلق إلى ان سمع صرير القدوم في اضراسه ، فمات من تلك الضربة وسكنت حواسه ، وخمدت انفاسه ، فلما بلغ الملك خسرو هذا الخبر ، وتحقق ان فرهاد قد هلك ومحى منه الاثر ، انشرح صدره ، وضحك وجهه واستبشر ، ثم طلب تلك العجوز وأغناها بالمال واصلح امورها والأحوال ، وهذا الجبل الآن يعرف بيستون .

فاقمنا به يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى صحنه ، وأقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى كنكاور ، وأقمنا بها يوما ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى فلسبه وأقمنا بها يوماً ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى كسب تنا وأقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى ديز آباد وأقمنا بها يوما ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى صارو وأقمنا بها يوماً ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى المشهد واقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية شهر كرد ، يعني بلدة مدورة وبها يوجد الجبن اللطيف الذكي الطعم الدسم ، ويباع بثمن بخس ، فاقمنا بها يوماً ورحلنا ، فاتينا باغ شاه خليل الله اسم لبستان بناه شاه خليل الله المذكور في ذلك المكان وحوله قرية لطيفة تنسب اليه وبها خان حصين للتجار والمسافرين ، وبها تصنع الاخفاف الشمر للأرجل وهي في غاية من حسن الصنعة والنقش العجيب ، واللون الغريب .

﴿ فائدة ﴾

الباغ : البستان جمعه باغات ، وهو معرب ولم يذكره صاحب القاموس .

قال العلامة المحقق عمي السيد الصدر محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه في حاشيته على القاموس ما هـذا لفظه : (باب الغين) فصل الباء (البوغاء) التربة الرخوة إلى آخر المادة ، ولم يذكر في مادة (ب ي غ) الباغ بمعنى البستان .

وقد قال الامام النووي في تهذيب الاسماء واللغات ما هـذا لفظه (قوله في الوسيط في باب بيع الاصول والثمار) اللفظ الثاني (الباغ هو بالباء الموحدة والغين المعجمة وهو البستان وهي لفظة فارسية) .

وذكر ابو عمرو في شرح الفصيح عن الأصمعي انه كان يأبى ان يقول بغداذ بالذال المعجمة ، ويقول داذ شيطان وبغ بستان .

وقال الكسائي : هي بغداذ وبغداد وبغـداد وبغدان ومغدان وقـد تقدم ذلك وهو كلام يشعر بان اللفظ معرب إذ لولا ذلك لم يذكره الفقهاء فيما تنطق به العرب في بيوع الاصول والثمار .

ومما يدل على تعريبه قول ابي الفتح البستي :

لاتنكرن اذا أهديت نحوك من ... علومك الغر أو آدابك النتفا

فقيم الباغ قد يهدي لصاحبه ... برسم خدمته من باغه التحفا

وقد اورد هذين البيتين أبو منصور الثعالبي في خطبة كتابه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .

وابو الفتح البستي من أئمة علوم الأدب فلو لم يكن اللفظ عربيا بالتعريب لم يستعمله وهذا الاستدلال على طريقة احتجاج الزمخشري بكلام ابي تمام وقوله نزل مايقوله منزلة مايرويه وقد ذكرنا ذلك في غير موضع من هذا الكتاب ، ويؤيد

ماذكرناه ايراد الثعالبي وهو من أئمة الأدب ، والمصنفين في اللغة للبيتين ولم ينبه على لحن البستي اذ لو لم يكن اللفظ معرباً لكان البستي لاحنا مخلا بالفصاحة والله تعالى اعلم ، فأقمنا به يوماً ورحلنا فأتينا على قرية تسمى ميشيان واقمنا بها يوماً ورحلنا فاتينا على قرية تسمى قوقه ويوجد بها بصل في نهاية الكبر يبلغ وزن البصلة ثلاثة ارطال بل اكثر وهو حلو كالسكر فاقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى در وهي مشهورة بالبرد الشديد المهلك فاقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى جالسياه وهي مشهورة ايضاً بالبرد الذي لايطاق فاقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى انو شهروان فاقمنا بها يوما ورحلنا وكل هذه القرى المذكورة بالخير الوافر معمورة ، وبها البساتين والانهار ، والثمار والازهار ، واهلها من الكرام الاخيار فلما اسفر وجه الصباح ، وفاح نشر الصبا ، والديك صاح ، عن يوم الاحد حادي عشر رجب الفرد ، عام ألف ومائة واحد وثلاثين من هجرة سيد المرسلين ، دخلنا بالعز والفرح والامان ، دار السلطنة الصفوية اصفهان .

﴿ فائدة ﴾

أصفهان مدينة عظيمة من اعظم المدن طيبة التراب صحيحة الهواء عذبة المياه كثيرة الأشجار ، انيقة الازهار ، مختلفة الثمار .

قيل انها من بناء الاسكندر وكان اسمها من قديم الزمان اليهودية ، قال ابن اياس في نشق الازهار وسبب ذلك ان بخت نصر لما وصل الى اصفهان وجد ماءها وهواءها وترابها شبيهاً ببيت المقدس فاختارها وطناً وأقام بها وعمرها فوجد الحنطة لاتسوس بها واللحم لايتغير من طيب هواها ، وهي في الحقيقة دمشق الثانية واهلها مشهورون بالثروة والرياسة والكرم على غيرهم من العجم ولهم اليد الطولى فى الصناعات الدقيقة المحكمة في كل فن ولا اعتبار بقول محمد بن اياس انهم موصوفين بالبخل بل هم في غاية السخاء يجودون في الشدة والرخاء وبها نهر عظيم موصوف

جنباه بالاحجار اللطيفة المنحوتة وهو يشق المدينة ودورها وأسواقها واصله من أرض رملة ويخرج الى كرمان على ستين فرسخا منها فيسقى أرض كرمان ثم ينصب في بحر الهند وينسب اليها الاديب الفاضل أبو الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني والحافظ ابو نعيم صاحب حلية الاولياء وصدر الدين عبد اللطيف الخجندري ، وكان واعظاً محدثاً توفي سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، والامام الراغب صاحب كتاب الذريعة والشيخ كمال الدين بن اسماعيل الاصفهاني الشاعر ، والوزير مؤيد الدين ابو اسماعيل الحسين بن علي الاصفهاني الشاعر المشهور بالطغرائي صاحب لامية العجم ، الآتي ذكر ترجمته ان شاء بارىء النسم ، وينسب اليها غير ذلك من العلماء والشعراء فنزلنا بدار معدن الجود ومنبع الكرم ، الامير حسين قلي بيك ايشك اغاسي باشى الحرم ، وقد قدمنا معنى هذا الخطاب ، فى اوائل الكتاب ، في حارة مطبخ السلطان ، ما احلاه واعلاه من مكان ، واقمنا باصفهان المحروسة ، الطيبة البهية المأنوسة ، ونحن بعيشة هنية ، جميلة مرضية ، بلدة ما مثلها فى البلاد ، كانها ارم ذات العماد ، بها الانهار السائحة ، والازهار الفائحة ، والفواكه المختلفة الاشكال ، والاطيار الغريبة المثال ، والقصور العالية ، والبدور الغالية ، والحمامات العظيمة اللطيفة ، قيل انها حصرت قديماً فكانت اثنى عشر الفاً ، والخانات المعمورة بأنواع البز لعزيز القيمة والمقدار ، قيل انها حصرت سالفاً ، فكانت سبعة آلاف والمساجد الكبار ، المشرقة بالانوار ، قيل انها حصرت آنفاً فكانت اثنى عشر ألفاً والاسواق العامرة ، ذات الخيرات الوافرة ، وجميعها مسقفة على بناء لطيف وعقود لطيفة ، وأرض المدينة كلها مرصوفة بالاحجار المنحوتة ، فأما سوق القيصرية ياصاح ، فان النفوس الى رؤياه ترتاح ، وبه من انواع البز ، ماغلا قدره وعز ، وبها كل بستان كانه من رياض الجنان ، فأما بستان جهارباغ ، فجل من أنشأه وصاغ ، وهو كناية عن اربع بساتين ، حاكمة من طرف الشمال واليمين ، وممتدة من دار السلطنة الى بستان هزار جريب نحو ميلين أو اكثر وهذا هزار جريب ،

بستان يحار في حسن صنعته الحكيم اللبيب ، وهو كناية عن ألف جريب طولا وعرضاً بناه الشاه عباس الأول وهو حاكم في الصدر آخر هذه البساتين وبه عمارات عجيبة ، وصناعات غريبة ، وكله مزخرف بالذهب والفضة واللاز ورد وسائر الالوان من داخل وخارج . وهذه الاربع البساتين التي ذكرناها حاكمة من طرفيه وكلها مزخرفة بالذهب والفضة واللاز ورد وأنواع الدهانات ، الغريبة الصفات ، وفيها قصور عالية ، وغرف سامية ، وبين هذه البساتين نهر عظيم مرصوف بالاحجار اللطيفة ، وبوسط النهر ثلاث برك كل بركة بينها وبين الاخرى فاصلة بقدر رمية سهم وعلى كل بركة سلسبيل منقوش لطيف ، وعلى طرف النهر مغروس انواع الاشجار ، ومفروش اصناف الازهار ، ومن طرفي تلك الاشجار الاسواق العظيمة ، والمقاهي الواسعة الوسيمة ، ومقابل الاسواق والمقاهي غرف مبنية مزخرفة بالذهب والفضة ، من أول البساتين الى آخرها من الطرفين وكل غرفتين على شكل واحد ، واما فرج أباد ، فانها نزهة تلك البلاد ، وهي مدينة عجيبة الشكل من فوق بستان هزارجريب المذكور بنصف ميل انشأها الشاه سلطان حسين وانفق على بنائها اموالا جمة وبنى بها قصراً كالدرة الفاخرة ، تعجز عن بناء مثله الأكاسرة ، ويحيط به بستان عظيم ، كانه من جنان النعيم ، وغرس به صنوف الاشجار ، مختلفة الثمار ، وبه من انواع الازهار ، واصناف الاطيار ، ما تحار فيه عقول ذوي البصائر والابصار ، ويشق هذه المدينة نهر عظيم يصب في بركة تحت القصر واسعة عظيمة طولها نحو مائتي ذراع في عرض ذلك ، وعلى اكناف تلك البركة قصور مشيدة مزخرفة بالذهب والفضة وسائر الدهانات الغريبة الألوان ، ومن خارج القصر قصور عظيمة للامراء والوزراء ومقابل كل قصر بستان عظيم وبها حمام فريد الصنعة والشكل ، واما بستان الشبكة ، فان القلوب بحبه مشتبكة ، وهو بستان عظيم وكل جداره مشبك ، واما بستان باغ نظر ، فانه يجلو بحسنه النظر ، سمي بذلك لأنه واسع على مد النظر ، وأما بستان الطاوس خانه ، فما احلى شكله وبنيانه ، وكله مشبك من اعلاه بالسلك

الاصفر وداخله جميع أنواع الأطيار ، واجناس الوحوش من كل الاشكال من ذي مخلب وناب وهي مسيبة داخل البستان عدا السباع فانها محبوسة داخل الاقفاص، واما بستان سعادة اباد ، فتكل عن وصف حسنه ورونقه ألسنة العباد ، وكل هذه البساتين سلطانية ، واما بساتين الرعية ، فلا يحصيها إلا رب البرية ، واما قنطرة الماء المسماة بالرود خانه ، فان القلوب الى رؤياها ظمآنة ، وهي مبنية على نهر الماء عرضاً وطولها نحو نصف ميل وعرضها نحو ثمانية اذرع بذراع الشاه وهو ثلاثة أشبار مبنية على عواميد عظيمة من الحجر الصلد المنحوت وعقود لطيفة بقدر ثلاث قامات من الماء الى اعلى العواميد ومن فوق العواميد مبنى بالآجر اللطيف المحكم على مقاعد لطيفة ، ومجالس انيسة ظريفة ، وكلها مشرفة على الماء والبساتين ، من الشمال واليمين ، ولعمرى ان هذا لهو النعيم المقيم ، ذلك تقدير العزيز العليم ، وبها كل حارة بهية ، كأنها مدينة محمية ، وكلها ذات اسواق عامرة ، بالخيرات الوافرة وبساتين واسعة ، وازهار فائحة ، وانهار سائحة ، واما حارة الارامنة المسماة بالجلفا فانها بالحسن تختال وتهتز عطفا ، وبها عشرون الف بيت عامر ، هكذا سمعت من بعض الاكابر ، واما حارة عباس اباد ، فانهـا فاقت على كل حارة في تلك البلاد ، وتزاحمها في الحسن حارة شمس اباد، واما حارة جو باره ، فما احلاها من حاره ، واما حارة مسجد لبنون ، فانها تشرح المغبون ، واما حارة شهر كهنه ، فانها تذهب الهم عن قلب الغريب والمحنه ، وبها جامع عظيم بناه عمر بن عبد العزيز الاموى فريد البناء والصنعة ، وبوسطه محل مربع الشكل جعلوه شبيهاً بالكعبة الشريفة ، واما حارة الباغات ، فانها تجلب المسرات ، واما حارة باغ كران ، فيبهت في حسنها الانسان ، واما حارة القلعة ، فانها بهية الطلعة ، واما حارة سيد احمديان ، فكانها من رياض الجنان ، واما حارة منار كله ، فانها نزهة الغريب الموله ، ومعنى منار كله يعنى منارة الرؤس والحارة ، تنسب الى المناره ، وطولها خمسون ذراعا بالعمل كلها مبنية برؤس الغزلان وانواع الوحوش مبنى بقدر ذراعين بالآجر ومن فوقه بقدر

ذراع برؤس الوحوش ، وهي من عجائب الزمان في أصفهان .

قيل ان الشاه عباس الكبير خرج يوماً الى الصيد فاصطيد له هذا القدر فأمر أن تبنى به هذه المنارة .

وأما حارة ذات البطيخ المشهورة ، فانها بالافراح معمورة ، واما حارة الخاجو ياصاح ، فانها تذهب الاتراح ، واما ميدان الشاه ، فجل من انشأه ، وهو مربع الشكل واسع جداً ومن اطرافه الاربع خيام منصوبة واسعة وحوانيت عظيمة معمورة من جميع الخيرات وكل ماتطلبه من اي شيء كان ، تراه موجوداً في ذلك الميدان ، وهو حاكم تحت قصر السلطان ، وخلف الدكاكين والخيام من الجهات الأربع اسواق واسعة ، من كل خير جامعة ، ومقاهي عظيمة ، بزينة وسيمة ، ويشق الجميع نهر عظيم ، وفي وسط الميدان ، منصوب علم عظيم للسلطان ، طوله نحو مائة وخمسين ذراعا يوضع على رأسه صينية عظيمة من الذهب الاحمر ، يبلغ قيمتها الف دينار او اكثر ، فتأتي الاجناد ، على ظهور الخيل الجياد ، بعضهم بالسهام الخوارق ، وبعضهم بالبنادق ، فتركض الفرسان ، بأفراسهم في ذلك الميدان ، ومن فوق الكشك ينظر اليهم السلطان ، فاذا حاذ الخيال ذلك العلم ، وبعد عنه من الطرف الآخر بقدر رمية السهم ، التفت الى ذلك العلم المنصوب ، والفرس يركض كأنه المحبوب ، ورمى تلك الصينية الذهب اما بسهم او ببندقية فان اصابها ووقعت الى الارض فهي له .

واما مسجد الشاه عباس ، فيقصر عن وصفه القياس ، وهو عظيم واسع جداً وبابه من الفضة الخالصة ومنبره قطعة واحدة من المرمر الاخضر وله سبع درج منه فيه وهو من عجائب الدهر ، ومن طرفه الشرقي سوق الطيب ، وهو سوق من دخله ينشرح صدره ويطيب ، واما مدرسة الشاه سلطان حسين ، فما رأت مثلها عين ، وهي واسعة وبابها من الفضة النقية وبها غرف عجيبة ، ومساكن غريبة ، وداخلها بستان كبير ونهر عظيم ، ولها رواتب يومية ، لكل عالم عباسية ، ولكل

متعلم محديه ، واماسرايا السلطان ، فيعجز عن وصفها اللسان ، واجتمعت بابن عمي العلامة السيد مرتضى ، واجتمعت بنجل ابن عمي العلامة السيد كمال الدين العالم العامل السيد بدر الدين ، واجتمعت بنجل ابن عمتي العلامة الشيخ عبد اللطيف وحضرت درسه في شرح الملا جامي على الكافية. واجتمعت بابن عمتي العلامة الشيخ زين الدين وكان علامة عصره ، ووحيد دهره ، حاز علماً وعملا وصلاحا ، وتقى ووقاراً وفلاحا ، ومجداً وسعداً ونجاحا، ورياسة ودولة وسماحا ، وجاهاً مكينا عند السلطان والوزراء ، والاكابر والامراء ، ورأيت في بعض مجاميع أصحابنا ان هذه الابيات منسوبة له والله أعلم :

لا تركنن الى هذا الزمان ولا أبنائه أبداً واستعمل الحذرا
فان ابيت فجرب من تعاشره حتى يقول لك التجريب كيف ترى

وقوله ايضاً :

لا يخدعنك في دنياك ذو ملق يريك من نطقه في وده العجبا
وقلبه عنك بالاحقاد منقلب لا يستر الحقد مالم يظهر الأدبا
يخفي العداوة من عجز مخادعة حتى إذا فرصة يوماً رأى وثبا
كأنه الأرقم الوثاب ظاهره لين وباطنه يستصحب العطبا

والأرقم هو الثعبان ، وأقمنا في مدينة أصفهان في أنس وفرح وأمان رجب وشعبان والنصف من رمضان :

لله أيامنا اللواتي مرت بحالي اللمى المهند
في مجلس الانس والتهاني والوقت قد طاب لي وأسعد
باصفهان السرور حقاً والعز والسؤدد المؤبد
مدينة ما لها نظير اوصافها يا صحاب تحمد
فارقتها مكرهاً وارجو عودي اليها فالعود احمد

﴿ مسألة ﴾

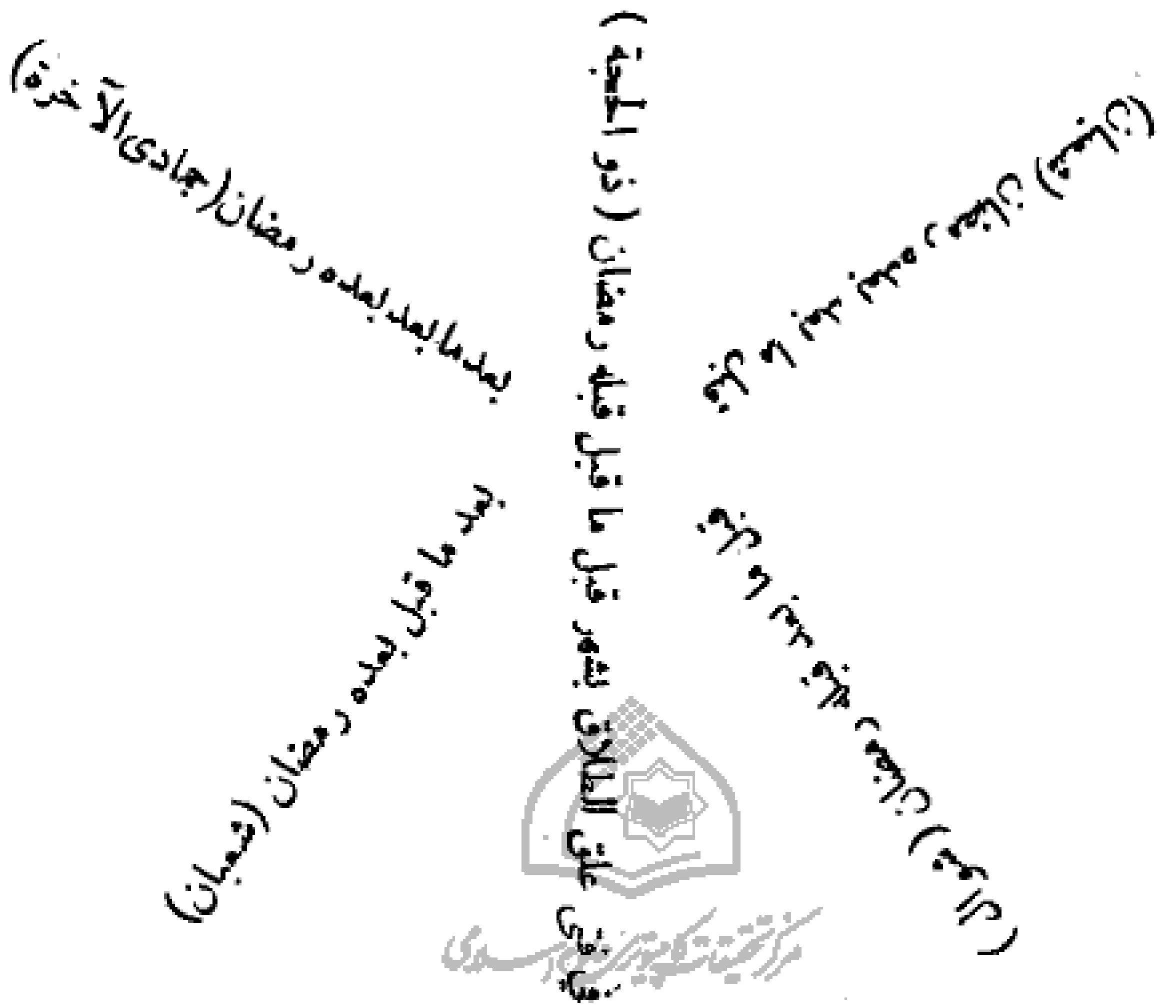
ذكرها الشيخ شهاب الدين احمد بن ادريس القرافي رحمه الله في انوار البروق قال أنشدني بعض الفضلاء :

ما يقول الفقيه ايده الله ولا زال عنده الاحسان
في فتى علق الطلاق بشهر قبل ما بعد قبله رمضان

ثم انه بعد ذلك ذكر قريباً من كراسة من كلام شيخه جمال الدين بن الحاجب ومن كلام نفسه ، وقال ان البيت الثانى ينشد على ثمانية اوجه بالتقديم والتأخير والتغيير مع اللفظ فى الحقائق دون المجاز وصحة الوزن، وكل بيت منها يشتمل على مسألة من الفقه في التعاليق الشرعية والالفاظ اللغوية وتلك المسألة تشتمل على سبعمائة وعشرين مسألة من المسائل الفقهية والتعاليق اللغوية بشرط التزام المجاز في الالفاظ واطراح الحقائق وعدم الوزن ، ثم ذكر من كلام ابن الحاجب ان البيت الثانى ينشد على ثمانية اوجه لان ما بعد قبل الاول قد يكون قبلين ، وقد يكون بعدين وقد يكونا مختلفين ، فهذه اربعة اوجه كل منها قد يكون قبله قبل . وقد يكون قبله بعد ، فصارت ثمانية اوجه ، وذكر قاعدة يبنى عليها تفسير الجميع وهى انه كل ما كان قبل وبعد فألغهما لان كل شهر حاصل قبل ماهو بعده وحاصل بعد ما هو قبله فلا يبقى بعد حينئذ إلا رمضان ، فيكون شعبان ، اوقبله رمضان فيكون شوالا فلم يبق إلا ما جميعه قبل اوجميعه بعد ، والاول هو الشهر الرابع من رمضان وهو ذو الحجة ، والثانى هو الرابع ولكن على العكس وذلك جمادى الآخرة انتهى

قال الصفدي في شرح لامية العجم : وقد أطال الكلام في تقسيم ذلك وتقديره ، فاذا نظر الواقف عليه في ذلك تشعب ذهنه من كثرة التقسيم وتردده وقد وضعت انا لذلك مشجراً لأن الاشياء إذا برزت إلى الخارج زادت وضوحا وزال غموضها ، وصورة ذلك على ما تراه في هذه الشجرة ، فتدبره مع مراعاة

القاعدة التي ذكرها ابن الحاجب ، يظهر لك صحة ذلك ، وهي هذه :



ما يقول الفقيه ايده الله ولا زال عنده الاحسان

﴿ فائدة ﴾

(افهم هذه الفائدة) نص النحاة والأصوليون على ان أن لايعلق عليها إلا مشكوك فيه ، فلا تقول : ان غربت الشمس آتيك بل إذا غربت الشمس آتيك وأن إذا يعلق عليها المشكوك والمعلوم وقد جاء في القرآن الكريم في عدة مواضع كقوله تعالى : (ان كنتم اياه تعبدون وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) والشك على الله تعالى محال ، والجواب ان الخصائص الالهية لا تدخل في أوضاع العربية بل هي مبنية على خصائص الخلق ، وهذا منزل منزلة كلامهم ، فيما بينهم كأنه

قيل ان العادة بين الناس الشك في امر الإله والرسول والمعاد ، وليس ذلك مما وقع القطع به في الذهن إلا بعد النظر وقيام الادلة ، فلهذا ورد في القرآن العظيم على العادة فيما بينهم لانه خطاب لهم وعكس هذا الايراد ، قولنا ان كان الواحد نصف العشرة فالعشرة اثنان وهـذا مما لا يشك فيه ، والتعليق جائز وما يرده وارد فقد علق عليها امر قطعي ، والجواب: ان هذه امور مفروضة في الذهن دون غيره ، والمفروض والمقدر قد يحتمل انه يقع ، وان لا يقع فصار هذا من قبيل المشكوك فيه ، فلهذا حسن تعليقه بان .

قال الصفدي في شرح لامية الطغرائي: ذكرت بالتعليق ها هنا انه وقع ببغداد فتيا صورتها في رجـل قال لزوجته ان تم وقف عند أن فأنت طالق ، فقرأه جميع من افتى فيها، ان تم وقف عبد ان وكتبوا تحتها ان، ثم وقف الشخص المذكور طلقت فلما وقف عليها القاضي البيضاوي علم ان التصحيف قد وقع على المفتين فيها ، وان بعضهم قلد البعض في قراءتها، وقال : الصحيح انها في رجل قال لزوجته ان ثم وقف عند ان ثم انه كشف عن ذلك من صاحب المسألة فوجد الأمر كما قاله البيضاوي ، انتهى .

اعرف هـذه القاعدة : جميع افعال الأمر فاعلها تحت استتارة ، ولا وجـه لابرازه إلا أن يقصد التوكيد كقوله تعالى (اسكن أنت وزوجك الجنة) وعلى هذا فيرد على الشيخ جمال الدين بن الحاجب ومن تابعه في قوله: الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد ، فانـ ضمير الفاعل المستتر في الأمر كلمة باجماع النحاة ولم يتلفظ به واجيب بأن المراد باللفظ ما كان بالقوة او بالفعل ، فالضمائر المستترة في الأوامر كلها لفظ في القوة أي في قوة المنطوق به ، ولهـذا قال الشيخ جمال الدين بن مالك في التسهيل : الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقاً او تقديراً او منويا معه كذلك .

وقال ولده بدر الدين : الكلمة لفظ بالقوة او الفعل مستقل دالـ بجملته على معنى بالوضع انتهى .

﴿ ذكر طرف وقعت مع الرشيد العباسي ﴾

حكى الاصمعي قال: حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد إذ دخل عليه ابو نؤاس ، فقال له : ما أحدثت بعدنا يا ابا نؤاس ؟ فقال : يا امير المؤمنين ولو في الخمر ، قال : قاتلك الله ولو في الخمر ، فانشده :

يا شقيق النفس من حكم   نمت عن ليلى ولم انم

حتى اتى على آخرها وسيجيء الكلام على هذه القصيدة في ترجمة ابى نؤاس ان شاء رب الناس .

فقال له الرشيد : احسنت والله ، اعطيه يا غلام عشرة آلاف درهم وعشر خلع ، فاخذها وخرج ، فلما خرجنا من عند الرشيد قال لي مسلم بن الوليد : ألم تر يا ابا سعيد إلى الحسن بن هانيء كيف سرق شعري وأخذ به مالاً وخلعاً ، فقال له وأي معنى سرق ؟ قال قوله :

فتمشت في مفاصلهم   كتمشي البرء في السقم

فقلت : وأي شيء قلت انت ؟ قال : قلت

غراء في فرعها ليل على قمر   على قضيب على دعص النقا الدهس

اذكى من المسك انفاساً ومهجتها   أرق ديباجة من رقة النفس

كأن قلبي وشاحاها إذا خطرت   وقلبها قلبها في الصمت والخرس

تجري محبتها في قلب عاشقها   مجرى السلامة في أعضاء منتكس

فقلت له : ممن سرقت أنت هذا المعنى ؟ فقال : لا اعلم انى سرقته من احد فقلت بلى من عمرو بن ابى ربيعة حيث يقول :

أما والراقصات بذات عرق   ورب البيت والركن العتيق

وزمزم والمقام ومشعريها   ومشتاق يحن إلى مشوق

لقد دب الهوى لك في فؤادي   دبيب دم الحياة إلى العروق

فقال لي: ممن سرق عمرو هذا المعنى؟ فقلت: من بعض العذريين حيث يقول:

وأشرب قلبي حبها ومشى به   تمشي حميا الكاس في عقل شارب
ودب هواها في عظامي وحبها   كما دب في الملسوع سم العقارب

فقال لي: وممن اخذ العذري هذا المعنى؟ قلت: من اسقف نجران حيث يقول:

منع البقاء تقلب الشمس   وطلوعها من حيث لا تمسي
وطلوعها حمراء صافية   وغروبها صفراء كالورس
تجرى على كبد السماء كما   يجري حمام الموت في النفس

انتهى ما حكاه الاصمعي.

قال الصفدي: وقد اخذ ابو نواس هذا المعنى برمته من قول بعض الهذليين يصف قانصاً يختل صيداً بسرعة مشي حيث يقول:

فتمشى لا يحس به   كتمشي النار في الفحم

فان بعض الروايات عن ابي نواس على هذا النص، وهي أصح الروايات عنه لانها آخر ما استقرت عليه الحال.

قلت: وقد اخذ ابو الشيص قول عمرو بن ابي ربيعة بلفظه فقال:

أما وحرمة كاس   من المدام العتيق
وعقد نحر بنحر   ومزج ريق بريق
لقد جرى الحب مني   مجرى دمي في عروقي

وأخذه ابو الطيب المتنبي فقال:

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي   فاصبح لي عن كل شغل بها شغل

قال ابو الفرج بن هند:

رب هم على الفراق حشوم   أزعجته عني بنات الكروم
فتمشت في قلبي المهموم   كتمشي الدرياق في المسموم

وأتى عبد الله بن محض بهذا المعنى من غير تشبيه فقال :

فامسيت اسقاها سلافا مدامة　　لها في عظام الشاربين دبيب

قال بعض الحكماء : معائب السفر سبعة ، الأول : مفارقة الانسان من يألفه ، الثاني : مقارنة من لا يشاكله ، الثالث: المخاطرة بما يملكه ، الرابع : مخالفة عادته في مأكله ومنامه ، الخامس : مجاهدة الحر والبرد بنفسه ، السادس: احتمال منة الملاح والمكاري ، السابع : السعي كل يوم في تحصيل منزل جديد .

﴿ ظريفة ﴾

كان بعض اولاد الملوك إذا سكر عربد على واحد من جلسائه ، ثم إذا أفاق وهب للذى عربد عليه الف درهم ، فسمع بخبره بعض الظرفاء فجاءه وقال له انا رجل ضعيف الحال والبدن فان رأيت أن تعربد علي عربدة خفيفة إلى مائتي درهم فلا بأس فاستظرفه وأعطاه مائتى درهم من غير أن يعربد عليه .

قال الاصمعي : تنكرت اخلاق الرشيد فبعدت عنه فأصابنى ضرر عظيم من بعده حتى احتجت إلى بيع خاتمي ، فقلت لا رغبة لي في الحياة بعد هذا ، والله لأذهبن اليه وان كان فيه القتل ! قال : فلما حضرت قال لي البوابون : كم يطلبك أمير المؤمنين ، ادخل فقد وافيت في وقتك ، قال : فدخلت فاذا في بعض الدهاليز باب قد فتح وخرج منه وجه مذ رأيته ما قدرت امشي ، فقالت : أتعرفني؟ قلت: لا والله ، قالت أنا فتنة جارية أمير المؤمنين وهو مغضب عني ، فقلت : انت والله فتنة كما سميت ، فقالت هذه صرة فيها دنانير خفف بها همك وثقل بها كمك واجتهد أن ترضيه عني فان فعلت اتصلت جوائزي اليك ، وان لم تفعل فوالله لا أبقيت رأسك ابداً ولست بداخل هذه الدار بعدها ابداً ، قال : فدخلت على الرشيد فاذا عنده اسحاق النديم وهو ينشد :

خف الله لا تحبسه ان شبيهه　　حبيبي وقد ارعدت منه فرائصي

فقال : يا اصمعي أسمعت أحسن من هذا البيت قط ؟ فقلت يا امير المؤمنين هذا من أبيات أحفظها ، ولا ادري تكمل لها اسحاق أم لا ، فانما حسن هـذا أن يعرف الشعر وخبره ، قال : وما خبره ؟ قلت : حدثني السهمي عن الهدى ، قال : خرجت أقتنص صيداً فبقيت ليلة أتعبتنى فيها ظبية حتى ظفرت بها ، فلما اصبحت جئت بها أطلب ثمنها ، فاذا أنا بغلام كأن وجهه فلقة قمر وله ذوأبتان تلعبان على كتفه ، فحين رآني شهق وبكى وأنشأ يقول :

وذكرني من لا أبوح بذكره   محاجر ظبي في حبالة قانص
فقلت ودمع العين يجري بحرقة   وعيني إلى عينيه نظرة شاخص
ألا أيا هذا القانص الظبي خله   فانا فديناه بعشر قلائص
خف الله لا تحبسه ان شبيهه   حبيبي وقدار عدت منه فرائصي

ثم قال : بالله اعطني اياها ، ففعلت ، فقبل عينيها ومسح وجهها وأرسلها ، فقلت له: ما حملك على هذا ! فقد أتعبتني هذه طول ليلتي ، فقال : تعال معي إلى البادية ، فقلت: اليك عنى فقد آذيتني وتحملني معك إلى البادية ، قال : فدلني على بيتك ، فمضى معي ، حتى دللته على بيتي وذهب ، فلما كان من الغد وافاني بعشر قلائص ، فوالله يا امير المؤمنين ما كانت عيناها بأحسن من عيني فتنة جاريتك فقال يا اصمعى انها سيئة الخلق والادب ، فقلت : يا امير المؤمنين لا يفي تأديبك لها بما يفوتك من الالتذاذ بها ، قال : فاقوم لها ! فقلت : أي والله يا امير المؤمنين ، قال : قدموا نعلي فأمسكت كمه وقلت : يا امير المؤمنين القلائص ، قال : فقوموها بألف درهم ، فأمر لي بها .

روى محمد بن قتيبة في عيون الاخبار قال : قرأت في تاريخ الهند انه أهدى لملك الهند ثياب وحلي ، فدعا بامرأتين له وخير أحظاهما عنده اللباس او الحلي ، وكان وزيره حاضراً ، فنظرت المرأة إلى الوزير كالمستشيرة له فغمزها بعينه إلى اللباس ، ولحظه الملك فاختارت المرأة الحلي كيلا يفطن الملك لتلك الغمزة ومكث

الوزير كاسراً عينيه اربعين سنة كي لاتقر تلك الغمزة في قلب الملك ليظن انها عادة وخلقة ، وصار اللباس للاخرى .

من كلام بعض الوزراء : عجبت ممن يشترى العبيد بماله ولا يشتري الاحرار بحسن فعاله .

حكى القاضي يحيي بن اكثم قال : دخلت على الرشيد يوما وهو مطرق مفكر فقال : أتعرف قائل هذا البيت :

الخير ابقى وان طال الزمان به والشر أخبث ما اوعيت من زاد

فقلت : يا امير المؤمنين ان لهذا البيت قصة مع عبيد الله بن الابرص فقال : علي بعبيد الله ، فلما حضر بين يديه قال له : اخبرني عن شأن هذا البيت ، قال : يا امير المؤمنين كنت حاجا في بعض السنين ، فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر إذ سمعت ضجة عظيمة في القافلة ألحقت اولها بآخرها ، فسألت عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم تر ما بالناس فتقدمت إلى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه يخور كخوار الثور ويرغو كرغاء الابل فهالني امره وبقيت لا أهتدي إلى ما اعمل في امره ، فعدلنا عن طريقه إلى ناحية اخرى ، فعارضنا ثانياً فعلمت انه لسبب ، ولم يجسر أحد من القوم يقربه ، وإذا رمي بسهم نأى عنه ولم يعمل فيه ، فقلت : أفدي هـذا العالم بنفسي وأتقرب إلى الله تعالى بخلاصهم من هذا ، فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفي وتقدمت اليه ، فلما رآني قـد تقربت منه سكن ، وأنا اتوقع منه وثبة يزدردني فيها ، فلما رأى القربة من الماء فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الاناء ، فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى ، فعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا فقضيناه ، وعدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة ظلماء مدلهمة ، فأخذت سطيحة من الماء وعدلت إلى ناحية من الطريق فقضيت حاجتي وفرغت من صلاتي وجلست مكاني ، والقافلة على حالها فاخذتني عيناي فنمت

مكاني ، فلما استيقظت من النوم لم اسمع للقافلة حساً وقد ارتحلوا وبقيت منفرداً فلما لم أر أحداً ولم اهتد إلى الطريق اخذتني حيرة وجعلت اضطرب ، وإذا بهاتف يقول ولا أرى له شخصاً :

يا أيها الشخص المضل مركبه وليس معه من انيس يصحبه
دونك هذا البكر خذه واركبه وبكرك الميمون ايضاً فاجنبه
حتى إذا ما الليل جن غيهبه ومال عن افق السماء كوكبه
فحط عنه رحله وسيبه

قال : فنظرت وإذا ببكر عند بكري، فانخته وركبته، فلما سرت قدر عشرة اميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر ، فعلمت انه قد حان نزولي فتحولت إلى بكري وقلت :

يا ايها البكر قد انجيت من كرب ومن فياف تضل المدلج الهادي
ألا تخبرنا بالله خالقنا من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي
فارجع حميداً فقد أبلغت مأمننا بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت إلى البكر وسمعت منه صوتاً يقول :

أنا الشجاع الذي اكفيتني رمقاً والله يكشف ضر الحائر الصادي
فجدت بالماء لما ضن حامله تكرما منك لم تمنن بانكادي
فالخير أبقى وان طال الزمان به والشر أخبث ما اوعيت من زاد

فعجب الرشيد من قوله وأمر له بجائزة وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال : لا يضيع المعروف اين وضع .

قال رسول الله ﷺ : ان ثلاثة من بني اسرائيل ابرص واقرع واعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص ، فقال له: أي شيء احب اليك ؟ قال : اريد لوناً حسناً وجلداً حسناً فيذهب عني الذي قذرني الناس له فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً ثم قال له : فأي المال احب اليك؟

قال الابل ، فاعطى ناقة عشراء ، فقال له : بارك الله لك فيها .

ثم اتى الاقرع فقال له : أي شيء احب اليك ؟ قال : شعراً حسناً ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس له ، فمسحه فذهب عنه قذره واعطى شعراً حسناً ثم قال له : فأي المال أحب اليك ؟ قال : البقر ، فاعطي بقرة حاملا ، فقال له : بارك الله لك فيها ، ثم اتى الأعمى ، فقال له : أي شيء احب اليك ؟ فقال : ان يرد الله على بصري ، فابصر به الناس فمسحه ، فرد الله اليه بصره ، ثم قال له : فأي المال احب اليك ؟ قال : الغنم ، فاعطي شاة والداً فانتج هذا وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ، ولهذا واد من الغنم ، ولهذا واد من البقر ، ثم ان الملك اتى الابرص في صورته وهيئته ، فقال له : انا رجل مسكين قد انقطعت في الجبال في سفري هذا فلابلاغ لي اليوم إلا بالله . ثم بك أسألك بالذي اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال الكثير بعيراً أتبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق في المال كثيرة ، فقال له : كأني اعرفك ألم تكن ابرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله ؟ فقال : انما ورثت هذا المال كابراً عن كابر ، فقال له الملك : ان كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت ثم اتى الاقرع في صورته ، فقال له مثل ماقال لذلك، فرد عليه مثل ما رد عليه ذاك ثم اتى الاعمى في صورته ، فقال له : انا رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت في الجبال في سفري هذا ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ، ثم بك اسألك بالذي رد عليك بصرك شاة اتبلغ بها في سفري ، فقال له : انا قد كنت اعمى فرد الله علي بصري فخذ ما شئت فوالله لا اجهدك أبداً بشيء أخذته لله تعالى، فقال له الملك أمسك عليك مالك فانما ابتليتكم وقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك ، وعادا إلى ما كانا فيه .

ولهذا يقال من شيمة الصدق تجتلي عروس السلامة ، وتجتنى غروس الكرامة ومن شيمة الكذب تحتسى كؤس الملامة ، ويكتسى لبوس الحسر والندامة .

ما أحسن قول ابن الخيمي يخاطب قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في

عمل محضر لأخوين معسرين ، إسم أحدهما حسن والآخر حسين :

يا ثاني القمرين بل يا ثالث العمرين هـذا محضر الحسنين
أخوان قد نزفت عيونهما دما بالفقر فانظر في دم الاخوين

قال الصاحب ابن عباد هذان البيتان أن اردت كانا أعرابياً في شملته ، وان أردت كانا عراقيا في حلته ، وهما قول كشاجم الكاتب :

ما لذة أكمل في طيبها من قبلة في أثرها عضه
خلستها بالكره من شادن يعشق منه بعضه بعضه

﴿ ترجمة الشيخ الأديب المصقع النبار الخطيب ، بليغ الزمان نزيل ﴾
(مكة شرفها الرحمن ، شهاب الدين الشيخ أحمد بن علان)

فاضل تربى في حجر الفضائل ونشا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشا ، والمعي أقرت له الاقران ، وسحب ذيول الفصاحة على سحبان ، وفضل ابن علان ، لا يحتاج إلى تبيان ، له الكرم المخجل الرباب ، الشامل للاعداء والاحباب ، والاخلاق الاحمدية المرضية ، والهمم العلية الحاتمية ، كان في مكة المشرفة ملجأ في كل شدة وضيق ، كيف لا وهو من نسل محمد بن ابى بكر الصديق ، وما زال كهفاً للغريب والفقير ، ومحبوبا لدى الكبير والصغير ، ومشهوراً بكل ثناء جميل وذكر حسن ، وموقراً عند السادة الاشراف بني الحسن ، وما برح مقيا بمكة المشرفة المحمية ، في عيشة هنية ، ونعمة سرمدية ، إلى ان ولاه الشريف علي بن سعيد منصب الاجيبة فأرسله إلى الهند ، حيث لا ليلى ولا هند ، فانشده لسان الحال ، غداة الترحال :

ولو ان ارض الهند يا صاح جنة وسكانها حوراً وأملكها وحدي
لما قوبلت عندي ببطحاء مكة ولا اخترت عن ليلى بديلا هوى هندي

وكان مسيره إلى الديار الهندية عام تسع وعشرين بعد الالف والمائة من هجرة شفيع البرية ، فقاسى كل كربة ، في ديار الغربة ولاقى منها عرق القربة مع كونه

في ابتداء دخوله إلى ديار السلطنة التيمورية حصل في يده ما ينوف على ستين الف ربية غير ما حصله من التحف، ومن أنواع الظرف ، لكن الشيخ المذكور كرمه في الناس مشهور لا يبقي على المال ولا يذر تحار في وصف جوده الفكر :

تعود بسط الكف حتى لو انه أراد انقباضاً لم تطعه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وكان السعد خادمه ، والاقبال منادمه ، والزمان مساعده ، والطالع معاضده ببقاء سلطنة الملك العادل ، ذي الجود العميم الشامل ، محمود الفعال والسير السلطان المظفر الغازي محمد فرخ سير ، ودوام دولة الوزير الاعظم المسدد ، والشجاع القسور المؤيد ، مدبر أمور السلطنة برأيه الصائب ، ومدمر ثغور الكفرة بقوة عزمه الغالب ، كيف لا وهو من نسل علي بن ابي طالب :

بطل لو رام تمزيق الدجى لأتاه من عمود الصبح رمح

الغني بذاته الحميدة عن الوصف والبيان ، الوزير المكرم السيد عبد الله خان ووجود أخيه امير الامراء ، كنز الغرباء والايتام والفقراء ، الكريم الذي تضرب بحديث فضله الأمثال ، والبطل الذي من بأسه تدك الجبال :

كل الانام لما اولاه شاكرة فما له غير بيت المال من شاكي

عين الامراء الاعيان وواسطة عقد الزمان ، الامير المظفر السيد حسن علي خان فبوجودهم أقبلت على الشيخ المذكور الدنيا ، ورقى الرتبة العليا ، ولم يزل في جاه مكين ، إلى عام ثلاث وثلاثين ، ثم ان السلطان دارت عليه دوائر الكروب ، واختطفته ايدي شعوب، فهجم الوزير عليه في داره، وأخذه من بين اهله وأنصاره فوقع في كصيصة القبض ، ورجع من منصب الرفع إلى الخفض ، وكحل بالنار ، ثم قطع بالبتار ، وكان سبب قتله لامور جرت بينه وبين الوزير واخيه يطول شرحها فسبحان الملك السلطان ، الدائم بعد فناء خلقه من الانس والجنان :

الموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

فبعد ان قتل السلطان فرخ سير، خرب ملك الهند ودمر، ثم تولى السلطنة رفيع الشان فسم ومات في اسرع زمان . ثم تولى رفيع الدرجات، فسم ايضاً ومات، ثم تولى محمد شاه وذلك في عام اربع وثلاثين فخرب البلاد وأظهر في الأرض الظلم والفساد، ورفع الجزية عن عبدة الاوثان، واشتهر بشرب الخمور وحب الغلمان، وترك الصلاة، ومنع الصلات، وقطع وظائف السادات والفقراء، واوقع القتل بالامراء والوزراء، فاول من أذاقه حد الحسام وجرعه كأس الحمام حضرة الخان، رفيع القدر والشان، امير الامراء الشهيد السيد حسن علي خان، وقصة قتله طويلة.

ثم انه لم يكفه ذلك، حتى ثنى بقتل اخيه الوزير السيد عبد الله خان، وأورده حياض المهالك، وقصة قتله ايضاً طويلة البيان، لا حاجة إلى ذكرها خوف الملل من الاخوان، فبعد قتل هذين الاخوين ظهر الفساد بقطر الهند رأيا بالعين، وخربت الممالك وقطعت المسالك، واستقوت عبدة الاوثان، على عبدة الرحمن، وتقلد الاحكام الازابكة، فبكت الهند من بعد ما كانت من كرم اولئك السادة الشهداء مستبشرة ضاحكة، وتعب الشيخ المذكور في دولتهم غاية التعب، وابهضه في زمانهم حمل أعباء الهم والنصب، فان السلطان بخيل والازبك ابخل، فحار الشيخ بين البخيلين ولم يدر ماذا يفعل:

إذا ملك لم يكن ذاهبه   فدعه فدولته ذاهبه

وكان الشيخ في تلك الاوقات، تولى الأجبية ثلاث مرات، الاولى من طرف الشريف علي بن سعيد، والثانية من طرف الشريف يحيي بن بركات، والثالثة من من صوب الشريف مبارك بن احمد. لكنه لم يقع على مطلب من الكل ولا مقصد سوى معاناة الاسفار، ومقاساة الاخطار، في بلاد الكفرة الاشرار. ولقد اجتمعت به عام سبع وثلاثين ببندرسورت، ثم سافرت معه إلى احمد أباد، ومن هناك إلى مدينة دلي وتسمى شاه جهان اباد، بهدية الشريف الاعجد، ملك مكة

المشرفة الشريف مبارك بن احمد ، فالتقينا في بعض البلدان ، بعم الوزير نظام الملك الامير حامد خان ، وكان وصوله من الدكن إلى احمد اباد لحرب حاكمها الامير شجاعت خان ، وذلك لأمور يطول شرحها الآن ، وسنذكرها فيما بعد ان شاء الرحمن ، فصدنا عن السفر وعدنا معه إلى احمد اباد في أضيق حال ، وشاهدنا مع الامير شجاعت خان ، ما تشيب منه رؤس الاطفال ، وأقمنا مع الشيخ في احمد اباد ثلاثة اشهر كاملة ، إلى ان ادركتنا رحمة من الله شاملة ، وذلك بورود الامير عظيم القدر والشان السيد سيف الدين علي خان ، نجل اخت الاميرين الشهيدين السيد عبد الله خان والسيد حسن علي خان ، المتقدم ذكرهما فاكرم الشيخ غاية الاكرام وغمره بنهاية الانعام ، وأقام معه نصف شهر في احمد اباد ، ثم رحلا جميعاً إلى شاه جهان اباد ، وهو مقيم هناك الآن ، منتظراً فرج الرحيم الرحمن ، وان يعيده إلى بلده ويجمع شمله بأهله وولده :

ردّه الله مردا حسنا وحباه بالعطايا والمنى

وله نظم يشتاق اليه ارباب الأدب والكمال ، اشتياق الظمآن إلى بارد الزلال فمن نظمه الفريد ، الفائق على نظم جرير ولبيد ، قوله متغزلا وملمحاً فيها بعتاب للسلطان محمدشاه ، حيث انه لم يفز منه بنوال ، ولم يستقم له في سلطنته حال وذلك في عام الف ومائة وست وثلاثين من هجرة خاتم المرسلين وهي :

هلا نصبت الحسن حين وليتا يا من تسلح مقلتين وليتا
مهما رفعت اليك شرح قضيتي اوسمتني عوض الجواب سكوتا
أتريد مني غير سهدي والضنا في مدعاي بأن اقيم ثبوتا
وزعمت هاروتاً يخيل سحره كلا للحاظك علمت هاروتا
او ما تراني كل يوم التقي من لحظ جفنك صارما مصلوتا
ويشت شمل تصبري مهما ارى بين الشفاه اللعس منك شتيتا
لولا وجوب الذل في شرع الهوى ما كان حبل تملقي مبتوتا

وتغزلي لذيول حسنك لازم   لا ينبغي ابداً له تفليتا
يا موعدي حسن الوفاء على الصفا   ماذا الجفا اوعدت ثم نسيتا
صولات داود انحرافك مهدت   من حسن صبري في الهوى جالوتا
فلأجل ذلك صرت من ألم الجوى   في تيه عشقي هائماً مبهوتا
ولفرط طول مقام قلبي في لظى   اغضاك عني خلته ياقوتا
لا تسألن عن حال كنه حقيقتي   ما نابني يا ذا الجمال كفيتا
طيفي يبيت لدى جنابك ليلة   ضيفاً ويصبح ليس يحرز بيتا
أيجوز أن الضيف يمكث خاملا   بين الكرام ويمنعوه القوتا
فلابعثن من القريض قوارساً   أدنى طعام رماحها تبكيتا
في مقنب تخذ البلاغة ملبساً   قد احكمته يد الذكا تثبيتا
جيش إذا عطس الصباح بأنفه   كانت اغارة خيله تشميتا
فاجبر بلطفك كسر قلبي واتخذ   عند الاله يداً وقل ما شيتا

وقوله وهو إذ ذاك بالهند :

لطائف الهند ثلاث أتت   الأنب والنرجس والبان
وقال لي الخان نسيت النسا   والحق ماقد قاله الخان

والأنب أحسن فواكه الهند وأطيبها ، وعندي انه احسن الفواكه على الاطلاق ، وهو اصناف ، والنرجس معروف ، والبان هو التامول ، ويسمى ايضاً التانبول والعامة تسميه التنبل وهو ضرب من اليقطين الهندي طعم ورقه كالقرنفل يمضغون ورقه بقليل من كاس وفوفل وهو مشهي مطرب مبهي مقوى للثة والمعدة والكبد ، وهو خمر الهند يمازج العقل قليلا ، وهو ينبت كاللوبيا ويرتقي في الشجر.

وقوله مادحا الشريف صاحب المقام الاعلى ، مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى ، ومهنئاً له بما ناله من الفتح المبين ، والنصر والتمكين ، عام الف ومائة وسبع عشرة وذلك حين اقبل في ذي القعدة الشريف سعيد بن سعد من اليمن ببادية

كبيرة فسمع به الشريف عبد الكريم فتهيأ لقتاله ، فلما بلغه وصوله إلى العابدية خرج اليه وصحبته سليمان باشا وجرى بينهم حرب عظيم وأبعد الشريف سعيد عن العابدية وعطف ناحية الكشار بقرب من عرفة ، فادركه الشريف عبد الكريم ونزل بمسجد نمرة ، والباشا بأرض عرفة ، وباتوا تلك الليلة واصبحوا على الحرب والكفاح إلى وقت الغروب وتفرقوا ، ووصل إلى عرفة في ذلك الحين الامير ايواز بيك من بندر جدة مساعداً للشريف عبد الكريم ، فاجتمع به وسليمان باشا وباتوا جميعاً واصبحوا أخذوا أهبة الحرب ، ووقع بينهم رمي الرصاص بالبنادق والمدافع ، وبلغ مولانا الشريف سعيد ان ايواز بيك وصل اليهم فنجا بطائفة معه وغنم العسكر منهم غنيمة عظيمة ، ووصل البشير إلى مكة بالفتح وعاد مولانا الشريف عبد الكريم ودخل مكة في موكب عظيم وجلس للتهنئة في داره ، وهناه الشعراء فامتدحه الشيخ بقوله :

ابا شاكر دم قبلة المحامد ... موقى على رغم العدا والحواسد

فمولاك قد اولاك ما انت اهله ... وما انت راج من جميل العوائد

أغاث بك الله البلاد وأهلها ... نخيرهم في كل يوم لرائد

وقد بدلوا بالخوف أمناً فاصبحوا ... لمولاهم ما بين داع وحامد

وصار من البشرى الصديق مبادراً ... أخاه إذا ما شامه بالتعايد

وهنيت بالفتح المبين وكيف لا ... وانت الذي قد حزت اجر مجاهد

شفيت فؤاد الدين بعد ضنائه ... بقتلة زهران وقتلة عامد

وآل سليم كيف اضحت جسومهم ... توازعها ايدي الضباع الجواهد

فان تسألوا المخوات عن حال اهلها ... وعماد ها هم في الديار الاباعد

فعند عتاق الطير تحقيق شأنهم ... سلوها فهل ينبيك مثل المشاهد

لقد أنزل الله الشديد عقابه ... عليهم وعدوا في القرون الاوابد

أتوا يحمي البيت الحرام وقصدهم ... على زعمهم تعطيل خير المساجد

وقد تركوا أرض السراة وراءهم ... يجوسون ما بين الذرى والفدافد
فعارضهم من دونه ذو عزيمة ... طويل نجاد السيف جم الفوائد
أغر عليه للسيادة رونق ... لديه لها ألفا دليل وشاهد
يباشر تدبير الحروب بنفسه ... باقدام ذي رأي صحيح المقاصد
فابعدهم من مترس بعد مترس ... وأدنى فناهم واحد بعد واحد
يحف به من آل هاشم عصبة ... طوال الردينيات زرق الحدائد
عراض مراكيض الجياد تزينهم ... حداد المواضى في طوال السواعد
كأنهم يوم الوغا في دلاصهم ... أسود تهادى في جلود الاساود
على كل مصقول الأديم مطهر ... بعيد مدى المطراد قيد الاوابد
تخال الجبال الشامخات وخيلهم ... تجالد في لباتها والقلائد
مملمة الارساغ شوك كأنما ... سنابكها قد رصعت من جلامد
ومن آل قنطور الليوث كواسر ... كأنهم قد كونوا من شدائد
يقودهم الليث الغضنفر عازم ... على الطعن وقاف له غير حائد
سليمان باشا الشهم آصف عصره ... وحافظ ناموس الملوك الأماجد
وعن فعل ايواز الامير فلا تسل ... لقد كاد في مركاضه كل كائد
وعداهم بالطعن عن كل مترس ... وهم بين ايدي خيله كالطرائد
ومن آل حام كل قوم مباسل ... إذا ما اعتزي في الصف عين القلائد
يبادي بضرب في الجهام مبرح ... وطعن باطراف الاسنة نافد
فلله من يوم اغر محجل ... ومن عثير في الجو كالسحب عائد
وقد اسفرت فيه المنون قناعها ... تدير لهم فيه كؤس التجالد
يوردهم عبد الكريم حياضها ... وذلك ورد رشفه غير بارد
فما لبثوا أهل الحجاز لديهم ... سوى ساعة حتى رموا بالتفاقد
كأن جليلات المدافع عندما ... أصيبوا بها مثل السحاب الرواعد

فولوا ولم يعطف على ذي قرابة   قريب ولا البر الحفي بوالد
وقد خلفوا في السبي كل خريدة   شبيهة ظبي في حبالة صائد
فلم ينجها من قتلها غير دلها   وتقويم هاتيك الثدي النواهد

أقول اخذ المعنى برمته من قول ابي الطيب المتنبي في سيف الدولة :

اخو غزوات ما تغب سيوفه   رقابهم إلا وسيحان جامد
فلم يبق إلا من حماها من الظبا   لمى شفتيها والثدي النواهد

رجع إلى كلام الشيخ ابقاه الله :

ولو لا انتهاز الجند نهب أثارهم   لما عاد في آثارهم من معاود
إذا لم يكن مثل ابن يعلى مملكا   لأس دعام المجد احكم شاهد
فليس إلى نيل الفخار وسيلة   له تتبدى في صدور المشاهد
شريف عليه هيبة وجلالة   يدين لها في سره كل جاحد
وينتهب الارواح في كل مارق   يدمر فيه كل باغ وحاسد
أدام به النعما علينا الذي بها   أفاء عليه مرغما للمعاند

وله ايضاً هذه القصيدة الغراء الفريدة ، مادحا بها صاحب مصر المحروسة رامي باشا ، وأرسلها اليه في شهر محرم الحرام ، سنة ثمان عشرة ومائة والف من هجرة سيد الأنام :

سقى الوابل الوسمي مرتجس الحيا   ربى المنحنى ما طاب فيه بكور
وروى ضواحي السفح من شعب عامر   غمام جهام ما لديه سفور
وحيا الحيا ما ضمن الخيف من منى   ومن حل فيه ما اتاه ثبير
إذا ارزمت بالمأزمين غمامة   فاي فؤاد لا يكاد يطير
وان هينمت ريح النعامى سحيرة   لدى عرفات فالغرام غزير
فياليت اياما هناك نقيمها   نعوض من مضمونهن شهور

عشية يلقى كل مسمار لوعة مساغ شجاه ما عليه خفير
هراكيل امثال البدور تقلها غصون نقى احقادهن تمور
يجرون اذيال المروط تبختراً فيعبق بين الاخشبين عبير
متى مسن ما بين الاجارع فاللوى عليهن من ربط الحياء ستور
كأن الظبا العفر تعطوا سوانحاً تراءى لها روض هناك نضير
من اللاء ما باشرن يوما خيانة وعف حيا ذيل لها وضمير
فلا وصلة الاولى واصابع يشابهها العناب حين تشير
ولن يلتقي الجمان منا ويلتقى إلى قلبها قلبي الشجي سفير
من الحول حتى يخلف الحول مثله تراقب نجم الوصل حيث ينير
وكم من ظلام بث في طي جنحه يؤرقني فيه جوى وزفير
فتخذلني زهر النجوم لانها تسير وابقى بعدهن اسير
ومن فجر يوم راعني وهو طالع كأن على الآفاق منه غدير
كأن النجوم الزاهرات بلجة وقد غض من اضوائهن زهور
ونحن نشاوى صبوة لا يروعنا زمان ولا وال هناك يجور
إلى ان اتت تلك السنون فنالنا بأسبابها خطب ألد خطير
فأودى بها قوم لشدة قحمها مآكلهم فيها جرى وويور
وما زال فينا القحط يمتد عمره إلى ان خلت منه قرى وقصور
ووالت علينا شدة بعد شدة إذا ما مضت هذى فتلك تزور
صبرنا على ايوب صبر سميه إلى ان اتته الدائرات تدور
ولم يبق منا رافل في شبابه اخو غبطة إلا علاه قتير
نصالى بها الحرب العوان تواليا يغار علينا تارة ونغير
فتحسبها ايام بكر وتغلب غداة كليب في الدماء يخور
ولا سيما يوماً على بكوارث كأن شب في الآفاق منه سعير

ويوماً بسفح المنحنى حين حومت به الروس في ضمن الطيور تطير
فلم تر منه العين اكثر مقتلا وكم فيه مطعون اللهى وعفير
وبالزاهر الميمون يارب غارة أصاب بها صم الصلاد فطور
فكم من قتيل ليس يعبأ بقتله تحوم عليه في الفلاة نسور
وعن كثبه يوم العابدية لا تسل لقد حرجت للقوم فيه صدور
غداة أتى جمع الحجاز كأنما وقد أجفلوا فوق الحمير حمير
وقد فرغت تلك المجاري كأنها رجوم نجوم في السماء عور
فعارضهم عبد الكريم كأنه بنعمان ليث لا يرام هصور
فأوسعهم طعناً وضرباً مبرحا تقطع اعناق به وخصور
تحف به الامجاد من آل هاشم كأنهم يوم الجلاد صقور
ولم لا توافيه السعود وعنده هناك سليمان الوزير ظهير
فتالله قد اعطى الرياسة حقها فأي همام بالفخار جدير
وابواز إذ وافى بنعمان جمعه بطعن يرد الطرف وهو حسير
وقام مقاما ما سمعنا بمثله وصادفه حظ هناك كبير
فلله منا الحمد في كل حالة تعبق منها حامد وشكور
لقد اصبحت ام القرى في غضارة تألم منها جاحد وكفور
وما ذاك إلا انها حين اصبحت وفي دستها عبد الكريم امير
فتى ينهل الخرصان في كل مأزق فتنهل وردان به وبحور
وكم فيلق قد عاقه عن مرامه فأصبح بعد الكور عنه يحور
فيارب جفن كحل السهد موقه بها بات بعد الخوف وهو قرير
وبدلت الأرزاء عنها بضدها ودام لأهليها حبي وحبور
وظلوا بها في ظل عيش مرفه تجلى عليه للإله ظهور
وانى يصيب الضيم سكان مكة ومصر بها كافي الكفاة وزير

وزير إلى ذا اليوم من عهد آصف له ما أتى في العالمين نظير
أخو همة لو حاولت يوم بأسها زوال ثبير عاد وهو ثبير
ولو صد نجم الافق عن كنه قصده لما ساغ للشعرى العبور عبور
واحكام رأي لو يحاول دركه قصير تنحى عنه وهو قصير
تود أقاليم البلاد لو انها جميعاً لدى التصريف منه تصير
حكيم يعاني كل شيء بضده بصير بادواء الخطوب خبير
فلو شاهدت عين الوليد بن دومع اتى حباه المذب وهو نمير
لما شك في بطلان تهويل زعمه وان الذي قد كان فيه حقير
ولم يفتخر يوما بمصر ونيلها فكيف ورام من يديه بحور
فكم قلعة في شامخ متمنع بعقوتها للفرقدين وكور
تخطى اليها بالصوارم والقنا وليس لها غير الرماح مهور
فزفت إلى الاسلام في خير ملبس تبسم فيه للسرور ثغور
وكم قائل من ذا بمصر تؤمه بمدحك هـذا أنت فيه غرور
فقلت إلى مولى الجميل ومن غدا يجير على الايام حين تجور
إلى ملك ان رام دحض عداته تقوم مقام الجيش منه سطور
إلى ملك قد انقذ الله مكة بجدوى يديه والزمان غدور
فأولى اهاليها نوالا وغبطـة وعم جميع الناس منه سرور
لعمري لو لاقى ابن هاني زمانه توهم هبات الخصيب نزور
ولو نزل ابنى بدر عقوة جاهـه لما نالهم يوم الهبات عثور
او اصطحب الرجال منه براءة لعاق مضى البراض عنه فتور
ويا واهب النعما التي جل قدرها ومن كل معسور لديه يسير
أجزني على مدحي جنابك بالغنى فاني إلى جدوى يديك فقير
فقد حاك فكري فيك مالا يحوكه بمدح ابن مروان البليغ جرير

لأمر تسخطنا الزمان الذي مضى   فكل له لما وليت عذير
إذا حركتك الاريحية للندى   فاياك ان يطرا عليك مشير
وبادر إلى تسويقه تقتنى به   ثناء له حتى النشور نشور
وصلى إلهي ما تغنت حمامة   بدوح اراك لاح فيه برير
على خير مبعوث بأفضل بلدة   وآل وصحب ما استحث بعير

لعلي عليه السلام فيما يصلح فعله في الايام السبعة :

أرى الاحد المبارك يوم سعد   لغرس العود يصلح والبناء
وفي الاثنين للتعليم امن   وبالبركات يعرف والرخاء
وان رمت الحجامة في الثلاثا   فذاك اليوم اهراق الدماء
وان احببت ان تسق دواء   فنعم اليوم يوم الاربعاء
وفي يوم الخميس طلاب رزق   لادراك الفوائد والغناء
ويوم الجمعة التزويج فيه   ولذات الرجال مع النساء
ويوم السبت ان سافرت فيه   وقيت من المكاره والعناء

هكذا ذكره الكفعمي في مصباحه . وأما في الديوان المنسوب إلى علي عليه السلام فالفاظ الشعر غير هذا ، وفي المعنى يقرب من هذا قال هناك في اختيار يوم الأحد

وفي الاحد البناء لان فيه   تبدى الله في خلق السماء

صنع ابو الحسن خمارويه بن احمد بن طولون بمصر بستاناً لم يكن له في الدنيا نظير ، غرس فيه سائر الاشجار وسائر الرياحين ، وغرس فيه النخل المثمر ، وجعله صفوفا متساوية بحيث يناله النائم فيأخذ ما يحتاجه من ثمره بيده ، وكساه النحاس الاصفر ، وجعل بين النخلة والنخلة ميازيب رصاص وصير اليها الماء ، ورخم ارضه بالرخام الملون ، واحضر من سائر الاقطار من كل شيء غريب من صنوف الرياحين ، وزرع الزعفران والوردالاحمر والازرق والاصفر وجميع الاصناف الغريبة من السند والهند واليمن والشام والعجم ومصر والمغرب ، وجميع اصناف الطيور على اختلاف

لغاتها وجعلها في موضع من البستان، وجعل فوقهم شبكة ابريسم وصنع بيت الذهب الذى لانظير له وصور فيه صورته وصورة خواصه بأبدع تصور بالذهب واللازورد وفي وسطه بركة مربعة مملوأة زئبقاً كان يفرش عليه نطع ويجلس عليه، وعليها قبة يضاهي فيها الهواء، بديعة الصنعة والشكل، عالية البناء، وزينها احسن زينة، وفرشها بأحسن فرش، وكان له فرش من ادم ينفخ ويرقد فوقه على ذلك الزئبق فلا يرى شيئاً اوطأ منه.

وكان راتب مطبخه في كل شهر ثلاثة وعشرين الف دينار، وكان موكبه مهيباً عجيباً، وكان ادنى الرجال اليه الف عبد اسود لابسين السواد، على رؤسهم البيض الفولاذ المصقولة كالمرآة، فاذا عاينهم الناس علموا ان الملك قرب منهم.

حضر إلى الرشيد طبيب اعمى فأمر جارية تأخذ بيده، فلما سأله عما اراد امر الجارية ان تأخذ بيده وتخرجه، فمشت به خطوات، ثم عاد إلى الرشيد فقال له ما شأنك؟ قال: يا امير المؤمنين لما دخلت اخذت بيدي هذه الجارية وهي بكر فلما خرجت اخذت بيدي وهي ثيب فضربت الجارية فقالت: ان ولد امير المؤمنين افتضني، فعجب الرشيد من الطبيب وحذقه.

قدم رجل من اهل مصر على عمر بن الخطاب فقال: يا امير المؤمنين هذا مقام العائذ بك قال: ما شأنك؟ قال: انا رجل من مصر سابقت ولد الامير عمرو ابن العاص فسبقته فجعل يضربني بسوطه ويقول أنا فلان فشكوته لأبيه فحبسني حتى لا آتيك فلما تخلصت أتيتك فكتب عمر إلى عمرو بن العاص اشهد الموسم انت وابنك، فلما حضر امر المصري ان يضرب ابنه بالسوط عدد ما ضربه، فما زال يضربه وعمر يقول اضرب ابن الامير حتى قال المصري حسبي هكذا ضربني ثم قال: خذ الدرة واضرب بها رأس الامير على صلعته، فقال ياامير المؤمنين ان اباه لم يضربني قال: أما انك لو فعلت لم تجد مانعاً، ثم التفت إلى عمرو وقال: متى تعبدتم الناس وقد ولدوا احرارا، ارجع إلى عملك.

﴿ لطيفة ﴾

يحكى ان ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب أيام خلافته : بلغني ان بيلدك شجرة تخرج ثمرها كآذان الحمر ، ثم تنشق عن احسن من اللؤلؤ النضيد ثم تخضر فتكون كالزمرد الاخضر ، ثم تحمر فتكون كقطع الياقوت الاحمر ، ثم تصفر فتكون كشذور الذهب ، ثم تينع فتكون كاطيب الفالوذج ، ثم تيبس فتكون قوتاً فان كان كذلك فلا شك انها من شجر الجنة .

فكتب اليه : صدقت رسلك ، وانها الشجرة التي ولد تحتها المسيح .

وقال خالد بن صفوان يصفها : هي الراسخة في الوحل ، المطعمة في المحل الملقحة بالفحل ، المنبهة كشهد النحل ، تخرج اسفاطاً ، غلاظاً واوساطاً ، ثم تنشق عن قضبان لجين وعسجد كالدر المنضد ، ثم تصير ذهباً احمر بعـــد ان كانت في لون الزبرجد :

كأن النخيل الباسقات وقد بدت لناظرها حسناً قباب زبرجد
وقد علقت في فرعها زينة لها قناديل ياقوت بامراس عسجد

روى ان النخلة اول شجرة استقرت على وجه الارض وانها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام .

وفي الحديث : اكرموا عماتكم النخيل . قال البهلول :

وعماتك النخل كن مثلها لرامى الحجارة ترمي الرطب

﴿ حكمة ﴾

ثلاثة لا تستغني عن ثلاثة : اكمل ملك عن وزير ، واعقل امرأة عن زوج واجود دابة عن سوط .

قيل لابي عمرو بن العلاء : لأي شيء قرأت وتفقد الطير ؟ فقال : ما لي لا

أرى الهدهد ، بسكون الياء ، وقرأت: وما لي لا اعبد الذي فطرني ، فاخترت تحريك الياء هنا وما ثم ضرورة إلى تحريكها ، فقال : لان السكون ضرب من الوقف ، فلو سكنت الياء هنا كنت كالذي ابتدأ ، وقال لا اعبد الذي فطرني ، فاخترت حركة الياء هربا من ضرب من الوقف ، وهناك لا ضرورة تؤدي إلى فساد المعنى ، فاخترت التسكين لانه اخف .

قلت : وهذا من ابي عمرو رحمه الله تعالى في غاية من دقة النظر فى المعانى اللطيفة .

حكى صاحب الاغانى قال : صلى الدلال يوماً خلف الامام بمكة ، فقرأ الامام ومالي لا اعبد الذى فطرني ، وسكن الياء ، فقال الدلال : ما ادري والله ! فضحك الناس وقطعوا الصلاة ، فلما قضى الامام صلاته دعا به وقال له : ويلك انت لا تدع المجون والسفه حتى في الصلاة ! فقال له الدلال : كنت عندى على انك تعبد الله فلما سمعتك تستفهم ظننت انك قد شككت فى ربك فثبتك ، فقال له : انا اشك في ربى وانت تثبتني ؟ اذهب عليك لعنة الله .

﴿ فائدة ﴾

قولهم : سيف الفرزدق ، يضربون به المثل للسيف الكليل في يد الجبان واصله : ان جريرا والفرزدق وفدا على سليمان بن عبد الملك فجاء رجل من عبس إلى الفرزدق وكان ممن يتعصب عليه لجرير فقال له ان الخليفة غداً سيأمرك بضرب عنق اسير من الروم ، وقد علمت وان كنت تحسن وصف السيوف ، لكنك لم تعاصم بها ، وهذا سيفي يكفيك منه ضربة واحدة ، فأتاه بسيف كهام ، فقال الفرزدق: ومن انت ؟ قال : انا من اخوالك بني ضبة ، فأخذ السيف ووثق به فلما كان الغد حضر الفرزدق والوفود مجلس سليمان وجيء بالاسرى فأمر سليمان واحد منهم هائل النظر ان يروع الفرزدق ويلتفت اليه ويفزعه ووعده ان يطلقه ، ثم قال

للفرزدق : قم فاضرب عنقه ، فسل الفرزدق ذلك السيف وضرب به ، فلم يؤثر شيئاً وكلح الرومي في وجهه فارتاع الفرزدق وضحك سليمان والقوم ، فقال جرير :

بسيف ابي دعوان سيف مشاجع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الامام فارعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

فاجابه الفرزدق :

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم إذا ثقل الاعناق حمل المغارم

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم ابا كليب او اخاً مثل دارم

لما صار سيف عمرو بن معدي كرب الذي يسمى الصمصامة إلى موسى الهادي دعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدرة ، فقال: قولوا في هذا السيف فبدر ابن مأمين البصري فقال ابياتاً ، منها :

ما يبالي من انتضاه لضرب اشمال سطت به ام يمين

يستطير الابصار كالقبس المشعل ما تستقر فيه العيون

وكأن الفرند والجوهر الجاري على صفحتيه ماء معين

فقال موسى : لقد اصاب ما في نفسي ، واستخفه الطرب فامر له بالسيف والبدرة فلما خرج قال للشعراء : انما حرمتم من اجلي ، فدفع اليهم البدرة ، واخذ السيف فاشتري منه بمال عظيم .

حكى ان عمر بن الخطاب سأل عمرو بن معدي كرب ان يريه سيفه المشهور فاحضره عمرو له فانتضاه عمر وضرب به ، فما احاك فطرحه بين يديه وقال ما هذا بشيء ، فقال له عمرو: يا امير المؤمنين انت طلبت مني السيف ولم تطلب الساعد الذي يضرب به فعاتبه وربما قيل انه ضربه ، وضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان ابن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مغفره فقده على القربوس ، فقالوا : ما اجود سيفك ، فغضب يريد ان العمل ليده لا للسيف .

وذكر المؤرخون أن علياً عليه السلام قتل من الخوارج يوم النهروان الفي نفس

وكان يدخل فيضرب بسيفه حتى ينثني ، ويخرج ويقول : لا تلوموني ولوموا هذا ويقومه بعد ذلك .

وذكر ابن حجر صاحب فتح الباري في التلخيص انه الف وخمسمائة .

ما احسن قول بعض شعراء الاندلس :

فعاقر سيفك حتى انثنى وعربد رمحك حتى انكسر

وكم نبت في حربهم عن علي وناب عن النهروان النهر

ومن ضربات علي عليه السلام المشهورة ضربته مرحباً فانه ضربه على البيضة فقدها وقده نصفين ، وما أحلى قول ابى الحسين الجزار يمدح علي بن سيف الدين قلج بقصيدة منها :

اقول لفقري مرحباً لتيقني بأن علياً بالمكارم قاتله

ومن ضرباته عليه السلام ضربته عمرو بن عبد ود العامري ، وكان جباراً غليظاً عتلا من الرجال ، فقطع فخذه من اصلها ، وترك عمرواً فأخذ فخذ نفسه فضرب بها علياً فتوارى عنها فوقعت في قوائم بعير فكسرتها وما احسن قول عمر بن الفارض:

ذو الفقار اللحظ منها ابداً والحشا مني عمرو وحي

ذكر صاحب الاغاني قال : هوى محمد بن عيسى الجعفري بصبص وطال ذلك عليه فقال لصديق له : لقد شغلتني هذه عن صنعتي وكل امري ، وقد وجدت مس السلو عنها فأذهب بنا حتى اكاشفها فاستريح ، فأتياها ، فلما غنت لهما ، قال لها محمد بن عيسى أتغنيني ؟

وكنت احبكم فسلوت عنكم عليكم في دياركم السلام

فقالت لا ولكني اغني :

تحمل اهلها عني فبانوا على آثار من ذهب العفاء

قال : فاستحى وزاد بها كلفاً فاطرق ، ثم قال : اتغنين ؟

واخضع بالعتبي إذا كنت مذنباً وان اذنبت كنت الذي اتنصل

قالت : نعم وأغني احسن منه :

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله ونُنزلكم منا باقرب منزل

قال : فتقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين ، وما شعر بهما احد .

قلت : هذه بصبص جارية من مولدات المدينة حلوة الوجه حسنة الغناء وهي جارية يحيى بن يعيش ، يقال ان المهدي اشتراها وهو ولي العهد سراً من ابيه بسبعة عشر الف دينار ، فولدت منه علية بنت المهدي .

أنشد الرئيس ابو منصور علي بن صردر في الوزير ابى الفرج بن فسابخس :

وزير رضى من بأسه وانتقامه بطي رقاع حشوها النظم والنثر

كما تسجع الورقاء فوق غصونها وليس لها نهى يطاع ولا امر

قال بعضهم : دخلت مدينة بها غلام حسن فراودته فاجاب ، فلما خلونا ذكرت الله تعالى وانصرفت عما هممت به وامرته بالخروج ، فقال : ادفع لي شيئاً فقلت : ما جرى بيننا ما يوجب العطاء ، فتنازعنا وطال بيننا اللجاج ، فبينما نحن كذلك إذ مر بنا رجل ، فتحاكمنا اليه وحكينا له الصورة ، فقال : حدثني ابى عن جدي عن المزني عن الشافعي انه قال : إذا أغلق الباب وأسبل الستر فقد وجب المهر فاعطه حقه ، قال : فدفعت للامرد درهمين وقلت للرجل اعيذك بالله من قواد ، فما رأيت من يقود على مذهب الشافعي بسند متصل غيرك .

وفي المثل (أقود من ظلمة) بعض الناس يظنه الليل ، من قولهم (فانما الليل نهار الاريب) ومن قولهم : الشمس نمامة والليل قواد ، وليس بشيء وانما اصل المثل انه كان في هذيل امرأة تسمى ظلمة زنت اربعين سنة ، وقادت اربعين سنة فلما عجزت عن ذلك اتخذت تيساً وعنزاً ، وكانت تنزي التيس على العنز ، فقيل لها : لم تفعلين ذلك ؟ فقالت : حتى اسمع انفاس الجماع !

قال الصفدي : وما احقها ان ينشد في حقها :

شيخة الفسق لا تحول عن العهد كما تستبيح ما لن يجوزا

ساحقت طفلة وليطت فتاة وزنت كهلة وقادت عجوزا

وما رأيت من استعمل هذه المادة من الصغر إلى الكبر إلا الذي قال :

حاشا المثلى عن هواه يتوب هو دون كل العالمين حبيب

أهواه طفلا في القماط وامردا وبلحية وإذا علاه مشيب

أخذه الآخر فقال مواليا :

هويت شيخ اسمر أكحل ماله عائب إلا مشيبه وما قلبي بذا تايب

يجي على كل حاله ما يروح خايب امرد معذر منقرش ملتحي شايب

﴿ فائدة ﴾

من الاحياء العالم قسمان مؤمن وكافر ، فالكافر في النار بالاجماع ، والمؤمن قسمان طائع وعاص ، فالطائع إلى الجنة بالاجماع ، والعاصى قسمان عاصي الصغائر وعاصي الكبائر ، فعاصى الصغائر إلى الجنة بالاجماع ، فيسأل ولا يعاقب ، وعاصى الكبائر قسمان مستحل نعوذ بالله وغير مستحل ، فالمستحل في النار بالاجماع ، وغير المستحل قسمان تائب نادم ، ونادم غير تائب ، فالتائب النادم إلى الجنة بالاجماع ، والنادم الذى هو غير تائب قسمان ، مصر وغير مصر ، فغير المصر إلى الجنة بالاجماع والمصر امره إلى الله تعالى ، ان شاء رحمه وان شاء عذبه .

قال الفاكهانى : تأمل تصب والله اعلم .

فلما كان خامس وعشرون من شهر شعبان المعظم عام الف ومائة واحد وثلاثين من هجرة النبي المكرم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وصل الينا في اصفهان من قزوين اميرالحاج السيد مصطفى من صوب باشه بغداد حسن باشا ، وفي سادس وعشرين من الشهر المذكور دارت ناقة الحاج باصفهان ، وكيفية ذلك انهم يشدون المحامل ، ويسمونها الكجاوات على ظهور الجمال ، ويركبون فوقها الاطفال ، وكلهم لابسون الاحرام ورافعون اصواتهم بالتلبية لرب الانام يحثون الناس لحج البيت الحرام

فيحصل الشوق للحج ويهرع الناس ، من كل فج ، ويركب ذلك اليوم الامير ويطوف في البلاد بموكب كبير ، فمن اشتاق لزيارة رسول الله وحج بيته أخوة الامير الذي انا نازل في بيته ، وهما الامير المكرم محمد جواد بيك ، والامير المعظم احمد بيك وكان قد صارت بيني وبينهما الفة ومصادقة ، فلم يستطع قلبي بعدهما حمل اعباء المفارقة ، وكنت ذات ليلة باصفهان وأنا بين النائم واليقظان إذ سمعت هاتفاً ولم أر شخصه في المكان ، وهو يقول لي انتبه من نومة الغفلة والنسيان واقصد مكة فان حبها من الايمان فعزمت حينئذ مع الاميرين المذكورين على المسير ، وتوكلت على اللطيف الخبير ، واشتقت إذ ذاك إلى الاوطان وتجديد العهد بالاهل والأخوان :

وحبب اوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنا لكا
إذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

فائدة

القوة المتخيلة لا يختص فعلها باليقظة دون المنام ، بل تفعل في النوم اقوى لانها لا تحتاج إلى تحريك البدن، وانما تستعمل عين الروح النفساني المتكون في البطن المقدم من الدماغ وهو لا يتحلل بالاستعمال ، فلهذه القوة المتخيلة قادرة على افعالها في جميع الافعال ، إلا انها لا تتصور الاشياء باختيارها لانها ليست قوة ارادية ، وانما في اليقظة ، كانت القوة الاختيارية تصرفها على حسب اختيارها ، وإذا اتى النوم اتى امر آخر واضطرها إلى افعالها ، وذلك الامر لا يخلو من احد اربعة امور ، الأول : ارتسام صورة المحسوسات التى ادركتها الحواس في ذلك اليوم في الخيال ، فاذا نام الانسان تصرفت القوة المخيلة في رسوم الصور لقرب عهدها بها ويسمى هذا اتصال الحس بالخيال ، وعكسه اتصال الخيال بالحس كالاحلام وكمن يرى انه يأكل شيئاً في النوم فيستيقظ وطعمه في فه ، الثاني : ان تنظر القوة

الفكرية في أمر من الأمور مثل سفر او ملاقاة صديق او رجاء اوخوف واستخدم الخيال في احضارها صورها ، وبقيت تلك الصورة في النوم ، فتصرفت القوة فيها وفي معانيها ، وتسمى حديث النفس ، وعده بعضهم ضربا من الوسواس . الثالث ان يتغير المزاج من الروح الذي هو محل القوة ، فتختلف افعالها بحسب تغيره ، فان غلب على مزاجها الحرارة رأت الحمام والشمس والنيران وما اشبه ذلك وهي طبيعة الصفراء ، وان غلب على مزاجها البرودة رأت الامطار والسيول والبحار والثلوج وما اشبه ذلك وهي طبيعة البلغم ، وان غلب على مزاجها الحرارة المعتدلة رأت المطاعم الحلوة والالوان المصبغة والملاهي والحجامة والفصد وما اشبه ذلك ، وهي طبيعة الدم ، وان غلب على مزاجها البرودة واليبوسة ، رأت المخاوف والظلمات والسواد وما اشبه ذلك ، وهي طبيعة السوداء ، وان غلب على مزاجها الخفة رأت الطيران والظفر والعدو وما اشبه ذلك ، وان غلب على مزاجها الثقل رأت الاحمال الثقيلة والاشخاص والانضغاط وما اشبه ذلك ، وان غلب على مزاجها الاعتدال في الاخلاط رأت الرياض والرائحة الطيبة وماشبه ذلك ، وان غلب على مزاجها عفونة الاخلاط رأت الاماكن القـذرة والرائحة المنتنة وما اشبه ذلك ، وعلى الجملة فاذا خرج مزاج الروح الحامل للقوة المخيلة عن الاعتدال رأت المنامات المذطربة بغير نظام لان المزاج لا يثبت على حالة واحـدة ، وهذه من اضغاث الاحلام ، فما تعلق من الرؤيا بهذه الاضغاث لم يكن له تعبير ، وقل ان تصدق رؤيا الشعراء لانهم يستعملون قوتهم المخيلة في اليقظة كثيراً لما يحاكونه في معاني التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك ، والرابع : ما يفيضه واهب الصور على القوة المخيلة حال النوم بمثال تدركها النفس وعلم تعبير الرؤيا تطبيق تلك المثل على ما قصد بها ، وربما القي صريحاً ذلك بغير مثال فيستغنى عن التأويل ، وتسمى رؤية المثل بالمثل .

فمن ذلك المرائي التي ذكرها جالينوس في كتابه حيلة البرء ، ومنامات الشيخ محيي الدين عربي التي ذكرها في ضمن كتابه الفتوحات المكية .

وما احسن قول القائل :

له آمر بالرشد في يقضاته وفي النوم يهديه لخير الطرائق
فان قام لم يدأب لغير فضيلة وان نام لم يحلم بغير الحقائق

وما أليق هذا بجناب النبي ﷺ فانه كان في مبدأ الأمر قبل النبوة لا يرى الرؤيا إلا جاءت كأنها فلق صبح .

واعلم ان القوة المتخيلة لاتستقل بنفسها في رؤية المنام ، بل تفتقر إلى رؤية القوة المفكرة والحافظة وسائر القوى العقلية .

فمن رأى كان اسداً تخطى اليه وتعطى ليفترسه ، فالقوة الفكرية تدرك ماهية سبع ضار والذاكرة تدرك افتراسه وبطشه ، والحافظة تدرك حركاته وهيآته والمخيلة هي التي رأت ذلك جميعه وتخيلته .

واعلم ان المنامات التي تحتاج إلى التعبير هي الرؤيا التي تكون من الله تعالى أما بشارة اونذارة لطفاً من الله تعالى ليتنبه الانسان لما يحدث في المستقبل. ولهذا ورد عن النبي ﷺ انه قال : لم يبق من الوحي إلا الرؤيا الصادقة .

وقال ﷺ الرؤيا الصادقة جزء من اربعة وستين جزأ من النبوة .

وفسر ذلك القاضي عياض رحمه الله تعالى بأن قال ما معناه ان مدة ما كان النبي ﷺ يتعبد بجبل حراء قبل النبوة يكون قدر جزء من اربعة وستين جزء من مدة النبوة ، وهي احدى وعشرون او ثلاث وعشرون ، اوخمس وعشرون سنة.

قال الصفدي : أصح الاقوال انه عاش ﷺ ثلاثاً وستين سنة ، وانه نبيء على رأس الاربعين سنة ، فمدة النبوة ثلاث وعشرون سنة ، وثبت انه كان يوحى اليه مناماً قبل البعثة ستة اشهر ، وهي نصف سنة ، فاذا نسبنا ستة اشهر من ثلاث وعشرين سنة كان جزء من ستة وأربعين ، وهو كما جاء في اشهر الاقوال .

واعلم ان السبب في تأخير تحقيق المنامات الجيدة وسرعة تحقيق المنامات الرديئة هو ان القوة الالهية المظهرة لهذه المنامات تعجل البشارات بالخيرات الكائنة قبل

اوانها بمدة طويلة فتكون مدة الفرح والسرور اطول فتكون النفس المغتبطة بالبشارة مرتاحة بتوقع وصولها قبل حصولها ، وتوجب الانذار بالشرور الكائنة في زمان يقرب حصولها ليقصر زمان الهم والغم ، وكثير يشعر بالهم ، ولا ينذر به إذا لم يكن للانسان منه اشفاق عليه لئلا ينضاف إلى ذلك الشر الهم الحاصل من الشعور بحصوله وليس حصول الشر سريعاً ، وحصول الخير بطيئاً من القواعد المطردة .

قيل لجعفر الصادق عليه السلام كم تتأخر الرؤيا؟ فقال: رأى النبي صلى الله عليه وآله كأن كلباً ابقع يلغ في دمه ، فكان شمر بن ذي الجوشن لعنه الله قاتل الحسين عليه السلام وكان ابرص وكان تأخير الرؤيا خمسين سنة .

وقال بعضهم تتأخر الرؤيا إلى عشرين سنة فان يوسف عليه السلام انما رأى تأويل رؤياه بعد عشرين سنة .

قال الرئيس ابو علي بن سينا في كتاب الشفاء : والصبي لا يحلم حلماً يعتد به إلا بعد اربع سنين . ومن الناس من لا يحلم إلى ان يسن ، ومنهم من لا يحلم البتة ، ثم قال في اثناء كتابه ويضحك الصبي بعد اربعين يوماً ، وذلك اول ماتفعل النفس الناطقة في بدنه ، ويرى المنامات بعد شهرين فيما يظن به وينساها لانه في مثل ذلك الوقت بالتقريب ، وتختلف عنده المحسوسات ويميز بينها وترتسم في خياله .

وقال ايضاً : كل حيوان دموي مشاء فانه ينام ويستيقظ ، وكل ذي جفن فانه يطبقه عند النوم ، وقد يحلم غير الانسان من ذوات الاربع ، ويظهر ذلك من شمائلها وحركاتها واصواتها ، انتهى .

يقال من انكد الوجود أن الانسان يرى في منامه انه وجد مالا أو اصاب جواهراً أو ظفر بخير ، فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئاً ، وربما يرى انه قد احدث في سراويله او في فراشه ، فاذا انتبه رأى ذلك يقيناً ، قال الشاعر :

أرى في منامي كل شيء يسوءني ورؤياي بعد النوم ادهى واقبح

فان كان خيراً فهو أضغاث حالم   وان كان شراً جاءني قبل اصبح

ومثله قول ابي العلا المعري :

إلى الله اشكو انني كل ليلة   إذا نمت لم اعدم خواطر اوهام
فان كان شراً فهو لا بد واقع   وان كان خيراً فهو اضغاث احلام

وقال الاحنف العكبري :

واحلم في المنام بكل خير   فاصبح لا اراه ولا يراني
ولو ابصرت شراً في منامي   لقيت الشر من قبل الأذان

ما ارق قول القائل :

وزارني طيف من اهوى على حذر   من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحاً   وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيلني   نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

دخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوماً على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص الشاعر ، فقال : قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لأني قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير : ما هما ؟ فأنشده :

زار الخيال بخيلا مثل مرسله   فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط إلا كي يدافعني   عن الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه ؟ فقال : ان اعادهما سمع لهما ثالثاً ، فأعادهما ، فقال الحيص بيص :

وما دري ان نومي حيلة نصبت   لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل

ومن نوادر الخيال حكى ان بعضهم كتب إلى امرأة كان يهواها مري خيالك ان يلم بي في المنام ، فكتبت اليه تقول ابعث لي بدينارين حتى اجيء اليك بنفسي في اليقظة .

ومن هذا ماحكى ان بعض البخلاء كتب إلى غلام يهواه (وضعت على الثرى

خدي لترضى) فكتب اليه الغلام يقول : ابعث إلي ديناراً حتى ادعك تضع خدك على خدي .

وقيل: ان بعض المغفلين تعب في تحصيل من كان يهواه ، فلما كان ذات يوم حصلت عنده فوضع رأسه في حجرها ونام ، فقالت له : لاي شيء تفعل هذا ؟ فقال : من عشق فيك انام ، لعلي ان ارى خيالك في المنام .

ما احسن قول السراج الوراق :

فسر لي عابر مناماً   فصل في قوله واجمل
وقال لا بد من طلوع   فكان ذاك الطلوع دمل

قال الشريف الرضي الآتي ذكر ترجمته ان شاء الله تعالى من ابيات :

سلبت عظامي لحمها فتركتها   عواري في اجلادها تتكسر
واخليت منها مخها فتركتها   انابيب في اجوافها الريح تصفر
خذي بيدي ثم اكشفي الثوب تنظري   ضنى جسدي لكنني أتستر
وليس الذي يجرى من العين ماؤها   ولكنها نفس تذوب فتقطر

أقول : وقد ضمن بعض المتأخرين البيت الثالث في الفانوس فقال :

يقول لي الفانوس حين رأيته   وفي قلبه نار من الوجد تسعر
خذوا بيدي ثم اكشفوا الثوب تنظروا   ضنى جسدي لكنني اتستر

ولبعضهم في الفانوس ايضاً :

انظر إلى الفانوس تلق متيما   ذرفت على فقد الحبيب دموعه
أحيا لياليه بقلب مضرم   وتعد من تحت القميص ضلوعه

قال في الكشكول: من تضمين البيتين ما يحكى عن الحيص بيص الشاعر وقد خرج بعض الليالي من عند الوزير ابن هبيرة والسكر قد غلب عليه ، فنبح عليه جرو كلبة فوكزه بالسيف فمات ، فأخذ بعض الشعراء الكلبة وعلق على رقبتها

رقعة وأطلقها عند باب الوزير المذكور فأخذت الرقعة فاذا فيها مكتوب :

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى ‏ ‏ بجرأة ألبسته العار في البلد

أبدى شجاعته في الليل مجترئاً ‏ ‏ على كليب ضعيف البطش والجلد

(قلت) : وهذا البيت أيضاً من جملة هذه الابيات ولم يذكره صاحب الكشكول وهو :

وليس في يده مال يديه به ‏ ‏ ولم يكن ببواء عنه في القود

يقال دم فلان بواء لدم فلان اذا كان مكافئاً له ، وهو بالباء الموحدة على وزن سواء في معناه وأيضاً لم يذكر صاحب الكشكول إسم ناظم الأبيات ، وهو ابو القاسم عبد الله بن الفضل القطان البغدادي ، تتمه الأبيات :

فأنشدت أمه من بعدما احتسبت ‏ ‏ دم الابيلق عند الواحد الصمد

أقول للنفس تأساء وتعزية ‏ ‏ احدى يدي أصابتني ولم ترد

كلاهما خلف من بعد صاحبه ‏ ‏ هذا أخي حين ادعوه وذا ولدي

قال صاحب الكشكول : والبيتان الاخيران لامرأة من العرب قتل اخوها ابنها .

(قلت) : قد اشتبه على صاحب الكشكول رحمه الله تعالى في هذين البيتين أنهما لامرأة من العرب وانما هما لقيس بن عاصم المنقري سيد الاوبار هكذا رأيته في شرح البسامة .

(روي) ان الاحنف بن قيس قيل له ممن تعلمت الحلم ، قال من قيس بن عاصم المنقري وذلك انه كان يوما محتبيا في نادي قومه يتحدث اذ اتى اليه بغلام مقتول وآخر مربوط فقيل له قتل اخوك ولدك فقال لهم اذهبوا باخيكم المقتول فواروه واطلقوا عن اخيكم الآخر رباطه ورجع الى اصحابه يتحدث معهم وما نقص له حبوة ولا تغير له وجه ثم انشأ يقول ، اقول للنفس تأساء وتعزية ، الخ

ومن شعر قيس بن عاصم المذكور قوله :

اني امرؤ لايعتري خلقي ‏ ‏ دنس يفنده ولا افن

من منقر في بيت مكرمة والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه مصاقع لسن
لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحق جـــواره فطن

(ترجمة) : صاحب العلم والسيف ، حامي الجار ومقرى الضيف ، السيد الشريف ، الايد في اكتساب المجد المنيف ، صاحب الفضل والذكر الحسن ؛ مقلد أعناق الرجال بالمنن ، مولانا السيد شبير بن مبارك بن فضل بن مسعود بن الشريف حسن ، لازال رافلا في برود النعيم ، بين الحور والولدان مع اجداده ذوي البرهان في جنات النعيم ، درة تاج بني الحسن وباقعة ذوي البلاغة واللسن ، أديب لانت له المعاني الصعاب ، كما لان الحديد لداود الأواب ، وسخرت له قوافى الموشحات كما سخرت الريح لسليمان فهي تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، فهو نبي الأدب بلا ارتياب ، وكريم أريحي لايقاس بندى راحته البحر .

ومن قال ان القطر والبحر اخلفا نداه فقد اثنى على القطر والبحر

كان مقيما بالطائف ، كهفا للملتجي والخائف .

كان ركناً للمؤمنين وغوثاً لليتامى وملجأً للعديم

يقصده العفاة من كل مكان ، كالبيت ذي الاركان .

هكذا هكذا وإلا فلا لا طرق الجد غير طرق المزاح

ثم انه مازال ذلك الجناب المحفوف باللطائف ، تارة يقيم بمكة وتارة بالطائف .

هو غيث بالعطايا هاطل حيث ما صرفه الله انصرف

إلى ان ناداه الى قربه رب الارباب ، فلباه واجاب ، وكانت وفاته بمكة المشرفة ليلة الاثنين ثالث وعشرين من جمادي الاولى عام ألف ومائة وثمانية وثلاثين وخطب عليه الرئيس من أعلى المقام على سالف آبائه واجداده الكرام ، ودفن بالمعلاة الى جنب مقبرة جدي مقابل خديجة الكبرى رحمه الرحيم الرحمن ، واسكنه بحابيح الجنان ، وله الموشحات الرقيقة البديعة الانيقة ، منها هذا الموشح الفريد ،

الذي تتحلى به الغيد كالدر النضيد ، وهو :

صاحب الزمام أبو سته مشالى في الورش امام لربات الحجال
حالى الوشام نشر فى الحب اعلام قد حوى نظام يبارز كل من رام
حانى الجميد صدوده والرضا عيد منية العميد غزيل صاد ما صيد
ريم في العقيق حكى البدرين تحقيق كيف انا افيق وسكرى خمرة الريق

﴿ توشيح ﴾

﴿ عذب اللمى وردي الخدود سبي برمان النهود فريد في هذا الوجود ﴾
حدت له وحيد مظفر سار الجيد قلت له أريد أزورك قال ما اريد
فيه خصلتين وقاه الله من شين مايفى بدين ووعده في الرضى مين
قط ما عدل ولا يصغي لعذل ان عتبت مل وان اعرضت يزعل
في الدلال تاه فوا شوق للقياه آه ثم آه يجافيني وأرعاه

﴿ توشيح ﴾

﴿ في البعد والقرب سوا ماقط يوما ارعوي ولا سمح لي بالدوا ﴾
مترف الحشا اشا وصله واخشى قول من وشى وللأسرار افشى
قل لمن نشر اسلوانى واشهر حقق الخبر بأنى رق الاخضر
اشهر الخطاب ولا تخشى العتاب ان ذا صواب ولا تنظر لمن عاب
فالورش حكم بملكى له واحكم لا تقل ظلم فمدلي عنه اظلم

﴿ توشيح ﴾

﴿ فلو تراني يا عذول لكنت تترك ما تقول لما بدا مرخى السدول ﴾
جادل الحبش لمقل الصب ادهش مر واحترش بسيف اللحظ ارهش

قلت له امان ولك نهدين رمان كافيه ظمان وقاها الله ما شان
فالتفت بجيد وقال يا مبتلي حيد أنت ماتريد فقلت العفو ياسيد
قال مادهاك فقلت أسهام عيناك كنت أنا فداك اصابت قلب مضناك

﴿ توشيح ﴾

(أبو ثمان مرهفات تملك الست الجهات وقال لي مابات فات)
صرت في ذهول فهل تسمع ما أقول لاتقل فضول فما أبقيت معقول
من أحل لك دمي يامن تملك ان من ملك ترفق أين عدلك
عند ما ابتسم عن الدر المنظم بعد ما انتقم سمح بالوصل وانعم
جاد بالوصال وزال القيل والقال بت في مجال فلا تسأل عن الحال

﴿ توشيح ﴾

(مت بغيظك والعنا ياواشياً ذنبي جنى فالسعد حظي والمنى)
بت في نعيم مشاهد وجه بدري وهولي نديم وثغره كأس خمري
قال لي وقد تثنى مائس القد حاسدك رقد دعه لازال مكمد
فأحمد الاله على فوزي بلقياه واشهر الصلاه على طه وابناه
ما اضا صباح وماهبت لنا ارياح صبح اورواح وما قرى المناصاح

وقوله هذا الموشح ، الذي هو بانواع اللطافة موشح ، وهو :

سامك النهدين تايه في صباه قد حوي راحا وشهداً في شفاه قد حماه
آه واشوق الى بارد لماه
ان تثنى يخجل الغصن الرطيب او بسم فالدر من ذاك الشنيب الحبيب
في خديه ورد اعيا ني جناه
مذ خطر في ادرنى وردي رقيق صحت من وجدي ممناك الغريق مايفيق
في بحار العشق هجرانك رماه

فالتفت نحوي ولم يبدي ابتسام   لا ولا ابرد ناري بالسلام   واستقام
قال يهزو بي خطابك من عناه

قلت يامن حل مني في الحشا   يا اخا البدرين قل لي ما تشا   يا رشا
فعذولي فيك ابلغته مناه

يا عذولي ما الذي اغراك بي   انت لاشك بأحوالي غبي   والنبي
فا تئد ترك غرامي لا اراه

انا من سكر غرامي لاعي   وعن المذال صم مسمعي   لا دعي
قيس دوني في زماني وعناه

قسماً بالله رب العالمين   وبطه سيد الرسل الأمين   يا ضنين
مغرمك ماحل غيرك في حشاه

ان حبك صار نخري في الانام   وسلوي عنك يا بدري حرام   والامام
من بطه وبه نرجو النجاة

يا شفيعي يا نبيّ الثقلين   يا ابا الزهرا وجد الحسنين   بالحسين
واخيه وبنيه اوصياه

كن شفيعي من ذنوب اثقلت   كاهلي يامن به الدنيا حلت   وعلت
أمة نالت من الباري رضاه

لا تقل عاص فاني عاصيا   غير اني لنجاتي راجيا   راميا
حمل أوزاري على منهى الشكاه

صلوات الله تغشى المصطفى   ما سعى لله ساع بالصفا   والوفا
وببيت الله طافت عتقاه

وعلى الآل وصحب راشدين   من بقول المصطفى مستمسكين   قائمين
بحقوق الله ما قامت صلاه

﴿ فائدة ﴾

قال العلامة السيد محمد كبريت المدني في رحلته : سبب قيام آل عثمان عند ضرب النوبة ان السلطان علاء الدين السلجوقي لما شاهد عزم السلطان عثمان وعلم قابليته في فتح اطراف تلك البلاد اكرمه وامده وبعث اليه الراية السلطانية والطبل والزمر ووسمه باسم السلطنة تقوية ليده وشد العضد ، فلما وصل اليه ذلك وضربت النوبة بين يديه قام عند أول سماعه لها على قدميه ، تعظيما لذلك فهم يقومون عند ضرب النوبة احياء لتلك السنة انتهى .

وفي سنة ثلاث وألف توفي السلطان مراد بن السلطان سليم بن السلطان سليمان بن السلطان سليم بن بايزيد خان بن محمد خان بن مراد خان بن محمد خان بن يلدرم بايزيد خان بن مراد خان بن أورخان بن عثمان الغازي وهو الذي ينسبون اليه وأصله من التتار وهو أول من ولي منهم سلطنة الروم سنة تسع وتسعين وستمائة ومات سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، ثم ولي ولده اورخان ومات سنة احدى وستين وسبعمائة ، ثم ولي ولده مراد خان واستشهد سنة اثنين وتسعين وسبعمائة ، ثم ولي ولده يلدرم بايزيد خان ، وهو الذي حارب تيمور لنك الذي أهلك الحرث والنسل وحبسه ومات سنة خمس وثمانمائة ثم ولي ولده محمد خان سنة ست عشرة وثمانمائة بعد حروب بينه وبين اخوانه وهو الذي خرج عليه بدر الدين بن سماوية فقتل من مريديه نحو ثلاثة آلاف وحبس بدر الدين وكان يرمى بسوء العقيدة ، وله كتب تشير الى ذلك ، ثم قتله وصلبه فسكنت الفتنة ومحمد خان هذا أول من حمل الصر لأهل الحرمين وتوفي سنة خمس وعشرين وثمانمائة وولي بعده مراد خان وجلس على التخت سنة ست وخمسين وثمانمائة وافتتح القسطنطينية الكبرى سنة سبع وخمسين وثمانمائة ومات سنة ست وثمانين وثمانمائة ، ثم ولي ولده بايزيد خان ومات سنة ثمان عشرة وتسعمائة ، ثم ولي ولده السلطان سليم خان ، وهو أول من ارسل صدقة

الحب من بني عثمان ، وأول من ملك الشأم ومصر والحجاز ، وتوفي سنة ست وعشرين وتسعمائة ، ثم ولي ولده السلطان سليمان خان وتوفي سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، ثم ولي ولده سليم خان وتوفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ، ثم ولي ولده السلطان مراد خان وكان مولده سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ، وولي السلطنة لعشر خلون من رمضان سنة اثنين وثمانين وتسعمائة ، وسنه يومئذ ثلاثون سنة ، وكان ملكا هماما ، واسداً ضرغاما ، وسيفاً صمصاما ، وبحراً قمقاما ، كم شيدالعلوم من مدارس ، واحيا لها من معالم وآثار دوارس ، اتم بناء الجانب الغربي واليمانى من المسجد الحرام ، وارخ ذلك بعض الفضلاء بقوله :

جدد المسجد الحرام مراد   دام سلطانه وطال اوانه

وكان ابوه ابتـدأ في عمارة المسجد في سادس جمادى الاولى سنة ثمانين وتسعمائة وعمل الجانب الشرقي والشمالي واتم مراد عمارته في اواخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة ومدحه جماعة من الشعراء والأدباء ، وتشبث به الفصحاء والبلغاء ، ومدحه القطب الحنفي بقوله :

ان سلطاننا مراد لظل الله في الارض باهر السلطان
ملك صار من مضى من ملوك الارض لفظا وجاء عين المعانى
ملك وهو في الحقيقة عندى ملك صيغ صيغة الانسان
ملك عادل فكل ضعيف وقوى في حكمه سيان
سيفه والمنون طرفا رهان لحلوق العدو يبتدران
كل المسجد الحرام بناه فاق في العالمين كل المباني
هكذا هكذا وإلا فلالا انما الملك في بنى عثمان

وكان كثير الخير باذل الاحسان لاسيما لأهل الحرمين الشريفين ، واقفا عند الشرع فلا يتعداه ، عاملا في اموره بتقوى الله ، مراعياً للعدل والفضل فيما استرعاه ولم يزل يعمل الخيرات في السر والعلن ، الى ان رحل عن اوطانه وظعن ، وتوفي

لست عشرة مضت من جمادى الاولى ورثاه جماعة من الفضلاء منهم الاديب أحمد المرجوشي المصري بقوله :

تمايل من قبر الصلاح مشيد بموت شهنشاه الملوك مراد
فلم يبق في تلك الممالك مالكا مراد الورى من بعد فقد مراد

ثم أقام بالملك بعده السلطان محمد خان .

« فلما » عطس أنف الصباح ، ونادى منادي الصبوح يحي على الاصطباح ، عن خامس عشر شهر رمضان ، عام ألف ومائة واحد وثلاثين من هجرة ذي الدلائل والبرهان ، خرجنا من اصفهان ، الى خان السلطان ، مع الاميرين المذكورين لازالا في نعمة وقرة عين ، وأقمنا به ثلاثة ايام ، بأهنأ عيش مدام ، ففي ثامن عشر ، من هذا الشهر ، عزم أمير الحاج على المسير ، وضرب الطبل ونقر النقير ، فتوادعنا مع الاصحاب ورحلنا متوكلين على رب الأرباب .

اذا دناك الوداع فاصبر ولا يروعنك البعاد
وانتظر العود من قريب فان قلب الوداع عادوا

فعدنا الى مكة من الطريق التي أتينا منها ولم نزل في حط وشيل ، آناء النهار واطراف الليل ، الى ان أتينا ارض لينة ، وهي من اراضي نجد الامينة ، وبها آبار كثيرة بالعذوبة مشهورة وكلها من الصخر منقورة ، سمعت من بعض الاجواد ، انها من عمل قوم عاد ، فتنزل كل فرقة من الحجاج على بئر منها وكان قد نزل على بئر من تلك الآبار ، السيد الشريف سامي المقدار من هو بالاوصاف السليمة حري ، ومن الاخلاق الذميمة بري ، مولانا الشريف حرشبير بن سعيد الشنبري فأتى بعض اجناد الامير ، قصداً لسقاية من تلك البير ، فلم ترض عبيد مولانا الشريف بالغلب ، ومنعوهم عن النزول على الجب ، فلم يسمع الجند لهم كلام ، وآل أمرهم الى الحرب والكلام ، فاقتتلوا ساعة ، والشجاع أسفر وجهه وارخى الجبان قناعه .

اذا المرء لم يكرم صديقا ولم يهن عدواً ولم يبرز لقوم يحاربه

فذاك الذي ان عاش لا أسفا به وان مات لاتبكي عليه أقاربه

فجرح العبيد اثنين من الاتراك ، وأوقعوهما في الهلاك وجرح الترك أربعة من العبيد وطرحوهم على الصعيد ، فلما حمى الوطيس ، وتقابل الخميس مع الخميس دخل بينهم الجلدارية ، وفصلوا تلك القضية ، التي آل آخر أمرها الى نهب الحاج بأسره وحلول الرزية .

عواقب البغي لها مصرع ينزل السلطان عن عرشه

فركب الشريف وسار الى الامير يشكو اليه الحال ، ويحذره عاقبة المآل ، فما أجابه الامير سوى ان قام بالبتار ، يريد قتل الشريف نسل الاطهار ، فدخل الناس بينهم ، بعد ماخلنا ان قد قرب بينهم ، فحين رأى الشريف من الامير وجنده ما هالهم ، أسرها في نفسه ولم يبدها لهم ،

لا تأمنن فتى أسكنت مهجته حرآ وتزعم ذاك الحر قد بردا

فلم نزل نحث النوق ، ونجد في السوق ، الى أن اتينا ياإخوان على وادي مران ، وهو ميقات الحاج العراقي المشهور بالعقيق فنزل الحاج هناك وخيم ، واغتسل وصلى ولبى وأحرم ، فلما كان عصر ذلك اليوم وصل الينا من مكة المشرفة السيد الشريف الانجد ، زيد بن أحمد نجل صنو الشريف شبير المذكور وكان قد أرسله الشريف يحيى بن بركات ، لاستقبال الحج وحفظه من الآفات ، وله شيء من الحجاج لم يحضرني كم مقدره فنزل على عمه ، فرآه غارقا في بحر غمه ، فسأله عن الخبر ، وما سبب هذا الغم والكدر ، فأخبره عما صنع الامير ، حين وثب عليه والحسام في يده شهير ، فثارت عند سماعه لهذا الخبر شرارة الفتنة ، واضمر أن يوقع الامير في اضيق المصيبة وأوسع المحنة ، وكنت قد ذكرت في أول الكتاب ، ما اتفق ليوسف باشا حاكم الحلة من الطعان والضراب ، مع عتيبة انجس الاعراب ، وسدوا المضيق بالاحجار على الحاج والاحطاب ، وهو الريع الذي صار سائقاً فيه الحرب ، ووقعت العرب في القتل من أيدي عسكر بغداد والنهب ، فرصدوا

الحاج على قلل تلك الجبال ، وهم في عدد الحصى والرمال ، وعزموا على نهب الحاج وقتل الأمير ، وأضمروا لعسكر بغداد البلاء الخطير ، فأرسل اليهم السيد زيد بن أحمد ، واخبرهم عماله من مقصد ، وانهم يحفظون نساءهم وأطفالهم في البيوت ، ويصلون من ليلتهم الى ريع المنحوت ، وهو ريع بطريق الطائف صعب الطريق ، في غاية الضيق ، وأمرهم بنهب الحاج بأسره ، وقتل الامير أو أسره .

فما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وقد تمت على الحاج هـــذه الحجة ، في السابع من ذى الحجة ، والناس في بكاء وضج وعج ونج خيفة من أن يفوتهم الحج ، فسار السيد زيد بن أحمد الى الامير ، وأخبره عن جميع عتيبة الغفير وانه لاسبيل له الى المسير من ذلك الطريق ، وضمن له انه اذا سار من طريق ريع المنحوت دخل مكة ثامن ذي الحجة بلاتعويق ، فاستصوب رأيه الامير ، ولم يدر ماخبىء له من البلاء الكبير ، فلم نزل نحث العيس ، ظناً بأن ليس هناك تدليس ولا تلبيس ، فوصلنا ريع المنحوت في ثامن ذى الحجة عند الزوال ، واذا بعرب عتيبة كالجراد المنتشر على رؤس تلك الجبال فحين شاهد الامير ماحل به وبا لناس من البلاء ، وعلم انه قد صار مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، جم اذ ذاك الجمود ، وأمرهم على الجبل بالصعود .

أى يومي من الموت أفر يوم لم يقدر أم يوم قدر
يوم لم يقدر لا أحذره وعن المقدر لاينجو الحذر

فوقع الرمي بالرصاص ، وتيقن الجبان أن لاخلاص ، ولم يزالوا في كر وفر ، وقال الشجاع اليوم لا مفر ، الى ربك يومئذ المستقر ، وقد حل با لامير وجنده الثبور والويل الى أن ولى جيش النهار واقبل جيش الليل ، فنزلت الاعراب حينئذ من فوق الريع ، ونهبت الحج نهباً شنيع ، وقتلت الاتراك قتلا ذريع ، وما ابقت على كبير ولا صغير ، ولا غني ولا فقير ، ونهبت كل ماكان للامير من متاع ، وشاع القتل في الحاج وذاع ، وتفرقت الناس بين تلك الجبال ، وتاهت في التلول

والرمال ، فما وصلنا أرض السيل ، إلا بعد زام من الليل ، وكانت لنا ليلة يالها من ليلة لم تذق أعيننا فيها الهجوع ، أمر من ليلة الملسوع فأنخنا بأرض السيل ساعة الى أن وصل الينا المقاطيع ، بعضهم يستطيع المشي والبعض لا يستطيع ، ثم انا توكلنا على الله ، ورحلنا قاصدين بيت الله ، في نصف الليلة التاسعة من ذي الحجة الحرام ، وردنا البيت الحرام ، فأتينا على الابطح وأنخنا الركاب هناك ، والكل منا قـــد أشرف على الهلاك ، ووصل الينا في تلك الساعة أخي الشقيق الشفيق وعضدي القوي وركني الوثيق ، السيد سليمان بن علي نور الدين ، عليه رحمة الله رب العالمين وحشره في زمرة اجداده الاطهار ، الميامين الابرار ، فانه توفي في غيبتي بأرض الهند عام ألف ومائة وأربع وثلاثين .

(وقلت) راثياً له حين بلغني خبر موته :

الا ان هـذا الخطب للقلب صدعا ... وواصل من عيني ماعشت أدمعا
لقد دك في هذا المصاب تصبري ... ولو حل با لطود المظيم تصدعا
فما بعد هذا الرزء في العيش لذة ... وما أنا راج بعد ذاك تمتعا
فجعت بصنو كان في الدهر عاضدي ... فما مثلنا في مثله قط أفجعا
فيا ليتني أصممت قبل أفوله ... وأذني لا تصغي لناعيه اذ نعى
فيا أيها الصنو الذي حل مهجتي ... وسار لقد خلفت قلبي موجعا
ويا شامتا با لموت والموت خلفه ... فلا بد يوماً أن تجيب اذا دعا
أما نحن أغراض العوارض والردى ... أما الموت مثل السهم يأتيك مسرعاً

فسرت معه الى البيت واجتمعت بالأهل والاخوان ، والاصحاب والجيران .

لئن عاد جمع الشمل في ذلك الحمى ... غفرت لدهري كل ذنب تقدما

ثم اني خرجت من البيت ، ودخلت الى البيت ، فطفت وسعيت ، فلما أضاء نور الصباح ، وأشرقت الشمس على الروابي والبطاح ، عن تاسع ذي الحجة الحرام ، أعلنا بالتلبيات ، وصمدنا الى عرفات ، فوقفنا مع الناس ، وطلبنا الغفران من رب الناس.

لو تنظر العلمين وقت عشية　　والركب منتشر كنشر جراد
حجوا وقد بلغوا جميع مرادهم　　وأنا حججت وما بلغت مرادي
يارب أنت وصلتهم وقطعت بي　　فبجاههم يارب فك قيادي

ثم نفرنا عند الغروب ، وشكرنا علام الغيوب ، فأتينا مزدلفة فبتنا بهـــا ولقطنا منها الجمار وأقمنا فيها الى ان أشرق النهار ، فرحلنا منها واتينا منى ، وقد بلغنا المنى .

لله ما احلى المقيل على منى　　في يوم عيد اشرف الاعياد

فأقمنا بها ثلاثة ايام الاعياد ، ثم رحلنا الى مكة اشرف البلاد ، وقد قضينا بحمد الله جميع المناسك المفروضة في الكتاب ، والتقينا بالأهل والاحباب ، و كسوت اهلي الفخر كسوة فان لهم بي اسوه ، واصلحت لهم من فضل الله جميع الاحوال ، وأقمت معهم في أمتع حال ، والحمد في كل حال ، للكريم المتعال .

﴿ فائدة ﴾

الجامع الازهر بمصر هو أول مسجد أسس با لقاهرة أنشأه القائد جوهر الصقلي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وما أحلى ماقال من قال :

هويت مصريا غدا قاهراً　　بصارم من لحظه يشهر
أزهر وجه وغـدا جامعا　　للحسن فهو الجامع الازهر

ثم جدده الحاكم بأمر الله ، وجعل عليه أرقاما وكان به طلسم فلا يسكنه الطير .

﴿ فائدة ﴾

علم الطلسمات : علم يتعرف منه كيفية تمزيج القوى العالية الفعالة بالسافلة المنفعلة ليحدث عنها أمر غريب في عالم الكون والفساد واختلف في معنى طلسم والمشهور فيه أقوال ثلاثة :

(الأول) : أن الطل بمعنى الأثر فالمعنى أثر اسم .

(الثاني) : أنه لفظ يوناني معناه عقد لاينحل .

(الثالث) : أنه كناية عن مقلوب اعني مسلط . وعلم الطلسمات اسرع تناولا من علم السحر واقرب مسلكا ، وللسكاكى في هذا الفن كتاب جليل القدر عظيم الخطر .

(روي) عن محمد بن كعب القرظي قال : بينما عمر بن الخطاب جالس ومعه أصحابه اذ مر به رجل فسلم عليه فقال له رجل من القوم يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المسلم قال لا قال هذا سواد بن قارب الذي اتاه جنية بظهور رسول الله ﷺ فقال له عمر أنت سواد بن قارب قال نعم قال انت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد غضبا شديدا وقال ما استقبلني أحد بهذا منذ أسلمت فقال له عمر ماكنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من الكهانة فأخبرني بالذي أنبأك به جنيك من ظهور رسول الله ﷺ قال نعم بينما أنا بين النائم واليقظان اذ اتاني رئيي وضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله تعالى ثم أنشأ الجني يقول :

عجبت للجن وأخبارها … وشدها العيس بأكوارها

تهوى الى مكة تبغى الهدى … ما مؤمن الجن ككفارها

فارحل الى الصفوة من هاشم … بين روابيها واحجارها

فقلت له دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما كان الليلة الثانية اتاني فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله وإلى عبادته ثم انشأ الجني يقول :

عجبت للجن وتطلابها … وشدها العيس بأقتابها

تهوى الى مكة تبغى الهدى … ما صادق الجن ككذابها

فارحل الى الصفوة من هاشم … ليس قدامها كأذنابها

فقلت له دعني انام فاني امسيت ناعساً فلما كان في الليلة الثالثة اتاني وضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب فافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى عبادة الله ثم انشأ الجني يقول :

عجبت للجن واجناسها وشدها العيس بأحلاسها

تهوى الى مكة تبغي الهدى ما جيد الجن كأنجاسها

فارحل الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى راسها

قال فلما اصبحت شددت على راحلتي رحلها وسرت الى مكة فقيل لي قد سار الى المدينة فأتيت المدينة فسرت الي المسجد فعقلت ناقتي فاذا رسول الله ﷺ في جماعة من اصحابه فلما نظر الي قال هات يا سواد بن قارب فقلت :

اتاني رئيي بعد هـدء ورقدة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة اتاك رسول من لؤى بن غالب

فشمرت عن ذيل الازار ووسطت بى الدلعب الوجناء بين السباسب

واشهد ان الله لارب غيره وانك مأمون على كل غالب

وانك ادنى المرسلين وسيلة الى الله يابن الاكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى وان كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لاذوشفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال ففرح رسول الله ﷺ واصحابه فرحا شديداً فقام اليه عمر فالتزمه وقبل بين عينيه وقال لقد كنت احب ان اسمع هذا الخبر منك فأخبرني هل يأتيك جنيك اليوم قال أمامنذ قرأت كتاب الله فلاونعم العوض من الجن كتاب الله تعالى.

قال ابن حبيب في المحبر أسماء من جاء الاسلام وعنده عشر نسوة مسعود ابن عمر بن عمير عروة بن مسعود ، سفيان بن عبد الله غيلان بن سلمة أبو عقيل مسعود بن عامر بن معتب وكلهم من ثقيف فنزل غيلان وسفيان وأبو عقيل للاسلام عن ست ست وأمسكوا أربعاً اربعا ومات عروة مسلما ولم يكن امر

بالنزول عن بعض نسائه ، وقال ابن سعد في الطبقات قيس بن الربيع الاسدي من أولاد الحارث بن قيس الذي أسلم وعنده تسع نسوة فأمره النبي ﷺ أن يمسك منهن أربعا ويفارق سائرهن .

ما قيل من الكلمات التي تقرأ طرداً وعكسا وهو ان الكلمة لايتغير معناها با لقلب وقد عبر عنها الحريري في مقاماته بما لا يستحيل با لانعكاس ، ومثله بقوله ساكب كاس ، ومنه قوله تعالى كل في فلك ، وقوله تعالى ربك فكبر .

س ا ك ب ك ا س ، ك ل ف ى ف ل ك ، ر ب ك ف ك ب ر

ومنه قول رسول الله ﷺ يقال لصاحب القرآن إقرأ وارتأ .

ومنه قول الحريري : كبر رجاء أجر ربك . وقول القاضي الفاضل رحمه الله تعالى ، ابداً لاتدوم إلا مودة الأدبا .

وقال العماد الكاتب للقاضي الفاضل رحمهما الله تعالى ، سر فلا كبابك الفرس فقال له القاضي دام علا العماد ، ومنه مودتي لخلي تدوم ، ومنه أرض خضراء ، فيها أهيف ، ساكب كاس ، ومنه وهو موزون ، أرانا الاله هلالا أنارا ، ومنه باب ، ومنه مراكب كارم ، ومنه مطرق قرطم ، ومنه سر فسار براس فرس ، ومنه حوت فمه مفتوح ، ومنه آدم حمد محمدا ، ومنه رمح أحمر ، ومنه هريره ، ومنه هره ، ومنه كبرت آيات ربك ، ومنه عقرب تحت برقع ، وقول الارجاني :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

م و د ت ه ت د و م ل ك ل ه و ل و ه ل ك ل م و د ت ه ت د و م

﴿ ترجمة أديب العصر بالاجماع : الشيخ سالم بن أحمد الصفدى الشماع ﴾

فارس النظم والنثر ، وانسان عين الدهر ، وأشعر اهل العصر ، وغرة وجه الكمال ، وناظم عقود اللآل ، وترجمان لسان البلاغة بالتفصيل والاجمال ، فاضل ان

نظم القريض ، اونثر منثور الكلام على الطروس من روض فصاحة الزاهر الاريض ، أشفى بعذوبة سحره الحلال كل قلب كليم مريض ، وأغرق حاسده في البحر الطويل الوافر العريض ، يشهد له بالفضل الخاص والعام ، وتناديه البلاغة مرحبا بالامام ، لم تتشنف الاسماع بأحسن من در نظامه ، ولم تتشوق القلوب الصادية لأعذب من سحر كلامه ، فهو الآن بمكة المشرفة أبو فراسها وبحتريها ومتنبيها ، وقاضي أدبها وبلاغتها ومفتيها .

أديب أريب لو تجسم لفظه أصابته عقداً للنحور الكواعب

له النظم العالي ، كالجوهـــر الغالي ، اقرت له فيه بالامامة مصاقع البلغا ، وأخرس بفصاحته لسان أبي الفرج الببغا ، وما برح يزداد كمالا وأدباً بين العباد .

حتى تشهد بالكمال له الورى والفضل ماشهدت به الاضداد

فمن نظمه الفصيح ، المطبوع الرقيق المليح ، قوله مادحا السيد الشريف ، صاحب الظل الوريف ، السيد عمرو بن محمد بن بركات ، ومعارضاً حائية ابن النحاس التي ذكرها آت وهو .

لفؤادي من لحاظ الغيد جرح ولأجفاني من التسهيد قرح

ولقلبي من لظى زند الجوى شرر يذكيه اضرام وقدح

ولعيني من جفا ذات الوفا وتنائيها بسفح الخد سفح

ولجسمي في ميادين القلى كلما جن الدجى شطح وسبح

لم أنل للهجع بالمشق متى ماسرى من بارق الاشواق لمح

كم الى بطحاء وادى المنحنى لي بأذيال الهوى العذري مرح

وبميد الريم أخشاف الظبا يعتريني بعد خوض الجد مزح

لا تراني أملك اللب اذا هب من أيم الصبا النجدي نفح

أروفي للسمع من ورق الحمى باعثات الشجو تغريد وصدح

يا خلي البال دعني لاهيا ... بفتاة حبها رشد وربح
كيف لا ألهو بهيفاء لها ... طلعة يبدو بها ليل وصبح
تفتن الغيد بطرف مفطر ... وبخصر صائم يعلوه كشح
طالما باتت تعاطيني اللمى ... ولأبواب الرضى والبشر فتح
في مروج ضحك الآس بها ... وغدا يقفوه قيصوم وطلح
ينثر الطل علينا لؤلؤا ... مثل ما للزهر فوق السمط طرح
يتهادى حولنا جيش الهنا ... بشموع مالها وهج ولفح
فاغتنم ياصاح أيام الصبا ... واتبع اثار اهل الحب وانح
وارتض التعذيب في شأن الهوى ... فهو عذب ولمضنى القلب صبح
فلكم في حب حي بالاوى ... نالني عن جيرتي والأهل ترح
لم يكن يشغلني عن حبهم ... ان تناؤا أودنوا كد وكدح
غير نظم المدح من معدنه ... لفتى منه لمتن القول شرح
عمر المفضال موفور العلى ... خير مولى لعوافي الشعر منح
ثاقب الرأي الذي قام به ... عند تنفيذ قضايا الحكم رجح
هو رب الجود مدرار العطا ... وهو طلق الوجه طلق الكف سمح
مالك الانسان بالاحسان من ... لا يرى المن ولا يغشاه شح
أروع ان مسنا قرح فلا ... بات عنا منه انجاد وقرح
واذا ما زارنا ليل أسى ... فهو من صبح ضيا علياه يمحو
بحر جود لا يبارى فيضه ... حين يبدو منه للعافين نضح
كم غدا يكتب في وجه الحيا ... منناً لا يعتريها قط مسح
ولكم شكر لجدوى كفه ... ولسطوى عزمه حمد ومدح
ولكم بالسمر والبيض له ... في نحور وكلى طعن وذبح
يرد الهيجا بقلب كالصفا ... وله من عزمه سيف ورمح

في يديه الضر والنفـــع كما   في ظباه والقنى حرب وصلح
يهزم الصيد الصناديد اذا   صال لو أنهم حرب وصبح
ان غزا يوما وان لاق العدي   جاءه نصر من الله وفتح
لم يزل يسبح في بحر الردى   بسبوح لم يكن يمييه سبح
بطل أضحى لماضي عضبه   من دم الباغين في الشمواء لفح
فهو أقوى الناس في البأس فما   قيل في ترجيحه فهو الأصح
يا وفياً طالما أضحى له   ان أتاه مذنب عفو وصفح
يا ليوث الحرب يا ثبتا اذا   صار للفرسان في الميدان ضبح
يا عقيد الخيل يا بدراً متى   لاح من تحت عجاج الخيل جنح
هاك من جوهر فكري غادة   حل منها في جبين الطرس وضح
تزدرى بالدر في معدنه   اذ لها في صفحة الاعناق وشح
تشبه الراح معانيها التي   كل من ذاق حلاها ليس يصحو
زارني الفتح بها حتى غدا   شاهداً لي ولها بالفضل فتح
فأجرني من يد الدهر فقد   نالني من جوره المتعب برح
لا برحت الدهر لي ملتجأ   ماشذا بالروض نسرين وأقح
وغدا ينشد مشغوف الحشا   لفؤادي من لحاظ الغيد جرح

وقوله يمدح القائد سنبل حاكم الشريف أحمد بن غالب ومعارضاً كافية العلامة بهاء الدين محمد العاملي المشهورة وقد قدمنا ذكر مطلعها وسنذكرها بتمامها في ترجمة صاحبها ان شاء الله تعالى .

من لصب قضى غراما فيك   مذ عنمت عن لمى في فيك
يا أخا الغصن والغزالة في الحسن هذا وذاك في التحريك
صل أخا لوعة وفرط أسى   ذاب سقما من طرفك الفتيك
واتق الله ان تصيخ الى   قول واش على الجفا يغريك

أنا مضنى هواك فارث لما حل بي من جوى ومن توعيك
وأنا المغرم الذي لعبت بي يد السقم لا عدت شانيك
خذني الوجد والهوى شغلي وحليفي الكرى أما يكفيك
قسما بالهوى ألية من ليس فيما يقوله تأفيك
ان لي مهجة وقد فنيت فيك وهي التي بها أفديك
فالى اللهو قم بنا فعسى يسمح الدهر بالوفا لأخيك
وترفق بمن أطاعك في كل ما تشتهي وان يعصيك
صب لو ان مابه بصفا لعراه من الاسى تدكيك
طالما بات وهو في قلق من تجنيك هل ترى يرضيك
يرقب النجم في الدجى فاذا فاح عرف الخزامى من ناديك
ذكر الملتقى به وغدا عصان الهوى له تهتيك
ليس يصبيه غير ذكرك مع ذكر من طاب ذكره يصبيك
سنبل القائد بن أحمد من شاد ربع العلى بلا تشكيك
مفخر الدهر من عمسك بالعز والمجد أيما تمسيك
عين انسان دهره وكذا هو انسان عين كل مليك
خير ذي نجدة نشا وله باحتشام على الوفا تشبيك
قل اذا مر ذكر مفتخر بين اهل الحجى به ناهيك
رب جود حديث همته عن احاديث حاتم يغنيك
ماجد ان ضللت ساحته فشذا عرف طيبها يهديك
واذا ما قصدته لندى لم تجد غير واهب يعطيك
كفه بالنوال منهمر صاح فابسط لو كفه ايديك
يا مراع الفؤاد من زمن بسهام الردي غدا يرميك
ثق بهذا المطاع عمدتنا فهو من جور خطبه ينجيك

ومتى ازمة بك احتكمت فهو منها بعزمه يحميك

فارس الخيل اذ يجول وللبيض وللسمر في الوغا تحبيك

ايها الحاكم المهاب اليك مديحا اتى ارتجالا فيك

واصغ سمعك الذكي لمباه انا من وشى فكرتي امليك

درراً عارضت بها فكري يا نديمي بمهجتي افديك

وعليك السلام مني ما ام صوب الحيا ربى واديك

وابق واسلم ما الصب منشدنا من لصب قضى غراما فيك

وقوله مادحا مولانا الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن ابي نمي شريف مكة المشرفة عام الف وتسعة وسبعين ومعارضاً قصيدة الخطيب بن داريا المشهورة التي مطلعها :

هات اسقني الصهباء يا مؤنسي قد فاح عرف الورد والنرجس

فقال ما يخجل اللآلي :

ادهق اخا الندمان لي اكؤسي في حب ظبي بالبها قسد كسي

وعاطنيها خمرة مزجها رضاب ثغر الاغيد الانفس

فانما الراح بها راحتي لأنها تجلو صدا الانفس

وهاتها عذراء في حلة حمراء لاتبقى دجى الحندس

وهاتها بين قيان لهم محاسن تهزأ بالكنس

كالانجم الزهر وشمس الضحى كالبدر كالصبح وكالخنس

من كل رعناء اذا ما انثنت فكالقضيب الاملد الاميس

تفتر عن در مصان وان تلحظ بالمحظ فعن نرجس

تحيي قتيل الحب ان أنعمت بلظم ذاك الشنب الالعس

فهذه سنة أهل الهوى وهي التي دامت ولم تدرس

واخلع جلابيب الحيا وادرع أبراد أرباب الصبا والبس

مهما تراني وسقاة الطلا بها واخوان الصبا تحتسي
ولا تلم في شربها انها توقد ذهن الفطن الكيس
وصب واشرب واسقنيها ولو ألفيتني يا صاح كالأخرس
وغن واطرب كالما لمنا بالغنا في مجلس اللذات حقاً نسي
وانثر علينا الزهر وابسط لنا بساط لهو حيك من سندس
فلو تراني تاركا شربها كيف وقد طارحني مؤنسي
لأنني صب ولي صبوة بكل خشف لين الملمس
يقول للأغصان من عجبه عن مثل هذا يا غصون ايأسي
تفعل بالألباب ألحاظه فعل سيوف الملك الأرأس

أقول: كأنه اخذ هذا المعنى من قول الشاعر:

فعلت مقلتاه في عاشقيه فعل سيف الامام يوم حنين

* * *

رجع

الملك الأصيد رب الوفا بركات رب الشرف الاقدس
الاشجع الاروع ليث الوغا كميها صنديدها المدعس
البطل الاروع ذاك الذي يفتك بالفارس والافرس
ليث ولكن ينتمي لبني عبد مناف شامخ المعطس
يحسن للسلم كما أنه للحرب ان شاء عقاباً يسي
يجود الضرب ببيض الظبا كذلك الطعن بسمر القسي
وفي ميادين المنايا له اقدام من كر ولم ينكس
كما له من عزمه فارس يغنيه عن درع وعن مترس
يقابل الابطال فرداً ولا يفوته ذو نجدة ملبس
يلقاهم طلق المحيا اذا قال اخو الهيجا لها عبسي
على سبوح صافن سابق اجرد لم يكب ولم يدقس

كأنه الريح ولكنه　　يروم دركك الفلك الاطلس
فهو سمير الجود من لم يزل　　فيه به ترب الندى يأتسي
فيا له من ذي نخار رقى　　ذروة مجد قط لم تمسس
مهذب يدني له فكره　　رأيا به الاقبال لم يهجس
غصن نمته دوحة المصطفى　　اكرم بغصن طيب المغرس
طابت معاليه فمن اجل ذا　　طابت معانيه لدى الاكيس
طرزت من وشي مديحي له　　ثوبا بديع الحسن لم يلبس
يفوح منه المسك مهما غدا　　ينشر في الديوان والمجلس
فيا سليل الفضل يا ابن الذي　　من فضله الاعلام لم تفلس
سرح عيون الفكر في روضة　　أثمارها تجنى من الاطرس
أتتك تشكو شرح حالي وما　　لاقيت من جور الزمان المسي
فارفع بها قدري فاني امرؤ　　أصبح حظي في الورى موكسي
لا زال سعر الشعر في سوقه　　اليك يا بركات لم يبخس

وللشيخ الاديب الشيخ سالم الشماع المترجم في هذا الكتاب هـذا (الحميني) الهـذلي اللطيف ، وهو متداول على السن المستمعين يغنون به وعلمـه من حرابى الرصد ، وهو :

أيها الظبي راعي العيون الكحيله　　وحالي اللما　　يا رشيق القوام الرجيح
راقب الله وارحم متيم بحبك　　غداً مغرما　　صب ولهان مضنى جريح
كلما جن جنح الدجى بات يرعى　　نجوم السما　　وهو ملقى معنى طريح
طالما سال دمعه على صحن خـده　　يحاكي الدما　　من شجون الغرام الصحيح
يا علي قل صبري ولا عاد حيله　　قتلني الظما　　اسقني من معتق قريح
هات من كاس مذهب مرصع بلؤلؤ　　يطفي الظما　　خمر يشفي فؤادي الذبيح
ان شرب الحميا تداوي سقامي　　ولا محرما　　ما علي من شربها قبيح

يا مناي ترفق بيه لا عدمتك وقف بالحمى لا تكن بالتلاقي شحيح
واغتفر زلتي لا تشمت علي الاعادي فما قصدهم في إلا القبيح
والنبي لو تقصيت فيه بطول النكبه لما حدثني فيك ارضي النصيح
غير اني معالم شيوخك وربعك هذيلا بما كان من أمريه يا مليح

وفي اختتام سنة ثمان واربعين وتسعمائة خرجت طائفة عظيمة من الافرنج وخربت غالب البنادر ، ثم قصدوا بندرجدة المحروسة ونزلوا بالمرسى المعروف بأبي الدوائر في خمسة وثمانين برشة مشحونة بالرجال والسلاح فقاتلهم ابو نمي شريف مكة المشرفة بنفسه وترك الحج واشخص معه ابنه ونزل إلى جدة في جيش عرمرم عظيم بعد أن أمر بالنداء في نواحي مكة من صحبنا فله أجر الجهاد ، وعلينا السلاح والنفقة فبلغ أهل الجهاد مبلغاً عظيما ، وعيون الكفار تدور عليهم في كل حين فشاهدوهم يزيدون عدداً في كل يوم ، واستمر ذلك مدة ، ولما رأى الكفار صبر المسلمين على القتال ، ومددهم في كل حين عادوا على الاعقاب ناكصين بالاذلال ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وبلغ السلطان سليمان خبر الواقعة فوقعت منه أجل موقع واكرم الشريف بنصف مدخول جدة الباقي زيادة على النصف الذي كان بيده ، وحباه بهدايا وتحف ، وإلى هذه الواقعة يشير الشيخ الفاضل عبد العزيز الزمزمي ويمتدح بها الشريف ابا نمي المذكور ومعارضاً قصيدة الفاضل الخطيب بن داريا المتقدم ذكر مطلعها بقوله :

ليحتسي الصهباء من يحتسى حسبي لمى مرشفك الالعس
علي أطلق منه كاسي ولا تبخل بحبس الكاس يا مؤنسى
في طرفك الوسنان والخد ما يهزأ بالورد وبالنرجس
وجهك لي روض جديد إذا أخلقت الارض القبا السندسى
رنحت قداً قال للغصن من عطفي امتعرلينا ومثلي مس
غرد لنا واشد فها انت من شمرك كالشحرور في برنس

افته سميري ونديمي فلى ... فاكهة من لفظك الاكيس

ضوءك في جنح الدجى ساطع ... فذكر ضوء الشمس معه نسي

فيك جميع البسط يا فاتني ... بسطى إذا خلتك في المجلس

لقد صفا العيش بسفح الصفا ... واحسن الصنع الزمان المسى

فعاطني من فيك مسكية ... يفوح منها الطيب في المعطس

واجل صدا نفسي بأنفاسها ... فانها تجلو صدا الانفس

لها حباب من ثناياك قد ... حكته شهب الفلك الاطلس

طاهرة حلت وطابت فلم ... يحرم تعاطيها ولم تنجس

تلك سلافي لست من غيرها ... ارتشف الراح ولا احتسى

ما لي وللخمر وشرابها ... اياك يا نفس بهم تأنسي

من كل سفاف إذا سفها ... يهذي ويهذي ثم لم يحسس

قد نجسوا منها فكم يفكروا ... في نجس الماء ولم ينجس

أخبارها قد درست بينهم ... في كتبهم ياليت لم تدرس

حديثهم فحش وجهل فلم ... تسمع لافتاه ولا ادرس

لله اوقات تقضت لنا ... مع كل شهم فكه كيس

ونحن في مجلس انس به ... ابو نمي صاحب المجلس

سلطان اقطار الحجاز الذي ... بغيره الاقطار لم تحرس

مولى له ذوق وفهم ففي ... مجلسه الآداب لم تبخس

للفضل سوق عنده نافق ... لكل مثر منه لم يفلس

لله اخلاق له سمحة ... تقول للضيف ادن واستأنس

آيسني دهري فلما رنى ... إلي قال ارج ولا تيأس

يفتر وجه الارض من جوده ... ان يقل الجدب لها عبسي

ينسى الذي يذكر من فضله ... لكن ثناه شائع ما نسي

اعداؤه دنسهم لؤمهم وعرضه الابيض لم يدنس
ان عدت الفرسان فهو الذي يدعى غداة الروع بالافرس
هو المليك الممتطي سطوة من المعالي قط لم تلمس
تدبيره الملك له ديدن فلم ينم عنه ولم ينعس
مد ظلال الامن في ارضه فلن ترى من موقف مشمس
كل عزيز ذل في بابه وهابه التركي والشركسي
سل النصارى عنه مذ قاربوا جدة عن جدهم الاتعس
من ذا الذى نكس اعلامهم بها نعم لولاه لم تنكس
فاستبعدوا الاقرب واستقربوا الا بعد من طورهم الاقدس
اتوك كالبحر فصاروا لدى بحرك كالجرعة للمحتسى
أتاهم آلك في قوة من الموالى والظبي والقسى
اعددت جيشاً لو يهم بحره أحاط لم ينج من المغطس
وكل طرف سابق سابح في بحر لج النقع لم يغطس
يفترس الاسد على ظهره من الاعادي كل مستفرس
هم كأسود الغاب لكنها دونهم في شرف الانفس
من حسن يسمو الى سيد لهم جرىء فى الوغى احمس
نجومهم دارت على ابلج كبدر تم بالسنا مكتسى
من دوحة نابتة غضة والاصل منها طيب المغرس
ينمى إلى السبطين من فاطم اكرم به من نسب أقعس
جيد المعالى قد تحلى بما نظم من جوهره الانفس
يا ملكا لو قابل السعد من غرته كيوان لم ينحس
محسنهم تحسن في حقه وان اساؤا لست ممن يسي
انت لنا نجم حمى افقنا شرابه من بارد اشرس

يا لكما من مالكي كورة قد كسباها افخر الملبس
يا لكما من قائدي عسكر حديده من نقعه مكتسى
شمس وبدر ينفعان الورى نورهم يجلو دجى الحندس
ابو نمي وابنه احمد القسورى الخشن الملمس
زفت له غيداء خرعوبة عذراء لم تطمث ولم تمسس
ليهنه هذا الزواج الذي أبهجه بالرشأ الالعس
لا زال في عيش لذيذ بها ودام من قهوتها محتسي
فاحفظ علينا الاصل والفرع يا رب وحط ملكهما واحرس
يا من به الثغر سما دره على دراری الفلك الاطلس
هاك قريظاً انت ادرى به في سلكه من جوهر انفس

قلت: ربما تشوف الناظر، وتشوق الخاطر العاطر، إلى شميم عرف المسك الداري من بنت افكار الخطيب بن داريا المشهورة، التي ذكرها على الالسن جاري فهي هذه:

هات اسقني الصهباء يا مؤنسي قد فاح نشر الورد والنرجس
والوقت قد راق ورق الهوى وجاد بالوصل الزمان المسى
والروض قد وافى بازهاره يتيه في زاه من الملبس
كأنما الاغصان غيد وقد لبسن ألواناً من الاطلس
كأنما شحرورها راهب يردد الانجيل في برنس
كأنما صفيرها عاشق صب بأثواب الضنا مكتسى
كأن غصن البان قد الذي أهواه في اثوابه السندسي
كأن بدر التم تحت الدجى جبينه الباهر في قندس
كأنما الوجنات نار ذكت لكن بغير المين لم تقبس
فعاطنيها غير ممزوجة راحا بها يجلي صدا الانفس
وان يكن لابد من مزجها فمن رضاب الشادن الالعس

واملاً وناولني إلى ان ترى طلق لساني صار كالاخرس
ولا تكن مني بذا قانعاً حتى تراني ضحكة المجلس
هذا هو العيش ومن لي به في دير مار الياس او بطرس
مع فتية مثل بدور الدجى إذا بدوا في اسود الملبس

وفي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة صفح باب الكعبة شرفها الله تعالى بالفضة وطليت بالذهب ، وكان الفاً ومائتين وثمانين ديناراً ، واعيدت الحلقات الأربع على الباب الشريف ، ووضع الباب المصفح في يوم الأحد رابع شوال ، واصلح الميزاب الشريف وصفح بالفضة المموهة بالذهب ، إلى ان غير بعد ذلك وعمل الميزاب في الباب السلطاني مصفحاً بالذهب ، وارسل إلى هناك ، فوضع الميزاب الذي كان في الكعبة ، وجهز الأول إلى الباب الخاقاني ، فوصل ووضع في الخزانة المعمورة .

وأرخت الادباء تصفيح الباب الشريف نظماً ونثراً .

فمن النظم قول الشيخ الزيني عبد الرؤف بن يحي بن عبد الرؤف المكي :

صفح هذا الباب سلطاننا أعني سليمان هو العادل
وقد أتى تاريخ تصفيحه ولم يخب في بابه النازل

وقال ايضاً :

أشار بأن يصفح باب بيت سليمان المعظم خير عادل
أتى تاريخ تصفيح بديع بهذا الباب ينجح كل نازل

﴿ فائدة ﴾

أسماء الاسبوع في الجاهلية وأولها الأحد ، قال الشاعر :

مرادي ان اعيش وان يومي بأول او بأهون او جبار
الأحد الاثنين الثلاثا
او التالي دبار فان أفته فمؤنس او عروبة او شيار
الاربعاء الخميس الجمعة السبت

﴿ فائدة ﴾

شبه بعض الفضلاء الهلال بما يقارب السبعين ، ولكل من هذه التشابيه بيت شعر شاهد له ، وقد ذكرت ما امكن منها بحذف الشاهد خوف الاطالة .

فأقول : المقدم من التشابيه قول علام الغيوب : (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) أي كعود الشماريخ إذا عتق ، فانه يدق ويتقوس ويصفر .

وشبهه الشعراء بحاجب النوبي الشائب ، وبقلامة الظفر ، وبضلع ملقاة في الفلاة ، وبالصفدع في الزجاج ، وبالزورق ، وبحرف النون ، وبشفرة السكين ، وبالنوى ، وبالسرج ، وبالمخلب ، وبناب الفيل ، وبالخلخال ، وبالسوار وبالدملج ، وبطوق عروس ، وبوقف من عاج ، وبالقوس وبمليحة انتقبت ، وبأثر الظفر في تفاحة ، وبزبان عقرب من فضة ، وبعقص سرطان من ذهب ، وبراكع منحني ، وبخشكناجة ، وبقراضة دينار ، وبالفخ وبالمنجل ، وشبهوه بطرف الصدغ وبشفة الكاس ، وبوجه مسافر رفع العمامة عن جبينه ، وبجانب مرآة انكشف عنها الغلاف ، وباكليل ملك ، وبآثار الحافر ، وبنعل الحافر ، وبالعذار الشائب ، وبالسنان المنعطف ، وبعطفة اللام ، وبصولجان ، وبطيلسان مقور ، وبنصف زردة

وأقول : ان ابن المعتز رحمه الله فارس هذا الميدان ، وحائز قصب الرهان ولم يأت احد من جهابذة الشعراء بمثل ما قال :

وانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

قال التوزري لما ولى ابان بن عثمان المدينة كان يطوف بالبلد بنفسه ليسمع ما يحدث خوفاً من ان يعاب بشيء ، فسمع قائلا يقول : اللهم اعزل ابانا ، فقال أبان : والمدنى لا يعرفه ما صنع بك ابان ؟ فقال : ما صنع بي شيئاً ، ولكنى استبطأت ولايته ومللتها ، قال : ويحك انما له ستة اشهر فقال : ففي دون هذا يقع الملل والله اني

لأمل كنيتي فأغيرها في كل جمة ، واني لأؤذن فاذا توسطته مللت فجئت بمن يتمه

قال الصفدي في تذكرته : ولقد كان شيخنا الامام العلامة ركن الدين بن القويع نسأله المسألة فيتكلم عليها من احسن ما يكون فاذا توسط الكلام وقارب الانتهاء تركنا ومر وقال سئمت سئمت وكان يلعب الشطرنج فيكون في وسط الدست وهو من احسن ما يكون ، واخرجه فيقلب الرقعة ويقول سئمت سئمت ، انتهى

قول امرىء القيس .

لها متنتان خظاتا كما أكب على ساعديه النمر

جرى في هذا البيت بين ابوى العباس في ذلك مجرى لا بأس بذكره ، قال ابو العباس احمد بن يحيي : دخلت على محمد بن عبد الله يوما وعنده محمد بن يزيد وجماعة من اسبابه وكتابه ، وكان محمد بن عيسى وصفه له ، فلما قعدت قال لي محمد ابن عبد الله : ما تقول في بيت امرىء القيس ؟ وذكره ، فقلت : اما الغريب فانه يقال لحم خظا بظا إذا كان صلباً مكتنزاً وصفه بقوله (كما اكب على ساعديه النمر) أي هو في صلابته كساعدي النمر إذا اعتمد على يديه والمتن الطريقة الممتدة من عن يمين الصلب وشماله .

وأما ما فيه من العربية فانه خظتا ، فلما تحركت التاء أعاد الالف من اجل الحركة ، فأقبل بوجهه على محمد بن يزيد ، فقال : اعز الله الأمير انما اراد خظاتا بالاضافة أضاف خظاتا إلى كما ، فقلت : ما قال هذا أحد ! فقال : بلى سيبويه يقوله فقلت لمحمد بن عبد الله: والله ما قال هذا سيبويه قط ، وهذا كتابه فليحضر ، ثم قلت : ما حاجتنا إلى كتاب سيبويه ، أيقال: مررت بالزيدين ظريفي عمرو فيضاف نعت الشيء إلى غيره ، فقال محمد : لا والله ما يقال هذا ، ونظر إلى محمد بن يزيد فأمسك ولم يقل شيئاً .

وقد قيل: انه اراد متنتان خظاتان ، فحذف نون التثنية للضرورة .

ويقال خظا لحمه يخظو ، اي اكتنز . قال الجوهري : ولا يقال خظي .

وقال الشيخ ابو العلاء : أراد خظيتا عند البصريين ، قال : الشيخ علم الدين السخاوي هذا على لغة طيء في قولهم بقاتا يريدون بقيتا .

وقيل : أراد خظاتا مثل رمتا ، ولكنه اشبع الفتحة فتولد من ذلك الف كنتزاح والخظوان بالتحريك الذي ركب بعض لحمه بعضاً .

ويقال : خظا بظا ، وبظا اتباع والله اعلم .

فلما اسفر وجه الصباح الزاهر ، خرجنا من مكة المشرفة صحبة امير الحاج الشامي، واتخذنا الركاب بالزاهر، وذلك في اثنين وعشرين من ذي الحجة الحرام ، عام اثنين وثلاثين بعد المائة والألف من هجرة النبي عليه وآله واصحابه افضل الصلاة وازكى السلام ، ثم رحلنا مع الحج الشامي إلى المدينة المنورة ، الطيبة المعطرة ، فلم نزل نقطع باليعملات البر ، إلى ان أتينا على ارض بدر ، فوصل الينا شيخ حرب مبارك بن مضيان عند العصر ، فحلق على الحج العراق بالعسكر ، واخذ من الاعجام ثلاثة آلاف احمر ، ثم عزم الحاج على المسير ، لزيارة البشير النذير ، فاتينا المدينة ، مأوى الحبيب ذي السكينة ، وتشرفنا بزيارة الرسول والاصحاب ، واجتمعنا بالاحباب والاصحاب ، وزرنا أحداً والبقيع ، وجميع جيران الشفيع ، وزرنا قبا والعشرة المساجد ، وشكرنا الله ما سجد له ساجد :

بالله يا زوار قبر محمد من كان منكم رائحاً او غادي
فليبلغوا المختار الف تحيـة من عاشق متقطع الاكباد

فلما أنار وجه الصباح ، وزالت عنا الهموم والاتراح ، ثامن محرم عام الف ومائة واثنين وثلاثين من هجرة سيد الملاح ، رحلنا من المدينة المنورة ، وقصدنا ارض نجد وقد تحرك لرؤية جمال العراق من قلوب أهل المودة الوجد .

﴿ فائدة ﴾

العراق مدينة خصبة مشهورة ، كل قراها معمورة وهي عرضاً من القادسية إلى حلوان ، وطولا من الموصل إلى عبادان ، هواؤها ينعش القلب ، فيصير به كالصب ، وماؤها غير عذب ، وترابها كالكافور صنعة الحكيم القديم ، وهي عين القلادة لما كان للعرب من الاقاليم ، واهلها اهل صحة في العقول والابدان اهل آراء راجحة ورزانة ورجحان ، وهمة ماثلها في الهمم ، وكرم لا له نظير في العرب ولا العجم ، ولا اعتبار بقول صاحب نشق الازهار ، ان الغالب على اهلها المكر وكثرة الشر وبغض الغريب ، وانه يقال لهم النبط ، وانهم شبهوهم برجل كان اسمه نبط ، وكان من شرار الخلق ، كبعض اصحابنا تاب الله عليه ، وكان هذا النبط في ايام سليمان بن داود عليهما السلام ، ولا التفات إلى قول الشيخ قوام الدين الرومي حيث قال :

إذا ما وقعت بأرض تسمى عراقاً فآثر فراقاً فراقا
وإلا تكون ذليلا مهانا إذا لم تباشر لديهم نفاقا

وبهذه المدينة الدجلة العظيمة ، ومخرجها من قرب آمد ، من جبل ثمة قريب من حصن ذي القرنين ، ثم تمتد إلى البصرة وواسط وبغداد وتكريت والموصل إلى ميا فارقين ، وغير ذلك ، وبها نهر الفرات ايضاً ومنبعه من ارمينية إلى سميساط والرقة ، وغير ذلك وتصب جميع هذه المياه المذكورة في بحر فارس . وينسب اليها العارف بالله الشيخ سمنون العراقي العابد ، وسليمان بن مهران الاعمش الراوي وكانت ولادته يوم قتل الحسين عليه السلام ، ووفاته سنة ثمان وأربعين ومائة ، وينسب اليها كثير من الاولياء والصلحاء ، فلم نزل نحث على الوصول إلى ذلك الجناب الخيل والركاب ، ونطلب العون من رب الارباب ، إلى ان اتينا بعون الملك العلي إلى مشهد علي فتشرفنا بزيارته ، وسعدنا ثانياً وذلك من سعادته .

ثم رحلنا بعد أيام إلى الحلة ، وقد شفى قلبنا من كل علة ، بزيارة ابن عم خير خلق الله ملة ، وزرنا مسجد الشمس المشهور ، المشرف المأثور ، المشرق بالنور ورأينا المنارة التي هي من عجائب الدهور ، فانها تهتز بقوة إذا حلفتها بعلي بن ابى طالب أسد الله المنصور ، فصعدنا فوقها وحلفناها ان تهتز بعلي ، فاهتزت حتى خشينا ان تقع من علي ، بل نقول ان هذه المنارة ليست من العجائب ، فكم مثلها من معجزات وغرائب ، وهذا قليل من كثير من معجزاته ، وبراهينه ، وآياته كيف لا وهو :

داحي الباب علي المرتضى   هل تجد يا صاحبي مثل علي
ذا عمرو يوم لاقاه وقد   شهد الله بتفضيل علي

قال المأمون لبعض اولاده وقد سمع منه لحناً : ما على احد كم ان يتعلم العربية فيقيم بها اوده ، ويزين بها مشهده ، ويفل بها حجج خصمه ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه ، أيسر احدكم ان يكون لسانه كلسان عبده او امته ؟ فلا يزال الدهر أسير كلمته .

وحكى المسعودي في شرح المقامات : ان المهدي لما دخل البصرة رأى اياس ابن معاوية وهو صبي ، وخلفه اربعمائة من العلماء واصحاب الطيالسة ، وأياس يقدمهم ، فقال المهدي : أف لهذه العثانين ! أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ؟ ثم ان المهدي التفت اليه وقال له : كم سنك يا فتى ؟ قال : سني اطال الله بقاء امير المؤمنين سن اسامة بن زيد بن حارثة ، لما ولاه رسول الله ﷺ جيشاً فيهم ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فقال له : تقدم بارك الله فيك ، هكذا ذكره المسعودي .

وقال الصفدي : والصحيح ما ذكره الحافظ الذهبي في تاريخه الكبير ان اياساً قاضي البصرة توفى في زمن بنى امية سنة مائة وتسعة عشرة ، ولم يلحق دولة بني العباس ، ويقال كان سنه إذ ذاك سبع عشرة سنة ، وكان معروفا بالذكاء

والفطنة والفراسة ، ولاه قضاء البصرة عمر بن عبد العزيز ، وحسبك بمن يختاره عمر بن عبد العزيز لهذا المنصب .

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد : ان يحيى بن اكثم ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة او نحوها فاستصغره أهل البصرة ، فقالوا له : كم سن القاضي ؟ فقال لهم : انا اكبر من عتاب بن اسيد الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على مكة يوم الفتح ، وأنا اكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على أهل اليمن وأنا اكبر من كعب بن سوار الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضياً على البصرة فجعل جوابه احتجاجا .

وقد جمع بعض العلماء مجلداً في ذكاء أياس بن معاوية ، يقال انه نظر إلى ثلاثة نسوة فزعن من شيء ، فقال : هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر ، فسئلن فكان الامر على ما ذكر ، فقيل له : من اين لك ذلك ؟ قال : لما فزعن وضعت احداهن يدها على بطنها ، والأخرى على ثديها ، والأخرى على فرجها .

ونظر يوما إلى رجل غريب لم يره قط ، فقال : هذا غريب واسطي معلم كتاب هرب له غلام اسود ، فسئل فوجد الامر كذلك ، فقيل له : من أين علمت ذلك ؟ قال : رأيته يمشي ويلتفت ، فعلمت انه غريب ، ورأيت على ثوبه حمرة ثياب واسط ، ورأيته يمر بالصبيان فيسلم عليهم ويدع الرجال ، وإذا مر بذي هيئة لم يلتفت اليه ، وإذا مر بأسود ذي اسمال يتأمل فيه ، وأين هذه الفراسة من فراسة ابي الحارث جمير ، وقد انشد بين يديه قول العباس بن الاحنف :

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر اسقامي واوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين اضلاعي
لقلما ابكى على كل ذا يوشك ان ينعاني الناعي

فبكى وقال : هذا رجل جائع يصف جارية طباخة مليحة ، فقيل له : من اين لك هذا ؟ فقال : انه بدأ ، فقال : قلبي إلى ماضرني داعي ، وكذلك الانسان

تدعوه شهواته وقلبه إلى ما يضره من الطعام والشراب فيأ كل فتكثر عليه اوجاعه فهـذا تمريض ، ثم صرح فقال : كيف احتراسي البيت فعلمت انه ليس للانسان عدو بين اضلاعه إلا معدته ، فكيف تتلف ماله وهي سبب اسقامه ومفتاح كل بلاء عليه ، ثم قال : ان دام بي هجرك البيت فعلمت ان الطباخـة كانت صديقته وهجرته ففقدها وفقد الطعام ولو دام عليه لمات جوعا ونمى :

﴿ ترجمة الأديب الأريب ، المصقع المنير الخطيب ، من هو ﴾
(بالبلاغة والفضل جدير ، الشيخ عبد الرحمن بن على)
(ابن محمد على بن سليم الوزير)

فاضل وقع عليه اتفاق الجمهور بأنه امام الأدب بمكة وفارس المنظوم والمنثور تربى في حجر العلوم ، ورضع لبان المنطوق والمفهوم ، فنشأ في بيت الفضل خير منشا ، وضرب المثل به في رقيق الغزل وأنيق الانشا ، ان شعر في الحماسة ، اخرس ابن المقرب ونكس راسه ، او حاك برود القريض الرقيق ، فياخجلة الشاب الظريف وابن رشيق ، اونثر على صفحات الطروس فاخر الدر النضيد ، صار له ابن حبيب من بعض العبيد ، او تكلم في المعاني والبديع ، اقر له بالوحدانية البديع ، فهو ملك الشعراء بمكة باديها والحاضر ، ووارث الادب والرياسة كابراً عن كابر ، ينشده لسان حاله في حله وترحاله :

خليلي ان زرتما منزلي ولن تجداه فسيحاً فسيحا
وان رمتما منطقا من فمي ولن ترياه فصيحاً فصيحا

وله نظم فريد الوجود ، أطرب للعقول من ابنة العنقود ، وأشهى إلى القلوب ، من وصال الغزال الرعبوب ، الرداح الخرعوب ، فمن نظمه : المطرب الأنيس ، المغنى عن نشأة الخندريس ، قوله مخمساً قصيدة فاضل العصر ، صاحب

(سلافة العصر) السيد علي خان ، رحمه الرحيم الرحمان :

ياأغيداً في حلى الكمال زمك جل الذي بالجمال قد وسمك بالله قل للمحب لاعدمك

من أودع الراح والاقاح فمك ومن أعار الصباح مبتسمك

يامن حكى الدر والاقاح فما والخمر والشهد والزلال لمى كم لي الى ورده الشهي الظما

أصبح من قد رآك ملتثما يتيه سكراً فكيف من لثمك

يا من غدت وجنتاه سالبة ومقلتاه للموت جالبة وطاوعته النفوس راغبة

لو أنصفتك الملاح قاطبة أمسيت مولى واصبحوا خدمك

تناقضوا حين شبهو او رووا لانهم ذاهلون حين رأوا وعندما للخطاء فيك خطوا

قالوا حكى فرقك الصباح ولو حكت فيه أوطأته قدمك

رضا بك العذب للسقام شفا فكن بوصل ياغصن منعطفا يكفيك صداً وقسوة وجفا

يا مقسما أن يذيبني كلفا حسبك أبرزت بالجفا قسمك

أجريت دمعي على الخدود دما حتى لقد صرت في الهوى عدما فراقب الله في فتى ظلما

وأنت يا طرفه السقيم أما تكف عن ظلم غير من ظلمك

يا ساحراً في القلوب قد حكما وفاتراً كل جامد قصما وكاسياً من جفونه سقما

سلبتني صبري الجميل وما كفاك حتى كسوتني سقمك

وقوله مخمساً أبيات الأديب الفاضل إسحاق بن الامام المهدي صاحب الغراس ، قالها وهو في الحبس وهي مشهورة بالحمامة :

يا ذائق الحب المقدر والنوى أشكو من الشوق المبرح والنوى

وخفوق قلب في الهوى أذكى الجوى وحمامة صدحت على فنن اللوى

فغدا يسيل دمي من الآماق

طارحتها شوقي وقلت لها خذي ما شئت مني في الهوى أوفا نبذي

طوبى لمثلك بالمحبة قد غذي فشدت وقد خلصت من القفص الذي

قد قيدت فيه علي الاطلاق

عجبا لها تشكو هناك خليلها وجناحها أضحى اليه دليلها
يا ليتني في الحب كنت مثيلها ناديتها لما سمعت هديلها
يا ذات طوق نحن في الاطواق

فسقاك وسمي المحبة والولى ان الهوى يسبي الخليع مع الولى
فأنا الذي لي في الغرام ولي ولى بي مثل ما بك يا حمامة فاسألى
من فك قيدك أن يحل وثاقي

﴿ فائدة ﴾

قوله في البيت الثالث ناديتها لما سمعت هديلها .

قال المحقق المدقق الأديب : يوسف بن يحيي بن الحسين بن المؤيد في تاريخه (نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر) ، عند ترجمة إسحاق المذكور انه احسن في هذه الابيات غاية الاحسان ، والهديل باللام آخره والراء أيضاً يطلق على صوت الحمامة وهي نوع من الطير لها أصناف، كالاهلى والبري ، وهو مراد الشعراء لتوحشه عن البيوت والفه بالبساتين والاماكن الرائقة ، ومنها الوراشين ، والقماري والفواخت كما يشهد بذلك شعر العرب ، ومن الحمام صنف تؤدبه الملوك فيبلغ من أدبه أن يحمل البطائق فيها الرسائل مثلا من مصر الى دمشق في يومين او نحوهما .

قال في نسمة السحر، والعرب تزعم ان هديلا اسم حمامة كانت في عهد نوح عليه السلام بعثها لتنظر هل جف الماء من كل البلاد فعرض لها جارح فصادها فكل الحمام تنوح عليها الى يوم القيامة ، وان نوحا عليه السلام بارك عليها ومسح رقبتها فكان من مسحه الطوق وكانت معه في السفينة ، وكل الحمام من نسلها ، ولما وقع في مثل شعر أبي العلا المعري الآتي ذكر ترجمته ذكر الهديل بمعنى الهدير وهو امام في اللغة وجب أن نحكم بثبوته ، وما احسن قول الأمير أبي فراس وقد اقام في اسر الروم بالقسطنطينية اربع سنين ، وسمع يوما نوح حمامة بقربه :

اقول وقد ناحت بقربي حمامة ايا جارتا هل بات حالك حالي

معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى ... ولا خطرت منك الهموم ببال
أيحمل محزون الفؤاد قوادم ... على غصن نائى المسافة عال
ايا جارتا ماانصف الدهر بيننا ... تعالي اقاسمك الهموم تعالي
تعالي تري روحا لدي ضعيفة ... تردد في جسم يعذب بال
ايضحك مأسور وتبكي طليقة ... ويسكت محزون ويندب سال
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة ... ولكن دمعي في الشدائد غال

قال صاحب نسمة السحر لله در هذا الامير الجليل فانه ماترك الحماسة ولا في مثل هذا الحال وهذا الشعر العذب الزلال .

ولأبي المميثل شعر قاله وقد ساير الامير عبد الله بن طاهر معادلا له في محمله فسمع حمامة تنوح وهما بقرب الري عند السحر فاستأذن الامير في ابيات عرضت له فأذن له فقال :

أفي كل يوم غربة ونزوح ... أما للنوى من اوبة فتريح
لقد طلح البين المشت ركائبي ... فهل أرين البين وهو طليح
وارقني بالري صوت حمامة ... فنحت وذو الشجو الشديد ينوح
على انها ناحت ولم تذر دمعة ... ونحت واذراف الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون افراخي مهامه فيح

فأجازه عبد الله بثلاثين الف درهم واذن له بالانصراف الى اهله وهم بالجزيرة بعد ان كان لايفارقه لعلمه باللغة وكتابته وادبه .

وذكر الخطيب ابو بكر في تاريخ بغداد انه غاب عن أهله ثلاثين سنة وان عبد الله لما أذن له انصرف فرحا فمات ببغداد قبل ان يصل إلى اهله .

قال صاحب نسمة السحر وأجاد بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي في قوله :

وتنبهت ذات الجناح بسحرة ... في الواديين فهيجت اشواقي
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن ... يعقوب والالحان عن اسحاق

قامت على ساق تطارحني الهوى من دون صحبي في الهوى ورفاق

أنى تباريني جوى وصبابة وكآبة وأسى وفيض مآقي

وانا الذي أملي الهوى من خاطري وهي التي تملي من الاوراق

ومن الجيد في هذه المادة قول الاديب إبراهيم بن المبلط المصري من شعراء الريحانة :

وقسيمي في الشوق ذات جناح ظاهر حزنها وباد جواها

فارقت من تحب مثلي ولكن ما هواي المصون مثل هواها

فعيوني على الدوام دوام وهي لم تبك مرة عيناها

وكتمت الهوى عن الناس طراً وهي باحت به لمن في حماها

وهجرت الرياض وهي ثوتها ورقت من غصونها أعلاها

فاجتمعنا بصورة من بعيد وافترقنا من بعد فيما عداها

قال صاحب نسمة السحر وإذا قرأ الانسان قول ابن قرناص :

نسب الناس للحمامة حزناً وأراها في الحزن ليست هنالك

خضبت كفها وطوقت الجيد وغنت وما الحزين كذلك

علم انه وغيره مستمد من بحر أبي العميثل المذكور أولا ولم يعلم ان احداً من الكرام ودي الحمامة دية الحر الف دينار الى المهلب بن ابي صفرة الأزدي فان ابا الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني ، ذكر في ترجمة زياد الاعجم الشاعر المشهور انه وفد على المهلب فقعد يوما يشرب مع حبيب بن المهلب اذ وقعت حمامة بقربهما واقبلت تغني فقال زياد :

تغني انت في ذممي وعهدي وذمة والدي ان لم تطاري

فاما يقتلوك طلبت ثاراً له نبأ لانك في جواري

فقال حبيب يا غلام القوس والنشاب فأتى به اليه فرماها سهما فما اخطأها فغضب زياد وقام من فوره فدخل على المهلب وشكا اليه صنيع حبيب فاستدعاه ابوه

واستخبره عن القصة فأخبره وقال أيها الامير انما كنت مازحا معه فقال له المهلب أما علمت ان جارة ابى امامة جارتى ثم امره ان يسلم له دية الحر ألف دينار فأعطاها اياه من ماله كارها فقال زياد :

فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لي بها شيخ العراق المهلب
رماها حبيب بن المهلب رمية ... فأقصدها والسهم يخطى ويغرب
فألزمه عقل القتيل بن حـــرة ... وقال حبيب انما كنت ألعب
وقال زياد لا يروع جاره ... وجارة جاري مثل جاري وأقرب

ولحم الاهلي حار في وسط الثانية رطب في أولها ، والبري اكثر يبساوالجيد لطيف يولد دما جيداً ويزيد في مادة الجماع ويسمن ويصلح للناقة خاصة من المرض السوداوي والمنزف ، ولحم الفواخت مذموم لزهوته والله تعالى اعلم .

رجع إلى ترجمة الشيخ عبد الرحمن الوزير ، وكتب اليه الأديب الفاضل الشيخ زين العابدين ابن الشيخ سعيد المتوفى ملغزاً :

يا هماماً أبدى بيان المعاني ... ببديع البيــان والتبيان
ما اسم شيء ذي أربع وهو باثنين تراه يسمى لكل مـكان
واذا ما حذفت حرفين منـه ... صار رياً للصادىء الظمـآن
ناطق صامت تفـور ألوف ... مكرم عنـد نوعنـا الانساني
يبعث الانس والسرور ويجلو ... عن جليس له صدا الاحزان
هجر الناس في القرايا وأضحى ... لقفـار الفلا من السكان
يألف العشق والمحبة والوجد لفقد الاحباب والاخدان
فأزل بالجواب عنـه نقابا ... موضحاً متحفاً بأوفى بيان
دمت في حلبة الفضائل تحوى ... قصب السبق فائق الاقران

فأجابه الشيخ عبد الرحمن المذكور بقوله :

أحمام غنى على الافنان ... أم رخيم النايات والعيدان

أم مثان تتلى بمحكم نظم أعجزت آيه بديع الزمان

أنشأته قريحة الندب زين العابدين البليغ عضب اللسان

ملغزاً في مطوق احرقته جمرات الغضا من الاشجان

طالما قام في الرياض خطيباً قد تعلى منابر الاغصان

صادحت يحسن الغناء ويشجي كل صب دامي الفؤاد وعاني

ليس للمغرم المفارق الف مسعد غيره على الاحزان

فهو للعاشق الكئيب انيس لم يجد عنه قط بالسلوان

وإذا ما صحفت اوله كان مع الضم ظرف حب الجمان

ذاك اسم الذي عنيت فقل لي يا اخا الفضل كيف جاء بياني

وجوابي مخبر عن جوابي بمريض الجفون حين جفاني

ذي رضاب عن المبرد يروي ونهود تروى عن الرمان

آه من هجره ولولا دموع فضحتني بهجره ما رماني

فاقبل العذر يا اخي وسامح وتجاوز عوفيت عن نسيان

زادك الله رفعة وجلالاً يا سليل الاماجد الاعيان

فراجعه الشيخ زين العابدين بقوله :

بأبي بل وبي اخا العرفان يتشكى من ناعس الاجفان

وبما قد رواه اورى زناداً في فؤاد المتيم الولهان

ولعمري خمر المحبة ليست يا اخا الظرف مثل خمر الحان

تلك يصحو سكر انها وهو بالعكس فخل المدام للندمان

وتردى ثوب المحبة واشرب بقداح الافراح بل بالدنان

وتأمل لغزي ترى البين باد بين ما قد ابديت من تبيان

وإذا ما خفى عن الفهم معناه فأنت المعذور بالاشجان

او يكن ذاك من محبك فاعـــذره وجازي المسيء بالاحسان

غير إنا إذا اجتمعنا رأينا الحق مع من ياصفوة الاعيان؟

فاجابه الشيخ عبد الرحمن مرتجلا بقوله :

يا خليلي وسيد الاخوان ومعيني ان رق فهم عصاني
قد تأملت لغزك العذب لما قلت ان الجواب فيه توان
فاذا الطرف يرمق القلب منه في ظهور مشاهد بالعيان
والذي قلته ابتداءاً فأحرى بمقام الوفاء في ذا الشان
بل أراه عنـد التأمـل اولى من رقيق ينمى إلىالسودان

ولما كان ببندر سورت أرسل إلى الأديب الفاضل الـكامل المرحوم السيد علي الشاطري بهذه الابيات مع نسخة قلائد العقيان :

بسمت حين واصلت عن جمان وتثنت كأنها غصن بان
وتغنت فاطربت كل صب مغرم ذائب الحشا ولهان
غادة تسلب العقول بلحظ دونه السحر والحسام اليماني
يا لها من خريدة اذكرتنا ما مضى في سوالف الازمان
بنظام يروق لفظاً ومعنى هو عندي قلائد العقيان
سيما نسخة الامام المفدى بهجة الدهر أنجب الاعيان
الشريف الظريف ذاك علي من علا قدره على الاقران
فلقد شنفت مسامع مشتاق إلى ساجعات تلك الجنان
صانه الله ذو العلي وحماه ووقاه من طارق الحدثان
ما تغنى الحمام في يوم دجن فوق غصن ممنير الاردان

وكتب اليه أيضاً الشيخ زين العابدين المتوفى ملغزاً في كوز وهو :

يا نور انسان النباهة والذكا وسلالة الامجاد والاعيان
ما سم ثلاثى الحروف بما حوى اضحى حياة الصادىء اللهفان
وافى به الرشأ الاغن فخلته بيض النعامى في يد الغزلان

وبحذف اوله يكون اسما لمن ... في البحر اضحى آلف الطيران
وبجمل ثاني الاسم اوله يكن ... وصفاً لبعض الصحب والأخوان
يرضونه وصفاً ولا يرضى لهم ... إذ ذمه في محكم القرآن
فازل نقاب اللبس عنه موضحاً ... تبيانه يا عابد الرحمان

فاجابه الشيخ عبد الرحمن بقوله :

يا زين اهل الفضل والعرفان ... وأخا الحجى وابن الرفيع الشان
لله ما نظمت من درر وما ... حررت من لفظ بحسن بيان
هذبته فأتى إلي مهذبا ... ومذهباً بقلائد العقيان
ألغزت في ظرف حياة نفوسنا ... فيه فمن للمغرم العطشان
لمني على ترشافه من ثغره ... لو كان يسعد ناعس الاجفان
ومتى تصحف منه آخره تجد ... على ظهور اباعر الاظعان
فاعجب واحوال الزمان عجائب ... لا تنقضي ابداً بحصر لسان
واصفح بفضلك عن جواب مقصر ... حاكى بمختلب عقود جمان

وقوله مصدراً ومعجزاً بيتي الصاحب اسماعيل بن عباد ، الآتي ذكر ترجمته انشاء رب العباد :

ان كنت لزمعت على هجرنا ... يا ايها الظبي الاغن الكحيل
وملت عنا طائماً من نهى ... من غير ما جرم فصبر جميل
وان تبدلت بنا غيرنا ... فنحن لا نرضى سواك البديل
وان يكن هجرك من جفوة ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

قال شيخ الاسلام تقي الدين بن محمد بن علي بن دقيق العيد تغمده الله برحمته قرأت بخط ابي القاسم يعني عمر بن احمد بن ابي جرادة قال : هذا دعاء كتبته بحلب من املاء الشيخ الزاهد علي بن عيسى اليمني رحمه الله تعالى ، اللهم اصلحنا بما اصلحت به عبادك الصالحين ، واحفظنا بما حفظت به كتابك المبين ، واعصمنا

من مسالك الغاوين ، وعرفنا مزلة اقدام الجاهلين ، وافض علينا من انوار معرفتك وغشنا من آثار رحمتك ، وحرك بواعثنا اليك ، وقو رغبتنا فيما لديك ، وعظم جلالك في قلوبنا ، وصغر الدنيا في أعيننا ، ودبرنا بتدبيرك ، ولا تشغلنا بغيرك ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمن سواك ، يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء ، يا لطيفاً لما يشاء ، يارب كل شيء اغفر لنا كل شيء ، ولا تسألنا عن شيء ولاتعذبنا على شيء ، وصل يارب على نبيك محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

حكى ان المفضل الضبي قال له الرشيد يوماً : دلني على بيت اوله اكثم بن صيفي في اصابة الرأي وجودة الموعظة ، وآخره بقراط في معرفة الدواء ، فقال : يا امير المؤمنين : لقد هولت علي : فقال الرشيد : هذا قول ابي نواس :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ودواني بالتي كانت هي الداء

وحكى صاحب الاغاني عن الهيثم بن عدي قال : قال لي صالح بن حسان يوماً مانصف بيت كأنه اعرابي في شملته ، والآخر كأنه مخنث يتفكك في مشيته . قلت لا ادري والله ، قال : اجلتك حولا كاملا ، قلت : لو اجلتني عشراً ما عرفته ، قال أف لك قد كنت احسبك اجود ذهناً من هـذا ، قلت : فما هو ؟ قال : قول جميل (ألا ايها النوام ويحكم هبوا) فهذا كلام اعرابي في شملته ، ثم قال : (نسائلكم هل يقتل الرجل الحب) فهذا كأنه والله من مخنثي العقيق .

قلت : علم الله لو لا ايراد النادرة لا ستحييت ان اكتب النصف الثاني لانه محلول إلى الغاية .

ومن هذا القبيل قول الآخر :

مات الخليفة ايها الثقلان فكانني افطرت في رمضان

فانه عزي الثقلين في الاول ، وحل الثاني إلى الغاية وليس بين بيت جميـــل وهذا نسبة في الانحلال ، وقول جميل انما يجمل من مثل فريدة جارية الواثق العباسي فانها صنعت فيه لحناً لطيفاً ، وغنت به وكانت بارعة في الحسن والجمال فاذا

سمع منها كان مناسباً ، وإلى بيت جميل أشار ابن نقادة بقوله :

أهجر وصد واغتراب وفرقة وبين فيالله كم يحمل الصب

فقل لمحب نبه الركب سائلا ونام نعم قديقتل الرجل الحب

ويقال : أغنج بيت قالته العرب قول الاعشى :

قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يا رجل

قيل : ان عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : أتعلمون ان النابغة كان مخنثاً ؟ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : أما سمعتم قوله :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

والله ما هذه إلا اشارة مخنث !

وذكر صاحب الاغاني : ان المأمون قال لمن حضر من جلسائه : انشدوني بيتاً لملك يدل البيت عليه وان لم يعرف قائله انه لملك ، فانشده بعضهم قول امرىء القيس :

أمن اجل اعرابية حل اهلها جنوب الملا عيناك يبتدران

فقال المأمون : ما في هذا البيت ما يدل على ملكه ، قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر ، فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية ، ثم قال الشعر الذي يدل على ان قائله ملك قول الوليد بن يزيد :

اسقني من سلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كاساً عقارا

أما ترى إلى اشارته وقوله : هذا النديم ، فانها اشارة ملك ، ومثله قوله ايضاً :

لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلي

وهذا كلام من يقدر بالمال ، على طويات الرجال ، ببذل المعروف فيهم ويمكنه استخلاصها لنفسه .

ذكر ابن مسدى في معجمه في ترجمة ابي طالب محمد بن علي بن علي

الخيمي الكاتب ، قال: سمعته يقول وليت حوزان في قديم الزمان ، وكنت كثير الجواز بقبور بني ايوب ، فأصابني ضيق فرأيت في النوم كأن من جملة قبورهم قبر شمس الدولة ، فقصدت اليه فوجدته قبراً عظيما مفتوح الباب ، وهو فيه مسجى بكفنه ، وكأن معي قصيدة أمتدحـه بها فأنشدته اياها ، فلما فرغت من انشادي استتر عني في زاوية القبر واخـذ كفنه فرمى به إلي ، فرأى في وجهي اثر الندم ، فعرف ذلك مني ، وأنشد :

لا تستقلن معروفا سمحت به ميتاً وامسيت منه عاري البدن

ولا تظنن جودي شابه بخل من بعد بذلي ملك الشام واليمن

اني خرجت من الدنيا وليس معي من كل ماملكت كفي سوى كفني

حكي ان خالد بن برمك جد البرامـكة لما طلب للسفاح او للمنصور ليقلده الوزارة دخل عليه ، فلما وقع نظره عليه قال : اخرجوه وغضب عليه ، وكان كثير التطلع إلى رؤيته ، فعجب الحاضرون من ذلك ، وربما انه امر بقتله ، فقال : يا امير المؤمنين علام تقتلني ؟ قال: لانك دخلت علي ومعك السم ، فقال يا امير المؤمنين حاش لله ، وانما نحن معتادون بخدم الملوك ونخشى بادرتهم في وقت غضب فيمسك احدنا ويعذب ويخاف طول العذاب ، فنضع لأجل ذلك تحت فص الخاتم سما فاذا رأينا امتص احـدنا ذلك السم ليموت سريعاً خوفا من تطويل العـذاب ، فعفا عنه وقـلده الوزارة ، ثم ان خالداً قال له : يا امير المؤمنين من أين علمت ان السم معي ؟ قال : ان في ساعدي دملجان ، إذا حصل في المكان الذي انا فيـه سم انتطحا في ساعدي فمن هناك علمت ذلك وفي انتطاح الدملجين بعد كثير من العقل ، ولكن قال اصحاب الخواص: ان قرن الحية إذا قارب الطعام المسموم عرق والله تعالى اعلم .

سمع شامي خفق نعل اناس دخلوا عليه وبين يديه فراريج مشوية ، فغطاها بذيله وادخل رأسه في ثوبه وقال لهم انتظروني على الباب حتى افرغ من بخوري.
وقيل لأعرابي : أتغديت عند فلان ؟ قال : لا ولـكن مررت ببابه وهو

يتغدى ، قيل : وكيف علمت ذلك؟ قال : رأيت غلمانه بأيديهم قسي البنادق يرمون الطير في الهواء .

وقيل لبخيل : من أشجع الناس ؟ قال : من يسمع وقع اضراس الناس على طعامه فلا تنشق مرارته .

فلما كان عصر الأثنين ، المبارك الزين ، خامس وعشرين ربيع الأول ، عام الف ومائة واثنين وثلاثين من هجرة النبي المفضل ، رحلنا من الحلة وأتينا مشهد علي صاحب النور الساطع الجلي ، فزرنا وفزنا بالاكرام ، وأقمنا به ثلاثة ايام ثم سرنا إلى مسجد الكوفة فصلينا به وزرنا مآثر الانبياء ، الكرام الاصفياء ، ثم رحلنا إلى مشهد ابي عبد الله الحسين ، فزرنا وبلغنا المرام وأقمنا به ايضاً ثلاثة أيام ، ثم رحلنا منه فأتينا بغداد ، ونزلنا بالرقيقة على رأس الجسر في سمرة عظيمة على الدجلة ، وأقمنا خمسة عشر يوما ، ثم اني ابتعت لي من بغداد حصان ، وسرت مع القفل إلى اصفهان ، فلم نزل نسير ، بعون المعين النصير ، إلى ان دخلنا شامة البلدان ، دار السلطنة اصفهان ، ونزلنا في حارة الخاجو ، في هفت مدرسة ، بجوار السيد الهمام الغضنفر ، السيد سعد بن جعفر ، نقيب السادة الحسينيه ، وكان ورودي إلى اصفهان في وقت سعيد مجمل ، صبح الأربعاء رابع وعشرين جماد الأول ، فلم نزل عند السيد المذكور في عز وأنس وراحة ، لانه معدن الاريحية والسماحة ، شكر الله له الراحة ، ما أحسن قول الشيخ سعدي الشيرازي في القول بالموجب :

وصاحب لما أتاه الغنى تاه ونفس المرء طماحه
فقيل هل ابصرت منه يداً تشكرها قلت ولا راحه

هكذا حفظت هذين البيتين من الكشكول للعلامة الشيخ بهاء الدين محمد العاملي ، وذكر انهما للسعدى المذكور ، والشيخ بهاء الدين ثقة وكشكوله مشهور ورأيتهما من بعد في الغيث الذى انسجم ، شرح لامية العجم ، للصفدي وادعاها لنفسه ، وهو متأخر ، والسعدي اقدم ، والله تعالى ادرى وأعلم .

فلما كان يوم الجمعة تاسع شهر رجب ورد إلى اصفهان امير الحاج الحسائي محمد بن خالد آل غرير ، من صوب سعدون شيخ بني خالد ، ونزل بمحل لطيف فايح عاطر يسمى قهوة الناظر بأعلى حارة الخاجوء فاقام عشرة ايام باصفهان ، ثم رحل إلى مدينة قزوين لملازمة السلطان وقزوين هذه مدينتان واحدة في وسط الأخرى في فضاء من الارض ، طيبة الهواء ، عذبة المياه ، كثيرة البساتين والفواكه المختلفة والازهار والاشجار المؤتلفة . انشأها سابورذو الاكتاف ، وجدد بها الرشيد العباسي سوراً مانعاً وجامعاً واسعاً ، في سنة اربع وخمسين ومائة ومن العجائب ان كانت مقصورة هذا الجامع في غاية الارتفاع ، وهي على شكل بطيخة ليس لها مثال في الدنيا .

ومن العجائب انه كانت بساتين هذه المدينة تسقى في السنة مرة واحدة ومن العجائب ان تراب مقابر هذه المدينة ينفع لوجع بطون الدواب طلاء وينسب إلى هذه المدينة الشيخ ابو بكر الشيباني القزويني ، والشيخ ابو القاسم محمد بن عبد الكريم الرافعي ، وكان من أكابر أئمة الشافعية ، توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة وعاش خمساً وستين سنة ، ونشأ بها الفاضل عبد الغفار صاحب كتاب الحاوي في الفقه ، وينسب اليها العلامة نجم الدين علي بن عمر الكاتبي صاحب الطوسي وله مصنفات حسنة في الحكمة والمنطق وغير ذلك ، وينسب اليها كثير من العلماء والاكابر .

﴿ لطيفة ﴾

أراد اعرابي سفراً ، فقال لزوجته :

عدي السنين لغيبتي وتصبري ودعي الشهور فانهن قصار

فاجابته تقول :

واذكر صبابتنا اليك وشوقنا وارحم بناتك انهن صغار

فاقام وترك سفره .

قيل : احضر المتوكل العباسي مجنونين ليمزح معهما ، فتكلم احـدهما كلاماً أغضبه فأمر بضرب عنقه ، فالتفت المجنون إلى صاحبه ، وقال له : أما تنظر يا اخي كنا مجنونين فصرنا ثلاثة ! فضحك واطلقه .

قيل : انه لما بلغ اسحاق بن ابراهيم ما في ابي العبر الشاعر من الحماقة والمجانة والخلاعة امر بحبسه فكتب اليـه رقعة وهو في السجن يذكر انه تائب مما كان يفعل ، ويسأله ان يخرجه من الحبس حتى يعلمه برقية للعقرب ليس في الدنيا مثلها لصحتها ، وكان اسحاق يخاف كثيراً من ذكر العقرب فضلا من لدغتها ، فأمر باطلاقه واحضره وقال له: هات اعلمنا برقيتك ، فقال له: اعلمك ايها الامير على شرط انك تحلف لي على أن لاتتعرض لي بعدها أبداً ، فحلف ان لا يتعرض له ، فقال : ايها الامير إذا رأيت العقرب فتناول النعل واضربها به ضربة شديدة فانها تموت ولا تعود تتحرك ، وإذا ماتت لا تضر ، ولا تلسع ابداً ، ولو قبضت عليها بيديك فقال اسحاق : خلو عنه فانه لا يفلح ابداً .

وكان يزيد كل سنة حرفا في اسمه حتى صار ابو العبر طربك ذريك زرنك لؤلؤ حمق مق .

وقيل : انه كان آدب أهل زمانه إلا انه لما رأى الحماقة والجهل انفق عند أهل عصره اخـذ فيه وترك العقل ، فصار في الرقاعة والسخافة رأساً ، وما اصدق قول ابي العلا المعرى في هذا المعنى من لاميته المشهورة :

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظن اني جاهل

وأنا اقول : ان من الواجب على كل عاقل في زماننا هذا ان يصير مثل ابى العبر فان زماننا واهله عبرة لمن اعتبر ، ولله در القائل :

زمان كل حب فيه خب وطعم الخل خل لو يذاق

له سوق بضاعته نفاق فنافق فالنفاق له نفاق

وقال بعضهم : اشتقت إلى ابى العبر يوما فسرت اليه فاذا هو جالس في تغار

من ماء في اشد ما يكون من الحر وعلى رأسه سمورية وحواليه جماعة يكتبون عنه فجلست اسمع ، فقال له رجل : يا ابا العبر لم صارت دجلة بغداد اعرض من الفرات والقطن ابيض من الكمأة ؟ فقال: لان الشاة ليس لهامنقار ، وذنب الطاووس يقرب من اربعة اشبار ، وقال له آخر : لم صار العطار يبيع اللبد ، وصاحب السقط يبيع السمن ؟ فقال : لان المطر يكون في الشتاء والمنخل لا يقوم فيه الماء ، وقيل له لم صار كل خصي امرد ، والماء في حزيران لا يبرد ؟ فقال : لان السفينة تجنح والحمار يرمح ، قيل لابي مرة : أي الطعام احب اليك ؟ قال ثردة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص، بلقاء من الشحم ، ذات حفافين من اللحم ، لها جناحان من سمن العراق ، قيل له: وكيف اكلك لها ؟ قال : اصدع لها بهاتين ،يعني السبابة والوسطى وأسند بهذه ـ يعني الابهام ـ واجمع منها بهاتين ـ يعني الخنصر والبنصر ـ واضرب فيها ضرب والي السوء في مال اليتيم .

قيل لاعرابي ما تسمون المرق ؟ قال السخين ، قيل فاذا برد ؟ قال انا لا ندعه يبرد ، أتى طفيلي باب قوم فمنعوه ثم اذنوا له فدخل وهو يقول :

زوركم لا نكافئكم بجفوتكم ان المحب اذا لم يستزر زارا

(قالت الخنفساء) يوما لامها : يا اماه ماأمر بأحد إلا وبزق في وجهي فقالت يابنيتي من حسنك تعوذين .

وقف نحوي بياع أرز بعسل وبقل بخل فقال له النحوي: ياخي بكم الارزز بالاعسل والابقل بالاخلل ، فقال له بالاصفع في الأرؤس والاضرط في الاذقن .

(وكان لبعضهم) ولد نحوي يتشدق ويتفيهق في كلامه ويتقعر فيه فاعتل أبوه علة شديدة اشرف منها على الموت فاجتمع اليه أولاده وقالوا له ندعو لك اخانا فلانا فقال لئن جاءني قتلني بنحويته قالوا نحن نوصيه فدعوه بعدما أوصوه فلما دخل على ابيه قال له ياابت قل اشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهدان محمداً عبده ورسوله تدخل بها الجنة وتبعد عن النار والله ياابت ما أشغلني عنك

إلا أن فلانا دعاني بالامس ، فمرق ومرق ، وحبب ، وكبب ، وزبب ، واهرس ، وامرس ، ورزز ، وعدس ، وافرج ، ودجج ، ولوزج ، وافلوذج ، وعطر ، وبخر ، واعصر ، واسكر ، فصاح ابوه وقال غطوني وغمضوا عيني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي

(قيل) : خرج ابو حازم القاضي من داره الى المسجد يريد الصلاة واذا بسكران يمشي في الشارع فقال الناس سكران سكران فوقف القاضي وقال هاتوه فأدنوه منه فقال له القاضي من ربك؟ يريد امتحانه فقال له السكران ليس هذا من سؤال القضاة أصلحك الله انه من سؤال منكر ونكير فغلب القاضي الضحك وقال خلوا سبيله .

قيل لطفيلي لم أنت مصفر اللون قال للفترة بين القصعتين مخافة أن يكون قد فرغ الطعام .

قال بعضهم من ظرائف المحن وغرائبها : أني بت ليلة عند قوم فحركتني الطبيعة في بعض الليل ولم اعرف موضع بيت الخلاء فوقفت على موضع فيه مهد وصبي نائم فيه وليس عنده أحد فعمدت إلى الصبي واخرجته من المهد وجعلته في حجري وجعلت عليه ذيلي وتحولت إلى المهد وخريت فيه وذهبت أرد الصبي إلى موضعه وإذا به قد خرى في حجري أضعاف ما خريت في مهده فبقيت متحيراً في حاله وحالي .

(لما صلب) عضد الدولة محمد بن بقية وزير عز الدولة لأمور يطول شرحها ولم يزل مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة فانزل ودفن وكان ممن قد رثاه أبوالحسن محمد بن يعقوب بن عمر الانباري بقصيدة مالا أجد مثلها وهي :

علواً في الحياة وفي الممات لحق انت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا وفود نداك ايام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيباً وكلهم قيام للصلاة

مددت يديك نحوهم احتفاءاً كمدهما اليهم بالهبات
وتشعل حولك النيران ليلا كذلك كنت في حال الحياة
ولما ضاق وجه الارض عن أن يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا عن الاكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس تبيت ترعى بحراس وحفاظ ثقات
ركبت مطية من قبل زيد علاها في السنين الماضيات
ولم أر قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات
أسأت الى النوائب فاستثارت فأنت قتيل ثار النائبات
وكنت تجير من صرف الليالي فعاد مطالباً لك بالترات
غليل باطن لك في فؤادي يخفف بالدموع الجاريات
ولو اني قدرت على قيام بفرضك والحقوق الماضيات
ملأت الأرض من نظم القوافي ونحت بها خلاف النائحات
ومالك تربة فأقول تسقى لأنك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمان تترى برحمات غوادٍ رائحات

قيل انه لما عمل ابن الانباري هذه الابيات المرثية كتبها ورماها في شوارع بغداد فتداولها الناس إلى ان وصل خبرها إلى عضد الدولة فلما أنشدت بين يديه تمنى انه هو المصلوب دونه فقال علي بهذا الرجل فطلب سنة كاملة واتصل خبره بالصاحب ابن عباد وهو بالري فكتب له بالامان فلما سمع ابو الحسن بن الانبارى بالامان قصد حضرته فلما قدم عليه قال له الصاحب انت القائل هذه الابيات ؟ قال نعم قال انشدنيها من فيك فلما انشده :

ولم أر قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات

قام الصاحب اليه وعانقه وقبل فاه وانفذه إلى عضد الدولة بشيراز فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على مرثية عدوي فقال ايها الملك حقوق مضت ، وأياد

انقضت ، فأثر الحزن في قلبي فعفا عنه ووصله .

(أقول) قوله ركبت مطية البيت يشير بذلك إلى زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام لانه صلب قدس الله روحه وكان الذى صلبه يوسف بن عمر في خلافة هشام وبقي معلقاً أربعة أعوام ، ثم أنزل واحرق وقصته مشهورة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وكذلك إبنه يحيي بن زيد صلب في خلافة الوليد بن يزيد بالجوزجان ولم يزل مصلوبا حتى جاء أبو مسلم الخراساني فأنزله وواراه وصلى عليه وتصفح الديوان فقتل كثيراً ممن خرج إلى قتاله وسود أهل خراسان ثيابهم اذ ذاك فصار شماراً لبني العباس وأمر باقامة المأتم عليه ببلخ ومرو سبعة ايام وناح عليه النساء ، وكل من ولد في تلك السنة من اولاد الاعيان سموه يحيي فانا لله وإنا اليه راجعون .

قال بعضهم مر عمارة اليمني مصلوب فقال يصفه :

ومد على صليب الصلب منه يميناً لا تطول إلى شمال
ونكس رأسه لعتاب قلب دعاه إلى الغواية والضلال

قال فلم تمض والله ثلاثة أيام حتى رأيته مصلوبا مع الجماعة بين القصرين .

وقال آخر : عبرت بين القصرين وأنا عائد من دار السلطان صلاح الدين عشية النهار الذي صلب فيه عمارة فشاهدته مصلوبا ، فذكرت ابياتاً عملها في ابن الصالح ، وهي :

إذا قدرت على العلياء بالقلب فلا تعرج على سعي ولا طلب
ولا ترقن لي ان كربة عرضت فان قلبي مخلوق من الكرب
واستخبر الهول كم آنست وحشته وكم وهبت له روحي ولم اهب

قال الصفدي في شرح لامية الطغرائي .

قلت : هـذا الفقيه نجم الدين عمارة اليمني كان فقيهاً اديباً ماهراً شاعراً ، شافعي المذهب ، من اهل السنة المتعصبين ، قدم إلى مصر في دولة الفاطميين ،

وصاحب مصر يومئذ الفائز بن الظافر ووزيره الصالح بن رزيك فكان عنده في اكرم محل واعز جانب واتحاد عظيم على ما بينهما من الاختلاف في العقيدة ، ثم رحل إلى اليمن ، ثم عاد إلى مصر وأقام بها إلى ان زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين ، ورثى أهل القصر بقصيدته اللامية التي اولها :

رميت يا دهر كف المجد بالشلل ... ورعته بعد حسن الحلى بالعطل

إلى قوله منها :

قدمت مصراً فأولتني خلائقها ... من المكارم ما اربى على الامل

قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن ... تمامها انها جاءت ولم اسل

يا عاذلي في هوى ابناء فاطمة ... لك الملامة ان قصرت في عذلي

بالله زر ساحة القصرين وابك معي ... عليهما لا على صفين والجمل

ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة ... بنسل آل امير المؤمنين علي

هل كان في الامر شيء غير قسمة ما ... ملكتم بين حكم السبي والنفل

وهي طويلة في غاية الحسن ومن أراد الاطلاع عليها فهي مثبتة في الجزء السابع من التذكرة للصفدي .

فلما بلغت السلطان هذه المرثية تغير عليه ، وقيل : انه استفتى عليه في قوله من قصيدته الميمية :

وكان مبدأ هذا الدين من رجل ... سعى فأصبح يدعى سيد الامم

وهذا الكلام هو رأي الفلاسفة في النبوة ، وانها تحصل بالتكسب ، وهي احدى المسائل التي كفروا بها ، والصحيح أن الله يجتبي من رسله من يشاء ، ولم يكن احد من الانبياء عليهم السلام عنده شعور بأنه يكون فيما بعد نبياً ، ولو كان ذلك ما انكر النبي ﷺ ورود الوحي عليه ، ولا حم وجاء إلى اهله وقال زملوني .

ثم قال الصفدي : وانا أري ان هذا مفتعل على الفقيه عمارة عند السلطان ونظمه بعض اعدائه على لسانه ودسه في تلك القصيدة وأغروا به عند السلطان

وقالوا هذا يتعصب للمصريين ، ويريد اعادة الدولة لهم وضموه مع القاضي العوريس واولئك السبعة الذين صلبوا :

وما يبعد ان القاضي الفاضل سامحه الله تعالى عليه واختار هلاكه لانه لما استشاره السلطان صلاح الدين في ضرب الفقيه عمارة قال له : الكلب يسكت ثم ينبح ، قال : فيسجن ، قال : يرجى له الخلاص ، قال : فيقتل ، قال : الملوك إذا أرادوا شيئاً فعلوه ونهض ، فأمر السلطان بصلبه مع الجماعة ، فلما امسكوه قال لهم مروا بي على باب القاضي الفاضل عبد الرحمن ، فمروا به على بابه ، فلما رآه القاضي مقبلا قام ودخل واغلق الباب ، فقال عمارة :

عبد الرحيم قد احتجب ان الخلاص هو العجب

ثم صلب .

وذكر القاضي جمال الدين بن واصل في مفرج الكروب ان القاضي العوريس رأى في منامه المسيح عليه السلام وهو مطل عليه من السماء ، فقال له القاضي الصلب حق ؟ قال : نعم فقص ذلك المنام على العابر ، قال له : انت تصلب ! قال : لأي معنى؟ قال : لان المسيح ﷺ لم يصلب فان الله تعالى قال في حقه (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وقد قال لك ان الصلب حق وهو عليه السلام صادق القول فما بقي الصلب إلا في حقك فصلب بعد ايام مع الجماعة .

﴿ فائدة ﴾

لا بأس بذكر جماعة من اعيان المصلوبين : اول مصلوب صلب في الاسلام عقبة ابن ابي معيط قتله رسول الله ﷺ بعد منصرفه من غزوة بدر ، وأمر بصلبه ، وخبيب ابن عدي وابن الدثنة الانصاريان اسرتهما هذيل يوم الرجيع ، ولهما حديث طويل فصلبوهما بالتنعيم ، وخبيب هذا أول من سن الركعتين قبل القتل .

وعقبة بن جشم بن هلال النمري صلبه خالد بن الوليد ، وهانىء بن عروة

المرادي ، ومسلم بن عقيل بن ابن طالب صلبهما عبيد الله بن زياد بسوق الكوفة وعبد الله بن الزبير صلبه الحجاج بمكة منكوسا ، وقال : لا انزله حتى تشفع فيه امه اسماء بنت ابي بكر الصديق ، فلم تتكلم فيه ، فيقال انه بقي سنة حتى مرت به يوما بعد ذلك ، فقالت : أما آن لراكب هذه المطية ان يترجل ! فانزل فيقال : انه لما اتى اليها بأشلائه وضعته في حجرها فحاضت من ساعتها وجرى اللبن في ثديها فقالت : حنت اليه مواضعه ، ودرت عليه مراضعه .

ويزيد بن المهلب بن ابي صفرة صلبه مسلمة بن عبد الملك بجسر بابل وعلق معه خنزيراً وسمكة وزق خمر .

وزيد بن علي بن الحسين وولده يحي المتقدم ذكرهما ، وخالد بن عبد الله القسري صلبه مروان الحمار على باب الفراديس بدمشق .

وجعفر بن يحيي البرمكي صلبه الرشيد هارون وقطعه ، ثم احرقه ، وسيأتي خبر صلبه فيما بعد ان شاء الله تعالى .

لما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة ألفاه مجنون ليلى وأنشده :

ليت شعري أي قوم اجدبوا — فأغيثوا منك من بعد العجف
نظر الله لهم من بيننا — وحرمناك بذنب قد سلف
يا ابا اسحاق سر في نعمة — وامض مصحوبا فما منك خلف
انما انت ربيع باكر — حيثما صرفه الله انصرف

أمر الملك قرواش بعض شعرائه ان يصف الليل بهجاء وزيره سليمان وحاجبه ابي جابر ومغنيه البرقعيدي ، وان يستطرد وصف الصباح في مدحه ، فقال وابدع

وليل كوجه البرقعيدي ظلمة — وبرد اغانيه وطول قرونه
سريت ونومى فيه نوم مشرد — كعقل سليمان الوزير ودينه
على أبلق فيه التفات كأنه — أبو جابر في خبطه وجنونه
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه — سنا وجه قرواش وضوء جبينه

﴿ ترجمة السيد الجليل ، الأصيل النبيل ، بليغ العصر والزمان ﴾
(السيد على خان ، نجل السيد السند ، الوزير الصدر)
(المعتمد ، نظام الدين السيد أحمد بن محمد بن معصوم)
(ابن نصير الدين بن ابراهيم بن سلام الله)
(ابن مسعود بن محمد بن غياث الدين منصور)
(الحسنى الحسينى)

رئيس بعد صيته ، ولان له عطف العز وليته ، حتى صار نادرة الزمان ، وواسطة عقد البلاغة والبيان ، وإمام الفضل والادب ، والعلم الموروث والمكتسب ، فاضل لاتسجع الحمائم بدون نسيبه ، ولا يترنم المحب الهائم بسوى غزله في حبيبه ، لو هز خطي بلاغته وسطا ، لأنشأ في السطور والصدور أمة وسطا ، شعره كثير الفنون ، ونثره سلوة المحزون ، له المعاني المعجبة الانيقة ، والالفاظ البليغة الرقيقة ، ان نظم لم يبق للطلا طلاوه ، أو نثر لم يترك للزهر حلاوه . ولد بمكة المشرفة ، ورفل في حللها المفوفه ، ثم سافر إلى الهند واقام بها في كنف والده وبها تخرج على عدة من الجهابذة ، حتى أقرت له بالفضل جميع الاساتذة ، واما والده المنتجب ، فكان فريد عصره في فنون الادب ، خصوصاً في معرفة كلام العرب ، حفظ القرآن المجيد وجوده بالسبع ، واخذ الفقه عن الشيخ شرف الدين الباقى ، والحديث عن جدي السيد نور الدين المترجم في أوائل هذا الكتاب ، والعربية عن الملا علي المكي ، والمعقولات عن الشمس الجيلاني ، وكان في الحفظ غاية لاتدرك ، واما في شهامة النفس ، وسخاوة الكف ، فبه يضرب المثل ، دخل إلى الديار الهندية سنة اربع وخمسين وألف ، واجتمع بقطب شاه حيدر أباد ، فأكرمه غاية الاكرام ، وزوجه بابنته واستوزره وحكمه في جميع مملكته ، فلم يزل في رتبة علية وعيشة هنية ، إلى أن افلت شموس السلطنة الدكنية ، واستولى على السلطنة سلطان الهند محمد

او نقريب ، وذلك في مفتتح سنة ثلاث وثمانين والف ، ولهذا السيد المجيد نظم فريد ورسائل ، يتحلى بها جيد الدهر العاطل ، وأحسن ماسمعت من نظمه قوله في غلام له غضب عليه فضربه .

تراءى كظبي نافر من حبائل　　　يصول بطرف فاتن منه فاتر
وقد ملئت عيناه من سحب جفنه　　　كنرجس روض جاده وبل ماطر

وأجازه وزيره احمد بن محمد الجوهري بقوله :

وظبي غرير بالدلال محجب　　　يرى أن فرض العين ستر المحاجر
رماني بطرف أسبل الدمع دونه　　　لكيلا أرى عينيه من غير ساتر

قلت : لله در الجوهري فلقد احسن ماشاء في نظم هذا الجوهر وما احسن قول إمرىء القيس من لاميته المشهورة :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي　　　بسهميك في أعشار قلب مقتل

ويعجبني قول ابي فراس في غلام ضربه وكان يهواه :

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من　　　كفي غلهما غيظاً إلى عنقي
وأستعير إذا عاتبته حنقاً　　　وأين ذل الهوى من عزة الحنق

قلت : جزاء هذا المحب ان يؤدب بالهجران والصد ، لضربه للحبيب مائس القد ، وما ألطف قول ابي عبد الله محمد بن غالب الرفا الاندلسي في غلام يبل عينيه بريقه ويوهم انه يبكي .

عذيري من جذلان يبكي تصابيا　　　واعينه مما يحاوله صفر
يبل مآقي مقلتيه بريقه　　　ويحكي البكا عمداً كما ابتسم الزهر

ومن ظريف الحكاية ان عنان جارية الناطفي الاديبة الشاعرة البغدادية الآتي ذكرها ان شاء رب العالمين ، ضربها سيدها يوماً فدخل عليها ابو نواس وهي تبكي وكان يهواها فقال :

بكت عنان فجرى دمعها　　　كالدر إذ يستل من خيطه

فقالت بديها وهي تبكي :

فليت من يضربها ظالماً تبين يمناه على سوطـــه

فقال سيدها : اعتق جميع ما املك ان وجد في الانس والجن اشهر منها :
وتوفى السيد المذكور بحيدر أباد سنة خمس وثمانين والف رحمه الله تعالى
وأرخ وفاته ولده صاحب هذه الترجمة بقوله :

حزنت لموتك طيبة ومنى وزمزم والحطيم
فلذا أتى ببديهة تاريخه (حزن عظيم)

وحيدر آباد هذه مدينة عظيمة مشهورة بسهل الهند وهى قاعدة ارض الدكن والهند ممالك متسعة آخذة في عرض الاقليم الأول والثانى والثالث والرابع .
رجع إلى ترجمة ولده المذكور .

ثم عاد من الهند إلى بلد الله الحرام عام اربعة عشر والف من هجرة الشفيع في الخاص والعام ، فحج ثم سافر إلى بلاد فارس وبها دنت وفاته فمات بشيراز عام تسعة عشر او عشرين ومائة ودفن بحرم الشاه جراغ رحمه الله تعالى . وله التصانيف الكثيرة ، المفيدة الشهيرة ، منها شرح الفوائد الصمدية في النحو ، وهو كتاب جليل ، وشرح الصحيفة الكاملة لزين العابدين على بن الحسين ، وهو كتاب جليل لا له مثيل ، وانوار الربيع في انواع البديع شرح بديعيته ، وسلافة العصر في محاسن اعيان العصر تاريخ عجيب ، والطراز في علم اللغة ، وهو كتاب فريد الوجود نحا به نحو القاموس ، واورد على صاحب القاموس ايرادات ، وزاد على قاموسه لغزارة فضله زيادات ، وله ديوان شعر فريد جمع فيه كل در نضيد ، فمن بليغ شعره قوله وهو من رقيق خمرياته .

أما الصبوح فانه فرض فالام يكحل جفنك الغمض
هذا الصبوح بدت بشائره وخيله في ليله ركض
والليل قد شابت ذوائبه وعذاره بالفجر مبيض

فانهض إلى حمراء صافية قد كاد يشرب بعضها بعض
يسقيكها من كفه رشأ لدن القوام مهفهف بض
سيان خمرته وريقتــه كلتاهما عنبية محض
تدمى اللواحظ خده نظراً فاللحظ في وجناته عض
من ضمه فتح السرور له باباً وكان لعيشه الخفض
باهت وقد ابدى محاسنه قمر السماء بحسنه الارض
يسعى بها كالشمس مشرقة للعين عن اشراقها غض
والكاس إذ تهوى بها يده نجم بجنح الليل منقض
بات الندامى لا حراك بهم إلا كما يتحرك النبض
في روضة يهدى لنا شقها أرج الحبائب زهرها الغض
ختم الحيا ازهارها فغدا بيد النسيم لختمها فض
فاشرب على حافاتها طربا وانهض لها ما امكن النهض
لا تنكرن لهوي على كبر فعلي من عهد الصبا فرض
أغرى العذول بلومه شغفي فـكأنما ابرامــه نقض
حالفته والرأي مختلف شأني الوداد وشأنه البغض
مهلا فليس على الفتى دنس في الحب ما لم يدنس العرض

كأن هذا الكلام مأخوذ من قول السموأل بن عاديا اليهودي الآتي ذكره وهو:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فـكل رداء يرتديه جميـــل

وقوله وهي من شهي خمرياته ايضاً:

قم هاتها وحسام الصبح منذلق صهباء منها ضياء الصبح ينفلق
لم ندر حين توافينا اصبغتها تلوح ام وجنة الساقي ام الشفق
كأنها في الدجى شمس تضيء لنا فينجلي عن سنا انوارها الغسق
ألقت على الصبح لوناً من اشعتها فاحمر من خجل من نورها الافق

عذراء تغضي حياء من ملامسها ... فيستحيل حباباً فوقها العرق

هذا من التشبيهات الملوكية :

إذا تجلى لنا من افقها قدح ... دارت نطاقا على حافاته الحدق

ما الطف هذا الجناس اللفظي والمقلوب :

وان جلاها بلا مزج مشعشعها ... يكاد من لهب اللألاء يحترق

تخالها شفقاً حتى إذا لمعت ... حسبتها البدر في الظلماء يأتلق

من كف أهيف في خلخاله حرج ... إذا تثنى وفي اجراسه قلق

يديرها وهو مهتز لها طرباً ... كأنما هزه من روعة فرق

في خـــده ومحياه ومبسمه ... نار ونور ونور نشره عبق

ما احسن هذا اللف والنشر المرتب :

يجلو دجى فرعه لألاء غرته ... كأنما انشق عن ازراره الفلق

ترى الندامى سكارى حين تلحظه ... كأنهم من حميا ريقه اغتبقوا

يغضي بذي كحل بالسحر مكتحل ... وسنان ما راعه سهد ولا ارق

ظبي ولـكنه بالدر متشح ... بدر ولـكنه بالتبر منتطق

تطيب ريا شذاه كلما نسمت ... كالمسك يزداد طيباً حين ينتشق

كم من احاديث أبداها تعتبه ... كأنما درر قد زانها نسق

فود كاشحنا ان ناله صمم ... إذ بات مكتئباً للسمع يسترق

وقوله :

لمن ساريات بين وهن وتغليس ... تزف زفيف الطير في صور العيس

إذا أنشقتها عرف نجد ورنده ... صبا نفست من كربها بمض تنفيس

وان نفحتها نسمة حاجرية ... أبت من غرام ان تميل لتعريس

سرت تتهادى بالحدوج كأنها ... بروج نجوم او وكور طواويس

على كل فتلاء المرافق هودج ... تقيس به من حسنه عرش بلقيس

حوى بدرتم دونه ليل عثير وظبي كناس دونه ليث عريس
إذا رق لي مما اقاسي صبابة تنمر لي من قومه كل غطريس
وان قلت عج بي قال عجبي يصدني فيبدي بديع القول احسن تجنيس

ما احسن هذا الجناس التام وقوله من خمرياته :

لمعت ليلا فقالوا لهب وصفت لوناً فقالوا ذهب
وإذا ما اندفقت من دنها في الدجى قالوا طراز مذهب
خمرة رقت فلو لا كاسها لم يشاهد جرمها من يشرب

يعجبني قول ابي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي الموصلي في هذا المعنى :

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها قهوة تترك الحليم سفيها
لست ادري لرقة وصفاء هي في كاسها ام الكاس فيها

وأجاد في هذا المعنى ابو القاسم علي بن اسحاق الزاهي حيث قال :

ومدامة لضيائها في كاسها نور على فلك الاصابع بازغ
رقت وغاب عن الزجاجة لطفها فكأنما الابريق منها فارغ

أخذ هذا المعنى الصاحب اسماعيل بن عباد فقال :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

رجع إلى قصيدة السيد المذكور :

ألبستها الكاس طوقا ذهباً وحباها باللآلي الحبب
عجبوا من نورها إذ أشرقت وشذاها من سناها أعجب
بنت كرم كرمت اوصافها أي بنت قام عنها العنب

وقوله هذه القصيدة الغراء :

يا دارمية باللوى فالاجرع حياك منهل الحيا من ادمعي
وسرى نسيم الروض يسحب ذيله بعصيف انس في حماك ومربع

لو لم تبيتي من انيمك بلقعا ما بت اندب كل دار بلقع
لم انس عهدي والاحبة جيرة والعيش صفو في رباك الممرع
ايام لا اصغى للومة لائم سمعا وإذتغرى الصبابة مسمعي
حيث الربى تسري برياها الصبا والروض زاهي النور عذب المشرع
تحنو علي عواطفاً افنانه عند المبيت به حنو المرضع

قلت : لعل هذا يشبه بقول ابي نصر احمد بن يوسف المنازي الشاعر المشهور في وصف وادي برغا :

نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم

وسنذكر بقية الابيات في ترجمة ابي العلا المعري ان شاء الله تعالى .

رجع :

والورق في اعلى الغصون سواجع تشدو بمرأى من سماد ومسمع
كم بت فيه صريع كاس مدامة حلف البطالة لا افيق ولا اعي
أصبو بقلب لا يزال موزعا في الحب بين معمم ومقنع
ما ساءني ان كنت اول مغرم بجمال رب رداً وربة برقع
يمتادني زهو الشباب وعفتي فيه عفاف الناسك المتورع
لله ايامي بمنعرج اللوى حيث الهوى طوعي ومن اهوى معي
لم أنسه والبين ينعق بيننا متصاعد الزفرات وهو مودعي
ان شب في قلبي الغضا بفراقه فلقد ثوى بالمنحنى من اضلعي
أتجشم السلوان عنه تكلفا والطبع يغلب شيمة المتطبع

وشعره المطبوع كثير ، اقتصرت منه على هذا القدر اليسير ، والله تعالى اعلم .

حدث اشجع بن عمرو السلمي الشاعر المشهور ، وكان من فحول شعراء البرامكة ، ثم اختص بالرشيد ، قال : دخلت على الرشيد يوما بالرقة وفي مجلسه سبعة من الشعراء ، وكنت احدثهم سناً وارثهم حالا ، فما بلغت نوبتي في الانشاد حتى

كادت الصلاة أن تجب فخفت ان ابتدىء بالنسيب فيقطعه علي وجوب الصلاة وكان اول قصيدتي :

تذكر عهد البيض وهو لها ترب ... وأيام يصبي الغانيات ولا يصبو

فتركته وجئت بالمديح ، فقلت :

إلى ملك يستغرق المال جوده ... مكارمه نثر ومعروفه سكب

وما زال هارون الرضى بن محمد ... له من مياه النصر مشربها العذب

فتى تبلغ العيس المراسيل بابه ... بنا فهناك الرحب والمنزل الرحب

يبث على الاعداء ابناء دربة ... فلم تقهم منه حصون ولا درب

وما زلت ترميهم بهم متفرداً ... أنيساك حزم الرأي والصارم العضب

جهدت فلم ابلغ علاك بمدحه ... وليس على من كان مجتهداً عتب

فضحك الرشيد وقال: كانك خفت ان يجب وقت الصلاة فينقطع المديح عليك فبدأت به ، قلت : نعم يا امير المؤمنين فأمرني بقراءة النسيب وامر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم وأمر لي بضعفها .

وقال الاصفهاني : اول من اول اشجع إلى الرشيد الفضل بن الربيع الحاجب وصفه له وقال له : هو اشعر الشعراء في هذا الزمان ، وقد اقتطعه عنك البرامكة ، فأمره بادخاله مع الشعراء ، فحضر وأنشده :

قصر عليه تحية وسلام ... نشرت عليه جمالها الايام

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقت ... للملك فيه سلامة وسلام

قصر سقوف المزن دون سقوفه ... فيه لأعلام الهدى اعلام

نشرت عليه الارض كسوتها التي ... نسج الربيع وزخرف الاوهام

ادنتك من ظل النبي وصية ... وقرابة وشجت بها الارحام

برقت سماؤك في العدو وأمطرت ... هاماً لها ظل السيوف غمام

وعلى عدوك يا ابن عم محمد ... رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته وإذا غفا سلت عليه سيوفك الاحلام

قلت : هكذا يكون الشعر وإلا فلا لا ، فلله در هـذا الشاعر ، فانه ما ترك للأول ولا للآخر .

ورأيت في بعض مجاميع اصحابنا ان اشجع هذا كان منقطعاً إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فقال الرشيد يوما للعباس هذا : يا عم ان الشعراء قد اكثروا في مديح محمـد الامين بسببي وبسبب ام جعفر زبيدة ، ولم يقل احد منهم في المأمون شيئاً ، وانا احب ان اقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه فذكر العباس ذلك لاشجع فقال :

بيعة المأمون آخـذة بعنان الحق في افقه

احكمت مرآته عقداً تمنع المحتال في نفقه

لن يفك المرء ربقتها او يفك الدين من عنقه

وله من وجـه والده صورة تمت ومن خلقه

فأتى العباس الرشيد فأنشده إياها فاستحسنها وسأله : من قالها ؟ فقال : هي لي ، فقال له الرشيد : والله يا عم لقد سررت مرتين باصابتك ما في نفسي وبكونها لك ، وما كان لك فهو لي ، ثم امر له الرشيد بثلاثين الف دينار ، فاعطى العباس منها أشجع خمسة آلاف وأخذ باقيها لنفسه .

قلت: انظر بالله إلى سفالة العباس وخسته التي جلت عن القياس. وكان بخيلا جداً ، وسمعت له حكاية ظريفة وهي ان ربيعة الرقي الشاعر المشهور مدحه بقصيدة لا تليق إلا بالرشيد وامثاله ، وقال منها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل لا وانت مخلد ما قالها

ماان اعد من المكارم خصلة إلا وجدتك عمها او خالها

قلت : ليت شعري ما ذا يقوله الشعراء بعد هذه الابيات . ثم ارسلها اليه ، وقدر في نفسه ان يجيزه عنها الف دينار ، ان غلب الشح عليه ، فلم يشعر إلا

وغلامه قد جاء بشيء في قرطاس ، ففتحه فاذا ديناران ، فقال للغلام : الديناران لك مني واحتل في أخذ ورقة الشعر ورجوعها إلي ، فاخذها له العبد ، فقال ربيعة فيه :

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافتريت
فانت المرء ليس له وفاء كأني إذ مدحتك قد رثيت

الظاهر أنه يقرب من معنى البيت الاخير قول المتنبي من مقصورته التي هجا بها كافور الاخشيدي وهو :

وشعر مدحت به الكركدن بين القريض وبين الرقى
فما كان ذلك مدحا له ولكنه كان هجو الورى

ثم ان العباس لما قرأ هذه الابيات دخل من ساعته على الرشيد ، وقال له : ان ربيعة الرقي هجاني فغضب الرشيد لذلك لأن العباس كان مبجلا عنده ، وقد كان الرشيد أراد أن يتزوج ابنته فأمر باحضار ربيعة من فوره ، فلما حضر قال له : يا عاض بظر أمه اتهجو عمي واخص الناس منزلة عندي ، فقال ربيعة : والله يا امير المؤمنين لقد مدحته بقول ما قاله احد من الشعراء ، ثم انشده القصيدة فقال له الرشيد : صدق والله يا عم ان هذا الشعر ما قيل في احد من الخلفاء فكم اجزته عليه فتلجلج العباس وانتقع لونه ، فقال ربيعة أجازني يا امير المؤمنين دينارين فظن الرشيد ان قوله مزح ، فقال لربيعة : بحياتي عليك كم اثابك ؟ قال : وحياتك ما أعطاني غير دينارين ، فتغير الرشيد جداً ، ثم التفت إلى العباس وقال له : ليت شعري ما الذي قعد بك عن طريق آبائك الكرام نسبك نسب لا يدرك والأموال فقد سوغتك منها فوق الحد ، ام هذا من نفسك الدنية ، فلا ذنب لي فهي والله نفسك ، فكاد العباس ان يموت من الخجل .

ثم ان الرشيد أمر لربيعة بثلاثين الف درهم ، وقال له : بحياتي عليك لا عدت تذكره في شعرك ابداً .

قلت : بل كان ربيعة بعد هـذه الواقعة يعبث كثيراً بالعباس في مجلس الرشيد ، وأحسن ما سمعت من عبثه معه ان العباس دخل يوما على الرشيد ومعه حق فضة ، وكان الرق حاضراً ففض العباس الحق فاذا فيه غالية فقال يا امير المؤمنين هذه غالية صنعتها لك بيدي واخترتها لك، فسكها تبتي ، وعنبرها شحري، وعودها هندي ، فالوصف يقصر عن حسنها ، فاعترضه ربيعة وقال : ما رأيت احمق منك تصف هذه الغالية بحضرة من تهدى اليه نفائس الدنيا وتتقرب الملوك لخدمته بأعز ما عندها ، وما قدر غاليتك هـذه ، ثم التفت إلى الرشيد وقال بحياة امير المؤمنين ان تجعل هذه الغالية نصيبي من عطائك إلى سنة ، فأمر له بها ، وقد غلبه الضحك ففض ربيعة ختمها وملأ يديه منها فدهن بها ابطه الايمن ، ثم ملأ يده ثانياً فدهن ابطـه الايسر ، ثم حل سراويله وملأ يده فطلى استه وبيضتيه ، ثم طلى ذكره ، ثم قال : ياامير المؤمنين أتأذن لي بدخول غلامي ! قال: قد اذنت لك . وقد كاد الرشيد ان يغشى عليه من الضحك ، فلما دخل الغـلام ناوله ربيعة الحق غير مختوم ، وقال له : اذهب الساعة إلى جاريتي فلانة فأعطها الحق وقل لها ادهني بهذا ابطك ، وحرك واستك حتى اصل اليك الساعة فأنيكك ، فذهب بها الغلام وضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ، وكاد العباس ان يموت من الغيظ ، فقام وخرج وهو يتعثر في أذياله من الخجل ، وأمر الرشيد لربيعة بثلاثين الف درهم .

وكان الرشيد قـد جفا العباس هـذا من قصته الأولى مع ربيعة وسقط من عينه وترك ما كان هم به من تزوجه بابنته .

قلت : بل الأولى للرشيد انه كان ينزه مجلسه من حضور العباس هـذا فانه ما ترك للبخلاء اسما ولا رسما .

قيل : كان عباد بن زياد بن ابيه كبير اللحية جداً ، وكان اخوه عبيد الله بن زياد ولاه فارس ، وصحبه يزيد بن مفرغ الحميري الشاعر المشهور ، وعباد هذا كان مشهوراً بالبخل فركب يوما واتفق ان عصفت الريـــح ، فدخلت في لحية عباد

فانتفشت فضحك ابن مفزع وقال : وكانت تلك السنة مجدبة :

ألا ليت اللحى كانت حشيشا　　فنعلفها خيول المسلمينا

فكانت سبب غضب عباد عليه حتى حبسه وهجاه ابن مفزع بأهاجي فضحه بها .

يقال : لو كان في اللحى خير لحلى الله بها اولياءه في الجنة .

وما احلى قول ابن اللبان الاندلسي في غلام طلعت لحيته .

أبصرته قصر في المشيه　　لما بدت في خده اللحية

قد كتب الشعر على خده　　او كالذي مر على قريه

لله دره في هذا الاقتباس العجيب ، ويعجبني قول القاضي بدر الدين محمد الحسيمي في هذا المعنى :

لما رأى نبت عارضيه　　دعا إلى الله واستعاذا

وقال طرف له سقيم　　يا ليتني مت قبل هذا

في هذا الاقتباس عجائب وغرائب ، وقال حيدر اغا من شعراء نسمة السحر وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وهو السابق في هذا المعنى :

وقالع شعره بخيط　　قلت له يا رشا لماذا

اومى إلى خده ونادى　　يا ليتني مت قبل هذا

وقال آخر وأجاد ما شاء :

يا ايها الاحباب قد ظفرنا　　عليكم من بعد ما التحيتم

نسيتمونا اولا جميعاً　　فاليوم ننسا كم كما نسيتم

هذه المقاطيع كلها خالية من فحش الاقتباس، وافحش ماسمعت من الاقتباس قول الصفي الحلي ، وأنا استغفر الله لي وله ولشعراء المسلمين :

ادخلت موسى منزلي　　وكان بدراً مشرقا

ففر اري قائماً　　فخر موسى صعقا

فلما كان ضحى السبت من ثامن شهر شعبان المعظم ، عام اثنين وثلاثين ومائة والف من هجرة النبي المكرم ، لازم امير الحاج المذكور في قزوين السلطان ، رفيع المرتبة والشان ، المشهور في الخافقين ، واهب الألوف من صنوف الورق والعين ، الملك المؤيد الشاه السلطان حسين ، لا زال بجوار ربه قرير العين ، صحبة الامير المكرم ميرزا رحيم الحكيم باشي ، أي حكيم الحكماء ، والفاضل العلامة شيخ الاسلام ، الملا محمد حسين ملا باشي ، أي عالم العلماء ، فأكرمه واحسن مثواه ، وأجزل صلته وعطاه .

ولا شك من ام الملوك فانه   تلاحظه عين العناية حيثما

جزاه الملك الوهاب ، خير الاجر والثواب ، يوم العرض والحساب .

من قال آمين ابقى الله مهجته   فان هذا دعاء ليس يحتجب

آمين آمين لا ارضى بواحدة   حتى اضيف اليها الف آمينا

وقد كان هذا السلطان ، درة تاج الزمان ، كرمه كوبل السحاب ، وفضله كالبحر العباب ، محباً للعلماء العاملين ، مكرما للغرباء والوافدين ، والسادات والمساكين ، يحب مجالسة اهل الفضل ، ويغمرهم بنائله والفضل ، وأما صلاحه فلا يحصره نقل .

ولو لا احتقار الاسد شبهتها به   ولكنها معدودة فى البهائم

إلا انه كان غافلا جداً عن امور مملكته ، حتى آل الامر إلى قتله وذهاب سلطنته ، وذلك حين خرجت عليه طوائف السليمانية ، وكانوا له من الرعية ، وكبيرهم محمود بن ميرويس السليماني ، فملك الهرات وكرمان ، ثم دار التخت اصفهان فادعى إذ ذاك السلطنة لنفسه بعد ان حبس السلطان ، وقتل كثيراً من الامراء والاعيان وقتل من ابناء السلطنة نحو عشرين انسان ، ولم ينج منهم إلا السلطان طهماس الذي هو موجود الآن ، فانه فر إلى بلاد الكرج ، وأذن له بالفرج .

ثم قتل محمود السليماني ، وجلس بعده قاتله اشرف خان السليماني ، وما زال السلطان حسين محبوساً إلى ان قتله اشرف هذا في عام الف ومائة وواحد واربعين رحمه الله تعالى .

وخربت مملكة العجم في ايام السليمانية ، وحلت بالناس البلية ، وصار بين السليمانية والروم سابقاً عدة حروب ، وقتل فيها عالم لا يحصى من الطرفين ، ثم ان الملك الدائم الخلاق ، اذن لشمس سعادة طهماس بالاشراق ، فخرج إلى خراسان ، بصحبة وزيره الوزير المسدد طهماس خان ، ويسمي طهماز ، فملك خراسان ، وقتل الملك محمود في ذلك المكان ، وافتتح العزيز طهماز خان ، بعد ذلك الهرات وكرمان وكثيراً من البلدان ثم افتتح مدينة اصفهان وقتل بها خلقاً لا يحصى من جماعة اشرف خان ، وفر اشرف إلى شيراز ، وتبعه الوزير طهماز ، فحاصره بها اياماً ، ثم فر إلى كرمان ، ومنها فر إلى موضعه الاصلي مدينة قندهار ، وحاكمها يومئذ السليماني حسين خان بن محمود خان ، فحين بلغه وصول اشرف ، قتله في الحال ولم يتوقف ، لان اشرف قتل اباه ! فكافاه وجازاه .

وصفت المملكة لسلطان العجم ، جميع المدن والبنادر ، ما عدا شيروان وايروان ، وكنبج ، وتبريز ، وتفليس ، وشماخة ، وكرمان شاه ، وهمدان ، فان هذه البلدان كانت في ايدي الاروام ، وصار بين الروم والعجم حروب ووقائع مرة هؤلاء يغلبون ، وتارة هؤلاء يغلبون ، إلى سنة ١١٤٤ فصارت الهدنة بينهم إلى ثلاث سنين ، فالله تعالى يصلح الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ثم صارت بعد ذلك عجائب وغرائب ، سار ذكرها في المشارق والمغارب ، من قيام طهماس خان الوزير ، واخذه للسلطنة وقتل الشاه طهماس ولم يبق من ذرية الصفوية كبيراً ولا صغير واستبد بالسلطنة لنفسه ، وصارت منه امور لا يسعها هذا الموضع ، وأنا أذكرها بالتفصيل ان شاء الرب المعين ، في تاريخي أزهار الناظرين في أخبار الأولين والآخرين ، بعون رب العالمين :

من ظريف ما انشده ثعلب رحمه الله تعالى :

دموعٌ ليس تحملها المآقى   وانفاس ترق فى التراقى
ووصل قد أطاف به صدود   وشمل بددته يد الفراق
خرجنا للوداع فأسلمتنا   نفوس لم تمتع بالتلاق
ومتنا ساعة التوديع لو لا   تعللنا بضمات المناق

وقال ثعلب : حدثنا عمر بن سعيد بن مسلم الباهلي قال : دخلت على الرشيد يوماً فقال : انشدني شيئاً في شدة البرد ، فانشدته قول ابن محكار :

في ليلة من جمادى ذات اندية   لايبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة   حتى يلف على خيشومه الذنبا

فقال : هات غير هذا ، فانشدته :

وليلة قر يصطلى القوس ربها   واقدحها اللاتي بها يتنبل

فقال : ما بعد هذا شيء ، وأحسن جائزتى .

قلت : واحسن ما سمع في هذا ما قاله ابن المعتز :

وليل يود المصطلون بناره   لو انهم حتى الصباح وقودها

وما احسن قول خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي وقد عاد من الحج فلما كان بمنزل تبوك صادفه ذلك النهار هواء شديد البرد وهو :

قد فت هذا الهواء الصعب في عضدي
وأوهن البرد جلدي إذ وهى جلدي
فلو أتاني الورى حتى ابايعهم   على الخلافة لم امدد لذاك يدي

وفي اول رجب الأصب سنة الف ومائة اتفق بالمدينة المنورة على ساكنها السلام ان رجلا من الهنود التجار فقد صندوقا من داخل الدار ، فيه ستة آلاف قرش ، والباب مغلق لم يفتح ولم يكسر ، فمضى الهندي إلى الدولة واخبرهم بذلك فتحيروا في هذا الأمر ، فارسل قائمقام المدينة من طرف ملك مكة المشرفة ذي العزم

الغالب ، مولانا الشريف احمد بن غالب ، وهو السيد الجليل رفيع الجناب ، المترجم في هـذا الكتاب ، ذو الوجـه المبارك والفضل ، الشريف شبير بن مبارك بن فضل إلى حاكم المدينة القائد راشد ، وقال له : دبرنا في هذا الامر فقال القائد اشرفوني على المحل الذي اخذت منه الدراهم ، فاشرفوه عليه ، فما رأى هناك مسلكا ، فقال الهندي : جاءني أمس رجل واشتريت منه سواراً واعطيته ثلاثين احمر ، وكان عندي ابن عمار المشهور بالمدينـة ، واحاديثه بها شهيرة ، فعرف الحاكم ان هـذا استخطاف فسار إلى السيد شبير ، وقال : ان هذا المال عند ابن عمار الشهير ، فاذا لم تلزمه في الحال ، وإلا لم تقع على هذا المال ، فأمر السيد شبير عبيده بالتفيش على ابن عمار ففتشوا عليه في البيت فما وجدوه ، فخرجوا من باب المصري فرأوه لحين وقعت العين على العين ، نزل واختفى في العين ، فاخبروا السيد شبير بذلك فأمر عبيد العين بالنزول والتفتيش عليه داخـــل العين ، فنزلوا وفتشوا فلم يروا له اثراً ، ولم يسمعوا عنه خبرا ، واختفى عنهم نحو ثمانية ايام ، ثم انه جاء إلى بيت شيخي چلبي من اعيان فقهاء المدينة وقال له : ان هـــذا الامر الذي اتهموني به انا بريء منه وطلب منه ان يدفعوه وخصمه إلى الشرع واخبر السيد شبير بذلك فطلب الهندي ودفعه وابن عمار إلى الشرع ، فما ثبت على ابن عمار الوجـه فرده السيد شبير إلى السياسة وقرره باللطف وقال له : لك علي عهد الله تعالى ان هذا الامر لم يظهر فانكر ابن عمار وقال هذه التهمة تشق علي وانا بريء منها ، وأنا رجل اصرف من الغيب فان أراد أعطيه من مالي هذا القدر وزيادة .

فأمر السيد شبير العبيد وضربوه بالسياط ضربا مؤلماً شديداً ، فلما اشتد به الحال ، اقر بأنه الذي اخذ هـذا المال ، فرفعوا عنه العذاب والنكال ، ثم لما اقبل الليل وادبر النهار ، اخذهم ومضى بهم إلى بعض الآبار ، وقال لهم : انزلوا في هـذا المكان ، فنزلوا فوجدوا المال وغيره مما يجل عن البيان ، واخبرهم انه كانت له جنية تتصرف له في كل ما يريد ، والآن له اربعة أيام يطلبها فلم يجدها .

وسمعت ان الشيخ العلامة العجيمي لما رأى كثرة فساده حبسها عنه ، ثم اصبحوا فاستفتوا فيه فأفتى المفتي بقتله فسودوا وجهه بالفحم واركبوه حماراً بالمقلوب وداروا به المدينة إلى بعد العصر ، ثم شنقوه عند باب المصري ، ونهبوا داراه ، فوجدوا عنده خيرات كثيرة من الرخوت والجواهر والبز العظيم الفاخر والملبوس والعبيد والنقد ، ووجدوا عنده فرسين ، فاخذوا الجميع وما ابقوا لأولاده شيئاً ، وكان شنقه ثامن عشر رجب ، فنسأل الله الحماية .

وظهر للناس ان احواله التي اشتهرت سابقاً من دخوله الحجرة الشريفة وغير ذلك انها كانت من حركات الجن ، فان أغوات الحرم النبوي إذا صار بعد صلاة العشاء وخرج الناس من الحرم الشريف يفتشون جميع المسجد ، ثم يغلقون باب الحجرة النبوية وجميع أبواب الحرم النبوي ويعضون بالمفاتيح إلى شيخ الحرم ، فاذا اصبحوا وفتحوا باب الحجرة النبوية يرون ابن عمار داخلها وهو يبكي ويتضرع فيظنون ان هذه ولاية منه وكرامة ، وعظم اعتقادهم فيه بحيث ان الرجل يكون قد اختلى بزوجته فما يفطن إلا وابن عمار ثالثهما فيظنون ان هذه كرامة ، فيفتحون الباب ويخرجونه .

والبنت المخدرة ما تفطن إلا وابن عمار معها في الفراش ، فعندي ان قتل هذا اللعين اللئيم أفضل من قتل مائة من اليهود ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أختلف المفسرون في قوله تعالى (وابيضت عيناه من الحزن) فقال مقاتل : لم يبصر بهما شيئاً ست سنين حتى كشف الله عنه ذلك بقميص يوسف والقائلون بهذا التأويل ، قالوا : الحزن الدائم يوجب البكاء الدائم ، وهو يوجب العمى لان البكاء الدائم يحدث كدورة سواد في العين .

ومنهم من قال : انه ما عمي لكنه صار بحيث انه يدرك ادراكا ضعيفاً .

وقيل : انه ما جفت عيناه ﷺ من حين فارقه إلى أوان لقائه ، وتلك المدة

ثمانون عاماً . ومنهم من ذهب إلى ان بصره ابيض برؤية الدمع فيه لانه إذا غلب البكاء على البصر كثر الدمع فتصير العين بيضاء بالدمع الذى فيها .

قال الصفدي في كتابه تشنيف السمع في انسكاب الدمع : قد رجح الامام فخر الدين هذا التأويل وحسنه ، ولكنه منقوض بما يأتى بعد ذلك من قوله تعالى (فارتد بصيراً) يدل على انه قد كان عمى .

وروي ان يوسف عليه السلام قال لجبريل عليه السلام : هل لك علم بيعقوب ؟ قال : نعم ، قال : وكيف حزنه ؟ قال : حزن سبعين ثكلى وهى التي لها ولد واحد ومات قال : فهل له في ذلك من اجر ، قال : اجر مائة شهيد . فان قلت: قال شاعر الحماسة:

وقفت كأنى من وراء زجاجة إلى الدار من فرط الصبابة انظر

فعيناي طوراً يغرقان من البكا فأعشى وطوراً يحسران فابصر

يؤيد ما استحسنه الامام ورجحه لانه قال: إذا نظرت إلى الدار ودموع العين باهتة فيها عشية وكنت كأنى انظر من خلف زجاجة شبة الدمع بالزجاج على عينه فلا ارى شيئاً وإذا انحسرت الدموع عن العين ابصرت .

قلت : تحدر الدمع من العين أما من خوف رقيب يحبسها ، واما ان يكون البكاء تصنعاً كمن يعصر شؤونه ليتباكى فانه يقل ابصاره ويكون اعشى قليل البصر وقد قرىء ، وجاؤا اباهم عشاء يبكون ـ بضم العين ـ جمع اعشى لانهم تصنعوا في البكاء وتكلفوه ، إذ لا حزن عندهم لانهم بلغوا قصدهم بابعاد يوسف عن ابيهم ، وشتان ما بين بكائهم وبكاء ابيهم .

أما النائحة بكراها مثل الحزينة بقلبها ، وفي قوله تعالى (فارتد بصيراً) تنبيه على انه كان قد عمى لانه ارتد على حالة كان على خلافها ، والابصار يخالف العمى ، وينضم الى هذا ما ذهب اليه بعض المفسرين من انه عمى مدة ثمانية سنين وتأويل الآية سياق نظمها يدل على العمى ، وقول يوسف عليه السلام اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيراً ، دليل على انه علم بعماه لانه اول ما بادر

الى زوال ماهو عنده عظيم وهو العمى ، وأما انه سير قيصه ليتحدر الدمع من عين ابيه وينفسخ فهذا بعيد عن الذهن اذ ليس بكبير امر ولامهم ، والله اعلم بالصواب وما ألطف ما قيل في اجوبة المراسلة :

فضضت ختامه فوجدت فيه قلائد عنبر نظمت سطورا
فكان كثوب يوسف حين وافى إلى يعقوب عاد به بصيرا

﴿ ترجمة عمدتي ومعتمدي ، وصاحبي ، وابن بلدي ، السيد الجليل ﴾
(الشيخ النبيل ، إبراهيم بن العالم الفاضل ، محمد سعيد المنوفي)

جهبذ الجهابذه ، واستاذ الاساتذه ، النافع بفضله التلامذه ، رئيس الرؤسا ونفيس أهل الكسا ، فاضل اليه الانام بالانامل تشير ، وفي العقل والسياسة نعم المدبر والمشير ، وكريم يدلك كرمه الهاطل على أنه من نخبة آل شبر وشبير .

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ملء المسامع والافواه والمقل
عالم نجل علما ، وعظيم نسل عظما .
كريم الخال من سلف كريم كنصل السيف وضاح الجبين

لو باحثه المعلم الاول ، لعلم أن ليس له ثان وان عليه المعول ، ولو ناظره أبو الاسود ، لسلم اليه أمور العربية وقلد ، ولو رآه ابن إدريس ، لاوصى اليه بالخلافة في المذهب بلا تدليس ، ولو علم به محمد بن اسماعيل ومسلم بن حجاج ، لأقبلا يخترقان من بخارى ونيسابور اليه الفجاج ، ولو رأى رقيق نظمه المهلبي لتلهب قلبه وطار شوقا اليه ، أو طرق سمع الرئيس الحريري أنيق نثره البليغ لنزل من علي مقاماته ووقف سامعاً مطيعا في الخدمة بين يديه ، ولو رآه ابن يعقوب لغدا قاموسه سرابا ولم يحسن بحضرته نطقا ولا خطابا ، ولو عاصره التفتازاني ، والجار بردي لما تصرفا في شيء من التصريف أبدا ، ولعلما أنهما قد صرفا العمر سدا ، ولا غرو فهو من بيت سيادة وعلوم ، ورياسة على العموم .

صغيرهم ككبير في اقتناء علا　　من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم

ومن أراد يعرف حديث أهل هذا البيت ويحرز أوصافه ، فعليه بترجمة جدهم في كتاب السلافه ، وترجمة إبنه عبد الجواد ، وبقية أهله الاجواد ، فكلهم قد تحلوا بقلائد عقيان هذه الاوصاف ، بلا ريب في ذلك ولا خلاف .

أضاءت لهم أحسابهم ووجوهم　　دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وأما الشيخ إبراهيم المترجم في هذه الرحلة ، فهو إمام في سائر فنون العلوم ورحله ، له النظم المزرى بالعقود في جيد الملاح ، الفاعل برقته في العقول فعل الراح ، فمن نظمه الغالي ، وشعره الحالي هذه المزدوجة العجيبة ، المتضمنة لقصة بين فتاة وفتى جميلين ، المودع فيها من ارسال المثل والتضامين ماتقر به العين ، معارضا بها مزدوجة الشيخ الفاضل ، محمد المغربي الاندلسي ، وهذه مزدوجة الشيخ إبراهيم .

حمداً لمن به يليق الحمد　وهو العلي في علاه فرد　لم يحص نعماه بحصر عبد
له الرجوع واليه القصد　　وفي رضاه بغيتي وقصدي

وأفضل الصلاة منه تترى　على نبي جاءنا بالبشرى　والآل والصحب الهداة طرا
يعبق الكون شذاها عطرا　　ما غردت ورقا بذات الرند

وبعد فاعلم ياأخا الآداب　بان قدر الحب للاحباب　يجل عن كم وعن حساب
وحده عند ذوي الالباب　　تعلق النفس ولو بفرد

هذا هو العشق اذا يرام　وان يزد فذلك الهيام　حتى اذا ما استحكم الغرام
وضلت الألباب والاحلام　　فذلك الحب وعين الوجد

يبعثه اطلاقه للطرف　في كل معشوق بديع الوصف　يجمع مابين البها والظرف
فلم يطق ينفي الهوى أو يخفي　　ودمعه لما أسر يبدي

ألا ترى للظبية الكحيله　ذات البها وذاتها جميله　أجفانها مكسورة عليله
مذ أعملت لصيد ظبي حيله　　رأته وهو رافل في برد

فاظهرت بأنها يتيمه　غريبة من حيها يتيمه　محتاجة منه إلى تميمه

عساه يــــدري للملاح قيمه ليبلغ السؤل وكل القصد
فمر يهتز إهتزاز الاسل مورد الخد كحيل المقل بطرة منه كليل أليل
وغرة تذل عزم البطل يحسر تيها ثوبه عن زند
وقال ماهذه الغزاله قد وقعت لاشك في حباله فأفلتت كناسها ملاله
وحار فيما رابه وهاله وقام لاحتما لها بجهد
حتى دنا يسألها عن جنسها وماالذي أوحشها من أنسها وكيف قد تنقلت من غرسها
وهي على ما اضمرت في نفسها صامتة كأنها من صلد
فشاقه لما رأى جبينها واظهرت لمكرها انينها وأتبعت دموعها حنينها
حتى إذا صار الفتى رهينها قالت: ترى اهلي دروا ماعندي
هلا صديق من ذوي المعالي يخبر أهلي بالذي جرى لي واني أصبحت كالخلال
أهيم في شواهق الجبال أواه لو أواه يوما تجدي
فقال مهلا ياابنة الغزلان مهما أردت اليوم في مكاني من مطعم في افخر الاواني
ومشرب صاف ومن البان وكل ماعز أتى بالنقد
فأظهرت تأوه الموجوع وأرسلت وبلا من الدموع فقال ياذات السنا البديع
ملكت مني رحمة جميعي فلو وهبت الروح قل رفدي
فهل على الركوب منك طاقة وشد لاحتما لها نطاقه فاغتنمت بذلك اعتناقه
وصيرت شعورها أطواقه وبلغت عناق ذاك القد
وانساب كالشبل حوى فريسه لاسيما كهذه النفيسه لطيفة في شكلها أنيسه
يختارها العابد من جليسه وينثني عن عفة وزهد
ولم يقف حتى إستبان داره فسيحة كثيرة النضاره والليل قد غشاها أستاره
وهي خداعا تشتكي الحراره وتشتهي بلثم ورد الخد
حتى إذا أنزلها وقاما يريد أن يبلغها مراما قالت فديت لا تخف أثاما
إذا شفيت يافتي سقاما فالله لايضيع أجر العبد

قال نعم فما الذي تريدى قالت شفاء قلبي العميد أرشف ماء ثغرك النضيد
وألصق الخدود بالخدود لعل يطفى مامعي من وقد
قال وحق فالق الاصباح وخالق من أحسن الملاح هذافسادي وهو من صلاحي
وما علي اليوم من جناح إذا وفيت صادقا بوعدي
وليس بعدي عنك من تجاف أو عادني في موعدي اخلافي وانما يمنعني عفافي
عن رشف مافيك الرحيق الصافي ولو علمت انه من شهد
فما الذي يشفيك من وصالي قالت عناق قدك العسال وبلغة من ريقك السلسال
أهنى على قلبي من الزلال يا فرحتي ان تم ذا وسعدي
هذا وانى زاد بي تلافي وليس غير الوصل من تلافي وحق ما يعلم كل خافي
ومن حباني رقة الاطراف ما حلت عن ودك يابن ودي
ولم تزل تخلبه بمكرها وتستميل طبعه بسحرها حتى دنا ثم إستوى في حجرها
وصار منه الصدر فوق صدرها نزحه رمانة من نهد
أحس منها خفقان قلبها وانها قد ذهلت عن لبها ونفسه قد علقت بحبها
فقال : خود بضة من لي بها انى أراها فى الشباب ندى
ظفرتها وهكذاالدهر صدف فكيف بي أسلمها إلى التلف وان بي كما بهامن الشغف
وما الغبي في الهوى كمن عرف وكم أعيش في القفار وحدي
فأيقنت لما رأته رقا ان الهوى ستر حجاه شقا قد عرف الحب وذاق المشقا
وعلق الصبر بريش المنقا وربما قرب العليل يمدي
قالت تنح أيها المحب فان جسمي كالحرير رطب وليس لي إلا المدام طب
فقم بنا لئن كنت نحوى تصبو فانها من شرب اهل الخلد
الحب لهو واطراح ودعه وفى إحتساء الراح كم من منفعه فان تدع فيها أناموذعه
وان تذق فاشرب كؤسا اربعه من خمرة قديمة فى العهد
ما الوصل إلا بعد شرب الراح تتابع الغبوق باصطباح وتعتنق ظامية الوشاح

وتعرف الشح من السماح لا سيما إذا خلت من ضد

وانطلقت تجر ذيل فخرها قد طبق الدار شميم نشرها وقام يسعى مطرقا في أثرها

قد صار في احبولة من نكرها ولم يبين هزلها من جد

فأقسمت بمنطق الحمامه ومن أظل المصطفى الغمامه ان لم يقم ليشرب المدامه

ويجعل العشق له علامه لأسقيه علقما من صدى

قال أجل والله ماخفت احد ان لم تعودي ويزول ذا النكد لارفع الامر إلى قاضي البلد

فليس لي على الفراق من جلد ولا أطيق ساعة من بعد

فطال مابينهما الشجار وطار من قولهما الشرار حتى جلا وجه السما الاصفار

قاما وما لديهما شعار يختصمان كاختصام اللد

وهي تقول قف اليك عني فلست منك بل ولست مني ان كنت تهوى رقتي وحسني

فلا ترح نفسك بالتمني واصبر على تجني وردي

شأن المحب أن يطيع حبه اذا دري حقيقة المحبه ويرتضى هينه وصعبه

ولم يطل ملامه وعتبه ان كان يشفيه الهوى أو يردي

ولم يزالا واقفين ساعه إذ مر ركب من ذوي البضاعه فأقسما ان يقصدا الجماعه

ويخلعا المجون والخلاعه ويرضيا بحكم أهل الرشد

عسى لعل الله يقضي بالمنى ويصرف الاكدار عنا والعنا يلهمنا شخصا رؤفا متقنا

نرضى بما قال علينا أو لنا ولا نقابل قوله برد

والركب قد طووا مهامه الفلا فأدركا شيخاً كبيراً نزلا كي يستريح ساعة فاعجلا

يناديان قف لنا حينا فلا عن وقفة قليلة من بد

فالتفت الشيخ ولم يدر الخبر وظن ان الشمس جاءت بالقمر ولم يحقق فيهما صدق النظر

من نور حسن كاد يخطف البصر وقال هذا اليوم يوم سعد

يا مرحباً بالقمرين مرحبا سبحان من أولا كما هذا الحبا ماذا تريدان وماذا تطلبا؟

ذكرتماني بشبابي والصبا سقياً له من معهد وعهد

أراكما والله ادري بالخفا كلا كما من الهوى على شفا كلا أراه يشتكي تعسفا
فان اقر بالصحيح او نفي ان الضنا علامة للوجد
فابتدرا والمهجتان في قلق وهو يقول انما الحق احق أإن اطاع العبد مولاه فسق
واليد لاتقطع إلا ان سرق مع هتكه للحرز بالتعدي
قالت اليك يا مليح الدل ما مثلك اليوم بداعي مثلي أنت الذي سرقت مني عقلي
فلا محيص عن مقال عدل يقضى على الجاني ولو بالحد
قال اسمعا كل يوفي حقه ان كنت انت أو هي المحقه لايحرم الله الضعيف رزقه
قد قدر الأجر على المشقه والله حيث كان ظن العبد
أ ان حكمت مخطئاً رضيتما ولو بظلم واضح علمتما قالا نعم انت اخو الحق فما
تميل عنه فاتق الله كما يرضى وقل مقالة الأسد
فقال أنواع الهوى فنوني اسهرت في تحقيقها عيوني والامر مبنى على السكون
فاوضحا دفائن الشجون ليس الذي يهزل كالمجد
ايكما ذا المدعى عليه فلا يفه مالم اشر اليه والمدعى يبدي الذي لديه
ويظهر الصحيح من جنبيه ثم احفظا ما تسمعان عندي
فابتدات تقول يامن يدرى حقائق الامور ان امري عشقته والعشق شأن الحر
لا حب إلا مايكون قهرى وهو مني كالغلق المنسد
يمر بي مجنبا تياها ولم يخف فيما جناه الله وحالتي يا صاح لو تراها
هائلة يرثى لها عداها يشيب منها الطفل جوف المهد
يرخي على تليله ذوائبا فيترك القلب العميد ذائباً وكم وكم قطب عنى حاجبا
احسبه من لوعتي محاربا بسيف لحظ مصلت من غمد
وكان ذاك السقم من جفنيه هو الذي اوقعني لديه ولو رايت السحر من عينيه
وحمرة تنشأ من خديه عذرت دمعي إذجرى في خدي
وعارض كأنه يسيل وخده المورد الاسيل اما اللمى فذاك سلسبيل

وظلمه ظلم نهى المذول عنه وقال فيه طعم الشهد

وعنق اتلع كالكافور يشف عن ماس في الخنجور والصدر من صفائح البلور

والخصر لا ينبيك كالخبير حاشاه في نحوله من قد

وجسمه مثل الزلال الصافي وفيه من تناسب الاطراف واحسن الصفات والاوصاف

مالم تقف فيه على خلاف ولم تطق احصاءه بعد

فكيف بي اترك عشق الربرب من حاز ظرف الترك بين العرب وهو الذي يصدني عن مأربي

حتى اطال لوعتي وحربي ينام عني وانا في سهدي

اليس قد درى بفرط عشقي فيه واني صرت ذات حق وهو شهير بالذكا والحذق

فلم يعاملني ببعض رفق ولم يساعدني عليه جدي

ولم تزل اخلاقه ولم ازل اشتاقه وعادة النفس العجل وقلت للقلب اليس في المثل

ان مت عطشانا فلا قطر نزل وبالدها يكون صيد الاسد

فساقه إلي مبرم القضا وجاءني عن غير طوع ورضا وكنت ملقاة اهيم في الفضا

فظن غير الشوق اشكو مرضا كأنه من حكماء الهند

اما لأمر ماغدا قصير يجدع انفه منه يا بصير والحزم سوء الظن يا خبير

هلا يرى ان الهوى يدور وقيل في ايامنا ستبدي

فحن لي حنو ام لولد ولم يكن له الوقوع في خلد ونلت مالم يحوه منه احد

حتى اتى بي داره من بعد كد كانها بعض قصور الخلد

وكان ماكان من التلاقي تمزق الهم يد المناق تحسدنا النجوم في الآفاق

وامتزج الوفاء بالوفاق وكان ذاك بغيتي وقصدي

بثثته عشقي له وحالي وكل مر ذقته وحالي وبات بي مغتنما وصالي

يا ليلة كانت من الليالي فريدة كالخال فوق الخد

وبت اشكوه النوى وهجره وهو على رفق يبين عذره فلو ترى وللقا مسره

كان قران المشتري والزهره فهل رأيت هكذا من سعد

وكلما قبلته يفتر عن مبسم يخجل منه الدر فشاق قلبي ان تدار الخمر

ما بيننا وكان ذاك الامر أصل الخصام وانقطاع الود

أنا الذي جلبته لأنسه لامن يقود خله لحبسه فما أطاع غير أمر نفسه

وظن أني طوعه في حدسه وسامني من داره بالطرد

فرحت والله بسرى أدرى أعنه اسلو أم اطيق صبرا ولم أقابله بهجري هجرا

رب الجمال بالجميل احري وجاز بالقبيح كل وغد

أنر كه للراح من عفاف ونهبه الارواح من انصاف وهو الذي كل في الاوصاف

وطبعه كالجوهر الشفاف أحق ان يشربها عن عمد

فما ترى في أمرنا ياقاضي احكم بحق ودع التغاضي لاتخش من لحاظه المواضي

قد وقع الاقرار بالتراضي وكلنا عن ذاك لا نعدي

فالتفت القاضي بكل للفتى كانه عما ادعته بهتا وقال يامن حسنه قد نعتا

هل كل ماتذكره منك أتى أم افترت فيما ادعت فأبدي

بح بالذي اضمرت في الفؤاد ليعقد الحكم على سداد لا يثبت البنا على فساد

وشاهد الاعدام في الايجاد والكتم ضرب من ضروب الحقد

فاندفع الفتى يقول سمعا لما أمرت فأعرني سمعا ما كنت في هذا الغرام بدعا

أمثل ذاتي تستحق المنعا ظلما وتبلى بالهوان المردي

ياأيها القاضي ومن أنشاني غضا رها في روضة الجنان وخصني بالحسن والاحسان

لولا هواها لم تكن تراني في ذلة كانني أستجدي

وانما من محن الزمان تحكم النساء في الفتيان اصل وقوعي يا اخا العرفان

كمادتي غدوت من مكاني أطلب صيداً من ظباء نجد

ولم أكن قدماً عرفت الحبا وليس لي غير القفار مربا فساقني لها القضاء غصبا

وهي تطيل نوحها والندبا وتشتكي حر النوى والبعد

تقول يامن يستجيب للدعا أدرك فتاة قلبها قد صدعا واسع لانقاذ صريع صرعا

فليس للإنسان إلا ماسعى وسوف تجزى بالثنا والحمد

فذ رأيت دمع عينيها همى رحمتها وكنت عبداً مسلما ولم أخل يعطب من قدأسلما

وصنتها من الهجير والظما لا جرأة مني ولا تمدى

وقلت لاأتركها تفنى سدى فانها لم تلق غيرى أحداً ولم تجد من الورى ملتحدا

وقمت لاحمالها مجتهداً مغتنما للاجر فيما أسدي

فاظهرت لي انها مشتاقة لغصن قدي تشتهي اعتناقه وورد خدي تبتغي انتشاقه

ومالها في غير ذا علاقة واستعطفتني فاستمالت قدي

وحق من أنشأ قدي غصنا ومقلتي من الفتور وسنا وقد كساني بهجة وحسنا

لو خلت ان القصد هذا المعنى لما احتملت غاية في الكد

فضاجعت من قامتي عسالا وارتشفت من ريقتي سلسالا وبلغت فؤادها الآمالا

وبات كل يجتني وصالا عار من العار حليف مجد

حتى اذا طال بنا العناق وقلبها كقرطها خفاق تحننا عراني الاشفاق

وآسرت فؤادي الاشواق وكان ذا مني بغير قصد

فهمت مذ فهمت معنى الحب وأصبح الايجاب عين السلب وبت في طيب وطيب قرب

تبثنا اخبارها وتلبي ليس لنا من ثالث أو ضد

وحدثت عن خدها الشقيق عن ثغرها الدري عن العقيق ونهدها يرويه بالتحقيق

معنعناً عن خصرها الدقيق عن غصن عن الكثيب الفرد

حب الجمال شيمة الاحرار قد أسند الثقات في الآثار ان المحب ان خلا عن عار

مع عفة والكتم للاسرار مات شهيداً وثوى في الخلد

وتم ذاك الليل في لمح البصر قد خص من بين الليالي بالقصر وأقسمت ان البها في الحصر

وان من خدي المدام تعتصر تكاد ان تشربها من خدي

وافرطت تهذي بمدح الراح وانها روح من الارواح تقول لي ياأحسن الملاح

هل لك في الاحداق والاقداح كالجمع بين نرجس وورد

ولم اكن قدماشربت الخمرا ولا انتشيت مذنشأت سكرا قلت لهاقد جئت شيئاً نكرا

يا هـذه ورمت امراً امرا شرب المـدام قيل شيء يردى

انى فتى ربيت في القفار يطربني التشبيب بالزمار وصادحات الورق فى الاسحار

لا اعرف الخمر من الخمار بل محض در اونقى شهد

فأعرضت عني وولت صفحا وما رات لما جنيت صفحا واندفعت تقول يامن اضحى

يطلب من ليل الغرام صبحا عـد من الامر المحال عدى

فاشتد بي منها الحياء والخجل وصرت في خوف وذعر ووجل وقلت ان خبت فقد حان الاجل

وحق من في ملـكه عز وجل لبعدها امر شيء عندي

وانصرفت عني برغم انفي وكان منها الصدق غير الخلف وقلت ان ابدى الرضى واخفى

لابد ان اسعى ولو لحتفي فما ارى غير اللحوق مجدي

وافلتت كالظبي فر من يدى واشعلت نار الهوى في كبدي فانهل دمعي وعصاني جلدي

ولا مقام مع زئير الاسد ان الغرام ماله من حد

ولم ازل اتبعها واقتفى آثارها كالسائل المستعطف وكلما اهتزت بقد اهيف

تشب ناراً ما اراها تنطفى الا إذا امسيت تحت اللحد

اهكذا من عادة الاحبه وهذه قواعد المحبه تبين لي قبل الوقوع رغبه

حتى رات مدامعي منصبه ولت وخلت نارها في كبدي

يا حبذا ان كان فعل الحسنى يجيء من صنع فتاة حسنا وليس بالعار على المعنى

إذا ترجى العطف او تمنى وذل حتى صار دون العبد

فأعجب القاضي وقال مهلا ياذا الفتى مارمت امراً سهلا هلا ائتمرت كيف شاءت هلا

فأرسل الدمع حيا منهلا وقال وا حزني وطول بعدي

ان الفتاة اذهلت حجاه اني ارى مالم اكن اراه اراه فيها شخصت عيناه

وا أسفا يا قلب وا شوقاه ان ضل قاضينا بمن نستهدي

من ينكر الظلم إذا القاضي شهد ومجلس الحكم لديه قدعقد قال اسمما طول الكلام لم يفد

الليل حبلى ليس يدري ما تلد رب انقطاع كان أصل الود

انى وان كنت حليف الاهوا في كل مكحول اللحاظ أحوى وعالم السر معا والنجوى

كلاكما عندي سوا في الدعوى وأنتما كمقلتيّ عندي

ان تقبل الحق فأنت الجاني لكونك اغتريت بالاماني هلا كتمت الحب ياذا المعاني

ونلت منها السؤل والتهاني سيان ان تخف الهوى أو تبدي

أنت الذي ابديت منك السرا فاحكمت فيك الوثاق أسرا ثم ابتلتك تستبين الخبرا

فلم تطعها بل نبذت الامرا وجئتها كالظالم المستعدي

فكيف لو رامت بذا تنفيرا أمظهر انت لها تغييرا بل كان حق تقبل التأميرا

ان لم تكن هاد فكن مشيرا فليس من يهدى كمن لا يهدي

لو كنت ياذا الذوق والالطافه لما دعتك تشرب السلافه لم تظهر الروع ولا المخافه

فانها تخالف القيافه في شكلك المزرى بعزم الاسد

نعم وان كان الهوى يذل أليس ان الخمر منها الخل وشربه في شرعنا يحل

وكان تأويل اليمين يحلو في مثل هذا الامر ثم يجدى

انى رويت خبراً محققا عن الصبا ترويه عن قضب النقا عن الهزار مذعلاها ورقى

أي محب من حبيب اشفقا وخاف من هول النوى المشتد

فليصبرن صبر الحديد للهب وليقبل النحاس في ضمن الذهب مع امتثال وخضوع وأدب

مستقبلا حبيبه بما احب فانه ارجى لنيل القصد

وثم في ثغرك خمر حلت وعن سلاف الخندريس جلت فلو بـذا أولتها لانحلت

عقدة حنث للحجى أضلت وكنت في ذاك حليف رشد

وانت ياذات الجمال المفرد وقامة الغصن الرطيب الأملد قد لاح لي وجه الصواب فاهتدى

واستمعي لقول شيخ مرشد والصلح خير للرشاد يهدى

فأرشفيه من رحيق الثغر والكاس من خدك ذا المحمر فانه بما حوى من سر

يفعل ما يفعل صرف الخمر وليس للهجران من مؤدى

ان الفتى من ذنبه قد تابا ومن عظيم وزره أنابا حتى إستحق الفضل والثوابا
لاسيما والقلب منه ذابا وحسبه ماقد لقي من صد
فابتسمت عن لؤلؤ نقي وأقبلت بقامة الخطى تقول حيث قد رمى بالعي
واتضح الجاني من البري ولم يشب ذنوبه بالجحد
فربما عفوت عنه فضلا مني وايلاء الجميل اولى ان يستحق ماذكرت أو لا
فانه قاسى عنا وهولا وصار مني تحت طوع اليد
لعل رب العرش ان يرحمني ومن جزيل فضله يشملني كما بحسن الخلق قد أفردني
والحسن شيء ماله من ثمن قد خصني به الكريم وحدي
وشيخنا بلحظه يشير إلى الفتى كأنه قطمير وهو يكاد لوعة يطير
يقول ان خالقي خبير يعلم اني لست بالمرتد
فاخذ الشيخ يد الظبيين وقابل الخدين بالخدين وقال يا روحي ونور عيني
كلاكما لدي مثل ذين بقيتما في طيب عيش رغد
خذها اليك يا شقيق البدر غزالة جديرة بالفخر تغنيك عن زيد يرى أوعمرو
فانعم بها يا صاح طيب العمر لا زلتما في عمر ممتد
وها أنا على الرحيل مزمع كلاكما لربنا استودع وانصرف القاضي مجداً يسرع
لاهله بقومه يجتمع ويحمد الله أتم الحمد
وكان هذا غرر الارجوزه قد كملت ألفاظها الوجيزه واصبحت فريدة عزيزه
تحكى بما قد طرزت تطريزه لآلئاً قد نظمت في عقد
عدتها حسن به النظم حبي وجاء في عام سعيد طيب تاريخها في شطر بيت معجب
أرجوزة تحوي حميد الادب ختامها الصلاة تغشى المهدي

وقوله مستجيراً بسيد الرسل الكرام ، عليه وآله الصلاة والسلام وهي :

منقذي من صروف دهر عبوس ومجيري من كل هم وبوس

ورجائي وان تعاظم ذنبي ومحت ظلمة الخطايا شموسي
لا تكلني إلى سواك فاني أينعت في ربى رجاك غروسي
سوف ألقاك حبذا من لقاء أنت انسي من وحشتي في رموسي
يامجلي الكروب قد ضاق ذرعي واصطباري من حظي المطموس
لا ارجي لكشف غمي إلاك ولا عطر بعد عروس
هايدى يا كريم ترجو عطا ياك فجدلي بكل نيل نفيس
وأجرني من وصمة الذنب وارحم نفس حر رمته أيدى النحوس
وأغثني فقد علمت مرامي أنت ادرى بكل مافي النفوس
يا غياث الصريخ يا حسن الصنع بلطف من فضله محسوس
شافعي عندك المشفع طه خير داع لحضرة القدوس
يا شفيع العصاة دعوة صب جرعته الهموم أي كؤس
من لها من لها إذا اشتد كرب وتساوى الرئيس بالمرؤس
يا نبي الهدى إستغاثة ملهوف توالت عليه أنواع بوس
يا نبي الهدى استجارة عبد بك يرجو العلو بعد النكوس
دعوة من مقصر جاءك اليوم وشكواه فوق مافي الطروس
كيف طيب المقام حيث جفاني صاحبي واستقال مني جليسي
وتعادى على جور زمان بوجوه التنكير والتعبيس
يازمانا بغى علي ونادى حمي اليوم يافلان وطيسي
ولعمري ما كنت كفؤا للقياه وليس الكفاح للمرموس
أنا بالله قد وثقت مجيرا وبطه ادرعت خير لبوس

وقوله متغزلا :

أنا في هواك على الرضى مرهون أمر مضى او مقبل سيكون
اشتاق ان تشتاق شبهي كي ترى اني لعهدك ما حييت اصون

وبمهجتي منك التفاتة شيق يوم الوداع وقد عرتك شجون
اشخصت طرفك بي وبي حرق الجوى في موقف شخصت اليه عيون
ولكل من علق الهوى بفؤاده دمع يجود وخاطر محزون
اسفي وما اسفي عليك بنافع انى بحفظى ما اذعت ضنين
أأروم مايئس الورى من نيله ولوت عليه خواطر وظنون
سيان فيك مضيع ومضيع وأمين سر كاتم وخؤون
لا انت ترضى بالدنو ولا أنا ارضى السلو ولا اراك تلين
يا قلبه انا فيك خنساء الهوى او انت ليلى ها انا مجنون
ويهون بي الاهوان ملامة ونصيحة غش بها مدفون
تسفيه اراءَ وهجنة قالة وصريح جد قد طواه مجون
امن الهدى طلب النجاة من القضا والكاف قد سبقت به والنون
هذى ظعونهم تقل هوادجا حور العيون بها وحور عين
من كل مدعوس البنان تجمعت للحسن فيه غرائب وفنون
روح تجسد فهو نور بيّن تحت الحجاب وجوهر مكنون
في حبه يحلو التهتك والضنى والصبر يترك والدموع تهون
حياهم وسقى معاهد حيهم صوب الحيا مغدودق وهتون
حيث القصور لها ضياء والطيور لها غناء والمياه عيون
أقضى ولا أقضى بها أربا وان أربى عليّ الوجد فهو شؤن
ولئن بذلت لآليا من أدمعى ان الثغور لها عليّ ديون

وقوله بالتماس بعض الاصدقاء مشجراً :

نعم الهوى فيك ماقلبي يعانيه يامن تدق على فكري معانيه
أنت الزلال الذي تحيا النفوس به وكيف لا وحياة الروح في فيه
صورت في قالب الحسن البديع فلا يروق للطرف شيء لست تحويه

رشاقة القد مع لين القوام مع الطرف الكحيل وحسن الظرف والتيه

بدر تمير شمس الافق طلعته ... والغصن يفضحه منه تثنيه

نواعم الخز تدمى جسمه واذا ... أنصفته فلطيف الوهم يؤذيه

أرق من نفس المضنى بمشقته ... حاشاه من عيب تمثيل وتشبيه

حد البلاغة في تعريف جملته ... ان المحاسن شتى جمعت فيه

ماالبدر ماالظبي ماالغصن الرطيب وما ... يجوز انا بشيء قط نحكيه

دع كل شيء تجد في وصفه عوضا ... عنه ولا عوض عنه ترجيه

وقوله معمياً في موسى :

يا عاذلا فض ربه فاه ... يعذل صبا لم يبد بلواه

رآه في العشق والهاً فغدا ... يسوم قلبا له بسلواه

وله ملغزاً في حبحب :

ما اسم إذا ضعفته ... رأيته إسماً مفردا

أربعة حروفه ... إذا أردت العددا

وأصله أسس من ... حرفين لاخفت الردا

وقوله مقتبساً :

جعلت براق فكرى لاشتياق ... ركوبا للسرى فأتى بجهده

وزرتك في الدجى ورجعت حالا ... فسبحان الذي أسرى بعبده

وله في مليح في خده خالان :

خالان في خد نور عيني ... كلاهما للعقول أعيا

يموت قلبي بذا وهذا ... اذا رآه الفؤاد يحيا

وله في فتى خاله على شاربه مجاوبا للشيخ عبد الرحمن الوزير :

أشرب قلبي حب هذا الفتى ... فتاه اعراضا على طالبه

وقال ماذاق رضا بى امرؤ ... لقد عرفنا المسك من شاربه

أملى عليّ النسيم يوما حديث تلك الربى وصحح
قلت له وارو عن فؤادي فقال لم أرو عن مجرح

وله هذا الحميني معارضا ، مورد الخدين يامن نشر ، لابن عمي السيد رضى الدين المتقدم ذكر ترجمته وهو :

عرض بذكري في حديث السمر يا سعد فالمعروف يذكر
للاحوم الاحوى منير القمر الاغيد المكحول الاحور
يعيد في المشتاق حسن النظر ما حقه يابدر يهجر
قل هكذا تترك محبك هدر وتسلبه لبه وتسحر
لو كان قلبي من حجر لانفجر وكيف يصبر ان تصبر
مصيبتي في الحب احدى الكبر يا منيتي الله أكبر
أغراك من ان قال قولا فجر وصور الدعوى وزور
جرب فديتك هل لقوله أثر ان خاطرك منه مؤثر
وعد ليقضى زيد حبك وطر وقتك صفا دع ما تكدر
روحي جبالك ان تشا أو تذر على كلا الحالين اعذر

وله موالى :

يانور عيني الحمين أوحشتنى يومين ولا رأيناك إلا لمحة بالعين
فيا لذي خص وجهك بالبها والزين اقض ديون الهوى ان كنت توفي الدين

﴿ غريبة ﴾

من (الفرائد المنظمة في أخبار مكة المعظمة) لابن حجر الهيتمي في سنة ٨٢٥ دخل جمل بمكة المشرفة الى المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت حتى كمل ثلاثة أسابيع والناس يريدون إمساكه فلم يقدروا على امساكه وكان إذا دنا منه إنسان دقه بفيه فلما قضى الثلاث الأسابيع قال الناس لبعضهم اتركوه فجاء الى الحجر

الاسود وقبله بفيه ساعة ثم ذهب الى تجاه الميزاب فبرك عنده وبكى ساعة وألقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى الصفا ودفنوه هناك انتهى .

صورة كتاب يعقوب الى يوسف على نبينا وعليهما السلام ، من يعقوب إسرائيل الله ، ابن اسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله ، الى عزيز مصر ، أمابعد : فانا أهل بيت موكل بنا البلاء ، أما جدى فشدت يداه ورجلاه ورمي فى النار ليحترق فنجاه الله ، وكانت النار عليه برداً وسلاما ، وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم ، وأما أنا فكان لي ابن وكان احب أولادي إلي فذهب مع اخوته الى البرية ، ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ، ثم كان لي ابن وكان أخاه من امه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وأنت حبسته لذلك وانا أهل بيت لانسرق ولا نلد سارقا فان رددته الي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام .

قال في (الكشاف) فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وبكى وكتب في الجواب اصبر كما صبروا ، تظفر كما ظفروا .

وكتب النجاشي : ملك الحبشة كتابا الى الحضرة النبوية المحمدية الصفوية فقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام ياعلي أجب وأوجز فكتب : أما بعد كانك في الرقة علينا منا وكأنا من الثقة بك منك فانا لانرجو منك شيئا إلا نلنا ، ولا نخاف منك أمراً إلا أمنا وبالله التوفيق ، فقال النبي ﷺ الحمد لله الذي جعل من أهل بيتي مثلك وشد أزري بك .

صورة شرط لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : اشترى شريح داراً وأشهد شهوداً وكتب كتابا فبلغ ذلك علي بن أبى طالب فقال ياشريح اشتريت داراً قال نعم قال وأشهدت شهوداً قال نعم قال وكتبت كتابا قال نعم قال احذر أن يكون من غير مالك ووزنت مالا من غير حل وسوف يأتيك من لاينظر في بيتك

ولا يسألك عن كتابك ويزعجك عنها فتكون قد خسرت الدارين دار الدنياودار الآخرة ولو انك حين أردت شراء الدار أو احد أراد شراء دار وجاءنى كنت اكتب له كتابا أزهد فيه البائع المغرور والمشتري الفانى فقال شريح وما كنت تكتب ياأمير المؤمنين؟ قال كنت أكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا مااشتري عبد ذليل ، من ميت قد أزعج بالرحيل ، اشترى داراً من دور الآفات ، من الجانب الفانى من عسكر الهالكين ومجمع الغافلين ، يجمع هذه الدار حدود اربعة ، فالاول ينتهى إلى نهش الآفات ، والثانى ينتهى الى عظيم المصيبات ، والثالث ينتهي الى كثرة الغفلات ، والرابع ينتهي الى الشيطان المغوى والهوى الموقع في التهلكات ، واليه يشرع باب هذه الدار التي اشتراها هذا المزعوج بالاجل ، من هذا المغرور بالامل ، فما أدرك مشترى هذه الدار فعلى مبلبل الاجسام ، وقاصم الجبابرة العظام ، مثل تبع وحمير ، وكسرى وقيصر ، ماأوضح الحق لذي عينين ، ان الرحيل هو أحد اليومين.

قلت : ليت شعري كيف يغتر بالدنيا ، وزينتها الدنيا ، من يسمع مثل هذا الكلام ، من مثل علي عليه السلام .

وكتب حاكم قلعة الموت علاء الدين بن الكيا ، وقال ابن خلكان انه أبو الحسين الحسن بن سنان بن محمد بن راشد رئيس الحشيشية أصحاب قلعة الموت المذكورة الى صاحب الشام نور الدين بن زنكي المعروف بالشهيد في جواب كتابه الذي كتبه له وتهدده فيه باستئصال قلاعه بسبب اقتضى ذلك :

قل للذي بقراع السيف هددنى	لا قام مصرع جنبي حين يصرعه
يا للرجال لامر هال مقطعه	ما مر قط على سمعي توقعه
قام الحمام الى البازى يروعه	واستيقظت لاسود البر أضبعه
أضحى يسد فم الافعى بأصبعه	يكفيه ماقد تلاقى منه أصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله ، وما هددنا به من قوله وعمله ، فيا لله العجب من ذبابة تطن باذن فيل ومن بعوضة تعد في التماثيل ، ولقد قالها قبلك قوم آخرون ؛

فدمرنا عليهم ما كانوا يصنعون ، أفللباطل تظهرون ، وللحق تدحرون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، ولئن صدق قولك فى قطمك لراسي ، وقلعك قلاعنا من الجبال الرواسى ، فتلك أماني كاذبة ، وخيالات غير صائبة ، وهيهات لاتزول الجواهر بالاعراض ، كما لاتزول الاجسام بالامراض ، كم بين قوي وضعيف ودنى وشريف ، ولئن رجعنا الى الظواهر والمنقولات ، وتركنا البواطن والمعقولات لنخاطب الناس على قدر عقولهم ، فلنا في رسول الله أسوة حسنة ، لقوله ماأوذى نبي بمثل ماأوذيت ، وقد علمتم ماجرى على أهل بيته وعترته ، وصحابته وشيعته ، والحال ماحال ، والامر مازال ، فلله الحمد فى الآخرة والاولى ، اذ نحن مظلومون لاظالمون ، ومغصوبون لاغاصبون ، فاذا جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وقد علمتم صورة حالنا ، وكيفية رجالنا ومايتمنونه من الفوت ، ويتقربون به الى حياض الموت ، قل فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ؛ ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين .

وفي أمثال العامة السائرة (أو للبط ، تهدد بالشط) ، فالبس للرزايا أثوابا ، وتجلبب للبلاء جلبابا ، فلأرسلنهم فيك منك ، ولآخذن بهم عنك ، فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه ، وما ذلك على الله بعزيز ، واذا قرأت كتابنا هذا فكن لامرنا بالمرصاد ، ومن حالك على اقتصاد ، واقرأ أول النحل وآخر صاد ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

قلت : ماأظن نورالدين بعد سماع هذه الرسالة إلايصيبه داء الفالج ، وتضيق في وجهه المناهج ، ورب كلام ، أحد من كلام ، وهؤلاء الحشيشية فرقة من الاسماعيلية ، وهم أهل قلعة ألموت بفتح الهمزة واسكان اللام وضم الميم واسكان الواو ثم التاء المثناة الفوقية وهي من بلاد العجم مجاورة لبلاد الديلم وهم اصحاب قوة وشجاعة مفرطة فتى رئيسهم ارسل واحداً منهم فيتزيا بزي طبيب أو منجم أو صاحب كيميا ويسير الى من يريد اغتياله من الملوك واذا أمكنته الفرصة قتله

فان سلم عاد وان اهلك سلم الرئيس ديته لولده ولا يستحلون مخالفة الرئيس ، ولو كان في الامر ذهاب العمر النفيس ، وان تمنع أحدهم من أمر رئيسهم قتله أهله وعظمت منهم مخافة الملوك من سنة ستمائة وخمس وخمسين ببلاد العجم والعراق والشام والمغرب وربما استهدى بعض الملوك من صاحب ألموت بعضهم اذا أراد اغتيال ملك آخر ، ومن قتلاهم الآمر باحكام الله صاحب مصر ونظام الملك وزير ملكشاه وخلائق من الاكابر ، وكان منهم بقلاع ساحل الشام عالم كثير والله اعلم .

وكتب سلطان بن سيف ملك عمان الى الامام المتوكل على الله اسماعيل بن المنصور بالله القاسم بن محمد امام اليمن : بسم الله الرحمن الرحيم ، من امام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك بن أبي العرب اليعربي ، الى عالي جناب ذروة الامام المعظم ، الهمام المكرم ، المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم القرشي العربي ، أما بعد فانا نحمد الله على سوابغ آلائه ، ونشكره على جميل صنعه وايلائه ونسترشده الى سلوك سبيل رضائه ، ونستزيده من خزائن مواهبه وعطائه ، انه بيده مفتاح كل خير ، ودفع كل بؤس وضير ، وان سألت أيها المحب عنا ، ورمت كنه حقيقة الحال منا ، فانا بحمد الله في حال يسر منها الودود ، ويساء منها الحسود ، ثم لتعلم أيها الملك المبجل ، والسيد المجال ، انه قد وصل الينا من مدة أيام تصرمت ، وشهور تخرمت رجل من جنابكم ، يزعم أنكم ارسلتموه بطروس فيها درر من رائق لفظكم وخطابكم ، فادرك الطروس المصدرة حكم التلف ، بيد أنه قد تناهى لنا من نتايج لسانه ، واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه ، انكم علينا عاتبون ، ومنا واجدون ، لاجل قطع خدامنا في العام الماضي المشركين على بابكم ، وأخذ سفنهم القاصدة الى جنابكم ، ولعمرى انا ندرى ان العتاب بين الاخلاء عنوان المودة الخالصة والصفا ، ورائد لحظة المحبة الصادقة والوفا ، خلا انه يجب عن اقتراف المآثم ، وارتكاب المحارم ، وأما نحن فلم نسلك لذلك سبيلا ، ولا تجد على الزامنا الحجة دليلا ، حيث انا لم نجهز مراكبنا ، ونشد مخالبنا ، لسيارة رعيتك ، ولا

لاستباحة أهل حكمك وقبضتك ، ولكن جهزنا الجيوش والمساكر ، وأعددنا اللهازم والبواتر ، لتدمير عبدة الاوثان ، وأعداء الملك الديان ، تعرضا منا لثواب رب العالمين ، واحياء لسنة سيد المرسلين ورغبة في ادراك فضل الصابرين المجاهدين ، وحاشا لمثلك ان يغضب لقتال عبدة الاصنام أعداء الله والاسلام ، ألست من سلالة ابن أبي طالب الساق المشركين وبي الشارب ، وقد عرفت ماجري بيننا وبينهم في ساحل عمان ، وفي سائر الاماكن والبلدان ، من سفك الدماء والقتال وتناهب الارواح والاموال ، وانا لنأخذهم في كل محل تحل به مراكبهم وتغشاه حتى من كنبج وجيرون بلدي الشاه ، ولم يظهر لنا من ذلك عتابا ولا نكيرا ، وان كنت في شك فاسأل به خبيرا ، ألا وانا نذكرك أيها الملك والذكرى تنفع المؤمنين ، وانا لك من المنذرين ، وعليك من الحذرين ، انا لما ملكنا تلك الايام بلدة ظفار وكانت عنا نازحة الفيافي والقفار ، لم نر في تملكها اصلاحا لشيء أوجبه النظر ، وحاكته منا الاذهان والفكر ، وساعة خرج منها عاملنا خلف بها شيئاً من مدافع المسلمين ، لغفلة جرت منه في ذلك الحين ، ولما ان ملكتم زمام عيسها واجتلوتم ضوء بدورها وشموسها ، لم تدفعوا لنا تلك المدافع ، فاعلم أيها الملك ان البعل غيور والليث هصور ، والحر على الاهانة غير صبور ، ومن انذر ، فقد اعذر ، وما عذر من حذر على انا لصلاح ذات بيننا وبينك طالبون ، وفي استيفاء صحبتك راغبون ، ولاطفاء الفتن واخماد الاحن مؤثرون ، فان كنت راغباً في الذي فيه رغبنا ، وطالبا لما له طلبنا ، فادفع لك الخير لنا اياها ، ولا تحتسي جرعة الاغب حمياها ، وان ابيت الا الميل لاغتنامها ، وهان على نفسك خبط ظلامها ، فبالاستعانة بالله قوة وسعة ، ومن كان مع الله كان الله معه ، والسلام .

قلت : ليت شعري ماذا أجابه به الامام ، بعد سماع هذا الكلام ، واخبرني بعض اعزاء اليمن وهو صدوق مؤتمن ، ان الامام جهز اليه جيشاً كالبحر القمقام ، من كل بطل ضرغام ، لكن الامام ادركه في اثناء هذا الحمام ، فبطل ذلك التجهيز والسلام .

وكتب سلطان مصر الى شريف مكة شرفها الله ولم يحضرني اسمهما : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحسنة حسنة وهي من بيت النبوة أحسن ، والسيئة سيئة وهي من الدار العلوية أشين ، وقد بلغنا عنك أيها السيد الحسيب ، الجيد النسيب ، انك بدلت الامن بالمخاوف ، وفعلت مايحمر الصفائح ويسود الصحائف ، والعجب منك انك من بيت الكرم ، ومخزن الحرم ، أويت المجرم ، واستحللت مال المحرم ، ومن يهن الله فما له من مكرم ، فان تقف آثار جدك ، وإلا أغمدنا فيك غرار حدك ، فاذا خلع الشتاء جلبابه ، ولبس الربيع أثوابه ، فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون .

فكتب الشريف في جوابه : بسم الله الرحمن الرحيم ، اعترف المملوك بذنبه ورجع الى دينه وربه ، وهو يسأل منكم الرضى ، والعفو عما مضى ويلتمس من الاخلاق الطاهره ، والمكارم الظاهره ، والعفو عن سوء فعله ، وليس من شيمكم ان تكافئوه بمثله ، فان انتقمتم فيد كم أقوى ، وان تعفوا أقرب للتقوى ، وفي مقدرتكم ما يكافيه ، وكل اناء ينضح بما فيه ، قلت لله در من أجاب ، بفصيح هذا الجواب الذي هو علامة الرضى وبلوغ الآراب .

وكتب الشاه اسماعيل ملك العجم الى الملك الاشرف قايتباى الايوبي ملك مصر هذين البيتين :

السيف والخنجر ريحاننا	أف على النرجس والآس
شرابنا من دم اعدائنا	وكأسنا جمجمة الراس

فكتب اليه في الجواب :

خدمة بيت الله والمصطفى	كلاهما تاج على راسى
وحب آل المصطفى زهرتى	تغنى عن النرجس والآس
وملءذاك الكاس توحيدمن	شرفنى بالملك في الناس
كنانة الله حوتها يدى	فصرت في أمن من الباس

وقيل بل كتبهما للملك الاشرف قانصوه الغوري فأجابه :

لله في عالمه خاتم تجري المقادير على نقشه
لاتنبش الشر فتبلى به واحذر على نفسك من نبشه
عواقب البغي لها مصرع ينزل السلطان عن عرشه
وان زها الكبش بشحم الكلى ادرج رأس الكبش فى كرشه

وكتب أيضاً الشاه اسماعيل الى السلطان سليم بن بايزيد خان :

نحن اناس قد غدا طبعنا حب علي بن أبي طالب
يلومنا الجاهل في حبه فلعنة الله على الكاذب

فأجابه السلطان سليم خان :

ما عيبكم هذا ولكنه بغض الذي لقب بالصاحب
وطعنكم فيه وفي بنته فلعنة الله على الكاذب

وكتب الملك جلال الدولة إلى القاضي أبى الطيب الطبري :

يا أيها العالم ماذا ترى في عاشق ذاب من الوجد
من حب ظبي أهيف أغيد سهل المحيا حسن القد
فهل لنا تقبيله جائز في النحر والعينين والخد
من غير ما فحش ولا ريبة بل بعناق جائز الحد
ان أنت لم تفت فاني اذاً أصيح من وجدي وأستمدي

فكتب اليه القاضي أبو الطيب بقوله :

يا ايها السائل انى ارى تقبيلك النحر مع الخد
يفضي إلى ما بعده فاجتنب قبلته بالجد والجهد
فان من يرتع في روضة لابد ان يجنى من الورد
وان من تحسبه ناسكا يغلب عند الكشف والوجد
فاستشعر العفة واعص الهوى يبق لك الدين مع الود

تغنيك عنه كاعب ناهد   تضمها بالملك والعقد
تملك منها كل ما تشتهي   من غير مافحش ولا ردّ
هذا جوابي لقتيل الهوى   فلا تكن بالحق تستعدى

وكتب كاتب الانشاء في عصر ملك الهند محمد اورنقزيب ، وهو الشيخ الفاضل محمد بن عبد النجفي المخاطب بوزارت خان الى صديقين له من الامراء احدهما يسمى مرزا نصير من عجم جيلان، وكان فاضلا من اجل امراء الهند الاعيان والثاني اسمه اخلاص كيش خان وكان من عبدة الاوثان فاسلم وقرأ في العربية ، والعلوم العقلية والنقلية ، فصار في الادب وحيد الزمان ، بعد ان كان من البانيان ، يستد عيهما :

يا خليلي عجلا بالتلاق   فلقد ساءني امتداد الفراق
ان يوما من النوى ألف عام   مظلم الوجه مثل ليل المحاق
بكرا بالوصال كي يحلو العيش   فان الفراق مر المذاق
انتما فرقدا سماء وفاء   تواما خلة رضيعا وفاق
لم اجد منكما سوى كامل الظرف   رئيس مهذب الاخلاق

فاجابه المرزا نصير بقوله :

بورود الكتاب زاد اشتياق   حين وافيت منه قرب التلاق
من رئيس اذا دعا فأجبنا   لم نجب غير اهل العراق
ما لداء النوى سواك طبيب   وللسع الفراق غيرك راق
عمرك الله كيف لي بلبيل   حال بيني وبين ليل التلاق
ليلة اظلمت وطالت علينا   سوّد الله وجه ليل الفراق

قلت ان كان الفرزدق قال باستحباب السجود عند سماع آيات الشعر البليغ ، فانا اوجب السجود في هذا البيت الاخير الذي من ابريز البلاغة قد صيغ ، وكتب اليه اخلاص كيش خان المتقدم ذكره يوما يعاتبه :

إلام شكيتي من سوء جدى   الى من ليس يسمح بالتدنى

اعلـــل بالمنى قلبي لعلي أروح بالاماني الهـــم عنى
وأعلم انـ وصلك لا يرجى ولـكن لا أقل من التمني

كيف لا وسيدي وادع خلف حجاب ويوما ضيف ، وصيف طالبه شتاء وشتاؤه صيف ، والسلام :

فكتب الشيخ محمد بن عبد المتقدم ذكره في جوابه :

أيكني لأمي ندمي واني عضضت اناملي وقرعت سنى
وانى أبت معتذراً اليه مقراً بالذي قـد كان منى
واني ان أسأت اليوم فملا بتركى قصده فلحسن ظني
فها أنا لايزال اليك وجهي وان أسرفت في الاعراض عني

هذا وما ادعاه المولى من تقلبي بين الحجاب والضيافة ، فان ذلك من جملة الحرص والعيافة ، نعم انى لا أمد على الانكار يداً ، ولا أقول لم يكن ذلك ابداً ولكن المرة ايست بماده ، وكم بين الزيادة والزهاده .

وكتب يحي بن خالد البرمكي الى هارون الرشيد وهو في السجن : بسم الله الرحمن الرحيم لأمير المؤمنين ، وامام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، وخلف المهتدين الامام هارون الرشيد أطال الله بقاه وأبده ، واعزه واخلده ، واكرمه وأيده ، من عبد أسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه ، وخذله صديقه ، ورفضه شقيقه ، فراغ به الزمان وأناخ عليه الحدثانـ ، فصار الى الضيق بعد السمه ، وعالج البؤس بعد الدعه ، وافترش السخط بعد الرضى واكتحل السهر وافتقد الهجوع فليلته دهر ، وساعته شهر ، قد عاين الموت ، وشارف الفوت ، جزعا ياأمير المؤمنين حيث حجب الله عنى مافقد ، لما أصبت به من بعد ولا بمصيبتي بالاهل والمال والولد ، فان ذلك كان بك ، وعارية في يدي منك ، ولا بأس انـ تسترد العوارى ، أما المحنة بجعفر فبجرمه آخذته ، وبجريرته عاقبته ، وماأخاف ويلاقى أمره ، ولا مخافة فيما يستحقه فاذكر ياأمير المؤمنين حرمتي ، ونصيحتي وخدمتي ، وارحم ضعفي وشيبتي ، وهيء لي

رضى عني ، فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ، وقد رجوت ان يظهر عند الرضا وضوح عذري وصدق نيتي ، وظاهر طاعتي ، وتلويح حجتي ، مايكفيني به أمير المؤمنين ويرى إجابه فيه ويبلغ بذلك المراد باذن الله تعالى وقد قلت :

قل للخليفة ذي الصنائع والعطايا الفاشيه
وابن الخلائف من قريش والملوك الهاديه
أين البرامكة الذين رموا لديك بداهيه
عمتهم لك سخطة لم تبق منهم باقيه
فكأنهم مما بهم أعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم خلع المذلة باديه
متصفرون اذا يرون لكل أرض قاصيه
من دون ما يلقون من عيب يشيب الناصيه
أضحوا أجل مناهم منك الرضى والعافيه
بعد الوزارة والامارة والأمور العاديه
أو ما سمعت مقالتي ياذا الفروع الزاكيه
مازلت أرجو راحة واليوم خاب رجائيه
انظر الى الشيخ الكبير فنفسه لك راجيه
اليوم قد سلب الزمان كرامتي وبهائيه
ألقى الزمان جرانه مستقصياً بفنائيه
ورمى سواد مقاتلي فأصاب حين رمانيه
يا من يود لي الردا يكفيك ويحك مابيه
يكفيك ما ابصرت من ذلي وذل مكانيه
وذهاب مالي كله وفد الخليفة ماليه
ان كان لا يكفيك الا ان اذوق حماميه

فلقد لقيت الموت من قبل الممات علانيه
وفجعت اعظم فجعة وفنيت قبل فنائيه
وهويت في قمر السجون على رفيع بنائيه
انظر بعينك هل ترى الا قصوراً خاليه
وذخائراً مقسومة قسمن قبل وفائيه
ومصارعا ومضاجعا ومصايباً متواليه
ونوادباً يندبنني تحت الدجى ببكائيه
أأبا علي البرمكي أفلا تجيب دعائيه
ونداؤهن وقد سممت مقلقلا أحشائيه
أخليفة الله الرضى لا تشمتن اعدائيه
واذكر عهودك لي وما أعطيتني بوفائيه
واذكر مقاساتي الامور وخدمتي وعنائيه
ارحم جعلت لك الفدا كربي وشدة حاليه
ارحم أخاك الفضل والباقين من أولاديه
وبكاء فاطمة الكبيرة والمدامع جاريه
وبكاءها ومقالها وا شقوتي وشقائيه
من لي وقد غضب الامام على حمى ورجاليه
وعدمت طيبة عيشتي وتغيرت حالاتيه
يا نعمة الملك الرضي عودي علينا ثانيه

فلما قرأ الرشيد رقعته وقع تحت شعره :

أجرى القضاء عليكم ما خنتموه علانيه
من ترك نصح امامكم عند الامور الباديه
يا آل برمك انكم كنتم ملوكاً عاتيه

فنكرتم وعصيتم وجحدتم نعمائيه
هذا جزا من قد عصى معبوده وعصانيه

ووقع تحت ذلك ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم لم يكن منه اليوم بعد ذلك تعسف ·

وحدث يعقوب بن جعفر قال : كان يقطين بن موسى مبغضاً للبرامكة ، وكان قد جاوز المائة سنة ، وكان الرشيد يوقره كثيراً ويسميه عمي فطالبه يحيي بن خالد بألف ألف درهم وحبسه في الديوان ، فقال يقطين تحبسني في ديوان بني العباس يامروان ، فكتب صاحب الخبر بذلك إلى الرشيد فغاظه ذلك وبلغ منه ثم أمر باحضاره فدخل والبرامكة يحلفون انهم ماعلموا بحبسه فقال له الرشيد والله ياعم لقد ساءني ماجرى عليك وقد وصلتك بألف الف درهم فقال وصل الله أمير المؤمنين وزاد سروره مالي حاجة الى ذلك ولكن يدنيني أمير المؤمنين لاقبل بين عينيه فان ذلك آثر عندي من كل مال فادناه وقال له انا والله ياعم اراك كما أرى المنصور فخرج يقطين يجرا ذيله ويقول قول عمرو بن أبي ربيعة المخزومي :

ليت هنداً أنجزتنا ماتعد وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لايستبد

وكان هذا في سنة خمس وثمانين ومائة ولم يلبث يقطين ان مات في هذه السنة وأوقع الرشيد بالبرامكة في سنة سبع وثمانين ومائة فقال الرشيد لعبد الله بن يقطين ليت عمي كان حاضراً انى لأذكر انشاده ثم قال الرشيد :

تلك هند فاعلمنها تستبد قد شفت أنفسكم مما تجد

وكتب العلامة جمال الدين محمد الكيلانى هذين البيتين للشيخ بهاء الدين محمد العاملي يطلب منه فروة :

يا منبع الفيضان يا بحر الندى يامن رقى بالمجد أعلى ذروه

هجمت على جيوش برد فاتك ... فقني بلطفك في صيامي فروه

فكتب اليه الجواب احسنت أيها الذكي الألمعي ، وأجدت ايها الزكى اليلمعى في نظم هذين العقدين ، وسك هذين النقدين ، اللذين أسكتا في معترك الألفاظ كل منافث ، وأمنا بعن الله من ان يعززا بثالث ، لكنك فتحت الذال من الذروه جانحاً لموازنة الفروه ، والمنقول ضم الذال مع كسرها ، كما نطقت به كتب اللغة بأسرها ، فان احطت بما لم نحط فأتنا من سبأ بنبأ يقين انك لذروة اللغة من المرتقين والا فهدهد عن ذلك ، واسلك غير هذه المسالك ، فان هذه غمرة عجيبة لاتقم من أمثالك ، ولعل هذا لتوزع بالك ، وتزعزع أحوالك ، فالى الله المشتكى من دهر يعطر الهموم ، على طلاب العلوم على العموم ، وكل منهم يبكي على حاله كأنما أوتي كتابه بشماله ، فبرب الصفا والمروه ، لقد هراهم الدهر هروه ، حتى صاروا لكثرة البرد وقلة الثروه ، يوشك ان يحدث لكل منهم قروه (١) ، لعدم قدرته على تحصيل فروه ولو انها تكون من جلد جروه ، وقد أمرت الشاطر رجبا ، ان يدفع اليك مثقالا ذهبا فاعذرني فاني في كصيصه ، ليس لي قدرة على خر بصيصه والسلام .

أقول قوله الالمعي واليلمعي الذكى المتوقد ، والنفاثات في العقد السحرة والذروة بالضم والكسر اعلا الشيء والتهدهد التغير والانصراف ، والغمرة السكرة والتوزع التشتت ، والثروة زيادة المال ، والقروة الطعمة من القرى ، والكصيصة الحبالة التي يصادبها الظبي ، والخربصيصة الشيء أي لاقدرة لي على شيء والله اعلم .

وكتب رجل من ابناء النعمة وقد أساء اليه زمانه الى بعض الامراء :

هذا كتاب فتى له همم ... ألقت اليه رجاءه همه

غل الزمان يدى عزيمته ... وطواه عن أكفائه عدمه

وتواكلته ذوو قرابته ... وهوت به من حالق قدمه

افضى اليك بسره قلم ... لو كان يعقله بكى قلمه

(١) القروة : كبر جلد البيضتين وهو أنسب للمحل مما ذكره المؤلف .

﴿ ترجمة أبي الفتح محمد الشهرستاني ﴾

فاضل انحله الله علوم الاواخر والأوائل ، وعلى كل حال فهو صاحب كتاب الملل والنحل ، وهو منسوب الى شهرستان بفتح الشين .

قال اليافعي في تاريخه : شهرستان اسم لثلاث مدن ، الاولى في خراسان بين نيسابور وخوارزم ، والثانية قصبة بناحية نيسابور ، والثالثة مدينة بينهاوبين أصفهان ميل ، ونسبة ابي الفتح الى الأولى .

ومما انشده في كتابه الموسوم بالملل والنحل عند ذكر اختلاف بعض الفرق :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها ... وردّدت طرفي بين تلك المعالم
ولم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين وخمسمائة كذا ذكره في تاريخ اليافعي بعد ان عدّ الحكماء السبعة الذين قال انهم أساطين الحكمة وذكر آخرهم أفلاطون ، قال واما من سبقهم في الزمان وخالفهم في الرأي فنهم أرسطوطاليس وهو المقدم المشهور والمعلم الأول والحكيم المطلق عندهم ، ولد في أول سنة من ملك أزدشير ، فلما اتت عليه سبع عشرة سنة سلمه ابوه الى افلاطون فمكث عنده نيفاً وعشرين سنة ، وانما سموه المعلم الأول ، لانه واضع التعاليم المنطقية ، ومخرجها من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض فان نسبة المنطق الى المعاني كنسبة النحو الى الكلام والعروض الى الشعر ، ثم قال وكتبه في الطبيعيات والالهيات والاخلاق معروفة ولها شروح كثيرة .

قال بعض الملوك لوزيره ماخير مايرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه؟ قال : مال يستتر به قال: فان عدمه ؟ قال : علم يعتز به قال : فان عدمه ؟ قال : ادب

يتحلى به قال : فان عدمه ؟ قال : صاعقة تنزل عليه فتريح منه العباد والبلاد :

آه ياذلي ويا خجلي ان يكن مني دنا أجلي
لو بذلت الروح مجتهداً ونفيت النوم عن مقلي
كنت بالتقصير معترفا خائفاً من خيبة الامل
فعلى الرحمن متكلي لا على علمي ولا عملي

والخليل بن ايبك الصفدي :

دفنتها كالبدر تحت الثرى ومن شقائي مدتي مدت
كانت اذا ماسيف أجفانها المرهف يدعو لبتي لبت
ماصدحت في الايك ورق الحمى واعما في عزتي عزت

وقال أيضاً :

هذى التي نلت بها ذلتي وحلتي في الصبر قد حلت
وادمعي فى وجنتي اطلقت وفي فؤادي غلتي غلت
خلائقي وفق غرامي بها فاستخبروها ما التي ملت

مظفر الاعمى :

يا نائماً اسهرني حبه وعائداً امرضني طبه
وخادعا رق الحجي له كلامه لي وقسا قلبه
قلناعلى حسنك عيني جنت جثماني الناحل ماذنبه

وله ايضاً :

بعدنا فكنا كالثريا من الثرى وفي يوم بيني منه اعدمني صبرى
ولما قربنا كان مني كحاجبي لعيني وادنى من وريدي الى نحرى

وله أيضاً :

لاتكن انت والحبيب كما قلت كحرف مشدد فيه شك
فعلى الأول المسكن حتف وعلى الثاني المحرك ضنك

وله أيضاً :

تحركت كالمذبوح خيفة شامت ... وأوجدت اني أشبه الحي تلبيسا
وما كنت إلا ميتاً غير انني ... تصبرت حتى أرسل الله لي عيسى

وله أيضاً :

هويت هلالا سرى في الدجى ... وهاروت من جند أجفانه
فلا تعجبوا إن بدا وجهه ... نهاراً وعظمت من شانه
فان الهلال يرى طالعاً ... مع الشمس في بعض احيانه

وله أيضاً :

لنا مجلس فيه كل الفنون ... ونرجسه مثل شكل العيون
فاصفره في مكان السواد ... وابيضه في مكان الجفون

وله أيضاً :

وروضات بنفسجها بصبغة صنعة الباري
كجزم لاز وردى ... على ألفات زنجار

وله في النسرين :

وزهرة لونها من العجب ... بيضاء فيها اصفرار مكتئب
كانها دور درهم جملت ... في وسطه نقطة من الذهب

وله أيضاً :

كأنما مشمشنا ... في الياسمين اليقق
جلاجل من ذهب ... في ورق من ورق

وله أيضاً :

وشادن قلت له ما الذي ... أراه في خدك أضحى مثل
فقال هــــذا أثر نالني ... من حر أنفاسك عند القبل

وله أيضاً :

وشادن كان زمان الصبي بذولة المرد له صوله
قد كتب الشعر على خدّه خفض فهذا آخر الدوله

قلت : ومظفر الاعمى هذا قد جمع ابنه شعره للملك الكامل بن الملك العادل وجمله عشرة أنواع : الاول سلوك الملوك ، وتبر اللفظ المسبوك ، الثاني اعلام الاقلام ، وأقلام الاعلام ، الثالث فرائد القلائد ، وزوائد الفوائد ، الرابع سوائب السحائب ، وترائب الحبائب ، الخامس قراضة الذهب ، وخلاصة الادب ، السادس كواكب الغرائب ، ومسارب المطالب ، السابع نوافج النتائج ، الثامن افراط الاقراط ، وأسماط الاسفاط ، التاسع ملابس العرائس ، العاشر أرج من درج ، وذكرى من مرج ، وما أحسن قوله :

من لي بوجه على ديباج وجنته نقش ينم بما يقضي به نفسي
كأنما خده صبح تعلق في أرجائه سحرا شيء من الغلس

وللصلاح الصفدي رحمه الله وقد أجاد :

كأنما الأغصان لما انثنت امام بدر التم في غيهبه
بنت مليك خلف شباكها تفرجت منه على موكبه

وفي سنة ألف ومائة واثنتين وثلاثين وردت الاخبار الى أصفهان ، وسائر تلك البلدان ، بان محمود بن ميرويس السليماني قد ملك كرمان .

﴿ فائدة ـ ذكر كرمان وهرات ﴾

(كرمان) مدينة عظيمة بناها كرمان بن طهمورث وهي كثيرة الفواكه والثمار والمياه والاشجار ، والزهور والاطيار ، والقصور المشرقة بشموس الملاح والاقمار وبها معدن التوتيا يحمل منها الى سائر الاقطار ، من طرق البراري والبحار ، وبها خشب لا تحرقه النار ، ولو أقام مدة الاعمار ، من عجائب حكمة الحكيم القهار ،

ويجلب منها الكون الكرمانى ، وانواع الشال اللطيف ، والابابيد والفرش الكرمانية على كل نوع ظريف ، وبها معدن الزاج الذهبي ، واليها ينسب شاه شجاع الكرمانى من ملوك تلك المدينة توفي قبل الثلاثمائة سنة وينسب اليها أوحد العارفين أبو حامد الكرمانى الملقب بأوحد الدين ، وكانت كراماته الخارقة مشهورة في العالمين ، توفي ببغداد سنة ستمائة وخمس وثلاثين ، فلكها محمود المذكور وقتل أطفالها ، وأسر نساءها ورجالها ، ونهب أموالها فظهر اثر الغلب والخسران ، على اهل أصفهان ، وجميع تلك البلدان من بعد أخذ كرمان ، وشرع الناس في الفرار الى سائر الأمصار ، ثم وصل الخبر أيضاً في تلك الاوقات ، بان محمد زمان سلطان رئيس العبدلية قد ملك الهرات ، وهؤلاء العبدلية ، يقرون لعلي بن أبي طالب بالالهية ، فعظمت إذ ذاك الرزية ، وحلت بالناس البلية ، وايقن العجم إذ ذاك بالدمار ، وخراب الديار ، وما ذاك إلا جلب أيديهم لأنفسهم ، وان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فانهم كانوا في ألذ عيش واتم نعمة ، محروسين من كل طارقة ونقمة فقطعوا وظايف السادات والمستحقين ، ومنعوا الزكاة والصدقات عن الفقراء والمساكين ، فكافأهم رب العالمين في الحين :

اذا كنت في نعمة فارعها ... فان المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الاله ... فان الاله سريع النقم

قلت : وهذه الهرات المذكوره ، من أجل مدائن العجم الكبار المشهوره ، وهي بين خراسان وقندهار ، ليس لها نظير في تلك الاقطار ، ولا بأس بأن أذكرهنا ارجوزة بديعة الأبيات ، متضمنة لوصف الهرات ، للفاضل النحرير العلامة ، الشيخ بهاء الدين محمد العاملي عامله الله بلطفه الخفي ، وأجرى عليه عوائد بره الوفي ، وهي :

الحمد لله العلي العالي ... ذي المجد والافضال والاجلال
ثم الصلاة والسلام السامي ... على النبي المصطفى التهامي
والآل والاصحاب والاحباب ... وسائر الاشياع والاحزاب

يقول راجي العفو يوم الدين المذنب الجاني بهاء الدين
تجاوز الرحمن عن ذنوبه وأسبل الستر على عيوبه
بليت في قزوين يوما برمد مقرح للقلب من فرط الكمد
يمنع من صرف النهار فيما يرضى الأديب الحاذق الفهما
من بحث او تلاوة أو ذكر او درس او عبادة او فكر
حتى سئمت من لزوم منزلي والنفس من اشغالها بمعزل
ولم تكن من عادتي البطاله لأنها من شيم الجهاله
فرمت شيئا مشغلا للبال عما اقاسيه من البلبال
وصرت في فكر بأي وادي القي جياد الفكر والطراد
فلم اجد اجمى من الاشعار وليس نظم الشعر من شعاري
فبينما الامر كذا اذ سألا منى بعض الاصدقاء الفضلا
ان اصف الهرات فى ابيات جامعة للنشر والشتات
معربة عنها عن الحقيقه مطربة لكل ذي سليقه
اجبته والجفن بالدمع سخى على الخبير قد سقطت يااخي
ثم نظمت هذه الرجيزه بديعة رائقة وجيزه
قضيت في نظمي لها نهارى كما تقضى الليل بالأسمار
سميتها اذ كملت بالزاهره فها كها مائة بيت حاضره

﴿ مقدمة : في وصفها على الاجمال ﴾

ان الهرات بلدة لطيفه شائقة نفيسة شريفة
أنيقة أنيسة بديعه وحيدة رشيقة منيعه
خندقها متصل بالماء وسورها سام الى السماء
ذات فضاء يشرح الصدورا ويورث النشاط والسرورا

حوت من المحاسن الجليله   والصور البديعة الجميله

ما ليس في بقية الامصار   ولم يكن في سائر الاعصار

لست ترى في أهلها سقيما   طوبى لمن كان بها مقيما

ما مثلها في الماء والهواء   كلا ولا الثمار والنساء

كذلك الباغات والمدارس   فما لها في هـــذه مجانس

﴿ فصل : في وصف هوائها ﴾

هواؤها من الوباء جنه   كأنه من نفحات الجنة

فيبسط الروح وينفي الكربا   ويشرح الصدر ويشفي القلبا

لاعاصف منه تخاف الحره   ولا بطي السير فرد مره

بل وسط يهب باعتـــدال   كغادة ترفل في أذيال

فمن رماه الدهر بالافلاس   حتى عن المسكن واللباس

فلا يصاحب بلدة سواها   لأنه يكفيه في هواها

جبية واحدة في القر   شربية باردة في الحر

فهـذه في حرها تكفيه   وتلك عند بردها تدفيه

﴿ فصل : في وصف مائها ﴾

لو قيل ان الماء في المرات   يعدل ماء النيل والفرات

لم يك ذاك القول بالبعيد   وكم على ذلك من شهيد

تراه في الانهار صاف صافي   كأنه لآليء الاصداف

لا يحجب الناظر عن قراره   بل يطلعنه على أسراره

تظن غور عمقه شبرين   من الصفا وهو على رمحين

خفيف وزن فائق الاوصاف   مامثله ماء بلا خلاف

يهضم ماصادف من طعام   كأنما أكلته من عام

فصل : في وصف نسائها

نساؤها مثل الظباء النافره ... ذوات ألحاظ مراض ساحره
يسلبن حلم الناسك الأواه ... ويسلمنه الى الدواهي
من كل خود عذبة الالفاظ ... تقتل من تشاء بالالحاظ
أضيق من عيش اللبيب ثغرها ... أضعف من حال الاديب خصرها
فاتكة قد شهدت خداها ... بما بنا تفعله عيناها
ترنو بطرف ناعس فتاك ... يفسد دين الزاهد النساك
والصدغ واو ليس واو العطف ... والثدي رمان عزيز القطف
والجسم في رقته كالماء ... والقلب مثل صخرة صماء
ولفظها وثغرها والردف ... سحر حلال أقحوان حقف
وقدها ونهدها والخد ... غصن ورمان طرى ورد
والشعر والرضاب والاجفان ... صوارم مدامة ثعبان
غيد حميدات خصالهن ... طوبى لمن نال وصالهن

قلت : انظر الى هذه التشابيه ، التي تخرس ابن المعتز وابن النبيه :

فصل : في وصف ثمارها على الاجمال

ثمارها في غاية اللطافه ... لاضرر فيها ولا مخافه
عديمة القشور عند الجس ... تكاد أن تذوب حال المس
تخال في غصونها الدواني ... أشربة حلت بلا أواني
مع أنها بهذه الكيفيه ... رخيصة عندهم رزيه
يطرحها البقال فوق الحصر ... حتى اذا ماجاء وقت العصر
وقد بقي شيء من الثمار ... يطرحه في معلف الحمار

﴿ فصل : في وصف عنبها ﴾

ولست بالمحسن وصف العنب لأنه قد نال أعلى الرتب
أدق من فكر اللبيب بزره أرق من قلب الغريب قشره
أبيضه في لطفه والطول يحكي بنان غادة عطبول
احمره أشهى الى القلب الصدى من لثم خد ناصع مورد
اسوده أبهى لدى الظريف من غمز طرف فاتر ضعيف
اصنافه كثيرة في العد ليس لها في حصنها من حد
فمنه نخري وطائفي وكشمشي ثم صاحبي

أقول : الفخري ، النخلي ، والطائفي ، المراودى ، والكشمشي الرازقي ، والصاحبي أحسنها وأحلاها وارقها وهو العنب البياضي ، الذي لايوجد مثله في سائر الأراضي ، وهناك نوعان ايضاً موجودان ، وكان ينبغي للشيخ رحمه الله تعالى ان يذكرها وهما :

خايه غلامان وريش بابا شاهى يزيل الهم والاوصابا

فخايه غلامان ، هو العاصمي وهو عجيب لطيف ، في قدر بيضة الدجاجة من غير مبالغة ، وريش بابا هو المكير ، وهو أيضاً بقدر بيضة الدجاجة ترى بزره من خارج لرقته ، والشاهي عنب من غير بزر بقدر حبة الفلفل لازيادة وطعمه يشبه السكنجبين :

وغيرها من سائر الاقسام فوق الثمانين بلا كلام
مع هذه الاوصاف والمعانى في أرخص الاسعار والاثمان
ترى الذى مامثله في الفقر يبتاع منه الوقر بعدالوقر
وربما يعلفه الحميرا ان لم يصادف عنده شعيرا

﴿ فصل : في وصف بطيخها ﴾

بطيخها من حسنه يحير ... في وصفه ذو الفطنة الخبير
جميعه حلو بغير حـد ... أحلى من الوصال بعد الصد
مهما يقولـ الواصفون فيه ... فانه نزر بلا تمويـه
يباع بالبخس القليل النزر ... لانه واف بغير حصر
يأتى به المرء من الصحارى ... فلا يفى بأجرة المكارى

قلت : لو ذكر الشيخ رمان هذه المدينة فانه عجيب ، احلى من وصل الحبيب وكذلك مشمشها المسمى بتخم شمس والكمثرى والخوخ والاجاص وبالجملة فان فواكه تلك المدينة ليس لها نظير في سائر المدن والامصار ، لكثرة مافيها من الاثمار .

﴿ فصل : في وصف مدرسة المرزا ﴾

ومابنى فيها من المدارس ... ليس لها فى الحسن من مجانس
اشهرها مدرسة المرزاه ... مدرسة رفيعة البناء
رشيقة رائقة مكينه ... كأنها في سعة مدينه
في غاية الزينة والسداد ... عديمة النظير في البلاد
بالذهب الاحمر قد تزخرفت ... كأنها جنة عدن ازلفت
فى صحنها نهر لطيف جاري ... مرصف جنباه بالاحجار
فى وسطه بيت لطيف مبنى ... كأنه بعض بيوت عدن
من الرخام كله مبني ... كأنما صانعه جني
وكل مايقوله النبيل ... في وصفها فانه قليل

﴿ فصل : في وصف كازركاه ﴾

وبقعة تدعى بكاز ركاه ... ليس لها في حسنها مباهي
هواؤها يحيي النفوس ان بدا ... وماؤها يجلو عن القلب الصدا

والسر في رياضها المطبوعه كغادة اذيالها مرفوعه

ما أحسن هذا التشبيه في السرو :

فيها البساتين بغير حصر يقصدها الناس بعيد العصر

من كل صنف ذكر وانثى وحرة وأمة وخنثى

لاعندهم هم ولانكاد كانهم قد حو سبوا وعادوا

تراهم كالخيل في الطراد وكل شخص منهم ينادى

لاشيء في ذا اليوم غيرجائز إلانكاح المرء للمجائز

﴿ فصل في التحسر على فراقها وبعد رفاقها ﴾

ياحبذا أيامنا اللواتى مضت لنا اذنحن في الهرات

نسترق اللذات والافراحا ولانمل الهزل والمزاحا

وعيشنا في ظلها رغيد والدهر مسعف بمانريد

واها الى العود اليها واها فما يطيب العيش في سواها

سقيت يا ليالي الوصال بصوب غيث وابل هطال

وأنت يا سوالف الايام عليك مني أفضل السلام

﴿ ترجمة ناظم جواهر هذا الرجز، الذى أبدع وأفاد فيه وأوجز العالم ﴾

(العلامة الحبر الفهامة، الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين بن عبدالصمد العاملى)

(الحارثى الهمدانى الشامى أصلا ومولداً والخراسانى منشأ وتربة)

فاضل لم تتشنف الاسماع باحسن من معلوماته ، ولم تتشرف الارباع بأمتن من مؤلفاته ، ولم تتشوف الاسماع لاعجب من اخباره ، ولم تتظرف الانظار بأعذب من أشعاره رحل به والده الى بلادالعجم ، فنشأ بها الى أن صار مفتيها الاعظم ، وشيخها المقدم وكان فاضلا نبيلا ، كاملا جليلا ، رئيسا مثيلا ، بالغا في الفضل المحل الاقصى وفي الذكاء الغاية التي لاتستقصى ، ورحل بعد وفاة أبيه الى الاقطار ، وتفنن في

تنقيح الاخبار ، وساح ثلاثين سنـة وآتاه ربه كل حسنة وحج البيت الشريف ، والقدس المنيف وزار معاهده وورد موارده واجتاز بدمشق الشام في أثناء السفر ولم يقم الا بمقدار ، ان قيل له أهلا وسهلا ومر .

وكان قدومه الى الديار الشامية من الديار المصرية وكان يجتمع مدة اقامته بمصر بالاستاذ الاعظم والملاذ المعظم الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري وامتدحه بقصيدة غرا وقعت من الاستاذ محمد بن أبي الحسن ، غاية الموقع الحسن ، ثم سار الى بلاد العجم فهرعت من كل فج اليه الناس وصار الرئيس المقدم عند سلطانها الشاه عباس وارتفع شانه وكثرت اخدانه واشتغل بافادة معلوماته وتحرير مؤلفاته في العلوم العقليـة والنقلية والادبية والفقهيه والحكمية والمنطقيه والفلكية والرياضيه الى أن ذوى غصن فضله القويم واصطفاه ربه الكريم وذلك في أصفهان لأثنتي عشرة خلت من شوال سنة احدى وثلاثين بعد الالف ونقل قبل دفنه الى طوس فدفن بها في داره قريبا من الحضرة الرضويه وترجمه صاحب السلافة ايضاً وأثنى عليه كثيرا الى أن قال في ترجمته وأخبرني بعض ثقات الاصحاب ان الشيخ رحمـه الله تعالى قصد قبيل وفاته زيارة المقابر في جم من الاجلاء والاكابر فما استقر بهم الجلوس حتى قال لمن معـه اني سمعت شيئا فهل منكم من سمعه فأنكروا سؤاله واستغربوا مقاله وسألوه عما سمعه فأوهم وعمى في جوابه وأبهم ثم رجع الى داره فأغلق بابه ولم يلبث أن اهاب به داعي الردى فأجابه رحمه الله تعالى وأفاض وابل غفرانه على ضريحه ووالى .

وكان مولده يوم الاربعاء في بعلبك عند غروب الشمس سابع عشر ذي الحجة الحرام سنة تسعمائة وثلاث وخمسين من هجرة خير الانام .

ومن مؤلفاته : العروة الوثقى والصراط المستقيم تفسير القرآن الحكيم والحبل المتين في الفقه والحديث ومشرق الشمسين في الفقه والجامع العباسي باللغة الفارسيـة في الفقه وكتاب في علم الحساب لم ينسج على منواله ومفتاح الفلاح في الأدعيه والاوراد وبداية الهداية في الفقه وجمع أربعين حديثا وشرحها وشرح دعاء الهلال من الصحيفة

الكاملة لعلي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام والزبدة في أصول الفقه والتهذيب في النحو والرسالة الصمدية في النحو والكشكول سبعة اجزاء في كل فن ونان حلوى اى خبز وحلوى نظما في علم التصوف بالفارسية وشير وشكر أى لبن وسكر ايضا في التصوف نظما بالفارسية وغير ذلك في الالهية والهندسة والسيميا والكيميا والهيميا والريميا والرمل والطلسمات والمندل والوفق والطب ، وكان علامة في علم البلاغة وله في كل علم مؤلفات مذكورة ورسائل مشهورة .

وكان مقبول الهيئة سمح الكف حسن المنظر عالى الهمة وكان منشى السلطنة بالعربية والتركية والفارسية وله نظم أشهر من الغزاله وأين الغزالة من الذبالة فمن نظمه الفائق وشعره الرائق هذه الأرجوزة التي هي كالوشاح للملاح المسماة برياض الارواح وهي :

ألا يا خائضا بحر الاماني هداك الله ماهذا التواني

أضعت العمر عصيانا وجهلا فمهلا أيها المغرور مهلا

مضى عمر الشباب وأنت غافل وفي ثوب العمى والجهل رافل

الى كم كالبهائم أنت هائم وفي وقت الغنائم أنت نائم

وطرفك لا يرى الاطموحا ونفسك لم تزل أبدا جموحا

وقلبك لا يفيق عن المعاصي فويلك يوم يؤخذ بالنواصي

بلال الشيب نادى في المفارق بحى على الذهاب وأنت غارق

ببحر الجهل لا تصغي لواعظ ولو أطرى وأطنب في المواعظ

على تحصيل دنياك الدنيه مجدا في الصباح وفي العشيه

وجهد المرء في الدنيا شديد وليس ينال منها ما يريد

وكيف ينال في الدنيا مرامه ولم يجهد لمطلبها قلامه

(اشارة) الى حال من جمع وصرف العمر في جمع الكتب وادخارها على غير طائل خصوصا في زماننا هذا الذي خفض العالى ورفع السافل ونصب الجاهل :

على كتب العلوم صرفت مالك وفي تصحيحها أتعبت بالك

وأنفقت البياض مع السواد على ماليس ينفع في المعاد
تظل من المساء الى الصباح تطالعها وقلبك غير صاحى
وتصبح مواسا من غير طائل لتحرير المقاصد والدلائل
وتوضيح الخفا من كل باب وتوجيه السؤال مع الجواب

﴿ اشارة الى أسماء الكتب المشهورة ﴾

لعمرى قد أضلتك الهداية ضلالا ماله أبداً نهايه
وتذكرة المواقف والمراصد تسد عليك أبواب المقاصد
فلاتنجى النجاة من الضلاله ولايشفى الشفاء من الجهاله
وبالارشادما حصل الرشاد وبالتبيان مابان السداد
وبالايضاح أشكلت المدارك وبالمصباح أظلمت المسالك
وبالتلويح مالاح الدليل وبالتوضيح مااتضح السبيل
صرفت خلاصةالعمرالعزيز على تنقيح أبحاث الوجيز
بهذا النحوصرف العمرجهل فقم واجهد فافي الوقت مهل
ودع عنك الشروح مع الحواشى فهن على البصائر كالغواشى

﴿ اشارة الى نبذ من حال من تصدى للتدريس كزماننا هذا وأهله ﴾ .

مرادك أن ترى في كل يوم وبين يديك قوم أى قوم
كلاب عاويات بل ذئاب ولكن فوق أظهرهم ثياب
اذا ماقلت أصغوا للمقال وان حدثت بالقول المحال
فليس لهم جميعا من بضاعه سوي سمعا لمولانا وطاعه
وان شمرت عن ساق الافاده جلست لهم على عالى الرفاده

الرفاده أن تجعل للدابة رفادة وهى مثل حدبة السرج والمراد هنا المكان المرتفع من زيادة الفرش .

وأسمت السؤال لمن تكلم ودلست الجواب لكى يسلم

وقررت المسائل والمطالب ولست بذا لوجه الله طالب
وسقت لهم كلاما في كلام وقلبك من ظلام في ظلام
وان ناجيت ذا نظر دقيق وفكر في مطالبه عميق
عدلت به عن النهج القويم وزغت عن الصراط المستقيم
تكابره على الحق الصريح فان ناجاك في نقل الصحيح
طفقت تروغ عن نهج السبيل وتقدح في الكلام بلا دليل
وأولت المراد من العباره بتأويل كثلج في خياره
وعبت أئمة قالوا بذا كا وفي تجهيلهم أفغرت فاكا

فغرفاه كمنع ونصر فتحه كافغره ففغر فوه وانفغر .

وأزعجت العظام الدارسات وبعثرت القبور الطامسات
لئن لم ترتدع عن ذى الظلامه فبئس الحال حالك في القيامه

﴿ وقوله وهي قصيدة وموعظة من سوانح الحجاز ﴾

كان في الاكراد شخص ذو سداد له أمه ذات اشتهار بالفساد
لم تخيب من نوال طالبا لم تمانع عن وصال راغبا
دارها مفتوحة للداخلين رجلها مرفوعة للفاعلين
فهي مفعول بها في كل حال فعلها تمييز أفعال الرجال
كان ظرفا مستقرا وكرها جاء زيد قام عمرو ذكرها
جاءها بعض الليالي ذو أمل فاعتراها الابن في ذاك العمل
شق بالسكين فورا صدرها في محاق الموت أخفى بدرها
مكن الغيلان من احشائها خلص الجيران من فحشائها
قال بعض القوم من أهل الملام لم قتلت الأم ياهذا الغلام
كان قتل الشخص أولى يافتي ان قتل الأم شيء ما أتى

قال ياقوم اتركوا هذا العتاب ✲ ان قتل الام أدنى للصواب
كنت لو أبقيتها فيما تريد ✲ كل يوم قاتلا شخصا جديد
انها لو لم تذق حد الحسام ✲ كان شغلى دائما قتل الانام
أيها المأسور في قيد الذنوب ✲ أيها المحروم من سر الغيوب
أنت في أسر الكلاب العاويه ✲ من قوى النفس الكفور العاتيه
كل صبح ومساء لاتزال ✲ من دواعى النفس في قيل وقال
كل داع حية ذات التقام ✲ قل مع الحيات كم هذا المقام
ان تكن من لسعها تبغى الخلاص ✲ او ترم من عض هاتيك المناص
فاقتل النفس الكفور الجانيه ✲ قتل كردى لام زانيـــه
أيها الساقى أدر كاس المدام ✲ واجعلن في دورها عيشى مدام
خلص الارواح من قيد الهموم ✲ أطلق الاشباح من اسر الغموم
فالبهائى الحزين الممتحن ✲ من دواعى النفس في أسر المحن

(وقوله) هذه القصيدة التي علا قدرها وعز، وادهشت بلذيذ معانيها الرائقة عقل مسكين الدارمي وابن المعتز ، وقد عارض بها قصيدة والده المشهورة ، وسيأتى ذكرها آخر هذه الترجمة ان شاء الله تعالى :

يانديمى بمهجتى أفديك ✲ قم وهات الكؤس من هاتيك
هاتها هاتها مشعشعـة ✲ أفسدت نسك ذا التقى النسيك
خمرة ان ضللت ساحتها ✲ فسنا نور كاسها يهديك
ياكليم الفؤاد داو بها ✲ قلبك المبتلى لكي تشفيك
هى نار الكليم فاجتلها ✲ واخلع النعل واترك التشكيك
صاح ناهيك بالمدام فـدم ✲ في احتساها مخالفا ناهيك
عمرك الله قـل لنا كرماً ✲ ياحمام الأراك مايبكيك
أترى غاب عنك أهـل منى ✲ بعد ماقد توطنوا واديك

ان لي بين ربعهم رشأ — طرفه ان تمت أسى يحييك
لست أنساه اذ أتى سحرا — وحده وحده بغير شريك
طرق الباب خائفا وجلا — قلت من قال كل مايرضيك
قلت صرح فقال تجهل من — سيف ألحاظه تمكن فيك
بات يسقي وبت أشربها — خمرة تترك المقل مليك
ثم جاذبته الرداء وقد — خاض الخمر طرفه الفتيك
ثم وسدته اليمين الى — أن دنا الصبح قال لي يكفيك
قال ماذا تريد قلت له — يامنى القلب قبلة في فيك
قال خذها فقد ظفرت بها — قلت زدني فقال لا وأبيك
قلت مهلا فقال قم فلقد — فاح نشر الصبا وصاح الديك

(وعارضها) السيد أحمد بن أبي بكر شيخان فقال مادحا بها عمر بن محمد بن علي بن سليم الوزير :

بزمام الغرام كن نسيك — انما الحب لذة وأبيك
لاتضع عمرك النفيس سدى — في علوم تخالها تهديك
ليس بالنحو والعروض تنال — جنى النحل ذائبا في فيك
ثم للحب راحة وغنى — عن جميع الملا ألا أنبيك
فاستمع نصح ما نحيك هدي — وتعاطى كأس الهوى يشفيك
يارعى الله جيرة نزلوا — بأراك الحمى الذي يسبيك
واذا مارمت السلو بدت — لك أمارة له تثنيك
لاترجى سلامة أبدا — ان رمتك العيون في التشريك
ويل قلبي العميد ان له — بموالي قدودها تسليك
يا جهولا يلومني سفها — كف عني اياك لا أعديك
كيف يصغي الى الملام فتى — دينه الحب كف مايطريك

غير خاف عن الرشاد فدع … واشتغل بالذى غدا ينجيك
قد عقدت اليمين أني ما … عشت يا قلب است بالمخليك
لا ترم قط مخلصا بسوى … مدح ندب من المنا يحميك
عمر بن الوزير من فخرت … بعلاه العلى بـلا تشكيك
وتحلت به الوزارة اذ … كان أهلا لها بغير شريك
ساد طفلا بكل ما قصرت … عن مداه أشياخنا هاتيك
أيها المشتكي ضلالك عج … بحماه فانه يهديـك
ماعلى من أتى الهدى حرج … فاطعنى تفز بما يرضيـك
ياسراج الانام دم أبدا … بالمعالى ومسعدا بذويك
واستمعها شقاشقا هدرت … واسبل الستر فا لمقال ركيك
خطبتها مني محبتكم … فأتتكم بودها تصفيك
لابرحت الرئيس لى وأنا … يانديمي بمهجتى أفـديك

﴿ وقال اخوه السيد الشيخان ﴾

فاح عرف الشميم من ناديك … يامليحا على الملاح مليك
كل يوم وفي القلوب لظى … من تجنيك هل ترى يرضيك
يارعى الله جمعنا وسقى … منزل اللهو والخلاعـة فيك
يوم عيش الشباب لى نظر … وزمانى وفى بـلا تشكيك
اى صبر يكون لى ولقـد … عيل صبرى بمهجتى افديك
فالى الله اشتكي ابـداً … سحر عينيك ايها الفتيك
وقواما كأنه غصن … سالبا عقـل ناظر نسيك
صاح هات المدام ان لها … نشأة تترك الوضيع مليك
واسقنيها ممزوجـة بلمى … ثغر خلي ولاتقـل يكفيك
واسقنيها حمراء قد لبست … شفق الليل اوكعرف الديك

واسقنيها فانني شغف ... باحتساها مخالفا ناهيك
وتعطف الى الحبيب عسى ... يسمح الدهر باللقا لاخيك
وابق واسلم ما الصب منشدنا ... فاح عرف الشميم من ناديك

وقال عمر بن محمد على بن سليم الوزير :

قسما بالهوى وما يرضيك ... وبعينيك فتنة النسيك
وبالحاظك المراض وما ... تحتويه من جوهر في فيك
وبشامات وجنة هزأت ... بزهور الرياض أى وأبيك
وبأردافك الثقال ... وخصرك يافاتنى بلا تشكيك
ماتبدلت في المحبة لا ... والذى أرتجيه ان يدنيك
منّ بالوصل يامناى وقل ... يا قتيلى ها قبلة تحييك
خل قول الوشاة وادن وجد ... ففؤادى بحالتي ينبيك
واجتلى أكؤس المدام ولا ... تك ممن جفا فماذا فيك
واسقني كا للهيب صافية ... لاتشمت بى العدا يكفيك
انا لولاك ما فتنت ولا ... قلت مدحا بذكره اعنيك
فترحم وصل محبك يا ... راحما كل قاصد ينويك
واجبر القلب بالوصال فما ... في محب لمن يحب شريك
وأغثنى برشف ثغرك يا ... نور عيني فمهجتى تفديك

وقال الشيخ اسماعيل الدمشق :

كلما لامنى عذولى فيك ... زادنى رغبة الى حبيك
ياغزالا سبت لواحظه ... كل ليث بروحه يفديك
كل ما تسحر العقول به ... فهو من صنع لحظك الفتيك
لك ثغر تفوح نكهته ... وعن المسك عرفه يغنيك
وبه ريقة مروقة ... هى عن كل حانة تلهيك

لك كالرمح قامة فتكت في طمانا تها بلا تشكيك
وعلي الوفا وناظره بسهام من الردى يوقيك
هل سلوت الحياة حين سلا وغدا بعد قربه يقصيك
لو تذكرت ليلة سلفت باللوى كان ذكرها يكفيك
ليلة نام حاسدوك بها ووفى زائرا بغير شريك
وسقاني بكاس مرشفه راحة فيك راحتي هاتيك
واجتلينا المدام صافية كصفاء النضار وهو سبيك
صرفة ان بدت بأكؤسها في الدياجي فضوءها يهديك
حبذا ليلة قطعت بها يانعم الوصل والظلام سميك
وبدا صبحها فقيل لنا فاح نشر الصبا وصاح الديك

هذا تضمين حالي ، وقال الشيخ عبد اللطيف بن الفقيه سعيد :

اتري من بقتلتي يغريك ليت شعري ومن بها يدريك
عمرك الله ان لى شجنا ليس يحصيه حاسب ينبيك
فاقض ما انت قاضه فلكم سيف لحظيك بالقضا يفتيك
وبما شئت فاحتكم على مهجة كيف شئتها تأتيك
كم لعينيك ياابن ذي يزن ياابن عمرو بمهجتي تفتيك
الامان الامان منك فلى اى قلب يوده يصفيك
لا تحارب بناظريك فؤادى والصلح خير يوليك
يا مضلا بليل طرته في نهار الجبين ما يهديك
نار قلبي اتخمدي وغدا مالك الروح بالجفا يبكيك
ياحبيبي ويا طبيب فؤادى فلقد شفنى الضنا ناهيك
قم بنا ندهق الكؤس على روضة بالزهور في تحبيك
اوفقم هاتها كؤس حديث وان شئت هاتها من فيك

واسقنيها على الورود لما　　يانديمي بمهجتي افـديك

هذا تضمين ما فيه حلاوه كلا ولاطلاوه .

(وقال) السيد هاشم الازراري في مدح رسول الرب الباري :

فض ختم الدنان من هاتيك　　فعسى عرف خمرنا يشفيك
وادهق الخمر في الكؤس وقم　　نتعاطى الرحيق في ناديك
خمرة بالسرور جاليـة　　عن صدا القلب موضع التشكيك
خمرة بالحباب قد عقدت　　عروة البسط فاك عن تفكيك
خمرة بالمياه ان مزجت　　لك في الكاس بعد ذا تبكيك
خمرة ان هداك رونقها　　فسنا ليـل تاجها يغويك
خمرة ذاتها الرقيقة قـد　　نزهتها السقاة عن تشريك
خمرة ان شممت نكهتها　　فمن المسك والشذى تنشيك
خمرة لوبها تموت لما　　شك قلبي بأنها تحييك
خمرة بالنجوم قـد قذفت　　مارد الهم لم يعد يأتيك
خمرة والحبيب أعشقها　　ولها أعين كعين الديك
خمرة للعقول قـد ملـكت　　ولها القلب أثبت التمليك
خمرة تشرح الصدور كما　　حلة العز والبها تكسيك
خمرة ان لزمت حانتها　　فالى الرشد نورها يهديك
ساق القوم ان سكرت فزد　　في سكراً ولا تقل يكفيك
واسقنيها حتى أموت ولم　　من حلاسكرتى أطق تحريك
وابكني بعـد بالسماع ودع　　حادى القوم بالنوى يحديك
واحضر الغسل بالمدام وان　　لم تبحـه عن التقى انفيك
واطلق الندو البخور وخذ　　من نفيس القماش ما يرضيك
وادع لى با لصلاة في ملأ　　من أهيل الغرام يا نسيك

وتقدم الى الضريح وسر بعد دفني الى الذى ينجيك
أشرف الرسل والخلائق من بضيا شمس حسنه يسبيك
واذا ما ذكرته أبدا فمن الغير حبه ينسيك
واقره مني السلام ولا تنس ما كنت سابقا أوصيك
وعلى الآل والصحابة من طيب المدح ذكرهم من فيك
ماهمى المزن في البقيع وما صدح الورق في قبا واديك

وقال الشيخ على الابيض في مدح الشفيع في الاسود والابيض :

لذة العيش ظبية تسقيك من رضاب حبابه يشفيك
ان بدت والظلام محتبك فضيا نور وجهها يهديك
ببديع الجمال كم فتنت في الورى كل زاهد نسيك
وبسيف اللحاظ كم فتكت في الهوى كل فاتك فتيك
قلت مذ اقبلت بطلعتها روق لي المدام من هاتيك
قالت اشرب جنى معتقة راح انس شرابها يرويك
فشربت المدام من يدها ونفيت السوى مع التشكيك
حبها في الانام صيرنى عبد رق بملكها تمليك
هم بها واخلع العذار ودع كل واش يريد ان يغريك
انما الحب راحة وعنا واجتماع وفرقة تنبيك
آه كم ذقت لوعة وقلى لكن القلب سالم التشريك
ولكم هام قبلنا فطن كان بين الملا أعز مليك
بات واللب منه مشتمل تارك الصافنات والدكديك
هكذا العشق فاستمع وأطع وتجنب كلام من يغويك
واحتسى خمرة الكرام تجد كل حظ بشربها ينشيك
خمرة في الدجى لها قبس مثل نار تلوح في واديك

لونها كالعقيق حين بـدت	داخل الكاس او كعرف الديك
عش فقيراً او فزبها زمنا	واترك الكد علها تغنيك
واذا راعك الزمان بما	فيـه ضيق يكاد ان يضنيك
لذ بخير الانام من مضر	بانكسار فانه ينجيك
والتزم بابه بمسكنـة	فهو للخير والعلى يدنيك
هو في الحالتين عمدتنا	ومن السقم ذكره يبريك
خل يا قلب عشق كل رشا	ذى جمال فحبـه يكفيك
واطلب الفيض من مكارمه	والعطايا فانه يعطيك
يارسول الاله كن عضدى	من صروف الزمان والتأفيك
يارسول الاله كن سندي	وترفق بمن اتى راجيـك
واعطنى ما أروم يا أملى	عل ان لايخيب ظنى فيـك
ان جسمي من السقام غدا	ناحلافي السكون والتحريك
داونى واكفنى الهموم وجد	بسرعـة بالحلول في ناديك
كي أزور المقام منبسطا	مع قوم حـدا بهم حاديك
وانادى بفرحـة وهنا	يانديمى بمهجتى افديك
قال لى هاتف الدجى سحرا	جـد في مدح احمد نمليك
ياعذولا يلومنى سفها	من على لوم مثلنا يغريك
ان تكن جاهلا هـلم الى	جبنا من علومنا نقريك
اوتكن قد جننت من وصب	لذ باعتابنا عسى نرقيك
اترك اللوم للمحب ودع	ظنك السوء ربما يرديك
هاك خذها كغادة جليت	من قريض نظامـه يرضيك
ارتجى الحظ والقبول بها	بين قومى لأننى داعيك
صغتها كاللآل معربة	من بـديع كلامه اهديك

يطرب السامعين منطقها ... مالها في البديع قط شريك
حين قدمتها اليك ضحى ... مهديا اخرت لكل ركيك
وانا ابيض المحبة لي ... منطق نظمه حوى تسبيك
كعقود نفائس نظمت ... بعمان ورقة تسبيك
بعلي دعيت عبدكم ... راجيا من جنابك التسليك
وصلاة الاله دائمة ... بسلام على المدى يوفيك
وكذا الآل ماهمت ديم ... في رياض تحبكت تحبيك
أوشدا المستهام من وله ... لذة العيش ظبية تسقيك

(وقال) السيد على خان بن السيد احمد معصوم المتقدم ذكر ترجمته :

كوكب الصبح قد بدا يحكيك ... فامزج الكاس يارشا من فيك
بادر الصبح بالصبوح فقد ... فاح نشر الصبا وصاح الديك

(ما احلى) هذا التضمين ولعمري ان كلام الملوك ملوك الكلام :

وادرها علي مشرقة ... عن سنا البدر في الدجى تغنيك
وادع في الانس والسرور بها ... ودع الهم يلتقي شانيك
وهي ماء الحياة فاحى بها ... روح صب بروحه يفديك
إن ضللت السبيل في غسق ... فبمشكاة نورها تهديك
وصل الراح ما حييت ولا ... تصغ سمعا لعاذل يغويك
واهجر اللائمين ان غضبوا ... ان فيها جميع ما يرضيك
هي لاشك آية ظهرت ... فانف عنها مقال ذى تشكيك
قل لميت الغرام قم سحرا ... واصطبحها فانها تحييك
لاتقل اثمها يحل بنا ... فهي من كل عاهة تنجيك
ياعذولي اسرفت في عذلي ... كف عني فربنا يكفيك
خلني والمدام في شغل ... واشتغل انت بالذى يعنيك

تأمل هذه البلاغه في هذا الكلام واللطافـه ، ولاغرو فناظمـه صاحب السلافه ، وقال والدى قدس الله روحه ونور ضريحه :

من لصب قضى غراما فيك ... ياغزالا بالحسن صار مليك
نم قريرا فان لى مقلا ... لم تذق لذة الكرى وابيك
صل فتى مغرما حليف ضنى ... يابديع الجمال يافتيك
واطف نار البعاد منك بما ... فيه وصلى ولا تطع ناهيك
رحمة يامعذبى لفتى ... نفسه من اذى الردى تفديك
لم يزل في الهوى اخاشجن ... يامنى القلب مستهاما فيك
نبل اجفانك المراض غدت ... داخل القلب والفؤاد تشيك
حقق الظن باللقا كرما ... وانف عنى يامنيتى التشكيك
رق لى الجلمد الاصم وما ... نابنى منك غير ذا التهتيك
ياترى هل لذا الجفا سبب ... هات قل لى فالجسم صار نهيك
والذى قد كساك ثوب بهاً ... انا راض بكل ما يرضيك
ياامير الظبا النفار عسى ... رحمة الله نحونا تدنيك

(قلت) واصل من استفنّ هذا الفن ، وهذه القافية التى لسماعها قلب كل اديب هام وحن ، هو العالم العلامـة الرحله ، الحسين بن عبـد الصمد والد المترجم في هذه الرحله وهو :

فاح نشر الصبا وصاح الديك ... فانتبه وانف عنك ما ينفيك
واخلع النعل في الحمى ادبا ... وادن منا فاننا ندنيك
ان تشأ نشونا ونشأتنا ... شن غارات نشوة تنشيك
واستلمها سلافـة سلمت ... من اذى من بغى لها تشريك
واحتكم مدحها الفصيح وقل ... كل مدح في غير تلك ركيك
وتعشق وكن اذاً فطنا ... كل شيء عشقتـه يغنيك

وانف عنك الوجود وافن تجد نفحة من نوالنا تشفيك
ان تسر نحونا تسر وان مت في السير دوننا نحييك
واذا هالك الجحيم فحم في حمانا فاننا نحميك
وتخلق بما خلقت له فهو من مورد الردى ينجيك
جد بنفس تجد نفيس هوى كف كفا عن غيرنا نكفيك
خل خلي مناك لي بغى واجمل النفس هدينا نهديك
وانتصب رافعا يديك لنا واخفض القدر ساكنا نعليك

ما احلى هذا التوجيه بالنحو :

وابك تمحوا قبائحا كتبت قبل ان تلتق الذى يبكيك
تدعى غير ما وصفت به والذى فيك ظاهر من فيك
تجترى والجليل مطلع ما كأن النهى اذا ناهيك
تتلاهى عن الهدى سفها مبتلى دائما بما يلهيك
تلبس الكبر تائها عجبا والنجاسات كائنات فيك
واذا ذكرت مواعظنا صمت عنها كانها تنسيك

وقلت انا متغزلا وعلى واسع فضل الفضلاء متطفلا :

لست اسلو هواك لا وأبيك ياحبيبي وطرفك الفتيك
كيف انساك ياحبيب وقد تلفت مهجتى وذابت فيك
وعيونى بالدمع تشهد لي فاختبرها فانها تمليك
انت روحى وراحتى وانا عبدرق لكل ما يرضيك
انت زين الملاح قاطبة انت للخرد الحسان مليك
انت بدر بالحسن مشتمل جل من صور المحاسن فيك
ارتجى الوصل منك ياقمرى فعسى لايضيع ظنى فيك
ذاب جسمي من الضنى وغدا لايطيق السكون والتحريك

كف عنى كفيت مظلمتى فنحولى عن حالتى ينبيك
وتكرم بالوصل منك وجد لغريب قد حل في ناديك
واسقنيها حمراء منعشة بنت كرم ممزوجة من فيك
خمرة ان قصدت حانتها فهي يا بدر للصف تصفيك
واذا ماشممت نكهتها فمن الطيب طيبها يغنيك
تجلب الانس والسرور لنا وتزيل العنا بلا تشكيك
قم بنا نجتلى المدام ودع قول واش بجهله يغريك
فوق نهر والورد حف بنا وحدنا وحدنا بغير شريك
أويكن ثالث يشاركنا فهزار الرياض نعم شريك
با لحسيني والرصد ينشدنا يانديمى بمهجتى أفديك

(فائدة)

نغم الحسيني هو شعبة من الشعب الاربع والعشرين، والرصد هو أول الانغام الست التي هي الاصل في علم تأليف الالحان ولا أصل لقول من قال ان الأنغام اثنى عشر نغماً وانما هي ستة أولها نغم الراست في الاصل والآن يسمونه الرصد ومعنى الراست الاول من الانغام ثم الدوكاه والسيكاه والجهاركاه والبنجكاه يعنى الثانى والثالث والرابع والخامس والآن يسمونها الدوكه والسيكة والجركه ويقولون ايضا جاركه والبنجكه والسادس نوروز الصباح وقل من يعرفه والشعب أربعه وعشرون شعبة ثم اربعة وعشرون كوشة وهذا مشهور عند أهل الموسيقا أى تأليف الالحان فاعرف ذلك .

وبالجملة ان قصيدة بهاء الدين البهيه قد عارضها غير واحد من الشعراء ذوى الالمعيه وركضوا بجياد بلاغتهم في مضمارها ، لكنهم لم يلحقوا أرغبارها فرجعوا وقد غلبتهم بها روت اسحارها :

ولوقبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

من كلامهم : اقلل المعارف فانها اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانك كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر عليك القيام بالجميع .

ومن كلامهم انكر من تعرف ولاتتعرف الى من لاتعرف .

وقال الامام الغزالى في الاحياء : حكي انه كان ببعض البادية فريقان بعضهم قريب من الآخر فأقام بهما بعض الكلاب مـدة وتألف بهما فاتفق ان رحل فريق واقام الأخرفتبع الكلب ذلك الفريق الذى رحل الى ان غاب عنه الفريق الثانى الذى اقام فصاح حولهم وتألم من شدة الفراق ولم يعلم منه ذلك لانهم رحلوا عن ذلك المحل فرجع الى الفريق الثانى ليقيم به فتذكر اصحابه فلم يجدهم ففعل مثل مافعل بالاول وكان يرّحلهم ويلحق بالفريق الاول فلم يفهم منه ذلك لانهم مقيمون محلهم فرجع على أثره ولحق بالركب وصاح بهم ولازال يفعل ذلك حتى خرجت نفسه من شدة ماصنع من التردد بين الفريقين فمر رجـل ووجد الناس حوله متعجبين من فعله فقال لهم ماهذا فقصوا عليه القصة فقال لهم وما كان يقول هذا الكلب في صياحه قالوا لاعلم لنا بذلك فقال انه كان يقول وانشد هذين البيتين :

اذا كان لى أهلان أهل ترحلوا وأهل أقاموا اى أهلى أتبع
أقام الذى لاأستطيع فراقهم وسار الذى قلبي لديهم مودع

قلت : ياهل ترى بأى الاهلين كانت وفاته أم كانت بينهما في الطريق فان الظاهر ان شغفه والفه بهما سواء هكذا من يجعل الله فيه أهليـة تمر المعروف وحق الالفة والمحبة ولعمرى ان هذا الكلب أحسن من كثير من الناس خصوصا في زماننا هذا في هذه الخصلة فلهذا قال علماء الطريقة لايكمل المريد حتى يكون فيه جـمـل من خصال الكلب منها حفظ المعروف وسرعة الالفة وعدم رؤية النفس وأماتتها وغير ذلك وقد عد منها الامام الغزالى في كتابه الاحياء جملة فلتنظر ثمة .

قلت : ومما يناسبها ما حكاه ابن الجوزى في كتاب الاذكياء ان بعض الناس مر بمقبرة فاذا قبر عليه قبة مكتوب عليها هذا قبر كلب فمن احب ان يعلم خبره

فليمض الى القرية الفلانية فان فيها من يخبره فقصد الرجل القرية وسأل عن خبر الكلب فقيل له مايعلم ذلك الا شيخ هنا قد جاوز المائة فسأله فقال له كان هنا ملك عظيم الشان وكان يحب التنزه والصيد وكان له كلب لايفارقه فخرج يوما الى بعض منتزهاته وقال للطباخ أصلح لنا ثردة بلبن فنسى الطباخ ان يغطى اللبن فخرج أفعى فكرع منه ومج فيه من سمه والكلب يراه وهنالك جارية خرساء تراه ايضا فجاء الملك وقال ادركونى بالثردة فلما وضعت بين يديه أومأت الجارية الخرساء اليه فلم يفهم مرادها ونبح الكلب وصاح فلم يفهم مراده ولم يلتفت اليه ولج الكلب في الصياح فقال السلطان للغلمان نحوه عنى ومد يده الى اللبن بعد ماري الى الكلب شيئا ليأكله فلم يلتفت اليه فلما رأى الكلب ان الملك يريد ان يضع اللقمة في فمه طفر الى المائدة وكرع من اللبن وسقط ميتا وتناثر لحمه من حينه فبق الملك متعجبا منه ومن فعله وعرفوا مراده ومراد الجارية الخرساء فقال الملك لحاشيته هذا الكلب فدانى بنفسه وقد وجب على ان اكافئه ومايحمله ويدفنه غيرى فدفنه وبنى عليه القبة التى رأيت وهذه الحكاية حكاها ابن حجة أيضا في ثمرات الاوراق وذكرها ابن المرزبان أيضا في كتابه فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب .

قلت : لله دره في هذا الاسم العجيب .

﴿ حكاية ﴾

خرج معن بن زائدة يوما للصيد فعطش فلم يجد ماء مع غلمانه فبينما هو كذلك واذا بثلاث بنات أبكار كأنهن الاقمار قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فأسقينه فطلب شيئا من الدنانير مع غلمانه فلم يجد فدفع الى كل واحدة منهن عشرة أسهم نصالها من ذهب فقالت احداهن ياويلكن لم تكن هذه الشمائل الكريمة الزائده الا في معن بن زائده فلتقل كل واحدة منا فيه شعرا فقالت البنت الاولى :

يركب في السهام نصال تبر ... ويرمي للعدا كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح ... وأكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية :

ومحارب من فيض جود بنانه عمت مكارمه الاقار بوالعدا
صبغت نصول سهامه من عسجد كي لايفوته القتال عن الندى

وقالت الثالثة :

ومن جوده يرمى العداة بأسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه ويشترى الاكفان منها قتيلها

فرحم الله ذلك الزمان وأهله ، وأما زماننا هذا الذي هو أعجوبة العالمين ، فان اهله لايفرقون بين البعر والتين ، ولله در لبيد حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

أنشدني من لفظه لنفسه ببندر سورت بالهند سنة ١١٣٧ الشيخ الكامل ، العالم العامل الصفي الوفي الشيخ أحمد بن عبدالله الربيعي الاحسائي :

عبد بقيد الذنب اصبح موثقا يثني على من في يديه عنانه
والله مااستوفى القليل من الثنا لو ان كل الكائنات لسانه

﴿ فائدة ـ ذكر خراسان ونيسابور وطوس ﴾

(خراسان) : قاعدة اقليم عراق العجم ، وهي مدينة وسيمة حصينة عظيمه ذات اسواق عامره وحوانيت من جميع الجنس والنقد وافره وقصور شاهقه وشموس شارقه وخيرات جامعه وانهار نابعه وبساتين زاهره ومحاسن باهره وبها مشمش يسمى بالخراساني ، ما احسن لونه الزعفراني وعنبها اقسامه تزيد على السبعين ، وبالجملة فهي جنة الناظرين ذات الفواكه والولدان والحور العين ، وشرقي خراسان ماوراء النهر وغربيها قهستان ، وبلخ ونيسابور والهرات وهي من اعمر المدن في ذلك المكان وبها عين تحار فيها عيون البشر ينبع منها الماء ثم ينعقد فيصير كالحجر وبها نهر يسمى الزريق يمر بجميع زروعها والبساتين ومركب عليه جملة من الطواحين ، وبها من عجائب حكمة الباري وقدرته قبة يخرج منها ريح شديد لايمكن دخولها

لشدته ، وبها من عجائب الزمان جبل فيه كهف شبيه بالايوان ، وبه دهليز ومحوط به شبه البستان وفيه عين يجري منها ماء حار قيل انه نافع لليرقان ، وبها فأرة المسك وغيرها ، من عجائب صنع الملك الديان واهل خراسان احسن الناس في الاشكال ، واكثرهم في الاموال واعظمهم شجاعة وكرما إلا ان الغالب فيهم الحماقه وسفك الدماء . وفي خلافة عثمان بن عفان قتل بها يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الاكاسرة اهل الايوان ، وينسب اليها ابو عبد الله حمزة بن يوسف الاصم ، وتوفي بها سنة سبع وثلاثين بعد المائتين من هجرة شفيع الامم وينسب اليها ذو الكرامات الباهره الشيخ حبيب العجمي وكان من الابدال الظاهره نفعنا الله ببركاتهم في الدنيا والآخره .

﴿ فائدة ﴾

(نيسابور) : مدينة شهيره عظيمة كبيره ، وهي في ارض سهلة وبها نهر واحد وينقطع اياما حتى لايبقى منه شيء ، وهذه نيسابور من مدن خراسان ، ذات عمارات رفيعه وبساتين فائحة وسيعه وفواكه واشجار وزهور واقمار ، وكانت مجمع العلماء الاخيار ، وبها معدن الفيروزج ويجلب منها الى سائر الاقطار ، وكان بها بستان مارأت مثله العين ، لعبد الله بن طاهر بن الحسين وكان عليها سور مانع الى الافلاك طالع ، وقد كانت من اكمل المدن حسنا ، واجلها ذاتا ومعني ، الى ان خربت واحرقت في سنة ثمان واربعين بعد الخمسمائة وذلك ان بعض الخوارج خرج على السلطان سنجر السلجوقي بن ملك شاه فحاربه فانكسر العسكر واسر سنجر فقاتله اهل نيسابور اشد القتال ، ثم انه وقع الغلب عليهم من ذلك الخارجي والوبال وحاصرهم اشد حصار لانه كان في قوة ، ثم اخذ نيسابور من يدهم عنوه فنهبها واخلى دورها ، وقتل اهلها وحرق قصورها ، ثم انتقل من بقي من اهلها الى شادناج والى نيسابور ينسب الحكيم عمر الخيام ، وكان في الطب امام ، وهو من جماعة السلطان سنجر .

وينسب اليها الامام العلامه قدوة العلماء الفهامه رضي الدين النيسابوري

الحنفي الذي كان يحضر حلقة درسه اربعمائة من فحول العلماء مثل العميد وأمثاله .

ويذسب اليها ابو محمد المرتعش صاحب الجنيد وكان جليـل المكان من اعظم الصوفية اولياء الرحمن ، توفي سنة ثمان وعشرين بعد الثلاثمائة .

وينسب اليها عمر بن عبد السلام الحداد احـد السادة الائمة الامجاد توفي في نيف وستين بعد المائتين .

وينسب اليها استاذ القوم عبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب الرسالة القشيرية . وينسب اليها امام الحديث سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي .

واهل نيسابور في هذا الوقت الذي كسره غير مجبور ، مارأيت لهم في الفظاظة والغلاظة والبخل مثيلا ، انهم إلا كالانعام بل هم اضل سبيلا .

وما اصدق قول ابي الحسن المرادي الشاعر المشهور في نيسابور :

لاتنزلن بنيسابور مغتربا   إلاوحبلك موصول بسلطان
أولافلاادب يغني ولاحسب   يجدي ولاحرمة ترعى لانسان

(فائدة)

طوس من اشهر البلدان ، واكبر المدائن بخراسان ، ذكرها في التواريخ مشهور ، وهي بالقرب من نيشابور ذات قرى عامره وقصور باهره واقمار عيونها للقلوب ساحره واسواق من كل خيرات وافره وبساتين زاهره وازهار عاطره ، واشجار بها الفواكه الطيبـة الفائحه ، وانهار عظيمة سائحه كأنها عروس تتبختر تيهاً بحسنها على امثالها ، ويوجد معدن الفيروزج في بعض جبالها ويجلب منها السيوف الخراسانية والقدور ، وغير ذلك من كل صنف نفيس مشهور ، وبها قبر علي بن موسى الرضى الشهيد ، وبجانبه قبر الخليفة هارون الرشيد وينسب اليها الحكيم الفردوسي الطوسي مصنف الشاه نامه والخواجه نصير الدين الطوسي وكان عالماً علامة توفي سنة اثنتين وسبعين بعد الستمائة من هجرة المظلل بالغمامه ، وينسب اليها الامام حجة الاسلام ابو الفضائل والمعالي صاحب كتاب الاحياء محمد بن محمد بن محمد الطوسي

الغزالي ، وما اصدق قوله نفعنا الله به وبعلومه حين اعتزل الخلق وهو في ذلك الزمان فاظنك بزماننا هذا الذى خفض الاشراف الاعيان، ورفع كل جاهل لئيم حيوان :

قد كنت عبدا والهوى مالكي اصبحت حرا والهوى خادمي
وصرت بالخلوة مستأنسا من شر انواع بني آدم
يالائمي في تركهم عامدا عذري منقوش على خاتمي

وكانت وفاته سنة ٥٥٥ وعاش اربعة وخمسين سنة وكان نقش خاتمه وماوجدنا لاكثرهم من عهدوان وجدنا اكثرهم لفاسقين .

وينسب الى طوس الوزير نظام الملك حسن بن على بن اسحاق الطوسى ، وزير بغداد قتله جماعة الحشيشية اصحاب قلعة ألموت غيلة سنة ٤٨٥ وقد تقدم ذكر ذلك .

وينسب اليها الامام عمدة الدين محمد بن اسعد بن الجمدة الطوسى وغيره من العلماء الافاضل الكرما وعلى كل حال فان مدينة طوس وما ادراك ماطوس ليس لها نظير في البلاد كأنها ارم ذات العماد وفيها قبة الامام المطهر فهى مبنية بالذهب الاحمر وجملة مابنيت به ثمانية آلاف وثمانمائة وثمان وثمانون لبنة من الذهب الابريز الكسر وأما القناديل الذهب والجواهر الثمينة سليس لها حصر وقد نظم بالفارسية بعض شعراء العجم ماصرف على القبة الشريفة من الذهب الشريف العال فقال :

هش هزار وهش صد وشتا دهشي خشتى طلا
خرج شد بر كنبد سلطان علي موسى الرضا

وبجانب ضريحه السعيد قبر هارون الرشيد وبروضة الرضى المحفوفة بالرضوان والمشمولة بالروح والريحان سبعة اشياء كل شيء منها بسبعة آلاف تومان والتومان عبارة عن عشرة قروش حجر وافية الميزان ، الضريح والستارة والعلم والكرسى والقنديل الذى على رأسه الشريف والباب والشمعدان .

ولله در العلامة بهاء الدين محمد العاملي المتقدم ذكره حيث يقول (دوبيت) :

ياريح اقص قصة الشوق اليك ان جئت الى طوس فبا لله عليك
قبل عنى ضريح مولاى وقل قدمات بها من شدة الشوق اليك

أسند الاصبهانى في (مقاتل الطالبيين) قال: اخبرنى ببعضه الحسن بن علي بن حمزة عن عمه محمد بن علي واخبرنى بأشياء منهم احمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوى وجمعت اخبارهم ان المأمون بن الرشيد هارون وجه الى جماعة من آل أبى طالب فحملوا اليه من المدينة وفيهم أبو الحسن على بن موسى الرضى فأخذبهم على طريق البصرة مع قائد من اهل خراسان فقدم بهم على المأمون فأنزلهم دارا وانزل على بن موسى دارا ووجه اليه الفضل بن سهل فاعلمه انه يريد العقد له بالبيعة وأمره بالاجتماع مع اخيه الحسن على ذلك ففعل واجتمعا بحضرته فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه مافي اخراج الامر من اهله عليه فقال له انى عاهدت الله ان اخرجها الى آل أبى طالب ان ظفرت بالمخلوع وما اعلم احدا افضل من هذا الرجل فاجتمعا معه على ما أراد فارسلهما الى الرضى عليه الرضى فعرضا ذلك عليه فأباه فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه الى ان قال له احدهما ان فعلت والا فعلنا بك وصنعنا وتهدده ثم قال له والله لو أمرنى لضربت عنقك اذا خالفت ماريد ثم دعا به المأمون فخاطبه في ذلك فامتنع فقال له المأمون مثل ما قال الاول وتهدده وقال له ان عمر جعل الامر شورى في ستة احدهم ابوك وقال من خالف فاضربوا عنقه ولا بد من قبول ذلك فأجابه الرضى الى ماطلب هكذا ذكره أبو الفرج الاصبهانى .

قلت : انما اجابه الرضى عليه السلام عن تقية حين اكرهه المأمون على ذلك لان الرضى قال للمأمون ان خافية الجفر دلت على انه لايتم ما أردتم فلما اكره اجاب ثم ان المأمون جلس في يوم خميس وخرج الفضل بن سهل فاعلم الناس بفعل المأمون في الرضى وانه ولاه عهده ولقبه الرضى وأمرهم بلبس الثياب الخضر والعود لبيعته في الخميس الآخر على ان يأخذوا رزق سنة فلما كان الخميس ركب الجيش والقواد والقضاة وغيرهم من الناس وهم لابسون الثياب الخضر وجلس المأمون بمسد

ان وضع للرضى وسادتين عظيمتين وجلس الرضى باثوابه الخضر ايضا وعليه عمامته وسيفه ثم أمر ابنه العباس بن المأمون فبايع له أول الناس فرفع الرضى يده وتلق بظهرها وجه نفسه وبيطنها وجوههم فقال له المأمون ابسط يدك للبيعة فقال الرضى ان رسول الله هكذا كان يبايع فبايعه الناس ووضعت البدر وقام الخطباء والشعراء فجعلوا يذكرون فضل علي بن موسى الرضى وحسن رأى المأمون .

(قلت) : وما أحق قول أبي نواس حين عوتب على عدم مدح علي بن موسى الرضى عليه السلام عندما بايعه المأمون :

قيل لي انت افصح الناس طرا ... في المعاني وفي الكلام النبيه

لك من جيد القريض مديح ... ينثر الدر من يدى مجتنيه

فلماذا لم تمتدح نجل موسى ... والصفات التي تجمعن فيه

قلت لا استطيع مدح امام ... كان جبريل خادما لابيه

لاشك ان ناظم هذا العقد الجوهر ، يغفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر .

ثم ان أبا عباد الكاتب دعا بالعباس بن المأمون فوثب فدنا من أبيه وقبل يده وأمره بالجلوس ثم نودى محمد بن جعفر بن محمد فقال له الفضل بن سهل قم فقام فمشى حتى قرب من المأمون ولم يقبل يده ثم مضى فأخذ جائزته وناداه المأمون ارجع أباجعفر الى مجلسك فرجع ثم جعل ابوعباد يدعو بعلوي وعباسي فجعلوا يدخلون فيقبضون جوائزهم حتى نفذت الاموال ثم قال المأمون للرضى قم فاخطب الناس وتكلم فيهم فقال بعد حمدالله والثناء عليه ان لنا عليكم حقا برسول الله صلى الله عليه وآله ولكم علينا حق به عليه السلام ولم يذكر عنه غير هذا في ذلك المجلس وأمر المأمون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسمه وزوجه ابنته أم حبيبة وأمره فحج بالناس وخطب للرضى في كل موضع بولاية العهد :

حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا يحيي بن الحسن العلوى قال حدثنا من سمع عبد الجبار بن سعيد يخطب تلك السنة على منبر المدينة فقال في الدعاء له علي بن

موسى الرضى ولي عهد المسلمين بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي:

ستـــة آباء هم ماهم اكرم من يشرب صوب الغمام

وزوج المأمون محمدا الجواد بن الرضى ابنته أم الفضل ونقلها اليه واعتل الرضى علته التي مات بها .

قال أبو الفرج الاصفهاني ورأى الرضى المأمون يوما يتوضأ وغلام يصب على يده الماء فقال له يا أمير المؤمنين ولا تشرك بعبادة ربك أحداً قلت مذهب الرضى والأئمة عليهم السلام لا يجوزون وضوء الغير للرجل الا حالة الاضطرار وأما حالة الاختيار فقد أجمع علماء الامامية على عدم جوازه .

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وهذا مما انفرد به الامامية وربما ظهر من كلام ابن الجنيد الجواز وهو ضعيف وأما جواز التولية مع الاضطرار فقـــد قال في المعتبر انه متفق عليه بين الفقهاء واحتج عليه بانه توصل الى الطهارة بالقـدر الممكن فيكون واجبا وفيه نظر وتتعلق النية بالمباشر لانه الفاعل الوضوء ولو نوى المضطر قبل الطهارة وتمكين غيره منها كان أولى ولما اعتل الرضى تعالل المأمون أيضا واظهر انهما اكلا جميعا طعاما ضارا فلم يزل الرضى عليه السلام عليلا حتى مات .

قال الاصبهاني وقد اختلف في أمر وفاته وكيف اسقي السم فذكر محمد بن علي ابن حمزة ان منصور بن بشير ذكر عن أخيه عبد الله ان المأمون أمره ان يطول أظفاره ففعل ثم أخرج اليه شيئاً يشبه التمر الهندي وقال له أمرسه بيديك جميعا ففعل ثم دخل على الرضى فقال له ماخبرك قال أرجو ان أكون صالحا قال هل جاءك أحد من المترفقين اليوم قال لا فغضب المأمون وصاح على غلمانه وقال خذ ماء الرمان اليوم فانه مما لا يستغنى عنه ثم دعا برمان فأعطاه عبدالله بن بشير وقال له اعصر ماءه بيديك ففعل وسقاه الرضى بيده فشربه فكان سبب وفاته مالبث بعد شرب ماء الرمان إلا يومين حتى مات .

قال محمد بن علي بن حمزة فبلغني عن أبي الصلت الهروي انه دخل على الرضى

بعد ذلك ، فقال : له يا أبا الصلت قد فعلوها بي قد سقوني السم . .

قال محمد بن علي وسمعت محمد بن الجهم يقول ان الرضى كان يعجبه العنب فأخذ له عنب فجعل في موضع اقماعه الابر وتركت أياما فاكل منه في علته فقتله وذكر ان ذلك من لطيف السموم ولما توفي الامام عليه السلام لم يظهر المأمون موته في وقته وتركه يوما وليلة ثم وجه الى محمد بن جعفر وجماعة من آل أبي طالب فلما حضروا أراهم اياه صحيح الجسد لا اثر به وبكى وقال عز علي يا أخي ان أراك في هذه الحالة وقد كنت أؤمل ان اقدم قبلك فأبى الله الاما أراد واظهر جزعا شديدا وحزنا كثيرا وخرج مع جنازته يحملها حتى أتى به الى قبر هارون ابيه فدفنه الى جانبه .

(قلت) : تأمل بعين البصيرة اي هذه المصيبة العظمى التى اغضبت إله السما هذا مع تشيع المأمون المشهور ولكن الملك عقيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويحتمل ان المأمون أبر عينه ببيعته للرضى ثم ندم فسمه وما كان اغناه عن الحالين:

والله ما فعلت علوج أمية معشار ما صنعت بنو العباس

ويمكن ان المأمون أراد ارغام عمه ابراهيم بن المهدي فانه كان ناصبيا وعندي انه كان أرجس وأنجس من ألف كافر وكان يعيب المأمون بالتشيع ولما بايع المأمون للرضى خلعه ابراهيم ببغداد ودعا الى نفسه .

وقال ابراهيم يوما للمأمون اني رأيت عليا في منامي فقلت له انما تدعون هذا الامر بامرأة ونحن أحق به منكم فما رأيت له بلاغة في جوابه كما تروون عنه فقال له المأمون فما الذى اجابك به قال لى سلاماً سلاما فقال المأمون الله أكبر قد والله أجابك بابلغ جواب وعلم انك جاهل لا تناظر قال الله تعالى (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) فتغير ابراهيم وقال ليتني لم أخبرك .

(قلت) : وكان ابراهيم هذا أشوه الناس خلقا وكان يلقب بالتنين ، وكان في الغناء لا يناظره إلا الشيطان اللعين .

قالت اسماء بنت المهدى قلت لاخي ابراهيم انا والله أشتهي ان اسمع غناءك

قال اذا والله لاتسمعين مثله وحلف أيمانا مغلظة مؤكدة ان ابليس ظهرلى وعلمنى النقر والنغم وصافحني وقال لى اذهب فانت منى وأنا منك واعجب ماسمعت من خبره ماحكاه اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال بويع ابراهيم ببغداد وقد قل المال عنده وكان قد لجأ اليه اعراب من اعراب السواد وغيرهم من أوغاد الناس فاحتبس عليهم العطاء فجعل ابراهيم يسوفهم ولايفى الى ان خرج رسوله يوما اليهم وقد اجتمعوا وضجوا فصرح لهم بانه لامال عنده فقال قوم من غوغاء أهل بغداد أخرجوا الينا خليفتنا ليغنى لاهل هذا الجانب ثلاث أصوات لتكون عطاء لهم ولاهل ذاك الجانب مثلها وقال فانشدنى دعبل الخزاعى بعد ايام أبياته التى هجاه بها وهى :

يامعشر الاجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا

فسوف تعطون حنينيــــة يلتذها الامرد والاشمط

والمعبـــديات لقوادكم لاتدخل الكيس ولاتربط

وهكـذا يرزق قواده خليفـة مصحفـه البربط

(قلت) : قوله الحنينيـات منسوبة الى حنين النجفى العبادى المغنى المشهور والمعبديات منسوبة الى معبد المغنى المشهور والبربط ملهاة تشبه العود وهو فارسى معرب وأصله بربت لان الضارب يضعه على صدره .

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى في شرح الجمهورية كان ابراهيم بن المهدى منحرفا عن على عليه السلام باغضاله ولما مات ابراهيم ركب المعتصم في جنازته حتى صلى عليه وقال للواثق أقم يابنى حتى تدفنه وقيل بل لم يصل عليه تحرجا وأمر الواثق بالصلاة عليه وسأل الواثق عن وصية ابراهيم فوجده قد أمر بمال عظيم ان يفرق على أولاد الصحابة إلا أولاد على عليه السلام فقال الواثق والله لولا اطاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه ولاانتظرت دفنه ثم انصرف الواثق وهو يقول منحرف عن شرفه وخير أهله والله لقد دليته في قبره كافرا وأمر الواثق لاولاد على عليه السلام بمال عظيم أصاب كل رجل منهم أضعاف ما أصاب غيرهم من وصية ابراهيم انتهى .

وفي سنة احدى وأربعين وألف دخل القنفده بعض عسكر اليمن الذين طردهم باشا اليمن قانصوه باشا فارسلوا الى صاحب مكة السيد محمد بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي انا نريد مصر ونريد الاقامة بمكة اياما لنتهيأ للسفر فأبى عليهم صاحب مكة خوفا من الفتنة والفساد ودفن بعض آبار كانت على طريقهم فلما وصلهم الخبر اجتمع رأيهم على دخول مكة قهرا واستمدوا وخرج اليهم الاشراف وحصل القتال بينهم الى ان قتل ملك مكة الشريف محمد بن عبدالله وقتل من الفريقين جمع وانهزم الاشراف ودخل الجلالية مكة وولوا الشريف نامي بن عبد المطلب وأشركوا معه السيد عبد العزيز ادريس بلا شعار وأرسل الجلالية الى باشا جدة يسلمها لهم فأبى وقتل الرسل فتجهزوا اليه وحاصروه يومين ثم دخلوا جدة ونهبوها واستمر الشريف نامي يصادر أهل مكة ونهب عسكره البلاد واستباحوا المحرمات واكثروا فيها الفساد وكان الشريف زيد بن محسن انهزم الى المدينة المنورة وكتب عروضا وأرسلها الى باشا مصر مع السيد على بن هيزع فلما وصل الخبر لصاحب مصر أرسل اليهم سبعة صناجق وارسل بخلع سلطانية للشريف زيد مع الاغا محمد الازروي وجماعة من خواصه وبلغهم ان الشريف زيد بالمدينة فدخلوا وخلعوا عليه بملك الحجاز في الحجرة النبوية وتوجه الى العسكر وأتوا جميعا الى مكة ولما وصل الشريف زيد بذلك العسكر المعان الى وادي مر الظهران ويسمى وادي فاطمة الآن خرجت الجلالية وانهزمت الى جهة المشرق .

وحج الشريف زيد بالناس سنة احدي وأربعين ولما فرغوا من المناسك توجهوا الى مسك الجلالية ولما سمعت الجلالية بان العسكر السلطاني قصدهم تحصنوا بحصن تربه فحاصرهم العسكر واذاقهم كاس الموت الاحمر وكانت الجلالية على فرقتين فرقة رئيسهم يقال له على بيك والثانية رئيسهم يقال له كور محمود بيك والكور بالتركية والفارسية هو الاعور فاستمسك على بيك لنفسه من الصناجق على انهم يسلموه من القتل ويلزم لهم محمود بيك فقبلوا ذلك ومسكوا محمود بيك بحيلة دبروها

عليه وأتوا به الى مكة وطيف به على جبل معذبا بالنار ثم صلب حيا بالمعلاة الى أن مات وأخذته العامة وأحرقته في شعبة العفاريت بمكة في اعلى فلق عبد المطلب .

وقد تقدم ان الجلالية جعلت على مكة الشريف نامي بن عبد المطلب بن الشريف حسن وكان له اسم الامر فقط ثم لما فرغوا من أمر الجلالية قبضوا على الشريف نامي وأخيه السيد عبد العزيز واستفتوا العلماء فيهما فأفتوا بقتلهما فقتلوهما وصلبوهما بجانبي رأس الردم المسمى الآن بالمدعى وتمت الولاية للشريف زيد بن محسن بن حسين بن أبي نمي والله تعالى اعلم .

﴿ ترجمة السيد النجيب ، والفاضل الاديب ، علي بن اسماعيل ﴾
﴿ المتوكل على الله بن القاسم إمام اليمن ﴾

سيد على المقام ، سليل السادة الكرام ، وأديب راق نظمه وانسجم فازانا الزهر والما ، وحلى عقد نثره الجوهرى فا الاهيف الكحيل الألمى نشأ في حجر السياده وغذي بدر السعاده ورغب في الادب وأنفق عمره في الطلب فبلغ الغاية من الارب آيات شعره تقص للشعراء أحسن القصص وتترك ابن دراج محبوسا في قفص ترشفك بيوته المنظومة من بـلاغتها مداما وتسبيك رقة وانسجاما يصبى بها النديم وهى فى لطفها كالنسيم أحلى من الوصل بعدا لصد واشهى من الراح بكف مائسة القد وله نظم بديع ولفظ بليغ بديع وقد أوردت له قصيدته التى ضمن فيها بيتي الذهبي في الحمامة في ترجمة عمي المتقدم ذكرها وكنت قد اجتهدت في تحصيل شيء من أشعاره وأبكار بنات أفكاره لكنه لتوزع البال وتقسم الاحوال لم أظفر بسوى هذه القصيدة التى هي في الحقيقة عين القلادة تخجل بحسنها كل مليحة غادة وهى :

أيكتم مابه الصب المشوق　　وقد لاحت له وهنا بروق
وهل يخفى الغرام أخو ولوع　　يؤرق جفنه البرق الخفوق
ويسلو عن أهيل الجزع صب　　جرى من جفن عينيه العقيق

ما ابرع هذا الكلام الذي لا يليق الا بذلك الجليل ابن الامام :

اليك اليك عنى يا عذولى ... فانى للملامة لا أطيق

فلى قلب الى بانات حزوى ... طروب لا يمل ولا يفيق

فان سمومها عندى نسيم ... وان أجاجها عندى رحيق

فلو ذقت الهوى وسلكت فيه ... لما ضلت اليه بك الطريق

بعيشك هل ترى زمنى بسلع ... يعود وذلك العيش الانيق

ويمنحنى أحبابي بوصل ... ويرجع بعد فرقته الرفيق

فها قلبي أسير في هواهم ... وها دمعى لبينهم طليق

(قلت) : ولأبيه اسماعيل امام اليمن واديب الزمن فضل أشهر من ان يذكر وشعراً حلى من السكر ، فمنه قوله :

في المهجة أضحى معهده ... فلذا في الغيبة تشهده

فتان الحسن منعمه ... فتيان الصبوة اعبده

معسول الثغر مفلجه ... عسال القد معربده

وافى من بعد تجنبه ... ووفى بالزورة موعده

وسرى كالبدر فسر به ... مسلوب كرى لا يرقده

وهى طويلة جدا ومن شعره قوله :

وشادن أجرى دموعى دما ... سحا على الخدين لا ترقا

أخاف مسود عذارى به ... يبيض من حلته الزرقا

وله ايضا :

ياشادنا قد فاق في حسنه ... وعز عن شبه وأمثال

لأنت في قلبي وفى ناظرى ... ألذ من نومة شوال

وبالجملة فان شعر على بن المتوكل الامام ، مشهور بالبلاغة والرقة لدى الخاص والعام والله تعالى اعلم .

﴿ نكتة ﴾

من أقوى أسباب رفع الغضب ودفعه التوحيد الحقيق وهو اعتقاد أن لا فاعل حقيقة في الوجود الا الله تعالى فان الخلق آلات ووسائط فمن توجه اليه مكروه من غيره وشهد ذلك التوحيد الحقيق بقلبه اندفع عنه آثار غضبه لان غضبه اما على الخالق فهو جراءة فاحشة تنا في العبودية واما على المخلوق فهو اشراك ينافي التوحيد المذكور ومن ثم خدم أنس عند رسول الله صلى الله عليه وآله عشر سنين فما قال له شيء فعله لم فعلته ولا لشيء تركه لم تركته ولكن يقول قدر الله ماشاء وماشاء فعل ولو قدر الله لكان وماذاك الا لكمال عقله ومعرفته صلى الله عليه وآله وسلم فانه لا فاعل ولا معطى ولا مانع إلا الله تعالى ولا ينافي هذا ماصح من ضرب موسى عليه السلام الحجر الذى فر بثوبه حين اغتسل بعصاه حتى أثرت عليه لانه لم يغضب عليه غضب انتقام بل غضب تأديب وزجر لان الله تعالى خلق في الحجر المذكور حياة فصارت كدابة نفرت عن صاحبها أو أنه غلب عليه الطبع البشرى حتى لف كمه على يده عند أخذ العصا حين صارت حية تسعى ، ومن طب الغضب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والوضوء لقوله عليه الصلاة والسلام اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فان الغضب من النار وانما تطفأ النار بالماء .

وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ .

ومن طبه أيضا الانتقال من مكان الى مكان واستحضار ماجاء في كظم الغيظ من الآيات والاحاديث .

قال الشعراني في البحر المورود وكان سيدى على الخواص يقول اذا سمعت ان احدا ينقصك فافرح واذا سمعت ان احدا ينقص أحدا من اخوانك فسل سيف المقاطعه في جهه ورد عرض أخيك جهدك قياما بالعدل .

والحديث من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة رواه أبو داود وغيره .

وقال الشريف الاكمل السيد شيخ بن عبد الله العيدروس في كتابه العقد النبوى مانصه ولفظه : يا أهل العلوم الظاهرة لستم على شيء من حقيقة الدين حتى تزينوا ظاهركم وباطنكم بالاعمال والاحوال الواردة في الكتب الالهية وذلك بمقدمتين ونتائج أربعة فالمقدمة الاولى الجذبة الالهية ونتيجتاها الاعراض عن الدنيا والتوجه الى المولى والمقدمة الثانية تربية الشيخ ونتيجتاها تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق الفاضلة وجاهدوا في الله حق جهاده فجهاد النفس بتزكيتها بأداء الحقوق وترك الحظوظ وجهاد القلب بتصفيته وقطع تعلقه عن الكونين وجهاد الروح بتحليته بافناء الوجود في وجوده فهو الذى أعطاكم هذه الكرامات من بين سائر البريات ولولا أنه اجتباكم ما اهتديتم اليه وما جعل عليكم في دين العشق وهو السير الى الله من ضيق فالسير الى الله تعالى من ضيق من سنة ابراهيم وشاهده انى ذاهب الى ربي سيهدين فانه سبحانه وتعالى هو الذى اجتباكم وسماكم في الازل المسلمين ، انتهى كلامه رفع مقامه ولله در من قال :

الكبر ذل والتواضع رفعة والمزح والضحك الكثير سقوط
والحرص فقر والقناعة عزة واليأس من صنع الاله قنوط

وللشيخ أبى الحسن البكرى :

أنوار ذاتك اشرقت في ذاتي فمحيت عن كونى وكل صفاتى
وخرجت عن كل الوجود حقيقة وجمال وجهك فائق اللذات

قال النبي صلى الله عليه وآله ان احبكم إلي واقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم اخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون المتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون رواه الترمذى وحسنه وأحمد والطبرانى وابن حيان في صحيحه .

(قلت) : الثرثار بمثلثتين مفتوحتين وتكرير الراء كثير الكلام تكلفا والمتشدق المتكلم بملء فيه وشدقه تفاصحا وتعاظما واستعلاء على غيره وهو معنى المتفيهق .

من كلام الشيخ نظام الدين الثانى المعروف راج كبرى بكاف عجمية مالفظه وينبغى للواقف ان يعلم أنه تعالى سمى حبيبه بأحمد وحروفه اربعة والسرفي ذلك قيام العناصر الاربعة بها ووصفه بمحمد وزينه بخمسة حروف والخامس مستور في الرابع الذى هو عين الخامس من اعين الاغيار بوجه لاتطلع عليه الافكار والانظار وبذلك يعرف اندراج الشفع في الوتر وبه يتفحص بنور البصيرة ان الفضيلة في الصوم او الفطر .

﴿ فائـدة ﴾

عند قوله تعالى: (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) الآية .

(الشعب) : الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة .

فالشعب تجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمائر تجمع البطون والبطون تجمع الافخاذ والافخاذ تجمع الفصائل ، بيان ذلك : خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت خزيمة شعوبا لان القبائل تشعبت منها فاعرف ذلك انتهى قال بعض الاكابر :

ما وهب الله لامرىء هبة   احسن من عقله ومن ادبه
هما جمال الفتى فان فقدا   ففقده للحياة أجمل به

قال بعض الحكماء : لبنيه لاتعادوا أحدا وان ظننتم انه لايضركم ولاتزهدوا في صداقة احد وان ظننتم انه لاينفعكم فانكم لاتدرون متى تخافون عداوة العدولا متى ترجون صداقة الصديق .

قيل للمهلب ما الحزم فقال تجرع الغصص الى ان تنال الفرص ومن كلامهم ماتزاحمت الظنون على شيء مستور الا كشفته .

لما قدم منصور الحلاج الى القتل قطعت يده اليمنى ثم اليسرى ثم رجله فخاف ان يصفر وجهه من نزف الدم فأدنى يده المقطوعة من وجهه فلطخه بالدم ليخفي اصفراره ثم انشد يقول :

لم اسلم النفس للاسقام تبلغها　　إلا لعلمي بأن الوصل يحييها

نفس المحب على الآلام صابرة　　لعل مسقمها يوما يداويها

فلما شيل على الجزع قال :

يامعين الضنا عليَّ اعني على الضنا

ثم جعل يقول :

مالي جفيت وكنت لاأجفى　　ودلائل الهجران لاتخفى

وأراك تمزجني وتشربني　　ولقد عهدتك شاربي صرفا

فلما بلغ به الحال أنشأ وقال :

لبيك ياعالما سري ونجواني　　لبيك لبيك يا قصدي ومعناني

حبي لمولاي أضناني وأسقمني　　فكيف اشكو الى مولاي مولاني

ياويح روحي من روحي ويا أسفي　　على مناني فاني أصل بلواني

قال بعض البلغاء : الكرم عامر والبخل داثر والذكر سائر والصبر على الخطوب اكرم ناصر واغاثة الملهوف من اعظم الذخائر .

وفي سنة ٤٨٨ توفي أبو القاسم محمد بن عباد ملك اشبيلية وكان ملكا جليلا وهماما نبيلا عالما فاضلا عاقلا عادلا بقي في المملكة نيفا وعشرين سنة فقبض عليه ابن تاشفين وسجنه باغمات حتى مات وخلع من ملكه وله ثمانمائة سرية ومائه وثلاثة وسبعون ولدا ولما كان مقيدا بالحديد دخل عليه من يسلم عليه يوم العيد وفيهن بناته وعليهن أطمار وهن كالاقمار واقدامهن حافية وآثار نعمتهن خافيه فأنشد في

الحال لما رأى من تقلب الاحوال قصيدة منها :

قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا   فردك اليوم منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به   فانما بات بالاحلام مغرورا

قال ابو الفتح البستي : من اصلح فاسده ارغم حاسده ومن اطاع غضبه اضاع ادبه عادات السادات سادات العادات .

توفي ابو الفتح علي بن احمد البستي المذكور سنة ٤٠١ وفي سنة ٦٦١ احضرت الى مصر فلوس كثيرة من ناحية قوص وجدت في مطمورة كان على الفلس صورة الملك وفي يده اليمنى ميزان وفي اليسرى سيف وعلى الوجه الآخر من الفلس راس بآذان كبار وحوله اسطر فأحضر حكيم يوناني فقرأ الاسطر فكان تاريخ الفلوس من ألفين وثلاثمائة سنة وفيه مكتوب اناغلبات الملك وهذا ميزان العدل فالكرم في يمنى لمن اطاعني والسيف في شمالي لمن عصاني وفي الوجه الآخر مكتوب انا غلبات الملك اذني مفتوحة لشكوة المظلوم وعيني انظر بها مصالح ملكي .

وفي سنة خمس وتسعين هلك شيطان ثقيف الحجاج بن يوسف الثقفي بواسط ليلة السابع والعشرين من رمضان عن اربع وخمسين سنة ودفن واخفى قبره واجرى عليه الماء وكانت مدة ولايته على العراق والحجاز احدى وعشرين سنة .

قال هشام احصينا من قتل الحجاج ظلما بغير حق فبلغ مائة وعشرين ألفا من سادات الناس .

وقيل للحسن البصري: مات الحجاج فقال رحم الله امرأ عرف زمانه وحفظ لسانه وداري سلطانه وفيها ضرب الحجاج عنق سعيد بن جبير الكوفي رحمه الله تعالى .

قال بواب الحجاج : رأيت رأس سعيد بن جبير بعد القتل على الارض يقول لاإله إلا الله محمد رسول الله ولما بلغ الحسن البصري قتله قال اللهم ياقاصم الجبابرة اقصم الحجاج بن يوسف الثقفي فما بقي إلاثلاثة أيام ووقع الدود في جوفه ومات .

وحكي عن الحجاج عليه ما عليه انه أمر بقتل رجل فقال له الرجل يا أيها

الامير لي حويجة اقضها ثم امر في بعد عاشئت قال وماهي؟ قال تماشيني سبع حطوات فمشى معه فقال له الرجل سألتك بحق هذه الصحبة الا ماعفوت عني فعفا عنه وحكى عنه انه امر باحضار الحسن البصري ليقتله فلما دخل عليه حرك شفتيه فلما رآه الحجاج ادناه وقربه وآواه ثم خرج عنه سالما قال الحاجب فتبعته وقلت له يا أبا سعيد فما قلت حين دخلت عليه ؟ قال قلت ياصاحبي عند شدتي ويا غياثي عند كربتي ويا وليي عند نقمتي ويا انيسي عند وحدتي ويا الهي واله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ويا كهيعص ويا حمعسق ويارب طه ويس والقرآن الحكيم اكفني اذاه ومضرته وارزقني معروفه ومودته يا كريم فكان الذي رايت .

كتب بعض الحكما الى صديق له امابعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحي من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام .

قيل ان المأمون بن الرشيد العباسي فتح يوما تربة كسرى انوشروان صاحب الايوان ـ وقد تقدم ذكر الايوان ـ فكشف تابوته وفتشه ونظر الى سحنة وجهه وهي عمائها مابليت والثياب عليه بجدتها ماتمزقت ولا تخلقت وخاتم الملك في يده فصه من ياقوت احمر كثير الثمن ماراى المأمون فصا مثله وكان على فصه مكتوب :

به مه نه مه به : ومعنى ذلك الاجود اكبروليس الاكبر اجود فأمر المأمون ان يغطى كما كان بثوب نسج بالذهب الاحمر ورصع بالدر والجوهر وكان مع المأمون غلام خاص فأخذ الخاتم من اصبع كسرى ولم يشعر به المأمون فلما علم به اهلك الخادم وامر باعادة الخاتم الى اصبع كسرى وقال كاد يفضحني هذا العبد حيث كان يقال عني الى يوم القيامة ان المأمون كان نباشا للقبور وانه فتح قبر كسرى واخذ خاتمه من اصبعه .

قلت : عجب من بقاء جسم كسرى وثيابه من موته الى نبش المأمون له فان المدة بين الموت والنبش كانت مائتي سنة وزيادة ولكن لانتهم هذه الرواية ولا نعترض فان حجة الاسلام الغزالي ذكرها في نصيحة الملوك وهو رفيع القدر في العلم وكلامه

حجة وانما نقول لعل الله تعالى ابقى لكسرى جسمه بمائه وثيابـــه بجدتها تنبيها للظلمة الفجرة خصوصا حكام زماننا هذا ولله در من قال :

قـد بلينا بامير ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فينا يذكر الله ويذبح

وفي بقاء جسم كسرى دليل على فوز العادل في عباده بعظيم ثوابه ولعل الله تعالى ألهم المأمون نبشه ليعتبر أولوا الالباب هذا مع ان كسرى مجوسى لم يضع الله عدله المشهور وكفى بذلك ان النبي صلى الله عليه وآله أثنى عليـه حيث قال ولدت في زمان الملك العادل وأما كسرى الذى دعا عليه النبي صلى الله عليه وآله بتمزيق ملـكه حين مزق كتابه فهو كسرى أبرويز بن العادل أنوشروان وهوصاحب القصر الابيض المشهور بالمدائن والايوان من عمارة كسرى العادل عمره ليقيم فيه سنة العدل ويعجبنى قول أبى عبادة البحترى في وصف الايوان لابأس بايرادها فانها قصيدة لم يسمح بمثلها الزمان ، وهي:

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن ندى كل جبس
وتماسكت حين زعزعني الدهر التماسا منه لتعسي ونكسي
بلغ من صبابة العيش عندي طففتها الايام تطفيف بخس
وبعيد ما بين وارد رفـه علل شربـه ووارد خمس
وكأن الزمان أصبح محمولا هواه مع الاخس الاخس
واشترائي العراق خطة خسف بعد بيعي الشآم بيعة وكس
لاتزرني مزاولا لاختباري بعد هذا البلا فتنكر مسي
وقـديما عهـدتني ذاهنات آبيات على الدنيات شمس
ولقد رابني بنو ابن عمي بعد لين من جانبيهم وأنس
واذا ما جفيت كنت جديرا ان ارى غير مصبح حيث امسى
حضرت رحلي الهموم فوجهت الى ابيض المدائن عنسي

اتسلى عن الحظوب وآسى لمحل من آل ساسان درس
اذكرتنيهم الخطوب البوادى ولقد تذكر الخطوب وتنسى
وهم خافظون في ظل عال مشرف يحسر العيون ويخسى

(الحسير) : المنقطع عن رؤية الخلل والخاسىء الذليل لعدم ادراك الخلل .

مغلق بابه على جبل الفتح الى دارتى خلاطا ومكس
حلل لم تكن بأطلال سعدى في قفار من البسابس ملس
ومساع لو لا المحاباة منى لم تطقها مسماة عنس وعبس

(عنس) : قبيلة باليمن وكذلك عبس .

نقل الدهر عهدهن عن الجدة حتى رجعن انضاء كنس
فكان الجرمان من عدم الانس واحلا له بقية رمس

(الجرمان) : هو الايوان .

لو تراه حسبت ان الليالى جعلت فيه مأتما بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس
واذا مارأيت صورة أنطاكية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وأنوشروان يزجى الصفوف تحت الدرفس

(الدرفس) : كقمطر ويقال له الدرفش والدرفش أيضا كجعفر لواء من جلد للاكاسرة وقد قدمنا سببه وذكره .

في اخضرار من اللباس على أصفر يختال في صبيغة ورس
وغزاة الرجال بين يديه في خفوت منه واغماض جرس
من مشيخ يهوى بعامل قد ومليح من السنان بترس
تصف العين انهم جد أحياء لهم بينهم اشارة خرس
يعتلى فيهم ارتيابى حتى تتقراهم يداى بلمس
قد سقانى ولم يصرد أبو الغيث على العسكرين شربة خلس

من مدام تظنها هي نجم ... ضوأ الليل أو مجاجة شمس
وتراها اذا أخذت سرورا ... وارتياحا للشارب المتحسي
أفرغت في الزجاج من كل قلب ... فهي محبوبة الى كل نفس
وتوهمت ان كسرى أبرويز ... معاطي والبلهبذ أنسي
حلم مطبق على الشك عيني ... أم أماني عيرن ظني وحدسي
وكان الايوان من عجب الصنعة ... جوب في جنب أرعن جلس
يتظنى من الكآبة اذ يبدو ... لعيني مصبح أو ممسي
مزعجا بالفراق عن أنس ألف ... عزا ومرهقا بتطليق عرس
عكست حظه الليالي وبات ... المشترى فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدي تجلدا وعليه ... كلكل من كلا كل الدهر مرسي
لم يعبه ان بزمن بسطة الديباج ... واستل من ستور الدمقس
مشمخر تعلو له شرفات ... رفعت في رؤس رضوى وقدس
لابسات من البياض فما تبصر ... منها الا قلائل برس
لست تدرى اصنع انس لجن ... سكنوه أم صنع جن لانس

ما أبرع هذا الكلام :

غير اني أراه يشهد ان لم ... يك بانيه في الملوك بنكس
فكأني ارى المراتب والقوم ... اذا ما بلغت آخر جسي
وكأن الوفود ناحون حسرى ... من وقوف خلف الزحام وجلس
وكأن القيان حول المقاصير ... يرخصن بين حو ولمس
وكأن اللقاء اول من امس ... ووشك الرحيل اول أمس
وكأن الذي يريد اتباعا ... طامع في لحوقهم صبح خمس
عمرت للسرور دهرآ فصارت ... للتعزى ديارهم والتأسي
فعلي ان اعينها بدموع ... موقفات على الصبابة حبس

غير نعمى لاهلها عند أهلى   غرسوا من زكائها خير غرس
أيدوا ملكنا وشدوا قواه   بكماة تحت السنوّر حمس
واعانوا على كتائب ارياط   بطعن على النحور ودعس
واراني من بعد اكلف بالاشراف   طرا من كل سنخ وأس

﴿ قصة سيف بن ذى يزن ﴾

قلت لله دره في سبك هذه القصيدة التي تزرى بالعقد في جيد المليحة الخريدة وفي الاربعة الابيات الاخيرة اشاره الى قصة سيف بن ذى يزن واستنجاده بكسرى أبرويز على الحبشة لما ملكوا اليمن والبحترى من قبيلة طى وهم من اليمن من ولد قحطان ولاباس بأن نذكر قصة سيف بن ذى يزن في هذا المكان وهى ان الحبشة لما غلبوا على اليمن وطال مكثهم خرج سيف بن ذى يزن وهو من أهل بيت المملكة الى الروم يستنصر قيصر فشاور قيصر وزراءه فقالوا أيها الملك ان الحبشة في دينك وان هذا العربى دينه مخالف لدينك فماطله فلما طال على سيف المطال رجع الى الحيرة بعد ان اقام سبع سنين بارض الروم فسار الى كسرى أبرويز ملك فارس يستنصر به على الحبشة فلما دُخل بلده اكرمه كسرى وبالغ في اكرامه ورفع مجلسه وعرف انه من بيت المملكة فقال له الترجمان يقول لك الملك مايبتغي وما الذى قصدت اليه فقال له سيف غلبتنا الاغربة على بلدنا فقال له الترجمان يقول لك الملك أىّ الاغربة الهند أم الحبشة فقال بل الحبشة وقد قصدت الملك لينصرنى عليهم ونكون في دينه أى في طاعته فانه أحب الىّ منهم فقال له الترجمان يقول لك الملك هيهات هيهات بعدت عنا أرضك وهى مع ذلك ارض قليلة الخير وانما يوجد بها الشاء والابعرة وهذا لاحاجة لنافيه ثم أعطاه الملك عشرة آلاف دينار فلما صارت بيده فرقها على باب الملك جميعها بين العبيد والاماء وذلك حيلة من سيف ليرغبه في ارضه فلما بلغ كسرى الخبر وجد عليه وتغير وأمر برده فلما عاد قال له الترجمان أخذت عطاء الملك

ففرقته على العبيد والاماء وقد عتب عليك الملك بما فعلت فقال له سيف وما أصنع بالذهب وهل جبال بلدى الا فضة وذهب فداخل كسرى الطمع حين سمع من سيف هذا الكلام وأمره بالمقام ووعده بنيل المرام .

ثم شاور وزراءه في ذلك فقالوا له أيها الملك ان وجهت معه جندا من جنود فارس في مفاوز العرب حيث لا ماء ولا كلأ وانما يشرب فيها الماء من مثل عيون الديكة وان اغورت عليهم ماتوا عطشا فتكون سببا لهلاكهم فقال لهم كسرى ما كنت لا خلفه وقد وعدته ولا بد من ان أبلغه أمله فقالوا فان ثم رأيا قال وماهو؟ قالوا تبعث الى سجونك فان فيهم قوما قد استحقوا القتل وانما حبستهم منة منك عليهم بارواحهم واستبقاء فتخرجهم وتجعل عليهم رئيسا من غيرهم ذا رأى وبصر بالحروب فان ظفروا فانه ملك زدته الى ملكك وان هلكوا فهو الذى أردت بهم ففعل ذلك فاجتمع منهم عشرة آلاف رجل فرأس عليهم بهروز وكان من الاساورة الشجعان المتقدمين له عادة بالحروب وقد عمر مائة وعشرين سنة وسقط حاجباه على عينيه من الكبر فحملهم في البحر في عشر سفائن فانتهوا الى عدن فقال بعضهم لبعض علام نغرّ معهذا بأنفسنا فحملوا سفائنهم على الجسور فانكسرت منها ثلاثة وسلمت سبع فوصلت الى ساحل عدن فسمعت العرب بوصول سيف بن ذى يزن فاجتمعت اليه وفزعت الحبشة الى ملكها مسروق الحبشي فزحف بهم اليهم فتأهب سيف الى القتال وقال للاساورى بهروز ماالرأى عندك قال الرأى ان نقاتل حتى نظفر أو نموت صبرا فان السفائن قد انكسرت ونحن بحيث لانتوقع من الملك مددا ثم انه عمد الى عصابة حمراء فشد بها حاجبيه وقال لسيف كن انت على ناحية ودعنا والقوم قال ثم ان سيفا خالطهم فاقتتلوا مليا فسألهم بهروز وكان ضعيف البصر من الكبر على أى الدواب يقاتل ملك الحبشة فقالوا على الفيل فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه فقالوا قد تحول على الفرس فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه فقالوا قد تحول على البغل فقال البغل ولد الحمار والحمار ذليل قد ذل ملكه ورب الكعبة ثم قال لهم أسموا لي سمته فلما

استقر بصره عليه أخذ قوسه وكان لا يوترها غيره وركب فيها سهمه وكان على مسروق ملك الحبشة تاج وبين عينيه ياقوتة حمراء فرماه بهروز بالسهم ففلق الياقوتة وتغلل السهم في رأسه فخر على وجهه ميتا وانهزمت الحبشه وكان كسرى أبرويز قدعهدالى بهروز وقال له اذا صرت باليمن وظفرت بالقوم فاجمع أهلها وسل عن سيف فان كان من ملوكها كما زعم فتوجه وملكه وان كان غيرذلك فاعطه تاجا وملكه على قومه واجلب المال وان كان كاذبا فاقتله واكتب إليّ لأكتب اليك برأى فلما تمكن بهروز من البلاد جمع أبناء الملوك فقال لهم كيف كان سيف فيكم فقالوا له انه ملكنا وابن ملكنا فتوجه بهرو وملكه وكتب بالخبر الى كسرى فاقره باليمن انتهى .

﴿ ترجمة أبي العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ﴾
(ابن سليمان التنوخي المعرى اللغوى الشاعر الماهر أحد فحول)
(الفضلاء العاملين الصلحاء الزاهدين)

فاضل سار ذكر فضله في البرارى والبحور واجمع على تقدمته الجمهور بانه فارس المنظوم والمنثور اقر له بالبلاغة والادب كل بليغ وأديب ويشهد له قوله من لاميته التي هى أحلى من لام عذار الحبيب وأغلى من اللؤلؤ النفيس الرطيب :

وانى وان كنت الأخير زمانه　　لآت بما لم تستطعه الاوائل

ولادته عندمغيب شمس يوم الجمعة سابع وعشرين ربيع الاول بمعرة النعمان سنة ثلاثمائة وثلاث وستين وكان قد عميت عيناه من الجدرى قيل انه لما فرغ من شرح ديوان المتنبي المسمى باللامع وقرىء عليه شرع التلامذة يصفونه ويثنون عليه فقال لهم أبوالعلاء كأنما نظر الى المتنبي بلحظ الغيب حيث قال :

انا الذى نظر الاعمى الى أدبى　　وأسمعت كلماتى من به صمم

(وقال) : القاضى الاديب المؤرخ أحمد بن خلكان في تاريخه وفيات الاعيان وكان أبوه فاضلا وعليه قرأ ولده أبو العلا علم النحو واللغة بالمعرة وقرأ أيضا على

محمد بن عبدالله بحلب وله مصنفات كثيرة مفيدة شهيره ومن افضلها كتاب الهمزية ويسمى الردف ويسمى أيضا الايك والغصون يقارب مائة جزء .

(قال) : وحكى لى من وقف على المجلد الأول بعد المائة منه وقال لا أعلم ماكان يعوزه بعد هذا المجلد وله ديوان فريد محتو على در نضيد سماه سقط الزند وشرحه شرحا مفيداً سماه ضوء السقط وسمي أيضا شرح ديوان أبى الطيب معجز أحمد وله مختصر ديوان أبى تمام وسماه ذكرى حبيب وله أيضا شرح ديوان البحترى وسماه عبث الوليد وأخذ عليه القاضى أبو القاسم على بن عبد المحسن التنوخى والخطيب أبو زكريا التبريزى الحريرى ذكره ابن خلكان وقال في ترجمته انه قصدأبا العلاء من لنهروان الى معرة النعمان وجعل كتبه في مخلاة عاقها على ظهره فابتلت بالعرق حتى أثر في كتبها .

(قال ابن خلكان) : ومن لزوميات أبى العلاء المعرى قوله :

لقد عجبوا لاهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرآة المنجم وهى صغرى أرتـه كل عامرة وقفر

(قلت) : هذان البيتان على تشيع أبى العلا يدلان .

(ومما) يدل على تشيعه أيضا قوله من قطعة :

أمر الواحد فافعل ما أمر واشكر الله ان الفعل أمر
أظهر الخفيـة واضمر قلما أدرك الطرف المدى حتى ظهر
ايها الملحد لاتعصى النهى فلقـد صح قيـاس واشتهر
ان تعد في الجسم يوماروحه فهو كالربع خـلا ثم عمر
وهى الدنيا اذاها ابـدا زمر واردة اثر زمر
يا ابا السبطين لاتحفـل بها اعتيق ساد فيها ام عمر

وكان ابو العلاء يقول لااعرف من الالوان الا الاحمرلانى لبست في الجدرى ثوبامصبوغابالعصفروكان يقول انااحمدالله تعالى على العمى كما يحمده غيرى على البصر .

(قلت) : وشاهده قوله :

قالوا العمى منظر قبيح　　قلت بفقدانكم يهون
والله مافي الوجود شيء　　تأسي على فقـده العيون

وكان امامافي اللغة فما صاحب المجمل وفي الفلك ورصدالكواكب فما افلاطون وفي المنطق فماالمعلم الأول .

وكان من بيت علم ورياسة وفضل وله جماعة من اقاربه قضاة وعلماء وشعراء .

وقال الشعر وهو ابن احدى عشرة اواثنتي عشرة سنة ورحل الى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة واقام بها سنـة وسبعـة اشهر واجتمع فيها بالشريف المرتضى فاختبره فوجده عالما نحريرا وجهبذا كبيرا.

(قلت) : ومن الاتفاقات العجيبة ان ابا العلا المعرى كان يتعصب للمتنبي والشريف المرتضى كان ينقص المتنبي فجاراه يوما وعندهما جماعة من اهـل الادب مختلفين فيه فقال ابو العلا لولم يكن للمتنبي الاقوله (لك يامنازل في القلوب منازل) فغضب الشريف المرتضى وامرباخراجه ثم التفت الى جلسائه وقال اتدرون ما اراد الاعمى انما اراد قوله فيها :

واذا اتتك مذمتي من ناقص　　فهي الشهادة لي باني كامـــــل

وارتحل ابو العلا الى طرابلس قبـل رحلته الى بغداد وكان بها خزائن عـلم موقوفة فأخذ منها ما اخذ من العلم واجتاز باللاذقية ونزل ديرا كان به راهب عالم باقاويل الفلاسفة فأخذ عليه فلهذا انكر عليه بعض قوله .

(قلت) : بل الاظهر ان تلامذته وغيرهم كانوا يعملون على لسانـه الاشعار ويضمنونها اقاويل الملحدة قصداً لاتلاف نفسه ويشهد على هذا قوله :

حاول اهواني قوم فما　　واجهتهم الاباهوان
لواستطاعوا لوشوا بي الى　　المريخ في الشهب وكيوان

ومما يدل على صحة عقيدته مارواه الحافظ السلفي مسندا الى القاضي ابي المهلب

عبد المنعم ابن السروجي قال سمعت اخي القاضي ابا الفتح يقول دخلت على ابي العلا المعري ذات يوم بالمعرة في وقت صلاة بغير علم منه وكنت اتردد اليه واقرأ عليه فسمعته ينشد من قوله :

كم غودرت غادة كعاب وعمرت امها العجوز
احرزها الوالدان خوفا والقبر حرز لها حريز
يجوز ان تبطيء المنايا والخلد في الدهر لايجوز

ثم تأوه مرات وتلا ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ومانؤخره إلالأجل معدود يوم يأتي لاتكلم نفس الابأذنه فمنهم شقي وسعيد ثم صاح وبكى بكاء شديدا وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع راسه ومسح وجهه وقال سبحان من تكلم بهذا في القدم فقلت له ياسيدي مالي ارى في وجهك اثر غيظ فقال لا يا ابا الفتح ولكن قرأت شيئا من كلام الخالق فلحقني مارايت فتحققت صحة دينه وقوة يقينه .

(ولما) عاد من بغداد لزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين يعني البيت والعمى وكان ابو العلا في الذكاء والحفظ غاية لاتدرك .

ذكر تلميذه ابو زكريا التبريزي انه كان قاعدا في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلا يقرأ شيئا من تصانيفه قال وكنت قد أقمت عدة سنين لم أر أحدا من أهل بلدي فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته وعرفته فتغيرت من الفرح فقال لي أبو العلا أي شيء اصابك فحكيت له فقال لي قم فكلمه فقلت حتى اتم المسئلة فقال لي قم وانا انتظرك فقمت وكلمته بلسان أذربيجان شيئا كثيرا الى ان سألت عن كل ما اردت فلما رجعت وقفت بين يديه فقال لي أي لسان هذا فقلت هذا لسان أذربيجان فقال لي ماعرفت اللسان ولافهمته غير اني حفظت ما قلتما جميعا ثم اعاده علي بعينه من غير ان ينقص من اللفظ اويزيد عليه فتعجبت غاية العجب من كونه حفظ من مرة مالم يعلمه .

(ومما) يدل على تمكنه من علم الفلك واسرار الكواكب ماحكاه ابن أبي أصيبعة في كتاب الأنباء في تاريخ الأطباء ان وزير محمود بن صالح الكلابي صاحب حلب وشى اليه بأن المعري زنديق وانه لايرى افساد الصور ويزعم ان الرسالة تحصل بصفاء العقل فبعث على طلبه خمسين فارسا ليحملوه اليه فلما وصلوا اليه أنزلهم واكرمهم بدار الضيافة فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان وقال يا ابن اخي رايت هذه الحادثة التي نزلت بنا من الملك محمود فانه طلبك فان منعناك عجزنا عن القيام وان سلمناك كان عارا علينا عند ذوي الذمام فقال له ابو العلا هون عليك ياعم فلاباس علينا ولا غم ثم انه قام فاغتسل وصلى الى نصف الليل ثم قال لغلامه انظر الى المريخ اين هو قال في موضع كذا فقال زنه واضرب تحته وتدا واجعل في رجلي خيطا واربطه على الوتد ففعل قال فسمعناه يقول ياقديم الازل ياعلة العلل ياصانع المخلوقات ياموجد الموجودات انا في عزك الذي لايرام وكنفك الذي لايضام الضيوف الضيوف الوزير الوزير ثم ذكر كلمات لاتفهم واذا بهدة فسألنا عنها فقيل الدار وقعت على الضيوف فقتلت الخمسين فارسا وعندطلوع الشمس وقعت بطاقة من حابب على جناح طائر مكتوب فيها لا تزعجوا الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير بحلب .

(قال) : ولده فلما شاهدت ذلك دخلت عليه فقال من انت قلت انا ولدك فقال زعموا اني زنديق ثم قال اكتب فكتبت :

باتوا وحتفي امانيهم مصورة	وبت لم يخطروا مني على بالي
وفوقوالي سهاما من سهامهم	فاصبحوا زلفا مني بأنبال
فما ظنونك اذجندي ملائكة	وجندهم بين طواف ونفال
لا آكل الحيوان الدهر مأثرة	أخاف من سوء افعالي واقوالي
واعبد الله لا ارجو مثوبته	لكن تعبد اكرام واجلال
اصون ديني عن جعل اؤمله	اذا تعبد اقوام باجمال

وكان لا ياكل اللحم البتة وانما طعامه العدس وحلاوته التين ولبسه الكرابيس

الغليظة وفراشه سجادته وشاهده قوله :

بنت عن الدنيا ولا بنت لي فيها ولا عرس ولا اخت

(قلت) : هذا لعمري هو الزهد الصحيح والتقشف المحبوب المليح .

وما اصدق قول ابي المتاهية :

رغيف خبز يابس تأكله في زاوية
وكوز ماء بارد تشربه من ساقيه
وغرفة ضيقة نفسك فيها خاليه
اومسجد بمعزل عن الورى في ناحية
تدرس فيه دفترا مستندا بساريه
معتبرا بمن مضى من القرون الخاليه
خير من الساعات في فيء قصور عاليه
تعقبها عقوبة تصلى بنار حاميه
فهذه وصيتي مخبرة بحاليه
طوبى لمن يسمعها تلك لعمري كافيه
فاسمع لنصح مشفق يدعى ابا العتاهيه

(رجع) ومما يدل على عجائب ذكاء المعري ماذكره صاحب نسمة السحر في ترجمته قال وكان الشعراء يعرضون اشعارهم على ابي العلا المعري فوفد عليه مرة ابو نصر احمد بن يوسف المنازي ومعه جماعة فأنشدوه وانشده المنازي ابياته في وصف وادي بزاعة وهي :

وقانا لفحة الرمضاء واد وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمأ زلالا الذ من المدامة للنديم
يصد الشمس انى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

فقال له أبو العلا انت أشعر من بالشام .

(قلت) : ووادي بزاعة هـذا بضم الباء قرية كبيرة بين حلب ومنبج كثيرة البساتين والاشجار غزيرة المياه مختلفة الثمار .

ثم ان المنازى غاب بالعراق والجزيرة مدة واستوزره أبو نصر الكردي صاحب ميافارقين ـ بفتح الميم وتشديد الراء ـ مدينة عظيمة مشهورة من تعلقات ديار بكر وينسب اليها الخطيب ابن نباته الفارقي المشهور. ثم ان المنازى عاد الى الشام بعد عشرة اعوام فدخل على أبي العلا جماعة من الشعراء فأنشدوه وأنشده المنازى :

لقد عرض الحمام لنا بسلع ... اذا أصغى له ركب ألاحا
شجى قلب الخلي فقال غنى ... وبرح بالشجي فقال ناحا

فقال له ابو العلا ومن بالعراق فعجب الناس من عطفه بعد هذه المدة الطويلة وحفظه لما قاله ولأبي العلا ايضا :

ارى ولد الفتى تعبا عليه ... لقد سعد الذى اضحى عقيما
فاما ان يربيه عدوا ... واما ان يخلفه يتيما
واما ان يصادفه حمام ... فيبقى حزنه ابدا مقيما

وله من قصيدة طويلة رثى بها فقيها حنفيا :

غير مجد في ملتي واعتقادى ... نوح باك ولا ترنم شادى
أبكت تلكم الحمامة ام غنت على فرع غصنها المياد

قلت: هذا البيت مأخوذ معناه من قول المنازى المذكور (شجى قلب الخلي فقال غنى) الخ

وقريب صوت النعي اذا قيس ... بصوت البشير في كل نادي
ان حزنا في ساعة الموت أضعاف ... سرور في ساعة الميلاد
زحل أشرف الكواكب قدرا ... من لقاء الردى على ميعاد
والثريا رهينة بافتراق الشمل ... حتى تعد في الاضـــــداد
صاح هذى قبورنا تملأ الارض ... فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطء ما أظن أديم الارض إلا من هـذه الاجساد
وقبيح بنا وان قـدم المهد هوان الآباء والاجـــداد

ومنها :

وفقيه ألفاظه شـدن للنعمان مالم يشده شعر زياد

يعني زياد الاعجم في المهلب بن أبي صفرة وقد تقدم ذكره في ترجمـة الشيخ عبد الرحمن الوزير وأخذ قوله خفف الوطء من قول أبي الطيب المتنبي :

ويدفن بعضنا بعضا ويمشي أواخرنا على هام الاوائل

وأخذه مهيار الديلمي فقال من قصيدة :

رويدا بأخفاف المطى فانما تداس جباه في الثرى وخدود

وذكر صاحب نسمة السحر عن الزمخشري عند قوله تعالى : انها ترمي بشرر كالقصر ذكر بيت أبي العلا في صفة نار القرى من القصيدة الفائية التي رثى بها النقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي والمرتضى وهو :

حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف

ونعى عليه وقال انه أراد وقصد الزيادة على تشبيه القرآن العظيم بالقصر. (قال) : ولا أدرى من أين له انه قصد الزيادة على تشبيه القرآن فمن المعلوم أن القصر أعظم من الطراف وهى خيمة من الأدم الاحمر يتخذها الاتراك البادون ومياسير العرب ولكن الزمخشري مع فضله كان حديد المزاج كثيرا .

وما أحسن استعارة الذوائب للنار ، ويعجبني قول أبي اسحاق ابراهيم بن خفاجة الاندلسي في صفة النار :

حمراء نازعت الرياح رداءها وهنا وزاحمت السماء بمنكب
ضربت سماء من دخان فوقها لم تذر فيه شملة من كوكب
وتبسمت من كل لفحة جمرة باتت لها ريح الشمال بمرقب
قد ألهبت فتذهبت فكأنها شقراء تمرج في عجاج أكهب

الكهبة بالضم الغبرة المشوبة بالسواد والفعل ككرم .

وما أحسن وأبدع هذا البيت من قصيدة له يصف بها الناقة وفيه صناعة التوجيه ومراعاة النظير وهو :

وحرف كدال تحت ميم ولم يكن ... براء يؤم الرسم غيره النقط

الحرف الناقة والدال تشبيه لها والميم الراكب المنحنى والرائى ضارب الرئه من رآه اذا رئته اصاب والرسم أثر الديار والنقط المطر . ومن الزامه للنصارى قوله :

عجبا للمسيح بين النصارى ... والى أى والد نسبوه

أسلموه الى اليهود وقالوا ... انهم بعد قتله صلبوه

فاذا كان مايقولون حقا ... فاسألوهم في اين كان أبوه

واذا كان راضيا بقضاهم ... فاشكروهم لأجل ما عذبوه

فاذا كان ساخطا بأذاهم ... فاعبدوهم لأنهم غلبوه

ومما يدل على حسن مذهبه وإلزامه لأهل الكسب والجهمية قوله :

زعم الجهول ومن يقول بقوله ... ان المعاصى من قضاء الخالق

ان كان حقا مازعمت فلم قضى ... حد الزناء وقطع كف السارق

ومن تغزلاته قوله من قصيدة :

ياظبية عقلتنى في تصيدها ... أشراكها وهى لم تعلق باشراكي

رعيت قلبي وماراعيت حرمته ... فلم رعيت وماراعيت مرعاك

أتحرقين فؤادا قد حللت به ... بنار حبك عمدا وهو مأواك

سكنته حيث لم يعلق به سكن ... وليس يحسن أن تسخى بسكناك

وأما لاميته التى هى أحلى من لام العذار ولو تجسمت لتحلى بها الملاح الابكار فهى هذه :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل ... عفاف واقدام وحزم ونائل

أعندى وقدمارست كل فضيلة ... يصدق واش أو يخيب سائل .

أقل صدودى أنى لك مبغض … وأيسر هجرى أنى عنك راحل

اذا هبت النكباء بينى وبينكم … فأهون شيء ماتقول العواذل

تعد ذنوبى عند قوم كثيرة … ولاذنب لى الا العلى والفضائل

كأنى اذا طلت الزمان وأهله … رجعت وعندى للانام طوائل

وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم … باخفاء شمس ضوؤها متكامل

تهم الليالى بعض ما أنا مضمر … ويثقل رضوى بعض ما أنا حامل

رضوى جبل بينبع النخل عن المدينة المنورة ثلاثة أيام :

وانى وان كنت الأخير زمانه … لآت بما لم تستطعه الاوائل

وأغدو ولو أن الصباح صوارم … وأسرى ولو أن الظلام جحافل

وقد أغتدي والليل يبكى تأسفا … على نفسه والنجم في الغرب مائل

بريح أعيرت حافرا من زبرجد … لها التبر جسم واللجين خلاخل

هذا التشبيه ملوكي يعنى الفرس الاشقر المحجل :

وانى جواد لم يحل لجامه … ونضو يمان أغفلته الصياقل

وان كان في لبس الفتى شرف له … فما السيف الا غمده والحمائل

ولى منطق لم يرض لى كنه منزلى … على أننى فوق السماكين نازل

لدى منزل يشتاقه كل سيد … ويقصر عن ادراكه المتناول

ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا … تجاهلت حتى ظن أني جاهل

فواعجبا كم يدعى الفضل ناقص … وواأسفا كم يظهر النقص فاضل

وكيف تنام الطير في وكراتها … وقد نصبت للفرقدين الحبائل

ينافس يومى في أمس تشرفا … ويحسد أسحارى على الاصائل

وطال اعترافي بالزمان وأهله … فلست أبالى من تغول الغوائل

فلو بان عضدى ماتأسف منكبى … ولو مات زندى مابكته الانامل

اذا وصف الطائى بالبخل مادر … وعير قسا بالفهاهة باقل

وقال السهى للشمس أنت خفية   وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة   وفاخرت الشهب الحصا والجنادل
فياموت زران الحياة ذميمة   ويانفس جدي ان دهرك هازل

وهي طويلة مشهورة .

﴿ ذكر حاتم الطائي ومادر وقس وباقل ﴾

(والطائي) : هو حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي وكنيته ابو سفانة وابو عدي وأجواد العرب ثلاثة حاتم الطائي وهرم بن سنان وكعب بن مامه وأشهرهم حاتم الطائي وأمه عتبة بنت عفيف وكانت في الكرم الى غاية لاتدرك وحاتم الطائي أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه .

(وحكى) : عن علي عليه السلام قال ما أزهد كثيرا من الناس في الخير. عجبا لمسلم يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا لكان ينبغي له ان يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعته من النبي (ص) قال نعم لما أتى بسبايا طي وقفت جارية عيطاء لمساء فلما رأيتها اعجبت بها فقلت لأطلبنها من النبي (ص) فلما تكلمت أنست جمالها بفصاحتها فقالت يامحمد ان رأيت ان تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان أبي كان يفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويفشي السلام ولا يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائي فقال النبي (ص) ياجارية هذه صفة المؤمنين ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ثم قال خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق .

وقال عليه السلام في اثناء كلامه ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر .

وأما كرمه فقيل اقبل ركب من اسد ومن قيس يريدان النعمان فلقوا حاتما في طريقهم فقالوا له تركنا قوما يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا اليك رسالة قال

وما هي فانشده الاسديون شعرا للنابغة فلما أنشدوه قالوا له إنا نستحي ان نسألك شيئاوان لنا الحاجة قال وماهي قالوا صاحب لناقدارحل اى قعدت راحلته فقال حاتم خذوا فرسى هذه فاحملوه عليها فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت الفلو وسار يتبع امه وتبعته الجارية لترده فصاح بهم حاتم وقال ماتبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

وقيل انه مر ببلاد عنزة فناداه اسير في ايديهم يا اباسفانه قتلني الاسار والقمل فقال له ويحك لقد اسأت اذنوهت بي في غير بلادي ثم نزل عن فرسه فشد نفسه مكانه في القيد واطلقه ولم يزل هناك الى ان بلغ الخبر قومه ففدوه بمال كثير (ومن شعر حاتم) :

اعاذل ان المال غير مخلد وان الغنى عارية فتزودي

فكم من جواد يفسد اليوم جوده وساوس قد ذكرنه الفقر في غد

وكم ليم آبائي فما كف جودهم ملام ومن ايديهم خلقت يدى

وما اجود قوله :

شربنا بكاس الفقر يوما وبالغنى وما منهما إلا سقانا به الدهر

فمازادنا بغيا على ذى قرابة غنانا ولا ازرى بأحسابنا الفقر

واخبار حاتم كثيره ومناقبه شهيره اقتصرت منها على هذه النبذة اليسيره .

(وقس) : هو قس بن ساعدة من فصحاء العرب المشهورين ومادر هو رجل من بنى هلال وردت ابله على حوض وبقي فيه بقية ماء فسلح في الحوض من بخله ومدره لئلا يرده غيره فضرب به المثل في البخل .

وباقل رجل اشترى ظبيا باحد عشر درهما فسئل عن قيمته ففتح كفيه واخرج لسانه ليشير الى ثمنه فانفلت الظبي فضرب به المثل في البلاهة والعي .

وتوفي ابو العلا المعرى سنة تسع وثلاثين واربعمائة بمعرة النعمان بن بشير الانصارى لانه هو اول من مصرها فنسبت اليه .

وقال القاضي ابن خلكان : ان ابا العلا المعرى اوصى ان يكتب على قبره :

هـذا جناه ابى عليّ وما جنيت على احـد

وكان يقوله ويكرره في مرض موته يعنى ان اباه كان سبب اخراجه الى عالم الكون والفساد ورثاه جماعة كثيرة رحمه الله تعالى .

(وممن) رثاه الشيخ علاء الدين علي بن عبدالله الكندي الوداعى سنة تسع وسبعين وستمائة في ربيع الآخر :

قد زرت قبر ابى العلاء المرتضى لما اتيت معرة النعمان

وسألت من غفر الخطايا كلها يهدى اليه سحائب الغفران

والله تعالى اعلم .

(فائدة وتبصرة)

(فائدة) : فرعون موسى (ع) هومصعب بن الوليد قيل انه من بقايا قوم عاد وقيل كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فخرج الى الشام فلم يتيسر له فيها المقام فدخل مصر فراى اهلها متروكين سدا وكان وقع بمصر وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا يدفن فتعرض لأوليائه وقال لهم انا امير المقابر فلايدفن الميت إلا بخمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر وهلم جرا حتى جمع مالا عظيما الى ان تعرض يوما لأولياء ميت فمنعوه ورفعوه الى فرعون مصرفقال له من انت ومن اقامك قال له لم يقمنى احد وانما فعلت ذلك لانبهك على خلاف مملكتك وانى جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال ودفعه اليه وقال له وانى امورك ترنى امينا فولاه اموره فسار في الناس سيرة حسنة واستقامت احواله فلما هلك فرعون مصر اقامه مقامه فكان من امره ما كان وبينه وبين فرعون يوسف (ع) وهو الريان اكثر من اربعمائة سنة .

وحكى ابن ابى حجلة في السكردان ان مدة ملك فرعون كانت اربعمائة سنة

وعاش نيفا وستمائة سنة ولم يرى في حياته مكروها ولم يزل مخولا في نعمة الله تعالى حتى اخذه الله نكال الآخرة والاولى وكان قصيرا وطول لحيته سبعة اشبار .

(تبصرة) : حكى المقريزي في الخطط ان المرتبات في ايام كافور الاخشيدي بلغت خمسمائة الف دينار في السنة لارباب النعم والمسودين واجناس الناس ليس فيهم احد من الجبش ولامن الحاشية فحسن له ابن صلاح الكاتب ان يوفر من مال الرواتب فلما جلس لذلك حكه جبينه فحكه بالقلم الذى فى يده والحكاك يزيدالى ان انقطع عن العمل لما به وقام فمولج حتى مات في سنة سبع واربعين وثلاثمائة وفي ذلك موعظة لمن توسط للناس بالسوء كما قال تعالى ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله وماحسن ماقيل على لسان الدواة :

حلفت من يكتب بى بالواحد الفرد الاحد
ان لايمد مدة في قطع رزق لأحد

نظير ذلك لما كثرت انعامات الحاكم بامرالله توقف في امضائها امين الامناء حسين بن طاهر الوزان فكتب اليه الحاكم بخطه :

اصبحت لا ارجو ولا اتق إلا إلهى وله الفضل
جدى نبي وامامى ابى ودينى التوحيد والعدل

المال مال الله والخلق عيال الله ونحن في الارض امناءالله اطلق ارزاق الناس ولا تقطعها والسلام ، وما اصدق قول من قال :

كل الامور تبد عنك وتنقضى الا الثناء فانه لك باقى
لو انني خيرت كل فضيلة مااخترت غير مكارم الاخلاق

(قلت) : ليت شعرى ماهذه الفضيلة التى تكون افضل من مكارم الاخلاق وهى الدين القويم قال الرحمن الرحيم مخاطبا لنبيه الكريم وانك لعلى خلق عظيم .

ومثل ذلك ان الملك العادل ايوب كتب اليه بعض عماله رقمة يخبره ان المرتب في كل سنة على بيت المال مائة الف دينار وسبعون الف دينار صدقة وذلك

خلل في بيت المال فكتب على ظهر الرقعة الغربة تذل الاعناق والفاقة مرة المذاق والمال مال الله وهو الرزاق فأجر الناس على عادتهم في الاستحقاق ماعندكم ينفد وماعند الله باق وانا لا نحب ان يؤرخ عنا المنع وعن غيرنا الاطلاق وايثار الحسنة من مكارم الاخلاق واليكم هذا الحديث يساق وكان دائما يتمثل ببيتى حاتم المذكورين في هذه الصفحة وهما وان كررناها :

شربنا بكاس الفقر يوما وبالغنى ومامنهما إلاسقانا به الدهر
فما زادنا بغيا على ذى قرابة غناناولاأزرى بأحسابنا الفقر

(قيل) : وجد مكتوبا في خزانة الاسكندر على الحرير الاخضربالذهب الاحمر حركات الافلاك أجل من ان تبق على احد نعمه أوتديم عليه نقمه فمن ولى منكم الامر فلتكن همته تقليد المنن اعناق الرجال فان الدولة تزول اما بشكر جميل او ندم طويل والايام صحائف الدهر فاعتبروا يا أولى الابصار ولله در القائل :

فان كنت لم تسمع بأخبارمن مضى ولم تر في الباقين مايصنع الدهر
فلابد تصحوحين ينكشف الغطا وتذكر قولي حين لاينفع الذكر

وفي سنة سبع وسبعين وألف يوم الثلاثاء لثلاث خلون من محرم توفي صاحب حرم الله الامين صاحب العدل المبين والعزالمكين فرع الشجرة النبوية التي اصلها ثابت وفرعها في السما طرازالعصابة الهاشمية الاسمى الشريف الذى طاب اصله ونما الملك العالى البدر المتلالى الشريف الذي اعزالله قدره وشرفه زيد بن محسن ملك مكة المشرفة ودفن بالمعلاة في قبة أبى طالب مع اجداده الاطائب واسف الناس عليه لكونه عادلا مشفقا على الرعيه ذا همة هاشمية وكانت ولادته سنة اربع عشرة وألف بمكة المشرفه وتربى في حجر والده وسافر معه الى اليمن ولما توفي والده بصنعاء رجع الى الحجاز .

(ومااحسن) : قول المهيار الشاعر في السيد احمد بن عبد المطلب حين تولى مكة وصار منه في حق اهلها ماصار :

شف لاحداث الليالى ياحميد ... تركت تلك الاسود الصيد صيد

فرقت أجسامهم يابعـدما ... بين ادريس ومحسن وفهيد

ذابنجد وبصنعاء ذا وذاك ... بإصطنبول فامشى بالرويد

ثم ان الشريف عبد الله بن حسن طلب الشريف زيد بن محسن وجعل لولاية بينه وبين ولده محمد بن عبدالله ثم وصل عسكر اليمن الجلاليه الى مكة المحميه كما تقدم وخرج الشريف زيد الى المدينة البهيه ثم تولى ثانيا فسار في الناس سيرة هنية وحكم بشريعة الرسول وبلغت الرعية بعدله كل سول وأزال كثيرا من المنكرات وأبطل ماخالف الكتاب والسنـة من المحرمات وأمنت في أيامـه الرعايا وغمر الناس بالمواهب والعطايا وعمر بمكة عمائر مستحسنه وآثارا فى جميع المشاهد بينه وأثنى عليه الفضلاء والخطباء ومدحه الشعراء والادباء وأغنى بكرمه كل من خدمه بتأليف وأكرم كل من الف باسمه شيئا من جوهر التصنيف محبا للعلماء مبالغا في اكرامهم وبلوغ مرامهم محبا للفقراء معتنيا بهم وبعد وفاته قام مقامه اصغر أولاده الشريف سعد بن زيد وطلب الولاية لنفسه السيد حمود بن عبـدالله وتبعه اكثر الاشراف وظنوا ان الولاية له وأن لامنازع له لكونه كان المتصرف في حياة الشريف زيد وكون أولاد زيد غائبين واستصغروا الشريف سعداً لكون عمره إذ ذاك أربعا وعشرين سنة وقام الشريف سعد وانحاز اليه عسكر الدولة وتبعه عسكر السلطان المرتبين بمكة وقامت الفتنة بين الشريف حمود والشريف سعد وكان بمكة المشرفة من قبل السلطان محمد رجل اسمه عماد الدين أرسله السلطان ناظرا على الحرمين وانعم عليه بجدة ونظارة المسجد الحرام فالبس عماد الدين الشريف سعد اخلعـة الملك وأصلح بينهم الى ان يعرضوا للابواب ومن اختاره السلطان ولاه فسكنت الفتنـة الى ان جاءت الاوامر والخلع للشريف سعد في شهر رجب ثم عرض الشريف حمود الى السلطنـة وأخذ خطوط جيمع الاشراف على انهم مايرضون إلا الشريف حمود افلم يرض السطان إلا بالشريف سعد وفي ذى القعدة خرج حمود ومن معه من الاشراف من مكة وأرسل

جماعة الى جدة فنهبوا القوافل الواصلة من جدة الى مكة وتعرض بنو أخيه لقافلة اليمن فنهبوها ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم وتغلب حمود على بندر ينبع وأخذ حبوب أهل المدينة الشريفة وأخذ حب الشريفة سعد ثم ارسل ولده وبعض الاشراف الى مصر يعتذرون وأرسل معهم بهدية لباشا مصر فامسك الباشا على ولد الشريف حمود والاشراف الذين معه وحبسهم بمصر والله أعلم .

(حكي) : ان الشيخ شهاب الدين محمود قال عدت قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في دمشق بالمدرسة النجيبية سنة احدى وثمانين وستمائة فانشدني لبعض أهل الادب في نقيب الاشراف بالمدائن رثاه خلب قلبي . وهو هذا :

قد قلت للرجل المولى غسله ... هلا اطاع وكنت من نصحائه

جنبه ماءك ثم غسله بما ... أذرت عيون المجد عند بكائه

وأزل أوانية الحنوط ونحها ... عنه وحنطه بطيب ثنائه

ومر الملائكة الكرام بنقله ... شرفا ألست تراهم بازائه

لاتوه اعناق الرجال بحمله ... يكفي الذي حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع في نفسي انه احق الناس بهذا الرثاء وانه نعى نفسه فمات في ذلك الاسبوع برد الله مضجعه .

(وحكي) : ان الشيخ شهاب الدين السهروردي كان يتردد من الشام الى بغداد وجلس يوما على عادته وأخذ يقال احوال الناس ويهضم جانب الرجال وانه مابقي من يلاقى وقد خلت الدنيا وانشد :

مافي الصحاب أخو وجد نطارحه ... حديث نجد ولاخل نجاريه

فصاح من طرف المجلس رجل عليه قباء وقلنسوة ياشيخ لم تنتقص بالقوم والله ان فيهم من لم يرض ان يحادثك وقصاراك ان تفهم ماتقول :

مافي الصحاب وقد سارت حمولهم ... الامحب له في الركب محبوب

كأنما يوسف في كل مرحلة ... والحي في كل بيت فيه يعقوب

فصاح السهروردي ونزل من على الكرسي وطلب الشاب فلم يجده (اه) .

(قيل) : سخط كسرى على بزرجمهر فحبسه في بيت مظلم وامر ان يصفد بالحديد فبقي اياما على تلك الحالة فارسل اليه من يسأله عن حاله فاذا هو منشرح الصدر مطمئن النفس فقالوا له انت في هذه الحالة من الضيق ونراك ناعم البال فقال صنعت ستة أخلاط واستعملتها فهي التي ابقتني على ماترون فقالوا له صف لنا هذه الاخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى فقال نعم أما الاول فالثقة بالله عزوجل واما الثاني فكل مقدر كائن وأما الثالث فالصبر خيرما استعمله الممتحن وأما الرابع فاذا لم أصبر فما اصنع وأما الخامس فقد يكون بلاء اشد مما انا فيه وأما السادس فمن ساعة الى ساعة فرج فبلغ كسرى فاعزه وأطلقه . قال الشاعر :

وبين التراقي والترائب حسرة ... مكان الشجى أعي الطبيب علاجها

اذا قلت هاقد يسر الله سوغها ... أبت شقوتي وازداد سد رتاجها

الرتاج : ككتاب ، هو الباب العظيم المغلق وعليه باب صغير مفتوح .

(قال الشاعر) : يذم قوما ويصفهم بالبخل :

رب أضياف بقوم نزلوا ... فقروا أضيافهم لحما وحر

وسقوهم في اناء كلع ... لبناً من دم مخراط فئر

الوحر مشتق من الوحرة بتحريك الواو والحاء وهي دويبة حمراء تلصق باللحم فتكره العرب أكله للصوقها به ودبيبها عليه والاناء الكلع ماتراكم عليه الوسخ والمخراط الناقة التي بهامرض ويكون لبنهامعقدا وفيه دم والفئر ماشربت منه الفأرة في الحديث خير الخيل الادهم والارثم والاقرح المحجل وطلق اليمين فان لم يكن أدهم فكميت على هذه الصفة الادهم الاسود والارثم ما في انفه وشفته العليا بياض والاقرح الذي في جبهته بياض بقدرالدرهم والتحجيل بياض قوائم الفرس قل او كثر بعد ان لايجاوز الارساغ ولايجاوز الركبتين والطلق بضم الطاء عدم التحجيل .

بنى بعض ملوك بني اسرائيل دارا تكلف في سعتها وزينتها ثم أمر من

يسأل عن عيبها فلم يعبها احد إلا ثلاثة من العباد قالوا ان فيها عيبين الاول انها تخرب والثاني انه يموت صاحبها فقال لهم الملك وهل يسلم من هذين العيبين دار قالوا نعم دار الآخرة فترك ملكه وتعبد معهم .

(سئل بعض الزهاد) : عن مخالطة الملوك والوزراء فقالوا من لا يخالطهم ولا يزيد على المكتوبة عليه أفضل عندنا مما يقوم الليل ويصوم النهار ويخالطهم .

(دخل) : أبو حازم علي عمر بن عبد العزيز فقال له عمر عظني فقال له اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر ما تحب ان يكون فيك في تلك الساعة فخذه به الآن وما تكره ان يكون فيك في تلك الساعة فدعه الآن لعل الساعة قريب .

(ودخل صالح بن بشير) على المهدي فقال له عظني فقال : أليس قد جلس هذا المجلس أبوك وعمك قبلك قال نعم قال فكانت لهم اعمال تخاف عليهم الهلكة بها قال نعم قال فكانت لهم أعمال ترجو لهم النجاة بها قال نعم قال فانظر ماخفت عليهم فيه الهلكة فدعه واجتنبه وما رجوت لهم فيه النجاة فأته .

﴿ ترجمة أبي محمد حيدر أغا بن محمد الرومي الاصل اليمني الدار والوفاة ﴾

اديب شاع ذكر أدبه واشتهر وابهر العقول بلذيذ نظمه الرائق وسحر قال في ترجمته صاحب نسمة السحر فاضل سبق في الحلبه وما ترك للصانع المحكي همسا ولا جلبه لم يك برق شعره خلب ولم يقدر مثل حسن شعره ولم يكتب نسج للملاحة به وشيا عبق وما كان قبله ينشر وأخجل ابن ابي ربيعة فضل حيدر .

قال صاحب نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر وكان مجيدا في فني العرب والملحون واصله من الاجناد الرومية الذين لم يعودوا مع من عاد منهم وكان جنديا وفيه سكينة ووقار وغض طرف وظرف وكان له يد طولى في الموسيقى وضرب العود ويغني بشعره الموشح .

(قال صاحب نسمة السحر) : وقال لي شيخنا شرف الدين بن الحسين انه رآه بذمار دائم السكوت والوقار يحب الانفراد ليلا ونهاراً وكان أسمر مقبولا لحسن أدبه وظرفه وشعره العربي قليل لقلة حفظه وتدوينه فنه في اختصار بيتي الغزي المشهورين

في المدح شعرك لاتصفه ولا ترى مستغزلا
أتقول قافية وقد خلت الديار فلا ولا

(ومن) شعره في مرثية غلام مليح يعرف بابن تاج الدين :

لو لنفس تكون نفس فداء لفداك العذول والرقباء

يحتمل في الرفع في فداء ان يكون خبر مبتدأ محذوف :

يافقيدا قد كان فينا كريما نحن قوم بمثله بخلاء
كان تاجا عليه اكليل حسن زانه منه رونق وبهاء
سلبته ايدى المنون علينا وأتاه الى فناه الفناء
قلت لما رأيت قدك غصنا وهو في ذات أربع ملقاء
آه لهفي على اعتدال قوام عانقته برغمى الحدباء

ما احلى هذا الكلام :

وبنفسى شرط بخدك ما كان له الترب ياحبيبي جزاء

وهذا أحلى واغلى :

كنت تأوى القلوب حيا فشقت لك في الموت قلبها الشهباء
بعد ذاك الفناء من كل حسن أيها الناس أنتم الفقراء
نم هنيئا قرير عين فنا كل عين من البكا رمداء
لك ماشئت عند ربك ياليت لنا من تصبر مانشاء
لك منا الهنا بجنات عدن ولنا فيك يا حبيب العزاء

قال صاحب نسمة السحر : تأمل هذه الرقه وماضمن المعانى من الدقه فالاعتدال والحدباء بعد التاج والاكليل والشرط والجزاء والهنا والعزا والغنا والفقر

والقرة والرمد مع الانسجام الذى لايقوى عليه أحد إلا من قلده الادب بلا آلية واجتهد .

قال الفتح ابن خاقان في قلائد العقيان انه كان بضفة الجزيرة بالاندلس أيكة يانعة وكان الاديب أبو اسحاق ابراهيم بن خفاجة الاندلسي يقصد هو ومن يهواه لديها ويوسدان خدودهما أبرديها قربها ومحبوبه قد طواه الردى ولوى خبره عن ذلك المبتدا فتذكر ذلك العهد وجماله وأنكر صبره لفقده واحتماله فقال :

الا أذكرتني العهد بالانس أيكة ... فأذكرتها نوح الحمام المطوق

وأكبت أبكى بين وجدأ ناخ بي ... حديث وعهد للشبيبة مخلق

وأنشق أنفاس الرياح تعللا ... فأعدم فيها طيب ذاك التنشق

ولما علت وجه النهار كآبة ... ودارت به للشمس نظرة مشفق

عطفت على الاجداث أجهش تارة ... وألثم طورا تربها من تشوق

لها صدعت أيدى الحوادث بيننا ... فهل من تلاق بعد هذا التفرق

وان يسك للخلين ثم التقاءة ... فيا ليت شعرى أين أو كيف نلتق

فأعزز علينا ان تباعد بيننا ... فلم يدر ما ألقى ولم أدر ما لقى

(قال) : صاحب نسمة السحر تجاوز الله عنه وغفر والحيدر وقد صرف بعض الولاة الى بيته بجيلة عسكرا على عادتهم في ذلك :

منزلى منزل السعادة والافراح والانس والصفات العليه

لم أمرتم بصرفه وهومبنى ... وكذا العدل فيه والعلميه

(ما أحلى) هذا التوجيه بالنحو وهو الصرف والبناء والعدل والعلمية التي هى من موانع الصرف .

(قلت) : الاسم الذى لاينصرف يوافق الاسم المنصرف في أمرين وهما انه يرفع بالضمة وينصب بالفتحة ويخالفه في أمرين وهما انه لاينون وانه يجر بالفتحة تقول جاءنى أفضل منه ورأيت أفضل منه ومررت بأفضل منه وقال الله تعالى (فحيوا

باحسن منها يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب) ويستثنى من قوله مالا ينصرف مسئلتان يجر فيهما بالكسرة على الاصل أحدهما ان يضاف والثانية ان يصحب الالف واللام تقول مررت بأفضل القوم وبالافضل .

وقال الله تعالى : (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) اللام جواب للقسم السابق في قوله تعالى (والتين والزيتون) وما بعدها وقد لها أربعة معان وذلك انها تكون حرف تحقيق وتقريب وتقليل وتوقع فالتي للتحقيق تدخل على المضارع نحو(قديعلم ماأنتم عليه) أى يعلم ماأنتم عليه حقاوعلى الماضى نحو(لقدخلقنا الانسان) الآية وكذا حيث جاءت قد بعد اللام فهى للتحقيق والتي للتقريب تختص بالماضى نحو قول المؤذن (قد قامت الصلاة) أى قدحان وقتها ولذلك يحسن وقوع الماضى موقع الحال اذا كان معه قد كقولك رأيت زيدا قدم على الخروج أى عازما عليه والتي للتقليل تختص بالمضارع كقولهم قد يصدق الكذوب وقد يعثر الجواد أى ربما صدق الكذوب وربما عثر الجواد والتي للتوقع تختص بالماضى .

قال سيبويه : وأماقد التي للتوقع فجواب هل فعل لان السائل ينتظرالجواب .

وقال الخليل : هذا كلام لقوم ينتظرون الخبر يريد ان الانسان اذا سئل عن فعل أوعلم انه يتوقع انه يخبر به قال قدفعل واذا كان المخبر مبتدئا قال فعل كذاوكذا ولم يأت بقد فاعرف ذلك .

(رجع) وما أحلى قول القائل في التوجيه بالموالى :

سمعتها وهى داخل دارها بالصحن	تنشد رمل طحنت قلبى المعنى طحن
ياليتها مع تغنها وطيب اللحن	ترفع أجرودع يدخل على اللحن

ويعجبنى قول الآخر :

قالت لها أختها والقصد تسمعنا	ما النحو قالت لها نحنا باجمعنا
للرفع والنصب اناوانت ومن معنا	للجر والزوج حرف جاء للمعنى

والتورية في القطعتين ظاهرة . قال صاحب نسمة السحر ولحيدر :

لاتحسب الشمس في ذااليوم طالعة ولاتسل أين وارت وجهها الحسنا
بالأمس قد غربت صفرا وأحسبها ماتت وهـذى نسما تبكى لها حزنا

أخذ المعنى من قول القاضي الارجاني :

لما رأيت النجم ساه طرفـه والادق قـد القى عليـه سباتا
وبنات نعش في الحـداد سوافر ايقنت ان صباحهم قـدماتا

قال صاحب نسمة السحر : ولحيدر في تعليل انفتاح الكادى بلمع البرق :

أرى الـكادى لايبديـه إلا خفوق البرق في داجى الدجنه
اذا ماسـل في الآفاق سيفا بدت في الروض للـكاد أسنه

(قلت) : تأمل في لطيف هذا التعليل الذى يشفى باطفه القلب العليل .

﴿ فائدة ﴾

من عجائب الـكادى ان طلعه لايفتح إلا اذا استصبح بشمعة البرق ليلا تحت ستور الغمام وكذلك زهر اللوبيا لايتنور إلا اذا جلاله القمر جبينه المعشوق ولحيدر أيضا في مليح طبال :

وشادن يكفل طبـلا له ويلتوى لسير على عاتقه
يشن غارات الهوى مسرعا ويضرب الطبـل على عاشقـه

ما أحلى هـذا الكلام الذى هو ألذ من رشف المدام ، وكتب اليـه ابراهيم الهندى الشاعر المشهور وكناه بابنه الاكبر :

يا أبا أحمـــد لقد جرت لما صار قلب الخليل منك كليما
قـد بلغتم الى مناه ولـكن لم تجوزوا مقام ابراهيما

فكتب اليه مراجعا وكان تلك الايام بذهبان صنعاء وعنده من يحبه :

أنا في كعبـة المحاسن باق في مقام وحق لى ان أقيما

يوسفي الجمال من نار خديه رأينا احتراق ابراهيما

ويعجبني قوله :

وخل قال للمازار قبل يدي لتشتفي من نار بيني
فقبلناه في جيد وخد وكان الاسر من فوق اليدين

وما أحسن قوله في الزنبق وهو تشبيه ملوكي محقق :

وزنبق مجلس بين الندامى كشيخ حاز لطفا في وقار
يريك اذا تلا انا فتحنا عمود الفجر في وسط النهار

قال صاحب نسمة السحر : وحيدر هذا ممن رزق السعادة في الموشح الرقيق الغضيض ولم يترنم الشادي بغير قوله فيها برغم معبد والغريض ، فمن موشحاته التي تقوم للحن بالحجة ، وتشج في رأس ابن جني اذا فاخرها بعربيته شجه قوله :

شقيق البدر براق الجمان كحيل المقلة الظبي الممنطق
خطا يسحب ذيول التيه عاني وماء الحسن في خده مروق
مهفهف ليس له في الحسن ثاني وهو للنيرين ثالث محقق
خطابه ان نطق فاق المثاني وقلبي في هواه دائم معلق

(توشيح) :

سباني منه يا اخوان * ورش مع غنج فتان * كذا تفتير الاجفان

(تقفيل) :

وقده في تعطافه أراني قضيب البان إلا انه ارشق
ولولا سيف عينيه اليماني حمى قده سجع فيه المطوق

(بيت) :

رشا حالي اللمى عذب المراشف حكى بدر السما بهجة ورفعه
وساحرا حومه للروح خاطف وله ياناس في التفتير صنعه
غرامه قد ترك لي دمع واكف جرى في الخدد معه بعد دمعه

ملك روحي وحسنه قد سباني وشنف كأس حبه لي وأدهق

(توشيح) :

نهب روحي بجهله * قبال الناس شله * فما عاد شي أقل له

(تقفيل) :

ولما خاف في عشقه جناني ذاني في الهوى شااحمل وشاأزعق
أمر خديه ترسل قصد عاني سلاسل من عذاره لي وأوثق

(بيت) :

ممنع قلدوه الحسن تقليد رشيق بالملاحه قد تفرد
بديع الحسن في خديه توريد فما أحلاه في الخد المسجد
تعال يا عاذلي فيه ياغبي حيد وعوذ طلعته واذكر محمد
رشا ماأهوى سواه دائم زماني ولاقلبي لغيره عاد يعشق

(توشيح) :

غرامي فيه مشروح * وقلبي منه مجروح * وذكره ينعش الروح

(تقفيل) :

فسعدي لوتساعدني الاماني ويصبح كل ما أملته حق
فألوي من على جيده يماني وأرشف من لماه صافي معتق

(بيت) :

وأروى للرشا باهي المحيا بأني من غرامه صرت ذاهل
أبات مالي سمير إلا الثريا أهيم جنح الظلام بين المنازل
أموت ان غاب عني ثم أحيا اذا ابصرته يميس بين الغلائل
وحسنه لو يماني ما أعاني رثى لي من هوى للقلب أحرق

(توشيح) :

أنا مضنى بحبه * وكم أشتاق قربه * وشملي يجتمع به

(تفقيل) :

وكم قد بيننا حاسد وشانى   أراد أن اجتماع الشمل يفرق
فما صدقتهم فيمن سبانى   ولاهو في الذي يهواه صدق

قال صاحب نسمة السحر : واستعمال الحسنات والرقة من خصائص حيدر وأما قوله ولولا سيف عينيه اليمانى فمأخوذ من قول الجمال بن نباته في الطردية التي مدح بها المؤيد صاحب حماه وجاء منها بقوله :

لولا حذار القوس من يديه   لغنت الورقا على عطفيه

وأخذ أكثر معانى هذه الطردية الشيخ ابراهيم الهندى في مفاخرة له بين البندق والسيف . ومن موشحات حيدر الرقيقة قوله :

من يبلغ غزال رامه   مذهب الخد ساجى العين
قد وصلنا على السلامه   بعد طول الفراق والبين
يانديم هات لى المدامه   واسقنيها سلاف كالعين
واغتنم لذة الاقامه   فالسرور في اجتماع القين

(بيت) :

هزنى الشوق نحو الاوطان   عندما بارق الخريف لاح
كدت انى أطير لوكان   لى جناحين طرت ياصاح
نحو شاد ربيب فتان   في يديه حياة الارواح
ريم على الغيد له علامه   وهو انه برى من الشين

(بيت) :

كم بدور بدور صنما   ولكم من ظبا شوارد
الحشاشه لهن مرعى   ولهن الدموع موارد
قم بنا يانديم نسعى   نحوها ان كنت لى مساعد
فلكم ذا البطا علامه   مامعى للفراق من دين

(بيت) :

يا قلبي العميد بشراك ان صبح الوداد أسفر
والزمان قد سمح بلقياك بالغزال الربيب الاحور
ضم فمه حين ينام في فاك وارتشف ريقته واسكر
واعتنق قد غصن قامه واقتطف زهر ورد خدين

قال مؤلف هذا الكتاب : العباس بن علي غفر الله له ، وقلت أنا على هـذا ، الروي والقافية مستهدياً بأنوار بلاغته الهاديه ، وملتزما آخر كل قفل الجناس التام فلا تقل مادح نفسه يقرئك السلام :

قل لسيد الظبا علامه ذا الجفا يامكحل العين
من حوى في الحديد شامه نحرس الوجنتين من عين
طال بى الحزن والندامه هذه أدمعى جرت عين
يارشا ياغزال رامه صل معناك ساهر العين

(بيت) :

آه من ذا الفراق لا كان كم له في الفؤاد أجراح
ان وقت السرور قد آن قم بنا ياحبيب نرتاح
واسقني الراح وسط بستان بين ورد وبين تفاح
والذى يكثر الملامه ذاك أعمى الفؤاد والعين

(بيت) :

طف ببيت المدام واسعى في صفا الانس والمقاصد
ذاك ياصاح خير مسعى ان تكن للسرور قاصد
خمرة بالسعود تسمى كم لها راغب وقاصد
صاح بادر الى المدامه لونها في الكؤس كالعين

(بيت) :

سر بنا لا عدمت لقياك يافريد البدور يا أصفر
واسقنيها كفيت اعداك بين ناى وبين مزهر
ان تجد يارشا لمضناك كل ذنب الزمان يغفر
دم بعز وفي سلامه ياحبيبي وقرة العين

قال صاحب نسمة السحر : وفضائل حيدر لا تحصر ، وتوفى بضوران ودفن ببستانه في أيام المتوكل ورثاه ابراهيم الهندى بأبيات منها .

كان في عصرنا حديقة فضل فلذا اودعوه في البستان

وكان نقش خاتمه محب أبى السبطين حيدر : وهذا نقش يكفيه أدباً رحمه الله تعالى .

﴿ فائدة ـ ذكر من بنى الاسكندرية وعمود السواري ﴾

قال المقريزي في الخطط: ومن عجائب الاسكندرية عمود السوارى وهو حجر أحمر منقط من الصوان المانع وكان حوله نحو أربعمائة عمود وكانت كلها سماقية كسرها قراجا والى الاسكندرية أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ورماها بشاطىء البحر ليوعر على العدو السلوك .

(ويحكى) : ان هذا العمود أحد الاعمدة التي كان عليها رواق ارسطاليس وانه كان يدرس به الحكمة وكان دار العلم ويقال ان ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعاً وقطره خمسة أذرع وقيل طوله بقاعدته اثنان وستون ذراعاً وسدس ذراع وطول قاعدته السفلى اثنا عشر ذراعاً والعليا سبعة أذرع ونصف وهذا العمود باق الى يوم تخطيط هذه الاسطر وهو على نصف ميل من باب السدرة خارج السور وكثير من الاعمدة السماقية في أكناف البلدة بعضها قائم وبعضها مطروح قال الحافظ الخزرجى :

ياساكنى الاسكندرية فيكم بات النزيل بليلة الملسوع
تقرونه مهوائها وعائها والنار في أحشائه بالجوع

﴿ نكتة ﴾

قال السيوطي : وقد رأيت هذا العمود لما دخلت الاسكندرية في رحلتي ودور قاعدته ثمانية وثمانون شبرا ومن المتواتر عند أهلها ان من حاذاه من قريب وغمض عينه ثم قصده لايصيبه بل يميل عنه وذكروا انه لم تحصل اصابته لأحد قط مع كثرة تجربتهم لذلك وقدجربت ذلك مرارا فلم أصبه قاله في المحاضرة وأما خليجها واختلف في بانيه قال الاسعد خليج الاسكندرية طوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستمائة قصبة وعرضه قصبتان ونصف الى ثلاث قصبات ونصف ومقام الماء فيه بالنسبة الى النيل فان كان عاليا أقام فيه مايزيد على شهرين كذا في الخطط .

(وحكى) : ابن الوردي : ان الاسكندرية كانت سبع قصبات وأنها أكلها البحر ولم يبق منها الاقصبة واحدة وان مساجدها حصرت مرة فكانت عشرين ألف مسجد وقيل ان بانيها الذى بنى الاهرام وقيل يعمر بن شداد وقيل الاسكندر الاول وهو ذو القرنين اليوناني الذى جال في الارض وبلغ الظلمات ومغرب الشمس ومطلعها وسد على يأجوج ومأجوج وقيل بناها الاسكندرالثاني ابن داراالرومي وانما شبه بالاسكندر الاول لانه ذهب الى الصين والمغرب ومات وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة . (قلت) وبين الاول والثاني دهر طويل والاول كان مؤمنا والثاني على مذهب استاذه ارسطاليس وقيل بنتها الجن لسليمان عليه السلام .

(قلت) وأما ذو القرنين الاول فقيل كان له قرنان المشرق والمغرب فلذلك سمي بذي القرنين وقيل لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في أيامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كمايقال الكبش للشجاع كانه ينطح أقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق في ايمانه وصلاحه هكذا ذكره القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل فلما كان رابع وعشرين من جمادي الاول خرجت صحبة القافلة من أصفهان

وسرت الى شيراز في أمان الرحمن :

كانما هو في حل ومرتحل موكل بفضاء الارض يذرعه

﴿ ذكر مدينة شيراز ﴾

فلم نزل نسير في تلك الاراضى المبسوط فيها ألوان الزهور بين مياه واشجار واطيار ومنثور وورد جورى واقحوان ونرجس وشقائق النعمان وزنبق ونسرين وظباء تمرح من الشمال واليمين :

تنقل فلذات الهوى في التنقل ورد كل صاف لاتقف عند منهل

فلما كان سادس جماد الثانى دخلنا شيراز مدينة الافراح والتهانى .

﴿ فائدة ﴾

(شيراز) من أعظم مدن الفرس ، هواؤها لطيف يحيي النفوس وماؤها عذب يذهب عن القلب الصدا والهوس بها الازهار المختلفة الالوان والروح والريحان وبها أنواع الاشجار المختلفة الفواكه والثمار والعيون السائحه والاطيار الصادحه والقصور الشاهقه والبدور الفائقه والاسواق المعموره بكل خير مغموره تسر الناظر وتشرح الخاطر بساتينها مخضرة كالجنان واشجارها مائسة كالغيـد الحسان وازهارها على الاراضى مبسوطه ومياهها بها محوطه :

فسرح الطرف با كنافها تسر ان كنت كئيبا حزين

وأول من بناها شيراز بن طهمورث وسميت به ثم جدد بناءها عضد الدولة بن بويه ويصنع بها الثياب الحرير والسيوف والسكاكين والنصول والاقفال والامواس الشيرازية وينسب اليها الشيخ أبو اسحاق الشيرازى وكان علامة عصره وامام دهره وينسب اليها العلامـة محمد بن مسعود الملقب بقطب الدين الشيرازى وكان بحرا في سائر العلوم توفي سنة عشرين وسبعمائة بتبريز وينسب اليها القاضى أبو العباس بن شريح احد المجتهدين وله مصنفات تزيد على الاربعمائة في علوم شتى وتوفي ببغداد

سنة ست وأربعمائة ويتسب اليها أبو عبد الله محمد ابن خفيف وكان علامة وقته توفي سنة احدى وسبعين وثلاثمائة وكان بشيراز بنيان يسمى الطربال وهو كالماذنة في وسط المدينة بناه اردشير بن سابور وكان بها بيت النار للفرس فهدم في الاسلام ويعمل بها الماورد الذكى العرف ويعمل بها القوارير الزجاج التي هي في صفائها كالبلور ويصنع في جوفها الاشجار والازهار من الزجاج ولم يصنع مثله في غيرها من المدن .

(وبها) : ضريح الولي العارف بالله الخواجه حافظ الشيرازى صاحب الديوان المشهور .

(وبها) : ضريح الولى العارف بالله الشيخ سعدى الشيرازى صاحب كتاب (الكلستان والبوستان) .

وأما أهلها فهم من خيار الناس يسعد عندهم من رماه دهره بالافلاس مالهم في الهمة من نظير إى والعليم الخبير :

من لى بقربى من أرض شيراز ... أرض بها راحتى واعزازى

لما حللنا بها نريد غنى ... وفت لنا بالعطا بانجاز

واهلها في العلوم قد كملوا ... فمالهم مشبه ولا الرازى

أعيذها بالاله خالقها ... وأهلها من شرور هماز

ونزلت بدار الامير المظفر والشجاع الغضنفر ذى الكرم حقيقة لا مجاز . مرزا محمد تقى وزير شيراز :

قل لمن في مديحه يتغالى ... هكذا هكذا وإلا فلا لا

واجتمعت بالرئيس التاجر حاوى الفضائل والمفاخر الذى كرمه في البرية ظاهر غير خفى . مولانا الكامل النبيل السيد محمد النجفى . وبابنه الشهم المثيل السيد على النجفى وبالعالم العامل الكامل الفاضل شيخ الاسلام وملجأ الخاص والعام مولانا السيد مهدى لازال محروسا . وزرت قبر الامام الهمام الشاه جراغ من أولاد موسى الكاظم «ع» وزرت قبر العالم العلامه الرحلة الفهامه فاضل العصر المتقدم ذكره السيد علي خان

صاحب سلافة العصر واقت في شيراز في اسر نعمة وحال وانعم بال والحمد للكريم المتعال .

(ما احسن) : قول ابى الفضل احمد بن محمد الخازن في ابى القاسم هبة الله ابن الحسين الاهوازى الحكيم وقد اضافه وادخله بستانه وداره وحمامه :

وافيت ساحته فلم ارخادما الا تلقانى بوجــــه ضاحك
ودخلت جنته وزرت جحيمه فشكرت رضوانا ورأفة مالك
والبشر في وجه الغلام امارة لمقد مات حياء وجه المالك

(وحكى) : ان انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فاعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها اهذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها لى فقال عليَّ به فلماحضر وجده مملوكه الذى يحمل مداسه وكان عنده في حال غير مرضية فقال له الصاحب اهذا خطك قال نعم قال فهذه طريقتى فمن الذى اوقفك عليها فقال يامولانا كنت اذاوقعت لاحد على قصة اخذتها منه وسألته المهلة عليّ حتى اكتب عليها سطرين اوثلاثة فامره ان يكتب بين يديه ايراه فكتب :

وماتنفع الآداب والحلم والحجا وصاحبها عنــد الــكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالشعر اكثر من الخط لان فيه تورية لطيفة ورفع منزلته حينئذ .

(قيل) : ان المبرد بعث غلامه وقال له بحضرة الناس امض فان رأيته فلاتقل له وان لم تره فقل له فذهب الغلام ورجع وقال له لم اره فقلت له فجاء فلم يجيء فسئل الغلام عن ذلك فقال انفذنى الى غــلام يهواه فقال ان رأيت مولاه فلاتقــل له فان لم تره فادعه فذهبت فلم ارمولاه فقلت له فجاء مولاه فلم يجيء الغلام .

(ومن المشهور) : من سوء اخلاق الغلمان ما حكى انه كان لرجل عبد قــد برم بخــدمته فــازال سيده يوصيه بالفطنة حتى قال له متى ارسلتك في حاجــة وقدرت ان تضم اليها غيرها فلا تكره فاتفق ان مرض سيده فأرسله للطبيب فجاء به

وبالغاسل معه فقال له ويحك ماهذا قال قد قدرت على الآخر كما امرتنى وادبتني .

(ويعجبنى) : قول الاديب نور الدين المسبلى المشهور احد شعراء الريحانة :

انى بليت بزنجى قبائحـــه ليست تعد على مافيه من عوج
كل الامور اذا ضاقت لهافرج إلا امورى اذا ضاقت فمن فرج

وذكر الثعالبي: ان بعض الفساق كان له غلام وكان يستعمله كل يوم حتى بلغ سبعين سنـةوكلما قال لهقد كبرت يامولاى عن هذا العمل يقول له من امس الى اليوم قد كبرت . وما أحسن قول منصور البلنسى احد شعراءالريحانة وأجاد كثيرا :

قلت لتاج الدين في خلوة وقد عـلاه عبـده الاكـبر
التـاج يعلو فوقـه غيره قال نعم ياقوت أو جوهر

وما ألطف وأظرف قول السراج الوراق يذم عبده :

متلون الاخلاق حرباً وبها وسواده يمتاز منه القار
ويسيء آدابا علىّ وأبى الاغضاء عنـه ودأبه الاصرار
وله ذكاء اياس في حاجاتـه واذا قضى لى حاجـة فحمار
ورقادأهل الكهف دون رقاده ماجن ليل أو أضاء نهار
وله فضول ما لأقمار الدجى معـه ولا متحدثين سرار
ومسائل من ذاومن هذاالذى تحت الغطاء ودار من ذى الدار
ودخوله بين اللذين تضاربا والحكم بينهما وذا مدرار
ومسيره لذوى الفضول لعله يمتاز بين القوم اويمتـار
ومغيبه عنى وان ساءلتـه فجوابه لى ضجرة وتفار
ولكم اقول فلاتفيد مقالتي زنهار من حركاته زنهار

واما قصيدة ابى عثمان الخالدى الموصلى الشاعر المشهور في مدح غلامه فقد عم ذكرهاوطم في الانام واجمع علماء الادب انها افضل مامدح بها غلام وهى هذه :

ماهو عبد لـكنـــه ولد خولنيـه المهيمن الصمد

وشد أزري بحسن صنعته فهو يدى والذراع والعضد
صغير سن كبير معرفة تمازج الضعف فيه والجلد
في سن بدر الدجى وصورته فمثله يصطفى ويفتقد
ممشق الطرف كحله كحل معزل الجيد حليه الجيد
وورد خديه والشقائق والتفاح والجلنار منتضد
رياض حسن زواهر ابدا فيهن ماء النعيم يطرد
وغصن بان اذا بدا واذا شدا فقمرى بانة غرد
مبارك الوجه مذ حظيت به بالى رخي وعيشتي رغد
كيسى ولهوى وكل مأربتى مجتمع فيه لى ومنفرد
مسامرى ان دجا الظلام فلى منه حديث كأنه الشهد
ظريف مزح مليح نادرة جوهر حسن شراؤه نقد
خازن مافي يدي حافظه فليس شيء لدى يفتقد
ومنفق مشفق اذا أنا اسرفت وبذرت فهو مقتصد
يصون كتبي فكلها حسن يطوى ثيابي فكلها جدد
وأبصر الناس بالطبيخ فكالمسك القلايا والعنبر الثرد
وهو يدير المدام ان جليت عروس دن نقابها الزبد
وحاجبى فالخفيف منحبس عندى به والثقيل منطرد
وحافظ الدار ان ركبت فما على غلام سواه اعتمد
نقفه كيسه فلا عوج في بعض اخلاقه ولا أود
وصير في القريض وازن دينار المعانى الجياد ينتقد
وكاتب توجد البلاغة في الفاظه والصواب والرشد
ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على ان يزيد مجتهد
ما غاظني ساعة فلا صخب يمر في منزلى ولاحرد

وواجد بي من الرأفة والرحمة اضعاف مابه اجد

اذا تبسمت فهو مبتهج وان تنمرت مهو مرتعد

ذا بعض اوصافه وقد بقيت له صفات لم يحوها احد

(قلت) : ليت شعرى ما الذى بقى لهذا العبد من جميل الاوصاف فانه احق بالخلافة بلاخلاف وما ابرع قول داود بن مسلم في قثم بن العباس بن المطلب وكان منقطعا اليه :

عتقت من رحلي ومن رحلتي يا ناق ان ادنيتني من قثم

في وجهه بدر وفي كفه بحر وفي العرنين منه شمم

أصم عن قيل الخنا سمعه وما عن الخير به من صمم

لم يدر ما لا وبلى قد درى فعافها واعتاض عنها نعم

(قلت) لله دره فى هذه الابيات الغريبة الصفات ومن مدح بمثلها فامات .

﴿ ذكر غريب جارية المأمون العباسى ﴾

ذكر ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني : انها زارت يوما محمد بن حامد وكانت تحبه وتهواه فجعل يعاتبها ويطول عليها فقالت له ياجاهل خذبنا فيما نحن فيه واجعل سراويلى مخنق والصق خلخالى بقرطى فاذا كان هذا فاكتب إلىّ عتابك في طومار أكتب اليك بعذرى في ثلاثة. فقد قال الشاعر :

دعى عدّ الذنوب اذا التقينا تعالى لا أعد ولا تعدى

فأقسم لوهممت بمد شعرى الى نار الجحيم لقلت مدى

وجرى يوما ذكر الخلفاء بمحضرها فقالت نا كنّي منهم ثمانية لم أشته منهم واحدا إلا المعتز فانه يشبه ابا عيسى بن الرشيد وكانت تحب ابا عيسى .

(وقال في الاغانى ايضا) : كانت غريب جارية مغنية محسنة شاعرة ، صالحة الشعر مليحة الخط وفي نهاية من الحسن والظرف ويقال انها صنعت ألف صوت في الغناء ،

(وقيل) : انها بنت جعفر بن يحيي البرمكي فان البرامكة لما انتهبوا سرقت وهي صغيرة وكانت أمها يتيمة لام عبد الله بن يحيي بن خالد البرمكي وكان جعفر يهواها وأسكنها ناحية من داره فولدت له غريب وكانت هي تذكر نسبتها هكذا .

(قيل) : وعتب عليها المأمون يوما فهجرها أياما ثم مرضت فعادها فقال لها كيف وجدت طعم الهجرفقالت لولا مرارة الهجر لما عرفت حلاوة الرضى ، ومن ذم بدأ الغضب حمد عاقبة الرضى فخرج المأمون الى ندمائه متعجبا من بلاغتها وأخبرهم بكلامها هذا وقال لو نظم كلامها لكان معنى بديعا .

(قلت) : يحتمل ان يكون كلامها مأخوذا من قول علية بنت المهدى اخت الرشيد العباسى :

اذا لم يكن في الحب سخط ولارضى فأين حلاوات الرسائل والكتب

وحكى الاصبهانى أيضا في الاغانى ان المأمون اصطبح يوما ومعه غريب وندماؤه وفيهم محمد ابن حامد المذكور فأومأ اليها بقبلة فاندفعت غريب تغنى بقول النابغة في كليب :

رمى ضرع ناب فاستقل بطعنة كحاشية البرد اليمانى المسهم

فقال المأمون من أومأ منكم الى غريب بقبلة ليصدقنى اولا ضربن عنقه فقال محمد بن حامد أنا يا أمير المؤمنين والعفو أقرب للتقوى قال قد عفوت قال فكيف استدل على ذلك أمير المومنين قال لأنها ابتدأت صوتا وهى لاتغنى ابتداء الالمعنى وعلمت أنها أجابت من أومأ اليها بطعنة .

(قلت) : هذا نهاية من فطنة المأمون .

(وكانت) : غريب هذه تتعشق صالحاً المنذرى الخادم فوجه به المتوكل العباسى الى مكان بعيد فقالت غريب فيه :

أما الحبيب فقد مضى بالرغم منى لا الرضى

أخطأت فى تركى لمن لم ألق عنه عوضا

وغنته يومابين يدى المتوكل فجعل جواريه يتغامزن ففطنت بهن فقالت لهن ياسحاقات هذا خير من عملكن .

(قلت) : وما أحسن قول من قال :

قولوا لمن تهوى السحاق الذى حرمه الرحمن مافيه خير
أخطأت ياكاملة الحسن اذ أقمت اسحاق مقام الزبير

ولغريب في صالح المذكور

ويلي عليك ومنكا أوقعت في القلب شكا
زعمت أبي خؤن جورا علي وأفكا
ان كان ما قلت حقا او كنت أزمعت تركا
فأبدل الله ما بى من ذلة الحب نسكا

(قلت) : ما أحلى هذا الكلام العجيب ، ولاشك ان من شروط المحبة اللازمة ذل المحب للحبيب وما أصدق قول أبي عبدالله بن الاحمر سلطان الغرب :

أيا ربة القرط التى حسنت هتكى على أيّ حال كان لابد لي منك
فاما بذل وهو أليق بالهوى واما بعز وهو أليق بالملك

انتهى .

قال صاحب الدول المنقطعة : لمامات بدر الجمال شاهنشاه الملقب أمير الجيوش وكان من الرجال المشهورين في الرأى والشهامة وقوة العزم وكان من الارمن اشتراه جمال الدولة عمار ورباه وتقدم بسببه واستنابه المنصور بالله الفاطمي بمدينة صور وقيل بعكا حتى كانت سنوات الشدة بمصر التى أشبهت سنى يوسف عليه السلام واختلت أحوال المستنصر فاستدعاه فركب البحر اليه في غير وقت ركوبه وكان ذلك في فصل الشتاء فوصل الى المستنصر عشية الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى وقيل الآخرة سنة ست وستين وأربعمائة فولاه المستنصر تدبير أموره فقامت بوصوله الحرمه وصلحت به حال الدولة والامه .وكان وزير السيف والقلم والطيلسان والعلم

واليه انتهى قضاة القضاء وأمر الدعاه وساس الامور أحسن سياسة وكان وصوله أول سعادة المستنصر وآخر قطوعه .

ومما اتفق يوم ورد أنه قرأ قارىء ولقد نصركم الله ببدر ثم امسك فقال المستنصر لو اتمها لضربت عنقه ومات على حاله في ذي الحجة اوذى القعدة في سنة ثمان وثمانين واربعمائة وولي بعده احمد بن الأفضل امير الجيوش .

قال صاحب الدول المنقطعة خلف بدر الجمالي من الأموال مالم يسمع بمثله قط من ذلك ستمائة الف الف دينار ذهباً عيناً وخمسين أردباً دراهم نقداً مضروبة وسبعين الف ثوب ديباج أطلس وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنى عشر الف دينار ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشرة مجالس لكل مجلس عشرة مسامير على كل مسمار منديل مذهب على خلعة بلون من الألوان أيها أراد لبسه وخمسمائة صندوق كسوة لخاصته من دق تنيس ودمياط ومن الرقيق والخيل والبغال والمراكب والحمير والجمال والطيب والتجمل والحلى ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى وخلف خارجا عن ذلك من الغنم والبقر والجواميس مايستحيا من ذكر عدّه .

وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين الف دينار ووجد في تركته صندوقان كبيران فيهما ابرذهب برسم النساء والجواري فسبحان الملك الدائم الحي القائم .

أين الملوك الذي أموالهم جمعوا　　لقد سقاهم بكاس الموت ساقيها
تلك المنازل في الآفاق خالية　　أضحت خراباً وأفنى الدهر بانيها

﴿ ترجمة أبي علي الحسن بن هاني الشاعر المشهور المكنى بأبي نؤاس ﴾
(لأنه من كني ملوك اليمن بن عبد الأوّل بن الصباح)

فاضل اليه انتهى حسن التغزل في الملاح ، وعنه أخذ حديث الوصف والتشبيه في الأبكار وكل خود رداح ، خصوصاً اذا وصف الزجاجة والراح

تفرد بمذهب الخلاعة والمجون ولا عليه في ذلك جناح . يصبيك رقيق شعره في احمر الخدود، ويسبيك انيق غزله في اسمر القدود ، ويشفيك سماع قريضه في رمان النهود، فهو على كل حال بالبلاغة والمعاني أدرى واخبر ، وحديث أدبه اشهر من ان يذكر .

(قال الاصفهاني) : وكان مولده بالبصرة ونشأ بها ، ثم خرج مع والبة بن الحباب الشاعر وبه تخرج . وقيل: ان مولده بالأهواز وانتقل منها وعمره سنتان . وامه اهوازية ، واسمها جلبان .

وكان ابوه من جند دمشق ، ثم صار من اصحاب مروان بن محمد المنبوز بالحمار ، ثم انتقل الى البصرة فتزوج جلبان واولدها عدة اولاد منهم ابو نؤاس وكان فحلا مقدماً في شعراء المولدين وله كل معنى مليح ، ومدح الرشيد واختص بالأمين وكان يهواه ، ولا يبوح بهواه خوفاً منه ، ومدائحه فيه تنبي عن ود خالص . وقال في حياة والده الرشيد فيما يتعلق بالتعشق فيه .

أصبحت صباً ولا اقول بمن ... اخاف من لا يخاف من احد
اذا تفكرت في هواي له ... مسست رأسي هل طار عن جسدي

وما احسن قوله من قصيدة :

واذا المطي بنا بلغن محمداً ... فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطىء الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

(قلت) : البيت الأول مأخوذ من اول ابيات داود بن سلم المتقدم ذكرها في قثم بن العباس . وقيل : ان قصيدته التي اولها :

يا شقيق النفس من حكم ... نمت عن ليلى ولم أنم

ليست له ، وانها من شعر والبة استاذه ، وكان يتعشق ابا نؤاس فنحله إياها .

(روى) ابو الفرج الاصفهاني عن الدعلجي غلام ابي نؤاس . ان ابا نؤاس سكر ليلة فترنم الغلام بشيء منها ، فقال له ابو نؤاس : أتدري لمن يغني بأولها ؟

قلت: لا ، قال : انا المعني بها والشعر لوالبة بن الحباب وانت اعلم . قال : فلم احدث به حتى مات ٠

(قلت) : لفظ حكم في مطلع القصيدة قرينة لانتساب ابي نؤاس الى الحكم ابن سعد العشيرة ، والقصيدة من جيد شعره وهي شهيرة ٠ وكان شيعياً وله في الامام الرضا عليه السلام الأبيات التي تقدم ذكرها عند ذكر بيعة المأمون للرضا ، وله غير ذلك في الأئمة عليهم السلام ٠ وله القصيدة الرائية المشهورة في مدح الخصيب صاحب مصر . واجاد في قوله ايضاً من اول قصيدة له وهي :

ايها المنتاب من عفره لست من ليلى ولا سمره

لا اذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

وكنت كثيراً اتوقع تحصيل بقية هذه الأبيات فأكتبها هنا للطافتها فلم يتفق لي تحصيلها ٠

وقال ابو نؤاس : رأيت النابغة الذبياني في منامي فقال لي : بماذا حبسك الرشيد ؟ قلت : بقولي :

اهج نزاراً وافر جلدتها وهتك الستر عن مثالبها

وكان ابو نؤاس يناقض الكميت ويتعصب لليمن على نزار لولاية فيهم ، قال ابو نؤاس : فقال لي النابغة اهل ذلك انت يا بن الموسمة فقد استوجبت من كل نزاري عقوبة مثلها بما ارتكبت بها ٠ قال ابو نؤاس : فقلت له : وانت بماذا حبسك النعمان ؟ قال : ببيت قلته ستره النعمان ٠ قلت : بقولك :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

قال : وهذا مستور ٠ قلت : فبقولك :

واذا لمست لمست اجثم جاثياً متحيزاً بمكانه ملء اليد

فقال : اللهم غفراً قلت : فبما ذا ؟ قال : بقولي :

فملكت اعلاها واسفلها معاً واخذتها قسراً وقلت لها اقعدي

فحدثت بهذا الحديث اليزيدي فألحقه بقصيدة النابغة .

(قلت) : قصيدة النابغة هذه وصف بها المتجردة بنت الملك زهير العبسي زوجة النعمان ملك الحيرة .

وقال ابو الحسن بن نوبخت : ما رأيت قط اعلم ولا احفظ من ابي نؤاس ولقدفتشنا منزله بعدموته فلم نجدعنده من الكتب إلا اجزأ فيه شعر ابي ذؤيب الهذلي.

(قلت) : وكان ابو نؤاس يتعشق عنان جارية الناطفي ، ودخل عليها يوماً وكانت شاعرة جميلة أديبة مغنية فقال لها :

ما تأمرين بصب تكفيه منك قطيره

فقالت :

إياي تعني بهذا عليك فأجلد عميره

فقال :

اريد هذا واخشى على يدي منك غيره

فقالت : تعست وتعس من يغار عليك . ودخل عليها مرة فقال :

ان لي . . . حميتا لونه يحكي الكميتا

لو رأى في الجو صدعاً لنزى حتى يموتا

او رآه وسط بحر لغدا في البحر حوتا

او رآه فوق سقف صار فيه عنكبوتا

فقالت :

زوجوا هذا بألف ما اظن الالف قوتا

بادروا ما حل بالمسكين خوفاً ان يفوتا

قبل ان ينعكس الد اء فلا يأتي ويوتى

فغلبته وخجل .

(قلت) : الحميت المتين من كل شيء ، والزق الصغير والزق بلا شعر ،

والكميت الذي خالط حمرته قنوة .

(وذكر الاصفهاني) : ان الرشيد كان مولعاً بعنان هذه ودفع لمولاها مائة الف دينار فأبى ان يبيعها . وكانت زبيدة تغار منها كثيراً فدست الى ابي نؤاس : انك إن قلت في جارية الناطفي شيئاً تصرف به قلب أمير المؤمنين عن شرائها فلك حكمك . فقال :

ان عنان النطاف جارية　　أصبح حرها للا . . ميدانا

ما يشتريها إلا ابن زانية　　وقرطبان يكون من كانا

فكان الرشيد يقول : قبح الله ابا نؤاس فقد نغص عليّ لذتي في عنان ومنعني بشعره عن شرائها .

(قلت) : والقرطبان ـ بالفتح ـ الديوث والذي لا غيرة له أو القوّاد .

وحكى الاصمعي قال : ارسلت الي ام جعفر : ان امير المؤمنين لهج بعنان فان صرفته عنها حكمتك ، قال : فكنت ارتقب فرصة منه أتكلم فيها بما اصرفه . فدخلت عليه مرة وهو مغضب فجلست جانباً ، فقال مالك : يا اصمعي ، فقلت : رأيت في وجه امير المؤمنين غضباً فلعن الله من اغضبه ، قال : هذا الناطفي والله لو انني لم أجر في حكم متعمد لجعلت على كل جبل منه عضواً وما لي في جاريته ارب غير الشعر والأدب . قال الأصمعي فقلت له : أجل والله ما فيها غير الشعر فهل يسر امير المؤمنين ان يجامع الفرزدق ؟ فقال : اعزب عني قبحك الله تعالى وضحك وزال غضبه وامر لي بجائزة ، واتصل ذلك بام جعفر فأجازتني . وكتبت عنان الى ابي نؤاس مع جارية لها في كفها :

زرنا لتأكل معنا　　ولا تخلف عنا

فأدخل الجارية وناكها وكتب في كفها :

نكنا رسول عنان　　والرأي فيما فعلنا

وكان خبزاً بملح　　قبل الشوى فأكلنا

فكتبت اليه :

للنيك معنى ولكن ما للتهتك معنى

فلما قرأه ضحك وجاء اليها .

فقالت له : أباقتراع تراه

فقال : بذاك كنا اقترعنا

فقالت : فما ترى في صراع

فقال : ان شئت قمنا اصطرعنا

فقالت : فارهن ما ذا عليه

فقال : الوصل نجعل رهنا

ثم قال : قومي كذا بحياتي

فقالت : طوّلت دعنا ونكنا

وقال ابو نؤاس في هجاء ابليس :

لعنة يالعين انت اختلست الناس غيظاً عليهم اجمعينا

عند ما قلت لا اطيق سجوداً لمثال خلقته رب طينا

حسداً إذ خلقت من مارج النار لمن كان مبتدا العالمينا

تهت لما ابيت في سالف الدهر وفارقت زمرة الساجدينا

ثم قد صرت في القيادة تسمى يا مجير الزناة واللائطينا

قال بعض السلف : ما دخل على ابليس شيء أضر من ابيات ابي نؤاس وهي هذه التي عاب فيها ابليس وفضحه :

وليلة قصرها طولها بالكرخ اذ متعت من خلوته

اشرب من ريقته مرة ومرة اشرب من خمرته

في مجلس يضحك تفاحه من الرياحين على خضرته

ليس يرى خلوتنا ثالث إلا الذي نشرب من خمرته

حتى اذا ألقى قناع الحيا ودارت الخمرة في وجنته
ملكني حل سراويله وكان لا يأذن في قبلته
دب له ابليس فاقتاده والشيخ نقاع على لعنته
تاه على آدم في سجدة وصار قواداً لذريته

﴿ فائدة ﴾

السراويل معرّب عند الجمهور ، وقيل عربي يذكر ويؤنث ، والجمهور على ما قلناه أولاً . واول من لبسه ابراهيم الخليل عليه السلام ، ووجد في تركة النبي صلى الله عليه وآله لباس اشتراه عثمان بن عفان بأربعة دراهم ولم يلبسه إلا يوم قتل فانه لبسه .

(وقال) ابن المعتز في شكر ابليس متهكما :

تركت هجا ابليس ثم مدحته وذاك لأمر عز عندي سلوكه
اطالب من اهواه وصلا فان أبى حكاه خيالا في الكرى فأنيكه

﴿ فائدة ﴾

يقال : ان ابليس كوسج في حنكه شعرات وهو عريان في سراويل . فان قيل كيف يرى ابليس وهو من الجن الروحانية أو من الملائكة اول حاله ؟

الجواب انه يتشكل كالسعالي والغيلان ، والذين حكوا انهم رأوا ابليس عالم فاما واحد من ذريته فروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لقد عرض لي البارحة في صلاتي شيطان فأردت ربطه الى سارية من سواري المسجد فذكرت قول اخي سليمان (رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) فأطلقته .

وقد قدمنا في ذكر بيعة المأمون للرضا «ع» ان ابراهيم بن المهدي رآه وصافحه .

قال الثعالبي في كتاب ألفه لخوارزم شاه : ان حمالا مر بسوق بغداد وعلى رأسه جرة عسل فوقعت الى الأرض وانكسرت فأقبل الصبيان يلعقونه

ويلعنون ابليس ، فتراآى لهم وقـال : يا اولاد الزنا هذا جزائي منكم إذ كسرت الجرة واطعمتكم العسل ·

وقال أيضاً فيـه : ان جماعة من النخاسين وثبوا على شيخ أعجمي فحلقوا لحيته وشاربه ثم سلطوا عليه الزنابير فلسعته حتى تورم وجهه وضاقت عيناه واحمر وجهه ثم باعوه على انه غلام تركي وقبضوا دراهمه ، فتراءى لهم ابليس وقال لهم : هذه الحيلة ما كانت في حسابي ابداً ·

ورآه ابو بكر بن دريد الامام المشهور في صورة رجل شامي وسأله عن اسمه فقال : ابو ناجية . وهذه القصة ذكرها ابن خلـكان ·

ورآه ابراهيم الموصلي في صورة شيخ ابيض اللحية عليه برنس ابيض وبيده عكاز ونادمه يومه وغنى له وحكايته مشهورة ، ولولا طولها لذكرتها ·

(قيل) : كان ابو نؤاس يهوى جنان جارية عبد الوهاب بن عبد المجيـد الثقفي البصري المحدث ـ الذي كان ابن مناذر الشاعر يهوى ابنـه وله فيه اشعار كثيرة ـ وكانت جنـان حلوة جميلة أديبة ، قيل ان ابا نؤاس لم يصدق في حب امرأة غيرها وحجت سنة فحج بسببها وقال : وهو احد الاصوات التي يغنى بها للخلفاء :

ألم تر انني افنيت عمري بمطلبهـا ومطلبها عسير

فلما لم اجد سبباً اليها يقربني واعيتني الامور

حججت وقلت قد حجت جنان فيجمعني وإياها المسير

ورآها يوماً تلطم وجهها في مأتم فقال :

يا قمراً ابرزه مـــأتم يندب شجواً بين اتراب

يبكي فيذري الدمع من نرجس ويلطـم الورد بعنـاب

ما أحلى هذا البيت :

أبرزه المأتم لي كارهاً برغم دايات وحجاب

لا تبك ميتاً حل في حفرة وابك قتيلا لك في الباب

وقال في التلبية :

إلهنا ما اعدلك ... مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك ... لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك ... ما خاب عبد سألك
انت له حيث سلك ... لولاك يا رب هلك
لبيك ان الحمد لك ... والملك لا شريك لك
والليل لما ان حلك ... والسابحات في الفلك
على مجاري المنسلك ... كل نبي وملك
وكل من أهل لك ... سبح او لبى فلك
يا مخطئاً ما اغفلك ... عجل وبادر أجلك
اختم بخير عملك ... لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك ... والحمد والنعمة لك

ففتن كل من سمعه · هكذا ذكره صاحب خير الجليس . وكان سفيان بن عيينة اذا ذكر هذه الأبيات يقول : لقد أحسن ابو نؤاس ·

وغاضبته جنان وقتاً فوجه اليها رسوله فجاوبته بما يكره فلم يخبر الرسول بما قالت وتبين ذلك ابو نؤاس في وجهه فقال :

فديتك فيم عتبك من كلام ... نطقت به على وجه جميل
وقولك للرسول اليك عني ... فليس الى التواصل من سبيل
فقد جاء الرسول به انكسار ... ووجه ما عليه من قبول
ولو ردت جنان مرد خير ... تبين ذاك في وجه الرسول

(وروى) ابو الفرج الاصفهاني ان محمد بن عمر التيمي القاضي من أيام قضائه فرأى ابا نؤاس قد خلا بامرأة يكلمها وكانت جاءته برسالة جنان فقال له : اتق الله . قال : فانها حرمتي · قال : فصنها عن هذا الموضع · فلما انصرف كتب اليه :

ان التي أبصرتني سحراً أكلها رسول
أدت الى رسالة كانت لها نفسي تميل
من ساحر العينين يجذب خصرها ردف ثقيل
فلو ان اذنك بيننا حتى تسمع ما أقول
لرأيت ما استقبحت من أمري هو الحسن الجميل

ثم وجه بالرقعة فالقيت في الرقاع بين يدي القاضي فلما قرأها ضحك وقال ان كانت رسولا فلا باس . ومن مليح غزله قوله :

أشتهي الساقين لكن قلبي مستهام باصغر الساقيين
ليس باللابس القميص ولكن القباذا المعقرب الصدغين
والذي بالفتور زينه الله وحسن الجبين والحاجبين
وثنايا كأنها نظم در تحت خال في موضع الشار بين
يكسر العين ان نظرت اليه يابلائي من كسرة العينين
يلثغ اللفظ ان حثثت لشرب في الحناء ويمسح العارضين
خرسنوه وما درى ما اخـــرسان بلبس القباء والموزجين

ذكرت هنا قول الصاحب ابن عباد في ألثغ :

وشادن ناديته ما اسمه أجابني بالغنج عياث
فصرت من لثغته ألثغاً وقلت اين الكاث والطاث

ويعجبني قول شيخ شيوخ حماة في ألثغ ايضاً :

رشأ من آل يافث طرفـــه للسحر نافث
ماله في الحسن ثان وهو للبدرين ثالث
يخطىء السين الى ثاني المثانى والمثالث
قلت عدنى بوصال قال دع عنك الوثاوث

افهم هذه الفائدة اللثغة تغيير من القاف والسين واللام والراء والتمتمة التمتم

في التاء والقيفأة في القاف واللغف ادخال حرف في حرف واياه عنى الشاعر بقوله :
كان فيه لغفا اذا نطق ، والحبسة ثقل في الكلام والمقلة اعتقال اللسان والتلجلج تقارب الحروف والحكلة نقصان آلة النطق حتى لايعرف معانيه الا باستدلال فاعرف ذلك .

وقال أبو نؤاس من قصيدة طويلة :

دع الرسم الذى دثرا يقاسى الريح والمطرا
وكن رجلا أضاع العمر في اللذات واشتهرا
ألم تر مابنى كسرى وسابور ومن غيرا
منازل بين دجلة والفرات أحفها الشجـــرا
بارض باعـد الرحمن عنها الطلح والعشرا
ولم يجعل مصائدها يرابيعـــاً ولا وحرا

اليربوع معروف والوحرة محركة وزغة تلصق باللحم فتسمه وامرأة وحرة بالتحريك سوداء ذميمة أو حمراء قصيرة .

ولكن حور غزلان تراعى بالملا بقـرا
وان شئت أخذنا الطير من حافاتها زمرا
ومنها يزيدك وجهه حسنا اذا مازدته نظـــرا

وهى طويلة ، وذكر الشيخ جمال الدين بن نباتـة في سرح العيون عن أبى نؤاس انه قال دخلت دمشق فاعطيت مؤاجراً أربعة دراهم فلما رأى متاعى استعظمه فقلت له ان أحببت فاذعن أو رد الدراهم او فاشتم معاوية قال فأذعن قال فلما اولجته فيه سمعته يقول هذا قليل في حقك ياأبا يزيد ، قال وقال له غلام متى تعطينى درهما قال اذا جرى الماء فى العود .

(قلت) مااللطف هذه التورية المجونية ويجرى الماء في العود من اثناء كانون الثانى من شهور الروم ولبعضهم في معرفة شهور الروم :

شهور الروم من نيسان قدّم ... فقي تقديمه حصل المرام
فقل كى لا ولا لا لا ولا لا ... وكى لا لا وكى لا والسلام

أشار بقوله كى الى عدد ٣٠ وبقوله لا إلى عدد ٣١ فشهر نيسان ٣٠ يوما وايار وحزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين الأول ٣١ وتشرين الثاني ٣٠ يوما وكانون الأول وكانون الثاني ٣١ يوما وشباط ٢٨ يوما وأذار ٣١ يوما .

ومن رقيق شعر أبي نؤاس قوله :

أيا قمراً تبسم عن اقاح ... ويا غصناً يميل مع الرياح
جبينك والمقلد والمحيا ... صباح في صباح في صباح

قال مؤلفه وقلت أنا من هذا المعنى :

سقتني قهوة فى جنح ليل ... وفي يدها خضاب كالمداد
فقهوتها وكفاها وليلى ... سواد في سواد في سواد

ومن لذيذ خمريات أبي نؤاس قوله :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ... وداوني بالتي كانت هى الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها ... ان مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حرفي زيّ ذى ذكر ... لها محبان لوطيّ وزناء
جاءت بابريقها والليل معتكر ... فصار من وجهها في البيت لألاء
وأرسلت من فم الابريق صافية ... كأنما أخذها للعقل اخفاء
رقت عن الماء حتى ما يلاءمها ... لطافة وخفي عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نوراً لمازجها ... حتى تولد أنوار واضواء
دارت على فتية ذل الزمان لهم ... فلا يصيبهم إلا بما شاؤا
فقل لمن يدعى بالعقل معرفة ... حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

ولم يزل أبو نؤاس مولعا بذم أرض العرب لقشفها وهو كذلك ، والطلح والعشر من نباتها والاول بارديابس ينفع الاسهال الدموي ويعرفه الاطباء بأم غيلان

وصمغه بارد رطب أو معتدل وهو بدل الكثيرا وهو يعدل الادوية الحادة وقد ينبت الطلح بغير أرض العرب .

(وأما المشر) : فقد قيل انه لاينبت بغير اليمن .

(قلت) : وهذا القول ضعيف فانه في الهند بكثرة وهو ضار مهلك ان افرط في استعماله ولا ينبغي استعماله من داخل أبداً وهو حار يابس في الرابعة يستأصل الباردين ولبنه من أصح أجزاء الكيمياء القمرية ، وتوفي أبو نؤاس في أوّل خلافة المأمون وكان منقبضا عنه لميله الى الأمين ، ورؤيت له منامات صالحة ذكرها المؤرخون عفا الله عنه بمنه وكرمه ، وجوده ونعمه .

(قلت) : ولم يسمع في أذراء حمير بمن سمي ذا نؤاس الا زرعة واسمه يوسف وهو صاحب الاخدود ويعرف بذي نواس بفتح النون وتشديد الواو وكان غلاما جميلا فبعث اليه ذو شناتر لما سمع بحسنه ليفجر به فقتله زرعة عندما خلا به وملك بعده ، وكانت حمير لاتملك من ليط به وكان هذا فعل ذي شناتر وقصده مع ابناء الملوك والله أعلم .

قال الاصمعي : دخلت مسجد الجامع بالبصرة في أيام الرشيد فاذا برجل يدور بين الصفوف بابنين له أحدهما في يمينه والآخر في شماله وهو يقول :

أيا بنى صابرا أباكما انكما بعين من يراكما

وهو الذى بمينه يرعاكما ولو يشا بفضله يرعاكما

فلم يبق أحد في المسجد إلا وبكى رحمة له وأومؤا اليه بالجلوس حتى انصرف الامام من الصلاة ثم بسطوا له ثوبا وألقوا عليه ذهبا وفضة الى مبلغ كثير فاشترى له بعد ذلك منزلا وأقام بالبصرة وكان لبيب الخاطر جيد البديهة في الشعر والنثر وكان يكنى أبا فرعون فبلغ خبره الى هارون الرشيد فامر باشخاصه الى بغداد مع البريد ، فلما مثل بين يديه قال له أنت أبو فرعون قال نعم ياأمير المؤمنين قال ألك حاجة فقال لاحاجة لي غير مدح أمير المؤمنين فقال له الرشيد لاحاجة لنا بمدحك

بل أقسمت عليك بحقي إلا ماهجوتنا ومن في المجلس وكان المجلس غاصاً بأهله من وزير وأمير وحاجب ، ورئيس ونديم وكاتب ، منهم جعفر بن يحيي البرمكي وأبوه يحيي بن خالد وأخوه الفضل بن يحيي والفضل بن الربيع وسعيد بن أسلم الباهلي وهلال النديم وأحمد بن عمران الكاتب ، ومسرور الحاجب ، وهارون الصاحب ، فقال أبو فرعون بمن ابتدىء يا أمير المؤمنين ؟ فقال له الرشيد ابتدىء بمن تريد فالتفت يمينا وشمالا وقال من هذا ؟ قال سعيد بن أسلم فأنشأ يقول :

هيهات أضرب في حديد بارد ... ان كنت اطمع في نداك سعيد
لو كنت تملك حين تملك دجلة ... وبحورها وتطير حيث تريد
او كنت تملك نيل مصر جميعه ... او حيث ينقص ماؤه ويزيد
واتاك ظمآن الفؤاد مبادرا ... بأنائه يبغي لقلت صعيـــد

فقام سعيد مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله ، فقال له الرشيد والجماعة أقعد وأرضه فانه شاعر مجاس وأرضاه ثم التفت الى الفضل بن الربيع بعد ان سأل عن اسمه وأنشأ يقول :

لسانك احلى لي من النحل موعدا ... وكفك بالمعروف اضيق من قفل
تمنى الذي ياتيك حتى اذا انتهى ... الى امل ناولته طرف الحبل

فقام الفضل مغضباً يجر سيفه ويسحب ذيله فقال له الرشيد اقعد وارضه فانه شاعر مجلس وارضاه ، ثم التفت الى احمد بن عمران الكاتب بعد ان سأل عن اسمه وانشأ يقول :

لنا كاتب مولع بالخلاف ... كثير الخطايا قليل الصواب
الج لجاجا من الخنفسا ... وازهى اذا مامشى من غراب

فقام احمد مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله فقيل له كما قيل لمن قبله فجلس وارضاه ثم التفت الى هلال النديم وسأل عن اسمه وانشأ يقول :

ألا من يشترى مني هلالا ... بصارمه وجحفته بفلس

وأشرط للذى يشريه منى ليعلم من خصال فيه خمس
فمنهن البغاء مع المكاوى وآثار الجراح وكل حلس
ويصطاد الذباب بشفرتيه ولو كان الذباب بباب فلس

فقام هلال مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله فضحك الرشيد حتى علا صوته ثم قال ياهلال اجلس وارضه فانه شاعر فجلس وارضاه ثم التفت الى مسرور الحاجب فقال من هذا قيل مسرور فأنشأ يقول :

وحاجب السوء مذموم خليقته يمشى على مثل ممعوج المراجين
وما دعوت عليه قط ألعنه إلا وآخر يتلوه بآمين
فليته كان أقصى الروم مسكنه أو كان اقصى بلاد الله بالصين

فقام مسرور مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله وانتضى سيفه وهمّ به فزجره الرشيد وقال له اجلس وارضه فانه شاعر ففعل ثم التفت الى البرامكة وكانوا قريباً من الرشيد فقال من هؤلاء فقالوا له البرامكة فأنشأ يقول :

اذا ذكر الشرك في مجلس أضاءت وجوه بنى برمك
وان تليت بينهم آية اتوا بالاحاديث عن مزدك
فمسلمهم كافر مشرك على دين شمملة المشرك

فقام كل منهم مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله والرشيد قد كثر تعجبه وعلا صوته بالضحك فقال لهم اجلسوا وارضوه فانه شاعر فأطاعوا الامر ولم يبق سوى الخليفة فاحتشم وسكت فقال له الرشيد ياأبا فرعون ألحقنى باصحابى فقال لا بل أمدحك ياامير المؤمنين فان الهجاء لايليق بك فقال له الرشيد لاحاجة لنا بمدحك أقسمت عليك بحياتى ان تلحقنى بهم فأنشأ يقول :

ياعين سحى الدمع واستعبرى قد بايع الناس لهارون
خليفة أنوك من فعله لا يعرف البعر من التين
لابدّ للاحمق من دولة أف لهذا الدين من دين

فقام الرشيد مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله وقال له ياابن اللخنا ، بلغت في الهجو إلى هنا ، فقال له الجماعة أقعد ياامير المؤمنين وارضه فانه شاعر ولا يكون المهجو معجبا حتى يكون مغضبا ، فسمع كلامهم وأمر له بمثل ماأمروا له به فانصرف وهو من اغنى الناس وهم يتضاحكون منه وينشدون شعره فقال أحمد بن عمران الكاتب صدق والله القائل ياامير المؤمنين في هـذا المعنى ألم تر الى هذا الرجل كيف أخـذ المال ولم يتعب فيه ولا اخذه بمدح بل اخذه بهجو فقال له الرشيد وما قال القائل يااحمد قال قال :

ياراكب الهول والآفات والهلكه	لاتتعبن فليس الرزق بالحركه
من غير ربك للسبع العلاء بنى	ومن اقام على ارجائها ملكه
سبحانه من لطيف في مشيئته	ادار قطبا بما قـد شاءه فلكه
اما ترى البحر والصياد منتصب	في لجـه ونجوم الليل مشتبكه
يمـد اطرافه والموج يضربه	وعقله بين عيني كلكل السمكه
حتى اذا صار مسروراً بها جذلا	للحوت اذ شك سفود الردى حنكه
غدا عليك بها عدواً بلا نصب	فصرت املك منه بالذى ملكه
لطف من الله يعطى ذا ويمنع ذا	هذا يصيد وهـذا يأكل السمكه

﴿ صورة العهد الذى كتبه النصارى بالقدس لعمر بن الخطاب ﴾

روى عن محمد بن كعب القرظى عن محمد بن حذيفة ان العهد الذى كتب لبيت المقدس وغيرها هذه صورته هذا كتاب كتبناه لك انك قدمت بلادناوطلبنا اليك الامان في أنفسنا واهل ملتنا واشترطنا على انفسنا ان لانخرب في مدينتنا كنيسة ولا فيما حولها ولا بيعة ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجـدد ماخرب من كنائسنا ولا نحمى ماكان في خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا من المسلمين ينزلونها في الليل والنهار وان نوسع عليهم في ابوابها المارين وابن السبيل ولا نؤوى فيها

ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم شيئاً من غش المسلمين على أن لا نضرب ناقوسا إلا ضربا خفيفا في جوف كنائسنا ولا نظهر الصليب عليها ولا نرفع اصواتنا بالصلاة والقراءة في كنائسنا ما كان بحضرة المسلم ولا نخرج صليبا ولا كتابا في طرق المسلمين ولا نخرج باغوثا ولا شعانين ولا نرفع اصواتنا في موتانا ولا نظهر النيران في اسواق المسلمين ولا نجاورهم بخنازير ولا نبيع الخمر في أسواق المسلمين ولا في امصارهم ولا في طرقهم ولا نظهر شركا في نادى المسلمين ولا نرغب مسلما في ديننا ولا ندعو اليه أحداً وعلى ان لا نتخذ شيئاً من الرقيق الذى جرت عليه سهام المسلمين ولا نمنع احداً من قراباتنا ان أراد الدخول في الاسلام وان نكون نلزم ديننا حيثما كنا ولا نتشبه بالمسلمين في لباس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتني بكناهم وان نجز مقادم رؤسنا ونفرق نواصينا ونشد الزنانير على أوساطنا ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله ولا نتقلد السيوف وان نوقر المسلمين في مجالسهم ونرشدهم السبيل ونقوم لهم في المجالس اذا ارادوا الجلوس ولا نطلع عليهم في منازلهم ولا نعلم احداً من اولادنا القرآن ولا يشارك احد منا مسلما في تجارة الا ان يكون الى المسلم امر التجارة وان نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة ايام نطعمه فيما يحل له من طعامنا وشرابنا شرطنا ذلك على انفسنا واهل ملتنا واعطينا بذلك الامان على انفسنا وذرارينا وازواجنا ومساكننا فان نحن غيرنا او خالفنا على ماشرطنا على انفسنا وقبلنا الامان عليه فلا ذمة لنا ولا عهد وقد احل ذلك من دمائنا واموالنا ما يحل من اهل المعاندة والخلاف والشقاق والمنابذة انتهى .

(حكاية)

مر طفيلي على خباز فقال له اعطني من خبزك هذا فقال له الخباز كم قرصاً ؟ فقال (إنما إلهكم واحد) فاعطاه رغيفاً، فقال الطفيلي (إذ ارسلنا اليهم اثنين) فاعطاه اثنين

فقال فمزنا بثالث فأعطاه ثلاثة فقال نخذ أربعة من الطير فصرهن اليك فأعطاه أربعة اقراص فقال ويقولون خمسة فأعطاه خمسة فقال وسادسهم كلبهم فأعطاه ستة فقال له الذي خلق سبع سموات طباقا فأعطاه سبعة أقراص فقال له الطفيلي ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فأعطاه ثمانيه فقال وكان في المدينة تسعة رهط فأعطاه تسعة فقال له فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فأعطاه عشرة فقاله انى رأيت احد عشر كوكباً فأعطاه احد عشر قرصا فقال له ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فأعطاه اثنى عشر رغيفاً فقال له عليها تسعة عشر فأعطاه اياها فقال له ان يكن منكم عشرون صابرون فأعطاه عشرين فقال له وحمله وفصاله ثلاثون شهراً فأعطاه ثلاثين فقال له حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة فقال له الخباز خذ القصعة كلها وما فيها لا بارك الله لك فيها فقال له الطفيلي والله لو لم تدفع الي الجميع لقلت لك وارسلناه الى مائة ألف او يزيدون .

(قيل) أم انسان بقوم وكان ظريفاً وكانوا لايطعمونه غير الخبز والكامخ فتضرر لذلك فلما تقدم للصلاة بهم قرأ في الركعة الاولى بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تطعموا امامكم خبزاً ولا كامخا بل أطعموه خبزاً ولحماً فان لم تجدوا لحماً فدجاجا فان لم تجدوا دجاجا فبيضا مقلياً فان لم تجدوا بيضاً فحوتاً لذيذاً سمينا ، ومن لم يفعل ذلك فقد خسر خسراناً مبينا ، ثم قرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة فان لم تجدوا حوتا فخبزاً وعسلا وسمنا فان لم تجدوا ذلك فثريدا ، ومن لم يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا ، فلما فرغ من الصلاة أتى اليه قومه واعتذروا اليه بما صار منهم من التقصير في حقه وانه لم يكن عندهم علم بأن الله انزل من الوصية بالأئمة في القرآن شيأ ثم سألوه عن هذه الآية في اى سورة نزلت فقال لهم في سورة المائدة .

(قيل) لما ادعت سجاح النبوة في أيام مسيلمة الكذاب قصدت حربه فاهدى لها مالا حتى أمنته وأمنها ثم جاء اليها واستدعاها وقال لأصحابه انصبوا لها قبة

ففعلوا فلما اتت اليه قالت له اعرض عليّ ماجاءك من الوحي فقال لها انى اريد ان أخلو معك حتى نتدارس فلما دخلت معه القبة قالت له اخبرني بما يأتيك به جبريل فقال لها اسمعي هذه السورة انكن معشر النساء خلقن افواجا ، وجعل الرجال لكن أزواجا ، يولجن فيكن ايلاجا ، لاترون فيه فتوراً ولا اعوجاجا ، ثم يخرجونه منكن إخراجا ، فقالت له صدقت والله انك لنبي مرسل ، فقال لها هل لك في ان اتزوجك فيقال نبي تزوج نبية فقالت له افعل مابدا لك فقال لها :

ألا قومي الى المخدع فقد هيي لك المضجع
فان شئت قلبناك وان شئت على الاربع
وان شئت بثلثيه وان شئت به اجمع

فقالت يارسول الله بل به اجمع ، فانه للشمل اجمع ، فضرب بعض الظرفاء من العرب بذلك مثلا وقال اكذب من سجاح فاقامت معه ثلاثاً واتت الى اهلها وقومها فقالوا لها كيف وجدتيه فقالت لهم انى سألته فوجدت نبوته حقاً وقرآنه صدقا وانى قد تزوجت به فقال لها قومها ومثلك يتزوج بغير مهر فقال لهم مسيلمة انى قد رفعت عنكم صلاة العشاء والصبح لاجل مهرها .

(قال) أهل التواريخ : فاقامت بعد ذلك مدة في بني تغلب ثم أسلمت وحسن اسلامها .

(قلت) ومن قرآن مسيلمة الذي يزعم انه نزل عليه لعنة الله عليه والنازعات نزعا ، والزارعات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات ذروا ، فالطاحنات طحنا والنازلات نزلا ، فالجامعات جما ، والعاجنات عجنا ، فالخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، فالآكلات اكلا ، والماضغات مضغا ، فالبالعات بلعا ، وله غير ذلك لعنه الله في كلامه ، وسود وجهه .

﴿ ذكر من ولد من الانبياء مختوناً وعدد نزول الوحي عليهم ﴾

قال الدميري في (شرح المنهاج) : الذي ولد من الانبياء مختونا اربعة عشر آدم ،

وشيث ونوح ، وهود ، وصالح ولوط ، وشعيب ، ويوسف ، وموسى وسليمان ، وزكريا ، وعيسى ، وحنظلة بن صفوان ، نبي أصحاب الرس ، ونبينا محمد المكرم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

((فائدة))

من فتح الجليل حاشية البيضاوى للشيخ زكريا قال قال ابن عادل يروى ان جبريل عليه السلام نزل بالوحي على آدم عليه السلام اثنى عشر مرة ، وعلى ادريس اربع مرات ، وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة ، وعلى نوح خمسين مرة ، وعلى موسى أربعمائة مرة ، وعلى عيسى عشر مرات ، وعلى نبينا محمد اربعا وعشرين الف مرة .

((فائدة))

عاش آدم أبو البشر عليه السلام تسعمائة وستاً وثلاثين سنة ، وعاش نوح الفاً واربعمائة وستاً وخمسين سنة ، وعاش ابراهيم الخليل مائة وخمساً وعشرين سنة ، وعاش اسماعيل مائة وعشرين سنة ، وعاش اسحاق مائة وستاً واربعين سنة ، وعاش يوسف مائة وستاً وعشرين سنة ، وعاش موسى مائة و عشرين سنة ، وعاش هارون تسعمائة وثلاثين سنة ، وعاش داود مائة سنة ، وعاش سليمان تسعمائة وست عشرة سنة وستة اشهر ، وعاش عيسى الى ان رفعه الله تعالى ثلاثاً وثلاثين سنة ، وعاش نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين سنة ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين .

(فلما) كان ثاني وعشرون من جمادى الآخره ، توكلنا على رب الدنيا والآخره ، سنة الف ومائة واثنتين وثلاثين من الهجرة الطاهره ، خرجنا من شيراز في وقت امين مأمون ، ورحلنا قاصدين كازرون .

سأطلب كل مرتبة   تقصر دونها الرتب

فان الك قد سلمت فقد   نجوت وانجح الطلب

وان اعطب فلا عجب   لكل منية سبب

فررنا على جبل العجوز ، والعجم يسمونه كوه بيره زن ، وهو جبل جاوز الافلاك وتعدى السماك وفي نصفه سمرة عظيمة ، وبه عين ماء تنحدر منه الى الارض فاذا وصلت القافلة الى الجبل تهيأت واخذت لنفسها الحذر من الاكراد البختياريه ، فانهم يقطعون الطريق بين تلك البريه وهم اشق البريه ، فلما كان سادس وعشرون من الشهر المذكور ، دخلنا كازرون بأمن وحبور .

﴿ ذكر كازرون وبحر فارس ﴾

كازرون مدينة كانت من أحسن المدائن ، كثيرة المياه والفواكه والبساتين والزهور والرياحين ، حتى كان يقال عنها انها دمياط العجم واليها ينسب الشيخ أبو اسحاق بن شهر يار الكازرونى ، وكان من أولياء الله تعالى وينسب اليها كثير من الناس ، بل وصاحب القاموس الآتى ذكره ان شاء مالك الناس ، فلما دخلتها رأيتها مدينة لطيفه ، انيسة ظريفه نزيهةشريفه ، ترابها كالكافور ، واهلها كالولدان والحور وهواؤها يشفى السقيم وشذاها يبرى الكليم ، والخير بها عميم ، ذلك تقدير العزيز العليم ، مياهها وافره ، وبساتينها عن وجه الافراح سافره ، وأشجارها مثمرة وزاهره ، وعيون أقمارها الى المحبين ناظره وبها مشمش يقال له شمس ، على أحسن منه لم تطلع الشمس ، عرفه كالمسك العاطر ، وهو بقدر الخوخ الفاخر ، وبها بطيخ في نهاية الكبر ، يبلغ وزن البطيخة مناً واكثر ، من السكر أحلى ومن العنبر أعطر وبها تين ماأحلاه ، واجوده وأذكاه ، وبها التنباك الكازرونى المشهور ، يبلغ عشرة أنواع وكسور ، وكان يباع المن إذ ذاك بثلاث محمديات وقد ينقص ويزيد في بعض الأوقات ، والمن الكازرونى ستة عشر رطلا بالمكى ، وبالاصفهانى أى الشاهى اثناعشر رطلا ، والتبريزى ستة أرطال بالمكي ، فأقمنا في الخان ثلاثة أيام ، مع أهلها في عز واكرام ، فلما كان غرة رجب الفرد الاصب ، خرجنا من كازرون النضيرة ورحلنا الى زيره .

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

ففي ثامن الشهر أتينا على قرية صغيرة تسمى خشت تحت جبل شاهق يقال له النرجسي وأهل هـذه القرية في غاية من الكرم ، والجود والهمم ، وبهذه القرية دجاج ماله حدٌ ، ولا يحصيه عـد ، وفي عصر ذلك اليوم صعدنا جبل النرجسي المذكور فرأيناه جبلاً في نهاية الطول وقد كسي بأثواب النرجس الغض ، طولا في عرض ، والنرجس متراكم فيه البعض على البعض فلهذا سمي بالنرجسي وبه من انواع الاقحوان أشكال وألوان ، وفي ثالث الشهر المذكور دخلنا زيره ، فرأيتها قرية صغيرة وبها نخيل كثيره ، غير ان ماءها فيه الملوحة لقربه من بحر فارس ونزلت بدار الجناب الكريم ، الجليل الشهيم ، الحاج علي بن ساباط المشهدي فأنزلني بداره المباركة منزلا مباركا ، لانه كان رجلا مباركا فلما كان سادس الشهر ، توكلنا على من أنزل الفرقان والذكر ، ورحلنا من زيره الى بندر أبي شهر ، فأقمنا سابع الشهر بالرود خانه أي قنطرة الماء غير ان ماءها مالح لايكاد يشرب ، وعلى الماء طاحون مركب يدور بقوة الماء فيطحن شيأ كثيرا من الحب ، فلما أسفر صبح ثامن شهر رجب دخلنا بعون رب الشفع والوتر إلى بندر أبي شهر ، وهو بندر صغير على ساحل بحر فارس .

﴿ فائدة ﴾

بحر فارس يسمى البحر الاخضر ، وهو شعبة من بحر الهند الاكبر ، وهو بحر مبارك السالك فيه كثير قال أبو عبد الله الصيني خص الله تعالى بحر فارس بمزيد الخيرات ، وكثرة البركات ، ويوجد فيه مغاص اللؤلؤ الذي لايوجد مثله في بحر الهند وفي بعض جزائره معادن اليواقيت ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس ويوجد ببعض جزائره معدن العقيق ايضا ، ويوجد فيه اصناف العطر والافاويه ،

ومن جزائره جزيرة لنكالوس ، وتسمى لنكالبوس ، وكنجالبوس ، وهما اسمان لحكيمين من الفرس ، وبهذه الجزيرة امم كثيره ، عراة الابدان بيض الالوان ، الرجال والنساء والصبيان ، وربما استتر النساء بورق الشجر ، وطعامهم السمك والموز والنارجيل ويوجد عندهم معدن الحديد وتجلبه التجار ، من هناك الى سائر الاقطار ومن جزائره جزيرة بالقرب من جزيرة اطوران ، وهي جزيرة كروضة من الجنان ، ذات أنهار وأشجار وثمار وأزهار ، وبها أمم ابدانهم كابدان بنى آدم ورؤسهم كرؤس السباع .

(يحكى) عن ذى القرنين انه نزل بهذه الجزيرة فوجد في وسطها نهراً شديد البياض وبشاطئه شجرة عظيمة وفيها ثمار مختلفة الطعم واللون وهى أحلى من العسل وأرطب من الزبد ورائحة أوراقها اطيب من رائحة المسك وهذه الرائحة تسير مسير الشمس وترتفع من الزوال شيئاً فشيئاً حتى تغرب الشمس فتذهب تلك الرائحة فأراد الاسكندر ان يحمل مايقدر عليه من اوراقها فبعث من اصحابه من يقطف له ذلك فلما ارادوا قطفها لم يشعروا إلا وقد ضربوا ضرباً موجعاً ولم يروا من ضربهم وظهر على بدنهم آثار الضرب بالسياط ولم يظفروا من هذه الشجرة بورقة واحدة فرجعوا واخبروا الاسكندر بذلك فرحل عن تلك الجزيرة وهو متعجب من هذا الأمر .

(ومن جزائره) جزيرة العباد يقال ان الاسكندر دخلها فوجد فيها جماعة قد انحلتهم العبادة فسلم الاسكندر عليهم فردوا عليه السلام فقال لهم كيف حالكم في هذا المكان؟ قالوا نتقوت مما رزقنا الله من السمك ونبات الارض ونشرب من هذه الغدران فقال لهم الاسكندر الا انقلكم الى مكان احسن من هذا قالوا ومانصنع به فان عندنا في هذه الجزيرة من القوت مايكفينا حتى نموت ثم قالوا له انطلق معنافأتوا به الى محل فيه اصناف الاشجار ، والزهور والثمار ، ومما لايوجد مثله عند سائر ملوك الاقطار ، ورأى في ذلك الموضع انواع الجوهر ، واقسام الياقوت الأحمر ، والأزرق والأبيض والأصفر ، واصناف الفضة والذهب الكسر ، لايحصى ذلك حصر

فقالوا للاسكندر هل تمضي بنا إلى مكان احسن من هذا المكان ، فقال لا والله فقالوا له ان هذا بين ايدينا ولم نلتفت اليه واخترنا معيشتنا هذه الى ان ينقضي العمر فانصرف الاسكندر من عندهم وهو متعجب من امرهم وصار يحكي عنهم ما شاهد من احوالهم .

ومن عجائب هذا البحر الاخضر حيوان يطلع من الماء الى البر فتخرج من منخريه شعلة نار تحرق ماحوله من الزرع والحيوان وغير ذلك ومنها سمكة طيارة تطير بالليل الى البر فلم تزل ترعى مآتراه من الزرع الى ان تطلع الشمس فتعود الى البحر وتختفي فيه ، وفي هذا البحر موضعان احدهما يسمى العوير والآخر يسمى كشير وهما موضعان قل ان يسلم المركب فيهما من الغرق .

واما بحر عمان فادته من بحر فارس وهو بحر كثير العجائب والجزائر ، وفيه مغاص اللؤلؤ الفاخر ، وكانت به جزائر مشهوره ، اكثرها مسكونة معموره ، وسكان بندر ابي شهر اخلاط من عرب وعجم وبحارنه ، غير ان غالبهم لديه المروه ، والاريحية والفتوه ، واما نساء هذا البندر فزيهن غريب ، ولبسهن عجيب ، يمشين حفاة بلا سراويل ، وذيل ثوبهن من امامهن قصير ومن خلفهن طويل ، وربما يبلغ طول ذيلهن من خلف ثلاثة اذرع واكثر ، فاذا اقبلت احداهن ترى خلفها من سحب ذيلها عجاجا اكدر ، وبهذا البندر بطيخ لاله نظير في الاقطار ، احمر كالجلنار طعمه كالسكر الحالي ، وعرفه كالعنبر الغالي ، ونزلت بقرب دار الجناب المكرم ، والرئيس المقدم ، الاقدس الاطهر ، الملا محمد علي الشاه بندر ، فأضافني بداره دار السعد والفرح ، واذهب عن قلبي بحسن خلقه سائر الهم والترح ، وزرت هناك مقام الخضر عليه السلام ، بعون الملك العلام ، واجتمعت بالشيخ الابر ، والغطريف الهزبر ، من احاديث كرمه في تلك الاقطار مشتهره ، الشيخ رحمة الله شيخ العرب المهره ، أيد الله دولته ، وقوى عزمه وصولته :

يا كرام النفوس سرتم كراما ليس في الناس بعدكم من فتوه

أحسن الله في الوفاء عزاكم عظم الله أجركم في المروة

اعلم انه لم يقع اسم الفتوة على يوسف الصديق عليه السلام ، حتى خالف النفس والشيطان و تجنب الحرام ، وما وقع اسم الفتوة على ابراهيم عليه السلام ، حتى كسر الاصنام و كذلك أصحاب الكهف ماوقع عليهم اسم الفتوة حتى أقبلوا على الرحمن واعرضوا عن الكفر والعصيان قيل الفتى هو الشجاع الشهم وقيل الفتى من استوى ظاهره وباطنه وقيل الفتى حسن الاخلاق وقيل الفتى الذي لايشكو حاله الى أحد وقيل الفتى من جاد في السراء والضراء.

(وقال بعضهم) تمشيت في شوارع مصر فرأيت داراً مكتوبا على بابها هذه الأبيات :

منزلنا هذا لمن حله نحن سواء فيه والطارق
فمن أتانا فيه فليحتكم فانه في حكمه صادق
يملك منا كل مايشتهى إلا الذى حرمه الخالق
لا تحذر الفاقة من ربنا فانه المانع والرازق

قال فدخلت تلك الدار و كنت جائعا فاذا بمائدة منصوبة وعليها من جميع الاطعمة الفاخرة قال فجلست وأكلت حتى شبعت قال فخرجت الى جارية سوداء فأفاضت على يدي ماء فغسلت ثم بسطت يدى لأدعو لهم فقالت الجارية لاتدع ياسيدي فان الدعاء كالعوض والفتى لايطلب عوضاً على معروفه قال فتعجبت من ذلك وخرجت فسألت عن صاحب الدار فقيل لي هذا رجل يتيم مات أبوه ووصاه بذلك فهذا ديدنه في كل يوم .

﴿ حكاية ﴾

قال الشبلي رضى الله عنه : رأيت امرأة في الطواف وهى تقول هذا بيت ربى هذا بيت محبوبى هذا بيت من أقلقنى شوق اليه ثم وضعت خدها على البيت

وأنشأت هذه الابيات :

الشوق حيرني والشوق طيرني
والشوق أسعدنى والشوق أقلقنى
والشوق أبعدنى والشوق قربنى
والشوق قيدني والشوق أطلقنى
والشوق هيمني والشوق تيمنى
والشوق أرقنى والشوق أحرقنى

قال فقلت لها أنت مشتاقة الى ربك قالت لا فان الشوق يكون الى غائب وأنا مولاى حاضر ان قلت سمع وان أخفيت علم وهو معكم اينما كنتم ثم غابت عنى فلم أرها

أعد على سمعي حديث الحب فان فيه راحة لقلبي
وصح ونادى باسم من أحبه مصرحا فهو شفاء كربى
واتل عليّ معلناً كلامه فهل ألذ من كلام الحب
فقرى به غنى وكسر خاطرى جبر به وفي بمادي قربى
ان أنكروا أقاربي محبتي خرجت عن أقاربى وصحبي
يافقرا فيه اخلعوا عذاركم تحركوا هب نسيم القرب

اعلم أن القرب على ثلاثة أقسام قرب الحق جل وعلا ، وقرب الرحمة ، وقرب العقوبة ، فقرب الحق قوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، وقرب الرحمة قوله تعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين) وقرب العقوبة قوله تعالى (ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فقرب العقوبة للكافرين ، وقرب الرحمة للمحسنين) وقرب المولى للعارفين

(حكاية)

قال ابراهيم الخواص رأيت مملوكا بالبصرة والناس حوله والمنادي ينادى عليه من يشترى هذا المملوك بثلاثة عيوب لاينام الليل ولا يأكل النهار ولا يتكلم مع

أحد قال ابراهيم فدنوت منه وقلت له هل ترى في أن اشتريك فقال هو يفعل مايريد فقلت له أراك عاقلا عارفاً بالله تعالى فقال لي ياابراهيم لو عرفت الله مااشتغلت بغيره ولا ميزت بين العارف والمنكر قال ابراهيم الخوّاص فعلمت أنه من الخواص فقلت لسيده بكم هذا العبد فقال بمهما شئت فانه مجنون موله مثلك ولا يشترى المجنون إلا المجنون فقال له من أين علمت أنى مجنون قال لانك سلكت الطريق التي أنا عليها وأراك في السحر واقفا على باب الحبيب فقلت له فاذا كان الامر كذلك فلم تبيع هذا الغلام قال غيرة على الحق سبحانه وتعالى فانى أناجيه بالاسحار فيقوم معى فيناجيه ورأيت منزله عنده فأردت بيعه كى لاأراه على باب محبوبى قال ابراهيم فدفعت له جميع ماأملك في تلك الساعة وأخذت الغلام فرفعت رأسى الى السماء وقلت الهى وسيدى قد أعتقته لوجهك الكريم قال فالتفت الىّ وقال ان كنت أعتقتنى لوجهه الكريم ، فقدأعتقك الله من الجحيم ، امدد يدك فمددت يدىفأخذها وقال لي غمض عينيك فغمضتها فخطى بى ثلاث خطوات ثم قال لي افتح عينيك ففتحتها فاذا أنا عند الكعبة ثم غاب عنى فلم أره رضى الله عنه .

ألا لله في الدنيا رجال أطاعوه وإياهم أطاعا
فهم أوتادها شرقا وغربا تراهم في الورى شمًّا جياعا
وان أحد دعا منهم بعزم على جبل لسار له وطاعا

(وحكى) عبد الواحد بن زيد قال اشتريت غلاما فلما جن الليل طلبته فلم أجده في دارى فافتقدت الابواب فوجدتها مغلقة فلم أنم تلك الليلة الى الصباح قال فنظرت واذا به واقف في الدار فقلت أين كنت البارحة فناولنى درهما مكتوبا عليه سورة الاخلاص فقلت له من أين لك هذا فقال ياسيدي لك علىّ في كل ليلة مثل هذا على أنك لاتشغلنى بالليل قال فكان يغيب عنى كل ليلة ويأتيني بذلك الدرهم فلما كان بعد أيام جاءنى فى البيت أقوام فقال بعضهم ياعبد الواحد غلامك هذا نباش القبور قال فأخذتنى الحمية اذ ذاك وقلت لهم أتبعه في هذه الساعة قال فلما هجعنا

لحظة وإذا به قد قام ليخرج فتبعته فلما وصل الى الباب انفتح بلا مفتاح ثم أشار اليه فانغلق حتى فعل بالثانى والثالث كذلك وأنا اتبعه ثم سار وسرت في اثره وهو لايعلم بى حتى أتينا على ارض ملساء فنزع ماكان عليه من الثياب ولبس جبة صوف ووقف يصلي الى طلوع الشمس ثم رفع يده بالدعاء فقال في آخر دعائه ياسيدى أنعم برسمي فاذا بدرهم قد سقط في حجره من الهواء فأخذه وجعله في جيبه قال فتحيرت في أمره وقلت أستغفر الله مما قد صار وخطر ببالي ونويت أن اعتقه وبقيت مفكراً فيه فغاب عنى ولم أره فبينما أنا كذلك واذا بفارس قد أقبل الي وسلم علي وقال لي آتدري اين انت فقلت لاعلم لي فقال لي بينك وبين بلدك مسيرة سنة للراكب المجد فاجلس في مكانك الى الليل فان عبدك يأتيك على عادته فسر معه قال فأقمت هناك إلى الليل واذا بالغلام قد أقبل ومعه طبق فيه طعام وقال لي كل ياسيدى لم أتعبت نفسك وفعلت هكذا قال ثم تركني وقام يصلي فلما كان وقت السحر التفت الي وقال ياسيدي لاتعد الى سوء الظن وأخذ بيدى وقال قم ياسيدى الى بلادك فقلت نعم فخطى بي ثلاث خطوات فاذا انا في بلادى فقال ياسيدى هل لك ان تعتقني فقلت له انت حر لوجه الله تعالى قال فأخذ حفنة من التراب فوضعها في حجرى وغاب عنى فلم اره فدخلت منزلي فوجدت في حجرى دنانير لم يضربها الضراب بل قال لها كوني فكانت رب الارباب ، قال فتأسفت على فراقه واذا بالقوم قد اتوني وقالوا لي مافعلت بنباش القبور فقلت ذلك نباش النور لانباش القبور قالوا وكيف ذلك فأخبرتهم بخبره فندموا على فراقه وتابوا إلى الله تعالى مما خطر ببالهم في حقه رضى الله عنه :

هواك في مهجتي مقيم وليس يخفاك ياعليم
بالله صلنى ففى فؤادى نار بها عهدك القديم
فكم هام فيك المشوق وجدا ماذا بأحشائه تروم
وصلك قصدى به اغتني فلست اصغي لمن يلوم

قال الحكيم الشيخ داود في تذكرته ، واعلم ان تفاضل الانفس ليس إلا بقدر تحصيلها من العلوم التي يظهر بها التفاوت في القيم ، وذلك بمقدار ترافع الهمم واذا كان العلم اقصى من ان يحاط به جملة وتفصيلا ، ويستقصى اصلها عدداً وتحصيلا فلا غرو ان تجب المنافسة فيها في الانفس الموصلة للنوع الى الجناب الاقدس ، وعار على الناطق المميز ان يطلب رتبة دون الرتبة القصوى ، فما بال المؤثر عليها وصال علوى وحزوى .

لاحب علوى وذات الخال يشغلني عنها ولا نائبات الدهر تلويني
ولا تنثني عن سعي لمنزلهـــا نوائب ذات تغيير وتلوين

(قال) ابو حاتم ان ابا الجبر الكندي اسمه وكنيته واحد وكان ملكا من الملوك شديد البأس فخرج الى كسرى يستجيشه على قومه فأعطاه جيشا من الاساورة فلما بلغوا كاظمة ونظروا الى بلاد العرب قالوا اين يمضى بنا هذا الرجل فعمدوا الى سم فرفعوه الى الطباخ ووعدوه بالاحسان اليه فألقاه في احب الالوان اليه فلما استقر في جوفه اشتد وجعه فلما علموا بذلك قالوا له ايها الملك قد بلغت الى هذه الغاية فاكتب لنا الى الملك بأنك قد اذنت لنا فكتب لهم فرجعوا فخف مابه فخرج الى الطائف الى الحارث بن كلدة الثقفي وكان طبيب العرب فداواه فبرىء وارتحل يريد اليمن فنكس فمات في الطريق فقالت عمته كبشة ترثيه :

ليت شعرى وقد شمرت ابا الجبر بماذا القيت فى الترحال
أعطت بك الركاب ابيت اللعن حتى حللت بالاقتال
اشجاع فانت اشجع من ليث عموس السرى ابى الاشبال
اجواد فانت اجود من سيل تداعى من مسيل هطال
اكريم فانت اكرم من ضمت حصان ومن مشى في النعال
انت خير من الف الف من القوم اذا ما كبت وجوه الرجال
انت خير من عامر وابن وقاص وما جمعوا ليوم المحال

(قولها) تمطت امتدت ، ابيت اللعن كلمة تحيء بها العرب للملوك ومعناها ابيت ان تأتى ماتلعن عليه قال النابغة الذبياني :

اتاني ابيت اللعن انك لمتنى وتلك التي تصطك منها المسامع

والاقتال جمع قتل وهم الاعداء ، والليث الأسد ، والهموس الخفى المشى ، والسرى سير الليل ، والاشبال جمع شبل ، وهو ولد الاسد ، وتداعى أتى متتابعاً كأن بعضه دعا بعضا والمحال المكر والخديعة ، وكب سقط .

(قيل) ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندى وقيس هو ابن معد يكرب وهو المسمى بالاشج ولاه الحجاج على سجستان فخلع الحجاج وخالفه واتبعه أهل العراق وقراؤهم وعلماؤهم كالشعبي وسعيد بن يسار وغيرهم فغلب على البصرة والكوفة وقاتل الحجاج زمانا ثم انهزم الى رتبيل ملك الترك فبذل له الحجاج أموالا كثيرة فغدر به رتبيل واسلمه اليه فلما سارت به الرسل باتوا ذات ليلة على سطح حصن مرتفع وكان قد قرن الى رجل من بنى تميم في سلسلة فلما كان في بعض الليل قال للتميمى قم معى لأبول فلما قام معه أشرف من السطح الى الارض فقال التميمي وما تريد أيها الامير قال له الساعة اعلمك ثم رمى بنفسه هو والتميمى فماتا جميعاً وحمل رأسه الى الحجاج .

قرأنا وسمعنا زماناً طويل فلم نستفد غــير قال وقيل

﴿ ترجمة الشيخ فتح الله بن النحاس نزيل المدينة المنورة ﴾

ترجه في سلافة العصر العلامة المؤرخ ، بليغ الزمان ، السيدعلي خان ، فقال وأبدع في البيان ، ناظم قلائد العقيان ، وفاضح نغمات القيان ، الشاعر الساحر ، والباهر بما هو ألذ من الغمض في مقلة الساهر ، فهو صائغ ابريز القريض وان عرف بالنحاس ، ومسترق حر الكلام فما أشعار عبد بني الحسحاس ، والمبرز في الادب على

من درج ودب ، وحسبك ان لقبه الادباء بمحك الذهب ، ولو لم تكن له إلا حائيته التي سارت بها الركبان ، وطارت بشهرتها خوافق النسور وقوادم العقبان ، لكفته دلالة على اناقة قدره ، واشراق شمسه في سماء البلاغة وبدره . وله ديوان شعر لم أره ولكني سمعت خبره ، وقصيدته المشار اليها هي قوله مادحا الامير محمد بن فروخ أمير حاج الشام :

بات ساهي الطرف والشوق يلح ... والدجى ان يمض جنح بات جنح
فكأن الشرق باب للدجى ... ماله خوف هجوم الصبح فتح
يقدح النجم لعيني شررا ... ولزندالشوق في الاحشاء قدح
لا تسل عن حال ارباب الهوى ... ياابن ودى مالهـــذا الحال شرح
لست أشكو حرب جفني والكرى ... ان يكن بيني وبين الدمع صلح
انما حلى المحبين البكا ... أى فضل لسحاب لايسح
ياندا ماى وأيام الصبـا ... هل لنا رجع وهل للعمر فسح
صبحتك المزن مني منزلا ... كان لي فيه خلاعات وشطح
حيث لي شغل بأجفان الظبا ... ولقلبي مرهم منها وجرح
كل عيش ينقض مالم يكن ... مع مليح مالذاك العيش ملح
وبذات الشيح لي من عالج ... وقفة أذكرها مااخضر طلح
حيث منا الركب بالركب التقى ... وقضى حاجته الشوق الملح
لاأذم العيس للعيس يـد ... في تلاقينا وللاسفار نجح
قربت منا فا نحو فم ... واعتنقنا فالتقى كشح وكشح
وتزودت شذى من مرشف ... بفمي منه الى ذا اليوم نفح
وتعاهدنا على كاس الطلا ... أنني مادمت حياً لست أصحو
يا ترى هل عند من قد رحلوا ... ان عيشى بعدهم كد وكدح
كم اداوى القلب قلت حيلتي ... كلما داويت جرحا سال جرح

ولكم ادعو ومالي سامع فكأني عندما ادعو اج
حسنوا القول وقالوا غربة انما الغربة للاحرار ذبح
اشتكي برح الجوى ان لم ارى كابن فروخ فتى لم يشك برح
ابن من كان لعاب سيفه ماله إلا باعلى القرن مسح
فاذا قيل ابن فروخ اتى سقطوا لو ان ذاك القول مزح
كل من اسهره من رعبه نومه اليوم بظل السيف سدح
بطل لو شاء تمزيق الدجى لأتاه من عمود الصبح رمح
بأبي افدى اميرى انه صادق القول نقي العرض سمح
كل ما قد قيل من ترجيحه في الندى اوفي الوغى فهو الاصح
كم طروس بالقنا يكتبها وسطور بلسان السيف يمحو
يا عروس الخيل والسيف له من قراع الخيل والابطال صدح
يارحاة الحرب والخيل لها في حياض الموت بالفرسان سبح
حط سيف الجود في حظى الذى هو كالدهر يمنى ويشح
وانتقدنى واتخذنى بلبلا صدحه بين يدى علياك مدح
طالع الادبار مالي وله ان يكن من كوكب الاقبال لمح
كل بيت في العلى انحته من نضيد الدر والياقوت صرح
ناطق عنى بالفضل الذى ان يبارى فله في الفوز قدح
بقواف كسقيط الطل او انها من وجنات الغيد رشح
خلقت طوع يدى كيما ترى لا كمن يتبعها وهو يبح

يقول مصنف هذا الكتاب ، غفر الله له وعليه تاب ، رايت كثيراً من اهل الفصاحه قد جالوا في هذا المضمار ، وعارضوا هذه القصيدة لكنهم لم يلحقوا منها ولا الغبار ، فدعتنى نفسى الى الجولان ، والمبارزة معهم في هذا الميدان ، فانه لا يبرز اليه إلا الشجاع لا الجبان ، وان لم يكن لي في هذا الميدان مع هؤلاء الفرسان

نباتاً ولا مجالا، غير اني اقول شعراً :

واذا ماخلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

فقلت مادحا بها سيدنا احمد بن امام اليمن المتوكل على الله رب العالمين بمدينة تعز المحمية وذلك في عام ألف ومائة واربعة واربعين .

جاءكم نصر من الله وفتح وسعادات واقبال ونجح
فاحمد التواب واستغفر تجد لطفه يأتيك كالغيث يسح
ثم سبحه وعظم قدره انه يثبت ماشاء ويمحو
ولك البشرى بملك شامخ وبعز باذخ مافيه كدح
سوف ينحاز اليك الملك والعهد بالامر فلي في ذاك لمح
جدكم سطره في جفره لم يصبه قط تغيير ومسح
سوف تنقاد لك الدنيا بما تبتغي فاتبع طريق الخير واسمح
ويعيش الناس عيشا مخصبا ويروق الملك بالامن ويصحو
فاصنع المعروف واعدل في الورى واغتنم مادام في الآجال فسح
ان اكن أبق لذا الوقت الذي قلته في فالكم وهو الاصح
فلي الفرحة طير السعد قد جاءني يشدو له شجو وصدح
ياصفي الدين يارب الندى والهدى يامن له حمد ومدح
جئت بالبشرى لكم من طيبة طيبها بالقرب يأتيكم وتفح
قل لحسادك موتوا واخسؤا لا يظنوا أن هذا القول مزح
واحتكم فالصدق في قولي ولا تخش ضيما فلباب الله فتح
هكذا أخبرنا خير الورى من له في بحر علم الجفر سبح
أنت حقاً أحمد الاسماء والوصف والافعال لايشنيك قبح
أنت سيف الملك قهار العدا أنت ليث الحرب غوث الكرب سمح
أنت في يوم الوغى ليل وفي يوم ماتعطى المطايا أنت صبح

أنتمو بحر الرجا سفن النجا مدحكم ياذا الحجا فيض ورجح
من يواليكم بصدق ووفا واعتقاد لم ينله قط برح
بل ينال الخير والحسنى وكم من أياد لك بالنعما تسح
ياعقيد الخيل حقاً عندما شعلة الحرب لها وهج ولفح
ياهزبرالحرب يامن شهدا لك في الهيجاء بتار ورمح
وكذا يوم العطايا يشهدا لك يابحر السخا فضل وفتح
يامنيع الجار ياحامي الحمى ياشجاعا آية الطاغين يمحو
ياكريم الاصل يامن فضله قط لايحصره متن وشرح
بكم حقاً تعز قد زهت وبها أزهر نسرين وأقح
وسيزهو بك تخت الملك ان شاء ربي فله جود ومنح
ياجميل الوصف يامن كل ما قيل في أوصافه فهو الاصح
أمرض الدهر فؤادي بالنوى وندا كم لمريض الدهر صح
فانظروا عطفاً لمشتاق لكم بات ساهي الطرف والشوق يلح
وانجدوني سيدي من غربة ليس فيها للكريم الحر ربح
وانفحوني نفحة أغنى بها عن سؤال من لئيم فيه شح
فقديما قيل بيت مفرد هو حقا عند ذي الآداب صرح
سيدي طال اغترابي فعسى لغراب البين من جدواك ذبح
فاولني المعروف ياكنز العطا واصطنعني أنت للعافين نجح
وابق واسلم في المعالي مالكا لزمام الملك ماأبلج صبح
وقرا الشاعر في حضرتكم جاء كم نصر من الله وفتح

﴿ رجع الى الشيخ فتح الله بن النحاس ﴾

وقال رحمه الله تعالى :

رأى اللوم من كل الجهات فراعه فلا تنكروا اعراضه وامتناعه

ولا تسألوه عن فؤادي فانني علمت يقينا انـه قـد أضاعه
له الله ظبيا كل شيء يروعه فيا ليت لي شيء يزيل ارتياعه
وياليته لو كان من أول الهوى أطاع عذولي واكتفينا نزاعـه
فما رشنا بالسوء إلا لسانه وما خرب الدنيا سوى ماأشاعه
أشاع الذى أغري بنا السن العدا وطير عن وجه التغابي قناعـه
واصبح من اهوى على فيه قفله يكتم خوف الشامتين اقنجاعـه
وآلى على ان لااقيم بأرضه فأحرمني يوم الفراق وداعـه
فرحت وسيرى خطوة والتفاتة الى فائت منه ارجي ارتجاعـه
ذرعت الفلا شرقا وغربا لاجله وصيرت اخفاف المطى ذراعه
فلم تبق ارض ماوطئت بساطها ولم يبق بحـر مارفعت شراعـه
كأني ضمير كنت في خاطر النوى احاط به واشي السرى فأذاعـه
اخلاى من دار الهوى زارها الحيا ومـد اليها صالح الغيث باعـه
بعيشكم عوجوا على من اضاعني وحيوه عنى ثم حيوا رباعـه
وقولوا فلان اوحشتنا نكاتـه وما كان احلى شمره وابتداعـه
فتى كان كالبنيان حولك واقفا فليتك بالحسنى طلبت اندفاعـه
أبحت العدا سمعا فلا كانت العدا متى وجدوا خرقا أحبوا اتساعه
فكنت كذى عبد هو الرجل والعصا تجنى بلا ذنب عليه فباعـه
لكل هوى واش فان ضعضع الهوى فلا تلم الواشي ولم من أطاعـه
اذا كنت تسقي الشهد ممن تحبه فدع كل ذي عذل يبيع فقاعه
وقولوا رأينا من حمدت فراقـه ولم ترنا من لم تذم اجتماعه
وانى الذي كالسيف حدا وجوهرا كمن رام يبلو ضره وانتفاعـه
وما كنتما إلا يراعا وكاتبا فمـل والقى في التراب يراعـه
فان اطرق الغضبان اوخط في الثرى فقولوا فقد القى اليكم سماعـه

وقد قلت انا : معارضا ومتطفلا على واسع فضله ، ومادحا من غمرني بجميل فعله :

خليليّ مابالى أرى حبل همتي اذا رمت وصلا فيه أبدى انقطاعه
وما ذاك إلا ان دهرى أضاعنى وكم من عزيز النفس مثلي اضاعه
أما من فتى في الناس يوصل حبله بحبلى اذا ماالدهر قصر باعـه
بلى مالهذا الخطب والله منجد اذا مازمانى سر حالي أذاعـه
سوى عمر المدعون طال بقاؤه وأحيا بسحب الخير ربى رباعـه
وابقاه لي في عـزة ورياسة وسعد وأعلى قـدره وارتفاعه
فقولا له يامن تفرد بالسخا وحسن ربى خلقه وطباعـه
بحقك لاتغفل فديتك عن فتى رأى اللوم من كل الجهات فراعه
وأوليه معروفا جميلا فانه وعيشك ماء الوجه ماقط باعـه
وان كان دهرى صارعنى معرضا فلا تنكروا اعراضه وامتناعـه
فان الفتى المدعون ذخرى وعمدتى وكهفى اذا ماالدهر قلبي أراعه
حماه اله العرش من كل غاشم وأسمى بخير صيته وأشاعـه

﴿ رجع الى ذكر ابن النحاس ﴾ وقال رحمه الله تعالى مضمنا :

لايدعي بدر لوجهك نسبة فاخاف ان يسوّد وجه المدعى
والشمس لو علمت بانك دونها هبطت اليك من المحل الارفع

﴿ تنبيه ﴾ قال صاحب السلافة رحمه الله تعالى لحت بقولي في أول الترجمة فما اشمار عبد بنى الحسحاس الى قوله .

اشعار عبد بنى الحسحاس قمن له يوم الفخار مقام التبر والورق
ان كنت عبداً فنفسى حرة كرما أو أسود اللون انى ابيض الخلق

وعبد بني الحسحاس هذا اسمه سحيم ، وقيل حية والأول أشهر كان عبداً أسود نوبيا أعجمياً مطبوعا في الشعر اشتراه بنو الحسحاح فنسب اليهم وهم بطن من بني أسد وقد ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ويقال انه صلى الله عليه وسلم تمثل

بكلمة من شعره غير موزونة وهي كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا ،فقال له أبو بكر رضى الله عنه انما قال الشاعر ، كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ، فجعل لايطيقه فقال أبو بكر اشهد انك رسول الله ، وما علمناه الشعر وما ينبغى له ، ويقال انه أنشد عمر رضى الله عنه قوله :

عميرة ودع ان تجهزت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر لو قلت شعرك كله مثل هذا لاعطيتك عليه ، وعن محمد بن سلام قال كان عبد بنى الحسحاس حلو الشعر رقيق الحواشي وفي سواده يقول :

وما ضر أثوابي سوادى وانني لكالمسك لايسلو عن المسك ذائقه

كسيت قميصاً ذا سواد وتحته قميص من الاحسان بيض بيانقه

وعن أبى مسهر قال اخبرنى بعض الاعراب ان أول ماتكلم به عبد بنى الحسحاس من الشعر انهم أرسلوه رائدا فجاء وهو يقول :

انعت غيثا حسنا نباته كالحبشى حوله بناته

فقالوا شاعر والله ثم نطق بالشعر بعد ذلك .

وحكى محمد بن سلام قال اتى إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه بعبد بني الحسحاس ليشتريه فاعجب به فقيل انه شاعر وارادوا ان يرغبوه فيه فقال لاحاجة لي فيه اذ الشاعر لاحريم له ان شبع شبب بنساء اهله وان جاع هجاهم فاشتراه غيره فلما رحل به قال في طريقه :

اشوقا ولما تمض لى غير ليلة فكيف اذا سار المطي بنا شهرا

وماكنت اخشى مالكاان يبيعني بشيء ولو كانت انامله صفرا

اخوكم ومولاكم وصاحب سركم ومن قدثوى فيكم وعاشركم دهرا

فلما بلغهم شعره هذا رثوا له واستردوه وكان يتشبب بنسائهم حتى قال :

ولقد تحدر من جبين فتاتكم عرق على متن الفراش وطيب

قال : فقتلوه ، والله اعلم .

﴿ من كلام ابن حبيب في نسيم الصبا في وصف جارية ﴾

تاقت نفسي إلى زيارة بعض الاخوان فسرت اليهم مشمراً فضل الأردان ، في ليلة قد سما قدرها ، وتجلى على السماء بدرها ، فلما وصلت اليه ، وانتظمت في سلك المجتمعين لديه ، ظهر لى انه متشوق لقادم ، وحضور منادم ، فكشفت الخبر ، وقصصت الاثر ، فقيل لى انه واعد بعض الحسان ، وهو منتظر باب الاحسان ، فما اتممت الكلام واتصلت من العلم الى المرام ، الا وقد اقبل من الباب ، خود تختلس الالباب ، غادة رود ، طلقة املود ، كاعب رداح ، ترتاح لها الارواح ، عديمة المثال نشأت فى حجر الدلال ، يسرح الطرف في روض جمالها ويتنزه ، وتمحو بكثير محاسنها حسن عزه ، في حليها وحللها تميد وتميل ، وبالجملة فهى بثنية لان وجهها جميل ، فوقفت واستأنست ، ثم سلمت وجلست ، فسر الجماعة بورودها ، وتملوا من جنة وجنتها بورودها ، وصفا الوقت في الحال وانشد لسان الحال :

اهلا وسهلا بها من غادة سمحت بالوصل ليلا ولم تحذر من الحرس
لما تبدت اضا الداجى ولا عجب فطرة الصبح تمحو آية الغلس

فلما كشفت القناع ، وصدق النظر السماع ، تأملت اوصافها ، وسبرت شمائلها واعطافها . فرأيت مايسر النظر ويشنف السمع ، ويذيب القلوب على نارها ذوب الشمع ، فمن فرع نامي الاوراق ، مرسل لتعذيب العشاق ، جثل اسحم ، يلتوي كالارقم ، غدائره مجعدة كالغدير وضفائره مظفرة بقتل الاسير .

فكانها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم

ووجه مشرق الانوار ، تحج الى كعبته الابصار ، يزين اللئالي والدرر ، وتستمد من ضوئه الشمس والقمر ، مرآته صقيله ، ومعانى حسنه جميله ، يترقرق فيه ماء الصبا ، وتخفى من لمعه بروق الظبا .

عوذت بالنور المنيرة وجهها وهو الجدير بأن يكون معوذا

وجبين واضح ، تحن اليه الجوارح ، يتلالأ مصباحه ، ويتبلج في ليل الطرة صباحه .

فتاة يسر القلب والطرف وجهها كأن الثريا علقت في جبينها

وحواجب تذيب المهج ، وتجذب الارواح من قسيها بقبضة البلج ، كانها هلال منحنى القوام أوفخ نصب لصيد اهل الغرام .

اذا شمت تحت الحاجبين جفونها ترى السحر منها قاب قوسين اوأدنى

وعيون بابليه ، كم أوقعت بمن اليها صبا بليـــه ، تسل السيوف ، وترسل الحتوف ، صحاح مراض ، ليس لسهامها سوى القلوب اغراض .

لله أي لواحظ غلابة للاسد في وثباتها وثباتها

وخد كالجلنار ، قد جمع بين الماء والنار ، يشبه الراح في زجاجه ، ويهتدى الحائر بنور سراجه ، يزهى بورده الاحمر الطرى ، وأظنه من دم العشاق غير برى

تركية للقان ينسب خدها وا شقوتى منها بخد قانى

وخال يختال في أحلى الحلل ، له من الاقراط والشنوف خول ، كانها من قلبها أو من القلوب المنقلبة بنار حبها .

تصرمت الايام دون وصالك فمن منصفي في الحب يا ابنة مالك

فتنت بخال فوق خدك صانه أبوك فويل من ابيك وخالك

ومرشف عذب الارياق ، رضا به لسليم الهوى نعم الدرياق ، فيه ماء مبرد وثغر جوهرى صحاحه منضد ، ولمس يهيم بهذو الشوق ، وشهد يشهد بحلاوته الذوق

وبه شراب مسكر ماذقته لـكننى أروى عن المسواك

وعنق كعنق ريـــــم ، در عقوده نظيم ، يطوف الحلى باركانه ، كالرق بورقه وعقيانه .

وجيد أغيد لاعيب فيه سوى منع المحب عن العناق

ونهود كالعاج ، ملتحفة بمروط الديباج ، رفيعة المنار ، شغلت الحلى ان

يمار ، ان ثنيتها لم تجد عندها المزاح ، وان لممتها نشقت من الرمان عرف التفاح .

وقاتلتي بفتور الجفون ومتوفزين على منبر
كحقين من لب كافورة برأسهما نقطتا عنبر

وبنان رطيب ، على مثله يدور الخضيب ، مقبل بالافواه ، مصافح بالجباه ، فضى الاهاب ، مرقوم بالخضاب .

فما أملح السكب من ادمعي واحلى المشبك من نقشها

وقوام يقيم الحروب ، ويثير الكروب ، كامل الحسن مهفهف ، وافر الدل مثقف ، الرماح تخضع لديه ، والاغصان تسجد بين يديه .

عيون الناظرين به احاطت فلم تحتج الى عقد الوشاح

وارداف كالاحقاف ، وعدها موسوم بالاخلاف ، خارجة عن العاده ، لكن فيها للمحبين الحسنى وزياده .

تمشي بارداف أبين قعودها بين النساء كما أبين قيامها

وسوق جد ماؤها ، وبهر الاعين ضياؤها ، مشرقة النور ، قصبها من البلور

لو لم تكن من برد سيقانها لاحترقت من نار خلخالها

وأقدام لها في الفتك اقدام ، تمشي كالقطا ، ولا تخطي قياس الخطى .

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لاريث ولا عجل

وعليها من الحلي والحلل ، مايفتن العقول ويدهش المقل ، فمن در يتيم كثغرها وبلور صاف كصدرها ، وعقيق كشفتها ، وياقوت كوجنتها ، وسبج كاجفانها ، وزمرد كنقش بنانها وقميص رقيق الحواشي ، ومطرف يحار في وصفه الناشي .

الى مثلها يرنو الحليم صبابة اذا سكنت مابين درع ومحول

فلما آنست بالقوم ، كفت عنها لسان اللوم ، وظهرت عن خلق وسيم ، وطباع ألطف من النسيم ، ومنادمة تطرب الاسماع ، ومداعبة ماالصبر عنها بمستطاع وملح الذ من ماء الزلال وحديث لو لم يجز قتل المحب لقيل هو السحر الحلال .

ان طال لم يملل وان هي اوجزت ود المحدث انها لم توجز

واشرق السعد نجمه ، والشمع واقف في الخدمه ، وعرف الطيب يفوح ، واعلام الهنا تلوح ، وخل الصد يطرق ، والعود تحرك وتحرق ·

(اقول) ماأحسن قوله والعود تحرك وتحرق وهـذا النوع من اجل انواع البديع واصعبها يسمى الاستخدام وهو ان يأتى الناظم او الناثر بلفظة ذات معنيين فيستخدم كلا المعنيين بتلك اللفظة حيث يعود الضميران اليها كقول الصفي الحلي :

من كل ابلج وارى الزند يوم ندى مشمر عنه يوم الحرب مصطلم

فقوله وارى الزند يريد الزند الذى يقدح به ومشمر عنه اراد ان يقول مشمرا عن زنده فاكتفى باللفظة الاولى واستخدمها لهذا المعنى واعاد الضمير اليها وسأذكر هذا النوع بالتفصيل في اواخر هذا الكتاب في ترجمة الامام عبد القادر الطبري ان شاء الله تعالى ، يالها ليلة محي ظلامها ، ونور الافق ابتسامها ، وجليت عروسها ، وطلعت شموسها ، لم نر فيها مايشين ويعيب سوى انها قصر من جلسة الخطيب ، ولم نزل في بشر وافر ، وسرور متواتر ، نجتلي وجوه الافراح المتتابعه ، ونجتنى من الوصل ثماره اليانعه ، الى ان صاح المترفان ، ولاح من المشرق ذنب لسرحان ، فعزمت الجارية على الذهاب ، وامرت باحضار الازار والنقاب ، فقمنا الى موقف الوداع ، وتشتت الشمل بعد الاجتماع .

غدت بأحبتى كوم المطايا فبان النوم وامتنع القرار

وكان الدمع لي ذخرا معدا فأنفقت الذخيرة حين ساروا

(فلما) كان ثامن عشر رجب الفرد الاصب ، توكلنا على رب الصباح والمسا وركبنا البحر من بندر ابى شهر قاصدين الحسا .

يوما بنجد ويوما بالحجاز وبالعراق يوما ويوما ارض نجران

والهند يوما وارض السند آونة والشام يوما ويوما في خراسان

من لي بقربى من اهلي ومن سكني والدهر ابعد اوطانى واوطانى

قد قدّر الله انى لم أزل أبدا مغربا بين أمصار وبلدان
اريد أحفظ ماء الوجه عن طلب الاحسان من كل مساك ومنان

فصلينا على الهادى المطاع ، ورفعنا الشراع ، وسخر الله لنا الريح ، وجرت بنا السفينة فى ذلك البحر العميق الفسيح .

كم أركب البحر خوفا على منه المعاطب
طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

فلما أسفر صبح العشرين من رجب المحرم دخلنا غبة مريم ، وهو بحر كبير وبلاؤه خطير وماؤه غزير ولونه كالمداد ، وموجه تهتز منه السبع الشداد .

ولما ركبت الفلك والبحر قد طما وهاج علينا موجه المتلاطم
تمشت بنا في لجة ببطونها كما يتمشى في الصعيد الاراقم

فلما أضاء فجر ثانى وعشرين من هذا الشهر الشريف خرجنا من هذا البحر الغزير بعون الرب اللطيف وبان لنا من بعد بندر القطيف فلما كان عند الغروب هب علينا هبوب ، ووقع القضا والقدر ، وجاءنا ريح صرصر ، وأرسلت السماء علينا مطراً كافواه القرب ، حتى خشينا منه العطب ، وأظلم الجو من ذلك الريح والمطر ، وتغير البحر وتكدر ، ولطمت الامواج المركب الى ان خفنا انه يتكسر .

البحر صعب المرام مرّ لا جعلت حاجتي اليه
أليس ماء ونحن طين فما عسى صبرنا عليه

وكانت لنا ليله ، يالها من ليله ، أرياحها خطيره ، وأمطارها غزيره ، وظلامها حالك ، وموج بحرها متلاطم بالمهالك .

سفر البر كيف كان جميل ليس لي في البحار من أوطار
لست ممن يلقي الهلاك بنفس طمعا في غنائم الاخطار

غيره قد كنت في زمنى أرجو يبلغنى ماليس يدركه في نفسه الزمن
ماكل مايتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لاتشتهي السفن

غير انى حين نجوت من الغرق وهـذا البلاء المقدر ، خرجت الى البر ، وفي وسطى هميان فيه ثمانون أحمر ، فشكرت الذى خلق ورزق ، اذ نجانا من الغرق ، وقنعت من اللحم بالمرق .

كن قنوعا فقد جرى مثلا من فاته اللحم يشرب المرقه

وسلمت الامر للطيف خبير ، نعم المولى ونعم النصير .

سلم أمورك للقضا وقس على ماقد مضى
فلربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضا
ولرب أمر معضل لك في عواقبه رضى
فالله يفعـــل ما يشاء فلا تكن متعرضا

﴿ فائدة ﴾

الفيروزج من خواصه انه ماوجد في اصبع غريق قط ، قال بعضهم وكان في نفسي شيء من ذلك حتى انا وجدنا غريقا في نهر وقد بقي فيه رمق فحملناه الى البر فلما سكن روعه وفتح عينيه قال ماهذا الموضع الذى أنا فيه الآن؟ فسميناه له ثم انه طلب منا مأكولا فذهبنا لنحضره اليه فوقع عليه جدار كان فوقه فمات فعجبنا من سلامته في البحر وموته في البر فلما شرعنا في تجهيزه رأينا في يـــده خاتما فصه فيروزج فتحققنا صحة خاصيته ، ثم انا بعناه وبقيمته جهزناه .

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

فلما كان رابع وعشرون من هذا الشهر راق البحر بعد ذلك الكدر .

فلابد أن أسعى لأشرف رتبة وأمنع عن عيني لذيذ منامي
وأقتحم الامر الجسيم بحيث أن أرى الموت خلفي تارة وامامي
فاما مقاما يضرب المجـد وسطه سرادقه أو باكيا لحمام
فان أنا لم أبلغ مقاما أرومه فكم حسرات في نفوس كرام

فركبنا بعد ذلك التعب الشديد والضيق والفكر خور خوير ، ونزلنا من خورخوير وسرنا الى بندر ابي شهر وسرنا من هناك الى بندر الريق .

ياما دح البحر وهو يجهله مهلا كفاني قليله علما
مكسبه مثل قعره بعدا ورزقه مثل مائه طعما

فلما كان صبح ثامن وعشرين دخلنا بندر الريق الامين ، وهو بندر صغير على ساحل بحر فارس ، وهذه البنادر كلها في حكم العجم وحكام هذا البندر من عرب زعاب ، من خيار الأعراب ، وهم مشهورون بالكرم ، من سائر أولئك الامم ، ونزلت بدار الامير الجليل الشهم النبيل ، من ذكر جوده بين العرب كالصبح مسفر الأمير سليمان بن مسفر .

بطل تقول الأرض إذ يمشي بها حسبي من التشريف وطء نعاله
وإذا دعا الدهر العبوس أجابه متبترا بالرعب في أذياله

فأكرمني غاية الاكرام ، وأقمت بداره السعيدة خير مقام ، وجمع بيني وبين صهره حاكم البندر ، صاحب الخلق الجميل والوجه الأزهر ، الرئيس الكريم ، الامير عبد الرحيم فغمرني بالاحسان ، كتب الله له الثواب والغفران ، وهذه عاقبة من صبر والصبر يعقبه الظفر .

يا أيها الراضي باحكامنا اصبر ففي الصبر حديث عجيب
لابد ما يأتي على سرعة نصر من الله وفتح قريب

وأقمت مع هذين الاميرين ، وأنا قرير القلب والعين ، وذلك لتيقني بأنه لن يغلب عسر يسرين ، ما أحسن قول القائل :

لاتجزعن لعسرة من بعدها يسران وعداً ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها لله في أعطافها ألطاف

قلت البيت الأول فيه اشارة الى قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا .

(قال) الامام فخر الدين رحمه الله قال ابن عباس رضي الله عنهما يقول الله تعالى خلقت عسرا واحداً وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين .

(وروى) مقاتل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب عسر يسرين وقرأ هذه الآية وفي تقرير هذا المعنى وجهان .

(الوجه الأول) : قال الفراء والزجاج العسر مذكور بالألف واللام وليس هنا معهود سابق فينصرف الى الجنسية فيكون المراد بالعسر في اللفظين واحدا وأما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان أحدهما غير الآخر .

وزيف الجرجاني هذا وقال : اذا قال القائل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان ومعلوم ان ذلك غير لازم من وضع العربية .

(الوجه الثاني) : أن تكون الجملة الثانية تكرير اللاولى كما كرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين ويكون الغرض تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكون المفرد في قولك جاءني زيد زيد والمراد يسر الدنيا وهو ماتيسر من افتتاح البلاد ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا إلا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب ، فالمراد من قوله لن يغلب عسر يسرين هذا وذلك لان عسر الدنيا بالنسبة الى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالنزر القليل وبالجملة فالله تعالى قد أمر بالصبر وحث عليه ووعد بالعقبى لمن صبر والعقلاء أجمعوا على ملازمته وهو شعار الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ولكن فيه مشقة وألم وطول أمد ، قال الشاعر :

ما أحسن الصبر ولكنه   في ضمنه يذهب عمر الفتى

(وقال) السراج الوراق وفيه تورية مجونية :

وقائل قال لي لما رأى قلقي   لطول وعد وآمال تمنينا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم   محمودة قلت أخشى ان تخرينا

وقال أبو المظفر محمد بن إسماعيل الابيوردي :

تنكرلى دهري ولم يدر أننى اعز وان الحادثات تهون
فبات يريني الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون

﴿ خبر في ذكر من صبر ﴾

قيل ان بعض الخلفاء قال لجلسائه وهو محصور في فتنة وردت عليه هل من رجل صادق يخبرنى عن نفسى وعن اهل الفتنة ، فقام شاب فقال أنا اخبرك ياأمير المؤمنين انك تطأطأت لهم فركبوك ، وتخادعت لهم فاستخفوك ، وما جراتهم على ظلمك إلا بحلمك ، قال صدقت اجلس ثم قال له هل لك علم بما يثير الفتن فقال ياامير المؤمنين سألت عن هذا شيخا باقعة قد نقب البلاد وعلم علما جما فقال لى ان الفتنة يثيرها أمران احدهما اثرة تضغن الخاصة ، والثانى حلم يجرىء العامة ، فقال الخليفة هل سألته عما يخمدها قال نعم قال لي ان الذى يخمد الفتن في ابتدائها استقالة العثرة وتعميم الخاصة بالاثرة ، واذا استحكمت الفتنة فليس لها إلا اللازم فقال الخليفة نصبر حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

(تفسير) ألفاظ من هذا الخبر قوله باقعة أى داهية مجرب ويقال باقعة أي طوّاف ببقاع الارض ، وقوله اثرة أى اختصاص بعض المستحقين بشىء دون بعض وقوله الخامه يعنى الخاصة وقوله تضغن أى تحقد والضغن الحقد واللازم الصبر .

(قيل) ان يزدجرد بن بهرام سأل حكيما من الفلاسفة ماصلاح الملك فقال الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم بغير عنف والتودد بالعدل وامن السبيل وانصاف المظلوم ، قال فاصلاح الملك قال وزراؤه اذا اصلحوا اصلح فقال يزدجرد أيها الفيلسوف الناس اكثروا في الفتن صف لنا مايثيرها وما يسكنها اذا ثارت قال يثيرها جرأة عامة ويولدها استخفاف خاصة ويؤكدها انبساط السر بصغائر القلوب واستخفاف موسر امر معسر وغافلة ملتذ ويقظة متحير ، فقال يزدجرد وما يسكنها أيها الحكيم

قال أخذ العدّة لما يخاف وايثار الجد حتى يلتذ بالهزل والعمل بالحزم والارداع بالصبر والرضا بالقضاء .

(زعموا) ان غرابا كان يأوى إلى شجرة هو وزوجه فلما بلغت أوان بيضها خرجت حية سوداء عظيمة من جحرها وصعدت إلى وكر ذلك الغراب فوقعت فيه ومكث الغراب ينتظرها ويرصدها ويرجو أن تزول فلم تزل إلى أن ذهب أوان بيضها وتفريخها وذهب الصيف فلما اصاب الحية البرودة وضربتها الرياح الشتوية نزلت من الشجرة ودخلت الجحر الذى لها فقال الغراب ان كنت حرمت البيض والفراخ في هذه السنة فان الله تعالى أنعم عليّ بنعمة سابغة وأياديه الحسنة كثيرة عندى فيما رزقني من صحة الجسم وقرة العين بالخلاص فقد وجب علي الشكر لله تعالى على نعمه لان نظره للعبد خير من نظر العبد لنفسه قال فلما جاء الحول الثانى والاوان خرجت الحية من جحرها وصعدت الى وكر الغراب وفعلت كما فعلت في العام الماضى فلم يزداد الغراب إلا صبراً وشكراً لله تعالى وسلم للقضاء بحسن يقين وصدق نية فلما أحب الله عز وجل ان يثيبه على صبره ونيته وتسليمه خرجت الحية في السنة الثالثة لتصعد إلى وكر الغراب على جارى عادتها فنظرت اليها حدأة فانقضت عليها فأخذتها بوسطها وذهبت بها وذهب ذلك الغراب الى وكره آمناً فباض وفرخ وهو آمن مطمئن فما يخيب الله من صبر .

﴿ حكاية في الصبر ﴾

قيل ان ملكا من ملوك الطوائف اقبلت عليه الدنيا بحذافيرها ولم يكن يولد له وكان يسأل الله تعالى ان يرزقه ولداً صالحا حسناً جميلا فثبت ورزق ولداً فكبر فاحضر اليه المعلمين فتعلم وتأدّب .

وروى الاخبار ممن تقدم من العلماء والحكماء وان اباه توفي فجلس فى مملكة ابيه وسار في الرعية سيرة مرضية وعدل في حكمه فسرت به أهل مملكته من الخاص والعام ولم يلبث الا يسيراً حتى ثار عليه ثائر فغلبه واستولى على مملكته فانهزم ابن

الملك فلم يزل سائراً على وجهه ومعه طير يصيد به وكلاب ومخلاة فبينما هو في سيره إذ لاح له سرب غزلان فارسل عليه وأخذ منه ثم انه نزل على عين ماء فاكل مامعه من الصيد وبات تلك الليلة مكانه فلما أصبح ركب فاصطاد صيداً كبيراً ونزل وسيب فرسه ترعى فبينما هو كذلك إذ أقبل عليه فارس ومعه طعام فاستأذنه في النزول فاذن له وقال له الارض لله تعالى وفيها سعة فان نزلت أكلت من صيدنا وتفضلت بانسنا فنزل الفارس عنده واخرج ماكان معه من الطعام والشراب فاكلا وشربا فاقبل الفارس على ابن الملك يسأله عن حاله وعن سبب وصوله الى ذلك المكان فقص عليه خبره فقال له الفارس أتحفظ العهد فقال له ابن الملك ومن لاوفاء له لايحسب مع الناس فدفع له الفارس ألف دينار وقال له اركب معي حتى أريك مكان حاجتك فركب معه فأراه مدينة وقال له امض الى هذه المدينة فاكتر داراً وأصلح شأنك واخطب ابنة الملك ولي عليك عهد الله أن لاتنالها حتى ألتقي بك ثم ودّعه وافترقا فأتى ابن الملك على قوله الى المدينة واتخذ مسكنا واشترى جميع مايحتاج اليه ثم خطب ابنة الملك فقال أبوها أمرها راجع اليها وسأذكر لها ذلك واعلمك ان شاء الله تعالى فخرج الصبي من عند الملك وأحضر الملك داية ابنته وعرفها ماكان من أمر الفتى وخطبته فمضت الداية وأعلمتها بذلك فقالت لها فليجر جواده على باب قصري لأراه ففعل ذلك ثم ان الملك أحضر الفتى فلما حضر سلم باحسن سلام فرد عليه الملك السلام وحرك له فخذه فجلس الفتى إلى جانب الملك وقدم الطعام فناوله الملك من خيار ماقدامه فاكل الفتى بحسن أدب ونظافة ورفعت المائدة وقدم الغسل فغسلوا أيديهم وقدم الشراب فناوله الملك كأساً من يده فسقاه للوزير ثم شرب الملك وناوله ثانيا فشرب منه الحاجب ثم شرب الملك وناوله ثالثا فشربه فاستحسن الملك جودة أدبه وذكائه وقال له ألك مؤدب قد علمك ماقد علمت؟ فقال أيها الملك مايخفى على العاقل شيء واني لما رأيت الملك أكرمني عند دخولي علمت أنك اردت جلوسي إلى جانبك ففعلت ثم أتحفتني بخيار ماقدامك من اكل فاكلته كله ولم أفضل

شيئاً مما لمسته يد الملك ثم أسقيتنى أول قدح فناولته للوزير لانى اعلم انه احظى الناس عندك ثم سقيت الثانى للحاجب لانه أول من يلقانى على بابك ويخبرك بامرى ثم ان الفتى ودع الملك وانصرف الى منزله فامر الملك بجميع مافي مجلسه من فرش وآنية فحمل الى منزل الفتى واحضر داية ابنته وشكر لها ماشاهد من عقل الفتى وادبه وجماله فقالت له الداية قد رضيت سيدتى به فزوجه على بركة الله وعونه قال فانفذ الملك الى الفتى واحضره واحضر القاضى والشهود وعقد بابنته عليه فاقام مدة طويلة لم يدخل بها وان الداية امرته ان يحضر الى الدهليز ويرى زوجته سراً فلم يجبها وقال ليس لهذا سبيل فاقام مدة طويلة ولم يدخل بها واقام على ذلك حولا كاملا يسألونه الدخول بزوجته فيقيم لهم المعاذير فيما يقطعه عن ذلك فلما كان بعد ذلك اجتمع كبراء المدينة واشرافها ومضوا اليه وعاتبوه على ذلك وقالوا له ان هذا يقبح بك فعله مع الملك وكونه اختارك على الملوك وابنائهم ولابد من انجاز الحال فاستحيا منهم واجابهم الى ذلك فلما دخلت عليه ونظرها حمد الله واثنى عليه وراى حسنها وجمالها لايحد ولا يوصف وبعد ذلك قام قائماً ولم يزل يصلي حتى الصبح فدخلت الداية عليه فسألته عن حاله وسروره بزوجته فقال خيراً فقالت ياسيدى مالي اراك متميلا عن زوجتك بين لي ماسبب ذلك ؟ فقال نذرت نذراً ان جمع الله بينى وبينها مافعلت شيئاً معها ولابد من الوفاء ولم تزل تلك الداية الى الليلة الثانية تراوده فجاءت الليلة الثالثة وقد فهم منه الوقوف للصلاة على عادته فقامت اليه زوجته وقبلت راسه ويديه وقالت له ياسيدي قد وفيت بعهود الله وحفظت امانتك انا الفارس الذي دفعت اليك المال وامرتك ان تخطبني من الملك وانا زوجتك وامتك اقر الله عينك بى وجمع بك شملي ولله الحمد الذى سلمك منى وجملك من الدنيا نصيبي فلو تقدمت الي وضيعت عهود الله ومواثيقه لقتلتك كما قتلت غيرك على تضييع عهود الله جلت قدرته واذ وجدت عندك هذا الوفاء فلا بعل لي غيرك فقدم خيرة الله واضطجع على فراشك ثم اتيا على فراشها وناما فحملت من ساعتها وتمت شهورها

فولدت غلاماً احسن مايكون ثم رزق منها ثلاثة غلمان وتوفي أبوها فجلس الفتى عوضا منه وسار في الرعية احسن سيرة وانعم عليهم وعوضه الله سبحانه مملكةاعظم من مملكته فما يخيب الله من صبر وثبت ولم يضيع عهود الله ومواثيقه .

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى   واصبر حتى يقضى الله في امرى
واصبر حتى يعلم الصبر اننى   صبرت على شيء امر من الصبر

﴿ ترجمة أبي الطيب المتنبي أحمد بن الحسين بن عبد الصمد ﴾
(الجعفى الكندى الكوفى)

أشعر الشعراء ، فاضل طاب به الأدب طيب النوار بالربيع ، ونظم الحكم والغزل الذين يبرأ بهما الصريم ، زاحم سنان رمح قريضه السماك الرامح ، فكان لسيف الدولة سعد السعود ولأعدائه سعد الذابح ، فهو رب الحكم والامثال والبديع والبيان ونبي الأدب الذى ماختلف فيه اثنان ، فانى ان زدت الاطناب في مدحه ، واتعبت طير ثنائى بصدحه ، فكانى كمن قال للمسك ماعطرك ، وللروض المزهر ماازهرك وانضرك ، وللبدر ماابهاك ، وللشهد ماحلاك واشهاك .

قال صاحب نسمة السحر ، في ذكر من تشيع وشعر : وهو من جلالة القدر والشهرة بحال تغنيه عن قراضات القريض وليس لشاعر شهرته عند الخاص والعام وما اقول في رجل يتمثل العامي بشعره في الاسواق والضياع ، ولا يجف عن كتب شوارد امثاله اليراع ، وقد رأينا من لايحفظ القرآن العظيم يتمثل بابياته ويحفظ شعره ويشاركه في الشهرة الشريف الرضى الآتى ذكر ترجمته ان شاء الله تعالى .

(وكان) المتنبي إماماً في علم اللغة لا يسأل عن شيء منها إلا اجاد الجواب واستشهد بالشعر .

وقيل ان الشيخ اباعلي الفارسى صاحب الايضاح والتكملة ، سأله مرة كم اتى من الجموع على وزن فعلى فقال في الحال : حجلى وظربى ، وحجلى جمع حجل

وهو معروف ، وظربى طائر معروف ودويبة .

قال ابو علي : طالعت كتب اللغة ثلاث ليال لعلي اجد ثالثاً لهما فلم اجده .

(وولد) ابو الطيب بالكوفة بباب كندة فنسب إلى موضع ولادته وإلا فهو من بني جعف .

(وقيل) انه ادعى النبوة ببادية السماوة وتبعه جماعة من بني كلب بن وبرة فخرج اليه لؤلؤ نائب الاخشيدية فاسره وتفرق اصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه (وقيل) انما لقب بالمتنبي لقوله :

انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

مامقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

وكان كبير النفس عالي الهمة واختص بخدمة سيف الدولة وجرى على مذهبه في التشيع ، وكان آخر امره غاضبه وفر إلى كافور الاخشيدي ملك مصر ومدحه بقصائد مشهورة هي بعد السيفيات من اجود شعره ووعده كافور بولاية بعض اعماله فلما راى كبر نفسه ومايصفها في شعره كقوله :

وفؤادي من الملوك وان كان لساني يرى من الشعراء

وامثال ذلك رجع عن توليته فعوتب في ذلك فقال ياقوم رجل ادعى النبوة مع محمد كيف لايدعى الملك مع كافور .

وقال صاحب نسمة السحر : ورأيت في بعض اخباره ان آخر شعر قاله وقد عوتب في تركه مدح اهل البيت سيما امير المؤمنين علي بن ابى طالب عليه السلام فقال :

وتركت مدحي للوصي تعمدا إذ كان وصفامستطيلا كاملا

واذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

(وروى) انه كان بين عسكر سيف الدولة وعسكر مصر حرب بصفين فقال ابو الطيب وان لم توجد في ديوانه :

ياسيف دولة ذى الجلال ومن له خير البرية والانام سمي

انظر الى صفين حين اتيتها فانجاب عنها العسكر المصرى
فكأنه جيش بن هند كثرة حتى كأنك ياعلي علي

ولابد ان نشير إلى شيء من خبره وشعره ليطالعه من يتشوق اليه .

ذكر ابن جنى النحوى الامام المشهور ان ابا الطيب لما انشد سيف الدولة قصيدته الميمية التى اولها :

وا حر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم
مالي أكتم حباً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الامم
ان كان يجمعنا حب لعزته فليت إنا بقدر الحب نقتسم
يامن يعز علينا ان تفارقهم وجداننا كل شيء عندكم عدم

ومنها :

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لاتفارقهم فالراحلون هموا

وعرض فيها بعتبه فتغير عليه سيف الدولة فاكمن له جماعة من غلمانه ليلا ليقتلوه فلم يتفق لهم .

(وقيل) ان الحسن بن احمد الهمداني المعروف بابن خالويه النحوى المشهور وقع بينه وبين ابي الطيب كلام بحضرة سيف الدولة في المجلس الذي كان سيف الدولة يعقده كل ليلة يحضر فيه العلماء والادباء والفضلاء في كل فن فوثب ابن خالويه فضرب وجه المتنبي بمفتاح كان في يده فشجه فخرج ودمه يسيل على ثيابه وقصد مصر وجرى له ماجرى وشعره كله غرر لكني طربت لوصفه للاسد من قصيدته التي مدح بها بدر بن عمار بن اسماعيل الاسدى وقد قتل اسداً فذكرتها هنا جميعا لجودتها :

في الخد ان عزم الخليط رحيلا مطر تزيد به الخدود محولا
يانظرة نفت الرقاد وغادرت في حد قلبي ماحييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلي انما اجلي تمثل في فؤادي سولا

اجد الجفاء على هواك مروءة ... والصبر إلا في نواك جميلا
وارى تدللك الكثير محبباً ... وأرى قليل تدلل مملولا
تشكو روادفك المطية فوقها ... شكوى التي وجدت هواك دخيلا
ويغيرني جذب الزمام لقلبها ... فمها اليك كطالب تقبيلا
حدق الحسان من الغواني هجن لي ... يوم الفراق صبابة وعويلا
حدق يذم من القواتل غيرها ... بدر بن عمار بن إسماعيلا
الفارج الكرب المظام بمثلها ... والتارك الملك العزيز ذليلا
محك اذا مطل الغريم بدينه ... جعل الحسام بما اراد كفيلا
نطق اذا حط الكلام لثامه ... اعطى بمنطقه القلوب عقولا
اعدى الزمان سخاؤه فسخا به ... ولقد يكون به الزمان بخيلا
وكأن برقا في متون غمامة ... هندية في كفه مصقولا
ومحل قائمه يسيل مواهباً ... لو كن سيلا ماوجدن مسيلا
رقت مضاربه فهن كأنما ... يبدين من عشق الرقاب نحولا
أمعفر الليث الهزبر بسوطه ... لمن اتخذت الصارم المصقولا
وقعت على الاردان منه بلية ... نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورداً إذا ورد البحيرة شاربا ... ورد الفراة زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس ... في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه إلا ظنتا ... تحت الدجى نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان إلا انه ... لايعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقاً من تيهه ... فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته إلى يافوخه ... حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما يزمجر نفسه ... عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطي وكأنما ... ركب الكمي جواده مشكولا

ألقى فريسته وبربر دونها | وقرى قريبا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان في اقدامه | وتخالفا في ذلك المأكولا
أسد يرى عضويه فيك كلاهما | متناً أزل وساعداً مفتولا
في سرج صامتة الفصوص طمرة | يأبى تفردها لها التمثيلا
نيالة الطلبات لولا انها | تعطى مكان لجامها مانيلا
تبدى سوالفها إذا استحضرتها | وتظن عقد عنانها محلولا
مازال يجمع نفسه في زوره | حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه | يبغى إلى مافي الحضيض سبيلا
وكأنه غرته عين فادّنى | لايبصر الخطب الجليل جليلا
انف الكريم من الدنية تارك | في عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس بخائف | من حتفه من خاف مما قيلا
سبق التقاءه بوثبة هاجم | لولا تصادفه لجازك ميلا
خذلته قوته وقد كافحته | فاستنصر التسليم والتخذيلا
قبضت منيته يديه وعنقه | فكأنما صادفته مغلولا
سمع ابن عمته به وبحاله | فنجا يهرول منك أمس مهولا
وأمرّ مما فرّ منه فراره | وكقتله ان لايموت قتيلا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة | وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا
لو كان علمك بالإله مقسما | في الناس مابعث الإله رسولا
لو كان لفظك فيهم ماأنزل الفرقان | والتوراة والانجيلا
لوكان ماتعطيهم من قبل ان | تعطيهم لم يعرفوا التأميلا
ولقد عرفت وما عرفت حقيقة | ولقد جهلت وما جهلت خمولا
نطقت بسوددك الحمام تغنيا | وبما تجشمها الجياد صهيلا

(قلت) لله أبوه في هذه القصيدة ! لو لا ما جاء به في آخرها من الغلو الذي

لايجوز في حق انسان ، فالله تعالى يمن عليه بالعفو والغفران ، ولقد أحسن في وصف الأسد ، وأتى بما لم يخطر على عقل احد ، ومن الوصافين للاسد أبو زيد الطائى المشهور الشاعر لقصة جرت له معه حتى ان قومه لاموه وقالوا له نخشى ان تعيرنا العرب بذلك .

ومن ظريف خبره ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ساله يوما عن قصته معه فجعل يحدثه بها ويهولها حتى ضرط بعض الحاضرين فالتفت اليه أبو زيد وقال له كيف لو رأيته يابن أخي .

واجاد مجير الدين بن تميم في تضمينه قول أبي الطيب ويغيرنى جذب الزمام البيت المذكور في هذه القصيدة المذكورة بقوله لبعض الرؤساء وقد أهديت اليه باكورة ورد :

سبقت اليك من الحدائق وردة وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت فمها اليك كطالب تقبيلا

(قلت) وهذه أيضاً حكاية ظريفة فيمن برز للاسد القسور فقتله والشيء بالشيء يذكر .

﴿ قصة بشر بن عوانة وبروزه للاسد ﴾

(قيل) كان بشر بن عوانة من صعاليك العرب فغار على امرأة من العرب وخلا بها وقال ما رأيت كاليوم هذا فقالت المرأة رجزاً :

أعجب بشرا حور في عينى وساعد أبيض كاللجين
ودونه مكحولة العينين خمصانة ترفل في حجلين
احسن من مشى على رجلين لو ضم بشر بينها وبينى
أدام هجرى واطال بيني ولو يقاس زينها بزينى
لأسفر الصبح لذي عينين

فقال لها بشر ويحك من عنيت قالت ابنة عمك قال فهي في الحسن بحسب ماوصفت قالت وأزيد من ذلك فانشأ بشر يقول رجزاً :

ويلك ياذات الثنايا البيض ماخلتني عنك بمستميض
لاضم جفناى على تغميض انلم أشل عرضى عن الحضيض

فقالت :

كم عاشق في اثرها الحا وهى اليك ابنة عم لحا

ثم ارسل الى عمه فخطب ابنته ، فمنعه امنيته ، وآلى ان لايبق على احد منهم باقية ان لم يزوجه ابنته ، وكثرت فيهم مضراته ، واتصلت بهم معراته ، واجتمع اهل الحى الى عمه فقالوا له كف عنا فخرك فقال لهم لاتلبسونى عارا حتى اهلكه ببعض الحيل فقالوا له انت وذاك فقال له عمه انى آليت ان لاازوج ابنتى إلا ممن يسوق اليها الف ناقة حمراء ولا ارضاها إلا من نوق خزاعة وكان في طريق خزاعة اسد يقال له ذادا وحية يقال لها شجاعا وفي ذلك يقول قائلهم راجز :

افتك من ذادا ومن شجاع ان يك ذادا سيد السباع
فانها سيدة الافاعى

وكان غرض عمه ان يهلكه باحدهما قال ثم ان بشراً سلك ذلك الطريق فلما انتصفه خرج عليه الاسد فنزل عن مهره وربط عينيه واخترط سيفه واقبل على الاسد فاعترضه فقطعه نصفين ثم كتب بدم الاسد على قيصه الى ابنة عمه شعراً وارسله مع عبده وهو :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاق الهزبر اخاه بشرا
إذاً لرأيت ليثاً أم ليثا هزبراً غالباً لاق هزبرا
تبهنس اذ تقاعس عنه مهري محاذرة فقلت عقرت مهرا
أنل قدماى ظهر الارض انى رايت الارض اثبت منك ظهرا
فقلت له وقد ابدى نصالا محددة ووجها مكفهرا

تدل بمخلب وبحد ناب وباللحظات تحسبهن جمرا
وفي يمناى ماضي الحد القى بمضربه قراع الدهر اثرا
الم يبلغك مافعلت ظباتا بكاظمة غداة ضربت عمرا
وقلبي مثل قلبك لست اخشى مصاولة ولست اخاف ذعرا
فأنت تروم للاشبال قوتاً واطلب لابنة الاعمام مهرا
ففيم تسوم مثلي ان يولى ويترك في يديك النفس قسرا
نصحتك فالتمس ياليث غيرى طعاما ان لحمى كان مرا
فلما ظن ان النصح غش وخالفنى كانى قلت هجرا
مشى ومشيت كالأسدين راما مراما كان إذ طلباه وعرا
هززت له الحسام فخلت انى كشفت له عن الظلماء فجرا
وجدت له بجاشية رآها لما كاذبته مافيه عذرا
فخر مضرجا بدم كانى هدمت به بناء مشمخرا
فقلت له يعز علي انى قتلت مناسبي جلدا وقهرا
ولكن رمت امراً لم يرمه سواك فلم اطق ياليث صبرا
تحاول ان تعلمنى فراراً لعمرى انت قد حاولت نكرا
فلا تجزع فقد لاقيت حرا يحاذر ان يعاب فمت حرا

فلما بلغت الأبيات الى عمه ندم على منعه من تزويجها وخشى عليه من الحية فخرج على اثره هائما على وجهه حتى لحقه وقد سورت له الحية فلما راى عمه اخذته حمية الجاهلية فجعل يده في فم الحية وحكم فيها سيفه ثم قال رجزاً :

سيري إلى المجد بعيد همه لما رآه بالعراء عمه
فقام يسعى في الفلا يؤمه فغاب فيها يده وكمه
فنفسه نفسي وسمى سمه

فلما قتل الحية قال له عمه : انما عرضتك طمعا ان اضرك وقد ثنى الله عنانى

فارجع لازوجك ابنتي فلما رجع بشر إذا هو بغلام قد بدا من البر كأنه فلقة قمر على فرس سابق اشقر، وعليه لامة حربه فقال له بشر اني لأسمع منك حس صيد، فقال له الغلام مددت رجلك إلى قيد، ثكلتك أمك يابشراً ترى ان قتلت ذادا وشجاعا فماذا صنعت فجز أنت في أمان ان سلمك عمك فقال بشر من انت لا ام لك فقال الغلام أنا الموت الأحمر واليوم الأسود فحمل كل واحد منهما على صاحبه ولم يتمكن بشر من الغلام وأمكن الغلام عشرين طعنه في كلية بشر كلهن بشبا السنان فلما غلبه حمله على يده ابقاه عليه ثم قال له كيف يابشر الشر لوشئت لأطعمتك انياب الرمح ثم ألقى رمحه واستل سيفه وضرب بشراً عشرين ضربة بعرض السيف ولم يتمكن بشر من ضربة واحدة ثم قال له يابشر سر واذهب في أمان الله قال نعم بشرط أن تقول لي من أنت قال أنا ابن المرأة التي دلتك على ابنة عمك فقال بشر هذه العصا من تلك العصية، ولا تلد الحية إلا حية، وحلف بشر أن لا يركب بعده فرسا ثم تزوج بابنة عمه وحسن حاله ورغد عيشه.

﴿ حكاية عجيبة أيضاً ﴾

عن قاضي القضاة ابن السائب قال وافيت من همدان إلى العراق وأنا فقير وقد زرت قبر الحسين بن علي عليه السلام فلما انصرفت أريد قصر ابن أبي هبيرة قيل لي ان الارض مسبعة فسرت الى أن لحقت قرية فيها حصن سميت لي فأويت اليها عند المساء وكنت ماشياً فاسرعت وكديت نفسي إلى أن لحقت القرية فوجدت باب الحصن قد اغلق فدفعته فلم يفتح لي فسألت وتوسلت بمن انصرفت من حضرته وزيارته فقالوا قد أتانا من ذكر مثل ماذكرت فآويناه وكان عينا للصوص علينا ففتح الحصن ليلا وادخلهم فسلبونا ولكنك ألحق بذلك المسجد وكن فيه على حزم لئلا يأتيك السبع قال فسرت الى المسجد فدخلت بيتا كان في المسجد فلم يكن باسرع من ان جاء رجل فدخل المسجد فشد حماره بغلق كان على باب المسجد ودخل علي

وكان معه كوز فيه ماء وأخرج سراجا فاصلحه وقدح ناراً فاوقدها واخرج خبزاً وأخرجت خبزاً وتمراً فاجتمعنا على الأكل فما شعرنا إلا والاسد قد دخل المسجد فلما رآه الحمار دخل البيت الذي نحن فيه فدخل الأسد بعده فخرج الحمار وجذب باب البيت بالرسن فاغلق الباب علينا وعلى الاسد وجعلنا في أخبث موضع وقدرنا ان الاسد لايتعرض لنا مادام المصباح عندنا لانه يخاف من النار والسراج والسنور وصوت الديك فما زال يرانا ونراه ولاأحد يتحرك حتى فنى مافي السراج من الزيت وانطفأ وبقينا في الظلمة نحن واياه وصار أيضا لايتحرك بل كان كلما تنفس سمعنا نفسه فخفنا منه والحمار من خارج الباب في المسجد وهو يجر غلق الباب بحبله وقد ملأ المسجد روثا وبولا فزعا من الاسد الى ان مضى الليل ونحن على حالنا وقد كدنا نتلف من الفزع وإذا نحن نسمع صوت الاذان من داخل الحصن وجاء مؤذن المسجد ودخل المسجد فرأى الحمار وفعله في المسجد فشتم ولعن وحل رسن الحمار من الغلق فمر الحمار يطير في الصحراء لعلمه بما خلف الباب ودخل المؤذن البيت لينظر من فيه فوثب الاسد عليه فدقه واحتمله الى الصحراء فقمنا نحن سالمين ، وانصرفنا والحمد لله رب العالمين .

ونعود بعون ربي الى ترجمة المتنبي : ولما ورد أبو الطيب مصر وبها كافور الاخشيدي مدحه بقصيدته اليائية المشهورة التي قيل انها أفضل مامدح به اسود وبغيرها كما تضمنه ديوانه ومدح فاتكا الرومي وكان مقطعا باقليم الفيوم من عمل مصر وهي ارض وبيئة فلم يصح له بها جسم وكان يكره دخول مصر لئلا يرى كافورا سلطاناً بها وهو اشرف منه اصلا واشجع لانه رومي وشجاعته مشهورة وسبب إفراطه عرف بالمجون فالجأته الضرورة إلى دخول مصر للتداوى فدخلها وكان المتنبي سمع بكرمه ويحب ان يمتدحه ويخاف كافوراً لما يعلم من حسده لفاتك وعداوته فلقيه فاتك مصادفة فمال الى المتنبي ولاطفه ولما عاد الى داره بعث اليه ألف دينار وفرساً هدية فاستأذن المتنبي كافوراً في مدحه فأذن له فمدحه بالقصيدة اللامية المشهورة

وذكر في مطلعها العجز عن المكافأة بالهدية إلا من لؤلؤ الفكرة ومن أوائلها قوله :

لاخيل عندك تهديها ولا مال — فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

(واتفقت) وفاة فاتك في عشاء ليلة الأحد لثنتي عشرة ليلة خلت من شوّال سنة خمسين وثلاثمائة فرثاه أبو الطيب بقصيدة أجاد فيها على عادته ومن أوائلها قوله :

الحزن يقلق والتجمل يردع — والدمع بينهما عصى طيع

انى لأجبن من فراق أحبتي — وتحس نفسي بالحمام فاشجع

ويزيدني غضب الاعادي قسوة — ويلم بي عتب الصديق فاجزع

تصفو الحياة لجاهل أو غافل — عما مضى منها وما يتوقع

ولمن يغالط في الحقيقة نفسه — ويسومها طلب المحال فتطمع

أين الذي الهرمان من بنيانه — ماقومه مايومه ماالمصرع

تتخلف الآثار عن اربابها — حينا ويدركها الفناء فتتبع

ومنها :

كنا نظن بيوته مملوءة — ذهبا فمات وكل دار بلقع

وإذا الصوارم والمكارم والقنا — وبنات أعوج كل شيء يجمع

أيموت مثل أبي شجاع فاتك — ويعيش حاسده الخصي الاوكع

وهي طويلة مشهورة .

(قلت) ومثل قوله تتخلف الآثار عن اربابها قول الوزير أبي محمد بن عبدون في البسامة المشهورة :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر — فما البكاء على الاشباح والصور

ثم عاتب كافوراً في القصيدة اليائية البديعة التي منها قوله :

أرى لي بقربي منك عيناً قريرة — وان كان قربا بالبعاد يشاب

(قال ابن خلكان في تاريخه) : ثم بقي سنة لا يجتمع بكافور إلا إذا ركب في خدمته خوفا منه .

(وقال) في يوم عرفة سنة خمسين وثلاثمائة قصيدته الدالية يهجوه بها وأولها :

عيد بأية حال عدت ياعيد ... بما مضى أم لأمر فيه تجديد

ومنها :

ما كنت احسبني احيي الى زمن ... يسيئني كل كلب وهو محمود
من علم الاسود المخصي مكرمة ... اقوامه البيض أم آباؤه الصيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة ... عن الجميل فكيف الخصية السود
العبد ليس لحــــر صالح بأخ ... لو أنه في ثياب الخز مولود
لا تشتر العبد إلا والعصا معه ... ان العبيد لأنجاس مناكيد

وسافر أبو الطيب من مصر مستخفيا قاصدا بلاد فارس وملكها أبا شجاع عضد الدولة الآتي ذكر ترجمته ان شاء الله تعالى وذم كافوراً في طريقه بقصيدته المقصورة التي وصف بها سفره ومنازله ومطلعها :

ألا كل ماشية الخيزلى ... فدا كل ماشية الهيدبى
وكل نجاة بجاوية ... طموح وما بي حسن المشى
ومن جهلت نفسه قدره ... رأى غيره منه مالا يرى
وقد ضل قوم باصنامهم ... فاما بزق رياح فــلا
وماذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطى من اهل السواد ... يدنس انساب كل الملا
وأسود مشفره نصفه ... يقال له انت بدر الدجى
وشعر مدحت به الكركدن ... بين القريض وبين الرقى
فما كان ذلك مدحا له ... ولكنه كان هجو الورى

(قوله) الخيزلى هي مشية للنساء فيها تثني وتكسر والهيدبى نوع من سير

الابل والبجاوية بالموحدة والجيم الابل المنسوبة الى البجاة وهي قبيلة من السودان تجاور الواحات من اسفل ديار مصر والحبشة من ناحية المغرب وابلهم مشهورة بالجودة والسرعة وأراد أبو الطيب بالنبطي من اهل السواد أباجعفر بن الفرات وزير كافور وسنذكر بعض خبره آخر الترجمة وأراد بالكركدن كافوراً .

والكركدن كثير بارض زير باد وهي دابة بقدر الجاموس لها في جبهتها قرن واحد تحمل الفيل على قرنها .

(اقول) هنا بحث مع صاحب القاموس رحمه الله تعالى فتأمله فانه قال في باب النون فصل الكاف الكركدن مشددة الدال والعامة تشدد النون دابة تحمل الفيل على قرنها .

(قال العلامة) المحقق المدقق عمي السيد محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه ونور ضريحه في حاشيته على القاموس ماهذا لفظه .

(اقول) في حياة الحيوان للدميري الكركند سماه الجاحظ الكركندان ويسمى الحمار الهندي ويسمى الحريش كما تقدم ، انتهى .

وقوله كما تقدم قد قال في باب الحاء غير المعجمة الحريش نوع من الحيات ارقط كذا قال الجوهري وقال بعد هذا الحريش دابة لها مخالب كمخالب الأسد ولها قرن واحد في هامتها تسميها الناس الكركدن انتهى .

وقال السيوطي في مختصر حياة الحيوان الكركند ويسمى الكركدن بتشديد الدال وعليه اقتصر في القاموس انتهى .

والحاصل مما ذكرناه اغفال صاحب القاموس لفظ الكركند وهو ثابت لانه ذكره مثل الدميري ونقله عن مثل الجاحظ مع زيادة الف ونون ونقله السيوطي عن الدميري ولم يقدح فيه وقوله وعليه اقتصر في القاموس لايدل على قدح إذ يحتمل انه اراد بذلك التنبيه على إخلال صاحب القاموس بذكر الكركند بل الكركندان بزيادة الالف والنون ثابت ايضا لان نقل مثل الجاحظ حجة وقد اخل به صاحب

القاموس وقوله والعامة تشدّد النون فيه نظر أيضا لأنه جاء في شعر المتنبي المذكور وهو من احفظ أئمة اللغة ، قال في مقصورته التي من بحر المتقارب المتقدّم ذكرها يهجو كافوراً .

وشعر مدحت به الكركدن ، ولا يستقيم الوزن إلا بتشديد النون وجاء أيضا في بيتين لابن الرومي ذكرهما الثعالبي في ثمار القلوب وهما قوله في الهجو :

كان للكركدن قرن فاضحى   وهو الآن عند قرنك مدرى
من يكن قرنه كقرنك هـذا   فلتكن داره كايوان كسرى

ولا يستقيم البيت إلا بتشديد النون فتأمل ، وابن الرومي من أئمـــة الادب والله اعلم .

عود مني عن ترجمة المتنبي : ولما اجتاز ابو الطيب ببغداد قاصداً بلاد المشرق جرى له مع الحاتمي احد أدبائها القصة المشهورة وهجاه جماعة من ادبائها منهم أبو عبد الله بن حجاج الشاعر المشهور قال فيه على طريقته المجونية أبياتاً أولها :

يا ديمة الصفع صبي   على قفا المتنبي
وأنت يا ريح بطني   على عذاريه هبي
ويا قفـــاه تقرب   نحوي واجلس بجنبي
لعل اعطيك صفعا   طبطب طبطب طبي
ان كنت انت نبيا   فالقرد لاشك ربي

يقال انه كان سقاء للماء بالكوفة فقال فيه بعض الناس :

أي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع بالكوفة الماء وحينا يبيع ماء المحيا

وما أحسن قول ابي الحسن الجزار في معنى البيت الآخر :

لا تلمني في حـرفة القصاب   فهي أزكى من عنبر الآداب
كان فضلي على الكلاب فمذ صرت أديباً رجوت فضل الكلاب

(وله) أيضاً في المعنى :

لاتلمني مولاى في سوء حظى عندما قد رأيتنى قصابا
كيف لا ارتضى الجزارة ماعشت دواما وأترك الآدابا
وبها صارت الكلاب يرجوني وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وكتب اليه النصير الحامى يقول :

ومذ لزمت الحمام صرت به خلا يدارى من لايداريه
اعرف حر الاسى وبارده وآخذ الماء من مجاريه

فكتب اليه الجواب :

حسن التأنى مما يعين على رزق الفتى والعقول تختلف
والعبد مذ صار في جزارته يعرف من أين يؤكل الكتف

(رجع) ولما وصل أبو الطيب الى حضرة عضد الدولة قابله بالقبول ومدحه المتنبي بالقصائد المشهورة في ديوانه ومدح وزيره ابا الفضل بن العميد بالرائية المشهورة فاجازه عنها بثلاثة آلاف دينار وخلع عليه .

(وقيل) ان الصاحب الكافي أراد ان يمدحه المتنبى فلم يفعل ولم يكن الصاحب قد تقلد الوزارة فحقد عليه وانه ألف الكشف المنبي ، عن سرقات المتنبي ، وعاد أبو الطيب من بلاد العجم ليتحمل باهله الى عضد الدولة فلما بلغ الى الصافية بقرب النعمانية بالجانب الغربى من سواد بغداد عند دير العاقول وبينهما ميلان عرض له فاتك بن ابي جهل الأسدى في عدة من اصحابه ومع المتنبي جماعة من حاشيته وغلمانه فقاتلوهم ففتك به فاتك فقتل وقتل معه ابنه محمد وغلامه مفلح يوم الأربعاء لست بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة رحمه الله تعالى وللناس في شعره اختلاف فمنهم من يتعصب له غاية التعصب كأبى العلا المعري وشرح ديوانه وسماه معجز أحمد كما تقدم ويكفيه فضلا تعظيم أبى العلا له على ماحواه أبو العلا من الفضائل والعلوم ومنهم من يتعصب عليه كالشريف القاسم المرتضى وللمعري معه

واقعة بسبب المتنبي قد تقدم ذكرها في ترجمته والحق انه كان قليل النظير فحلا مقدما واشتهاره شاهد بسبقه فقل ماشتهر إلا الجيد ومن سعادته انها عدت معايب شعره وسقطاته لقلتها ولله در قول الشاعر :

ومن ذالذى تحصي سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

قالوا ان أبا تمام والبحترى والمتنبي طبقة واحدة لم يقع الاتفاق على تفضيل بعضهم على بعض .

وقال بعض الادباء في أبي تمام والمتنبي انهما حكيمان والشاعر البحترى .

(قلت) وينبغي لأبي تمام وأبي الطيب ان يعزا بثالث أعنى إبا العلاالمعري الزاهد المجيد بل ويزاحما بأبي فراس الهمداني المشهور .

وذكر الحاتمي ان اكثر مأخذ المتنبي من أبي تمام وحظى شعر المتنبي واشتهر قال ابن خلكان بلغني ان لديوانه أربعين شرحا .

(وحكى) السرى الرفا الشاعر المشهور ، قال حضرت مجلس الامير سيف الدولة بعد قتل المتنبي فجرى ذكره فأثنى عليه الأمير وذكر شعره وقلت ايها الأمير اقترح لي أى قصيدة أردت فانى اعارضها بما يعلم الامير ان المتنبي قد خلف نظيره فقال لي عارض قصيدته التى مطلعها :

بعينيك مايلقى الفؤاد وما لقي وللحب مالم يبق منى وما بقي

قال فلما رجعت الى منزلي تأملت القصيدة فاذا هى ليست من مختاراته ثم مر لي فيها قوله :

إذا شاء ان يلهو بلحية أحمق أراه غبارى ثم قال له الحق

فعلمت انه اراده الامير وخيرة الله لي ، وقال بعض المتعصبين عليه في قوله :

تبل خدى كلما ابتسمت من مطر برقه ثنا ياها

انها تبصق في وجهه وما أنصفه فان البيت غاية في الحسن ومما عيب عليه قوله

انى على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

قيل ان الزنا هنا في هذا البيت أحسن من العفة وهو حق .

وظريف هنا قول ابي الند إحسان بن نمير الكلبي الدمشقي الخليع من أبيات له فيها إلمام بقول ابي الطيب :

انى لأعشق مايحويه برقعها ولست أبغض ماتحوى السراويل

ومما لم يعجبنى من شعره قوله :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى عليّ بن عبد الله بعرانا

فالمعنى قبيح وجاء جمع البعير في غاية الثقل واكثر مطالعه على غير شريطة أهل البيان كالبائية الكافورية التى أجاد في مديحها فما بعد سوء مطلعها مايتطير به والمشروط في النظم مراعاة النظير كما قدمنا ذكره في هذا الكتاب .

وأبو الفضل جعفر بن الفرات المتقدم ذكره في الترجمة ويعرف بأبى خيزابه وكان وزير كافور الاخشيدى وبقي بمصر حتى قدم القائد ابو عبد الله جعفر الرومي بجيوش مولاه الامام المعز لدين الله من بلاد المغرب فلم يؤاخذه بأشياء كانت منه من الجهم لحربه وأجراه المعز لما قدم على أحسن حال من الجميل .

ومن ظريف خبره ماحكاه المقريزى فى الخطط ، قال كان الوزير ابن الفرات يهوى النظر الى الحيات والأفاعي والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجرى هـذا المجـرى من الحشرات وكان في داره قاعة لطيفة مرخمة فيها سلال الحيات ولها فراش قيم وهو من الحواثين ومعه مستخدمون برسم الخدمة ونقل السلال وحطها وكان كل حواء في مصر وأعمالها يصيدمايقدر عليه من الحيات ويتباهون فيذوات العجب من انواعها والكبار وفى غرابة المنظر وكان الوزير يثيبهم على ذلك أوفى ثواب ويبذلهم الجمل حتى يجتهدوا في تحصيلها ، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون مافي السلال ويطرحونه على ذلك الرخام ويحرشون بين الهوام وهو يعجب من ذلك ويستحسنه فلمـا كان ذات يوم أنفذ رقعة الى الشيخ ابن المدبر الكاتب وكان من أعيان كتاب أيامه وديوانه وكان

عزيزاً عنده وكانت داره مجاورة له يقول فيها نشعر الشيخ الجليل أدام الله سلامته ان الحواء عرض علينا بالبارحة الحشرات الجارى بها العادة فانساب إلى دار الشيخ منها الحية البتراء وذات القرنين والعقرب الكبيرة وأبو صوفة وما حصلوا انا إلا بعد عناء ومشقة وبجملة بذلناها للحواثين ونحن نأمر الشيخ وفقه الله بالتقدم الى حاشيته وصبيته بصون ماوجد منها الى ان نرسل الحواثين لأخذها وردها الى سلالها فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها أتاني أمر سيدنا الوزير خلد الله نعمته ، وحرس مدته ، بما أشار اليه من أمر الحشرات والذي يعتمد عليه في ذلك ان الطلاق يلزمه ثلاثا ان بات هو أو أحد من اهله في الدار والسلام .

وذكر في جامع القرافة أيضا وهو جامع مشهور مزخرف عمرته السيدة تغريد وتدعى درزان المغربية أم العزيز بالله نزار بن المعز مايشبه هذه الغريبة .

قال حكى الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة قال : حدثني الامير أبوعلي ابن تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي قال اجتمعنا ليلة جمعة جماعة من امراء بني معز الدولة صالح وحاتم وراجح وأولادهم وغلمانهم وجماعة ممن يلوذ بنا كابن الموفق والقاضي ابن داود وابي المجد بن الصيرفي وأبي الفضل روزبه وابي الحسن الرضيم وابي حفص فعملنا سماطاً وجلسنا واستدعينا من في المسجد فأكلنا ورفعنا الباقي إلى بيت الشيخ ابي حفص قيم الجامع ثم تحدثنا وغنا وكانت ليلة باردة فنمنا عند المنبر وإذا انسان نصف الليل ممن نام في هذا الجامع من عابرى السبيل قام قائماً وهو يلطم على رأسه ويصيح وا مالاه وا مالاه فقلنا له ويلك ماشأنك ومن الذى دهاك ومن سرقك وما سرق لك فقال ياساداتى انا رجل من اهل طرا يقال لي أبو كريت الحوا أمسى علي الليل ونمت عندكم واكلت من خيركم وسع الله عليكم ولي جمعة أجمع في سلتى من نواحى طرا والحي الكبير والجبل كل غريبة من الحيات والأفاعى مالم يقدر عليه حواء غيري وقد انفتحت السلة الساعة وخرجت الافاعى وأنا نائم فغفلت له ايش تقول فقال اى والله يا آل النجدات أعينونى على قبضها فقلنا

ياعدو الله اهلكتنا ومعنا صبيان وأطفال ثم انتبه الناس جميعا وهربنا الى المنبر فطلعنا وازدحمنا فيه ومنا من طلع على قواعد العمد فتسلق وبقى واقفاً واخذ ذلك الحواء يتحسس وفي يده سلال الحيات ويقول قبضت الرقطا ثم يفتح السلة ويضع فيها ثم يقول قبضت أم قرنين ويفتح ويضع ويقول قبضت الفلانى والفلانية من الثعابين والحيات وهم معه باسماء ويقول هذا أبو زهيرة وابو تليس ونحن نقول ايه الى أن قال بس ياسادتى انزلوا مابقى علي هم ولا بقى يهمكم كبير شيء قلنا كيف قال مابقي إلا البتراء وأم رأسين انزلوا فما عليكم منهما قلنا عليك لعنة الله ياعدو الله والله لانزلنا إلى الصبح فالمغرور من تغره فصحنا بالقاضي ابى حفص القيم فأوقد الشمعة ولبس خف الخطيب خوفا على رجليه فجاء فنزلنا في الضوء وطلعنا إلى المأذنة فنمنا الى بكرة وتفرق شملنا تلك الليلة وجمع القاضى القيم حفدته ثانى يوم وأدخلوا عصياً تحت المنبر وسمفا وشالوا الحصير فلم يظهر لهم شيء وبلغ الحديث والي القرافة ابن شعلة الكتامي فأخذ الحواء فلم يزل به حتى جمع ماقدر عليه وقال ماأخليه إلا الى السلطان وكان الوزير إذ ذاك يانس الارمنى .

(قلت) الحواء نسبة الى الحية كالسقاء ونحوه واصل حية حيوة سبقت الواو الياء الساكنة فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فيها على قول أبى علي الفارسى في ان واو حيوان اصلية واشتقاق الحيوان من الحياة والحيـة من الحياة لطول عمرها انتهى .

ومصر في الاقليم الثالث والفيوم ولاية عظيمة منها والقرافة مقبرتها ويانس المذكور كان وزير الحافظ لدين الله صاحب مصر وقـد غلطا السيد أحمد بن حميد الدين حيث قال في كتابه تلويح المشوق ان العراق هى ديار مصر ومثل ذلك لايكاد يخفى على مطلع وبين الولايتين مايزيد على أربعين ليله والهرمان بفتح أوليه من عجائب الدنيا .

(قال) العلامة السيد محمد كبريت المدنى في رحلته : حكي الحافظ ان

عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة ، منها بسائر الارض عشر وباقيها بمصر ، فمنها الهرمان وهما أطول بناء واعجبه من رآهما ظن انهما جبلان بالجيزة .

﴿ ذكر الأهرام وايوان كسرى ﴾

(قال) ابن الوردى في الخريدة : الجيزة مدينة على ضفة النهر وهي أربعون قوسا على سطر واحد وبها الاهرام التى هى من عجائب الدنيا ولم يكن مثلها بنيت بصنعة الهندسة وكانوا ينقبون الصخر من طرفه ويجعلون فيه قضيباً من الحديد وينقبون الحجر الآخر وينزلونه فيه ويذيبون الرصاص ويجعلونه في القضب وهي ثلاثة اهرامات ارتفاع كل هرم في الهواء مائة ذراع بالملكى وهي مهندمة الجوانب محددة الاعالي من أواخرها طولها على ثلاثمائة ذراع يقال ان داخل الهرم الغربى ثلاثون مخزنا من حجارة الصوان الملونة مملوأة من الجواهر النفيسة والاموال الجمة والاسلحة الفاخرة المدهونة بأدهان الحكمة فلا تصدأ فيه ابدا وفيه الزجاج الذى ينطوى ولاينكسر وفي الهرم الشرقى الهيآت الفلكية والكواكب المنقوشة فيهما كان وما يكون الى آخر الدهر يقال ان احد الهرمين قبر هرمس والآخر قبر امرأته وقيل قبر ابنه وهرمس بلسان الحكماء هو ادريس وهو الجد الثالث لنوح وابو صاب الذي تنسب اليه الصابئة التى تعظم الكواكب .

(ويقال) ان احد الهرمين بنى بيتاً لعطارد والآخر هيكلا للجوزاء وسطح الهرم متويسع نحو مائة رجل .

وقيل ان ارسطاليس مدفون في احدهما والاسكندر في الآخر ، وقيل بنى باسمه ولم يدفن فيه وقيل وقيل :

ولم نستفد فى علمنا طول عمرنا سوى ان حفظنا منه قيل وقالوا

وقيل وفي الهرم الثالث أخبار الكهنة في توابيت من صوان مع كل كاهن لوح من الواح الحكمة وفيه عجائب صناعاته واعماله وفي الحيطان في كل جانب

اشخاص كالاصنام تعمل بايديها جميع الصناعات على المراتب ولكل هرم منها خازن
قال ابن الجوزى في سلوة الاحزان : ومن عجائب الهرمين ان سمك كل واحد منهما اربعمائة ذراع وهما من الرخام والمرمر ومكتوب فيهما انا بنيتهما بملكى فمن يدعى القوة في ملكه فليهدمهما فان الهدم ايسر من البناء .

قال المسعودى في كتاب اخبار الزمان ومن اباده الحدثان ، وكان المأمون لما دخل الديار المصرية اراد هدمهما فلم يقدر على ذلك فاجتهدوا انفق اموالا عظيمة حتى فتح في احدهما طاقة صغيرة فوجد خلف الطاقة من الاموال قدر الذى انفقه و كتابا فيه انا قد علمنا انك تأتى في عصر كـــــذا ولم تستطع اكثر من ذلك فجعلنا قدر ماانفقت فلا تتعب فانشد المأمون يقول في ذلك :

انظر الى الهرمين واسمع منهما ... مايرويان عن الزمان الغابر
لو ينطقان لخبرانا بالذى ... فعل الزمان باول وبآخـــر

لطيفة

يحكى ان الرشيد امر بهدم ايوان كسرى فقال له وزيره يحيى ما الحاجة الى هدم بناء يدل على قوة بانيه فقال اهدمه ولا تراجعنى فيه فحسب مقدار مايصرف على هدمه فبلغ مقداراً كثيرا استكثره الرشيد فرجع من هدمه فقال له يحيى ماكان اغناك عن اظهار عجزك عن هدم مابناه غيرك .

(ومن ذلك) مايحكى ان المنصور لما افضت الخلافة اليه هم بنقض ايوان المدائن فوافقه اصحابه على ذلك إلا رجلا فانه قال له تعلم ياامير المؤمنين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج من تلك القرية وكان له فيها مثل ذلك المنزل وتلك الحجر فخرج اصحابه مع ضعفهم الى صاحب هذا الايوان مع عزته وصعوبة امره فاخذوه من يده قهراً وقتلوه فمن نظر اليه علم قوة صاحبه وان الذى استولى عليه انما اخذه بمدد من الله تعالى ، فلا يشك في تأييده فاتهمه المنصور لقرابة ثم اخذ في هدمه

فخرج على نقض شيء يسير جملة من المال فعدل عما كان اراده :

وارى الكثير من البرية طبعه ان يؤثر الدنيا على المطلوب

(وقد) اكثر الشعراء من ذكر الاهرام فمن ذلك ما تقدم من قول ابي الطيب المتنبي من قصيدته العينيه :

اين الذى الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع

وللصفدى وفيه تورية لطيفه :

قالوا علا نيل مصر في زيادته حتى لقد بلغ الاهرام حين طما

فقلت هـذا عجيب في دياركم ان ابن ستة عشر يبلغ الهرما

فان انهى زيادة النيل التي ينتفع بها ستة عشر ذراعا وقد يزيدنا درآفيخل بالزرع .

(وقال) سيف الدين بن جارة :

لله اي عجيبة وغريبة في صنعة الاهـرام للالباب

اخفت عن الاسماع قصة اهلها ونضت عن الابداع كل نقاب

فكانها هي كالخيام مقامـة من غير ما عمد ولا اطناب

(روى) سعد بن ظريف عن الاصبغ بن نباته قال اتي عمر بن الخطاب بجارية فشهد عليها شهود انها بغت وكان من قصتها انها كانت يتيمة عند رجل وكان للرجل امرأة وكان الرجل كثيراً مايغيب عن اهله فشبت اليتيمة وكانت جميلة فتخوفت المرأة ان يتزوجها زوجها إذا رجع الى منزله فدعت بنسوة من جيرانها فامسكنها ثم افتضتها باصبعها فلما قـدم زوجها سأل امرأته عن اليتيمة فرمتها بالفاحشة واقامت البينة من جيرانها علي ذلك قال فرفع الرجل ذلك الى عمر فارسلها عمر مع رجل إلى علي بن ابي طالب عليه السلام فاتوا علياً وقصوا عليه القصة فقال لامرأة الرجل ألك بينة قالت نعم هؤلاء جيراني يشهدن عليها بما اقول فاخرج علي السيف من غمده وطرحه بين يديه ثم امر بكل واحدة من الشهود فادخلت بيتا ثم دعا بامراة الرجل فادارها بكل وجه فابت ان تزول عن قولها فردها إلى البيت الذى كانت فيه ثم دعا باحدى

الشهود وجثا على ركبتيه وقال لها اتعرفيني انا علي بن ابي طالب وهذا سيفي وقد قالت امراة الرجل ماقالت ورجعت الى الحق واعطيتها الامان فاصدقيني وإلا ملأت سيفي منك فالتفت المراة الى علي فقالت الامان على الصدق فقال لها علي فاصدق فقالت لا والله مازنت اليتيمه ولكن امرأة الرجل لما رأت حسنها وجمالها وهيئتها خافت فساد زوجها فسقتها المسكر ودعتنا فامسكناها فافتضتها باصبعها فقال علي عليه السلام الله أكبر الله اكبر انا أول من فرق بين الشهود الا دانيال عليه السلام ثم حد المرأة حد القاذف وألزمها ومن ساعدها على افتضاض اليتيمة المهر لها اربعمائة درهم وفرق بين المرأة وزوجها وزوجه اليتيمة وساق عنه المهر اليها من ماله فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فحدثنا ياابا الحسن بحديث دانيال عليه السلام فقال ان دانيال كان غلاما يتيما لا أب له ولا ام وان امرأة من بنى اسرائيل عجوزاً ضمته اليها وربته وان ملكا من ملوك بنى إسرائيل كان له قاضيان وكان له صديق وكان من ملوك بنى إسرائيل وكان رجلا صالحا وكانت له امرأة جميلة وكان يأتى الملك فيحدثه فاحتاج الملك الى رجل يبعثه في بعض اموره فقال للقاضيين اختارا لي رجلا ابعثه في بعض اموري فقالا فلان فوجهه الملك فقال الرجل للقاضيين اوصيكما بامرأتى خيرا فقالا نعم فخرج الرجل وكان القاضيان يأتيان باب الصديق فعشقا امرأته فراوداها عن نفسها فأبت عليهما فقالا لها ان لم تفعلي شهدنا عليك عند الملك بالزنا ليرجمك فقالت افعلا ماشئتما فأتيا الملك فشهدا عليها انها بغت وكان لها ذكر حسن جميل فدخل على الملك من ذلك أمر عظيم واشتد غمه وكان بها معجبا فقال لهما ان قولكما مقبول فاجلوها ثلاثة ايام ثم ارجموها ونادى في مدينته احضروا قتل فلانة العابدة فانها قد بغت وشهد عليها القاضيان بذلك فاكثر الناس القول في ذلك فقال الملك لوزيره ماعندك في هذا حيلة فقال لا والله ما عندى فى هذا شيء فلما كان اليوم الثالث ركب الوزير وهو آخر ايامها فاذا هو بغلمان عراة يلعبون وفيهم دانيال فقال دانيال يامعاشر الصبيان تعالوا حتى أكون انا الملك وتكون انت يافلان العابدة

ويكون فلان وفلان القاضيان الشاهدين عليها ثم جمع ترابا وجعل سيفا من قصب ثم قال للغلمان خذوا بيد هذا فنحوه الى موضع كذا والوزير واقف وخذوا هذا فنحوه الى موضع كذا ثم دعا باحدهما فقال له قل حقاً فانك ان لم تقل حقاً قتلتك قال نعم والوزير يسمع قال له بم تشهد على هذه المرأة قال أشهد انها زنت قال في أى يوم قال في يوم كذا وكذا قال في أى وقت قال في وقت كذا وكذا قال في أى موضع قال في موضع كذا وكذا قال مع من قال مع فلان فقال ردوا هذا الى مكانه وهاتوا الآخر فردوه وجاؤا بالآخر فسأله عن ذلك فخالف صاحبه فى القول فقال دانيال الله أكبر الله أكبر شهدا عليها بزور ثم نادى الغلمان ان القاضيين شهدا على فلانة بالزور فاحضروا قتلهما فذهب الوزير الى الملك مبادرا فاخبره بالخبر فبعث الملك الى القاضيين فاحضرها ثم فرق بينهما وفعل بهما كما فعل دانيال بالغلامين فاختلفا كما اختلفا فنادى فى الناس وأمر بقتلهما .

(فلما) بدا صبح سادس شعبان الذي هو عن وجه القبول مسفر ركبنا البحر من بندر الريق في سفينة الأمير سلمان بن مسفر وتوكلنا على رب الفطره ورفعنا الشراع قاصدين مدينة البصره :

فيم اقتحامك لج البحر تركبه   وأنت تكفيك منه مصة الوشل

﴿ لطيفة ﴾

دخل الشيخ عبد الرزاق الشيبي فاتح بيت الله الحرام على الحسن بن أبى نمى شريف مكة المشرفة يستأذنـــه في السفر وركوب البحر فانشده الشريف قول الطغرائي من لاميته :

فيم اقتحامك لج البحر تركبه   وأنت تكفيك منه مصة الوشل

فأنشده الشيخ على البديهة من القصيدة :

أريد بسطة كف أستعين بها   على قضاء حقوق للعلى قبلى

فأمر له الشريف بقضاء دينه وأمر له بألف أحمر وترك الشيخ السفر .

وفي ثامن الشهر رست بنا السفينة بعون ذي المعارج في جزيرة خارج وعند هذه الجزيرة مغاص اللؤلؤ والجزيرة تتلألأ منها الأنوار وبها مقام مأثور يزعم أهل تلك النواحي المحمية انه قبر محمد ابن الحنفيه نجل علي بن أبي طالب عليه السلام وفي مدفنه أقوال كثيرة أوردها في ترجمته اذا وصلنا إلى ذكر الطائف ان شاء الله تعالى .

وأما هذه الجزيرة فكراماته بها ظاهرة كثيرة فقلنا ذلك اليوم في الجزيرة الى العصر ثم ركبنا الزورق وسرنا الى السفينة في البحر ورفعنا شراع السفينه وتوجهنا إلى البصرة الأمينه .

وفي عاشر تاسع الشهر أتينا ميدان علي المشتهر وهو بحر عظيم التيار وأمواجه كالجبال الكبار ، وصوته كالرعد القاصف ، إلا انه آمن من المخاوف .

وفي ضحى عاشر الشهر قطعنا ذلك البحر ، فلما أسفر صبح حادي عشر المبارك الفالح ، دخلنا البحر الحالي وخرجنا من البحر المالح ويسمونه شط العرب وهو من نهر الفرات وأصل مخرجه من أراضي أرمينية ثم يمتد الى سميساط ثم الى الرقة والى الحلة وغير ذلك من البلدان التي حوالى البصرة ثم يختلط بنهر الدجلة وهذا الشط تدخل اليه المراكب الهندية وغيرها وترسى فيه قبال مقام علي وجميع مياه البصرة تصب في بحر فارس فلما كان وقت العصر اتينا في ابرك الاوقات الى مقابل السبيليات وهذه السبيليات من أزهر اراضي البصرة اشجاراً واكبرها انهاراً وأطيبها ثماراً آراها كالعروس المجليه كيف لا وقد طابت بحلول السادة الرفاعيه من عطر الكون نشر شذاهم ، وملأ الخافقين نور هداهم .

فلما اسفر صبح ثاني عشر باليمن والظفر ، ركبنا في الزورق من بكره ، وسرنا قاصدين دخول البصره ، فمررنا في طريقنا بأبي الخصيب والسراجي والمناوي وما

شاكل ذلك وكل هذه الاراضى واسمه ، ذات ثمار يانعه وبساتين ونخيل ، وأنهار وظل ظليل وكلها على حافة الشط من اليمين والشمال ماحن قلبي لهوى غيرها ولامال

وحدثتني ياسعد عنها فزدتنى شجوناً فزدني من حديثك ياسعد

والمناوى هذه بها أمير عظيم ، يسمى موسى بيك وهو بها مقيم ، أقامته السلطنة ثمة لحفظ البصرة من جانب البحر ثم أتينا على مقام علي ، ذى النور الساطع الجلى ، وهو على رأس الخليج الصغير ، الذى يشق المدينة فلم نزل بالقارب نسير ، في ذلك الخليج الصغير ، الى ان انتهينا في وقت أزهر ، الى حارة السيمر ، فصلينا على شفيع الامه ، ونزلنا من ثمه ، ودخلنا مدينة البصره أسبل الله على أهلها ستره فرأيتها بلدة تشرح النفوس ، وتذهب البوس أم اليتيم وغنى المفلس العديم :

واهاً الى العود اليها واها فلا يطيب العيش فى سواهـــا

ارجو بان تقر بالعود اليها العين ، ومن أين ومن أين :

ولو ان نفسا بين جنبي أعطيت مناها ومن ذا في الدنا أعطى المنى

أتت في زمان كان يسعف مثله لي السيف ان لم يسعف العلم بالغنى

فاما قضت من موسم الجد حجها والا حكت بعض الاضاحي في منى

مدينة كانها الجنة ، للغريب المسكين جنة ، نزهة للناظرين :

كتب السعد على اكنافها ادخلوها بسلام آمنين

تسر بطلعتها القلوب ، وتزيل بحسنها الكروب :

الى البصرة الفيحاء مني تحية تعطرها ياصاح من كل جانب

مدينة أمينه ، مكينة حصينه ، بديعة مثيله ، رفيعة جليلة ، حسنة رشيقه ، نفيسة أنيقه ، غالب دورها لايخلو من حديقه ، بها القصور العالية الواسعه ، والبدور الطالعه ، والانهار الحافة بدورها العامره ، والاسواق التى هى بالخيرات وافره ، فأما سوق الميدان التى تحت سراى الباشا فمن دخلها نال منها ماشا ، وأما سوق العطارين ، فانه يريح القلب الحزين وأما سوق المشراق فانه من النعم في اشراق ،

وأما سوق السيمر المسعود ، فكل ماشئت فيه موجود :

وانى ان لم ألق نجدا وأهله لمحترق الاحشاء شوقا الى نجد

﴿ فائدة ـ ذكر البصرة ﴾

قال ابن اياس في نشق الازهار : البصرة من المدائن المشهورة بناها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب ومن عجائبها المد والجزر وذلك ان الدجلة والفرات يجتمعان من أعلى البصرة ويصيران نهراً واحداً يجرى من ناحية الشمال الى الجنوب ويسمونه جزراً ثم يرتفع من الجنوب إلى الشمال ويسمونه مداً وذلك بحسب البلاد ويشق المدينة في كل يوم وليلة مرتين وفي ذلك يقول الشاعر :

وجاز وليس له صولة الا اذا ماهبت الريح

وهو اذا ماسكنت ساكن كأنما الريح له روح

وقال صاحب تحفة الغرائب وكان بالبصرة سبعة آلاف مسجد وبنى بها عبيد الله بن زياد الاعجم قصراً وسماه القصر الابيض وكان من عجائب الابنية وكان بها مازيد على عشرة آلاف نهر يجرى ولكل نهر اسم يختص به وبها نهر يعرف بنهر الابلة وعلى جانبي هذا النهر عدة قصور وبساتين ودور ، وجنات ومنتزهات كأنها كلها بستان واحد وكأن نخلها قد غرس في يوم واحد وطول هذه البساتين اثناعشر ميلا ومسافتها مابين البصرة والأبلة كذلك ولكن ماء هذه الانهار كلها الغالب عليه الملوحة من سباخ تلك الارض وكانت البصرة مدينة كثيرة الخيرات ، نامية البركات .

(حكى) عن بعض التجار أنه قال اشتريت من البصرة خمسمائة رطل تمراً بدينار صوري وهو عشرة دراهم وغربى البصرة البادية وشرقيها مياه الانهار وبين قراها بطائح ماء معمورة بالزوارق والسماريات واليها ينسب الحسن البصرى وكان أوحد أهل زمانه في كل علم توفي سنة ست عشرة ومائة وعاش من العمر ثماني وثمانين

سنة واليها ينسب الامام أبو بكر محمد بن سيرين وكان من موالي أنس بن مالك ولكن اعطاه الله تعالى علم تعبير الرؤيا وينسب اليها القاضي ابو بكر الباقلاني وكان اماماً عالماً فاضلا وبها كانت وقعة الجمل بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضى الله عنه وعائشة وقتل فيها طلحة والزبير وأما اهلها فذكروا بخير ، وكفوا كل ضير ، أهل نفوس وفية أبيه ، وهمم رضية برمكيه ، وأيادى كريمـــة حاتميه ، واخلاق مرضية حسنيه :

أضاءت لهم احسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظم الدر ثاقبه

الكرم منهم نشا ، وحديث جودهم في الدنيا فشا ، بيوتهم مأوى الضيوف ، ومالهم مبذول بالمئين والألوف :

فأكرم بأصل هؤلاء أصوله   وأكرم ببيت هؤلاء قواعده

أهل بشاشة ولطافه ، وديانة وعفافه ، وبشر واقبال ، وعز واجلال :

تزدحم الناس على بابهم   والمنهل العذب كثير الزحام

ورثوا المجد كابراً عن كابر ، وحازوا الهمم والمفاخر :

صغيرهم ككبير في اقتناء علا   من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم

عسى يجتمع اشملهم بشملي ، ويشتد قوي حبلهم بضعيف حبلي ، انه رؤف مالك ، وقادر على ذلك .

ومالي إلا الدعا والثنا   فها أنا مذ عشت أدعو وأثنى

فاسأل القريب المجيب ، ان يسمع ويستجيب :

نسيم الصبا بلغ تحية عاشق   الى البصرة الفيحاء دار البرامكه

وحى بها تلك الاراضى التي بها   ثغور الاقاحي والشقائق ضاحكه

وحى بها السكان من نفحاتهم   على كل من قد أمهم متدارکه

بهم قد زهت تلك الديار وأينعت   وأضحت مغانيهم بهم متباركه

فوالله لا أنسى حديث سخائهم   وذكرهم بالخير لم أك تاركه

فقل للذي قد رام حصر تناُهم   اليك فهذا مطلب لست دار كه

وأما بساتينها والنخيل ، فالمسافة بينهما نحو ميل ، بساتين وخلجان ، ونخيل ورمان ، وروح وريحان ، ومن كل فاكهة زوجان ، فمن بلح ورطب ، أحلى الى القلب من رشف الضرب :

أما ترى الريح انثرت بلحا   جاء نذيراً بدولة الرطب

مكاحلا من زمرد خرطت   مقمعات الاطراف بالذهب

وعنبها الرازق كثير ، أرق من قلب الأسير :

ورازق مخطف الخصور   كأنه مخازن البلور

قد ضمنت مسكا الى الشطور   وفي الاعالي ماء ورد جوري

لم يبق منه وهج الحرور   إلا ضياء في ظروف نور

لو انه يبق مدى الدهور   قرّط آذان الحسان الحور

بلى فريداً وبلا شذور   له مذاق العسل المأثور

ونكهه المسك مع الكافور   ورقة الماء على الصدور

وغيره من صنوف الاعناب ، مالايعد في حساب ، ورمانها شفاء العليل ، أحلى من رشف السلسبيل :

ورمانة شبهتها إذ رأيتها   بنهد كعاب أو باحقاق مرمر

ململمة خضراء تحسب حشوها   يواقيت حمراً في رداء معصفر

لها لون عقبان ورأس مشرف   وأوراق ريحان وأغصان عنبر

وفيها شفاء للعليل وراحة   وعنها حديث للنبي المطهر

وفيها يقول الله جل جلاله   حدائق رمان ونخل مسطر

وخوخها بديع الالوان ، تغار من حمرته وجنات الحسان :

أهدى الينا الزمان خوخا   منظره منظر أنيق

من كل جنس مصقول لون   معناه في حسنه دقيق

حمراء صفراء يستفيد بهجتها التبر والعقيق
ذات أديمين ذا بهار لمجتليه وذا شقيق

وتينها ماأفخره وأحلاه ، جل من خلقه وسوّاه :

أما ترى التين في الغصون ضحى ممزق الجلد مائل العنق
شبهته كابن نعمة سلبت أصبح بعد الجديد في الخلق

وسفرجلها لونه لون عاشق ، ناء عن الاحباب مفارق :

حاز السفرجل لذات الورى فغدا على الفواكه باللذات مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

وتفاحها ياله من تفاح ، يغنيك عن لثم خدود الملاح :

تفاحة محمرة البعض من خوفها من ألم العض
فبعضها يبكي على بعضها وبعضها يضحك من بعض

وأترجها بديع الاسلوب ، يشرح بحسن لونه القلوب :

ياحبذا يومنا ونحن على رؤسنا يعقدوا الاكاليلا
في جنة ذللت لقاطفها ثمارها الدانيات تذليلا
سلاسل من زبرجد حملت من ذهب أصفر قناديلا

ونارنجها يحيي الروح بلونه الجادي ، وعرف زهره ينعش القلب الصادي :

كأنما النارنج لما بدا بحمرة مشعلة كاللهيب
وجنة معشوق رأى عاشقا فاحمر ثم اصفر خوف الرقيب

وموزها ماأحلاه من موز ، الهنا لمن ذاقه والفوز :

للموز احسان بلا ذنوب ليس بمعدود ولا محسوب
يكاد من موقعه المحبوب يدفعه البلع الى القلوب

وتمرها كالتبر والعقيق والسبج ، ليس على من سكر من شهده حرج :

أما ترى التمر يحكي في حسنه للنظار

مكاحلا من عقيق قد قمت بنضار
كأنما زعفران فيها من الشهد جاري
تسف مثل كؤس مملوأة بعقار

وبطيخها الاصفر ، أحلى من السكر ، وأذكى من العنبر :

أتانا غلام فاق حسنا على الورى ببطيخة صفراء في لون عاشق
فشبهته بدراً يقد اهلة من الشمس مابين النجوم ببارق

وقثاؤها الرفيعه ، خلقتها بديعه ، لم أر لهـا نظيراً في كل البلاد ، طولها عن الذراع قد زاد :

انظر اليها أنابيباً منضدة من الزمرد خضراً مالها ورق
اذا قلبت اسمه بانت ملاحته وصار معكوسه اني بكم اثق

وفولها الاخضر ، في حلته الخضراء يتبختر :

انظر إلى الفول ونواره في منظر راقت له كل عين
زبرجد اخضر لكنه يفتر عن حالية من لجين

واما قصب السكر ، فهنيئاً لمن يمص منه ويسكر :

نزلنا على القصب السكرى نزول رجال يريدون نهبه
نحز كحز رقاب العدا نمص كمص شفاه الاحبه

واما مشمشها فهو بطلعة بهيه ، يميس في حلته الزعفرانيه :

واجاصها يختال في ثوبه الخمرى فيفرحنا من حيث ندرى ولا ندرى

واما الشاه توت ، فهو اشهى الى القلب من كل قوت ، وورده الجورى معجب بصولته وتائه على سائر الزهور بقوة شوكته ، وعلى كل حال يا اخوان ، فالبصرة يقصر عن وصف حسنها اللسان :

قسماً بالإله رب العباد وبطه الشفيع يوم المعاد
وبآل له وصحب كرام هم غياث الانام يوم التناد

ان للبصرة الفريدة حسنا وافتخار على جميع البلاد
أهلها معدن الفضائل والخيرات والجود ملجـأ الوفاد
بلدة السعد والهنا جنة الدنيـا وسكانها كرام الايادى
أسأل الله ان يديم بقاهم في سعود فذاك أقصى مرادى

فأقمت فيها ، شدّ الله مبانيها وأيد بالعز اهاليهـا ، وما برحت معهم مقيما فى سعد وفرح ، سالماً من كل هم وترح ، ونزلت في حارة السيمر بدار الجناب الكريم والمآب العظيم ، الساعى فى تقويم طالع مجدى وسعدى ، الحاج محمود بن القندى ، فغمرنى بالاحسان ، وأنزلنى اعلى مكان :

فان تك أفنته الليالي وصرفها فان له ذكراً سيفنى اللياليا

وتشرفت بزيارة سيف الاسلام ، وابن عمـه شفيع الانام ، الهزبر القمقام سيدنا الزبير بن العوام ، وبزيارة سيدنا طلحة .

رضى الله عنهما ورضوا عنه دوما الى قيام الساعه

واجتمعت بالعالم العلامه ، المدقق الفهامه ، الشيخ سليمان الكردى .

ورث الفضائل كابراً عن كابر كالرمح أنبوبا على انبوب

واجتمعت بصاحب الطلعةالبهيه ، والكرامات الجليه ، والرتبة السميه ، السيد يعقوب الرفاعى نقيب السادة الرفاعيه .

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ملء المسامع والأفواه والمقل

وبابنه ذي الاحسان ، السيد رمضان ، وبابن أخيه الأمجد ، السيد احمد ، وبابن عمه ذى المواهب ، السيد غالب .

سقيا ورعيا لقوم قد نزلت بهم كان دار اغترابي عندهم وطن

واجتمعت بذى الولاية حقيقة لامجاز ، مولانا الشيخ انس الكواز .

زكى يرى مافي الضمير بظنه كأن له عيناً على غامض السر

واجتمعت بذى الفضائل والافاده ، مولانا الملا حسين ميم زاده .

كأنه شجر الاترج طاب لنا زهراً وعوداً وطاب الحمل والورق

واجتمعت بجليل المراتب ، الحاج أحمد بن عبد الرحيم الباش كاتب .

كريم الخال من سلف كريم كنصل السيف وضاح الجبين

واجتمعت بالتاجر الرئيس الافخر ، الحاج محمد بن بندر .

من كان فوق محل الشمس رتبته فليس يرفعه شيء ولا يضع

واجتمعت بالكريم عمدة التجار ، الحاج محمد حسين بن النجار .

كالبحر يمطره السحاب وماله منّ عليه لانه من مائه

واجتمعت بالتاجر النبيل الرئيس الجليل ، الحاج اسماعيل بن بنكي .

ما اسأل الا ان يدوم لنا لا أن تزيد معانيه فقد كملت

واجتمعت بالتاجر جميل الوصف والحيا ، الحاج يحيى بن زكريا .

كلما قلت قد تناهى أرانا كرما يهتدى اليه الكرام

واجتمعت بالتاجر الكريم الوهاب ، الحاج أحمد بن سياب .

حلف الزمان بان يجيء بمثله حنثت فكفّر يازمان يمينكا

واجتمعت بالتاجر ، نسل التجار الاخيار ، الحاج محمود بن ضرار .

مازاده الالقاب معنى زائداً فكأنها من صدقها أسماء

واجتمعت بالتاجر الرئيس الحاج محمود الملقب بابى الدجاج .

كالشمس في كبد السماء محلها وضياؤها في سائر الآفاق

واجتمعت بالجناب الكريم ، الرئيس العظيم ، الحاج عبد الله بسيط .

وقاه إله العرش شرّ المكاره ولادار خطب الدهر يوما بداره

واجتمعت بالكريم الذى مابعده خلف ، الحاج عبد الحسين بن خلف .

زينه الله في القلوب كما زين في عين والد ولدا

واجتمعت بالجناب الكريم النفيس ، الحاج سليمان بن خميس .

ولقد طالما شقيت ولكن أدركتني على يديه السعاده

واجتمعت بالصديق الوافي ، الجناب الكريم ، السيد حسين الخافي .

رب المكارم والعطايا والندى   لازال في نعم الإله مخلدا

وكل هؤلاء الرؤساء الكرام ، حصل منهم القبول والاكرام .

لو كنت أعلم فوق الشكر منزلة   أعلى من الشكر لاستقصيتها لهم

كيف لا وهم اخلاء الوفا ، واخوان الصفا ، اكـــرمونى بالمودة والقبول ، وبلغونى كل سول ، حسبة لله وقربى ، وعملا بقوله : قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى .

(فائدة)

قوله تعالى قل لاأسألكم عليه اجراً الآية يجوز ان يكون استثناء متصلاأى لاأسألكم عليه أجرا إلا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتى ، ويجوز ان يكون منقطعا أى لاأسألكم اجـــراً قط ولكنى اسألكم ان تودّوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل إلا مودة القربى أو المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم حب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به كقولك المال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى أومتمكنة فيها .

(قيل) انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناها عليهم السلام .

وقيل معناه ان لاتؤذونى لقرابتى فيكم ولا تهيجوا علي اذ لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله ﷺ وبينهم قرابة .

وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تحبون الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى انتهى .

﴿ لطيفة ﴾

ادعى رجل على آخر طنبورا عند بعض القضاة فأنكر المدعى عليه وتوجه اليمين فقال له القاضى قل ان كان الطنبور عندى فايرك فى حر أخته قال واى يمين هذه فقال هذه يمين الدعوى اذا كانت طنبور او شبهه .

احضر رجل ولده عند القاضى فقال يامولانا ان ولدى هذا مايصلى فانكر الولد فقال ابوه انه لم يقرأ فكيف يصلى او تصح صلاته من غير قراءة فقال الولد اصلح الله مولانا القاضى انى اقرأ القرآن بالتجويد فقال القاضى ان صدقت فاقرأ حتى أسمعك فقال :

علق القلب الربابا بعدما شابت وشابا

ان دين الله حق لاترى فيه ارتيابا

فقال ابوه كذب والله يامولانا القاضى انه لم يتعلم القرآن الا البارحة فانه سرق مصحفا لجيراننا وحفظ منه هذه السورة فقال القاضى قاتلكما الله كلاكما تعرفان القرآن ولم يعمل احد كما به .

(قالت ام الاسكندر) في دعائها له رزقك الله حظا تخدمك به ذوو العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الحظوظ .

(قال الاسكندر) لابنه يا ابن الحجامة فقال اما هي فقد احسنت التخير وأما أنت فلم تحسن .

(قالت عجوز) لزوجها أماتستحي ان تزنى ولك حلال طيب فقال اما حلال فنعم واما طيب فلا .

(تنبأ رجل) في زمن المنصور فقال له أنت نبي السفلة فقال جعلت فداك كل إنسان يبعث الى شكله فاستتابه وأطلقه .

وقع في بعض العسكر هجمة فوثب خراسانى الى دابته ليلجمها فجعل اللجام

في الذنب من الدهش فقال يخاطب الفرس هب أن جبهتك عرضت فناصيتك كيف طالت .

(قال حكيم) من زعم انه لايحب المال فقد كذب فان علم صدقه فهو أحمق
(قدم رجل من اليمامة) فقيل له ماأحسن مارأيت فيها قال خروجي منها .
(سمع المأمون) أبا العتاهية يقول :

وانى لمحتاج الى ظل صاحب يروق ويصفو ان كدرت عليه

فقال المأمون اعطنى هذا الصاحب وخذ مني الخلافة .

(سأل الرشيد) الأوزاعيّ عن لبس السواد فقال لم احرمه ولكن اكرهه فقال ولم تكرهه فقال لانه لا تجلى فيه عروس ولايلبى فيه محرم ولايكفن فيه ميت فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف وقال ماتقول في السواد فقال النور في السواد ياأمير المؤمنين يعني ان الانسان ينظر في سواد عينيه فاستحسن الرشيد قوله ثم قال وفضيلة أخرى ياأمير المؤمنين قال وماهي قال لم يكتب كلام الله عز وجل إلا به فاهتز الرشيد لقوله وأجازه .

(مات لأبي الحسين الجزار حمار) فكتب اليه بعض أصحابه :

مات حمار الاديب قلت لهم مات وقد فات فيه مافاتا
من مات في عزه استراح ومن خلف مثل الاديب ماماتا

وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت حماره فقال له أراك تمشي بعد ان كنت راكباً فأجابه بديهة :

كم من جهول رآني أمشي لأطلب رزقا
فقال لي صرت تمشي وكل ماش ملقى
فقلت مات حماري تعيش أنت وتبقى

وله في حماره قصيدة رثاه بها أولها :

ما كل حين تنجح الاسفار نفق الحمار وبارت الاشعار

خرجي على كتفي وها أنا دائر بين البيوت كأنني عطار
لم أدر عيبا فيه الا أنه مع ذا الذكاء يقال عنه حمار
ويلين في وقت المضيق ويلتوى فكأنما بيديك منه سوار
ولقد تحامته الكلاب واحجمت عنه وفيه كل ما تختار
فرعت لصاحبه حقوقا قد مضت لما علمن بانه جزار

وقد جمع بعض الافاضل مجلدة جيدة في مراثي حمار ابي الحسين الجزار .

﴿ حكى ﴾ أبو الفرج السلمي قال حدثني أبو عمرو بن العلا قال : جلس النعمان ابن المنذر يوما وعليه حلة مرصعة بالدر والجوهر واليواقيت لم ير مثلها قبل ذلك اليوم وأمر العرب بالدخول عليه وكان فيهم أوس بن حارثة قال فجعلت العرب تنظر الى الحلة وكل واحد يقول لصاحبه مارأيت مثل هذه قط قال وأوس لم ينظر اليها فقال له النعمان مالى أرى كل من دخل استحسن هذه الحلة الا انت ياأوس فما رأيتك تستحسنها فقال اوس أسعد الله الملك اني استحسنها اذا كانت في يد تاجر وأما اذا كانت على الملك وأشرق فيها وجهه فنظرى اليه لا اليها فاسترجح النعمان عقله واستحسن قوله فلما عزموا على الانصراف قال النعمان اجتمعوا غداً فاني ملبس هذه الحلة سيداً منكم فانصرفوا عنه وكل واحد يزعم انها له فلما كان من الغد تزينوا بأفخر الملابس وتقلدوا بأصلح السيوف وركبوا أجود الخيل وأتوا الى النعمان وتأخر عنه أوس فقال له اصحابه ألا تغدو مع الناس الى الملك فلعلك ان تكون صاحب الحلة فقال أوس ان كنت سيد قومي فما انا بسيد العرب عند نفسي وان حضرت ولم آخذها رجعت منقوصا وان كنت المطلوب لها فسيعرف مكاني فأمسكوا عنه قال فلما حضرت العرب بين يدى النعمان نظر الى وجوه القوم فلم ير أوساً فاستدعى بعض خواصه وقال له اذهب لتعرف خبر اوس فمضى الرسول فاستخبر بعض اصحابه فأخبره بمقالته فعاد الى النعمان وأخبره بذلك فبعث اليه النعمان فحضر أوس بثيابه التي حضر بها بالامس وكانت العرب قد استبشرت بتأخيره خوفاً ان يكون هو الذي

يأخذ الحلة فلما حضرو أخذ مجلسه قال له النعمان مالي لم أرك غيرت ثيابك فالبس هذه الحلة لتتجمل بها ثم خلعها له فاشتد ذلك على العرب وحسدوه وقالوا لاحيلة لنا بهذا الا ان نرغب أحد الشعراء بمال فيهجوه فانه لايخفض رفعته الا الشعراء فجمعوا من بيوتهم خمسمائة ناقة وأتوا بها الى رجل يقال له جرول وكان اشعر العرب يومئذ وأقوام في الهجو فقال لهم ياقوم كيف أهجو رجلا حسيباً لاتنكر أياديه كريماً لاينقطع عطاؤه شجاعا لايضام نزيله محسناً لاارى شيأ من بيتي إلا من فضله فسمع بذلك رجل يقال له بشر بن حازم وهو شاعر مجيد فرغب في المال وهجاه وذكر امه سعدى فسمع اوس بذلك فوجه في طلبه فجعل بشر بن حازم يطوف البلاد ويلتمس عزيزاً يجيره من اوس وكان كل من قصده يقول اجرتك إلا من اوس وكان اوس قد ولى عليه العيون فرآه بعض من كان يرصده فقبض عليه وأتى به اوساً فلما مثل بين يديه قال له ويلك اتذكرني فقال قد كان ذلك ايها الأمير فقال والله لأقتلنك شر قتلة ثم دخل اوس الى امه وقال لها قد اتيتك بمن هجاك وقد آليت لأقتلنه فقالت اود لك خيراً من ذلك يابني قال وما هو فقالت انه لايجد ناصراً منك ولا مجيراً عنك ونحن قوم مشهورون باصطناع المعروف فبحقي عليك إلا ما اطلقته ورددت عليه ابله واعطيته من مالك مثل ذلك ومن مالي مثله وارجعه الى اهله سالماً فانهم ايسوا منه فخرج اليه اوس وقال ماتقول اني فاعل بك قال تقتلني لامحالة قال افتستحق القتل قال ومن احق به مني فقال ان سعدى التي هجوتها قد اشارت بكذا وكذا ثم امر بحل اكتافه واعطاه مااشارت به امه وقال له انصرف الى اهلك سالماً فرفع بشر يده الى السماء وقال اللهم انت الشاهد علي اني لااعود الى شعر إلا ان يكون مدحا في اوس وله بعد ذلك قصائد مشهورة .

(قيل) وجد مكتوبا على باب ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم الرزق مقسوم والأجل معلوم ، والحريص محروم ، والبخيل مذموم ، والكريم ذكره يدوم ، والحسود مغموم ، والرازق حي قيوم .

لما اتى بلال من بلاد الحبشة الى النبي صلى الله عليه وسلم أنشده بلسان الحبشة :

أره بره كنكره كرا كرى مندره

فقال عليه السلام لحسان اجعل معناه عربياً فقال حسان :

اذا المكارم في آفاقنا ذكرت فانما بك فينا يضرب المثل

ومن خطبة النبي المكرم (ص) : أيها الناس الدنيادار بلاء ، ومنزل قلق وعناء قد نزعت عنها نفوس الأتقياء ، وانتزعت بالكره من أيدي الاشقياء ، فأسعد الناس فيها أرغبهم عنها ، وأشقاهم بها أرغبهم فيها ، هي الغاشة لمن انتصحها ، المغوية لمن أطاعها ، والهالك من هوى فيها ، طوبى لعبد اتقى فيها ربه ، ونصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخرة ، فيصبح في بطن غبراء مدلهمه ، لايستطيع ان يزيد في حسنه ، ولا ان ينقص من سيئه ، ثم ينشر فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها ، أو نار لاينفد عذابها .

(ومن خطبة) لامام المشارق والمغارب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أيها الناس الدنيا دار ممر ، والآخرة دار مقر ، فخذوا رحمكم الله من ممركم لمقركم ولاتهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان تخرج منها ابدانكم ، فللاخرة خلقتم وفي الدنيا حبستم ، ان المرء اذا هلك قالت الملائكة وما قدم ، وقالت الناس وماخلف ، فلله آباؤكم ، قدموا بعضا يكن لكم ، ولاتتركوا كلا يكن عليكم ، فانما الدنيا كمثل السم يأكله من لايعرفه .

(كان الشيخ علي) بن سهل الصوفي الاصفهاني ينفق على الفقراء والصوفية ويحسن اليهم فدخل عليه يوما جماعة منهم ولم يكن عنده شيء فذهب الى بعض اصدقائه والتمس منه شيئا للفقراء فأعطاه شيئاً من الدراهم واعتذر له من قلتها وقال اني مشتغل ببناء دار أحتاج الى خرج كثير فاعذرني فقال له علي بن سهل وكم يصير خرج هذه الدار فقال يبلغ خمسمائة درهم فقال الشيخ ادفعها الي لأنفقها على الفقراء وأنا أسلمك داراً في الجنة وأعطيك خطي وعهدي فقال الرجل ياأبا الحسن

انى لاسمعت منك خلافا قط فان ضمنت ذلك فأنا افعل ، فقال الشيخ ضمنت وكتب على نفسه كتابا بضمان دار له في الجنة فدفع الرجل الخمسمائة الدرهم اليه وأخذ الكتاب بخط الشيخ وأوصى انه إذا مات ان يجعل ذلك الكتاب في كفنه فمات الرجل في تلك السنة وفعل ماأوصى به فدخل الشيخ يوما الى مسجده لصلاة الغداة فوجد الكتاب بعينه في المحراب وعلى ظهره مكتوب بالخضرة قد اخرجناك من ضمانك وسلمنا الدار لصاحبها فكان ذلك الكتاب عند الشيخ برهة من الزمن يستشفي به المرضى من أهل اصفهان وغيرهم وكان بين كتب الشيخ فسرق صندوق كتبه وسرق ذلك الكتاب معها .

﴿ ترجمة الشريف الرضى أبى الحسن محمد بن الطاهر ذى المناقب ﴾
(أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى الكاظم)
(ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين)
(ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله)
(تعالى عليهم أجمعين)

جوهرة فاخرة يتيمه ، ترجمه الثعالبي في اليتيمه ، فقال أبدع بقول الشعر بعد ان جاوز عشرين سنة بقليل وهو اليوم ابدع أنشاء الزمان وانجب سادات العراق يتحلى من محتده الشريف ومفخره المنيف ، بادب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبيين ، ممن مضى منهم وممن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين ، ولو قلت انه أشعر قريش لم ابعد عن الصدق وسيشهد بما خبرته شاهد عدل من شعره العالي القدح الممتنع عن القدح ، الذى يجتمع الى السلامة متانه ، والى السهولة رصانه ، وكان أبوه يتولى قديما نقابة نقباء الطالبيين ، ويحكم فيهم أجمعين ، والنظر فى المظالم والحج في الناس ثم ردت هذه الأعمال الى ولده المذكور وأبوه حى في سنة ٣٨٨ .

(فن قوله) ماكتبه الى الامام القادر بالله أبي العباس احمـــد بن المقتدر من جملة قصيدة:

مهلا امير المؤمنين فاننا ... في دوحة العلياء لا نتفرق
مابيننا يوم الفخار تفاوت ... ابداً كلانا في المعالى معرق
إلا الخلافة ميزتك فانني ... انا عاطل منها وانت مطوق

ومن جيد شعره قوله:

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل ... ابداً يمانع عاشقاً معشوق
وصبرت حتى نلتهن فلم اقل ... ضجراً دواء الفارك التطليق

وذكر ابوالفتح بن جنى النحوى في بعض مجاميعه! ان الشريف الرضى المذكور احضر الى السيرافي النحوى وهو طفل جـداً لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو فقعد معه يوما في الحلقة فذاكره بشيء من الاعراب على عادة التعليم فقال له اذا قلنا رأيت عمرو فما علامة النصب في عمرو فقال الرضى بغض على فعجب السيرافي والحاضرون من شدة حدة خاطره، وذكر انه تلقن القرآن بعد ان دخل في الست فحفظه في مدة يسيرة وصنف كتابا في مجازات القرآن فكان نادراً وقد عنى بجمع ديوان الرضى المذكور جماعة من الافاضل واجود ماجمع الذى جمعه ابو حكيم الخيرى ومن شعره البليغ العجيب، الذى يشتاقه كل حكيم واديب قوله يمدح الطائع لله ويهنيه بعيد الاضحى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة:

جزاء امير المؤمنين ثنائى ... على نعم ماتنقضي وعطاء
انام الليالي عن بقايا فريستى ... ولم يبق منها اليوم غير ذماء

الذماء بقية الروح في المذبوح.

وادنى اقاصى جاهه لو سائلي ... وشد اواخى جوده برجائى
وعلمنى كيف الطلوع الى العلى ... وكيف نعيم المرء بعد شقاء
وكيف ارد الدهر عن حدثانه ... والقى صدور الخطب اى لقاء

فمالي أغضى عن مطالب جمة … واعلم أني عرضة لفنـــاء
وأترك سمر الخط ظمأى خلية … وشرقنا ماكن غير رواء
إذا ماجررت الرمح لم يثنني أب … يليح ولا أم تصيح ورائي
وشيمني قلب اذا ماأمرته … أطاع بعزم لا يروع ورائي
أرى الناس يهوون الخلاص من الردى … وتكاملة المخلوق طول عناء
ويستقبحون القتل والقتل راحة … واصعب ميت من يموت بداء
فلست ابن ام الخيل ان لم أعدها … سوابق لاعهد لهـــا ببطاء
وارجمها مفجوعة بحجولها … اذا انتعلت من مارق بدماء
الى حي من كان الامام عدوه … وصبحه من أمره بقضاء
هو الليث لامستنهض عن فريسة … ولا راجع عن فرصة لحياء
ولا عزمه في فعله عن ذابل … ولا مشيه في فتكه بضراء
هو الثابه النيران في كل ظلمة … ومجرى دماء الكوم كل مساء
ومملى حنين القوس في كل ساعة … بسهم نصال أو بسهم علاء
نجار لو ان النجم أعطى مثله … ترفع أن يأوى اديم سماء
ووجه لو ان البدر يحمل شبهه … اضاء الليالي من سنا وسناء
مغارس طالت في ربى المجد فالتقت … على انبياء الله والخلفاء
وكم صارخ ناداك لما تلبيت … به السمر في يوم بغير ذكاء
رددت عليه النفس والشمس فانثنى … بانعم روح في أعم ضياء
وكم صدر موتور تطلع غيظه … وقلب قولا عن لسان مرائي
يغطى على اضغانه بنفاقــه … كذى الفقر غطى فقره بكفاء
كررت عليه الحلم حتى قتلته … بغير طعان في الوغا ورماء
اذا حمل الناس اللواء علامة … كفاك مثار النقع كل لواء
وجيش مضر بالفلاة كأنه … رقاب سيول او متون نهاء

كأن الربى زرت عليه جيوبها — وردته من بوغائها برداء
وخيل تعالى في السروج كأنها — صدور عوال او قداح سراء
لها السبق في المضمار والسبق وحدها — اذا غطيت من نقعها بغطاء
وليس فتى من يدعي البأس وحده — اذا لم يعود بأسه بسخاء
وما أنت بالمبخوس حظاً من العلى — ولا قانعاً من عيشه بكفاء
نصيبك من ذا العيد مثلك وافر — وسعدك فيه مؤذن ببقاء
ولو كان كل آخذاً قدر نفسه — لكانت لك الدنيا بغير مراء
وما هذه الاعياد إلا كواكب — تغور وتولينا قليل ثواء
فخذ من سرور مااستطعت وفزبه — فللناس قسما شدة ورخاء
وبادر الى اللذات فالدهر مولع — بتنغيص عيش واصطلام علاء
أبثك من ودى بغير تكلف — واعطيك من نصحى بغير رياء
وأذكر ماأوليتني من صنيعة — فاصفيك رهني طاعتي وولائي
اعني على دهر رماني بصرفه — ورد عنائي وهو في الغلواء
وحلأني(١) عمن أعد بعاده — سقامي ومن قربي اليه شفائي
فقدت وفي فقد الاحبة غربة — وهجران من أحببت اعظم داء
فلا تطمعن يادهر في فانه — ملاذى مما راعني ووقائي
أرد به أيدي الاعادي وأتقي — نوافذ شتى من أذى وبلاء
الذ بقلبي من مناى تقنعي — واحسن عندي من غناي غنائي
ومن كان ذا نفس تطيع قنوعة — رضى بقليل من كثير ثراء
حدوا المطايا يوم جالت عروضها — ويوم التقت ركبانها برغاء
تؤمك لاتلوي الى كل روضة — يصيح بها حوذانها (٢) واضاء

---

(١) حلأه عن الماء : طرده .

(٢) الاضاء : مسيح الماء .

ولا تشرب الامواه الا تعلة اذا عثرت اخفافهن بماء
لها سائق يطغى عليها بسوطه ويشدو على آثارها بحداء
غلام كاشلاء اللجام تجيزه صدور القنا والبيض كل فضاء
اذا بلغت ناديك قال رفاقها عريض عطاء من طويل ثناء
ومثلك من يمشى الى ضوء ناره ويلفى قراه عند كل خباء
وما كل فعال الندى بشبابة ولا كل طلاب العلى بسواء

(وقوله ايضا) يرثى عمر بن عبد العزيز الاموى :

يابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من امية لبكيتك
غير انى أقول انك قد طبت وان لم يطب ولم يزك بيتك
أنت نزهتنا عن السب والقذف فلو امكن الجزاء جزيتك
ولو انى رأيت قبرك لاستحييت من ان أرى وما حييتك
وقليل لو ان بذلت دماء البدن ضربا على الذرى وسقيتك
دير سمعان لاغبك غاد خير ميت من آل مروان ميتك
أنت بالذكر بين عينى وقلبي ان تدانيت منك أوان نأتيك
واذا حرك الحشا خاطر منك توهمت انى قد رأيتك
وعجيب انى قليت بنى مروان طرآ وانني ماقليتك
قرب العدل منك لما نأى الجور بهم فاجتويتهم واجتبيتك
ولو انى ملكت دفعا لما نابك من طارق الردى لفديتك

وقوله قدس الله روحه الطاهره متغزلا :

أيا منازل سلمى اين سلماك من أجلها اذ بكيناها بكيناك
زرناك شوقا ولو أبدى النوى بسطت أرض الفلا جمر نيران لزرناك
ياظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم ان القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه وليس يرويك إلا دمعة الباكى

هبت لنا من رياح الفوز رائحة عند الصباح عرفناها برياك
ثم انثنينا إذا ماهزنا طرب على الرحال تعللنا بذكراك
سهم أصاب وراميه بذى سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماك
حكت لحاظك ماباالريم من ملح يوم اللقاء وكان الفضل للحاكى
أنت الشفاء لقلبي والعناء له فما أمرك في قلبي واحلاك
عندى رسائل شوق لست اذكرها لولا الرقيب اذن بلغتها فاك
وعد لعينك عندى ماوفيت به ياطالما كذبت عينى عيناك
سقى منى وليالى الخيف ماشربت من الغمام وحياها وحياك
اذ يلتقي كل ذى دين وماطله منا ويجتمع المشكو والشاكى
لما غدا السرب يعطو بين ارحلنا ما كان فيه غريم القلب إلاك
هامت بك العين لم تبغى سواك هوى من أعلم القلب ان العين ترعاك
حتى دنا النعو ماحييت من كمد قتلى هواك ولا فاديت اسراك
ياحبذا نفحة مرت بفيك لنا أو قطعة غمست فيها ثناياك
وحبذا وقفة والركب مرتحل على ثرى ومشت فيها مطاياك
لوكانت اللمة السوداء من عددى يوم الغميم لما افات اشراكى

(قلت) : ويعجبنى من هـذا الروى والقافية قول الصفي الحلى وهو أيضاً محبوك الطرفين :

كفي القتال وفكي قيد أسراك يكفيك مافعلت بالناس عيناك
كفاك ماأنت بالعشاق فاعلة لو انصف الدهر في العشاق عزاك
كلت لحاظك مما قـد فتكت بها فمن ترى في دم العشاق أفتاك
كملت أوصاف حسن غير ناقصة لو أن حسنك مقرون بحسناك
كتمت حبك حتى قال فيك فى شعراً ولم يدر ان القلب يهواك
كيف انثنيت الى الاعداء كاشفة غوامض السر لما استنطقوا فاك

كدت المحب فماذا أنت طالبة ... فنا محبك أو اشمات اعداك
كافيتني بذنوب لست اعرفها ... فسامحي واذكري من ليس ينساك
كلفتني حمل اثقال الهوى أبدا ... وحبذا ثقلها لو كان ارضاك
كابدت اهوال قطع البيد مكتسبا ... مالا وما كنت ابغي المال لولاك
كلا ولا بت اطوى كل مقفرة ... ومهمه لم تسر فيه مطاياك
كأن فيه السما والأرض واحدة ... ونوقنا تحت نور تحت افلاك
كبت من الاين فيه ناقتي فغدت ... تشكي إلي بطرف شاخص باكي
كوماء تسحب من سقم مناسمها ... كأن ارجلها شدت باشراك
كفت عن السير للمرعى محاولة ... فقلت سيري الى مرعى الندى الزاكي
كرت وقالت الى من ذا فقلت لها ... الى ابي الفتح مولانا ومولاك
كهف الضيوف ووهاب الالوف وجداع الأنوف وامن الخائف الشاكي
كريم اصل بديع الروح منظره ... فان عوني باذن الله احياك
كساك من سندس الانعام اردية ... حتى كأن جنان الخلد مأواك
كلي ونامي هنيئاً غير جازعة ... في مربع فيه مرعانا ومرعاك
كذا طلاب العلى يانفس ممتنع ... فان صبرت له نالته كفاك
كوابل الطل إلا ان راحته ... ان امسك القطر لم تعبأ بامساك
كف حكى وابل الأنواء وابلها ... حتى انثنى يحسد المحكى للحاكي
كل الانام لما أولاه شاكرة ... فما له غير بيت المال من شاكي

(وما أحسن) قول الشيخ تقي الدين :

لطلعة البدر جزء من محياك ... وللصباح نصيب من ثناياك
وما تبسم ثغر الكاس من حبب ... كالدر فى النظم إلا خلته فاك
اهدت خدودك للورد الجنى شذى ... وعلم البان ان يهتز عطفاك
وبات ظبي النقا يرنو اليك عسى ... يعيره كحل العينين عيناك

سبحان من صاغ ما في الخد من ذهب ... وجل من بكنوز الحسن اغناك
يدق مغناك عن ادراك ذى نظر ... كأن مغناك ياأسماء معناك
وبين جفنى وجفنيك مناسبة ... اذا حمى بين سفاح وسفاك
جرى بتجريح جفنى بالبكا قلم ... من حين عدلك الباري وسواك
وسال أحمر دمعي فى الهوى ذهبا ... وفي الحشا من لهيبي أي سباك
حميت برد رضاب تحته برد ... فما دنا من حماك غير مسواك
ورام قدك لما صار عامله ... لناظر فيه فتان وفتاك
في القلب مني لقد أصبحت ثاوية ... فما يضرك لو أكرمت مثواك
اعيذ ردفك بالاحقاف من زمن ... بزخرف اللوم قالوا قول افاك

ماأحلى هذا التوجيه .

اليس ترضين منا يوم كاظمة ... غيظ المذول وان القلب يرضاك
ان كنت في الناس ذا عشق وذا غزل ... فانت فتنة عباد ونساك
ان تخطرى حلوة الاعطاف حالية ... فنور حسنك في الحالين حلاك
لوجاد ناظرك الفتان لي بكرى ... طمعت انى في الاحلام ألقاك
وكل حي قتيل فيك من شغف ... تكاثرت منك فى الاحياء قتلاك
مليكة الحسن رفقاً في هواك لنا ... ولا تجورى فانا من رعاياك
زورى وان خفت صبح الثغر يفضحنا ... فصيرى في ليالي الشعر مسراك
وان تغزلت في شمس وفي قمر ... وفي غزال فان الكل اسماك
ياطفلة من بنات الترك تاركة ... اخا الضنا لهواها غير تراك
للقان ينسب قانى خدها فلذا ... منها المصائب تبدو بين أتراك
مالي ولم تدع لي قلباً اقول لها ... ليهنك اليوم ان القلب مرعاك
أوقفت قلبي محرابا لحاجبها ... لما تهجد فيه طرفى الباكي
نعم ونزهتها في الحسن عن شبه ... فقلت أشهد أن لا بدر إلاك

ياسلوتى ان تجلى حسن طلعتها فهو الذى من ديار القلب اخلاك
لهفى لطائر قلبي واقف أبدا من هدب أجفانها مابين اشراك
شكوت لحظاً لهاشاكي السلاح لقد عجبت لما شكا المشكو للشاكي
ياظبية قد غزانا سيف ناظرها لناظر الجيش في الأقران معزاك

ولله در ابن المقرى في قوله :

كيف الخلاص وقلبي بعض اسراك صادته اجفانك الوسنى باشراك

ما ألطف هذا الجناس المصحف :

ياسلم أين ليالينا بذى سلم مرت فما كان احلاهـا واحلاك

وما أحلى جناس الطباق هنا بين المرارة والحلاوة :

يفنى الزمان وماأنسى عهودهوى وثقتها بعقود من ثناياك
حاشاى انسى بروقا بالثنية من تلك الثغور وحاشا القلب ينساك
ولست أعرف ماالسلوان عنك فلا يمر بالبال ذكر غير ذكراك
لولاك ماكنت اصبو عند كل صبا له مرور بذاك السفح لولاك
آها على السفح من عيني ومن وطني وليت آها تروي غلة الباكى
أوليت ياجنتى نار الأسى خمدت فانها في حشائى وهى مثواك
أوليت عيشي وهل ليت بنافعة على تحفظه بالعطف عطفاك

وقال مصنف هذا الكتاب مقتفياً آثار ذوى البلاغة والآداب :

جرحت قلبي بلحظ منك فتاك فمن بـذا ياحياة الروح أفتاك
ماكان عهدى بذا يامنتهى أملي أن تشمتي بى أعدائى واعداك
وتحرميني لذيذ الوصل منك فمن هذا الجفا والنوى ماكان اغناك
فهل تداوين قلبي باللقا كرما فما لقلبي دواء غير لقياك
لم تهجرين محباً لم يكن أبدا يهوى سواك ومن بالهجر أغراك
الى متى تسمعي عذل العذول وكم تصغى الى قول نمام وافاك

وتقطعيني بلا ذنب ولا سبب | من بعدما كنت موصولا بحسناك
ما كنت أحسب يابدر البدور بأن | تنسى عهود محب ليس ينساك
وتتركيني حزيناً هائماً قلقاً | أشكو الفراق بطرف ساهر باكى
ان كان للناس عيد يفرحون به | يانور عيني فعيدى يوم ألقاك
أو كان للناس سكر يطربون به | ويسكرون فسكرى من ثناياك
بالله جودى وعودى بالوصال ولا | تشفي الحسود الذى قد كان أغواك
يامن غدت بالعيون النجل قاتلتى | كفى القتال وفكي قيد أسراك
وارشفيني زلالا من لماك ولا | تفتى بظلمى فانى من رعاياك
ولا تكونى بقتل الصب راضية | حاشاك ان تقتلى مضناك حاشاك
ان كنت أذنبت يابدر الدجى فانا | أستغفر الله من بالحسن أنشاك
وان يكن ذا الجفا عمداً بلا خطأ | منى فيا حبذا ان كان ارضاك
والله والله أيمانا مغلظة | مازلت يابدر طول الدهر أهواك

(رجع الى ترجمة الشريف الرضى قدس الله روحه الطاهرة وعنه رضى)

وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ببغداد ووفاته بها في سادس محرم سنة ست واربعمائة وعمره ست وأربعون سنة ودفن بداره بخط مسجد الأنباريين بالكرخ وخربت الدار ودثر قبره ومضى أخوه الشريف المرتضى ابو القاسم علي الى مشهد موسى بن جعفر (ع) لانه لم يستطع أن ينظر الى تابوته ودفنه وصلى عليه فخر الملك في الدار مع جماعة كثيرة رحمه الله تعالى ، وأفاض وابل رحمته على ضريحه الشريف ووالى .

(من أمثال العرب) وحكاياتهم عن ألسنة الحيوانات ، لقى كلب كلباً وفي فمه رغيف محرق فقال بئس هذا الرغيف ماأرداه فقال له الكلب الذى في فمه الرغيف نعم لعن الله هذا الرغيف ولعن من يتركه قبل أن يجد ماهو خير منه .

كان أنوشروان العادل يمسك عن الطعام وهو يشتهيه ويقول نترك ما نحب لئلا نقع فيما نكره .

(قيل لفيثاغورس) من الذى يسلم من معاداة الناس قال من لم يظهر منه خير ولا شر قيل وكيف ذلك قال لانه ان ظهر منه خير عاداه الاشرار وان ظهر منه شر عاداه الاخيار .

(قال عيسى) على نبينا وعليه السلام ان مرتكب الصغيرة والكبيرة سيان فقيل وكيف ذلك فقال الجرأة واحدة وما عف عن الدرة من يسرق الذرة .

(من تأويلات جمال العارفين الشيخ عبد الرزاق الكاشى) رحمه الله تعالى في قصة مريم في قوله تعالى فتمثل لها بشراً سويا قال انما تمثل لها بشراً سوى الخلق حسن الصورة لتتأثر نفسها فى الطبيعة فتتحرك على مقتضى الجبلة ويسري الاثر من الخيال في الطبيعة فتتحرك شهوتها فتنزل كما يقع في المنام من الاحتلام وانما امكن تولد الولد من نطفة واحدة لانه ثبت في العلوم الطبيعية ان منى الذكر في تولدالولد بمنزلة الانفحة فى الجبن ومنى الانثى بمنزلة اللبن أي العقد من مني الذكر والانعقاد من مني الانثى لاعلى معنى ان مني الذكر ينفرد بالقوة العاقدة ومني الانثى بالقوة المنعقدة بل على معنى ان القوة العاقدة في مني الذكر اقوى والقوة المنعقدة في مني الأنثى أقوى وإلا لم يمكن ان يتحدا شيئاً واحداً ولم ينعقد منى الذكر حتى يصير جزأ من الولد فعلى هذا اذا كان المزاج قويا ذكورياً كماتكون أمزجة النساءالشريفة النفس فان كان مزاج كبدها حاراً كان المنى الذى ينفصل عن كليتها اليمنى احر كثيرا من المنى الذى ينفصل عن كليتها اليسرى فاذا اجتمعا في الرحم وكان مزاج الرحم قويا في الامساك والجذب قام المنفصل من الكلية اليمنى مقام منى الرجل في شدة قوة العقد والمنفصل من الكلية اليسرى مقام منى الانثى في قوة الانعقاد فيتخلق الولد هذا وخصوصا اذا كانت النفس متأيدة بروح القدس متقوية به يسرى أثر اتصالها به الى الطبيعة والبدن والمزاج ويمد جميع القوى في افعالها بالمدد الروحاني فتصير

أقدر على افعالها مالا ينضبط بالقياس والله بكل شيء عليم .

﴿ فائدة ﴾

عرفت ربي بفسخ العزائم لا بل عرفت فسخ العزائم بربي جل وعلا فانه سبحانه الدليل على ماسواه لا بالعكس فان الدليل اظهر من المدلول وأي شيء أظهر منه سبحانه وتعالى فهو الدليل على نفسه وعلى ماسواه فلا جرم عرفت ربي بربي وعرفت الاشياء به فالبرهان من ههنا والتفاوت بتفاوت النظر والاختلاف باختلاف النظر بل لا مجال للاستدلال والبرهان ثمة اذ لاخفاء في وجوده سبحانه ولاريب في ظهوره تعالى فهو اجل البديهيات وماخفي ذلك على أحد الا لمرض في قلبه وغشاوة على بصره والاشياء محسوسة بالحواس الظاهرة ومعلوم بالضرورة ان وجودها منه تعالى وتقدس وفقدان هذا العلم للبعض بواسطة عروض المرض لا يضر في المطلوب والله بكل شيء عليم .

(فلما) كان عصر سادس صفر المقرون بالظفر عام ألف ومائة وثلاث وثلاثين من هجرة سيد النبيين ، ركبنا من البصرة وفي القلب من فراقها حسره صحبة الجناب الاجل ، والكهف الأظل ، جميل الوصف والمحيا ، الناخوده يحيى بن زكريا في مركب الأمير العظيم الشان ، المرحوم فارس خان وسرنا الى الهند في كنف الرحمن ، وكان المركب للسيد علي الشاطرى رحمه الرحمن المنان ، واستأجره الامير المذكور في ذلك الزمان ، فمررنا في طريقنا على جزيرة خارج المتقدم ذكرها ، ورسينا قبالها وأقمنا يوما ثم سرنا فأتينا على بندر أبي شهر المتقدم ذكره ، ورسينا قباله ، ستة أيام حتى حمل الناخودة متاعا كان له هناك ، ثم سرنا وقاسينا انواع الخطر في ذلك البحر ، فصبرنا والصبر عقباه الظفر .

اذا تضايق امر فانتظر فرجا فضيق الامر أدناه الى الفرج

(فلما) كان غرة ربيع الأول ، دخلنا بندر كنج بعون من عليه المعول ، فرأيته بندراً يشرح الصدور ويزيد السرور ، ويفرح القلوب ، ويفرج الكروب

تأتى اليه النعم والفواكه من كل مكان ، من سائر الاشكال والالوان ، واهله كرام أخيار كفواشر الاغيار ، وسترهم الستار ، واجتمعت هناك بالعلامة جليل المعاني الشيخ محمد بن ماجد البحراني ، ونلت منه كل خير ، كفاه ربى كل ضير ، واقمنا في كنج اربعة ايام ، ثم سرنا الى بندر سورت بسلام ، فلم نزل ليلا ونهاراً نسير ونطلب من الله التيسير فى بحر الهند الكبير .

﴿ فائدة ـ ذكر بحر الهند ﴾

بحر الهند اعظم البحار غزرا ، وأوسعها قطرا ، وأكثرها جزائر وليس هو كالبحر الغربى فان انفصال البحر المحيط عن البحر الغربى ظاهر ، ويتشعب من هذا البحر الهندى خلجان اعظمها بحر فارس وبحر القلزم .

قال ابن الفقيه : ان بحر الهند مخالف لبحر فارس فانه عند نزول الشمس إلى برج الحوت يبـدأ بالظلمة ويكثر فيه اضطراب الأمواج فلن يستطاع ركوبه من شدة ظلمته وصعوبة سلوكه فلا يزال على ذلك الى قريب الاستواء الخريفي وأشدّ ماتكون ظلمته وصعوبته عند نزول الشمس في برج الجوزاء ولم يزل على ذلك حتى تنزل الشمس الى برج الميزان فتقل ظلمته ويمكن سلوكه واحسن سلوكه عند نزول الشمس الى برج القوس .

(قال ابن اياس) : في (نشق الازهار) وكان في هذا البحر ما يزيد على عشرين ألف جزيرة كلها عامرة بالسكان .

(فمن جزائره) جزيرة كله وهى جزيرة عظيمة ذات أشجار وأنهار وبهامعدن الرصاص والقصدير وبها شجر الكافور وهو شبيه بشجر الصفصاف إلا انه اكبرمنه وربما تظل الشجر مائة رجل واكثر وبها منابت الخيزران .

(ومن جزائره) جزيرة القصر وهى جزيرة كان بها قصر أبيض من بلور له ضوء في الليل كالقمر فاذا ترآى لاهل المراكب تباشروا بالسلامة وهذا القصر

فى غاية العلو ولم يعلم بانيه من أي الملوك .

وحكى أن بعض الملوك دخل هـذا القصر فالق الله عليه النوم والخدر فاستمر نائمـاً حتى مات فلما رأى أصحابه ذلك بادروا الى المراكب ورحلوا من هناك وهلك بعضهم .

(وحكى) عن ذى القرنين أنه دخل وادياً خلف هذه الجزيرة فرأى به أمماً رؤسهم كرؤس الكلاب وانيابهم طوال خارجة عن افواههم ولهم زفير كلهيب النار فلما رأى عسكر الاسكندر ذلك خرجوا من ذلك الوادى مسرعين .

(واما عجائب هذا البحر) فمنها سمكة تخرج من البحر وتسير الى البرفتصعد الاشجار فتمص فواكهها ثم تقع الى الارض كالمتخومة فيصيدها الناس ويأكلونها

(ومنها) سمكة كبيرة معروفـة عندهم يكتب الكتاب بدهنها في الورقة البيضاء مهما شاؤا فلا يظهر فيها الخط بالنهار اصلا فاذا جاء الليل يظهر فيها جميع ماكتب من الخط .

(ومنها) سمكة مدورة يقال لها مارماهى على ظهرها شبه عمود محدد الرأس لاتقوم لهـا سمكة في البحر إلا ضربتها بذلك العمود فتقتلها ، وفيه عجائب كثيرة يطول شرحها .

(فلما) كان ظهر خامس وعشرين من ربيع الأول ، رسينا في البارة مرسى بندر سورت وستر الله علينا وجل .

وكان في المرسى مركب كبير للفرنج الانكليز فصدنا عن الدخول الى البندر وكان مانعا للمراكب لواقعة كانت بينه وبين حاكم البندر شيخ الاسلام خان الأعمى من جهة اخذ مركب عبد الرحمن اسحاق ولاحاجة الى بيان القصة ، وفي اليوم الثانى اتانا الفسح بدخول بندر التهانى .

(فلما) كان صبح سابع وعشرين ربيع الأول سنةالف ومائة وثلاث وثلاثين دخلنا في وقت مشكور بندر سورت المعمور وهي اكبر بنادر الهند على شاطىء

النهر ، ماأحسن قول العلامة شيخي واستاذي السيد عبد الله بن جعفر الملقب بعدهر من آل باعلوى :

أيا ساعياً للهند يبغي به الثرى يجوب الفيافي نحوها الصبح والليلا
عدمت صواب الرأى فيما تَرومه أتصبو الى هندو تجفو حمى ليلى

﴿ فائدة ـ ذكر الهند ﴾

الهند من اعمال الاقليم الثالث وهي بلاد واسعة كثيرة الخيرات كثيرة العجائب كثيرة الامم ومسافتها ثلاثة أشهر في الطول وشهران في العرض وبها عدة أنهار وجبال كثيرة وقلاع حصينة ويحمل منها البضائع الفاخرة الى سائر الاقاليم وغالب اهلها كفار مشركون على مذهب البراهمة والبهامنة وهم طوائف مختلفة فمنهم من يعبد الاصنام ومن يعبد الشمس ومن يعبد القمر ومن يعبد الماء ومن يعبد النار ومن يعبد الشجر ومن يعبد البقر ومن يعبد السيوف ومن يعبد بعضهم بعضا وألعن قوم رأيتهم في الهند من يصنع من الحجر ذكراً وفرجا ويزينونهما بالذهب والفضة وغير ذلك كل واحد على قدره ويضعون عليهما انواع الطيب والزهور ويعبدونهما على انهما ذكر آدم وفرج حواء فتعجبت من تلك العقول التي أضلها الشيطان ، وحمدت الله وشكرته على دين الاسلام والايمان .

وملك الهند متصل بملك الزنج وهي دار مملكة المهراج بين الهند والصين .

(وقيل) ان الهند والسند كانا أخوين من ولد يفن بن قطن بن حام بن نوح عليه السلام ، والسند هـذه مدينة عظيمة بين الهند وكرمان ، وكان بها بيت يسمى بيت الذهب وهو في الصحراء على أربع فراسخ منها وفي ذلك البيت ترصد الكواكب وأهل الهند يعظمون ذلك البيت جداً وبها نهر يقال له نهر مروان وعرضه كعرض الدجلة ومبدؤه من ظهر الجبل يخرج من هناك ويتصل بنهر جيحون ثم يصل الى ناحية ملطان على حدود سمندور ثم ان الخليفة المنصور الدوانيقي العباسي أجرى

هذا النهر الى عدّة بلاد وهـذا النهر يقالـ انه جزء من النيل واستدلوا على ذلك بظهور التماسيح فيه وهذه الارض لايقع عليها الثلج دون جوانبها .

(وبالهند) مداين كثيرة وكلها عامرة وخيراتها وافرة .

(فنها) مدينة المتانكير وكانت اعظم مدائن الهند علي بحر اللان وهو أول بحار الهند من جهة المغرب وهذه المملكة أقرب ممالك الهند الى بلاد الاسلام وهى التي كان السلطان محمود بن سبكتكين يكثر غزوها حتى فتح منها عدة بلاد كثيرة .

(ومنها) مدينة قندهار وهي على جبل عظيم صعب السلوك والارتقاء .

(ومنها) مدينة قارى وهىمن أعظم مدائن الهند على البحر الهندى واهلها يقولون بتحريم الزنا دون سائر أهل الهند واليها ينسب العود القمارى .

ومنها مدينة كابل وهىمدينة عظيمة حسنة البناءمعتدلة الهواء كثيرة الزهور والثمار والمياه والاشجار وبها حصن منيع ويجلب منها الكابلى والعود الذكى الرائحه وبها معدن الحديد ويقع بنواحيهاالثلج دون سائر بلاد الهند وغالب أهلها مسلمون وقليل منهم كفار ويجلب منها النوق البخاتى وكان قدما لايتم لملك من ملوك الهند بيعة إلا بها .

ومنها مدينة قاقلا وهي مدينة عظيمة حسنة على نهر صغير يصب في نهر كبير وبه جزيرة كبيرة واليها ينسب العود القاقلي وغير ذلك من أنواع الثياب والمعادن وبها مدائن كثيرة سوف يأتى ذكـر البعض الذى رأيناه منها في هذا الزمان ، ان شاء الملك المنان .

فلما دخلت بندر سورت المشهور رأيته بندراً كل مافيه حسن ، الغريبفيه يسلو عن الاهل والوطن ، فيه القصور الرفيعه ، والبدور المشرقة المنيعه ، والبساتين الزاهره ، والاسواق العامره ، والمساجدالمنيره ، والحمامات الشهيره ، وفيه قلعةعظيمة مكينه ، كانها مدينه ، وهي من عمل الاتراك وعلى البندر سوران قديم وحديث ، فالقديم بنـاه الاتراك في أوّل الزمان ، والحديث بنى أبراجه الأمير مبارز خان ،

وصرف عليه من خزانة السلطان ، ثم تم بناء السور الأمير حيدر قلي خان .

واجتمعت هناك بالامير ذى الاحسان ، فارس خان ، فغمرني بالعطيه ، حماه ربي من كل بليه .

واجتمعت بابن أخت القلمدار مرزا فقيرا ، ونلت منه خيراً كثيرا ، كان الله له معينا ونصيرا .

واجتمعت بالعلامة من هو بالفضل حرى ، السيد علي الشاطرى .

واجتمعت بالقطب الشهير الولى الكبير ، من ذكره حياة النفوس ، مولانا السيد عبد الله بن الولى السيد علي العيدروس ، وبالسيد زين العيدروس وبالسيد عبدالقادر العيدروس ، والسيدمصطفى العيدروس ، والسيدمحمدالعيدروس ، والسيد صادق العيدروس والسيد أحمد العيدروس نفعنا الله باسرارهم .

واجتمعت بالرئيس التاجر ، حاوى المحامد والمفاخر ، من حديث إحسانه وكرمه غير منسى الشيخ ابراهيم بن خليل القدسى ، فغمرني بالفضل ، ولا عجب فان يده جعفر وهو الفضل :

كريم إذا ماأمحل الغيث أمطرت أياديه جوداً منه تصفو المشارب

واجتمعت بالرئيس التاجر الكامل ، حسن الفعال والخصائل ، الجناب الكريم إبراهيم جلبي دورلى وحصل لي القبول ، بلغه الله المأمول :

هكذا هكذا وإلا فلالا إنما الجود والسخا للدورلى

واجتمعت بالتاجر الرئيس ، ذى الخلق الجميل النفيس ، الجناب الكريم أحمد جلبي نجل الحاج صالح الدرويش فحباني بفضله ، حباه ربي بفضله :

كريم عظيم حاتمى مهذب يرى فعله الاحسان والخير مغنما

واجتمعت بالتاجر الرئيس المأنوس ، الحاج عبد الرحمن الجسوس ، وأزال عنى بجوده البؤس :

فلا زال في جاه منيع ورفعة مدى الدهر مامالت وماست ذوائب

واجتمعت بالرئيس التاجر الحاج حسن البدوى ، وعمنى بجوده لازال طالعه قوى :

جزاه الله ربى كل خير　　وأولاه علاء واقتدارا

واجتمعت بالتاجر ، نسل الاكابر ، عين الاعيان ، فريد الزمان ، الجلبي حسين حميدان ، ونلت من خيره مايكل عن وصفه اللسان ، جزاه الله عنى خيرالجزاء وانا له أوفر الثواب والغفران :

وهذا دعاء لايرد لأننا　　إذا مادعونا أمنته الملائك

واجتمعت بابن أخيه الجناب ذى الاحسان ، مصطفى حميدان ، وبالتاجرالذى يزيغ العقل من بخله ويطيش ، الحاج علي الدرويش ، وبالعالم العلامه ، الحبر الفهامه ولي الله السيد سعد الله ، وبالسيد الجليل ، النبيل الاصيل ، السيد علي مؤمن وبالامير جليل الشان صارم علي خان .

واجتمعت بالجى سلطان العجم ، ومنبع الجود والكرم ، ومعدن البر والالطاف مولانا السيد مرتضى نجل السيد علي الخفاف ، حماه الله من كل مايخاف .

(رجز) :

عرج الى الهند وساكنيها　　ياصاح واسمع ان تكن نبيها

فالسعد والاقبال في ناديها　　وكل ماتهوى تجـده فيها

لم تلق فيها منظراً كريها　　فالله من شر العدا يحميها

قد نزهت عن العنا تنزيها　　من كل خير قسمها يأتيها

ما شاهدت عينى لها شبيها　　طوبى لمن كان مقيما فيها

ياصاح دعنى وغرامى فيها　　فالقلب يهواهـا ويشتهيها

واجتمعت بحاكم بندر سورت شيخ الاسلام خان ، أخبث العميان ، وكان أعمى البصيرة والبصائر ، بخيلا أبخل من مادر ، هنديا جبانا أجبن من صافر :

لاتأمن الهندى على أمه　　ينكحها من قبل ان تفطمه

فالله يأخذه أخذاً وبيلا ، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا .

﴿ فائدة ﴾

يقال ان أبا العيناء لقي جده الاكبر علياً عليه السلام فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى فكل من عمى منهم فهو صحيح النسب وأما اشراف العميان فهم النبي شعيب عليه السلام ويعقوب عليه السلام قبل ان يجيء اليه قميص يوسف ، وزهرة بن كلاب بن كعب بن مرة بن كعب بن عبد المطلب بن هاشم والعباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله والحكم بن أبي العاص وأبو سفيان بن حرب والحارث بن العباس ابن عبد المطلب ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بن المغيرة وعتبة بن مسعود الهذلي وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة وأبو أحمد بن جحش بن مسعود الاسدي وجابر بن عبد الله الانصاري وحسان ابن ثابت الانصاري وعبد الله بن أرقم والبراء بن عازب وأبو أسيد الساعدي وقتادة بن دعامة ودريد بن الصمة العبشمي ومخرمة بن نوفل الزهري والفاكه بن المغيرة المخزومي وخزيمة بن حازم النهشلي وأبو العباس الشاعر وعلي بن زيد بن جدعان والمغيرة بن مقسم الضبي والترمذي الحافظ الكبير والفقيه منصور الشاعر المصري وابن سيده اللغوي وأبو العلا المعري وبشار بن برد الشاعر وأبو البقاء العكبري وأبو العيناء وهشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي صاحب الكسائي له عدة تصانيف والسهيلي صاحب الروض الانيق والشاطبي والصرصري وأبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري وأبو عبد الله بن خلصة المغربي النحوي وأبو عبد الله بن الخياط .

وزعم المنجمون ان المولود إذا ولد وأحد النيرين في الخسوف أو الكسوف فانه يولد أعمى والله أعلم .

وما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن الحاجب :

ان تغيبوا عن العيان فأنتم ... في قلوب حضوركم مستمر
مثل ماتثبت الحقائق في الذهن ... وفي خارج لها مستقــر

وابن حزم لم يرض بهذا المعنى بل قال :

لئن أصبحت مرتحلا بجسمي ... فقلبي عندكم أبداً مقيم
ولـكن للعيان لطيف معنى ... لذا ســأل المعاينة الكليم

(قال) بعضهم أكثر أهل بلدة هيت عور فرأيت رجلا منهم صحيح العينين فقلت له ان هذا لعجيب فقال ياسيدى ان لي اخا أعمى قــد أخذ نصيبي ونصيبه فضحكت منه .

﴿ ذكر أوصاف النساء ﴾

(قال) صلى الله عليه وسلم : خير النساء وأبركهن الحسناء الولود الودود الخفيفة المهـــر .

(وقال) صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن وهي الحسناء في منبت السوء

(وقال) عليه الصلاة والسلام توسلوا الى الله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر .

(وقال) علي عليه السلام معاشر الناس لاتطيعوا النساء على حال ، ولا تأمنوهن على مال ، ولا تذروهن يدبرن العيال ، فانهن ان تركن وما أردن أوردن المهالك وعصين المالك ، إنا وجدناهن لاصبر لهن عند شهواتهن ، ولا ورع لهن عند حاجاتهن البذخ لهن ملازم وان كبرن ، والعجب لهن مداوم وان عجزن ، لايستكثرن الكثير ولا يقنعن باليسير ، ويمنعن القليل ، ولايشكرن الجليل ، ينسين الخير ، ويحفظن الشر يتهافتن بالبهتان ، ويتمادين بالطغيان ، ويتصدين للشيطان ، فداروهن على كل حال وأحسنوا لهن المال ، لعلهن يحسن الافعال .

(وقال) رسول الله ﷺ لزيد : تزوج فان التزوج بركة ولاتتزوج عشرة قال وما العشرة يارسول الله قال لاتتزوج هيفشة ، ولا عنفصة ، ولا مذبولة ، ولا شلقلقة ، ولا هندرة ، ولا شهبرة ، ولا نهنبرة ، ولا لهبرة ، ولا مدفنة ، ولالفوتا .

(الشرح) الهيفشة القصيرة ، والمنفصة قصيرة الشعر ، والمذبولة النحيفة ، والشلقلقة الشريره ، والهندرة المقيمة ، والشهبرة العجوز ، والنهنبرة المتلفة ، واللهبرة السارقة ، والمدفنة قاتلة الولد ، واللفوت ذات الولد من الغير .

(وقال حكيم) إياك والحنانه والمنانه والحداقه والانانة وذات الدايات .

(بيان ذلك) الحنانة هي التى تحن الى ولدها من غيرك ، والمنانة التى تمن على زوجها بمالها ، والحداقة التى لاترى شيئاً إلارمته بحدقتها فتقول اجملهلي ، والانانه التى تئن من غير وجع ، وذات الدايات التى عندها عجوز فتقول هي دايتي .

(وقيل لرجل) مات عدوّك فقال وددت لو قلتم انه تزوّج .

(وقال بعض الحكماء) النساء أربعة أقسام للرجال إمرأة كلها للرجل وامرأة نصفها للرجل ، وامرأة ثلثها للرجل وامرأة ماللرجل منها شيء بل عليه .

(فالأولى) هي التى دخل الرجل عليها وهي بكـر لم تعرف غيره فألفت عليه بجملتها فكلها له .

(الثانية) هي الراجع التى مات زوجها ولها منه ولد فنصف قلبها مع ولدها وزوجهـــا الأول .

(الثالثة) هي المطلقة ولها منه ولد فثلث قلبها مع الأول وولده .

(الرابعة) هي المطلقة من رجل تحبه ولم تحب الثانى فكل قلبها مع الأول وليس للثانى منها حظ قط ولا نصيب فاعلم ان خيارهن البكور .

(واعلم) ان من صفات النساء عشرة تشبه عشرة من الحيوانات ، كالخنزير ، كالقرد ، كالكلب ، كالحية ، كالعقرب ، كالبغلة ، كالفأرة ، كالطير ، كالثعلب ، كالغنمة

(تفسير ذلك) الخنزير هي التى لاتحسن إلا الاكل وكسر الآنية ولا تعتني

بطهارة ولاديانة ولاصلاة ولا صيام ولاحج ولاصدقة ولا معروف ولا إكرام لزوج ولا تفكر في ثواب ولا عقاب بل غافلة راقـدة لاتحفظ ولداً ولا تحمد أحداً ولا تميل إلى رشد .

(والقرد) هي التى همتها في لبس الثياب الملونة من الاصفر ومن الاخضر والاحمر ولبس الجواهر والتحلى بالذهب والفضة وتفتخر على أترابها وتعظم نفسها عند زوجها وربما يكون حالها ينافي ذلك كله .

(والكلب) هي التى إذا كلمها زوجها وثبت فى وجهه كالكلب ومتى أبصرت كيس زوجها ملآ ناً من الذهب والفضة وبيتها بالخير والنعمة أكرمته وتقربت منه الى خاطره بالكذب عليه فتقول له أنا احبك وانا لك الفداء ومتى كان الامر بضد ذلك مقتته ووثبت عليه بالسب وأهانت قدره .

(والحية) هي التى تدور في بيوت الجيران بالنميمة والغيبة والغمز وتلسع جاراتها بلسانها وتوقع العداوة بينهم وتصلى نار الفتنة بينهم ٠

(والعقرب) كالحية في فعلها ٠

(والبغلة) هي الحرونة إذا أمرت أو نهيت كالبغلة اذا أتت جسراً أو نهراً أو باباً وأمرت بالعبور عليه أو فيه حرنت وقمصت منفردة برأيها ومعجبة بنفسها.

(والفأرة) هي التى عادتها السرقة والاتلاف والضيمات تضيع مال زوجها في الاغراض الفاسدة وشأنها الخروج من بيتها بغير إذن زوجها وتبيع مايحضره من قمح وشعير على الجيران بنصف القيمة أو بالربع ٠

(والطير) هي التى لاتستقر في بيتها وتدور طول النهار ولاتستقر إلا فى الليل وتخاصم اذا أتت لزوجهـا وتقول أنت عاشق ماتستقر عندى وأنت تحب غيرى ولست معى مستقيما ٠

(والثعلب) هي التى تخرج زوجها من بيتها ومهما رأته أكلته ونامت وتمارضت عند الحاجة وتقول انا مريضة ولاأكلت ولاشربت فلا تصدعنى ٠

(والغنمة) هي الغنيمة من النساء الصالحة المباركة كلها خير كالغنمة ينفع صوفها ولبنها ولحمها وسمنها فكذلك المرأة المؤمنة الشفوقة القنوعة الراضية المحافظة على طاعة الله ورسوله وطاعة زوجها وحفظ دينها ونفسها وأولادها ومال زوجها المدبرة لأمر البيت وغيره .

(وينبغي) أن يكون الرجل صاحب حمية وغيرة على نفسه وعلى حريمه فان الحمية من الايمان والغيرة من النخوة .

(وينبغي) للمرأة أن يكون فيها الحياء وإذا دق عليها أجنبي الباب لاتلين له كلامها في جوابه بل تغلظ كلامها وتوحشه حتى يظنها الأجنبي انها عجوز فتنفر نفسه منهـــا .

(وينبغي) للمرأة أن لاتنظر الى اجنبي ولو كان اعمى فان نظر المرأة للاجنبي حرام كما ان نظره لها حرام .

(وينبغي) للمرأة ان تباشر مصلحة عيالها بنفسها ولو كانت عظيمة الشان .

(ولما روى) أن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تطحن بنفسها بالجاروشة حتى دميت اناملها فشكت ذلك في بعض الايام الى علي عليه السلام فقال لها قولي لأبيك يبتاع لك خادمـة تعينك على أشغالك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله اني مفتقرة الى خادمة تعينني في اشغالي وتحمل بعض أثقالي فقال ألا اعلمك ماهو خير لك من ذلك ومن كل خادم وخادمة وأعز من السموات السبع والأرضين السبع فقالت بلى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقولين عقيب كل فريضة أربعاً وثلاثين تكبيرة وثلاثا وثلاثين تحميدة وثلاثاً وثلاثين تسبيحة .

(وينبغي) للمرأة ان تكون قنوعة صبورة كما تقدم ذكره .

(فقد روى) ان فاطمة سلام الله عليها لم يكن في بيتها إلا جلد كبش يفترشونه وعباءة يتغطون بها وهو كساء من صوف اذا غطوا رؤسهم به انكشفت أرجلهم

واذا غطوا ارجلهم انكشفت رؤسهم ولامتاع لهم في البيت غير مخدة من ليف .

(لاجرم) اذا كان يوم القيامة ينادى مناد يا أهل الموقف غضوا أبصاركم حتى تعبر سيدة النساء فاطمة الزهراء .

(وينبغى) المرأة أن تكون مالكة لهذه الصفات المذكورة قنوعة صبورة صينة حيية وفية تقية ، دينة رضية ، وقليل ماهم .

(وينبغى) للرجال أن يكونوا رحماء للنساء ولايظلموهن ولا يكلفوهن مالا طاقة لهن به فان المرأة اسيرة للرجل فيجب عليه مراعاتها ومداراتها والرفق بها فان النساء عقولهن ناقصة فلذلك جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل وحظ اثنتين بحظ واحد ودينها نصف دين .

(وينبغى) ان لايركن اليهن في تدبير العيال ولاصلاح المال ، فانهن يفسدن الحال ، ولاتتبع مشورتهن ويخالفن في التدبير يؤمن التدمير فان من اعتمد على تدبيرهن يخسر كما خسر صاحب الحكاية .

(وذلك) ان الملك خسرو أحد ملوك الفرس وقد قدمنا ذكره كان يحب السمك فأهدى اليه بعض الصيادين سمكة عظيمة فاستحسنها الملك وأمر للصياد باربعة آلاف درهم وكانت زوجته حاضرة وقد تقدم ذكرها واسمها شيرين يعنى حلوة فلما انصرف الصياد قالت للملك لقد أسأت التدبير بالتبذير بدفعك للصياد أربعة آلاف درهم فاذا اعطيت غداً لبعض خواصك مثل ذلك يستحقره ويقول ماقدرى عندالملك إلا كقدر صياد جاء بسمكة فاعطاه وانعم عليه بمثل ماانعم علي فقال صدقت ولكن يقبح على الملك أن يرجع في هبته ، وقد فات الامر فقالت شيرين انا ادركك فقال كيف ذلك قالت تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر ام انثى فان قال هي ذكر فقل انما أنا طلبت انثى وان قال انثى قل ماطلبت إلا ذكراً فتسترد المال منه ويمضى فامر الملك باحضاره وكان الصياد ذكياً فطناً فقال له الملك هذه السمكة ذكر ام انثى فقبل الصياد الارض وقال أبقى الله الملك هذه السمكة خنثى ليست بذكر ولا انثى

فضحك الملك من كلامه وامر له باربعة آلاف مثلها فقبض الصياد المال ووضعه في جراب كان معه وحمله على عاتقه وهم بالخروج فوقع منه درهم فوضع الجراب عن كتفه على الارض واخذ الدرهم والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين للملك ارأيت خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فالقى الجراب عنه واخذ الدرهم ولم يدعه يأخذه بعض غلمانك أو بعض الفقراء فيدعو للملك فقال صدقت فامر باعادته فعاد فقال له الملك ياساقط الهمة لست بانسان وضعت هذا المال عن عاتقك لأجل درهم واحد وأشفقت أن تتركه في مكانه ليأخذه بعض الغلمان فقبل الصياد الارض بين يديه وقال أطال الله بقاء الملك انى لم ارفع ذلك الدرهم لخسة عندي وانما رفعته عن الارض لأن صورة الملك منقوشة على وجهه فخشيت أن يأتى احد بغير علم فيضع قدمه عليه فيكون ذلك استخفافاً بالملك وصورته واسمه واكون انا المأخوذ بهذا فعجب الملك منه واستحسن ماذكره وامر له باربعة آلاف درهم أخرى وامر الملك ان ينادى مناد في المدينة لايتدبر احد برأى النساء فمن تدبر برأيهن تدمر وبالجملة فكل ماينال الرجل من البلاء والهلاك والمحن فبسبب النساء كما قال الشاعر :

من فتنة النسوان قد يعصى الفتى الرحمن او يخشى من الشيطان
اللص لولا هن لم يك بائعا للروح منه بارخص الأثمان
وبهن فزع آدم مع حوة في محكم التنزيل والقرآن
مجنون عامر هام من حب النسا في السندبان عجائب النسوان
كل الجفا منهن يأتى والوفا منهن لايأتى مدى الازمان

وقصة آدم وحواء ويوسف وزليخاء وقيس وليلى العامرية مشهورة ونساء الهند مشهورات بالسحر وكذلك نساء ظفار وعمان ، وما اصدق قول علي بن ابى طالب كرم الله وجهه :

دع ذكرهن فما لهن وفاء ريح الصبا وعهودهن سواء
يكسرن قلباً ثم لم يجبرنه وقلوبهن من الوفاء خلاء

وما أحسن قول الآخر :

كن حذوراً من ذات خبث ومكر واجتنب كيدها تكون عفيفا
لاتقس كيدها بكيد رجيم ان كيد الشيطان كان ضعيفا

ولله در الآخر حيث قال :

إذا رأيت أموراً منها القلوب تفتت
فتش عليها تجدها من النساء تأتت

(قيل) رأى الملك الظاهر بيبرس في النوم انه ولد له ثلاث بنات فعبر له بانه يفتح ثلاث قلاع ففتح بعد مدة يسيرة قلعة قيسارية وقلعة أرسوف وقلعة يافا .

(قال) علي بن الحسين عليهما السلام هلك من ليس له كريم يعضده .

(قيل) رفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب الصاحب على ظهرها النميمة قبيحة ، وان كانت صحيحة ، والميت رحمه الله واليتيم جبره الله ، والمال أثمره الله ، والساعي في أكله لعنه الله .

(قال) وهب بن منبه رضى الله عنه قرأت في بعض كتب الانبياء أن الله تعالى أنطق لعيسى على نبينا وعليه السلام جمجمة فقالت ياروح الله عشت ألف سنة وافتضضت ألف بكر، وولد لي ألف ولد ، وهزمت ألف جيش ، وقتلت ألف جبار ثم صرت الى ماترى .

(وقال) وهب بن منبه رضى الله عنه قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابا وكان عابداً مكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء وتوفي أبو عبدالله وهب بن منبه الصنعانى في سنة اربع عشرة ومائة بصنعاء وكان الغالب عليه القصص .

(قال) ذو القرنين السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه لانا اذا عرفناه أطلنا يومه ، واطرنا نومه .

(قال) بعض الحكماء عليكم باخوان الصفاء ، وخلان الوفاء ، فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء .

رسائل اخوان الصفاء كثيرة ولكن اخوان الوفاء قليل

(قال) الشافعي رضي الله عنه من صدق في اخوة أحد قبل علله ، وسد خلله ، وغفر زلله .

(قال) الاستاذ أبو مدين رحمه الله تعالى اضر الاشياء صحبة عالم غافل ، وصوفي جاهل .

سألت الناس عن خل وفي فقالوا ماالى هذا سبيل
تمسك ان ظفرت بود حر فان الحر في الدنيا قليل

(قال) بعض الحكماء وقد سئل عن الصديق فقال اسم لامعنى له :

صاد الصديق وكاف الكيمياء معاً لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

(حكى) ان المستنجد بالله يوسف بن المقتفي بامر الله محمد العباسي رأى في منامه كأن ملكا نزل عليه من السماء فكتب في كفه اربع خاآت فلما استيقظ طلب معبراً للرؤيا وقص عليه مارآه فقال له المعبر تلي الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان الأمر كذلك .

﴿ ترجمة الأديب الأريب اللوذعي اللبيب أحمد بن الحسين بن عبد الله الصباغ الصنعاني ﴾

ترجمه صاحب نسمة السحر فقال في ترجمته : فاضل له في الأدب صبغه ، هي الى سموا القدر بلغه فهو المعاصر ، أوهو لسلاف الشعر العاصر ، كم عقيلة قاصرة الطرف له وغيره عنها قاصر مقاطيعه كمواصلة الأحباب ، ترتشف لتنوب عنه الرضاب ، وبلغني حسن نغمته واهتزاز المعاطف عند رنته ، وهو مطبوع فصيح ، وشعره رائق مليح ، بل هو أشعر من في صنعاء في هذا الزمان ، يعرف هذا القاصي منهم والدان ويلقب بالرقيحي بضم الراء وفتح القاف واسكان المثناة التحتانية وبعدها حاء مهملة ثم باء ساكنة .

(قال) صاحب نسمة السحر وسمعت من شعره عدة مقاطيع فمنها قوله :

ولما اعتنقنا سال دمعي بخده وأظهرت من سر الصبابة ماأخفى

وقال عذولي دع هواه فقد بدا سوادعلى خديه من موضع القطف

فقلت له مهلا فتلك مدامعي مسحت وآثار الصباغة في كفي

ماأحلى هذا الكلام الذى يبرىء السقام وقال :

أرشفني من لمى لسانه وقال من لطفه بحالى

قل لي مستشهداً بشعر فقلت هذا لسان حالى

ماأحلى هـذه التورية العجيبة ، وقال في شخص يدعى الديك يحب شخصاً يعرف بالشقرى :

قل للفتى الديك من قد هام في رشأ يفوق ريم النقا في الدل والحور

ماأنت أول من قاسى الهوى وصبا ولا بـأول ديك هام في الشقرى

هذا البيت كما قال الجاحظ مما لايقوى اللسان على التعبير عن حسنه واعا تعرفه القلوب فهو كالضرب الشهى من ذات المبسم البهى ، عند المغرم الشجى ، ولو انه لم ينظم إلا اياه كفاه لطفا ، وكشف له عن منتهى الظرف سجفا ، لان الشقرى عبارة عن فراخ الدجاج عند العامة وما كفاه حسن المعنى حتى أخرجه مخرج المثل السائر ، وجعل بابه الذى لاطاقة عليه بين الادباء دائر .

(وكتب) الى الشيخ الاديب شعبان بن سليم بسبب وسيم يعرف بالنجم :

اذا كنت ياشعبان ترضى بأنني أقيم على هون فلست بذى حلم

وانى لشمس يستضاء بنورها ولولاك لم أقنع بمنزلة النجم

(وما أحسن) قول شعبان المذكور الآتى ذكره ان شاء الله في النجم هذا وقد غشيه ليل العذار وهو هلال شوال .

لاح عذار النجم فى خده فأكثر العاذل فيه الملام

والنجم لاتشرق أنواره إلا اذا جن عليه الظلام

(وقال) أحمد الرقيحي المذكور فيمن يحب ابن البيني :

كم قد بذلت لوصل الحب حين سطت فيك اللواحظ منه خالص العين
وتشتكي البين منه قبل موقعه واليوم ياسيدي قد همت بالبين

ما ألطف هذه التورية وأنشدني له أيضا في الخال :

ولما رأيت الخال من فوق ثغره مقيما على العذب الذي عز جانبه
تيقنت ان الخال حوليه حارس مخافة ان يسطو على الثغر شاربه

ما اعذب هذه التورية ويعجبني قول جمال الدين بن نباته في الخال :

لله خال على خد الحبيب له في العاشقين كما شاء الهوى عبث
اورثته حبة القلب التي نحلت وكان عهدي بأن الخال لا يرث

وقوله ايضاً واجاد :

عرج على حرم المحبوب منتصبا لقبلة الحسن واعذرني على سهري
وانظر الى الخال فوق الثغر تحت لمى تجد بلالا يراعي الصبح في السحر

وقال ابو إسحاق الصابي، في غلام اسود واسمه يمن :

قد قال يمن وهو اسود للذي ببياضه يعلو علو الخائن
مافخر مثلك بالبياض وهل ترى ان قد افدت به جميع محاسني
ولو ان مني فيه خالا زانه ولو ان منه في خالا شانني

ما ابدع هذا الكلام .

(وقال) السيد الحسن بن احمد الجلال الحسيني الصنعاني :

وشادن يفتن اهل الهوى بخاله فابك على وارده
مذ لاح في الخد اخو امه عاينت تصحيف اخي والده

ما احلى جناس الاضمار هنا وقوله عاينت تصحيف اخي والده اى عاين العم نعوذ بالله تعالى منه .

وقال الفيومي وأجاد :

ياذا الذي في خدّه حبة سوداء في الخد الشديد الصفا
دعني اقبلها تزيل العنا فالحبة السوداء فيها الشفا

وقال القاضي شرف الدين الحسن بن علي بن جابر الهبل في الخال والعذار فأطرب وأظرف :

قد كتب الحسن فوق وجنته بالمسك سطرا دق معناه
فقلت للعشاق لما بـــدا صبراً على ماكتب الله

وأنشدني أحمد بن الحسين الرقيحي له في قوّاد :

هذا الذي تختاره صاحبا يأتي بمن تهوى على مانريد
كأنه الناظـور في فعله يأتيك في الحال بقرب البعيد

ماأحسن قول مجير الدين بن قرناص في قواد أيضاً :

لي صاحب كملت جميع صفاته قد عمني بغرائب الاحسان
لو لم يكن مثل النسيم لطافة مابات يعطف لي غصون البان

وقال وجيه الدين الدوري :

لاتبعثوا بسوى المهذب جعفر فالشيخ في كل الامور مهذب
طوراً يغني بالرباب وتارة تأتي على يده الرباب وزينب

الرباب الاولى آلة معروفة يغنى بها ، والثانية مليحة من العرب وزينب مثلها

وقال أبو الحسين الجزار :

ليت شعري ماذا يقول اذا ما رمت شتمي قل لي بأي طريق
علم الله مامضيت رسولا قط من عند ابنتي لعشيق
لا ولا جئت بالرجال الى بيتي وكاسرت عنهم في السوق

(رجع الى كلام الرقيحي) ومن شعره في عبد له يسمى سرور :

قلت أهلا ومرحبا بسرور حين وافي ونلت منه حبورا

وسباني بنظرة من رناه فتلقيت نظـــرة وسرورا

ما أرق هذا الكلام وله شعر كثير وموشحات مشهورة ، وفيما أوردناه كفاية والله ولي الهدايه .

﴿ ذكر مااشتهر من المجانين ونكتهم ﴾

(قيل) أول من اشتهر من المجانين الظرفاء جعيفران وهو القائل في نفسه :

ماجعفـر لأبيه ولا له بشبيه

أضحى لقوم كثير وكلهم يدعيـــه

هـذا يقول بني وذا يخاصم فيـه

والام تضحك منهم لعلمها من أبيه

وقيل انه وقف يوما على علي بن اسماعيل الهـاشمي فقال له أعطني درهما فطرده الغلمان فقال :

قد زعم الناس ولم يكذبوا أنك من غير بني هاشم

فقال لغلمانه ردوه واعطوه درهمين فأخذها وانصرف وهو يقول :

قـد كذب الله أحاديثهم ياهاشمي الاصل من آدم

(وحكي) الجاحظ قال كان جعيفران يمشي مع رجل فدفعه ذلك الرجل على كلب فقال له جعيفران ماهذا الفعل قال أحببت ان أقرنك به فقال له جعيفران كفى بك من قرين وبئس القرين .

(قيل) تشاجر رجلان في نسب رجل فقال احدهما هو من بنى طفوان وقال الآخر هو من بني راسب فقال لهما جعيفران شداه من يديه ورجليه وألقياه في الدجلة فأن طفا فهو من بنى طفوان وان رسب فهو من بنى راسب .

وأخبر عبد الله بن عثمان من غـرائبه قال كان جعيفران يأتينا في كثير من الاوقات فجاءنا في بعض الايام وهو عريان والصبيان يصيحون به وهم بين يديه ومن

خلفه فمنعنا عنه وأدخلناه الدار فلما سكن روعه واستراح أنشأ يقول :

رأيت الناس يدعونى بمجنون على حالى
ومابى اليوم من جن ولا وسواس بالبال
ولكن قولهم هـــذا لإفلاسى واقلالى
ولو أصبحت ذا مال كثير ناعم البال
لكنت اليوم ذا عقل وشدت المنزل العالى
وما ذاك على حق وذاك لهيبة المال

فقلت له أيحضرك شعر آخر من هذا المعنى حتى نعلم انك من فحول الشعراء فقال:

رأيت الناس يدعونى بمجنون على عمـد
وما بى اليوم من جن ولا حل ولا عقـد
ولـكن قولهم هـذا لنا من قلة الوجـد
ولو كنت كقارون ووالى كتبه الجنـد
رأونى راجح العقل أفوق الغصن بالقـد
وما ذاك على حق ولـكن هيبة النقـد

فقلت له ان جئت بثالث على هذا المعنى أتيت لك بالطعام والشراب فأطرق ساعة وأنشأ يقول :

رأيت الناس يدعونى بوسواس والمـــام
وما كنت أخا جهل قديمـاً قبل تهيامى
ولـكني أرى ذاك لاقلال واعــــدام
ولو كنت أخا ملك واسراج والجام
اذن أكرمنى الناس ولم أرمى باتهامى

ثم قال هات ما شرطت فأحضرت له طعاما فاكل واستراح وقال :

رأيت الناس يرمونى على حالي بوسواس

ومن يضبط ياهـذا مقال الناس للناس
فـدع ما قاله النـاس وعجل صفوة الكاس
فان النـاس يفتون بامثـال واجناس
فلو كنت أخا ملك اتونى بين جلاسى
وعـزونى وحيونى على العينين والراس

قال فاتيته بشراب فشرب حتى طرب ثم نهض ليبول فقـال بعض من حضر مانصنع بهذا المجنون العريان والله إنا لانأمنه وهو صاح فكيف اذا سكر فقال فما رأيناه إلا وقد دخل علينا وهو مغضب وأنشأ يقول :

ونـدامى أكلوني مـذ تغيبت قليلا
كيف لااحزن اذلا حدت في الناس خليلا
ان يكن قدساء كم قولي فخلوا الى السبيلا
وأعـوا يومـكم سركم الله طويلا

فاعتذرنا اليه فلم يقبل ثم خرج عنا مهزما فخرجنا خلفه فلم ندر له .

وقال بعض كتاب الكوفة دخل علينا جميفران وقال انا جائع فاى شيء عندك فقلت له سلق بخردل فقال اشترلي بطيخاً فقلت حباً وكرامة فارسلت الجارية لتشترى البطيخ وقدمت اليه السلق والخردل فاكل حتى شبع وكانت قد أبطأت عليه الجارية فخرج واقبل الي مغضباً وهو يقول :

سلقتنا وخردلت ثم ولت وهرولت
وأراها بواحـد وافر الاير قد خلت

قال : فخرجت فرأيت الجارية في الدهليز نائمة مع سائس البغلة كما وصف .

﴿ ذكر البهلول ﴾

(ومن) مشاهير مجانين الكوفة البهلول ، صاحب الذهن السليم والعقل المفلول.

(قيل) انه ولدت لاسحاق بن محمد بن الصباح ابنة فساءه ذلك وامتنع من الاكل والشرب فدخل عليه البهلول يوما ولقيه على تلك الحالة فقال له ياأمير ماهذا الجزع لخلقة سوية وهبها لك الملك العلي . أيسرك أن يكون لك مكانها ولد مثلي قال فضحك الامير ودعا بالطعام والشراب وأمر الناس بالدخول عليه .

(وقيل) مر البهلول بقوم وهم تحت شجرة عالية مستظلين بها فقال بعضهم تعالوا بنا نسخر من البهلول فقال أحدهم يابهلول أتصعد هذه الشجرة وتأخذ من الدراهم عشرة قال نعم فأعطوه الدراهم فصرها في كمه ثم قال لهم آتوني بسلم فقالوا له لم يكن السلم في شرطنا فقال كان في شرطي دون شرطكم وأخذ الدراهم ومضى .

(وقيل) حمل عليه الاولاد يوما فألجؤه الى دار مفتوحة فدخل فوجد فيها قوما بين أيديهم مائدة وعليها من أنواع الأطعمة النفيسة فرجع الى الباب وغلقها ثم دخل وهو يقرأ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب

(وقيل) حمل عليه الأولاد يوما فألجؤه الى دار بعض الهاشميين فرأى رجلا ضخماً ذا وقار وهيبة وله ذؤابتان فقال ياذا القرنين ان ياجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا ، فخرج الرجل وغلق الباب وطرد عنه الصبيان .

(وقيل) حمل عليه الأولاد يوما فألجؤه في مضيق فكر عليهم بقصبة كانت معه وهو يقول :

اذا تضايق امر فانتظر فرجا فاضيق الضيق ادناه الى الفرج

(وقيل) انه سمع مجنوناً يقول ياأيها الناس انى رسول الله اليكم فلطمه البهلول على وجهه وقال له : لاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه .

(وقيل) جاءه بعض الناس وقال له ان الامير امر ان يعطى لكل مجنون درهمان فقال له البهلول اذهب سريعاً وخذ نصيبك قبل ان يفوتك .

(وقيل) رجمه الصبيان يوما بالاحجار حتى أدموا جسده فقال .

حسبي الله توكلت عليه من نواصي الخلق طراً في يديه
ليس للهارب من مهربه ابدا من راجيه إلا اليه
رب رام لي باحجار الاذى لم أجد بدآ من العطف عليه

فقال له رجل تعطف عليهم وهم يرمونك بالحجارة فقال اسكت لعل الله يطلع على همي وغمي وفرح هؤلاء فيهبنا لبعضنا .

(وكان) اذا نظر الصبيان ولم يكن معهم آباؤهم قرص هذا ولطم هذا وعض هذا فقيل له في ذلك فقال ليس في هؤلاء من يخرج الا وهو اشد من ابيه فاذا كبروا ضربوني البتة فانا اضر بهم الساعة قبل ان ياخذوا قصاصهم مني .

(وقيل) مات أبوه وخلف له ستمائة درهم فاخذها القاضي وابقاها عنده الى ان يتضح له جنونه من عقله فجاءه بعد مدة وقال أصلح الله مولانا القاضي قد حجرت علي لما علمت اني مصاب في عقلي وانا جائع ولم أر من يتفضل علي بشيء فادفع لي مائتي درهم حتى اقعد مع اهل التجارة وابيع وأشتري فان رأيت مني رشداً فادفع إلي الباقي وان اتلفتها فالذي بقي أكثر من الذي تلف فاعطاه القاضي ماطلب فاخذها ولزم الحيرة حتى أتلفها ثم رآه القاضي بعد أيام فقال له يابهلول مافعلت بالدراهم قال أتلفتها وليلزم مولانا القاضي اعزه الله تعالى ان يزن لي مثلها من ماله ويضمها في الكيس حتى يرجع المال الى مكانه فقال له القاضي أتجحد ماأخذته مني قال كلا ولكني متى أقمت عندك بينة باني عاقل حتى تسلمني المال فقال له القاضي صدقت وعزم ان يسلم ماذهب من المال من ماله .

وقيل انه كان يأوي الى دكان طباخ بالكوفة وكانت معه عصا لا تفارقه وكان الصبيان يرصدونه الى وقته الذي يأتي فيه الى دكان الطباخ فيجتمعون عليه ويعبثون به فاذا بلغ اذاهم الى الغاية يقول للطباخ الآن قد حمي الوطيس وطاب اللقاء وأنا على بصيرة من أمري فماذا ترى فيقول له الطباخ أنت وشأنك فيثب عليهم وهو يترنم ويقول

اذاهم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ثم يشد مئزره ويقول :

قوم اذا قاتلوا شدوا مآزرهم   دون النساء ولو باتت باطهار

ثم يتناول العصا ويكر عليهم وهو يترنم ويقول :

أكر على الكتيبة لا أبالي   أحتفي كان فيها أم سواها

وكان اذا رمق الصبيان بعينه وقع بعضهم على بعض فتنكشف عورة أحدهم فيعرض عنه بوجهه ويقول عورة المؤمن حماه ولولا ذلك لهلك عمرو بن العاص بسيف علي عليه السلام يوم صفين ثم يعود الى دكان الطباخ ويلقي عصاه ويتمثل ويقول :

وألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قـر عيناً بالاياب المسافر

(وسئل البهلول) ان المجنون الى كم يؤل جنونه ؟ فقال : على عدد الصبيان

وأما قصيدته المشهورة بالفياشيه ، فهي ظاهرة غير خفيه ، وها أنا اثبتها لتعلم أنه من أكابر السادة الصوفيه ، وهي :

أنا مالي فياش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

أنا عبد رب له قدرة   يهون بها كل أمر عسير
فان كنت عبداً ضعيف القوى   فربي على كل شيء قدير

« دور »

منى ايش عليـا   وأنا عبـد مملوك
والاشيا مقضيا   مافي التحقيق شكوك
ربي ينظـر ليا   فأنا نظرى متروك
في الارحام وفي الحاش   من نطفة صورنى
أنا مالي فياش   ايش عليا منى
اقلق من رزق لاش   والخالق يرزقنى

« بيت »

يقول لما شاء كن فيكون ويبدىء سبحانه ويعيد
ويفعل في حكمه ماشا ويحكم في خلقه مايريد

« دور »

في ظلمات الارحام صورني من نطفه
وبدانى بالانعـام نعمه من كل صفه
وخلق لي ما وطعام ومعايش مختلفه
وظهرت بغير قماش غطاني وسترني
أنا مالى فياش ايش عليا مني
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

ولا زال بي لطفه دائماً فسبحانه من حكيم كريم
ولا لي حول ولا قوة سوى بالإله العلي العظيم

« دور »

ماجئت إلا عريان ماأعرف ذا من ذا
ستر الله المنان وخلق للروح غـذا
لبناً يجـرى بامان بشرابه نتغـذا
وبسط لي الارض فراش وسما سقفا مبنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

فسبحان من عمنا فضله علينا له الحمد والشكر فرض
يجود علينا بانعامـه ويرزقنا من سماء وأرض

« دور »

الارض بساط الله وأنا فى أرض الله
والخلق عباد الله وأنا من خلق الله
والارزاق على الله ناكل من رزق الله
مانتخير من ذاش ونصيبي يلحقــــنى
أنا مالي فيـــاش ايش عليـــا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

تحققت بالفكر في هل أتى وقلت لقلبي كفاك الجليل
يدبر أمري ولا علم لى هوالله حسبي ونعم الوكيل

« دور »

ياقلبي ثق بالله فهو المعطى المانع
وارضى بقضاء الله انك لله راجـع
هـذا في علم الله الخـيره في الواقـع
تدبيرك مايسواش عن تدبيرك دعنى
أنا مالي فياش ايش عليا مني
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

بتدبير مولاك كن راضيا ولا تنزعج أبداً من حرج
جرت عادة الله فى خلقه اذا ضاق أمر أتى بالفرج

« دور »

يا قلـبي لاتهتم واصرف هم الباطن
فالمقـدور محتـم سوف ترى وتعاين

سلم تسلم واعلم ان المقضى كائن
من سلم أمره عاش في الدنيا متهني
أنا مالى فياش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

وكم ليلة بت في كربة يكاد الرضيع لها ان يشيب
فما أصبح الصبح حتى أتى من الله نصر وفتح قريب

« دور »

آيات ألم نشرح أتلو تشرح بالى
وبقول الله أفرح وتحق البشرى لى
ياقلبي امسى واصبح عن ذى الدنيا سالى
وارضى بالشى وبلاش واستقنع تستغنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

اذا كنت بالعيش مستقنعا بما قد كفى لم تروع بدين
ولم يأتك المقتضى داعياً الى الحكم والقصد بالشاهدين

« دور »

خذ الرفق دليلك واترك عنك التدبير
واستقنع بقليلك ياتيك الله بكثير
وتزود لرحيلك وبسير زمانك سير
كم عارض بعد رشاش ينهل من المزن
أنا مالي فياش ايش عليا مني

أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

بميسورك اقنع فكم عارض قوي أتى بعد ضعف الرشاش
واصبر لها ساعة تنقضي وحال يحول ودنيا ولاش

« دور »

ماالدنيا غير مزاح وأنت عليها مكبي
في لهو مسا وصباح عقلك منها مسبي
روّح روحك وارتاح من تعبك ياقلبي
ذا التعب الكل علاش واقل الشيء يغني
أنا مالي فياش ايش عليـــا مني
أقلق من رزق لاش والخالق يـــرزقني

« بيت »

رضيت بما قسم الله لي وفوّضت أمري جميعاً اليه
له الخلق والامر وهو الذي عليه اتكالي ورزقي عليه

« دور »

قالوا وقتك قد ضاق والنفقـه ماتكسب
قلت الخلاق رزاق من ذا ينفق يحسب
قالوا امشي في الاسواق وتحيل وتسبب
قلت فراخ الاعشاش رازقهم يرزقني
أنا مالى فياش ايش عليا مني
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

غنى النفس في ترك ماتشتهي ومن شؤمها شوقها للفضول

ومن لم يخالف هوى نفسه فيا ويله من حساب يطول

« دور »

قالوا لى بعض الناس ماتعقل يا بهلول
واترك عنك الوسواس واعرف ماأنت تقول
وابن الخيط على ساس ان رباطك محلول
قلت لهم بعد غواش أنصفتم لكني
انا مالي فياش ايش عليا مني
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

على رازق الطير في وكره توكلت وهو الولى الحميد
يدبر أمرى فيما قضى وليس يكون سوى مايريد

« دور »

قالوا فكرك عمر لمسائل تتوالى
قلت الخالق يبصر سبحانه وتعالى
قالوا رأيك دبر قلت لهم لا لا لا
الله خيب هشاش حتى لايطمعني
أنا مالى فياش ايش عليا مني
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

بميسور ربي أرى كل خير على خاطرى كل صعب يهون
ومادامت الناس تحت الثرى ومن أنا في الناس أومن اكون

« دور »

في الدنيا ايش أكون اذا همت بوجدى

الدنيا دون الدون ايش قيمتها عندى
ايش تقولوا مجنون وحجارنى في يدى
ايش لكم عندى آش خلونى في جنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

وما ضرنى القول من قائل ولا كل قول له يلتفت
ومن قال خيراً يجازى به ويرحم من قاله أوصمت

« دور »

قالوا لي يامجنون لاتدخل للجامع
إلا بهدأ وسكون وعلى هيئة خاشع
قلت لهم ايش اكون حتى ما أتواضع
يحظى منى الدرباش بالطينه جانسى
أنا مالي فياش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

كأنى بنفسي كان لم تكن وقدلاح شيبي وحيني اقترب
وجنسى تراب ولكنني أعود ترابا رهين الترب

« دور »

التربة هى من جنسى كانت أصل الخلقه
واليها في رمسى اعضائى ملتحقه
فيها امسى منسى وعظامى ممتحقه
فضلة دود واحناش تربه فيها يرجع بدنى

أنا مالى فيـاش ايش عليـا منى
اقلق من رزق لاش والخـالق يـرزقنى

« بيت »

من الارض كان ابتدا خلقنا وفيهـا نعود ومنها الخروج
وقدقيل من يتضع يرتفع ولا يرتجى للمعالى خروج

« دور »

أين تقولون اجلس أجلس ماعندى باس
باسم غـير معبس بتراب الارض أداس
والدر بالة نلبس والشمـلة والدفاس
نهوى القدسى والشاش والديبـاج اليمـنى
أنـا مالى فيـاش ايش عليـا مـنى
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

اذا كان قلبي سليما فلا أبالي بحـالى ولا كيف كان
اذا كنت لم تستقم باطنـا فممن يجوز لك الطيلسان

« دور »

أوصيك بتقوى الله في سرك والاعلان
وأعلمك أن الله حاضر في كل مكان
واذا ينفعك الله ليس يضرك انسان
صفيها من اغشاش ان كنت تطاوعنى
أنا مالي فيـاش ايش عليـا منى
أقلق من رزق لاش والخـالق يرزقنى

« بيت »

توجه سريعاً الى وجهه ولا ترفع الرأس إلا اليه
ولا تأت بابا سوى بابه فما خاب من يتوكل عليه

« دور »

قالوا لي دور اخدم قلت الخدمه شرفى
ان لم أخدم اندم وغليلي مأأشفى
بحزامى أتحزم وأشمر عن كتفى
أخدم حتى الحماش ان كان يخدمنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

أشد حزاما على عزمي واخدم حتى اذوق الحمام
ولا حاجتى لابن امي ولا الى غيره من جميع الانام

« دور »

قالوا اطلب تتزوج قلت الحاجه تقبح
قالوا ما تتزوج قلت لهم مايصلح
قالوا ذا شيء اروج قلت الله لى يصلح
قالوا ماعندك باش قلت الله زوجنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

بفقرى تعايرنى زوجتى وتقهرنى باللسان الطليق
وتدعو الضرورة من اجلها لبعض الفعال التي لاتليق

« دور »

بالله ياعـذالي خلوني على حالي
ماينعـم لي بالي بجـديـد ولا بالي
ما اغنى بسؤالي التسليم اولى لي
من عتبي في آش دع بالله اتركني
أنـا مالي فيـاش ايش عليـا مني
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

دع الناس في حالهم واشتغل بنفسك عنهم وقل ياسلام
واياك والخوض مع خائض وماليس يغني كثير الكلام

« دور »

الخائض مع من خاض في هلـكاته دواس
والنمام القـراض لاتحمله الانفاس
متعرض كالمقـراض في أكل لحوم الناس
مثل الـكلب النهاش بالمقـراض يقرضني
أنا مالي فيـاش ايش عليـا مني
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

ولا تستمع غيبة يافتى ففيهـا وعيد شديد أتى
وغيبة من أنت تغتابه كآكك من لحمـه ميتا

« دور »

يامن يزعم انه كيس عاقل أوصيك
اسلامك من حسنه تركك مالا يعنيك

والدين اسأل عنه　　حتى يتقوى فيك
وان ظلموك الاوباش　　قل لهم عن اذنى
أنا مالي فيــــاش　　ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش　　والخالق　　يرزقنى

« بيت »

وكافي المسيء بخير ولا　　تكن مثله واصطبر للكرب
وعماتك النخل كن مثلها　　لرامي الحجارة ترى الرطب

« دور »

عفوك عمن ظلمك　　بعض مكارم أخلاق
ومواصلتك رحمك　　مما ترضى الخلاق
وعطاك لمن حرمك　　نوروهدى مع اشراق
الدنيا الكل ولاش　　ياأخي زول عنى
أنا مالى فياش　　ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش　　والخالق　　يرزقني

« بيت »

وكم أقبلت بعد ما أدبرت　　وكم أدبرت بعدما أقبلت
وبعد المراتع ضاقت على　　عني خزائنه قد ملت

« دور »

رب اجعلني مؤمن　　موصوف بالايمان
كلا منهم أحسن　　معروف بالاحسان
مني الحارس يامن　　في الدار وفي الدكان
ولا خوانى هشاش　　واصل من يقطعنى
أنا مالي فياش　　ايش عليا مني

اقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

الهي سألتك بالمصطفى أقل عثرتى يامقيل العثار
ويوم القيامة لاتخزنى ولا تحرق الجسم مني بنار

« دور »

أحمد ربى وعلى خير الخلق نصلى
وعلى الآل الكملا والصحب بهم أصلى
شوق لحى ليلى غربني عن اهلى
في المسعى قلبي طاش والقدرة زمتنى
أنا مالي فيـاش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

اذا لاح برق وهب الصبا تذكرت أيام تلك الليال
ليال السرور وأيامها من العمرصارت كطيف الخيال

« دور »

قلبي كله في الشرق وانا في الغرب غريب
واذا مالاح البرق ابق في حال عجيب
حتى تعجب لي الخلق ممن يحضر ويغيب
والطير بلا ارياش في وكره يشبهنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

فيا ربنا كن لنا كلنا انلنا الرضى بالقضا والقدر

وغث والدنيا وهب رحمة　　لمن غاب عنا ومن قد حضر

« دور »

وسلام الله اجمع　　يحكى المسك الفاخر
وعلى الساده اجمع　　اولهم　والآخر
والفضل لمن يسمع　　من باد　او حاضر
واستر جلة اغشاش　　والأخرى　ساعني
انا　مالى　فياش　　ايش　عليا　منى
اقلق من رزق لاش　　والخالق　يرزقني

« بيت »

اذا ما تأملت في ذا النظام　　يحاكي الرياض البهيج النزيه
فخذ مشية بين دوحاته　　وقل لوترى العيب لاعيب فيه

« دور »

واذا　تتأمل في　　ذا النظم وذا الاوزان
بستان تجد ألفى　　زهر　معانيه　الوان
عمله　يحيي الشرفى　　مبدأ سيدى عثمان
سنة الخير البشاش　　وارباح　تربحني
أنا　مالى　فياش　　ايش　عليا　مني
اقلق　من　رزق لاش　　والخالق　يرزقني

(وقيل) انه وصف يوما للمأمون عليان المجنون فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ازدراه وأمر أن يجلس في مجلس العامة ثم قال له ما اسمك فقال اسمى عليان فضحك منه فقال له عليان ياأمير المؤمنين قال الله تعالى في كتابه العزيز (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون) فهابه المأمون ورفع منزلته .

ورآه بعض الناس يوما وهو يأكل في السوق فقال له كيف تأكل في السوق

قال نعم من جاع في السوق يأكل في السوق ومن جاع في البيت يأكل في البيت .

(وقيل) سأله رجل وهو لايعرفه أغريب أنت فقال له اما عن العقل فنعم وأما عن الوطن فلا .

(وقيل) ان بعض المجانين بال على باب مسجد فاجتمع الناس ليضربوه فقال لهم بالله عليكم لو رأيتم حماراً بال على باب المسجد ماذا كنتم تصنعون هل تضربونه أم لا فقالوا باجمعهم لا قال فاحسبوني مثله فضحكوا منه وانصرفوا عنه .

(وقيل) مر بعض المجانين برجل فاخذ منه عشرة دراهم واشترى بها تمراً وجلس يأكله ويبلع النوى فسألوه عن ذلك ولأى شيء ماترمي النوى فقال هكذا وزن لي البايع .

(وحكى المبرد) قال دخلت دار المجانين في بغداد فوقفت بجهة مجنون فاطلعت له لساني فحوّل وجهه عني فاتيت اليه من الناحية الاخرى فحوّل وجهه عني فلما أضجرته رفع طرفه الى السماء وقال يارب انظر لمن قيدوه ولمن خلوه .

(فلما) كان صبح غرة المعظم شعبان ، سنة ألف ومائة وثلاث وثلاثين من هجرة النبي سيد ولد عدنان ، توكلنا على الملك الديان ، ورحلنا الى بلدة عالي مهان ، صحبة السيد السند ، الصدر المعتمد ، شيخي في علوم الشريعة والطريقة ، ودليلي الى الوصول لعلم المعرفة والحقيقة ، من هو لنهج السلوك ساع وداعي ، مولانا السيد يوسف بن السيد عبد الرحيم الرفاعي :

فادرأ بها في نحور البيد جافلة معارضات مثاني اللجم بالجدل

(افهم هذه الفائدة) مثاني جمع مثنى من قولك جاء القوم مثنى مثنى اى اثنين اثنين ومثنى لاينصرف لما فيه من العدل والصفة لانه عدل به عن اثنين اثنين فالعدل فيه تحقيق قال الله تعالى أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع وقال تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة

(قال الصفدى) فى شرح لامية العجم في شرح هذا البيت وقد تمسك بعض

الملاحدة بهذه الآية تجوّز للرجل ان يتزوج بتسعة وقال ان اثنين وثلاثة واربعة جملتها تسعة ولأن النبي ﷺ مات عن تسع نسوة وهذا كلام من لم يطعم ثمرة العربية لانك اذا قلت جاء القوم مثنى وثلاث ورباع معناه جاؤا اثنين اثنين وثلاثة ثلاثةواربعة اربعة بنصب ذلك على الحال والحال هي التي تبين هيئة الفاعل أوالمفعول فانت تريد تبين كيف كان مجيئهم فانهم لم يجيئوا جماعة ولا فرادى فالله سبحانه وتعالى أبان ماأباحه من النكاح فقال انكحوهن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة اربعةفلا يفهم من هذا الكلام الجمع بين المجموع .

(وأما النبي) صلى الله عليه وسلم فان ذلك من خواصه التي انفرد بها عن أمته ولم يشركوه فيها قال الصفدي وذكر لي بعض الافاضل ان الشيخ نجم الدين بن الرفعة ذكر له سبعين خاصيةوهذا تتبع كثير واطلاع مفرط وغالب خواصه صلى الله عليه وسلم في النكاح وأمر الزوجات ولهذا ان الفقهاء اذا ذكروها سردوها في كتاب النكاح .

(واختلف) أهل العربية هل هذاالعدل من الواحد الى العشرة اوهو مانطق به القرآن فقط الصحيح انه الى رباع حسب وقيل الى سداس وقيل الى عشار وأنشدوا في ذلك ماتضمن العدد الى عشار أورده الحريري في درة الغواص وغيره وهل يقال موحد ومثلث ومربع الى المشرة ضعيف الى الغاية .

وقال الحريري في هذا الكتاب : بعد ما أورد قول ابي الطيب المتنبي :

احاد ام سداس في أحاد لييلتنا المنوطة بالتناد

غلط ابو الطيب هنا في عدةمواضع من هذاالبيتالاول انه قال احادوسداس ولم يسمع في الفصيح الا مثنى وثلاث ورباع والخلاف في خماسوما بعده الى عشار الثاني انه صغر ليلة على لييلة وانما تصغر على لييلية الثالث انه صغرها والتصغير دليل القلة فكانها قصيرة ثم قال المنوطة بالتناد ولا يكون شيء أطول منها حينئذ فناقض آخر كلامه أوله .

(قلت) ليس في هذا تناقض لان التصغير في كلام العرب على أربعة انواع الأول تصغير التحقير كفليس ورجيل الثانى تصغير التقريب كفويق وبعيد وقبيل ودوين الثالث تصغير التحبيب كقولك ماأميلحه وما احيسنه ماأحسن قول شرف الدين عمر بن الفارض دو بيت :

عوذت حبيبي برب الطور … من آفة ما يجرى من المقدور
ماقلت حبيبي من التحقير … بل يعذب اسم الشخص بالتصغير

الرابع تصغير التعظيم كقوله انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقال الشاعر :

وكل اناس سوف تدخل بينهم … دويهية تصفر منها الانامل

فالمتنبي صغر الليلة هنا للتعظيم لانه استطالها حتى جعلها منوطة بالتناد ، قال النور الأسعردى مضمنا :

نديمي لاتهزأ بمشمولة وان … بدا لك منها بهجة وشمائل
وراقك منها رقة في قوامها … ولاحت كشمس أضعفتها الاصائل
فلا تغترر منهـا بلين فانها … دويهيـة تصفر منها الانامل

(وقال) بدر الدين حسن بن علي الغزى مضمنا في الخمرة :

وصفراء حول المزج يصبغ ضوؤها … اكف الندامى وهو في الحال ناصل
وتهفو بألباب الرجال لانها … دويهة تصفر منها الانامل

فمررنا في طريقنا على قرية يقال لها اكليسر وهي قرية لطفية يأتى منها الكاغد الهندى الرفيع ثم اتينا على بروج وهي بلدة عظيمة على نهر كبير وبها قلعة شاهقة الى عنان السماء ويجلب منها البفتة البروجي المشهورة بها وبطيخ عجيب احلى من وصل الحبيب فاقمنا بها ثلاثة ايام ثم رحلنا فاتينا على بلدة بروده وهي بلدة عامرة انيسه ، كل احوالها نفيسه ، ويجلب منها البفتة البرودى فاقمنا بها ثلاثة ايام واجتمعت فيها بالرئيس ذى المظهر الحاج جعفرصهر الامير المبيد للاقران ، رستم علي خان ، فحصل منه الاسعاد ، بلغه الله المراد ، ثم انا رحلنا فاتينا على قرية يقال لها دبوهى وكانت

في قديم الزمان ، مجمعا للاوثان ، وكل سورها مبني بالحجر الاسود ، اصغر أحجاره طول ذراعين بل ازيد ، وللقرية هذه ثلاثة أبواب منقوشة احجارها بالصور العجيبة والهياكل الغريبة ، التي يعجز عنها الوصف ويجلب من هذه القرية القماش الدندكي وبها غدير عظيم دوره نحو ميل ، بل ازيد من ميل ، وكله مرصف بالاحجار المنحوتة وتحفه الاشجار بما دار ، وهناك مزار لبعض النساء الصالحات ، العابدات الفالحات يقال لها مامادو كرى .

ومن العجائب أن على قبرها عموداً صغيراً من الحجر وبه نقب يسع رأس الانسان فاذا أتى صاحب اليمين الكاذبة وحلف وادخل رأسه في ذلك النقب اختنق ولا يخرج أبـدا حتى يتوب ويؤدى ماحلف لاجله وصاحب اليمين الصادقة يدخل رأسه ويخرجه بلا مشقة وقد جرب ذلك بحضوري مراراً لاني توليت امر الحسبة في تلك القرية مدة في ايام المحفوف بالرضوان ، مهر علي خان رحمه الله تعالى ولهـا كرامات ظاهرة ، نفعنا الله ببركة عباده الصالحين في الدنيا والآخرة ، فاقمنا في دبوهي يوما ، ورحلنا فلم نزل نسير في اراضي الكفار ولم نر فيهـا من يعبد الملك القهار .

فلما كان خامس عشر شعبان ، دخلنا بلدة عالي مهان وهي بين جبال شاهقه ، وأشجار عظيمة بالافلاك لاحقه ، وبها من الطواويس شيء بلا عدٍ ولا حساب ، بين الدروب والابواب ، وبها قرود في غاية الكبر ، يتقي الانسان من شرهم ويحذر

﴿ فائدة ـ ذكر القرود ونكتهم ﴾

قال الدميري في حياة الحيوان :

(القرد) كنيته أبو خالد وأبو حبيب وأبو خلف وأبو ربه وابو قتيبة وجمعه قرود وقد يجمع على قردة والانثى قردة وجمعها قرد مثل قربة وقرب وهو حيوان قبيح مليح ذكي سريع الفهم يتعلم الصنعة .

(أهدي) ملك النوبة الى المتوكل العباسي قرداً خياطاً وآخر صائغاً وأهل

اليمن يعلمون القردة القيام بحوائجهم حتى أن القصاب والبقال يعلم القرد حفظ الدكان حتى يعود صاحبه ويعلمه السرقة فيسرق .

(ونقل) الشيخان عن القاضي الحسين أنه لو علم قرده النزول الى الدار واخراج المتاع فنقب وأرسل القرد وأخرج المتاع ينبغي ان لا يقطع فان للحيوان اختيارا .

(ونقل) البغوي في باب حد الزنا أن المرأة لو مكنت من نفسها قرداً فوطئها فعليها ما على واطىء البهيمة فتعزر على الاصح وتحد في قول وتقتل في قول .

وقال ابن عباس وعكرمة في قوله تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه أي اتقنه وقالا ليست خلقة القرد حسنة ولكنها متقنة محكمة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم .

والقردة تلد في البطن الواحد العشرة والاثنى عشر والذكر ذو غيرة على الاناث شديدة وهذا الحيوان يشبه الانسان في غالب حالاته فانه يضحك ويطرب ويقعي ويحكي ويتناول الشيء بيده وله أصابع مفصلة الى أنامل واظفار ويقبل التلقين والتعليم ويأنس بالناس ويمشي على اربع مشيته المعتادة ويمشي على رجلين حينا يسيرا ولشفر عينيه الاسفل اهداب وليس لشيء من الحيوان ذلك سواه والانسان واذا سقط في الماء غرق كالآدمي الذي لا يحسن السباحة ويأخذ نفسه بالزواج والغيرة على الاناث وهما خصلتان من مفاخر الانسان واذا زاد به الشبق استمنى بكفه وتحمل الانثى أولادها كما تحمل المرأة .

ومن سر هذا الحيوان أن الطائفة اذا أرادت النوم ينام الواحد جنب الآخر حتى يكونوا سطراً واحداً واذا تمكن النوم منها نهض أولها من الطرف الايسر فاذا قعد صاح فنهض من كان يليه وفعل كفعله حتى يكون هكذا في الليل كله فيبيت في أرض ويصبح في اخرى وفيه من قبول التأديب والتعليم مالا يخفى .

ولقد درب قرد ليزيد على ركوب الحمار فسابق به مع الخيل وفيه يقول

يزيد لما سبق بأتان ركبها فارساً :

فمن مبلغ الفرد الذى سبقت به جواد أمير المؤمنين أتان

تعلق أبا قش بها ان ركبتها فليس عليها ان هلكت ضمان

وروى ابن عدى في كامله عن أحمد بن طاهر بن حرملة بن أخي حرملة بن يحيي أنه قال رأيت بالرملة قرداً يصوغ فاذا اراد ان ينفخ أشار الى رجل حتى ينفخ له .

وفيه فى ترجمة يوسف بن محمد بن المنكدر عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى القرد خر ساجداً وهو في المستدرك قبيل كتاب الجمعة ذكره شاهدا

وفيه في ترجمة صمام بن اسماعيل أنه روى عن ابى قنبل ان معاوية صعد المنبر يوم الجمعة فقال في خطبته : ايها الناس المال مالنا والفيء فيئنا من شئنا اعطيناه ومن شئنا منعناه فلم يجبه أحد ، فلما كان يوم الجمعة الثانية قال كذلك فلم يجبه احد فلما كانت الجمعة الثالثة قال كذلك فقام اليه رجل فقال كلا يامعاوية ألا ان المال مالنا والفيء فيئنا من حال بيننا وبينه حاكمناه الى الله تعالى بسيوفنا فنزل معاوية وارسل الى الرجل فادخل اليه فقال القوم هلك ثم فتح الابواب فدخل الناس عليه فوجدوا الرجل معه على السرير فقال معاوية ان هـذا احياني احياه الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون امة من بعدى يقولون فلا يرد عليهم يتقاحمون فى النار كما تتقاحم القردة وانى تكلمت اول جمعة فلم يرد على احد فخشيت ان اكون منهم ثم تكلمت الجمعة الثانية فلم يرد علي احدفقلت في نفسي انى من القوم ثم تكلمت الجمعة الثالثةفقام هذا فرد على فاحياني فرجوت ان يخرجنى الله منهم ثم اعطاه واجازه ورواه ابن سبيع في شفـــاء الصدور كذلك ورواه الطبرانى في معجمه الكبير والاوسط والحافظ ابو يعلى ورجاله ثقات .

وفي عجائب المخلوقات من تصبح بوجه قرد عشرة ايام اتاه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه واحبته النساء حباً شديداً واعجبن به .

﴿ فائدة ﴾

روى أحمد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ان رجلا حمل معه خمراً في سفينة يبيعها ومعه قرد فكان الرجل اذا باع الخمر شابه بالماء ثم باعه قال فاخذ القرد الكيس فصعد به فوق الدقل قال فجعل يطرح ديناراً في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمه ورواه البيهقي عن أبي هريرة ايضا بمعناه.

(ولفظه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتشوبوا اللبن بالماء فان رجلا من قبلكم كان يبيع اللبن فيشوبه بالماء فاشترى قرداً وركب البحر حتى اذا لج فيه ألهم الله تعالى القرد صرة الدنانير وأخذها وصعد الدقل ففتح الصرة وصاحبها ينظر اليه فاخذ ديناراً فرمى به في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمها نصفين فألقى ثمن الماء في الماء .

(قال) ومر أبو هريرة بانسان يحمل لبناً قد خلطه بالماء فقال له ابو هريرة كيف بك يوم القيامة اذا قيل لك خلص الماء من اللبن .

﴿ فائدة اخرى ﴾

روى الحاكم في المستدرك عن الاصم عن الربيع عن الشافعي عن يحيى بن سليم عن ابن جريج عن عكرمة قال: دخلت على ابن عباس وهو يقرأ في المصحف قبل ان يذهب بصره وهو يبكي فقلت له مايبكيك جعلني الله فداك قال تعرف أيلة قلت وما أيلة قال قرية كان بها ناس من اليهود حرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت فكان الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا بيضا سمانا كأمثال المخاض فاذا كان غير يوم السبت لايجدونها ولا يدركونها الا بمشقة ومؤنة ثم ان رجلا منهم أخذ حوتا يوم السبت فربطه الى وتدفى الساحل وتركه في الماء حتى اذا كان الغد أخذه فأكله وفعل ذلك أهل بيت منهم فاكلوا وشووا فوجدوا جيرانهم ريح الشواء ففعلوا كفعلهم وكثر ذلك فيهم فافترقوا فرقا فرقة نهت وفرقة اكلت وفرقة قالت لم تعظون قوما

الله مهلكهم فقالت الفرقة التي نهت انا نحذركم غضب الله وعقابه ان يصيبكم الله بخسف او قذف او ببعض ماعنده من العذاب والله مانسا كنكم في مكان انتم فيه وخرجوا من السور ثم غدوا عليهم من الغد فضربوا باب السور فلم يجبهم احد فتسور منهم انسان فقال قردة والله لها اذناب تتعاوى ثم نزل وفتح الباب ودخل عليهم فعرفت القردة انسابها ولم تعرف الانس انسابها من القردة قال فيأتي القرد الى نسيبه وقريبه فيحتك به ويلتصق به فيقول الانسي انت فلان فيشير برأسه ان نعم ويبكي وتأتي القردة الى نسيبها وقريبها الانسي فيقول لها انت فلانة فتشير برأسها أن نعم وتبكي .

(قال) ابن عباس فاسمع الله تعالى يقول (فأنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) فأدرى مافعلت الفرقة الثالثة فكم رأينا من منكر ولم ننه عنه ، قال عكرمة فقلت فماذا ترى جعلني الله فداك انهم قد أنكروا وكرهوا حين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً فاعجبه قولي ذلك وامر لي ببردين غليظين فكسانيهما ثم قال هذا صحيح الاسناد .

(وفي المستدرك ايضا) عن مسلم الزنجي عن العلاء عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت بني الحكم بن العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة فما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم بعدها مستجمعاً ضاحكا حتى مات ثم قال صحيح على شرط مسلم .

وروى الطبراني في معجمه الاوسط من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان تأتي المرأة فتجد زوجها قد مسخ قرداً لانه لايؤمن بالقدر .

﴿ فائدة اخرى ﴾

اختلف العلماء في الممسوخ هل يعقب اولا على قولين احدهما نعم وهو قول الزجاج والقاضي ابي بكر بن العربي المالكي وقال الجمهور لايكون ذلك .

قال ابن عباس لايعيش ممسوخ قط اكثر من ثلاثة ايام ولايأكل ولا يشرب واحتج الأولون بقوله صلى الله عليه وسلم فقدت امةمن بنى اسرائيل لاأدرى مافعلت ولا اراها الا الفأرة ألا ترونها اذا وضع لها ألبان الابل لم تشربها واذا وضع لها ألبان غيرها شربتها أخرجه مسلم عن ابى هريرة وبحديث الضب روى مسلم عن ابى سعيد وجابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى اليه بضب فأبى ان ياكله وقال لاادرى لعله من القرون التى مسخت .

قال ابو بكر بن العربى المالكى وفي البخارى عن عمرو بن ميمون انه قال رأيت في الجاهلية قردة قد زنت فاجتمع عليها قردة فرجموها ورجمتها معهم ثبت في بعض نسخ من البخارى وسقط في بعضها والجواب عن ذلك ان الحميدى في الجمع بين الصحيحين قال: حكى أبومسعود الدمشقي ان لعمرو بن ميمون الأزدى في الصحيحين حكاية من روايةحصين عنه قال رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة فرجموها ورجمتها معهم كذا حكى ابن مسعود ولم يذكر في أى موضع أخرجه البخارى فبحثنا عن ذلك فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها مذكوراً في كتاب أيام الجاهليةوليس في رواية الفربرى أصلا شيء من هذا الخبر في القردة ولعلها من المعجمات في كتاب البخارى والذى قاله البخارى في التاريخ الكبير قال قال لي نعيم بن حماد أخبرنا هشيم عن أبى المليح وحصين عن عمرو بن ميمون قال رأيت في الجاهلية قرده اجتمع عليها قردة فرجموها ورجمتها معهم وليس فيه قد زنت فان صحت هذه الرواية فانما اخرجها البخاري دليلاً على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية ولم يبال بظنه الذى ظنـــــه .

(وذكر) ابو عمر بن عبد البر في الاستيعاب عمرو بن ميمون ، وقال انه معدود من التابعين من الكوفيين قال وهو الذى رأى الرجم فى الجاهلية بين القردة ان صح ذلك لان رواته مجهولون .

وقد ذكر البخاري عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأزدي مختصراً قال رأيت في الجاهلية قردة قد زنت فرجموها فذكره ثم قال والقصة بطولها تدور على عبد الملك عن عيسى بن مسلم بن حطان وليسا ممن يحتج بهما وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر اضافة الزنا الى غير مكلف واقامة الحدود على البهائم ولو صح لكانوا من الجن لان العبادات والتكليف في الجن والانس دون غيرهما انتهى .

وعمرو بن ميمون المذكور خرج له أهل الكتب الستة وحج ستين حجة وتوفي سنة خمس وسبعين وكان من الذين اذا رأوا ذكر الله .

(وأما حديث) الضب والفأرة فكان ذلك قبل ان يوحى اليه ان الله لم يجعل لممسوخ نسلا فلما أوحى اليه زال عنه ذلك التخوف وعلم ان الضب والفأرة ليسا مما مسخ فعند ذلك اخبرنا بقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن القردة والخنازير أهي مما مسخ قال ان الله تعالى لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك وهذا نص صريح رواه عبد الله بن مسعود أخرجه مسلم في كتاب القدر وثبتت النصوص باكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكره فدل ذلك على صحة ماقلناه .

(وعن مجاهد) في تفسير آية المسخ في بني إسرائيل انما مسخت قلوبهم فقط وردت افهامهم كافهام القردة وهذا قول تفرد به عن جميع المسلمين .

(الحكم) أكل القرد حرام عندنا وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد والحسن وابن حبيب من المالكية وقال مالك وجمهور اصحابه ليس بحرام .

(وأما بيعه) فيجوز لانه يقبل التعليم فيمسك الشمعة ويحفظ الأمتعة .

وقال ابن عبد البر في أوائل التمهيد لااعلم بين علماء المسلمين خلافا ان القرد لايؤكل ولايجوز بيعه لانه مما لامنفعة فيه وماعلمت أحداً رخص في أكله والكلب والفيل وذو الناب عندي كله مثله والحجة فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قول غيره وما يحتاج للقرد ومثله ان نهى عنه لانه ينهى عن نفسه بزجر الطباع

والنفوس لنا عنه ولم يبلغنا عن العرب ولا عن غيرهم أكله .

(وروى) الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحم القرد .

(الامثال) منها قولهم :

واسجد لقرد السوء في زمانه ودارِه مادمت في سلطانه

(وقالوا) ازنى من قرد واحكى من قرد لانه يحكى الانسان في أفعاله سوى المنطق ، قال ابو الطيب المتنبي :

يرومون شأوى في الكلام وانما يحاكي الفتى فيما خلا المنطق القرد

(وقالوا) أقبح من قرد واولع من قرد لانه اذا رأى الانسان تولع بفعل شيء أخذ يفعل مثله .

(الخواص) اذا علق سنه على الانسان لم يغلبه النوم ولا الفزع بالليل وأكل لحمه ينفع عن الجذام وجلده اذا علق على شجرة دفع عنها ضرر البرد واذا اتخذ من جلده غربال وغربل به الزريعة وزرعت سلمت من آفات الجراد واذا سقى انسان من دم قرد وهو حار خرس من وقته واذا رأى القرد طعاما مسموما خاف وصاح واذا جعل شعره تحت رأس نائم رأى في منامه أهوالا مفزعة انتهى كلام الدميري رحمه الله تعالى .

وبهذه القرية قلعة شاهقة الى السماء لاحقة وسلطانها يسمى ودى سنك وهو كافر بالظاهر ومسلم بالباطن لان أقاربه واهله كلهم كفرة لئام عبدة الاصنام ، فلهذا اخفى اسلامه عنهم حذراً منهم .

ولقد اجتمعت به في خلوة وقرأ عليّ سورة يس والرحمن ، واخذ مني الاجازة في دعاء السيفي وبعض اسماء الرحمن ، وكان قد طلب مني الاقامة عنده فلم اقبل ، وذلك لأمر غريب ، وخبر عجيب ، سمعته عنه من الناس انه كان يعتقد عقيدة تامة في فقير يسمى شاه غريب ، وكان عالماً زاهداً صالحاً فمكث عنده مدة من الزمان وعلمه القرآن ، ثم طلب منه ان يأذن له في المسير الى الاوطان فما أذن إلا بعد علاج

شديد وذلك لاعتقاده فيه ثم انه بعدان سار الفقير ارسل خلفه رجالا فقتلوه ، واليه حملوه ، فدفنه عنده وجعل عليه ضريحاً عظيما وله زيارة عظيمة ينفق فيها أموالا جسيمة للقناديل والطبائخ والصدقات على المساكين وذوى البيوت وهذا من قوة اعتقاده فيه فلذا لم أرض بالاقامة هناك خيفة من القتل والهلاك فاقمنا هناك خمسة أيام ، بعزوا كرام ، وغمرني بالعطايا الجسام ، ثم رحلنافاتينا على قرية تسمى كركون وهي أول حدود نظربار وهذه البلدة طيبة انيسة ، مليحة نفيسة ، وبها شجر التامول بغير حساب وربما اكله الدواب ، يباع بالبيسة الفورقة من الابيض الرقيق الكبار وربما يباع بعض الاحيان ازيد من هذا المقدار .

﴿ فائدة ﴾

قال في القاموس التامول التانبول وهو ضرب من اليقطين الهندى طعم ورقه كالقرنفل يمضغون ورقه بقليل من كلس .

(قلت) ويضعون مع الكلس قليلا من الفوفل ايضا وهو مشهى مطرب مبهى مقوي للثة والمعدة والكبد وهو خمر الهند عازج العقل قليلا وهو ينبت كاللوبيا ويرتقى في الشجر وعامة العرب تسميه التنبل والهنود يسمونه بانا فاقمنا هناك يوما ورحلنا فأتينا على بلدة عظيمة تسمى الجبور وهي على نهر عظيم وبهذه البلدة قبة عظيمة ومدفون بها رجل يقال له بيتى بجوت اى ناكح ابنته وله مزار عظيم .

(قيل) ان ابنته هذه كانت بديعة الجمال ، والقدّ والاعتدال ، فمضى ابوها الى القاضي وكان من اجهل الجهال ، فقال له اصلح الله القاضي انى غرست شجرة تفاح بدارى واجتهدت على تربيتها ليلي ونهاري الى ان كبرت وانتشت واثمرت فأتت لي بتفاحة واحدة فاردت اكلها فنمعتنى زوجتي فهل يجوز لي اكلها ام لا؟ فقال له قاضي المغفلين كلها ولا تخف انك من الآمنين فذهب ذلك اللعين الى داره ، ونكح ابنته ولم يخف ان يحرقه الله بناره فسمى بهذا الاسم واهل هذه البلدة يعتقدون

فيه اعتقاداً يجل عن البيان ويزعمون انه من اهل الكشف والبرهان فانظر الى هذه الامة الكافرة الجاحدة وعقيدتها الباطلة الفاسدة وحاكم هذه البلدة عوض خان صهر الوزير نظام الملك وهو بالبخل معروف ومذكور وفي الطمع في جمع الدنيا أطمع من اشعب المشهور .

﴿ لطيفة ـ ذكر بعض الطماعين ﴾

قيل لاشعب الطماع مابلغ من طمعك قال ما كنت في جنازة فرأيت اثنين يتساران الا قلت هما يتحدثان في شيء أوصى به الميت لي .

(قلت) وأخذ هذا المعنى ابو نواس فقال :

تركتني الوشاة نصب المشيرين وأحدوثة بكل مكان
ماأرى خاليين في الناس الا قلت مايخلوان الا لشاني

وقيل لاشعب مابلغ من طمعك فقال ماقلت هذا الكلام إلا وقد خبأت لي شيأ تريد ان تعطيني اياه .

وقيل له يوما مابلغ من طمعك قال مارأيت عروساً بالمدينة تزف الا كنست بيتي ورششته طمعاً في أن تزف الي .

(ووقف اشعب) على رجل يعمل طبق خيزران فقال له اشعب وسعه قليلا فقال الخيزراني وماتريد بذلك كانك تريد ان تشتريه قال لا ولكن يشتريه بعض الاشراف فيهدى لي فيه شيأ .

وقيل له يوما هل رأيت اطمع منك قال نعم كلب أم حومل تبعني فرسخاً وانا أمص كندر .

وقيل له ايضاً هل رأيت اطمع منك قال نعم خرجت الى الشام مع رفيق لي فنزلنا ببعض الديور فتخاصمنا فقلت لرفيقي ابر هذا الراهب الذى في الدير في حرأم الكاذب فلم نشعر إلا وقد طلع الراهب وهو مقوم احليله ويقول أيكما الكاذب .

(ويقال) ان اشعب مر يوما على صبيان يلعبون فجعلوا يعبثون به وزادوا في أذاه فقال لهم ويحكم ان سالم بن عبد الله يفرق تمراً من صدقة عمر قال فمر الصبيان يركضون الى دار سالم وركض أشعب معهم ايضاً وقال مايدريني لعله يكون حقا .

(ويقال) ان بعض الطماعين اجتاز بدار فسمع صاحبها يقول لزوجته ياقحبة ان لم أحمل اليك الف رجل فما أنا برجل فجلس على الباب الى ان ضجر ثم قام وضرب الباب فاطلع عليه صاحب الدار فقال له ماتريد قال تحمل على هذه القحبة والا تمضي في حالنا .

(قيل) أتى بعض الفقراء الى دكان خياط في يوم شديد البرد ولم يكن عنده غير قميص واحد فنزعه ودفعه الى الخياط ليخيط فتقا كان فيه ووقف وهو في أشد تعب من البرد ينتظر فراغه فلما فرغ الخياط من الثوب طواه ووضعه تحته وأطال في ذلك فقال له أجير كان عنده ماتدفع الثوب الى صاحبه فقال اسكت عساه ينساه ويروح .

(قلت) هذا اطمع من أشعب .

(قيل) ان بعضهم تمنى فى منزله فقال ليت لنا لحما فنطبخ مرقا فما لبث أن جاءه ابن جاره بصحفة وقال اغرفوا لنا فيها قليلا من المرق فقال ان جيراننا يشمون رائحة الأماني .

(فلما) بدا هلال شهر رمضان ، الذى أنزل فيه القرآن ، دخلنا بعون الملك الصبور ، بلدة برهانبور ونزلنا بدار الامير المكرم الرئيس ، المقدام اذا تقابل الخميس بالخميس ، مولانا السيد احمد الدمشقي كنوال البلاد يعنى محتسبها الملقب بزين الدين خان ، لازال ركنا لكل انسان ، فاكرمنا غاية الاكرام ، وحبانا بجزيل الانعام ، وأقمنا بداره خير مقام ، عشرة أيام .

واجتمعت بابناء أخيه السيد نور الدين والسيد حسين والسيد جعفر والسيد

علي وحصل لي منهم القبول وبلوغ المأمول .

وأما برهانبور هذه فهى بلدة مكينة أنيسة حسينة أمينة حصينة ، ما احلاها من مدينة بها القصور المشيدة والبدور المشرقة السعيدة ، والاسواق العامرة ، والبساتين الزاهرة ، والحمامات النظيفه ، والمساجد الشريفه ، وسورها رفيع البنا ، ينال الغريب فيها كل المنى ، ويحفها نهر كبير ، وبها العنب الفخرى ومن رخصه ربما يعلف به الحمير ، ثم توكلنا على من عرض على السموات والارض والجبال الأمانه .

ورحلنا الى أرض كوندوانه ، فمرَرنا على قرية يقال لها آسيركر بفتح الالف ومدها وفتح السين المهملة وسكون الياء التحتانية وفح الكاف العجمية وسكون الراء وبها جبل شاهق ، بالافلاك لاحق ، وعليه قلعة فريدة الوجود ليس مثلها على وجه الارض بموجود وعليها ثلاثة أسوار اثنان مبنيان بالاحجار الكبار والثالث منقور من الصخر الاصم قطعة واحدة ودوره نحو ميل وطوله نحو ثلاث قامات بقامة الرجل الطويل .

قيل لي انه من عمل الجان ، للنبي سليمان ، وبهذه القرية عنب لايحصيه إلا الرحمن في غاية الرقة والحلاوة ونهاية الرخص فاقمنا هناك يوما ورحلنا فاتينا على بلدة تسمى مكراني وبهاقلعة رفيعة السماك لاحقة بالافلاك ، وسلطانها من عبدةالاصنام يسمى مهان سنك فأضافنا عنده واكرمنا فاقمنا هناك يوما ورحلنا .

(فلما) كان غرة ذى القعدة دخلنا بلاد كوندوانه ، اعز الله سلطانها وأعانه وتسمى هذه البلدة ديوكر چانده يعني قلعة العفاريت فنزلنا بدار سلطانها النجيب الكريم ، الشجاع الشهيم ، الراجه بخت بلند أيده الله وقوى ساعده والزند فاكرمنا غاية الاكرام ، وانزلنا في خير مقام .

واجتمعت هناك بالسيد الكريم صاحب الفضل العميم والخلق العظيم ، والخلق الوسيم ، الرئيس الاجل الكهف الاظل ، شيخي واستاذى ، ومعمدتي وملاذى ، دليلي الى الله في طريقة الرفاعية ، وكذلك القادرية ، مولانا الذى لم أزل لاحسانه

شاكراً ولجنابه بالدوام داعي ، السيد بدر بن السيد غالب الموسوى الرفاعى فأخذنى من السلطان وأنزلنى بداره دار الفرح والسعد والأمان لان هذا السلطان ، كان قديما من عبدة الاوثان وهذا السيد بدرهو الذى أنقذه من ورطة الشيطان وهداه الى عبادة الملك القديم السلطان ، فهو شيخهم وهاديهم على كل حال وله عليهم في كل سنة جملة من الاموال وله هناك قري وبلدان ومحاصيل عظيمة فاقمت عندهم في نعيم مقيم وجاه عظيم ، وعز وافر وتمكين ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ فائدة ـ ذكر العلوم النقلية وحقائق ذات الادراك ﴾

العلوم النقلية تشتمل على ثلاث مقالات :

(الاولى) في الشرعيات وفيها خمسة فنون : علم الكلام ، علم التفسير ، علم الحديث ، علم أصول الفقه ، علم الفقه .

(الثانية) في العربيات وفيها خمسة فنون : علم اللغة ، علم التصريف ، علم الاشتقاق ، علم النحو ، علم الخط .

(الثالثة) في الادبيات وفيها خمسة فنون : علم المعانى ، علم البيان ، علم البديع ، علم العروض ، علم القافية .

(والعلوم العقلية) تشتمل أيضا على ثلاث مقالات :

(الاولى) في النظريات وفيها خمسة فنون : علم المنطق ، علم آداب البحث ، العلم الألهى ، العلم الرياضى ، العلم الطبيعى .

(الثانية) في العمليات وفيها خمسة فنون : علم الاخلاق ، علم تدبير المنزل ، علم الموسيق وهو يونانى معناه تأليف الالحان ، علم السياسة ، علم الطب .

(الثالثة) في الفرعيات وفيها خمسة فنون : علم التشريح ، علم الحساب ، علم الغبار ، علم الهندسة ، علم الهيئة انتهى تفصيله .

(وجه انحصار العلوم) اماأن يستند الى النقل أولا الأول مافي الأول والثانى مافي الثانى.

(والنقل) ان كان عن الشارع فشرعى وهو مافي المقالة الاولى أو عن العرب فعربى وهو مافي الثانية أو عن متتبعى كلامهم فادبى وهو مافي الثالثة .

(والشرعى) ان بحث فيه عن المعلومات من حيث تعلقها بذات الله تعالى وصفاته فعلم الكلام أو عن كلامه من حيث الامر والنهى فالتفسير أو عن كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صحة الاسناد وعدمه فالحديث أو عن أدلة الفقه الاجمالية وما يتعلق بها فالاصول أو عن افعال المكلف صحة وفساداً فالفقه .

(والعربى) ان بحث فيه عن الكلمات من حيث الجوهر والمادة فاللغة أو عن بنية الكلم فالتصريف أو الاصالة وعدمها فالاشتقاق أو الاعراب والبناء فالنحو أو عن كيفية الكتابة فالخط .

(والادبى) ان بحث فيه عن الكلمات من حيث مطابقتها الحال وعدمها فالمعانى أو ايراد المعنى بطرق مختلفة فالبيان أو عن وجوه التحسين بعدها فالبديع أو عن أوزان المنظوم فالعروض أو عن أواخر الابيات فالقافية .

(والعقلى) ان بحث فيه عن الموجودات التى لادخل لقدرتنا فيها فنظرى وهو مافى المقالة الاولى أو عما لها دخل فيه فعملى وهو في الثانية أو عما يتفرع على ذلك ففرعى وهو في الثالثة .

(والنظرى) اما مقصود بالذات أو وسيلة .

(والوسيلة) ان بحث فيها عما يعصم مراعاته الذهن عن الخطأ فالمنطق أو عن كيفية تقرير الادلة ورفع الشبهة فآداب البحث .

(والمقصود) ان بحث فيه عن أحوال الموجودات لامن حيث المادة فالالهى أومن حيث المادة لكن لامن حيث المخالطة فالرياضى أومن حيث المخالطة فالطبيعى

(والعملى) ان بحث فيه عن اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل أولا .

(الأول) ان تعلق بشخص فعلم الاخلاق أو باشخاص فعلم تدبير المنزل أو بالرئيس والمرؤس فعلم السياسة .

(والثاني) ان بحث فيه عن كيفية تأليف الالحان فالموسيقي أو عن بدن الانسان صحة ومرضا فالطب .

(والفرعي) ان بحث فيه عن أعضاء الانسان فالتشريح أو عن استخراج المجهولات العددية فالحساب .

(ثم) ان لم يكن بتخليط فالمفتوح وإلا فالغبار أوعن خواص المقادير فالهندسة أوعن الاجرام البسيطة فالهيئة وقد علم بذلك حد كل واحد منها .

﴿ فائدة ﴾

حقائق ذات الادراك ثلاثة : الأول سر عليم ومعاني تفصيلية يقال لها العقول الالهية وشأنها تحقيق مراتب الوجود وبيان احاطتها .

(الثاني) أمر حكيم ومعاني تفصيلية تسمى عقولا نظرية ومعيشيه وشأنها تقدير مراتب الامكان بما هي نظرية وبيان أحكام الحال والمعاد من صلاح وفساد بما هي معيشية .

(الثالث) قهر بهيم ومعاني تفصيلية تسمى قوى طبيعية وشأنها تحليل وتركيب في كون وفساد فالنفوس المدركة زجاجة بالتجسيم في مشكاة فيها مصباح السر العليم عالقة في فتيلة الامر الحكيم ، الفعال به في مادة القهر البهيم فلا بقاء لتعين النور فى المشكاة إلا بان يفعل الامر الحكيم في معاني القهر البهيم ويؤثر فيها التصميد والتلطيف بحكمته المستهلكة للقوى الطبيعية في السر العلى بواسطة التلبس باحكام صلاح الحال والمعاد والتعرى عن مفسداتهما ومتى باشر النور المألوه بلاء الفتيلة انعدم تعينه هكذا متى ماشمرت القوى الطبيعية وحقيقتها البهيميه بالسر العليم بلا واسطة الامر الحكيم فنى حكمه فيها وتمحضت مطبقتها موثوقة فى ظلمتها وكثافتها ومن هنا ضات أوهام أخذت التحقيق حسبانا وتقليداً مع عدم التجرد عن مراتبها الطبيعية وعدم تمسكهم بالامر الحكيم وربانيته وديانيته فتصير النفس المغلوبة لهذا الوهم بها مطبوقا وحجاباً

مظلما موثوقا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم فتى غلب الامر الحكيم على القهر البهيم لطفت مراتبه فان افناها تمحضت النفس المدركة بعد تجريدها سراً عليا وان ابقاها في لطافتها تمحضت أمراً حكيما فافهم والله بكل شيء عليم انه بكل شيء محيط ٠

﴿ فائدة ﴾

أول المقامات الانتباه وهو اليقظة من سنة الغفلة ثم التوبة وهو الرجوع الى الله تعالى بهذا الا باق ثم الورع والتقوى لكن ورع أهل الشريعة عن المحرمات وورع أصحاب الطريقة عن الشبهات ثم المحاسبة وهي تعداد ماصدر عن الانسان بينه وبين نفسه وبينه وبين بنى الدنيا وحقيقته التبري عن غير المولى ثم الفقر وهو تخلية القلب عما خلت عنه اليد والفقير من عرف انه لايقدر على شيء ثم الصدق وهو استواء الظاهر والباطن ثم التصبر وهو حمل النفس على المكاره ثم الصبر وهو ترك الشكوى وقمع النفس ثم الرضى وهو التلذذ بالبلوى ثم الاخلاص وهو اخراج الخلق عن معاملة الحق ثم التوكل وهو الاعتماد في كل اموره عليه سبحانه وتعالى مع العلم بان الخير فيما اختاره ٠

(وورد في الخبر) عن سيد البشر انه قال لو توكل أحدكم على الله حق اتكاله لرزقه كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ٠

(وفي سنة) تسع وعشرين وألف خامس عشر ربيع الأول توفي الامام القاسم ابن المنصور بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الامير حسين بن علي بن يحيي بن يوسف الملقب بالاشل بن القاسم بن الامام يوسف الداعي بن الامام المنصور يحيي بن الامام الناصر أحمد بن الامام الهادى بن يحيي بن الحسين بن القاسم ابن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ٠

(قال السيد روح الدين) عيسى بن لطف الله بن المطهر في كتابه الانفاس اليمنية في الدولة المحمدية ، اعلم أن هذا الامام يعني القاسم ما كان لآبائه وأجداده في الرياسة التي هي قود الجنود ، وخفق البنود قدم ولا قدم ، ولا لاسلافه علامة ولا علم ، وكان أبوه من عسكر والدنا المطهر بن شرف الدين وله رزق يجرى عليه من جملة العسكر الذين هم غير مرابطين وشهد مع والدنا الحرب التي جرت بينه وبين الوزير الاعظم سنان وذلك في قاع حوسان وكان مولد القاسم سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ولما بلغ الاحتلام قرأ القرآن وكانت فيه قوة وفطنة ولازم الامام الحسن الذي ادخله الوزير حسن باشا الروم وأقام عنده في بلاد الاهنوم ، وبعد سفر الامام الحسن فارق تلك البلاد ، وحال عنها وحاد ، ومابرح ينتقل في البلدان ، ويطلب العلم من مكان الى مكان ، ولما ادرك طرفاً من العلوم ، دعته نفسه الى ان ينهض ويقوم ، فقام على فترة من الفتن ونومة منها في اقليم اليمن ، وذلك انه علم ان البلاد التي كانت لوالدي لطف الله بن المطهر قد خلت من واليها وتعطلت من كاليها ، فدعا وقام لثلاث بقين من محرم الحرام ، سنة ست والف في محل يقال له حديد قاره من اعمال شام الشرق فاتقدت عند ذلك الجمرة وطلع نجم الفتن ، وعم الناس الويل والحزن ، واستمر الامام القاسم والياً وحار به الباشا وحصره في حصن شهارة وأتعبه كل يوم بالغارة فخرج منه متنكراً ولم يشعر به احد وبقي ولده محمد الى ان عجز وضاق حاله فخرج بالامان على أن يكون فراره عند صاحب كوكبان وخرج باخوانه واهله وقبض الباشا حصن شهاره الى أن مات الامام القاسم باجله وخلف أربعة أولاد المؤيد محمد والحسن والمخلوع أحمد واسماعيل فقام من بينهم محمد بعد أبيه وجدد الصلح بينه وبين الوزير محمد باشا على ما كان عليه في زمان والده والله أعلم .

تم الجزء الأول من (نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس) ويليه :

الجزء الثاني أوله ترجمة الحريري صاحب المقامات المشهورة

فهرست الجزء الأول

من نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب
٢٧٦	فائدة : الجامع الأزهر . اول مسجد أسس بالقاهرة
٢٧٦	فائدة : علم الطلسمات يعرف بتمزيج القوى العالية
٢٧٧	قصة سواد بن قارب مع عمر بن الخطاب « رض »
٢٧٩	ترجمة الشيخ سالم بن أحمد الصفدى الشماع
٢٨٠	قصيدة من نظمه معارضاً حائية ابن النحاس
٢٨٢	قوله مادحاً القائد سنبل ومعارضاً كافية بهاء الدين العاملي
٢٨٤	قوله مادحاً ابن عمى شريف مكة ومعارضاً قصيدة الخطيب بن داريا
٢٨٦	وله (الحيني) الهذلي اللطيف
٢٩١	ايام الاسبوع في الجاهلية وأولها الأحد
٢٩٢	فائدة : في تشبيه الهلال بما يقارب السبعين
٢٩٥	فائدة : العراق مدينة خصبة مشهورة
٢٩٨	ترجمة الاديب عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليم الوزير
٣٠٠	فائدة : قول يوسف بن المؤيد في (ناديتها لما سمعت هديلها)
٣٠١	ولأبي المميثل فى حمامة تنوح قرب الرى عند السحر
٣٠٥	وصول المؤلف لبندر سورت . وارسال السيد علي الشاطرى ابيات مع نسخة قلائد العقيان
٣٠٩	حكاية خالد بن برمك وطلبه لتقليد الوزارة
٣١١	لطيفة لاعرابي مع زوجته لما اراد السفر
٣١٣	قول الخنساء لأمها ، ماأمر بأحد إلا وبزق في وجهي
٣١٤	رثاء محمد بن يعقوب الانبارى لمحمد بن بقية وزير عضد الدولة
٣١٨	فائدة : ذكر جماعة من اعيان المصلوبين وأول مصلوب صلب في الاسلام

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

نزهة الجليس

ومنية الأديب الأنيس

تأليف

العلامة السيد العباس المكي الحسيني الموسوي

المتوفى حدود سنة ١١٨٠ هـ

انتشارات مكتبة الحيدرية

نزهة الجليس

ومنية الأديب الأنيس

تأليف

سماحة العلامة المتضلع السيد

العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي

غفر الله له ولوالديه

الجزء الثاني

منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف

١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هوية الكتاب

اسم الكتاب : نزهة الجليس

المؤلف: السيد العباس بن على بن نور الدين المكى الحسينى الموسوى

الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية

المطبعة : امير ـ قم

الطبعة : الاولى فى ايران

تاريخ الطبع : ١٤١٧ هـ. ق ـ ١٣٧٥ هـ. ش

سعر الدوره :

عدد الصفحات والقطع : ٦٧٦ صفحة وزيري المجلد الثاني

العدد : ١٠٠٠ دوره

ليتوگرافى : بيروتى ـ تلفن ٧١١٧٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ترجمة أبي محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات المشهورة ﴾

حامل لواء البراعة ، وفارس النظم والنثر وناسجهما بظرافة الصناعة ، كان من رؤساء بلده ، روى الحديث عن ابي تمام محمد بن الحسين وغيره ، وعاش سبعين سنة ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات واشتملت على كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها ، حتى قال بعض الفضلاء من عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته .

وما أحسن ما قال فيها بعض واصفيها :

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته
ان الحريري حري بأن تكتب بالتبر مقاماته

وكان سبب وضعه لها ما حكاه ولده ابو القاسم عبد الله قال : كان ابي جالساً في مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه اهبة السفر ، رث الحال فصيح المقال ، حسن العبارة ، فسألته الجماعة من أين الشيخ ؟ فقال : من سروج ، فاستخبروه عن كنيته ، فقال : ابو زيد ، فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية ، وهي الثامنة والأربعون ، وعزاها إلى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خبرها الوزير شرف الدين ابا نصر القاشاني ـ بالقاف والشين ـ وزير الامام المسترشد بالله ، فلما وقف عليها اعجبته ، وأشار إلى والدي أن يضم اليها غيرها ، فأتمها خمسين مقامة .

وإلى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقوله : فاشار من

اشارته حكم ، وطاعته غنم ، إلى ان أنشى مقامات أتلو فيها تلو البديع ، هكذا وجد في عدة تواريخ .

وفي نسخة من المقامات عليها خط مصنفها ، وقد كتب على ظهرها بخطه انه صنفها للوزير جلال الدين عميد الدولة ابى علي الحسن بن ابي المعز علي بن صدقة وزير المسترشد .

وقيل : وهذا اصح من الرواية الأولى لكونها بخط المصنف والله اعلم .

وذكر القاضى ابو الحسن علي بن يوسف الشيباني وزير حلب في كتابه المسمى (إنباه الرواة على أنباء النحاة) أن أبا زيد المذكور اسمه المطهر بن سلار وكان نحويا لغويا ، وصحب الحريري المذكور ، واشتغل عليه بالبصرة وتخرج به .

وروى عنه القاضى ابو الفتح محمد بن احمد الميداني الواسطي ملحة الأعراب وذكر انه سمعها عنه عن الحريري قال : قدم علينا واسط سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، فسمعنا منه : وتوجه منها مصعداً إلى بغداد فوصلها ، وأقام مدة يسيرة وتوفى رحمه الله بها وأما تسمية الراوي لها أبا الحارث بن همام فانما عني به نفسه . هكذا ذكره القاضي ابن خلكان وقال وقفت عليه في بعض شروح المقامات وهو مأخوذ من قول النبي ﷺ : (كلكم حارث ، وكلكم همام) فالحارث هو الكاسب والهمام كثير الاهتمام ، وما من شخص إلا وهو حارث وهمام . لان كل أحد كاسب وهمام بأموره ، وقد اعتنى بشرح المقامات خلق كثير ، فمنهم من طول ومنهم من اختصر .

قال ابن خلكان : ورأيت في بعض المجاميع ان الحريري لما عمل المقامات كان قد عملها اربعين مقامة وحملها من البصرة إلى بغداد فادعاها فلم يصدقه في ذلك جماعة من ادباء بغداد ، وقالوا : انها ليست من تصنيفه ، بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ، وقعت اوراقه اليه فادعاها ، فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صنعته ، فقال : أنا رجل منشيء ، فاقترح الوزير عليه انشاء رسالة في

وقعة عينها له فانفرد في ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ومكث زماناً كثيراً فلم يفتح الله سبحانه عليه بشيء ، فقام وهو خجلان .

وكان في جملة من انكر دعواه في عملها ابو القاسم بن افلح الشاعر ، فلما لم يعمل الحريري الرسالة التي اقترحها الوزير أنشد ابن افلح هذين البيتين . وقيل : انهما لابي محمد الحريمي البغدادي الشاعر المشهور :

شيخ لنا من ربيعة الفرس ... ينتف عثنونه من الهوس

انطقه الله بالمشان كما ... رماه وسط الديوان بالخرس

وكان الحريري يزعم انه من ربيعة الفرس ، وكان مولعاً بنتف لحيته عند الفكرة ، وكان يسكن في مشان البصرة ، فلما رجع لبلده عمل عشر مقامات أخر وسيرهن إلى الوزير واعتذر من عيه وحصره بالديوان بما لحقه من المهابة .

وللحريري تآليف حسان منها : درة الغواص في اوهام الخواص ، وملحة الاعراب منظومة في النحو والآداب ، وله ايضاً شرحها ، وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات .

فمن ذلك قوله وهو معنى حديث :

لعمرك من اوليته منك نعمة ... أسيرك في الدنيا وأنت اميره

ومن كنت محتاجا اليه بما له ... أميرك في الدنيا وانت أسيره

ومن كنت عنه ذاغنى وهومالك ... أزمة كل الارض انت نظيره

فعش قانعاً ان القناعة للفتى ... غناه وهذا منتهى ما اشيره

وقوله متغزلا :

قال العواذل ما هذا الغرام به ... أما ترى الشعر في خديه قد نبتا

فقلت والله لو أن المفند لي ... تأمل الرشد في عينيه ما ثبتا

ومن أقام بارض وهي مجدبة ... فكيف يرحل عنها والربيع أتى

وقال الحافظ الامام الجلال السيوطي في تأليفه (ازهار العروش في اخبار الحبوش)

هذه القصيدة من مستجاد قصائد الشيخ الرئيس ابي محمد القاسم بن علي الحريري وهي:

طيف ألم به وهنا فحياه ... لما حباه برؤياه ورياه

سرى اليه فسرى الهم عنه فما ... أسره حين سراه وأسراه

أعجب به كيف وافى غير محتشم ... ومن هداه وهاداه وأهداه

ظبي له من ادلال يقبحه ... وانما الحسن حلاه وأحلاه

من بعدما كان عين المستهام به ... حتى استهلت له عيناه عاناه

أزوره وهو مزور ووصلته ... يصلى بها من تولاه ووالاه

حسامه حين يبدو الطعن مستعراً ... أزجه وقفاه حين اقناه

يرعى القلوب ولا يرعى لعاشقه ... وان ألب بمغناه واغناه

وقلما لاحظ المشوق عهد هوى ... وان اخو الوجد واتاه وآتاه

وعذل فيه لي لو انهم نظروا ... وكيف زان اللمى فاه لما فاهوا

فقلت لا تعذلوا فيمن تغضبه ... يرضي المحب وان حياه أحياه

لو جادل الفطن النحرير جادله ... او لاح للصخر خداه لخداه

وكان الحريري فاضلا نبيلا ، رفيع القدر جليلا ، وله تاريخ سماه (صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور) نقل منه العماد الكاتب في كتابه (نصرة الفترة وعصرة القطرة) الذي ذكر فيه اخبار الدولة السلجوقية نقلا كثيراً ، وله قصائد كثيرة استعمل فيها التجنيس كثيراً .

ويحكى انه كان دميما قبيح المنظر فجاءه شخص غريب يزوره ويأخذ عنه شيئاً من شعره ، فلما رآه ازدرى شكاه ، ففهم الحريري ذلك ، فلما التمس ان يملي عليه ، قال : اكتب :

ما انت اول سار غره قمر ... وزائر أعجبته خضرة الدمن

فاختر لنفسك غيري انني رجل ... مثل المعيدي تسمع بي ولا ترني

فخجل الرجل وانصرف .

وكانت ولادة الحريري سنة ست وأربعين وأربعمائة بالمشان ـ بفتح الميم والشين وبعد الالف نون ـ بليدة فوق البصرة، كثيرة النخل ، ويقال انه كان له ثمانية عشر الف نخلة ، وتوفي سنة ست عشرة وخمسمائة بالبصرة .

هكذا ذكر الامام اليافعي في مرآة الجنان ، وقيل سنة خمسين وخمسمائة بالبصرة في سكة بني حرام ، فنسب اليهم من أجل هذه السكة التي سكنوها والله اعلم.

قال الشيخ الحكيم الأديب مفيد الدين ميثم البحراني وأجاد :

طلبت فنون العلم أبغي بها العلى فقصرني عما سموت به القل
تبين لي أن المحاسن كلها فروع وان المال منها هو الاصل

وله وأحسن :

قد قال قوم بغير فهم ما المرء إلا بأكبريه
فقلت قول امرىء حكيم ما المرء إلا بدرهميه
من لم يكن درهم لديه لم تلتفت عرسه اليه

﴿ فائدة في علم الفراسة ﴾

إعلم أن علم الفراسة علم كبير ، وعلى قديم الأيام استعملته الاوائل وتفاخرت بحسن الطبع فيه ، وهو علم صحيح ، ولولا الاطالة لأتيت بالعلة الموجبة لصحته ، وممن مهر فيه ، ونسب إلى صحته من الأوائل أقليمون صاحب الفراسة وكان يستدل بتركيب الانسان على اخلاق نفسه ، ولقد جرت له حكاية ظريفة ها أنا اوردها لتقف عليها وذلك ان تلاميذ الفاضل ابقراط صوروا صورة ابقراط في جلد ، ثم مضوا بها إلى اقليمون وقالوا له : تأمل هذه الصورة واحكم على اخلاقها ، فنظر إلى تركيبها وقرن أعضاءها بعضها ببعض ، ثم قال : هذا رجل خداع فاسق يحب الزنا ، فأرادوا قتله ، وقالوا له : ايها الجاهل هذه صورة الفاضل ابقراط ! فقال لهم : سألتموني عن علمي فاخبرتكم ، فلما وردوا على ابقراط اخبروه

بما قال لهم اقليمون ، فقال لهم ابقراط : صدق والله اقليمون وما اخطأ حرفا ولكن لما رأيت هذه الاشياء قبائح ملكت نفسي عنها وقويت على ضبط شهوتي فيها .

وهذه من الزيادة في فضل ابقراط ، لان الفلسفة انما هي ملك الشهوات .

واعلم ان الرحم للجنين بمنزلة القدر للطبيخ ، والامزجة مختلفة بحسب الخلق والطبائع متضادة على قدر التركيب ، فالبياض الساطع مع الزرقة ، والشقرة دليل على قلة النصح ، فان انضاف إلى ذلك نقص في الخلق ، فهو نقص في الطبع فتحفظ من الازرق الاشقر ، فان انضاف إلى ذلك ان يكون واسع الجبهة ضيق الذقن ففي خلقه الوقاحة والخيانة والفسق ، وفي العين دلائل لا تكاد تخطئك حتى انه يتبين فيها الرضى والسخط والمحبة والبغضة ، فاذا رأيت رجلا يكثر النظر اليك فنظرت اليه فاحمر وخجل وظهر منه تبسم لا يريده او دمعت عيناه فهو محب لك خائف منك متودد اليك لاسيما ان كانت عيناه من العيون المتقدمة الذكر وإذا كان بخلاف ذلك فهو حاسد لك مستخف بك غير مأمون عليك وينبغي التحفظ من كل ناقص الخلقة أو صاحب عاهة تحفظك من عدوك ، فان كل ذي عاهة شيطان ، وأعدل الخلقة الموافقة توسط القامة وسواد الشعر والعينين وغورهما وتدوير الوجه والبياض المشرب بحمرة ، والسمرة المعتدلة مع تمام الخلقة واعتدال القامة وتوسط الرأس في الكبر والصغر ، وقلة الكلام إلا عند الحاجة إلى ذلك ، والتوسط في جهارة الصوت ورقته والميل إلى النحافة من غير إفراط ، فالشعر اللين يدل على الجبن وبرد الدماغ وقلة الفطنة ، والشعر الخشن يدل على الشجاعة وصحة الدماغ ، وكثرة الشعر على الكتفين والعنق يدل على الحمق والجراءة ، وكثرة الشعر على البطن والصدر يدل على وحشة الطبع وقلة الفهم وحب الجور . وشقرة الشعر تدل على الحمق وكثرة الغضب وسرعته والتسلط .

سواد الشعر يدل على العقل والاناة وحب العدل والمتوسط بين هذين كذلك ومن عظمت عيناه وجحظتا فهو حسود وقح كسلان غير مأمون لا سيما ان كانت

زرقاء فانها تكون أشر من ذلك ، وقلما يسلم ان يكون مميانا ، ومن كانت عيناه متوسطتين مائلتين إلى الغور والكحلة والسواد فهو يقظان محب ثقة ، وان كانتا ذاهبتين في طول البدن فصاحبهما خبيث ، ومن كانت عيناه يشبهان عيون البهائم في الجمود فهو جاهل غليظ الطبع ، ومن تحركت عيناه بسرعة وحدة نظر فهو محتال اص متربص غادر ، وان كانت حمراء فصاحبها شجاع مقدام .

وأردأ العيون الزرق ، وأردأها الفيروزجية ، فان كان حولها نقط صفر او بيض او سود اوحمر فان صاحبها أشر الناس واردأهم ، والحاجب الكثير الشعر يدل على العي وغث الكلام ، وإذا كان الحاجب ممتداً إلى الصدغ فصاحبه تياه صلف ومن رق حاجبه واعتدل في الطول والقصر وكان اسود فهو يقظان شهم .

والانف إذا كان رقيقاً فصاحبه نزف ، ومن كان انفه طويلا يكاد ان يدخل في فمه فهو شجاع ، ومن كان افطس فهو شبق ، ومن كان ثقب انفه شديد الانفتاح فهو غضوب وإذا كان الانف غليظ الوسط مائلا إلى الفطس فهو مهذار كذوب ، واعتدال الانف إذا طال غير طول فاحش فهو دليل العقل والفهم ، والجبهة المنبسطة التي لا غضون فيها تدل على المخاصمة والوقاحة ، ومن كانت جبهته صغيرة فهو جاهل ، ومن كانت جبهته واسعة منبسطة فهو كذاب مهذار خداع ، ومن كانت جبهته متوسطة في السعة والنتو وكانت فيه غضون فهو صدوق محب عالم يقظان مدبر حاذق .

والفم الواسع صاحبه شجاع ، ومن كان غليظ الشفتين في الغلظ مع حمرة صادقة فهو معتدل ، والاسنان المنبسطة الخفاف وبينها فلج صاحبها عاقل ثقة مأمون مدبر . والوجه : من كان لحم الوجه منفتح الشدقين فهو جاهل وقح كذاب غليظ الطبع ، ومن كان نحيف الوجه فهو مهتم بالامور فهيم ، ومن صغر وجهه ونحف وكان مائلا إلى الصفرة فهو ردىء خبيث خداع شكس ، ومن طال وجهه فهو وقح ، ومن كانت اصداغه منفتحة واوداجه متميلة فهو غضوب ، ومن كان عظيم

الآذان فهو جاهل إلا انه يكون حافظاً ، ومن كان صغير الآذان جداً فهو احمق سارق زان جبان ، ومن كان جهير الصوت فهو شجاع ، ومن كان كلامه معتدلا في الغلظ والرقة والتأني فهو عاقل مدبر صدوق ، ومن كان كلامه سريعاً لا سيما ان كان صوته رقيقاً فهو وقح جاهل كذوب ، فان كان صوته غليظاً فهو غضوب سيء الخلق ، ومن كان أغن الصوت فهو دليل على الحمق وقلة الفطنة وكبر النفس ، ومن كان يتحرك كثيراً وتعبث يداه فهو مهذار خداع ، ومن كان وقوراً في جلوسه متدارك اللفظ عند قوله محركا ايده في فصول كلامه ، كان تام العقل مدبراً صحيح العقيدة ، ومن كان عنقه قصيراً جداً فهو مكار خبيث ، ومن كان عنقه طويلا رقيقاً فهو صياح احمق جبان ، فان انضاف إلى طول عنقه صغر رأسه فهو احمق سخيف لاحيلة فيه ، ومن كان عنقه غليظاً فهو جاهل اكول ، واعتدال العنق في الطول والغلظ دليل على العقل والتدبير وخلوص المودة والثقة والصدق ومن كان كبير البطن فهو احمق جاهل معجب جبان يحب النكاح .

ولطافة البطن وضيق الصدر يدلان على جودة العقل وحسن الرأي ، وعرض الكتفين والظهر يدلان على الشجاعة مع قلة العقل ، وانحناء الظهر يدل على شكاسة الخلق وتراق الصدر واستواء الظهر علامة محمودة ، وبروز الكتفين يدل على سوء النية وقبح المذهب .

إذا طال الذراعان حتى تبلغ الكف الركبة دل على الشجاعة والكرم ونبل النفس وإذا قصر الذراعان فصاحبهما محب للشر جبان ، والكف الطويلة مع الاصابع تدل على التفرد في الصناعات واحكام الاعمال وتدبير الرياسة وغلظ الاصابع وقصرها يدل على الجهل والحمق والقدم اللحيمة الغليظة تدل على الجهل وحب الجور والقدم الصغيرة اللينة تدل على الفجور ، ورقة العقب تدل على الحمق والجبن وغلظه يدل على الشجاعة ، وغلظ الساقين مع العرقوبين يدل على السوء والبله والوقاحة .

وقوة الجسم وكثرة اللحم في الورك يدلان على ضعف القوة والاسترخاء

ومن كانت خطاه واسعة بطيئة كان متأنياً مرجحاً في جميع اعماله مفكراً في عواقبه ومن كانت خطاه قصيرة سريعة فهو عجول شكس غير محكم للامور سيء النية .

والرجل المعتدل الشهم الجيد الطباع هو ان يكون ليناً رطباً متوسطاً بين الرقة والغلظ وبين الطول والقصر أبيض مائلا إلى الحمرة اسيل الخد صبيح الوجه طويل الشعر بين السبط ، كبير العينين مائلتين إلى الغور والسواد معتدل الرأس في العظم في رقبته استواء سائل الاكتاف عديم اللحم في الصلب والاوراك في صوته صفاء بسط الكف طويل الاصابع ، مائلة إلى الرقة قليل الكلام والضحك والمزاح والمراء إلا عند الحاجة إلى ذلك تميل طباعه إلى السوداء والصفراء كانما يخالط نظره فرح وسرور ، غير شره إلى مأكل ولا يحتكم عليك إلا فيما لا قدر له فهذه اعدل خلقة خلقها الله تعالى فارتضها لصحبتك من ذكر وانثى واجهد جهدك في طلب من هذه صفاته ، فانك ترشد ، فقد علمت ان الرئيس احوج إلى الناس من حاجة الناس اليه ويلزمك ان لا تسرع في الحكم بدليل واحد ، بل اجمع شواهدك كلها ومتى جاءتك دلائل متضادة ، فعد إلى الاقوم والارجح تصب ان شاء الله تعالى .

واعلم ان اول شيء اخترعه الباري جل جلاله جوهر بسيط روحاني في غاية التمام والكمال والفضل وصور فيه جميع الاشياء وسماه العقل ، وان من ذلك الجوهر فاض جوهر آخر دونه في الرتبة فسمي بالنفس الكلية ، وانه اندفع من تلك النفس الكلية جوهر آخر يسمى الهيولي قبل المقدار الذي هو الطول والعرض والعمق ، فصار ذلك جسما مطلقاً ، ثم ان الجسم قبل الشكل الكروي ، الذي هو افضل الاشكال واصحها وادومها بقاء .

﴿ ذكر الاكر وفلك الشمس والقمر ﴾

فكان من ذلك الافلاك والكواكب ما وصفنا من لطف نظامها ، فالاول منها الفلك المحيط إلى منتهى فلك القمر ، وهي تسعة اكر ، بعضها في جوف بعض فاولها واعلاها فلك المحيط ، ثم دونها فلك الكواكب الثابتة ، ثم دونه فلك زحل ثم دونه فلك المشتري ، ثم دونه فلك المريخ ، ثم دونه فلك الشمس ، ثم دونه فلك الزهرة ، ثم دونه فلك عطارد ، ثم دونه فلك القمر ، ثم دونه فلك الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض .

فالارض في اوسط المراكز كلها وهي اغلظ الاجسام جوهراً ، واكثفها جرما ، وأما بعد الشمس عن مركز الارض فقد بينه الخواجه نصير الدين الطوسي في كتابه التذكرة في الهيئة في الباب الرابع منه في معرفة الاجرام والابعاد : ان بعد الشمس عن مركز الارض في بعدها الاوسط الف ومائتان وعشرة امثال نصف قطر الارض ، ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف وستمائة وتسعة عشر مثلا فيكون البعد من الشمس عن الارض اربعة آلاف الف مرة واحـــدة ومائتين وثلاثة وعشرين الف مثل ، وتسعمائة وتسعين مثلا .

يكون بعد زحل الاوسط عن مركز الارض سبعة وسبعين الف الف مرتين ومائة الف وستة واربعين الفا وستمائة وسبعة وتسعين مثلا .

والبعد الابعد لزحل عن مركز الارض تسعة عشر الفاً وتسعمائة وثلاثة وستين مثلا ـ بالثاء المثلثة ـ لنصف قطر الارض وجرم زحل ، مثل جرم الارض سبعة وسبعين مرة .

وزعم المنجمون ان الذهب معدن الشمس ، وان الاصفر من الالوان يخص الشمس ، وانها في الفلك بمنزلة السلطان ، ولله در من قال :

وليس يزيد الشمس قدراً ورفعة عبارة ذي وصف واكثار مادح

وقال بعضهم الحكمة في كون الشمس في الرابع انها إذا كانت فيه كانت في اوسط الافلاك فأضاء بها مافوقها وما تحتها وبعثت النور في مجموع العالم وتكون بمنزلة الواسطة في العقد ، وما احسن قول التهامي :

ومحاسن الاشياء في تركيبها طوق الحمامة حلية في جيدها

وقال صاحب رسائل اخوان الصفا : الشمس بين الكواكب كالملك ، وسائر الكواكب كالاعوان والجنود ، والقمر كالوزير وولي العهد ، وعطارد كالكاتب والمريخ كصاحب الجيش ، والمشتري كالقاضي ، وزحل كصاحب الخزائن ، والزهرة كالخدم والجواري .

قلت : وقد وصف الشعراء الشمس واطنبوا فيها ، فمن ذلك قول الوزير المهلبي الآتي ذكره :

الشمس من مشرقها قد بدت منيرة ليس لها حاجب
كأنها بودقة احميت يجول فيها ذهب ذائب

وظرف ظافر الحداد الكندري في قوله :

انظر لقرن الشمس بازغة في الشرق تبدو ثم ترتفع
كسبيكة الزجاج ذائبة حمراء ينفخها فتتسع

وأخذه الآخر فقال واحسن ما شاء :

يا حسنها وقد دنا طلوعها فاضحكت بقربها سماءها
كأنها عين بها جارية وقد افاضت في السماء ماءها

وقد اقتضى الوضع الإلهي ان تكون الشمس رابعة كما تقدم من انها كالواسطة بخلاف ماإذا كانت في الاعلى او في الاسفل وهذا دليل على الحكمة الربانية

قال ابو اسحاق الغزي :

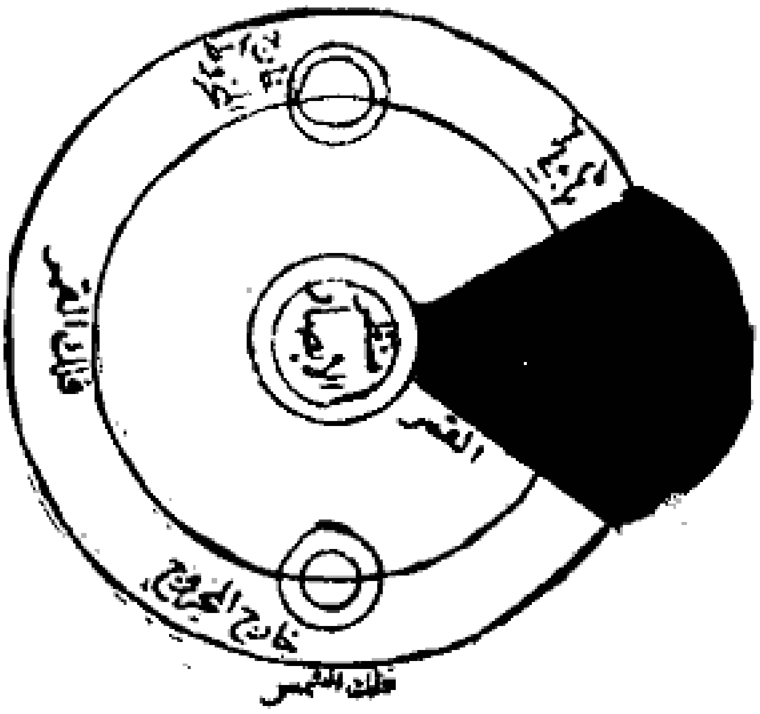
لست انسى قول سلمى ذات يوم ما لهذا المنحنى الظهر ومالي
انا شمس في الضحى وهو هلال وكسوف الشمس من قرب الهلالي

وقال ابن التلميذ :

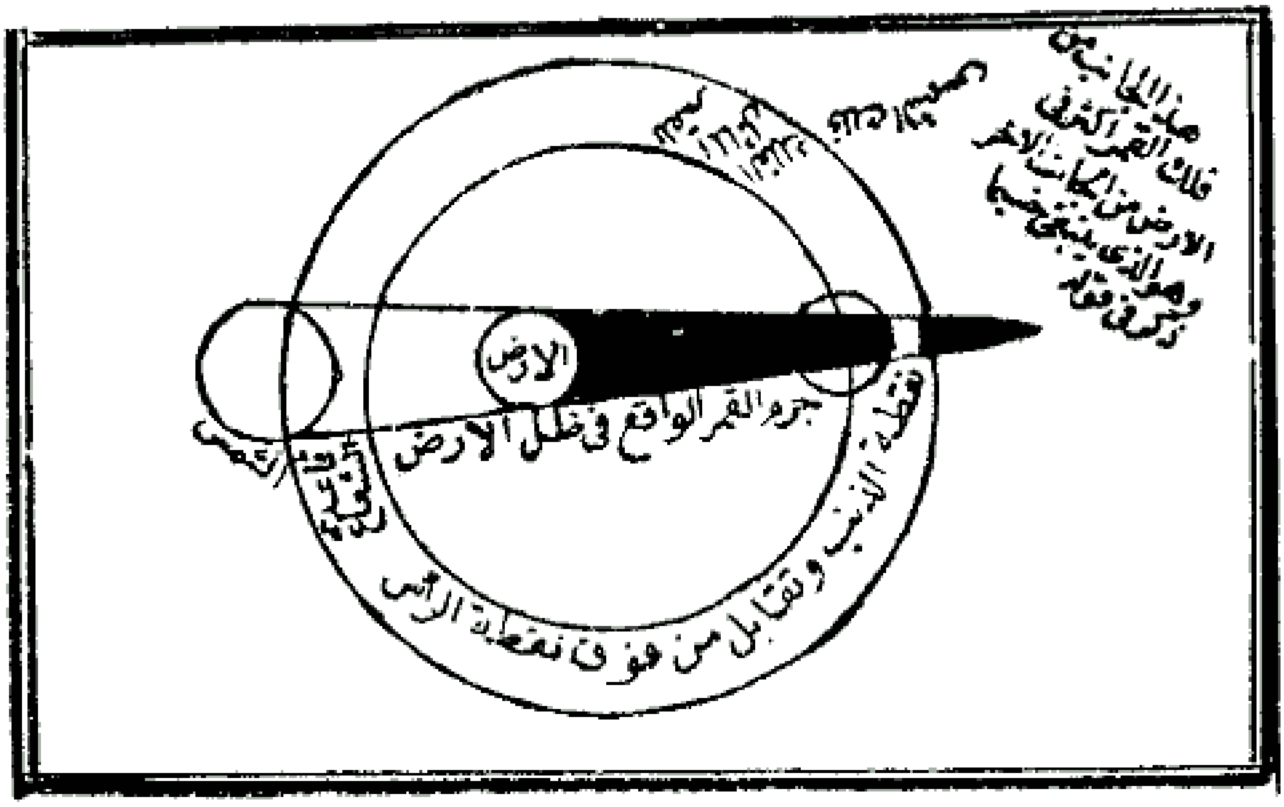
اشكو إلى الله صاحباً شكسا تسعفه النفس وهو يعسفها
فنحن كالشمس والهلال معا تكسبه النور وهو يكسفها

قال العلامة القاضي صلاح الدين الصفدي في الغيث الذي انسجم شرح لامية العجم والسبب في ذلك توسط القمر بينها وبين ابصارنا لان جرم القمر كدر مظلم فيحجب ما وراءه عن الابصار لان فلكه دون فلك الشمس كما تقدم ، فاذا اجتمع معها في درجة واحدة وكان على مسامتة احدى نقطتي الرأس او الذنب اوقريباً منه فانه يجوز تحت الشمس ويحول بينها وبين ابصارنا ولا يتصور لكسوف الشمس مكث اكثر من ساعتين مستويتين ، لان حركة القمر متصلة سريعة لضيق فلكه ، فاذا كان الكاسف ليس عارضاً في نفس الشمس ، بل هو السبب التوسط بينها وبين الابصار فيجوز ان يختلف وضع المتوسط ، وهذا سبب اختلافها في الزمان والقدر في بعض البلاد ، وانجلائها من طرفها الغربي ، إذ القمر متصل بها من ناحية الغرب .

وهذا الشكل يوضح لك ما ذكرته ، فتأمله بتدبير يظهر لك ، وهـذا مثاله والله اعلم .



وسبب خسوف القمر توسط الارض بينه وبين نور الشمس ، فاذا كان القمر على مسافة نقطتي الرأس او الذنب او قريباً منه توسطت الارض بينه وبين ضياء الشمس فيقع في ظل الارض ، ويبق في ظلامه الاصلي ، فيرى منكسفاً وظل الارض ابداً يكون في الجهة التي تقابل جرم الشمس ، وخسوفه لا يختلف باختلاف البلاد لان الكاسف عارض في جرمه ، وهو وقوعه في ظل الارض ، ولكن تختلف اوقات الخسوف باختلافها بان تكون في بعض البلاد على مضى ساعة ، وبعضها على مضي نصف ساعة واقل واكثر ، وقد يطلع في بعضها منخسفاً ولا يرى في بعضها لكونه تحت الارض او طلوعه في البلاد الشرقية قبل طلوعه في البلاد الغربية وخسوف القمر من طرفه الشرق إذ هو الذاهب إلى الاستقبال ، ثم ينحرف نحو الشمال والجنوب ، وانجلاؤه ايضاً من الطرف الشرقي ، واطول ما يكون زمانه تقريباً اربع ساعات ، ومن هذا الشكل يظهر لك ما ذكرته فتأمله .



فقد ظهر لك بهذا الشكل خسوف القمر ، وبالذي قبله كسوف الشمس .

وبعضهم يخص لفظة الخسوف بالشمس والكسوف بالقمر.

قال الامام فخر الدين طعنت الملاحدة في قوله تعالى (فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر) قالوا : خسوف القمر لايحصل حال اجتماع الشمس والقمر

والجواب: ان الله تعالى قادر على ان يجعل القمر منخسفاً سواء كانت الأرض متوسطة بينه وبين الشمس اولا ، والدليل عليه ان الاجسام متماثلة ، فيصح على واحد منها ما يصح على الآخر ، والله قادر على الممكنات ، فوجب ان يقدر على ازالة الضوء عن القمر في جميع الاحوال ، انتهى .

قال الصفدي : قلت وقال بعضهم : هو كناية عن ذهاب الروح إلى عالم الآخرة ، كما ان الآخرة كالشمس فأنه يظهر فيها المغيبات ، وتبدو المبهمات وتتضح والروح كالقمر ، فكما ان القمر يقبل النور من الشمس ، كذلك الروح تقبل نور المعارف من عالم الآخرة ، وبهذا التأويل يسقط طعن من ألحد في الآية الكريمة .

قال الفراء : انما قال (وجمع الشمس والقمر) ولم يقل وجمعت لأن المراد انه جمع بينهما في زوال النور وذهاب الضوء .

وقال الكسائي : المعنى جمع النوران ، وقال : القمر شارك الشمس في الجمع وهو مذكر، فلاجرم غلب جانب التذكير في اللفظ . رجع إلى القول بفضيلة الشمس .

فالشمس هي التي بواسطتها تكون المعادن والحيوان والنبات باذن الله تعالى الذي خلق كل شيء ويسره فقد جعله الله علة للتركيبات الطبيعية ، واعتدا لها سبب النشو الحيواني والنباتي إذ لابقاء لهذا النشو إلا في هذه المواضع التي لاتبعد عن مدار الشمس ولا تقرب منها جداً ، لأنها ان بعدت عن ناحية الشمال اشتد البرد وعصفت الرياح ، وتكاثفت الظلم فلا يمكن أن ينشأ حيوان ولا نبات ، وان قربت إلى ناحية الجنوب اشتد الحر وسخن الهواء وجفت الرطوبات فلا يمكن ان ينشأ حيوان ولا نبات ، فهي إذا اعتدلت في البعد والقرب او قاربت الاعتدال أمكن نشو النبات والحيوان واعتدلت الامزجة والطبائع والاخلاق .

قال ارسطو : لوتوارت الشمس عن الارض لمات حيها ، وأنتن طيبها ، وجمد ماؤها ، لأنها في الارض كالدم في الجسد .

واعلم ان الشمس وسائر الكواكب لا يقال في شيء منها انه حار ولا رطب ولا يابس لانتفاء لوازم هذه الكيفيات ، بل هي طبائع خارجة عن هذه الطبائع الاربع فكل واحد منها نوعه منحصر في شخصه ، وربما قيل فيها طبيعية خامسة تجوزا ، وإلا فهي مغايرة للطبائع في جواهرها ، وانما تأثير الشمس في عالم الكون والفساد والتسخين العام بالاضاءة واشتداد التسخين ، إنما هو بانعكاس الاشعة على زوايا حارة جداً ، وناكصة على اعقابها فتتراكم الاشعة ، فيحصل منها افراط التسخين كما يحصل بالاحراق عن المرايا المحرقة بواسطة انعكاس الاشعة .

وذكر ارباب الهيئة ان مساحة جرم الشمس على ما تبرهن كما ذهب اليه ابوالريحان قدر الارض مائة وسبعة وستين مرة وثلث مرة وعلى ماصححه كوشيار مائة وستاً وستين مرة وربع وثمن مرة .

وزعموا أن مساحة كرة الشمس مما يلي كرة الزهرة اثنان وعشرون الف

الف وخمسمائة الف وخمسة وتسعون الفاً ومائتان وتسعة عشر مثلا .

وأما دور قرص الشمس فزعموا أنه مائة الف وثمانمائة وثمانون مثلا ، وقول كوشيار هو الصحيح وعليه العمل ، لان بطليموس بين اولا ان جرم الشمس اعظم من كرة الارض ، ثم حرر هذه النسبة وبين ان قطر الارض كجزأين من احد عشر جزأ من قطر الشمس .

وبين اقليدس بان نسبة الكرة إلى الكرة كشبه القطر إلى القطر ، مثلثة بالتكرير ، فاذا جعلنا قطر الارض الذى هو اصغر المقدارين واحداً ، وضربناه في نفسه ، كان الحاصل عنه واحـداً ، ثم ضربناه مرة اخرى في نفسه لم يحصل غير واحد ، وهذا هو الحاصل من تكعيب قطر الارض ، وهو جرمها ، ثم نظرب قطر الشمس الذي هو خمسة أمثال هـذا ونصف مثل في نفسه بلغ ذلك ثلثى جزء وربع جزء ، فاذا ضربناه في الاصل وهو خمسة ونصف بلغ مائة وستة وستين وربعاً وثمناً وهو مكعب قطر الشمس ، اعنى جرمها ، انتهى .

وأما تركيب اكر الافلاك بعضها في جوف بعض ، كما اقتضته حكمة الباري جل جلاله في لطيف نظامها وحسن ترتيبها ، وادارة الافلاك باجزائها وكواكبها على الاركان الاربعة المتقدم ذكرها وتعاقب عليها الليل والنهار ، والشتاء والصيف والحر والبرد ، واختلط بعضها ببعض ، وامتزج اللطيف منها بالكثيف ، والثقيل بالخفيف ، والحار بالبارد ، والرطب باليابس ، تركب منها على طول الزمان أنواع التركيب التي هى المعادن والنبات والحيوان ، والمعادن كل ما انعقد في باطن الارض وقعور البحار وجوف الجبال من البخارات المحتقنة والدخانات المتصاعدة والرطوبات المنعقدة في المفازات ، والهواء والترابية عليها أغلب كالذهب والفضـــة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والجواهر واليواقيت والمرجان والتوتيا والزاج وغير ذلك مما هو معلوم ، فاما الحيوان فهو كل جسم يتحرك ويحس وينتقل من مـكان إلى مكان بجسمه والهوائية عليه اغلب ، والنبات أشرف تركيباً من المعادن ،

والحيوانات اشرف تركيباً من النباتات ، والانسان اشرف تركيباً من سائر الحيوان والنارية عليه اغلب ، وقد اجتمع في تركيب الانسان من جميع معاني الموجودات من البسائط والمركبات ما لا يجتمع في غيره ، لان الانسان مركب من جسد غليظ جسماني ومن نفس بسيطة جوهرية روحانية ، فينبغي لك ان كنت عازماً على معرفة حقائق الموجودات ان تبتدىء اولا بمعرفة نفسك ، إذ هي اقرب الاشياء اليك ، ثم بعد ذلك معرفة سائر الاشياء ، ولما خلق الله الانسان وجعله اكرم الحيوان ، امره ونهاه ، وعاقبه وجازاه ، وجعل جسمه مدينة ، وعقله ملكها ، واسكنه اشرف موضع فيه وأعلاه ، وهو الرأس ، واسكن النفس في جميع اجزاء الجسم في ظاهره وباطنه ، فهي تخدمه وتحركه وتدبر العقل ، فاذا عرض للجسم شيء فسد الجسد والعقل ، وإذا عرض للعقل شيء وسلمت النفس بقي الجسم سليما إلا ان يشاء الله ويفسد الكل عند نفاد العمر المقدر وجعل له وزراء خمسة يدبرونه ويوصلون اليه جميع ما يحتاج اليه ولا قوام له إلا بهم ، وجعل لكل واحد منهم عقلا ينفرد به عن صاحبه ، ومعنى خصه به لا يشاركه فيه غيره ، وأقام لاجماع آرائهم عنده تمام احواله وقوام أفعاله ، فالوزراء الخمسة هي الحواس الخمسة التي هي العين والاذن والانف واللسان واليد، فحاسة العين المبصرات وهي عشرة أنواع: النور والظلمة واللون والجسم ، والشكل والوضع والبعد والقرب والحركة والسكون وحاسة الآذان السمع للاصوات ، وهو نوعان حيوانية وغير حيوانية ، فالحيوانية نوعان منطقية ككلام الانسان المفهوم، وغير منطقية كصهيل الفرس ونهيق الحمار ، وتغريد الطير وما أشبه ذلك ، وغير الحيوانية كصرير الخشب وقرع الحجارة وغير ذلك مما لا حياة له كالرعد والطبل والزمر ، وحاسة الانف الشم وهو نوعان: الطيب والمنتن ، وحاسة اليد قوة الملامسة ومجراها في الحرارة والبرودة ، والخشونة والملاسة ، وهي قوة منبسطة بين الجلدين اللذين احدهما ظاهر البدن ، والآخر مما يلي البدن وحاسة اللسان المنطق من مليح وضده فاذا حصل كل واحد من هذه الحواس ما اخدمه الله لهذا الملك انبعث

من مقدم الدماغ عصبات لطيفة لينة كنسج العنكبوت وهي كالحجاب للملك فتلقت ماعند كل حاسة ووصل ذلك في تلك العصبات إلى مقدم الدماغ لتنظر فيها وتتراءى في معانيها وتعرف مضارها ومنافعها فيفعل بقدر ما تبدى له من ذلك ، فقوام الجسد بهذه الخمس المذكورة وكل شيء كما له بخمسة اشياء والكواكب التي عليها مدار الافلاك خمسة ، ولتكن وزراء الملك خمسة والمشاورة في كل مهم لكل واحد منهم على انفراده ، فهو أبعد للامور ، واكتم للسر ، ولا يبدي لهم الملك ما في نفسه ولا يعلم احد منهم عزيمة الامر عند من كانت ، ولا يظهر لهم افتقاره اليهم وإلى ما عندهم ، فيطغى ويمزج عند نفسه آراءهم كما يفعل الدماغ مما تأتي به الحواس ، ثم يستخير الله تعالى فيما ينفذه من آرائهم التي لا تخالف هواه .

وهذا قال هرمس لما قيل له لم كان رأي المستشار أفضل من رأي المستشير ؟ فقال : لان المستشار معرى من الهوى ، وهذا كلام صحيح ، وإذا صح له الرأي معه ، فلا يعجل في انفاذه ويتركه يختمر يوما وليلة إلا فيما يتخوف فوته فيستخير الله ويعجله ، وإذا جمعهم على أمر ليدبروه فلا يدخل رأيا فيه ويسمع ما يتراضون فيه ، فان عجلوا الجواب واتفقوا سريعاً نقضه ، وإلا فيريهم الخلاف ليطول فكرهم واستنباطهم . فلا خير في الرأي الفطير ، وإذا ظهر له صحة الرأي في كلام احدهم فيسكتهم ومع التجربة وطول الخبرة يتبين له ما يقول في صحة الرأي ، وإياه ان يرجح احداً منهم على بقية أصحابه ويسوي بينهم بالعطايا والمجالس ، فلم يكن فساد الممالك على قديم الايام والازمان إلا بتفضيل بعض الامراء على بعض .

وأنا أقول : إذا هرم الجسم هرم الرأي ، مع ان ذلك موقوف على المواليد فمولود يولد بطالع ماء فلا يكون في صناعته وعمله وعلمه إلا على طبائع الكوكب الذي في تدبير ملكه ، وان عرج به والده إلى غير تلك الصنائع صرفه سوء الطبع .

وقد جرى مثل هذا أن بعض القوم اجتازوا على قرية فاضافوا حائكا فأتاه في تلك الليلة ابن فتأملوا في طالعه وعدوا الكواكب فكانت السنبلة وعطارد في

الجوزاء ، وفي بيته المشتري والنحوسة غائبة ، فدلهم المولد على ان المولود يكون عالياً لطيف التدبير حسن الرأي يدبر امر الملوك ويوزرهم ، فعجوبا من هذه ، ولم يعرفوا والده فشب الغلام ورام والده ان يعلمه صنائعه ، فتأبت طبائعه قبول شيء من ذلك فكان يوجعه ضربا إلى ان اعياه ، فتركه فمال إلى اهل الادب وتعلم العلوم وحفظ التواريخ وسياسات الملوك حتى صار وزيراً .

وقال بعض الفلاسفة : يزداد الملك الحازم برأي وزرائه ، كما يزداد البحر بمواده من الانهار ، وينال بالحزم والرأي ما لا يناله بالقوة والجد ، واشد وصاية للسلطان أن لا يستوزر وزيراً واحداً . فانه امر يفسد ملكه ورعيته وجنده ، فان لم يتخذله خمسة على الشرائط المذكورة فثلاثة لا اقل منهم فان الثبات في ثلاثة ولولا الثلاثة لما كان ثبات شيء فاقل ما ثبتت عليه الاشياء ثلاثة واوسطها خمسة وا كلها سبعة ، فالسموات سبع ، والارضون سبع ، والنجوم السيارة سبع ، ودوران القمر سبع ، والايام سبع ، إلى كثير غير هذا يطول ذكره .

ويشترط في الوزير ان يكون محباً للعدل واهله ، مبغضاً للظلم والجور وأهل ذلك يعطي النصفة لاهلها ويرثى لمن حل به الجور ، ويغنم منه ولا يمنعه من ذلك مطابقة احد من خلق الله ، ويكون قوي العزيمة جسوراً غير خائف ولا ضعيف النفس ثابت القلب بحسن الفروسية ومباشرة الحروب ، ويكون مطلعاً على التواريخ وايام الناس وسير الملوك ، وعالماً باخبار المتقدمين ، وان لا يكون كثير الكلام مهذاراً ولا يكون كثير الضحك والمزاح ، وأن لا يكون مستخفاً بالناس ، وان يكون ممن لا يشرب الخمر ، ولا ممن يشتغل بالراحة واللذة ، ويكون في ليله ونهاره ممن يلاقي الناس بحسن النظر والتدبير ، ويكون داره مورداً للصادر والوارد من ذوي الحاجات مصغياً إلى اخبار جميع الناس مسريا اليهم الخيرات مصلحاً لامورهم، مؤنساً لوحشتهم ، صابراً على تجاهلهم .

والوزارة قسمان : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ ، ولكل واحد من هذين

القسمين حكم يخصه ووضع يلزمه ، وقد بينت ذلك مفصلا في آخر هذا الكتاب فتأمله تجده عند ترجمة ابي العباس ابراهيم بن العباس الصولي الكاتب .

واعلم ان الآدمي ارفع خلق الله عز وجل ، وان ما شيء في الحيوانات من الخصال التي طبع عليها إلا وكلها توجد في الانسان ، فهو شجاع كالاسد ، جبان كالارنب ، سخي كالديك ، بخيل كالكلب، فخور كالغراب ، وحشي كالنمر، انيس كالحمام ، خبيث كالثعلب ، سليم كالغنمة ، سريع كالغزال ، بطيء كالدب ، عزيز كالفيل ، ذليل كالحمار ، لص كالعقعق ، تياه كالطاووس ، هاد كالقطاة ، ضال كالنعام ، شاهد كالنحل ، شرود كالتيس، مهين كالعنكبوت ، حقود كالجمل كدود كالثور ، شموس كالبغل ، اخرس كالحوت ، منطق كالصرصر ، حمول كالخنزير ، مشوم كالبوم ، نفاع كالفرس ، مضر كالفأر ، طلوب كالهر ، وبالجملة فما من حيوان ولا نبات ولا معدن ولا فلك ولا برج ولا موجود من الموجودات له خاصية إلا وتوجد في الانسان ، ولهذا سموه عالماً صغيراً ، قال الامام الغزالي :

دواؤك فيك وما تشعر ... وداؤك منك وما تبصر
وانت الكتاب المبين الذي ... باحرفه يظهر المضمر
وتزعم انك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الاكبر

﴿ ترجمة أبي الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ﴾

المعروف بالامام زين العابدين وسيد الساجدين ، ويقال له : علي الأصغر وليس للحسين عليه السلام عقب إلا منه ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ، ومن سادات التابعين .

قال الزهري : ما رأيت قرشياً افضل منه ، وامه سلامة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس . وكان يقال للامام زين العابدين ابن الخيرتين لقوله صلى الله عليه وآله : لله

من عباده خيرتان ، فخيرته من العرب قريش ، ومن العجم فارس .

وذكر ابو القاسم الزمخشري في كتاب (ربيع الابرار) ان الصحابة رضى الله عنهم لما اتوا المدينة بسبايا فارس فى خلافة عمر بن الخطاب كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد ايضاً ، فقال علي عليه السلام : ان بنات الملوك لا يعاملن بمعاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر : وكيف الطريق إلى العمل معهن ؟ فقال: يقومن ومهما بلغ من قيمتهن ، قام به من يختارهن فقومن واخذهن علي عليه السلام فدفع واحدة منهن لعبد الله بن جعفر ، واخرى لولده الحسين عليه السلام ، واخرى لمحمد بن ابى بكر الصديق ، وقيل : دفع واحدة منهن لعبد الله بن عمر فاولدها ابنه سالماً ، وأولد الحسين امته ولده زين العابدين عليه السلام واولد محمد بن ابي بكر امته ولده القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خالة ، وامهاتهم بنات يزدجرد .

وحكى المبرد فى كتابه (الكامل) ما مثله يروى عن رجل من قريش لم يسم لنا قال : كنت اجالس سعيد بن المسيب فقال لي يوماً : من اخوالك ؟ فقلت : امى فتاة فكأنى نقصت في عينه ، فأمهلته حتى دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلما خرج من عنده ، قلت : يا عم من هذا ؟ فقال : يا سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك ! هذا سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، قلت : من امه ؟ قال : فتاة قال : ثم اتاه القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق فجلس عنده ، ثم نهض فقلت ياعم من هذا ؟ قال : اتجهل من اهلك مثل هذا ! ما اعجب هذا ، هذا القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق ، قلت : فمن امه ؟ قال : فتاة ، قال : فما لبث ان جاء الامام علي بن الحسين عليهما السلام فسلم عليه ، ثم نهض فقلت : ياعم من هذا ؟ فقال : هذا الذي لا يسع لكل مسلم ان يجهله هذا علي بن الحسين بن علي بن ابى طالب عليهم السلام فقلت : من امه ؟ قال : فتاة ، فقلت : يا عم رأيتني نقصت في عينك حين قلت لك امي فتاة ! أفما لي اسوة بهؤلاء ، قال : فجللت في عينه جداً .

وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ امهات الاولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ففاقوا الناس فقهاً وورعاً فرغب الناس في السراري .

وكان الامام علي بن الحسين عليه السلام كثير البر بامه حتى قيل له انك من أبر الناس بامك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة قط ، فقال : اخاف ان تسبق يدي إلى ما سبقت اليه عينها ، فأكون قد عققتها .

قال ابن خلكان فى تاريخه : وهذا ضد قصة ابى الحسن مع ابنته فأنه قال : كانت لي ابنة تجلس معي على المائدة وكانت تبرز كفاً كانها طلعة في ذراع كانها الجمارة ، فما تقع عينها على لقمة نفيسة إلا خصتني بها ، فزوجتها فصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز كفاً كانها كرنافة في ذراع كانها كربة ، فوالله ما تسبق عيني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده اليها فوضعها في فمه .

وحكى ابن قتيبة في كتاب (المعارف) أن ام الامام علي زين العابدين سندية ، يقال لها سلامة ، ويقال لها غزالة ، وانه زوجها بعد موت ابيه يزيد مولى ابيه ، واعتق جارية له فتزوجها فكتب اليه عبد الملك بن مروان يعيره بذلك فكتب اليه علي بن الحسين (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) وقد اعتق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صفية بنت حيي بن اخطب وتزوجها ، واعتق زيد بن حارثة وزوجه بنت عمته زينب بنت جحش ، وفضائل الامام علي بن الحسين عليه السلام لا تحصر وماذا يقول الواصفون فيه (وقد كان جبريل خادماً لأبيه)

وأما قصيدة الفرزدق فيه فمشهورة وها أنا اذكرها لك لتقف عليها ، وهو انه لما حج هشام بن عبد الملك بن مروان في ايام ابيه فطاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه من كثرة الزحام ، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان اهل الشام ، فبينما هو كذلك إذ أقبل الامام علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام وكان كما ذكرناه احسن الناس وجهاً

وأطيبهم ريحاً ، وأكرمهم نفساً ، وأعلاهم حسباً وأعظمهم شرفاً ، وطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر تنحى الناس جميعهم حتى استلم الحجر ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام : لا اعرفه ! مخافة ان يرغب فيه أهل الشام ، وكان الفرزدق حاضراً ، فقال : أنا اعرفه ، فقال الشامي من هو يا ابا فراس ؟ فقال مرتجلا :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
في كفه خيزران عرفه عبق ... في كف اروع في عرنينه شمم
حييته بسلام وهو مرتفق ... وضجة القوم عند الباب تزدحم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم
ينشق نور الهدى عن نور غرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم
منشقة عن رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدماً وعظمه ... جرى بذاك له في لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والهمم
حمال اثقال اقوام إذ افترحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم
لا يخلف الوعد مأمون عواقبه ... رحب الفناء أريب حين يعتزم
عم البرية بالاحسان فانقشعت ... عنه الملامة والاملاق والعدم

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم اوقيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث إذا ما ازمة ازمت فالأسد اسد الشرى والبأس يحتدم
لا ينقض العسر بسطاً من اكفهم سيان ذلك ان أثروا وان عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم خيم كريم وايد بالندى هضم
أي الخلائق ليست في رقابهم لأولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا والدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق ، وأنفذ له الامام علي ابن الحسين عليهما السلام اثنى عشر الف درهم ، فردها وقال : انما مدحته لله تعالى لا للعطاء ، فقال : انا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده ، فقبلها الفرزدق رحمه الله تعالى وغفر له .

وكانت ولادة الامام علي بن الحسين عليه السلام يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثمان وثلاثين للهجرة ، وتوفى سنة اربع وتسعين ، وقيل اثنتين وتسعين ، وقيل تسعاً وتسعين بالمدينة ودفن بالبقيع في قبر عمه الحسن بن علي في القبة التي فيها قبر العباس عليهم السلام .

لما ماتت ليلى أتى المجنون إلى الحي وسأل عن قبرها فلم يهدوه اليه فأخذ يشم تراب كل قبر يمر به حتى شم تراب قبرها فعرفه وأنشد البيت :

أرادوا ليخفوا قبرها عن محبها وطيب تراب القبر دل على القبر

ثم ما زال يكرر هذا البيت إلى ان مات ودفن إلى جانبها والله اعلم .

فلما اسفر وجه صبح العز والاكرام ، عن ثاني عشر محرم الحرام عام الف ومائة واربعة وثلاثين، من هجرة من انزل عليه (ألم نشرح والتين) توكلنا على رب

الدنيا والآخرة ، ورحلنا من ديوكر جانده إلى بلدة باكرة صحبة شيخي واستاذي السيد بدر بن المرحوم السيد غالب الرفاعي ادامه الله رب العالمين آمين ، ومعنى باكرة بالقاف العجمية اعني طريق الأسود ، فانا كنا نمشي في ذلك الطريق بجمعنا ورجالنا ونرى الأسود في الهياج عن يميننا وشمالنا ، وكانت المسافة بين البلدتين اثنتي عشرة مرحلة فلم يعترضنا في هذه المراحل منهم احد وكفانا الله شرهم وأذاهم ، كيف لا ونحن على الله متوكلون (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .

﴿ فائدة : ذكر الأسد وكناه ﴾

الأسد من السباع وهو معروف ، والانثى اسدة ولبوة ، وله اسماء كثيرة ، فمن اشهرها : اسامة ، وساعدة ، وهما اسمان معرفتان ، والحارث وقسور وغضنفر وحيدرة والليث والضرغام والهزبر والضيغم والهيقم والعنبس والهرماس ، والشبل ولد الأسد وكذا السبع والحفص ، ويقال : به سمي الرجل حفصاً ، ومن كناه ابو الابطال وابو الاشبال وابو العباس .

قال الدميري في حياة الحيوان : وهو انواع منها ما وجهه وجه إنسان وشكل جسده كالبقر ، ومنها ما لونه كالنمر إلا ان بياضه يقرب إلى الصفرة ومنها ما هو احمر كالعناب ، وغير ذلك ، وتلده امه قطعة لحم وتستمر على ذلك تحرسه ثلاثة ايام ، ثم يأتي ابوه فينفخ فيه فتنفرج اعضاؤه وتتشكل صورته ، ثم ترضعه امه وتستمر عيناه مغلقة سبعة ايام ، ثم تنفتح ، ويقيم على تلك الحالة بين ابيه وأمه إلى ستة اشهر ، ثم يتكلف الكسر بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب .

قال عنترة العبسي :

سيأترك ماءكم من غير ورد وذاك لكثرة الوراد فيه

إذا وقع الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء إذا كان الـكلاب يلغن فيه
ويرتجع الـكريم خميص بطن ولا يرضى مناهمة السفيه

وهو إذا اكل ينهش نهشاً ، وريقه قليل جداً ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة عظيمة وجبن وكرم ، فمن شجاعته الاقـــدام على اصعب الامور وعدم الاكتراث بالغير ، ومن جبنه انه يفر من صوت الديك والسنور والطبل ويتحير عند رؤية النار ، ومن كرمه انه لا يقرب المرأة خصوصاً ان كانت حائضاً او حاملا

وقيل ثلاث عيون تضيء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور .

وروى انه لما تلا رسول الله ﷺ سورة النجم قال : عتبـــة بن ابي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه ، فقال رسول الله ﷺ سلط الله عليك كلباً من كلابه ، فخرج عتبة مع اصحابه إلى الشام حتى إذا كان بمكان يقال له الزرقاء فرأى الاسد فارتعدت فرائص عتبة فقال له اصحابه من أي شيء ترتعد فرائصك فو الله ما نحن وأنت إلا سواء فقال ان محمداً دعا على ولا والله ما اظلت السماء من ذي لهجة اصدق من محمـد ، ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ، ثم جاء النوم فحاطوا انفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا ، فجاء الاسد يهمس وشمهم رجلا رجـلا حتى انتهى اليه فضغمه ضغمة ، فكانت اياها فسمع وهو بآخر رمق وهو يقول ألم اقل لـكم ان محمداً اصدق الناس ، ولبعضهم في الأسد :

عبوس كبوس مصلخد مكابر جريء على الاقران للقرن قاهر
براثنه ستر وعيناه في الدجى كجمر الغضا في عينه الشرظاهر
يدك بانياب حداد كأنها إذا قلص الاشداق عنها خناجر

فلم نزل بين تلك الهياج نسير ، وقد أدهشنا أسودها بالزئير ، إلى ان بقي بيننا وبين باكرة نصف مرحلة خرج الينا سلطانها الراجا علي شاه ، نصره الله وابقاه لانه كان مريداً للسيد المذكور وهو ايضاً ابن الراجا بخت بلند المذكور المشهور

فأتى الينا في جم كثير، وموكب كبير، بالخيل والجنود، والرايات والبنود، وصنع وليمة عظيمة ذلك اليوم لنا ولسائر القوم، فلما كان ضحى خامس وعشرين من محرم الحرام، دخلنا باكرة مع الراجا بعز واكرام، ومعنى الراجا السلطان، ونزلنا بدار الامير شير خان، وكان صاحب الديوان، ورتب لنا اوفر المصروف وأروى بكرمه القلب الملهوف، فلما كان في بعض الليالي اتفق لنا أمر عجيب يحار فيه اللبيب وذلك ان استاذنا السيد الرئيس المذكور كان مولعاً بسماع الغناء، ويحصل له به التواجد والهناء، وما زال في بيته اصحاب الآلات على عادة السادة الصوفية، أهل الأسرار الربانيـة، فانهم قالوا بالاجماع: ان السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف العبرة جاز له سماع السماع فأتي الينا الراجا في بعض الليالي واخبر السيد في اثناء صحبته ان عنده ثلاثة اخوة من المسمعين ليس لهم نظير في صفاء الصوت وحسن اللهجة ومعرفة الانغام، بالاتقان والاحكام، وكانوا من أجل المسمعين عند الامير عالم علي خان، ابن اخت السيد عبد الله خان، وزير فرخ سير سلطان الهند، فلما صار القتال بينه وبين الوزير نظام الملك، وقتل الامير عالم علي خان، وتفرقت حواشيه في سائر البلدان، هرب هؤلاء الاخوة إلى الراجا علي شاه المذكور فأقامهم واجزل لهم العطية وجعل لهم في السنة خمسمائة روبية، من السكة الهندية، غير الخيل والكسوة والطعام والاحسان والانعام، فطلبهم السيد من الراجا ليحيط علماً بهم فبعثهم اليه صحبة ابنه الاكبر بادل شاه يعني سلطان السحاب، فتذاكر السيد معهم في علم الموسيقي وكان خبيراً، إلى ان وصلت مذاكرتهم إلى نغم من أنغام الهند يسمى (ديبك) ـ بدال مهملة وباء مثلثة عجميـة قبلها ياء تحتانية وكاف ساكنة ـ وهـذا النغم من عجائب الدهر، وله قصـة نذكرها في آخر الـكلام ان شاء الملك العلام، ولهـذا النغم شعبة تسمى (بشمنجري) ـ بباء وثاء مثلثتين وميم مفتوحـة ونون ساكنة بعدها جيم مفتوحة وراء مكسورة وياء ساكنة ـ وهذه الشعبة أيضاً من العجائب وقل من يعرفها إلا من كان خبيراً بعلم الموسيقى، فقال اولئك الأخوة: نحن نحن

عمل هذه الشعبة ، فأمرهم السيد إذ ذاك بعملها ، وكان ابن الراجا جالساً إلى جانب السيد وعلى رأسه الرجال وقوف ، بايديهم الاتراس والسيوف ، وفي المجلس نحو ستين من الامراء وغيرهم ، فحين شرع المسمعون في عمل هذه الشعبة المذكورة لم ندر إلا وقد اعترتنا مثل السكرة ، ورمتنا في بحار الفكرة ، وصرنا حيارى تظننا سكارى وما نحن بسكارى ، وترانا جلوساً ولكن لو دخل لص علينا ، وسرق ما علينا وحوالينا ، لم نشعر به البتة إلى ان مضى نحو ساعة او ازيد ، واعجب من هذا أن بعض الفقراء كان في صحبتنا يسمى شاه عناية الله دخل علينا ونحن في ذلك الحال ، وكان قد أخذه الحال ، حتى صار لا يعرف الماضي ولا التمييز ولا الحال ، فمشي إلى ان وصل إلى ابن الراجا فأخذ سيفه وكان مطروحا لديه ، وكلنا ننظر اليه لكن ما فينا من له قدرة على القيام ليأخذ السيف من يديه ، ثم ان الفقير امتشق السيف من قرابه ، وجعل ذبابته على سرته ، واتكأ عليه بقوته ، فلم نشعر إلا والسيف قد خرج يلمع من ظهره ، وقضى الله في الفقير بأمره ، هذا ونحن كلنا ننظر إلى ما يصنعه ، وما فينا من يمنعه او عن الارض بعد الهلاك يرفعه فكل هذا من سماع هذه الشعبة ووقت العمل بها عند السحر .

﴿ ذكر الأنغام ﴾

واعلم ان اصطلاح أهل الهند لكل نغم له وقت معلوم وكل شعبة لها وقت معلوم ، فالانغام عندهم ستة : يسمونها (جى راك) ـ بالجيم العجمية والياء الساكنة بعدها راء مفتوحة والف ثم قاف عجمية ـ والجي يعني ستة والراك يعني النغم والشعب الست وثلاثون ويسمونها چتيس راكنى ـ بالجيم العجمية والفوقانية والتحتانية والسين المهملة الساكنة ـ وچتيس يعني ستة وثلاثين ، والراكنى ـ بالراء المهملة بعدها الف ثم كاف عجمية ثم نون وياء تحتانية ـ يعنى الشعبة ، وچتيس بهرجة ، والبهرجة هي الكوشة ، يعني ستة وثلاثين كوشة .

وأعلم ان انغام العرب اصلها فارسية وهي ستة أيضاً كالهندية فاولها الراست والدكاه والسيكاه والجهاركاه والبنجكاه ، كلها بقافات عجمية يعني الاول والثاني والثالث والرابع والخامس وسادسها يسمى نوروز الصباح وهو لا احد يحسن عمله في زماننا هذا .

هكذا ذكره الحكيم ابو نصر الفارابي ، ولا التفات لقول من قال ان الأنغام اثنا عشر نغما ، وإنما الشعب أربعة وعشرون شعبة ، وأربعة وعشرون كوشة هذا ما عليه الاتفاق بين العرب والعجم .

وأما انغام الهند الستة فاولها راك بهيرون ، وهو عند العرب والفرس شعبة يسمونها المخالف .

وثانيها : سرى راك ، وهو نغم السيكاه عند العرب والفرس .

وثالثها : ما لكوس ، وهو عند العرب والفرس كوشة يسمونها الركبي .

ورابعها : ميك ملهار ، وهو شعبة عند العرب والفرس يسمونها النيرين .

وخامسها : راك هندول وهو شعبة يسمونها الفرس والعرب نيشابور وعرب الحجاز يسمونها نشاورك .

وسادسها : راك ديبك ، والعرب والفرس يسمونه نوروز الصباح وهو نغم لا يحسن احد عمله في زماننا هذا مثل نوروز الصباح .

وأما اوقات عمل الانغام الهندية ، فوقت بهيرون من الفجر الكاذب إلى الصباح ، ووقت سرى راك من اصفرار الشمس إلى وقت الغروب، ووقت مالكوس من الساعة الرابعة من الليل إلى اول الخامسة ، ووقت ميك ملهار في فصل الامطار ووقت هندول عند ما تزهر الأشجار. والشعب والبهرجات -يعني الكوشات- بالقاف العجمية - فلكل واحـــد منها وقت في الليل والنهار ، لا حاجة إلى بيانه خوفا من الاطالة .

وأما نغم ديبك فوقته عند ما تشعل السرج إلى تمام الساعة الأولى من الليل

وأعلم انه قد ثبت عند اهل الهند وكل من هو منهم صاحب يد في هذا الفن على ان نغم ديبك لااحد يحسن عمله أبداً في زماننا هذا إلا من تقدم من حكمائهم مثل نايك كوبال وبجوباورا وتانسين .

قيل والله أعلم انه إذا صار وقت المغرب ووضع الشموع والسرج مهيئة في مواضعها ثم يعمل بنغم ديبك هذا فتشتعل الشموع بنفسها والسرج من غير مباشرة احد ، وهذا مشهور في الهند بالتمام عند الخاص والعام .

ورأيت في بعض تواريخ الهند ان اكبر شاه ملك الهند كان مغرما بالشرب وسماع الالحان في كل ساعة وزمان ، وكان مشتاقا لسماع ديبك هذا إلى ان بلغه عن فقير مقيم بسرنديب ان له اليد الطولى في هذا الفن فاحتيل له في طلبه حتى جيء به فاكرمه السلطان ، واجزل له الاحسان إلى مدة من الزمان ثم طلبه في مجلس الراحة والمسره ، وأحسن اليه وسره ، ولاطفه حتى انشرح ، وسقاه الراح وأزال عن عن قلبه التراح ، ثم امره بعمل هذا النغم المذكور ، على الوجه المسطور ، فقال له الفقير : ان العمل بهذا النغم عسير ، فألح عليه الملك بذلك ، حتى قبل منه ذلك فأتزر الفقير بازار وتجرد عن لباسه ، ثم نزل في بركة ماء بارد حتى لم يبق منه غير رأسه ثم انشد بيتين بالهندية لسورداس الشاعر الاعمى احد شعراء الهند المشاهير وهما :

نينو نـكى كركو ترى او ريترى ديا بجاي
بلكونكي چم دا لـكيه اور ليوى سجن چپاي

وأنا نقلت معناها من الهندية وأفرغته في قالب العربية فقلت :

جعلت له محلي وسط عيني لأني لم اجد لي عنه صبرا
وصيرت السواد له فراشاً لأجل جلوسه والهدب سترا

وهذا المعنى عجيب ، ما سمعت مثله في اشعار العرب ، وأظن انه لم يسبقني تعريب مثله احد من اهل الأدب .

قال : فلما أنشد الفقير هذين البيتين حمي الماء الذي في البركة واستمر وحصل

للسلطان ومن حضر من السرور ما لا يحصر، ثم ان الفقير التمس الخروج من البركة فالزمه السلطان ان ينشد بيتين أخر ، ثم يخرج وله الغنى والظفر ، فأنشد بيتين بالهندية لسورداس المذكور وهما :

جاني جمد ركا ركى اور متهى ماري موى
ميري هردي تون بسى سو برمتلا كى توي

وأنا اخرجتهما من الهندية ، ونظمتهما في سلك العربية ، فقلت :

بخنجر جفنك الماضي حبيبي أصبت القلب فامنحني وصالك
فقلبي يا فريد الحسن بيت وانت به فأخشى ان ينالك

وهذا أيضا معنى لطيف يشبه قول الشاعر الظريف وهو :

يا محرقا بالنار خـــد محبه مهلا فان مدامعي تطفيه
احرق بها جسدي وكل جوارحي واحذر على قلبي فانك فيه

قال :فلما انشد الفقير هذين البيتين فار الماء وغلا غليانا شديداً حتى منعه عن الخروج ، فلما شاهد الفقير الموت ، وعلم انه قد ادركه الفوت ، تنفس الصعدا وتأوه حسرة على فراق الدنيا وكمدا ، وانشد أيضاً بيتين بالهندية وهما :

سرسى دبكي هم لي اور موتين كرى لاك
ساكر كوكيا دوست هي سويهى هما رى بهاك

وأنا ايضا اخرجتهما من الهندية ، وادخلتهما في العربية فقلت :

كم ذا أغوص البحر أطلب دره قصد الثرا لـكن علي تعسرا
فالبحر لم يك عند ذاك مقصراً في مطلبي بل سوء حظي قصرا

وهذا المعنى الطف واحسن وعلى الكل أفوق وأزين وهو مأخوذ من قول بعض شعراء الفرس حيث قال :

هزار غوطه بخوردم دري بكف نرسيد سزاي بخت من است اين گناه دريا چيست

فلما فرغ الفقير من انشاد ذينك البيتين خرجت شعلة نار من يافوخـه سمع

صوتها الحاضرون ، ثم شبت في جسده ، فاحترق ونشب فيه ظفر المنايا فاسكته بعد ما نطق وان هذا من العجب العجاب ، الذي تحار فيه عقول ذوي الالباب

فلما اسفر صبح صبيح عاشر صفر ، عن وجه اليمن والظفر ، عام الف ومائة وأربعة وثلاثين ، من هجرة من بعث رحمة للعالمين ، توكلنا على الغفور الشكور ورحلنا من بلدة باكره راجعين إلى مدينة برها نبور ، فاتينا على بلدة تسمى اسلام نكر وهي بلدة امينة وبها قلعة حصينة ، وحاكمها الامير الكبير ، الرئيس الشهير الشجاع الخطير الكريم الكامل المعانى ، صاحب الفتح والنصر الرباني ، الامير دوس محمد خان السليمانى ، وهذا الامير النجيب الوحيد من اولاد سليمان بن خالد بن الوليد فنزلنا عنده في القلعه ، أيد الله ملكه وعسكره وجمعه ، فاضافنا ثلاثة ايام ، وغمرنا بجزيل الاكرام ، ثم من عنده رحلنا وعلى الله توكلنا ، فاتينا في اليوم الثالث على شط كبير يسمى نربدة ، فلم يتيسر لنا العبور ذلك اليوم ، فبتنا إلى ثاني يوم ، ثم أتت الينا الزوارق وركبنا وتوكلنا على الخالق ، فمررنا على بلدة تسمى (هندية) وهي بلدة حسينة ، وبها قلعة مكينة ، وفيها ضريح لبعض المشايخ يسمى ملاديبازه قيل انه لما اتى إلى هذه البلدة وكان مريضاً فسأل عن اسمها فقيل له هندية ، والهندية بلسان الهند إسم للقدر المصنوع من الحجر ، او من الطين ، فقال لأصحابه : يكون قبر الديبازه في القدر !

وأهل تلك الديار يشهرون عنه حكايات ظريفة تشبه حكايات الخواجه ناصر الدين الفزاري المكنى بابى الغصن صاحب التفسير المتوفى سنة ست وثمانين وثلاثمائة والعامة تزعم انه جحا الذى تضرب امثاله في الجد والهزل .

قيل انه كان يوما يحفر بظهر الكوفة فقيل له : ما لك تحفر هنا ؟ قال : دفنت دراهمي هنا ، وما اهتديت اليها ، فقيل له : لم لا وضعت عليها علامة ؟ قال : قد فعلت ذلك قيل : ماذا وضعت عليها ؟ قال : كانت عليها سحابة تظلها ، كذا ذكره في المستقصى .

وقال الفاضل العلامة السيد محمد كبريت المدني في رحلته : رأيت في بعض

المجاميـــع انه كان فاضلا ماجناً وقـد عمل الناس على لسانه كثيراً من النكت والنوادر .

قلت : ولابن ابي اليمن الغفاري مؤلف في ذلك يشتمل على الف ورقـــة

وقيل : انه لبس يوماً قميصاً لوالده فرآه والده فبكي ، فقال له جحا : ما يبكيك يا ابت ؟ قال : يابني قالت الحكماء : إذا جاء قميص الوالد على الولد سواء تمنى الولد موت ابيه ، فقال له جحا : والله يا ابت اني اتمنى من يقتلك كي آخـذ الدية من قاتلك فآكل منها وأشرب وانشرح واطرب !

وقيل انه مر يوماً على بعض اصحابه راكضاً ، فقال صاحبه وهو يعاجنه : إلى اين يا خرا ؟ قال : إلى شاربك واعود .

وسئل يوماً : ما تقول في امرأة ماتت وتركت بنتاً وزوجاً واماً ؟ فما لكل واحد منهم من الميراث؟ فقال: للام البكاء والعويل، والحزن الطويل، وللزوج خراب الدار وتعب الليل والنهار، وللبنت الظلم والمحنة واليتم، والباقي للعصبة بالقسمة والحسبة

وسمع يوماً بعض الناس يقول : ان الخمر يسبح في البطن ، فقال له جحا ان صح ما قلت فالبقلاوة أيضاً تصلي التراويح .

وقيل : اختصم يوما هو وزوجته فقالت له : اذكر طول الصحبة ، فقال : والله ما لك عندي ذنب غيرها .

واشترى يوماً جارية فلما خلا بها وجد على فرجها صورة فرس ، فقال لها: ما هذا النقش ؟ قالت صورة فرس على المعلف ، وعليقتها كل يوم اربع كيلات من الشعير ، فجعل يجامعها كل ليلة اربع مرات إلى مدة ثلاث ليال ، فلما كانت الليلة الرابعة جامعها ثلاث مرات ، ثم رفع رجله وضرط لها ضرطة قوية ، فقالت له : ما هذا ؟ قال هذا آخر العليق !

وقيل : انه سئل يوماً عن حسن زوجته ، فقال : كأنها باقة نرجس ، رأسها أبيض ، ووجها اصفر ، وساقها اخضر .

والحاصل : ان الملا ديبازه الذي ذكرناه هو عند أهل الهند مثل جحا وزيادة ، وله حكايات عجيبة مع سلطان العجم الشاه عباس الأول تركناها للاختصار ومكتوب فوق قبره على حجر بالفارسية ، ما هذا معناه :

يا زائري انظر إلى أعلى الضريح تنل مرادك

فاذا نظر الانسان إلى اعلى الضريح يرى لوحاً من ساج مكتوب عليه : (ضرطة في شارب الطماع) .

﴿ ترجمة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام ﴾
(الملقب بالباقر)

أحد الأئمة الاثنى عشر عند الامامية ، وكان عالماً سيداً كبيراً ، وما سمي الباقر إلا لانه تبقر في العلم ، أي توسع فيه ، والتبقر التوسع ، وفيه قيل :

يا باقر العلم لأهل الحجا وخير من لبى على الاجبل

وكان مولده يوم الثلاثاء سنة سبع وخمسين ، وكان عمره يوم قتل جده الحسين «ع» ثلاث سنين ، وأمه ام عبد الله ، وتوفى في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائة ، وقيل في الثالث والعشرين من شهر صفر سنة اربع عشرة ، وقيل ثماني عشرة ومائة بالحميمة ، ونقل إلى المدينة ، ودفن في البقيع في القبر الذى فيه ابوه وعم ابيه الحسن بن علي عليهما السلام ، في القبة التي فيها قبر العباس رضي الله عنه .

وأما معجزات الباقر عليه السلام وفضائله فلا تحصر ، وقد ذكره الشيخ محمد بن حسن الحر في ارجوزة له ، ذكر بعض فضائله ومعجزاته عليه السلام فقال عليه رحمة الملك العلام :

ومعجزاته كثيرة كما روى الرواة من ثقاة العلما

وما رووا عنه من العلوم لا يروى نظير بعضه للفضلا

اولي عن ابنه الامام الصادق اكرم بسابق جرى ولا حق

أخبر بالغيب مراراً جمه حتى جلا بذاك كل ظلمه

وخص في اجابة الدعاء كما اتى في صادق الانباء

وكم اراد سائل ان يسأله ثم ابتداؤه بتلك المسأله

وكم اتاه الجن يسألونه عما يقولون ويفعلونه

كلمه الذئب وقد اجابه دعا له فقال بالاجابة

كذلك الطير وما قد ظهرا من مثله شاع له واشتهرا

وأمر النخلة بالاقبال فأقبلت اليه لا تبالي

وقد رأى مع كونه في الدار ماقد جرى في خارج الجدار

ورد شيب امرأة شبابا وكان شعر رأسها قد شابا

واخبر المنصور بالخلافه فما رأى من خبر خلافه

ووهب الاعمى ابا بصير بمسحه عيني فتى بصير

ثم اعاد يده فعادا اعمى فمن يجحد ذا عنادا

وكم وكم مقترح اجابه بما ابتغى وبانت الاصابه

وطبع الحصاة كأبيه وخدمته الجن كبنيه

وابرأ الاكمه لما مسحا عينيه فالعمى تنا آ وانتحى

كلمه الطير بل الجماد فلاح للمسترشد الرشاد

رد الاله روح ميت إذ دعا فقام حياً ووعاه من وعى

وانقلب التراب فهو ذهب إذ مسه فراح منه يهب

وكم اری عجائب للرائي من ملكوت الارض والسماء

ونخلة يابسة لما دعا تساقطت من رطب قد برعا

ذل له الذئب وقد تكلما وقد أتا مسائلا مسلما

وأنطق الصخرة والسكينا — وشجراً حتى شهدن حينا
واقتلع الصخر ففاض الماء — وروى الجماعة الظماء
ورميه بالنبل كان عجبا — ومثله زلازل بيثربا
وانطق القضيب لما ان دعا — فعجب السامع مما سمعا
ودخل النار فما أذته — وعجبت جماعة جاءته
ومثل هذا ظاهر لا يخفى — لو شئت منه لعددت الفا

يعجبني قول ابراهيم المهتدى شاعر اليمن يمدح المتوكل امام اليمن ، ويصف فرسين احدهما أدهم والآخر اخضر وأجاد :

وأدهم قد زهى اسوداداً — مع ابيض زانه اخضرار
وانت في ذروة المعالي — يحملك الليل والنهار

والخيل : هي جماعة الافراس سميت بذلك لانها تختال في مشيها ، وهي الحيوان المشرف ، ولقد مدحها الله تعالى واوصى بها نبينا ﷺ فقال : الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة ، وقال عليه الصلاة والسلام : عليكم باناث الخيل ، فان بطونها كنز وظهورها عز .

﴿ ذكر الخيل ، وفائدة في النفس ﴾

وروي عن ابن عباس : ان النبي ﷺ قال : لما أراد الله تعالى خلق الخيل اوحى إلى الريح الجنوب ، وقال انى خالق منك خلقاً فاجتمعي فأتى جبريل عليه السلام فأخذ منها قبضة فخلق منها فرساً كميتاً ، وقال خلقتك عربياً وفضلتك على سائر البهائم والرزق بناصيتك ، والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك ارهب المشركين ، واعز المسلمين ، ثم وسمه بغرة وتحجيل ، فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال يا آدم اختر أي الدابتين الفرس او البراق ؟ فقال : الفرس يا رب ، فقال الله تعالى اخترت عزك وعز اولادك .

وفي الحديث : ما من فرس إلا وهو يقول في كل يوم : اللهم من جعلتني له فاجعلني أحب أهله اليه . والخيل ثلاثة : افراس فرس للرحمن ، وفرس للانسان ، وفرس للسلطان ، فأما التي للرحمن فالمغزو عليها ، وأما التي للانسان فهي التي يسابق عليها وأما التي للسلطان فهي التي جعلت للخيلاء .

وفي الحديث : ان الملائكة لا تحضر في شيء من اللهو واللعب إلا في مسابقة الخيل وملاعبة الرجل اهله ، ولقد سابق عليه الصلاة والسلام على الخيل .

قيل : ان الذكر اولى من الانثى ، ولا يرد علينا ركوب جبرئيل عليه السلام على الانثى في قصة موسى وفرعون لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تتبعها خيلهم فيغرقوا ، لان الحصان إذا رأى الحجرة تبعها .

وقيل : ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه السلام ان يعبر فعبر وهم خلفه ، فأعمى الله عنهم الماء ، فكانوا يرونه بلقعاً والخيل تراه ماء ، فلو لا دخول جبرئيل عليه السلام في البحر بفرسه لما عبرت خيلهم .

والخيل أصناف : منها الصافنات وهي التي إذا ربطت في مكان وقفت على احدى رجليها ، وقيل غير ذلك ، وكانت الصافنات ألفي فرس لسليمان عليه السلام فعرضها ذات يوم ففاتته الصلاة ، قيل صلاة العصر ، فأمر بعقرها فعوضه الله الريح فكانت فرسه .

وقيل انما عقرها على وجه القربة كالهدى ، وقيل : ان الفرس لا يحب الماء الصافي ولا يضرب فيه بيده ، كما يضرب بها في الماء الكدر فرحاً به لانه يرى في الماء الصافي صورته ، فتفزعه ولا يراها في الكدر . ومما قيل في ذلك :

احبوا الخيل واصطبروا عليها فان العز فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيعها اناس ربطناها واشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا

﴿ فائدة ﴾

افهم هذه الفائدة ايضاً : الحصان الذكر من الخيل، والحجر الاناث، والجواد الفرس الكريم السريع ، والطرف مثله ، والعناجيج جياد الخيل ، الواحد عنجوج واليعبوب الفرس الجواد والهضب الكثير العرق ، والضمر السريع ، وقيل المشرف والملجزة الفرس الشديدة، والمقرَّبة الخيل المعدة للحرب فهي تقرب وتكرم، والمذاكي الخيل المنتهية في السن ، وهي المذكيات ايضاً ، واحدها مذك ، والمراخى الخيل السراع واحدها مرخي ، والسابح الفرس السريع الذي كأنه يسبح بيديه ، والمسح السريع ايضاً ، كأنه يسح العدو ، أي يصبه صباً ، والمسنفات من الخيل المتقدمات في السير ، ويقال : فرس بحر ، وغمر إذا كان كثير الجري ، وفرس محضير إذا كان كثير العدو ، ويقال احضر الفرس إذا عدا ، والحضر والاحضار : العدو .

﴿ فصل ﴾

الخيل الأعوجية : منسوبة إلى أعوج وهو فحل كريم كان لبني هلال بن عامر ، والحرونية منسوبة إلى حرون ، وهو فرس كريم كان لمسلم بن عمرو والد ابي قتيبة ، وهو من نسل اعوج فيما يقال .

ومن الفحول المشهورة التي تنسب اليها الخيل : الوجيه ، والغراب ، ولاحق ومذهب ، ومكتوم ، وكانت كلها لبني غني ، وقيل كان الوجيه ولاحق لبني اسد ومنها : قيد وحلاب وهما لبني تغلب ، ومياس وهو لبني أعيا من باهلة ، وداحس والغبرا وهما لبني عبس ، وقصتهما مشهورة لاتخفى على مطلع ، والخطار والحنفا وهما لبني بدر من فزارة ، والنعامة وهي للحارث بن عباد المسمى بفارس النعامة من بني قيس بن ثعلبة ، وقصته مشهورة في حرب البسوس المشهور .

﴿ فصل ﴾

والكميت الفرس الشديد الحمرة ، ولا يقال كميت حتى يكون عرفه وذنبه اسودين ، فان كانا احمرين فهو اشقر ، والورد فيما بين الكميت والأشقر ، والجمع: وراد ، والادهم الاسود والاحوى الاخضر الذي يضرب إلى سواد ، والجمع حو .

والبهيم المصمت اللون ، وإذا كان بوجه الفرس بياض يسير بقدر الدرهم فما دونه فذلك القرحة ، والفرس اقرح ، فاذا جاوز البياض قدر الدرهم ، فهو الغرة ، والفرس اغر ، فان كان بجحفلته العليا بياض فهو أرثم ـ وقد تقدم ـ والجحفلة من ذوات الحافر بمنزلة الشفة من الانسان فاذا كان البياض بجحفلته السفلى فهو المظ فان كان ابيض الظهر فهو أرجل ، فان كان ابيض البطن فهو أنبط ، فان كانت قوائمه الأربع بيضاً لا يبلغ البياض منها الركبتين فهو محجل ، فان كان البياض بيديه دون رجليه فهو اعصم ، فان لم يبيض من قوائمه سوى رجل واحدة ، فهو ارجل وذلك مذموم .

﴿ فائدة ﴾

النفس هي الروح ، يقال : خرجت نفسه ، أي روحه .

قال ابو خراش :

نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج إلا جفن سيف ومئزرا

أي بجفن سيف ومئزر .

والنفس لغة الدم ، يقال : سالت نفسه .

وفي الحديث : ما ليس له نفس سائلة فانه لا ينجس الماء إذا مات فيه .

والنفس الجسد ، قال الشاعر :

نبئت ان بني سليم ادخلوا ابياتهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم .

وأما قولهم: ثلاثة انفس، فانهم يريدون بذلك الانسان، هذا قول اصحاب اللغة، والفقهاء وافقوهم على ذلك .

وأما ارباب المعقول فقد اختلفوا في حقيقة النفس ماهي؟ اختلافاً كثيراً إلى الغاية . أما الحكماء فقالوا : النفس عبارة عن هذه الاجزاء النارية السارية في هذا الهيكل، لان النار خاصتها الاشراق والحركة، ولهذا قال الاطباء : ان مدبر الجسد هو الحار الغريزي، وهذا رأي افلوطرخوس ومن تابعه .

ومنهم من قال : هو عبارة عن هذا الهواء لانه متى كان النفس متردداً كانت الحياة باقية، فالنفس هو الهواء المستنشق المتردد في مخارق البدن ؛ ولانه لا لون له ويدخل في المنافس الضيقة، وهذا رأي ديوجانس ومن تابعه .

ومنهم من قال: النفس عبارة عن الماء لانه سبب لحصول النشو والنمو والنفس كذلك، فكانت هي الماء، وهذا رأي تاليس الملطي، وهذه الاقوال فاسدة، لان الاشتراك في بعض الصفات لا يوجب التساوي في تمام الماهية .

ومنهم من قال : النفس عبارة عن مجموع الاخلاط الأربعة بشرط ان يكون كل واحد له قدر معين، لانه ما دامت هذه الاخلاط باقية على كمياتها المخصوصة وكيفياتها، فالحياة باقية، وهذا ضعيف أيضاً، لانه لا يثبت العلم لنا بمجرد الدور

ومنهم من قال: النفس عبارة عن الدم لانه اشرف اخلاط البدن، ومتى نزف الدم وفنى من الجسد فارقته الحياة، وهذا رأى جالينوس ومن تابعه من الأطباء فوافقوا الفقهاء وأهل اللغة، وهذا ضعيف لان الجسد يعرض له عدم الحياة، والدم فيه، ولانه لا ينبغي ان تزيد النفس بزيادة الدم في البدن، وان تقوى معلوماتها وادراكاتها وتضعف بقلته في الجسد، والقضية بالعكس، فان الصائم والضعيف يقوى ادراكه .

ومنهم من قال : ان العناصر المركبة مختلفة في ما هياتها، فاللطيف منها لا ينقلب كثيفاً وبالعكس .

وكذا القول في الرطب واليابس والحار والبارد ، فثبت ان النفوس اجسام لطيفة لذواتها حية لذواتها وتلك الاجسام إذا شابكت هــذا الهيكل المحسوس وسرت فيه سريان ماء الورد صارهذا الهيكل حياً بتلك المشابكة والذوبان والانحلال لا يتطرق إلى هـذا الهيكل دون تلك الاجسام اللطيفة الحية والاخلاط فيها قابلية لتلك الاجزاء ، فتى ذهبت القابلية من الاعضاء والاخلاط انفصلت تلك الاجزاء اللطيفة الحية وكان ذلك هو الموت .

وهذا القول مشكل لانه يلزم من هذا انه إذا قطعت أطراف الانسان أما ان يذهب كل طرف بما فيه من النفس ، وهو باطل لانه يوجب ضعف النفس في تدبير البدن وضعف الادراك والعلم ، وأما ان تتداخل تلك الاجسام في الجسد الذي بقي ويقوي تدبير النفس للبدن في الحركة وقوة الادراك ، لان تلك الاجزاء تقلصت واجتمعت في هذا الباقي ، وهذا فيه قول بتداخل الأجسام ، وهو محال .

ومنهم من قال : النفس عبارة عن الاجسام اللطيفة المتكونة في البطن الأيسر من القلب النافذة في الشرايين النابتة منه إلى كل اجزاء البدن .

ومنهم من قال : النفس عبارة عن الارواح المتكونة في الدماغ الصالحة لقبول قوة الحس والحركة والحفظ والفكر والذكر النافذة من الدماغ في شظايا الاعصاب النابتة منه إلى اقاصي البدن .

ومنهم من قال : أجزاء هذا البدن على قسمين ، بعضها اجزاء اصلية باقية من اول العمر إلى آخره من غير أن يتطرق اليها شيء من التغيرات والانحلال والزيادة والنقصان ، وبعضها اجزاء عارضة تبعية ، تارة تزداد وتارة تنقص فالنفس والشيء الذي يشير اليه كل احد بقول : انا هو القسم الاول .

قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى وهذا القول هو اختيار المحققين من المتكلمين .

وبهذا القول يظهر الجواب عن اكثر شبهات منكري البعث والنشور انتهى

وقال بعض المحققين : النفوس جواهر روحانية ليست بجسم ولا جسمانية لا داخلة البدن ولا خارجة عنه ، لا متصلة به ولا منفصلة عنه ، لها تعلق بالاجساد يشبه علاقة العاشق بالمعشوق .

وهذا القول ذهب اليه ابو حامد الغزالي في بعض كتبه .

ونقل عن علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال : الروح في الجسد كالمعنى فى النفس ، وما رأيت مثالا احسن من هذا .

يقال انه سئل بعض المتكلمين عن الروح والنفس ، فقال : الروح هو الريح والنفس هي التنفس ، فقال له السائل : فعلى هذا إذا تنفس الانسان خرجت نفسه ، وإذا ضرط خرجت روحه ، فانقلب المجلس ضحكا .

قال الصفدي في الغيث الذي انسجم : وهذه مسألة عظيمة تتجاذب الادلة فيها وتتعارض وتصح البراهين فيها تارة ، وتعارض ، وما أقول فيها إلا ما نطق به القرآن الكريم من قوله تعالى : (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى) فقد اختلف الناس فيه اختلافا كثيراً وتمسكوا فيه بادلة كل مذهب ما ادعاه اربابه وجزم انه الحق فيا ألحق أصحابه .

قال الشيخ الامام كمال الدين محمد بن الزملكانى رحمه الله تعالى في مصنف له وقال القاضي عياض ما معناه : اختلف الناس في الروح اختلافا لا يكاد ينحصر فقال كثير من ارباب المعانى وعلم الباطن والمتكلمين لا تعرف حقيقته ولا يصح وصفه وهو مما جهل العباد علمه انتهى .

ولله در ابي الطيب المتنبي إذ يقول :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم	إلا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة	وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن تفكر في الدنيا ومهجته	أقامه الفكر بين العجز والتعب

فلما كان رابع ربيع الاول رحلنا صحبة الراجا فتح سنك إلى بلدة مكرانى

وأقمنا فيها باجلال واكرام ثلاثة ايام ، ثم رحلنا منها ولم نزل في تلك البراري نسير في كنف من اليه المصير ، فلما كان ثامن عشر ربيع الأول دخلنا بالامن والحبور دار الفرح برهانبور ، ونزلنا بدار الامير الكريم ذي الاحسان ، السيد احمد الدمشقي ، المخاطب بزين الدين خان، وقد تقدم ذكره ، وبينه وبين السيد بدر قرابة فان والد السيد بدر متزوج بابنة اخيه السيد عمر الدمشقي المخاطب ايضاً بزين الدين خان ، وكان المنصب سابقاً للسيد عمر ، فلما توفى جلس اخوه السيد احمد مكانه ورد الخطاب اليه وقد قدمنا ذكر منصبه ، فاقمنا عنده في عز وراحة ونعمة ، حماه الله تعالى من كل عاهة ونقمة .

﴿ سؤال ﴾

سئل الجلال البلقيني في ختم البخاري عند قراءة حديث الشفاعة ، وسجود النبي ﷺ عن هذا السجود ما حكمه في الوضوء ؟ فقال: ان رسول الله ﷺ باق على غسله الذي غسل به في الدنيا ، لان الموت في شرعه سبب موجب للغسل ولا شك في موته ﷺ لقوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) فغسل على حكم شرعه في الدنيا ، وانه ﷺ طاهر مطهر ، ثم هذا الغسل لا يتطرقه ناقض ، فقام إلى الحشر وهو حي في قبره الشريف .

قال : وحضر لي سؤال ما حكم سجود المؤمنين بلا وضوء فانهم ليسوا باحياء في قبورهم ؟ ثم عرض هذا الكلام في مجلس الدرس على الشيخ العلامة حسن بن علي العجيمي الحنفي فاجاب بان النشأة الاخرى طاهرة كاملة لا حدث فيها فلا تحتاج إلى طهارة ، ثم عرض هذا الكلام على الشيخ العلامة مسعود المغربي المالكي ، فاجاب بان هـذا السجود الواقع منهم سجود تكرمة لربهم واعظام ، فهو كسجدة الشكر في الدنيا عند القائل بها ، فلا تفتقر إلى وضوء .

قال الشعراوي في البحر المورود ، وكان اخي افضل الدين يقول : اياك ان

تجادل من كان علمه موضوعا في نفسه دون قلبه ، فانه في ظلمة ، والجدال لا يزيده إلا ظلمة بخلاف من وضع علمه في قلبه اوروحه او سره فانه في نور يفرق بين الحق والباطل ، فيرجع إلى الحق بسرعة إذا نبهته عليه ، والله غني حميد .

وفي سنة ثلاث وثلاثين والف قبيل الظهر يوم الأحد سابع جمادي الآخرة سالت اودية مكة وامتلأ المسجد الحرام ، وعلا الماء حتى حاذى الحجر الأسود ، وعمل الشيخ محمود الحناوي لذلك تاريخاً ، فقال :

قد جاءنا سيل من الله في　　جمادي الآخر يا ذا النظر

في مسجد الله الحرام الذي　　سعت إلى علياه كل البشر

سيل عظيم ما رؤى مثله　　تاريخه (الماء حاذى الحجر)

وفيها توفى الشيخ الامجد شهاب الدين احمد بن ابراهيم بن علان الصديقي النقشبندي في اليوم السادس عشر من شعبان ، ودفن بالمعلاة بالقرب من قبر السيدة ام المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها ، وكان امام التصوف في زمانه ، وامام علومه وعرفانه ، واسطة عقد اهل الفتوة ورابطة عقد الصفوة ، العارف بالله عزوجل الغارف من بحر المعارف وعليه دل ، جامعاً لاشتات الفوائد ، ناظما من درر الفوائد للنحور القلائد ، له التأليفات ، العزيزة الجمة ، الكاشفة بالدلالة كل مشكلة وغمة ، انتفع به خلق كثير وصنف عدة كتب ، منها شرح قصيدة السودى التي اولها : (ليس عند الخلق من خير) وقصيدة ابن بنت المليق الشاذلي التي اولها : (من ذاق طعم شراب القوم يدريه) وشرح قصيدة :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا　　هم السلاطين والسادات والامرا

وشرح قصيدة السهروردي التي اولها :

لمت نارهم وقد عسعس الليل ومل الحادي وحار الدليل

وشرح رسالة رسلان التي اولها (كلك شرك خفي) وشرح حكم ابي مدين شرحا مفيداً ، وله رسالة في طريق النقشبندية ، جمع فيها الآداب واللوازم ، وذكر

فيها جماعات من المشايخ أهل الطريق اولي الصدق والتحقيق وبدأ بشيخه تاج الدين ووشح السيد سالم شيخان رسالته المذكورة بمقولات ، ورشحها بمقالات ، ونظم نسبه المتصل إلى الصديق ، في ابيات هي كقلائد العقيان في اعناق الخرد الحسان فقال :

أيا سائلي عن نسبتي كيف حالها ... جدودي إلى الصديق عشرون فاعدد
خليل وعلان وعبد مليكهم ... علي علي ذو النعيم المؤيد
مبارك شاه حاوي المجد بعده ... ابو بكر المأمون نجل محمد
ووالده قد جاء يكنى باسمه ... وطاهر خشتونيه من هو مهتدي
وعلان ثان ثم جاء حسينهم ... عفيف أتى فيهم ويونس ذو اليد
ويوسف اسحاق وعمران قد أتى ... وزيد به كل الخلائق تهتدي
ومن بعده حاوي الفخار محمد ... ووالده الصديق ذخري ومنجدي

رأيت في بعض التعاليق : ان الشيخ علي بن عمر الشاذلي لما أراد أن يفارق شيخه ابن بنت المليق قال له : اوصني ، فقال له الشيخ : يا علي ضع نفسك في موج القدرة ولا تكره حكمة الله في شيء وانه ان رفعك رفعك لحكمة ، وان خفضك خفضك لحكمة ، وحيث وجدت قلبك فخيم .

وقد نظم السيد عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء هذا الكلام فقال :

ضع النفس في موج القضا غير كاره ... لحكمته سبحانه واختياره
فما رفعه والخفض إلا لحكمة ... وحيث وجدت القلب خيم بداره

قلت : وهذا بعينه هو مقام التسليم ، وهو كيميا السعادة والتكريم ، الذي اعوز كثيراً من الناس ، ولم يحظوا منه إلا بالافلاس ، كان بعض المشايخ يعظم مريداً له ويقدمه على غيره ، فقيل له في ذلك ، فقال : سأريكم لماذا أقدمه ، فاعطى لكل انسان من اصحابه طائراً ، وكذلك المريد ايضاً طائراً ، ثم قال لهم ليذبح كل واحد منكم طائره ، حيث لايراه احد ، فاما اولئك فذبحوا ما معهم ، وأما ذلك

المريد فلم يذبح ، فقال له : لم لا تذبح كما ذبحوا ؟ فقال : قلت لي اذبح حيث لا يراك احد ، فلم اجد موضعاً إلا والله تعالى يراني فيه ، فقال لهم : من اجل هـذا احببته وقدمته عليكم .

قلت : ولهـــذه الطائفة في علم التوحيد ومقام المراقبة الاهتمام العظيم ، والمنهج المستقيم ، وليس ذلك بأنهم انفردوا باعتقاد ذلك ، وانما انفردوا بملاحظة قلوبهم بدوام هـذا العلم تأدبياً وسلوكاً في البدايات ، وتحقيقاً ويقيناً في النهايات ، ولهذا أمتاز هذا المريد في هذه الحكاية ، لأنهم لو سئلوا كلهم عن ذلك لقالوا : ما من موضع إلا والله تعالى يرانا فيه ، لكنه هو راعي اعتقاده والايمان وغيره غلبت عليه غفلته والنسيان .

أعلم ان القتال في القلب دائم بين جنود الشيطان ، وهي الشهوات ، وبين حزب الله عز وجل وهو نور العقل إلا في قلب فتحه احد الجندين ، واستولى عليه بالكلية ، وغالب القلوب الآن قد غلب عليها وفتحها جند الشيطان ، فيحتاج أن يستأنف اسباب القتال لازعاجه ، ويعبر عن ذلك بالجهادالاكبر واليه الاشارة بقوله ﷺ لقوم قد قدموا عليه من الغزو : وقدمتم خيرمقدم قدمتم إلى الجهاد الاكبر مجاهدة العبد هواه ، رواه الديلمي .

وروى البخاري عن ابي ذر قال : قلت يا رسول الله أي الجهاد أفضل ؟ قال ان يجاهد الرجل نفسه وهواه .

وروى ابن حبان وغيره انه ﷺ قال : المجاهد من جاهـد نفسه فظهر أن النفس عدو منازع يجب مجاهدته .

وصريحه من كتاب الله تعالى(وجاهدوا في الله) أي لله ، ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة ، كالهوى والنفس ، وقوله : حق جهاده ، أي جهاداً خالصاً حقاً لوجهه فعكس ، وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة ، كقولك : هو حق عالم .

ولهذا قال بعضهم في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الـكفار) المراد به النفس .

وفي تفسير البيضاوي في معنى قوله تعالى : (والذين جاهـدوا فينا) أي في حقنا ، قال : واطلق المجاهد ليعلم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا ، أي سبيل السير الينا ، والوصول إلى جنابنا ، او انزيدنهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقاً لسلوكها كقوله تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى) .

وقال الـكواشي في تفسير قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا) أي في طلب العلم لنهدينهم طريق العمل به او بالتوبة ، لنهدينهم إلى الاخلاص او فيما عملوا ، لنهدينهم إلى ما لا يعلمون ، والمجاهدة بغض البصر وحفظ اللسان وخطرات القلب ويجمعها الخروج عن البشرية ، وأفضل الجهاد مخالفة الهوى .

وقالـ الامام جعفر الصادق عليه السلام : المجاهـدة صدق الافتقار إلى الله تعالى وهو انفصال العبد عن كل شيء سوى الله تعالى ، او في سبيل الظاهر ، فهدوا إلى سبيل الباطن .

﴿ ترجمة القاضي التنوخي ﴾

قال الثعلبي في يتيمة الدهر : هو من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم وحسن الشيم .

وكان كما قرأته في فصل للصاحب : ان اردت فاني سبحة ناسك ، او أجبت فاني تفاحة فاتك ، او اقترحت فاني مدرعة راهب ، او آثرت فاني تحية شارب .

وكان تقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين ، وحين صرف عنه ورد إلى حضرة سيف الدولة زائراً ومادحا فاكرم مثواه ، واحسن قراه ، وكتب في معناه ببغداد حتى أعيد إلى عمله ، وزيد في رزقه ورتبته ، فكان الوزير المهلبي وغيره من رؤساء العراق يميلون اليه جداً ، ويتعصبون له ، ويعدونه ريحانة الندماء ، وتاريخ

الظرفاء ، ويعاشرون منه من تطيب عشرته ، وتلين قشرته ، وتكرم اخلاقه وتحسن اخباره ، وتسير أشعاره ، ناظم حاشيتي البر والبحر ، وناحيتي المشرق والمغرب .

وبلغني انه كان له غلام يسمى نسيما في نهاية الملاحة واللباقة ، فكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويختصه بتقديه .

وبلغني انه كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والبسط والخلاعـة ، وهم : ابن قريعة وابن معروف والقاضي الكرخي وغيرهم وما كان منهم إلا ابيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبي فاذا تكامل الانس ، وطاب المجلس ولذ السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذه وهبوا أثواب الوقار للعقار ، وتقلبوا في اعطاف العيش بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كل منهم طاس ذهب من الف مثقال مملوء شرابا قطربلياً او عكبريا فيغمس لحيته فيه ، بل ينقعها حتى تتشرب ويرش بها بعضهم على بعض ويرقصون باجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم ويقولون كلما يكثر شربهم هرهر ، واليهم أشار السري بقوله :

مجالس يرقص القضاة بها ... إذا أنتشوا في مخانق البرم
وصاحب يخلط المجون لنا ... بشيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبه عبثا ... أنامل مثل حمرة العنم
حتى تخال العيون شيبته ... شيبة عثمان ضرجت بدم

فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزمت والتوقر والتحفظ لابهـــة القضاء وحشمة المشايخ والكبراء .

قال الثعالبي وقـد اخرجت من شعر التنوخي ، ما هو شرط الكتاب ، فمن ذلك قوله في وصف الليل والنجوم :

رب ليل قطعته كصدود ... او فراق ما كان فيه وداع
وحش كالثقيل تقذي به العين وتأبى حديثه الاسماع

وكأن النجوم بين دجاه سنن لاح بينهن ابتداع
مشرقات كأنهن حجاج تقطع الخصم والظلام انقطاع
وكان السماء خيمة وشي وكأن الجوزاء فيها شراع
كان ليلا فصيرته نهارا كتب تكتب العدا ورقاع

وما ابرع قوله :

كأنما المريخ والمشتري قـدامه في مشامخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة قد اسرجوا قدامه شمعه

ويعجبني تشبيهه في الراح ، وهو من القلائد التي تتحلى بها الملاح :

وراح من الشمس مخلوقة بدت لك في قدح من نهار
فهذا النهاية في الابيضاض وهـذى النهاية في الاحمرار
هواء ولـكنه ساكن وماء ولـكنه غير جار
كأن المدير لها باليمين إذا مال للسقي او باليسار
تدرع ثوبا من الياسمين له فرد كم من الجلنار

وما احسن وصفه في الدجلة :

لم انس دجلة والدجى متصوب والبدر في افق السماء مضرب
فـكأنما فيه بساط ازرق وكأنه فيها طراز مذهب

وما ابدع قوله من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب بن عباد يفضلها على سائر شعره ، وهي :

أحبب إلي بنهر معقل الذي فيه لقلبي من همومي معقل
عذب إذا ما عب فيه ناهـل فـكأنه في ريق حب ينهل
متسلسل فـكأنه لصفائه دمع بخدي كاعب يتسلسل
وإذا الرياح جرين فوق متونه فكأنه درع جلاها صيقل
وكأن دجلة إذ تغطغط موجها ملك يعظم تارة ويبجل

وكأنها ياقوتة او أعين زرق يلايم بينها ويوصل
عذبت فما تدري أماء ماؤها عند المذاقة او رحيق سلسل
ولها بمد بمد جزر ذاهب جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
وإذا نظرت إلى الابلة خلتها من جنة الفردوس حين تخيل
كم منزل في نهرها آلى السرور بانه في غيرها لا ينزل
وكأنما فلك القصور عرائس والروض حلى فهي فيه ترفل
غنت قيان الطير في ارجائها هزجا يقل له الثقيل الاول

ما أحلى هذا التوجيه بالهزج والثقيل وهما من بحور الشعر :

وتعانقت تلك الغصون فاذكرت يوم الوداع وعيرهم تترحل
ربع الربيع بها فحاكت كفه حللاً بها عقد الهموم تحلل
فمدبج وموشح ومدثر ومعمد ومحبر ومهلل
فتخال ذا عين وذا ثغر وذا خد يعضض تارة ويقبل

قلت : أفسحر هذا أم انتم لا تبصرون ، فسبحان من منح البلاغة لهذا الأديب الفاضل ، فانه ما ترك مقالا لقائل ، ولا مجالا لجائل ، ولا مصالا لصائل ، رحمه الله تعالى .

حكي انه ذكر عند الرشيد قول ابي نواس :

فاسقني البكر التي اعتجرت بخمار الشيب في الرحم

فقال لمن حضره : ما معناه ؟ فقال احدهم : ان الخمرة إذا كانت في دنها كان عليها شيء مثل الزبد ، فهو الشيب الذى اراده ، وكان الأصمعي حاضراً فقال : يا امير المؤمنين ان ابا نواس أجل خطراً ، وأدق نظراً ، وان معانيه لخفية ، فاسألوه عن ذلك ، فاحضره وسئل ، فقال : ان الكرم اول ما يخرج العنقود في الزرجون يكون عليه شيء شبيه بالقطن ، فقال الاصمعي : ألم أقل لكم ان ابا نواس ادق نظراً مما قلتم .

﴿ فائدة في التاريخ ﴾

وجد بخط الشيخ تقي الدين بن الصلاح رحمه الله تعالى ما صورته : ذكر ابو القاسم السهيلي قال : اجمع المسلمون على ان حجة الوداع كانت يوم عرفة ، فيها يوم الجمعة ، وكان اول شهر ذي الحجة في تلك السنة الخميس ، هذا لا شك فيه . ثم قال بعد ذلك : وقال اكثر اهل التاريخ ان رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول ، بعد الحجة المذكورة بثلاثة اشهر ، وكيف حسب الانسان الشهور وهي : ذوالحجة والمحرم وصفر وربيع الاول، وجعل اول ذي الحجة الخميس ما يتصور ان يكون رسول الله ﷺ توفي في يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول سواء حسب الجميع نواقص او كوامل ، او بعضهن نواقص او بعضهن كوامل ، فاعتبره تجده كذلك .

أجاب عن هذا السؤال قاضي القضاة شرف الدين البارزي الحموي بما صورته يحتمل انه لما حج رسول الله ﷺ رأى هلال ذي الحجة بين مكة والمدينة ليلة الخميس وغم على اهل المدينة ، فلم يروا هلال ذي الحجة إلا ليلة الجمعة ، فلما رجع رسول الله ﷺ وتوفي بالمدينة ارخ أهل المدينة موته على حكم ما رأوا وارخوا في اول ذي الحجة ، وهو يوم الجمعة ، فجاءت الشهور الثلاثة : ذو الحجة والمحرم وصفر كوامل، وجاء اول ربيع اول يوم الخميس ، وكان ثاني عشر ربيع الاول يوم الاثنين ، وكان بين رؤيته ﷺ وبين رؤية اهل المدينة مسافة القصر ، والصحيح في مذهب الشافعي اعتبار اختلاف المطالع والله اعلم بالصواب .

حكي ان السراج الوراق ارسل غلامه يوماً ليبتاع له زيتاً يأكل به الحمص فاخذه في الاكل فوجده زيتاً حاراً فأنكر على الغلام وأخذه وجاء إلى البياع فقال له: اتفعل مثل هذا بنا ! فقال الزيات : والله يا سيدي ما لي ذنب لانه قال لي اعطني زيتاً للسراج ، قلت : وما احسن قوله :

كم قطع الجود من لسان قلد من نظمه النحورا

فها أنا شاعر سراج فاقطع لسانى ازدك نورا

يعجبني قوله :

إلهي لقد جاوزت سبعين حجة فشكراً لنعماك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة ونوراً كذا يبدو السراج المعمر
وعمم نور الشيب رأسي فسرني وما ساءني اني السراج المنور

وعلى الجملة فقد استعمل اسمه وصناعته كثيراً إلى الغاية .

قيل حضر هو وابو الحسين الجزار المتقدم ذكره ليلة من الليالي عند الصاحب بهاء الدين للمنادمة ، فقام ابو الحسين إلى الخلاء ، فقال الصاحب : يا طواشي سر قدام جمال الدين بالشمعة ، فقال ابو الحسين : يا مولانا الصاحب ادامك الله المملوك تعود ان يخري على السراج ، فقال السراج : لا جرم انني ما بقيت انيك علفاً ، فضحك الصاحب حتى استلق على قفاه .

حدث عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي قال: كنت من حرس المأمون بحلوان حين خرج من خراسان بعد قتل الأمين واستئناف الخلافة له ، قال : فخرج لينظر إلى العسكر في بعض الليالي فعرفته ولم يعرفني فاغفلته وجاء من ورائى حتى وضع يده على كتفي ، فقال : من انت ؟ فقلت : أنا عمرو عمرك الله ، بن سعيد اسعدك الله ، بن سلم سلمك الله ، فقال: انت الذي كنت تكلؤنا في هذه الليلة ، فقلت: الله يكلؤك يا امير المؤمنين ، فانشأ المأمون :

ان اخاك الحق من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب زمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

ثم قال : يا غلام اعطه لكل بيت الف دينار . قال عمرو : فوددت لو كانت الابيات طالت فاجد الغنى ، فقلت : يا امير المؤمنين وازيدك بيتاً ؟ فقال لي : هات فقلت : (وان غدوت ظالماً غدا معك) فقال : يا غلام اعطه لهذا البيت الف دينار فما برحت من موضعي حتى اخذت خمسة آلاف دينار .

قلت : ما فهم المأمون من هـذا البيت الاخير إلا قول رسول الله ﷺ انصر اخاك ظالماً او مظلوماً ، فقيل له : يا رسول الله انصره مظلوماً ، فكيف انصره ظالماً ؟ فقال : تحجبه عن الظلم فذلك نصره اياه .

قال علقمة بن عبيد العطاردي لابنه : يا بني ان نزعت بك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من ان صحبته زانك ، وان اصابك خصاصة مانك ، وان قلت سدد قولك ، وان صلت شدد صولك ، وان مددت يدك بفضل مدها ، وان بدت منك ثلة سدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته اعطاك ، وان سكت عنه ابتداك ، وان نزلت بك احدى الملمات واساك ، من لا يأتيك منه البوائق ، ولا تعوقه عنك العوائق ، ولا يختلف عليك منه بالطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق .

أقول : ليت شعري اين يوجد مثل هـذا الصاحب ، بل وجوده في زماننا هـذا يتعسر ، بل هو اعز من الكبريت الأحمر ، ولقـد صحت اثنتي عشرة سنة في ارض الله وجربت صحبة خلق الله ، فما رأيت صاحباً وجـدت فيه خصلة من هـذه الخصال ، وان هذا من المحال .

ومن الوصايا ماقاله ابو موسى المكفوف لنخاس: اطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر ، ان خـلا الطريق تدفق ، وان كثر الزحام ترفق ، لا يصدم بي السواري ، ولا يدخلني تحت البواري ، ان كثر علفه شكر ، وان قللته صبر ، ان ركبته هام وان ركبه غيري قام ! فقال له النخاس : اصبر يا سيدي اعزك الله ، عسى ان يمسخ الله القاضي حماراً فتجد حاجتك !

وقال الفضل بن عبدالرحمن لرقية بنت عتبة بن ابي لهب: انظري لي امرأة معروفة النسب كريمة الحسب، فائقة الجمال مليحة الدلال، ان قعدت اشرقت وان قامت اضعفت وان مشت ترقرقت ، تروع من بعيد ، وتفتن من قريب ، تسر من عاشرت ، وتكرم من جاورت لطيفة ودود ، عاقلة ولود ، لا تعرف إلا اهلها ، ولا تسر إلا بعلها ، فقالت له : يا ابن العم اخطب هذه من ربك في الآخرة ، فانك لا تجدها في الدنيا .

سأل بعضهم شيخاً من اهل الفسوق قال كنت البارحة في مجلس القوم وفيهم امرد مثل القمر ، فلما ناموا حاولت الدبيب عليه فلم اصل اليه ، واصبحنا ولم يتفق لي نيكه ، فجلدت عميرة بنية نيكه ، فقال له الشيخ لك نيتك ، قد حسبت لك فسقة

قلت : ومن هذا القبيل قول النور الاسعردى :

ولي صاحب قال نلت المنى بمن هو دون الورى منيتي
فقلت اتى زائراً قال لا ولكن جلدت ولي نيتي

قيل ان بعضهم كان نائماً في مجلس قوم بالليل فما شعر بنفسه إلا وقد دخل فيه شيء كذراع البعير ، فقام اليه منكراً ، فقال له: الدباب يا اخي لك المعذرة فانه قام علي ولم يكن إلى جانبي غيرك ، فقال : كنت جلدت عميرة ، فقال : والله انه ما يسمه خفي فكيف كفي ؟ فقال له : ويلك بهذا الزب تدب .

وقد جمع آلات الدب على ماهو المشهور بين اهل المجون ابن دانيال في بيت واحد ، فقال :

فلما بت في السماعات إلا لقبوني بالملأئط الدباب
ولعمري قد كنت اقتحم الدب وآلاته معي في جرابي
مثل درج وابرة وخيوط وعقيد وبيضة وتراب

﴿ ترجمة أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن ﴾
(على بن الحسين بن على بن أبي طالب عليه السلام)

أحد الأئمة الاثنى عشر ، كان من سادات أهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله اشهر من نار على علم ، كيف لا وهو ابن سيد الأمم ، وله كلام في صنعة الكيمياء والجفر والفأل ، وكان تلميذه ابو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد الف كتابا يشتمل على الف ورقة يتضمن رسائل الامام

جعفر الصادق عليه السلام وهي خمسمائة رسالة .

وكانت ولادته سنة ثمانين من الهجرة ، وهي سنة سيل الجحاف ، وقيل : بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر ثامن شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وتوفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة المنورة ، ودفن بالبقيع في قبر فيه ابوه محمد الباقر وجده زين العابدين وعم جده الحسن بن علي عليهم السلام ، فلله دره من قبر ما اكرمه واشرفه، وامه فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق .

قال ابن خلكان في تاريخه وحكى كشاجم الشاعر في كتاب المصائد المصادر أن الامام جعفر الصادق عليه السلام سأل ابا حنفية فقال له : ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي ؟ قال: يابن رسول الله لا اعلم مافيه ، فقال له الصادق «ع» انت تتباهى ولا تعلم ان الظبي لا تكون له رباعية ، وهو ثني ابداً .

وكان المنصور الدوانيقي أراد اشخاص الامام جعفر الصادق معه إلى العراق عند مسيره إلى المدينة فاستعفاه من ذلك فلم يعفه ، فاستأذنه في المقام بعده اياماً ليصلح اموراً مختلة ، فأبى عليه .

حكى القاضي ابو علي المحسن بن ابي القاسم التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة عن يونس ابن ابي يعقوب قال : حدثني الامام جعفر بن محمد من فيه إلى اذني ، قال لما قتل ابراهيم بن عبد الله حشرنا المنصور العباسي من المدينة فلم يترك فيها محتلم منا حتى قدمنا الكوفة ، فمكثنا شهراً نتوقع القتل ، ثم خرج الينا الربيع الحاجب فقال : اين هؤلاء العلوية ، ادخلوا على امير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجا . قال: فدخلت انا والحسن بن زيد ، فلما صرت بين يديه قال لي: انت الذي تعلم الغيب فقلت : لا يعلم الغيب إلا الله جل ثناؤه ، قال : أنت الذى يجبى اليك هذا الخراج فقلت : اليك يجبى يا امير المؤمنين الخراج ، قال : أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت : لا قال : انما دعوتكم لأهدم رباعكم ، وأغور قليبكم ، واعقر نخيلكم ، وانزلكم بالسراة ولا يجيئكم احد من الحجاز وأهل العراق فانهم لكم مفسدة ، فقلت : ياامير المؤمنين

ان سليمان أعطى فشكر ، وان ايوب ابتلي فصبر ، وان يوسف ظلم فغفر ، وأنت من ذلك النسل ، قال : فتبسم ، وقال : اعـد كلامك ، فاعدته فقال : مثلك فليكن زعيم القوم قد عفوت عنكم ووهبت لكم خراج البصرة ، وحـدثني الحديث الذي حـدثك ابوك عن آبائه عن رسولـ الله ﷺ قلت : حـدثني ابي عن آبائه عن رسولـ الله ﷺ انه قال : صلة الرحم تعمر الديار وتطيل الاعمار ، وتكثر العمار وان كانوا كفار ، فقال : ليس هذا ، فقلت : حدثني ابي عن آبائه عن رسول الله ﷺ انه قال الرحم شجنة من الرحمن قال الله تعالى : خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمائي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ، قال: ليس هذا ، فقلت: حدثني ابي عن رسول الله ﷺ انه قال : الرحم معلقة بالعرش تنادي اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني ، قال : ليس هذا ، فقلت : حدثني ابي عن آبائه عن علي «ع» عن النبي ﷺ انه قال : ان ملـكا من ملوك الارض كان بقي من عمره ثلاث سنين فوصل رحمه فجعلها الله تعالى ثلاثين سنة ، قال : هـذا الحديث الذي اردت ، أي البلاد احب اليكم فوالله لاصلن اليوم رحمي ، فقلت : المدينة ، فسرحنا إلى المدينة وكفانا الله مؤنته .

وكان من دعاء الامام جعفر الصادق «ع» حين دخل على المنصور : اللهم بك استفتح ، وبك استنجح ، وبمحمد عبدك ورسولك اليك اتوجه ، وأعوذ بخيرك من شره ، اللهم سهل لي خشونته ، وذلل لي صعوبته ، واعطني من الخير اكثر مما ارجو واكفني من الشر اكثر مما اخاف .

وعن بعض اصحاب الامام جعفر الصادق «ع» قال : دخلت عليه وابنه موسى الكاظم «ع» بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية ، وكان مما حفظت منها ان قال له يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانك ان حفظتها تعيش سعيداً وتموت حميداً يا بني انه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومن مـد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلته استعظم

زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ، يابني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن احتفر لاخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم . يابنى قل الحق لك وعليك وإياك والنميمة فانها تزرع الشحناء في قلوب الرجال يابنى إذا طلبت الجود فمليك بمعادنه وفضل الامام جعفر الصادق «ع» ليس يحصره تعداد، والله ولي التوفيق والامداد .

من أمثال العرب : كبر عمرو عن الطوق . قال في القاموس: ويضرب اللابس ماهو دون قدره وهو عمرو بن عدي ، وكان خاله جذيمة جمع غلماناً من ابناء الملوك يخدمونه ، منهم عدي وكان جميلا، فعشقته (رقاش) اخت جذيمة ، فقالت له : إذا سقيت الملك فسكر فاخطبني اليه ! فسقى جذيمة وألطف له ، فلما سكر قال له : سلني ماحببت ؟ قال: زوجني رقاش اختك ، قال : قد فعلت فعلمت رقاش انه سينكر، إذا أفاق فقالت للغلام ادخل على اهلك ففعل ، فاصبح في ثياب جدد وطيب ، فلما رآه جذيمة قال : ما هذا قال انكحتني اختك البارحة قال : ما فعلت وجعل يضرب وجهه ورأسه وأقبل على رقاش وقال :

خبريني وانت غير كذوب ... أبحر زنيت ام بهجين

ام بعبد وانت اهل لعبد ... أم بدون وانت اهل لدون

قالت : بل زوجتني كفواً كريماً من ابناء الملوك . فاطرق جذيمة ، فلما اخبر عدي بذلك خاف فهرب ولحق بقومه ومات هنالك وعلقت منه رقاش ، وأتت بابن سماه جذيمة عمراً وتبناه وأحبه حباً شديداً ، وكان لا يولد له ، فلما ترعرع كان يخرج مع الخدم يجتنون للملك الكمأ فكانوا إذا وجدوا كمأة طيبة أكلوها وأتوا بالباقي إلى الملك ، وكان عمرو لا يأكل منه ويأتي به كما هو ويقول :

هـذا جناي وخياره فيه ... إذ كل جان يده إلى فيه

ثم خرج يوما وعليه حلي وثياب فاستطير ففقد زماناً فضرب له في الآفاق فلم

يوجد ثم وجده مالك وعقيل ابنا فارج وكان رجلان من بلقين متوجهين إلى جذيمة بهدايافبينما هما بوادي السماوة إذ انتهى اليهما عمرو بن عدي ، فسألاه من انت فقال ابن التنوخية ، ثم قالا لجارية معهما اطعمينا ، فأطعمتهما فاشار اليها عمرو ان اطعميني فاطعمته ، ثم سقتهما نبيذاً ، فقال عمرو: اسقيني فقالت الجارية مثلا (لاتطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع) ثم انهما حملاه إلى جذيمة فعرفه وضمه إلى صدره وقبله وقال لكما حكمكما ، فسألاه منادمته فلم يزالا نديميه ، وبعث عمراً إلى امه فأدخلته الحمام وألبسته وطوقته طوقا كان له من ذهب ، فلما رآه جذيمة، قال: كبر عمرو عن الطوق ، فضرب مثلا . انتهى كلام صاحب القاموس .

أقول : وجذيمة هذا هو جذيمة الابرش وانما هو الابرص ، فهابت العرب ان تسميه الابرص ، فقالت الابرش ، ويكنى بالملك الوضاح وكان ملكا بشاطىء الفرات إلى جاماس رمال الانبار وما وراء ذلك إلى السواد ومكث في الملك ستين سنة ، وكان من المعاليق ، وكان قتل ابا الملكة الزبا وغلب على ملكه ، وألجأ الزبا إلى اطراف مملكتها وكان يغير على ملوك الطوائف وغيرهم ، حتى غلب عليهم وعلى كثير مما في ايديهم .

وكانت الزبا اديبة عاقلة فبعثت اليه تخطبه لنفسها ليتصل ملكها بملكه فدعته نفسه إلى ذلك فشاور وزراءه ، فاشاروا عليه ان يفعل إلا قصير بن سعد القضاعي فانه اشار على الملك أن لا يفعل ، وقال : ايها الملك لا تفعل فانها خديعة ومكر فاجابهم وعصاه فقال قصير عند ذلك (لا يقبل لقصير رأي) فارسلها مثلا ثم كتبت اليه الزبا بعد ذلك ان يسير اليها ، فجمع اصحابه ببقة وهي قرية على الفرات وشاور وزراءه فاشاروا عليه بالمشورة الاولى إلاقصيراً فانه قال له ايها الملك ليس من العادة ان تهدي الرجال للنساء وانما النساء يصلن إلى الرجال فعصاه ، فقال : ايها الملك فاذ قد عصيتني فاذا رأيت جنودها قد اقبلوا اليك وترجلوا حتى يحيوك ، ثم يركبوا ويتقدموك فقد كذب ظني ، وإذا رأيتهم حيوك وطافوا بك فاني معرض لك العصا

وهي فرس لجـذيمـة لا تدرك فاركبها وانج بنفسك ، فلما اقبل جيشها جيوه ، ثم طافوا به ، فقرب اليه العصا ، فشغل عنها فركبها قصير ونجا واخذ جذيمة فنظر إلى قصير على العصا قد حال دونه السراب ، فقال : ما ضل من تجرى به العصا فاخرجها مثلا ، وادخل جذيمة على الزبا وكانت قد وفرت شعر عانتها حولا ، فلما دخل تكشفت له وقالت له : أذات عروس يا جذيمة أما انه ليس من عدم المواسي ولا قلة الاواسي ولـكنها شيمة من اناسي وأمرت به فاجلس على نطع وجيء بطشت من ذهب فقطعت رواهشه ، فذلك قول الشاعر :

وقدمت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبا ومينا

وكان قد قيل لها احتفظي بدمه فانه ان اصابت الارض منه قطرة اخذ بثاره فقطرت قطرة من دمه في الارض ، فقالت : لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا ما ضيعه أهله فارسلها مثلا ، ثم ان قصير بن سعد لما قتل جذيمة رجع إلى عمرو بن اخت جذيمة ، فقال له : ألا تطلب ثار خالك ، فقال : وكيف اقدر على الزبا وهي امنع من عقاب الجو ، فاخرجها مثلا ، فقال له قصير : أعمد إلى شدق فاصطلمهما واجدع أنفي وأذني واضرب ظهري ضربا موجعاً ودعني واياها ، ففعل ذلك ، فلما سار اليها واعلمها سبب قصده اليها ، وان عمراً قد فعل ذلك به يوهم انه الذي أشار على جـذيمة بالاقبال اليها هو حتى فعلت به ، فصدقته وظنت ان الامر كما ذكر ووعدته بالاحسان من نفسها ، فاحسن خدمتها وأظهر النصيحة لما حسنت منزلته عندها ، وتحلى عندها بالتجارة وزينها لها فبعثت معه مالا وابلا إلى العراق فسار قصير إلى عمرو في سر فاخذ منه مالا وزاده على مالها واشترى طرفا من طرف العراق ورجع اليها فاراها تلك الارباح فسرت به ، ثم جهزته مرة أخرى فاضعف لها المال حتى عجبت من ذلك ، وازدادت به سروراً وغبطة ، فلما كانت المرة الثالثة اعد لها جواليق ، وادخل في الجواليق رجالا بسلاحهم وذلك بموافقة عمرو وقد سار معه فصارا يسيران الليل ويكمنان النهار ، وقد أخذا عن الطريق ومع ذلك ان الزبا

لما بعد خبره سألت عنه، فقيل لها أخذ طريق الغوير، فقالت: عسى الغوير أبؤساً فارسلتها مثلا، ودخل قصير إلى الزبا والعير متأخرة عنه، فقال لها: قني فانظري إلى العير، فزقت سطحاً، فجعلت تنظر إلى العير وهي تمشي قليلا فانكرت مشيتها فقالت:

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن ام حديدا
أم صرفانا بارداً شديدا أم الرجال جثما قعودا

الصرفان هنا الرصاص، وقـــد يكون في غير هذا الموضع ضربا من التمر فانتهوا إلى الحصن الذي هي فيه، وقد اظلم الليل وشغلت هي ولم ترتب بقصير فلما دخلت العير المدينـة تقدم قصير عن الابل فوقف على باب الزبا وعليه بوابون من النبط وفيهم رجل بيده سفود فطعن جواليقا منها فأصاب رجلا، فقال البواب بلسان النبطية(بشتا بشتا) ومعناه الشر الشر فانتصل قصير سيفه فضربَ به البواب فقتله، وجاء عمرو على فرسه فدخل الحصن يعقب الابل، وابتركت الابل وحلت الرجال الجواليق وتمثلوا في المدينة بالسلاح، فلما علمت الزبا بذلك قالت: لأمر ما جدع قصير انفه فارسلتها مثلا.

وكانت الزبا قد اتخذت سردابا قد اجرت فيه الماء من قصرها إلى قصر اختها فقصد الى بابه عمرو، وقد كان وصفه له قصير ووصف له الزبا، وكانت الزبا ايضاً قد وصف لها عمرو وصورته على كل حالاته تريد بذلك أن تعرفه، ولتكون كلما نظرت اليه اخذت حـذرها منه، فلما رأته الزبا عرفته وولت هاربة فلحقها عمرو فلما ايقنت أن لاتفته مصت خاتماً كان في يدها مسموما، وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو فماتت مكانها.

وقد حكى ان عمراً جللها بالسيف فماتت، ثم انه استباح بلادها واستولى على ملكها والله اعلم.

﴿ فائدة ﴾

أول من وضع الخط العربي وأقامه ووضع حروفه واقسامه ستة اشخاص من طفيم كانوا نزولا عند عدنان بن ادد وكانت اسماؤهم : ابجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ، فوضعوا الكتابة والخط على اسمائهم ، فلما وجدوا في الالفاظ حروفا ليست في اسمائهم سموها الروادف وهي : الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ، على حسب ما يلحق حروف الجمل ، هذا تلخيص ما قيل في ذلك .

وقال في القاموس في باب الدال فصل الباء: وابجد الى قرشت وكلمن رئيسهم ملوك مدين وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف اسمائهم هلكوا يوم الظلة ، فقالت ابنة كلمن :

كلمن هدم ركني هلكه وسط المحله
سيد القوم اتاه الحتف ناراً وسط ظله
جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحله

ثم وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ فسموها الروادف .

أقول : وهنا بحث مع صاحب القاموس رحمه الله تعالى فتأمله .

قال العلامة المحقق المدقق عمي السيد محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه في حاشيته على القاموس ما هذا نصه : عليه ايرادات من وجوه احدها ان كون اسماء ملوك مدين هذه الالفاظ المستعملة عند الحساب ومعلمي المكاتب المرتبة في الحساب ، ألفها بواحد وباؤها باثنين وجيمها بثلاثة ، ودالها باربعة وهكذا الى الغين بالف خلاف ما قاله أئمة النحو واللغة ونطق به الشعراء .

قال الجعبري في شرح الشاطبية وابوجاد وهواز وقرشنات ، هكذا كانت اسماء لملوك مدين وقيل العجم في وقت نوح «ع» ، ثم ان الحساب أرادوا ان يجمعوا الحروف غير مكررة وبينوا عليها الحساب فاختاروا هذه الاسماء وتقوا كل

حرف كان فيها مكرراً فصارت على هذه الهيئة التي يتفوه، أي يتكلم بها الحساب ويقرؤها الصبيان في المكاتب، انتهى.

وهذا تنصيص على ان ابجد الى قرشت بهذه الصورة التي ذكرها مأخوذة من اسماء ملوك مدين بحذف حروف منها إلا انها غير تلك الاسماء. وذكر من تلك الاسماء ثلاثة، وقد ذكرها بهذه الالفاظ مع باقيها الرضي في شرح الكافية، وذكرت في التسهيل وشروحه وسنذكر ذلك.

الثاني كلامه يقتضي ان هذه الالفاظ عربية لانه جعلها اسماء ملوك مدين، ومدين قبيلة من العرب البائدة، كما في كتب الانساب، واكد ذلك بشعر بنت كلمن وهو يخالف المنقول عن سيبويه والمبرد والسيرا في قال النجم الرضى في باب العلم من شرح الكافية، وسيبويه جعل أباجاد وهوازا وحطيا مشددة عربيات فهي منصرفة، وجعل سعفص وكلمون وقرشنات اعجميات، فلا ينصرفن، وانما جعل الاول عربية، لان اباجاد مثل ابي بكر، وجاد من الجواد وهو العطش وهواز من هوز الرجل، اي مات، وحطي من حط يحط.

وقال المبرد: يجوز ان تكون كلها اعجميات.

قال السيرافي: لا شك ان اصلها اعجمية لانها كانت قبل ان يقع تعليم الخط بالسرياني، وقرشنات يدخلها التنوين كما في عرفات، انتهى كلام الرضي.

الثالث هب ان مذهبه انها اسماء ملوك مدين فهي عربية، فما كان عليه ان يذكر القول الذي خالفه، كما هو دأبه وهو قول الجعبري، وقيل النجم، وقيل السيرافي، لا شك ان اصلها اعجمية.. الخ

وإذا ضم قول السيرا في هذا الى نقل كونها اسماء ملوك تعين انها اسماء ملوك اعاجم، والله اعلم، انتهى كلامه، رفع مقامه.

وقيل اول من اتى اهل مكة بكتابة العربية سفيان بن امية بن عبد شمس ثم انتشرت.

واستكتب النبي ﷺ عبد الله بن الارقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فكان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من الامانة عند النبي ﷺ إلى ان كان يأمره ان يكتب إلى الملوك ، فيكتب ويطين الكتاب ويختمه .

واستكتب زيد بن ثابت فكان يكتب الوحي ويكتب ايضاً للملوك ، وكان إذا غاب عبد الله وزيد فاحتاج إلى ان يكتب كتابا امر من حضر ان يكتب .

وكتب للنبي (ص) عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب عليه السلام والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن ابي سفيان ، وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم .

والكاتب عضد معين ، وعون مستعد ، ولا بد للدولة والمملكة منه ، ولا غناء لها عنه .

قيل ان يزيد بن المهلب بن ابي صفرة خرج على بني امية وخطب له بالبصرة وسلمت عليه احدى جواريه بالخلافة ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك بازائه فقال رويدك حتى تنظري عما ينجلي هذا العارض المتألق ، فدست اليه بنوامية رجلا من اكلب ، وكان ذا بأس شديد واقدام مع جهل كثير ، فقتله في بعض خلواته ، فقال شاعر في ذلك :

قتلنا يزيد بن المهلب بعدما ... تمنيتم ان يغلب الحق باطله

وماكان من أهل العراق منافق ... على الدين إلا من قضاعة قاتله

ثم صفا الأمر لبني أمية :

﴿ ترجمة الأديبة الفاضلة السيدة زينب ابنة السيد الجليل ﴾
(محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود)
(الحسينية اليمنية المولد)

قال صاحب نسمة السحر في ترجمتها : فاضلة تحلت بالأدب في عصابتها ونظمت ما اشبه حسناً بقلادتها ، فلو رأتها ولادة رامت عن الصواحب العقيمة ، وهتكت

عقودها الشعرية والنحرية قائلة ما الحيلة إلا مثل هذه الخريدة اليتيمة ، او شهدت الكاتبة مرت حلاوتها ، او محبوبة المتوكلية ذهبت طلاوتها ، اشبهت وهي ثالثة القمرين في المعارف رابعة ، خلا انها حلت من سماء الفضل وان كانت شمساً في السابعة ، لم يدر اشعرها أم وجهها ام حليها اجمل ، ولما كانت من الطيبات كتبت وفاتها بالمندل ، فهي للغواني جمال ، ولو كان النساء مثلها لفضلت النساء على الرجال وكانت تعرف النحو والاصول والمنطق ، واشياء من النجوم والرمل والسيميا ، وكانت ترتاض كثيراً آخر أيامها ، وأما الأدب فهي حليته وكانت لطيفة المحاضرة تذاكر بالآداب والعلوم ، ولا يمل حديثها مع العفة والخفر والسكينة ، وشعرها قوي المباني ، له في الفكر فعل المثاني ، وهو كثير في فني العربي والموشح وتزوجها اولا علي بن المتوكل ، ثم فارقها ثم تزوجها غيره .

قال صاحب نسمة السحر : وأنشدني السيد الأديب بدر الدين بن محمد بن علي بن محمد ـ وكان ابن اخيها ـ من شعرها ما كتبته لاخيه اسماعيل وكان وفد اليها إلى شهارة ، ثم أراد المسير إلى علي بن المتوكل وهو باليمن ـ وقد قدمنا ترجمته فارسلت معه قصيدة نظمتها توصيه به ، وذلك بعد أن طلقها بعدة ، وأولها هذا :

اصخ لي أيها الملك الهمام ... عليك صلاة ربك والسلام
اليك ركائب الآمال أمت ... تيقن ان مطلبها امام
أتيتك شاكياً من ريب دهر ... به عز المعين فلا يرام
به عيل الوفاء فلا وفاء ... به فقد الذمام فلا ذمام
ولا الآباء والابناء فيه ... ولا الاخوان بينهم التآم
وفدت على كريم اريحي ... سخي ليس يعروه السآم
يجود بصافنات الخيل تزهو ... بمسجدها إذا شح اللآم
يجود بيعملات العيس تنؤ ... باثقال يجاذبها الزمام
بكم لا شك تنتظم المعالي ... كسلك الدر يجمعه النظام

وأنت ابا الحسين اجل قدراً　　من الاكفاوان جحدوا ولاموا
علوت عليهم كرما وفضلا　　وما استوت المناسم والسنام
تلذ لك المرواة وهى توذي　　ومن يعشق يلذ له الغرام
لقد حسنت بك الأيام حتى　　كأنك في فم الدهر ابتسام

قلت : البيتان الاخيران من شعر ابي الطيب المتنبي ، ولقد كاد يشتبه شعر هذه العقيلة بشعره .

وما احسن قول مجير الدين بن تميم الدمشقي في تضمين البيت الاخير :

أزهر اللون انت لكل زهر　　من الازهار تأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى　　كأنك في فم الدهر ابتسام

وكتبت إلى السيد الأجل ضياء الدين يوسف بن المتوكل تعاتبه :

ما بال اخلاقك تلك الحسان　　يا بهجة النادي ونور المكان
تنكرت من بعد تعريفها　　والحال ما امتاز بعطف البيان

وما احلى هذا التوجيه :

أين الصفا والخلق المرتضى　　حين التداني والزمان الزمان
وفت امام العصر من اذعنت　　لامره فيما مضى الخافقان
البر اسماعيل ذاك الذي　　كان من الرحمن حقا معان
من مصرها ألقت مقاليدها　　اليه والهند واقصى عمان
فرحمة الله على وجهه　　تنهل ما دارت صروف الزمان
سرعان ما انسيت ذاك الصفا　　والانس في تلك المغانى الحسان
سقين اياماً بتلك الربى　　وذلك العهد وذاك الاوان
ما كدر الوصل وغال الوفا　　وما لذاك الصدق في الود مان
متى ارى حظك يا سيدى　　يسمو إلى الافلاك ياذا المصان
حسبي الحكيم العدل في امره　　الراحم الديان ذو الامتنان

مـدبر الامر على مايشا   في كل يوم منه أمر وشان
يقضي لنا بالجمع بعد النوى   من أين لي انظركم بالعيان
ودم لكسب العلم ترق العلى   حتى تنال السبق يوم الرهان

سبحان مانحها هذه الرقة والانسجام ، وطلاوة اللفظ وحلاوة الـكلام .

قال صاحب نسمة السحر : وسمعت لها بيتاً في التورية فضلت فيه شهارة على صنعاء لانها استوطنت شهارة بسبب ان امها اسماء بنت المؤيد هناك ، ولم اسمع له اولا ، فنظمت له اولا من شعري لاستحساني له ورعاية لادبها ، ولانها عمة للوالدة من الرضاعة ، وهو :

وقائل لي أراك ليس تشبهها   شهارة قلت قف لي واستمع مثلي
أليس صنعاء دون الظهر من ظلع   أما شهارة فوق النحر والمقل

ولا تخفي حلاوة النحر والمقل ، وهما بقمة شهارة النحر بابها ، والمقل ماء فيه كروم ومسجد نزه اسفل منه ، والظهر وادي ظهر ، وظلع جمع ظلمة محل قريب من الوادي المذكور به كروم وماء وما رأيت أقوى من هذا التفضيل مع قوة التورية في الأربع المحلات .

ولما مات المتوكل ودعا المنصور القاسم بن المؤيد وهو خالها والمهدي احمـد ابن الحسن قالت تمدح خالها وتعرض بالمهدي :

ان الخلافة زينت اكليلها   بالقاسم بن محمد بن القاسم
لا كالذي جمل الجواري همه   وشق بحرب امامه من قادم

لانه حارب المؤيد من قبل ، وفي البيت الاول الاستطراد البديعي .

ورأيت في كتاب ميزان السياسة عند قول صاحبه من الـكرم حسن العفو عن سهو الذنوب ، وترك البحث عن نشر العيوب ، بخطها عقدت الـكاتبة سامحها الله هذا الـكلام في متن الـكتاب في العفو وترك تتبع العثرات في هذين البيتين :

من شيمة الحر الـكريم   العفو عن سهو الذنوب

ومن المرؤة تركه للبحث عن نشر العيوب

وبعدها : كتبته أمة الله الفقيرة الطالبة عفوه ورحمته زينب بنت محمد بن احمد بن الامام الحسن بن علي .

ولها موشح انفس من وشاح الجوزاء ، ولا اقول وشاحها ولم استحضره .

وكانت عالمة اخذ عنها جماعة في اصول الدين كما اخبرني ابن عمي العماد يحيي ابن ابراهيم بن الحسين .

قال صاحب نسمة السحر : ولمحبتها علم السيميا الروحانيـة عكفت على المندل وارتاضت له فاصابها سكوت ومرض ، الظاهر انه بسبب الروحانية وبقيت ملقاة نحو شهر ، فقدرت وفاة تلك الطيبة بالمندل في شهر المحرم افتتاح سنة اربع عشرة ومائة والف بشهارة رحمها الله تعالى .

وكان آخر من تزوجته طالب بن المهدي ، وكان غدا في اللون والفعل ، فلم ترتض الشمس زحل ، والوردة لا يباشرها الجعل ، ففارقته فراق الحليلة ذا مناجب بامر ابن زائدة ، ومضى والعين فرحا ببعده جامدة، والمندل كتاب معروف يتوصل به إلى استحضار الروحانية .

وما احسن قول شهاب الدين الحاجي المصري من ابيات :

يا صاح عللني بكاس مدامة عن ذكره ان الحبيب مملل
صهباء ان جن الفتى بخمارها فيها شفاء وفي شذاها المندل

والمندل في هـذا المعنى احد اصناف العود الهندي وهو اجوده ، ومزاجـه حار يابس في الثانية ترياق يقوى القلب ، ويسكن الخفقان البارد ويقوي الاحشاء ، وينفع الخلفة السوداوية والدماغ البارد وقد يضر المحرور ويصدعه .

وكان والد السيدة زينب فاضلا عالماً ، وله شعر ومصنفات وتولى المدين والمخا وكان جدها الامام الحسن بن علي احد أئمـة الزيدية غزير العلم كثير الفضل حليا خليقاً بالامامة ، وما رأيت افصح من رسائله وظهر بالجن وأجابه اهل الجبال ، ثم

اسره الاجناد الروميـة ، وأرسله الوزير سنان باشا مع اولاد مطهر إلى بلاد الروم فاعتقل معهم في يدي قلة ، وانقطع خبره . وقيل انه اعقب هناك والله اعلم .

قال بعض الحكماء : العاقل من كان عقله في ارشاد ، ورأيه في امداد ، فقوله سديد ، وفعله حميد ، والاحمق الجاهل كاسد العقل والرأي فقوله سقيم ، وفعله ذميم

قلت : ولا يكفي في الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحـة سمته ، وتسريح لحيته ، وكثرة ملاقته ، إذ كم من كنيف مبيض ، وجلد مفضض.

قال الاصمعي : رأيت بالبصرة شيخاً له منظر حسن ، وعليه ثياب حسنة ، وحوله حاشية وهرج ومرج وعنده دخل وخرج ، فأردت ان اختبر عقله فسلمت فرد علي السلام ، فقلت له: ما كنية سيدنا ؟ قال : ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين! قال الاصمعي : فقلت له مرحباً بك يا ابن نصف القرآن ، وضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ، ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله، وقد يكون الرجل موسوماً بالعقل ، مرموقاً بعين الفضل ، فتصدر منه حالة تكشف حقيقة حاله وتشهد بحمقه ، وقلة عقله واختلاله .

قال ابن الاعرابي : الحماقة مأخوذة من حمقت السوق إذا كسدت فانه كاسد العقل فلا يشاور ولا يلتفت اليه في امر من الامور ، والحمق غريزة رذيلة لا تنفع فيها الحيلة ، فهي داء ودواؤه الموت ، قال الشاعر :

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة اعيت من يداويها

وقال رسول الله ﷺ: الاحمق ابغض الخلق إلى الله إذ احرمه اعز الاشياء عليه ، وهو العقل .

وقال علي بن الحسين زين العابدين : اياك وصحبة الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك .

وقال عيسى على نبينا وعليه السلام: عالجت الابرص والاكمه فابرأتهما وعالجت الاحمق فاعياني .

قيل : اصطحب احمقان في طريق فقال احدهما للآخر : تعال نتمنى على الله فان الطريق ينقطع بالحديث ، فقال احدهما : اتمنى قطائع غنم انتفع بلحمها ودرها وصوفها ونسلها، فقال الآخر: وأنا اتمنى قطائع ذئاب ارسلها على غنمك حتى لاتترك منها شيئاً ، فقال : ويحك اين حق الصحبة وحرمة العشرة ! فتصايحا وتخاصما واشتدت بينهما الخصومة وتماسكا بالاطواق ، فرضيا بأول من يطلع عليهما ليكون حكما بينهما فطلع عليهما رجل بحمارين حامل عليهما زقين من عسل فحدثاه بحديثهما فانزل زق العسل وفتحهما حتى سال العسل جميعه على التراب ، ثم قال : صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا احمقين ، فقالا له : الاحمق من سيب بضاعته .

ويستدل على الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية ، لان مخرجها من الدماغ فمن افرط في طول اللحية قل دماغه ، ومن قل دماغه قل عقله فهو احمق .

وأما صفته من حيث الافعال : فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب من غير تأمل وسرعة الالتفات والخلو من العلم والعجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة .

ومن علامة الاحمق انه ان استغنى بطر وان افتقر قنط ، وان قال افحش ، وان سئل بخل ، وان سأل ألح ، وان قال لم يحسن ، وان قيل له لم يفقه ، وان بكى صرخ ، وان ضحك قهقه !

وممن ذكر بالحذق والرأي : قيل ان القاضي اياس بن معاوية كان من اكابر العقلاء ، وكان عقله يهديه إلى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها ، وقد قدمنا في هذا الكتاب شمة من خبره ، وكان من جملة الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح ، والفكر القادح ، انه كان بالبصرة رجل مشهور بين الناس بالامانة ، فاتفق ان رجلا أراد ان يحج فاودع عند ذلك الرجل كيسا فيه جملة دراهم من الذهب ، فلما عاد من الحج جاء إلى ذلك الرجل يطلب منه كيسه فانكره وجحده ، فجاء إلى القاضي اياس وقص عليه القصة ، فقال له القاضي : هل اخبرت

أحـــد غيري ؟ قال: لا ، قال : فهل علم الرجل انك اتيت إلي ؟ قال : لا ، قال : انصرف واكتم امرك ثم عد لي غداً مبكراً ، فانصرف ، ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له : قد حصل عندي من الأموال ما لا يحصى وأردت ان اودعها عندك ، فاذهب وهيء لي موضعاً حصيناً فمضى ذلك الرجل وحضر الرجل صاحب الوديعة ، فقال له : القاضي اياس : امض إلى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدك فقل له نمضي انا وأنت إلى القاضي اوالحاكم ، فلما جاء دفع اليه كيسه فجاء إلي القاضي واعلمه بذلك وشكره ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء إلى القاضي اياس طامعاً في تسليم المال اليه ، فسبه القاضي وابطل أمانته وقوله ، فكانت هذه مما تدل على عقل القاضي اياس وصحة تدبيره .

قيل : لما قال ابو تمام في المأمون العباسي :

اقدام عمرو في سماحة هاشم ... في حلم احنف في ذكاء اياس

قيل له : ان الخليفة فوق من مثلته بهم ، فقال مرتجلا :

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلا شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

﴿ معنى قوله تعالى : الله نور السموات والأرض ﴾

اشارة إلى قوله تعالى (الله نور السموات والارض) يعني هادي اهل السموات والارض ، ويقال معناه ولكن يهدي من يشاء كما بين في آخر الآية (يهدي الله لنوره من يشاء) ويقال معناه الله منور السموات والارض ، أما السموات : فنورها بالشمس والقمر والكواكب ، وأما الارض : فنورها بالعلماء والعباد بدليل قوله تعالى (مثل نوره) فاضاف النور اليه ، وبدليل ما قال في سياق القصة (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

وروى عن ابي العالية قال ، معناه الله منور قلوب أهل السموات وقلوب

أهل الأرض بالمعرفة والتوحيد ، يعني من كان أهـلا للايمان ، ثم قال : مثل نوره يعني مثل نور معرفته في قلوب المؤمنين كمشكاة فيها مصباح يعني مثل كوة فيها سراج ، ويقال المشكاة الكوة التي ليست بنافذة ، وهي بلغة أهل الحبشة .

وروي في قراءة ابن مسعود مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة فيها مصباح ثم وصف فقال المصباح في زجاجة ، يعني كمثل سراج في قنديل في كوة في بيت فكذلك الايمان والمعرفة في قلب المؤمن ، والقلب في الصدر ، والصدر في الجسد ، فشبه القلب بالقنديل ، وشبه الماء الذي في القنديل بالعلم ، وشبه الدهن بالرفق وحسن المعاملة ، وشبه الفتيلة بالاسان ، وشبه النار بالخوف ، وقوله في زجاجة أي في قلب مضيء .

ويقال : انما شبه القلب بالزجاجة لأن ما في الزجاجة يرى من ظاهر ، ويتبين ذلك في أعضائه ، ويقال : ان الزجاجة تسرع الكسر بادنى آفة تصيبها ، فكذلك القلب أدنى آفة تدخل فيه فانه يفسد ثم وصف الزجاجة فقال الزجاجة كأنها كوكب دري يعني استنار القنديل لضياء الزجاجة كأنها كوكب دري ـ من قرأ بضم الدال ـ فهو منسوب إلى الدر ، أي يشبه في ضوئه الدر ، ومن قرأ بكسر الدال يعني الذي يدرأ عن نفسه ، يعني لا يكاد يقدر اليه النظر من شدة ضوئه ، يوقد هذا المصباح من شجرة أي ابتداء تقويه من زيت شجرة الزيتون ، يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع ، او لانها انبتت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين .

وقيل بارك فيها سبعون نبياً ، منهم ابراهيم عليه السلام زيتونة بدل من شجرة نعتها (لا شرقية ولا غربية) أي منبتها الشام ، يعني ليست من المشرق ولا من المغرب ، بل في الوسط منهما ، وهو الشام ، وأجود الزيتون زيتون الشام ، وقيل : ليست ممن تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط ، بل تصيبها في الغداة والعشي جميعاً ، فهي شرقية غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، وصف الزيت بالصفاء ، وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور ، أي هـذا

النور الذي شبهه الحق جل وعلا نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية مما يقوى النور ، وهذا لان المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه ، والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة ، وكذلك الزيت وصفاؤه ، وضرب المثل بدني محسوس معهود لعلي غير معاين ولا مشهود يهدى الله لنوره ، أي لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده ، أي يوفق لاصابة الحق من يشاء من عباده بالهام من الله اوبنظره في الدليل ، ويضرب الله الامثال للناس تقريباً إلى افهامهم ليمتبروا فيؤمنوا والله بكل شيء عليم ، فيبين كل شيء بما يمكن ان يعلم به ، انتهى .

اللهم نور قلوبنا بنور معرفتك ، ولا تقنطنا من رحمتك ، يا ارحم الراحمين يا رب العالمين .

﴿ ترجمة أبي الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ﴾
(ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين)
(ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام)
(أحد الأئمة الإثنى عشر)

قال ابن خلكان قال الخطيب في تاريخ بغداد : كان الامام موسى الكاظم يدعى العبد الصالح ، لعبادته واجتهاده .

وروي انه دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة في أول الليل وسمع وهو يقول في سجوده : عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يااهل التقوى ويا اهل المغفرة ، فجعل يرددها حتى اصبح .

وكان سخياً كريم النفس ، وكان يبلغه عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها الف دينار ، وكان يصر الصرر من اربعمائة دينار ، وثلاثمائة دينار ، ومائتي دينار ، ثم يقسمها بالمدينة .

وكان يسكن المدينة فاقدمه المهدي العباسي ببغداد وحبسه ، فرأى الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وهو يقول له : يا محمد فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم !

قال الربيع : فارسل إلي المهدي ليلا فراعني ذلك ، فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية : وكان احسن الناس صوتاً ، فقال علي بموسى بن جعفر فجئته به ، فقام اليه وعانقه وأجلسه إلى جنبه وقال له : ياابالحسن اني رأيت اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في النوم وهو يقرأ علي هذه الآية أفتؤمنني ان لا تخرج علي ولا على احد من اولادي ، فقال : والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني ، قال : صدقت ، ياربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى اهله إلى المدينة .

قال الربيع : فاحكمت امره ليلا فما اصبح إلا وهو في الطريق خوفاً من العوائق وأقام في المدينة إلى ان استخلف هارون الرشيد بن المهدي ، فقدم هارون منصرفا من عمرة شهر رمضان سنة تسع وتسعين ومائة فحمل معه موسى الكاظم إلى بغداد وحبسه بها إلى ان مات في محبسه .

وذكر ايضاً ان هارون الرشيد حج وأتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه موسى ابن جعفر «ع» فقال هارون : السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمي ، افتخاراً على من حوله ، فقال الامام موسى الكاظم : السلام عليك يا ابت ، فتغير وجه هارون وقال : هذا الفخر يا ابا الحسن . انتهى كلام الخطيب .

وقال ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب في اخبار هارون الرشيد : ان عبد الله بن مالك الخزاعي كان على دار هارون وشرطته قال : اتاني رسول هارون الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط ، فنزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي ، فراعني ذلك فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فاذن لي في الدخول عليه ، فدخلت فوجدته قاعداً على مصلاه فسلمت فسكت ساعة ، فطار عقلي وتضاعف الجزع علي ، ثم قال لي : يا عبد الله

هل تدري لم طلبتك في هذا الوقت ؟ فقلت : لا والله يا امير المؤمنين ، فقال : انى رأيت في نومى الساعة كأن الحسين بن علي بن ابى طالب عليه السلام قد اتانى ومعه حربة فقال : ان خليت عن موسى بن جعفر وإلا نحرتك بهذه الحربة ! فاذهب فخل عنه ، قال : فقلت له مستفهما يا امير المؤمنين الساعة اطلق موسى بن جعفر ـ ثلاثاً ـ قال : نعم ـ ثلاثاً ـ امض الساعة فاطلقه وأعطه ثلاثين الف درهم وقل له ان احببت المقام عندنا فلك ما تحب ، وان احببت المضى إلى اهلك فالاذن في ذلك اليك ، قال فلما مضيت إلى الجسر لاخرجه فلما رآني الامام موسى بن جعفر وثب إلي قائماً وظن انى قد امرت فيه بمكروه ، فقلت له: لا تحزن ولا تخف فقد امرني باطلاقك وانى دافع اليك ثلاثين الف درهم ، وهو يقول لك ان احببت المقام عندنا فلك عندي ما تحب ، وان احببت المضي إلى اهلك بالمدينة فالاذن لك في ذلك ، واعطيته ثلاثين الف درهم وخليت سبيله وقلت له : لقد رأيت من امرك عجباً ؟ قال : فانى اخبرك بينما انا نائم إذ اتاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي : يا موسى حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات فانك لاتبيت الليلة في الحبس ، فقلت بأبي انت وامي يارسول الله ما اقول ؟ قال : قل يا سامع كل صوت ويا سابق كل فوت ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت أسألك باسمائك الحسنى وباسمك الاكبر الاعظم المكنون المخزون الذى لم يطلع عليه احد من المخلوقين ، يا حليما ذا أناة لا يعجز عن اناة ياذا المعروف الذي لا ينقطع ابداً ولا يحصى عدداً فرج عني فكان ما رأيت .

وله اخبار ونوادر كثيرة ، وكانت ولادته يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة سبع وعشرين ومائة ، وقال الخطيب سنة ثمان وعشرين ومائة بالمدينة المنورة ، وتوفى لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وقيل : ست وثمانين ومائة ببغداد ، وقيل : انه توفى مسموما من الرشيد .

وقال الخطيب : توفى بالحبس ، ودفن في مقابر الشونيز خارج القبة ، وقبره مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه من قناديل الذهب والفضة وانواع الآلات

والفرش ما لا يحـد ، وهو في الجانب الغربي عليه السلام ، جعلنا الله من المحبين له ولآبائه الكرام .

وكان الموكل به ايام حبسه ابن شاهك السندي جد كشاجم الشاعر المشهور والله اعلم واحكم .

﴿ لطيفة ﴾

جاء بعض المجانين إلى بعض القضاة فقال : يا سيدي امرأتي قحبانا ، فقال : طلقانا ، قال : عشقانا ، قال : قودانا .

قيل : رفعت امرأة زوجها إلى بعض القضاة تبغي الفرقة ، وزعمت ان زوجها يبول في الفراش كل ليلة ، فقال الرجل للقاضي : لا تعجل يا سيدى علي حتى اقص عليك قصتي ، انى ارى كل ليلة في منامى كأنى في جزيرة في بحر وفيها قصر مرتفع ، وفوق القصر قبة عالية ، وفي القبة جمل وأنا على ظهر ذلك الجمل وان الجمل يطأطيء رأسه ليشرب من البحر ، فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضى ذلك بال في ثيابه ، وقال: يا هذا أنا قد اخذنى البول من هول حديثك فكيف بمن رأى ذلك الامر عياناً يبول ثم يبول ، إذهبا عني .

﴿ ذكر نوادر أهل حمص ﴾

وحكي ان تاجراً عبر حمصاً فسمع مؤذناً يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأهـل حمص يشهدون ان محمداً رسول الله ، فتعجب التاجر من ذلك وقال : والله لامضين إلى الخطيب واسأله عن هذا الامر ، فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على فرد رجـل ، ورجله الأخرى متلوثة بالعذرة ، فتعجب من ذلك أيضاً ، ومضى إلى المحتسب ليخبره بالخبر فسأل عنه ، فقالوا : هو بالجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالساً وبين يديه باطيـة مملوءة بالخمر وفي حجره مصحف ، وهو

يحلف للناس بحق المصحف ان الخمر صرف ليس فيها ماء ، وقد ازدحمت عليه الناس وهو يبيع ، فقال : والله لامضين إلى القاضي واخبره ، فجاء إلى القاضي ودفع باب المحكمة فانفتح ، فوجد القاضي نائماً وعلى ظهره غلام يفعل به ، فقال الرجل : لعن الله أهل حمص وقلب عاليها سافلها ، فقال له القاضي : لم تقول هذا الكلام ، فاخبره بجميع ما رأى ، فقال القاضي : اسمع يا جاهل أما مؤذننا فانه كان حسن الصوت ليس مثله في البلد ، وقد مرض فاستأجرنا يهوديا يؤذن لنا لحسن صوته ، فهو يقول ماسممت . وأما الخطيب فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالمذرة وضاق الوقت عن غسلها فاخرجها من الصلاة واعتمد على رجله اليسرى ، ولما فرغ غسلها ، وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الاكرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره ويبيعه خمراً ويحلف للناس على المصحف انه غير مشوب بالماء لتزول الشبهة عن قلوبهم ، ثم يصرف ثمن ذلك الخمر في مصالح الجامع ، وأما انا فان هـذا الغلام مات ابوه وخلف له مالا كثيراً ، وقد حجبـه وكيله وقد كبر الغلام وجاء إلي بجماعـة يشهدون انه بلغ الاحتلام ، ويطلب ماله من وكيله ، فاردت ان اختبر في ذلك لأعرف هل بلغ ام لا ، فخرج التاجر من البلد وهو يلعن ، وحلف ان لا يعود اليها طول عمره .

وحمص هذه مدينة عظيمة بينها وبين دمشق مائة ميل ، وارض حمص خمس من اخماس الشام ، وهي مدينة ليس لها سور ، وحصنها في وسطها ولا يدخلها حية ولا عقرب ، واول من ابتدأ الحساب أهلها لانهم كانوا تجاراً ، وبها نهر عظيم منه يدخل اهلها .

افتتحها ابو عبيدة بن الجراح وفيها نظافة وملاحة إلا ان اهلها موصوفون بالحماقة كما تقدم لك ، حتى ان اهل بغداد إذا عبروا عن الاحمق قالوا حمصي ونوادرهم كثيرة .

ذكروا ان واحداً من علمائهم قال لآخر : عليك بالسنة حتى تدخل الجنـة

قال : وما السنة ؟ قال : حب ابي بكر بن عفان ، وعمر بن الصديق ، وعثمان بن الفاروق ، وعلي بن ابي سفيان ، ومعاوية بن ابي طالب ، فقال له صاحبه : من معاوية بن ابي طالب ؟ قال : كان صلى الله عليه وسلم رجلا عابداً من حملة العرش وكاتب المؤمنين وحامل لواء الوحي ووصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ابنته عائشة جدة فاطمة الزهراء .

ومات لقاضي حمص ولد فلما أراد ان يدفنه قال للحفار أضجعه على جنبه الايسر فانه يهضم الطعام ، وأهل حمص مع ذلك الحمق اهل نجدة لمجاورتهم العدو .

وقال بعضهم : دخلت حمص فرأيت رجلا جالساً بباب الجامع على كرسي وعليه عمامة كبيرة محتبك بها على قلنسوة ، وقد لبس فروة مقلوبة ، وهو بلا سروال ، وقد تقلد بسيف وفي حجره مصحف يقرأ فيه ، وعنده كلب رابض ممسك بعقوده فسلمت عليه فرد علي السلام ، فسألته هل صلى الناس ؟ فقال لي : انت اعمى ما تراني قاعداً على الكرسي ، فقلت له : ومن انت ؟ قال : انا ابو خالد امام الجامع فقلت له : ما هذه الضوضا والجلبة ؟ قال : ورد علينا رجل زنديق يقرأ السبع الطوال ويسب ابابكر الصناديق ، وعمر الفواريق وعثمان بن ابي سفيان ، ومعاوية ابن عفان الذي هو من حملة العرش وزوجه النبي صلى الله عليه وآله ابنته عائشة في زمن الحجاج ، فاستولدها الحسن والحسين ، فقلت له ماأعرفك بالانساب ؟ فقال وما خفي عنك اكثر ! فقلت له : اتحفظ القرآن ؟ قال : نعم ، قلت ، اقرأ لنا شيئاً منه ، فقال ، بسم الله الرحمن الرحيم ، إذ قال لقمان لابنه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً فمهل الكافرين امهلهم رويداً ، قال فصفعته صفعة حتى رميت عمامته عن رأسه ، فصاح فأتى الناس إلي افواجا فلزموني وقال لهم ، امضوا به إلى المحتسب ، فأتوا بي اليه فنظرت اليه ، فاذا هو رجل طويل مكشوف الرأس حافي الاقدام قد لبس دراعة وهو بلا سروال ، فلما نظر اليهم وإلي قال لهم ما فعل هذا ؟ قالوا له قد صفع امام المسجد ، فنظر إلي شزراً وقال يا مسكين قد

اهلكت نفسك والله ، قلت الحكم لله ، فقال لي انما أحب اليك قلع عينك ام قطع يديك ام تدفع نصف درهم وتخلص نفسك ، قال فرفعت يدي وصفعت المحتسب صفعة اشد من صفعة الامام ، ثم اخرجت درهما ، وقلت خذ هذا الدرهم يا سيدي نصفه لامامك ونصفه لك وانصرفت سالماً غانما .

وقال بعض الشعراء في اهل حمص :

كأنهم اهل حمص لا عقول لهم ... بهائم غير معدودين في الناس

قالت الحكماء : من ادب ولده صغيراً سره كبيراً ، ومن ادب اولاده ارغم حساده .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يحب .

ويروى العلم في الصغر كالنقش في الحجر ، والعلم في الكبر كالكتابة على الماء .

ومن اخبار الهزليات في اخبار المعلمين للصبيان ، قيل طلب الربيع حماد عجرد ليؤدب ولده ، فكتب اليه بشار بن برد :

يا ابا الفضل لا تنم ... وقع الذئب في الغنم
ان حماد عجرد ... ان رأى غفلة هجم
بين فخذيه حربة ... في غلاف من الادم
ان خلا البيت ساعة ... نقط الميم بالقلم

فطرده الربيع .

وقيل : كان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رضى الله عنه جميل الوجه جداً فدخل عليه عبد الصمد بن عبد الاعلى معلم الوليد بن هشام ، وكان زنديقاً فراوده عن نفسه فسبه سعيد وخرج مغضباً فدخل على هشام وانشده :

انه والله لو لا انت لم ... ينج مني ابداً عبد الصمد

فقال هشام : ولم قال ؟

انه قد رام مني خطة　　لم يرمها قبله مني احد

فقال هشام : وما هي ؟ قال :

رام جهلا بي وجهلا بأبي　　يدخل الافعى إلى غيل الاسد

فضحك هشام وقال : لو قتلته لم انكر عليك .

قلت : لله در سعيد هذا فقد ابدع في كنايته واستعارته ، ولا عجب فانه من بيت ثلاثة شعراء في نسق ، وكان شعره هذا سبب ابعاد عبد الصمد من تأديب أولاد الخلفاء .

فلما كان سادس شوال عام الف ومائة وستة وثلاثين من هجرة النبي المفضال خرجنا من برهانبور إلى بندر سورت المعمور ، وكان الطريق مخوفا ، فمشينا مرحلة ثم اخذنا رفيقاً من الغنيم ، شيطاناً رجيم ، وجعلنا له سبعين روبية هندية ، على ان يوصلنا إلى بندر سورت المحمية ، والرفيق يسمونه نايك ، اوقعه الله في المهالك فلم نزل نسير في بلاد الغنيم ، ولم نر منهم ما نكره ، بسبب الرفيق الذي اخذناه بالاجرة ، فمررنا على بلدة نيابور ، بلدة للغنيم معمور ، وقد كانت للسلطان فملكها الغنيم في هذا الزمان ، فخرج الينا بيلوجي مقـدم الغنيم في موكب عظيم ، وحصل لنا منه التعظيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وارسل صحبتنا ثلاثة خيالة ، وثلاثة رجالة ، وامرهم ان يوصلونا إلى بندر سورت ، ولم يأخذوا منا درهما ولا دانق ، والحمد للخالق الرازق .

فلما اسفر صبح تاسع عشر شوال دخلنا بندر سورت في أسر حال ، ونزلنا في دار بحارة مرجان شاهي ، وزالت عنا الهموم والاوصاب ، واجتمعنا بالاصدقاء والاحباب ، والحمد لرب الارباب .

من تفسير ابي علي الطبرسي عند قوله تعالى : (انمـا التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) .

اختلف العلماء في معنى قوله تعالى (بجهالة) على وجوه ، أحدها : ان كل معصية يفعلها العبد جهالة ، وان كانت على سبيل العمد ، لانه يدعوه اليها الجهل ويزينها له .

عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وقتادة ، وهو المروي عن ابي عبد الله « ع » قال : كل ذنب عمله العبد وان كان عالماً به فهو جاهل ، حين خاطر بنفسه في معصيته

فقد حكى سبحانه وتعالى قول يوسف « ع » لاخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه إذ أنتم جاهلون) فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم في معصية الله تعالى .

وثانيها : ان معنى (بجهالة) انهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة ، كما يعلم الشيء ضرورة من الضراء .

وثالثها ان معناه : انهم يجهلون انها ذنوب ومعاصي فيفعلونها أما بتأويل يخطؤن فيه ، وأما بان يفرطوا في الاستدلال على قبحها .

عن الجبائي وضعف الرماني هذا القول بانه خلاف ما اجمع عليه المفسرون ولانه يوجب ان لايكون لمن علم انها ذنوب توبة ، لان قوله تعالى (انما التوبة) يفيد انها لهؤلاء لا لغيرهم ، والله اعلم بالصواب .

من الكافي في باب المعيشة في باب عمل السلطان عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) قال : الرجل يأتي السلطان فيحب بقاءه إلى ان يدخل يده إلى كيسه فيعطيه .

في آخر المجلس السادس والسبعين من (أمالي ابن بابويه) كتب هارون الرشيد إلى ابي الحسن موسى الكاظم عليه السلام المتقدم ذكره : عظني وأوجز ، قال : فكتب اليه ما من شيء تراه عينك إلا وفيه موعظة .

سئل الشيخ ابو سعيد عن التصوف ، فقال : استعمال الوقت بما هو اولى به وقيل : التصوف هو الانقلاع عن العلائق ، والانقطاع إلى رب الخلائق .

كتب بعض امراء بغداد على باب داره شعراً .

ومن المروة للفتى ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها واعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما وعدت وهذي ساخره

ولابن زبلاق في غلام مليح معه خادم يحرسه :

ومن عجب ان يحرسوك بخادم وخدام هذا الوجه من ذاك اكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر وخدك ياقوت وخالك عنبر

من كلام افلاطون: سرك عورة من عوراتك فلا تبذله إلا لمأمون عليه البتة

ومن كلامه : احفظ ناموسك يحفظك .

ورأى رجلا ورث من ابيه ضياعا فأتلفها في مدة يسيرة ، فقال : الارضون تبتلع الرجال ، وهذا الرجل يبتلع الارضين .

ومن كلام سقراط : لا تظهر لصديقك المحبة دفعة واحدة ، فانه متى رأى منك تغيراً عاداك .

ومن كلام فيثاغورس : إذا أردت أن يطيب عيشك فارض من الناس أن يقولوا انك عديم العقل ، بدل قولهم انك عاقل .

كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويتحلف له ليحمل اليه مائة الف في البر ومائة الف في البحر ، فاراد عبد الملك ان يكتب اليه جوابا موجزاً شافياً ، فكتب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ان يكتب إلى محمد بن الحنفية رضى الله عنه كتابا يتهدده فيه ويتوعده بالقتل ، وان يرسل اليه ما يجيبه به ، فكتب الحجاج اليه ، فاجابه محمد بن الحنفية رضى الله عنه بقوله : ان لله تعالى في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه ، وأنا أرجو أن ينظر إلي نظرة يمنعني بها منك ، فبعث الحجاج بهذا الجواب إلى عبد الملك ، فكتبه عبد الملك إلى ملك الروم ، فلما قرىء عليه قال : والله ما خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة !

قال بعض الحكماء : الحذر من اتخاذ الاصدقاء والاخلاء .

وقال بعض الزهاد : لو ان الدنيا ملئت سباعا وأفاعي ما خفتها ، ولو بقي فيها واحد من الناس لخفته .

وقالوا : استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر .

وقال بعض الحكماء : ما بقي في الناس غير حمار راع او كلب نابح ، او أخ فاضح .

وقال ابو الدرداء : كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه.

وقال بعض الحكماء : احذر الناس فما ركبوا سنام بعير إلا ادبروه ، ولا ظهر جواد إلا عقروه ، ولا قلب مؤمن إلا خربوه .

وقال خالد بن صفوان : الناس اصناف فنهم كالكلب لا تراه طول الدهر إلا هراراً على الناس ، ومنهم كالخنزير لا تراه إلا قذراً ، ومنهم كالقرد تراه يضحك من نفسه .

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام : أقلل المعارف وانكر من عرفته من الناس .

وقال بعض الصالحين البلغاء : بلوت الناس طراً فلم اجد إلا من يرى الحق باطلا ، والباطل حقاً ، واللئيم مرفوعا ، والكريم ملقاً ، والنصح غشاً ، والغش نصحاً ، والمدح هجاء ، والهجاء مدحاً ، وفي ذلك :

تساوى أهل دهرك في المساوي فما يرجون للامر النجيح
وصار الناس كلهم جميعاً فما يستحسنون سوى القبيح
وصار الجود عندهم جنوناً فما يستعقلون سوى الشحيح
وكانوا يغضبون من الاهاجي فصاروا يغضبون من المديح

وقال بعض الخلفاء يصف اخواناً له : احظى الناس لديهم من احسن اليهم ، فان قصر عنهم رفضوه وذموه وأبغضوه ، أن حضر داهنوا ، وان

غاب شاحنوا :

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا　　شراً أذاعوه وان لم يسمعوا كذبوا

ولقد احسن في التحذير من قال :

اياك ان تصطفي ممن ترى احداً　　ولا تثق بامرىء في حالة ابداً

من عاش منفرداً لم يأته ندم　　على اتخاذ صديق في الانام غدا

وقال سفيان الثوري للحسن البصري : دلني على من اجلس اليه ، قال : تلك ضالة لا توجد ، فقيل له : ما الصديق ؟ قال : اسم وضع على غير مسمى ، وحيوان غير موجود ، قال الشاعر :

سمعنا بالصديق ولا نراه　　على التحقيق يوجد في الانام

واحسبه مقالا نمقوه　　على وجه المجاز من الكلام

وقال الامام علي عليه السلام : الوحشة من الناس على قدر المعرفة بهم .

وقال وهيب بن الورد : صحبت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر زلة ، ولا أقال عثرة ، ولا ستر عورة .

وقال علي عليه السلام : إذا كان الغدر طبعاً فالثقة بكل احد عجز .

قال الشاعر :

أما الوفاء فشيء قد سمعت به　　وما وجدت له عيناً ولا اثرا

فمن توهم في الدنيا أخا ثقة　　فانه جاهل لا يعرف البشرا

وقال آخر :

لك الخير مافي الناس من هو منصف　　وكل وداد فهو منهم تكلف

وكل وان عاهدته فهو ناقض　　لعهدك او واعدته فهو يخلف

وأبناء هذا الدهر كالدهر لم يثق　　به وبهم إلا جهول مسوّف

قلت : لقد صدق والله هذا الشاعر في هذا الكلام ، وما بقي في دهرنا هذا إلا كل ثقيل احمق نمام .

وما احسن ما قيل في ثقيل :

وثقيل إذا تخفف يوما كان ثقل الجبال طولا وعرضا
شكت الارض من جفاء وقالت يا إلهي حملت ارضك ارضاً

وقال آخر :

وثقيل بدالنا صير الافق مظلماً
دار للشرق وجهه حول الغرب للسما

وكان سليمان بن مهران الاعمش إذا رأى ثقيلا قال: ربنا اصرف عنا العذاب انا مؤمنون .

وكان ابوهريرة إذا رأى ثقيلا او استثقل رجلا قال اللهم اغفر له وارحنا منه

وقال سليمان بن مهران الاعمش : من فاتته صلاة الصبح فليلمن ثقيلا .

وقال ايضاً : ما رأيت ثقيلا إلا وشكت عيني ثقله .

وقال بعض الملوك لبعض الاطباء : جس نبضي ؟ فجسه وقال : مزاجك معتدل إلا انى ارى فيك تكديراً ، فهل جالسك اليوم ثقيل ؟ قال : نعم ، قال : هذا سببك .

وقيل لارسطا طاليس : لم صار الثقيل أثقل من الحمل الثقيل ؟ قال : لان الحمل تشترك الاعضاء في حمله ، والثقيل ينفرد القلب بثقله .

وقال بختيشوع للمأمون لا تجالس الثقلاء ، فان الفلاسفة قالوا : مجالسة الثقلاء حمى الروح .

وقال رجل لابى العيناء : ان الله لم يأخذ من عبد كريمتيه إلا عوضه خيراً منهما ، فما الذي عوضك ؟ قال : انى لا ارى ثقيلا مثلك .

ونظم ابو علي الحسن بن ابى الطيب الباخرزي أبياتاً في امام ثقيل ما وجد من جوره مقيل ، وهى :

وأثقل روحا من خفاف عقنقل أخف دماغاً من جنوب وشمأل

يؤم بنا في الخمس قطع خمسه وام بصخر حطه السيل من عل

يطيل قياماً في المقام كأنه منارة قس راهب متبتل

ويفحش في القرآن لحناً كأنما يشد بامراس إلى صم جندل

فقلت له لما تمطى بصلبه واردف احجاراً وناء بكلكل

وزاد ابن عمي ركعة في صلاته وقد فاض حتى بل دمعي محملي

ألا ايها الشيخ المطيل صلاته ألم يكن التسليم منك بأمثل

ودخل ثقيل على الصاحب بن عباد فاطال الجلوس وابرم في المحادثة ، فكتب الصاحب رقعة وأعطاه اياها فاذا فيها مكتوب :

ان كنت تزعم ان الدار تملكها حتى نقوم ونبغي غيرها دارا

او كنت تعلم ان الدار املكها فقم لكي تذهب الاشجان والعارا

وقيل في رجل ثقيل : له جسم كالخيال وروح كالجبال .

وقال آخر في رجل وابيه :

ألا يا ثقيل الروح وابن ثقيلها ارى الثقل طبعاً في ابيك وفيكا

ابوك امام الناس في الثقل مقتدي وانت ولي العهد بعد ابيكا

وقصد حماد الراوية دار مطيع بن اياس فحجب عنه فكتب اليه يسأله الدخول عليه

هل لذي حاجة اليك سبيل لا يطيل الجلوس فيمن يطيل

فاجابه لما قرأ كتابه :

انت ياصاحب الكتاب ثقيل وكثير من الثقيل القليل

وقال الناجم يذم ثقيلا :

ياقوة الناس ويا ضعف الامل ياحيلة المملق اعيته الحيل يازحل الدهر ومريخ الدول

وقيل : فلان ثقيل من موت الخناق ، وكتاب الطلاق ، وفقد الحبيب ، وطلعة الرقيب ، فلان اشد من خراج بلا غلة ودواء بلا علة ، فلان وخز في الفؤاد وسقم في الاجساد ، والله ما الحمام مع الاضرار ، وكثرة الديون مع الافتقار ،

وشدة السقم في الاسفار ، بآلم من لقائه :

وثقيل أمر من غصص الموت ومن كربة العذاب الاليم
لو عصت ربها الجحيم لما كان سواه عقوبة للجحيم

ووصف بعض الناس ثقيلا فقال : لا ارى كيف لا تحمل الامانة ارض حملته وكيف احتاجت إلى الجبال بعد ما اقلته كأنما قربه فقد الحبائب ، وسوء العواقب وكأنما وصله عدم الحياه ، وموت الفجاه :

إذا ما تبدى طالعاً فكأنه حضور غريم او طلوع رقيب
وان جاء نحوي قاصداً فكأنه كتاب بعزل او فراق حبيب

قال المحقق الطوسي في التحرير : إذا قام عمودان متساويان على خط ، ووصل طرفاهما بخط آخر كانت الزاويتان الحادثتان بينهما متساويتين .

مثلا : قام عمود أب ح٦ المتساويان على ب٦ ووصل أح فحدث بينهما زاويتان بأح ٦حأ فهما متساويتان ، وفصل أ٦ب ح متقاطعين على ٥ فيكون في مثلثي أب٦ ح٦ب ضلعا أب ب٦ وزاوية أب٦ القائمة مساوية لضلعي ح٦ ٦ب وزاية ح٦ب القائمة كل لنظيره ، ويقتضي ذلك تساوي بقية الزوايا والاضلاع النظائر ، وبتساوي زاويتي أ٦ب حب٦ يكون ب٥ ٥٦ متساويين ، ويبقى أ٥ ح٥ متساويين ، فيكون زاويتا ٥أح ٥حأ متساويتين وكانت زاويتا ٦أب ب ح٦ متساويتين ، فيكون جميع زاوية بأح مساوية لجميع زاوية ٦حأ ، انتهى كلام المحقق الطوسي .

وقال العلامة المحقق المدقق الشيخ بهاء الدين محمد العاملي المتقدم ذكر ترجمته ما هذا لفظه وبوجه آخر إذا كان مثلثا أب٦ ح٦ب متساويين ، فمثلثا أ٥ب ح٥٦ ايضاً متساويان لتساوي زاويتي بأ٥ ب٥أ وضلع أب لزاويتي ٦ح٥ ٥٦ح وضلع ٦ح وبتساوي ضلعا أ٥ ح٥ فزاويتا أح متساويتان بالمأمونى ويلزم ما اردناه .

ثم اقول وبوجه آخر وهو : انه إذا تساوى مثلثا أب٦ ح٦ب واسقطنا المشترك

وهو مثلث ب٥٦ ، بقي مثلثا أ٥٦ ح٥٦ متساويين ويلزم منه تساوي زاويتي أح .

ثم اقول وبوجه آخر، بشكل آخر وهو ان تنصف ب٦ على٥ وتصل أ٥ح٥ فضلعا أ ب٥ ، وزاوية ب كضلعي ح٦ ٥٦ وزاوية ٦ ، فزاويتا ب أ٥ ٦ ح٥ متساويتان ، وكذلك ضلعا أ٥ ح٥ ، فزاويتا ٥أح ٥ح أ متساويتان بالمأمونى . فمجموع زاوية ب أح تساوي مجموع زاوية ٦ ح أ ، وذلك ما أردناه . وهذا الوجه اخصر من وجه المحرر بكثير كما لا يخفى فافهم والله بكل شيء عليم .

﴿ ترجمة أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي ، وزير معز الدولة ﴾

قال الثعالبي في يتيمة الدهر : هو من ولد قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة كان من ارتفاع القدر واتساع الصدر ، ونبل الهمة وفيض الكف ، وكرم الشيمة على ما هو مشهور ومذكور .

وأيامه معروفة في وزارته لمعز الدولة ، وتدبير امور العراق ، وانبساط يده في الاموال مع كونه غاية في الأدب والمحبة لاهله . وكان يترسل ترسلا مليحاً وينظم الشعر قولا لطيفاً ، يضرب بحسنه المثل ، ولا يستحلى معه العسل يغذي الروح ، ويجلب الروح كما قال بعض اهل العصر :

بأبي من إذا أراد سروري عبرت لي انفاسه من عبير

وسباني ثغر كدر نضيد تحته منطق كدر نثير

وله طلعة كنيل الاماني او كشعر المهلبي الوزير

قال الثعالبي حدثني ابو بكر الخوارزمي وابو نصر سهل بن المرزبان وابو الحسن المصيصي دخل حديث بعضهم في بعض فزاد ونقص ، قالوا : كانت حالة المهلبي الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسي منها قذي عينيه

وشجى صدره ، فبينما هو ذات يوم في بعض اسفاره مع رفيق له من اصحاب الجراب والحراب ، إلا انه من اهل الآداب ، يقال له ابو عبد الله الصوفي ، وقيل ابو الحسين العسقلاني إذ لقي في سفره نصباً ، واشتهى اللحم ، فلم يقدر على ثمنه فقال ارتجالا في ذلك .

ألا موت يباع فاشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي يخلصني من العيش الكريه
إذا ابصرت قبراً من بعيد وددت لو انني مما يليه
ألا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاة على اخيه

فاشترى له رفيقه لحماً بدرهم واحد كي يسكن به رمقه وتحفظ الابيات وتفارقا ، وضرب الدهر ضرباته حتى ترقت حال المهلبي إلى اعظم درجة من الوزارة فقال :

رق الزمان لفاقتي ورثى لطول تحرقي
وانالني ما ارتجي وأذال مما اتقي
فلأصفحن عما جناه من الذنوب السبق
حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كلكل من كلاكل الدهر ثقل عليه بركه ، وهاضه تركه فقصد حضرته وتوصل إلى ايصال رقعة تتضمن ابياتاً ، منها :

ألا قل للوزير فدته نفسي مقالة مذكر ما قد نسيه
اتذكر إذ تقول لضنك عيش ألا موت يباع فاشتريه

فلما نظر فيها تذكره ، وهزته اريحية الكرم للحنين اليه ، ورعاية حق الصحبة فيه ، ومشى على حكم من قال :

ان الكرام إذا ما ايسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأمر له عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع في رقعته : (مثل الذين ينفقون

اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملا يرتفق به ويرتزق منه .

قال الثعالبي ونظير البيتين قول بعضهم :

قل للوزير أدام الله دولته أذكرتنا زمناً والخبز خشكار
إذ ليس في الباب بواب لخدمتكم ولا حمار ولا في الشط طيار

وحكى ابواسحاق الصابي في كتاب التاجي قال : كان لمعز الدولة ابي الحسين غلام تركي يدعى تكيز الجامدار ـ بالقاف المعجمية ـ أمرد رومي الوجه منهمك في الشرب لا يعرف الصحو ولايفارق اللعب واللهو ، ولفرط ميل معزالدولة اليه وشدة اعجابه به جعله رئيس سرية جردها لحرب بني حمدان .

وكان المهلبي يستظرفه ويستحسن صورته ، ويرى انه من عدد الهوى لا من عدد الوغى فقال فيه :

ظبي يرق الماء في وجناته ويرق عوده
ويكاد من شبه العذارى فيه ان تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره سيفاً ومنطقة تؤده
جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده

فما اسرع من أن كانت الدائرة على هذا القائد وخرج الامر على ما اشار به الوزير المهلبي ، ومما يستحسن في هذا المعنى قول ابن المعتز في وصف خادم :

عجبت لتأمير الرجال مقرطقاً ينوء بخصر في القباء هضيم
يذكر عزاب الجيوش إذا بدا بخد كعاب او بمقلة ريم

قال الثعالبي وذكرالصابي ان اباعيينة المهلبي الذي استفرغ تشبيبه في صاحبته دنيا من عمومة الوزير ، وكان الوزير المهلبي يحفظ اكثر اشعاره ويتأسف على ما فاته من زمانه ، فمنها قوله :

اني وصلت مفاخري لاب حاز الفخار وطاول العليا

واجاب داعيه وخلفني وحديثه فكانما يحيي
وتلوت عمي في تغزله وشربت ريا من هوي ريا
فكأنني أهوى صبابته وكأنها في حسنها دنيا

وقوله لما تقلد الوزارة :

لقد ظفرت والحمد لله منيتي بما كنت اهوي في الجهارة والنجوى
وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته من الارض فاستقررت في الرتب العليا
وقلبت من شعر العميني حلة تعاون فيها الطبع والمهجة الحرا
فحركني عرق الوشيجة والهوى لعمي واملت بي إلى الرحم القربى
فيا حسرتا ان فات وقتي وقته ويا محنة تمضي وتتبعها اخرى
ويا فوز نفسي لو بلغت زمانه وبغيته دنيا وفي يدي الدنيا
فلكته من اهل دنيا وأرضها ففاز بما يهوى وفوق الذي يهوى

ما اخرج من شعره في وصف كتاب لابن العميد ، فمن ذلك قوله :

ورد الكتاب مبشراً قلبي بأولاد السرور
وفضضته فوجدته ليلا على صفحات نور
مثل السوالف والخدود البيض زينت بالشعور
بنظام لفظ كالثغور وكالعقود على النحور
انزلته في القلب منزلة القلوب من الصدور

وقوله :

وصل الكتاب طليعة الوصل بغرائب الافضال والفضل
فشكرته شكر الفقير إذا اغناه رب العرش بالبذل

وقوله من اخرى :

ورد الكتاب فديته من وارد فله بقلبي من حياتي مورد
فرأيت دراً عقده متنظما في كل فصل منه فصل مفرد

ما اخرج له في الغزل وغيره ، فمن ذلك قوله :

أراني الله وجهك كل يوم ... صباحا للتيمن والسرور
وامتع ناظري بصفحتيه ... لاقرا الحسن من تلك السطور

وقوله :

يا هلالا يبدو فيزداد شوقي ... وهزاراً يشدو فيزداد عشقي
زعم الناس ان رقك ملكي ... يكذب الناس انت مالك رقي
قال لي من احب والبين قدجد ... ودمعي مواصل بالشهيق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ... قلت ابكي عليك طول الطريق

وكانت ولادته ليلة الثلاثاء لاربع بقين من المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين بالبصرة ، وتوفي يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة في طريق واسط ، وحمل إلى بغداد فوصل اليها ليلة الاربعاء لخمس خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ودفن بمقابر قريش في مقبرة النوبختية .

والمهلبي – بضم الميم وفتح الهاء وتشديد اللام المفتوحة وبعدها باء موحدة – وهذه النسبة إلى المهلب بن ابي صفرة .

ولما مات الوزير المذكور رثاه ابو عبد الله الحسين بن حجاج الشاعر المشهور بقوله :

يا معشر الشعراء دعوة موجع ... لا يرتجى فرج السلو لديه
عزوا القوافي بالوزير فانها ... تبكي دما بعد الدموع عليه
مات الذي امسى الثناء وراءه ... والعفو عفو الله بين يديه
هدم الزمان بموته الحصن الذي ... كنا نفر من الزمان اليه
فليعلمن بنو بويه انه ... فجعت به ايام آل بويه

كان في جبل لبنان رجل من العباد منزويا عن الناس في غار في ذلك الجبل ، وكان يصوم النهار ويأتيه كل ليلة رغيف يفطر على نصفه ويتسحر على النصف

الآخر ، وكان مقيما على ذلك الحال مدة من الزمان لا ينزل من ذلك الجبل أصلا ابداً فاتفق انه انقطع عنه الرغيف ليلة من الليالي فاشتد جوعه وقل هجوعه ، فصلى العشاء وبات تلك الليلة في انتظار شيء يدفع به الجوع فلم يتيسر له شيء .

وكان في اسفل ذلك الجبل قريه سكانها نصارى ، فعند ما اصبح العابد نزل اليوم فاستطعم شيخاً منهم فاعطاه رغيفين من خبز الشعير ، فاخذهما وتوجه إلى الجبل وكان في دار ذلك النصرانى كلب اجرب مهزول فلحق العابد ونبح عليه وتعلق باذياله ، فالق اليه العابد رغيفاً من الرغيفين ليشتغل به عنه ، فاكل الكلب ذلك الرغيف ولحق العابد مرة اخرى واخذ في النباح عليه والهرير ، فألق اليه العابد الرغيف الآخر ، فاكله ولحق به مرة ثالثة واشتد به هريره وتشبث بذيله ومزقه فقال له العابد : سبحان الله انى لم ار كلباً أقل حياء منك ، أن صاحبك لم يعطنى إلا رغيفين وقد اخذتهما مني فماذا تطلب بهريرك وتمزيق ثيابي . فانطق الله الكلب فقال له لست أنا قليل الحياء ، اعلم انني ربيت في دار هذا النصرانى احرس غنمه واحفظ داره واقنع بما يدفعه لي من خبز او عظام وربما نسيني فابقى أياما لا آكل شيئاً بل ربما يمضى علينا ايام لا يجد هو شيئاً لنفسه ولا لي ، وأنا مع ذلك لم افارق داره منذ عرفت نفسى ولا توجهت إلى باب غيره بل كان دأبى انه إذا حصل لي شيء شكرت وإلا صبرت ، وأما انت فبانقطاع الرغيف عنك ليلة واحدة لم يكن عندك صبر ولا كان لك تحمل حتى توجهت من باب رزاق العباد ، إلى باب نصراني كثير الفساد ، وطويت كشحك عن الحبيب ، وصالحت عدوه المريب ، فقل أينا أقل حياء أنا أم أنت ؟ فلما سمع كلامه العابد ضرب على رأسه بيديه وخر مغشياً عليه ، وتاب إلى الله الكريم من ذنبه فتاب عليه .

اللهم تب علينا وعلى امة محمد اجمعين بحرمة حبيبك محمد وآله الطاهرين وصحبه الميامين أجمعين آمين .

﴿ سؤال لبعض أهل الذمة ، وجوابه لبعض علماء الاسلام ﴾

سؤال لبعض أهل الذمة يتعلق بمسئلة القدر والأفعال الصادرة من الموجودات ، وهو :

أيا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوني بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني وسد الباب دوني فهل إلى الدخول سبيل بينوا لي قضيتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا فها أنا راض بالذي فيه شقوتي
فان كنت بالمقضى يا قوم راضياً فربي لا يرضى بشؤم بليتي
وهل لي رضى ماليس يرضاه سيدي وقد حرت دلوني على كشف حيرتي
إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة فها انا راض باتباع المشيئة
وهل لي اختيار ان اخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين علتي

أقول قد وقع الاختلاف في هذه المسألة بين مذهب الجبرية ، ومذهب الشيعة ، ومذهب السنة ، ومذهب إمام الحرمين ، ومذهب الاستاذ ابي اسحاق ، ومذهب القاضي الباقلاني .

فالجبرية قالوا : لا فاعل إلا الله سبحانه والعبد مجبور في جميع افعاله واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وقوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ومثل ذلك من الآيات المصرحة بعدم اختيار العبد في كل شيء وعليهم رداً واعتراضات كثيرة ليس هذاموضعها .

والشيعة قالوا : ان للعبد قدرة مؤثرة مستقلة بها يخلق افعاله ، واستدلوا بدليل عقلي ، قالوا : ان القول بالجبر مكابرة للمحسوس ، والقول بقول السنة يلزم عدم قيام الحجة لله على خلقه ، فالحق ان للعبد قدرة مؤثرة بها يخلق افعاله إذ لو لم تكن له لبطل التكليف والتأديب ، وارتفع المدح والذم والثواب والعقاب ، ولم يبق

للبعث فائدة ، وعليهم اعتراض من طرف السنة يطول شرحه .

والسنة قالوا : ان للعبد قدرة حادثة غير مؤثرة في الفعل بها يصح منه اختيار الفعل والترك ، واستدلوا بان علم الله الازلي تابع لمعلومه الازلي ، فرتبة المعلوم سابقة على العلم ، فالله سبحانه وتعالى علم الاشياء بجميع ما هي عليه وأبرزها في الوجود طبق ما علم لكون العلم تابعاً للمعلوم الذي هو ما هيات الموجودات ، فاعطى كلاماً علمه منه لا تبديل لما علم ولا تغيير .

وامام الحرمين قال : ان للعبد قدرة مؤثرة لكن تأثيرها بالايجاب والاضطرار ويلزمه مالزم الجبرية فانه ينظر إلى المحرك لهذه القدرة ويتسلسل فيه فاما ان ينتهي إلى القدرة القديمة ، فيرجع إلى انها هي التي حركته او لا يرجع فيلزم التسلسل إلى غير نهاية فانحصران المحرك له هو القدرة ، الازلية ، فاذن لا تقوم بفعله لله عليه حجة ويبطل التكليف ويرتفع به المدح والذم والثواب والعقاب فيلزمه ما لزم من تقدم .

والاستاذ ابو اسحاق قال : ان المؤثر مجموع القدرتين في اصل الفعل ، وهذا المذهب يلزمه القول بالجبر وضياع التكليف مثلا إذا أراد الله تحريك جسم وأراد زيد سكونه ، فاما ان يقع المرادان معاً وهو ظاهر الاستحالة او لا يقع شيء منهما وهو مستحيل لامتناع خلو الجسم عن الحركة والسكون او يقع احدهما ، فيلزم الترجيح بلا مرجح لان التقديران القدرتين مؤثرتان .

والقاضي الباقلاني قال : ان المؤثر قدرة الله تعالى في اصله وقدرة العبد في وصفه ، ومثل لذلك بضرب اليتيم تأديباً او ايذاء ، فان اللطمة وقعت بقدرة الله تعالى وكونها طاعة او معصية بقدرة العبد وهذا أيضاً يلزمه ما لزم من تقدم فانه لو تعلق علم الله باحد الوصفين فلا بد ان يقع فصار مجبوراً وان كان ليس مستقلا بها بل هي لله سبحانه فيلزمه ما لزم الجبرية ، انتهى .

وما اقول في هذه المسألة إلا ما نطق به الحديث النبوي في آخر حديث

ابي أمامة الباهلي (يعمل كل قوم لما خلقوا له أهل الجنة بعمل أهل الجنة وأهل النار بعمل أهل النار) انتهى .

وذكر الامام الغزالي في الاحياء : انه نقل في الاخبار السالفة ان نبياً من الانبياء شكا إلى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشرين سنة فما اجابه ، ثم اوحى اليه كم تشكونى ولست اهلا للذم والشكوى وانت احق بالذم والشكوى هكذا كان بدؤك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض ، وهكذا سبق لك مني ، وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا ، افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ؟ أم تريد ان ابدل ما قدرت عليك حتى يكون ما تريد دون ما اريد وما تحب دون ما احب ، وعزتى وجلالي لئن اختلج هذا في صدرك مرة اخرى لأمحونك من ديوان النبوة ، فهذه الآيات والاحاديث تفيد أن الاصل هو سابقة العلم لا بالافعال .

وقال الامام الاشعري : ان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، لكن أراد يكونوا كافرين كما علم فان الارادة تابعة للعلم ولا يريد إلا ما علم ، انتهى .

وأما سؤال الذمى المذكور آنفاً فقد اجاب عنه شخينا امام اهل العرفان وخلاصة الصوفية اولياء الرحمن المحقق المدقق العلامة الفهامة مولانا الشيخ محمد بن ابن احمد عقيلة الاحمدي الشناوي الصوفي الحنفى المكى نفعنا الله به وبعلومه بجوابين شافيين . احدهما نظما والثانى نثراً ، فالنظم هو هذا :

ألا أيها الذمى من جاء سائلا	هديت إلى برهان قطمي حجتي
صدقت بأن الله قاض بكفركم	ولكنه لم يرض ذاك بجملة
دعاك وما سدت عليك مسالك	واعطاك طبق العلم فارجع بحسرة
فاحسانه ما سد يا ذا وإنما	حقائقكم لا تقبلن للمليحة
قضى ربنا فيكم بعلم لذاتكم	فابرز كم من غيبة للشهادة

فكم قابليات لذاتك اقبلت	بكفر وعصيان وقبح وفتنة
وارجع على نفس وقل ان ربنا	حكيم وما يقضي سوى طبق حكمة
قضى فاستحقت ذاتنا للذي قضى	لما سبقن في علم رب البرية
وانك راض ان ربي هو الذي	قضى بشقائي غافلا عن حقيقتي
وذلك زور ان تأملت صادقا	فما اعطاك ربي طبق علم بحكمة
وصلي إلهي بالشؤون جميعها	على جامع الاسماء ذخري وعمدتي
وآل كرام شرفوا باتباعه	واصحابه اهل التقى والمروة

والنثر هو هذا :

اعلم أن علم الله سبحانه وتعالى هو اول المراتب ، وقضاء الله تابع لعلمه ، ولما علم الله سبحانه ان الخلق على قسمين ، قسم علمهم باستعداد الايمان والرحمة وقسم علمهم بضد ذلك ، فقضى على كل بطبق ما علم ، فقوله :

إذا ماقضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

ليس بين قضاء الله ورضاه تلازم فان قضاء الله تابع لعلمه ، وعلمه تابع للمعلوم الذي هو استعداد ما هيات الاشياء ، فأوجد الله الكافر وقضى عليه طبق ما علمه فيه من الاستعداد لئلا ينقلب العلم جهلا ، فليس بين قضائه ورضاه تلازم لما تقرر ، وقوله : دعاني وسد الباب إلى آخره . . . دعاه سبحانه إلى الايمان لتقوم عليه الحجة ، ان لم يؤمن بأن ما علمناه منك لا يتغير ، وما سد دونه الابواب لكن ليس في استعداده المعلوم لله الا عدم الدخول ، فلم يظلمه سبحانه وتعالى بل اعطاه ماهو فيه ، وقوله : قضى بضلالي ، ثم قال ارض بالقضا ، إلى آخره ، يقال له : ان كان رضاك بالقضاء من حيث ان الله سبحانه وتعالى انما قضى عليك لكونه علم انك لا تقبل غير ذلك وان هذا هو استعدادك فلا بأس فيرجع اللوم عليك والحجة لله عليك وان كنت راضياً بالقضاء بحيث انه فعل معك ما لا تستحقه ، فهذه زيادة على الكفر نسبتك الحق للظلم ـ تعالى الله عن ذلك ـ وهذا هو السبب

في لعن ابليس ، ولهذا السر منع الشرع الاحتجاج بالقدر ولما فيه من نسبة القبح إلى الله سبحانه وتعالى ، فينبغي ان الانسان لا ينظر إلى ماقدر عليه إلاوينظر ان الله سبحانه وتعالى علم ان هـذا هو استعداده فيرجع على نفسه على القدر ، فان القدر تابع للعلم ولذا رد الله سبحانه على القائلين ، وقال (الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) حيث احتجوا بمشيئة الله ولم ينظروا إلى ماوراء ذلك من سبق العلم الازلي بأنهم مااستمدوا إلا لما شاء الله فيهم فهم وان كانوا صادقين في انه لا يمكن ان يكون شيء إلا مشيئة الله سبحانه وتعالى كما قال (وما تشاؤن إلا ان يشاء الله لـكن غلطوا وكذبوا) حيث جعلوا السبب هو المشيئة والقضاء والقدر ولم يجعلوه استعدادهم الـكفر في العلم الازلي ، وقوله : فان كنت بالمقضى إلى آخره ، يقال له ان كان رضاك بالمقضى على جهة انك لا تستحقه ولم تستعده ماهيتك ، فهذا لا يرضى به الله لـكونه كذبا عليه وزوراً فان الله ما اعطاك إلا ما تستحقه ذاتك وما علمه في قابليتك .

روي ان ابليس قال يارب كيف تأمرني بالسجود لآدم وما اردته مني ؟ فقال الله له : هل علمت ذلك قبل الامتناع أم بعده ؟ فقال : بعده ، فقال : بذلك آخذتك ، يعني آخـذتك باسناد الامتناع إلى ارادتي خصوصاً وأنت لم تطلع على ذلك إلا بعد فكان المطلوب منك ان تعرف اني لم أرد بك ذلك إلا لـكون استعدادك لذلك فتلوم نفسك ولاتسند الامتناع إلى ارادتي ، فكذلك رضي القائل بالمقضي على جهة اسناد الامتناع إلى ارادة الله ، هو المأخوذ به ، وقوله : فهل رضى إلى آخره نعم ليس لنا ان نرضى ما لا يرضى سيدنا سبحانه وتعالى وقد تقدم ان الله لا يرضى الـكفر ولا يرضى ان يرضاه العبد ، ولا يرضى ان يسنده إلى قضائه من غير نظر إلى استحقاقه ذلك لما في ذلك من اسناد الظلم اليه سبحانه وتعالى ، وقوله: إذاشاء مني الـكفر إلى آخره ، هـذا مثل الاول وهو قوله : إذا ما قضى ربي ، فان كان الرضى بمشيئة الله لـكونها تابعة لعلمه سبحانه وتعالى الذي انكشف فيه استعداد

كل مخلوق ثم شاء ذلك كما علمه ثم ابرزه كما شاءه ، فتكون الحجـة لله واللوم على نفسه لـكونه سبحانه وتعالى ما شاء منه إلا ما علمه في استعداده ، وقوله وهل لي اختيار ان اخالف حكمه إلى آخره ، ليس لاحـد ان يخالف حكم الله ، ومن قال : بالقدرة فقد كفر بالله سبحانه وتعالى ومع ذلك فلله الحجة عليه كما تقدم ، انتهى كلامه رفع مقامه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وانصاره وحزبه ، والحمد لله رب العالمين .

ويعجبني قول ابي اسحاق الصابي وقـد جمع ضروبا مما يعظمه أهل كل ذي دين ويدين به ، وهو :

كل الورى من مسلم ومعاند ... للدين منه فيك اعدل شاهد
فاذا رآك المسلمون تيقنوا ... حور الجنان لدى النعيم الخالد
وإذا رأى منك النصارى ظبية ... تعطو ببدر فوق غصن رائد
اثنوا على تثليثهم واستشهدوا ... بك إذ جمعت ثلاثة في واحـد
وإذا اليهود رأوا جبينك لامعاً ... قالوا لدافع دينهم والجاحـد
هذا سنا الرحمن حين ابانه ... لـكليمه موسى النبي العابد
وترى المجوس ضياء وجهك فوقه ... مسود فرع كالظلام الراكـد
فتقوم بين ظلام ذاك ونور ذا ... حجج اعدوها لـكل معاند
اصبحت شمسهم فكم لك فيهم ... من راكع عند الظلام وساجـد
والصابئون يرون انك فردة ... في الحسن اقراراً لفرد ماجـد
كالزهرة الزهراء انت لديهم ... مسعودة بالمشتري وعطارد
فعلى يديك جميعهم مستبصر ... في الدين من غاوي الطريق وراشد
اصلحتهم وفتنتني وتركتني ... من بينهم اسمي بدين فاسد

﴿ فائدة في الكلام على لسان الوحوش مع بعضها ﴾

فائدة ذكرها ابن الجوزي في كتاب الاذكياء ، والحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء قال : مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد للذئب: إذا حضر الثعلب فاعلمني، فلما حضر اعلمه بذلك، فقال له الاسد: أين كنت يا ابا الفوارس ؟ قال : كنت أتطلب لك الدواء ! قال : فاى شيء اصبته ؟ فقال : قيل لي خرزة توجد في عرقوب ابي جعدة ! ـ يعنى الذئب ـ لانه يكنى بابى جعدة ، قال : فضرب الاسد بيده عرقوب الذئب فادماه ، فلم يجد شيئاً ، فخرج ودمه يسيل على رجليه ، وانسل الثعلب من بين يدى الاسد ، فمر به الذئب فناداه الثعلب يا صاحب الخف الاحمر إذا قعدت عند الملوك فانظر ما ذا يخرج منك ، فان المجالس بالامانات .

وقيل : خرج الاسد والذئب والثعلب للصيد فاصطادوا حماراً وضباً وغزالا ثم جلسوا فقال الاسد للذئب اقسم علينا ، فقال : حمار الوحش لي ، والغزال لابى الحارث ، والضب للثعلب ، فضربه الاسد بيده على رأسه فرماه ، وقال للثعلب : اقسم بيننا ، فقال الثعلب حمار الوحش لابى الحارث يتغداه ، والغزال لابى الحارث يتعشاه ، والضب فيما بينهما ، فقال الاسد : لله درك ما اعرفك بالفرائض من علمك هذا القضاء ، قال علمنيه القضاء الذي نزل برأس الذئب .

وقيل : ان الثعلب مر عند الفجر بديك يصيح على رأس شجرة فأتى عليه وقال : أما تنزل نصلي انا وأنت صلاة الصبح ؟ فقال له : الديك : ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه ، فنظر الثعلب فرأى خلف الشجرة كلباً كبيراً نائماً ! فضرط الثعلب وولى هاربا ، فناداه الديك تعال حتى نصلي ، فقال : قد انتقض الوضوء فاصبر حتى اجدد واعود اليك !

وذكر المبرد في الكامل: ان صديقاً له اصطاد ارنباً وله ذكر وفرج ، وقيل

التقطت الارنب تمرة فاختلسها الثعلب فلطمته ولطمها فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الارنب : يا ابا حسل ، فقال : سميعاً دعوت ، قالت : اتيناك لنختصم ، قال عادلا اتيتما ، قالت : فاخرج الينا ، قال : في بيته يؤتى الحكم ، قالت : اني وجدت تمرة ، قال : حلوة فكليها ، قالت : فاختلسها مني الثعلب ، قال لنفسه اراد الخير ، قالت : فلطمته ، قال : بحقك اخذت ، قالت فلطمني ، قال : حر انتصر ، قالت فاقض بيننا ، قال : قد قضيت ، فذهبت اقواله مثلا !

ومن عجائب حكمة الخلاق الرزاق في قسمة الارزاق ، ان الذئب يصطاد الثعلب فيأكله ، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله ، والقنفذ يصيد الحية فيأكلها ، والحية تصيد العصفور فتأكله ، والعصفور يصيد الجراد ، والجراد يصيد الزنبور والزنبور يصيد النحلة والنحلة تصيد البعوضة ، والبعوضة تصيد النملة ، والنملة تصيد كل ما تيسر لها من صغير وكبير ، فتبارك الملك الكبير .

فلما اسفر وجه الصباح بالتهاني عن رابع عشر ربيع الثاني سنة الف ومائة وسبع وثلاثين من هجرة الرسول الامين ، رحلنا من بندر سورت بندر الاجواد إلى مدينة الخير احمد آباد صحبة الجناب المستطاب ، التاجر الرئيس صاحب الخلق والخلاق النفيس الحاج عبد النبي بن الحاج كاظم الدرويش وصهره الشيخ علي الكربلائي ، والجناب التاجر المكرم الحاج حسن الدورقي ، فررنا في طريقنا على اكايسر وبروح وبرودة - وقد سبق ذكر هذه البلدان - ثم انا رحلنا من برودة فسلكنا طريقا يقال له بانكانير ، وهو طريق نحس صعب لا به بركة ولا خير سوى القتل والحرب ، والطعن والضرب من لئام الكفرة الكولية الانجاس الحربية ، ولم اعرف لهؤلاء الكولية مذهباً من مذاهب الكفار ، وهم ألعن جنس في كفرة الهند سرقة اشرار فشينا مرحلتين في ارض هؤلاء الكفرة برب المشرقين والمغربين ثم اتينا في ثالث اليوم على نهر عظيم يقال له نربدة فاتى الينا الكولية ، واخذوا من القافلة جملة من الروبيات الهندية ، حتى انهم رضوا بأن نعبر النهر ، فعبرنا

قريب المصر بالف تعب وضجر، فلم نشعر إلا وقد وصل الينا جماعة من الطرف الآخر واخبروا أن في الطريق قوماً غيرهم ينتظرون وصول القافلة لينهبوها فاخذوا ايضاً من القافلة دراهم معدودة على انهم يسيرون بها من طريق آخر فادركنا الليل وبتنا في بعض قراهم، ونلنا المشقة التامة من اذاهم، وكانت لنا معهم ليلة يالها من ليلة أمر من الليلة الملسوع، لم تأخذ عيننا فيها الهجوع، ثم رحلنا عند الصباح، ونحن موقنون بذهاب الاموال والارواح فخرجنا من ارضهم عند الزوال وكفى الله المؤمنين القتال ثم اتينا على قرية من قرى اولئك الملاعين، الكفرة الشياطين، وحاكم تلك القرية يسمى بانوجي، فخرج الينا ذلك اللئيم، بجمع من الكولية عظيم وأراد نهب القافلة فاعطيناه شيئاً من المال، وصارعنا بلا حرب ولا نزال، ثم اتينا عند الغروب على بلدة يقال لها ترياد وهي من البلدان السلطانية، سالمة من الاذية، من الكفار الكولية بلدة لطيفة، وبها يصطنع حلوى المشبك الظريف، ونوع آخر باللبن الحليب يسمى كدوا وهو شيء لطيف، فبتنا بها ليلتنا وقلنا نهارنا، ثم بتنا.

فلما اصبح الصباح، رحلنا منها وقد زالت الاتراح فلم نزل نسير في امان، بين بلدان السلطان، وأتينا على قرية لطيفة تسمى محمود آباد.

فلما كان عصر ثالث وعشرين من ربيع الثاني دخلنا بعون مقيل العثرات، مدينة كجرات، فرأيتها مدينة جليلة، عظيمة مثيلة، كثيرة الخيرات، نامية البركات، بمنظرها البديع تسبيك. قال لي بعض من رأى مصر انها اكبر من مصر بلا تشكيك، بناها السلطان احمد احد ملوك الهند غير التيمورية وهي تنسب اليه وقبره بها وهو من الرخام اللطيف المنقوش بعجائب النقش الملون، بغرائب الالوان، وعليه قبة بناؤها عجيب، صنعة حكيم لبيب، وله مزار عظيم، وخيرات عظيمة، تقسم كل يوم على الفقراء والمساكين إلى زماننا هذا، وعلى المدينة سور رفيع مكين وحصن منيع حصين، والمدينة على نهر عظيم، وبها القصور العالية، والبدور المنيرة السامية والاسواق العامرة العظيمة والنعم الوافرة العميمة والبساتين

والاشجار والورود والازهار والمياه والاطيار ، وبها الانب الفاخر الذي عرفه كالمسك والعنبر ضائع يرد الشيخ الى المراضع ، ويباع بثمن بخس ويجلب منها إلى سائر البلدان القماش الفاخر من سائر الاشكال والالوان كالقطني والكمخاب ، وما اشبه ذلك .

واليها ينسب الولي العارف بالله تعالى الشيخ هارون الكجراتي صحب الشيخ الولي الخواجة معين الدين الجشتي المدفون بازمير مدينة من مدن الهند المشاهير وتوفى الشيخ هارون المذكور بمكة المشرفة وقبره بسوق الليل تحت دار الشريف احمد بن حازم وعليه قبة وله مزار وهو إلى الآن يزار وينسب اليها الولي العارف بالله العالم العلامة الشيخ على المتقي الكجراتي توفى بمكة المشرفة ودفن بالمعلاة ، وله ذرية في مكة المشرفة إلى الآن ، فنزلت في (كوتة بارجة) يعنى حارة الفرضة بدار السيد الكريم الماجد الشهم اللطيف الحبيب ، الحسيب النسيب ، الخل الصادق الوفي الذي حديث جوده مشهور في الانام غير خفي ، مولانا وعزيزنا السيد يوسف بن الرئيس الجليل الكريم النبيل السيد محمد النجفي وقد كان هذا السيد مشهوراً بالكرم وفعل الخيرات والاحسان ، لا يسمح بمثله الزمان داره مأوي الضيوف ، وهو بحسن الاخلاق والشيم معروف وموصوف وما برح في رياسة قمساً ، يزداد كرماً وهمة كلما اصبح وامسى ، إلى ان دعاه إلى قربه مولاه . فاجابه من بندر ديول ولياه رحمه الله ، وكانت وفاته عام الف ومائة وتسع وثلاثين ، من هجرة النبي الامين ، وهذا حال الدهر يلقط الجواهر الجياد ، ويدع الاوغاد .

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقى الذين حياتهم لا تنفع

واجتمعت بحاكم كجرات عم الوزير نظام الملك الامير حامد خان ، وبالامير المظفر المعان ، شجاعت خان ، وباخيه الفارس الكريم المشهور الامير رستم علي خان وباخيه الشجاع الكريم قلي خان ، وبامير الجليل الكريم النبيل ، الرئيس المثيل ، الذي لم يسمح بمثله الزمان ، الامير الخطير مهر علي خان ، وبولديه الكرام ، الامير

أشرف الدين خان ، والامير خانه زاد علي خان وبالرئيس التاجر صاحب الفضل علينا والاحسان ، الشيخ عبد الستار بن المرحوم ميا عثمان ، وبالجناب التاجر الذي من بمحله المقل يطيش الحاج كاظم الدرويش ، وبالتاجر الرئيس الحاج صالح الاصفهاني فاكرمني ورعاني ، وقضيت بحمد الله من احمد اباد جميع المصالح على ما يهوى المراد والحمد لله على كل حال انه كريم متعال .

﴿ ترجمة أبي الحسن الإمام على الرضا بن موسى الكاظم ﴾
(ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن)
(الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام)

كان قد زوجه المأمون بابنته ام حبيب ، وجعله ولي عهده ، وقد قدمنا ذكر بيعة المأمون له في هذا الكتاب تماما ، فلا حاجة إلى اعادتها ، وكانت ولادته يوم الجمعة في بعض شهور ثلاث وخمسين ومائة ، وتوفى في آخر صفر سنة اثنتين ومائتين وقيل في خامس ذي الحجة ، وقيل ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين بمدينة طوس ، سمه المأمون ، وقد تقدم ذكر ذلك ، وفيه يقول ابو نواس رحمه الله تعالى :

مطهرون نقيات جيوبهم تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا
من لم يكن علويا حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر
الله لما برى خلقاً واتقنهم صفاكم واصطفاكم ايها البشر
فانتم الملأ الاعلى وعندكم علم الكتاب وماجاءت به السور

وفضائل علي بن موسى الرضا ليس لها حد ولا يحصرها عد ، ولله الامر من قبل ومن بعد ، وقد ذكر بعض فضائله ومعجزاته الشيخ محمد بن الحسن الحر في ارجوزة له في ديوانه اختصرنا منها قوله ، فقال واحسن في المقال ، ورحمه الله الكريم المتعال :

وقبره في طوس مشهور بها وهل يكون مثله مشتبها

اولاده ست وقيل خمس	هم الكرام الاكرمون الخمس
محمـــد وحسن وجعفر	ثم حسين كلهم قد ذكروا
كذاك ابراهيم والصبية	عايشة عن الخنا ابيـه
والنص من ابيه والاجداد	عليه ظاهر لذي السداد
تواتر اتى وكم من معجز	أظهره مقتدراً لم يعجز
سقوطه في بركة السباع	من غير ماخوف ولا ارتياع
فخضعت له وما آذته	وقصدت خصما له افنته
أعنى بذاك زينب الكذابه	وكم دعا ففاز بالاجابه
ورفع الريح له الاستارا	فارغم الفساق والفجارا
وفي حديث دعبل عجائب	يفهمها عقل الصحيح الصائب
أخبرهم من خبر الوفاة	عما جرى من المغيبات
وهي كثيرة من العجائب	اكثرها من اغرب الغرائب
وكم وكم رووا له كرامه	ومعجزا دل على الامامه
كلفه المأمون بالخلافـه	فعافها ونعم ما قد عافه
فأكره الرضا بجهده على	ولاية العهد فكرها قبلا
اخبره بانـه سيقتل	من قبله بسمه ثم قتل
وقال لا يتم هذا الامر	لنا كما دل عليه الجفر
كذا بدفنه مع الرشيد	اخبرهم بعلمه السديد
علومه وافرة كثيره	كذا فنون فضله غزيره
وانظر إلى عيون اخبار الرضا	فقد حوى من فضله فوق الرضا
تسبيحه في بطن امه عجب	قد نقلوه وقبوله وجب
وابن المغيرة استفاد منه	بصيرة لما رووه عنه
كذلك الوشاء وهو الحسن	وابن ابي نصر وذاك احسن

كم سائل اراد ان يسأله اجابه فضلا وما ساءله
ورفعه يداً حكت للطالب عشر مصابيح من العجائب
وبحثه التراب حتى ظهرت سبائك من ذهب قد بهرت
سأله السندي ان يدعو له بعلم عن نية قد امله
فسح الرضا على شفته فعلم الجميع في ساعته
وبحثه مع علماء الدنيا معجزة من المزايا العليا
وعلمه بجملة اللغات من اوضح الاعجاز والآيات
إذ لم يكن يعلم اهل البلد ذاك ولا علمه من احد
اخبر بالمغيبات الناسا فاخرس الوسواس والخناسا
وبان في استسقائه عجائب يحار فيها الفكر وهو صائب
ابان في الترب سبائك الذهب فذهب الشك وبئس ماذهب
وسال من يديه في الطشت ذهب فوهب اليقين فيما قد وهب
انبع عين القرية الحمراء فظهر الماء لعين الرائي
واسدين صورا في المسند احياهما كما اتى في المسند
واكلا الحاجب عن امر الرضا وكلماه ومضى واعرضا
وكم دعا على عدو فظهر اجابة الدعاء والامر بهر
وكم شفى الاوجاع والامراضا وذلل الابي حين راضا
وقطعوه بالسيوف قطعا ثم رأوه سالماً فاستمعا
وما بدا من بركات مشهده في كل يوم أمسه مثل غده
وكشف العمى والمرضى به اجابة الدعاء في اعتابه
وطبع الحصاة مرتين وكانتا في يد مرأتين
كلبه الاطيار وهو عجب لكن قبول مثل ذاك يجب
إذ قد اتاه قبله الآباء وقد تواترت به الانباء

وكم طوى الله له الارض وقد سار ساعة إلى أقصى بلد
في ضحوة راح إلى بغدادا فدفن الوالد ثم عادا
كلمه الوحش مرارا فاعجب وليس ذا من مثله بمعجب
رد شباب امرأة بعد الكبر لما دعا وكان من بعض العبر
حبا امرأ وحبذا ما وهبا مخلاة تبن فاستحالات ذهبا
اخرج من شق جدار رطبا فاكلوا وكم اراهم عجبا
وحمل الاسود والافاعيا فكن لما يروون عنه واعيا
واستخرج الماء من الصخور كأنه اللؤلؤ في النحور
وانطق الاحجار والاخشابا فكان شيئاً ظاهراً عجابا
كم ميت احياه لما ان دعا وعاش اياماً رأى وسمعا
وكم وكم من مثل هذا ينقل عنه يعيه من روى ويعقل

لقى الحجاج اعرابياً فقال له: ما بيدك؟ قال: عصاي اركزها لصلاتي، واعدها لعداتي، واسوق بها دابتي، وأقوى بها سفري لحاجتي، واعتمد عليها في مشيتي، لتتسع خطوتي، واثب بها النهر، وتؤمنني من العثر، والقى عليها كسائي فيقيني الحر، ويدفئني من القر، وإلي تدني ما بعد مني، وهي محمل سفرتي وعلاقة اداتي، اقرع بها الباب، واطرد بها الكلاب، وتنوب عن الرمح في الطعان، وعن السيف عند منازلة الاقران، ورثتها عن ابي، وهو ورثها عن جدي، وساورثها ولدي من بعدي، واهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب اخرى.

من استخراج المضمر: مره ليلقى اوله ويخبر بعدد الباقي في حفظه، ثم ليخبر بما عدا ثانيه، ثم بما عدا ثالثه، وهكذا اجمع المحفوظات واقسم الحاصل على عددها بعد القاء محفوظ كل واحد منها، ثم انقص من خارج القسمة المحفوظ الاول فالباقي هو عدد الحرف الثاني، وهكذا في استخراج اسم الشهر المضمر، او البرج المضمر.

مره ليأخذ لكل ما فوق المضمر ثلاثة ثلاثة وله مع ما تحته اثنين ، ثم يخبرك بالمجموع فتلق منه ٢٤ وتمد الباقي من المحرم او من الحمل ، فما انتهى اليه فهو المضمر ، وهكذا في استخراج العدد المضمر .

مره ليلق منه ثلاثة ثلاثة ويخبرك بالباق فتأخذ لكل واحد منه ٨٠ ثم مره ليلق منه سبعة سبعة ويخبرك بالباق فتأخذ لكل واحد منه ٢١ ثم تجمع الحواصل وتلق من المجتمع مائة وخمسة فما بقي فهو المطلوب ، فافهم والله اعلم .

﴿ لطيفة ﴾

حدّث ابن عبد البر قال : حدثني اسحاق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدي قال كان بالمدينة رجل من بنى هاشم ، وكان له جاريتان يقال لاحداهما رشا ، والاخرى جؤذر ، وكان بالمدينة رجل يدعى مزيدا ، وكان مضحكا لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين ، فارسل الهاشمي اليه ذات يوم ليسخر به ، فلما أتاه قال : اصلحك الله انك في لذتك ، وأنا لا لذة لي ، قال : وما لذتك ؟ قال : تحضر لي نبيذاً فانه لا يطيب لي عيش إلا به ، فامر الهاشمي باحضار نبيذ وامر ان يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك وجلس ساعة تحرك عليه بطنه ، فتناوم الهاشمي وغمز الجواري عليه ، فلما ضاق عليه الامر واضطر إلى المبرز فقال في نفسه: ما أظن هاتين المغنيتين إلا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنيف المرحاض ، فقال لهما : يا حبيبتي اين المرحاض ، فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول صاحبنا ؟ فقالت يقول غنيا لي :

رحضت فؤادي وخليتني أهيم مع الحب في كل وادي

واندفعتا يغنيانه . فضربت هذه وزمرت هذه وشربوا اقداحا . فقال في نفسه : لم يفهما والله كلامي ! وأظنهما والله شاميتين وأهل الشام يسمونه المذهب . فقال : ياحبيبتي اين المذهب ؟ فقالت احداهما للاخرى : ما يقول جليسنا ؟

قالت : يقول غنياني :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

فغنياه ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ! لم يفهما والله كلامي . وما اظن القحبتين إلا مدنيتين وأهل المدينة يسمونه بيت الخلاء ، فقال لهما : اين بيت الخلاء فقالت احداهما للاخرى : ما يقول سيدي ؟ قالت يقول غنياني :

خلى علي جوى الاحزان إذ ظعنا من بطن مكة والتسهيد والحزنا

قال : فغنياه وشربوا أقداحا . فقال : انا لله وإنا اليه راجعون ! ما اظن الفاسقتين إلا مصريتين . وأهل مصر يسمونه بيت الحش . فقال : يا سيدتاه اين بيت الحش ؟ فقالت احداهما للاخرى : ما يقول نديمنا ؟ قالت يقول غنياني :

اوحشوني وعز صبري فيهم ما احتيالي وما يكون فمالي

قال : فغنياه وشربوا أقداحا . فقال : ما شاء الله كان ما اظن العاهرتين إلا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونه الكنيف . فقال لهما : يا حبيبتي أين الكنيف ؟ فقالت احداهما لصاحبتها : بعيش سيدنا هل رأيت اكثر اقتراحا من هذا الرجل ؟ فقالت : ما يقول سيدي ؟ قالت يقول غنياني :

تكنفني الهوى طفلا فشيبني وما اكتهلا

فقال : واويلاه واعظم مصيبتا ! هذا والهاشمي يتقطع ضحكا . فقال لهما : يا زانيتان ألم تعلماني فانى اعلمكما . وقد اضجره الحال وضاقت فرأصه ورفع ثيابه وسلح على وجوههن وعلى الفراش . فتصارخوا فانتبه الهاشمي . فقال : ما بالك ويلك تسلح على وطائى ! فقال : حياة نفسى اعز علي من وطائك ! ثم انشد :

تكلفنى السلاح فاضجرونى على ما بى بنيات الزوانى

فلما لم اجد للسلح بدآ ذرقت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمي منه ودفع له صلة جزيلة .

﴿ ترجمة أبي جعفر الإمام محمد الجواد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام ﴾

وبقية نسبه معروف كالشمس في الرابعة ، أحد الأئمة الاثنى عشر .

قال ابن خلكان في تاريخه : قدم الامام محمد الجواد المذكور إلى بغداد وافداً على المعتصم العباسي ومعه امرأته ام الفضل ابنة المأمون فتوفى ببغداد . وحملت امرأته إلى قصر عمها المعتصم . فجعلت مع الحرم .

وكان يروي مسنداً عن آبائه إلى علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فقال لي وهو يوصيني : يا علي ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ، يا علي عليك بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار يا علي أغد باسم الله ، فان الله تعالى بارك لأمتي في بكورها .

ومن كلام الامام محمد الجواد عليه السلام : من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة .

وقال عليه السلام : حدث رسول الله صلى الله عليه وآله ان فاطمة عليها السلام احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار .

واخباره كثيرة ، وهي في مظانها شهيرة ، وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان ، وقيل : منتصفه سنة خمس وسبعين ومائة ، وتوفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة سنة عشرين ومائتين ، وقيل : تسع عشرة ومائتين ببغداد ، وقيل انه مات مسموماً ، سمته زوجته بأمر الواثق او المعتصم ، ودفن عند جده موسى الكاظم وصلى عليه الواثق والمعتصم والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

وفضائل الامام محمد الجواد لايحصرها تعداد ، وقد ذكر ايضاً بعض فضائله ومعجزاته الشيخ محمد بن الحسن الحر رحمه الله في ارجوزة طويلة في ديوانه اختصرنا منها قوله :

نصوصه كثيرة تواترت ومعجزاته كذاك اشتهرت

وما جرى له مع المأمون من موطئات العلم واليقين
ان كان طفلا وبدا ماقد بدا من فضله وعلمه لذي الهدى
وامتحنوه واجاب العلما جواب عالم درى وعلما
ثم امتحنهم فلم يجيبوا وذاك خبر له عجيب
مع كونه ابن سبعة اعواما قيل ابن عشر نقصت اياما
ونبقة يابسة لم تحمل كان توضى تحتها في عجل
فأثمرت واينعت لوقتها نبقاً جنياً باديا من تحتها
وقدطوى الله له الأرض وقد حج سريعاً نحوما كان قصد
من الشآم نحو كوفة مضى ثم اتى يثرب حسبما قضى
ثم اتى مكة بعض اليوم مع رجل وعاد نحو القوم
فحبسوه والامام اخرجه من حبسه لم يدرخلق مخرجه
اخبرقومابالذي قداضمروا فاظهروا من فضله ما اظهروا
اجاب من قبل السؤال السائلا واوضح المشكل والمسائلا
اخبرهم عواقب الامور ابان عن مكنونها المستور
من يثرب إلى خراسان ذهب فدفن الوالد فيها وانقلب
وذاك في يوم وليس بعجب من ذلك المنتجب بن المنتجب
ونطقت عصاه ثم شهدت بانه الحجة لما استشهدت
صاح ملاعب فيبست يده وسقط العود وزال رشده
وكم دعا ففاز بالاجابة وربه لما دعا اجابه
وطبع الحصاة فاعجب منه وكم غريب نقلوه عنه
وسدرة يابسة قد نضرت لما توضا تحتها واثمرت
دعا على جماعة من المدى فزلزل الارض وقدخافوا الردى
واضطربوا ثم دعا فسكنت واضمروا عداوة تمكنت

ونطقه في ساعة الولاده　　معجزة ما فوقها زياده
وبعد يومين كذا تكلما　　وكلمتــه الشاة حين كلما
وورق الزيتون صار فضه　　في يده جيدة مبيضه
كم حج من ليلته وطافا　　وعاد بملامــة ووافى
مــد حــديدة بغير نار　　وطبع الخاتم في الاحجار
وضع يده على الصخور　　فبان فيها اعجب التأثير
وجعل الصيني ماء في القدح　　ورده لما بيده مسح
وكلم الثور فقد كلمه　　وفاه بالتوحيد إذ علمه
وانطق الامام منه فاه　　وقال لا إله إلا الله
عشر سنين كان ثم عمره　　فاختلفوا فيه وغم امره
فقصدوا أمتحانه واجتمعوا　　وعلماء عصره تجمعوا
فسألوه اغرب المسائل　　حتى اجاب سؤل كل سائل
كانت ثلاثين من الالوف　　اوضحها في مجلس مألوف
وأمر المأمون حال سكره　　بقتله فعملوا بامره
وضربوه بالسيوف ضربا　　وقطموا الرأس وشقوا القلبا
وفارقوه قطعاً ذبيحا　　ووجدوه سالماً صحيحا
فعجب المأمون والجماعــه　　واعتذروا اليه مما راعــه
وكم دعا غيثاً فاحيا الارضا　　وابصر الاعمى وابرا المرضى
أخبر بالمغيبات فاعجبوا　　واخذ التراب وهو ذهب
كم مثل هذا نقلوا عنه لنا　　يروي الولي والعدو علنا

﴿ ذكر الهدايا إلى بعض الملوك ﴾

أهدى إلى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية اشياء متباينة في يوم واحـد فيلة من ملك الهند، وجارية من ملك الترك . وفرس من ملك العرب . وجوهرة من ملك الصين . واستبرق من ملك الروم . ودرة من ملك البحر . وجرادة من ملك النمل ، وذرة من ملك البعوض . فتأمل ذلك سليمان فقال : سبحان القادر على جمع الاضداد .

وأهدى ملك الروم إلى المأمون هدية ، فقال المأمون : أهدوا له مائة ضعفها ليعلم عز الاسلام ، ونعم الله علينا ، ففعل ذلك فلما عزم الرسول من عند ملك الروم ، قال : ما اعز الاشياء عندهم ؟ قالوا : المسك والسمور فارسل اليه بهدية فاخرة من جملتها مائتا رطل من المسك ، ومائتا جلد سمور .

وأهـدت قطر الندى إلى المعتضد بالله في يوم نيروز من سنة اثنتين وثمانين هدية ، كان فيها مائة وعشرون صينية مذهب في عشرة منها مشام عنبر وزنها اربعة وثلاثون رطلا ، وخمس خلع وشي ، وخمسة آلاف دينار ، وعملت شمامات ليوم النيروز ، فبلغت النفقة عليها ثلاثة عشر الف دينار .

وأهدى يعقوب بن الليث الصفار إلى المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها عشر بازات منها بازي ابلق لم ير مثله ، ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيها ظرائف الصين وغرائبه ، ومسجدة من فضة بدرقتين يصلى فيها خمسة عشر انساناً ، ومائة منّ من المسك ، ومائة منٍّ من العود الهندي ، واربعـة آلاف دينار .

وأهـدى زياد بن عبيد الله بن الاغلب صاحب الغرب إلى المكتفي بالله سنة احدى وتسعين ومائتين هدايا لها قدر جليل وكان من جملتها مائة خادم ومائة وصيف ومائة جارية ومائة فرس وزرافة وبقر وحش ومائة الف دينار كل دينار عشر دنانير.

وأهدت ثريا بنت الاوباري ملكة افرنجة وما والاها إلى المكتفي بالله سنة مائتين وثلاث وسبعين خمسين سيفاً وخمسين رمحاً وخمسين فرساً وعشرين ثوبا منسوجة بالذهب وعشرين خادماً صقلياً وعشرين جارية صقلية وعشرة كلاب كبار لا يطيقها السباع ، وست بازات وسبعة صقور ، ومضرب حرير يتلون بجميع الالوان ، كلون قوس قزح يتلون في كل ساعة من النهار ، وثلاثة اطيار من بلاد افرنجة إذا نظرت إلى الطعام او الشراب المسموم صاحت صياحاً منكراً وصفقت باجنحتها حتى يعلم ذلك وحمارة وحشية عظيمة الخلقة في قدر البغل آذانها آذان بغل ، مخططة كان التخطيط عام لجميع بدنها .

وأهدت الملكة ابنة قسطنطين إلى المستنصر بالله في سنة أربعمائة وسبعة وثلاثين هدية عظيمة اشتملت على ثلاثين قنطاراً من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية .

وذكر ان الخيزران جارية المهدي وهي ام هارون الرشيد كانت اديبة شاعرة فعزم المهدي على شرب دواء ، فانفذت اليه الخيزران جاماً من البلور يتشمشع حسناً وفيه سكنجبين اختارته له مع جارية بكر ناهدة بارعة الجمال وكتبت اليه تقول :

إذا خرج الامام من الدواء ... واعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب ... بهذا الجام من هذا الطلاء
يفض الخاتم المهدى اليه ... فنعم الرأي ذاك بلا مراء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه احسن موقع ، وزار الخيزران وأقام عندها يومين .

وأهدي ابو اسحاق ابراهيم الصابي إلى عضد الدولة اصطرلابا في مهرجان وكتب معه :

أهدى اليك بنو الاملاك واختلفوا ... في مهرجان جديد انت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى ... سمو قدرك عن شيء يدانيه

لم يرض بالارض يهديها اليك وقـد   اهدى لك الفلك الاعلى بما فيـه

قلت : تأمل بالله في هذا الكلام العجيب ، والمعنى البديع الغريب .

وأهدى رجل إلى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير ، فكلما لطفت ودقت كان ابهى وأحسن ، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير ، فكلما عظمت وجلت كان اوقع وانفع .

أودع تاجر من تجار نيسابور جارية عند الشيخ ابى عثمان الحيري الصوفي فوقع نظر الشيخ عليها يوماً فعشقها وشغف بها ، فكتب إلى شيخه ابي حفص الحداد الصوفي بحقيقة الحال ، فاجابه بالامر بالسفر إلى الري إلى صحبة الشيخ يوسف الصوفي ، فلما وصل إلى الري وسأل الناس عن منزل الشيخ يوسف اكثروا من ملامته ، وقالوا له : يسأل مثلك تق عن بيت فاسق ، فرجع إلى نيسابور واخبر شيخه بالقصة فامره بالعود إلى الري وملاقات الشيخ يوسف المذكور ، فسار مرة ثانية إلى الري فسأل عن منزل الشيخ ولم يلتفت إلى مذمة الناس له وازدرائهم به فقيل له : انه في حارة الخمارة ، فأتى اليه وسلم عليه فرد عليه السلام ، وزاد له في الاكرام ، وكان إلى جانبه صبي بارع الجمال ، وإلى جانبه الآخر جارية فائقة الدلال وقدامه زجاجة مملوءة من شيء كأنه الخمر بعينه ، فقال له الشيخ ابو عثمان: ما هذا المنزل ؟ فقال : ان حاكما ظالماً اشترى بيوت هذه الحارة وصيرها خمارة ، وهذا بيتي وليس لي عوض عنه ، فقال : ما هذا الغلام وما هذه الجارية وما هذه الزجاجة الخمر ؟ فقال: أما الغلام فولدي من صلبي ، والجارية كذلك ، وأما الزجاجة فمملوأة خلا ، فقال له : ولم توقع نفسك في مقام التهمة بين الناس ؟ فقال: لئلا يعتقد الناس انني امين ثقة فيستودعوني جواريهم فابتلي بحبهن ، فبكى ابو عثمان بكاءاً شديداً وزال عنه ما كان يجده من العشق ، وعلم قصة شيخه وتاب إلى ربه ، واستغفر من ذنبه .

من ديوان امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام :

ابنى ان من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل مصيبة في ماله وإذا اصيب بدينه لم يشعر

ومنه ايضاً :

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله إذا كنت فارغا مستريحا
وإذا ما هممت باللغو في الباطل فاجعل مكانه التسبيحا

دخل ابن النبيه على الصاحب صفي الدين فوجده قد حم بقشعريرة ، فقال في الحال :

تباً لحماك التي اضنت فؤادي ولها
هل سألتك حاجة فأنت تهتز لها

وللصفي الحلي في مليح وقعت عليه شمعة فاصابت شفتيه فقال :

وذي هيف زارني ليلة فامسى به الهم في معزل
فمالت لتقبيله شمعة ولم تخش من ذلك المحفل
فقلت لصحبي وقد حكمت صوارم لحظيه في مقتلي
اتدرون شمعتنا لم هوت لتقبيل هذا الرشا الاكحل
درت ان في فيه من شهدها فحنت إلى طبعها الاول

كتبت بعض النساء وهي سكرى على ايوان كسرى :

ولا تأسفن على ناسك وان مات ذو طرب فابكه
ونك من لقيت من العالمين فان الندامة في تركه

﴿ ترجمة مؤيد الدين فخر الكتاب ابو اسماعيل الحسين بن ﴾
(علي بن محمد بن عبد الصمد الاصفهاني المنشيء)
(الكاتب الشاعر المشتهر بالطغرائي)

فاضل سبق الفضلاء في الحلبة ، وتحكم في الافق ، فنظم ونثر شهبه ، له الانشاء المنشيء الجلال والشعر ، الذي ما ترك بهجة للجلال ، حقق ببلاغته خدمة السيف والقلم . كما قال ابن الرومي ما زال يتبع مايجري به القلم في الامم ، فلاميته احسن من لام المذار ، وإذا كان الشعر بحوراً فهو جواهر البحار ، وهو ممن اشتهر فضله ، وذكره عامة المؤرخين .

قال الصلاح الصفدي في الغيث الذي انسجم ، شرح لامية العجم : انه كان وزيراً للسلطان مسعود بن ملك شاه السلجوقي ، ثم سرد مناقبه .

وقال ابن خلكان : انه كان غزير الفضل ، لطيف الطبع ، فاق اهل عصره ، بصفتي النظم والنثر .

وذكر الصفدي ان الطغرائي ممن ظفر بسر الكيمياء . قال : وذكر انه القى المثقال من الاكسير على الف مثقال فعاد شمساً او قمرا ، لكنه قال من قطعة :

ولو لا ملوك الجور اصبحت والحصا لدي إذا ما شئت در وياقوت

وله ديوان شعر جاد فيه ، ومن شعره في الغزل :

ذكرتكم عند الزلال على الظما فلم انتفع من ورده ببلال
وحدثت نفسي بالاماني فيكم وليس حديث النفس غير ظلال
اواعدها قرب اللقاء ودونه مواعيد دهر موعد بمطال
يقرلعيني الركب من نحو أرضكم يزجون عيسا قيدت بكلال
اطارحهم جد الحديث وهزله لاحبسهم عن سيرهم بعقالي
اسائلهم عما اريد وانما اريدكم من دونهم بسؤالي

ويعثر ما بين الكلام ورجعه   لساني بكم حتى ينم بحالي

واطوي على ماتعلمون جوانحي   وأظهر للعذال انى سال

ولا والذي عافاكم وابتلى بكم   فؤادي ما اجتاز السلو ببالي

وقد كنت دهراً لاابالي من النوى   فعلمني الايام كيف ابالي

هذا غزل مطرب ، بل أفق مكوكب ، وما الطف هنا عثرة اللسان بسر المحبة

واذكرني قول ابن مسهر الشاعر المشهور بصر در الشاعر :

لله ايامي على رامة   وطيب اوقاتي على حاجر

تكاد للسرعة في مرها   اولها يعثر بالآخر

أقول: ما لاحد في سرعة مرور ايام المسرة الطف ولا ارشق من هذه العبارة.

وللطغرائي :

لا تيأسن إذا ما كنت ذا ادب   على خمولك ان ترقى إلى الفلك

بينا ترى الذهب الابريز مطرحاً   بالارض إذ صار اكليلا على الملك

قال ابن خلكان: وذكره ابو المعالي الحظيري في زينة الدهر واورد له مقاطيع وذكره العماد الكاتب ، في نصرة الفترة وعصرة القطرة ، تاريخ الدولة السلجوقية ، وقال : انه كان ينعت بالاستاذ .

وذكر الصفدي في اوائل الغيث الذى انسجم : ان السلطان مسعود مخدوم الطغرائى اتفقت بينه وبين اخيه محمود حرب بقرب اصفهان فغلب محمود ، فاول من أسر الاستاذ ابو اسماعيل ، فأتى به إلى وزير محمود الكمال السميري ، فقال الشهاب اسعد وكان طغرائياً في ذلك الوقت : هذا الرجل ملحد ـ يعني الاستاذ ـ فقال وزير محمود : ومن يك ملحداً يقتل ، فقتل ظلماً رحمه الله تعالى .

قال الصفدي : خافوا ان يغلب على محمود ببراعته وكماله ، فتسقط مراتبهم .

وذكر انهم لما ارادوا قتله مروا به فربط إلى اصل شجرة ، واوقفوا امامه جماعة معهم النشاب ليرموه ، وأمروهم ان لا يرموه حتى يؤمروا وامروا شخصاً

فجاء من خلفه ليسمع ما يقول في تلك الحالة ، فسمعه وقد ارتجل يقول وسهام المنايا مفوقة اليه :

ولقد اقول لمن يفوق سهمه نحوي واطراف المنية شرع
والموت من لحظات احور طرفه يرنو وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل ترى فيه لغير هوى الاحبة موضع
اهون به لو لم يكن في طيه عهد الحبيب وسره المستودع

قال الشيخ صلاح الدين : ما هذا ثبات جنان ، بل سبات جنون ، ولقد ازرى بشجاعته على من تقدم ، وفات من تأخر .

وأنا اقول : ما كان قلبه إلا بين جنبي اسد ، بل هو هنا اثبت منه وأشد ثم رموه بالسهام حتى تقطع رحمه الله تعالى سنة ثمان عشرة ، وقيل : اربع عشرة وخمسمائة وقد جاوز ستين سنة ، وفي شعره ما دل على انه بلغ سبعاً وخمسين سنة لانه قال وقد حصل له مولود :

هذا الصغير الذي وافى على كبر أقر عيني ولكن زاد في فكري
سبع وخمسون لو مرت على حجر لبان تأثيرها في ذلك الحجر

وأما لا ميته فقد سار حسنها مسير الشمس ، وصيرت الشنفرى وان كان مهمياً بالغيظ بليدا من بني عبس ، والشنفرى هو ابن اخت تابط شرا أحد لصوص العرب ، وكان الشنفري مثله ، وطلب ثاره .

وكانت قصيدة الشنفرى هذه لجودتها عند العرب تسمى لامية العرب ، وهي مشهورة ولا بأس بذكرها ها هنا .

حدثنا عمارة بن عقيل قال حدثنا مساور الازدى قال : كان الشنفرى رجلا من الازد بن عامر ، وكانت أمه سبية سباها مالك بن الازم ابو الشنفرى فذكرت انها اتيت في نومها ، فقيل لها : ايتها الحامل إنما احب اليك ، ليث صائل ، خطيب قائل ، مصيب قاتل ، كرور جافل ، مفيد عاقل ، ركاب للمهاول ، او ولد فاضل ، جميل

عاقل ، رزين كامل ، ذليل باسل ، فقالت في نومها : اريد ذا نجدة ، سريعاً في المدة ، لا تثنيه الرعدة ، ولا تخوفه الشدة ، كأسد ذو لبدة ، فقيل لها : ستلدين ذا باس ، وذكو ومراس ، وضرب ودعاس ، وآوي للناس ، فولدت الشنفرا هذا صاحب لامية العرب المشهورة وهي :

أقيموا بني امي صدور مطيكم — فانى إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر — وشدت بطياتي مطايا وارحل
وفي الارض منأى للكريم عن الأذى — وفيها لمن خاف القلى متحول
لعمرك ما في الارض ضيق على امرىء — سرى راغباً او راهباً وهو يعقل
ولي دونكم اهلون سيد عملس — وارقط ذهلول وعرفاء جيأل
هم الاهل لا مستودع السر ذائع — لديهم ولا الجانى بما جن يخذل
وكل ابى باسل غير انني — إذا عرضت اولى الطرائد ابسل
وان مدت الايدي إلى الزاد لم اكن — باعجلهم إذ اجشع القوم اعجل
وما ذاك إلا بسطة عن تفضل — عليهم وكان الافضل المتفضل
واني كفاني فقد من ليس جازنا — بسقمي ولا في قربه متعلل
ثلاثة اصحاب فؤاد مشيع — وابيض اصليت وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون يزينها — رصائع قد نيطت اليها ومحمل
إذا زل منها السهم حنت كانها — مرزأة ثكلى ترن وتعول
ولست بمهياف يعشي سوامه — مجدعة سقبانها وهي بهل
ولا جبأ اكهى مرب بعرسه — يشاورها في امره كيف يفعل
ولا حزق هيق يظل فؤاده — كان به المكاء يعلو ويسفل
ولا خالف ذا راية متغزل — يروح ويغدو داهنا يتكحل
ولست بعل شره دون خيره — الف إذا ما رعته اهتاج اعزل
ولست بمحيار الظلام إذا انحت — هدي الهوجل المسيف يهماء هوجل

إذا الا معز الصوان لاق مناسمي … تطاير منـه قادح ومفلل
اديم مطال الجوع حتى اميتـه … واضرب عنه الذكر صفحاً واذهل
واستف ترب الارض كى لا يرى له … علي من الطول امرؤ متطول
ولو لا اجتناب الذام لم يلف مسبر … يعاش به إلا لدي ومأكل
ولـكن نفسي حرة لا تقيم بي … على الضيم إلا ريثما اتحول
واطوى على الخمص الحوايا كما انطوت … خيوطة مارّى يغار ويفتل
واعدو على القوت الزهيد كما عدا … أزل تهاداه التنائف اطحل
غدا طاويا يستعرض الريح هافيا … يخوت باذناب الشعاب ويعسل
فلما لواه القوت من حيث امـه … دعا فاجابته نظائر نحـل
مهللة شيب كأن وجوهها … قداح بكفي ياسر يتقلقل
او الخشرم المبعوث حثحث دبره … محابيص ارساهن سام معسل
مهرتة فوه كان شدوقها … شقوق العصابل كالحات وبسل
فضج وضجت بالبراح كأنها … وإياه نوح فوق علياء ثكل
فأغضى واغضت واتسى واتست به … مراميل عزاها وعزته مرمل
شكي وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت … وللصبر إن لم ينفع الصبر اجمل
وفاء وفاءت باديات وكلها … على نكظ مما يكاتم مجمـل
ويشرب آثار القطا الـكدر بعد ما … سرت قربا احناؤها يتصلصل
هممت وهمت وابتدرت واسدلت … وشمر مني فارط متمهل
فوليت عنها وهي تكبو لعقرة … يباشره مني دقون وحوصل
كان رغاها حجرتيها وحوله … أضاميم من سفر القبائل نزل
فوافين من شتى اليها فضمها … كما ضم اذواد الاصاريم منهل
فعبت عشاشا ثم ولت كأنها … مع الصبح ركب من احاظة مجفل
وآلف وجه الارض عند افتراشها … باهدى تثنيه سناسن قحل

واعدل منحوضاً كأن فصوصه — كعاب دحاها لاعب فهي مثل
تبيت إذا ما نام يقظى عيونها — حثاثاً إلى مكروهة تتغلغل
فان تبتئس بالشنفرى ام قسطل — لما اغتبطت بالشنفري قبل اطول
طريد جنايات تيا سرن لحيه — عقيرته لا ايها حم اول
والف هموم لا تزال تعوده — عياداً كحمى الربع بل هي اثقل
إذا وردت اصدرتها ثم انها — تثوب فتأتى من تحيت ومن عل
فاما تريني كابنة الرمل صاحيا — علي رقة احفى ولا انزيل
فاني لمولي الصبر أجتاب بزه — على مثل قلب السمع والحزم افعل
واعدم احياناً واغنى وانما — ينال الغنى ذو البعدة المتبذل
فلا جزع من خلة متكشف — ولا مرح تحت الغنى اتخيل
ولا تزدهى الاجهال حلمى ولاارى — سؤ ولا باطراف الاحاديث انمل
وليلة نحس يصطلى القوس ربها — واقطعه اللاتى بها يتنبل
دعست على غطش وبغش وصحبتي — شعار وارزيز ووحر وافكل
فأيمت نسواناً وايتمت الدة — وعدت كما ابدأت والليل أليل
واصبح عنى بالغميضاء جالساً — فريقان مسؤل وآخر يسأل
فقالوا لقد هرت بليل كلابنا — فقلنا أذئب عس ام عس فرغل
فلم تك إلا نبأة ثم هوموا — فقلنا قطا قد ريع ام ريع اجدل
فان تك من جن لا برح طارقا — وان تك انساً ما كها الانس تفعل
ويوم من الشعرى يذوب لعابه — افاعيه في رمضائه تتململ
نصبت له وجهي ولا كن دونه — ولا ستر إلا الاتحمى المرعبل
وضاف إذا هبت له الريح طايرت — لبائد عن اعطافه ما ترحل
بعيد بمس الدهن والفلى عهدها — له عبس عاف من الغسل محول
وخرق ظهير الترس قفر قطعته — بعاملتين ظهره ليس يعمل

فالحقت اخراه باولاه موفياً على قنة اقعى مراراً وامثل
ترود الاراوي الصخم حولي كانها عـذارى عليهن الملاء المـذيل
ويركدن بالآصال حولي كانني من العصم ادفى ينتحي الكيح اعقل

(عود على بدء) فاراد الاستاذ ابو اسماعيل الطغرائي ان يعارض لامية العرب هذه بلامية العجم لانه عجمي اصفهاني ، فنظم هذه القصيدة الباهية الفريدة الغالية ، العزيزة السامية وهي :

اصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل
مجدي اخيراً ومجدي اولا شرع والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الاقامـة بالزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
ناء عن الاهل صفر الكف منفرد كالسيف عري متناه عن الخلل
فلا صديق اليه مشتكى حزني ولا انيس اليه منتهى جذلي
طال اغترابي حتى حن راحلتي ورحلها وقرى العسالة الذبل
وضج من لغب نضوى وعج لما يلقى ركابي ولج الركب في عذلي
اريد بسطة كف استعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلي
والدهر يعكس آمالي ويقنعني من الغنيمة بعد الـكد بالقفل
وذي شطاط كصدر الرمح معتقل بمثله غير هياب ولا وكل
حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت بشدة البأس منه رقـة الغزل
طردت سرح الكرى عن ورد مقلته والليل اغرى سوام النوم بالمقل
والركب ميل على الاكوار من طرب صاح وآخر من خمر الكرى ثمل
فقلت ادعوك للجلى لتنصرني وانت تخذلني في الحادث الجلل
تنام عيني وعين النجم ساهرة وتستحيل وصبغ الليل لم يحل
فهل تعين على غي هممت به والغي يزجر احيانا عن الفشل
اني اريد طروق الحي من اضم وقد حماه حماة الحي من ثعل

يحمون بالبيض والسمر اللدان به ... سود الغدائر حمر الحلى والحلل

فسر بنا في ذمام الليل معتسفاً ... فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل

فالحب حيث العدا والاسد رابضة ... حول الكناس لها غاب من الاسل

نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت ... نصالها بمياه الغنج والكحل

قد زاد طيب احاديث الكرام بها ... ما بالكرائم من جبن ومن بخل

تبيت نار الهوى منهن في كبد ... حرى ونار القرى منهم على القلل

يقتلن انضاء حب لا حراك به ... وينحرون كرام الخيل والابل

يشفي لديغ الغوانى في بيوتهم ... بنهلة من غدير الخمر والعسل

لعل المامة بالجزع ثانية ... يدب منها نسيم البرء في عللي

لا اكره الطعنة النجلاء قدشفعت ... برشقة من نبال الاعين النجل

ولا اخاف الصفاح البيض تسعدني ... باللمح من خلل الاستار والكلل

ولا اخل بغزلان اغازلها ... ولو دهتني اسود الغيل بالغيل

حب السلامة يثني عزم صاحبه ... عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا ... في الارض اوسلما في الجو فاعتزل

ودع غمار العلى للمقدمين على ... ركوبها واقتنع منهن بالبلل

يرضى الذليل بخفض العيش مقنعة ... والعز بين رسوم الاينق الذلل

فادرأ بها في نحور البيد جافلة ... معارضات مثانى اللجم بالجدل

ان العلى حدثتني وهي صادقة ... فيما تحدث ان العز في النقل

لو كان في شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً ... والحظ عنى بالجهال في شغل

لعله ان بدا فضلي ونقصهم ... لعينه نام عنه او تنبه لي

اعلل النفس بالآمال ارقبها ... ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

لم ارض بالعيش والايام مقبلة ... فكيف ارضى وقد ولت على عجل

غالى بنفسى عرفاني بقيمتها فصنتها عن رخيص القدر مبتذل
وعادة النصل ان يزهو بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل
ما كنت اوثر ان يمتد بي زمني حتى اري دولة الاوغاد والسفل
تقدمتني اناس كان شوطهم وراء خطوى إذ أمشي على مهل
هذا جزاء امرىء اقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الاجل
وان علانى من دونى فلا عجب لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر في حادث الدهر مايغني عن الحيل
أعدى عدوك ادنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وانما رجـل الدنيا وواحـدها من لا يعول في الدنيا على رجل

ما احسن قول الشيخ الدرنجاوي ملك الشعراء بمصر ، المتوفى بها سنة الف ومائة وثلاثة وعشرين ، وتاريخ وفاته (مات الشعر بعده) مضمناً بيت الطرغانى ، وفيـه تورية لطيفة ، وهو :

دع اللواط وعج بالغانيات ودع حب الصغار وصاحبهم على دخل
فانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل

رجع إلى لامية الطغرائى :

غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل
وحسن ظنك بالايام معجزة فظن شراً وكن منها على وجـل
وشان صدقك عند الناس كذبهم وهـل يطابق معوج بمعتدل
ان كان ينجع شيء في ثباتهم على العهود فسبق السيف للعـذل
يا وارداً سؤر عيش كله كدر انفقت صفوك في ايامك الاول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه وانت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا يحتاج فيه إلى الانصار والخول
ترجو البقاء بدار لاثبات لها وهل سمعت بظل غير منتقل

ويا خبيراً على الاسرار مطلعاً أصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

سبحان المانح له هـذه البلاغة ، التي تغص الحسود فلا يجد الاساغة ، ولقد زادها الشيخ صلاح الدين الصفدي بشرحه بياناً ، وانما فصل بالمسجد جماناً ، ثم ان الـكمال السميري ، وثب عليه عبد اسود كان للطغرائي في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية فقتله . ونسبته إلى سمير بلدة من عمل شيراز .

والطغرائي نسبته إلى من يكتب الطغرى وهي الطرة في اعلى الـكتب ، تكتب بالقلم الغليظ فوق البسملة ، بما يتضمن نعوت الملك ، وهي لفظة فارسية ، وكان نظم اللامية ببغداد والله اعلم .

أقول: حيث إنا ذكرنا لامية العرب ولامية العجم فلابأس ان نعززهابثالث وهي لامية الاديب الفاضل ، المصقع الخطيب الـكامل ، الشيخ عمر بن الوردي وهي:

اعتزل ذكر الاغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل

ودع الذكر لأيام الصبا فلأيام الصبا نجم افـل

ان احلى عيشة قضيتها ذهبت ايامها والاثم حل

واترك الغادة لا تحفل بها تمس في عز وترفع وتجل

واله عن آلة لهو اطربت وعن الامرد مرتج الـكفل

ان تبدي تنكسف شمس الضحى وإذا ما ماس يزرى بالاسل

زاد إذ قسناه بالنجم سنا وعـدلناه ببـدر فاعتـدل

وافتكر في منتهى حسن الذي انت تهواه تجـد امراً جلل

واهجر الخمرة ان كنت فتى كيف يسعى في جنون من عقل

واتق الله فتقـوى الله ما جاورت قلب امرىء إلا وصل

ليس من يهزم جيشاً بطلا انما من يتقي الله البطل

صدق الشرع ولا تركن إلى رجـل يرصد في الليل زحل

حارت الافكار في قدرة من قد هدانا سبلنا عز وجل
كتب الموت على الخلق فكم فل من عرش وافنى من دول
اين نمرود وكنعان ومن رفع الاهرام تبدو كالقلل
أين عاد أين فرعون ومن ملك الارض وولى وعزل ؟
أين من سادوا وشادوا وبنوا هلك الكل وما تغني الحيل ؟
أين ارباب الحجى اهل النهى أين اهل العلم والقوم الاول ؟
سيعيد الله كلا منهم وسيخزي فاعلا عما فعل
أي بني اسمع وصايا جمعت حكما خصت بها خير الملل
اطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على اهل الكسل
واحتفل في الفقه في الدين ولا تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت ايامه كل من سار على الدرب وصل
في ازدياد العلم ارغام العدا وصلاح العلم اصلاح العمل
جمل المنطق بالنحو فمن يحرم الاعراب في النق اختبل
انظم الشعر ولازم مذهبي في اطراح الرفد فالدنيا اقل
فهو عنوان على الفضل وما أحسن الشعر إذا لم يبتذل
مات اهل الجود لم يبق سوى مقرف او من على الاصل اتكل
أنا لا اختار تقبيل يد قطعها اجمل من تلك القبل
أن جزتني في مديحي صرت في رقها اولا فيكفيني الخجل
اعذب الالفاظ قولي لك خذ وامر اللفظ ونطق بلعل
ملك كسرى تغنى عنه كسرة وعن البحر اقتناع بالوشل
اعتبر نحن قسمنا بينهم تلقه حقاً وبالحق نزل
ليس ما يحوي الفتى عن عزمه لا ولا ما فات يوما بالكسل

فاطرح الدنيا فمن عاداتها　　تخفض العالي وتعلي من سفل
عيشة الزاهد في تحصيلها　　عيشة الجاهل بل هذا أذل
كم جهول وهو مثر مكثر　　وحكيم مات فيها بالعلل
كم شجاع لم ينل منها المنى　　وجبان نال غايات الامل
فاترك الحيلة فيها واتكل　　انما الحيلة في ترك الحيل
أي كف لم ينل منها القرى　　فبلاها الله منه بالشلل
لا تقل اصلي وفصلي أبداً　　انما اصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير أب　　وبحسن السبك قد ينفي الزغل
وكذا الورد من الشوك وما　　ينبت النرجس إلا من بصل
مع انى احمد الله على　　نسبي إذ بأبي بكر وصل
قيمة الانسان ما يحسنه　　اكثر الانسان منه او أقل
بين تبذير وبخل رتبة　　فكلا هذين ان زاد قتل
لا تخض في سب سادات مضوا　　انهم ليسوا بأهل للزلل
وتغافل عن امور انه　　لم يفز بالحمد الا من غفل
مل عن النمام وازجره فما　　بلغ المكروه إلا من نقل
دار جار الدار إن جار وان　　لم تجد صبراً فما احلى النقل
جانب السلطان واحذر بطشه　　لا تخاصم من إذا قال فعل
لا تل الحكم وان هم سألوا　　رغبة فيك وخالف عن عذل
فهو كالمحبوس عن لذاته　　وكلا كفيه في الحشر تغل
لا توازى لذة الحكم بما　　ذاقه الشخص إذا الشخص انعزل
والولايات وان طالت لمن　　ذاقها فالسم في ذاك العسل
نصب المنصب او هي جلدي　　وعنائى من مداراة السفل
قصر الآمال في الدنيا تفز　　فدليل العقل تقصير الامل

ان من يطلبه الموت على غرة منه جدير بالوجل
غب وزر غباً تزد حباً فمن اكثر الترداد اضناه الملل
خذ بفضل السيف واترك حده واعتبر فضل الفتى دون الحلل
حبك الاوطان عجز ظاهر فاغترب تلق عن الاهل بدل
فبمكث الماء يبقى آسنا وسرى البدر به البدر اكتمل
ايها العائب قولي عبثا ان طيب الورد مؤذ بالجعل
عد عن اسهم لفظي واشتغل لا يصيبنك سهم من ثعل
لا يغرنك لين من فتى ان للحيات ليناً يعتزل
أنا كالخيزون صعب كسره وهو لين كيفما شئت اعتدل
غير انى في زمان من يكن فيه ذا مال هو المولى الاجل
واجب عند الورى اكرامه وقليل المال فيهم يستقل
كل أهل العصر غمر وأنا منهم فاترك تفاصيل الجمل

ولله در العلامة بهاء الدين محمد العاملي إذ يقول دو بيت :

فرق كتب العلم واجمع مالا فالعمر مضى ولم تنل آمالا
لاينفعك النحو ولا الصرف ولا افعلل يفعلل افعلالا

﴿ترجمة أبي الحسن الإمام على الهادى بن محمد بن على الرضا عليه السلام﴾
(وبقية نسبه معروف)

كان قد سعى به إلى المتوكل العباسي ، وقيل له ان في منزله سلاحا وكتباً من شيعته وأوهموه انه يطلب الامر لنفسه، فوجه بعده نفراً من الاتراك ليلا فهجموا عليه في منزله فوجدوه وحده في بيت ، وعليه مدرعة من شعر ، وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يقرأ آيات من القرآن في الوعد والوعيد ليس بينه وبين الارض بساط إلا الرمل والحصى ، فاخذ على تلك الصورة التي وجد

عليها وحمل إلى المتوكل في جوف الليل ، فمثل بين يديه والمتوكل يستعمل الشراب ، وفي يده كاس ، فلما رآه المتوكل عظمه واجلسه إلى جانبه ولم يكن في مجلسه شيء مما قيل له عنه ولا وجدله حيلة يتمنت بها عليه فناوله المتوكل الكأس الذي كان بيده ، فقال : يا امير المؤمنين ما خامر الخمر لحمي ودمي قط فاعفني ، فاعفاه وقال له : انشدني شعراً استحسنه منك فقال : اني لقليل الرواية في الشعر ، فقال : لا بد ان تنشدني ، فأنشده :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم	غلب الرجال فما اغنتهم الحيل
واستنزلوا بعد عز عن مراتبهم	فاودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا	اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قدطال ما اكلوادهراًوماشربوا	فاصبحوا بعدطول الاكل قداكلوا

فأشفق من حضر المجلس على الامام علي الهادى عليه السلام وظنوا أن بادرة تبدر اليه من هذا الظالم ، فبكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته ، وبكى من حضر ثم امر برفع الشراب ، ثم قال : يا ابا الحسن اعليك دين ؟ قال : نعم اربعة آلاف دينار ، فامر بدفعها اليه وردوه إلى منزله مكرماً معظما .

وكانت ولادته يوم الاحد ثالث عشر رجب ، وقيل يوم عرفة سنة اربع ، وقيل ثلاثة عشرة ومائتين ، ولما كثرت السعاية في حقه عند المتوكل اخرجه من المدينة ، وكان مولده بها واقره بسر من رأى وهي مدينة بناها المعتصم وقد تقدم ذكرها فاقام بها الامام علي الهادى عليه السلام عشرين سنة وسبعة اشهر .

وتوفي بها يوم الاثنين لخمس بقين من جمادي الآخرة وقيل لاربع بقين وقيل في رابعها ، وقيل في ثالث رجب سنة اربع وخمسين ومائتين ، ودفن في داره ، والله اعلم بغيبه واحكم .

وأما فضائل الامام علي الهادي عليه وعلى آبائه السلام فليس لها حد ، ومعجزاته لا يحصرها العد .

وقد ذكر بعض فضائله ومعجزاته الشيخ العالم العلامة القدوة الفهامة الشيخ محمد بن الحسن الحر في ديوانه في ارجوزة طويلة اختصرنا منها قوله :

بعد ابيه كان حل مدفنه	بعد ثلاث وثلاثين سنه
في هذه المدة كان قاما	بالامر بعده لنا اماما
بسم متوكل قد قتلا	راح شهيداً مستضاما مبتلى
أولاده الحسين بعد الحسن	محمد وجعفر ذو الفتن
وابنته عائشة بنيه	من قد عرفت الكامل النبيه
وامه جارية سريه	عامة كريمة سريه
كنيته كما رووا ابو الحسن	فاسم وكنية كلاهما حسن
ألقابه الهادي التقي الناصح	القانع الفتاح نقل واضح
العالم الامين والفقيه	وطيب يعرفه الفقيه
ومرتضى متوكل والنص	دل على فضل به يختص
تواتراً والمعجزات تؤثر	دات على امامة لا تنكر
اخبر بالغيوب غير مره	كان لجبهة الكمال غره
كنقله في الحال موت الواثق	وملك جعفر لشخص واثق
اخبر شخصاً انه سيوثق	فكان ثم انه سيطلق
اخبر قوما بحضور الموت في	وقت معين فكان فاعرف
وكم وكم قد ارسل الاكفانا	فكان من موتهم ما كانا
وكم دعا على عدو فهلك	وكان قد عز وبز وملك
وداخل خان الصعاليك على	صورة منكر لما قد فعلا
أراه روضات وجنات بها	انهار ماء عجب فانتبها

في عسكر المكرم مات الوالد　　فاخبر الاهلين ذاك الماجد
في ذلك اليوم بيثرب وقد　　حكى فمال جعفر حين ولد
ان كثيراً سيضلون به　　وكم لقد اوضح عن مشتبه
وكم اجاب سائلا من قبل ما　　سأله عن مشكل قد ابهما
وكم لقد نبأ انساناً بما　　اضمره فراح عنه معجبا
وكم شفا المريض بالدعاء　　فقد حبا القلوب بالشفاء
واخذه في الصيف اسباب المطر　　مسافراً اعجب ما منه ظهر
فجاءهم في الصيف غيث هاطل　　وبرد مثل الصخور وابل
فصحبه قد سلموا إذ تقلوا　　وكل من سواهم قد قتلوا
واخبر القوم بما كان السبب　　حتى قضوا من ذاك اعجب العجب
مات ثمانون من الاعداء　　ودفن الجميع في البيداء
مصداق ما قال الامام الطهر　　في كل بقعة تكون قبر
وما جرى له مع النصراني　　من اوضح الاعجاز والبرهان
أظهر ما كان وما يكون　　مكرراً فحارت الظنون
رأى الامام صوراً منقوشه　　في فرش في مجلس مفروشه
وكان من ذلك صورة الأسد　　وثم هندي على القول الأسد
مشعبذ محاول ان يخجله　　فضحك الحضار مما فعله
فامر الامام ذاك الاسدا　　باكله فقام حيا واعتدى
فاكل المشعبذ الهنديا　　لما رأى فعاله الرديا
فدهشوا ودهش الخليفة　　ولم يروا آثار تلك الجيفة
وهابه الاطيار حتى سكتت　　من بعد ما قد نطقت وصوتت
ارى الخليفة الجليل عسكره　　في الخافقين بصفات منكره
وكلهم كانوا من الملائكه　　في صورة الخلائق المباركه

فأنكر الخليفة الذي يرى	وخاف من كثرتهم وذعرا
وطبع الحصاة فاعجب واسمع	وكم طوى الأرض فاين من يعي
وفي اجابة الدعاء منه	معجزة كم نقلوها عنه
ورفع الريح له الاستارا	فحار من شاهدها وخارا
ذلت له السباع لما نزلا	يوما اليها وبكت تذللا
كتابه الكتاب في الظلماء	وختمه من اعجب الاشياء
وأخرج الفواكه العجيبة	من حائط وانها غريبه
وارتفع الامام في الهواء	وعاد بغرائب السماء
اخرج من تحت التراب براً	اقوت قوم يشتكون الضرا
انبع من تحت التراب ماء	اروى به جماعة ظماء
لبسن في الصيف ثيابا للمطر	فنزل الغيث وكانوا في السفر
وعلمه بالالسن الكثيرة	جرى من الفضائل الغزيره
بل معجز له ونقل الجعفري	أعجب نقل ثابت مشتهر
سأله ان يعلم الهنديه	مص حصاة مصة قويه
ثم رمى بها اليه فوضع	في فمه تلك الحصاة فانتفع
فعلم الالسن سبعين اتت	ثلاثة من بعدها لها تلت
اولها الهندية المطلوبه	ونال مما رامه مطلوبه
ولمس الحصى فصار ذهبا	فوهب العافين ما قد وهبا
وسقيه المعز سما يؤثر	وعلمه وفضله لا يحصر

وفي سنة اربعمائة امر الحاكم بأمر الله المؤذنين ان لا يقولوا حي على خير العمل في الاذان ، وان يقولوا في صلاة الصبح الصلاة خير من النوم ، وان يكون ذلك من مؤذني القصر عند قولهم السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فامتثل ذلك .

أقول : ذكرني قول حي على خير العمل قصيدة الولي الفاضل العارف بالله الشيخ الحكاك فاثبتها هنا لانها في غاية الرقة وهي :

حي على خير العمل على الغزاله والغزل على الخدود والمقل على العناق والقبل
طبعي عليهن طبع فلم أعد عما منع كيف يلام من جمع على الفتور والكحل
خلع العذار سنتي غريزتي جبلتي وا كلفي بفتنتي بالانفصار والميل
وغادة بقدها تقتل قبل حدها تلون في خدها من الحياء والخجل
هيفا تذيب بالنمس مالا يذوب بالقبس رمت فؤادي في الغلس فقلت اهلا لا شلل
حين بدت من الخبا تجر اذيال الصبا قالت حذار فالظبا مشهورة قلت لعل
فبت في ليل اغر بين الزهور والدرر حتى إذا جاء السحر قالت كفاك ماحصل
وليت عنها للسلم لما تولت للحزم قالت انقض للذمم قلت لها منك الملل
فعقدت بنانها واكدت ايمانها ان الزمان خانها فاعتب زماناً ماعدل
واندب هناك السلما وابك هضيبات الحمى واهتف بذكرى كلما هب الصبا قلت اجل

ثم منع المؤذنين عن قول حي على خير العمل في ربيع الاول سنة احدى واربعمائة ، ومنع في سنة خمس واربعمائة مؤذني جامع القاهرة ومؤذني القصر من قولهم بعد الاذان : السلام على امير المؤمنين ورحمة الله ، وأمرهم ان يقولوا بعد الأذان : الصلاة رحمك الله ، ولهذا الفعل اصل .

قال الواقدي : كان بلال رضى الله عنه يقف على باب رسول الله ﷺ فيقول : السلام عليك يارسول الله ، وربما قال : السلام عليك يا رسول الله بابي وامي يا رسول الله حى على الصلاة ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، حى على الصلاة ، حي على الفلاح ، الصلاة يا رسول الله .

فلما استخلف ابو بكر كان سعد القرظي يقف على بابه فيقول : السلام عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله ، حي على الصلاة حى على الفلاح ، الصلاة يا خليفة رسول الله . وذكر مثله في خلافة عمر .

وما زال المؤذنون إذا أذنوا سلموا على الخلفاء وامراء الاعمال ثم يقيموا بعد السلام والصلاة ، فيخرج الخليفة او الامير هكذا كان العمل مدة ايام بني امية ثم مدة خلافة بنى العباس .

فلما استولت العجم سلم المؤذنون في ايامهم على الخليفة بعد الاذان للفجر فوق المنائر ، فلما انقضت ايامهم غيّر السلطان صلاح الدين تلك الرسوم ، وامر المؤذنين ان يقولوا عوض السلام على الخليفة ، السلام على رسول الله ﷺ .

واستمر على ذلك بعد الاذان للفجر في كل ليلة بمصر والشام والحجاز ثم امر السلطان صلاح الدين المؤذنين ان يزيدوا في ليلة الجمعة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم، فاستمر ذلك إلى شعبان سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، فسمع بعض الفقراء المعتقدين سلام المؤذنين على رسول الله ﷺ في ليلة الجمعة وقد استحسن ذلك طائفة من اخوانه . فقال لهم : اتحبون ان يكون هذا السلام في كل اذان ، قالوا : نعم فبات تلك الليلة ، فلما اصبح تواجد يزعم انه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه وانه امره ان يذهب إلى المحتسب ويبلغه عنه انه يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله ﷺ في كل اذان صلاة ، فمضى اليه وهو يومئذ نجم الدين الطنبدي .

قال المقريزى في الخطط وكان شيخاً مهولا ، وقال له : ان رسول الله ﷺ يأمرك ان تأمر المؤذنين ان يزيد وافى كل اذان قولهم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله كما يفعل في ليالي الجمع .

قال : فاعجبه هذا القول وجهل ان رسول الله ﷺ لايأمر بعد وفاته إلا بما يوافق ما شرعه الله على لسانه في حياته .

قال : وتمت هذه البدعة واستمرت إلى يومنا هذا في جميع ديار مصر والشام والحجاز ، فصاروا يصلون ويسلمون عليه صلى الله عليه وآله وسلم عقيب الاذان للفرائض الخمس إلا الصبح والجمعة فانهم يقدمون ذلك فيها عن الاذان ، ولا يفعلون

ذلك في المغرب اصلا لضيق وقتها .

وقد اختلف في ذلك هل هو مستحب او مكروه او بدعة ؟ واستدل الاول بقوله تعالى (وافعلوا الخير) ومعلوم ان الصلاة والسلام عليه من اجل القرب لاسيما وقد تواترت الاخبار على الحث على ذلك مع ما جاء في فضل الدعاء عقب الاذان والصواب انه بدعة حسنة يؤجر فاعلها بحسب نيته وان ذلك لمن جميل العوائد واحسن الفعال والفوائد .

وسئل الحافظ ابن حجر عن قول بعض المؤذنين في صلاته على النبي ﷺ الصلاة والسلام عليك يا من تدلل على الله ، هل هو أصل في السنة ؟ وهل هو جائز أم لا ؟ وهل يكون هذا مع كونه ﷺ اكثر الناس خوفا من ربه وإذا لم يكن وارداً فما ذا يجب على هذا المؤذن ؟

فاجاب : بان هذا اللفظ لم يرد في السنة ، وانه من الالفاظ المبتدعة ، والأولى ترك ذلك ، فان عاد زجر مع تعزيره على جرأته بما لم ترد به سنة ، الله أعلم .

وأما التسبيح في الليل على المآذن فلم يكن من فعل السلف ، وكان ابتداء فعله بمصر ، وسببه ان مسلمة بن مخلد امير مصر بنى منارة الجامع العتيق واعتكف فيه فسمع أصوات النواقيس عالية فشكى ذلك إلى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين فقال : انا امد في الأذان من نصف الليل إلى قرب الفجر ، فلما مد في الأذان نقسوا فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الأذان ، ومد شرحبيل الأذان اكثر الليل .

ما احلى ما قال من قال :

رأيته يضرب الناقوس قلت له : من علم الظبي ضرباً بالنواقيس
وقلت للنفس أي الضرب يؤلمك ؟ ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيس

ثم ان الامير ابا العباس احمد بن طولون كان قد جعل بحجرة بقرب منه رجالا يكبرون ويسبحون الله تعالى ويحمدونه كل وقت ، ويقرؤن القرآن

ويتوسلون ويؤذنون في اوقات الأذان ، وجعل لهم ارزاقا واسعة تجرى عليهم فلما مات احمد بن طولون وقام من بعده ولده ابو الجيش خمارويه أقرهم على حالهم ومن حينئذ أتخذ الناس قيام المؤذنين في الليل على المآذن ، وصار يعرف ذلك بالتسبيح .

ولما تولى السلطان صلاح الدين بن أيوب أمر المؤذنين ان يعلنوا في الليل بذكر العقيدة المعروفة بالمرشدة ، فواظب المؤذنون على ذكرها في كل ليلة في جوامع مصر والقاهرة ، واحدث ايضاً التذكير في يوم الجمعة في اثناء النهار بانواع من الذكر على المآذن ليتهيأ الناس لصلاة الجمعة ، وكان ذلك بعد السبعمائة .

قال ابن كثير : كان ذلك في يوم الجمعة سادس ربيع الآخر سنة اربع واربعين وسبعمائة رسم بان يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مآذن دمشق كما يذكر في مآذن الجامع الأموي ، ففعل ذلك ، انتهى .

﴿ ترجمة القاضي البيضاوي صاحب التصانيف المشهورة ﴾

ومن مصنفاته : كتاب الغاية في الفقه ، وشرح والمصابيح ، والمنهاج والطوالع ، والمصباح في الكلام ، وأشهر مصنفاته في زماننا هذا تفسيره الموسوم بأنوار التنزيل .

اسمه عبد الله ، ولقبه ناصر الدين ، وكنيته ابو الخير بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي ، وبيضاء قرية من اعمال شيراز تولى قضاء القضاة بفارس .

وكان زاهداً عابداً متورعاً دخل تبريز فصادف دخوله مجلس الوزير ، وفيه اجلاء من الفضلاء ، فجلس في اواخر القوم بصف النعال ، بحيث لم يعلم أحد بدخوله ، فأورد المدرس اعتراضات ، وزعم ان أحداً من الحاضرين لا يقدر على جوابها ، فلما فرغ من تقريرها ، ولم يقدر أحد من الحاضرين ان يجيبه عنها شرع البيضاوي في الجواب ، فقال له المدرس لا اسمع كلامك حتى اعلم انك فهمت

ما قررته ، فقال له البيضاوي : تريد ان اعيد كلامك بلفظه أم بمعناه ، فبهت المدرس وقال له : أعده بلفظه ، فأعاده وبين ان في تركيب ألفاظه لحناً ، ثم انه أجاب عن تلك الاعتراضات باجوبة شافية ، ثم اورد لنفسه اعتراضات بعددها ، وطلب من المدرس الجواب عنها ، فلم يقدر ، فقام الوزير من مجلسه واجلس البيضاوي في مكانه ، وسأله : من أنت ؟ فقال : انا البيضاوي .

وطلب قضاء شيراز فأعطاه ما طلبه واكرمه وخلع عليه .

وكانت وفاة البيضاوي سنة ستمائة وخمس وثمانين وقبره هناك والله أعلم .

يعجبني هذان البيتان :

إذا رأيت عارضاً مسلسلا في وجنة كجنة يا عاذلي

فاعلم يقيناً انني من امة تقاد للجنة بالسلاسل

من لامية الطغرائي المتقدم ذكرها :

فيم الاقامة في الزوراء لاسكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

الزوراء : بغداد كما تقدم ، والسكن: ما يسكن اليه الانسان من زوج وغيره وبقية البيت مثل من أمثال العرب ، والاصل ان الصدوق العدوية كانت تحت زيد ابن اخنس العدوي ، وله بنت من غيرها تسمى الفارعة ، وكانت تسكن بمعزل منها في خباء آخر ، فغاب زيد في سفر له ، فعشق الفارعة هذه رجل عدوي يسمى شبيبا ، فطاوعته الفارعة فكانت تركب كل ليلة على جمل لابيها وتنطلق معه إلى بيته فيبيتان فيه ، فرجع زيد من غيبته ، فمر على كاهنة اسمها طريفه فأخبرته بريبة في بيته ، فأقبل زيد سائراً لا يلوى على احد لانه تخوف على امرأته حتى دخل عليها ، فلما رأته عرفت الشر في وجهه فقالت له: أقف الأثر ولا تعجل ، لا ناقة لي فيها ولا جمل . فصار ذلك مثلا يضرب .

دخل شريك بن الاعور على معاوية ، وكان سيد قومه وكان دميما ، فقال له معاوية : انك الدميم ، والجميل خير من الدميم ، وانك لشريك وما لله شريك ، وان

اباك الاعور ، والصحيح خير من الاعور ، فكيف سدت قومك ؟ فقال له : انت معاوية ، وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب ، وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر، وانك ابن حرب ، والسلم خير من الحرب، وانك ابن أمية ، وماأمية إلا أمة فصغرت ، فكيف صرت علينا امير المؤمنين ؟ ثم خرج من عنده وهو يقول :

أيشتمني معاوية بن حرب   وسيفي صارمي ومعي لساني

وحولي من بني عمي ليوث   ضراغمة تهش إلى الطعان

كان الشريف المرتضى جالساً على دكة له مشرفة على الطريق ، فمر به ابن المطرز الشاعر يجر نعلا له بالية ، وهي تنثر الغبار ، فامر باحضاره ، وقال له انشدني أبياتك التي تقول فيها :

إذا لم تبلغني اليكم ركائبي   فلا وردت ماءاً ولا رعت العشبا

فانشده اياها ، فلما انتهى إلى هذا البيت أشار الشريف إلى نعله البالية وقال له أهذه كانت من ركائبك ؟ فقال : نعم لما عادت هبات مولانا الشريف إلى مثل قوله

فخذ النوم من جفوني فاني   قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي إلى ما ترى لانك خلعت ما لا تملك على من لا يقبل فاستحسن جوابه الشريف وامر له بجائزة سنية .

ما احلى هذين البيتين :

قال لي المذال في حبه   وقوله زور وبهتان

ماوجه من احببته جنة   قلت ولا قولك قرآن

في الحديث : وليس عند ربك صباح ولا مساء ، قال علماء الحديث : المراد ان علمه سبحانه وتعالى حضوري لا يتصف بالمضي والاستقبال كعلمنا ، وشبهوا ذلك بحبل ، كل قطعة منه على لون في يد شخص يمده على بصر نملة ، فهي لحقارة باصرتها ترى كل وقت لوناً ، ثم يمضي ويأتي غيره فيحصل بالنسبة اليها ماض وحال واستقبال بخلاف من بيده الحبل ، فعلمه سبحانه وتعالى وله المثل الاعلى بالمعلومات

كعلم من بيده الحبل ، وعلمنا بها كعلم تلك النملة .

للبلدي وقد سافر محبوبه في البحر :

سار الحبيب وخلف القلبا يبدي الغرام ويظهر الكربا
قد قلت مذ سار السفين به والشوق ينهب مهجتي نهبا
لو أن لي ملكا اصول به لأخذت كل سفينة غصبا

قال الصفدي في تذكرته : ان سيدنا جبرئيل عليه السلام نزل على لقمان الحكيم وخيره بين النبوة والحكمة ، فأختار الحكمة ، فمسح جبرئيل على صدره ، فنطق بها ، فلما ودعه قال : اوصيك بوصية فاحفظها يالقمان ، لأن تدخل يدك إلى مرفقك في فم التنين خير لك من ان تسأل فقيراً استغنى .

قال الزمخشري في ربيع الابرار عن كسرى ، موت الف سيد اهون من ارتفاع سفلة .

وقيل : وبذلك يستدل على قرب الساعة ، ولما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : يأتي على الناس زمان يكون اسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع ، وقد شوهد ذلك عياناً وبان صدق الشارع فان صار اسافل الناس رؤساً فقد طاب الموت وإذا اسدي الامر لغير اهله فانتظروا الساعة فقد فات الفوت .

قوله لكع على وزن فعل ـ بضم الكاف وفتح العين ـ واللكع في الاصل عند العرب العبد ، ثم استعمل في الاحمق .

يقال للرجل لكع ، وللمرأة لكاع ، وقد لكع يلكع ، واكثر ما يستعمل ويقع في النذل وهو اللئيم الاحمق ، وقيل الوسخ . وقال محمد بن كمال باشا :

أرى الناس مخسوف بهم غير انهم على الارض لم تثبت عليهم صعيدها
وما الخسف ان تلقى اسافل بلدة اعاليها بل ان يسود عبيدها

وقال ابو نصر الفارابي :

نظري إلى الادوان قد ادواني وتطلب الاعيان قد اعياني

من كل انسان إذا خاطبته لم تلق إلا صورة الانسان

وقال الطغرائي من لاميته :

ما كنت اوثر أن يمتد بي زمني حتى ارى دولة الاوغاد والسفل

يقال آثرت فلاناً على نفسي ، أي اخترته ، وقوله : يمتد ، يقال : مد الله في عمره ، أي أمهله وطوله ، والزمن والازمان : اسم لقليل الشيء وكثيره ، ويجمع على ازمنة وازمان وازمن ، والاوغاد جمع وغد وهو الذي يملأ بطنه من الطعام . وقيل : هو الذي يأكل ويحمل ، والوغـد ـ باللام ـ هو الضعيف الخامل الذي لا ذكر له ، والسفل جمع سفلة والسفلة ـ بفتح السين وكسر الفاء ـ الاسقاط من الناس

وفي المصباح : ومنه قيل للارذال ، سفلة ـ بفتح السين وكسر الفاء ـ وفلان من السفلة ، قال ويجوز التخفيف ، فيقال : سفلة ، كما يقال في كلمة كلمة ، والسفلة والاسفال والاسقاط والارذال بمعنى واحد ، ولبعضهم :

قد دفعنا إلى زمان لئيم لم ننل منه غير غل الصدور
وبلينا من الورى بأناس تركتهم اعجازهم في الصدور

وقيل لاعرابي : ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل ؟ قال : حاجة الكريم إلى اللئيم فان فوت الحاجة اهون من طلبها من غير أهلها وعليه قول الشاعر

لا تطلبن إلى لئيم حاجة ان اللئيم بمنعها مسرور
ان كنت تطلب لا محالة حاجة فأت الكريم فخيره ميسور

وقال آخر :

لا تطلبن إلى لئيم حاجة واقعد فانك قائم كالقاعد
يا خادع البخلاء في اموالهم هيهات تضرب في حديد بارد

ومن كلام بعض الحكماء : إذا سألت كريماً حاجة فدعه يتفكر فانه لا يتفكر إلا في الخير ، وإذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طمعه ان لا يفعل .

وقال علي عليه السلام :

لحمل الصخر من قلل الجبال　　أحب إلي من ذل السؤال

وفي رواية من منن الرجال لا سيما إذا كان السائل كريماً والمسؤول لئيما ، فاذا كان ذلك فهو الموت الاحمر .

وقال بعضهم : اتقوا صولة الكريم إذا جاع ، واتقوا صولة اللئيم إذا شبع

قال الشاعر :

دهري زهى للجاهلين وجوده　　واختص بالعيش اللذيذ قروده

والعاقل النحرير محروم فان　　حصل العشاء له فذلك عيده

وقال الآخر :

تجنب كرام الناس واستغن عنهم　　ولا تلتمس ما عشت فضل كريم

فان يد الحر الكريم مذلة　　فكيف إذا كانت يداً للئيم

ومن سوء هـذا الزمان ، رفع الاسافل وخفض الاعيان ، كما قال المرحوم ابراهيم الغزي :

فلا تغرنك الدنيا بمن رفعت　　فلا حقيقة فيما يرفع الآل

الحمد لله افضينا إلى دول　　تعلو وليس لنا فيهن آمال

وقال الآخر :

سكتت بلابلة الزمان واصبح الوطواط ناطق

وتنكست روس البزاة وصاد فرخ البوم باشق

وسطا الغراب على العقاب وذاك من عدم البواشق

وتسابقت عرج الحمير فقلت من عـدم السوابق

خلت الرقاع من الرخاخ وفرزنت فيها البيادق

قال العلامة الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه : (الوصف الذميم في فعل

اللئيم) : ومن إنشاد بعض القبط مفتخراً بفعله القبيح :

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى بي الحال حتى صار ابليس من جندي
فلو مات قبلي كنت احسن بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

أقول القائل لذلك هو في الحقيقة شيطانه الذي يعلمه الشعر ، بدليل ما نقله الامام الاوحد الشيخ تقي الدين الجنى في تذكرته ، ولفظه: وفي سنة تسع وخمسمائة توفى الابله الشاعر ، وانما سمي الابله لذكائه ، وهو من اسماء الاضداد ، جرت له واقعة وذلك انه كان صاحب ابن الدارى صاحب الباب ، وكان يمدحه فخرج معه يوما إلى البستان ، وكانت ليلة مقمرة ، فانشده ابياتاً فلما انهاها قال ابن الدارى: هذه القصيدة لك ؟ قال : نعم ، فصاح صائح من داخل البستان : كذب ، فخاف ابن الدارى وقام غلمانه إلى الباب ، فاذا هو مغلق وطافوا بالبستان ، فلم يروا احد فعادوا وجلسوا ، فقال ابن الدارى : أنشدنا اخرى ، فانشده فقال : هذه لك ؟ قال : نعم ، فصاح ذلك الصوت بعينه كذبت ، ففتشوا فلم يجدوا أحداً ، ثم قال له : انشدنا ، فانشده ، فقال : هذه لك ؟ قال : نعم ، فصاح ذلك الصوت كذبت ! فقال له الابله : فلمن هي ؟ قال : لي ، قال : من انت ؟ قال : انا شيطانك الذي اعلمك الشعر ، فقال له الابله : صدقت حفظك الله علي .

قال ابن الرومى الشاعر : مرض الابله فدخلت عليه ، فقال لي : ما بقيت اقدر انظم شيئاً ، قلت : ولم ؟ قال : تابعي قد مات وتوفى بعد ذلك .

قال السيوطى : ويؤيد هذه الحكاية قول الشاعر :

انى وكل شاعر من البشر شيطانه انثى وشيطانى ذكر

قال السيوطي : ثم ان السفلة اللئام في عصرنا هذا عن الخير بمعزل لا يبالون بهجو ولا يرغبون لمدح كبيرهم عفر رعديد وصغيرهم غمر هلباجة ، وقد اكثر الشعراء في ذمهم ، والبلغاء في خبيث وصفهم ، فمن ذلك ما قال ابو عبد الله محمد بن سعيد الدلاصي ، ثم البوصيري وهو صاحب البردة ، توفي يوم الاربعاء ثاني عشر

من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وسبعمائة بالبيمارستان بعلة الرعاف فقال :

اكسير نحس كل بمفرده مركب من مدبر فاسد
ان شئت ان تجعل الورى سفلا الق على الالف منهم واحد

قوله عفراى خبيث مخداع ، والرعديد الجبان ـ والغمر بضم الغين ـ هو الذي لم يجرب الامور ، والملباجة الاحمق ، والاحمق لغة ناقص العقل ، ويجمع على احامق وقيل غير ذلك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فلما كان عصر سادس وعشرين من جمادي الاولى من عام الف ومائة وسبعة وثلاثين خرجنا بعون رب العباد ، من مدينة احمد آباد صحبة السيد الجليل النجيب المثيل الكريم الصدوق الوفي ، مولانا السيد يوسف بن الكريم الشهم السيد محمد النجفي ، ورحلنا إلى بلدة ديوهي السالف ذكرها صحبة الامير عين الاعيان ذي الفضل والايدي علينا والاحسان ، الامير الكبير مهر علي خان ، وكان ولاه البلدة السلطان ، وكان السيد يوسف المذكور يطلب ديناً من ابن اخت هذا الامير المشهور وقدره من السكة الهندية خمس عشرة الف ربية ، فسار السيد معه ليعطيه من حاصل البلاد إذا جمعه ، فسرنا معه بعز وكرامة حتى دخلنا ديوهي بالسلامة ، وكان الخان جلى الله كربه قد وعدني بمنصب الحسبة ، فوفى لي بما وعد ، لا زال في عيشة ورغد ، وجعلني على المدينة ناظراً ومحتسب ، رزقه الله من حيث لا يحتسب غير أن الدنيا لنا ما وفت ، وبعد ما اسعفت عفت :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال

والمغرور بالدنيا وفيها من حطام ، هو كالمغرور بالاحلام :

يا طالب الدنيا الدنية انها شرك الردا ومنازل الاكدار
دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غداً تباً لها من دار

قلت : تأمل في هذين البيتين فانهما ينشدان على وجهين : الوجه الأول كما

سطرناه ، وهو من البحر الكامل ، والوجه الثاني من مجزوء الكامل وهو هذا :

يا طالب الدنيا الدنية انها شرك الردا
دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا

وهذا النوع من انواع البديع لطيف ، ويسمى التشريع وهو أن يتصور الشاعر في قصيدته وزنين او اكثر ، كقول الصفي الحلي من بديعيته :

فلو رأيت مصابي عند ما رحلوا رثيت لي من عذابي يوم بينهم

فهذا البيت وزنه من بحر البسيط وهو : (مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن) إلى ثمانية ، ويكون التشريع فيه باسقاط جزء من كل شطر ، فيصير :

فلو رأيت مصابي رثيت لي من عذابي

والبيتان الاولان لابي القاسم الحريري اوردها في مقاماته .

ثم ان النواب المستطاب رستم علي خان استأجر تلك البلدة المذكورة من السلطان ، فعزل مهر علي خان المذكور بعد شهور أربع ، واخرجنا منها ودمعنا اربعون واربع :

داء قديم في بني آدم محنة انسان بانسان

ثم ان النواب رستم علي خان تكفل بقضاء الدين الذي للسيد يوسف على صهره مهر علي خان فرجعنا وأقمنا عنده شهرين ، ولم يحصل للسيد من طلبه غير الفين ، فلما طال المطال علينا وزاد تركناه ، وسرنا إلى احمد آباد وطلب السيد باقي ماله من مهر علي خان ، فحول له بثلاثة آلاف بعد مدة من الزمان .

فلما كان ثاني عشر محرم سنة الف ومائة وثمانية وثلاثين رحلنا من احمد آباد إلى بندر كمبايت المشهور بين العباد ، وكان هذا البندر من بنادر الهند الكبار والآن قد خرب ولم يبق منه المشار ، فنزلنا بدار الجناب الرئيس ميرزا زمان الكمبايتي . فلما كان صبح عشرين من محرم الحرام عام الف ومائة وثمانية وثلاثين من هجرة خير الانام ركبنا في السفينة من بندر كمبايت المشهور ، وتوجهنا إلى

بندر سورت المعمور ، فلما كان خامس وعشرين محرم دخلنا البندر في وقت مكرم وشكرت الملك الوهاب ، وقنعت من الغنيمة بالاياب .

والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر

واجتمعت هناك بالاديب الفاضل ، الشهم العاقل ، الذي اكرم منه ما طرق قط سمعي الشيخ عبد المحسن ابن مفتي مكة المشرفة الشيخ تاج الدين القلعي وبالاديب الفاضل الجواد ، الذي ليس له في عصره مماثل ، رئيس الزمان ، مقلد اعناق الرجال بالاحسان، الجى شريف مكة المشرفة الشيخ احمد بن علان، وبالاديب الـكامل ، العالم العامل السيد عبد الله بن السيد محمد السلفيتي القدسى ، وبشيخنا واستاذنا العالم العلامـة الحبر الهمامة السيد عبد الله بن السيد جعفر باعلوى الملقب بمدهر، وبالعالم العلامة حياة الروح والنفوس مولانا السيد جعفر الصادق الميدروس وبالسيد اسماعيل عطاء الله ، وابنه الاسعد السيد اسعد ، وبالسيد عبد الرحمن القسطنطيني وبالسيد عبد الرحمن امين ، وبالشيخ عباس الحافي ، والشيخ محمـود المتقي والقاضي مصطفى ابن قاضي جدة القاضي احمد ، وكل هؤلاء الاعزة الكرام من سكان بيت الله الحرام ، قدرمتهم الغربة إلى الهند ، واستبدلوا من ليلى بهند :

حسنوا القول وقالوا غربة انما الغربة للاحرار ذبح

فاسأل الله القريب المجيب ، ان يردنا واياهم إلى جوار بيته العتيق عن قريب ويرد إلى الاوطان كل غريب بحرمـة حبيبه محمـد الحبيب وآله وصحبه الـكرام عليهم اشرف السلام :

أجارتنا انا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

فان تصلينا فالمودة بيننا وان تهجرينا فالغريب غريب

قلت : هـذان البيتان من ابيات لأمرىء القيس قالها بانقرة موضع بالروم عند ما دنت وفاته لما سمه ملك الروم في حـلة ارسلها اليه ، وقصته مشهورة ولا بأس بذكرها ها هنا .

رأيت في شرح المقصورة الدريدية ما هذا لفظه : قيل كان امرؤ القيس بن حجر الكندي فاتكا كثير الغزل والولوع بالنساء ، وكثير ما كان يفعل ذلك لينفي عن نفسه الفكر ، فطرده ابوه لما ان قال الشعر فاستتبع صعاليك العرب .

وكان ينتقل في احيائها ويغير بهم فيصف الاوثان ويبكي على الدمن ويذكر الرسوم والاطلال وغير ذلك .

وكان ابوه ملك بنى اسد فتمالؤا عليه فقتلوه ، فبلغ الخبر إلى امرىء القيس وهو يشرب ، فقال ضيعني ابي صغيراً ، وحملني على اخذ الثار كبيراً فارسلها مثلا ثم قال اليوم خمر وغداً امر ، فارسلها مثلا ، ثم جمع جمعاً من بني بكر بن وائل وغيرهم ، وخرج بهم يريد بنى اسد فاذنوا به فارتحلوا ، ثم توجه اليهم فوقع ببني كنانة فقتلهم قتلا ذريعاً حتى . قالت عجوز منهم : انا من بني كنانة وان بنى اسد قد هربوا ، فقال عند ذلك :

ألا يالهف هند اثر قوم ... هم كان الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني ابيهم ... وبالاشقين ما كان العقاب
وافلتهن علباء جريضاً ... ولو ادركنه صفر الوطاب

إعراب هذه الابيات : ألا : استفتاح كلام ، يا : حرف ندا ، لهف ، هند : منادى : مضاف ، أثر : ظرف ، قوم : مضاف أي في أثر قوم ، هم : مبتدأ كانوا كان واسمها الشفاء ، خبر كان وهو منصوب ، والجملة خبر المبتدأ ، فلم : حرف جازم ، ويصابوا : مجزوم بلم، وعلامة جزمهحذف النون من يصابوا ، والضمير فيه مفعول لم يسم فاعله .

وقاهم : فعل ومفعول ، جدهم : فاعل ومضاف ، ببنى مجرور ، أبيهم : مضاف وبالاشقين : مجرور ، ما : زائدة ، كان : فعل ماض ناقص ، العقاب : اسم كان وهو مرفوع ، وخبر كان في المجرور قبلها.

وأفلتهن : فعل ومفعول ، علباء : فاعل ، جريضاً : مفعول باسقاط حرف

الجر ، أي من جريض ، ولو: حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ادركته فعل وفاعل ومفعول ، صفر : فعل ماض ، الوطاب : فاعل ، انتهى .

وعلياء اسم رجل ، والجريض غصص الموت ، والوطاب قربة اللبن ، وهو مثل ضربه في خلو الجسد من الروح ، ثم ان اصحابه اختلفوا عليه ، وقالوا له : وقعت بقوم براه فظلمتهم ، فخرج إلى اليمن إلى بعض ملوك حمير سمي قرملا فاستجاشه فتبطه ، ففي ذلك يقول :

وكنا اناساً قبل غزوة قرمل ورثنا الملا والمجد اكبر أكبرا

ثم انه توجه إلى قيصر ملك الروم ومر في طريقه بالسموأل بن عاديا اليهودي وهو في حصنه الابلق الفرد بتيما فأودعه سلاحا ومتاعاً .

أقول : لا بأس بذكر لامية السموأل هذا ، فانها مشهورة وهي :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل

وما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول

وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل

لنا جبل يحتله من يجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

رسى اصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا ينال طويل

هو الابلق الفرد الذي سار ذكره يعز على من رامه ويطول

وإنا اناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

قلت : في هذا البيت من البديع الاستطراد ، وهو ان يقصد الشاعر معنى من معاني الشعر من غزل او حماسة او غير ذلك ، ثم يستطرد منه إلى غيره كقول السموأل هذا فانه استطرد من الفخر إلى ذم بني عامر وسلول (رجع) :

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فيطول

وفي هذا البيت من البديع الجناس المطرف ، وهو قوله (آجالنا لنا) وقد تقدم الجناس المطرف في اول هذا الكتاب ، وهو ما زاد احد ركنيه على الآخر حرفا في طرفه الأول (رجع) :

وما مات منا سيد حتف انفه ولا ضل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظباة نفوسنا وليس على غير الظباة تسيل

صفونا فلم نكدر واخلص سرنا اناث اطابت حملنا وفحول

علونا إلى خير الظهور وحطنا لوقت إلى خير البطون نزول

فنحن كماء المزن ما في انصبابنا كهام ولا فينا يعد بخيل

وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين تقول

إذا مات منا سيد قام سيد قؤول بما قال الكرام فعول

وما اخمدت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل

وأيامنا مشهورة في عدونا لها غرر معلومة وحجول

واسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدار عين فلول

معودة ان لا يسل نصالها فتغمد حتى يستباح قتيل

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول

فان بني الديان قطب لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول

قلت : كل هذه الابيات البديعة لا تخلو من انواع البديع ، وانما تركنا بيان ذلك اختصاراً وخوفا من الاطالة .

ثم ان امرىء القيس بعد ما اودع السلاح والمتاع عند السموأل مضى إلى قيصر ليستنصره على بني اسد ، وكان معه عمرو بن قميئة ، فلما صعد الدرب واوغلا في بلاد الروم بكى صاحبه عمرو فعند ذلك قال امرىء القيس .

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن إنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا

ثم هلك عمرو فسمته العرب الضائع ، وقد كان امرىء القيس مر ببكر بن وائل فضرب قبابه فيهم وقال : يا معشر بكر هل فيكم شاعر ؟ قالوا : نعم عندنا شيخ كبير فسألهم ان يأتوه به ففعلوا فاستنشده فانشده فاعجبه ، فسأله ان يصحبه إلى قيصر فاجابه ، ثم ان الحرث بن ابي شمر الغساني وهو الحرث الاكبر بلغه ان امرىء القيس اودع سلاحا ومتاعاً عند السموأل فبعث اليه رجلا من اهل بيته يقال له الحرث بن ملك فلما دنا من حصنه أغلق بابه وسأله ما الذي جاء به ، فقال الحرث جئتك لتدفع لي سلاح امرىء القيس ومتاعه فابى عليه . وكان للسموأل خارج الحصن ابن يتصيد يومه ذلك ، فلما رجع قبض الحارث عليه ، وقال للسموأل ان لم تعطني ما قلت لك وإلا قتلت ابنك هذا ، فقال لا سبيل إلى ذلك ، فاصنع ما شئت ، فقتل ابنه ، فضربت العرب المثل به في الوفاء ، وقالت هو اوفى من السموأل وفي ذلك يقول أعشى قيس :

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به في جحفل كقريع الليل جرار

بالابلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار

خيره خطتي خسف وقال له مهما تقول فانى سامع داري

فقال ثكل وغدر انت بينهما فاختر وما فيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له اقتل اسيرك انى مانع جاري

ولما وصل امرىء القيس إلى قيصر قرب مجلسه وادنى مكانه واتخذه نديماً وخلع عليه واحسن إلى اصحابه ، ثم استعان به فوعده ان يرفده بجيش .

وكان امرىء القيس جميل الوجه ، وكانت لقيصر بنت جميلة فاشرفت يوما من قصرها فرأته ورآها فتراسلا حتى اجتمعا فطرقها ليلا ولذلك يقول من قصيدته

فقالت سباك الله انك فاضحي ألست ترى السمار والناس احوالي

فقلت يمين الله ابرح طارقا ولوقطعوا رأسي لديك واوصالي

قلت : ومن ظريف التضمين قول الاديب ابى الحسين الجزار على هذا

الروي والقافية :

قفا نبك من ذكرى قميص وسروال ودراعة لي قد عفا رسمها البالي

وما أنا من يبكي لأسماء ان نأت ولـكنني ابكي على فقد اسما لي

لوأن امرىء القيس ابن حجر رأى الذي أكابده من فرط هم وبلبال

لما مال نحو الخدر خدر عنيزة ولا بات إلا وهو عن حبها سالي

ولاسيما والبرد وافى بريده وحالي بما اعتدت من عسره حالي

ترى هل يراني الناس في فرو جبة اجر بها تيها على الارض اذيالي

ويمسي عدوي غير خال عن الاسى إذا بات عن امثالها بيته خالي

ولو انني اسمى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال

ولـكنني اسمى لمجد وجوخة وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وكان : قد سبق امرىء القيس إلى قيصر رجل من بنى اسد يقال له الطماح فوشى به إلى قيصر فهم بقتله فوجه معه جيشاً وارسل في اثره بحلة مسمومه مع رجل وقال له ان الملك يخصك بالسلام وقد بعث اليك بحلة قد لبسها ليكرمك بها فادخله الحمام وكساه اياها بعد خروجه ، فلما لبسها تنفط بدنه وفي ذلك يقول :

فلو انها نفس تموت جميعه ولـكنها نفس تساقط انفسا

وبدلت قرحا دامياً بعد صحة لعل منايانا تحولن ابؤسا

لقد طمح الطماح من بعد ارضه ليلبسني من دائه ما تلبسا

ثم نزل الى جنب جبل والى ناحية منه قبر فسأل عنه فقيل هو قبر ابنة بعض الملوك الروم ، فقال : فما جاء بها الى ها هنا ؟ فقيل له انها ترهبت في دير لها ، فماتت ودفنت بحيث يرى الملك ، فمنذ ذلك جعل يقول :

أجارتنا ان الخطوب تنوب وانى مقيم ما اقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

فان تصلينا فالمودة بيننا وان تقطعينا فالغريب غريب

أجارتنا ما فات ليس يؤوب ... وما هو آت في الزمان قريب

وليس غريباً من تناءت دياره ... ولكن من واري التراب غريب

فلما ايقن بالموت قال :

كم طعنة متعنجره ... وخطة مسحنفره

وجفنة مـدعثره ... قد غودرت بانقره

قال في شرح مقصورة ابن دريد ما هذا نصه : قال عبيد الله بن عمر : هذا الكلام رجز موزون ، ويحتمل ان يكون تكلم وأراد النثر فخرج على الطبع نظما ، ويحتمل ان يريد الرجز وقصده ، وانما توجه لى ذلك من وجهين :

احدهما : ان غيره قد قال حال الجريض دون القريض فحاله لا يقتضي انه اجمع على ارادة المنظوم دون المنثور .

والثاني : ان كثيراً من النثر يدخل في النظم ، ويحتوي على غالب أدوات الشعر ، وقد قال الله عزوجل في حق رسول الله ﷺ ينفي عنه صناعة الشعر (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ثم انا وجدنا كلاما مشهوراً في كتب اهل الحديث يتزن وله تقطيع كتقطيع المنظوم ، فمن ذلك قوله ﷺ .

هل انت إلا اصبع دميتي ... وفي سبيل الله ما رميتي

فهل ينكر أحد فضل هذا الكلام وبلاغته لو خرج مخرج النظم عند اهل النظم ، وهذا ايضاً كقوله ﷺ :

انا النبي لا كذب ... انا ابن عبد المطلب

فهذا كله رجزاً لا محالة خرج مخرج النثر ، فابتني نظما وقد انكر كثير من العلماء جعل الرجز من الشعر ، وقالوا : ليس بشعر لان رسول الله ﷺ لا يقول الشعر والذي فروا منه من البشاعة وقعوا فيه لان كل شيء يحصره الوزن وتضمه القافية يسمى شعراً على كل حال فجعلوا رسول الله ﷺ قصد الوزن واراده إذا أباحوا له الرجز ولا يطلق اسمه إلا على موزون ، فهذا ابشع من ذلك ورسول الله

صلى الله عليه وسلم لم يقصد قط إلى وزن البتة ، ولا اراده قطعاً ، فيرجع القول إلى ما قلناه بدليل ان الله عزوجل لم يرد بكلامه منهاج الشعر وانما جاء اكثره على قافيته لتعلم العرب انه الذي ركب فيهم الفصاحة واوجدها فيهم ، فنظموها ونثروها ، ولو شاء لجعل ما علم نبيه من النثر نظما وانه المالك لجوامع الكلام ، وجعل له امتناع قول الشعر على انه افصحهم معجزة من معجزاته وآية من آياته ، وقد يدخل في الوزن منه شيء سبق اليه الشعراء على قلة جواز ذلك ونظموا منه كثيراً كقول ابي نواس

خط في الارداف سطر من كتاب الله موزون
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

وقول الآخر :

ان زرتم او جرتم أنا المحب الصابر
لكنكم يا سادتي ألهاكم التكاثر

وكثير في القرآن لم اذكره لئلا تمث به الطلبة وانما احوجني إلى ذكر ما ذكرت إقامة الدليل ، وايضاح الحجة ، فافهم والله يرشدك .

وقول امريء القيس في الرجز متمنجرة ، يعني منصبه ، ومسحنفرة ـ أي ماضية بينة ـ ومدعثرة يعني مكسرة ، وقوله غودرت ، أي تركت وانقرة موضع في بلاد الروم ، ثم مات امرىء القيس فهنالك قبره ، انتهى كلامه .

قلت : حيث انا ذكرنا امرىء القيس فلا باس بذكر لاميته التي هي افصح اللاميات ، وعين قلادة السبع المعلقات ، وهي :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجته من جنوب وشمأل
ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنها حب فلفل
كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل

وان شفائی دمعة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول
كد أبك من ام الحويرث قبلها وجارتها ام الرباب بما سل
إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

قلت : في هذا البيت من نوع البديع التأويل ، وهو ان يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوة النظر فيه والنظم له ، كقول امرىء القيس هذا فان فيه من قال تضوح المسك منهما نسيم الصبا ، ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم يعني بجانب نسيم الصبا وهو ضعيف ، ومن قائل تضوع المسك منهما لتضوع نسيم الصبا وهذا الاقوى .

(رجع) :

ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي
ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل
ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجباً من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرىء القيس فانزل
فقلت لها سيري وارخي زمامه ولا تبعديني من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول
ويوم على ظهر الكثيب تعذرت علي وآلت حلفة لم تحلل
افاطم مهلا بعض هـذا التدلل وان كنت قد ازمعت صرما فاجملي

قلت : وفي هذا البيت من انواع البديع ، نوع التصريع ، وهو ان يأتي الشاعر ببيت في القصيدة يستوي فيه الجزآن من عروض البيت وضربه ، كقولي من قصيدة ميمية :

عسى من قضى بالبعد يا جيرة الحمى يمن لنا بالقرب منكم تكرما

رجع إلى معلقة امرىء القيس :

وان تك قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي

اغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهما تأمري القلب يفعل

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهوبها غير معجل

تجاوزت حراساً اليها ومعشراً علي حراصاً لو يسرون مقتلي

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل

فقالت يمين الله ما لك حيلة وما ان ارى عنك الغواية تنجلي

فقمت بها تمشي تجر وراءها على اثرنا اذيال مرط مرحل

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل

هصرت بفودى رأسها فتمايلت على هضيم الكشح ريا المخلخل

مهفهة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

تصد وتبدي عن شنيب وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نضته ولا بمعطل

وفرع يزين المتن اسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل المدارى في مثنى ومرسل

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقي المذلل

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي اومساويك اسحل

تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسي راهب متبتل

إلى مثلها يرنو الحليم صبابة إذاما اسبكرت بين درع ومجول

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل

تسلت عمايات الرجال عن الصبا … وليس فؤادي عن هواها بمنسل
ألا رب خصم فيك الوى رددته … نصيح على تعذاله غير مؤتل
وليل كموج البحر ارخى سدوله … علي بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه … وأردف اعجازاً وناء بكلكل
ألا ايها الليل الطويل ألا انجلي … بصبح وما الاصباح منك بامثل
فيا لك من ليل كأن نجومه … بكل مغار الفتل شدت بيذبل
وقربة اقوام جعلت عصامها … على كاهل مني ذلول مرحل
وواد كجوف العير قفر قطعته … به الذئب يعوي كالخليع المعيل
فقلت له لما عوى أن شاننا … طويل الغنا ان كنت لما تمول
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته … ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل
كأن الثريا علقت في مصامها … بامراس كتان إلى صم جندل
وقد اغتدى والطير في وكناتها … بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً … كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه … كما زلت الصفواء بالمتنزل
على الذبل جياش كان اهتزامه … إذا جاش فيه حميه غلى مرجل
يزل الغلام الخف عن صهواته … ويلوي باثواب العنيف المثقل
درير كخذروف الوليد امره … تتابع كفيه بخيط موصل
له أيطلا ظبي وساقا نعامة … وارخاء سرحان وتقريب تتفل
مسح إذا ماالسابحات على الونى … اثرن غباراً بالكديد المركل
ضليع إذا استدبرته سد فرجه … بضاف فويق الارض ليس باعزل
كأن سراته لدى البيت قائما … مداك عروس او صلاية حنظل
كأن دماء الهاديات بنحره … عصارة حناء بشيب مرجل
فعن لنا سرب كأن نعاجه … عذارى دوار في ملاء مذيل

فادبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم في العشيرة مخول
فالحقه بالهاديات ودونه جوا حرها في صرة لم تزيل
فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
فظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء او قدير معجل
فرحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ما ترى في العين فيه تسهل
فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني قائماً غير مرسل
اصاح ترى برقا اريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل
يضيء سناه او مصابيح راهب أهان السليط بالذبال المفتل
قعدت واصحابي له بين ضارج وبين العذيب بعد ما متأمل
علا قطنا بالشيم ايمن صوبه وأيسره اعلى الستار فيذبل
فاضحى يسح الماء حول كتيفة يكب على الاذقان دوح الكنهبل
ومر على القنان من نفيانه فانزل منه العصم من كل موئل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا اطما إلا مشيداً بجندل
كأن ثبيراً في عرانين وبله كبيراً اناس في بجاد مزمل
كأن ذرى رأس المجيمز غدوة من السيل والاغثاء فلكة مغزل
والقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليماني ذي العياب المحمل
كأن مكاكي الجواء غدية صبحن رفافاً من رحيق مفلفل
كان سباعاً فيه غرقى عشية بارجائه القصوى انابيش عنصل

قلت : ولا بأس ايضاً بذكر دالية طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط وهي ايضاً من السبع المعلقات قال :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجلد

كان حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين بن يا من يجور بها الملاح طوراً ويهتدي
تشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد
وفي الحي احوى ينقض المردشان مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعى ربربا بخميلة تناول اطراف البريد وترتدي
وتبسم عن ألمى كأن منوراً تخلل حر الرمل دعص له ندي
سفته اياة الشمس إلا لثاته اسف ولم تكدم عليه بإثمد
ووجه كان الشمس حلت رداءها عليه نقي اللون لم يتخدد
واني لامضي الهم عند اختصاره بهوجاء مرقال تروح وتغتدي
أمون كألواح الاران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجد
تبارك عتاقا ناجبات واتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد
تربعت القفين بالشول ترتعي حدائق مولى الاسرة اغيد
تريع إلى صوات المهيب وتتقي بذي خصل روعات اكلف ملبد
كان جناحي مضرجي تكنفا حفا فيه شكا في العسيب بمسرد
فطورا به خلف الزميل وتارة على حشف كالشن ذا ومجدد
لها فخذان عولى النحض فيهما كأنهما بابا منيف ممرد
وطى محال كالحنى خلوفه واخرته لزت بدأي منضد
كان كناسي ضالة يكنفانها واطرقسي تحت صلب مؤيد
لها مرفقان افتلان كأنما امرا بسلمى دالج متشدد
كقنطرة الرومى اقسم ربها لتكتنفا حتى تشاد بقرمد
صهابية العثنون موجدة القرى بعيدة وخد الرجل موارة اليد
امرت يداها فتل شزر واجنحت لها عضداها في سقيف منضد
جنوح دفاق عندل ثم افرغت لها كتفاها في معالى مصعد

كان علوب النسع في دأياتها موارد من خلقاء في ظهر فدفد
تلاقى واحياناً تبين كأنها بنائق غر في قميص مقدد
واتلم نهاض إذا صعدت به كسكان بوصى بدجلة مصعد
وجمة مثل العلاة كأنما وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد
وخد كقرطاس الشآمي ومشفر كسبت اليماني قده لم يجرد
وعينان كالماويتين استكنتا بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد
طحوران عوار القذى فتراهما كمكحولتي مذعورة ام فرقد
وصادقتا سمع التوجس للسرى لهجس خفي او لصوت مندد
مؤللتان تعرف العتق فيهما كسامعتي شاة بحومل مفرد
واروع نباض احد ململم كمرداة صخر من صفيح مصمد
وان شئت ساوى واسط الكور رأسها
وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد
وان شئت لم ترقل وان شئت أرقلت
مخافة ملوى من القد محصد
واعلم مخروت من الانف مارن عتيق متى ترجم به الارض تزدد
على مثلها امضى اذا قال صاحبي ألا ليتني افديك منها وافتدي
وجاشت اليه النفس خوفاً وخاله مصاباً ولو امسى على غير مرصد
إذا القوم قالوا من فتى خلت انني عنيت فلم اكسل ولم اتبلد
احلت عليها بالقطيع فاجذمت وقد خب آل الامعز المتوقد
فذالت كما ذالت وليدة مجلس ترى ربها اذيال سحل ممدد
ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم ارفد
فان تبغني في حلقة القوم تلقني وان تقتنصني في الحوانيت تصطد
متى تأتني اصبحك كاساً روية وان كنت عنها ذا غنى فاغن وازدد

وان يلتق الحى الجميع تلاقني — إلى ذروة البيت الرفيع المصمد
نداماي بيض كالنجوم وقينة — تروح علينا بين برد ومجسد
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة — بجس الندامى بضة المتجرد
إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا — على رسلها مطروفة لم تشدد
وما زال تشرابي الخمور ولذتي — وبيعي وانفاق طريفي ومتلدي
إلى ان تحامتني العشيرة كلها — وأفردت افراد البعير المعبد
رأيت بني غبراء لا ينكرونني — ولا اهل هذاك الطراف الممدد
ألا ايا هذا اللائمي احضر الوغى — وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي — فذرني ابادرها بما ملكت يدي
فلو لا ثلاث هن من عيشة الفتى — وجدك لم احفل متى قام عودي
فمنهن سبق العاذلات بشربة — كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرى إذا نادى المضاف محنبا — كسيد الغضا ذي السورة المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب — ببهكنة تحت الخباء المعمد
كأن البرين والدماليج علقت — على عشر او خروع لم يخضد
كريم يروي نفسه في حياته — ستعلم ان متنا غداً أينا الصدى
أرى قبر نحام بخيل بماله — كقبر غوي في البطالة مفسد
ترى جثوتين من تراب عليهما — صفائح صم من صفيح منضد
أرى الموت يعتام الكريم ويصطفي — عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى العمر كنزاً ناقصا كل ليلة — وما تنقص الايام والدهر ينفد
لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى — لكالطول المرخي وثنياه باليد
فما لي اراني وابن عمي مالكا — متى ادن منه ينأ عني ويبعد
يلوم ولا ادري علام يلومني — كما لامني في الحي قرط بن اعبد
وايأسني من كل خير طلبته — كأنا وضعناه إلى رمس ملحد

على غير ذنب قلته غير انني ... نشدت فلم أغفل حمولة معبد

وقربة ذي القربى وجدك انني ... متى يك عهد للنكيثة اشهد

وان ادع في الجلى اكن من حماتها ... وان تأتك الاعداء بالجهد اجهد

وان يقذفوا بالقذع عرضك اسقهم ... بكاس حياض الموت قبل التهدد

بلا حدث احدثته وكمحدث ... هجائى وقذفي بالشكاة ومطردي

فلو كان مولاي امرأ هو غيره ... لفرج كربي او لأنظرنى غدي

ولكن مولاي امرؤ هو خانق ... على الشكر والتسآل او انا مفتدي

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

فذرنى وخلق انني لك شاكر ... ولو حل بيتي نائياً عند ضرغد

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرثد

فالفيت ذا مال كثير وعادني ... بنون كرام سادة لمسود

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه ... خشاش كرأس الحية المتوقد

فآليت لا ينفك كشحي بطانة ... لعضب رقيق الشفرتين مهند

حسام إذا ما قمت منتصراً به ... كفى العود منه البدء ليس بمعضد

أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة ... إذا قيل مهلا قال حاجزه قد

إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني ... منيعاً إذا بلت بقائمه يدي

وبرك هجود قد آثارت مخافتي ... نواديها اسعى بعضب مجرد

فمرت كهاة ذات خيف جلالة ... عقيلة شيخ كالوبيل يلندد

تقول وقد تر الوظيف وساقها ... الست ترای أن قد اتيت بموئد

وقال ألا ماذا ترون بشارب ... شديد علينا بغيه متعمد

فقال ذروها انما نفعها له ... وألا تردوا قاصى البرك يردد

فظل الاماء يمتللن حوارها ... ويسعى علينا بالسديف المسرهد

فان مت فانعيني بما أنا اهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

ولا تجعليني كامرىء ليس همه كهمي ولا يغني غناي ومشهدي
بطيء عن الداعي سريع إلى الخنا ذليل باجماع الرجال ملهد
فلو كنت وغلا للرجال لضرني عداوة ذي الاصحاب والمتوحد
ولكن نفى عني الرجال جراءتي عليهم واقدامي وصدقي ومحتدي
لعمرك ما امري علي بغمة نهاري ولا ليلي علي بسرمد
ويوم حبست النفس عند اعتراكها حفاظاً على روعاتها والتهدد
على موطن يخشى الفتى عنده الردا متى تعترك فيه الفرائص ترعد
أرى الموت اعداد النفوس ولا ارى بعيداً غداً ما اقرب اليوم من غد
واصفر مضبوح نظرت حواره على النار واستودعته كف مجمد
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد
لعمرك ما الايام إلا معارة فما اسطعت من معروفها فتزود
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

قلت: ومن السبع المعلقات المشهورات ايضاً قصيدة عنترة بن شداد العبسي الميمية المشهورة، ولا بأس ايضاً بذكرها، وهي:

اعياك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالاصم الاعجم
ولقد حبست بها طويلا ناقتي ترغو إلى سفع الرواكد جثم
هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
دار لآنسة غضيض طرفها طوع العنان لذيذة المتبسم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لأقضي حاجة المتلوم
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالمتثلم
حييت من طلل تقادم عهده أقوى واقفر بعد أم الهيثم

حلت بارض الزائرين فاصبحت　　عسراً على طلابها ابنة مخرم
علقتها عرضاً واقتل قومها　　زعماً لعمر ابيك ليس بمزعم
ولقد نزلت فلا تظنى غيره　　منى بمنزلة المحب المكرم
كيف المزار وقد تربع اهلها　　بعنيزتين وأهلنا بالغيلم
ان كنت ازمعت الفراق فانما　　زمت ركائبهم بليل مظلم
ما راعنى إلا حمولة اهلها　　وسط الديار تسف حب الخمخم
فيها اثنتان واربعون حلوبة　　سودا كخافية الغراب الاسحم
إذ تستبيك بذي غروب واضح　　عذب مقبله لذيذ المطعم
وكأن فارة تاجر بقسيمه　　سبقت عوارضها اليك من الفم
او روضة انف تضمن نبتها　　غيثاً قليل الدمن ليس بمعلم
جادت عليه كل بكر حرة　　فتركن كل قرارة كالدرهم
سحا وتسكابا فكل عشية　　يجري عليها الماء لم يتصرم
وخلا الذباب لها فليس ببارح　　غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه　　قدح المكب على الزناد الاجذم
تمسي وتصبح فوق ظهر حشية　　وابيت فوق سراة أدهم ملجم
وحشيتي سرج على عبل الشوى　　نهد مراكله نبيل المحزم
هل تبلغنى دارها شد نية　　لعنت بمحروم الشراب مصرم
خطارة غب السرى موارة　　تطس الاكام بذات خف ميثم
وكأنما اقص الاكام عشية　　بقريب بين المنسمين مصلم
يأوي إلى قلص النعام كما اوت　　خرق شآمية لأعجم طمطم
يتبعن قلة رأسه وكأنه　　حدج على نعش لهن مخيم
صعل يعود بذي العشيرة بيضه　　كالعبد ذي الفرو الطويل الاصلم
شربت بماء الدحرضين فاصبحت　　زوراء تنفر عن حياض الديلم

وكأنما ينأى بجانب دفها الوحشي من هزج العشي مؤوم

هز جنيب كلما عطفت له غضبى اتقاها باليدين وبالفم
بركت على ماء الرداع كأنما بركت على قصب اجش مهضم
وكأن ربا او كحيلا معقداً حش الوقود به جوانب قمقم
بلت معا بنهابه فتوسعت منه على سمن قصير مكدم
ابقى لها طول السفار مقرمداً سنداً ومثل دعائم المتخيم
ينباع من ذفري غضوب جسرة زيافة مثل الفنيق المكدم
ان تغدفي دوني القناع فانني طب بأخذ الفارس المستلئم
أثني علي بما علمت فانني سهل مخالقتي إذا لم اظلم
فاذا ظلمت فان ظلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم
ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات اسرة قرنت بازهر في الشمال مفدم
فاذا شربت فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي
وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الاعلم
سبقت يداي له بعاجل ضربة ورشاش نافذة كلون العندم
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا ازال على رحالة سابح نهد تعاوره الكماة مكلم
طوراً يجرد للطعان وتارة يأوي إلى حصد القسي عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعة انني اغشى الوغى واعف عند المغنم
ولقد ابيت على الطوى واظله حتى انال به لذيذ المطعم
ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

قلت : هذان البيتان فيهما من انواع البديع الافتنان ، وهو ان يجمع الشاعر في البيت بين غرضين من فنون الكلام كالغزل والحماسة وتشبيه ذلك كقولي :

يا بدر اني عند مشتبك القنا	والقوم بين مقطب ومعبس
أهوى معانقة الرماح لانها	ماست كقدك يا حياة الانفس

رجع إلى قصيدة عنترة :

ومدجج كره الكماة نزاله	لا ممعن هربا ولا مستسلم
جادت يداي له بعاجل طعنة	بمثقف صدق الكعوب مقوم
برحيبة الفرغين يهدي جرسها	بالليل معتس الذياب الضرم
فشككت بالرمح الطويل اهابه	ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع ينشنه	يقضمن قلة رأسه والمعصم
ومشك سابغة هتكت فروجها	بالسيف عن حامي الحقيقة معلم
ربذ يداه بالقداح إذا شتا	هتاك غايات التجار ملوم
فطعنته بالرمح ثم علوته	بمهند صافي الحديدة مخذم
لما رآني قد نزلت اريده	ابدى نواجذه لغير تبسم
عهدي به شد النهار كأنما	خضب البنان ورأسه بالعظلم
بطل كأن ثيابه في سرحة	يحذي نعال السبت ليس بتوأم
يا شاة ما قنص لمن حلت له	حرمت علي وليتها لم تحرم
فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي	فتجسسي اخبارها لي واعلمي
قالت رأيت من الاعادي غرة	والشاة ممكنة لمن هو مرتمي
وكأنما التفت بجيد جداية	رشأ من الغزلان حر أرثم
نبئت عمراً غير شاكر نعمتي	والكفر مخبثة لنفس المنعم
ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى	إذ تقلص الشفتان من وضح الفم
في حومة الموت التي لا تشتكي	غمراتها الابطال غير تغمغم

إذ يتقون بي الاسنة لم أخم عنها ولو انى تضايق مقدمي
لما سمعت نداء مرة قد علا وابني ربيعة في الغبار الاقتم
ومحلما يدعون تحت لوائهم والموت تحت لواء آل محلم
ايقنت ان سيكون عند لقائهم ضرب تطير عن الفراخ الجثم
لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كانها اشطان بئر في لبان الادهم
ما زلت ارميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا بلبانه وشكى إلي بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ماالمحاورة اشتكى ولكان لوعلم الكلام مكلمي
والخيل تقتحم الغبار عوابساً من بين شيظمة واجرد شيظم
ولقد شفى نفسي وابرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنترة اقدم
ذلل ركابي حيث شئت مشايعي قلبي واحفزه برأي مبرم
ولقد خشيت بان اموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم اشتمهما والناذرين إذا لم القهما دمي
ان يفعلا فلقد تركت اباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

قلت: ومن جياد السبع المعلقات ايضاً قصيدة عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي شهاب الاراقم وهي:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبق خمور الاندرينا
مشعشعة كان الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا
تجور بذي اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حتى يلينا
ترى اللحز الشحيح إذا امرت عليه لما له فيها مهينا
صددت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا
وانا سوف تدركنا المنايا مقدرة لنا ومقدرينا

فقي قبل التفرق يا ظعينا نخبرك اليقين وتخبرينا
بيوم كريهة طعناً وضربا اقر به مواليك العيونا
قفي نسألك هل احدثت صرما لو شك البين ام خنت الامينا
تريك إذا دخلت على خلاء وقد امنت عيون الكاشحينا
ذراعي عيطل ادماء بكر تربعت الاجارع والمتونا
وثديا مثل حق العاج رخصا حصاناً من اكف اللامسينا
ومتني لدنة طالت ولانت روادفها تنوء بما يلينا
وراجعت الصبا واشتقت لما رأيت حمولها اصلا حدينا
واعرضت اليمامة واشمخرت كاسياف بايدي مصلتينا
وان غدا وان اليوم رهن وبعد غد بما لم تعلمينا
فما وجدت كوجدي ام سقب اضلته فرجعت الحنينا
ولا شمطاء لم تترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا
أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا
بانا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمراً قد روينا

قلت : في هذا البيت من انواع البديع التدبيج ، وهو ان يقصد الشاعر ألواناً يكني بها ويوري عما يريده من مدح او وصف او نسب او حماسة او غير ذلك ، كقول الطغرائي من لاميته المتقدم ذكرها :

يحمون بالبيض والسمر اللدان سود الغدائر حمر الحلى والحلل

رجع إلى معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي :

وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا
وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمى المحجرينا
تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا
وقد هرت كلاب الحي منا وشذبنا قتادة من يلينا

متى ننقل إلى قوم رحانا … يكونوا في اللقاء لها طحينا
يكون ثقالها شرق نجد … ولهوتها قضاعة اجمعينا
وان الضغن بعد الضغن يفشو … عليك ويخرج الداء الدفينا
ورثنا المجد قد علمت معد … نطاعن دونه حتى نبينا
ونحن إذا عماد الحي خرت … على الاحفاض نمنع من يلينا
نداقع عنهم الاعداء قدما … ونحمل عنهم ما حملونا
نطاعن ما تراخى الصف عنا … ونضرب بالسيوف إذا غشينا
بسمر من قنا الخطى لدن … ذوابل او ببيض تعتلينا
نشق بها رؤس القوم شقا … ونخليها الرقاب فيختلينا
تخال جماجم الابطال فيها … وسوقا بالاماعز يرتمينا
نجذ رؤسهم في غير وتر … فما يدرون ما ذا يتقونا
كأن سيوفنا فينا وفيهم … مخاريق بايدي لا عبينا
كأن ثيابنا منا ومنهم … خضبن بارجوان او طلينا
إذا ما عي بالاسناف حي … من الهول المشبه ان يكونا
نصبنا مثل رهوة ذات جد … محافظة وكنا السابقينا
بفتيان يرون القتل مجداً … وشيب في الحروب مجربينا
حديا الناس كلهم جميعاً … مقارعة بنيهم عن بنينا
فاما يوم خشيتنا عليهم … فتصبح خيلنا عصباً ثبينا
وأما يوم لا نخشى عليهم … فنمعن غارة متلببينا
برأس من بني جشم بن بكر … ندق به السهولة والحزونا
باي مشيه عمرو بن هند … نكون لقيلكم فيها قطينا
تهددنا وتوعدنا رويدا … متى كنا لأمك مقتوينا
وان قناتنا يا عمرو أعيت … على الاعداء قبلك ان تلينا

إذا عض الثقاف بها اشمأزت ... وولتهم عشوشنة زبونا
عشوشنة إذا غمزت ارنت ... تشج قفا المثقف والجبينا
فهل حدثت عن جشم بن بكر ... بنقض في خطوب الاولينا
ورثنا مجد علقمة بن سيف ... اباح لنا خصون المجد دينا
ورثت مهلهلا والخير منه ... زهيراً نعم ذخر الذاخرينا
وعتابا وكلثوما جميعاً ... بهم نلنا تراث الاكرمينا
وذا البرة الذى حدثت عنه ... به نحمي ونحمي الملجئينا
ومنا قبلة الساعي كليب ... فاي المجد الا ما ولينا
متى تعقد قرينتنا بحبل ... نجذ الحبل او تقصى القرينا
ونوجد نحن امنعهم ذمارا ... وأوفاهم اذا عقدوا يمينا
ونحن غداة او قدَ في خزازي ... رفدنا فوق رفد الرافدينا
ونحن الحابسون بذي اراط ... تسف الجلة الخور الدرينا
ونحن الحاكمون اذا أطعنا ... ونحن العازمون اذا عصينا
ونحن التاركون لما سخطنا ... ونحن الآخذون لما رضينا
وكنا الايمنين اذا التقينا ... وكان الايسرون بني ابينا
فصالوا صولة فيمن يليهم ... وصلنا صولة فيمن يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وابنا بالملوك مصفدينا
اليكم يا بني بكر اليكم ... ألما تعرفوا منا اليقينا
ألما تعلموا منا ومنكم ... كتائب يطعن ويرتمينا
علينا البيض واليلب اليماني ... واسياف يقمن وينحنينا
علينا كل سابغة دلاص ... ترى تحت النجاد لها غضونا
اذا وضعت على الابطال يوما ... رأيت لها جلود القوم جونا
كأن متونهن متون غدر ... تصفقها الرياح اذا جرينا

وتحملنا غداة الروع جرد ... عرفن لنا نقائذ وافتلينا
ورثناهن عن آباء صدق ... ونورثها اذا متنا بنينا
وقد علم القبائل من معد ... اذا قبب بابطحها بنينا
بانا المنعمون اذا قدرنا ... وانا المهلكون اذا اتينا
ونشرب ان وردنا الماء صفواً ... ويشرب غيرنا كدراً وطينا
ألا ابلغ بني الطماح عنا ... ودعميا فكيف وجدتمونا
نزلتم منزل الاضياف منا ... فعجلنا القرى ان تشتمونا
قريناكم فعجلنا قراكم ... قبيل الصبح مرداة طحونا
على آثارنا بيض كرام ... تحاذر ان تفارق او تهونا
ظعائن من بني جشم بن بكر ... خلطن بميسم حسباً وديناً
أخذن على فوارسهن عهداً ... إذا لاقوا فوارس معلمينا
ليستلبن ابدانا وبيضاً ... واسرى في الحديد مقرنينا
إذا ما رحن يمشين الهوينا ... كما اضطربت بطون الشاربينا
يقدن جيادنا ويقلن لستم ... بعولتنا إذا لم تمنعونا
إذا لم نحمهن فلا بقينا ... لخير بعدهن ولا حيينا
ولا منع الظعائن مثل ضرب ... ترى منه السواعد كالقلينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا
إذا ما الملك سام الناس خسفاً ... ابينا ان يقر الخسف فينا
نسمى ظالمين وما ظلمنا ... ولكنا سنبدوا ظالمينا
إذا بلغ الفطام لنا رضيع ... تخر له الجبابر ساجدينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا ... وظهر البحر نملؤه سفينا
ولو كان السماء حلول أنس ... لكنا فوق سبع قاطنينا
ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال زهير بن ابى سلمى ـ بضم السين المهملة ـ المزنى وليس في العرب سلمى بضم السين ـ غيره ، وهذه القصيدة من اجود السبع المعلقات وهي :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم
ودار لها بالرقمتين كانها مراجع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة واطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدار بعد توهم
أثافيّ سفعا في معرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها الا انعم صباحا ايها الربع واسلم
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم
علون بانماط عتاق وكلة وراد حواشيها مشاكهة الدم
وورکن في السوبان يعلون متنه عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكوراً واستحرن بسحرة فهن ووادي الرس كاليد للفم
وفيهن ملهى للصديق ومنظر انيق لعين الناظر المتوسم
كأن فتات العهن في كل موقف وقفن به حب الفنا لم يحطم
فلما وردنا الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم
جعلن القنان عن يمين وحزنه وكم بالقنان من محل ومحرم
ظهرن من السوبان ثم خزعنه على كل قيني قشيب ومفأم
فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم
يميناً لنعم السيد ان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم
سعى ساعياً غيض بن مرة بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدم
تدارکتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقدقلتما ان ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من القول فاسلم
فاصبحتما منها علي خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم

عظيمين فى عليا معد هديتما ... ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم
تعفى الكلوم بالمئين فاصبحت ... ينجمها من ليس فيها بمجرم
وينجمها قوم لقوم غرامة ... ولم يهريقوا بينهم ملء محجم
فاصبح يجري فيهم من تلادكم ... مغانم شتى من نتاج مزنم
فمن مبلغ الاحلاف عنى رسالة ... وذبيان هل اقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما في صدوركم ... ليخفي ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم حساب او يعجل فينقم
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضري إذا أضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها ... وتلقح كشافا ثم تنتج فتتأم
فتولد لكم غلمان اشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم ما لا تغل لاهلها ... قرى بالعراق من قفيز ودرهم
لعمري لنعم الحي جر عليهم ... بما لا يؤاتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحاً على مستكنه ... فلا هو ابداها ولم يتقدم
فقال سأقضي حاجتي ثم اتقي ... عدوى بألف من ورائي ملجم
فشد ولم ينظر بيوتاً كثيرة ... لدى حيث ألقت رحلها ام قشعم
لدى اسد شاكى السلاح مجرب ... له لبد اظفاره لم تقلم
جريء متى يظلم يعاقب بظلمه ... سريعاً وإلا يبد بالظلم يظلم
رعوا ظمأهم حتى إذا تم اوردوا ... غماراً تفرى بالسلاح وبالدم
فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا ... إلى كلأ مستو بل متوخم
لعمرك ما جرت عليهم رماحهم ... دم ابن نهيك او قتيل المثلم
ولا شاركت في القتل في دم نوفل ... ولا وهب منها ولا ابن المحزم
فكلا اراهم اصبحوا يعقلونه ... صحيحات مال طالعات بمخرم

لحي حلال يعظم الناس امرهم إذا طرقت احدى الليالي بمعظم

كرام فلا ذو النبل يدرك نبله لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابالك يسأم

واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه إلى مطمئن الخير لا يتجمجم

ومن هاب اسباب المنايا بلينه وان يرق اسباب السماء بسلم

ومن يجعل المعروف في غير اهله يكن حمده ذماً عليه ويندم

ومن يعص اطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهزم

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق إلا صورة اللحم والدم

رأيت سفاه الشيخ لاحلم بعده وان الفتى بعد السفاهة يحلم

سألنا فاعطيتم وعدنا وعدتم ومن اكثر التسآل يوماً فيحرم

وقال لبيد بن ربيعة العامري :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

فمدافع الريان عرى رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سلامها

دمن تجرم بعد عهد انيسها حجج خلون حلالها وحرامها

رزقت مرابيع النجوم وصابها   ودق الرواعد جودها فرهامها

من كل سارية وغاد مدجن   وعشية متجاوب ارزامها

فعلا فروع الايهقان واطفلت   بالجلهتين ظباؤها ونعامها

والوحش ساكنة على اطلائها   عوذاً تأجل بالفضاء بهامها

وجلا السيول عن الطلول كأنها   زبر تجد متونها اقلامها

او رجع واشمة اسف نؤورها   كففاً تعرض فوقهن وشامها

فوقفت اسألها وكيف سؤالنا   صما خوالد لا يبين كلامها

عريت وكان بها الجميع فابكروا   منها وغودر نؤيها وثمامها

شاقتك ظعن الحي حين تحملوا   فتكنسوا قطنا تصر خيامها

من كل محفوف يظل عصيه   زوج عليه كلة وقرامها

زجلا كأن نعاج توضح فوقها   وظباء وجرة عطفا آرامها

حفزت وزايلها السراب كأنها   اجزاع بيشة اثلها ورضامها

بل ما تذكر من نوار وقد نأت   وتقطعت اسبابها ورمامها

مرية حلت بفيد وجاورت   اهل الحجاز فأين منك مرامها

بمشارق الجبلين او بمحجر   فتضمنتها فردة فرخامها

فصوائق ان ايمنت فمظنة   منها وحاف القهر او طلخامها

فاقطع لبانة من تعرض وصله   واشر واصل خلة صرامها

واحب المجامل بالجزيل وصرمه   باق إذا ضلعت وزاغ قوامها

بطليح اسفار تركن بقية   منها فاحنق صلبها وسنامها

وإذا تغالى لحمها وتحسرت   وتقطعت بعد الكلال خدامها

فلها هباب في الزمام كأنها   صهباء راح مع الجنوب جهامها

اوملمع وسقت لاحقب لاحه   طرد الفحول وضربها وكدامها

يعلو بها حدب الاكام مسحج   قد رابه عصيانها ووحامها

بأحزة الثلبوت يربا فوقها ... قفر المراقب خوفها آرامها
حتى إذا سلخا جمادي ستة ... جزءاً فطال صيامه وصيامها
رجعا بأمرهما إلى ذي مرة ... حصد ونجح صريمة ابرامها
ورمى دوابرها السفا وتهيجت ... ريح المصائف سومها وسهامها
فتنازعا سبطا يطير ظلاله ... كدخان مشعلة يشب ضرامها
مشمولة غلثت بنابت عرفج ... كدخان نار ساطع اسنامها
فمضى وقدمها وكانت عادة ... منه إذا هي عردت اقدامها
فتوسطا عرض السري وصدعا ... مسجورة متجاور اقلامها
محفوفة وسط اليراع يظلها ... منه مصرع غابة وقيامها
افتلك ام وحشية مسبوعة ... خذلت وهادية الصوار قوامها
خنساء ضيعت الفرير فلم يرم ... عرض الشقائق طوفها وبغامها
لمعفر فهد تنازع شلوه ... غبش كواسب لا يمن طعامها
صادفن منها غرة فأصبنها ... ان المنايا لا تطيش سهامها
باتت واسبل واكف من ديمة ... يروى الخمائل دائماً تسجامها
يعلو طريقة متنها متواتراً ... في ليلة كفر النجوم غمامها
يجتاف اصلا قالصاً متبـدداً ... بعجوب انقاء يميل هيامها
وتضيء في وجه الظلام منيرة ... كجمانة البحري سل نظامها
حتى إذا انحسر الظلام واسفرت ... بكرت تزل على الثرى ازلامها
علهت تردد في نهاء صعائد ... سبعاً تواما كاملا ايامها
حتى إذا يئست واسحق حالق ... لم يبله ارضاعها وفطامها
وتوجست ركز الانيس فراعها ... عن ظهر غيب والانيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب انه ... مولى المخافـة خلفها وامامها
حتى إذا أيس الرماة وارسلوا ... غضفاً دواجن قافلا اعصامها

فلحقن واعتكرت لها مذروبة ... كالسمهرية حدها وتمامها
لتذودهن وايقنت ان لم تذد ... ان قد احم من الحتوف حمامها
فتقصدت منها كساب فضرجت ... بدم وغودر في المكر سخامها
فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحى ... واجتاب اردية السراب اكامها
اقضي اللبانة لا أفرط ريبة ... او ان يلوم بحاجة لوامها
او لم تكن تدري نوار باتني ... وصال عقد حبائل صرامها
تراك امكنة إذا لم ارضها ... او يرتبط بعض النفوس حمامها
بل انت لا تدرين كم من ليلة ... طلق لذيذ لهوها ونداما
قد بت ساهرها وغاية تاجر ... وافيت إذ رفعت وعز مدامها
أغلى السباء بكل ادكن عاتق ... او جونة قدحت وفض ختامها
وصبوح صافية وجذب كرينة ... بموتر تأتا له ابهامها
باكرت حاجتها الدجاج بسحرة ... لاعل منها حين هب نيامها
وغداة ريح قد كشفت وقرة ... قد اصبحت بيد الشمال زمامها
ولقد حميت الخيل تحمل شكتي ... فرطاً وشاحي إذ غدوت لجامها
فعلوت مرتقياً على ذي هبوة ... حرج على اعلامهن قتامها
حتى إذا القت يداً في كافر ... وأجن عورات الثغور ظلامها
أسهلت وانتصبت كجذع منيفة ... جرداء يحصر دونها جرامها
رفعتها طرد النعام وشله ... حتى إذا سخنت وخف عظامها
قلقت رحالتها واسبل نحرها ... وابتل من زبد الحميم حزامها
ترقى وتطعن في العنان وتنتحي ... ورد الحمامة إذ اجد حمامها
وكثيرة غرباؤها مجهولة ... ترجى نوافلها ويخشى ذامها
غلب تشذر بالذحول كانها ... جن البدى رواسياً اقدامها
انكرت باطلها وبؤت بحقها ... عندي ولم تفخر علي كرامها

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه اجسامها

ادعو بهن لعاقر او مطفل بذلت لجيراني الجميع لحامها

فالضيف والجار الغريب كأنما هبطا تبالة مخصباً اهضامها

تأوي إلى الاطناب كل رذية مثل البلية قالصاً اهدامها

ويكللون إذا الرياح تناوحت خلجا تمد شوارعا ايتامها

انا إذا التقت المجامع لم يزل لزآزىء وعظيمة جسامها

ومقسم يعطي العشيرة حقها ومعذمر لحقوقها هضامها

فضلا وذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غنامها

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وامامها

لا يطمعون ولا يبور فعالهم إذلا تميل مع الهوى احلامها

فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها

وإذا الامانة قسمت في معشر اوفى بأوفر حظنا قسامها

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكه فسما اليه كهلها وغلامها

فهم السعاة إذا العشيرة افظعت وهم فوارسها وهم حكامها

وهم ربيع للمجاور فيهم والمرملات إذا تطاول عامها

وهم العشيرة ان تبطأ حاسد او ان يميل مع العدو لئامها

ان يفزعوا فسوابغ موضونة والبيض تبرق كالكواكب لامها

وقال الحارث بن حلزة اليشكري ، وهذه القصيدة آخر المعلقات :

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

بعد عهد لنا ببرقة شماء فأدنى ديارها الخلصاء

فالمحياة فالصفاح فاعناق فتاق فعاذب فالوفاء

فرياض القطا فأودية الشربب فالشعبتين فالابلاء

لا ارى من عهدت فيها فابكي اليوم دلها وما يحير البكاء

وبعينيك او قدت هند النار اخيراً تلوى بها العلياء
فتنورت نورها من بعيد بخزازى هيهات منك الصلاء
اوقدتها بين العقيق فشخصين بعود كما يلوح الضياء
غير اني قد استعين على الهم إذا خف بالثوى النجاء
بزفوف كأنها هقلة ام رئال دوية سقفاء
أنست نبأة وافزعها القناص عصراً وقد دنا الامساء
فترى خلفها من الرجع والوقع منينا كأنه اهباء
وطراقا من خلفهن طراق ساقطات ألوت بها الصحراء
أتلهى بها الهواجراذ كل ابن هم بليــــة عمياء
واتانا من الحوادث والانباء خطب نعنى به ونساء
ان اخواننا الاراقم يغلون علينا في قيلهم اخفاء
يخلطون البري منا بذي الذنب ولا ينفع الخلي الخلاء
زعموا أن كل من ضرب العير موال لنا ونحن الولاء
اجمعوا امرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء
أيها الناطق المبلغ عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء
لا تخلنا على غراتك انا قدما قد وشى بنا الاعداء
فبقينا على الشناة تمنينا حصون وعزة قعساء
قبل ما اليوم بيضت بعيون الناس فيها تغيظ واباء
وكأن المنون تردى بنا ارعن جوناً ينجاب عنه العماء
مكفهراً على الحوادث لا ترتوه للدهر مؤيد صماء
ارمي بمثله جالت الخيل وتأبى لخصمها الاجلاء
ملك مقسط وافضل من يمشي ومن دون ما لديه الثناء

أيها خطة اردتم فادوها الينا تسمى بها الاملاء
ان نبشتم ما بين ملحة والصاقب فيه الاموات والاحياء
او نقشتم فالنقش يجسمه الناس وفيه السقام والابراء
او سكتم عنا فكنا كمن اغمض عيناً في جفنها الاقذاء
او منعتم ما تسئلون فمن حدثتموه له علينا العلاء
هل علمتم ايام ينتهب الناس غوار الكل حي غواء
إذ رفعنا الجماله من سعف البحرين سيراً حتى نهاها الحساء
ثم ملنا على تميم فاحرمنا وفينا بنات قوم اماء
لا يقيم العزيز بالبلد السهل ولا ينفع الذليل النجاء
ليس ينجي الذي يوائل منا رأس طود وحرة رجلاء
ملك اضرع البرية لا يوجد فيها لما لديه كفاء
كتكاليف قومنا إذ غزا المنذر هل نحن لابن هند رعاء
ما اصابوا من تغلبي فمطلول عليه إذا أصيب العفاء
إذ أحل العلياء قبة ميسون فادنى ديارها العوصاء
فتأوت له قراضبة من كل حي كأنهم القاء
فهداهم بالاسودين وامر الله بلغ يشقى به الاشقياء
إذ تمنونهم غروراً فساقتهم اليكم امنية اشراء
لم يغروكم غروراً ولكن رفع الآل شخصهم والضحاء
ايها الناطق المبلغ عنا عند عمرو وهل لذاك انتهاء
من لنا عنده دلائل آيات ثلاث في كلهن القضاء
آية شارق الشقيقة إذ جاءت معد لكل حي لواء
حول قيس مستلئمين بكبش قرظي كأنه عبلاء
وصتيت من العواتق لا تنهاه إلا مبيضة رعداء

فرددناهم بطعن كما يخرج من خربة المزاد الماء
وحملناهم على خرم ثهلان شلالا فدمي الانساء
وجبهناهم بطعن كما تنهز في حمة الطوى الماء
وفعلنا بهم كما علم الله وما ان للخائنين دماء
ثم حجراً اعني ابن ام قطام وله فارسية خضراء
أسد في اللقاء ورد هموس وربيع ان شمرت غبراء
وفككنا غل امرىء القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء
ومع الجون جون آل بني الاوس عنود فكأنها دفواء
ما جزعنا تحت العجاجة إذ ولوا شلالا وإذ تلظى الصلاء
واقدناه رب غسان بالمنذر كرها إذ لا تكال الدماء
واتيناهم بتسعة املاك كرام اسلابهم اغلاء
وولدنا عمرو بن ام اناس من قريب لما أتانا الحباء
مثلها تخرج النصيحة للقوم فلاة من دونها افلاء
فاتركوا الطيخ والتعاشي وأما تتعاشوا ففي التعاشي الداء
واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل ينقض ما في المفارق الاهواء
واعلموا اننا واياكم فيما اشترطنا يوم اختلفنا سواء
عنتا باطلا وظلماً كما تعتر عن حجرة الربيض الظباء
اعلينا جناح كندة ان يغنم غازيهم ومنا الجزاء
أم علينا اجرأ اياد كما نيط بجوز المحمل والميساء
ليس منا المضربون ولا قيس ولا جندل ولا الحذاء
ام جنايا بني عتيق فانا منهم ان غدرتم براء
وثمانون من تميم بايديهم رماح صدورهن القضاء

تركوكم ملجبين وآبوا بنهاب يصم منها الحداء
ام علينا جرا حنيفة ام ما جمعت من محارب غبراء
أم علينا جرا قضاعة بل ليس علينا فيما جنوه نداء
ثم جاؤا يسترجعون فلم ترجع لهم شامة ولا زهراء
لم يحلوا بني رزاح ببرقاء نطاع لهم عليهم دعاء
ثم فاؤا منهم بقاصمة الظهر ولا يبرد الغليل الماء
ثم خيل من بعد ذاك مع الغلاف لا رأفة ولا ابقاء
وهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء

تمت المعلقات السبع ، بعون رافع السموات السبع ، وباسط الارضين السبع .

وقال ابوعبيدة : اشعر شعراء الجاهلية عشرة: اولهم امرىءالقيس بن حجر وزهير بن ابى سلمى ، وطرفة بن العبد ، ولبيد بن ربيعة العامري ، وعنترة بن شداد العبسى ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، والحارث بن حلزة اليشكري ، هؤلاء السبعة قد ذكرناهم ، والثلاثة الباقون ، اولهم الاعشى ولاميته مشهورة وأولها :

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل

وهي طويلة مشهورة ، وثانيهم النابغة الذبيانى ، وداليته مشهورة اولها :

يا دارميــة بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد

وثالثهم ابن عمرو الشيبانى ، وبائيته مشهورة اولها :

اقفر من اهله لحوب فالقبطيات فالذنوب
فراكس فثعالبات فذات فرقين فالقليب
فعودة ففقفا حبر ليس لها منهم غريب

وهذه كلها اسماء مواضع وهى طويلة مشهورة ، والله اعلم :

اسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين ذكروا في القرآن العزيز خمسة وعشرون نبياً محمد ﷺ ، آدم ، ادريس ، نوح ، هود ، صالح ، ابراهيم ، لوط

اسماعيل ، اسحاق ، يعقوب ، يوسف ، أيوب ، شعيب ، موسى ، هارون ، يونس داود ، سليمان ، الياس ، اليسع ، زكريا ، يحيى ، عيسى ، وكذا ذو الكفل ، عند كثير من المفسرين .

قال ابن الجوزي والقاضي عياض وغيرهم في كتبهم : ان زيد بن ابى زيد المعروف بالرشك ـ بالضم وهو العقرب ـ دخلت العقرب في لحيته فاقامت ثلاثة أيام وهو لا يدرى بها لعظم لحيته وطولها .

قال بعضهم : وكونها مقدرة بثلاثة ايام هـذا التقدير ، كيف يصح لانه لو علم بها في اول وجودها في لحيته ما تركها فمن اين تعلم هذه المدة ؟ قيل في التقصى عنه انه يحتمل ان يكون في منزه او مكان يكون فيه العقارب ، وكان مبدأ كونه في ذلك الموضع من ثلاثة ايام ، فلما اصابها بعد ذلك علم ان مبدأ وجودها في لحيته من ذلك الوقت .

قال الشيخ بهاء الدين العاملي رحمه الله تعالى في كشكوله والذي وقع في زماننا وثبت صدقه عندنا ان في قرية قيصر التي كانت مصيفنا في كل سنة كانت امرأة في بعض الليالي باتت مع ابن لها ابن اربعين سنة ، فوجدت بابنها طول الليلة تململا وعـدم استقرار في المبيت ، فلما اصبحا سألته عن ذلك ، فقال آذاني القمل جداً ، فجاءت اليـه بقميص نظيف ، فلما خلعت قميصه وجدت فيه تسع عقارب ، وهـذا اعجب من الاول :

﴿ فائـدة ﴾

الطعوم تسعة وهي : الحلو ، والمر ، والحامض ، والمز ، والمالح ، والحريف ، والعفص ، والدسم ، والتفه ، لان الجسم أما ان يكون كثيفاً او لطيفاً او معتدلا والفاعل فيه أما البرودة او الحرارة ، او المعتدل بينهما فيفعل الحار ، في الـكثيف مرارة ، وفي اللطيف حرافـة ، وفي المعتـدل ملوحـة ، ويفعل البارد في الـكثيف عفوصة ، وفي اللطيف حموضة ، وفي المعتدل حلاوة ، وفي اللطيف دسومة .

وقال بعضهم : ان اصول الطعام اربعة : الحلاوة ، والمرارة ، والحموضة ، والملوحة ، وما عداها فهو مركب .

من قول الامام علي عليه السلام :

صن السر عن كل مستخبر وحاذر فما الحزم إلا الحذر
اسيرك سرك ان صنته وانت اسير له ان ظهر

قيل لبعض الاعراب وقد اسن : كيف انت اليوم ؟ فقال : ذهب مني الاطيبان ، الاكل والنكاح ، وبقي الارطيان السعال والضراط .

﴿ ترجمة أبي محمد الإمام الحسن العسكرى بن على الهادى ﴾
(ابن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم عليهم السلام)

وبقية نسبه اشهر من القمر ، ليلة اربعة عشر . يعرف هو وابوه بالعسكرى ، لان المعتصم لما بنى مدينة سر من رأى انتقل اليها بعسكره ، فقيل لها العسكرية ، فنسب اليها الحسن وابوه .

وكانت ولادة الحسن العسكري يوم الخميس في بعض شهور احدى وثلاثين ومائتين ، وقيل : سادس ربيع الاول ، وقيل : ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وتوفى يوم الجمعة ، وقيل : الاربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الاول ، وقيل جمادي الاولى سنة ستين ومائتين بسر من رأى ، ودفن بجنب قبر ابيه .

وأما فضائل الامام الحسن فلا يحصرها اللسن ، وقد ذكر بعض فضائله ابن الحر الشيخ محمد بن الحسن . في ارجوزة طويلة منها قوله :

قتله بسمه المعتمد بقوة يرق منها الجلمد
وعمره تسع وعشرون وقد قيل ثمان بعد عشرين فقد
وعاش من بعد ابيه خمساً وقيل ستاً ثم حل الرمسا

ودفنه عند ابيه ظاهر لقبره الاشرف نور زاهر
ولده المهدي صلى الله عليهما وقيل وسواه
نص عليه والدوجد وعلمه وفضله والمجد
آياته والمعجزات جمة . نقلها الرواة والائمه
أخبر بالحوادث العظام قبل وقوع حادث الامام
وكم اجاب سائلا وما سأل وكم اجاز سائلا وما سأل
ذلت له الدواب والصعاب ومجده الاشرف لا يعاب
علومه كثيرة غزيره كلمه بالالسن الكثيره
اخبر بالقتل وبالممات لجملة من طالبي الآيات
ذلت له الاعداء والسباع وغيرت لاجله الطباع
كم استجاب الله من دعاء له واردى اكبر الاعداء
اخبر اقواما بما قد اضمروا ولم يكونوا نطقوا واظهروا
دعا لاعمى فشفاه الله وكم شفى الامراض إذ دعاه
واستخرج اللؤلؤ من بحر السما وغاص في الارض وفضله سما
وفي حديث الراهب النصراني معجزة من اوضح البرهان
إذ كان في الحبس فصار جدب وكان سؤل المسلمين الخصب
فخرجوا يدعون للاستسقا ثلاثة والارض ليست تسقى
فخرج الراهب والنصارى يستمطرون الصيب المدرارا
فجاءهم غيث غزير هاطل وكلما دعوا اجاب الوابل
فافتتن الناس وراموا الرده لما رأوا من فرج وشدة
فطلبوا الامام حتى خرجا ثم دعا الله فنال الفرجا
وعندما اراد يدعو الراهب وقرب الغيث وفاز الطالب
أمر عبده الامام فاخذ من يده عظما فعند ما نبذ

انقشع الغيم وزال المطر وزال عن دين الإله الخطر
قال الامام انه عظم نبي فليس ما رأيتم بعجب
إذ كلما اظهر للسماء امطرت الغيث بلا دعاء
وطبع الحصاة حتى انطبعت كانه لما دعاها استمعت
كن ثلاث حصيات طبعا فيهن كالاباء فاعجب واسمعا
وضرب الارض واخرج الذهب فغنم السائل والفقر ذهب
ذلت له السباع إذ رموه وخضعت والناس قد رأوه
كذلك الوحوش والاطيار واشتهرت بذلك الاخبار
وكان يكتب الكتاب ومضى إلى الصلاة عن كتاب معرضا
فر في قرطاسه قلمه يكتب في الكتاب بل يختمه
بلا اصابع باذن الله مع حضور بعض من رآه واستمع
كلمه الذئب وذاك عجب لكن قبوله علينا يجب
انبع عين عسل ولبن في داره فاعجب لفعل حسن
ومثل هذا ثابت في النقل وليس بالمحال عند العقل

قال في القاموس: النسناس وبكسر جنس من الخلق يثب احدهم على رجل واحدة.

وفي الحديث: ان حيا من عاد عصوا رسولهم، فمسخهم الله نسناساً لكل انسان منهم يد ورجل ومن شق واحد، ينقزون كما ينقز الطائر، ويرعون كما ترعى البهائم، ثم قيل: اولئك انقرضوا والموجود على تلك الخلقة، خلق على حدة قلت: الظاهر ان هذا القول هو الاصح لرواية عبد الله بن مسعود ان النبي ﷺ قال: ان الله تعالى لم يهلك قوما او يعذب قوما فيجعل لهم نسلا، وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك، وهذا نص صريح اخرجه مسلم في كتابه القدر.

وفي رواية: ان الله تعالى لم يجعل لممسوخ نسلا، وقد ثبت ان النسناس

من الممسوخين ، او هم ثلاثة اجناس ، او هم يأجوج ومأجوج ، او هم قوم من بني آدم او خلق على صورة الناس ، وخالفوهم في اشياء وليسوا منهم .

وناقة ذات نسناس سير باق ، وقطع الله نسناسه سيره واثره ، ونسنس الصبي تنسيساً ، قال له : أس أس ليبول او يتغوط ، والبهيمة مشاها ونسنس ضعف والطائر اسرع ، والريح هبت هبوباً بارداً ، وتنسس منه خبراً تنسمه .

لبعضهم فيمن به داء الثعلب :

أقول لمعشر جهلوا وغضوا   من الشيخ الكبير وانكروه

هو ابن جلا وطلاع الثنايا   متى يضع العمامـة تعرفوه

ونقلت من كتاب أظنه مختصر الكشكول ولم اقف على اسم مؤلفه ، قال : حكى من يوثق بقوله قال كان لي صديق من مكان بلاد الجزيرة ، وكان رجلا صالحاً ورعا فلقيته يوما فوجدته باكياً كئيباً حزيناً ، فسألته عن ذلك ، قال : ان ذلك بسبب موت زوجتي ، ثم قال : تزوجت منذ ست وثلاثين سنة ، ولم اسافر في تلك المدة لشدة شغفي بها ، ثم قال : والله العظيم انها منذ تزوجت بها ما توضأت في بيتي ولا وضوأ واحداً ، بل كانت صلاتها كلها ليلا ونهاراً بالغسل .

ديك الجن الشاعر المشهور : اسمه عبد السلام ، كان من الشيعة ومات سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وكان عمره بضعاً وسبعين سنة ، وكان له جارية وغلام قـد بلغا في الحسن اعلى الدرجات ، وكان مشغوفاً بهما غاية الشغف ، فوجدهما في بعض الايام مختلطين تحت ازار واحد ، فذبحهما واحرق جسدهما ، واخذ رمادهما ، وخلط به شيئاً من التراب وصنع منه كوزين للخمر ، وكان يحضرهما في مجلس شرابه ويضع احدهما على يمينه والآخر على يساره ، فتارة يقبل الكوز المتخذ من رماد الجارية وينشد :

يا طلعة طلع الحمام عليها   وجنى لها ثمر الردى بيديها

رويت من دمها الثرى ولطالما   روى الهوى شفتي من شفتيها

وتارة يقبل الكوز المتخذ من رماد الغلام وينشد :

قبلته وله علي كرامة فلي الحشا وله الفؤاد بأسره
عهدي به ثملا كاحسن نائم والحزن يسفح ادمعي في حجره

﴿ فائدة ﴾

الأبعاد ترى من المواضع البعيدة أقصر ، وكل مرئى واقع في سطح والبصر مرتفع عنه فانه اقرب إذا صار البصر ارفع .
فليكن السطح (أ ب) والمرئى (ب) والبصر اعنى (ه) مرتفع عنه بقدر (أ ح) فنقول ان (ب) يرى اقرب من (أ) موقع العمود الخارج من البصر إلى السطح ، إذا صار (ب ه) بقدر (أ ع) لان زاوية (أ ب ع) اعظم من زاوية (أ ب ح) وزاوية (أ) بحالها فيكون (أ ح ب) اعظم من (أ ع ب) وايضاً زاوية (أ ح ب) خارجة عن مثلث (ع ح ب) فافهم والله بكل شيء عليم .

هذه كلمات تستحق ان تكتب بالنور ، على وجنات الحور : من أعز نفسه اذل فلسه ، من سلك الجادة أمن العثار ، من كان عبدا للحق فهو حر ، من بذل بعض عنايته لك فابذل جميع شكرك له ، من تأنى اصاب ما تمنى ، ما صين العلم بمثل بذله لاهله ، ربما كانت العطية خطية والعناية جناية ، لو لا السيف كثر الحيف ، لو صور الصدق لكان اسداً ، ولو صور الكذب لكان ثعلباً ، من قاسى الامور فهم المستور ، من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ، من عاب نفسه فقد زكاها ، من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة ، الفقر يخرس الفطن عن حجته المرض حبس البدن ، والهم حبس الروح ، المنية تضحك من الامنية ، الهدية ترد بلاء الدنيا ، الصدقة ترد بلاء الآخرة ، الحر عبد إذا طمع ، والعبد حر إذا قنع ، اللسان صغير الجرم عظيم الجرم ، يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم ، مجالسة الثقيل حمى الروح ، كلب جوال خير من اسد رابض ، قد تكسد اليواقيت

في بعض المواقيت ، اتبع ولا تبتدع ، ارع من عظمك بغير حاجة اليك ، لا تكن ممن يلعن ابليس في العلانية ويواليه في السر ، لا تشرب السم اتكالا على ما عندك من الترياق ، لا تجالس بسفهك الحلماء ولا بحلمك السفهاء ، صديقك من صدقك لا من صدقك ، لا سرف في الخير كما لا خير في السرف .

﴿ ترجمة صاحب القاموس ﴾

ذكره الشيخ بدر الدين القرافي المالكي في القول المأنوس شرح مغلق القاموس فقال : اللائق قبل الخوض في الكلام ، التعريف بحال المصنف وما له من مقام ، اعلم ان ممن اثنى عليه وعلى كماله من العلماء الاعلام الحافظين وابن قاضي شهبة وغيرها .

قال السخاوي في الضوء اللامع : محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن ابي بكر بن محمد بن ادريس بن فضل الله بن الشيخ ابي اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف ابو اسحاق الفقيه مجد الدين الفيروز ابادي الشيرازي اللغوي الشافعي ، ولد في ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبعمائة بكازرون .

حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وجود الخط وولي التدريس ، وكثر الآخذون عنه .

وممن اخذ عنه الصلاح الصفدي ، والبها ابن عقيل ، والكمال الاسنوي ، وابن هشام .

ثم دخل القاهرة واخذ عن علمائها ، ودخل في البلاد الشرقية والشمالية ودخل الروم والهند ولقي الفضلاء وحمل عنهم كثيراً ، ثم دخل زبيد في رمضان سنة ست وتسعين وسبعمائة ، فتلقاه السلطان الاشرف اسماعيل وبالغ في اكرامه وصرف له الف دينار ، سوى الف دينار اخرى ، واضاف اليه قضاء اليمن كله في ذي الحجة سنة سبع وتسعين .

وممن قرأ عليه السلطان فمن دونه واستقر بزبيد مدة عشرين سنة ، وكان الاشرف قد تزوج ابنته لمزيد جمالها ، ونال منه رفعة بحيث انه صنف له كتابا واهداه له على اطباق فملأها له دراهم ، وفي اثناء هذه المدة قدم مكة مراراً وكان يحب الانتساب الى مكة ، فيكتب بخطه الملتجيء إلى حرم الله ، ولم يدخل بلداً إلا واكرمه متوليها وبالغ في تعظيمه مثل شاه منصور بن شجاع صاحب تبريز والاشرف صاحب مصر ، والسلطان بايزيد بن عثمان ملك الروم ، وابن ادريس صاحب بغداد وتيمور لنك وغيرهم .

واقتنى كتباً كثيرة حتى قيل عنه انه قال : اشتريت كتابا بخمسين الف مثقال ذهباً . وكان لا يسافر إلا وصحبته منها احمال ويخرجها في كل منزل وينظر فيها ويعيدها ، وكانت طلبته ومع ذلك فكان يملق احياناً بحيث يحتاج إلى بيع بعض كتبه .

وله تصانيف كثيرة عظيمة شهيرة منها بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تنوير المقياس في تفسير ابن عباس ـ اربع مجلدات ـ فاتحة الابواب تفسير فاتحة الكتاب ـ مجلد كبير ـ الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم ، حاصل سورة الخلاص في فضائل سورة الاخلاص ، شرح خطبة الكتاب ، شرح مشارق الانوار ، منح الباري في شرح البخاري ، كمل ربع العبادات ـ في عشرين مجلداً ـ عدة الحكام في شرح عمدة الاحكام افتضاض السهاد ، في افتراض الجهاد ـ مجلد ـ الاسعاد بالاصعاد إلى درجة الاجتهاد ـ ثلاث مجلدات ـ النفحة العنبرية في مولد خير البرية ، الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر ، الوصل والمنى في فضل منى المعالم المطابة في فضل طابة ، تهييج الغرام إلى البلد الحرام ، اثارة الحجون لزيارة الحجون ـ عمله في ليلة واحدة ـ أحاسن اللطائف في محاسن الطائف ، فصل الدرة من الخرزة في فضل السلامة على الخبزة ، قريتان بالطائف ، روضة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر ، المرقاة الوفية في طبقات الحنفية ، البلغة في ترجمة أئمة اللغة ،

الفضل الوفي في العدل الاشرفي ، نزهـة الاذهان في تاريخ اصفهان ـ مجلد ـ تعين الغرفات للمعين على عين عرفات ، منية السؤل في دعوات الرسول ، التجاريح في الفوائد المتعلقة باحاديث المصابيح ، تسهيل طريق الوصول إلى الاحاديث الزائدة على جامع الاصول ، الاحاديث الضعيفة ، الدر الغالي في الاحاديث العوالي ، سفر السعادة المتفق وضماً والمختلف صنماً . اللامع المعلم العجاب وزيادة امتلأ بها الوطاب ـ قدر تمامه في مائة مجلد يقرب كل مجلد من صحاح الجوهري ، كل منه خمس مجـــلدات ـ القاموس المحيط والقابوس الوسيط ، مقصود ذوي الالباب في علم الاعراب ـ مجلد ـ تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين ـ تتبع فيه اوهام المجمل لابن فارس من الف موضع ـ المثلث الكبير ـ في خمس مجلدات ـ الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الالوف ، تحفة القماعيل فيمن تسمى من الملائكة والناس باسماعيل اسماء السراح في اسماء النكاح ، الجليس الانيس في اسماء الخندريس ـ مجلد ـ ابو الغيث في اسماء الليث ، ترقيل الاسل في اسماء العسل ، زاد المعاد في وزن بانت سعاد ـ وشرحه في مجلدين ، التحف الظرائف في النكت الشرائف ، وغير ذلك من مطول ومختصر .

واجتمع بتيمورلنك فعظمه وانعم عليه بمائة الف درهم ، ورام في سنة تسع وسبعين التوجه إلى مكة المشرفة فكتب إلى السلطان الاشرف .

ومن جملة ما كتب وكان من عادة الخلفاء سلفاً وخلفا انهم كانوا يبردون البريد بمجرد القصد تبليغ سلامهم إلى حضرة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه مدراراً فاجعلني جعلني الله فداك ذلك البريد ، فلا اعنى شيئا سواه ولا اريد .

فكتب اليه السلطان ان هذا شيء لاينطق به لساني ولا يجرى به قلمي فبالله عليك إلا ماوهبت لنا هذا العمر الله يا مجد الدين يمينا بارة ، انى ارضى فراق الدنيا ونعيمها ، ولا فراقك انت اليمن واهله .

وكان كثير الحفظ حتى يقال عنه انه قال ما كنت أنام حتى احفظ مائة سطر

وقد سارت الركبان بتصانيفه ، سيما القاموس فانه اعطى حظا كثيراً .

قال اسماعيل المقري صاحب الارشاد :

مذ مد مجد الدين في ايامه ... من بعض ابحر علمه القاموسا

ذهبت صحاح الجوهري كأنها ... سحر المدائن حين القى موسى

ومما كتب عنه الصلاح الصفدي :

احبتنا الاماجد ان رحلتم ... ولم ترعوا لنا عهداً وإلا

نودعكم نودعكم قلوبا ... لعل الله يجمعنا والا

ونقل من خط المصنف اعني صاحب القاموس قال : انشدنا الفقيه جمال الدين محمد صباح الصباحي لنفسه في مدح هذا الكتاب :

من رام في اللغة العلو على السهى ... فعليه منها ما حوى قاموسها

مغن عن الكتب النفيسة كلها ... جماع شمل شتاتها ناموسها

فاذا دواوين العلوم تجمعت ... في محفل المدرس فهو رئيسها

لله مجد الدين خير مؤلف ... ملك الأئمة وافتدته نفوسها

وأنشد الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الله بن نصر الواسطي فيه

ألا ما لهذا في اللغات مشابه ... وما هو إلا كاسمه زاخر بحر

أحاط بما يحوي سواه وفاقه ... بمبدع لفظ مع لغات لها اسر

جزى الله خيراً من تصدى لجمعه ... وآتاه فضلا راق ما اتصل الدهر

ولغيره :

أيا طالبا لكلام العرب ... ومبتغيا فيه نيل الارب

عليك بهذا الكتاب الذي ... ترقى من الفضل اعلى الرتب

واجمع كل الورى انه ... اجل تصانيف اهل الادب

ولو انصفوه إذا عقوه ... لما خط إلا بماء الذهب

ولغيره :

كتبتك يا خير التصانيف كلها على كبر سني وانقضاء سنيني

فليت شبابي عاد حتى يكون لي على كتبي القاموس خير معين

فها انا ذا اتعبت نفسي لاجله وانضيت فيه مقلتي ويميني

ولو انني انصفته لكتبته بماء فؤادي في سواد عيوني

وقد ذكر الحافظ السيوطي من مفاخر المصنف مانصه : روى لنا غير واحد سئل أي المصنف بالروم عن قول علي بن ابي طالب : ألصق رواتفك بالجبوب وخذ المزبر بشناترك ، واجعل حندورتيك إلى قيهلي حتى لا انغى نغية إلا اودعتها بحماطة جلجلانك ما معناه ؟

فقال : ألزق عضرطك بالصلة وخذ المسطر بابا خسك ، واجعل حجمتيك إلى اثعباني حتى لا انبس نبسة إلا وعيتها في لمظة رباطك ، فتعجب الحاضرون من سرعة الجواب ببديع اللفظ وغريبه .

ثم قال السيوطي : قلت الروانف المقعدة ، والجبوب الارض ، والمزبر القلم والشناتر الاصابع ، والحندورتان الحدقتان ، وقيهلي وجهي ، وأنغى أي انطق والحماطة الحبة ، والجلجلان القلب . . انتهى .

ولم يبين كلمات الجواب ، وأقول : العضرط كزبرج العصعص ، والصلة ما انحدر من الوركين ، والمسطر القلم ، والاباخس ـ بالباء الموحدة وخاء معجمة بعد الالف ثم سين مهملة ـ الاصابع ، والجحمة ـ بجيم ثم حاء مهملة العين ـ والاثعبان اللسان ، ونبس ـ بنون ثم باء موحدة وسين ـ تكلم فاسرع ، واكثر ما يستعمل في النفي ، واللمظة ـ بالظاء المشالة ـ .

قال ابن النعمان في كتابه ذخيرة الايمان : اللمظة هي النقطة البيضاء في سواد والسوداء في بياض ، وهي بفتح اللام عند المحدثين ، والعرب تقول : لمظة ـ بالضم ـ مثل دهمة وشبهة وصفرة وحمرة وخضرة وشبه ذلك .

وفي الصحاح اللمظة : كالنقطة من البياض .

وفي الحديث الايمان يبد وكلمظة بيضاء في القلب .

وفي كتاب أبي نعيم نسبه إلى علي بن ابي طالب عليه السلام قال : كان علي عليه السلام يقول : انالايمان يبدولمظة بيضاء في القلب ، وكلما زاد الايمان زاد البياض ، وإذا استكمل الايمان ابيض القلب كله ، وان النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب ، وكلما زاد النفاق زادذلك السواد ، فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه ابيض ، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود .

رواه النعمان فيالكتاب المذكور والرباط الفؤاد ، وقد اشتمل هذا الكتاب اي القاموس المحيط علي فوائد شريفة منها ذكر اسماء بعض الصحابة والتابعين والمحدثين والفقهاء وفوائد طبية وامثال واسماء بلدان وقرى وخيل والله تعالى اعلم.

فائدة

هذا وفق آية الكرسي وله دعاء عظيم ، فاذا اردت شيئاً اوضاق حالك فاقرأ آية الكرسي ثلاثمائة وثلاث عشرة مرة الثلث الأخير من الليل ، واقرأ الدعاء خمسين مرة .

٤٦٨٤	٤٦٨١	٤٦٨٦
٤٦٨٩	٤٦٨٧	٤٦٨٥
٤٦٨٨	٤٦٨٢	٤٦٨٠

وان حملت الدعاء والوفق في لوح من ذهب خضع لك كل شيء ، وان قابلت سلطاناً او ظالماً خضع لك وانبسط لك باذن الله تعالى .

وهذا الدعاء العظيم المبارك : بعزة الملكوت ، بعظمة الجبروت . الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، مشمورش عظمورش نقمورث كقوش عيطوش كفكفلوش شولث شمهقالوعث قوي كريم مبين ، اللهم اني اسألك ياهو يا هو ياهو يا ربنا ياربنا يا ربنا ياالله يا الله ياالله ، اي والله انت الله الذي لا إله إلا أنت خلقتني فعملت سوأ

وظلمت نفسي فاغفر لي ، فأنه لا يغفر الذنوب إلا انت ، اعوذ بك من سخطك ومقتك ، واسألك باسمك الشهير الجليل اكشف عنى غمة بصري لأعلم حقيقة الامر من نورك ، واشاهد ملائكة ملكوتيين يذل لها رقاب الجبارة من خلقك وعبادك خضعت الاعناق وخشعت الاصوات وتقدست اسماؤك انت واي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين .

ما كان يدعو به بعض الحكماء : اللهم اهلنا بالانابة اليك ، والثناء عليك ، والثقة بما لديك ، ونيل الزلفى بما عندك ، وهون علينا الرحيل عن هذه الدار الضيقة والفضاء الحرج والمقام الدحض والعرصة المحشوة بالغصة والساحة الخالية عن الراحة بالسلامة والربح والغنيمة إلى جوارك ، حيث قلت في مقعد صدق عند مليك مقتدر وحيث يجد ساكنه من الروح والريحان والراحة مايقول معه الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ، واحسم مطامعنا عن خلقك وانزع قلوبنا عن الميل إلى غيرك واصرف اعيننا عن زهرة عالمك الادنى برحمتك وفضلك وجودك يا كريم .

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في تفسير قوله تعالى (حمعسق) قال : الحاء حلمي ، والميم ملكي ، والعين علوي ، والسين سنائي ، والقاف قدري ، فبحلمي وملكي وعلوي وسنائي وقدري ان لا اعذب عبداً قال لا إله إلا الله مخلصاً ، فلقيني بها .

ومعنى قول ابن عباس : ان لا يعذب عبداً ، يعني لا يعذبه عذاباً دائماً خالداً .

قوله تعالى (وان منكم إلا واردها) الآية. أي داخلها والمراد النار فالورود الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهما ، وعليه جمهور اهل السنة ، لقوله تعالى (فاوردهم النار) ولقوله (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) ولقوله (ثم ننجي الذين اتقوا) إذ النجاة انما تكون بعد الدخول ، ولقوله ﷺ : لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون علي المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت علي ابراهيم ،

وتقول النار للمؤمن : جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي .

وقيل : الورود بمعنى الدخول ، لكنه يختص بالكفار ، لقراءة ابن عباس وان منهم. ويحمل القراءة المشهورة على الالتفات .

وعن عبد الله بن مسعود : الورود الحضور ، لقوله تعالى : (ولما ورد ماء مدين) وقوله (اولئك عنها) واجيب بأن المراد عن عذابها .

وعن الحسن وقتادة: الورود المرور على الصراط ، ممدود عليها فيسلم اهل الجنة ويسقط اهل النار .

وعن مجاهد : ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا . لقوله عليه الصلاة والسلام : الحمى حظ كل مؤمن من النار .

وقال الفقيه رحمه الله : حدثني الثقة باسناده عن الكلبي عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية كبالها الناس كبوة شديدة وحزنوا وقالوا ليس احد إلا ويدخلها فجلسوا يبكون ، فمكثوا بعد هذه الآية سنتين ثم نزل (ثم ننجي الذين اتقوا) .

قال: وروي في بعض الاخبار انه نزل بعد ثلاثة ايام (ثم ننجى الذين اتقوا) أي من الشرك والمعاصى ففرح المسلمون بها .

(برهانان) مختصران على مساواة الزوايا الثلاث من المثلث بقائمتين .

ليكن المثلث (أ ب ج) ويخرج من نقطة (أ) إلى ٦ خطاً موازيا (ل ب ح) فنقول زاويتا (٦أب حب أ) كقائمتين لكونهما داخلتين في وجهه وزاويتا (٦أح أحب) متساويتان لانهما متبادلتان ، وزاوية (ج) بمجموع زاوية (ب) وزاوية (ب) تساوي قائمتين ايضاً ، وذلك ما اردناه .

ثم اقول بوجه آخر : يخرج (أ٦) على الاستقامة موازيا (ل ب) إلى ٥ فالزوايا الثلاث الحادثة كقائمتين ، والمتبادلتان متساوية ، فالثلاث التي في المثلث كقائمتين وذلك ما اردناه .

ملتقطات من الباب الأخير من كتاب نهج البلاغة

من كلام علي بن ابي طالب عليه السلام : البشاشة حبالة المودة . إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه . أفضل الزهد اخفاء الزهـد . لا قربة بالنوافل إذا اخرت الفرائض. المال مادة الشهوات . كل اناء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فانه يتسع، اتق الله بعض التقى وان قل ، واجعل بينك وبين المعاصى ستراً وان رق ، أفضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه ، كفى بالاجل حارساً. قليل تدوم عليـه خير من كثير مملول عنه ، صاحب السلطان كراكب الاسد بينما هو فرسه ، اذ هو فريسته ، وللشيخ بهاء الدين محمد العاملي رحمه الله تعالى ، دوبيت :

للشوق الى طيبة جفنى باكى لو أن مقامى فلك الافلاك
يستحقر من مشى على تربتها المشى على اجنحـة الاملاك

﴿ ترجمة الإمام المهدى المنتظر أبى القاسم محمد بن الحسن العسكرى ﴾
(ابن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى)
(الـكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن)
(على بن الحسين بن على بن أبى طالب)
(عليهم السلام)

هو القائم المنتظر ، على رأي الامامية ، وهو صاحب السرداب ـ وقد تقدم ذكر السرداب في اوائل الـكتاب ـ وللامامية فيـه اقوال كثيرة ، وهم ينتظرون خروجه آخر الزمان .

كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمسين ومائتين ، ولما توفى ابوه ـ وقد تقدم ذكره ـ كان عمره خمس سنين ، واسم امه نرجس .

والشيعة يقولون انه دخل السرداب في دار ابيه وامه في ايام المتوكل العباسي ولم يخرج من السرداب إلا إذا آن اوانه ، وظهر برهانه ، وهذه تسمى الغيبة الكبري ، وذلك فى سنة خمس وستين ، وعمره يومئذ تسع سنين ، والصحيح : ان ولادته في ثامن شعبان سنة ست وخمسين ومائتين ، ودخل السرداب سنة خمس وسبعين ومائتين ، وعمره سبع عشرة سنة والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب.

وأما فضائله فكثيرة ، ومعجزاته كالشمس شهيرة ، وقد ذكر بعض فضائله ومعجزاته الشيخ العلامة الفهامة محمد بن الحسن الحر الشامي العاملي المشغري في ديوانه ، في ارجوزة طويلة اختصرنا منها قوله :

لقبه المهدي والمنتظر والقائم المكرم المطهر
تواتر النص بانه ولد من الفريقين وانه وجد
وكم رآه رجل ففازا إذ شاهد الرشاد والاعجازا
اكثر من سبعين شخصاً شاهدوا جماله ولاحت الشواهد
لذاك قد تواتر الاخبار بذاك والانباء والآثار
وغاب غيبتين صغرى امتدت وكانت الشدة فيها اشتدت
قريب سبعين من الاعوام كان اختفى عن اكثر الانام
كان له من الموالي سفرا إذ غاب واختفى ورام السفرا
وغيبة اخرى إلى ذا الآن وانه لصاحب الزمان
لكنه لا بد من ان يخرجا وبعد شدة نلاقي الفرجا
والنص ناهيك به تواترا فانظر إلى كل كتاب كي ترى
وهي ألوف قد روت في الكتب وشهدت له بكل عجب
عليك بتتبع النصوص على العموم وعلى الخصوص
ان شئت فاصرف نحوها الاعنة وانظر مؤلفات اهل السنة
تجد كثيراً من رواياتهم جاء بها من ليس بالمتهم

وان ترد اخباره البديعه فانظر إلى مؤلفات الشيعة
فانها مشحونة بذاكا فدع جهولا منكراً أفاكا
ومعجزاته كثيرة اتت منقولة مما استفاض وثبت
كم اخبر القوم بما كان اختفى
من مرض الشكوك فازوا بالشفا
كم حملوا له من الاموال وما درى خلق بتلك الحال
فجاءهم كتابه بكل ما كان وبالتفصيل فانظر واعلما
وفي سوار أرسلوه من ذهب عجائب شتى بها الشك ذهب
إذ رده وباقي المال قبل قال اكسروه فبأمره عمل
فظهر الحديد والنحاس وسطه وحار فيه الناس
وارسلوا ذهبة فقبلا وكم غريب مثله قد نقلا
وبعثوا يوما اليه مالا فرده إذ لم يكن حلالا
وقال من مال فلان فيه اربعمائة بلا تمويه
فحسبوا فوجدوه حقا ولم يقل مولاي إلا صدقا
اخبر قوماً بزمان موتهم وارسل الاكفان عند فوتهم
وكم دعا فلاحت الاجابه وربه لما دعا اجابه
وجعل التراب في الحال ذهب ووهب السائل منه ما وهب
ونطقه في ساعة الولاده بالذكر والدعاء والشهاده
وبعدها في صغر السن عجب واى علم عنهم قد احتجب
ولاح نور ساطع إلى السما إذ ذاك فتعجبوا لما سما
وطيه الارض لبعض الناس معجزة لاحت بلا التباس
وكتبوا له بلا مداد فورد الجواب بالسواد
وقد شفى الامراض ميل كحلا به فاذهب الشكوك والبلا

وفرش الحصير فوق الماء وقام للصلاة والدعاء
فجار فيه طالب وغرقا وعاد عنه خائباً منطلقا
وحمل له مضى نحو السما كانه قد كان يرقى سلما
وكم شفى المرضى بمسح الكف او بدعاء في الشفاء يكفي
روى ثلثمائة من ماء لم ينتقص من اعجب الاشياء
شبعهم من زاده ايضاً عجب وهو بحاله وقد زال السغب
اراهم الورد الطرى الاحمرا في غير وقته فدع عنك المرا
اخباره بالغيب ليست تنكر اذ في كتاب الله ذاك يذكر
الا من ارتضاه من رسول في سورة الجن فخذ دليلي
إذ علمه من النبي المرتضى اختارهم لكل غيب وارتضى
رأيته في النوم غير مره فاوجب الفرحة والمسره
اخبرني بكل ما اضمرته وقد اجابني وما سألته
ناولني الكاس وليس يسكر شربت ما كان فيه سكر
وكنت إذ ذاك مريضاً دنفا ففزت لما ان شربت بالشفا
تفصيل معجزاته يطول وكل ما نقوله قليل
وعمره ثمانمائة خلت ثلاثة واربعين قد تلت
وربنا ادرى بما قد بقيا من عمره وما رأى ولقيا
غيبته تواترت اخبارها واشتهرت من قبلها آثارها
وطول عمره كذا مروي ينقله العدو والولي
وطول عمر الخضر ليس ينكر فما الذي من مثل هذا انكروا
وعمر لقمان وابليس عجب وذاك ممكن وهذا قد وجب
كذاك الياس بلا نزاع وذاك امر ما اقتضاه داع
كذاك ادريس وعيسى بقيا وكم وكم مثلهم قد رويا

وانظر إلى المعمرين الفا وفوقها بين الانام يلفى
وانظر إلى غيبة بعض الانبيا ثم إلى اختفاء بعض الاوصيا
وقدرة الله التي لا تنكر تشمل ما يروى هنا ويذكر
خروجه في آخر الزمان قد صح بالنص وبالبرهان

فلما كان غرة ربيع الاول ، سنة الف ومائة وثمان وثلاثين من هجرة النبي المكمل ، رحلنا من بندر سورت صحبة الجناب المكرم ، والرئيس المفخم ، الجبي الشريف شريف مكة الشيخ أحمد علان ، إلى شاه جهان، اباد تخت السلطان ، وكان طريقنا على احمد اباد المتقدم ذكرها يا امجاد ، فدخلناها وأقمنا بها ثلاثة اشهر إلى ان قبض الشيخ من هناك دراهم كانت محولة له ، ثم رحلنا من احمد اباد ، إلى شاه جهان اباد ، وفي هـذه السنة حصل في بلاد الدكن جراد عظيم يقرب طول الجرادة من الشبر الوافر .

والجراد حيوان معروف ، وليس له جهة مخصوصة ، وانما يكون هاربا هائماً وإذا ارادت الجرادة ان تبيض ذهبت إلى الصخور فتضربها بذنبها فتلقي بيضها فيها

وللجراد ستة ارجل ، واطراف ارجله كالمنشار ، وهو ألوان عديدة ، وفيه خلقة عشرة من الحيوان وجه فرس ، وعينا فيل ، وعنق ثور ، وقرنا أيل ، وصدر اسد ، وبطن عقرب ، وجناح نسر ، وفخذ جمل ، ورجلا نعامة ، وذنب حية .

وفي الحديث: ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا على جناحها مكتوب بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ، وله تسعة وتسعون ملكا ولو تم لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم اهلك الجراد ، اقتل كبارها وامت صغارها وسد افواهها عن مزارع المسلمين ، وعن معايشهم انك سميع مجيب ، قال : فجاءه جبرائيل عليه السلام فقال : انه قد استجيب لك في بعضها .

وفي الحديث : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ان الله تبارك وتعالى خلق الف

امة ، ستمائة منها في البحر ، واربعمائة في البر ، وان اول هلاك هذه الامم بالجراد والله اعلم .

رجع إلى بدء : ومما حدث في هذه السنة ان الامير حامد خان عم الوزير نظام الملك كان حاكما بمدينة احمد اباد ، وكان الامير شجاعت خان مقيما بها ، وكان من الامراء الاعيان فعزل حامد خان بأمر السلطان ، وتولى المدينة سر بلند خان وكان إذ ذاك في ابواب السلطان ، فارسل الامر السلطاني إلى شجاعت خان وامره ان يضبط المدينة ، وان يكون نائباً عنه إلى ان يصل اليه والقى مقاليد الامور اليه فطلب الامير شجاعت خان جميع امراء كجرات والاعيان وقرأ عليهم امر السلطان ومرسوم النيابة من سربلند خان ، فامتثل الامر الجميع من الرفيع والوضيع وارسل حينئذ شجاعت خان إلى حامد خان بان يسلم القلعة والبلاد ويرحل عن احمد اباد فامتنع وعصى وشقت بين اميرين العصا ، ووقع بينهما داخل المدينة حرب شديد يشيب منه رأس الوليد ، مدة ثلاثة ايام بلياليها حتى خلنا من صوت المدافع ان المدينة خسفت بمن فيها .

ثم خرج حامد خان كرهاً وصار شجاعت خان واليها ، واقام حامد خان خمسة ايام خارج البلاد على غدير عظيم مشهور ، يسمى كنكريه طلا ـ وبفتح الكافين بينهما نون ساكنة وكسر الراء المهملة وفتح الياء التحتانية المشددة بعدها هاء ساكنة وفتح الطاء المهملة واللام الف وسكون الواو ـ وهذا الغدير مرصف بالاحجار وحوله انواع الاشجار والثمار ، واصناف الطيور والازهار .

ثم ان حامد خان رحل من ذلك المكان ، وسار طالباً ارض الدكن يستنجد بابن اخيه نظام الملك المخاطب بقليج خان بن غازي الدين خان على اخذ احمد اباد من يد شجاعت خان فانجده بستين الف فارس من كفرة الغنيم الأبالس ، والمقدم عليهم جبار عنيد بل شيطان مريد يسمى كتنه جي فكر بهم راجعاً إلى احمد اباد وقد اضمر الخراب والفساد ، هذا ما كان من حامد خان .

وأما الشيخ احمد علان فانه رحل ورحلنا صحبته من احمد اباد قاصدين شاه جهان اباد، فأتينا بعد اربعة ايام على قرية تسمى كبربنج ، واقمنا بها يوما . فلما اردنا الرحيل منها وصلتنا الاخبار بأن حامد خان واصل الينا مع الغنيم آخر النهار.

فلما كان بعد العصر وصل حامد خان والغنيم في جيش عرمرم عظيم ، وفي اليوم الثاني ارسل لنا علما نركزه عندنا لنأمن من اذى الغنيم ، ثم ارسل رسول الامان ، وطلب الشيخ احمد علان ، فسار اليه بهدية منها سيف عظيم وفر وقاقم وزوج طبنجات ، فأكرم الشيخ غاية الكرامة وبشره ومن معه بامن من الغنيم والسلامة ، ثم ان الشيخ طلب من حامد خان ان يأذن له في الرحيل إلى شاه جهان اباد بلاد السلطان ، فمنعه عن المسير واخبره ان لصوص الكولية في طريقه كثير ، وقد قطعوا الطرقات وشنوا على القوافل الغارات ، وان يرجع معه إلى احمد اباد إلى ان تخمد نار الفساد فامتثلنا الامر ولله الامر وصبرنا على حوادث القضا وأقمنا معه ولكن على جمر الغضا .

ورحلنا إلى احمد اباد وقد صدنا عن السفر وبلوغ المراد ، فلم نزل نسير مع ذلك الجم الغفير إلى ان وصلنا إلى شاهي باغ ـ يعني البستان السلطاني ـ وهو بستان عظيم يجل وصفه عن الحصر ، بناه اعظم شاه بن اورنقزيب على شاطىء النهر ، وكان وصولنا اليه عند ما تضاحى النهار .

ووصل الينا ذلك الوقت شجاعت خان بعسكر جرار ، فوقع بين العسكرين الحرب ، واشتد الطعن والضرب واصطفت الصفوف وبرزت الابطال بالالوف وحمى الوطيس والتقى الخميس بالخميس ، وجردت السيوف ودارت كاسات الحتوف ، وبرز الشجاع الصنديد ، وولى الجبان الرعديد ، ولعبت الفرسان ، وجندلت الاقران في الميدان ، وكان لنا يوم عبوس ، خرجت فيه النفوس ، وقطعت فيه الايدي والرؤس ، وصب على الفريقين رصاص المدافع والبنادق كالمطر .

وحصل لحامد خان النصر والظفر . وتقابل مع شجاعت خان على الافيال ؛

وتضاربا بالسيوف ، ثم تراميا بالنبال ، فرماه حامد خان في جبهته بالسهام ، فنكسه عن فيله واذاقه كاس الحمام ، ثم قدم عليه فقطع رأسه ، واخمد انفاسه وهزم رجاله ونهب خزائنه وامواله رحمه الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

وإلا إذا ميزت بين شجاعت خان وحامد خان ، رأيت حامد خان برقا بلا مطر ، وشجراً بلا ثمر ، ورأيت شجاعت خان ، خاتم العصر والزمان فاين الغزالة من الذبالة ؟ واين الشراب من السراب ؟ واين الدر من الحصى ؟ واين السيف من العصا

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا

فان شجاعت خان ذو الجود والاحسان كان معدن كل فائدة ، ومنبع كل صلة وعائدة .

وان حامد خان كان ابخل من كلب بني زائدة ، لكن هذا امر مقدور لا ينفع معه المحذور لايسأل عما يفعل وهم يسئلون ، ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ثم ان حامد خان دخل احمد اباد وقد بلغ المراد .

وبعد مضي خمسة ايام طلب صنو شجاعت خان الامير الجليل ابراهيم قلي خان وارسل اليه بالامان وكان ابراهيم قلي خان مضمراً على اخذ ثار اخيه فأتى ودخل القلعة عليه ، فلما وقعت عينه عليه جرد سيفه وركض عليه فانهزم حامد خان ومعه ابراهيم قلي خان إلى ان دخله على النساء والصبيان ، فاستحى حين رأى الناس وقد قرب المسا وفي قلبه لهيب النار حيث لم يأخذ لأخيه الثار .

فما خرج إلى القلعة إلا وفيها من الرجال نحو خمسة آلاف بيدهم الحراب والاسياف ، فحمل عليهم حملة اسد ، ولم يكترث باحد ، وقتل منهم في حملته ستين رجلا وجرح ازيد ثم تكاثرت عليه الرجال واحدقت به الافيال ، فقطعوه بالسيوف اوصالا اوصال ، رحمه الله الكريم المتعال .

وقد كان هذا الامير الرئيس الشهير كعبة الوفاد ، وملجأ القصاد ، رحيب

النادي ، غوث اللهيف الصادي ، حامى الجار ، كاشف العار ، بطل الحرب ، مجلي الكرب ، جامع الخصال الحميدة ، والصفات المجيدة ، فصار عليه وعلى اخيه ما صار من حامد خان والغنيم الاشرار .

فهذه حال الدنيا ، وزينتها الدنيا ، وافلح من اتقى الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إنما الدنيا فناء ليس في الدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ثم ان حامد خان اقام في احمد آباد اياماً قلائل ، فبلغه ان رستم علي خان وهو اخوهما الثالث قد سار اليه في ثلاثين الف مقاتل ، وذلك انه كان حاكما في بندر سورت ، فلما بلغه قتل اخويه عظم ذلك عليه ، فجهز هذا الجيش وسار اليه فخرج اليه حامد خان والتقيا في قرية يقال لها اراس تبعد عن احمد اباد ستة ايام وصار بينهما حرب عظيم ، فصدمه رستم علي خان صدمة منكرة ، وغلبه وكسر عسكره ، ونهب خزائنه ، وسد عليه أما كنه فولى منهزماً حامدخان ، وتبعه رستم علي خان ، فغدر به عند ذلك العسكر لقدر الله المقدر ، وذلك انه كان طول هذه السنة في حرب عظيم مع الكفرة الغنيم ، ومقدمهم بيلوجي اللئيم .

فلما بلغه قتل اخويه كبر ذلك لديه ، فتصالح مع بيلوجي والغنيم ، على مائة الف روبية ، من السكة الهندية ، وفيلين وخلعة سنية ، وان يكون واياهم يداً واحدة على حامد خان ، وعاهدوه بالزور والمكر ! وارسلوا خفية لحامد خان واخبروه بما اضمروا من غدر رستم علي خان .

فلما التقى الجيشان حمل رستم علي خان على حامد خان بثلاثة آلاف من ابطال العرب الشجعان ، فغلبه وكسره ، واقتفى اثره ، فاغتنم اللعين بيلوجي الفرصة وحمل بخمسة وعشرين الف فارس على مؤخر عسكر رستم علي خان ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وانهزم بقية عسكر الخان بين تلك القرى والبلدان ، ونهب هذا اللعين

الخائن جميع المدافع والسلاح والخزائن ، واحاط بالمدافع والرجال على رستم علي خان ، ومن معه من العرب الابطال ، ورجع ايضاً حامد خان ، وحلق عليه بالفرسان ، فحاربهم سبعة عشر يوماً رستم علي خان ، وقد قتلت ابطاله ، وضاق حاله ولم يبق معه غير خمسة وعشرين من شجعان العرب .

وقد قتل من الغنيميين في هذه المدة أمماً لا تحصى ولا تعد ولا تستقصى وفي كل يوم يأتي المدد إلى حامد خان من ابن اخيه قليج خان ، إلى ان بلغ جمعه مائة وستين الف فارس من الغنيم اهل الكفر والبهتان ، فهجم في اليوم الثامن عشر على رستم علي خان بجميع جيوش الكفر والطغيان ؛ فقتله رحمه الرحيم الرحمن .

وقد كان هذا الامير الكريم الشهير كاملا في اوصافه والسجية صاحب همة وشجاعة واريحية تضرب بشجاعته الامثال ، وتشد إلى بابه الرحال ، فغدرت به وبأخويه الدنيا الفانية ، وحطتهم عن مراتبهم العالية :

كانوا جمال زمانهم فتصدعوا فكأنما لبس الزمان الصوفا

ثم ان حامد خان كر راجعاً إلى احمد اباد ، مسرور الفؤاد ، وبعد ان قتل هؤلاء الثلاثة الاخوة الذي لم يسمح الزمان بمثلهم ، ولا يحصر عد فضلهم ، عصى إذ ذاك على السلطان وزاد في التجبر والطغيان ، وظلم العباد ، وخرب البلاد واظهر في الارض الفساد ، وقطع السبيل ، ونهب الغنى وابن السبيل .

وكان قد وعد الشيخ احمد علان ان يغمره بالاحسان ، ويرده مرد خير إلى السلطان ، فما وفى له بما وعد ، وانكر وجحد ، ونهب من الشيخ احمد علان جميع الخيل التي ارسلها شريف مكة مبارك بن احمد إلى السلطان .

وكان في تلك الايام وصلت إلى احمد اباد من شاه جهان اباد عمة قمر الدين خان وزير السلطان قاصدة حج البيت ذي الاركان ، وزيارة النبي ذي البرهان .

فلما رأيت الامر قد طال وحل بالناس من الغنيم وحامد خان النكال ، وقد سئمت النفس من الاقامة على الاذلال ، فاستخرت الله في الامور وسرت صحبة عمة

الوزير إلى بندر سورت المعمور :

إذا ما ضاق صدرك من بلاد   وخفت عليك يوما من اذاها
فارحل عاجلا منها سريعاً   وخلي الدار تنعى من بناها
فدار مثل دارك قد تجدها   وروحك لم تجد عوضاً سواها

فلما كان خامس عشر رمضان سنة الف ومائة وثمان وثلاثين من هجرة من انزل عليه القرآن ، رحلنا صحبة عمة الوزير ، وسألنا الله التيسير وسرنا على طريق بانكانير الذي ليس به بركة ولا خير ، وقد كان حامد خان ارسل معها خمسين فارساً من الغنيم يحفظونها من الكولية الاشرار ، السرقة الكفار ، فلم نزل نسير مع عمة الوزير ، وقاسينا في الطريق من لصوص الكولية الهول الخطير .

فلما كان عصر سادس وعشرين من شهر رمضان المبارك دخلنا بندر سورت بعون الله تعالى وتبارك وطابت النفوس ، وزال عنا العنا والبوس :

وان قضى الله بغفرانه   فكل ما لاقيته سهل

﴿ ترجمة الإمام الشافعي ﴾

كان ابوعبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضى الله عنه ابن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف المذكور. وباق النسب إلى معد بن عدنان معروف .

لقي جده شافع رسول الله ﷺ وهو مترعرع وكان ابوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر فاسر وفدى نفسه ، ثم اسلم ، فقيل له : لم لا تسلم قبل ان تفدي نفسك ؟ فقال : ما كنت احرم المؤمنين طمعا لهم .

وكان الشافعي كثير المناقب ، جم المفاخر ، منقطع القرين ، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله تعالى ، وسنة الرسول ﷺ وكلام الصحابة رضى الله عنهم

وآثارهم واختلاف اقاويل العلماء، وغير ذلك من معرفة كلام العرب، واللغة والعربية والشعر حتى ان الاصمعى مع جلالة قدره في هـذا الشأن ، كان يقرأ عليه اشعار الهذليين ، واجتمع في الشافعي ما لم يجتمع في غيره حتى قال احمـد بن حنبل رضى الله عنه : ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي .

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : قلت لابي انى اسمعك تكثر من الدعاء للشافعي ؟ فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للبدن ، هل لهذين من خلف او عنهما عوض .

وقال احمد : ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وانا ادعو للشافعي واستغفر له !

وقال يحيى بن معين : كان احمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي ثم استقبلته يوما والشافعي راكب بغلة وهو يمشى خلفه ، فقلت له : يا ابا عبد الله تنهانا عنه وتمشى خلفه ، فقال : اسكت لو لزمت البغلة لانتفعت .

وحكى الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن الحكم انه قال : لما حملت ام الشافعي به رأت كأن المشترى خرج من فرجها حتى انقض بمصر ، ثم وقع في كل بلد منه شظية فتأول اصحاب الرؤيا انه يخرج منها عالم يختص بعلمه اهل مصر، ثم يفرق في سائر البلدان .

وقال الشافعي رضى الله عنه : قدمت على مالك بن انس رضى الله عنه وقد حفظت الموطأ حفظاً ، فقال : ان يكن احد يفلح فهذا الغلام .

وكان سفيان إذا جاءه شيء من التفسير او الفتاوى التفت إلى الشافعي وقال سلوا هذا الفتى .

وقال الحميدي: سمعت ابن يحيى بن خالد ـ يعني مسلما ـ يقول للشافعي افت يا ابا عبد الله فقد والله آن لك ان تفتي ، وهو ابن خمس عشرة سنة .

وقال محفوظ بن ابى بويه البغدادى : رأيت احمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام ، فقلت له : يا ابا عبد الله هذا سفيان في ناحية المسجد يحدث فقال

ان هذا يفوت ، وذلك لا يفوت .

وقال ابن حسان ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحد من اهل العلم كتعظيمه للشافعي . ولقد جاءه يوما فلق محمد بن الحسن وقد ركب ، فرجع محمد إلى منزله وخلا به يومه إلى الليل ، ولم يأذن لاحد عليه .

والشافعي اول من تكلم في اصول الفقه ، وهو الذي استنبطه .

وقال ابن ثور : من زعم انه رأى مثل محمد بن ادريس الشافعي في علمه وفصاحته ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب ، كان منقطع القرين في حياته ، فلما مضى لسبيله لم يعتض عنه .

قال احمد بن حنبل : ما احـــد ممن بيده محبرة او ورق إلا وللشافعي في رقبته منة .

وكان الزعفراني يقول : كان اصحاب الحديث رقوداً فاتى الشافعي فايقظهم فتيقظوا . وفضائله اكثر من ان تعد .

ومولده سنة خمسين ومائة . وقد قيل انه ولد في اليوم الذي مات فيه ابو حنيفة رضي الله عنه .

وكانت ولادته بمدينة غزة . وقيل : عسقلان ، وقيل : باليمن . والأول اصح وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين ، ونشأ بها ، وقرأ القرآن الكريم .

وحديث رحلته إلى مالك مشهور فلا حاجة إلى التطويل فيه . وقدم بغداد سنة خمس وسبعين ومائة وأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مصر ، وكان وصوله اليها سنة تسع وتسعين ومائة ، وقيل : سنة احدى ومائتين ، ولم يزل بها إلى ان توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة اربع ومائتين ، ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى ، وقبره يزار بها بالقرب من المقطم رضي الله عنه .

وقال الربيع بن سليمان المرادي : رأيت هلال شعبان وانا راجع من جنازته وقال : رأيته في المنام بعد وفاته ، فقلت له : يا ابا عبد الله ما صنع الله بك ؟ فقال :

اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب!

وقد اتفق العلماء قاطبة من اهل الفقه والحديث والاصول والنحو واللغة وغير ذلك على ثقته، وأمانته، وعدالته، وزهده، وورعه، ونزاهة عرضه، وعفة نفسه، وحسن سيرته، وعلو قدره وسخائه.

وللامام الشافعي اشعار كثيرة فن ذلك ما نقلته من خط الحافظ ابي هريرة السلفي قوله :

ان الذي رزق اليسار ولم يصب … حمداً ولا اجراً لغير موفق
الجد يدني كل امر شاسع … والجد يفتح كل باب مغلق
وإذا سمعت بان مجدوداً حوى … عوداً فاثمر في يديه فحقق
وإذا سمعت بان محروما اتى … ماء ليشربه فغاض فصدق
واحق خلق الله بالهم امرؤ … ذو همـــة يبلى بعيش ضيق
ولربما عرضت لنفسي فكرة … فاود منها انني لم اخلق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني … بنجوم اقطار السماء تعلق
لكن من رزق الحجى حرم الغنى … ضدان مفترقان أي تفرق
ومن الدليل على القضاء وكونه … بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

ومن المنسوب اليه رضوان الله عليه :

ما ذا يخبر ضيف بيتك اهله … ان قيل كيف مماده ومماجه
ايقول جاوزت الفرات ولم اجد … ريا لديه وقد طفت امواجه
ورقيت في درج العلى فتضايقت … عما اريد شعابه وفجاجـه
ولتخبرن خصاصتي بتملقي … والماء يخبر عن قذاه اجاجه
عندي يواقيت القريض ودره … وعليك اكليل الكلام وتاجه
تربى على روض الربى ازهاره … فيرف في بادي الندى ديباجه
والشاعر المنطيق اسود سالخ … والشعر منه لعابه ومجاجـه

وعداوة الشعراء داء معضل ولقد يهون على الكريم علاجه

وهو القائل :

ولو لا الشعر بالعلماء يزرى لـكنت اليوم اشعر من لبيد

وقال الشافعي رضي الله عنه : تزوجت امرأة من قريش بمـكة وكنت امازحها فاقول :

ومن البلية ان تحب فلا يحبك من تحبه

ويصد عنك بوجهه وتلح انت فلا تغبه

اخبرني احـد المشايخ الافاضل : انه عمل في مناقب الشافعي رضى الله عنه ثلاثة عشر مصنفاً .

ولما مات رحمه الله تعالى ورضى عنه رثاه خلق كثير ، وهذه المرثية منسوبة إلى ابى بكر محمد بن دريد صاحب المقصورة المشهورة ، وقـد ذكرها الخطيب في تاريخ بغداد ، فمنها قوله :

ألم تر آثار ابن ادريس بعده دلائلها في المشكلات لوامع

معالم يفني الدهر وهي خوالد وتنخفض الايام وهي روافع

مناهج فيها للورى متصرف موارد فيها للرشاد شرائع

ظواهرها حـكم ومستنبطاتها لما حكم التفريق فيها جوامع

لرأى ابن ادريس بن عم محمـد ضياء إذا ما اظلم الخطب ساطع

إذا المعضلات المشكلات تشابهت سما منه نور في دجاهن لامع

ابى الله إلا رفعه وعلوه وليس لما يعليه ذوالعرش واضع

توخى الهدى واستنقذته يد التقى عن الزيغ والزمان المرء صارع

ولاذ بآثار الرسول فحكمـه لحـكم رسول الله في الناس تابع

وعول في احكامه وقضائه على ماقضي بالوحي والحق ناصع

تسربل بالتقوى وليداً و ناشيا وخص بلب الـكهل مذ هو يافع

وهذب حتى لم تشر بفضيلة إذا التمست إلا عليه الاصابع
فمن يك علم الشافعي امامه فمرتعه في ساحة العلم واسع
سلام على قبر تضمن جسمه وجادت عليه المرخيات الهوامع
لئن غيبت اثراؤه جسم ماجد جليل إذا التفت عليه المجامع
وان فجعتنا الحادثات بشخصه فهن بما حكمن فيه فواجع
فأحكامه فينا بدور زواهر وآثاره فينا نجوم طوالع

وقد يقول القائل: ان ابن دريد لم يدرك الشافعي فكيف رثاه: لكنه يجوز ان يكون قد رثاه بعد ذلك فما فيه بعد ، وقد رأينا مثل هذا في حق غيره ، مثل الحسن عليه السلام والله ولي التوفيق .

هكذا ذكره ابن خلكان رحمه الله تعالى والله اعلم بالصواب .

﴿ فائدة ﴾

اعلم ان عزيز مصر اشترى يوسف الصديق عليه السلام ، ومولى الموالى اشترى قلب المؤمنين لقوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) فاشترى العزيز من يوسف ظاهره دون باطنه لانه لايعلم انه حر فكذلك لايقع على القلب الشراء لان الحر للرب وكما انه لا سبيل لاحد انه يملك الحر كذلك لا سبيل للشيطان على القلب .

واعلم ان قيمة السلعة ثلاثة اشياء ان يكون المشترى خليلا ، والدلال نبيلا والثمن جليلا ، فتعود السلعة ثمينة، بعد ان كانت مهينة. وترجع كثيره بعد ان كانت حقيره ، وهذه اوصاف المؤمن ، نعم ان الله اشترى ، فنعم المشتري الله ، ونعم الدلال النبي ، ونعم الثمن الجنة .

﴿ سؤال ﴾

ما الحكمة في قوله تعالى : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم) ولم يقل باع لهم !

﴿ جوابه ﴾

في هذا الكلام اقوال ، احسنها : ان البائع لا يخلو من احد امرين : اما ان يكون محتاجا او طالباً للربح ليكثر له المال ، والمولى تعالى شأنه ليس بمحتاج إلى ثمن الجنة ولا إلى طلب الفضل انتهى .

ولما اشترى العزيز يوسف قال لامرأته: اكرمي مثواه ، وفيه عشرة اشارات فالملوك لهم فراسة ، والاشراف لهم فراسة ، والمؤمنون لهم فراسة .

الاولى : تفرس الملك وعلم انها تحبه ، فلذلك قال لها : اكرمي مثواه .

الثانية : انه شرفه وفضله لانه لم يعرف في ملكه اعز من زليخا ، فقال لها : هذا غلام عبري ولا يخدم العزيز إلا العزيز ! فلذلك قال لها : اكرمي مثواه .

الثالثة : انه رأى في منامه قائلا يقول له : لا تفرق بين زليخا ويوسف فانها له وهو لها ، فلذلك قال لها : اكرمي مثواه .

الرابعة : ان زليخا كانت تقول في كل وقت بقيت وحيدة فريدة ، بلا ولد فقال لها : هي انه ولدك اكرمي مثواه .

الخامسة : ان زليخا قالت للعزيز بذلت جميع ملكك في ثمن هذا الغلام فقال لها : اكرمي مثواه لان من يشتري هذا الغلام بهذه الخزائن العظيمة ، ينبغي ان يكرم مثواه .

السادسة : انه قال اكرمي مثواه ، يعني أي شيء فعلتيه معه كأنه معي فهو عندي كريم ، فان اكرمته فقد اكرمتني .

كما قال الله تعالى في حق محمد ﷺ (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقال الله تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) .

السابعة: قال لها اكرمي مثواه ـ أي اجعلي له اشرف مكان ، واعز موضع .

الثامنة : قال لها اكرمي مثواه لاني سمعت ان طيراً من السماء وقع عليه فجعل

يحدثه فعلمت انه عبد مقرب عند ربه ، فرجوت ان يكرمنا الله لاجله ، وهذا احسن التأويلات .

التاسعة : قال لها اكرمي مثواه ، فانه كريم ونحن كرماء ، ولا يعرف قدر الكريم إلا الكريم .

العاشرة : قال لها اكرمي مثواه فانه لا يقوم مقامنا احد سواه ، فما لنا غيره فكان الامر كذلك لانه جلس مكانه في الملك .

وقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (ولقد همت به وهم بها) قال بعض المحققين : الاهمام صنفان : اصلي وعارضي ، فالاصلي ما كان معه عزم مثل اهمام امرأة العزيز بيوسف عليه السلام . والعارضي هو الخطرة ، وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل اهمام يوسف بزليخا فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم او يعمل .

لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : قال الله تعالى (إذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها ولو لم يعملها) .

روي ان امرأة العزيز لما همت بيوسف «ع» جعلت تذكر محاسنه من القد والصورة والعين والشعر ، حتى هم بها .

وقال بعضهم : همت به بالحرام ، وهم بها بالحلال .

وقيل : كيف يليق بيوسف «ع» ان يفعل مثل هذا وهو نبي الله تعالى .

اعلم ان علماء الاسلام اختلفوا في هذا الاهمام ، فقال بعضهم : ان ذلك كان من جملة امتحان الانبياء ، لان الله تعالى امتحن انبياءه حتى انهم كلما ذكروا ذلك جدوا في الطاعة خوفاً من الزلة .

وقيل ابتلاهم ليعرفهم نعمة الله عليهم . وقيل : ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لاهل الذنوب في رجاء رحمة الله تعالى .

وقيل : انما ابتلى يوسف «ع» لانه قال في نفسه : انا خير من اخوتي لانهم مذنبون حين عقوا والدهم ، وفعلوا ذلك الفعل فابتلاه ليكون في درجتهم .

واختلف العلماء ايضا في قوله تعالى عن نبيه يوسف «ع» (لو لا ان رأى برهان ربه) فقال بعضهم: ان طيراً وقع على كتفيه، وقال له لا تفعل فان فعلت سقطت عن درجة الانبياء.

وقيل: انه رأى اباه يعقوب وهو يقول له: يا يوسف ألا تراني.

وقيل: ان يوسف رأى زليخا وهي تغطي شيئاً، فقال لها: ما بالك؟ قالت اغطي صنمي كي لا يراني أنا وانت في هذا البيت! فقال لها: انت استحييت من صنمك الجامد الذي لا يعقل ولا يرى، فانا اولى بأن استحي ممن يسمع ويرى.

وقيل: نودي يايوسف اسمك في ديوان الانبياء وانت تفعل فعل السفهاء.

وقيل: رأى كفاً خارجا من الحائط عليه مكتوب (ولا تقربوا الزنا) وقيل رأى صورة حسنة وهي تقول انا رسول العصمة لا تفعل فانك معصوم.

وقيل: نكس رأسه فرأى على الارض مكتوبا فيه من يعمل سوءاً يجز به.

وقيل: رأى كأن العزيز واقف وهو يقول: هكذا تفعل باهل من اكرمك

وقيل: كان بينه وبينها حجاب فلم يرها. وقيل: بدلت له حورية من الجنة فتحير فيها، وقال: لمن انت؟ فقالت: لمن لا يزني.

وقيل: سمع قائلا يقول يا يوسف لا تفعل فانها لك حلال. وقيل: رأى الجب الذي كان فيه مصوراً بين عينيه، ورأى ملكاً قائما وهو يقول يا يوسف انسيت مقامك في هذا الجب.

وقيل: رأى زليخا على صورة قبيحة فهرب منها. وقيل: ناداه مناد يا يوسف انظر عن يمينك، فنظر فرأى ثعباناً اعظم ما يكون، فناداه الثعبان من زنى يكون في بطني غداً.

وقيل: خرج من الحائط بلا معصم ولا عضد مكتوب عليه (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) فقام هاربا، وقامت هاربة، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فرأى ذلك الكف مكتوبا عليه (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) فقاما

هاربين ، فلما ذهب عنهما الروع قال الله تعالى لجبرئيل ادرك عبدي قبل ان يقع في الخطيئة ، فانحط جبرئيل عاضاً على اصبعيه يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت من جملة الانبياء .

وقيل : معنى قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها) ان زليخا اول ما همت به لانها رأته في النوم ، وهم بها لانه ايضاً رآها في منامه فعند ذلك هم بها .

قلت: وهذا وجه حسن لان الانبياء معصومون عن المعاصي ، قال الله تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) فسماه الله مخلصاً والله اعلم .

﴿ ترجمة الإمام مالك بن أنس بن عامر بن عمرو بن غيمان ﴾
(ـ بغين معجمة وياء تحتها نقطتان ـ ويقال عثمان)
(ـ بعين مهملة وثاء مثلثة ـ ابن جثيم ـ بجيم وثاء)
(مثلثة وياء ساكنة تحتها نقطتان ـ وقال)
(ابن سعد هو خثيل ـ بخاء)
(معجمة ـ ابن عمرو)
(ابن ذى اصبح)

الاصبحي المدني إمام دار الهجرة ، وأحد الاعلام ، اخذ القراءة عرضاً عن نافع بن ابي نعيم ، وسمع عن الزهري ، ونافع مولى ابن عمر رضى الله عنهما والاوزاعي ويحي بن سعيد ، واخذ العلم عن ربيعة الرأي . ثم افتى معه عند السلطان .

وقال مالك : قل رجل كنت اتعلم منه ، ومات حتى يجيئني ويستفتيني .

وقال ابن وهب : سمعت مناديا ينادي بالمدينة ألا لا يفتي الناس إلا مالك بن انس ، وابن ابي ذؤيب . وكان مالك إذا أراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر

فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ، ثم حدث ، فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله ﷺ ولا احدث به إلا متمكناً على طهارة

وكان يكره ان يحدث على الطريق او قائماً او مستعجلا . ويقول احب ان اتفهم ما احدث به عن رسول الله ﷺ .

وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ، ويقول لا اركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة ، هكذا ذكره ابن خلكان .

(واقول) بل كان لايتغوط في المدينة بل في جبل سلع ويقول كقالته الأولى

وقال الامام الشافعي ـ المتقدم ذكره ـ رضى الله عنه: قال لي محمد بن الحسن رضى الله عنه: ايهما اعلم صاحبنا او صاحبكم ـ يعني ابا حنيفة أومالكاً ـ رضي الله عنهما قال : قلت على الانصاف قال : نعم ، قال : قلت فانشدك الله من اعلم بالقرآن صاحبنا ام صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال : فقلت انشدك الله من اعلم بالسنة صاحبنا ام صاحبكم ؟ قال ، اللهم صاحبكم ، قال : فقلت انشدك الله من اعلم باقاويل الصحابة صاحبنا ام صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال الشافعي : فلم يبق إلا القياس ، والقياس لا يكون إلا على هذه الاشياء ، فعلى اي شيء نقيس .

وقال الواقدى : كان مالك يأتى المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويقضى الحقوق ويجلس في المسجد ويجتمع عليه اصحابه ، ثم ترك الجلوس في المسجد .

وكان يصلي وينصرف إلى مجلسه ، وترك حضور الجنائز . وكان يأتى إلى اصحابها فيعزيهم ، ثم ترك ذلك فلم يكن يشهد الصلوات في المسجد ولا الجمعة ولا يأتي احداً يعزيه ولا يقضي له حقاً واحتمل الناس ذلك حتى مات عليه.

وكان ربما قيل له في ذلك فيقول : ليس كل الناس يقدر ان يتكلم عذره

وسعى إلى جعفر بن سليمان بن علي وهو ابن عم أبي جعفر المنصور .

وقال : انه لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشيء ، فغضب جعفر ودعا به وجرده

وضربه بالسياط ومد يده حتى انخلعت كتفه ، وارتكب منه امراً عظيما ، فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة ، وربما كانت تلك السياط حلياً حلي به .

وذكر ابن الجوزي في كتاب شذور العقود انه مات في سنة تسع واربعين ومائة للهجرة وكمل له اربع وثمانون سنة .

وقال الواقدي : مات مالك وله تسعون سنة ، والله اعلم بالصواب .

وحكى الحافظ ابو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس ، قال : وحدث القعنبي قال دخلت على مالك بن انس رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ، ثم جلست فرأيته يبكي فقلت : يا ابا عبد الله ما الذي يبكيك ؟ قال لي: يا ابن قعنب وما لي لا ابكي ومن احق الناس بالبكاء مني ، والله لوددت اني ضربت لكل مسألة افتيت فيها برأيي سوطاً ، وقد كان لي السعة فيما سبقت اليه لو لم افتها بالرأي . او كما قال .

وكانت وفاته بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، ودفن بالبقيع . وكان شديد البياض إلى الشقرة طويلا عظيم الهامة ، اصلع الرأس يلبس الثياب العدنية الجياد ، ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة ولا يغير شيبه.

ورثاه جعفر بن احمد بن الحسين بقوله :

سقى جدثاً ضم البقيع لمالك ... من المزن مرعاد السحائب مبراق
أمام موطاه الذي طبقت به ... اقاليم في الدنيا فساح وآفاق
اقام به شرع النبي محمد ... له حذر من ان يضام واشفاق
له سند عال صحيح وهيبة ... فللكل منه حين يرويه اطراق
واصحاب صدق كلهم عالم فسل ... بهم انهم ان انت ساءلت حذاق
ولولم يكن إلا ابن ادريس وحده ... كفاه ألا ان السعادة ارزاق

والاصبحي - بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة هذه النسبة إلى ذي اصبح ، واسمه الحارث بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن

زرعة ، وهو من يعرب بن قحطان ، وهي قبيلة كبيرة باليمن ، واليها تنسب السياط الاصبحية . هكذا ذكره ابن خلكان ، وبالله المستعان.

﴿ حكاية ﴾

قيل : ان الرشيد كان في كل سنة يخلع على عبيده وجواريه يوم العيد ، قال فجمعهم يوم عيد على عادتهم ، ووضع انواع الحلل والثياب والديباج والدراهم والدنانير ، وقال : من احب شيئاً فليضع يده على ما اراد ، فوضع كل منهم يده على مااختاره إلا جارية منهن فانها وضعت يدها على الرشيد ، فقال لها : ماتصنعين؟ قالت : يا مولاي ألست امرتنا بان نضع يدنا على ما نحب ، فأنا لا احب سواك ! فقال لها الرشيد : انا ومالي بيديك واعجبته غاية الاعجاب واعتنقها وحكمها في جميع ما عنده . كذلك العبد إذا تعلق بذكر مولاه ، ولا احب سواه ، قربه وادناه ، واعزه واولاه ، واعطاه كل ما يتمناه ، من دنياه وعقباه .

يتمنى طرف المحب يراكا ... أتراه يفوز منك بذاكا
يا بعيداً عن ناظري وهو في القلب مقيم ما آن وقت لقاكا
كيف ماشئت كن وماشئت فاصنع ... بفؤادي فما احب سواكا
ان تكن في الهوى لقتلي راض ... يا حبيبي فقد رضيت رضاكا
ان اعش فالحياة انت وان مت ففي القبر حجتي ذكراكا

للشيخ العارف بالله محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى :

نجب الاعمار بنا تثب ... ما اسرع ما تصل النجب
والشمس تطير بأجنحة ... والليل تطارده الشهب
والدهر يجد بفعل الجد فليس يليق بك اللعب
ما القصد سواك فخل هواك وكن رجلا فلك الطلب
العرش لأجلك مرتفع ... والفرش لأجلك منتصب

والجو لاجلك منخرق والريح تمور بها السحب

والزهر لوجهك مبتسم والغيم لممرك ينتهب

وكأن سماء الدنيا البحر وحب كواكبها الحبب

وكأن الشمس سفينته وشراع ذوائبها ذهب

سل دهرك اين قرون الارض يجيبك انهم ذهبوا

ساروا عنا سيراً عجلا فكأن مسيرهم الخبب

واستوحشت الاوطان لهم لما انست بهم الترب

ما افصحهم ولقد صمتوا ما ابعدهم ولقد قربوا

يا لاعب جد بفعل الجد فليس الامر به لعب

واهجر دنياك وزخرفها فجميع مناصبها نصب

فكأنك والايام وقد فتحت باباً فيه النوب

وبقيت غريب الدار فلا رسل تأتيك ولا كتب

وسلاك الاهل ومل الصحب كأنهم لك ما صحبوا

فاذا نقر الناقور وصاح فيومئذ يوم عجب

فيصيخ السمع ويجثو الجمع ويجري الدمع وينسكب

وجميع الناس قد إجتمعوا ثم افترقوا ولهم رتب

ذا مرتفع ذا منخفض ذا منجزم ذا منتصب

فهناك المكسب والخسران وثم الراحة والتعب

آخر مثله :

نسمات الروح لها ارج تحيا وتعيش بها المهج

وبنشر حديثك يطوى الغم عن الارواح ويندرج

وببهجة وجه جلال جمال كمال صفاتك ابتهج

لا كان فؤاد ليس يهيم على ذكراك وينزعج

لا اعتب قلب الغافل عنك فليس على الاعمى حرج
ما الناس سوى قوم عرفوك وغيرهم همج همج
قوم فعلوا خيراً فعلوا وعلى الدرج العليا درجوا
فهموا المعنى فهم المعنى فبذكر الله لهم لهج
دخلوا فقراء إلى الدنيا وكما دخلوا منها خرجوا
شربوا بكؤس تفكرهم من ظرف هواه وما مزجوا
يا مدعياً لطريقتهم قوم فطريقك منعوج
تهوى ليلى وتنام الليل وحقك ذا طلب سمج

آخر مثله :

في الدهر تحيرت الامم والحاصل منه لهم ألم
بعجائبه وغرائبه أمواج زواخر تلتطم
والعمر يسير مسير الشمس فليس تقر له قدم
قدمان له يسعى بهما فضحى ودجى ضوء ظلم
والناس بحلم جهالتهم فاذا ذهبوا ذهب الحلم
صم بكم عمي بهم نعم قسمت لهم نعم
فرقوا فرقا فرقوا فرقا ومضوا طرقا لا تلتئم
ذا مرتفع ذا منتصب ذا منخفض ذا منجزم
لا يفتكرون لما وجدوا لا يعتبرون لما عدموا
وهواء نفوسهم عبدوا والنفس لعابدها صنم
واسم الاسلام على ذا الخلق وليس المسلم عشرهم
اوليس المسلم من سلمت منه نفس ويد وفم

قيل : لما انتصر الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابى بكر بن ايوب الكردي علي الفرنج جلس في قصره بمدينة المنصورة ، وحضر عنده اخوه الملك

المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب حماه ، واحضروا سفرة المدام ، ثم ان الملك الاشرف موسى احضر جارية عنده مشهورة بضرب العود والغناء ، وامرها بالغناء ، فانشدت تغني بهذين البيتين .

ولما طغى فرعون ظلماً بسحره   وجاء إلى مصر ليفسد في الارض
اتى نحوهم موسى وفي يده العصا   فاغرقهم في اليم بعضاً على بعض

فطرب الملك الاشرف موسى لذلك وشق على اخيه الملك الكامل محمد فطاب جارية من عنده فاخذت العود وأنشدت تغني وتقول :

ايا اهل دين الكفر قوموا انتظروا   لما قد جرى في عصرنا وتجددا
ألا ان موسى قد اتانا وقومه   وعيسى جميعاً ينصرون محمدا

فطرب الملك الكامل محمد لذلك وامر لكل جارية منهما بخمسمائة دينار .

(اعلم) انه ليس في النصف الاول من القرآن كلا ، وأما في النصف الثاني ففيه نيف وثلاثون موضعاً ، ففي بعض المواضع في معنى الرد للكلام الاول . وفي بعض المواضع للتنبيه في معنى الافتتاح ، وفي بعض المواضع تحتمل كلا الوجهين ، فاول ذلك قوله تعالى (اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهداً) كلا تم الكلام عنده أي كلا لم يطلع الغيب ولم يتخذ عهداً ، ثم ابتدأ سنكتب ما يقول . ومنها قوله تعالى (قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما تركت) كلا هنا بمعنى الردع عن طلب الرجعة ، وللانكار والاستبعاد .

ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن موسى «ع» (فاخاف ان يقتلون) قال كلا اي لا يقتلونك .

وأما التي للتنبيه في معنى الافتتاح ، فكقوله تعالى (الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) ثم قال كلا سوف تعلمون انتهى .

﴿ ترجمة الأمير سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ﴾

قال الثعالبي في اليتيمة : كان بنو حمدان ملوكا وامراء اوجههم للصباحة والسنتهم للفصاحة ، وايديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم ، وكان غرة الزمان ، وعماد الاوان ، ومن به سداد الثغور ، وسداد الامور .

وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف بأسها ، وتفل انيابها ، وتذل صعابها وتكفي الرعية سوء آدابها ، وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في الاسلام الآثار .

وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الادباء ، وحلبة الشعراء .

ويقال انه لم يجتمع بباب احد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وانما السلطان سوق يساق اليها ما ينفق فيها .

وكان اديباً يحب الشعر الجيد ، شديد الاهتزاز لما يمدح به فلو ادرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى ان يقول :

ذهب الذين تهزهم مداحهم هز الكماة عوالي المران
كانوا إذا امتدحوا رأوا مافيهم فالاريحية منهم بمكان

وكان كل من ابي عبد الله بن محمد بن الفياض الكاتب وابي الحسن علي بن محمد السميساطي قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت كقول ابي الطيب المتنبي :

خليلي اني لا ارى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا ان السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد
له من كريم الطبع في الحرب منتض ومن عادة الاحسان والصفح غائد

ولما رأيت الناس دون محله ... تيقنت ان الدهر للناس ناقد

أخو غزوات ما تغب سيوفه ... رقابهم إلا وسيحان جامد

فلم يبق إلا من حماها من الردى ... لمى شفتيها والثدي النواهد

تبكي عليهن البطاريق في الدجى ... وهن لدينا ملقيات كواسد

بذا قضت الايام ما بين اهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

ومن شرف الاقدام انك فيهم ... على القتل موموق كانك شاكد

وان دماً اجريته بك فاخر ... وان فؤاداً رعته لك حامد

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ... ولكن طبع النفس للنفس قائد

نهبت من الاعمار ما لوحويته ... لهنئت الدنيا بانك خالد

فأنت حسام الملك والله ضارب ... وانت لواء الدين والله عاقد

أحبك ياشمس الزمان وبدره ... وان لامني فيك السهى والفراقد

وذاك لان الفضل عندك باهر ... وليس لان العيش عندك بارد

فان قليل الحب بالفضل صالح ... وان كثير الحب بالجهل فاسد

وكقول السرى بن احمد الموصلي :

اعزمتك الشهاب ام النهار ... اراحتك السحاب ام البحار

خلقت منية ومنى فاضحت ... تمور بك البسيطة او تمار

سيوفك من شكاة الثغر برء ... ولكن للعدا فيها بوار

تحلى الدين او تحمي حماه ... فأنت عليه سور او سوار

وكفاك الغمام الجود يسري ... وفي احشائه ماء ونار

يسار من سجيتها المنايا ... ويمنى من عطيتها اليسار

حضرنا والملوك له قيام ... تغض نواضراً فيها انكسار

وزرنا منه ليث الغاب طلقا ... ولم تر قبله ليثاً يزار

فكان لجوهر المجد انتظام ... وكان لجوهر الحمد انتثار

فمشت مخيراً لك في الاماني وكان على العدو لك الخيار
فضيفك للحيا المنهل ضيف وجارك للربيع الطلق جار

وكقول ابي فراس الحارث بن سعيد :

اشدة ما اراه فيك ام كرم تجود بالنفس والارواح تصطلم
يا باذل النفس والآمال مبتسما أما يهولك لا موت ولا عدم
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى ان السلامة من وقع القنا تصم
ناشدتك الله لا تسمح بنفس على حياة صاحبها تحي بها امم
هي الشجاعة إلا انها سرف وكل فضلك لا قصد ولا امم
إذا لقيت رقاق البيض منفرداً تحت العجاج فلم تستكثر الخدم
تفدي بنفسك اقواما منعتهم وكان حقهم ان يفتدوك هم
من ذا يقاتل من تلق القتال له وليس يفضل عنك الخيل والبهم
تضن بالطعن عنا ضن ذي بخل ومنك في كل حال يعرف الكرم
لا تبخلن على قوم إذا قتلوا أثنوا عليك بنو الهيجاء دونهم
ألبست مالبسوا أركبت ماركبوا اعرفت ماعرفوا اعلمت ما علموا
هم الفوارس في ايديهم اسل فان رأوك فاسد والقنا اجم

وكقول ابي العباس احمد بن محمد النامي :

خلقت كما ارادتك المعالي فانت لمن رجاك كما يريد
عجيب ان سيفك ليس يروى وسيفك في الوريد له ورود
واعجب منه رمحك حين يسقى فيصحو وهو نشوان يميد

وكقول ابي الفرج الببغا :

نداك إذا ضن الغمام غمام وعزمك ان فل الحسام حسام
فهذا ينيل الرزق وهو ممتع وذاك يرد الجيش وهو كهام
ومن طلب الاعداء بالمال والظبى وبالسعد لم يبعد عليه مرام

وكقول ابي الفرج الواوا :

من قاس جدواك بالسحاب فما انصف في الحكم بين شكلين

انت إذا جدت ضاحك ابداً وهو إذا جاد دامع العين

وكقول ابي نصر بن نباته من شعراء العراق :

حاشاك ان تدعيك العرب واحدها يا من ترى قدميه طينة العرب

فان يكن لك وجه مثل اوجههم عند العيان فليس الصفر كالذهب

وان يكن لك نطق مثل نطقهم فليس مثل كلام الله في الكتب

وكانت غمائم جوده تفيض ، ومآثر كرمه تستفيض ، فتؤرخ بها ايام المجد وتخلد في صحائف حسن الذكر .

﴿ فصل في إنفجار ينابيع جوده على الشعراء ﴾

قال الثعالبي في يتيمة الدهر : حدثني ابو الحسن محمد بن علي العلوي الحسيني الهمداني الوصي قال: كنت واقفاً بين يدي سيف الدولة بحلب والشعراء ينشدونه فتقدم اليه اعرابي رث الهيئة ، فاستأذن الحجاب في الانشاد فأذنوا له فانشد يقول :

انت علي وهذه حلب قد نفد الزاد وانتهى الطلب

بهذه تفخر البلاد وبالامير تزهو على الورى العرب

وعبدك الدهر قد اضرَّ بنا اليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدولة : احسنت والله انت وامر له بمائتي دينار .

وحكى ابن لبيب غلام ابي الفرج الببغا ان سيف الدولة كان قد امر بضرب دنانير للصلات ، في كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته فامر يوما لابي الفرج منها بعشرة ، فقال ارتجالا :

نحن بجود الامير في حرم نرتع بين السعود والنعم

ابدع من هذه الدنانير ما لم يجر قدما في خاطر الكرم

فقد غدت باسمه وصورته　　في دهرنا عوذة من العدم

فزاده عشرة اخرى .

وكان ابو فراس بين يديه في نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة : ايكم يجيز قولي ؟ :

لك جسمي تعله　　فدمي لم تحله

وليس له إلا سيدي ـ يعني ابا فراس ـ فارتجل ابو فراس فقال :

قال ان كنت مالكا　　فلي الامر كله

فاستحسنه واعطاه ضيعة بمنبج تغل الفي دينار .

واستنشد سيف الدولة ابا الطيب المتنبي قصيدته التي اولها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم　　وتأتي على قدر الكرام المكارم

وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع ابو الطيب ينشدها ، فلما بلغ قوله منها :

وقفت وما في الموت شك لواقف　　كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة　　ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال له : قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امرىء القيس بيتاه :

كأني لم اركب جواداً للذة　　ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم اسبأ الزق الروى ولم اقل　　لخيلي كري كرة بعد اجفال

وبيتاك لا يلتئم شطراها ، كما لا يلتئم شطرا هذين البيتين ، كان ينبغي لامرىء القيس ان يقول :

كأني لم اركب جواداً ولم اقل　　لخيلي كري كرة بعد اجفال

ولم اسبأ الزق الروى للذة　　ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال

ولك ان تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف　　ووجهك وضاح وثغرك باسم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال : ايد الله الامير ان صح ان الذي استدرك على امرىء القيس هذا اعلم بالشعر منه ، فقد اخطأ امرىء القيس ، واخطأت انا ومولانا يعلم ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لان البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفاريقه لانه هو الذي اخرجه من الغزلية إلى الثوبية .

وانما قرن امرىء القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة في شراء الخمر للاضياف بالشجاعة في منازلة الاعداء .

وانا لما ذكرت الموت في الأول اتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو من ان يكون عبوساً ، وعينه من ان تكون دامعة باكية قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم ، لاجمع بين الاضداد في المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها .

فاعجب سيف الدولة بقوله ووصله خمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار .

وكان ابو بكر وابو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث اليهما مرة وصيفاً ووصيفة ، ومع كل واحد منهما بدرة وتخت ثياب مصري ، فقال احدهما من قصيدة طويلة :

لم يغد شكرك في الخلائق مطلقا إلا ومالك في الانام حبيس

خولتنا شمساً وبدراً اشرقت بهما لدينا الظلمة الحنديس

رشأ أتانا وهو حسنا يوسف وغزالة هي بهجة بلقيس

هذا ولم تقنع بذاك وهذه حتى بعثت المال وهو نفيس

اتت الوصيفة وهي تحمل بدرة وانى على ظهر الوصيف الكيس

ووهبتنا مما اجادت حوكه مصر وزادت حسنه تنيس

فغدا لنا من جودك المأكول والمشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : احسنت إلا في لفظة المنكوح فليست مما يخاطب بها الملوك ، وهذا من عجيب نقده .

وحكى ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي : قال طلب مني رسول لسيف الدولة كان قد قدم الحضرة شيئاً من شعري ، وذكر ان صاحبه رسم له ذلك فدافعته اياما ، ثم ألح علي وقت الوداع فاعطيته هذه الثلاثة الابيات :

ان كنت خنتك في المودة ساعة   فذممت سيف الدولة المحمودا

وزعمت ان له شريكاً في العلى   وجحدته في فضله التوحيدا

قسما لو اني حالف بغموسها   لغريم دين ما اراد مزيدا

قال : فلما عاد الرسول إلى الحضرة ودخلت اليه مسلماً اخرج إلي كيساً بختم سيف الدولة مكتوبا عليه اسمي ، وفيه ثلاثمائة دينار .

﴿ نبذ من ذكر وقائعه وغزواته ﴾

حدث ابو علي عبد الله الحسين بن خالويه قال : لما كانت الشام بيد الاخشيد محمد بن طغج سار اليها سيف الدولة فافتتحها وهزم عسكره عن صفين فقال المتنبي :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له   خير الخلائق والانام سمي

الابيات الثلاثة المتقدم ذكرها في ترجمة المتنبي .

وكان ظهر في العرب رجل يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه والتفت عليه القبائل ، وفتح مدائن من اطراف الشام ، واسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، والزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال فسرى اليه سيف الدولة من حلب يحث السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فاوقع به وقتله ووضع السيف في اصحابه فلم ينج إلا من سبق به فرسه وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه ابووائل وبين يديه رأس الخارجي فقال ابو فراس يذكر ذلك :

فانقذ من مس الحديد وثقله   أبا وائل والدهر اجدع صاغر

وآب ورأس القرمطي امامه   له جسد من اكعب الرمح ظاهر

وهذا احسن ما قيل في الرأس المصلوب على الرمح .

وقال ابو الطيب المتنبي في خلاص ابي وائل :

ولو كنت في اسر غير الهوى   ضمنت ضمان ابي وائل

فدي نفسه بضمان المقار   واعطى صدور القنا الذابل

ومناهم الخيل مجنوبة   فجئن بـكل فتى باسل

كأن خلاص ابى وائل   معاودة القمر الآفـل

دعا فسمعت وكم ساكت   على البعد عندك كالقائل

فلبيتـه بك في جحفـل   له ضامن وبه كافـل

وعدت إلى حلب ظافراً   كعود الحلي إلى العاطل

وكان سيف الدولة قد اصطنع كلابا وادناها وأمن سربها فقهرت العرب وعلت كلمتها إلى ان بدرت منهم هفوة احفظته ، فأسرى اليهم واوقع بهم وملك حرعهم واموالهم ثم صفح عنهم وكرم وجمع الحرم ووكل بهن الخدم ، وحملهن واحسن اليهن ، فقال أبو الطيب المتنبي من قصيدة :

فعدن كما اخذن مكرمات   عليهن القـلائد والملاب

يثيبك بالذي اوليت شكراً   واين من الذي تولي الثواب

وليس مصيرهن اليك سبياً   ولا في صونهن لديك عاب

ولا في فقدهن بني كلاب   إذا أبصرن عزتك اغتراب

وكيف يتم بأسك في اناس   تصيبهم فيؤلمك المصاب

ترفق ايها المولى عليهم   فان الرفق بالجاني عتاب

هذا كلام ما لحسنه غاية :

وبين المخطئين هم وليسوا   باول معشر خطأوا فتابوا

وانت حياتهم غضبت عليهم   وهجر حياتهم لهم عقاب

وما جهلت اياديك البوادي ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مولده وبال وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جانيه العذاب

كانما اقتبسه من قوله تعالى افتهلكنا بما فعل السفهاء منا :

ولو غير الامير غزا كلابا ثناه عن شموسهم ضباب

ما احسن ما كنى عن الحرم بالشموس وعن المحاماة دونهن بالضباب :

ولكن ربهم اسرى اليهم فما نفع الوقوف ولا الذهاب
كذا فليسر من طلب الاعادي ومثل سراك فليكن الطلاب

قال ابو فراس يمدحه ويذكر نسوة كلاب :

قد ضج جيشك من طول القتال به وقد شكتك الينا الخيل والابل
وقد درى الروم مذجاوزت ارضهم ان ليس يعصمهم سهل ولا جبل
في كل يوم تزور الثغر لا ضجر يثنيك عنه ولا شغل ولا ملل
فالنفس جاهدة والعين شاهدة والجيش منتهك والمال مبتذل
توهمتك كلاب غير قاصدها وقد تكنفك الاعداء والشغل
واستقبلوك بفرسان اسنتها سود البراقع والاكوار والكلل
فكنت اكرم مسؤل وافضله إذا وهبت فلا من ولا بخل

ويقال : ان سيف الدولة غزا الروم اربعين غزوة له وعليه .

فنها : انه اغار على زبطرة وعرفه وملطية ونواحيها ، فقتل واحرق وسبي وانثنى قافلا إلى درب موازر فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فاوقع به وقتل صناديده ورجاله وعقب إلى بلدانه ، وقد تراجع من هرب منها فاعظم القتل واكثر الغنائم ، وعبر الفرات إلى بلاد الروم ولم يفعله احد قبله حتى اغار على بطن هريط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه خلو بلدان الشام منه غزا انطاكية فاسرى سيف الدولة يطوي المراحل لاينتظر متأخراً ولايلوي على متقدم حتى عارضه

بمرعش ، فاوقع به وهزمه ، وقتل رؤس البطارقة واسر قسطنطين ابن الدمستق واصابت الدمستق ضربة في وجهه فاكثر الشعراء في هذه الوقعة فقال ابو الطيب المتنبي

لكل امرىء من دهره ما تعودا — وعادة سيف الدولة الطعن في المدا
ورب مريد ضره ضر نفسه — وهاد اليه الجيش اهدى وما هدى
سريت إلى جيحان من ارض آمد — ثلاثاً لقد ادناك ركض وابعدا
فولى واعطاك ابنه وجيوشه — جميعاً ولم يعط الجميل ليحمدا
وما طلبت زرق الاسنة غيره — ولكن قسطنطين كان له الفدا

وهي طويلة ، وقال ابو فراس :

وآب بقسطنطين وهو مكبل — تحف بطاريق به وزراور
وولي على الرسم الدمستق هاربا — وفي وجهه عذر من السيف ظاهر
فدى نفسه بابن عليه كنفسه — وللشدة الصماء تفني الذخائر
وقد يقطع العضو النفيس لغيره — ويدفع بالامر الكبير الكبائر

وسار سيف الدولة لبناء الحدث ، وهي قلعة عظيمة الشان ، فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء أهل مملكته وجهزهم بالصليب الاعظم ، وعليهم فردس الدمستق سائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى حتى احاطوا بمسكر سيف الدولة والتهب الحرب واشتد الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، ثم انزل الله نصره فحمل سيف الدولة يخترق الصفوف طالباً للدمستق ، فولى هاربا واسر صهره وابن بنته وقتل خلق كثير من الروم ، فاكثر الشعراء في هذه الوقعة .

وقال المتنبي يذكر الحدث :

بناها علي والقنا يطرق القنا — وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فاصبحت — ومن جثث القتلى عليها تمائم
تفيت الليالي كل شيء اخذته — وهن لما يأخذن منك غوارم

وذكر الدمستق فقال :

وقد فجعته بابنه وابن بنته | وبالصهر حملات الامير الغواشم
مضى يشكر الاصحاب في فوته الظبا | لما شغلتها هامهم والمعاصم
ويفهم صوت المشرفية فيهم | على ان اصوات السيوف اعاجم
يسر بما اعطاك لا من جهالة | ولكن مغنوما نجا منه غانم

وقال السري :

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت | من الحوادث حتى زال جانبه
اعدته عدويا في مناسبه | من بعد ما كان رومياً مناسبه
فقد وفى عرضه بالبيض واعترضت | طولا على منكب الشعرى مناكبه
مصغ إلى الجوا علاه فان خفقت | زهر الكواكب خلناها تخاطبه
كأن ابراجه من كل ناحية | ابراجها والدجى وصف غياهبه

﴿ ملح من شعر سيف الدولة ﴾

قال الثعالبي : انشدني ابو الحسن محمد بن اسعد الجوع الاحمدي الافريقي المتيم لسيف الدولة في وصف قوس قزح ، وهو احسن ما سمعت فيه على كثرته :

وساق صبيح للصبوح دعوته | فقام وفي اجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم | فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفاً | على الجود كنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب باصفر | على احمر في اخضر اثر مبيض
كأذيال خود اقبلت في غلائل | مصبغة والبعض اقصر من بعض

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة .

ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال :

وانظر اليه كزورق من فضة | قد اثقلته حمولة من عنبر

وقال ابو الحسن العلوي الهمداني : انشدني سيف الدولة لنفسه ، وانا اراه من قوله في صباه :

اقبله على جزع كشرب الطائر القزع
رأى ماء فاطمعه وخاف عواقب الطمع
فصادف فرصة فدنا ولم يلتذ بالجرع

وله قوله :

فكم عناق لنا وكم قبل مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة من النواطير يانع الرطب

ويحكى انه كان لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق عليها من الريح الهابة عليها ، فحسدها سائر حظاياه على لطف محلها منه وازمعن ايقاع مكروه بها ، من سم او غيره ، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فامر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها وقال :

راقبتني العيون فيك فاشفقت ولم اخل قط من اشفاق
ورأيت العذول يحسدني فيك مجداً بأنفس الاخلاق
فتمنيت ان تكوني بعيداً والذي بيننا من الود باق
رب هجر يكون من خوف هجر وفراق يكون خوف الفراق

وقال ابو بكر الخوارزمي: انشدني ابن خالويه بحلب لسيف الدولة :

تجنى علي الذنب والذنب ذنبه وعاتبني ظلماً وفي شقه العتب
واعرض لما صار قلبي بكفه فهلا جفاني حين كان لي القلب
إذا ابرم المولى بخدمة عبده تجنى له ذنباً وان لم يكن ذنب

واخبر ابو الحسن احمد بن فارس قال : انشدني شاعر يعرف بالمتيم لسيف الدولة :

قد جرى في خده دمه فالى كم انت تظلمه
رد عنه الطرف منك فقد جرحته منك اسهمه

كيف يستطيع التجلد من خطـرات الوهم تؤلمـه

وانشد غير واحد له ما كتبه إلى اخيه ناصر الدولة عند وحشة جرت بينهما :

رضيت لك العليا وقد كنت اهلها وقلت لهم بيني وبين اخي فرق

وما كان لي عنها نـكول وانما تجافيت عن حق فتم لك الحق

أما كنت ترضى ان اكون مصلياً إذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

وانشدت له في وصف نار الـكانون :

كأنما النار والرماد معاً وضوؤها في ظلامه يحجب

وجنة عذراء مسها خجل فاستترت تحت عنبر اشهب

نظيرها في الحسن قول كشاجم :

كانما الجمر والرماد وقد كاد يواري من ناره النورا

ورد جني القطاف احمر قد ذرت عليه الاكف كافورا

وقول ابي طالب المأموني :

ما ترى النار كيف اسقمها القر فأضحت تخبو وحيناً تسعر

وغدا الجمر والرماد عليه في قميص مذهب ومعنبر

ولبعضهم :

يا قائماً في بيتـه قاعدا من غير معنى وبلا فائده

قد جن اضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائده

(من انوار التنزيل) عند قوله تعالى حكاية عن عيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة وازكى السلام .

قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا . . . الخ . .

روي انها سفرة حمراء نزلت بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم ، فبكى عيسى عليه السلام وقال : اللهم اجعلني من الشاكرين ، اللهم اجعلها رحمـة

للعالمين ولا تجعلها نقمة وعقوبة ، ثم قام وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال : بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية ، بلا فلوس ولا شوك وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ، ما عدا الكراث وإذا خمسة ارغفة على واحد زيتون ، وعلى الثاني عسل ، وعلى الثالث سمن ، وعلى الرابع جبن ، وعلى الخامس قديد ، فقال شمعون : يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخر ؟ قال ليس منها ولكن اخترعه الله بقدرته، كلوا ما سألتم واشكروا يمدد كم الله ويزدكم من فضله ، فقالوا : يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية اخرى ؟ فقال : ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت ، ثم قال : عودي فعادت مشوية ، ثم طارت المائدة ، ثم عصوا بعدها ، فسخوا .

وقيل : كانت تأتيهم اربعين يوما وغبا ، يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والضعفاء والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها .

ولم يأكل منها فقيراً إلا اغناه الله مدة عمره ، ولا مريض إلا برىء ، ولم يمرض ابداً .

ثم اوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام (ان المائدة يأتي اليها الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء) فاضطرب الناس لذلك فمسخ ثلاثة وثمانون رجلا .

وقيل لما وعد الله إنزالها بهذه الشريطة (استغفروا وقالوا لا نريد) فلم تنزل

وعن مجاهد : ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي الوحي ، والله اعلم .

قوله تعالى : (كهيعص) قال ابن عباس رضي الله عنهما : الكاف : فالله كاف بخلقه ، والهاء : فالله هاد بخلقه ، والياء : فيد الله مبسوطة على خلقه ، بالرزق والعطف عليهم ، والعين : فالله عالم بخلقه وامورهم ، والصاد : فالله صادق بوعده .

وروي عن علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال : هو اسم الله الاعظم .

وروي عنه ايضاً انه قال : قسم اقسم الله به (كهيعص) فعلى طريق ابن عباس رضي الله عنه معناه بسم الله الكافي الهادي اليد المبسوطة العالم الصادق .

ومن قال هو قسم ، أي ورب كهيعص ، ومن قال انه ابتداء السورة فمعناها اقرأ كهيعص ، والله اعلم .

وعن علي بن ابي طالب «ع» أهل الكهف سبعة واسماؤهم: (يمليخا مكشلمينيا مشلينيا) هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره (مرنوش دبرنوش شاذنوش) وكان يستشير هؤلاء الستة في امره ، والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس ، واسم الراعي (كفشيططونس) .

هكذا اورده الامام الواحدي في الوسيط ، واسم مدينتهم افسوس ، واسم كلبهم قطمير ، والله عليم خبير .

﴿ ترجمة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن اسد بن ادريس بن حيان بن ﴾
(عبد الله بن ادريس بن عوف بن قاسط بن ذهل بن ثعلبة بن)
(عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن)
(هنب بن قصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن)
(ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان)
(الشيبانى المروزى الأصل)
(هذا هو الصحيح فى نسبه)

وقيل : انه من بني مازن بن ذهل بن شيبان ، وذهل بن ثعلبة المذكور هو عم ذهل بن شيبان ، فليعلم ذلك والله اعلم .

خرجت امه من مرو وهي حامل به فولدته ببغداد في ربيع الاول سنة اربع وستين ومائة . وقيل : انه ولد بمرو وحمل إلى بغداد وهو رضيع . وكان امام المحدثين ، وصنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق فيه لغيره .

وقيل : انه كان يحفظ الف الف حديث ، وكان من اصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه وخواصه ، ولم يزل يصاحبه إلى ان ارتحل الشافعي رحمه الله إلى مصر

وقال في حقه خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا افقـه من ابن حنبل ودعي في خلافة المأمون إلى القول بخلق القرآن فلم يجب ، فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع .

وكان حسن الوجـه يخضب بالحناء خضابا ليس بالقانى ، وفي لحيته شعرات سود ، اخذ عنه الحديث جماعة من الاماثل منهم محمـد بن اسماعيل البخاري ومسلم ابن الحجاج النيسابوري ، ولم يكن في آخر عصره مثله في الورع والعلم .

وتوفى ضحوة نهار الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول .

وقيل : بل لثلاث عشرة من الشهر المذكور سنة احـدى واربعين ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب بن عبد الله احد اصحاب ابي جعفر المنصور. وإلى حرب تنسب المحلة المعروفة بالحربية .

وقبر احمد بن حنبل رحمـه الله تعالى مشهور بها وحزر من حضر في جنازته فكانوا ثمانمائة الف ، ومن النساء ستون الفاً .

وقيل انه اسلم يوم مات عشرون الفاً من النصارى واليهود والمجوس .

وكان له ولدان عالمان وهما : صالح وعبد الله . فأما صالح فتقدمت وفاته . وأما عبد الله فأنه بقي إلى سنة تسعين ومائتين وبه كان يكنى الامام احمد رحمهم الله.

هكذا ذكره القاضي الفاضل الامام العلامة احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلـكان البرمكي رحمه الله تعالى ، انتهى من الغيث الذي انسجم .

قيل : ليس بينك وبين بلاد نسب خير البلاد ما حملك ، قال ابن الساعاتي :

اهلك والليل منضيا جملك شمر فخير البلاد ما حملك

لا خير في بقعة تروق من الارض إذا لم تنل بها املك

حتام لا تعمل الجياد ولا تعمل في ام غاية ابلك

لقد تربصت خيفة الاجل المحتوم لو كان دافعاً اجلك
وحبذا ذاك لو وجدت فتى افضل يوماً عليك اوفضلك

وقال ابن قلاقس :

والصغير الحقير يسمو به السير فيمنو له الكبير الجليل
فرزن البيدق التنقل حتى انحط قدراً في رقعة الدست فيل

﴿ من يلعب بالشطرنج غائباً ﴾

وقال الصفدي في الغيث الذي انسجم شرح لامية العجم : ذكرت هنا ابياتاً لابن الرومى فيمن يلعب بالشطرنج غائباً وهى :

غلط الناس لست تلعب بالشطرنج لكن بانفس العباء
غير ما ناظر بعينك في الدست ولا مقبل على الرسلاء
بل تراها وانت مستدبر الظهر بقلب مصور من ذكاء
ما رأينا سواك خصما يولى وهو يردي فوارس الهيجاء

قال الشيخ ابواسحاق رحمه الله تعالى في كتاب المهذب من كتاب الشهادات ان سعيد بن جبير كان يلعب بالشطرنج استدباراً ذكره في فصل اللعب بالشطرنج

قال الصفدي : وقد رأيت انا غير مرة بالديار المصرية شخصاً متجنداً يعرف بعلاء الدين بن قيران وهو اعمى يلعب مع العوالي ويخطئهم ويغلبهم وما راعني فيه إلا انه يقعد ويتحدث وينشد الاشعار ، ويحكى كل حكاية في شأنه وهو يشار كنا فيما نحن فيه ويدع اللعب ويقوم إلى الخلاء ، ويحضر ولم يغب عنه شيء مما هو فيه وهذا غريب ا وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجهله من يلعب الشطرنج إلا اناس قلائل .

قال الصفدي : ورأيت غير مرة ايضاً بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة شخصاً يعرف بالنظام العجمي وهو يلعب بالشطرنج غائباً في مجلس الصاحب شمس

الدين ، وأول ما رأيته لعب مع الشيخ امين الدين سليمان رئيس الاطباء ، وكان طبقة فغلبه مستدبراً ولم نشعر به حتى ضربه شاه مات بالفيل ولم نره حتى التفت الينا وقال مات !

وحكي لي عنه انه يلعب غائباً على رقعتين !

وحكى لي صاحبنا المولى بدر الدين حسن بن علي الغزى انه رآه يلعب على رقعتين غائباً ، وقدامه رقعة يلعب فيها حاضراً ، وغلب في الثلاث ، والعهدة عليه في ذلك ، انتهى .

وكان الصاحب شمس الدين يدعه في وسط الدست ويقول له: عد لنا قطعك وقطع غيرك فيسردها جميعاً كأنه يراها بين يديه ، وانشأ فيه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة مقامة بديعة ختمها بقوله :

لله في الشطرنج فكرة لاعب ... ان غاب اوحضر اجتنيت حدائقه
نفسان نفس اللعب اونفس النهى ... هاتيك صامتة وهذي ناطقه

ويقول ايضاً :

ولاعب يعرب شطرنجه ... عن فهمه المنتقد الصائب
يغيب لكن ذهنه حاضر ... يا حبذا من حاضر غائب

قال الصفدي : كذا رأيته ولو قال يا حسنه من حاضر غائب او يا عجباً اسلم من حذف فاعل حب الذي هو بدل من ذا وهوغير جائز ، وانشدني من لفظه لنفسه ملغزاً في الشطرنج :

وما صامت يمضي ويرجع مفكراً ... ويقضي على اوصاله الوصل والصد
كأن الضنى آل عليه الية ... فما فيه إلا النفس والعظم والجلد
واحرفه خمس ولكن شطره ... ثلاثة اخماس الحروف التي تبدو

قال الصفدي وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة :

اشكو السقام وتشكو مثله امرأتي ... فنحن في الفرش والاعضاء ترتج

تفسان والعظم في نطع يجمعنا كأنما نحن في التمثيل شطرنج

ولك في لفظ شطرنج لغتان ـ بالشين المعجمة ـ وهو الافصح لانه مأخوذ من الشطر ، كأن كل لاعب له شطر من القطع ـ وبالسين المهملة ـ لانه مأخوذ من تسطير الرقعة بيوتاً ، وان ألحقته باوزان العربية كسرت اوله ، فقلت شطرنج لان فعلل في العربية له نظير مثل قرطعب .

وفي القاموس ، ولا يفتح اوله .

أقول : وهنا بحث لعمي علامة عصره الاكبر السيد محمد بن علي بن حيدر مع صاحب القاموس فتأمله وهذه صورته : قال عليه رحمة الملك القدوس في حاشيته على القاموس : ذكر السخاوي في كتابه عمدة المحتج في حكم الشطرنج قول ابن جني الوجه عندي الكسر .

وقول الحريري انه القياس في كلام العرب . . الخ .

ومنع الصاغاني في مجمع البحرين ، فتح اوله ، لكن السخاوي نقل قول صاحب المحكم وكسر شينه اجود وساق المنقولات إلى ان قال نعم مقتضى كلام المحكم والمطرزي والجواليقي في المعرب جواز الفتح ، وانه اشهر .

وذكر لفظ الجواليقي وهو الشطرنج فارسي معرب ، وبعضهم يكسر شينه ليكون على مثال من امثلة العرب ، مثل جردحل .

ثم قال السخاوي إلا ان الجواليقي نفسه قال في لحن العامة الشطرنج ـ بكسر الشين ـ كجردحل والفتح غلط .

وكذا قال ابن مكي ومشى عليه المجد في القاموس إلى ان قال السخاوى لكن قال الشيخ محمد بن برى متعصباً على الجواليقى المعروف عند اهل اللغه ـ بفتح الشين ـ ولا يجب ما قاله من كسر الشين ليكون على امثلة العرب ، وانما يجب لو كانت العرب تصرف ما عربتها إلى امثلتها ، إلى ان قال : وقد قال سيبويه في الاسم المعرب ، وربما الحقوه بابنية كلامهم ، وربما لم يلحقوه على ان ائمة اللغة لم يذكروا

هذه اللفظة إلا بفتح الشين . وقد ذكرها ابن السكيت في أصلاح المنطق بفتح الشين وذكرها غيره ، ووافقه البطليوسي في شرح ادب الكتاب انتهى ماذكره السخاوي

فقول صاحب القاموس ولا يفتح اوله ضعيف ، كما ظهر لك والله اعلم .

والصحيح ان هذه لفظة عجمية ، كذا جاءت واوصله بالعجمية (شش رنك) معناه ستة الوان ، وهي الشاه والفرزان والفيل والفرس والرخ والبيدق .

يقال ان بعضهم سمع آخر يقول : يا سجاع هات السطرنج من تحت السطرة – بالسين المهملة في الجميع – فقال ضيعت على النحو تسع نقط .

قلت : لا شك ان هذا القائل كان مصريا فلاحاً .

قال الصفدي : والناس كثير منهم يغلط في الصولي وهو ابو بكر محمد بن يحي بن عبد الله بن العباس بن صول تكين الكاتب ويزعم انه واضع الشطرنج لما ضرب به المثل .

والصحيح ان واضعه صصه بن داهر الهندي كان يزد شير بن بابك اول ملوك الفرس الاخيرة قد وضع النرد ، ولذلك قيل له : نرد شير جعله مثلا للدنيا واهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتاً ، بعدد شهور السنة ، والمهارك ثلاثين قطعة بعدد ايام الشهر ، والفصوص مثل الافلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش ، ويقابله اليك والبنج ويقابله الدو والجهار ، ويقابله السي ، وجعل ما يأتى به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه ، وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش ، لكنه إذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى وكيف يتحيل على الغلب وقهر خصمه مع الوقوف عند ما حكمت به الفصوص ، وهذا هو مذهب الاشاعرة

قال الصفدي: اخبرني من اثق به ان الشيخ تقي الدين احمد بن تيمية رحمه الله كان يقول اللعب بالنرد خير من اللعب بالشطرنج لان لاعبه يعترف بالقضاء والقدر والشطرنج لاعبه ينفي ذلك ، فهو اقرب إلى الاعتزال او كما قال :

وما احسن قول الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال من قصيدته اللامية :

هذا وفي الفصوص لعبنا غداً كالمثل
تلوح في اكفنا كالجوهر المفصل
تفعل فيما بيننا فعل القضا في الدول

ولأبي عبد الله محمد بن احمد الخياط الدمشقي قصيدة شينية يصف فيها النرد ابدع فيها ، فلما وضعت الفرس ذلك افتخرت به ، وكان ملك الهند يومئذ بلهيث فوضع له صصه المذكور الشطرنج ، فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله .

ولما عرضه على الملك واوضح له امره ، سأله ان يتمنى عليه ، فتمنى عليه عدد تضعيفه قمحا ، فاستصغر الملك من همته وانكر عليه ما قابله به من طلب النزر القليل في ذلك المقام ، فقال : ما اريد غير ذلك فامر له بذلك .

فلما حسبه ارباب الديوان قالوا للملك ما عندنا ما يقارب القليل منه ، فانكر ذلك ، فاوضحوا له بالبرهان ، فاعجبه الامر الثاني اكثر من الاول .

قال القاضي شمس الدين احمد بن خلكان رحمه الله تعالى ، ولقد كان في نفسي من هذه المبالغة شيء حتى اجتمع بي بعض حساب الاسكندرية وذكر لي طريقاً تبين لي ما ذكروه ، واحضر لي ورقة بصحة ذلك . وهو انه ضاعف الاعداد إلى البيت السادس عشر فاثبت فيه اثنين وثلاثين الفاً وسبعمائة وثمانية وستين حبة . وقال : تجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد عيرتها ، فكان الامر كما ذكره والعهدة عليه في هذا النقل ، ثم ضاعف السابع عشر إلى البيت العشرين ، فكان فيه ويبة ثم انتقل من الويبات إلى الارادب ، ولم يزل يضعفها حتى انتهى في البيت الاربعين إلى مائة الف اردب وسبعمائة واثنين وستين اردبا وثلثي اردب ، وهذا المقدار شونة ، ثم انه ضاعف الشون إلى بيت الخمسين ، فكانت الجملة الفا واربعا وعشرين شونة ، وهذا المقدار مدينة ، ثم انه ضاعف ذلك إلى البيت الرابع والستين ، وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر الف مدينة وثلاثمائة واربعاً وثمانين مدينة .

وقال : تعلم انه ليس في الدنيا مدن اكثر من هذا المدد ؟ انتهى .

قال الصفدي : آخر ما اقتضاه تضعيف رقعة الشطرنج ثمانية عشر الف الف ست مرات واربعمائة وستة واربعون الفا خمس مرات . وسبعمائة واربعة واربعون الفا اربع مرات . وثلاثمائة وثلاثة وسبعون الفا ثلاث مرات ، وسبعمائة وتسعة آلاف الف مرتين . وخمسمائة واحد وخمسون الفا وستمائة وخمسة عشر عدداً مرة انتهى

قال الصفدي: انشدني من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري بيتا واحداً يضبط هذا المدد وهو :

ان رمت تضعيف شطرنج فجملته ها واهـــه طمجز مد زود دحا

١٣٤ ٤٦٧٤ ٤٧٣٧ ٩٥ ٥٦١٥

وقال : إذا جمع هذا المدد هرما واحداً مكعباً كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك ، وارتفاعـه كذلك بالميل الذي هو اربعة آلاف ذراع بالعمل الذي هو ثلاثة اشبار معتدلة . على ان الاردب المصري مساحته ذراع مكعباً وزنته مائتان واربعون رطلا ، وكل رطل مائة واربعون درهما ، والدرهم اربعة وستون حبة من القمح ، وكل بيت إذا ربعنا ما فيه من المدد حصل من مربعـه ما يجب ان يكون في البيت الذي عدده كضعف ذلك البيت إلا واحداً .

فاذا ربعنا ما في الثالث مثلا حصل ما في الخامس ، وإذا ربعنا ما حصل في الخامس حصل ما في التاسع . فاذا ربعنا ما حصل في التاسع حصل ما في السابع عشر فاذا ربعنا ماحصل في الثالث والثلاثين حصل ما في الخامس والستين ، فاذا نقصنا منه واحداً كان الباقي جملة ما في البيوت كلها إلى البيت الرابع والستين. وان نصفناه قبل ان ننتقص منه واحداً كان نصفه حاصل البيت الرابع والستين .

وبهذا العمل يحصل تضعيف رقعة الشطرنج من خمس ضربات انتهى كلامه .

قال الصفدي : حكى من لفظه المولى رشيد الدين يوسف بن ابى البيان قال : قال لي الشيخ تقي الدين احمد بن تيمية يارشيد الدين قال ابن حزم اول كذبة كذبها

بنو اسرائيل انهم دخلوا مصر اثنين وسبعين نفساً في زمن يوسف الصديق عليه السلام وخرجوا مع موسى بن عمران ستمائة الف ، قال: فقلت له هذا ابن حزم من الصحابة قال : لا ، قلت : ولا من التابعين ؟ قال : لا ، قلت : هذا ابن حزم ما كان يدري ان اثنين واثنين اربعة فقال : لاي شيء ؟ قلت : ما يعلم سيدنا ان رقعة الشطرنج اربعة وستون بيتاً فاذا ضاعفناها من واحد انتهت الأعداد إلى كذا و كذا وذكر المدد الذي حصل هناك ، ومع ذلك فبنو اسرائيل انما عدوا الرجال ، وأما النساء والصبيان والاشياخ الذين بلغوا الهرم فلم يذكروهم قال : فسكت الشيخ تقي الدين

قال الصفدي : فقلت انا له يا مولى رشيد الدين قوم يخرجون في عدة الف الف نفس على القليل هاربين على وجوههم من فرعون ، على ماذا حملوا زادهم وأي ماء إذا نزلوا عليه يقوم بكفايتهم ، هذا بعيد من العادة ، فلم يرد جواباً ، فقلت له : انا اتبرع لك بالجواب ، وهو انهم كان معهم موسى عليه السلام وبيده العصا التي يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، وعناية الله بهم تحملهم وتعينهم على ما يحتاجون اليه من كل شيء ، وعلى الجملة فالذى استبعده ابن حزم لا ينكر لان هذا عدد كثير على ما يزعمونه .

(رجع إلى ذكر الشطرنج) انما يذكر الصولي ويضرب به المثل لانه اجاد اللعب فيه وبلغ الغاية لا لانه واضعه فاعرف ذلك .

حكى المسعوي في مروج الذهب : ان الامام الراضي بالله اتى في بعض متنزهاته بستاناً مونقاً وزهراً رائقاً ، فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه : هل رأيتم منظراً احسن من هـذا ؟ فـكل انشأ يصف محاسنه وانها لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا ، فقال الراضي : لعب الصولي بالشطرنج احسن من هـذا ومن كل ما تصفون .

وقيل : انه لما دخل الصولي على الامام المكتفي في اول امره كان عنده انسان يعرف بالماوردي ، وقد الفه المكتفي زماناً ولعبا بين يديه ، واخذ المكتفي

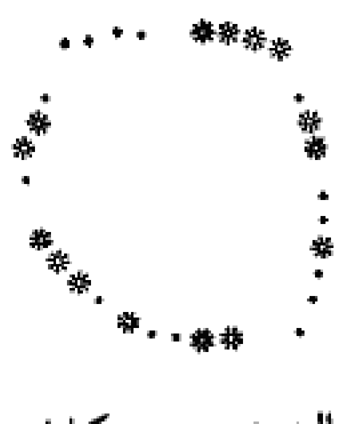
يشجع الماوردي وينصره ، حتى دهش الصولي فلما اتصل اللعب بينهما ورأى اجادة الصولي ، قال للماوردي : عاد ماء وردك بولا !

ويقال : فضائل الهند ثلاثة سبقوا بها من سواهم من الناس : كتاب كليلة ودمنة ، ولعبة الشطرنج ، والتسعة احرف التي تجمع انواع الحساب .

قال الصفدي : وما احسن قول ابن القيسراني ، ومن خطه نقلت :

وقد اختصرت لك الثناء وربما وافاك بالمقصود صدر ملطف
هذا الحساب يفوت اوهام الورى وتحوزه للهند تسعة احرف

قال الصفدي : ورأيت أنا بعض الاصحاب يأخذ قطع الشطرنج يرصها رصاً مخصوصاً صورة دائرة ، ويدعي ان مركباً كان على ظهر البحر الاعظم في اللجة وفيه مسلمون وكفار فاشرفوا على الغرق ، وأرادوا ان يرموا بعضهم إلى البحر ليخف المركب فينجوا بعضهم ويسلم المركب ، فقالوا : نقترع ومن وقعت القرعة عليه القيناه ! فنظر الرئيس اليهم وهم جالسون على هذه الصورة ، فقال : ليس هذا حكما مرضياً ، وانما الحكم ان نعد الجماعة ، فكل من كان تاسماً ألقيناه فارتضوا بذلك ، ولم يزل يعدهم ويلقي التاسع فالتاسع إلى ان القى الكفار اجمعين وسلم المسلمون ،وهذه صورة ذلك والمسلون هم الحمر وابتداء العدد منهم اولا كما ترى ويبتدىء بالعدد من اول الاربعة الحمر إلى جهة الشمال ، فينتهي التاسع إلى آخر السود الخمسة ، ثم يبتدىء من الاحمرين بالعدد وهكذا . . . إلى ان يلقى السود باجمعها . قلت واحفظ لها بيتاً وهو هذا :



الله يقضي بكل يسر ويرزق الضيف حيث كانا

فالحروف المهملة هم المسلمون ، والحروف المنقوطة هم الكفار ما عدا الف الاطلاق الذي هو آخر القافية فلا نحسبه .

وجعل الصفدي لها بيتاً آخر هو :

ولما فتنت بلحظ له عذلت فما خفت من شامت

وحروف هـذا البيت في العدد مثل حروف البيت الذي قبله ولك ان تقيد ذلك بحروف الجمل فتقول :

دهباجا ابيجابيا

١٢٢١٣٢٢١١٣١٢٥٤

وذلك : اربعة وخمسة واثنان وواحد وثلاثة وواحد وواحد واثنان واثنان وثلاثة وواحد واثنان واثنان وواحدة .

قال الصفدي : ورأيت من يضع وفقاً على عـدد بيوت الرقعة ، ويدع فيها اعداداً مخصوصة فيحصل من مجموعه وفق كيف ما عددته من اليمين إلى الشمال اوبالعكس او من فوق إلى اسفل او بالعكس اومن قطريه تجده مائتين وستين عدداً لا يختلف ، وفي اربعـة اركانه او فاق كل منها وفق بذاته على نقل الفرزان وهذه صورته :

١	٢	٦٢	٦١	٦٥	٥٩	٧	٨
٩	١٥	٥٤	٥٣	٥٢	٥١	١٥	١٦
٤٨	٣٩	١٩	٦٥	٢١	٢٢	٤٢	٤١
٤٥	٣٩	٢٧	٢٨	٢٩	٣٥	٢٤	٣٣
٣٢	٣١	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٢٦	٢٥
٢٤	٢٣	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	١٨	١٧
٤٩	٥٥	١٤	١٣	١٢	١١	٥٥	٥٦
٥٧	٥٨	٦	٥	٤	٣	٦٣	٦٤

وقيل ان المأمون كان لا يجيد اللعب بالشطرنج ويقول: عجباً مني كيف ادبر ملك الارض من المشرق إلى المغرب ولا احسن تدبير رقعة ذراعين في ذراعين .

وما احسن قول النور الاسعردي :

اعييت إذ لاعبت بالشطرنج من ... اهوى فابدى خده توريدا
وغدا لفرط الفكر يضرب ارضه ... بقطاعه لما انثنى مجهودا
فعطفت أنشده هناك معرضاً ... وجوانحي فيه تذوب صدودا
رفقاً بهن فما خلقن حديدا ... أو ما تراها اعظما وجلودا

وقال محمد بن شرف القيرواني في مدح الشطرنج حرب سجال ، وخيل مجال وفرسان ورجال قريبة الآجال ، سريعة عودة المجال ، تستغرق الفكرة وتسلب اللب سلاب السكرة وتترك اللسان وما أراد اساء او أجاد ، إلا انها تدني مجلس الصعلوك من اشرف الملوك ، حتى لا يكون بينهما في اقرب بقعة ، إلا عرض الرقعة ، فربما التقت بنانهما في بيت القطعة ولساناهما على بيت القطعة لعب صولي ، وغريب اصولي قمر لجاجي ولعب لجاجي ، مظفر الفئة يراها عن مائة ، بيوته حصينة وشاهه مصونة دوابه مجتمعة ، وشاهه ممتنعة ، جيد النظر ، شديد الحذر ، لا يبقي ولا يذر ، عينه تغلي وفكرته تملي ، ويده تبلي .

وقال في ضد ذلك : آخر الطبقة ، واول الابقة ، لعب كل يطرح له الـكل رخه ابدا فيل ، وشاهـه قتيل ، لعب يرمد ويـكمد ، لعب الغريب ، فيه غريب ، والصواب فيه لا يصاب ، دفع ما فيه نفع ، قطع على نطع ، ما في دفعاتها اغراب ولا لوقعاتها اطراب ، طويل حك الرقعة ، كثير مس القطعة. على طول امساك وثقل احراك ، وما احسن قول القائل :

وهبك اتقنتها ما ذا أتيت به ... يازوج اكبر مافيها من القطع

فلما كان غرة جمادي الآخرة عام الف ومائة وتسعة وثلاثين من هجرة الشفيع في الآخرة ركبنا في المركب المبارك فخر الاسلام المعمور مركب الملا محمد علي بن عبد الحي بن الملا عبد الغفور ، وارخته بقولي :

فخذ تاريخ فخر الاسلام بيتاً ... تماما في المعاني فيه لطف

فبسم الله مجريها دواما وبسم الله مرساها يحف

كان سفري من بندر سورت صحبة الجناب الرئيس صاحب الخلق والخلق النفيس والفضل الظاهر والكرم الباهر الناخودة عبد الرحمن بن عبد القادر والجناب الجليل الرفيع السيد حسين بن السيد محمد رفيع ، فاحسنا معي شروط المحبة والأخا وسرت معهما مكرماً إلى بندر المخا. فلم نزل نسير في بحر الهند الفسيح الكبير .

فلما كان صبح ثامن عشر من هذا الشهر مررنا على بندر عدن ، وزال عنا الهم والحزن .

﴿ فائدة ﴾

عدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن .

بناها عدن بن سنان بن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام وسميت به . وهي ارض جرداء لا ماء بها ولا زرع . ويجلب اليها الماء من عيون بعيدة ، وبها جبل محيط من جميع جوانبها ، ولها من ذلك الجبل طريق يوصل إلى البر .

وتأتي اليها المراكب بالبضائع من الهند والسند والبصرة والحبشة ، وغير ذلك

ويقال ان بها جبلا احمر يسمى جبل النار وهو في وسط البحر المالح يخرج منه النار بالليل ، حتى يضيء منه البحر ، وبها البئر المعطلة .

وكان في اليمن بلدان كثيرة ، وقرى عامرة شهيرة ، منها : قرية تسمى انيق يقولون ان اهلها اهل سحر عظيم ، يجعلون الآدمي قرداً او حماراً ، وغير ذلك من فنون السحر .

ومنها : مدينة ظفار وكانت مسكن الملوك الحميرية ، وبها اللبان الجيد واليها ينسب الجزع الذي يسمونه الظفار .

ومنها : مدينة الشحر وهي بين عدن وعمان على ساحل البحر المالح واكثر معيشة اهلها من التمر والسمك ، وينسب اليها العنبر الشحري واللبان الشحري ويوجد بها من النسناس ما لا يحصى .

ومن جبال اليمن المشهورة شعب ، وفيه بلد وقرى كثيرة وينسب اليه ابو عمرو عامر بن شرحبيل الشعبي ، وكان عالماً فاضلا ولي القضاء في ايام عبد الملك ابن مروان .

ومن كور اليمن المشهورة مأرب ، وهي بين حضرموت وصنعاء ، والآن خربت ولم يبق منها سوى ثلاث قرى ويسمونها الدرب ، وكل قرية منها منسوبة إلى قبيلة من قبائل اليمن . وكانت سبب خراب بقية الضياع التي هناك ، ان الجراد تسلط على زروعهم ، وصار يقرضها بالليل ، فضجروا منه وتركوا له تلك الارض .

قلت : هناك بحث للعالم العلامة عمي السيد محمد بن علي بن حيدر مع صاحب القاموس فتأمله . قال في القاموس : الارب بالكسر الدها إلى قوله ومأرب كمنزل وعين باليمن مملحة ، وقال في مادة مأرب : كمنزل بلاد الازد .

قال عمي قدس الله روحه ونور ضريحه في حاشيته على القاموس ما هذا لفظه اقول في ثمار القلوب لابي منصور الثعالبي : مأرب اسم لقصر ملك سبأ ، ثم صار اسما للبلدة ، وهي التي وصفها الله تعالى بالطيب فقال (كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) ولا اطيب مما وصفه الله تعالى بالطيب ، ولا اعذب من مائه ومأرب هي التي ارسل الله تعالى عليهم سيل العرم .

قلت : وقصته ان امرأة كاهنة رأت في منامها ان سحابة غشيت ارضهم ، وارعدت وابرقت ثم امطرت ، فلما انتبهت اخبرت زوجها بذلك ، وكان اسمه عمرو مزيقيا ، فذهب إلى سد مأرب فوجد الجرذ يقلب برجله صخرة ، فعلم ان ذلك من الامور المقدرة ، فباع جميع ما يملكه من ضياع وبساتين ، وخرج من ارض سبأ هو واولاده وعياله وقومه ، ثم بعد ذلك بأيام ارسل الله الجرذ فنقبت سد مأرب وهو السد الذي كان يحول بينهم وبين البحر المالح ، فانهدم السد وخرج منه الماء إلى تلك الارض فاغرقها بمن فيها من السكان .

وكان هذا السد بناه لقمان الاكبر بن عاد اخو شداد ، واحكم بنيانه بالحجر

وأذاب بينه الرصاص ، وكان طول هذا السد فرسخاً في فرسخ وجعل فيه بوابا ليأخذوا منه الماء ، على قدر كفايتهم .

وكانت ارض مأرب مسيرة ستة اشهر متصلة بالعمائر والبساتين والفواكه فغرقت تلك الدور والبساتين وبدلهم الله بجنتهم جنتين كما هو مذكور في القرآن العظيم (رجع إلى ما نقله عمي طاب ثراه): والمثل مضروب بعذوبة ماء مأرب .

وقال القاضي البيضاوي في تفسير الآية: لقد كان لسبأ في مساكنهم أي في موضع سكناهم ، وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث مراحل. وفي شعر عمارة اليمني .

وقد هد قدما عرش بلقيس هدهد وخرب فأر قبل ذا سد مأرب

وكل ذلك يدل على ان مأربا اسم بلاد سبأ التي اخربها سيل العرم بخراب سدها الذي خربه الفأر ، فقوله مأرب كمنزل عين باليمن مملحة ان اراد هذا الذي كان بلاد سبأ فهو اغفال واخلال بذكر نسبة الموضع إلى سبأ ، وان كان غيره فقد اغفل ذكر بلاد سبأ .

وكذلك قوله: مأرب كمنزل بلاد الازد ان اراد غير بلاد سبأ فقد أخل بذكر بلاد سبأ المسماة بمأرب ، وان اراد بلاد سبأ ، فذلك لا يعلم إلا بعلم الغيب إذ لا دلالة في العبارة على ذلك ، بل تدل على خلافه ، لان الازد قبيلة من جملة قبائل كهلان بن سبأ ، وهو اخو حمير كلاهما ولد اسبأ الذي يجمع قبائل اليمن عامة ، كما في القاموس وغيره من كتب اللغة والنسب ، ومن حمير ايضاً قبائل كثيرة مع القبائل الكثيرة التي من كهلان وكلها من سبأ وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان والله عز وجل يقول (لقد كان لسبأ في مساكنهم) فهي مساكن مجمع قبائل حمير وكهلان وهي مأرب كما نص عليه الثعالبي والقاضي البيضاوي وغيرهما ، فقوله مأرب كمنزل بلاد الازد يدل على ان هذه البلاد غير بلاد سبأ ، ثم ان قبائل الازد لم تحدث إلا بعد زمان طويل من زمان سبأ الذي فيهم قوله تعالى (لقد كان لسبأ

في مساكنهم آية) وبعد ان خرب سيل العرم مساكنهم بزمان طويل وسكنت الازد في بلدان واقطار متعددة ، فقيل كما في القاموس وكتب النسب ازد السراة وازد عمان وازد شنوءة وجمهورهم بل جميعهم اولاد عمرو مزيقيا ومنهم الاوس والخزرج وخزاعة واولاد جفنة وغيرهم ، ومزيقيا هذا هو الذي نجا من سيل العرم وخرج بقومه قبل وقوعه كما قدمنا ثم تفرق نسله وعقبه في البلدان والاقطار وكل من قبائل مزيقيا يقال لهم الازد ، فمن أين يفهم قوله مأرب كمنزل بلاد الازد . ان مأربا بلاد سبأ التى خربها سيل العرم ، وذكرت في القرآن .

واعلم ان ما ذكرهم في مادة مأرب الميم فيه اصلية ، وما ذكره في مادة ارب الميم فيه زائدة ، فينبغي ان يكون هذا غير ذاك ، او يكون صاحب القاموس متردداً في زيادة الميم واصالتها ، فلذلك ذكر الموضع في المادتين ، وليس في الصحاح إلا المذكور في مادة ارب والله اعلم .

فلما اسفر صبح عشرين من جمادي الآخرة توكلنا على رب الدنيا والآخرة ودخلنا بندر المخا ـ بفتح الميم والخاء ـ بندر الامن والرخا .

﴿ فائدة ﴾

المخا كانت قرية صغيرة يسكنها اناس يقال لهم بنو الجنيني ـ تصغير جني ـ ويسمون ايضاً بني الفتيني ـ على وزن الجنيني ـ ونسبهم في الفرس الذين سكنوا جدة وانتقلوا منها بسبب امر حدث عليهم من الشريف سلطان مكة فتفرقوا في البلدان ، كدهلك وفرسان .

وأما الآن فالمخا بندر عظيم تأتى اليه المراكب من الهند والسند وبنكالة والصين والفرنج وبنيبار وعمان والبصرة وغير ذلك وعليه سور مبني باللبن والآجر ثم زاد في بنائه وخرجه عن حده الاصلي نحو عشرين ذراعا الشيخ صالح بن علي الحريبي لما كان والياً على المخا في زمن الامام المهدي صاحب المواهب عام الف ومائة

واربعة عشر او سبعة عشر ، وبى قلعة مالطة ، وبالجانب الشامي قلعة محكمة على البحر بناها فضلي باشا حين كانت اليمن بيد الروم .

وبالجانب اليماني قلعة مكينة بناها السيد حسن الجرموزي وبخارجها قلعتان مكينتان حصينتان واحدة على آبار الشاذلي المشهورة ، والأخرى من الاسفل عنها قريب منها وكلاهما يحفظان الماء من العدو ، وهما اضبط واحفظ من القلاع الاخر وحفرت عند القلعة السفلى بئر عظيمة وماؤها عذب ، والقلعتان بناهما الملاذ الشهير الوزير الكبير المشهور في فضله وعدله من صنف هذا الكتاب لاجله وهو الجناب الرئيس الجوهر الفرد النفيس حاكم بندر المخا ، صاحب المجد والسخا ، المقصود في الشدة والرخا ، رفيع المقدار ، نسل الاخيار، قاموس الجود المدرار ، مولانا الفقيه العادل النبيه احمد بن يحي خزندار ، حرسه الله من طوارق الليل والنهار ، وحرس نجله السعيد الشهم المجيد بحر الكرم الزخار ، فخر الاسلام سيدي عبد الله بن احمد خزندار لا زال رايات سعدها على رأسهما منشورة ، ولا برحت جميع اعاديهما من قوة باسهما وطالعهما مقهورة . بحرمة النبي الامين وآله الميامين :

آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمينا

وللسور أربعة ابواب ، باب الشاذلي ، وباب العلموذى ، وباب صندل ، وباب الصغير ، وبداخل البندر وكالة عظيمة بناها محمد باشا في ايام ما كانت اليمن بيد الروم واوقفها على النبي ﷺ وهي الآن مشهورة بوكالة النبي ﷺ .

وبالمخا جامع عظيم بناه بنو النائبة .

﴿ ترجمة الشيخ على بن عمر الشاذلى ﴾

وبالمخا ضريح ابى الحسن العارف بالله القطب الولي الشيخ علي بن عمر بن ابراهيم بن ابى بكر هديءة بن محمد بن عبد الله بن الفقيه محمد دعسين بن هبينى بن ربيعة بن علي بن احمد بن شكر بن رزام بن يحي بن عبد الله بن زكريا بن خالد

ابن عبد العزيز بن عبد الله بن الصحابي خالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية الاكبر بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الاموي الصوفي الشاذلي .

كان مولده بالقرشية السفلى من وادي رمع في زبيد المدعو فيه بالبركة سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، وموضع ولادته في القرية . وولد بعده اخوه موسى بن عمر، ثم توفي والدهما قتيلا بيد المعازبة القبيلة المشهورة من قبائل عك بن عدنان . وكان يوم قتله طفلا فرباه عمه العالم العلامة محمد بن العلامة ابي بكر بن احمد دعسين واعتنى به غاية الاعتناء ، وقرأ القرآن العظيم ، ثم قرأ في العلوم حتى صار حرياً بالتقديم ، ولما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما احرز العلوم واتقن الفنون ، وحقق في تحقيقه لها الظنون ، ثم لما بلغ عمره عشرين سنة ارتحل إلى مكة المشرفة ، فحج ثم زار قبر النبي ﷺ .

ثم ارتحل إلى بيت المقدس فاقام به مدة طويلة يقرأ في العلوم من الفروع والاصول ، وفنون المعقول والمنقول ، وتزوج بامرأة هناك ، وولدت له ابناً سماه ابا الفتح ، ومات صغيراً .

ثم ارتحل من بيت المقدس إلى مدينة مصر باشارة نبوية رآها في منامه .

قال رضي الله عنه في رحلته : كنت ببيت المقدس فرأيت النبي ﷺ ليلة ، فقال لي اقتد بأبيك ابي الحسن الشاذلي ، قال وتكرر المنام ثلاث ليال متوالية ، ففي الليلة الثالثة قلت : يا سيدي يا رسول الله الشاذلية كثيرون بمصر والشام وبالمغرب اكثر ، ولو امرتني بالتقدم إلى البحر المحيط لتقدمت ، فقال لي : خذ عن سيدك الشيخ ناصر الدين فهو شيخ الوقت وقطبه وكان الشيخ ناصر الدين بمصر فارتحل الشيخ علي ابن عمر إلى مصر فوصل إلى محلة المرحوم ونزل على جماعة من الفقراء في زاوية الشيخ الكبير السيد احمد الرفاعي فجلس عندهم فاحس به الشيخ ناصر الدين من طريق الكشف فارسل اليه رجلا من اصحابه يقال له الشيخ محمد الداخلي واصحبه اليه هذه القصيدة المشهورة المسماة مجال السلوك إلى ملك الملوك .

وقد اعتنى بشرحها جماعة من العلماء المحققين ، وهي احسن ما نظم في علم التصوف وامتن ماحقق من معالي معالم التعرف ، لكونها كافلة بتهذيب من تعلق باذيال طريق القوم ، كافية لمن جال بفهمه في الغوص على درر كلامهم ، وكان لطائر ذكائه على معانيهم حوم ، وله في بحار عباراتهم عوم ، وها انا اثبتها في هذا الكتاب طلباً للبركة من ذلك الجناب ، وهي :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ... ومن دراه غدا بالروح يشريه

ولو تعرض ارواحا وجاد بها ... في كل طرفة عين لا يساويه

وقطرة منه تكفي الخلق لوطعموا ... فيشطحون على الاكوان بالتيه

وذو الصبابة لو يسقى على عدد الانفاس والكون كاساً ليس يرويه

يروى ويظمأ لا ينفك صاحبه ... يصحو ويسكر والمحبوب يسقيه

في ريه ظمأ والصحو يسكره ... والوجد يظهره طوراً ويخفيه

يبدو له لسر من آفاق وجهته ... وليس إلا له منه تبديه

له الشهادة غيب والغيوب له ... شهادة والفناء المحض يبقيه

له لدى الجمع فرق يستضيء به ... كالجمع في فرقه ما زال يلقيه

يدنو ويعلو ويرنو وهو مصطلم ... في الحالتين بتمييز وتوليه

له الوجودات اضحت طوع قدرته ... فما يشاء من الاطوار يأتيه

للقوم سر مع المحبوب ليس له ... حد وليس سوى المحبوب يحصيه

به تصرفهم في الكائنات فما ... يشاء شاؤا وما شاؤه يقضيه

ان كنت تعجب من هذا فلا عجب ... لله في الكون اسرار ترى فيه

لاشيء في الكون إلا وهو ذو أثر ... وما المؤثر غير الله قاضيه

ليس التضادد مناعاً لقدرته ... من حيث قدرته يأبى تعاليه

وانما من وجوه الحادثات له ... تمانع في محل ظل يحويه

وللفقير وجوه ليس يحصرها ... عد وكل وجود فهو واديه

لو كنت تدري وجود العبد كيف ترى
فيـــه الكمال كما النقصان تنفيـه

فالعبد هذا هو الحر الذي حصلت ... له الخلافـة جل الله معطيه
اوصافه ظهرت من وصف مبدعه ... وكاه مظهر يبدي تجليـــه
إذا رؤي ذكر المولى لرؤيتـه ... وفاز بالسعد والتقريب رائيـه
عبد عليه سمات العز لائحة ... وخلعة العز والتحكيم عاليـه
ان كنت تقصد ان تحظى بصحبته ... فاسلك على سنن طابت مساعيه
اخلص ودادك صدقا في محبته ... والزم ثرى بابه واعكف بناديه
واستفرغ العمر في آداب صحبته ... وحصل الدر والياقوت من فيه
وابذل قواك وبادر في اوامره ... إلى الوفاق وبادر في مراضيـه
واحذر بنفسك ان تأتي ولو خطأ ... ما لا يحب وباعد عن مناهيـه
وكن محب محبيـه وناصره ... والزم عداوة من اضحى يعاديه
واعلم يقيناً بان الله ناصرهم ... لو لم تكن ناصراً فالله يكفيـه
وانزل الشيخ في اعلى منازله ... واجعله قبلة تعظيم وتنزيه
ولست تفعل هذا ان ظننت به ... نقصاً ولا خللا فيما تعانيـه
واترك مرادك واستسلم له ابداً ... وكن كميت مخلى في اياديه
اعدم وجودك لا تشهد له اثراً ... ودعه يهدمـه طوراً ويبنيـه
متى رأيتك شيئاً كنت محتجبا ... برؤية النفس عما انت ناويه
ولا ترى ابداً عنه غنى فمتى ... رأيت عنه غنى يخشى تناسيه
ان اعتقادك ان لم تأت غايتـه ... فيه فيوشك ان تخفى مباديه
وغاية الامر هذا ان تراه على ... نهج الكمال وان الله هاديه
ومن امارة هذا ان تؤول ما ... عليك اشكل اظهاراً لخافيـه
والعبد ان يعتقد شيئاً وليس كما ... يظنه لم يخب والله معطيـه

وليس ينفع قطب الوقت ذا خلل … في الاعتقاد ولا من لا يواليه

إلا إذا سبقت للعبد سابقة … يعود من بعد هـذا من مواليه

ونظرة منه ان صحت اليه على … سبيل رد باذن الله تغنيـه

والناس عبد ان مجذوب وسالك ما … دعي اليـه بتعليم وتنبيـه

والجذب أخذة عبد بغتة بيدي … عناية نحو امر ليس ينويه

فهو المراد ومخطوب العناية لا … يحس كلفة تكليف تلاقيـه

طوراً يرد عليه الحس تكملة … له فيقصد ما قد كان ناويه

تراه يعبد لا يلوي على شغل … سوى العبادة يستحلي تفانيـه

وقد يغيب عن الاحساس مختطفاً … وذو العناية حفظ الله يحميـه

ترى الحقائق تبدو منه في نسق … مع الكشوف لان الله يلقيـه

وذو السلوك تراه في ارادته … يجاهد النفس ذارعي لباقيـه

يمشي على نهج اهل الصدق ملتزما … شروطهم خائفاً فيما يرجيه

كم من مريد قضى ما نال بغيته … حق القضاء عليه في تقاضيـه

وكم مريدونى من بعـد عزمته … إذ عزمه ذاك ما صحت مبانيـه

من ليس يخلص في مبدا ارادته … يهوى به الحظ في اهوى مهاويه

وما المريد الذي صحت ارادته … إلا مراد له جـذب يوافيـه

والجذب ان جاء من بعد السلوك له … فضل على الجذب مما السعي تاليه

والجذب هذا الذي التفضيل فيه هو الجذب الذي ظهرت حسا بواديه

وفي الحقيقة لولا الجذب ماسلكت … طريق حق ولا ريقت مراقيـه

لولا العناية والتخصيص قد سبقا … في دعوة العبد ما قامت دعاويـه

ان المريد مراد والمحب هو المحبوب فاستمل هـذا من اماليـه

ان كان يرضاك عبداً انت تعبده … وان دعاك مع التمكين تأتيـه

ويفتح الباب اكراما على عجل … ويرفع الحجب كشفاً عن تدانيه

وثم تعرف ما قد كنت تجهله ... مما عن الحصر قد جلت معانيه

وترتوي من شراب الانس صافية ... يا سعد من بات مملواً بصافيه

قلت : وزاد بعض المشايخ في هذه القصيدة الفريدة بيتاً ذكر فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو :

وصل يا رب ما غنت مطوقة ... على النبي صلاة منك ترضيه

فلما دخل الشيخ محمد الداخلي على الشيخ علي بن عمر الشاذلي ، ناوله هـذه القصيدة المذكورة وقال له الشيخ ناصر الدين يدعوك فأمر نظره على القصيدة ، وقال له : استمعها مني ، وقرأها عليه حفظاً ، فقالوا له : هل تعرف الشيخ ناصر الدين؟ فقال لهم : لا ، بل هو اعرف بي يعرفني قبل ظهوري من ظهر أبي .

ثم سار هو والشيخ محمد الداخلي إلى مصر ، ودخل على الشيخ ناصر الدين فقابله بالبشاشة والترحيب ، وعامله بالانس والتقريب ، وسلكه الطريق الشاذلية ، وهذبه وادناه من الحضرة الالهية ، وقربه ولقنه الذكر وفهمه معاني الفكر ، وادخله الخلوة وبشره بالفتح ، وأظهر له من العلوم والمعارف ما يطول معه الشرح .

فأقام بمصر في كنفه ثلاث سنين وقرأ كثيراً من العلوم على جماعة من علماء مصر العارفين ، ثم انه اشتاق إلى الوطن من ارض اليمن فاستأذن شيخه الشيخ ناصر الدين في السفر فأذن له ، وذلك عند مسير الحجاج إلى مكة المشرفة ، فخرج وخرج معه شيخه الشيخ ناصر الدين مودعاً له إلى بركة الحاج ، ولما وصل إلى البركة عزم الشيخ ناصر الدين على الحج ، فهيئت له المحامل والمراكب فحجا معاً ، فلما اتما حجهما وعمرتهما نزل الشيخ علي بن عمر إلى جدة للسفر إلى اليمن ، فنزل معه الشيخ ناصر إلى جدة ، وقال : بلغنا إلى جدة وزرنا الجدة ، على احد الاقوال .

ولما وصل الشيخ علي بن عمر الشاذلي إلى اليمن تأهـل بأم ولده ابي السرور بقرية الاوشج ، ويقال لها موشج ، وبام ولده ابى الفتح بالقرشية ، وبام ولده ناصر الدين بقرية البقعة .

ثم حصلت له اشارة نبوية بالدخول إلى بر العجم وارض الحبشة ، فامتثل الاشارة وولد له هناك اولاد كثيرون وصحبه بتلك البلدان جماعة من اهلها العلماء منهم ، والصوفية والاعيان ، ثم امر بالتقدم إلى بلاد السلطان سعد الدين المجاهد فسار إلى هنالك واجتمع به السلطان ، وقام بواجبه ، وانتشرت هنالك كراماته وتزوج ابنة عم السلطان سعد الدين ، واسمها مريم ، وكان والدها ولي السلطنة قبل اخيه والد سعد الدين المذكور .

ولما تزوجها الشيخ ولدت له هنالك ابنيه الشيخين الجليلين زين العابدين وعبد الرؤف ، وخرج بها معه إلى المخا ، وولدت له ابناً سماه عبد القادر ، مات صغيراً ، وولدت له بنتاً سماها فاطمة ، ثم ماتت الام في حياته بالمخا .

وكان قد اقام مدة طويلة ببلاد السلطان سعد الدين المذكور إلى ان حصلت له الاشارة بالخروج إلى بر العرب ، فخرج إلى المخا واستوطنها ، ولما وصل إلى المخا وافق وصوله وصول امرأة من القبيلة الفرسانيين سكنة موزع اسمها زينب وهي ذات مال جزيل ، وكانت خائفة على ابن لها من القبيلة المقارب اتهموا ابنها بقتل رجل منهم ، فاستجارت هي وابنها بالشيخ وسألته ان يشفع لهما إلى القبيلة المذكورة ، فرحمها وسار اليهم شافعاً لها ، فقبلوا شفاعته ، واقام عند بعض كبرائهم للضيافة ، فعزم أخ للمقتول على اذية الشيخ ، وكان من عادة الشيخ ان يتمشى آخر النهار إلى البر فخرج من بيت الضيافة على جاري عادته فلحقه اخو المقتول مضمراً قتله ، والسيف في يده مسلول ، فالتفت الشيخ فدعا عليه فصرع في موضعه وحمل إلى بيته ، فمكث يوماً ومات ، فاعترفوا بان صاحبهم مخطىء ، واعتذروا اليه من فعله وانهم لم يعلموا بذلك ، فقبل عذرهم ، ثم رجع إلى المخا ، فوجد موضعاً مواتاً فاحياه ، وابتنى فيه بيوتاً ، وسكن بها واسكن غيره معه ممن وفد اليه .

وكان استيطانه بالمخا لاشارة من شيخه الشيخ ناصر الدين وهي قوله له يا بني حيث وجدت قلبك فخيم ـ وقد قدمنا ذكر هذه الوصية .

وكان زوجاته لا ينقصن عن اربع وصار صاحب زوايا واربطة واتباع كثيرين ، واصحاب مشهورين ، وشهر طريق الشاذلية في جميع قطر اليمن ، وأظهر مصنفاتهم ، ونوع علومهم بالقصد الحسن .

وكان كثير النذور والفتوحات خصوصاً من الحبشة ، وكانت له مكارم اخلاق وفضائل .

وكان يعين الفقراء والوافدين بماله وجاهه ، وكان لا يدخر شيئاً من الدنيا وكل ما دخل عليه انفقه في فعل الخير ، وكان لا معلوم له ولا محصول بل اطعام الطعام لديه لكل من وفد اليه مبذول .

قال تلميذه الشيخ احمد بن ابي بكر الهاشمي ، وفي مدة اقامتي في خدمته لم اعلم ان زكاة الفطر وجبت عليه إلا مرة او مرتين مع وسع الانفاق والتبسط في مكارم الاخلاق ، ولقد رأيناه يهب الخيل العتاق ، والبحاري الفارهة النجب والرقيق ، والفضة والذهب ، والثياب المستحسنة الرفيعة بانواعها من التفاصيل والاربا ع والمقاطع لكل مواصل ومقاطع ، وكذا الثياب الصوف ، وانواع البزوز الهندية ، وكل الصنوف .

وكان مذهبه الغنى بالله والايثار ، ونفع المسلمين بالجهر والاسرار ، وكان كثيراً ما ينشد هذا البيت :

الخير مبذول لمن ورد الحمى سراً وجهراً في مدى الاوقات

وسمعته مرة يتكلم في الغنى بالله ، ثم ذكر هذا المقام وعزته وغربته ووحدته ثم قال في اثناء ذلك: والله ان الدنيا وكنوزها ، وما فيها من قاف إلى قاف . او قال مسيرة خمسمائة عام في قبضة من هو في هذا الموضع ـ يعني نفسه ـ .

وكان رضى الله عنه قليل الاكل جداً ، وقد يحبس الايام عن الطعام ويقرب اليه فيقول : نحن لا نأكل قبل الفقراء ، ولا قبل الضيوف ، فاذا نوى الموافقة امر من يطلب صغار اولاده ، ومن حضر من صغار الفقراء ، ثم يمس منه قليلا باطراف

اصابعه ، ثم يقوم وهم عليه ، ويقول : لو لا الجبابرة ما اكلت ، ويقول : حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه .

وما زال نفع الله به على الطريقة المرضية ، والسيرة الحسنة السنية حتى انتقل بالوفاة إلى جوار ربه ورحمته ضحى يوم السبت اول يوم من شهر صفر الخير سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .

وكان عمره حينئذ ثلاثة وسبعين عاماً ، ودفن بموضع عينه لنفسه ، وبنيت على قبره قبة معظمة متقنة محكمة بناها قوم من يافع ، القبيلة المشهورة من قبائل حمير الاكبر بن سبأ الاكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، يقال لهم : آل سلام - بتشديد اللام - وخلفه بعد موته في القيام بالمشيخة ابنه الشيخ الجليل جوادالدين عبد الرؤف فقام بالوظيفة اتم قيام ، وانتفع به الخواص والعوام ، وواظب على العبادة والصيام ، واقامة الجمعة والجماعة ، وتلاوة القرآن على قبر والده واطعام الطعام ، وصلة الاقارب والارحام ، واشتهر بين الناس ذكره ، وعلا بملازمة العبادة قدره ، ولم يزل على ذلك إلى ان توفى ضحى يوم الجمعة في الثالث من شهر رمضان الكريم سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، ودفن داخل القبة بجنب قبر والده من جهة القبلة ، وجعل على قبريهما تابوتان من خشب الساج معدّان يكسوان كسوة لائقة على ممر الازمان .

ثم جاورها الوزير المعظم المرحوم الباشا سنان ، ولما امر الوزير الدستور الكبير حسن باشا بعمارة قبة الشيخ المذكورة بمباشرة علي جلبي امين بندر المخا الترجمان الحلبي ، فعمرها عمارة متقنة وجدد التابوتين وكساهما كسوة حسنة .

وكان ابتداء العمارة في سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، وختامها في سنة الف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية ، ثم امر الوزير المذكور بانشاء جامع كبير شرق القبة وشاميها فبنى بناء اكيداً ، ولما تم نصب له منبر عجيب من الحجر الاخضر ثم بنيت فيه منارة عجيبة في غاية الطول والنحافة واللطافة والتحافة ثم

صليت فيه الجمعة ، واستمرت فيه الخطبة وصلاة الجمعة ، واقامة الجماعة تقبل الله ذلك بمنه وكرمه ويمنه .

وبالمخا ضريح الشيخ صدّيق الشاذلي ، وضريح الولي الاكمل الشيخ صندل، وضريح الولي الرباني الشيخ علي الجازاني ، وضريح الولية الشريفة عطا .

وخارج المخا ضريح الولي الشيخ محمد بن سعيد العامودي ، والشيخ ابو بكر ابن موسى العمودي ، وضريح الولي القدسي السيد ابراهيم الشمسي ، وضريح صاحب الكرامات والالطاف الشيخ السقاف ، وضريح الشيخ عبد الرزاق الشاذلي وضريح ولي الله السيد شكر الله المشهور في عصرنا بالشيخ جوهر ـ نسبة إلى قيم ضريحه ـ الازهر ، وحوله مسجد عظيم بناه الناخودة محمد سعيد عام الف ومائة واربعين بأمر التاجر المشهور الملا محمد علي بن عبد الحي بن الملا عبد الغفور .

وفي سنة الف ومائة وتسعة وثلاثين عمر الناخودة المكرم الرئيس المعظم ذو الفخر الظاهر والكرم الباهر الناخودة عبد الرحمن بن عبد القادر منارة القطب الولي الشيخ علي بن عمر الشاذلي بأمر الملا محمد علي المذكور ابن عبد الحي بن عبدالغفور وارخت بناءها بقولي :

منارة ذكر لرب ولي	بمسجد قطب الورى الشاذلي
بناها سليل الفتى عبد حي	سميع عليم قديم علي
وذلك نجل لعبد الغفور	مليك لتجار من الأول
ولا تنس عبد الرحمن جوداً	وقدر له لم يزل يعتلي
فذاك الذي قد تولى بناها	حماه الاله بهذا الولي
وشيد بنيانها فارتقت	سموا باشراق نور جلي
وارخ لطفاً منارة وحي	بناها لجود محمد علي

ونزلت في المخا بدار الجناب المكرم ، المآب المعظم ، العالي الرئيس ، الغالي النفيس ، شامة المخا ، ومعدن الجود ومنبع السخا ، الشهم الكريم الشيخ محمد صالح

ابن المرحوم محمد علي القاضي الحكيم ، واقمت بداره السعيدة اياما ، ثم نقلت إلى فندق ودود ، واقمت به اياما ، ثم نقلت خارج المدينة إلى نخل الجناب الجليل المشهور الشيخ محمد صالح الحكيم المذكور . وقد كان هذا الجليل الاصيل الكريم المثيل كامل الفخر والاعزاز ، حاوي الرياسة حقيقة لا مجاز ، رئيس المخا مرجواً في الشدة والرخا ، ماجداً عادلا عالماً فاضلا استاذاً حكيم ، ملجأ الغريب واليتيم سالكا نهج الصدق المستقيم ، اديباً ألمعي اريباً لوذعي ، حاوي الخصال الحميدة والصفات الجيدة ، كم اكرمني واحسن معي شروط المحبة وحفظني عن بذل ماء وجهي في الغربة ، فجزاه الله عنه جزيل الاجر والثواب وحشره في زمرة محمد وآله الاطهار الانجاب . وما زال هذا الجناب الفخم والملاذ العظيم ، اعنى المرحوم الشيخ محمد صالح الحكيم ، موقراً في المخا لدى الكبير والصغير ، مسدياً احسانه إلى الغني والفقير ، إلى ان دعاه إلى قربه الملك العلي فنقله إلى الجنة من المخا بندر على فذهبت مكارم الاخلاق من بعده وتيتمت العفاة بعد فقده .

وكان انتقاله إلى جوار رب العالمين سابع شعبان المعظم عام الف ومائة واربعين ودفن بنخلة خارج باب الشاذلي من طرف اليمن ، رحمه الرحمن الرحيم واسكنه بحبوحة جنة النعيم ، وهذا قضاء الله ولا اعتراض في حكم الله .

وكان رحمه الله تعالى وافاض وابل رحمته عليه ووالى قد ارسل إلي حين وصولى إلى المخا بصلة سنية ، وصحبتها قصيدة بالبلاغة ملية ، غير انها غربت عن ذهني ولم احصلها إلا انى احفظ مطلعها وهو : هي رامة فحذار من آرامها .

فاجبته بقولي :

اهدي التي سمحت برد سلامها	نحوي وكانت لم تشر بسلامها
عادت وجادت بالوصال وانعمت	ورمت جميع عواذلي بسلامها
هيفاء تسبي العاشقين بحسنها	ولذيذ منطقها وسحر كلامها
وافت وأوفت عهدها وتلطفت	وشفت فؤادي من عظيم كلامها

هي بنت عشر في السنين واربع ... لله ما احلى رشيق قوامها
حوت الظرافة والطرافة واللطافة ... والملاحة كلها بتمامها
يا قلب ان شئت التقرب من لقا ... ليلي وطلعتها فمج بخيامها
فهي الحبيبة للقلوب وحسنها ... يغنيك عن هند وعن اقسامها
وإذا اردت توسلا وتوصلا ... لمراتب العليا فلذ بامامها
الماجد الوافي محمد صالح ... الاسماء والافعال نسل كرامها
هو في السماحة واحد في عصره ... فالناس تقصده لنيل مرامها
هو مصقع هو جهبذ هو ضيغم ... هو فارس في نثرها ونظامها
يا سيداً ابدت لنا أفكاره ... دررا أتت تثني على نظامها
وافت بعرف من فصاحة منطق ... اشهى لنا من شيحها وخزامها
انت الذي حاز الكمال بأسره ... وروى حديث العلم عن اعلامها
بل انت عين العصر غرة وجهه ... يا واحد الدنيا وخير عظامها
خذها اليك فريدة في حسنها ... قس يقبلها على اقدامها
تمشي إلى سحبان تسحب ذيلها ... وتذل شانيها بحد حسامها
تسمى اليك والسرور يحفها ... من فوقها وورائها وأمامها
فاسلم ودم في نعمة ابدية ... من اول الدنيا لحسن ختامها
ما غردت قمرية في دوحها ... وشجت فؤاد الصب من انغامها
وشدا المتيم عند ما بلغ المنى ... افدى التي سمحت برد سلامها

وطلب مني رحمه الله تعالى معارضة هذا الحميني الذي اوله :

قال ابن موسى حبيبي ورد خدك فتش ... اسمح لنا يا حبيب نجنيه

فقلت مادحاً له ومودعا عليه رحمة الله ما طاف بالبيت طائف ودعا :

قال الحسيني حبيبي مر بي واحترش ... لما رأى طول سقمي فيه
ما انساه لو قطعوا قلبي بحد المحش ... والوجد به والنبي ما اخفيه

العقل من حسن وجهك ياحبيب اندهش عسى عسى باللقا تشفيه
والقلب قدذاب من طول الجفاياورش يكفيه هذا الجفا يكفيه

قفل :

لما تبدى حبيبي في القبا الاطلس ازرى بغصن النقا والبان
ناديته يا رشا يا نزهة الانفس يا مخجل الحور والولدان
نظره لحالي انا يا شمعة المجلس لمل وقت اللقا قد آن
لفت ونادى ترقب زورتي في الغبش قولي وحق الهوى اوفيه

قفل :

وفا بوصلي واصفى عيشنا ذاالرشا وزال عنا جميع البوس
طلبت ياصاح قبلة قال خذ ماتشا وارشف رحيقي وثغري بوس
قبلته واعتنقنا من قبيل العشا حتى سمعنا غنا الناقوس
ثم افترقنا بحسنى والفؤادا نتعش ابقيه يا رب لي ابقيه

قفل :

واخلص بمدحي محمدصالح السيره والاسم والذكر والافعال
من قد رقى في البرا يااشرف الرتبة ومن حوى الجود والافضال
ومن وفى لي بكل الخير في غربتي ومن حباني ببذل المال
كم من محب بساط الشكر له قدفرش وكم وكم من سجايا فيه

قفل :

ياذا الرئيس المرجى آن وقت السفر قصدي وداعي لكم لا غير
فاسمح لنا نلثم الاعتاب ياذاالظفر عسى أنال المنى والخير
من شك في جودك الوافي صريحا كفر يا من لبابه يحث السير
ومن يعاديك ادعوله بلسعة حنش واسأل الله لا يحييه

وقلت مؤرخاً ولادة بنت لأبنه يحيي :

ايا ماجداً قد ساد طراً على الورى ومن ذكره قد سار في الشرق والغرب
تهنى لك البشرى ببنت سعيدة وقد حفها الاقبال في البعد والقرب
لميلادها الميمون قلت مؤرخاً بعمر طويل دام متمها ربي

واجتمعت بالجناب الكريم الرئيس العظيم من فرج عني كربتي في غربتي الشيخ علي التربتي . وكان قد وعدني بماء ورد فابطأ في الوعد ، فارسلت اليه بهذه الابيات

قل لحاوي الاحسان ذخري علي الكريم المبجل التربتي
الأديب الاريب زين المعاني الرئيس المفضل الالمعي
زاده الله عزة وكمالا ووقاراً بالمصطفى والوصي
قد وعدتم بأنكم تصلونا من نداكم بماء ورد ذكي
فانتظاري لماء وردك هذا كانتظاري للقائم المهدي

واجتمعت بأخيه محمد التربتي وامتدحته بهذا الموشح معارضاً :

لي في ربى حاجر غزيل اتلع يسبي القلوب

فقلت : وما شاء الله كان .

قال الغريب الهاشمي المولع كم شا اذوب
من حب سكان اللوى والاجرع دمعي سكوب
في حبهم والله لو اقطع ما شا اتوب
مال المذول الغر في مطمع قوله كذوب

بيت :

قدطال سقمي في الهوى وسهدي ما لي مجير
ما حدت في العشاق مثل وجدي ربي خبير
اني فريد العاشقين وحدي ما لي نظير
كم لي بميدان الغرام مجمع يشفي القلوب

بيت :

كفف فديتك يا رشا سهامك روحي فداك
يا بدر وارحم باللقا غلامك ما لي سواك
فدى بروحي يا رشا قوامك مزري الاراك
يا بدر كم عني الوصال تمنع ما لي ذنوب

بيت :

يا مخجلا سمر القنا الرديني ما لي براح
في عشقتك يا منيتي وعيني سهري مباح
ما طلتني ولا قضيت ديني يا ذا السماح
والوعـد دين الخيرين فاسمع ما هو مشوب

بيت :

دم يا حبيبي بالسرور مسعد بين الانام
مثل الفتى حاوي السخا محمد تاج الكرام
من دام في اوج الكمال يصعد أعلى مقام
لا زال في روض الفخار يرتع منفي الكروب

بيت :

حياه من بحر السخا زخار مولى الجميل
محيي رسوم الاكرمين الاخيار هـذا النبيل
حاوي صفات الانجبين الابرار ما له مثيل
رب العطا للسائلين اجمع مسكي الجيوب

بيت :

يا من ترقى ذروة المعالى يا ذا النجـاد
يهنيك هذا العيد يا جمالي عيد الرشاد

واسلم ودم من طارق الليالي بين العباد
انت الذي فيك الثنا تجمع منفى العيون

وقلت ايضاً امتدحه بهذا الموشح ، ولو تركته كان اصلح :

يقول الهاشمي يا ظبي لعلع احاديثي بحبك مستطيله
متى يابدر تصغى لي وتسمع غرامى فيك يا سيد القبيله
فقلبي بالجفا امسى مروع وفيك محبتي اضحت طويله
عسى يابدر هذا الهجر يرفع لان الهجر ما لي فيه حيله

بيت :

إلى كم يا منى قلبي تعذب محبك بالجفا وافنيت صبك
إلى كم يا عذولي شا تخرب بيوت الود منا خاف ربك
غرامه في حشا قلبي مطنب فدع ياعاذلي عذلك وعتبك
عسى الايام بالمحبوب تجمع ويبري سقم احشاي العليله

بيت :

ايا بدري ادام الله سعدك وجاد عليك بالحسنى وافضل
عبيدك قد اتى يسعى لعندك يرجي حبله المقطوع يوصل
فرفقاً بي ادام الله مجدك كمجد الصاحب الشهم المفضل
محمد من حوى الاعزاز اجمع وفاز برتبة عليا جليله

بيت :

تبارك خالق سوى واتقن محاسن ذاته عزت عن الشين
فكم اغنى وكم اقنى واحسن وكم من فضة اعطى ومن عين
فذاك لسائر الاوصاف معدن وذاك لكل عين قرة العين
وذاك لجملة الخيرات منبع وذاك ابو المكارم والفضيله

بيت :

ايا من خص بالذات الحميده اعيذ جمال وجهك بالمثاني
اليك قصيدتى زفت فريده حكت في الحسن حسنك والمعانى
وحيدة عصرها هذي القصيده بنظم فاق نظم الاصفهاني
اتت في حلية الاقبال ترتم وفاقت في البها ظبي الخميله

وقلت مادحاً له ومهنيه بعيد الفطر سنة ١١٣٩ والحكم لله العلى الكبير :

دمع عيني لا تمل انسجاما ان رأيت الحشا يذوب اضطراما
وفؤادي اصطبر على حر بلواك غراما ولوعة وسقاما
ان شهراً قد كنت تأنس فيه بت حبل الوصال منه انصراما
زارنا سرعة المزار وولى عن قريب وما اطال قياما
مع هذا فليت شعري اراض راح عنا ام ساخطاً لواما
فهو خير الشهور إذ شرفته ليلة القدر عزة واحتراما
وبه انزل المهيمن قرآناً علينا مفصلا احكاما
ويضيف العفاة فضلا وفيه يغفر الله ذنبهم اكراما
ورجائى بانه يقبل التوب ويعفو مآثماً واجتراما
فلياليه خلتها حين تبدو بسنا الهدى والتقى اياما
كيف لا وهى قد مضت برحاب رحب اوسع الورى انعاما
معهد العز موضع الانس يسمو مطلع الشمس بهجة واحتشاما
بكريم نواله انجد الخلق وفي ظله انام الاناما
ذى المعالى محمد حسن الخلق ومن حاز رفعة ومقاما
قد رعى ذمتي فاوجب انى طول عمري ارعى لديه الذماما
وكفانى ببلدة في حماها صاحب الفضل لن ينال طعاما
فلزمت الجلوس عن مجلس الغير لما ذا اسمي له وعلاما

وغنى النفس كان عندي قدما وهو اسدى لنا الهبات العظاما
فسأثني بكل خير عليه ان ترحلت او اردت مقاما
يا رئيساً يؤمه كل عاف إذ يراه لكل خير اماما
صمت شهر الصيام منك احتسابا واقمت الهدي به والقياما
فهو لا شك عن محياك راض راح يهدى تحية وسلاما
واتى العيد بالسعود لديكم يتهنى ويلثم الاقداما
فلك البشر إذ أتاك بشيراً بدوام السرور عاماً فعاما
واعذرا عذر مهدي الجواهر للبحر فأنت الكريم كهف اليتامى
واصفح الذنب عن محبك صدقا يا جمالي ولا تزدني ملاما
وابق في الناس بالمكارم بدأ وابق فيها مدى الزمان ختاما
ما شدا عاشق حليف غرام دمع عيني لا تمل انسجاما

واجتمعت بابناء اخي علي وحيدر ومرتضى ونور الدين اسعدهم الله بسعده المكين ، بجاه محمد وآله الميامين ، واجتمعت بالرئيس العلي ، من هو بكل وصف حميد ملي ، الشيخ علي بن محمد البابلي ، وارخت زواجه ببدرة بنت الناخودة عبد الرزاق بقولي :

عطف الزمان وساعد الدهر والعسر زال واقبل اليسر
والسعد وافى والسرور اتى وصفا وطاب الشرب والسكر
وبساط صبح الصد مزقه ليل الوصال وقوض الهجر
بشراك حقاً قد حظيت بمن تهواه وهو القصد والذخر
عرس جليل قد حبيت به وبه الهنا والسعد والفخر
ولقد اتى تاريخه ابداً بجماله يهنيك ذا البدر

واجتمعت بالرئيس المكين ملاذ الغريب والمسكين ، صاحب الخلق الجميل والخلق الحسين المشهور ذكر جوده في العالمين ، الذي كان لي في غربتي كالوالد

الشفيق المعين ، فاغناني عن بذل ماء وجهي للخلائق اجمعين ، بتسخير رب العالمين الجناب المعظم الحاج محمد بن ياسين. رحمه الله تعالى و كانت لسبع بقين من ربيع الاول سنة الف ومائة وسبع وار بعين. رحمه الرحمن المعين. واجتمعت بكثير من الاخوان الـكرام عليهم مني اشرف السلام .

﴿ اعرف هـذه الفائدة ﴾

قال الفقيه البغوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم) الآية ، وقال ابراهيم النخعي فسلموا على انفسكم إذا كان في البيت انسان يقول السلام عليكم ، وإذا لم يكن فيه احد يقول السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين . وهكذا . .

وقال مجاهد والحسن والكلبي : (فسلموا على انفسكم) يعني بعضكم على بعض ويقال : ان معنى السلام ، إذا قال السلام عليكم يعني السلامة لـكم مني فكانه امنهم على انفسهم من شر نفسه ، ويقال (السلام عليكم) يعني حفظـكم من الآفات .

ويقال : السلام هو الله ، فكانه يقول الله حفيظ عليكم ومطلع على ضمائركم فان كنتم في خير فيزيدوا وان كنتم في شر فازجروا تحية من عند الله .

قال : وأصل التحية هو البقاء والحياة ، كقوله حياه الله ، وانما صار نصباً على المصدر .

وفي الـكشاف عن انس : قال خدمت رسول الله ﷺ عشرين سنة وروى تسع سنين . فما قال لي في شيء فعلته لم فعلته ، ولا قال لي في شيء كسرته لم كسرته وكنت واقفاً على رأسه اصب الماء على يديه ، فرفع رأسه فقال: ألا اعلمك ثلاث خصال ؟ قلت : بلى بأبي انت وامي يا رسول الله ، قال : متى لقيت احداً من امتي فسلم عليه يطل عمرك ، وإذا دخلت بيتاً فسلم على اهله يكثر خير بيتك ، وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاولين .

وقالوا: ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إذا دخلت المسجد فقل: السـلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

﴿ فائدة ﴾

قال ارسطو في كتابه الموسوم باثولوجيا : ان من وراء هـذا العالم سماء وارضاً وبحراً وحيواناً وناساً سما ، وبين كل من في ذلك العالم سماوي ، وليس هناك شيء ارضي ، والروحانيون الذين هناك يلائمون للانس الذين هناك لا ينفر بعضهم عن بعض ، وكل واحد لا ينافر صاحبه ، ولا يضادده بل يستريح اليه .

وفي سنة اثنتين وثمانين والف منتصف جمادي الاولى ألبس باشا جدة الشريف احمد بن محمـد الحارث خلعة ملك مـكة وولاه على جميع الحجاز ، وهو في طيبـة وكادت تحصل فتنة ولكن وقى الله شرها ، لان باشا جدة كتب للابواب بامور طويلة فامر السلطان بتجهيز العساكر على الحجاز واليمن ، ووصل إلى صاحب مصر ووصل اول العسكر إلى ينبع وعزل الباشا ، وسافر من المدينة ومات في الطريق .

واصطلح الشريف سعد والسيد احمد بن الحارث ، وفيها في اول ذى الحجة وصلت عساكر من مصر ومن الشام ومعهم باشا الشام ، وارادوا القبض على شريف مكة سعد بن زيد فلم يقدروا عليه لأخذ حذره منهم ، ثم لما علم انهم صمموا على الهجوم عليه وقت النفر هرب ليلا هو وأصحابه إلى الطائف ، ولما اصبحوا ولوا الشريف بركات بن محمـد بن ابراهيم بن بركات بن ابي نمى ، وخلعوا عليه بمنى ثالث عشر ذى الحجة ، ونزل من منى ومعه بعض الاشراف والعساكر السلطانية ادام الله عدالته ودولته .

وبلغه من العدل في رعاياه امنيته ، غرة وجه العالم ، وطرة السادة الاشراف

اعيان بني آدم ، لباب المجد الاطهر وعباب الفيض الافخر فرع الشجرة الزكية طراز العصابة الهاشمية ، اللابس ابس لواء العدالة والمتوشح بملابس التقى والنهاية والجلال ، الغني بسطوع بدره عن كمال نشر كماله ، وكفاه شرفا انه من نسل المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن اعيان آله .

وكانت ولايته بمكة بسعي من الشيخ محمد بن سليمان المغربي ، وسببه ان الشيخ محمد استشفع عند الشريف سعد في شيء فلم يشفعه فيه ،واتفق ان اخا الوزير الاعظم حج ذلك العام ، وكان له ولع بعلم الفلك واجتمع بالشيخ محمد واخذ عنه ذلك ، وطلب الشيخ ان يسافر معه إلى الابواب السلطانية ، فسافر معه واجتمع بالسلطان ، وطلب منه ان يزيل اشياء بمكة المشرفة فأمر السلطان بابطالها.

منها ان صدقة السلطان جقمق كانت تقسم على ارباب البيوت حبوبا وكانت سابقاً تطبخ شربة وخبزاً ، فردت على ما كانت وكذلك السلطان قايتباي .

ومنها توليته على جميع الاربطة ولا تكون إلا لمن يستحقها بشرط الواقف.

ومنها ان تبطل الدفوف في الزوايا ، وان يمنع النساء من الخروج ليلة المولد الشريف ، وتم جميع ذلك وجعله ناظراً على جميع اوقاف الحرمين .

﴿ ترجمة أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن روطاه ، الإمام الفقيه الكوفي ﴾
(مولى تيم الله بن ثعلبة وهو من رهط حمزة الزيات ، كان ابوحنيفة)
(خرازاً يبيع الخرز وجده روطاه من أهل كابل ، وقيل)
(من أهل بابل ، وقيل : من أهل الانبار ، وقيل)
(من أهل سبأ ، وقيل : من ترمذ وهو)
(الذى مسه الرق فاعتق وولد)
(ثابت على الإسلام)

وقال اسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من ابناء فارس من الاحرار ، والله ما وقع علينا رق قط ، ولد جدي سنة ثلاثين وذهب إلى

علي بن ابى طالب عليه السلام وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ، ونحن نرجو ان يكون الله تعالى قد استجاب ذلك لعلي عليه السلام فينا .

والنعمان بن المرزبان هو الذي اهـدي لعلي بن ابى طالب الفالوذج في يوم المهرجان ، فقال عليه السلام : مهرجونا كل يوم . هكذا قاله الخطيب في تاريخه .

وادرك ابو حنيفة اربعة من الصحابة وهم انس بن مالك ، وعبد الله بن ابى اوفى بالـكوفة ، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة . وابو الطفيل عامر بن واثلة بمكة ولم يلق احداً منهم إلا واخذ عنه .

واصحابه يقولون : لق جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ولم يثبت ذلك عند أهل النقل .

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد : انه رأى أنس بن مالك وأخـذ الفقه عن حماد بن ابى سلمة ، وسمع عطاء بن ابى رباح ، وابا اسحاق السبعي ، ومحارب بن دثار ، والهيثم بن حبيب الصراف ، ومحمد بن المنكدر ، ونافعاً مولى عبد الله بن عمر وهشام بن عروة ، وسماك بن حرب .

وروى عنه عبد الله بن المبارك ، ووكيع بن الجراح ، والقاضى ابو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهم .

وكان عالماً عاملا زاهدا عابدا ورعا تقياً كثير الخشوع ، دائم التضرع إلى الله تعالى ، ونقله ابو جعفر المنصور من الـكوفة إلى بغداد ، فلما رآه قد عزم على ان يوليه القضاء فابى ، قال : فحلف عليه ليفعلن ، فحلف ابو حنيفة ان لا يفعل فقال له الربيع بن يونس الحاجب : ألا ترى امير المؤمنين يحلف فقال ابو حنيفة : امير المؤمنين على كفارة ايمانه اقدر مني على كفارة ايمانى وابى ان يلي القضاء فأمر به إلى الحبس في الوقت والعوام يدعون انه تولى عـدد اللبن اياما ليكفر بذلك عن يمينه ، ولم يصح هذا من جهة النقل .

وقال الربيع : رأيت المنصور تناول ابا حنيفة في امر القضاء وهو يقول اتق

الله ولا ترع في امانتك إلا من يخاف الله والله ما انا مأمون الرضى فكيف اكون مأمون الغضب ولو اتجه الحكم عليكم ، ثم تهددتني ان تغرقني في الفرات او إلى الحكم لاخترت ان اغرق ولك حاشية تحتاج إلى من يكرمهم لك وانا لا اصلح لذلك فقال : كذبت ، انت تصلح لذلك ، فقال ابو حنيفة : قد حكمت لي على نفسك كيف يحل لك ان تولى قاضيك على امانتك وهو كذاب .

وحكى الخطيب ايضاً في بعض الروايات : ان المنصور لما بنى مدينة بغداد ونزلها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة ، ارسل إلى ابي حنيفة فجيء به فعرض عليه قضاء الرصافة فابى فقال له ان لم تفعل ضربتك بالسياط قال او تفعل قال نعم فقعد في القضاء يومين ، فلم يأته احد ، فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر ، فقال الصفار : لي على هذا درهمان واربعة دوانق ثمن ثوب فقال ابو حنيفة للصفار : اتق الله وانظر فيما تقول ، فقال الآخر : ليس له علي شيء ، فقال ابو حنيفة للصفار : ما تقول ؟ فقال : أستحلفه لي ، فقال ابو حنيفة للرجل : قل والله الذي لا إله إلا هو ، فلما رآه عازماً على ان يحلف قطع عليه وضرب بيده إلى كمه ، فحل صرة واخرج درهمين ثقيلين ، وقال للصفار : هذان الدرهمان عوض ثمن ثوبك ، فنظر الصفار اليهما وقال : نعم ، فاخذ الدرهمين.

فلما كان بعد يومين اشتكى ابو حنيفة فمرض ستة ايام ثم مات .

وكان يزيد بن عمرو بن هبيرة امير العراقين أراد ان يوليه القضاء بالكوفة ايام مروان بن محمد آخر ملوك بني امية فابى عليه ، فضربه مائة سوط على عشرة اشواط ، كل يوم عشرة وهو على الامتناع ، فلما رأى ذلك خلى سبيله .

وكان احمد بن حنبل إذا ذكر ذلك بكى وترحم على ابي حنيفة ، وذلك بعد ان ضرب احمد على القول بخلق القرآن .

وقال اسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة وذلك بعد ان ضرب ابي ومر بالكناسة فبكي فقلت له يا ابتا مايبكيك ؟ فقال يابني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة ابي عشرة

ايام في كل يوم عشرة اسواط على ان يلي القضاء ، فلم يفعل. والكناسة ـ بضم الكاف ـ موضع بالكوفة .

وقال الفضل بن غانم : كان ابو يوسف مريضاً شديد المرض فعاده ابو حنيفة مراراً ، فسار اليه آخر مرة فرآه ثقيلا فاسترجع ثم قال : لقد كنت اؤملك بعدي المسلمين ولئن اصيب الناس بك ليموتن عالم كثير معك ، ثم رزق العافية ، وخرج من الغد واخبر ابو يوسف بقول ابي حنيفة فيه . فارتفعت نفسه وانصرفت وجوه الناس اليه ، فعقد لنفسه مجلساً في الفقه وقصر عن لزوم ابي حنيفة ، فسأل عنه فاخبر انه عقد لنفسه مجلساً وانه بلغه كلامك فيه ، فدعا رجلا كان عنده قدر فقال له : سر إلى مجلس ابي يوسف يعقوب وقل له : ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوبا ليقصره بدرهم ، فسار اليه بعد ايام في طلب الثوب ، فقال له القصار مالك عندي شيء فانكره ، ثم ان رب الثوب رجع اليه ثانياً فدفع اليه القصار الثوب مقصوراً . هل له اجرة القصر ؟ فان قال لك : له اجرة ، فقل له : اخطأت ، وان قال لك لا اجرة له ، فقل له اخطأت ، فسار اليه الرجل وسأله فقال ابو يوسف : له الاجرة فقال : اخطأت فنظر ساعة ، ثم قال : لا اجرة له ، فقال اخطأت ، فقام ابو يوسف من ساعته فأتى ابا حنيفة فقال له : ماجاء بك إلي إلا مسألة القصار فقال اجل والله ، قال : سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد مجلساً يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن ان يجيب في مسألة من الاخبارات ، فقال : يا ابا حنيفة علمني فقال له ان كان القصار قصره بعد ما غصبه فلا اجرة له ، لانه قصره لنفسه وان كان قصره قبل ان يغصبه فله الاجرة لانه قصره لصاحبه !

ثم قال له ابو حنيفة : من ظن انه يستغنى عن التعلم فليبك على نفسه .

وكان ابو حنيفة حسن الوجه ، حسن الخلق ، شديد الكرم ، حسن المواساة لاخوانه ، وكان من مرابيع الرجال .

وقيل : كان طويلا تعلوه سمرة ، وكان احسن الناس نطقاً واحلاهم نغمة .

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد : ان ابا حنيفة رأى في المنام كأنه نبش قبر رسول الله ﷺ فبعث من يسأل محمد بن سيرين ، فقال ابن سيرين صاحب هذه الرؤيا يسرد علما لم يسبقه اليه احد قبله .

وقال الشافعي رضي الله عنه : قيل لمالك ارأيت ابا حنيفة ؟ قال : نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته .

وروى حرملة بن يحيى عن الشافعي انه قال : الناس عيال على هؤلاء الخمسة من اراد ان يتخرج في الفقه فهو عيال على ابي حنيفة ، وكان أبو حنيفة وفق له في الفقه ، ومن اراد ان يتخرج من الشعر فهو عيال على زهير بن سلمة. ومن اراد ان يتخرج في المغازي فهو عيال على ابن اسحاق ، ومن اراد ان يتخرج في النحو فهو عيال على الكسائي ، ومن أراد أن يتخرج في التفسير فهو عيال على مقاتل ابن سليمان .

وقال يحيى بن معين : القراءة عندي قراءة حمزة ، والفقه فقه ابي حنيفة على هذا ادركت الناس .

وقال جعفر بن الربيع : اقمت عند ابي حنيفة خمس سنين فما رأيت اطول صمتاً منه ، فاذا سئل عن الفقه فتح فاه وسال كالوادي ، وسمعت له دويا وجهارة بالكلام وكان اماماً في القياس .

قال علي بن عاصم : دخلت على ابي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره فقال للحجام تتبع مواضع البياض ، فقال له الحجام : لا ، فقال : لم ، قال : لانه يكثر ، فقال له ابو حنيفة ، فاذا تتبع مواضع السواد لعله يكثر فحكيت لشريك هذه الحكاية ، فضحك وقال : لو ترك ابو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام .

وقال ابو عبد الله بن رجاء : كان لابي حنيفة جار بالكوفة اسكاف يعمل نهاره اجمع حتى إذا كان الليل رجع إلى منزله وقد اخذ لحماً فطبخه او سمكة

فشواها ، ولا يزال يشرب إلى ان يدب الشراب فيه فينشد ويقول :

اضاعوني وأي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم .

وكان ابو حنيفة كل ليلة يسمع جلبته ، وابو حنيفة يصلي الليل كله ، ففقد ابو حنيفة صوته ، فسأل عنه فقيل له قد اخذه العسس من ليال وهو محبوس فصلى ابو حنيفة صلاة الفجر من الغد وركب بغلته واستأذن على الامير ، فقال الامير : ائذنوا له ان يدخل راكباً ولا ينزل حتى يطأ بساطي ، ففعل ولم يزل الامير يوسع له من مجلسه حتى قال له : ما حاجتك ؟ قال : لي جار اسكاف اخذه العسس منذ ليال ، فليأمر الامير باخراجه ، فقال : نعم هو ومن اخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا ، فامر باطلاقهم اجمعين . فركب ابو حنيفة والاسكاف يمشي وراءه ، فلم يزل ابو حنيفة مصغياً اليه . وقال له يا فتى اضعناك! فقال : لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق . وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه .

قلت هذا البيت الذي انشده الاسكاف المذكور هو من ابيات لعبد الرحمن ابن عمرو بن عثمان بن عفان الاموي العرجي ـ بفتح العين المهملة وسكون الراء وفي آخرها جيم وياء ـ نسبة إلى العرج موضع بين مكة والمدينة ، وهي :

أضاعوني وأي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
وصبري عند معترك المنايا وقد شرعت اسنتها بنحري
اجرر في الجوامع كل يوم فيا لله مظلمتي وقسري
لاني لم اكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتي في آل عمرو
عسى الملك المجيب لمن دعاه سينجيني فيعلم كيف شكري
فأجزي بالكرامة اهل ودي واجزي بالصغارة اهل نكري

وكان سبب عمله لهذه الابيات ان محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان كان والي مكة المشرفة ، وحبس العرجي المذكور

لانه كان يشبب بامه جيدا ، وهي من بني الحارث بن كعب ، ولم يكن ذلك لمحبته اياها ، بل ليفضح ولدها المذكور ، واقام في حبسه تسع سنين ثم مات فيه بعد ان ضربه بالسياط ، واشهره في الاسواق فعمل هذه الابيات وهو في السجن .

وللبيت الاول من هـذه القصيدة المذكورة نادرة ذكرها الحريري في درة الغواص في اوهام الخواص في قوله: ويقولون هو سداد من عوز فيلحنون في فتح السين ، والصواب ان يقال بالكسر .

وقد جاء في اخبار النحويين ان النضر بن شميل المازني استفاد في افادة هذا الحروف ثمانين الف درهم ، وساق خبره وذكر اسناداً انتهى فيه إلى محمد بن ناصح الاهوازي .

قال : حدثني النضر بن شميل قال كنت ادخل على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي ثوب مرقع ، فقال لي : يا نضر ما هـذا التقشف حتى تدخل على امير المؤمنين في هذه الخلقان ، فقلت : يا امير المؤمنين انا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فاتبرد بهذه الخلقان ، فقال : لا ولكنك قشف .

ثم اجرينا الحديث فاجرى هو ذكر النساء ، فقال : حدثنا هشيم عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز ـ فاورده بفتح السين ـ قال فقلت صدق يا امير المؤمنين حدثنا عوف بن ابي جميلة عن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز فاوردته بالكسر .

قال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : يا نظر كيف قلت سداد؟ قلت : لان السداد ها هنا لحن ، قال : اوتلحنني؟ قلت : انما لحن هشيم وكان لحانة وتبع امير المؤمنين لفظه ، قال : فما الفرق بينهما؟ قلت : السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل . والسداد بالكسر البلغة ، وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد .

قال : اوتعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين هذا العرجي يقول :

أضاعوني وأي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون: قبح الله من لا ادب له ، واطرق ملياً ، ثم قال يا نضر ما مالك قلت : اريضة لي بمر واتصأ بها واتمررها ، قال : أفلا نفيدك مالا ، قلت : اني إلى ذلك لمحتاج ، قال : فأخذ القرطاس وانا لا ادري ما ذا يكتب ، ثم قال: كيف تقول إذا امرت ان تترب ، قلت : اترب ، قال : فهو ما ذا ، قلت : فهو مترب قال : فمن الطين ؟ قلت : طينة ، قال : فهو ما ذا ؟ قلت : فهو مطين ، قال : فهذه احسن من الاولى ، ثم قال . يا غلام اتربه وطينه . ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه تبلغ معه إلى الفضل بن سهل الوزير ، قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر ان امير المؤمنين قد امر لك بخمسين الف درهم ، فما كان السبب فيه ؟ فاخبرته ولم اكذبه ، فقال . لحنت امير المؤمنين ؟ فقلت لا انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع امير المؤمنين لفظه وقد تبع الفاظ الفقهاء ورواة الآثار ، ثم امر لي الفضل ايضاً بثلاثين الف درهم فاخذت ثمانين الف درهم بحرف استفيد مني .

قلت . رحم الله ذلك الزمان واهله .

﴿ ولنرجع إلى ترجمة ابي حنيفة النعمان ﴾

قال ابن المبارك . رأيت ابا حنيفة في طريق مكة وقد شوى لاصحابه فصيلا فاشتهوا أن يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئاً يصبوا فيه الخل فتحيروا ، فرأيت اباحنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فاكلوا الشوي بالخل ، فقال له اصحابه تحسن كل شيء ! فقال لهم عليكم بالشكر فان هذا شيء الهمته لكم فضلا من الله عليكم .

وحكى الحسن بن زياد قال . دفن رجل مالا في موضع ثم نسي اي موضع دفنه فيه ، ولم يقع عليه فجاء إلى ابي حنيفة وشكى اليه فقال له ابو حنيفة ليس هذا

من فقهنا فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليل إلى الصباح فانك ستذكر أي موضع دفنته فيه ، ففعل الرجل ولم يصلي إلا اقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع ، فجاء إلى ابي حنيفة فاخبره ، فقال قد علمت ان الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك ، فهلا اتممت ليلتك شكراً لله !

وقال اسيد بن عمر صلى ابو حنيفة فيما احفظ صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء اربعين سنة .

وكان اغلب لياليه يقرأ القرآن في ركعة واحدة . وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه .

وختم القرآن في الموضع الذي توفى فيه سبعة آلاف مرة .

ومناقبه وفضائله كثيرة اقتصرت منها على هذه النبذة اليسيرة وقد ذكرها ابن خلكان في تاريخه ، وقال فمثل هذا الامام لا يشك في دينه وورعه وتحفظه ولم يعب بشيء سوى قلة العربية .

فمن ذلك ما روى ان ابا عمرو بن العلا المعرى النحوى سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود ام لا؟ فقال لا كما هو مذهبه خلافا للامام الشافعي، فقال ابو عمرو ولو قتله بحجر المنجنيق ؟ فقال ولو بأبا قبيس - يعني الجبل المطل على مكة - .

وقد اعتذروا عن ابي حنيفة بانه قال ذلك على لغة من يقول ان الكلمات الست المعربة بالحروف وهي (ابوك واخوك وحموك وفوك وهنوك وذو مال) ان اعرابها يكون في الاحوال الثلاثة بالالف ، وأنشدوا على ذلك :

ان أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

وكانت ولادة ابي حنيفة سنة ثمانين للهجرة ، وقيل : سنة احدى وستين ، والاول اصح .

وتوفى في رجب ، وقيل في شعبان سنة خمسين ومائة وقيل لاحدي عشرة ليلة خلت من جمادي الاولى من السنة المذكورة ، وقيل سنة احدى وخمسين ومائة .

وقيل ثلاث وخمسين ، والاول اصح . وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلي القضاء فلم يفعل ، وهذا هو الصحيح . وقيل انه لم يمت في السجن .

وقيل انه توفى في اليوم الذي ولد فيه الامام الشافعي ودفن بمقبرة الخيزران وقبره هناك مشهور .

وزوطا ـ بضم الزاي وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعدها الف مقصورة هو اسم نبطي .

وكابل ـ بفتح الكاف وضم الباء الموحدة بعدها لام ـ هي ناحية معروفة من بلاد الهند ينسب اليها جماعة من العلماء وغيرهم ، وبابل والانبار معروفان ، والله سبحانه اعلم واحكم .

(من فتح القدير) ومن المأثور من حديث عوف بن مالك رضى الله عنه قال صليت مع رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه لصاحب تلك الجنازة : (اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه واكرم منزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله داراً خيراً من داره واهلا خيراً من اهله وزوجاً خيراً من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر وعذاب النار) .

قال عوف: فتمنيت ان اكون أنا ذلك الميت! رواه مسلم والترمذي والنسائى

﴿ ترجمة صالح بن محمد بن حسين بن عثمان الخالدى عقيد بنى خالد ﴾

غزا شمراً سنة الف ومائة وثلاث ، فنهب اموالهم ، وقتل رجالهم ، ثم انهم انذروه بعد ذلك ، فلم يلتفت إلى قولهم ، فاجتمعوا بقبائلهم وغاروا على بنى خالد واستولوا على جمهم ، ففر صالح بنفسه واسروا أخاه عبد العزيز فطلبوا فداءه ثلاثين فرساً بسروج مذهبة ، وثلاثين فرساً بسروج غير مذهبة ، وثلاثين عبداً وثلاثين جارية ، والف وخمسمائة ناقة ، وعشرة آلاف احمر ذهباً وحملين فضة

وغشرة آلاف شاة ومائة بندقة ومائة وسبعا وثلاثين درعا ، ومن البر والارز مقدار نصف المذكور ، هذا وقد كان قيل لعبد العزيز المذكور انك لو دخلت على احدنا مستجيراً لخلصك من كل هذا ، فقال : لا اسم قومي بالعار ، والبسهم الشنار فيقال علي انه دخل خوفا من القتل او من عطاء المال ثم ان بني عمه وقبيلته اجتمعوا وادوا عنه جميع ذلك واطلقوه .

لجمال العارفين الشيخ محي الدين بن العربي قدس الله سره .

مرضي من مريضة الاجفان	عللاني بذكرها عللاني
شجت الورق في الرياض وناحت	شجو هـذا الحمام مما شجاني
يا طلولا برامـة دارسات	كم حوت من كواعب وحسان
بابي ثم بي غزال ربيب	يرتق بين اضلعي في امان
ما عليه من نارها فهو نور	وكذا النور محمد النيران
بأبي طفلة لعوب تهادى	من بنات الخدور بين الغواني
طلعت في العيان شمساً فلما	افلت اشرقت بافق جناني
يا خليلي عرجا بعناني	لارى رسم دارها بعياني
فاذا مابلغتما الدار حطا	وبها صاحباي فليبكياني
وقفا بي على الطول قليلا	اتباكى وابك مما دهاني
الهوى راشق بغير سهام	الهوى قاتلي بغير سنان
عرفاني إذا بكيت لديهـا	تسعداني على البكا تسعداني
واذكرا لي حديث هند ولبنى	وسليمى وزينب وعنان
ثم زيدا عن حاجر وزرود	خبراً عن مراتع الغزلان
طال شوقي لطفلة ذات نثر	ونظام ومنبر وبيان
من بنات الملوك من دار فرس	من اجل البلاد من اصفهان
هي بنت العراق بنت امامي	وانا ضدها سهيل يماني

لو تراني برامة نتعاطى اكؤساً للهوى بغير بنان
والهوى بيننا يسوق حديثاً طيباً مطربا بغير لسان
لرأيتم ما يذهل العقل فيه يمن والشآم مجتمعان
كذب الشاعر الذي قال قبلي وباحجار عقله قد رماني
ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استهلت وسهيل إذا استهل يماني

قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) هذه الآية حكم تلك الآية التي نسخ لفظها وبقي معناها وهي (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) .

ذكر الزمخشري في الكشاف عن ابي ذر قال: قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب ، قلت : ثلاثاً وسبعين آية . قال : فو الذي يحلف به ابي انها لتعدل سورة البقرة واطول ولقد قرأنا منها آية الرجم وهي : (الشيخ والشيخة) الخ . . . أراد أبي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن .

قال الزمخشري : فان قلت ان اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله تعالى الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن مع ان المحصن مأمور عليه بالرجم .

قلت: الزانية والزاني يدلان على الجنسين العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك والشيخ والشيخة قراءة شاذة .

﴿ ترجمة الشيخ شرف المدرسين عبد الرحمن بن وجيه الدين عيسى بن مرشد العمري نسباً ، الحنفي مذهباً ﴾

قال أديب العصر في سلافة العصر: هو علامة القطر الحجازي ومفتيه ومولى

معروف المعارف ومؤتيه وبحر العلم الذى لايدرك ساحله وبره الذى لا تطوى مراحله اشرقت في سماء الفضائل ذكاء ذكائه وخرس به ناطق الجهل بعد تصديته ومكائه فاصبح وهو للعلم والجهل مثبت وماحق وسبق الى غايات الفضل ومالاوجيه لاحق طار صيته في الآفاق وانعقد على فضله الوفاق وانتهت اليه رياسة العلم بالبلد الامين ، فتصدر وهو منتجم الوافدين والآمين . منه تقتبس انواع الفنون وعنه تؤخذ احكام المفروض والمسنون ، تشد الرحال إلى لقائه ، ويستنشق ارج الفضل من تلقائه .

وتصانيفه في اقسام العلوم صنوف ، وتآليفه في مسامع الدهر اقراط وشنوف ان نثر فما ازاهر الرياض غب المزن الهاطل ، او نظم فما جواهر العقود تحلت به الغيد العواطل ، وها انا أقص عليك من خبره ما يزدهيك وشي حبره ، واتلو عليك من تفصيل حاله ما يروقك خصبه ، وتأسف على محاله ثم اثبت من منظومه بعد منثوره ما يطرب الاسماع بحسن مأثوره .

﴿ فصل في ذكر انتقال جده من شيراز إلى الحجاز وتوطنه بمكة المشرفة ﴾
(على الحقيقة لا المجاز ، وخبر ابتداء امر الشيخ المشار اليه وذكر)
(من اخذ عنه وقرأ عليه)

﴿ فصل ﴾

ورأيت في بعض التذاكير ما نصه ، انه قدم جده الشيخ مرشد إلى مكة المشرفة من بلدة شيراز في حدود الثلاثين وتسعمائة ، وكان وروده اليها بعد ان وصل إلى الديار الرومية ، وخدم سلطانها الاعظم يومئذ ببعض مؤلفاته ، ثم استوطن مكة المشرفة متصديا للتأليف والتدريس مع الانقطاع للعبادة والف حاشية على تفسير البيضاوي لم تتم ، بل بقيت مسودة .

وله عدة تعاليق وشروح وحواشي ورسائل ، وتفرقت كتبه إلى الآفاق بأيدي تلامذته لصغر اولاده ، وكان اصغرهم والد صاحب الترجمة الشيخ عيسى .
فحفظ القرآن واستقل ، وكتب الخط الحسن ، وصار المشار اليه فيه وجميع ما على ابواب المسجد الحرام ، والمدارس السلطانية المظام من الآيات والطرازات بخط المشار اليه . تأهل في حدود سنة اربع وسبعين وتسعمائة .

وولد صاحب الترجمة ليلة الجمعة خامس جمادي الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن المظيم وقرأ به في المسجد الحرام اماما وحفظ الالفية والاربعين الحديث النووية وكنز الدقائق إلا القليل منه والجزرية والشاطبية وقطعة من منظومة التلخيص للجلال السيوطي ، وغير ذلك وشرع في الاشتغال في حدود تسع وثمانين وتسعمائة ولازم الشيخ عبدالرحمن بن حسان وقرأ عليه الجرومية وشرحها للفاكهي ، ومقدمة الشيخ محمد الحطاب ، وشرح القواعد الصغرى للشيخ خالدالازهري ، وشرح القطر للمصنف ، وقطعة من الالفية ، والمنهل الصافي للدماميني ، ما عدا شيئاً يسيراً منه ، وشرح التصريف للسعد التفتازانى مع حاشيته ، وفي علم الفقه منية المصلي وربع العبادات من شرح النقاية ، وقطعة من شرح الكنز للعيني .

وأخذ عن القاضي علي بن جار الله بن ظهيرة الحنفي الفقه والفرائض وقطعة من شرح المنار ، وشرح النخبة لابن حجر العسقلاني في دراية الحديث وشرح السراجية في الفرائض لمير باد شاه الحنفي .

وقرأ على الملاعبد الله السندي آداب البحث ، واخذ علم العروض على الشيخ محمد بن علي الركروك الجزائري وقرأعليه شرح السيد الغرناطي على الخزرجيه فأجازه اياه مع رواية الصحيحين والشفاء .

وروي صحيح البخاري مع الامام شمس الدين محمد الرملي الشافعي واجازه المذكورون وغيرهم وولي مدرسة المرحوم محمد باشا في حدود تسع وتسعين وتسعمائة

فدرس بها صحيح البخاري واملى عليه شرحا بلغ فيه إلى باب رفع العلم، وظهور الجهل فعزل عنها ووليها مدرسها السابق ونظم منظومة في علم التصريف عدتها خمسمائة بيت من بحر الرجز وشرحها شرحا مستوفى ، وشرح كتاب الوافي في علم العروض والقوافي ، وألف رسالة متعلقة بمنازل القمر موسومة بـ (مناهل السمر) وشرحها. وكتب على آية الكرسي رسالة ، وكتب قطعة على الخزرجية .

وولي التدريس سنة خمس بعد الألف ، فدرس به في اوائل ربيع الثاني من السنة المذكورة ، وشرع في كتابة شرح على كنز الدقائق مجرد عن نقل الخلاف غير المذهب ، فشرح كتاب النكاح والرضاع ، وكتاب الحج منه بديباجة مستقلة فصار كتابا مفيداً في المناسك ، وذلك في سنة ثمان بعد الألف ، وافتى بعد موت شيخه القاضي علي بن جار الله على مذهب ابي حنيفة ، وانتهت اليه الفتوى بالديار المكية ، انتهى .

وقرأت في اجازته للشيخ العلامة شهاب الدين احمد المقرى الاندلسي ما نصه كان مولدى بمكة المشرفة ليلة الجمعة لخمس من جمادى الاولى سنة خمس وسبعين فلقبت بشرف المدرسين ، وهو تاريخ عام ولادتى المذكورة على ما جرت به عادة المشارقة من ضبط تواريخ المواليد ، والوقائع بلفظ يكون عدد حروفه بحساب الجمل مطابقاً لعدد ذلك العام ، ثم شرعت في الاشتغال على علماء الحرم ، ومن يفد اليه من عرب وعجم ، بعد ان حفظت القرآن العظيم وصليت به التراويح إماماً بالمسجد الحرام سنين عديدة وحفظت متوناً عديدة في فنون مفيدة اجزت بها عند عرضها على المشايخ ثم قلدت تدريس مدرسة الوزير محمد باشا التي بمكة المشرفة في عام تسع وتسعين وتسعمائة فدرست بها الجامع الصحيح للبخاري وامليت عليه شرحا مفيداً إلى كتاب العلم وصنفت في عام الف منظومتي التي في الصرف حتى قلت في آخرها:

فهاك نظما شافياً في الصرف ألف في مكة عام ألف

ثم اشتغلت بالتدريس والتأليف إلى ان قلدت الامر الخطير ، والشأن الذي

لو لا الرجاء لعفو الله لكنت على وحل كبير ، وهو القيام باعباء الفتوى في سنة احدى عشرة بعد الالف وهي سنة وفاة شيخنا الامام شيخ مشايخ الاسلام الشيخ علي بن جار الله بن ظهيره الحنفي مفتي مكة وابن مفتيها فباشرته حسبة إلى الله سنة عشرين بعد الالف ، فقلدت الافتاء السلطاني وخدمت الامامة والخطابة بالمسجد الحرام ، ثم قلدت في سنة سبع وعشرين بعد الالف تدريس المدرسة السليمانية فاقرأت فيها تفسير البيضاوي مع حاشية جدي الشيخ مرشد المصري ، وكنت في ايام الشباب وخلو الروع من الاوصاب ، ربما تعلقت باهداب الشعر فلي فيه قصائد ومقاطيع ومراسلة منظومة واجوبة كذلك بحسب مايراد من ذلك النوع واخوانيات ومداعبات والغاز ومعميات ومعارضات ، وقد امتدحت شريف مكة وحامي حماها الحسن بن ابي نمي بن بركات بقصيدة عارضت بها قصيدة ابن هانيء المغربي التي مطلعها :

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر   وامدكم فلق الصباح المسفر

وامتدحت ابنه الشريف مسعود بقصيدة ذات تواريخ ستة مشجرة في ابياتها على اسلوب عنوان الشرف لابن المقري ، فلما تقلدت القيام بالفتيا اشغلني ذلك عن سلوك هذه المسالك ، وانشدت قول المقري :

بعين الشعر ابصرني اناس   فلما ساءني اخرجت عينه

خروجا بعد راه فهو راء   فصار الشعر مني الشرع عينه

اللهم إلا ما يستدعيه الحال من اجوبة على ما يرد علي من رسائل الاخوان مشتملة على نظم قلائد العقيان فتقتضي المشاكلة والموافقة في المراسلة ، فلي اجوبة عما ورد إلي من علماء الافاق مما يستدعيه الوفاق ، وقد اجتمع عندي من ذلك شيء كثير ضمن سفر كبير .

ولي ديوان خطب لاني منذ تقلدت الخطابة لم ازل انشيء في كل نوبة خطبة تناسب الوقت ، فاجتمع عندي من ذلك في نحو عشرين سنة ما يناهز الستين إنتهى ما أردت

نقله من كلامه في اجازته المذكورة وعد من مصنفاته فيها الفتح القدسي تفسير آية الكرسي وتعميم الفائدة تفسير سورة المائدة وهي رسالة وقع الكلام فيها على معنى قول الجلال السيوطي عند تفسير قوله تعالى (لله ملك السموات الارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير) ومنه اثابة الطائع وتعذيب العاصي ، وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر .

ومنها شرح صحيح البخارى المقدم ذكره ، وشرح مناسك الكنز المسمى بفتح مسالك الرمز .

ومنها رسالة تتعلق بالوقف مسماة بوقوف الامام المصنف عند كلام الامام ابي يوسف ألفها لما وقع الخلاف بينه وبين بعض المعتين في مسئلة تتعلق بالاوقاف

ومنها المنظومة في علم التصريف المسماة بترصيف التصريف وشرحها الموسوم بالشرح اللطيف .

ومنها الوافي شرح الكافي في العروض والقوافي .

ومنها شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، للجلال السيوطي شرحاً مزجا بشرح مطول ، يكاد يزيد على المطول .

ومنها رسالة منظومة فى منازل القمر وشرحها عليها موسوم بمناهل السمر .

ومنها كتاب يتعلق بالشهور والايام ، وما يناسب ذلك من مباحث وكلام له بكل علم تعلق والمام مسمى ببراعة الاستهلال فيما يتعلق بالشهر والهلال .

ومنها ولم يذكره شرح الفية الجلال السيوطي والاشعار بما لقائله من الانشاء والاشعار والله اعلم .

ولم يزل ممتطياً صهوة العز المكين راقيا ذروة طود الجاه الركين ، لا يقاس به قرين ولاتطأ اسود الشرى له عرين ، إلى ان تولى الشريف احمد بن عبد المطلب مكة المشرفة ، ورفل في حلل ولايتها المفوفة .

وكان في نفسه من الشيخ المشار اليه ضغن حل بصميم مهجته ، وما ظعن فاس

اولا بنهب داره ، وخفض محله ومقداره ، ثم قبض عليه قبض المعتمد على ابن عمار وجزاه الدهر على يديه جزاء سنمار ، إلا ان المعتمد أغص ابن عمار بالحسام الابيض وهذا طوقه هلالا افتر ، من انامل عبد اسود ، فجرعه كأس الموت الاحمر .

وقد كان ابقاه في محبسه إلى ليلة عرفة ، ثم خشي ان يسعى في خلاصه من اكابر الروم من عرفه ، فوجه اليه بزنجي اشوه خلق الله خلقاً وتقدم اليه بقتله في تلك الليلة خنقاً ، فامتثل امره فيه ، وجلله من برد الهلاك بضافيه ، فاقفرت لموته المدارس واصبحت ربوع الفضل وهي دوارس ، وذلك في عام سبع وثلاثين والف .

ومن الاتفاقات : ان الشريف المذكور قتل هذه القتلة بعينها ، حين تقاضت منه الليالي ما اسلفته من دينها ، وفي الاثر كما تدين تدان ، وهذا حال الدهر مع كل قاص ودان .

فصل

وهـذا حين أثبت نثره الباهر ، ونظمه المزري بعقود الجواهر ما تستلذه المسامع ويطرب له الناظر ، والسامع ، فمن نثره البديع ما كتبه إلى شيخ الاسلام محمد بن سعد الدين المفتي بقسطنطينية : يقبل الارض التي تتمنى الشمس ان لو حظيت منها بالقبل ، وبدلتها بدرجة شرفها في الحمل ، ارضاً تقاعست عنها الافلاك ارضاً ترافعت على الفرقدين والسماك ، ارضاً تحيط بها الاعاظم احاطة الهالة بالقمر ارضاً تنيط بها الافاخم ما يختص به كل من نهى وامر ، ارضاً اعد التضمخ بثراها طيبي ، وارى التخلق ببراها اعز سهم من نصيبي ، ارضاً تنافس حصباؤها الدراري ارضاً ينافح شذاها المسك الداري ، ارضاً تمشت فيـه اقدام تستقل الثريا موطئاً ومرقى ، وتجل ان ترى بينها وبين السهى في العلياء فرقا ، ارضاً مقبلة بشفاه الاعاظم ، مبجلة بشفاه الافاخم ، بها تشيد بنيان المعالي ، بها تأيد ايوان الاعالي بها اكتحلت الحاظ الموالي ، بها افتخر الثرى على الاثير العالي . ولا بدع اذهي ممشى

اسيد كرع من معين الفضل سلسبيله ، واوضح لمفترع هضاب الفرع دليله .

واصبح كماله موقى من المين والعيب ، فلا مجال لعين الرضى عن كل عيب اعلم من قضى وافتى ، افضل من باشر التدريس والافتا ، اكثر العلماء علماً ، اغزر مشايخ الاسلام فهما ، اجمع ارباب العلوم رواية ، اوسع اصحاب الفهوم دراية ، ارفع اهل النصوص راية ، ابرع اولى الخصوص آية .

ابن الاثير دونه في الاثر ، ومسلم مسلم له صحة الخبر ، من سد على ابن الجوزي طريق المجاز ، وفتح على ابن معين باب الاعواز ، وتواتر خبر فضله وعرف حديث بيته القديم ، ولم يكن غريباً في اهله ، واعترف له ابن كثير بقلة الجمع .

وقال الفخر لمعقوله ، ما انت وادلة السمع ، وتطامن ابن الحاجب لشرف اصله ومنى القطب بالقطوب عند بيان جنسه وفصله ، واصبح النظام لديه مجدلا ، وكان الانسان اكثر شيء جدلا . وابن مالك عنه اكتسب تلك الملكة في العربية .

واقر ابن عصفور انه ليست له حوصلة على هذه الفنون الادبية واضحى به مذهب النعمان منصوراً ، ونصر الايمان عليه مقصوراً ، واناط به ملك الربع المسكون مهمات الدين والدنيا ، وابان فيهما عن الباع الاطول واليد العليا ، وصارت اعتابه العليه ، لذوي الفضائل قبله ، وابوابه السنية ، مترافعة عن ان يحظى النجم منها بقبله ، ما قصدها قاصد من مشارق الارض ومغاربها ، إلا ونال اقصى مرام نفسه ومطالبها ، ولا انتسب اليه منتسب إلا ارتفع قدره على الفلك .

فكان دليلا على افضلية خواص البشر على خواص الملك ، سيدنا ومولانا وسندنا ومقتدانا ، وعمدتنا وملجأنا ، شيخ الاسلام ومفتي الانام ، مولانا محمد افندي ابن سعد الدين لا زال مؤيداً به الشرع المبين ، ولا برح الاسلام به مؤيد الحجج والبراهين ، والايمان مسدد الادلة والتبيين ، وينهى إلى حضرته التي هي الغاية القصوى للآمل ، ونهاية الرجوى لكل عالم وعامل ، بعد اهداء سلام عبق الاكوان عنبره وريحه ، ونبت في الارجاء الحرمية عبهره وشيحه ، مع دعاء ترفعه

الملائكة من مواطن الاجابة ، وتثبته في دواوين الدعوات المستجابة ، البقاء على صدق الخلوص في الانتساب إلى ذلك المقام العالي ، الذي هو عند اولي الالباب من اعظم المفاخر والمعالي .

ولعمري لهو الشرف الاقعس والمجد الانفس ، فنسأل الله ان يبقيه على رؤسنا تاجاً ، ولنفوسنا طريقاً إلى الخير ومنهاجاً .

هـذا وقد ورد الـكتاب الـكريم ، والخطاب الوسيم ، فتشرفنا بوصوله وتزينت حلالنا بحلوله ، واتخذناه خوذة من سطوات الدهر ، وعوذة من تسلطات القهر ، وقر الناظر وصوله ، وسر الخاطر حلوله ، كيف لا وقد تضمن المراد والمرام والانعام بمناصب الافتاء والخطابة والامامة بالمسجد الحرام ، لا زالت منن مولانا في اعناق الانام ، هي الاطواق والباس الحمام ، إلى غير ذلك والسلام .

ومن خطبه هذه الخطبة التي انشأها لعقد جدي السيد الامير محمد معصوم ببنت عمه السيد الامير نصير الدين حسين رحمهم الله تعالى : الحمد لله الذي بعث محمد المعصوم بالدين القيم والشريعة القاطعة ، وجعل ملته لسائر الملل عن ارتضاع ثدي البقاء فاطمة ، احمده على ان اقام باحمد نظام الدين ، فزاده تعظيما وتشريفاً ، واوحى اليه في الـكتاب المبين ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً ، واشكره على ان اذهب عن اهل بيته الرجس وطهرهم تطهيرا ، وتولى نصره على الاعداء ، وكفى بالله ولياً ، وكفى بالله نصيرا ، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تطيب بها النفس وتقر بها العين واشهد ان مولانا وسيدنا محمداً عبده ورسوله المجعول ذريتهمن نسل الحسن والحسين صلى الله وسلم عليه وعلى آله الذين من تمسك بولائهم فقد ازدلف إلى الله قربا وعمل بمضمون (قل لا اسألـكم عليه اجراً إلا المودة في القربى) وعلى اصحابه الذين دلت سورة الفتح على مناقبهم ، وفلت الانجم عن بلوغ شأوهم ومراتبهم ، صلاة وسلاما يتقارنان تقارن الايجاب والقبول ، ويتواردان عليه مع نسائم الصبا والقبول .

وبعد : فان العنصر النبوي لا يزال طاهر النمو طاهر الانما ، كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما ، ناهيك بنتيجة مقدمتاها الوصي والبتول ، فلا غرو ان زكت الفروع لزكاء هاتيك الاصول ، فمن ثم وجب ان تصرف الهمم العليه إلى تكثير فروعها وثمارها وتوجه الشيم الابية إلى تقريرها واستقرارها ، وذلك بالنكاح الذي تحفظ به الانساب ، ويكون لبقائها من أتم العلل واقوى الاسباب .

كيف وقد نطق الكتاب العزيز بمشروعيته ، ودلت الاحاديث النبوية على سنيته . قال الله تعالى علواً وقدراً : (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً) . وقال تعالى مهنئا لعباده بهذه النعمة (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

وقال تعالى وهو اعز قائل (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) .

وقال صلى الله عليه وآله مبيناً عنه لهذه الامة : التزويج بركة والولد رحمة .

وقال صلى الله عليه وآله معرضاً بما لم يكن بشأنه معنى النكاح فمن رغب عن سنتي فليس مني .

وقال صلى الله عليه وآله منفراً عن العزبية والايامة : تناكحوا تناسلوا تكثروا فأني مباه بكم الامم يوم القيامة .

وقال صلى الله عليه وآله مبيناً الاقتداء به والانسا : حبب إلي من دنياكم الطيب والنسا

وقال صلى الله عليه وآله : يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج .

وفضل صلى الله عليه وآله الابكار على غيرهن بكثير ، فقال : تزوجوا الابكار فانهن اعذب افواها واشق ارحاما وارضى باليسير .

وعاتب صلى الله عليه وآله جاراً حيث لم يكن على النكاح يثابر ، هلا بكر تلاعبها وتلاعبك يا جابر .

والاخبار الواردة في فضله كثيرة وهي في مظانها معروفة وشهيرة ، وفيما اورذناه من ذلك كفاية ومقنع ، سيما من كان بمرأى من الاصغاء ومسمع ، ولما ذكرناه من فضائله وسردنا من براهينه ودلائله مال إلى التحلي بعقوده ، والتجلي في موشيات بروده ، السيد السند الاوحد الاصيل المعتمد الجليل الامجد ، خلاصة الصدور الاجلاء الاكابر ، سلالة السادة الاعزاء ذوي المفاخر المتفرع من دوحة السيادة ، المترعرع في روضة السعادة ، ذي الفضائل العديدة والشمائل الحميدة المقتفي آثار اسلافه الكرام ، المرتقي بهمته العلية إلى اشرف مقام السيد محمد معصوم ابن السيد الصدر الاجل الكبير ، ذي القدر الاشم الخطير فخر السادة الذين تجملت بهم المحافل والمجالس ، وتكملت بهم الصدور والمدارس ، ونظموا بجيد الوجود عقود فوائدهم ، ونثروا على بساط المناظرة جواهر فرائدهم ، واحيوا مآثر علوم الاوائل ، وأقاموا على المطالب العلية مسلمات البراهين والدلائل ،وسارت مصنفاتهم في سائر الآفاق ، وأذعن لهم بالتسليم اهل الخلاف والوفاق :

جمال ذا العصر كانوا في الحياة وهم   بعد الممات جمال الكتب والسير

الامام العالم العلامة الهمام الكامل الفهامة ناشر لواء التحقيق جامع معاني التصوير والتصديق ، السيد الاعظم الامجد مولانا السيد نظام الدين احمد سقى الله ضريحه شآبيب الرحمة واسكنه الفراديس مع آبائه الائمة ، فرغب في نكاح مخطوبته الحرة الطاهرة المصونة الدرة الفاخرة الثمينة ، ذات الجناب الرفيع ، والحجاب الضافي المنيع ، السيدة الجليلة المثيلة الاصيلة ، العفيفة المصينة ، المتفرعة من دوحة السيادة والسلطنة ، المتربية في مهود العقل والصيانة ، الموفية بعهود الاتصاف بالديانة الشريفة فاطمة ابنة سيدنا ومولانا السيد الذي انعقد على جلالته الاجماع ، واعترف له بالتقدم في ميدان الفضائل بلا نزاع ، كشاف مشكلات المسائل ، حلال معضلات الدلائل ، اللامعة اساريره بانوار التنزيل الجامعة تقاريره لآثار التأويل المعترف بالعجز عن مداركه العلماء الجهابذة ، المغترف من بحار فوائده الاساتذة ، فضلا

عن التلامذة ، الجامع بين شرفي العلم والنسب ، الحائز لفضيلتي المجد الموروث والمكتسب :

علامة العلماء واللجج الذي لا ينتهي ولكل لج ساحل

سيد العلماء المحققين ، سند الفضلاء المدققين ، جامع المعقول والمنقول ، مستنبط الفروع والاصول ، قطب دوائر التحقيق ، صدر صدور المدرسين ، فخر السادة الصلحاء المقدسين ، مولانا السيد نصير الدين حسين ، لا زال بالنظر إلى وجه ربه قرير العين ، وصان ابنته المشار اليها ، واسبل ستر الصيانة والديانة عليها ، وذلك على سنة الله ورسوله ومهر قدره ، والمقدم ما وقع التراضي عليه ، مما المقام في غنى عن الاشارة اليه .

ومن احسن شعره قوله مادحاً سلطان مكة المشرفة الحسن بن ابى نمى بن بركات ، وابنه الشريف ابا طالب ومهنياً لها بالظفر الثانى منهما باهل شمر ، وهو جبل بنجد وعارض بهذه القصيدة ، كما زعم قصيدة محمد بن هانىء المغربى الآتي ذكرها :

نقع العجاج لدي هياج العثير اذكى لدنيا من دخان العنبر
وصليل تجريد الحسام ووقعه في الهام اشدى نغمة من جؤذر
وسنا الاسنة لامعاً في قسطل اسنى واسمى من محيا مسفر
وتسربل في سابغات مزرد ابهى علينا من قباء عبقري
وتتوج بقوانس مصقولة ازهى علينا من سدوس اخضر
وكذاك صهوة سابح ومطهم اشهى الينا من اريكة احور
ولقا الكمي مدرعا في مغفر كلقا الغرير بمقنع وبمخمر
ألفت اسنتنا الولوع بمنهل علقت به علق النجيع الاحمر
وسيوفنا هجرت جوار غمودها شوقا لها من كل اصيد اصعر

فتخاله لما تجرد عندما ، هاج القتام بوارقا بكنهور
وصهيل جرد الخيل خيل كأنه زعد يزمجر في الجدى المتمنجر
ودم العدا متقاطراً متدافقاً كالوبل كالسيل الجراف الجور
ورؤسهم تجرى به كجنادل قذفت بها موج السيول الهمر
غشيتهم في العام منا فرقة تركت فريقهم كسبسب اقفر
اودتهم قتلا واجلتهم إلى ان حطم الخطى ظهر المدبر
تركت صحاراهم موائد ضمنت اشلاء كل مسود وغضنفر
ودعت ضيوف الوحش تقريها عا افنى المهند والوشيج السمهرى
فاجابها من كل غيل زمرة تحدو مثار عملس او قسور
واظلها ظلل تشاص سحابها المركوم اجنحة البزاة الانسر
فبراثن الآساد تضبث في الكلى ومخالب العقبان تنشب في المرى
شكرت صنيع المشرفية والقنا إذ لم تضفها الهبر غير مهبر
فغدت قبورهم بطون الوحش منها يبعثون إذا دعوا للمحشر
وخلت ديارهم واقوى ربعهم وسرى السري مشمراً عن شمر
انفت من استقصاء قتل شريدهم كيما يخبر قائلا من مخبر
فثنت اعنة خيلنا اجيادها عن قتل كل مزند وحزور
حتى إذا حان القطاف ليانع من ارؤس تركت ولما تؤبر
عصفت بها ريح المنون فالقحت وتحركت برعازع من صرصر
فدعت سراة كماتنا لقطافها بأنامل القصب الاصم الاسمر
فتجهزت لحصادها في فيلق لو يسبحون بزاخر لم يزخر
ملأ تتوق إلى الكفاح نفوسهم توقانها للقا الرداح المعصر
يغشون ابطال الوطيس بواسما كالليث ان يلق الفريسة يكشر
وتخالهم فوق الجياد لوابسا سدا يعورمن الحديد الاخضر

فاذاهم ازدحموا بجزع وانثنوا … اوري زناد دروعهم ناراً تري

جيش طلائعه الاوابد ان تصخ … لو حيه من قيد شهر تنفر

يقتاده الملك المنيخ كأنه … بين العوالي ضيغم في مزأر

ملك تدرع بالبسالة فاغتنى … يوم الوغا عن سابغ وسنور

ملك تتوج بالمهابة فاكتفى … عند الطعان لقرنه عن مغفر

ملك تذكرنا مواقع عضبه … في الهام وقعة جده في خيبر

ملك إذا ما جال يوم كريهة … لم تلق غير مجدل ومعفر

ملك يجهز من جحافل رأيه … قبل الوتيمة جحفلا لم ينظر

ملك تسنم ذروة المجد التي … من دونها المريخ بل والمشتري

ملك نداه البحر إلا انه … عذب أهذا البحر نهر الكوثر

ملك إذا ماجاد حدث مسنداً … عن جوده جود الغمام الممطر

ملك علا قدراً فكنته العلى … بأبي علي فهو اعلى مفخر

ملك سما عن ان اصرح باسمه … لسموه عن كل وصف مشعر

ملك قفا سفناً سنياً سنه … للمجد والده الزكي العنصر

الاشرف الشهم الذي خضعت له … شم الانوف وكل جحجاح سري

الافضل السند الذي بجنابه … لاذ الغطارفة الاولى من حمير

الاكمل الندب الذي اوصافه … أنست سما الوضاح وابن المنذر

الاكرم المفضال من احسانه … اربى على كسرى الملوك وقيصر

ذو الهمة العليا الذي قد نال ما … عنه تقصر همة الاسكندر

شرفاً تقاعست الكواكب دونه … لو لم تمد بنوره لم تزهر

هبها بمنطقة البروج مقرها … أمنا هز هذا بنوة حيدر

كلا فكيف بمن حواها جامعاً … نسباً سما بأبوة المدثر

اعظم بها من نسبة نبوية … علوية تنمى لاصل اطهر

قد شرفت بدأ بأشرف مرسل ونهاية بالسيد الحسن السري
فخر الخلائق درة التاج الذي بسواه هام ذوي العلى لم تفخر
بشر ولكن في صفات ملائك جليت لنا اخلاقه فاستبصر
لم تلقه يومي وغى وعطا سوى طلق المحيا في حلى المستبشر
يلقى العفاة وقد تلألأ وجهه بسنا السرور وذاك انضر منظر
يعفو عن الذنب العظيم مجازيا جانيه بالحسنى كان لم يوزر
ياسيد السادات دونك مدحة نفحت بعرف من ثناك معطر
قد فصلت بلآلىء المدح التي وقف ابن اوس دونها والبحتري
وافتك ترفل في برود بلاغة وبراعة ببرود صنعا تزدري
صاغت حلاها فكرة قدصانها شمم الاباء عن امتداح مقصر
ما شانها نظم القريض تكسباً لولا مقامك ذو العلى لم تشعر
ما شانها إلا اكتساب فضائل تغنيه عن شرف العظام النخر
فوردت منهلها الروي فلم اجد احداً فنلت صفاه غير مكدر
فنهلت منه وعلي بنميره وطففت وارده ولما اصدر
وطففت فيه غائصاً للآلىء في غير نظم مديحكم لم تنثر
لا تدعى العليا رضيع لبانها ان كنت في تلك المقالة مفترى
خذها عقيلة كسر خدر فصاحة سفرت نقابا عن محيا مسفر
جمعت بلاغة منطق الاعراب مع حسن البيان ورقة المستحضر
لو سامها قس لما سمعت له بعكاظ يوما خطبة في منبر
شرفت على من عارضته بمدح من اضحى القريض به كعقد جوهرى
فاستجلها وافت تهني بالذى نفحت بشائره بمسك اذفر
نصر تهز بنوده ريح الصبا خفقت على هام الاشم الحزمري
هو مجلك المنصور دام مؤيدا بك اينما يلق العزيمة يظفر

لا زلتما في ظل ملك باذخ　　وجنود ملككم ملوك الاعصر
مستمسكين بهدي جدكم الذي　　بالرعب ينصر من مسافة اشهر
أهدى الاله صلاته وسلامه　　لجنابه في طي نشر العبهر
ولآله وصحابه والتابعين　　لهم باحسان ليوم المحشر
ما استنشق الابطال في يوم الوغى　　نقع العجاج لدى هياج العثير

قال صاحب السلافة: ربما تشوق الواقف على هذه القصيدة إلى قصيدة ابن هانيء المعارضة بها ، فيحب الوقوف عليها فلا يجدها وها هي قد اوردتها بجملتها منقولة من ديوانه .

قال ابو القاسم محمد ابن هانيء المغربي الاندلسي يمدح جعفر علي امير الزاب من المغرب :

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر　　وامدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا　　بالنصر من ورق الحديد الاخضر
وضربتم هام الكماة ورعتم　　بيض الخدور بكل ليث مخدر
ابني العوالي السمهرية والسيوف　　المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كانه　　تحت السوابغ تبع في حمير
القائد الخيل العتاق شوازبا　　خزراً إلى لحظ السنان الاخزر
شعث النواصي حسرت آذانها　　قب الاياطل داميات الانسر
تنبو سنابكهن عن عفر الثرى　　فيطأن في خد العزيز الاصعر
جيش تقدمه الليوث وفوقها　　كالغيل من قصب الوشيج الاسمر
وكأنما سلب القشاعم ريشها　　مما تشق من العجاج الاكدر
وكأنما شملت قناه ببارق　　متألق او عارض متفجر
تمتد السنة الصواعق فوقه　　عن ظلتي مزن عليه كنهور
ويقوده الليث الغضنفر معلماً　　من كل شثن اللبدتين غضنفر

نحو القبول من الدبور وسار في ... جمع الهرقل وهمة الاسكندر

في فتية صدأ الدروع عبيرهم ... وخلوقهم علق النجيع الاحمر

لا يأكل السرحان شلو طعينهم ... مما عليه من القنا المتكسر

انسوا بهجران الانيس كأنهم ... في عبقري البيد جنة عبقر

يمشون بالبيد القفار وانما ... تلد السبنتى في اليباب المقفر

فرواية الصنديد تخبر عنهم ... واسامة الصديق اصدق مخبر

قد جاوروا أجم الضواري حولهم ... فاذا هم زأروا بها لم تزأر

ومشوا على قطع النفوس كأنما ... تجري سنابك خيلهم في مرمر

قوم يبيت على الحشايا غيرهم ... ومبيتهم فوق الجياد الضمر

وتظل تسبح في الدماء قبابهم ... فكأنهن سفائن في ابحر

فحياضهم من كل مهجة اغلع ... وخيامهم من كل لبدة قسور

من كل اهرت كالح ذي لبدة ... او كل ابيض واضح ذى مغفر

حي من الاعراب إلا انهم ... يردون ماء الامن غير مكدر

راحوا إلى ام الرئال عشية ... وعدوا إلى طيب الكثيب الاعفر

طردوا الاوابد في الفدافد طردهم ... اللاعوجية في مجال العثير

ركبوا أليها يوم لهو قنيصهم ... في زيهم يوم الخميس المصحر

انا لتجمعنا وهذا الحي من ... بكر اذمة سالف لم تخفر

احلافنا فكاننا من نسبة ... ولداتنا فكأنما من عنصر

اللابسين من الجلود الهبر ما ... اغناهم عن لامة وسنور

لي منهم سيف إذا جردته ... يوما ضربت به رقاب الاعصر

وفتكت بالزمن المدجج فتكة البراض يوم هجائن ابن المنذر

صعب إذا نوب الخطوب استصعبت ... متنمر للحادث المتنمر

فاذا عفا لم تلق غير مملك ... وإذا سطا لم تلق غير معفر

وكفاك من حب السماحة انها منه بموضع مقلة من محجر
فغمامه من رحمة وعراصه من جنة ويمينه من كوثر

يحكى انه انشد هذه القصيدة وممدوحه راكب في جيشه فلما انشد قوله :

ابنى العوالي السمهرية والمواضي المشرفيـة والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كانه تحت السوابغ تبع في حمير

ترجل العسكر كله ولم يبق احـد راكبا سوى الممدوح فلايعلم سؤال كان جوابه نزول عسكر جرار غيره .

ومن الغريب ما توهمـه بعض ادباء العصر ان ابن هانىء مدح بهذه القصيدة سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبي ويستدل على ذلك بقوله فيها :

لي منهم سيف إذا جردته يوما ضربت به رقاب الاعصر

كيف وابن هانىء لم يدخل المشرق قط كما ذكره القاضي ابن خلكان ، وأما الاستدلال بالبيت فليس بشيء فان الشعراء تشبه الممدوح بالسيف والسهم والسنان كما قال ابن هانىء من قصيدة اخرى في جعفر :

إذ عيشنا في مثل دولة جعفر والعدل فينا ضاحك والنائل
فدعوه سيفاً والمنية حده وسنان حرب والكتيبة عامل

قال اديب العصر : قد وقفت في ديوان حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ على قصيدة كقصيدة ابن هانىء الرائية ورويها ، يفخر فيها بقومه ، ويمدد افعالهم وقد رأيت ايرادها هنا فانها في غاية الحسن ، وديوانه قليل الوجود ، وهي :

النسيم ريقك اخت آل العنبر هذا أم استنشاءة من مجمر
ابداه ثغرك ما ارى ام لمحـة من بارق ام معدن من جوهر
اودعتني بلحاظ ثغرك حرقـة ألهبت جمرتها بطرف احور
ونشرت فرعك فوق متن واضح وطويت كشحك فوق خصر مضمر
قولي لطرفك ان يكف عن الحشا سطوات نيران الهوى ثم اهجري

وانهى جمالك ان ينال مقاتلي ... فينال قومك سطوة من معشري
انى من القوم الذين جيادهم ... طلعت على كسرى بريح صرصر
وسلبن تاج الملك قسراً بالقنا ... واخذن قهراً درب آل الاصفر
آبائي من كهلان ارباب العلى ... وبنو الملوك عمومتي من حمير
قدنا من اليمن الجياد فما انثنت ... حتى حوت بالصين مهجة يعبر
ورمت سمر قنداً بكل مثقف ... لهج باشلاء الفوارس اسمر
ووطئن ارض الشام ثم وفارساً ... بالحارث اليمنى وابن المنذر
صبحت بلاد الهند بالبيض التي ... صبحت بها كسرى صبيحة دستر
ونصرن في الاحزاب حزب محمد ... وكسون مومة ثوب موت احمر
وطلعن من رضوى حنين شزبا ... يحملن كل سليل قوم مسعر
ما ان يريد إذا الرماح شجرنه ... ذرعا سوى سربال طيب العنصر
يلقي الرماح الشاجرات بنحره ... ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا ... فتهدمت ركن المجد إن لم تعقر
وإذا تأمل شخص ضيف مقبلا ... متسربلا اثواب محل مقفر
اوحى إلى الكوماء هذا طارق ... نحرتني الاعداء ان لم تنحري
كم قد ولدنا من نجيب قسور ... دامي الاظافر او ربيع ممطر
سدلت انامله بقائم مرهف ... وبنشر فائدة وذروة منبر
كم فوق وجه الارض من ذي ثروة ... لو لا فواضل رفدنا لم يذكر
لو لا صوارم يعرب ورماحها ... لم تسمع الآذان صوت مكبر
نحن الذين نذل اعناق القنا ... ونعز بالمعروف قل المعسر
قحطان قومي ما ذكرت فخارهم ... إلا علوت على سنام المفخر
السابقون إلى المكارم والعلى ... والحائزون غداً حياض الكوثر
فاذا اردت بان ترى مسعاتنا ... فصل النواظر بالسماك الازهر

لو أمت الجوزاء ان تعلو إلى اعلى ذؤابة مجدنا لم تقدر
ثم الصلاة على النبي وآله مالاح برق في غمام ممطر

قال صاحب السلافة لما وقفت على هذه القصائد احببت النظم عليها ، فقلت مادحاً الوالد في سنة ثلاث وسبعين والف :

لمن الكتائب في العجاج الاكدر يخطرن في زرد الحديد الاخضر
ضربت عليهن الرماح سرادقا دعمت بساعد كل شهم اصعر
والبيض تلمع في القتام كأنها لمع البوارق في ركام كنهور
وصليل وقع المرهفات كأنه رعد يجلجل في اجش منجر
والراية الحمراء يخفق ظلها يهفو عليها كل ليث مزئر
والخيل قد حملت على صهواتها من كل اصيد باسل ذي مغفر
متسربل للقلب فوق دلاصه متلثم بالنقع لما يسفر
في موقف كسف الظهيرة نقعه فأضاءها بشروق وجه مقمر
يختال في حلق الدلاص كأنه يختال منها في مفوف عبقر
من فتية ألفوا الاسنة والقنا فقبابهم قصب الوشيج الاسمر
يقرون بيضهم الرقاب وينهلوا زرق الاسنة من نجيع احمر
شادوا عمادهم بكل مثقف لدن ومجدهم بكل مشهر
حلوا من العلياء قمة رأسها وحووا بسالة اكبر عن اكبر
من منهم الملك المهيب إذا بدا خضعت له ذلا رقاب الاعصر
فخر المفاخر والمآثر والجحافل والمحافل والعلى والمنبر
القائد الجيش العرمرم معلماً من كل ليث ذي براثن قسور
السائق الجرد المذاكي شزبا تخطو وتخطر بالرماح الخطر
الفالق الهامات في يوم الوغى والسمر بين محطم ومكسر

الشامخ النسبين بين ذوي العلى ... الباذخ الحسبين يوم المفخر

الواهب البدرات يتبعها الندى ... من جوده بسحاب تبر ممطر

يجلو دجى الآمال منه بنائل ... متلالىء وبوجه جود مسفر

ولكم جلا رهج القتام بباتر ... متألق وسنان اسمر سمهري

ملك إذا ما جاد يوما اوسطا ... فالخلق بين مملك ومعفر

من دوحة المجد الرفيع عماده ... والفرع يعرب عن زكي العنصر

ما ينقضي يوما شهير نواله ... إلا واتبعه بآخر اشهر

هذا الذي صدع القلوب مهابة ... واذل كل عملس وغضنفر

هذا الذي غمر الانام سماحة ... من جوده الطامى الجليل الابهر

هذا الذي حاز المكارم قمسا ... وسواه يلطم خد حزن اقفر

هذا نظام الدين احمد من له ... نسب يؤل إلى النبي الاطهر

لمعت اسرة نوره في وجهه ... فازور عنها كل لحظ اخزر

يجلو لنا من حلمه في حزمه ... اخلاق احمد في بسالة حيدر

بينا تراه مصدراً في دسته ... ملكا تراه فوق صهوة اشقر

ار بيب حجر المكرمات وربها ... ورضيع ثدى العارض المثعنجر

لله جدك اى مجد حزته ... فشأوت كل مقدم ومؤخر

انت الذي احرزت كل فضيلة ... ووردت بحر الفضل غير مكدر

ظمئت اماني الرجال لدى العلى ... فوردت منهاها ولما تصدر

واليكها غراء قد ابرزتها ... تجلي بشكرك في ندي المحضر

احكمت نظم قريضها فتناسقت ... كالعقد يزهو في مقلد جؤذر

يذكو بمدحك نشرها فكأنني ... اذكيتها منه بمسك اذفر

ما ضاع نشر ثنائها في مجلس ... إلا تفتق عن ذكي العنبر

واسلم على درج المعالي راقياً ... باجل اخبار واصدق مخبر

وما احسن قول بعضهم على هذا الروى :

من كل ابلج واضح سورة يمشي إلى الهيجاء مشي غضنفر
يلقى الرماح بوجهه وبنحره ويقيم هامته مقام المغفر

وقلت انا في صاحب فسا في مجلس بعض الرؤسا ومضمناً مطلع قصيدة ابن هانيء :

مذحل صاحبنا الجمال بمجلس للسيد الشهم الابي الافخر
وشممت منه فسوة من فتحة منها تأذى كل من في المحضر
انشدت اصحابي وقلت مضمناً فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر

رجع إلى شعر الشيخ عبد الرحمن صاحب الترجمة ، فمنه قوله مخاطباً ومداعباً للشيخ احمد ابن حكيم الملك في يوم النيروز ومستدعياً منه بعض لوازمه :

يا حكيماً ايامه نيروز وعظيماً من دونه فيروز
وكريماً به المكارم تسمو ولجم النوال منه نحور
دم مهنا بيوم نيروز سعد انت فيه معظم وعزيز
ترتجى نوالك العذاب فيه فتية للسماك حقاً تجوز
نوروزنا مما تنورزعوا منه إذ كان ذاك شيئاً يجوز
واطفئوا بالنمير قلباً تلظى بلهيب من دونه تموز
وابق في رفعة ترى الشمس حسرى من علاها وما بذاك تفوز
وانعمن بالجواب منك شتابا برامى ولا تقل لي هنوز

قوله : شتابا ، معناه سريعاً . وقوله : هنوز ، بمعنى سوف ، وهما كلمتان فارسيتان

﴿ فائدة ﴾

ذكر سيبويه النيروز في باب الاسماء الاعجمية ، وقال : نيروز ـ بالياء المثناة من تحت ـ . وحكى غيره الواو .

وقال علي عليه السلام : نيروزنا كل يوم ، وليس فيه حجة على سيبويه ، لان العرب إذا استعملت الاسماء الاعجمية تصرفت فيها كيف شاءت .

قال الواحدي : يقال لهـذا اليوم نوروز على العجمية ، ونيروز تقريباً من التعريب ومثله من العربية ديجور وهذا اولى بالاستعمال لانه على اوزان كلامهم .

وقال في مليح سقط عن حصانه في السباق :

لا تظنوا السقوط منه لعجز منه بالسبق فهو بالسبق عارف

انما كان ذاك بالمقصد لما رامت الارض لثم تلك المعاطف

ومن شعره ايضاً قوله :

من كان صاحب قدر او كان صاحب قدره

فليتخذ من لجين لآلة الانس قـدره

فالشيء يزداد ظرفا ان ناسب الشيء قدره

ويعجبني من معمياته قوله في احمد وجعله بعمل التشبيه :

وغصن من الكافور ابصرت تحته شويخا من الرهبان اشمث راكعاً

وقد شد زناراً بحقويه وانثنى على قوسه لما توكأ خاشعاً

ولنكتف من نثره ونظمه على هذا المقدار على انه قطرة من دأماء ونجمـة من سماء وكتابه الاشمار كاول بجميع ما قال من الانشاء والاشعار .

﴿ فصل ﴾

ولما نعي الشيخ المذكور إلى سميه الشيخ عبد الرحمن العمادي مفتي الشـام كتب إلى علامة عصره الشيخ احمد المقري ، من جملة كتاب : وأما مصيبة من كان ولي وسمي ومنجدي السعيد الشهيد المرحوم عبد الرحمن المرشدي ، فانها وان اصابت منا ومنكم الاخوين فقد عمت الحرمين بل طمت الثقلين ، ولقد عـدموته في الاسلام ثلمة ، وفقد به من حرم الله من كان يدعى لـكل ملمة ، لا كمن يدعي إذ يحاس الحيس ، واستحق ان ينشد في حقه وان لم يقس به قيس :

وما كان قيس هلـكه هلك واحد ولـكنه بنيان مجد تهدما

وقال اخوه القاضي شهاب الدين احمد بن عيسى المرشدى العمري وهو معنى مبتكر

ألا انظر إلى هذا الصفاء ابركة تقول لمن قد غاب عنها من الصحب
لئن غبت عن عيني وكدرت مشربي تأمل تجد تمثال شخصك في قلبي

وقال في صوفية عصره :

صوفية العصر والاوان صوفية المصر والاواني
فانقر على فعل قوم لوط بنقر زان لنقر زاني

وقال معللا تسمية القدح قدحا :

مذ صب ساقينا الطلا حتى تناثر وانتضح
خالوا شراراً ما رأوا فلأجل ذا قالوا قدح

﴿ ترجمة الإمام أبي عبد الله محمد بن الحسن اسماعيل بن ابراهيم بن ﴾
(المغيرة بن الاحنف الجعفي بالولاء البخارى الحافظ الإمام في العلم)
(والحديث ، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ)

رحل في طلب الحديث إلى اكثر محدثي الامصار ، وكتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر . وقدم بغداد واجتمع اليه اهلها واعترفوا بفضله وشهدوا له بتفرده في علم الرواية والدراية .

وحكى ابو عبد الله الحميدى في كتاب جذوة المقتبس ، والخطيب في تاريخ بغداد: ان البخاري لما قدم بغداد وسمع به اصحاب الحديث اجتمعوا اليه وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها واسانيدها ، وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر ودفعوها إلى عشرة انفس إلى كل رجل عشرة احاديث ، وامروهم إذا حضروا المجلس ان يلقوا ذلك على البخارى ، واخذوا الموعد للمجلس ، فحضر المجلس جماعة من اصحاب الحديث من الغرباء من اهل خراسان وغيرها من البغداديين ، فلما اطمأن المجلس باهله انتدب اليه واحـــد من العشرة فسأله عن حديث من تلك

الاحاديث ، فقال البخاري لا اعرفه ، فسأله عن آخر ، فقال : لا اعرفه ، فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا اعرفه ، قال: فجعل الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقضون على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ، ثم انتدب رجل آخر من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الاحاديث المقلوبة ، فقال البخاري : لا اعرفه ، ثم سأله عن آخر ، فقال : لا اعرفه ، فسأله عن آخر ، فقال : لا اعرفه فلم يزل كذلك يلقي عليه واحداً بعد واحد . حتى فرغ من العشرة ، والبخاري يقول لا اعرفه ، ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من تلك الاحاديث المقلوبة والبخاري لايزيدهم على قوله لا اعرف ، فلما علم البخاري انهم فرغوا التفت إلى الاول منهم فقال اما حديثك الاول : فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا ، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى اسناده ، وكذلك كل اسناد إلى متنه وفعل مع الآخرين مثل ذلك ورد متون الاحاديث كلها إلى اسانيدها واسانيدها إلى متونها فاقر الناس له بالحفظ ، واذعنوا له بالفضل .

وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول : الكبش النطاح ، وقد بينت معنى الكبش النطاح في رحلتي نزهة الجليس عند ذكر الاسكندر ذى القرنين فراجعه ثمة والله الموفق للاصابة .

ونقل محمد بن يوسف الفربرى عن البخارى انه قال : ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين .

وعنه انه قال : صنفت كتابي الصحيح من ستمائة الف حديث ، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى .

وقال الفربرى سمع البخارى سبعون الف رجل فما بقي احد يروى عنه غيرى وروى عنه ابو عيسى الترمذى ، وكانت ولادته يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشر ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة .

وقال يعلى الخليلي في كتاب الارشاد : ان ولادته كانت لاثنتي عشر ليلة خلت من الشهر المذكور ، والله اعلم .

وتوفي في ليلة السبت عند صلاة العشاء ، وكانت ليلة عيد الفطر ، ودفن بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين بخرتنك ـ بقاف عجمية ـ .

وذكر ابن يونس في تاريخ الغرباء : انه قدم مصر وتوفي بها ، وهو غلط والصواب ما ذكرناه هنا رحمه الله تعالى .

وكان شيخنا نحيف الجسم ، لا بالطويل ولا بالقصير .

والبخاري ـ بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبعد الالف راء ـ هذه النسبة إلى بخارى وهي من اعظم مدن ما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند ثمانية ايام .

وخرتنك ـ بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح التاء المثناة من فوق وسكون النون وبعدها كاف ـ وهي قرية من قرى سمرقند .

ونسبة البخاري إلى سعيد بن جعفر الجعفي والي خراسان ، وكان له الولاء ، فنسبوا اليه ، والله الموفق للصواب ، انتهى كلام ابن خلكان رحمه الرحيم الرحمن .

﴿ اعرف هذه الفائدة ﴾

قولهم لمن شرب الماء : هنيئاً ، أي لا آفة فيه ولا نكد ، فهو حال عند الاكثرين مؤكدة لعاملها ، لانهم انابوا عن المصدر صفات الملتزم اضماره ، إذ لم يسمع إلا كذلك .

وقيل : ان هنيئاً اسم فاعل من هنيء ، او من هنؤ ، كشريف من شرف ، وهو ما اتاك بلا مشقة .

وقال المبرد : انه مصدر كالعافية ، واصل ذلك انهم انابوا عن المصدر صفات نحو عائذاً بك وهنيئاً لك .

قال بعض المغاربة وهو موقوف على السماع .

وقال غيره : انه مقيس عند سيبويه يقال لكل من لازم صفة انتهى .

﴿ فائدة ﴾

الكوع - بضم الكاف - ويقال له الكاع وهو العظم الذى عند الابهام مما في مفصل الكف مما يلي الابهام ، والبوع الذي عند ابهام كل رجل. والكرسوع هو العظم الذي يلي الخنصر .

ويقال للجاهل الغبي انه ما يعرف كوعه من بوعه ، اي ما يعرف اسم العظم وقد نظم ذلك بعضهم فقال :

فعظم يلي الابهام كوع وما يلي لخنصرك الكرسوع والرسغ ماوسط
وعظم يلي ابهام رجل ملقب ببوع فخذ للعلم واحذر من الغلط

﴿ فائدة ﴾

ويح : منصوب بفعل محذوف مع النداء ، اي : اويح ، على حد يا حسرة على العباد ، أي احضري هذا وقتك ، كذا قيل .

والذي صرح به الأئمة انه حيث كان المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله ، نعم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح ، فقد قالوا ومما استعمل مفرداً مضافاً ، قولهم ويح فلان ، وويحاً له .

قال ابن طاهر : متى اضفت ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدأ لا خبر له ، ومتى افردته جاز كل منهما ، وكذا ويل والنصب فيه غير قوي ، لانه مصدر لافعل له ، بخلاف نحو حمداً وشكراً ، ومن ثم غلب على ويح الرفع بل قال ابن الربيع : يجب رفعه دون ويل ، نعم ان عطف ويل على تب تعين نصبه .

ومنع المازني عطف ويح على تب وعكسه لتناقض معناها ، ورد بأن ويح اخرج مخرج الدعاء وليس معناه الدعا ، وتباً يستعمل كقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا ، وانه لا دخل للنداء هنا .

واعلم انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم تقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها ، وويل كلمة عذاب ، وقيل هما بمعنى. انتهى .

(فائدة)

تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره ، وهو سؤال المتكلم عما يعمله على سبيل التعجب او الانكار او التوبيخ نحو (وما تلك بيمينك يا موسى) انتهى .

كان زيد بن علي زين العابدين بن الحسين علي بن ابي طالب عليهم السلام يدخل على هشام بن عبد الملك بن مروان وعلى فجار بني امية وظلمتهم ، وكان يقع بينهما محاورات فيفحمه زيد حتى يخجل بين جده ، وفي عز مملكته ، ومن ذلك انه قال له انت يازيد المؤمل للخلافة وما انت وذاك وانت ابن امة ، فقال زيد : ان الأمة لو قصرت بولدها عن بلوغ الغاية ، لما بعث الله من هو ابن أمة نبياً وجعله ابا العرب وابا خير النبيين ، وهو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ! وكانت امه مع ام اسحاق كأمي مع امك ، وما تقصيرك برجل ابوه رسول الله صلى الله عليه وآله وجده علي بن ابي طالب عليه السلام .

فلما خرج قال هشام لجلسائه : ألستم زعمتم ان اهل هذا البيت قد انقرضوا ألا لعمر الله ما انقرض قوم هذا خلفهم .

ودخل عليه مرة اخرى فرأى عنده يهوديا يسب ، قيل كان يسب النبي صلى الله عليه وآله وقيل كان يسب الآل ، فانتهره زيد وقال : ياكافر أما والله لئن تمكنت منك

لأختطفن روحك ، فقال هشام : مه يا زيد لا تؤذ جليسنا ، فخرج زيد قائلاً: من استشعر حب البقاء استأثر الذل إلى الفناء ، وبايع حينئذ على الخروج على هشام فاطاعه من اهل الكوفة خمسة عشر الف مقاتل وبايعوه وبايعه جماعة من الائمة ، قيل منهم ابو حنيفة ، وامده بمال عظيم فخرج اواخر المحرم سنة اثنتين وعشرين ومائة وخرج معه القراء والفقهاء وأهل البصائر خمسة آلاف في زي لم ير الناس مثله ، ثم خذله الذين بايعوه وتأخروا عنه ، فقال : أين الناس ؟ فقيل له : احتبسوا في المسجد ، فقال لا يسعهم عند الله خذلانهم لنا ! فعاد اليهم وامرهم بالخروج ، فابوا فقال : يا اهل الكوفة اخرجوا من الذل إلى العز وإلى خير الدنيا والآخرة ، فابوا فاقبل جنود هشام فحمل عليهم زيد عليه السلام فلم يتأثر بذلك ، وحاربهم يوم الاربعاء والخميس فحمل عليهم وقتل فرساناً كثيرين فاصيب آخر يوم الجمعة بنشابة في جبهته فجيء له بطبيب فنزعها فمات من ساعته ، ودفن في قناة ماء واجري عليه الماء لئلا يعرفوا قبره ، ثم دلوا عليه فصلب على جذع نخلة عرياناً ! فنسجت العنكبوت على عورته لوقتها فلم يرها احد ، فكان ذلك من كراماته الباهرة ، ثم انزلوه وحرقوه حتى صار رماداً فذروه في الهواء !

فلما كان من السفاح اول خلفاء بني العباس وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس فامر بامرأة هشام المذكورة فشدخ رأسها بالعمد وامر بقطع يديها ورجليها وقتلها قصاصاً في ام ولد او زوجة كانت لزيد عليه السلام قتلوها ، ثم امر بهشام فنبش قبره ، فوجد بحاله لانه كان طلي بالعنبر فاقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه ثم حرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد بن علي عليه السلام جزاء وفاقا فتأمل نصرة الله تعالى حتى على يد الاعداء فان غالب بنى العباس يكرهون ذرية الحسين عليه السلام لانهم كانوا ينازعونهم الملك ، ويخرجون عليهم كثيراً ، ومع ذلك اظهر الانتقام من هشام لزيد على يد من يكره بني زيد ، وبني عمه فاعتبر ذلك .

﴿ترجمة صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي رحمه الله تعالى﴾

ذكره العلامة المحقق القاضي الخواجة نور الله الششتري رحمه الله تعالى في تاريخه المسمى بـ (مجالس المؤمنين) فقال : شاعر ساحر ، وفاضل في فنون الادب ماهر ، وكان في شعراء المتأخرين ، شاعراً بلا قرين ، وقصيدته الميمية ، المشهورة بالبديعية شاهد عدل على فضيلته .

كان معاصراً لملوك ديار بكر كما هو مستفاد من قصائده اللطيفة في مدحهم ويستفاد من ديوانه ان آباءه كانوا في الحلة وماردين من الرؤساء الاكابر المعظمين وقد افتخر بابيه وخاله في عدة مواضع من ديوانه ، وهو كذلك وكان مشهوراً بين الشعراء بالغنا ، والاستغناء .

قال الشيخ مجد الدين الفيروز ابادي الشافعي من اكابر المتأخرين في فن الحديث في بعض مجاميعه : اجتمعت به سنة سبع واربعين وسبعمائة بمدينة بغداد فرأيته شيخاً كبيراً له قدرة تامة على النظم والنثر وخبرة بعلوم العربية والشعر وغزله ارق من سحر النسيم ، واروق من المحيا الوسيم .

وكان شيعياً إلا ان حاله رثة وهيئته قبيحة وعمامته وسخة ووجهه اقبح من الكل ، ومن رأى صورته لايظن انه ينظم ذلك الشعر الذي هو كالدر في الاصداف .

ومن جملة اشعاره في مدح امير المؤمنين علي عليه السلام هذه الابيات :

جمعت في صفاتك الاضداد فلهذا عزت لك الانداد
زاهد حاكم حليم شجاع فاتك ناسك فقير جواد
شيم ما جمعن في بشر قط ولا حاز مثلهن العباد
خلق يخجل النسيم من اللطف وبأس يذوب منه الجماد
فلهذا تعمقت فيه اقوام باقوالهم فزانوا وزادوا
وعلت في صفات فضلك يس وصاد وآل سين وصاد

ظهرت منك للورى مكرمات فأقرت بفضلك الحساد
ان يكذب بها عداك فقد كذب من قبل قوم لوط وعاد
انت سر النبي والصنو وابن العم والصهر والاخ المستجاد
لو رأى مثلك النبي لآخاه وإلا فاخطأ الانتقاد
بكم باهل النبي ولم يلف لكم خامساً سواه يزاد
كنت نفساً له وعرسك وابناك لديه النسا والاولاد
جل معناك ان يحيط به الشعر ويحصي صفاته النقاد
انما الله عنكم اذهب الرجس فردت بغيظها الاضداد
ذاك مدح الإله فيكم فان فهت بمدح فذاك قول معاد

وله ايضاً في مدحه عليه السلام :

امير المؤمنين أراك إذ ما ذكرتك عند ذي حسب صغى لي
وان كررت ذكرك عند نغل تكدر عيشه وبغى قتالي
فصرت إذا شككت باصل شخص ذكرتك بالجميل من المقال
فليس يطيق سمع ثناك إلا كريم الاصل محمود الخصال
فها انا قد خبرت بك البرايا فانت محك اولاد الحلال

وله ايضاً في مدحه عليه السلام :

فو الله ما اختار الإله محمداً حبيباً وبين العالمين له مثل
كذلك ما اختار النبي لنفسه علياً وصياً وهو لابنته بعل
وسيره دون الانام اخاً له وصنوا وفيهم من له دونه الفضل
وشاهد عقل المرء حسن اختياره فما حال من يختاره الله والرسل

وباقي اشعاره ومقاطيعه الغزلية والمجونية فهي بين ذوي الآداب ظاهرة غير خفية ، وقد ذكرنا في كتابنا هذا منها اشياء كثيرة وهي في ديوانه مثبوبة شهيرة.
وكانت وفاته كما في تاريخ روض المناظر سنة سبعمائة وخمسين من الهجرة

النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام واكمل التحية عليه رحمة رب البرية بكرة وعشية .

الملوخيا : غليظة لزجة باردة ، والاكثار منها يضر بالمرطوبين والمبلغمين واصلاح ضررها ان تطبخ بلحوم الغزلان لخفته وحرارته ، او مع الفراريج وماء الليمون يلطف غلظها ويقطع لزوجتها ، ولا يصلحها اصلاحا تاماً إلا هو. وإذا قطع ورقها الاخضر ووضع على لسع الزنبور نفعه وطبيخ ورقها ينفع من حرق النار وفيه اكثر منافع الخطمي وهو فرع منه ، وذكر انها قديماً لم يكن لها ذكر ولا قدر ولا تعرف في مدينة ولا اقليم إلا بعد الثلاثمائة والستين من الهجرة النبوية خاصة بمصر المحمية .

وكان السبب في ذلك ان المعز العبيدي باني القاهرة لما دخل مصر استوبأها واختلف عليه الهواء الذي كان يعهده بافريقية ورطوبته لمجاورة البحر فاصابه يبس واستولت عليه امراض حادة ، فدبر له اطباء مصر قانوناً من العلاج ، من جملته : الغذاء بالملوخيا ، فوجد لها نفعاً بيناً في التبريد والترطيب ، واقلع عنه ما كان يجده من الاعراض الرديئة التي سببها اليبس والحرارة ، واد من اكلها فعوفي من مرضه ووقعت منه موقعاً عظيما ، وأمر باصلاحها له ولخواصه حتى سميت بالملوكية .

وبلغ من اعتنائهم بها انهم كانوا يجففونها ويطبخونها مجففة السنة كلها .

وكان باكورها إذا دخل يكون ذلك اليوم عيداً كبيراً ، ويعطى لمهديها عطاء كثيراً ، انتهى .

﴿ فائدة ﴾

في آيات موسى التسع صلوات الله عليه نظمها قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة رحمه الله تعالى :

آيات موسى الكليم الطهر يجمعها بيت على اثر هذا البيت مسطور

عصا يد وجراد قمل ودم ضفادع حجر والبحر والطور

﴿ فائدة ﴾

نظم الشيخ العلامة المحقق الاصفهاني رحمه الله تعالى في تحقيق الزمان آيات القرآن العظيم وعدها تسعة اصناف ، فقال :

ألا انما القرآن تسعة احرف　　اتيت بها في بيت شعر بلا خلل
حلال حرام محكم متشابه　　بشير نذير قصة عظة مثل

﴿ فائدة ﴾

في ايمان ابوي النبي ﷺ نظم ذلك الشيخ الفاضل نجم الدين بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى فقال :

حبا الله النبي مزيد فضل　　على فضل وكان به رؤفا
فاحيا امه وكذا اباه　　لايمان به فضلا منيفا
فسلم فالقديم بذا قدير　　وان كان الحديث به ضعيفاً

قلت : الحديث ان شاء الله صحيح يعقله كل ذي عقل رجيح

﴿ فائدة ﴾

في عدة اعمام النبي ﷺ نظم قرة بن حجل بن عبد المطلب اورده العلامة السيوطي في المحاضرات ، فقال :

اعدد ضراراً ان اردت فتى ندي　　والليث حمزة واعدد المباسا
واعدد زبيراً والمقدم بعده　　والصنم حجلا والفتى الراسا
وابا عتيبة فاعددنه ثامناً　　والقرم عبد مناف الحساسا
والقرم غيداقا وعد جحاجحاً　　سادوا على رغم العدو الناسا
والحارث الفياض ولى ساجداً　　ايام نازعه الهمام الكاسا
ما في الانام عمومة كعمومتي　　خيراً ولا كأناسنا اناسا

بيان ذلك : الصمّ الشديد القوة والحجل المغيرة . وعبد مناف هو ابو طالب والحساس القتال ، وتفصيل هذا النظم يوجب زيادة لبيان وهو مطلوب .

فاعمامه صلى الله عليه وآله وسلم : ابو طالب والزبير وعبد الكعبة وامهم فاطمة بنت عمرو ، وهؤلاء اشقاء عبد الله والده ﷺ . وحمزة والمقوم ـ قيل والمقدام ـ وامهم هالة بنت وهيب بنت عم امه ﷺ. والعباس وضرار وامهما نتيلة وقيل بقيلة بنت حسان . والحارث وهو اكبر ولد عبد المطلب ، وبه يكنى وشقيقه قثم مات صغيراً وامهما صفية بنت جندب ، وابو لهب عبد العزى ، وامه لبناء بنت هاجر بنت عبد مناف ، والغيداق واسمه مصعب ـ وقيل : نوفل ـ وامه ممنعة بنت عمرو بن مالك .

ومنهم من يعدهم عشرة ، فيسقط قثما ايضاً ولم يسلم منهم احد سوى حمزة والعباس رضى الله عنهما كما في تاريخ العلامة الفهامة شيخ الاسلام محمد بن محمد بن الشحنة المصرى الحنفى رحمه الله تعالى .

﴿ فائدة ﴾

في عـدة ازواج النبي (ص) نظمهن الشيخ العلامـة نجم الدين بن قاضى عجلون ، فقال :

توفى رسول الله عن تسع نسوة اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونـة وصفيـة وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست نظمهن مهذب

بيان ذلك: الاولى منهن عائشة بنت ابى بكر الصديق توفيت سابع وعشرين رمضان سنة سبع وخمسين من الهجرة ، ودفنت بالبقيع .

ثم ميمونة بنت الحارث الهلالية توفيت سنة خمس وثلاثين ، وقيل سنة ست

وثلاثين ، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب توفيت سنة احدى واربعين . ثم هند وهى ام سلمة بنت ابى امية توفيت سنة احدى وستين وهى آخر أزواجه وفاة ، ثم زينب بنت جحش ، توفيت في ذي القعدة سنة عشرين من الهجرة ، وهى اول من مات من أزواجه ، ثم جويرية بنت الحارث توفيت سنة ست وخمسين بالمدينة ، ثم رملة وهى ام حبيب بنت ابى سفيان بن صخر بن حرب الاموية ، توفيت سنة اربع واربعين ، وقيل اثنتين واربعين ، ثم سودة بنت زمعة ، توفيت سنة اربع وخمسين بالمدينة في شوال .

﴿ فائدة ﴾

في الاشياء التى إذا أعطيت يسن قبولها ولا ترد . جمعها الشيخ عبد الرحمن ابن الربيع اليمنى فقال :

قد كان من سنة خير الورى صلى عليه الله طول الزمن
ان لا يرد الطيب والمتكا والتمر ايضاً يا اخي واللبن

وزاد الشيخ العلامة الفهامة السيوطي فنظمها سبعة واوردها في كتابه قلائد الفوائد وشوارد الفرائد ، فقال رحمه الكريم المتعال :

عن المصطفى سبع يسن قبولها إذا ما بها قد أتحف المرء خلان
فحلو والبان ودهن وسادة ورزق لمحتاج وطيب وريحان

وصية لمؤلف هذا الكتاب غفر الله له وعليه تاب وعلى جميع الاخوان والاصحاب

اسمع اخي نصيحة من مشفق عرف الامور بأسرها من فطنته
لا تحلقن سوى بكف مهفهف يزري الغصون بقده وبقامته
فاذا حلقت بكف صاحب لحية فكأنه الجزار جاء بمديته
وتناول الفنجان ممن اصبحت ماء الحياة بثغره وبريقته
لا من غدا مثل الافاعي راحتاه بها السموم بدت تنص برؤيته

واجعل خديعك ساعة الحمام اهيف يخجل البدر المنير بطلعته
لا من غدا مثل السحوق مهولا يسعى وراك مهرولا في مشيته
خذها اليك وصية من ناصح ابدى النصيحة في زمان شبيبته

فلما كان عصر ثاني عشر من ربيع الاول عام الف ومائة واربعين من هجرة النبي المكمل توكلنا على الله ورسوله وأهل بيته وسرنا من المخا في البحر في مركب الكريمي سائرين إلى بندر جدة وقاصدين حج بيته صحبة الرئيس الناخودة الذي جميع الاوصاف الحميدة لديه موجودة ، اللطيف الظريف المونس ، الجلبي عبدالرحمن حليحل بن الجلبي يونس ، ومعنا الجناب الرئيس التاجر ، حاوي العز والمفاخر ، اللطيف المأنوس الحاج محمد الجسوس .

فلما اصبح رابع عشر دخلنا بندر الحديدة ، وهو بندر صغير على ساحل البحر تجاره شياطين لئام ، وسكانه افقر الانام ، ونزلنا بدار ابي بكر هرمز وأقمنا هناك خمسة عشر يوما . وفي اثناء هذه الاقامة سرت من الحديدة إلى بيت الفقيه لزيارة الولي الشهير ابي العباس الشيخ احمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل فتشرفت بالزيارة ، وطلبت منه النجدة والغارة .

قال الشرجي في طبقاته : الامام العالم الكبير ، والقطب العارف الشهير ، المجمع على ولايته ، وفضله وجلالته وانفراده عن اقرانه ، وتميزه على اهل زمانه .

كان رحمه الله اماماً من أئمة المسلمين ، المنتفع به علماً وعملا ، وكان اشتغاله بالعلم على عمه الفقيه ابراهيم ، وعلى غيره ، واستفاض بين الناس انه لم يشتغل في صغره بشيء من اللعب ، كما يعتاد الصبيان ، وانه ظهر عليه آثار الصلاح وهو صبي

ومن غريب حكاياته مايحكى عنه انه كان في ايام بدايته يخرج من البيت قبل الفجر ، وما يدخله إلا بعد العشاء من كثرة الاشتغال بالعلم والعبادة والصيام وغير ذلك ، حتى انه دخل في بعض الايام البيت بالنهار فلم يعرفه بعض اهل البيت لانهم لا يرونه إلا ليلا !

يحكى عن بعض الصالحين انه قال : مثل احمد بن موسى في الاولياء كمثل يحيى بن زكريا في الانبياء .

قال الامام اليافعي اشار إلى ماورد في بعض الاحاديث ما منا معشر الانبياء إلا من عصى او هم بمعصية إلا يحيى بن زكريا .

وكان عارفا بالفقه والاصول والحديث والنحو والفرائض وغير ذلك .

ويحكى انه جاءه رجل من اهل الجبل ومعه عدة مسائل قد جمعها في الفقه والاصول فوجده وعنده جماعة من المدرسة وغيرهم ، فسأله عن تلك المسائل التي في الفقه فأجابه وسكت عن المسائل التي في الاصول ، فظن الرجل ان ذلك قصور من الشيخ ، فلما انفض المجلس دخل الفقيه البيت وامر بادخال الرجل ، وقال له ان العقول لا تحتمل جواب هذه المسائل وربما يحصل بحث وكلام يشوش على الحاضرين السامعين ، ثم اجابه عن جميع ذلك جوابا شافياً .

وكان له بحث حسن ونظر تام في كثير من العلوم ، وله اعتراضات على المهذب والتنبيه ، والكافي الذي في الفرائض تدل على تضلعه في العلوم .

وله كتاب جمع فيه مشايخه واساتيذه في كل فن نفع الله به .

وأما زهده وصلاحه فمستفيض لا يحتاج إلى دليل . وكان الملوك يعظمونه ويقصدونه للزيارة والتبرك ويقبلون شفاعته وكان لا يأتيهم ولا يواصلهم بل يكتب اليهم بالشفاعة ولا يتأخرون عن ذلك ، وكانوا يعرضون عليه مناصب ارضه فيكره ويقول اكون من جملة الناس احب إلي .

يحكى ان الملك المظفر ارسل إلى الفقيه احمد المذكور والى اسماعيل الحضرمي وإلى الفقيه محمد الهرمل يطلبهم ، وكان غرضه ان يولي احدهم قاضي القضاة .

فلما وصل اليهم الطلب اتوا الفقيه اسماعيل الحضرمي وابن الهرمل ومرا على الفقيه احمد ليعزم معهما إلى السلطان فقال لهما قدعزمتما على الذهاب اليه قالا نعم فقال

كان رأيي ان لا تفعلا وإذ فعلتما فلا تذكراني ، فاذا ذكرني فقولا له هو في عشه في البادية ان تركته وإلا ذهب إلى ارض الحبشة .

ومن كراماته ان الشيخ والفقيه عواجة بشرا به والده قبل مولده ، وكان بينهما وبين والده صحبة ، فكانا يقولان له يا فقيه موسى يولد لك ولد يكون شمس زمانه ، فلما ولد حضرا يوم سابعه .

ويحكى انهما اسرا اليه في اذنه وهو في المهد حديثاً ، فلما كبر سئل عن ذلك فقال اوصياني بذريتهما وهذه كرامة جليلة وهي معرفة ما اوصى به وهو في المهد .

ويحكى منه انه حضر يوما عند مصروع فقرأ عليه قوله تعالى (قل الله اذن لكم ام على الله تفترون) فصرخ شيطانه وقال : لا والله لا والله ، ثم زال عنه ولم يعد اليه مدة حياة الفقيه ، فلما توفى رجع اليه كعادته .

وكان بعض الناس حاضراً حين قرأ عليه الفقيه الآية ، فقال : انا اقرأ عليه فجاء وقرأ الآية بعينها ، فضحك ذلك الشيطان منه وقال الآية هي الآية والرجل غير الرجل .

وكان يحج بالناس في كل سنة ويزور بهم ولا يقدر احد ان يتعرض لهم من العرب وغيرهم بسوء ، ومن فعل شيئاً من ذلك عوقب سريعاً .

ومن كثرة تردده بالقافلة من اليمن إلى مكة والمدينة ، أقام اهل تلك البلاد بعد موته مدة طويلة يسمون من جاء اليهم من قوافل اليمن قافلة ابن عجيل .

وكتب يوما إلى الامير عيسى بن موسى صاحب حلي يشفع اليه في حط ثلاثين ديناراً عن بعض الناس ففعل وحط عنه وكتب إلى الفقيه جوابا وهو يقول :

أتاني كتاب ابن الفقيه فقبسته ثلاثاً وقابلت السؤال باسعاف

ثلاثين ديناراً يريد حطيطها فياليتها كانت ثلاثة آلاف

واحوال الفقيه وكراماته لا يمكن استقصاؤها بل هي اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر، ولم يزل على قدمه المبارك من التدريس ونشر العلم ، مع كمال

العبادة والورع والزهد والتقلل من الدنيا إلى حـد الغاية حتى توفى رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء خامس وعشرين ربيع الاول سنة تسعين وستمائة ، وذلك بعد ان صلى الظهر قائماً ، واخـذ يكتب كتاب شفاعة لبعض المسلمين ، فلما كتب : بسم الله الرحمن الرحيم توفى رحمه الله تعالى .

وكان آخر كلامه : الله الله الله ثلاث مرات .

وكان في حال حياته إذا ضجر الناس يكتب الشفاعات ، ويقول : ما اظن انى اموت إلا وانا اكتب الشفاعات ، فـكان كما قال .

وتربته من الترب المباركة المشهورة في اليمن المقصودة للزيارة والتبرك من الاماكن البعيدة ومن استجار به سلم من جميع ما يخاف ، بل من وصل إلى قريته ولم يكن هناك قرية قبل الفقيه بل لما سكن ذلك الموضع سكن الناس عنده ، وليس له اسم غير بيت الفقيه مع كونها قرية كبيرة مشهورة .

وحكى الذي تولى غسله انه رأى انواراً ساطعة واموراً غريبة منها انه لم ير له عورة إلى غير ذلك من الكرامات .

وخلف من الاولاد سبعة: محمد وابراهيم وموسى وابا بكر واسماعيل وعيسى ويحيي اشتغلوا كلهم بالعلم ، وكانوا سادة اهل علم وصلاح ، ولهم ذرية صالحون وشهرتهم تغني عن تفصيل احوالهم .

وكان جدهم المذكور صاحب ماشية بين قومه ، فأراد يوماً ان يسقي دوابه فلم يمكنه ، لـكون الدلو لغيره فذبح عجلا وفرى جلده دلواً وسقى دوابه ، فـكان قومه يقولـ صاحب العجيل فلما كثر ذلك وعرف به حذفوا المضاف وأقاموا المضاف اليه مقامه، وقالوا عجيل واستمر ذلك في ذريته نفع الله بهم .

وكانت وفاة جدهم المذكور على قدمه المبارك من العلم والعمل ، وذلك لبضع واربعين وستمائة .

واجتمعت بالسيد الشريف الهزبر الغطريف ، الجليل الحسيب، المثيل النسيب

الامجد الانجد سلطان مكة المشرفة الشريف مبارك بن الشريف احمد وامتدحته بقولي

تجلى جمال الوصل وانفصل الفصل ... ولاح الهنا واليمن والفيض والفضل
وهب نسيم الارتياح مذكرا ... لوقت به غصن المسرات مخضل
بعهد اخوان اللطائف والصفا ... سقى الله اخوان الصفا اينما حلوا
بهم حلت النعماء حين تبلجت ... بدور التهاني واستنارت بها السبل
ودارت على الارواح كاسات راحها ... وطاب لها في حانها النهل والعل
وظلنا وبتنا ليس نعرف ما الجفا ... بأصفى زمان لا يكدره العذل
فدع عنك احزاب الجفاء وعقدهم ... فمعقد الجفاة الجامدين هو الحل
وقل للذي رام التحرش بالهوى ... هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
وقل للذي قد صح فيه فناؤه ... ولاح له منه به شاهد عدل
تمسك باذيال الهوى واخلع الحيا ... وخل سبيل الناسكين وان جلوا
وقل لذوي الاذواق طبتم مشاربا ... مواردها تحلو واسرارها تجلوا
وقل لملوك العصر لله دركم ... جزيل العطايا والسخاء لكم شغل
فقد شاهدت عيناي في العصر منكم ... مليكاً به نظم الثنا قدره يعلو
هو السيد المقدام في حومة الوغى ... إذا اشتجر الخطى واعتقل العقل
مبارك نجل الشهم احمد من غدا ... بأوصافه في الناس ليس له مثل
حسام سطا بحر طما عارض هما ... جواد علا در غلا ماجد عدل
فكم من صفات فيه حقاً تجمعت ... وكم قد اجاد القول مقوله الفصل
إذا ما دعا الدهر العبوس اجابه ... سريعاً ولا بطء هناك ولا مطل
تفرع من اهل البراعة والعلى ... فيا حبذا فرع له قد زكا اصل
شهيم ابي ضيغم نجل ضيغم ... ولا بدع ان يحذو الاب الماجد النجل
ومذ كان في التضمين نوع بلاغة ... فلا غرو ان اوردت ما قيل من قبل
هو البدر إلا انه البحر زاخر ... سوى انه الضرغام لكنه الوبل

فنيران بأس في بحور مكارم ومن قوله فعل ومن فعله فصل
ابانت به الايام كل عجيبة يقصر عن ادراكها الفكر والعقل
فيا ملكاً قد عز في الكون قدره ورتبته بين الورى ابداً تعلو
لقد كان قصدي مدحكم بقصيدة مطولة في الحسن مقدارها يغلو
وحيث غدا فرضاً مديحك واجباً وغيركم دهراً مدائحه نفل
فلا غرو ان قصرت طول مدائحي ففي البعد قصر الفرض جاء به النقل
اليك سليل المجد زفت خريدة فريدة حسن منتهى قصدها الوصل
فحقق رجاها واغل مقدار مهرها بما انت يا مولى الانام له أهل
ولا زلت يا تاج الملوك مبجلا معانيك في أذواق اهل النهى تحلو

فاكرمني غاية الاكرام ، عليه رحمة الملك العلام ، وقد كان ملكاً ماجداً هماما وهزبراً قماماً ، فدعاه ربه إلى جواره ، وآواه ونقله إلى الجنة من الخواه .

وكانت وفاته اوائل عام الف ومائة واحد وار بعين رحمه الله تعالى . ثم اني عدت راجعاً إلى الحديدة .

فلما كان تاسع وعشرون ربيع الاول سرنا من الحديدة في وقت جمل ، فلم نزل في البحر نسير بعون المعين النصير ، فلما ان صرنا يا اخوان مقابل جزيرة كمران أتانا ريح صرصر كاد المركب منه ان يتكسر ، وانكسر السكان ، وتمزق الشراع فارسينا إذ ذاك في عدة ابواع :

لقد خضت يا نفس بحر الهوى واحرقت قلبي بنار الجوى
علام نفارك من مركب سرى في أمان شديد القوى

وصب علينا المطر كافواه القرب ، وايقنا بالغرق والعطب :

ولقد ركبت البحر ارجو راحة فشهدت فيه مواقع الاهوال
وعزمت ان لاعدت فيه ثانياً وهجرته في سائر الاحوال

ثم سرنا في ذلك الريح والموج والمطر ، وقاسينا انواع المشقة والخطر .

وكران هذه ـ بفتح الكاف والميم وقبل الالف راء وبعده نون ـ وهي جزيرة مشهورة في البحر مقابلة لبر الصليف ، وهي ذات مياه عذبة ، وازهار طيبة وهواء لطيف ، فنزلنا بها وتشرفنا فيها بزيارة قبر الشيخ الولى ابى عبد الله محمد بن الحسن بن عبدويه العراقى . وعبدويه على وزن سيبويه إلا ان العين مفتوحة .

كان المذكور فقيهاً عالما عاملا ، اصله من العراق واخذ العلم هناك عن الشيخ ابى اسحاق الشيرازي صاحب التنبيه وغيره ، ثم دخل اليمن وسكن مدينة زبيد مدة فاتفق وصول بعض ملوك بني الصليحى منجداً لبعض ملوك الحبشة على ابن عم له نازعه في الملك فنهب لما وصل المدينة ، ونهب للشيخ جملة مستكثرة من المال والكتب وغير ذلك .

وكان الشيخ صاحب ثروة فانتقل إلى جزيرة كران ونزل بها واشترى هناك جلابا ، وكان يرسل عبيده إلى الهند وغيرها من البلاد فلم يأت عليه مدة يسيرة إلا وقد اخلف الله عليه اضعاف ما اخذ منه ، ولما استقر بالجزيرة قصده الناس من كل ناحية ، واشتغلوا عليه بالعلم ، وانتفعوا به انتفاعا عظيما لكونه من اهل الولاية والصلاح ، وخرج من تلاميذه جماعة من العلماء الكبار ممن درس وافتى .

وكان يقوم بكفاية جميع من وصل اليه من طلبة العلم وغيرهم من الوافدين والمنقطعين ، وكان متحريا في مطعمه لا يأكل إلا من الارز الذي يجلبه عبيده من بلاد الهند .

وكان يقصد للزيارة والتبرك في حال حياته ويطلب منه الدعاء ، وامتحن في آخر عمره بالعمى ، فعلم بذلك بعض الفقهاء من تلامذته ، وهو في مدينة المهجم وكان هناك طبيب ماهر عارف فجاء به التلميذ إلى الفقيه ، واخبره بوصول الطبيب معه ، فقال : لا حاجة لي بذلك ، ثم دعا بابن ابن له وقال له اكتب ما املي عليك ثم املى عليه شعراً وهو :

وقالوا قد دهي عينيك سوء فلو عالجته بالقدح زالا

فقلت الرب مختبري بهذا   فان اصبر أنل منه النوالا
وان اجزع حرمت الاجر منه   وكان خصيصتي منه وبالا
واني صابر راض شكور   ولست مغيراً ما قد انالا
صنيع مليكنا حسن جميل   وليس لصنعه شيء مثالا
وربي غير متصف بحيف   تعالى ربنا عن ذا تعالى

فلما بلغ إلى قوله (واني صابر راض شكور) رد الله عليه بصره واضاء له البيت حتى رأى ابن ابنه وهو يكتب ، ثم تكامل بصره بعد ذلك ، فقال للولد : اعط الطبيب ما شرط له ، فقد حصل الشفاء باذن الله ، وهذه كرامة جليلة .

وكان له ولد يقال له عبد الله نجب في طلب العلم ، ثم توفى شابا في حياة ابيه ولم يزل الفقيه المذكور على الحال المرضي من العبادة والاشتغال بالعلم واطعام الطعام حتى توفى سنة خمس وعشرين وخمسمائة ودفن إلى جنب مسجده في الجزيرة المذكورة وتربته هناك من الترب المشهورة وآثار الفقيه وبركته ظاهرة على ذلك الموضع المبارك ، وهو مأوى لعباد الله الصالحين المختفين والمتظاهرين .

وسرنا في طريقنا على بندر اللحية وجازان ، ولم ندخلهما ولم تزل الاهوال علينا كل يوم متجددة إلى ان دخلنا بندر القنفذة وأقمنا ثلاثة ايام وزالت عنا تلك الآلام ، ثم سرنا إلى بندر جدة بسلام .

فلما كان غرة جمادي الاولى دخلنا بندر جدة ، وخلصنا الله من تلك الشدة بعد ان اقمنا على ذلك الحال ، الذي تشيب منه رؤس الاطفال اربعين يوما ، لم تذق اعيننا نوما ، لكنه قـــد سلم الله ، والخير فيما يختاره الله ، وأقمنا في بندر جدة اربعة ايام ، وبلغنا المنى والمرام .

﴿ فائدة ﴾

جدة على ساحل بندر مكة ، وبها تقبض المكوس من التجار الواردين من الهند واليمن والبصرة وعمان والصين وغير ذلك .

وبها الاسواق الواسعة والدور العامرة ، والحوانيت المملوءة ، والخانات العظيمة ، وعليها سور محكم ، وبها قلعة محكمة على البحر ، وبها البرج اليماني على البحر ، وبها مدفع عظيم جداً ، وبها ضريح الولي الشهير القطب الكبير الشيخ المظلوم نفعنا الله به ، وبها ضريح السيد الولي ابى بكر العلوي ، وخارجها قبر حواء عليها السلام ، إلا ان ماءها قليل وخارجها صهاريج تملأ من المطر ، وإذا قل المطر يأتون اليها بالماء من جبال خليل ، والمسافة نصف ليلة وهي بلد متجر ومكسب وهي بين مكة المشرفة وباشا جدة ، وبها نائب من قبل الشريف .

فلما كان عصر خامس جمادى الاولى رحلنا من بندر جدة إلى المدينة قاصدين زيارة النبي صاحب الوقار والسكينة ، صلى الله عليه وآله وصحبه ، وانصاره وحزبه فمشينا ثلاثة مراحل في خبت اقفر والمرحلة الرابعة أتينا رابغ وهي قرية صغيرة ذات نخيل وآبار ، ثم سرنا منها فأتينا مستورة ، وهي قرية صغيرة جداً ، وبها بئر ماؤها غير جيد ، وبها ضريح الولي الشيخ المهدلي ، ثم رحلنا منها فأتينا خبت البزوة وهو بر أقفر ، ثم سرنا منه فأتينا بدراً ، وقيل : هي اسم موضع ، وقيل : اسم بئر كانت لرجل يدعى بدراً ، وهي قرية لطيفة على واد عظيم ، بها النخيل الباسقة ، والمياه المتدفقة ، والاشجار المؤتلفة ، وبها الموز اللطيف والليمون والاترج وغير ذلك.

وبعض اهلها كرام اخيار ، والبعض لئام اشرار ، وبها مسجد الغمامة ، وبها قبور الشهداء اهل الكرامة ، وكتبت بخطي بمحراب مسجد الغمامه قولي :

لقد وافيت بدراً بالسلامة	ونال القلب يا صحبي مرامه
وزرت مصارع الشهداء فيها	وأهل الفضل حقاً والكرامه
وسرت مؤملا من فضل ربي	زيارة من اظلته الغمامه

وأقمنا في بدر ستة ايام ، ونحن في عز واكرام ، وصحبتنا ام الامير المنتجب الامير جوهر ابو شنب ، وكانت قد اتت صحبتنا من الحلة قاصدة للحج والزيارة فلما الحنا بذلك والبشارة .

ثم توكلنا على مالك الدنيا والأخرى ، وصرنا إلى الصفرا وهو واد لطيف انيس شريف ، مياهه غزيرة ونخيله باسقة كثيرة مخضر الجوانب الفرح والسرور حف به من كل جانب .

رعى الله جيراني ببدر وبالصفرا   وجاد عليهم صوب غادية تترى
عسى من قضى بالبعد بيني وبينهم   سيجمعنا في حيهم مرة اخرى

وأغلب اهل الصفرا زيدية ينادون في أذانهم بحي على خير العمل ، ثم سرنا من الصفرا وأتينا الخيف وهو واد عظيم نخيله كثيرة ، ومياهه غزيرة ، وأهله سرقة اشرار لئام فجار .

ثم رحلنا من الخيف فاتينا النازية ، وهي ارض جرداء ، ثم سرنا من النازية فاتينا الفريش وهي ارض قفراء .

فلما اسفر صبح يوم الاحد عن ثاني وعشرين من جمادي الاولى دخلنا مدينة طيبة التي طابت مذحل فيها الرسول صاحب الفخر والعز والهيبة وارخت دخولي بقولي :

لقد دخلت طيبة   في يوم سعد لا نكد
وزرت طه المصطفى   وخيرة الرب الاحد
قصدت خير الانبيا   ولم اعول باحد
وكان حالي معسراً   ففرج الفرد الصمد
وحفني من فضله   باللطف منه والمدد
ومدخلي ارخته   دخلتها يوم الاحد   سنة ١١٤٠

وزرت النبي المختار ، وصحبه الابرار ، وآله سكان البقيع الاطهار ، وزرت عمه الحمزه الذي ايد الله به الاسلام وعزه ، وزرت مسجد قبا ، وجميع من حل في تلك الربى :

قف بسلع وطيبة الغراء   واقر مني السلام اهل قباء
واجر ذكرى لهم وقل ذاك صب   فيكم لن يزال بالبرحاء

ونزلت بدار السيد الشهم المثيل الكريم السيد محمد بن خضر الحسيني في حارة سقيفة بني ساعدة ، لا زال السعد كافله ومساعده .

واجتمعت بنقيب الاشراف طراز العصابة من آل عبد مناف السيد الكريم السند المعظم ، ذي الفضائل والمكارم ، مولانا السيد علي بن ابي القاسم ، وقد كان وحيد بني الحسين ، منزها من كل عيب وشين ، قتله بعض اللصوص من اعراب عنزة في طريق الفرع في اواخر عام اثنين واربعين بعد الالف والمائة من هجرة النبي المأمون الامين رحمه الله تعالى .

واجتمعت باخيه نسل الاكارم السيد محمد بن ابي القاسم وبالسيد الكريم الاطهر، السيد موسى بن السيد سعد بن جعفر ، وبامير المدينة المعظم الجليل الكريم مولانا السيد مديبغ الحسيني ، وبالسيد سليمان بن السيد محمد الحسيني ، وبالسيد علي بن عامر الحسيني ، وبالسيد سلطان بن محمد بن خضر الحسيني ، وباخيه السيد خضر الحسيني ، وبالسيد ابي القاسم بن علي بن ابي القاسم .

واجتمعت بمفتي الحنفية ، صاحب الاخلاق الحميدة المرضية ، الرئيس الجليل الشهم المثيل مولانا السيد محمد اسعد رحمه الله تعالى ، وقد كان شمامة المدينة ذا همة ورتبة مكينة ، ملجأ القصاد ، مصدر الوراد ، وما زال بطيبه ملاذاً لكل غريب ، إلى ان نقل شهيداً إلى جوار الحبيب . وكانت وفاته صبح ثامن وعشرين رجب الفرد ، طعنه بعض شياطين المدينة ليلة المعراج في خاصرته . ثم صلب ذلك اللعين بعد الخسارة في دنياه وآخرته .

واجتمعت باخيه السيد عبد الله اسعد ، واجتمعت بمفتي الشافعية ، ذي الهمة العلية ، الرئيس النبيل ، المعظم الجليل ، مولانا الشيخ زين العابدين المنوفي .

واجتمعت بالعالم العلامة ، الحبر الفهامة الشيخ محمد بن عبد الله المغربي المدرس بالمسجد النبوي ، وقد كان علامة عصره في كل فن . توفي سنة الف ومائة واحدى واربعين بالمدينة .

واجتمعت بالسيد الخطيب الاجل النجيب الامثل مولانا السيد احمد بن السيد يحيي الازهري وارخت ايوانه في العوالي ببستانه المسمى عا سكة بقولي :

ما اتهم المذول بي واجد	إلا اغاني الرشا والجيد
يا لائمي دع الملام واتبع	طريق اهل الحب عل ترشد
وان تطع ما قلته وتسمع	فلازم الافراح سوف تسعد
أما ترى الربيع جاء مقبلا	في اصفر واحمر واسود
والجو من عظم السرور قد بكى	واضحك المنثور والمنضد
لله بستان حللنا روضه	كجنة الفردوس بل وازيد
وكيف وهو في حمى خير الانام الهاشمي القرشي احمد	
هزاره يغنيك في تغريده	وشجوه عن نغمات معبد
وبلبل الاسحار غنى طربا	على الغصون والحمام ردد
والجلنار خلته كأنه	خدود مياس القوام اغيد
والورد فاح عرفه كأنه	ثناء مولانا الخطيب احمد
والفل والريحان كل منهما	ذكرنا عهد الصبا وجدد
كذلك الكادي قد شبهته	صوارما يوم اللقا تجرد
والبدر ما بين النجوم خلته	وجه الرئيس الازهري المفرد
ما بين اصحاب وخلان صفوا	والكل منهم كامل المبرد
وماؤه مصفق وراقص	ومطرب القوم شدى وانشد
يا ايها المولى الذي اوصافه	وقدره الجليل ليس يجحد
حليت مذ حللت ياسامي الذرى	ايوان عز بالهنا تشيد
فاق على ايوان كسرى رونقاً	ورتبة وهيبة ومقصد
فدم واياه بعز شامخ	بجاه تاج الانبيا محمد
ياصاح قل في مدحه ماتشتهي	ومدح ايوان به تأيد

وقل لمن يريد تاريخاً له   بلفظ در فاخر منضد
ارخته في بيت شعر قد زها   بودي الوافي يتم ان عد
ديوان انس بالعلى مشيد   لنجل يحيى الازهرى احمد

واجتمعت بالجناب الجليل الشيخ عبد الكريم الانصاري حفظه الرب الباري

واجتمعت بالسيد الجليل العزيز المثيل ، مولانا السيد اسماعيل نجل السيد محمد مؤمن الحسيني رحمه الله تعالى ، توفى سنة الف ومائة وثلاث واربعين وامتدحته بهذا الموشح الذي بعضه على روي موشح الصفي الحلي الذي اوله :

شق جيب الليل عن نحر الصباح   ايها الساقون

فقلت :

صاح صاح الديك قم للاصطباح   وقتنا ميمون
واسقنيها بين ازهار الاقاح   فالوشاة نحون
خمرة صهباء منها المسك فاح   تشرح المغبون
هات درها لا تخف ريب الزمان   ما يكون يكون
دع كؤساً واسقنيها بالدنان   واجبر المحزون

بيت :

قل لشيخ قلبه منها نفور   اغنم اللذات
فز بها فالرب تواب غفور   يغفر الزلات
واحتسيها بين ولدان وحور   وابسط الاوقات
بين مزمار واعواد ودان   نظمه موزون
شربها في مذهب الصوفي امان   ليس فيه مجون

بيت :

استمع ما قلته يا ذا النديم   خالصاً عن مين
انها ناراً ضاءت للكليم   فاخلع النعلين

هي حياة الروح هي برء الكليم هي جلاء العين
عتقت في الدن دهراً من زمان سرها مكنون
فاجتليها بين اقار حسان كم بهم مفتون

بيت :

ايها الساقي ادرها باليمين واسقنا قدحان
قم ولا تصغي للوم اللائمين فالهنا قدحان
ان تكونوا في هواها صادقين يا اهيل الحان
فاشربوها شرب جد لا دهان كيفما تهوون
واتركوا من لامكم فيها وخان ما نع الماعون

بيت :

لست انسى حين وافاني الحبيب مخجل الاقار
وبدا يختال كالغصن الرطيب في دجى الاسحار
قال قم يا ايها المضني الكئيب ان بدرك زار
واصلح الاوتار ان السعد آن وغفا الواشون
واغتنم وصلي على كيد الشوان انهم عادون

بيت :

قمت من وقتي وحليت اللثام وارتشفت الراح
واعتنقت البدر معسول الوشام جالب الافراح
ثم غنا بعد ان كاد الغرام يسلب الارواح
لا تسل عما جرى يا ذا المصان فالحديث شجون
لا تقل فيما قضى كيف كان انني مفتون

بيت :

قال لي المحبوب قد نلت الوصال ما تشا من بعد

قلت مدحى سيداً حاز الجلال والتقى والسعد
ذاك اسماعيل ينبوع النوال من وفي بالوعد
كم له جود حكى قطر الرتان ليس بالمظنون
كم حباني بين ابناء الزمان ذا الفتى المأمون

بيت :

كم لفقري بالمطايا قد ذبح ذا عزيز الجاه
كم وكم اسدى الينا بالمنح حسبة لله
ذا فريد العصر حقاً لا نجح كل من عاداه
ذا رفيع القدر صدقا والمكان كفه سيحون
ذا ابو الآداب ذا رب البيان فضله جيحون

بيت :

ان وصفي قاصر عن مدح من اعجز الوصاف
بالسخا والقبض والذكر الحسن ليس فيه خلاف
الجليل الهاشمي المؤتمن عمدة الاشراف
ابقه يا رب لي طول الزمان ما دعا الداعون
بالضحى والليل والسبع المثان والنبا والنون

واجتمعت بالرئيس السيد الجليل ذى المقام العالى ، الجوهر الفريد النفيس المثيل الغالي ، مولانا السيد محمد بن السيد طه القادري . واجتمعت بالسيد الالمعي اللبيب الاريب اللوذعي الاديب مولانا السيد جعفر بن السيد محمد البيتي .

واجتمعت بالرئيس الجليل الغالي الجلبي عبد الرحمن بالي ، وباخيه الجلبي عبدالله بالي، وبكثير من اعزاء المدينة الكرام ، عليهم مني اشرف التحية والسلام .

﴿ ترجمة أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ﴾
(صاحب الصحيح)

قال ابن خلكان في تاريخه هو احد الأئمة الحفاظ والاعلام المحدثين ، دخل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر ، وسمع يحيى بن يحيى النيسابوري ، واحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن مسلمة القعنبي وغيرهم .

وقدم بغداد غير مرة ، وروى عنه اهلها ، وآخر قدومه اليها سنة تسع وخمسين ومائتين .

وروى عنه الترمذي وكان من الثقات .

وقال محمد بن الماسرخشى : سمعت مسلم بن الحجاج يقول صنفت هذا الكتاب المسند الصحيح من ثلاثمائة الف حديث مسموعة .

وقال الحافظ ابو علي النيسابوري : ما تحت اديم السماء كتاب اصح من كتاب مسلم في علم الحديث .

وقال الخطيب البغدادي : كان مسلم يناضل عن البخاري حتى اوحش مابينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه . وكان ابو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ لما استوطن البخاري نيسابور ، اكثر مسلم من الاختلاف اليه ، فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ما وقع في مسئلة اللفظ ونادى عليه البخاري ، ومنع الناس من التردد اليه حتى هجر خرج من نيسابور في تلك المحنة وقطعه اكثر الناس إلا مسلم ابن الحجاج فانه لم يتخلف عن زيارته، فانتهى إلى محمد بن يحيى ان مسلم بن الحجاج على مذهبه قديماً وحديثاً ، وانه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ، فلم يرجع عنه. فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه : ألا ومن قال باللفظ فلا يحل له ان يحضر مجلسنا ، فاخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤس الناس وخرج من مجلسه ، وجمع كل ما كان كتب عنه على ظهر حمال إلى باب محمد بن يحيي

فاستحكمت بذلك الوحشة بينهما ، وتخلف عنه وعن زيارته .

وتوفى مسلم المذكور عشية يوم الأحد ، ودفن بظاهر نيسابور يوم الأثنين لخمس بقين . وقيل : لست بقين من رجب سنة احدى وستين ومائتين ، وعمره خمس وخمسون سنة .

قال ابن خلكان : هكذا وجدته في بعض الكتب ، ولم أر احداً من الحفاظ يضبط مولده ، واجمعوا على انه ولد بعد المائتين .

قال ابن خلكان : وكان شيخنا تقي الدين ابو عمرو عثمان المعروف بابن الصلاح يذكر مولده ، وغالب ظني انه قال في سنة اثنتين ومائتين والله اعلم واحكم.

﴿ ذكر عبد الله بن عبد الكريم ﴾

وكان مطلعاً على احوال الامير احمد بن طولون عارفاً باموره عالماً بوروده وصدوره ، فقال : ان الامير احمد بن طولون كان يربي من يطرح على الطرقات من المواليد ، ويقيم لهم الكوافل ، ويسدي اليهم النفقات ، رغبة في الثواب وتقربا إلى الله تعالى بهذه الاسباب ، فوجد عند سقايته طفلا مطروحا فالتقطه ورباه ، وباسمه سماه ، وشهره باليتيم ، فلما كبر ونشأ كان اكثر الناس ذكاء وفطنة ، واحسنهم رواء وصورة ، وصار يرعاه ويعلمه ، وهو يعرف بأحمد اليتيم ، فلما حضرت وفاة احمد بن طولون اوصى لولده ابي الجيش خمارويه فاخذه اليه ، فبعد موت ابن طولون احضره الامير ابو الجيش ، وقال له انت عندي بمكانة ارعاك لها ، لكن عادتي اني آخذ العهد على كل من اصرفه في شيء من اموري انه لا يخونني فعاهده ، ثم حكمه في امواله وقدمه في اشغاله ، فصار احمد اليتيم مستحوذاً على المهام ، حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام ، والامير ابو الجيش يحسن اليه كلما رأى خدمته متصفة بالنصح ، ومساعيه متسمة بالنجح ، فركن اليه واعتمد في اسباب بيوته عليه فقال له يوما : يا احمد امض إلى الحجرة الفلانية ، ففي المجلس حيث اجلس مسبحة

جوهر فجئني بها ، فمضى احمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من خواص الامير نائمة مع بعض الفراشين ، فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية إلى احمد وعرضت نفسها عليه ودعته إلى قضاء وطره ، فقال لها : معاذ الله ان اخون الامير وقد احسن إلي واخذ العهد علي ، ثم تركها واخذ السبحة وانصرف إلى الامير وبقيت الجارية شديدة الخوف من احمد لئلا يذكر حالها للامير ، وبقيت اياماً لم تجد من الامير ما تنكره من اقباله ولا ظهر لها ما توهمته في احمد من تسرعه في مقاله وانتهاء حاله .

واتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها ، واعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ، ولا يراها .

وكان اولا مشغوفا بتلك الجارية الخائنة ، فلما اعرض عنها اشتغالا بالجديدة وشغلته بعذوبة رضابها ، عن ارتشاف ضرب اضرابها وهجر حظايا مقاصيره واقتصر عليها في طويل تنعمه وقصيره ، وكانت تلك الاولى متأمرة ، مطرحة حكم امره لا تخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه عنها ، ونسبت ذلك إلى اطلاع احمد اليتيم اياه على ما كان منها فدخلت على الامير ، وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها ، وركبت وجهها في صورة حزن افسادها بزمان فكرها واجهشت بالبكا بين يديه لاتمام كيدها ومكرها عليه ، وقالت ان احمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير استشاط غضباً وهم في الحال بقتله ، ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادماً يعتمد عليه وقال له : إذا ارسلت اليك انساناً ومعه طبق ذهب فاقتل ذلك الانسان ، واحمل رأسه في الطبق واحضره مغطى .

ثم ان الامير ابا الجيش جلس لشربه وحضر عنده ندماؤه ، واحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه ، جار على عادته في اجتناء جنا قربه ، ولم يخطر بخاطره ولا تقلب في قلبه شيء مما نسب اليه وقذف به ، فلما ثمل الامير واخذ منه ما كان يتناوله ، قال له : يا احمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم ، فقل له يملأه

مسكاً ، فاخـذه احمد اليتيم ومضى واجتاز احمد في طريقه بالمغنين وبقيـة الندماء والخواص ، فقاموا اليه وسألوه ان يجلس معهم ساعة . فقال : انا ماض في حاجـة للامير امرني باحضارها في الطبق ، فقالوا : ارسل من ينوب عنك في احضارها وخذها وادخل إلى الامير، فادار احمد عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان نائماً مع الجارية فاعطاه الطبق ، وقال له: امض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير أملء هذا الطبق مسكاً ، فمضى الفتى إلى الخادم ، وذكر له قصته فقطع الخادم رأسه وغسله وجعله في الطبق وغطاه ، واقبل به ، فناوله لاحمد اليتيم ، وليس عنده علم بباطن الامر ، فلما دخل به إلى الامير كشفه وتأمله ، وقال : ما هذا يا احمد؟ فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق والرسالة مع الفراش وانه لا علم عنده غير ما ذكره ، فقال له الامير : يا احمد تعرف لهذا الفراش خبراً استوجب به ما قد جرى عليه؟ فقال ايها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من خيانتك ، وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك ، ثم اخذ احمد يحـدثه بما شاهده وما جرى له وحديث الجارية من اوله إلى آخره لما انفذه إلى احضار السبحة . فدعا الامير ابو الجيش بتلك الجارية واستقرها فاقرت بصحة ماذكره احمد فاعطاه اياها وامره بقتلها ففعل فازدادت مكانته عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه ، وجعل ازمة جميع ما يتعلق به بيديه ، ولم يجعل لاحـد من عظماء تلك الدولة حكما يتسلط به عليه .

فانظر إلى آثار الوفاء كيف يحمي من المعاطب ، وينجي من قبضة التلف بعد انتضاء القواضب ويفضي بصاحبه إلى ارتقاء غوارب المراتب ويقضي لصاحبه على من يريد رداه ببغية الغائب وأمله الـكاذب ويرمى شيطان حدسه ومقتل نفسه من انتقام الله تعالى بشهاب قدرته الثاقب وسهم قضائه الصائب .

فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده ، وهو في الحقيقة بشر مثله وليس بعبده واطلع الله على صدق نيته وصحة جـده ، دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من

عنده ، فكيف إذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافياً في طاعته بعقده ، باذلا في واجبات عبادته ، واجتناب معصيته ، مستطاع جهده ، فانه تعالى وتقدس يفيض عليه من لطائف مواهب بره ورفده ، ويمنحه من رأفته ما يتعجل به انجاز وعده ويفتح له انواع رحمته واقسام نعمته ما لا ممسك له من بعده . انتهى .

بنى الشاه شجاع رباطاً بمكة المشرفة عند باب الصفا ، وامر ان يكتب على بابه من شعره هذين البيتين .

بباب الصفا بيت احل به الصفا	لمن هواصفى في الوداد من القطر
تباعده الاعذار بالملك والمدا	وليس بصب من تمسك بالعـذر

لبعضهم :

لئن نحن التقينا قبل موت	شفينا النفس من ألم العتاب
وان ظفرت بنا ايدي المنايا	فـكم من حسرة تحت التراب

لعبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس :

وردنا دماء من امية عذبة	وكلنا لهم في القتل بالصاع اصوعا
وما في كثير منهم بقليلنا	وفاء ولـكن كيف بالنار اجمعا
إذا انت لم تقدر على الشيء كله	واعطيت بعضاً فليكن لك مقنعا
رعبنا نفوساً منهم بسيوفنا	وصاح بهم داعي الفناء فاسمعا
قضيناهم ديناً وزدنا عليهم	كما زادبعض الفرض من قدتطوعا
وكان لهم من باطل الملك عارض	فلما علته شمس حق تشمشما
قليت علي الخير شاهد اسهماً	اصابتهم لم تبق في القوس منزعا

للشيخ عبد القادر الجيلاني :

يقول حبيبي وقد زارني وبت لطلعتـه اشهد
إذا كنت تسهر ليل الوصال فليل الصدود متى ترقد

(ابو دلامة) لما وعدته الخيزران ام هارون الرشيد في طريق الحج بجارية تأخرت

في اعطائه اياها ، فارسل اليها مع ام عبيدة جارية المتوكل شعراً :

ابلغي سيدتي بالله يا ام عبيده
انها ارشدها الله وان كانت رشيده
وعدتني قبل ان تخرج للحج وليده
فتأنيت وارسلت بعشرين قصيده
كلما اخلقت ارسلت لها اخرى جديده
ليس في بيتي لتمهيد فراشي من قعيده
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديده
وجهها اقبح من حوت طري في عصيده

فلما قرئت عليها ضحكت ضحكاً شديداً ، واستعادت البيت الاخير مراراً وبعثت اليه بجارية بهية ، وجائزة سنية .

في كتاب حياة الحيوان: نقل عن ابن الاثير في كامل التاريخ في حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة قال : كان جار وله بنت اسمها صفية ، فلما صار عمرها خمس عشرة سنة نبت لها ذكر وخرج لها لحية .

قلت : وذكر بعض المؤرخين ان بنتاً كانت في قيشة ـ وهي قرية من قرى اصفهان ـ تزوجت فحصل لها ليلة الزواج حكة في عانتها ، ثم خرج لها في تلك الليلة ذكر وخصيتان وصارت رجلا ، وصار ذلك في زمن السلطان الشاه خدا بنده

كتب الصفي الحلي إلى بعض الفضلاء وقد بلغه انه اطلع على ديوانه فقال : لا عيب فيه سوى انه خال من الالفاظ العربية فكتب اليه شعراً :

انما الحيزبون والدردبيس والطخا والنقاخ والعلطبيس
والغطاريس والسقحطب والصقعب والخربصيص والعيطموس
والجراجيح والعقنقس والسفلق والطرفسان والعطسوس
والسبنتي والحفص والهيق والهجرس والعقنقير والعنتريس

لغة تنفر المسامع منها حين تتلى وتشمئز النفوس
وقبيح ان يسلك النافر الوحشى منها ويترك المأنوس
ان خير الالفاظ ما اطرب السامع منها وطاب فيها الجليس
اين قولي هذا كثيب قديم من مقالي عقنقل قدموس
لم تجد شاديا يغني قفا نبك على العود اذ تدار الكؤس
لا ولا من شدا أقيموا بنى امى إذا ما ادبرت الخندريس
اترانى ان قلت للحب ياعلق درى انه العزيز النفيس
او تراه يدري إذا قلت خب الميربأني اقول سار العيس
او إذا قلت للقيام جلوس علم الناس ما يكون الجلوس
خل للاصمعي جوب الفيافي بنشاف تجف منه الرؤس
وسؤال الاعراب عن صيغة اللفظ إذا اشكلت عليه الاسوس
درست تلكم اللغات واضحى مذهب الناس ما يقول الرئيس
انما هـــذه القلوب حديد ولذيذ الالفاظ مغناطيس

للشريف ابو الحسن العقيلي مفتخراً :

نحن الذي غدت رحى احسابهم ولها على قطب الفخار مدار
قوم لغصن نداهم من رفدهم ورق ومن معروفهم اثمار
من كل وضاح الجبين كأنه روض خلائقـه لها ازهار

اقبل رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له: ما اسمك ؟ قال شهاب ابن حرقة ، قال: ممن ؟ قال : من اهل حرة النار ، قال : واين مسكنك ؟ قال : بذات لظى ، فقال له عمر : ادرك قومك فقد احترقوا ، فـكان الامر كما قال عمر !

وسأل بعض العرب رجلا عن اسمه ، فقال : بحر بن فياض بن تيار ، فقال له لا ينبغي لاحد يلقاك إلا في سفينة .

للأمير ابو الفتح الحاتمي وقد اجاد ما شاء :

اما ترى الخمر مثل الشمس في قدح كالبدر فوق يد كالغيث إذ صابت
فالكاس كافورة لكنها انحجرت والخمر يا قوتة لكنها ذابت

(اعرف هذه الفائدة)

انما للحصر عند الجمهور قيل بالمنطوق ، وقيل بالمفهوم ويقال له : الاختصاص والقصر خلافاً لمن فرق ، وهو اختصاص امر بآخر بطريق مخصوص ويعبر عنه ايضاً بانه اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما سواه وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة وعكسه ، وكل اما حقيقي او مجازي ، فالحقيقي نحو ما زيد إلا كاتب اي لا صفة له غير ذلك ، وهو كالمحال لتعذر ان يكون لذاته صفة واحدة فقط ، ولم يقع منه شيء في القرآن .

والمجازي نحو وما محمد إلا رسول ، اي مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الموت الذى استعظموه ذهولاً عن كونه من شأن الاله ، وانكر قوم افادة انما له ويرد عليه آيات كثيرة نحو (انما العلم عند الله) واعلم ان المحصور فيه هو الاخير ، ومن ثم كان مفاد انما قام زيد اثبات القيام لزيد ، ونفيه عن غيره وانما زيد قائم اثباته له ونفي غيره انتهى .

(فائدة)

كل اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر المضاف هو اليه والمعرف المجموع نحو (وكلهم آتيه يوم القيامة) فرداً واجزاء المعرف نحو (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) باضافة قلب إلى متكبر ، أى على اجزائه ، وقراءة التنوين لعموم افراد القلوب ، ثم ان لم يكن المفرد نعتاً لنكرة ، ولا توكيد المعرفة بان تلاها العامل كما هنا جازت اضافتها كما هنا وقطعها نحو (وكلا ضربنا له الامثال) واعلم انها حيث

اضيفت لمنكر وجب في ضميرها مراعاة معناها نحو (وكل شيء فعلوه في الزبر) (وعلى كل ضامر يأتين) او لمعرف جازت مراعاة لفظها في الافراد ، والتذكير ومراعاة معناها ، وكذا إذا قطعت نحو (قل كل يعمل على شاكلته) (وكل اتوه داخرين) وانها حيث وقعت في حيز نفي بان سبقتها أداته ، او فعل منفي نحو (ما جاء كل القوم) (وكل الدراهم لم آخذ) لم يتوجه المنفي لسلب شمولها ، فيفهم اثبات الفعل لبعض الافراد ما لم يدل على خلافه نحو (والله لا يحب كل مختال فخور) مفهومه اثبات المحبة لاحد الوصفين ، لكن لانظر اليه للاجماع على تحريم الاختيال والفخر مطلقاً وحيث وقع النفي في خبرها كقوله صلى الله عليه وآله وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك لم يكن توجه إلى كل فرد فرد .

وكذا ذكره البيانيون فاحفظ هذا فانه ينفعك ، انتهى .

(ترجمة الرئيس أبي على الحسين بن عبد الله بن الحسين بن على بن سينا الملقب شرف الملك البخارى) (الحكيم الفيلسوف)

صاحب التصانيف المشهورة ، كان ابوه من اهل بلخ ، من الكفاة والعمال تزوج امرأة يقال لها سارة من قرية من قرى بخارى ـ يقال لها افشنه ـ فولدت الرئيس ابا علي المذكور بهذه القرية ، فتعلم القرآن والأدب .

فلما بلغ عشر سنين حفظ اشياء من اصول الادب ، وتأمل احياناً رسائل الفضاء ، وتعلم الهندسة والجبر والمقابلة على محمود البقال وتلقن مسائل الخلاف عن اسماعيل الزاهد ، وقرأ كتاب ايسا غوجي وكتاب اقليدس والمجسطي على ابي عبد الله الناتلي ثم اشتغل بتحصيل العلوم الطبيعية والالهية والطبية حتى صار عديم المثل والقرين ، ثم اتصل بخدمة الامير نوح بن منصور الساماني ، وسأله الدخول

إلى خزانة كتبه ، فاذن له فدخلها وظفر فيها بكتب كثيرة في علوم الاوائل من كتب ابي نصر الفرابى الآتى ذكره وغير ذلك مما لم يكن في ايدي الناس .

وتوفى ابوه وعمره اثنان وعشرون سنة ، وتصرفت به الامور والاحوال وتقلد بعض اعمال السلطان ، ولما اضطربت امور الدولة السامانية دعته الضرورة إلى الخروج من بخارى إلى خوارزم ، وكان يلبس الطيلسان على زي الفقهاء ، ثم انتقل في البلاد ، ثم انتقل إلى همدان وتقلد وزارة شمس الدولة .

وكان قوي المزاج ، وقوة النكاح غالبة عليه . وكان يشتغل باستفراغها فأثر ذلك في مزاجه ، ولم يزل يعالج نفسه حتى ضعف واعتراه قولنج ، فحقن نفسه في يوم واحد ثمان حقن فقرح بعض امعائه .

فامر يوما باتخاذ البعض من بزر الكرفس في جملة ما يحقن به ، فطرح بعض غلمانه في الادوية شيئاً كثيراً من الافيون ، وكان السبب ان ذلك الغلام خانه سابقاً ، فخاف على نفسه منه ، فقصد قتله فصار من الضعف إلى حال لايقدر على القيام ، وكان مع ذلك يتجلد ، ويحضر مجلس علاء الدولة ولايحتمي ويجامع فصار يبرأ اسبوعا ويمرض اسبوعا ، ثم قصد علاء الدولة همدان من اصفهان ، ومعه ابوعلي المذكور فعاوده القولنج فوصل إلى همدان ، وقد سقطت قوته فأهمل المداواة وقال لا ينفع التدبير مع اوان التقدير .

ثم اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ورد المظالم إلى اهلها واعتق غلمانه ، وكان يحفظ القرآن الكريم ، فصار يختم في كل ثلاثة ايام ختمة إلى ان مات في يوم الجمعة الاولى من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين واربعمائة ، ودفن بهمدان ، وكانت ولادته في صفر سنة سبعين وثلاثمائة بالقرية المتقدم ذكرها والطالع السرطان درجة شرف المشتري والقمر على درجة شرفه ، والشمس على درجة شرفها ، والزهرة على درجة شرفها ، وسهم السعادة في تسع وعشرين من السرطان وسهم الغيب في اول السرطان مع سهيل والشعري اليماني . هكذا ذكره ابن خلكان

وللرئيس ابي علي المذكور مع تفننه في العلوم شعر فمن ذلك قوله في النفس :

هبطت اليك من المحل الارفع	ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع
انفت وما الفت فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقع
واظنها نسيت عهوداً بالحمى	ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها	من ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت	بين المعالم والطلول الخضع
تبكي وقد ذكرت عهوداً بالحمى	بمدامع تهمى ولما تقلع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى	ودنا الرحيل إلى الفضاء الاوسع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق	والعلم يرفع كل من لم يرفع
وتعود عالمة بكل خفية	في العالمين فخرقها لم يرقع
فهبوطها ان كان ضربة لازب	لتكون سامعة لما لم تسمع
فلاي شيء اهبطت من شاهق	سام إلى قعر الحضيض الاوضع
ان كان اهبطها الاله لحكمة	طويت على الفطن اللبيب الاروع
إذ عاقها الشرك الكثيف فردها	قفص عن الاوج الفسيح الاربع
فكانها برق تألق بالحمى	ثم انطوى فكانه لم يلمع

ومن المنسوب اليه قوله ايضاً :

اجعل غذاءك كل يوم مرة	واحذر طعاماً قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فانه	ماء الحياة يصب في الارحام

سينا ــ بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها الف ممدودة ــ والله تعالى اعلم وادرى واحكم .

﴿ فائدة ﴾

حبذا : هي كنعم عملا ومعنى مع زيادتها عليها باشعارها بان الممدوح بها محبوب للقلب واصله حبب ـ بالضم ـ أي صار صاحبه حبيباً لاحبب بالفتح ثم ادغم فصار حب ، والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير وان كان المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال لا تغير او لان فيه حذفاً تقديره ، في نحو : حبذا هند حبذا حسنها، وحبذا زيد ، وحبذا امره وشأنه ، فالمقدر المشار اليه مفرد مذكر وانما حذف واقيم المضاف اليه مقامه ولانه على ارادة جنس شائع اقوال، والاكثرون على الاول .

وقيل : حبذا ، كله فعل ، وفاعله المخصوص ، وقيل : الكل اسم واحد واختاره ابن عصفور ، فهو مرفوع اتفاقا ، ثم هل ، هو مبتدأ خبره المخصوص او عكسه قولان ، وعلى ان ذا هو الفاعل ، فالمخصوص مبتدأ ، والجملة هي خبره والرابط ذا .

وقيل : مبتدأ محذوف الخبر ، وقيل : عكسه ، وكأنه قيل من المجرب المحبوب ، فقال زيد أي هو ، وقيل بدل من ذا ، وقيل بيان ولا يتقدم مخصوص حبذا عليها ، وان جاز تقديمه بقلة على نعم لانها فرع عنها فلاتساويها في تصريفاتها وتحذف بقلة ، ويكون قبل المخصوص او بعده نكرة منصوبة مطابقة نحو حبذا الصبر شيمة ، وحبذا الرجلين الزيدان ، ثم ان اشتق اعرب حالا ، وإلا فهو تمييز على خلاف منتشر فيه وتدخل عليها لا فتساوي بئس في العمل ، والمعنى مع زيادة ما تقدم ضده في حبذا ، وهي غير منصرفة فلا مصدر لها ، ومن ثم عملت فيما عداه كالظرف والتمييز والحال ، وان توقف ابو حيان في الآخرين وتجرد من ذا فيضم اولها ، ويجوز بقاء فتحه ، وجر فاعلها بالباء كحب بها ، انتهى .

وقف رجل حبشي ومعه زوجته وابنته تحت ميزاب الكعبة المشرفة البهية

ودعا ربه بهذين البيتين بلغة العبرانية وهما :

دقدقها فتندى تبلى كرا بزندي
طبلكموا كوها بيند يند يندي

فسقط له الميزاب ثلاث مرات وخدمة البيت يأخذون الميزاب منه ويردونه إلى موضعه ، وكان علي بن الحسين عليه السلام جالساً في المسجد ، فقال لهم : ادفعوا اليه الميزاب فانه قد انعم به عليه رب هذه الكعبة ، ورب الارباب ، فدفعوه له ثم قال الناس للامام علي بن الحسين عليه السلام ماالذي تكلم به هذا الحبشي من الكلام؟ فقال انه كان يقول :

مستتر بخرقة عن العرى مجتنب عن اكل اموال الورى
فها انا وزوجتي وابنتي كما ترى يامن يرى ولا يرى

﴿ ترجمة أبي الوفاء شعبان بن سليم الصنعاني المولد والنشأة الرومي الأصل ﴾

احد المجيدين المعاصرين ، قال صاحب نسمة السحر في شأنه : المفتخر فاضل لو جاراه القمر لانصف او الفلك المحيط لرآه باحاطته بالآداب اعرف يقول مجاريه بفضل شعبان على محرم ولا جرم ، فالديباج الرومي انفس والنسيب مقدم به بان فضل ابن الرومي على العرب ، وأي بمثل العجم من جاراه ، وأما هو فجاء بمثل الرطب ، فمعانيه غواني تميس من الالفاظ في الحلل ، وما هو إلا الشمس ، ومن ناواه أما الجدي واما الحمل .

وله في الطب يد لا يقوى عليها بقراط تخفق لها المقل خفقان قلب العاشق بالاقراط ، وهو من ابناء اجناد الرومية ، الذين بعثهم السلطان سليمان بن سليم خان إلى بلاد اليمن ، وكان والده جنديا ، واما هو فتكسب بالتجارة اولا والخياطة ، ثم بالطب ، وفيه مع الادب صلاح تام ، وحسن عشرة وصمت ووقار . وقد جمع شعره في سفينة من رآها بات بها صباً ، واشبه الجلندي في اخذ كل سفينة غصباً .

فمنه وهو مما تشتاق اليه الروح وتترك الحاسد بالدمع في مثل طوفان نوح قوله :

يا اسرة الحب ان عز التخلص من   اسر الغرام وذقتم في الهوى الهونا
قيلوا بنا عند ما بمنا بحبهم   قلوبنا فعساهم ان يقيلونا

وله في مليح اسم رقيبة يحيي :

يا صفي الدين هل يرضيك يا باهي المحيا
انني مت غراما   ورقيبي فيك يحيي

وله في الثور الرقيب ، وكان يميل إلى شخص ينبز بالحبتين :

لقد ابدى الزمان لنا عجيبا   سرت اسراره في الخافقين
نمت فيه البركات حتى   تكفى ثورنا بالحبتين

وقلت انا في ثور يشرب الراح ، ولم يعرف الاغتباق من الاصطباح :

ان عب كأس الطلا ثور فلا عجب   وان يكن شربه من اعظم الجور
فالراح شمس اضاءت في الكؤوس ولم   يكن عجيباً حلول الشمس في الثور

والشعبان المذكور :

وشادن يقرأ في معشر   يسألهم ما الحال والماضي
فقلت ان الحال هذا الذي   ترى بنا من طرفك الماضي

وله في الموشح الملحون اليد القوية ، فمن ذلك قوله :

أقام عذري فيك لام العذار   يامتلفي بالصد والتيه
لذا حلا لي فيك خلع العذار   ونشر ما قد كنت اطويه
عادل قوامك ان تثنيت جار   وكم حويسد لامني فيه
حفيت جنة ورد خدك بنار   ونرجس الالحاظ يحميه

بيت :

يا من تفرد في الملاحة وفاق   فليس له في الحسن ثاني
عيون عشاقك لخصرك نطاق   مهما ترى للقلب ثاني

ومبسمك قـد رق وراق   خمر الشنيب الاقحوانى
ومن خـدودك يجتني الجلنار   لكن يحرق قلب جانيه

بيت :

الحسن كله قد قسم لك جميع   وانا غرامك قد قسم لي
فـكل كلي للصبابة مطيع   فيها قـد استحليت ذلي
مالي سوى حسنك اليك من شفيع   ساعي اليك في جمع شملي
عساك تنعم لي بقرب المزار   فالغصن قد يخضر ذاويه

بيت :

ما كان احلى جمعنا في زرود   ما بين هاتيك الاثيلات
وانت مثل الغصن تحت البرود   ولك إلى الاحباب ميلات
فليت شعري ما انقضى هل يعود   هيهات ولى ذاك هيهات
ابديت من بعد التجافي نفار   وودنا كدرت صافيه

وله :

اسعد الله مساك يا دولة   بالرضا والنعيم
حين وافيت صبك المولة   في دياجي البهيم
مرحباً بك على العيون والرأس   حين وافيت غفلة الحراس
في مقام السرور والايناس
كم وكم لي لهذه الليله   منتظر من قديم
وانت قد ملت يا رشا ميله   وانا بك أهيم
سف كأس المدام مستثنى   ان في الراح من لماك معنى
وبخديك جنـة تجني
قد حمته صوارم المقله   والقوام القويم
فلبعدك بمهجتي شعله   مثل نار الجحيم

واكثر شعره في الموشح يتغنى به لرقته ومحاسنه كثيرة لا تحصى ، انتهى .

﴿ فائدة ـ الاشهر الرومية ﴾

تشرين الاول : بارد رطب ، وتهيج فيه الامراض الدموية وتتولد فيه الصفراء ، وفيه يبتديء اشتداد البرد ، ويكره فيه شرب الماء البارد ليلا ، ويكره فيه الجماع والفصد والحجامة ، ويحمد فيه شرب الدواء والله اعلم .

تشرين الثاني : بارد يابس تهيج فيه المرة الصفراء ، ويشتد فيه البرد ، ويحمد فيه شرب الماء المسخن على الريق ، ويحمد فيه اكل الزنجبيل والنخوة والثوم والبصل والكراث والحلف والخردل ، ويحمد فيه الجماع ودخول الحمام ، ويكره فيه اكل لحم البقر والقثاء والسمك والزبد ، ويحمد فيه لبس الصوف والله اعلم .

كانون الاول : هذا الفصل بارد يابس تهيج فيه الامراض السوداوية وتتغير فيه الطبيعة ، ويستحب فيه شرب الماء البارد على الريق ، ويحمد فيه النكاح ويكره فيه أكل الزبد والسمك ، والله اعلم .

كانون الثاني : هذا الفصل حار رطب يهيج فيه الامراض الدموية وتهب فيه رياح مختلفة ، ويكثر فيه المطر والثلج ، ويجري الماء في الاغصان ، ويحمد فيه اكل لحم الطيور ، ويابس الفواكه والثوم والبصل ، ويكره فيه اكل الحلو ، والله اعلم .

شباط : هذا الفصل بارد رطب تهيج فيه الامراض البلغمية ، وتهب فيه الارياح المختلفة ، ويكثر فيه المطر والثلج ، ويكره فيه قطع الخشب وحرث الأرض ويجري الماء في الاغصان ، ويحمد فيه سف الكمون وشرب العسل ، ويكره فيه الفصد والحجامة ، وشرب الدواء ، والله اعلم .

آذار : هذا الفصل حار يابس تهيج فيه الامراض الصفراوية ويحمد فيه الفصد والحجامة ، والقيء وشرب المسهل ، ويؤكل فيه ماكان معتدلا لطيفاً ويشرب فيه الشرابات الحلوة ، ويحذر فيه من اكل البصل والثوم والكراث والسمك المالح

واللحم الغليظ والحوامض ، والله اعلم .

نيسان: هذا الفصل حار رطب تهيج فيه رياح الطبيعة وغاية الصحة ، وتغلب فيه السوداء ، وتهب فيه رياح المشرق ، ويحمد فيه اكل لحم الظباء والكباش والطيور والادهان الطيبة ، ويجتنب فيه الحار مثل الخلف والزنجبيل ، وتحمد فيه الحجامة والفصد وشرب المسهل ، ولبس اللباس النظيف ، والله اعلم .

ايار : هذا الفصل حار ورطب يهيج فيه الدم ، ويحمد فيه شرب الماء البارد على الريق ، ويؤكل فيه السمك مطلقاً وشرب اللبن فيه جيد ، وكذلك المسهل والفصد والحجامة ، وفيه يشتد الحر وتهيج المرة الصفراء والله اعلم .

حزيران : هذا الفصل حار يابس فيه تهيج الامراض الدموية ، وتكثر فيه الامراض المختلفة ، ويحمد فيه أكل الاجاص والرمان الحامض ، ويجتنب فيه اكل الثوم والكراث والبصل ، ويحمد فيه شرب العسل بالماء البارد العذب ، واكل العنب والتمر ، ويكره فيه الجماع ، ويحمد فيه الادهان الطيبة ، والله اعلم .

تموز : هذا الفصل حار يابس تهيج فيه الامراض الصفراوية ، وتهب فيه الرياح ويجتمع فيه السحاب ، وتكثر فيه الامطار ، ويكره فيه مايكره في الشهر الذي قبله ، ويحمد فيه ما يحمد في ذلك ، وفي اليوم الحادي والعشرين من هذا الشهر يطلع سهيل والقطب اليماني ، والله اعلم .

آب : هذا الفصل تهيج فيه امراض عديدة ، وتكثر فيه الجن ، وتكثر فيه الامطار ، ويستحب فيه اكل البارد والحار والحلو والحامض ، ويحمد فيه الفصد والحجامة ، وشرب المسهل والادهان الطيبه والقيء ويكره فيه النكاح إلا لضرورة والله اعلم .

ايلول : هذا الفصل حار رطب تهيج فيه الامراض الدموية والرياح ، ويشتد فيه البرد، ويحمد فيه قطع الخشب، وفيه يبتدىء هيجان المرة الصفراوية ويستحب فيه اكل كل رطب مسخن ، ويكره فيه اكل كل بارد يابس ، ويحمد فيه لبس

الصوف ، واكل لحم الطيور والضأن ، ويحذر فيه من لحم البقر والله اعلم .

حكي خادم المأمون قال : طلبني امير المؤمنين ليلة ، وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي : خذ معك فلاناً وفلاناً ، وسماها فقال : هما علي بن محمد والآخر دينار الخادم ، واذهب سريعاً لما اقوله لك فان اصحاب الاخبار قد ذكروا في ان شيخاً يحضر بيلا إلى آثار البرامكة وينشد شعراً ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندبهم ويبكي عليهم ، ثم ينصرف فامض الآن انت وعلي ودينار حتى تردوا الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر ، فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وانشد شيئاً فأتوني به قال : فاخذتهما ومضينا حتى وردنا الخرابات فاستترنا في بعضها ، وإذا نحن بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسي جديد ، وإذا بشيخ وسيم له جمال وعليه مهابة وصلف فجعل يبكي وينتحب ويقول شعراً :

ولما رأيت السيف جلل جعفراً ... ونادى مناد للخليفة في يحيي

بكيت على الدنيا وايقنت انه ... فصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا

أجعفر ان تهلك فرب عظيمة ... كشفت ونعمى قد وصلت بها نعمى

فقل للذي ابدى ليحيي وجعفر ... شماتته اذهب لشانيهما العقبي

لئن زال غصن الملك عن آل جعفر ... لما زال حتى اعر الغصن واستعلى

وما هي إلا دولة بعد دولة ... تبدل ذا ملكا وتعقب ذا بلوى

على انها ليست تدوم لاهلها ... ولو انها دامت لكنتم بها اولى

بني برمك كنتم قواعد عزنا ... وكنتم عين الجود ماهتزت اليمنى

بنى برمك كنتم من القد هامة ... وكنت كنور العين في الهامة العظمى

بنى برمك كنتم نجوما مضيئة ... بها يهتدي في ظلمة الليل من اسرى

لأيكم ابكي ألفضل ذي الندى ... أم الشيخ موسى ام لمحبوسكم يحيى

ام الماجد العباس ام لمحمد ... ام اسحاق ام يعقوب ام احمد المحضى

ام الملك المصلوب من بعد عزة ... وابكى بكاء المعولات لها الثكلى

لكلكم أبكي بعين غزيرة وقلب مريض لايموت ولايحيا

قال فتراأيناله لما فرغ وقبضناه فجزع وفزع وقال من أنتم ؟ فقلت له أنا من خواص أمير المؤمنين وهذا فلان وفلان قال وما تريدون مني ؟ فأعلمته بما أمر به أمير المؤمنين من أخذه الى مجلسه فقال ذرني أوصي وصية فاني لا آمن العطب على نفسي ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتحه وأخرج خاتماً وأخذ ورقة فهرها وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما دخل الى المجلس ومثل بين يدي امير المؤمنين رزبه ، وقال له : من انت وبماذا استوجبت البرامكة منك ان تفعل مافعلت في خرائب دورهم قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال ياامير المؤمنين للبرامكة عندي ايادي خضرة أفتأذن لي ان احدثك حالي معهم ، قال : قل ، قال : انا يا امير المؤمنين ابن المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك ، زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال ، وركبتني الديون حتى احتجت إلى بيع مسقط رأسي فأشار علي رؤس اهلي بالخروج إلى البرامكة ، فخرجت من دمشق ومعي النساء والصبيان ، وليس معنا ما يباع ولا يرهن حتى دخلنا بغداد ، ونزلنا بباب الشام في بعض المساجد فدعوت بثويبات لي كنت اعددتها لاستمنح بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ، ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد من خزف ، وفيه مائة شيخ باحسن زي وزينة ، وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد ، فجلست بين ايديهم وانا اقدم واوخر ، والعرق يسيل مني ، لانها لم تكن صناعتي وإذا بخادم قد اقبل فحدث الخادمين فدخلوا وازعجوا القوم فقاموا وأنا معهم وادخلونا دار يحيى بن خالد البرمكي فاذا هوجالس على دكة له وسط البستان فلما سلمنا عليه وبين يديه عشرة من ولده وإذا غلام امرد حسن عذر خده قد اقبل من بعض المقاصير ، وبين يديه خدم مقرطون بالذهب ، وفي وسط كل واحد منهم منطقة من ذهب يبلغ وزنها الف مثقال ، ومع كل خادم مجمرة من ذهب ولها مرفع من ذهب ، وفي كل مجمرة قطعة من العود ، وقد قرن به مثله من العنبر

السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام إلى جنب يحيى .

ثم ان يحيى قال للقاضي تكلم وزوج ابنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوج وشهد اولئك القوم واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا امير المؤمنين ملء كمي ونظرت وإذا نحن وفي الدكة ما بين المشايخ ويحيى بن خالد واولاده والغلام مائة واثنا عشر رجلا ، فخرج مائة خادم واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية فضة عليها الف دينار شامية فوضعوا بين يدي كل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ، ويقوم الاول فالاول ، حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا اجسر على اخذ الصينية والدنانير فغمزني الخادم فجسرت واخذتها ، وجعلت الذهب في كمي واخذت الصينية في يدي وقت وسرت وجعلت التفت إلى ورائي مخافة ان امنع من الذهاب فبينا انا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني إذ قال للخادم ائتني بذلك الرجل ، فرددت اليه فامر بسلب الدنانير ووضع الصينية وما كان في كمي من العود والعنبر ثم امرني بالجلوس فجلست فقال لي: ممن الرجل؟ فقصصت عليه قصتي ، فقال للخادم احضر ابني موسى فحضر ، فقال يا بني هذا الرجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وهمتك فقبض موسى على يدي واخذني إلى دار من دوره ، واكرمني وعاشرني يومي وليلتي اكلا وشربا وانساً .

فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال له : ان الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى ، وقد علمت اشتغالي في دار امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ، ففعل .

فلما كان من الغد تسلمني اخوه احمد ، ثم لم ازل في ايدي القوم يتداولوني عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني اهم في الاموات أم في الاحياء !

فلما كان في اليوم العاشر رفعت إلى الفضل ، فعطف علي وزادني في الكرامة فلما كان في اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا : قم واخرج إلى عيالك بسلام ، فقلت في نفسي: واويلاه سلبت الدنانير والصينية وقد

هلك اهلي واخرج اليهم على هذه الحالة ، انا لله وانا اليه راجعون ، فرفع لي الستر الأول ، ثم الثانى ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، فلما رفعت الستر الآخر قال لي الخادم : مهما رأيت فهو لك ، ونحن مأمورون بجميع ما تأمرنا ! فلما رفع الستر السادس رأيت حجرة كالشمس حسناً ونوراً واستقبلني فيها رائحة العنبر والمسك والعود والند ، وإذا بصبياني يتقلبون في الحرير والديباج ، وإذا قد حمل إلي الف الف درهم مبدرة وعشرة آلاف دينار وقبالتين بضيعتين ، وتلك الصينية التي خرج لنا فيها بنادق المسك والدنانير .

فبقيت يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أنا من البرامكة ام رجل غريب اصطنعونى ، فلما جاء القوم البلية ، ونزل بهم من امير المؤمنين هارون الرشيد ما نزل قصدنى عمرو بن مسعدة وألزمنى في هاتين الضيعتين ما لا يفى بدخلهما ، فلما تحامل على الدهر كنت في اواخر الدهر اقصد خرابات القوم فاندبهم ، واذكر حسن صنيعهم إلي وفاءاً لاحسانهم .

فقال المأمون : علي بعمرو بن مسعدة ، فلما أتى به قال له المأمون : يا عمرو أتعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين هو من بعض صنايع البرامكة ، قال : كم ألزمته في ضيعته ؟ قال : كذا وكذا ، قال : رد عليه كل ما اخذته في مدته وضيعته تكون له ولعقبه من بعد ، فعلا نحيب الرجل وبكاؤه ، فقال له المأمون : احسنت اليك فما يبكيك ؟ قال يا امير المؤمنين هذا ايضاً من صنايع البرامكة أرأيت يا امير المؤمنين لو لم آت خرائبهم فأبكيهم واندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي ما فعل ، من اين كنت اصل إلى امير المؤمنين ؟

قال ابراهيم بن ميمون فوالله لقد رأيت المأمون وعيناه قد دمعت وظهر على وجهه حزنه على القوم ، وقال هذا لعمري من صنايع البرامكة :

فعليهم فابك وإياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر

انتهى . . .

﴿ ترجمة ابي الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن ﴾
(شريك بن الصلب ـ بضم الصاد المهملة وسكون اللام)
(آخره باء موحدة ـ واسمه عمرو بن قيس بن)
(شراحيل بن هلال بن مرة بن ذهل)
(ابن شيبان الشيباني)

كان شجاعا جواداً جزيل العطاء ، كثير المعروف ممدوحا مقصوداً .

وكان مروان بن ابي حفصة الشاعر المشهور خصيصاً به واكثر مدائحه فيه وكان معن في ايام بني امية متنقلا في الولايات والمناصب العلية الجليلة ، ومنقطماً إلى يزيد ابن عمرو بن هبيرة الفزاري امير العراقين .

فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وجرى بين ابي جعفر المنصور العباسي وبين يزيد بن عمرو المذكور من محاصرته اياه بمدينة واسط مشاهد مشهورة وحروب مذكورة ابلى يومئذ معن مع يزيد المذكور بلاء حسناً ، واظهر شجاعته فلما قتل يزيد خاف معن من المنصور فاستتر عنه مـدة وجرى له في مدته غرائب لا تحصى . فمن ذلك ما حكاه مروان بن ابي حفصة الشاعر المذكور قال : اخبرني معن ابن زائدة وهو يومئذ والي اليمن ان المنصور جـد في طلبي وجعل لمن يحملني اليه مالا فاضطررت لشدة الطلب إلى ان تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضي ، والبست جبة من صوف ، وركبت جملا وخرجت متوجهاً إلى البادية لأقيم فيها ، فلما خرجت من باب حرب وهو احـد ابواب بغداد تبعني عبد اسود متقلداً بسيف حتى إذا غبت عن الحراس قبض على خطام الجمل ، واناخه وقبض على يدي فقلت : ما لك؟ فقال : انت طلبة امير المؤمنين ، قلت : ومن انا حتى اطلب ؟ قال : انت معن بن زائدة الشيباني ، فقلت : يا هذا اتق الله ، وأين انا من معن ؟ فقال: يا هذا والله اني لاعرف بك منك ، فلما رأيت منه الحديث الجد ، قلت له : هـذا

جوهر قد حملته معي باضعاف ما جمله لك المنصور فخـذه ولا تكن سبباً في سفك دمي ، قال : فأرنيه ؟ فأخرجته اليه ، فنظر اليه ساعة وقال : صدقت في قيمته ولست قابله حتى اسألك عن شيء فان صدقتني اطلقتك ، فقلت له : قل ، فقال : ان الناس قد وصفوك بالـكرم والجود ، فاخبرني هـل وهبت مالك كله ، فقلت : لا ، قال : فنصفه ، قلت : لا ، قال : فثلثه ، قلت : لا حتى بلغ العشر ، فاستحييت ، فقلت : أظن اني قد فعلت هـذا فقال : وما ذاك بعظيم ، ثم قال : انا والله رجل ضعيف ورزق من المنصور كل شهر عشرون درهما ، وهذا الجوهر قيمته الوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك وكرمك المشهور بين الناس ، ولـكن تعلم ان في الدنيا من هو اجود واكرم منك ، فلاتعجب بنفسك واحتقر بعد هذا كل شيء تفعله ، ولا تتوقف عن الـكرم والجود ، ثم رمى الجوهر في حجري وترك خطام البعير وولى منصرفا ، فقلت له : يا هذا والله لقد اخجلتني ولسفك دمي اهون علي مما صنعت بي ، فخذ هـذا الجوهر فاني غني عنه فضحك وقال : اردت ان تكذبني في مقالي هـذا والله لا اخذته ولا اخذت لمعروفي منا ابداً ومضى لسبيله ، فو الله لقد طلبته بعد ان امنت وبذلت جهدي لمن يجيء به لأجازيه على احسانه ، فما عرفت له خبراً ، وكأن الارض ابتلعته .

ولم يزل معن مستتراً حتى كان يوم الهاشمية ، وهو يوم مشهور ثارت فيه جماعة من اهل خراسان على المنصور ، فوثبوا عليه ، وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين اصحاب المنصور بالهاشمية المذكورة ـ وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة وذلك في ذي القعدة سنة اربع وثلاثين ومائة ـ .

وكان معن بن زائدة المذكور متواريا بالقرب منهم ، فخرج متنكراً معتما متلثما ، فتقدم إلى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا شديداً اظهر فيه نجدته وشجاعته وشهامته ، وفرقهم عن المنصور يميناً وشمالا ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فلما افرج القوم عن المنصور ، اقبل على المنصور ، وقبل ركابه ، فقال : ويحك من انت الذي

كشفت هذه الشدة ، فكشف لثامه وقال : انا طلبتك يا امير المؤمنين ، انا عبدك معن بن زائدة فآمنه المنصور واكرمه وحباه وكساه وصيره من خواصه ، ثم دخل بعد هذه الوقعة بايام قلائل على المنصور المذكور ، فلما نظر اليه قال له : هيه يا معن تعطي مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم على قوله فيك :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان

فقال : لا يا امير المؤمنين انما اعطيته على قوله في هذه القصيدة :

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان

فقال له : احسنت يا معن ما اكثر وقوع الناس في قومك ؟ فقال يا امير المؤمنين :

ان العرانين تلقاها محسدة ولاترى للئام الناس حسادا

ودخل عليه يوما وقد اسن فقال له : كبرت يا معن ! فقال : في طاعة امير المؤمنين ، فقال له : وفيك بقية ، فقال : هي لأمير المؤمنين ، فقال له : وانك لجلد ، فقال على اعداء امير المؤمنين ، وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة ، فقال : ويح هذا ما ترك لربه شيئاً .

واشتهرت قصائد مروان بن ابي حفصة الشاعر في معن بن زائدة واحسنها القصيدة اللامية التي ذكر بعضها ابن خلكان في ترجمة مروان وأولها :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم اسود لها في بطن خفان اشبل

هم يمنعون الجار حتى كأنهم لجارهم بين السماكين منزل

بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن كاولهم في الجاهلية اول

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا اجابوا وان اعطوا اطالوا واجزلوا

وما يستطيع الفاعلون فعالهم وان احسنوا في النائبات واجملوا

وهي طويلة تناهز الستين بيتاً ، ولولا خوف الاطالة لذكرتها .

ولمعن المذكور اشعار جيدة ، واكثرها في الشجاعة ، فمن ذلك قوله في

خطاب بن اخي عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وقد رآه يتبختر بين السماطين ، وكان قبل ذلك قد لقي الخوارج ففر منهم :

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم ... وصبرت عند الموت يا خطاب

نجاك جرار العنان كأنه ... تحت العجاج اذا سبحت عقاب

وتركت صحبك والرماح تنوشهم ... وكذاك من قعدت به الانساب

وقال ابو عثمان المازني النحوي حدثني صاحب شرطة معن قال : بينما انا راجل على رأس معن إذ هو براكب يوضع ، فقال : اظن الرجل لا يريد غيري ثم قال لحاجبه : لا تحجبه ، قال : فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد :

اصلحك الله قل ما بيدي ... فما اطيق العيال إذ كثروا

اناخ دهري رمى بكلكله ... فارسلوني اليك وانتظروا

فقال له معن وقد اخذته الاريحية : إذن والله لأعجلن رجوعك اليهم ، ثم قال : يا غلام ناقتي الفلانية والف دينار فدفعهما اليه ، وهو لا يعرفه ، واخبار كرمه كثيرة ، وقد قدمنا في هذا الكتاب بعض اخباره .

وكان ولي سجستان في اواخر امره ، وانتقل اليها وله فيها مآثر مشهورة وقصده الشعراء بها .

فلما كان سنة احدى وخمسين ، وقيل اثنتين وخمسين ، وقيل ثمانية وخمسين ومائة ، كان في داره صناع يعملون له شغلا فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه ، وهو يحتجم ، ثم تبعهم ابن اخيه يزيد بن مزيد بن زائدة فقتلهم باسرهم .

وكان قتله بمدينة بست ، ولما قتل رثاه الشعراء باحسن المراثي ، فمن ذلك قول مروان بن ابي حفصة المختص به المذكور ، وهي قصيدة من افخر الشعر واحسنه واولها :

مضى لسبيله معن وابقى ... مكارم لن تبيد ولن تزالا

كأن الشمس يوم اصيب معن ... من الاحزان ملبسة جلالا

هو الجبل الذي كانت نزار تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن وقد يروى به الاسد النهالا
واظلمت العراق واورثتها مصيبته المجللة اختلالا
وظل الشام يرجف جانباه لركن العز حين وهى ومالا
وكادت من تهامة كل ارض ومن نجد تزول غداة زالا
فان يعلو البلاد له خشوع فقد كانت تطول به اختيالا
اصاب الموت يوم اصاب معنا من الاحياء اكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن إلى ان زار حفرته عيالا
ولم يك طالب المعروف ينوى إلى غير ابن زائدة ارتحالا
مضى من كان يحمل كل ثقل ويسبق فيض نائله السؤالا
وما عهد الوفود بمثل معن ولا حطوا بساحته الرحالا
ولا بلغت اكف ذوي العطايا يميناً من يديه ولا شمالا
وما كانت تجف له حياض من المعروف مترعة سجالا
لابيض لا يعد المال حتى يعم به بغاة الخير مالا
فليت الشامتين به فدوه وليت العمر مد له فطالا
ولم يك كنزه ذهباً ولكن سيوف الهند والحلق المذالا
ومارية من الخطى سمرا يرى فيهن لينا واعتدالا
وذخرا من محامد باقيات وفضل تقى به التفضيل نالا
مضى لسبيله من كنت ترجو به عثرات دهرك ان تقالا
فلست بمالك عبرات عين ابت بدموعها إلا انهمالا
وفي الاحشاء منك غليل حزن كحر النار يشتعل اشتعالا
وقائلة رأت جسمي ولوني معاً عن عهدها قلبا نحالا
ارى مروان عاد كذى نحول من الهندي قد فقد الصقالا

رأت رجلا يراه الحزن حتى ‏ ‏ اضربه واورثه خبالا

فقلت لها الذي انكرت مني ‏ ‏ لفجع مصيبة ابكى وغالا

وايام المنون لها صروف ‏ ‏ تقلب بالفتى حالا فحالا

كأن الليل واصل بعد معن ‏ ‏ ليالي قد قرن به فطالا

فلهف ابي عليك إذا المطايا ‏ ‏ جعلن منى كواذب واعتلالا

ولهف ابي عليك إذا اليتامى ‏ ‏ غدوا سغباً كان بهم شلالا

ولهف ابي عليك إذا القوافي ‏ ‏ لممدوح بها ذهبت طلالا

ولهف ابي عليك لـكل هيجا ‏ ‏ لها تلقى حواملها السجالا

اقمنا باليمامة إذ يئسنا ‏ ‏ مقاما لا نريد له زيالا

وقلنا اين نرحل بعد معن ‏ ‏ وقد ذهب النوال فلا نوالا

وما شهد الوقائع منك امضى ‏ ‏ واكرم مقدماً واشد بالا

سيذكرك الخليفة غير قال ‏ ‏ إذا هو في الامور بلى الرجالا

وما تفنى وقائعك اللواتى ‏ ‏ على اعدائه جعلت وبالا

ومعتركا شهدت به حفاظاً ‏ ‏ وقد كرهت فوارسه النزالا

حباك ابو امية بالمراثي ‏ ‏ مع المدح الذي قد كان قالا

اقام وكان نحوك كل عام ‏ ‏ يطيل بواسط الرحل اعتقالا

والقى رحله اسفا وآلى ‏ ‏ يميناً لا يشد له الرحالا

وهذه المرثية من احسن المراثى .

ودخل مروان بن ابى حفصة هذا على جعفر البرمكي ، فقال له ويحك انشدنى مرثيتك في معن فأنشأ يقول :

وكان الناس كلهم لمعن ‏ ‏ إلى ان زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه ، فلما فرغ قال له جعفر : هل اثابك على هذه المرثية احد من ولده واهله شيئاً ؟ قال لا ، فقال جعفر

فلو كان معن حياً مريضاً ، ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها ؟ قال اصلح الله الوزير اربعمائة دينار . قال . فانا نظن انه كان لا يرضى بذلك ، فانا قد امرنا لك عن معن رحمه الله بالضعف مما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك ، فاقبض من الخازن الفاً وستمائة دينار قبل ان تنصرف إلى رحلك ، فقال مروان يذكر جعفراً وما سمح به عن معن :

نفحت مكافياً عن قبر معن	لنا مما تجود به سجالا
فعجلت المطية يا ابن يحيي	لنادية ولم ترد المطالا
وكافأ عن صدى معن جواد	باجود راحة بذل النوالا
بنى لك خالد وابوك يحيي	بناء في المكارم لن ينالا
كان البرمكي بكل مال	تجود به يداه يفيد مالا

ثم قبض المال وانصرف .

ومن المراثي النادرة ايضاً ابيات الحسين بن مطير الاسدي يرثي معن بن زائدة ايضاً وهي :

ألما على معن وقولا لقبره	سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معن كيف واريت جوده	وقد كان منه البر والبحر مترعا
فيا قبر معن كنت اول حفرة	من الارض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت	ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
فتى عاش في معروفه بعد موته	كما كان بعد السيل مجراه مترعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى	واصبح عرنين المكارم اجدعا

واحاديث معن كثيرة ، ومكارمه شهيرة ، والله ولي التوفيق ، وبالله المستعان .

فلما كان خامس عشر شعبان المعظم عام الف ومائة واربعين من هجرة النبي المكرم رحلنا من المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة وازكى السلام وسرنا إلى بيت الله الحرام صحبة الجناب الرئيس التاجر نجل الاعاظم الاكابر الخواجا احمد خوج

ومعنا الجناب الغني عن الالقاب الخطيب عبد الله البري ، فقيلنا في آبار علي ، ثم سرنا فاتينا الفريش ـ وقد سبق ذكر هـذه المنازل ـ . ثم رحلنا فاتينا النازية ، ثم شعب الحاج ، ثم الصفراء ، ثم بدرا ، ثم خبت البزوا ، ثم مستورة ، ثم رابغ ، ثم سبيل كلية ـ وهو سبيل مبنى للماء في بر أقفر ـ والآن هدم ذلك السبيل ، ثم خليص ـ وهو وادبه بعض النخيل وبه عين ماء ضعيفة وبركة عظيمة وهواؤه وخيم ـ ثم القمرا وهو واد اقفر .

ثم رحلنا في وقت ازهر فاتينا وادي مر وهو المشهور في زماننا هذا بوادي فاطمة ، به النخيل المتراكة والمياه المتلاطمة والاشجار المؤتلفة والاطيار المختلفة .

شعر :

لله ايام بوادي فاطمة فـكم قضينا فيه من منادمه
يجمعم به التهاني دائمه واعين الحساد عنا نائمه

فلما اسفر صبح ثامن وعشرين من شعبان دخلنا مكة وفزنا بزيارة بيت الله ذي الاركان ونحن في فرح وأمان وارخت دخولي بقولي :

قـد سحت عشر سنين مع اثنين ياصحبي وجلت
ومشيت في ارض المهيمن ذي العطاء كما امرت
ورزقت وافر رزقه ولفضله الوافي شكرت
ورأيت خلق الله شرقا ثم غربا واعترفت
ورجعت ابغي طيبة وضريح خير الخلق زرت
وغدوت قاصد مـكة وببيت مولاي وفدت
وقضيت كل مناسكي وسعيت فيها ثم طفت
فالحمـد لله الذي بجميع ما ارجو ظفرت
ولقد اتى التاريخ في ام القرى بهنا وردت

ونزلت بدار ابن عمي السيد الجليل الكريم النبيل الامجد الانجد السيد نور الدين

ابن احمد ، وقد كان فريد عصره في الكرم والاخلاق الرضية والهمم .

توفى سنة الف ومائة وخمس وثلاثين ، ودفن بالمعلات بمقبرة اجدي السيد نورالدين، مقابل ضريح خديجة الكبرى ام المؤمنين عليه رحمة رب العالمين وكنت اولا قد نزلت بدار السيد الجليل اللوذعي الفاضل النبيل ابن عمي السيد رضي الدين ابن العلامة الفهامة السيد محمد حيدر قدس الله روحه .

واجتمعت بمفتي مكة المشرفة العالم العامل المصقع الفاضل الرئيس العظيم الماجد الشهم الكريم مولانا الشيخ تاج الدين بن الشيخ عبد المحسن القلعي وبابنه العالم العلامة ذي المجد والشهامة ، الشيخ عبد المنعم القلعي .

واجتمعت بالامام العالم الهمام ذي المكارم ، صاحب الولاية والفضيلة مولانا الشيخ محمد بن احمد عقيلة ، وباخيه الشيخ عمر عقيلة .

واجتمعت بالسيد العالم الرئيس نجل الاعاظم مولانا السيد عمر بن السيد احمد العلوي . واجتمعت بشيخي واستاذي ، وكهفي وملاذي العالم الورع الزاهد الصالح الناسك العابد ، الذي لسائر العلوم مشهور ، مولانا السيد عبد الله باعلوي نجل السيد جعفر الملقب بمدهر .

واجتمعت بالامام العالم الشهير ، الزاهد الناسك الكبير من هو من كل عيب بري ، امام المقام الابراهيمي ، مولانا السيد محمد بن الامام السيد علي الطبري ، وباخيه الامام السيد عبد الوهاب الطبري .

واجتمعت بالالمعي اللبيب اللوذعي الاديب ، شاعر الحجاز بالاجماع الشيخ سالم الصفدي الشماع . وباخيه الشيخ عبد الكريم الشماع .

واجتمعت بالجناب الرئيس ، الشاعر الماهر النفيس ، اليلمعي الخبير الشيخ عبد الرحمن بن علي الوزير .

واجتمعت برئيس مكة على الاطلاق الذي انعقد على رأسه الوفاق ، عزيزي وسندي وذخري مولانا الشيخ سالم بن المجتهد العلامة الشيخ عبد الله البصري .

واجتمعت بالسيد الشريف الحزبر الغطريف السيد بشير بن مبارك بن فضل الحسني ، وقد كان فريد عصره رحمه الله تعالى .

توفي سابع شهر رمضان سنة الف ومائة واربعين ، وخطب عليه الرئيس من اعلى المقام ، على سالف اجداده الكرام ، ودفن بالمعلاة بمقبرة جدي السيد نور الدين مقابل ضريح السيدة خديجة الكبرى ام المؤمنين عليه رحمة رب العالمين

واجتمعت بالجناب ذي الفضل والاحسان ، مولانا علي جلبي بن المرحوم ابراهيم جلبي حميدان ، وبالجناب الرئيس عين الاعيان ، مولانا زين العابدين جلبي ابن المرحوم مصطفى حميدان . وبابن عمه ابي بكر بن المرحوم سليمان حميدان .

واجتمعت بكثير من اعزاء مكة الكرام ، عليهم مني افضل التحية وازكى السلام .

سلامي على سكان مكة والحمى ومن حل في تلك الديار وخيما
فكم لي فيها من صديق الفته وخل كريم بعده القلب كلما
عسى من قضى بالبعد بيني وبينهم يمن علينا بالتلاقي تكرما

﴿ ترجمة أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ﴾

قال ابن خلكان ، وقيل يزيد بن كثير بن غالب صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير : كان اماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه ، وغزارة فضله وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد احداً .

وكان ابو الفرج المعافى زكريا النهرواني المعروف بابن طراز على مذهبه .

قال ابن خلكان : ورأيت في بعض المجاميع هذه الابيات منسوبة اليه :

إذا اعسرت لم يعلم شقيق وأستغنى فيستغنى شقيقي
حيائي حافظ لي ماء وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقي

ولو انى سمحت ببذل وجهي لكنت إلى الغني سهل الطريق

وكانت ولادته سنة اربع وعشرين ومائتين بآمل طبرستان. وتوفى يوم السبت آخر النهار ، ودفن يوم الاحد في داره ، في الثالث والعشرين من شوال سنة عشر وثلاثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى .

قال ابن خلكان : ورأيت بمصر في القرافة الصغرى عند سفح المقطم قبراً يزار ، وعند رأسه حجر مكتوب عليه : هذا قبر ابن جرير الطبرى والناس يقولون هو صاحب التاريخ ، وليس بصحيح ، بل الصحيح انه ببغداد .

وكذلك قال ابن يونس في تاريخ مصر المختص بالغرباء : انه توفى ببغداد . وابو بكر الخوارزمى الشاعر المشهور هو ابن اخيه ، والله ولي التوفيق وهو نعم الرفيق .

قيل ان عمرو بن هند عم النعمان بن المنذر ملك الحيرة في زمن كسرى كان له اخ مسترضع في بنى تميم فخرج يوما متصيداً ، فمر بأبل من بني تميم فعقر منها ناقة ، فجاء صاحبها فوثب عليه فقتله ، فنذر عمرو ـ وكان شديد البأس ـ ان يقتل من بنى تميم مائة من خيارهم بدل ذلك المقتول ، فغزاهم يوماً في اورات فسبي من اصاب من بلادهم ، واقبل يقتلهم وآلى ليقتلنهم حتى يبلغ الارض الدم ، وليحرقنهم فقيل له : ايها الملك لترفعن او فقد افنيتهم ، فقال : والله لا تركتهم او يأتونى بمائة رجل من خيارهم ، فطلبوا فلم يوجد منهم إلا تسعة وتسعون رجلا ، فلما جيء بهم امر فاحتفرت لهم حفرة واضرم فيها ناراً والقوا فيها رجلا رجلا ، وبقى واحداً إذ اقبل رجلا منهم من البراجم كان ابصر الدخان ، ووجد قتار لحومهم على بعد فظن انه طعام يصطنع للناس ، فلما رأى ما رأى جزع ، فقال عمرو : انظروا ممن الرجل ؟ فأتى به اليه فقال له : ممن انت ؟ فقال : من البراجم ! فقال عمرو : ان الشقى وافد البراجم ، القوه في النار ليتم نذرى ، فتم نذره وارسلها مثلا ، والبراجم من بني تميم ، انتهى .

﴿ فائدة ـ ما في القرآن المجيد ﴾

الكلمات : ٧٦٤٤٠ ، الحروف : ٣٢٣٣٧٢ ، الالفات : ٤٠٧٩٢ ، الباآت : ١٠١٤٠ ، التاآت : ٢١٩٩ ، الثاآت : ١٢٥١ ، الجيمات : ٣٤٩٣ ، الحاآت : ٩٥٦٠ ، الخاآت : ٢٤١٥ ، الدالات : ٤٣٩٨ ، الذالات : ٤٨٤٠ ، الراآت : ١٠٩٠٢ ، الزايات : ٩٠٨٣ ، السينات : ٤٠٩١ ، الشينات : ٢٠١٣٣ ، الصادات ١٢٧٤ ، الضادات : ١٢٠٠ ، الطاآت : ٨٤٠٠ ، الظاآت : ٩٢٢٠ ، العينات : ٧٤٩٩ ، الغينات : ١٥٢٠ ، الفاآت : ٩٥٠٠ ، القافات : ٥٢٤٠ ، الكافات : ٢٦٠٠ ، اللامات : ٢٦٠٩١ ، الميمات : ٢٥٢٠ ، النونات : ١٣٧٠٠ ، الواوات ١٣٧٠٠ ، الهاآت : ٧٠٠٠ ، الياآت : ٥٠٦٢ .

قال الشيخ الامام الخليل بن احمد : قد جمعت الحروف كلها مع معانيها التي وردت عن العرب ، وقد الفتها على حسب ماسنح لي ، وأسأل الله التوفيق في جميع الامور والاحوال ، والنية والآمال ، انه ولي الاجابة والقادر عليها .

﴿ فائدة ـ ذكر معاني اسماء حروف الهجاء من لغة العرب ﴾

الالف : الرجل الفريد في الفضائل ، قال اويس : هناك انت الالف المهبا .

الباء : الرجل الكثير الجماع ، قال المؤمل :

انبئت انك باء حين تلقاها وفي المعارك لاتستعمل الباها

التاء : البقرة التي تحلب دائماً ، قال المهلل :

واني في الهيجاء فارس حومة وجدك عبد يحلب التاء دائما

اقول : والتاء الناقة التي تحلب دائماً ، قال الشاعر :

وإذا الفتى اضحى كتاء تاقياً فلنفسه بنيان مجد شيدا

الثاء : هي العين من كل شيء ، قال ابو زيد :

إذا ما اتى ضيف وقد حلل الدجى اجيب بثاء اللحم والخبز والسكر

أقول : والثاء اللين من كل شيء ، قال الشاعر :

فارفق ولن واخفض جناحك للورى كالثاء ان من الليان تمجدا

الجيم : الجمل القوي ، قال عمرو :

تجدني جيا في الوغى ذا شكيمة تري البر فيها راتعات هواربا

الحاء : المرأة السليطة ، قال ابو الرويداء :

تمشي بنو العنقاء وابن مخرق وانت ابن حاء اخرها مثل منجل

الخاء : شعر الاست ، قال المنقري :

ولاستك خاء في التواء كأنه حبال بايدى الساقيات الموائح

الدال : المرأة السمينة ، قال ابن الزعبرى :

خوداء عطبولة برهرهة دال كأن الدلال خص بها

الذال : عرف الديك ، قال الحارث اليشكري : كذاك الذال يأتلف ائتلافا .

اقول : ولم يبين الخليل معنى الراء ، وهو القراد الصغير ، قال الشاعر :

لا تغبهن عن كاشحيك حقارة فالراء اضحى للقبول مهددا

الزاى : الرجل الكثير الاكل ، قال اويس :

إذا اختلف الشواء يكون زاء وعند الناس رأيا جعفريا

السين : الرجل الكثير اللحم والشحم .

أقول : والسين الغنى البخيل ، قال العتابى :

يجود على العفاة بكل من إذا ما السين شح بما يراد

الشين : الرجل الكثير الجماع ، قال ابن الزعبرى :

إذا ما القلب تاه بحاجبيه فانت الشين تفخر بالجماع

الصاد : الديك المتمرغ في التراب ، قال عدى :

فاني إذا ما غبت عني مبعداً كأنى صاد في الثرى يتململ

أقول : والصاد الصفر والنحاس .

قال محمد :

لا تسألن الرفد من ذى ضنة قد ذاب مثل الصاد إذ مااسترفدا

الضاد : الهدهد ، قال عدى :

كأنى ضاد يوم فارقت مالكا انوء إذا رمت القيام واكسل

الطاء : الشيخ الذى لا يصبر عن الجماع ، قال ابن ابى سلمى :

اني وان قل في الهوى طمعي طاء الجماع قوي غير ذي عنف

الظاء : المرأة الغليظة الثديين ، قال لبيد :

انكحت من حي عجوزاً هرمة ظاء الثدي كالجبال هدرمة

العين : سنام الابل ، قال معن بن زائدة :

ألا رب عين قد نحرت لطارق فاطعمته من عينه واطايبه

أقول : والعين الذهب المسجدى ، قال الشاعر :

العين للانسان قرة عينه فاجمع هديت إذا استطعت المسجدا

الغين : الابل الواردة ، قال ابو المؤيدى :

تراءت لعين المدلجين نويرة وقد وردت غين صويب المناخا

أقول : والغين السحاب ، قال محمد :

وانثر بمثل الغين مالك ان ترد تفى الناس عزاً او تؤمل سوددا

الفاء : زبد البحر ، قال الطائي :

وما مزبد طاء يجيش بفائه باجود منه يوم يأتيه سائله

أقول : ولم يبين الخليل معنى القاف ، وهو الرجل العاقل المدبر ، قال الشاعر :

كن عاقلا قافاً برأيك حازماً وخض الامور لكي تصير منجدا

الكاف : الرجل المصلح والمفيف ايضاً قال كثير

جواد إذا ما جئت تبغي نواله وكاف إذا ما الحرب شب شبابه

اللام ؟ الشجر المثمر ، قال الثقفي :

اصبحت في روضة زهراء مونقة ولامها من رياح الري يرتعد

الميم : الخمر ، قال العبد الرماني :

هذا البديع قد بدا للنظر فامزج الميم بماء المطر

النون : الحوت ، قال الله تعالى: (وذا النون) أي صاحب الحوت ـ يعني يونس عليه السلام ـ .

والنون ايضاً الدواة ، قال الله تعالى (نون والقلم) وذلك رواية ابن عباس وفي ذلك انشد ابن ذهيل :

نونان نونان لم يخططهما قلم في كل نون من النونين عينان

الواو : البعير ذو السنام ، قال ابو ذؤيب الهذلي :

وكم مجهد اغنيته بعد فقره فآب بواو محتد وسوام

الهاء : اللطمة في خد الصبي ، قال ابو ميسره :

كأن خديه وقد لمته هاء غزال يافع لطمته

اللام الف :شسع النعل ، قال الاخطل :

امش الهوينا على رسل لتلحقه وان عجلت فقد تلحق بلام الف

الياء : الناحية ، قال عمرو :

تيممتها بالياء صيفاً رأيتها كبدر منير طالع ليلة القدر

قال ابن حزم في مراتب الاجماع : واجمعوا على ان ليلة القدر حق ، وهي في السنة ليلة واحدة ، انتهى .

ومنهم من قال : هي في مجموع شهر رمضان .

ومنهم من قال : هي في افراد العشر الأواخر ، ومنهم من قال : هي في السابع والعشرين ، وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو مأخوذ من عدد حروف ليلة القدر تسعة احرف ، وهي مذكورة ثلاث مرات ، فيكون سبعة وعشرين .

ومنهم من قال : هي في مجموع السنة لا يختص بها رمضان ولا غيره ، وروي ذلك عن ابن مسعود ، وقال : من يقم الليل يصبها .

ومنهم من قال : رفعت بعد النبي ﷺ إذ كان فضلها لنزول القرآن .

والذين قالوا انها في مجموع رمضان اختلفوا في تعيينها على ثمانية اقوال : قال ابن رزين : هي الليلة الاولى . وقال الحسن البصري : في السابعة عشرة وقال انس : في التاسعة عشرة ، وقال محمد بن اسحاق : في الحادية والعشرين ، وقال ابن عباس : في السابعة والعشرين ، وقال ابن مسعود : في الرابعة والعشرين ، وقال ابو ذر : في الخامسة والعشرين .

ومن قال انها لا تختص برمضان يلزمه اذن لو قال لزوجته انت طالق ليلة القدر انها لا تطلق حتى يحول عليه الحول لانها قد تكون مرت بيقين لان النكاح امر متيقن لا يزال إلا بمثله ، و كونها في رمضان امر مظنون .

وفي هذا التفقه نظر ، لان الاحاديث الصحيحة التي تثبت بخبر الآحاد توجب العمل ولا تفيد العلم .

وقيل في تسميتها بليلة القدر وجوه احدها : انها ليلة تقدير الامور والاحكام قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : ان الله تعالى قدر ما يكون في تلك السنة فيها من رزق واحياء واماتة ، إلى مثل هذه الليلة .

وقيل : القدر الضيق لان الارض تضيق على الملائكة تلك الليلة .

وقيل : القدر للفاعل متى اتى فيها بالطاعة ، كان ذا قدر وشرف .

وقيل : نزل فيها كتاب ذو قدر وشرف عظيم . وقيل : غير ذلك .

واعلم ان الله تعالى لا يحدث تقديره في هذه الليلة لانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض في الازل (وكل شيء احصيناه في كتاب مبين) وهو ارحم الراحمين .

كان الشيخ عزالدين إذا قرأ القارىء عليه من كتاب وانتهى إلى آخر أي باب

من ابوابه لا يقف عليه ابداً ، بل يأمر القارىء ان يقرأ من الباب الذي بعده ولو سطراً واحداً ، او يقول ما اشتهي ان نكون ممن يقف على الابواب .

قال الصفدي رحمه الله : رأيت لابي القاسم الجرجاني مصنفاً قد قسم فيه اللام إلى احدى وثلاثين قسما وهي : لام التعريف ، ولام كي ، ولام الاستحقاق ، ولام الملك ، ولام الجحود، ولام ان ، ولام الابتداء ، ولام التعجب ، ولام تدخل على المقسم به ، ولام جواب القسم ، ولام المستعان به ، ولام المستعان من اجله ، ولام الامر ، ولام المضمر ، ولام تدخل في النفي بين المضاف والمضاف اليه ، ولام تدخل على الفعل المستقبل ، ولام لازمة في القسم لا يجوز حذفها ، ولام تلزمه ولام ان المكسورة إذا خففت من المثقلة ، ولام العاقبة ، ولام الصيرورة عند الكوفيين ، ولام التبيين ، ولام لولا ، ولام التكبير ، ولام تزاد في عندك وما اشبهه ولام تزاد في لعل ، ولام ايضاح المفعول من اجله ، ولام تعاقب حروفها ، ولام تكون بمعنى إلى ، ولام توصل الافعال إلى مفعولين .

كتب بعض الافاضل مع كرسي اهداه لبعض الافاضل شعراً :

اهديت شيئاً يقل لولا احدوثة الفال والتبرك

كرسي تفاءلت فيه لما رأيت مقلوبه يسرك

﴿ ترجمة الملك عضد الدولة أبي شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة ﴾

قال الثعالبي في يتيمة الدهر : كان على ما مكن له في الارض ، وجعل له من ازمة البسط والقبض ، وخص من رفعة الشأن واوتي من سعة السلطان ، يتفرغ للادب ويتشاغل بالكتب ، ويؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء ، ويقول شعراً كثيراً ، نخرج منه ما هو من شروط هذا الكتاب من الملح والنكت ، وما ادري كم فصل بارع ووصف رائع قرأته للصاحب في وصف شعر عضد الدولة وطلب امد الابلاغ في مدحه .

(فمن ذلك) وأما قصيدة مولانا فقد جاءت ومعها عزة الملك وعليها رداء الصدق ، وفيها سيما العلم ، وعندها لسان المجد ، ولها مثال الحق .

ومنه شعر قد حبس خدمته على فكره ، ووقف كيف شاء على امره ، فهو يكتب في غرة الدهر ، ويشدخ في جبهتي الشمس والبدر .

ومنه لا غرو إذا فاض بحر العلم على لسان الشعرا ، ان ينتج ما لاعين وقعت على مثله ، ولا اذن سمعت شبهه .

ومنه لو استحق شعر لعذوبة مناهله وجلالة قائله ان يعبد لكانت قصيدته هي إلا انى اتخذتها عند امتناع ذلك قبلة اوجه اليها صلوات التعظيم ، واقف عليها طواف الاجلال والتقديم ، ومن اراد ان يقف وينظر في اخبار عضد الدولة ويقف على محاسن آثاره ، فليتأمل الكتاب التاجي من تأليف ابى اسحاق الصابى ليجتمع له مع الاحاطة بها بلاغة من قد سهل له حزونها ولانت له متونها ، واطاعته عيونها.

حدث ابو بكر الخوارزمي قال : كان ينادم عضد الدولة بعض الادباء الظرفاء ويحاضر بالاوصاف والتشبيهات ، ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرهما إلا انشد فيه لنفسه او لغيره شعراً حسناً ، فبينما هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته إذ قدمت بهطة ، وهي الارز المطبوخ باللبن والسكر ، فنظر اليه عضد الدولة كالآمر اياه بأن يصفها ، فأرتج عليه وغلبه سكوت معه خجل فارتجل عضد الدولة وقال :

بهطة تعجز عن وصفها يا مدعي الاوصاف بالزور
كأنها في الجام مملوة لآلىء في ماء كافور

قال الثعالبي: وانشدنى محمد بن عمر الزاهي قال انشدني ابو القاسم عبد العزيز ابن يوسف قال : انشدنى عضد الدولة لنفسه في ابي تغلب عند اعتذاره اليه من معاودة بختيار عليه ، والتماسه كتاب الامان من لديه :

أأفاق حين وطئت ضيق خيامه يبغي الامان وكان يبغي صارما

فلأركبن عزيمة عضدية تاجية تدع الانوف رواغما

ومما ينسب اليه ، وأنا اشك فيه ابيات يتداولها القوالون وهي :

طربت إلى الصبوح مع الصباح وشرب الكأس والغرر الملاح

فكان الثلج كالكافور نثرا ونار عند نارنج وراح

فمشموم ومشروب ونار وصبح والصبوح مع الصباح

لهيب في لهيب في لهيب صباح في صباح في صباح

قال الثعالبي : وانشد ابو سعد نصر بن يعقوب أبياتاً لعضد الدولة اخترت منها قوله في الخيري .

يا طيب رائحة من نفحة الخيري إذا تمزق جلباب الدياجير

كأنما رش بالما ورد واعتبقت فيه دواخن ند عند تبخير

كأن اوراقه في القد اجنحة صفر وحمر وبيض من دنانير

وله من قصيدته التي اولها ـ وفيها البيت الذي لم يفلح بعده ابداً ـ قوله :

ليس شرب الكاس إلا في المطر وغناء من جوار في السحر

غانيات سالبات للنهى ناغمات في تضاعيف الوتر

مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر

عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر

سهل الله له بغيتـه في ملوك الارض ما دار القمر

واراه الخير في اولاده ليساس الملك منه بالغرر

فيحكى انه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى (ما اغنى عني مالية هلك عني سلطانية) .

للشيخ ابي الفتح البستي رحمه الله تعالى :

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير فعل الخير خسران

وكل وجدانِ حظ لاثبات له فان معناه في التحقيق فقدانِ

يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً تالله ما لخراب الدهر عمران

ويا حريصاً على الاموال تجمعها أنسيت ان سرور المال احزان

دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها فصفوها كدر والوصل هجران

واوع سمعك امثالا افصلها كما يفصل ياقوت ومرجان

احسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسان

وان اساء مسيء فليكن لك في عروض زلته صفح وغفران

وكن على الدهر معواناً لذي امل يرجو نداك فان الحر معوان

واشدد يديك بحبل الله معتصما فانه الركن ان خانتك اركان

من يتق الله يحمد في عواقبه ويكفه شر من عزوا ومن هانوا

من استعان بغير الله في طلب فان ناصره عجز وخذلان

من كان للخير مناعاً فليس له على الحقيقة اخوان واخدان

من جاد بالمال مال الناس قاطبة اليه والمال للانسان فتان

من عاشر الناس لاقى منهم نصباً لان اخلاقهم بغي وعدوان

من استشار صروف العقل قام له على حقيقة طبع الدهر برهان

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامة ولحصد الشر ابان

من استضاف إلى الأشرار قام وفي قميصه منهم صل وثعبان

ورافق الرفق في كل الامور فلم يذمم رفيق ولم يذممه انسان

احسن إذا لك امكان ومقدرة فلن يدوم على الانسان امكان

دع التكسل فى الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان

الظل للمرء احرى من تقى وتقى وان اظلته اوراق واغصان

والناس اخوان من والاه دولته وهم عليه إذا عادته اعوان

سحبان من غير مال باقل حصر وباقل في ثراء المال سحبان

لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم غرائز لست تحصيها واكنان

ما كل ماء كصداء لوارده ... نعم ولا كل نبت فهو سعدان
وللامور مواقيت مقدرة ... وكل امر له حد وميزان
فلا تكن عجلا في الامر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران
حسب الفتى عقله خلا يعاشره ... إذا تحاماه اخوان وخلان
هما رضاعا لبان حكمة وتقى ... وساكنا وطن مال وطغيان
إذا نبا بكريم موطن فله ... وراءه في بسيط الارض اوطان
يا ظالماً مرحا بالعز ساعده ... ان كنت في سنة فالدهر يقظان
يا ايها العالم المرضى سيرته ... أبشر فانت بغير الماء ريان
ويااخا الجهل لواصبحت في لجج ... فانت ما بينها لا شك ظمآن
لا تحسبن سروراً دائماً ابداً ... من سر في زمن ساءته ازمان
إذا جفاك حبيب كنت تألفه ... فاطلب سواه فكل الناس اخوان
وان نبت بك اوطان نشأت بها ... فارحل فكل بلاد الله اوطان
خذها شوارد امثال مهذبة ... فيها لمن يبتغي التبيين تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها ... ان لم يصغها قريع الشعر حسان

﴿ فائدة ـ من بغية المستفيد في اخبار زبيد ﴾

ان في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، نزلت بردة من السماء بزبيد طولها مائة وستون ذراعاً ، وعرضها عشرة اذرع ، وسمكها باعان ، فلما ذابت سقى ماؤها اربع قطع من الارض هنالك !

وفي كتاب السكردان لابن ابى حجلة : في سنة احدى واربعين وسبعمائة ورد كتاب من حماه يخبر انه وقع في هـذه الايام بعاردين من اعمال حماه برد على صور حيوانات مختلفة ، فيها سباع وحيات وطيور ورجال ونساء وغير ذلك ، وان ذلك ثبت بمحضر شرعى عند قاضى الناحية ، ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماه .

وفي أواخر شهر رمضان المكرم وردت على اعمال دمشق من اعمال الكرك مكاتيب فيها انه وقع بتلك القرى برد على صور حيوانات مختلفة .

﴿ لطيفة ﴾

كتب المولى جمال الدين المصابي إلى الشيخ قطب الدين المكي يهنيه بشهر رمضان الكريم :

يا قطب اهل العلم في ام القرى رمضان هلَّ ببهجة لم توصف
فتهن وحدك ان ذاتك اصبحت هي اشرف في اشرف في اشرف

فكتب اليه الجواب وجعل في القرطاس اشرفياً :

يا الطف الفضلاء انت جمالنا فتهن بالشرف الشريف الاشرف
شعر بشعر ليس فيه ربا وقد زاد العيار بوزن هـذا الاشرفي

وحكى النواجي في طلب الكميت ان اعرابياً قصد المأمون ، وقال له : قلت فيك شعراً ، قال : انشده ، فقال :

حياك رب العرش حياكا إذ بجمال الوجه وقاكا
بغداد من نورك قد اشرقت واورق المجد بجدواكا

فقال المأمون : وأنا قلت فيك :

حياك رب العرش حياكا ان الذي املت اخطاكا
اتيت شخصاً قد خلا كيسه ولو حوى شيئاً لاعطاكا

فقال الاعرابي : يا امير المؤمنين ان بيع الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما شيئاً فضحك المأمون وأمر له بصلة ، وما اصدق من قال :

لا تحسبن الشعر فضلا بارعا ما الشعر إلا محنة وخبال
الهجو قذف والرثاء نياحة والعتب ضغن والمديح سؤال

للشهاب الفاضل :

وما الشعر فخر للفتى ومزية إذا لم يكن في كل فضل يترجم

ولكنه عنوان ذوق وفطنة ورقة طبع وهو للفضل اسلم

﴿ ترجمة أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن ﴾
(الضحاك السلمي الضرير البوغي الترمذي الحافظ المشهور)

أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث ، صنف كتاب الجامع والعلل تصنيف رجل متقن ، وبه كان يضرب المثل وهو تلميذ ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ـ المتقدم ذكره ـ وشاركه في بعض شيوخه مثل قتيبة بن سعد ، وعلي بن حجر ، وابن يسار وغيرهم .

وتوفي لثلاث عشرة خلت من رجب سنة سبع وسبعين ومائتين .

ذكره في كتاب الانساب في نسبة البوغي رحمه الله تعالى ، وبوغ ـ بضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها غين معجمة ـ وهي قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ .

قال السمعاني : والترمذي نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له جيحون ، والناس مختلفون في كيفية هذه النسبة ، فبعضهم يقول : ـ بفتح التاء والميم ـ وبعضهم يقول ـ بضمها ـ وبعضهم يقول ـ بكسرها ـ والمتداول على لسان اهل تلك المدينة ـ بفتح التاء وكسر الميم ـ والذي كنا نعرفه قديماً فيه كسر التاء والميم جميعاً ، والذي يقوله أهل المعرفة بضم التاء والميم ، وكل واحد يقول معنى لما يدعيه .

هذا كله كلام السمعاني ، ذكره ابن خلكان ، وبالله المستعان .

﴿ فائدة ﴾

الرياح اربعة كما اشار اليه الرئيس بقوله : درست بتكرار الرياح الاربع : الشمال : ومبدأها من نقطة الشمال إلى نقطة الغروب .

والدبور : ـ بفتح الدال ـ ويقال لها الغربية منها إلى نقطة الجنوب .

والجنوب : ـ بفتح الجيم ـ وتسمى القبلية ، كما تسمى الشمال الشامية ، منها إلى نقطة المشرق .

والصبا: ويقال لها القبول ، والشرقية منها إلى نقطة الشمال ، وقد دار الدور وكل الدائر ، وقيل في ذلك :

وبي ظبية تحكي النسيم لطافة ... ولكن حظي من محاسنها الهجر
إذا رمت ان اسلو هواها يهيجني ... نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

واسماؤها كثيرة ، ولا تدخل ريح على اخرى في حدها ، واشرفها الصبا ولما اشتملت عليه من اللطف والطيب اتخذها من اهل المحبة رسولا إلى الاحباب .

ومن محاسن ما كتبه ابن عبد الظاهر إلى والده ، وكان قد حصل له ضعف وذلك قوله :

ان شئت تبصرني وتبصر حالتي ... قابل اذا هب النسيم قبولا
تلقاه مثلي رقـــة ونحافة ... ولأجل قلبك لا اقول عليلا
فهو الرسول اليك مني ليتني ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

قال ابن حجة : قوله (ولأجل قلبك) فيه ما يفتت الاكباد ، ويحرك الجماد وان من البيان لسحرا ، وللصفدي :

روت الصبا عنكم حديثاً طيباً ... فلذاك اصبحت الصبا تستنشق
وتعطرت نفحاتها من نشركم ... فلذاك اضحى الكون منها يعبق

لأبن ابي حجلة :

يا طيب ريح سرى من نحوكم سحرا ... لو لا تلافيه قلبي في الهوى تلفا
كم ذا اعلل قلبي بالنسيم وما ... ارى لداء غرامي في الهواء شفا

﴿ لطيفة ﴾

حكى العلامة الزمخشري في الكشاف: ان ريح الصبا هى التي تبلغ الانباء للانبياء عليهم السلام .

وذكر الواحدي في تفسيره الوسيط : ان ريح الصبا هى التي اوصلت ريح يوسف إلى يعقوب عليهما السلام ، قاله عند قوله اني لاجد ريح يوسف .

ولذلك تجد العشاق يستخدمون هذه الريح في حمل السلام .

قال البها زهير المصري من قصيدة :

فيا نسيم الصبا انت الرسول له والله يعلم انى منك غيران

بلغ سلامي إلى من لا اكلمه انى على ذلك الغضبان غضبان

لا يا رسولي لا تذكر له خبري فذاك مني تمويه وبهتان

وكيف اغضب لاوالله لاغضب انى لما رام من قتلي افرحان

في كل يوم لنا رسل مرددة وكل يوم لنا في العتب الوان

استخدم الريح في حمل السلام لكم كانما انا في عصري سليمان

كأن يعقون انبائى بقصته فللصبا عند قلب الصب اشجان

وما الطف قول من قال :

ان كانت العشاق من اشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا

فانا الذي اتلو عليهم ليتنى كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

أقول : والصبا يليها الشمال في الفضيلة ، ولها ذكر في الاشعار ، فمن ذلك لابي نؤاس :

هبت لنا ريح شمالية اتت إلى القلب بأسباب

ادت رسالات الهوى بيننا عرفتها من بين اصحابي

قال الفخر الرازي في تفسيره : الرياح ثمان ، اربع منها عذاب وهي: القاصف والعاصف ، والصرصر ، والعقيم ، واربع منها رحمة وهي : الناشرات ، والمبشرات ،

والمرسلات ، والذاريات ، ومن مأثور الدعاء عندها : اللهم انى اسألك خيرها وخير ما فيها ، وخير ما ارسلت به ، واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به

من خطبة النبي المكرم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : (ايها الناس انه والله الجد لا اللعب ، والصدق لا الكذب ، وما هو إلا الموت اسمع داعيه عجل فاعجل حاديه ، فلا يغرنكم سواد الناس من نفسكم ، وقد رأيتم من كان قبلكم ، ممن جمع المال ، وحذر الاقلال ، وأمن العواقب لطول الامل ، واستبعاد الاجل ، كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه ، واخذه من مأمنه محمولا على اعواد المنايا ، يتعاقب به الرجال ، حملا على المناكب ، وامسا كا بالانامل ، أما رأيتم الذين كانوا يؤملون بعيداً ، ويبنون مشيدا ، ويجمعون كثيراً ، كيف اصبحت بيوتهم قبوراً ، وما جمعوا بورا ، وصارت اموالهم للوارثين ، وازواجهم لقوم آخرين ، لا في حسنة يزيدون ، ولا من سيئة ينقصون ، فمن اشعر بالتقوى قلبه ، برز مهله ، وفاز عمله فاهتبلوا هبلها ، واعملوا للجنة عملها ، فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام ، بل خلقت لكم دار مجاز) .

قيل قديماً : انه لا يستطيع احد ان يأتى لهذا البيت بثان ، وهو :

يا فارهاً من تحته فاره انى لما تكرهه كاره

قال ابو عبد الله بن خالويه : قد استخرجت من كتب اللغة على فاره وكاره عشرين حرفا :

الفاره : الجلد اليابس ، والفاره ايضاً الفارح ابدلت الحاء هاء ، كما قالوا : الماده في المادح .

وماره : بمعنى مارح ، والكاره : فاعل من كرهت ، والكاره ايضاً اللاطم ، الكرهاء بمعنى الوجه .

والفاره : فاعل من فره ، وليس في العربية فعل فهو فاعل بغير خلاف إلا ذلك ، وقد يجيء عقر فهو عاقر وحمض فهو حامض و كمل فهو كامل ومثل مهو ماثل .

والجاره : المعلن فاعل من الجراهة كالكاره من الكراهة يقول : سمعت جراهية القوم ، أي علانيتهم دون سرهم .

والماره: الرجل الذي لا كحل في عينيه ويقال ايضاً رجل امره وامرأة مرهاء

والشاره : من قولهم شرهت نفسه ، والرجل شاره بعد قليل وشره في الحال

والواره : الاحمق ، ومن هو اوره وهي ورهاء .

والطاره : بمعنى الطارح ابدلوا من الحاء هاء .

والباره : المترجرج من النعمة ، ومنه البرهرهة ، أي الناعمة .

والداره : السيد وهو المدره والداره ايضاً البواق والداره ايضاً السكير وينشد :

• ألا اسقيا الداره خمساً بالقدح   ليلحق الداره من كان اصطبح

والباره والتاره : بمعنى البارح والتارح . ثم قال : والهاره هو الآره واصله الآرح ، وزعم انه من هرهت بمعنى ارحت ، ولا يجيء فاعل من ارحت .

قال ابن خالويه : ونظمها الكندي فقال :

ان الذي يسمو إلى مثل ما   شيدت من اكرومة واره

يا سيف دين الله عش سالماً   فالدين ما عشت به باره

ودم لاهل العلم ما دامت   الدنيا فانت العالم الداره

كم عند اهل الروم من وقعة   ذكرك في الدنيا بها جاره

عففت إلا عن نفوس لهم   انت اليوم ابداً شاره

وكم لهم من مقلة طرفها   ما زال من ادمعها ماره

انت لأذلال العدا حيث ما   كانوا واعزاز الهدى عاره

كم تشتكي الخيل اليك السرى   هل انت بالرفق لها آره

انحلتها بالغزو حتى استوى   في الان منها الجذع والفاره

هذي توافي الخالويهي لا   يطرح منها لفظة طاره

الفها الكندي طوعا لكم   لا يستوي الطائع والكاره

والخلعة الحسناء حق على ما قلته والمركب الفاره

ما احسن قول القاضي ناصر الدين :

في ليلة حسدت مصابيح الدجى كلمي وقد كانت لها هي ازينا

قلبي بها حتى الصباح وشمعتي بتنا ثلاثتنا ومدحك شغلنا

ابو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس المغربي ـ هو بالحاء المهملة والباء الموحدة وبعد الواو سين مهملة ـ قال من ابيات :

وتركتهم صرعى كأن دماءهم خمر وانصاف الرؤس كؤس

الطير تحجل بينهم فكأنهم آباء قتلى حولهن جلوس

ابو فراس بن حمدان :

اشفقت من هجري فغلبت الظنون على اليقين

وضننت بي فظننت بي والظن من شيم الضنين

(من كلام بعض الحكماء)

من ليس له علم فليس له عز في الدنيا والآخرة ، ومن ليس له صبر فليس له سلامة في دينه ، ومن كان جاهلا لم ينتفع به ، ومن ليس له تقوى فليس له عند الله كرامة ، ومن لا سخاء له فما له في العز والشرف من نصيب ، ومن لا نصيحة له لا ايمان له .

قال جالينوس: سبعة اشياء تجلب النسيان استماع الكلام الخشن ، والحجامة على خرز العنق ، والبول في الماء الراكد ، واكل الحوامض ، والنظر في وجه الميت ، والنوم الكثير ، وطول النظر في الاماكن الخراب .

وقال ايضاً في كتاب الادوية : ان النسيان يحدث من سبعة اشياء ، وهي : البلغم ، وضحك القهقهة ، واكل المالح ، واللحم السمين ، وكثرة الجماع ، والسهر مع التعب ، وسائر البرودات .

﴿ من أمثال العرب ﴾

إذا كنت مناطحاً فناطح بذات القرون ، رب اكلة تمنع اكلات ، رب صدفة خير من ميماد ، رب رمية من غير رامي ، رب عين انم من لسان ، ركوب الخنافس ولا المشي على الطنافس ، عند الصباح يحمد القوم السرى ، عند الامتحان يكرم المرء او يهان ، كل كلب ببابه نباح ، كل ما تزرع تحصد ، لكل ساقطة لاقطة ، لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة ، لسان من رطب ويد من حطب ، ما حك جلدك مثل ظفرك ، الامارة ولو على الحجارة ، يكسو الناس واسته عارية .

﴿ من أمثال المولدين ﴾

الحاوي لا ينجو من الحيات ، الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ ، اطلم القرد في الكنيف ، وقال هذه المرآة الوجه الظريف ، الغائب حجته معه العمل للزرنيخ والاسم للنورة ، شهر ليس لك فيه رزق لا تعد ايامه ، فم يسبح وقلب يذبح . العجول مخطيء وان ملك ، والصبور مصيب وان هلك .

﴿ من أمثال نساء العامة ﴾

بعد ما ضرطت ضبطت ، بعد خراب البصرة ، ما حك شفرى مثل ظفرى ، عميا تخفف مجنونة وتقول لها حواجبك مقرونة ، لوكان في الرخمة خير ما فاتها الصياد تيتي تيتي مثل ما رحتي جيتي ، رجعت حليمة لعادتها القديمة ، حبلى وزادوها نيك التف السير على القبقاب وقال له مرحباً كرداش ، اردب ما لك فيه حصة ، لا تحضر كيله تتغبر ذقنك وتتعب فى شيله ، شرد من الموت وقع في حضرموت ، من لم يعتد البخور تنحرق طيزه ، الديك الفصيح من البيضة يصيح ، كيف حال امك؟ قال هذه علي الجمل ، سئل الجمل من اين جئت ؟ قال : من الحمام ، قالوا ظاهر على خفك ،

الغريق لا يبالي من الرش ، الركوب على الاحليل ولا المشى القليل ، تشتهي النيك وتخاف من الحبل ، المليح مليح ولو قام من النوم . واللاش لاش ولو زوقته كل يوم جوع القملة في رأس الاقرع ، يا ابى شرفني قال حتى يموت من يعرفنى ، تحتار الماشطة في الوجه المفش .

فلما كان عصر سادس شوال عام الف ومائة واربعين من هجرة النبي ذي الجلال توكلنا على ملجأ الضعيف الخائف ، وسرنا من مكة إلى بلدة الطائف ، فأتينا بعون الملك الستار ، في نصف الليل قهوة الكسار - وهو موضع بعرفة - وبتنا به إلى الفجر ، ثم رحلنا منه وسرنا في طريقنا بارض نعمان ، وهى ارض انيسة ، نزيهة نفيسة ، وبها مزارع وآبار :

عليكم سلام الله يا اهل نعمان فذكركم يحيي به المغرم العانى

وعند الزوال اتينا شداد ، وهو موضع به مزارع ومقاهى ويحصل به سموم عظيم ، فقيلنا هناك إلى العصر ، ثم سرنا فاتينا الكر بعد المغرب - والكر - هذا اسفل جبل كرا ، به بئر ماء ومقاهى ، ويجلب منه العسل اللطيف ، فبتنا إلى الفجر ثم صلينا الصبح وصعدنا جبل كرا ، وطوله نفى عن اعيننا الكرى .

الكرى : وهو جبل عظيم قد تجاوز السماك ، ورق إلى الافلاك ، قيل انه متصل إلى صنعا ، فلم نزل في نزول وصعود ، وقيام وقعود إلى قريب الضحى ، فصعدنا إلى اعلاه ، وقد ذهب من كل منا قواه .

ثم سرنا فأتينا الهدا ، وطالع الفرح والسرور علينا بدا ، وهي ارض يقصر عن وصف محاسنها اللسان كانها من رياض الجنان ، بها الاشجار والازهار ، والمياه العذبة ، وصنوف الاطيار والفواكه المختلفة الالوان ، والبدور الساطعة الحسان وأهلها اصحاب كرم وسخا ، خيرهم مبذول في الشدة والرخا :

لقد زاد شوقى يا اخلاي للهدا بلاد بها الاحسان والجود والهدى
حكت جنة الفردوس في الحسن والبها حماها إله العرش من طارق الصدا

بها الانس والافراح والسعد والهنا	بها طالع الاقبال والعز قد بدا
فواكهها جلت عن الحصر يا فتى	وفي روضها المنثور اضحى منضدا
وأطيارها غنت لنا وترنمت	كذا بلبل الاسحار في الروض غردا
وشحرورها ياصاح قدصاح وانثنى	يجاوبه القمري في الدوح منشدا
واقمارها قد اسفرت وتبلجت	محاسنها والسعد فينا تجددا
وسكانها الأجواد لله درهم	بهم يقتدي في القول والفعل والندا
عليهم سلام الله ما هبت الصبا	وما ناح طير في الغصون وردد

فقيلنا في الهدى إلى العصر ورحلنا ، فلم نزل نسير بين المياه والبساتين والزهور والرياحين على شمالنا واليمين .

فلما كان ثامن شوال عند الغروب ، وردنا ارض الطائف المحفوفة باللطائف

(فائدة)

الطائف اكبر مدن الحجاز وأهلها كانوا سابقاً في ثروة من الغنا والمال ويجلب منها إلى مكة الفواكه النفيسة وغير ذلك من الحب والشعير والسمن والعسل واللوز وغيره ، وبالطائف اخلاط كثيرة من العرب والهنود ، وهي منازل ثقيف وبها مياه عذبة ، وفواكه مختلفة وثمار شتى ، وبها ديار بني سعد التي يضرب بهم المثل في الكثرة ، وبها اقوام من قريش وهذيل وثمالة وبني محمد وناصرة وبجيلة ، وليس في الحجاز اطرى من الطائف ، ولا اصح من هوائها ومائها ، وهي في الحقيقة دمياط الحجاز ويجلب منها الجلود الطائفية وغير ذلك من الاصناف وهي على طرف واد وبينها وبين مكة اربعة منازل ، وهي طيبة الهواء جداً والماء والفواكه .

قال صاحب القاموس : الطائف بلاد ثقيف في واد أول قراها لقيم وآخرها الوهط ، سميت بالطائف لانها طافت على الماء في الطوفان ، او لان جبرئيل عليه السلام طاف بها على البيت ، او لأنها كانت بالشام فنقلها الله تعالى إلى الحجاز بدعوة

ابراهيم ﷺ ، او لأن رجلا من الصدف اصاب دما بحضرموت ففر إلى وج وحالف مسعود بن معتب ، وكان له مال عظيم ، فقال: هل لكم ان ابني طوفا عليكم يكون لكم رد أمن العرب ، فقالوا : نعم ، فبناه وهو الحائط المطيف به ، انتهى كلامه رقم مقامه .

وقال العلامة المحقق محمد جار الله بن عبد العزيز ـ نسبه راجع إلى محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب الهاشمي العلوي الشافعي ـ في تاريخه تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج الطائف ما هذا لفظه : اورد في بعض الآثار ان نبي الله ابراهيم ﷺ لما قال : وارزق اهله من الثمرات ، رفع الله قرية من الشام فوضعها في الطائف ، اجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام .

وروى الامام العمدة ابو الوليد محمد بن عبد الله الازرق في تاريخ مكة المشرفة ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما قال : ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) بعث الله لدعوة ابراهيم جبرئيل عليه السلام من ليلته ، واقتلع الطائف من الشام من تخوم الثرى بعيونها وثمارها ومزارعها ، وامره ان يغرس الطائف ، فكان اسمها غير الطائف فطاف بها بالبيت سبعاً ووضعها مكانها اليوم ، فسميت الطائف لانها طيف بها بالبيت .

ونقل العلامة ابو العباس احمد بن محمد القسطلاني القاهري الشافعي في كتابه المواهب اللدنية في المنح المحمدية : ان جبرئيل عليه السلام اقتلع الجنة التي كانت لاصحاب الصريم ، فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث الطائف فسمي الموضع بها ، وكانت اولا بنواحي صنعاء ، واسم الارض وج ، وهي في بلدة كبيرة على اربع مراحل من مكة المشرفة ، ومرحلتين من جبل طريق كرا ، وهي كثيرة الاعناب والفواكه .

وورد في الاحاديث ان النبي ﷺ حرم للطائف حرما والحقها بمكة والمدينة

في الحرمة والشرف ، وكفى الطائف بهذا شرفا ، وفي ذلك احاديث كثيرة .

وروى صاحب المصابيح : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : وج حرم الله عزوجل

وروى عنه صلى الله عليه وآله انه قال : ان الله عز وجل امرني ان اقدس وجا فقدسوها ألا لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ، ولا ينفر صيدها .

قال الامام الرافعي في شرح الكبير : ورد النهي عن صيد وج ، وهو واد بصحراء الطائف ، وليس المراد منه نفس البلدة .

قال الامام الشافعي رضى الله عنه : اكره صيده !

وعن الشيخ ابي علي حكاية تردد في انه تحريم او مجرد كراهة ، ولفظ الكتاب كالصريح في الثاني ، لكن الصحيح عند عامة الاصحاب الاول ، لما روى انه صلى الله عليه وآله وسلم قال : صيد وج محرم لله تعالى ، فعلى هذا فهل يتعلق به ضمان منهم من قال نعم ، وحكمه كحكم حرم المدينة .

وقال صاحب التلخيص : والاكثرون لا ضمان إذ لم يرد في الضمان نقل ولكن يؤدب .

وقال شيخ الاسلام ابو زكريا النووي في الروضة: وج واد بصحراء الطائف وصيده حرام على المذهب . وقيل في تحريمه وكراهته خلاف ، فعلى التحريم قبل حكمه في الضمان كحرم المدينة والصحيح الذي قطع به صاحب التلخيص والاكثرون انه لا ضمان فيه قطعاً .

وروى قاضي القضاة تقي الدين محمد بن احمد الحسيني الفاسي المالكي في الباب السادس من كتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام مسنداً إلى الزبير بن العوام قال : اقبلنا مع رسول الله (ص) من لية مكان بالطائف ـ يأتي ذكره ـ حتى إذا كنا عند السدرة وقف رسول الله (ص) عند طرف القرن الاسود حذوها فاستقبل نخبا ثم وقف حتى اتفق الناس ، ثم قال ان صيد وج وعضاهه ، أي شجره حرام محرم لله عز وجل ، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفا .

ونخب ـ بفتح النون وكسر الخاء المعجمة ـ واد بالطائف بأرض هذيل والقرن جبل صغير ورأسه مشرف على وهدة .

ووج ـ بفتح الواو وتشديد الجيم ـ قيل هو ارض الطائف نفسه ، ويسمى بوج ابن عبد الحق من العمالقة .

وقال الحازمي : وج اسم لحصون الطائف ، وقيل لواحد منها .

وقال في المهذب : هو واد بالطائف .

قال المحب الطبري : وقد جاء في الحديث ان وجا مقدس ، وأما الطائف فكان خطر عظيم عند الخلفاء فيما مضى ، وكان الخليفة يوليها رجلا من عنده ، ولا يجعل ولايتها إلى صاحب مكة .

وورد في السير : ان النبي سيدالبشر خرج إلى الطائف بعد موت زوجته خديجة بثلاثة اشهر ، في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة ومعه زيد بن حارثة ، فاقام به شهراً يدعوهم إلى الله تعالى ، فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة ، حتى دميت رجله صلى الله عليه وآله وسلم ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه ، ثم رجع في جوار مطعم بن عدي ولم يجب له انسان ، ثم غزا الطائف بعد فتح مكة في شوال ، ومر في طريقه بقبر ابى رغال وهو ابو ثقيف فيما يقال فاستخرج منه غصناً من ذهب .

﴿ تنبيه ﴾

قال صاحب القاموس في باب اللام فصل الراء : وابو رغال ككتاب في سنن ابي داود ، ودلائل النبوة وغيرها .

عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله (ص) حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر ، فقال : هـذا قبر ابى رغال ، وهو ابو ثقيف ، وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج اصابته النقمة التي اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، الحديث .

وقول الجوهري: كان دليلا للحبشة حين توجهوا إلى مكة ، فمات في الطريق غير جيد .

وكذا قول ابن سيده كان عبداً لشعيب ، وكان عشاراً جائراً .

قلت : بل الذي اجتمع عليه أهل السير أن ابا ثقيف اسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، هذا المجمع عليه ، وامه اميمة بنت سويد بن هذيل ابن عكرمة .

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي إذا سمع من يقول انهم من بقايا ثمود قال كذبوا فقد قال الله تبارك وتعالى (وثمود فما ابقى) أي اهلكهم الله ولم يبق منهم احداً . وثقيف فى اللغة هو الحاذق ، ومنه قيل خل ثقيف ، أي شديد الحموضة .

قال ابو عبيدة : وكان لثقيف من الولد ، جشم وناصرة .

وقال عمي : قدست روحه في حاشيته على القاموس ما هذا لفظه : قال الثعالبي فى ثمار القلوب : ابو رغال هو الذى يرجم الناس قبره إذا اتوا مكة ، وكان وجهه صالح النبي ﷺ على صدقات الاموال ، فخالف امره واساء السيرة فوثبت عليه ثقيف فقتلوه قتلا شنيعاً وانما فعل ذلك به لسوء سيرته فى اهل الحرم انتهى كلامه.

فيصير فى ابى رغال اربعة أقوال ، وقول الثعالبي ارجح من قول ابن سيدة لان صالحاً عليه السلام نبي ثمود لا شعيب عليه السلام ، واشهر هذه الاقول الذى فى الصحاح .

وأما الحديث فمشكل فانه صريح فى ان ابا رغال ابو ثقيف فيكون ذلك خلاف قوله تعالى (وثمود فما ابقى) وما فى الحديث انما دفع عنه كونه فى الحرم فلما خرج هلك ، فاذا كان هذا حال ثمود ، فكيف يبقى ثقيف بن ابى رغال ؟ وتبقى منه قبيلة كبيرة ؟

هذا والمعروف في كتب النسب ان ثقيفاً ابن بكر بن هوازن وهو المذكور

فى القاموس ، فكيف يكون من ثمود ؟ ثم من المستبعد ان يبقى رجم قبر ابى رغال من عهد ثمود عليه السلام إلى الاسلام ، ويمشى برجه فى الاسلام ، وهذا مما يرجح المذكور في الصحاح والحاصل ينبغى النظر فى سند هـذا الحديث ، وفيما حكم به صاحب القاموس ويعتمد على ما فى الصحاح لانه المنقول فى الكتب الادبية والسير النبوية والله اعلم بالطوية . رجع . . .

وحاصر النبي (ص) أهل الطائف ثمانية عشر يوما ، وقيل : خمسة عشر ، وقيل : عشرين ، وصحح ابن حزم اقامته صلى الله عليه وآله وسلم بالطائف بضع عشر يوما .

وفى الصحيح عن انس بن مالك ، قال : فحصرناهم اربعين يوماً يعنى ثقيفاً فكان فى اقامته يصلى ركعتين بين قبتين ضربتا لزوجتيه ام سلمة ؛ وزينب رضى الله عنهما ، فلما اسلمت ثقيف بنى عمرو بن امية بن وهب بن معتب بن مالك على مصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجداً ، وكان فيه سارية لا تطلع الشمس عليها من الدهر ، إلا ويسمع لها نقيض أكثر من عشر مرات ، فكانوا يرون ذلك تسبيحاً ونصب صلى الله عليه وآله المنجنيق على حصن الطائف وقد اشار به سلمان الفارسى وعمله بيده ، وقيل : قدم به الطفيل بن عمرو ، وقيل يزيد بن زمعة ومعه دبابتان وقيل قدم به وبالدبابتين خالد بن سعد بن حرش .

قال الحافظ: مغلطاى وهو اول منجنيق رمي به فى الاسلام ونثر صلى الله عليه وآله وسلم الحسك تحت حول الحصن ، ودخل صلى الله عليه وآله وسلم تحت الدبابتين ، ثم رجعوا بهما إلى جدار الحصن ليخرقوه ، فارسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرقت الدبابتين وكانتا من جلود البقر ، فاصيب من المسلمين جماعة ، وخرج من بقي من تحتها فقتلوا بالنبل ، وقاتل صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ، وقال من بلغ سهما فله درجة في الجنة .

وأمر صلي الله عليه وآله بقطع اعنابهم وحرقها ، فقطعها المسلمون قطعاً

ذريعاً ، فنادى سفيان بن عبد الله الثقفي يا محمد لم تقطع اموالنا ، أما ان تأخذها إذا ظهرت علينا ، وأما ان تدعها لله وللرحم كما زعمت لانك ان قطعتها لم تعمر ابداً ، فقال عليه الصلاة والسلام فاني ادعها لله وللرحم وكف عنها .

ونادى منادي رسول الله (ص) ايما عبد نزل من الحصن ويخرج الينا فهو حر ، فخرج بضعة عشر رجلا منهم ابو بكرة المنبعث والازرق ابو عقبة بن الأزرق ومحش النبال وابراهيم بن جابر وسيار ونافع ابو السائب ومرزوق فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : هؤلاء عتقاء الله عز وجل ، ودفع كل واحد منهم إلى رجل من المسلمين يمونه ويحمله ، وامرهم ان يقرؤهم القرآن ، ويعلمونهم السنن فشق ذلك على اهل الطائف ، ثم اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه لم يؤذن له في ثقيف ، فاذن للناس بالرحيل ، واقام اهل الطائف على منزلتهم وانتفاعهم في طائفهم ، ثم أسلموا بعد ذلك .

وجاء في بعض الاخبار ان اصحاب رسول الله (ص) قالوا له وهم يقاتلون ثقيفاً بالطائف يا رسول الله : احرقتنا نبال ثقيف فادع عليهم ، فقال : اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم ، فـكان . . . كذلك اتى الله بهم في اقرب زمان من الدعوة .

وتوفى رسول الله (ص) فارتدت العرب وثبتت ثقيف على دينها ، وأول من ارتد منهم قتلوه ، وقالوا : ما دخلنا آخر الناس إلا لما تبين لنا من الحق ، فمن ارتد منا قتلناه .

فكانت بنو سليم تعير بثقيف ، ويقال لهم : لا رأى إلا لثقيف تثبتوا اولا في امرهم ، فلما تحققوا الاسلام دخلوا فيه آخراً وتثبتوا عند موته صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن ارتد منهم قتلوه احتسابا لله ، ومعجزة لدعوته صلى الله عليه وآله

وروي : ان رسول الله (ص) قال : لا يحب ثقيفاً إلا مؤمن ، ولا تقوم الساعة إلا على اشرار الخلق ، ولا تقوم الساعة وعلى وجه الارض منهم احد ـ أي من ثقيف ـ تكرمة لهم انتهى .

ونزلت بدار السيد الهمام الهزبر القمقام، خلاصة السادة، من بني الحسن نجل الاماجد، ذوي البلاغـة والمسن، الشريف الشهم، الماجد المظيم، صاحب الهمة والـكرم، حقيقة لا مجاز، مولانا السيد الشريف باز نجل الشريف الغطريف الـكريم العفيف، معدن السخاء والاريحية، ورب المـكارم الحاتمية، تاج السادة الاشراف، وواسطة العقد من آل عبد مناف:

الضيغم البطل ابن الضيغم البطل ابن الضيغم البطل ابن الضيغم البطل

صاحب الاحسان والفضل والجود وملجأ القصاد والوفود، المرحوم المبرور مولانا السيد الشريف شبير بن مبارك بن فضل بن مسعود ـ وقد تقدمت ترجمته رحمه الله تعالى ـ وافاض وابل غفرانه عليه ووالى فاكرمني غاية الاكرام، وانزلني بداره احسن مقام، ولاغرو فهذا الشبل من ذلك الاسد والباز لاينكر شرفه احد:

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه ابه فما ظلم

وقلت: بامره هذا الموشح الحجبي، وهذا النوع يسمى بالشبشرة، والاسم يظهر من فوق ومن تحت، وهو هذا:

سلبت عقلي يا غزالـ رامه	يا سمهرى القـوام
عذبتني هذا الجفا علامه	اسمح برد السلام
دامت لك الافراح والسلامه	يا سيد كل الانام
يامن حوى فوق الخديد شامه	قلبي بها مستهام
هذي دموعي يارشا علامه	تجرى كفيض الغمام
هات اسقني يا فاتني مدامه	تطفي لهيب الضرام
يا لائمي لا تكثر الملامه	لم استمع لك كلام
دعني فاني عشقتي مدامه	في الريم حالي الوشام
عسى عسى ياجيرة السلامه	تهدوا الينا سلام

سرتم وسارت عيسكم تهامه ولا وفيتم ذمام
ولم ينل قلبي بكم مرامه ولا شفى من سقام
اشكو إلى من هذه الظلامه الله يا اهل الغرام
لكن عسى يأتوني بالسلامه ونلتقي في الخيام
واختم بمدحي صاحب العلامه شفيع يوم الزحام
والآل أهل الفضل والكرامه ما فاح نشر الخزام
والصحب أهل الجود والشهامه ما ناح طير الحمام
وما تغنى قمري البشامه وما شدا مستهام
سلبت عقلي يا غزال رامه يا سمهري القوام

وانظمت باسمه ايضاً هذا المشجر الحسيني ، والاسم يظهر من الاوائل من فوق ومن اوائل الاواخر من تحت ، وهو هذا :

رفقاً بمن امسى حليف السهر هائم معنى فيك يا اصفر
حليت في وسط الحشا يا قمر من حل لك قتلي واهدر
ما حيلتي يا اخوان فيمن هجر حلو اللمى عذب الموشر
هـذا قلبي من هواه انفطر ربي بذا ادرى واخبر
ما تنظروا المحبوب لما سفر كالبدر بل يا ناس انور
ناديتـه لما قبالي خطر جل الذي انشا وصور
من بلغك يا ظبي عني خبر يبلى بهذا العشق واكثر
والله ما لي نحو غيرك نظر في اللوح عشقي قد تسطر
هذي شهور الهجر ثامن عشر أنظمتها في ذا المشجر
قاسيت يا محبوب منها الخطر ما حيلتي هـذا مقدر
عسالك يا من في الملاح اشتهر بالحسن والاحسان يذكر
تسمح لنا في الوصل نقضي وطر لعـل كسر القلب يجبر

ان كنت تخشى اللوم صل في السحر فالليل يا معشوق استر
ونجتمع بك في رياض الزهر ما بين نايات ومزهر
واختم بمدحي الطهر خير البشر من بالهنا والسعد بشر
والآل والصحب الكرام الغرر ما زمزم الحادي وشمر
وما شدا مضنى اسير الفكر من عشق ذا الريم المخدر
رفقاً بمن امسى حليف السهر هائم معنى فيك يا اصفر

واجتمعت باخيه السيد الجليل ، الهمام النبيل ، المقـدام إذا حمي الوطيس واستمر السعير الشريف عبد المحسن بن الشريف شبير وباخيه السيد الشريف اللطيف الظريف نجل الماجد الشهير الشريف سعد بن الشريف شبير ، وببقية اخوته الصغار اسبل عليهم ستره الستار .

واجتمعت بابن عمه السيد المقدام ، الاسد الضرغام مجندل الاقران ، في حلبة الطعان ، مبيد الفرسان ، بالبتار والسنان ، من اليه المعالي بالاكف تشير ، مولانا الشريف مبارك بن المرحوم المقدس الشريف بشير :

الطاهر النسب بن الطاهر النسب بن الطاهر النسب بن الطاهر النسب

واجتمعت بالسيد الشريف النسيب ، الجليل العفيف الحسيب ، الفاضل المجيد المجيد ، مولانا الشريف ابراهيم بن محمد بن الشريف احمد بن سعيد .

واجتمعت بالعالم العلامة المفلق الفهامة ، الشهم الهمام السرى ، مولانا الشيخ باقر بن الملا حسين الجوهري ، وقد كان عالماً زاهداً ، صالحاً عابداً ، دعاه إلى قربه صاحب البر واللطائف ، فنقله الى الجنة من الطائف عام ألف ومائة وثلاث واربعين رحمه الله تعالى .

واجتمعت بصهره العزيز الافخر ، الشيخ جعفر ، وبصهره الحكيم الشيخ حسين ، وقد كان كريماً سخياً ، لطيفاً وفياً ، توفى بالطائف عام الف ومائة وثلاثة واربعين ، رحمه الله تعالى .

واجتمعت بصهره صادق الظن واليقين ، السيد الصالح الزاهد نصير الدين ، وبالجناب العزيز مرتضى جلبي بن الحاج فياض البغدادي وبالجناب عزيز المقدار الشيخ حسين بن احمد العطار ، وقد كان ذا حياء وصلاح تام ، ونفس طيبة يعرفها الخاص والعام ، توفي بالطائف عام الف ومائة وثلاثة واربعين ، رحمه الله تعالى .

واجتمعت بالجناب العزيز المعان ، الجلبي زين العابدين حميدان ، وبالجناب العزيز العلامة الشيخ محمد العجيمي ، وبالجناب العزيز الشيخ عبد الرحمن النخلي والجناب العزيز الخطيب عبد الله شغثة ، وبالجناب العزيز الشيخ عبد الله البرديني والجناب العزيز الشيخ سالم الدهان ، وقد كان ماجناً لطيفاً ، انيساً ظريفاً ، تشتاقه القلوب ، شوق المحب إلى المحبوب ، توفى بالطائف عام الف ومائة واحد واربعين رحمه الله تعالى .

واجتمعت بالجناب العزيز جابر الفته ومصلح الفته وعمر الفته وسعد الفته والجناب العزيز مصطفى كبيبة .

واجتمعت بحاكم الطائف ، ملجا الضعيف الخائف ، ومعدن الجود والكرم واللطائف ، علي اغا ابن عسكر اغا اليافعي .

واجتمعت بالجناب الولى الكبير ، الشيخ سعيد العرابي ، والشيخ الكامل الجليل الكريم الرئيس المثيل ، بحر الكرم الرابى ، الشيخ سليمان بن احمد العرابى والشيخ عبد الهادي العرابى ، والشيخ ابى بكر العرابي .

وزرت ضريح سيدى حبر الامة ، كاشف كل هم وغمة ، ابن عم الرسول ، زاكي الفروع والاصول ، طيب الانفاس سيدى عفيف الدين حبر الامة عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن كعب بن مرة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

إلي هنا اجماع علماء الامة ، وفيما بين عدنان واسماعيل خلاف كثير ، وإلى

فهر اجماع قريش ، ومن فوقه كناني لا قرشي ، على اصح الاقوال في النسبة لا في المعنى الذى من اجله سميت قريش قريشاً .

قال ابو عمرو بن عبد البر : والدليل على صحته انه لا يعلم اليوم قرشي في شيء من كتب النسب ، ينسب إلى اب فوق فهر .

والمقدم من قريش بنو هاشم وهم فصيلة رسول الله ﷺ وعترته الاقربون وانهم والذين تحرم عليهم الصدقة .

وامه ام الفضل لبابة الكبرى ، ابنة الحارث بن حرب الهلالية ، وكانت قديمة الاسلام بمكة ، بل قال ابن سعد : انها اول امرأة آمنت بعد خديجة رضى الله عنهما . وكذا قاله ابن خالويه .

وهى شقيقة ام المؤمنين ميمونة ، وقيل لها الكبرى للاحتراز عن اخت لها شاركتها في اسمها وكنيتها ، وهذه تكنت بام الفضل لاكبر بنيها ، فانها ولدت لسيدنا العباس ستة من الذكور وبنتاً وهم : الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم وكان يشبه بالنبي (ص) وعبد الرحمن ومعبد ، وام حبيب وفيها يقول الشاعر :

ما ولدت نجيبة من فحل كستة من بطن ام الفضل
اكرم بها من كهلة وكهل عم النبي المصطفى ذى الفضل

وقد ذكر هذا الشاعر ستة اولاد ولم يسمهم .

وقال غيره : خمسة من الذكور وبينهم في قوله ولم يذكر عبد الرحمن . ولعله مات صغيراً وهو :

فنحن ولدنا الفضل والحبر بعده عنيت اباالعباس ذا الدين والندى
وعد عبيد الله ثم ابن امه إلى قثم اعني وذا الباع معبدا
غيوث لدى العافين خرس عن الخنا اسود إذا ماموقد الحرب اوقدا
إذا افتخرت يوما قريش فاننا نفوقهم حلماً ومجداً وسوددا

فهؤلاء الاولاد من ام الفضل .

وأما عدة اولاد العباس فعشرة اصغرهم تمام وفيه يقول العباس رضى الله عنه :

تموا بتمام فصاروا عشرة يا رب فاجعلهم كراما بررة

واجعل لهم ذكراً وانم الثمرة

وقال الحافظ ابن حجر الكناني في كتابه الاصابة في تمييز الصحابة: ان سيدنا الحبر عبد الله بن العباس ولد وبنو هاشم بالشعب ، قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل : بخمس ، والاول اثبت .

وقال الواقدي : لاخلاف عند ائمتنا انه ولد بالشعب حين حصرت قريش بني هاشم.

وكان له عند موت رسول الله (ص) ثلاثة عشرة سنة ، وهو يقارب ما في الصحيحين عنه .

قال : اقبلت وانا راكب على حمار او اتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بمنى إلى غير جدار ، الحديث .

وفي الصحيح عنه قال : قبض النبي (ص) وأنا ختين . وفي رواية : وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك .

قال الحافظ تقي الدين الفاسي في كتابه العقد الثمين : وكان ابن عباس يلقب بالامام الحبر البحر ، ترجمان القرآن لكثرة علمه ، ودعا له النبي (ص) بان يعلمه الله تعالى الكتاب والحكمة وتأويل القرآن ، وان يفقهه في الدين ، وان يزيده فهما وعلما ، ويبارك فيه ، وينشر منه ، ويجعله من عباده الصالحين ، كل ذلك جاء في احاديث صحيحة متفرقة .

وروى عن النبي (ص) الف حديث وستمائة حديث وستين حديثاً .

وقد روى عن جماعة من الصحابة . وروي عنه جماعة منهم انس بن مالك وابو أمامة بن سهل ، وخلق من التابعين .

وذكر عن ابويه واخيه الفضل وخالته ميمونة وابي بكر وعمر وعثمان وخلق من الصحابة رضي الله عنه .

وروى عنه ابناه علي ومحمد ، وحفيده محمد بن علي ، واخوه كثير بن العباس وابن اخيه عبيد الله بن العباس ، وابن اخيه الآخر عبد الله بن معبد بن العباس في خلق من الصحابة فمن بعدهم .

ودعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحكمة مرتين .

وذكر الحافظ ابن عبد البر : انه شهد مع علي عليه السلام وقعة الجمل وصفين والنهروان . وذكر الامام النووي : ان علياً امره على البصرة ، ثم فارقها بعد قتله وعاد إلى الحجاز .

وذكر غيره انه تحول إلى مكة وأقام بها إلى ان اخرجه ابن الزبير منها لتوقفه عن مبايعته ، فسكن الطائف حتى مات به في سنة ثمان وستين ، عن سبعين سنة ، وهذا هو الصحيح في وفاته وسنه .

وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال : مات اليوم رباني هذه الامة ، ولما وضع ليصلي عليه جاء طائر ابيض فوقع على اكفانه ، فدخل فيها فالتمس فلم يوجد ، فلما سوى عليه التراب سمعوا صوت قارىء لايرون شخصه يقرأ (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) وقبره مشهور بالطائف ، واخبر غير واحد انه شم من قبره رائحة المسك ، انتهى .

﴿ ترجمة محمد بن الحنفية ﴾

وزرت ضريح الهزبر السالب نجل علي بن ابي طالب صاحب الاسرار الخفية والكرامات الجلية ، سيدي محمد بن الحنفية رضي الله عنه ، وهو ابو القاسم محمد ابن امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، المعروف بابن الحنفية ، وهي خولة بنت جعفر ابن قيس بن مسلمة بن ثعلبة بن الدول بن الحنفية بن نجيم .

ويقال : بل كانت من سبي اليمامة ، وصارت إلى علي عليه السلام .

وقال السخاوي في تاريخ المدينة : ان اسماء بنت ابي بكر قالت : رأيتها وكانت سندية سوداء أمة لبنى حنيفة ، ولم تكن منهم وانما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ، ولم يصالحهم على انفسهم .

ثم قال : وجمعه بين اسم النبي (ص) وكنيته رخصة لعلي «ع» من الشارع كما جاء في الحديث .

وروى ليث بن ابي سليم عن محمد بن بشر عن محمد بن الحنفية عن علي «ع» قال : قلت يا رسول الله ان ولد لي مولود بعدك اسميه باسمك واكنيه بكنيتك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : نعم .

وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وقيل : لثلاث كما يروى عنه .

وقال الواقدي : في خلافة ابى بكر ورأي عمر .

وروى عن ابيه علي عليه السلام وعثمان بن عفان ، وعمار بن ياسر وابن عباس وآخرين من الصحابة .

وروى عنه بنوه الحسن وعبد الله وعمرو بن اهيم وعون وعبد الله بن محمد ابن عقيل وسالم بن ابي الجعد ومنذر الثوري وعمرو بن دينار وابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابى طالب وابن اخيه محمد بن عمر بن علي بن ابى طالب ومحمد بن قيس بن مخرمة ومحمد بن بشر الهمداني ، وكان مؤذنه وغير ذلك ، وكان رجلا صالحاً تابعياً تقياً مدنياً .

قال ابن الجنيد: لا يعلم احد أسند عن علي عن النبي (ص) اكثر ولا اوضح ولا اصح مما اسند محمد بن الحنفية .

وقيل لمحمد بن الحنفية : لم كان ابوك يقحمك للمهالك ويولجك المضايق دون اخويك الحسن والحسين ، فقال : لانهما كانا عينيه وكنت يده وكان يقي عينيه بيده .

ولما دعا ابن الزبير لنفسه وبايعه اهل الحجاز بالخلافة ، دعا عبد الله بن العباس

ومحمد بن الحنفية إلى البيعة ، فأبيا ذلك وقالا : لا نبايعك حتى تجتمع لك البلاد وتتفق الناس ، فاساء جوارهم وحصرهم وآذاهم . وقال لهما : والله ان لم تبايعاني احرقتكما بالنار .

وقال الامام البخاري في تاريخه: حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا ابوعوانة عن ابي جمرة قال : قضينا نسكنا حين قتل ابن الزبير، ثم رجعنا إلى المدينة مع محمد ابن الحنفية ، فمكث ثلاثة ايام ، ثم توفي رحمه الله تعالى . وقد دخل على عمر وهو غلام .

وكانت وفاته في اول سنة احدى وثمانين من الهجرة ، وقيل : سنة ثلاث وثمانين ، وقيل : سنة ثمانين ، وقيل : سنة اثنتين او ثلاث وتسعين ، وقبض بالمدينة وصلى عليه ابان بن عثمان ، وكان والي المدينة يومئذ ، ودفن بالبقيع .

وقيل : انه خرج إلى الطائف هاربا ، وقيل : انه مات ببلاد ايلة .

قلت : والفرق الكيسانية يعتقدون إمامته ، ويقولون : انه مقيم بجبل رضوى ، وإلى هذا اشار كثير عزة بقوله :

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
يغيب ولا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

قال ابن فهد في كتابه نهاية التقريب : انه مات برضوى ، ودفن بالبقيع سنة احدى وثمانين ، وقيل : سنة اثنتين وثمانين ، وقيل : ثلاث وتسعين ، وقبض وهو ابن خمس وستين ، وقيل : غير ذلك .

قال الحافظ المنذري : والصحيح في محمد ابن الحنفية انه مع عبد الله بن العباس في الطائف خلف الضريح على يمين الداخل باب الحجرة وإلى جانبه قبر بعض قضاة الطائف ، وهو ابن المرجل على ما قيل .

وعند الشباك قدام الضريح قبر زبيدة واخيها عبد المنعم بن عبد العزيز .

وقدامه ايضاً قبر علي بن احمد بن محمد العباسي .

وقال : ان الدعاء يستجاب عند السارية التي عند رأس الضريح إلى خلفه وكذلك عند الشباك الحديد من خارج المسجد .

وهذا المسجد الذي فيه قبر عبد الله بن العباس والضريح عمرها المستضيء بامر الله العباسي سنة خمسمائة واثنتين وتسعين ، واسمه في المنبر الذي بهذا المسجد .

والقبة عمرها الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن سنة ستمائة وخمس وسبعين ، واسمه مكتوب فيها .

وبداخل القبة سقط لرسول الله (ص) وليس من اولاده المشهورين .

وبالطائف مزارات تنسب للنبي (ص) منها : السدرة التي انفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين ، وذلك لما اعترضه في طريقه وهو سائر وسنان ليلا في غزوة الطائف ، وبعض هذه السدرة باق إلى الآن والناس يتبركون بها .

قلت : والبخور بخشبها يذهب الحمى قطعاً .

ومنها : مسجد ينسب إلى النبي (ص) في مؤخر المسجد الذي فيه قبر سيدنا عبدالله بن العباس لان فيجداره القبلي من خارجه حجراً مكتوبا عليه امرت السيدة ام جعفر زبيدة بنت ابى جعفر أم ولاة عهد المسلمين اطال الله بقاءها بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطائف سنة مائة واثنتين وتسعين .

وفي خارج المسجد قبور الشهداء رضى الله عنهم ، وهم ثلاثة عشر نفراً وهم مذكورون في السيرة النبوية .

وفي خارج المسجد في الجبانة قبر زيد بن ثابت رضى الله عنه في فسقية من غير شك عندهم في ذلك .

وبالقرب من الجبانة شجرة سدر تسمى الحدباء يقال ان قريشاً كانوا يعقدون الرأي عندها .

وإلى جانبها مسجد الراية ، وهو موضع خرب ، يقال انه موضع راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلى جانب ذلك بالقرب من ناحية الطائف حظيرة يقال

انها وضعت علامة لخيمة من ادم ضربت للنبي (ص) في ذلك الموضع .

ثم بعد الطائف إلى ناحية لية بئر يقال ان النبي (ص) شرب من مائها وإلى جانب البئر موقف يقال انه وقف عنده صلى الله عليه وآله وسلم اول مجيئه لحصار اهل الطائف فلم يؤذن له .

وإلى جانب الموقف حظيرة يقال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى بها

ومن المزارات : موقف بجبل ابي زبيدة يقال له ابو الاخيلة معبد المداس وهو في مسجد ، وفي داخله صخرة عليها اثر موقف النبي صلى الله عليه وآله .

ومن المزارات ايضاً موقف آخر عند وج ، يقال انه وقف عنده صلى الله عليه وآله وسلم وعنده شجرة سدر ، وشجرة ذكار حماط .

ومن المزارات ايضاً المسجد الذي عند بابه آثار حصن ساقط على بئر يقال ان البئر شرب منها صلى الله عليه وآله وسلم .

وبالقرب من العقيق السدرة التي انفرجت للنبي (ص) ولم يبق منها الآن سوى ساق واحد ، وبها . . . وبها . . .

واقمت في الطائف باهنأ حاله ، وراحة وجماله :

عليكم سلام الله يا جيرة الطائف فانتم وحق المصطفى ملجأ الخائف
وحياكم رب الانام بلطفه وطاف عليكم بالرضى والهنا طائف

﴿ ترجمة أبي بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب بن ﴾ (الحارث بن زهو الزهرى)

أحد الفقهاء المحدثين ، والاعلام التابعين ، رأى بالمدينة عشرة من الصحابة رضى الله عنهم .

وروى عن جماعة من الأئمة منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري .

وروى عن عمرو بن دينار انه قال : أي شيء عند الزهري انا لقيت ابن عمر ولم يلقه وأنا لقيت ابن عباس ولم يلقه ، فقدم الزهري مكة ، فقال عمرو: احملوني اليه وكان قد اقعد ، فحمل اليه فلم يأت إلى اصحابه الا آخر الليل ، فقالوا له : كيف رأيته ؟ فقال : والله ما رأيت مثل هذا القرشي قط .

وقيل لمكحول : من أعلم من رأيت ؟ قال : ابن شهاب ، قيل له : ثم من قال ابن شهاب وكان قد حفظ علم الفقهاء السبعة .

وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى الآفاق : عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون احداً اعلم بالسنة الماضية منه .

وحضر الزهري يوما مجلس هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : أي شهر كان يخرج فيه العطاء لاهل المدينة ؟ فقال الزهرى : لا ادري فسأل أبا زياد فقال: في المحرم ، فقال هشام للزهري : يا ابا بكر هذا علم استفدته اليوم ، فقال : مجلس امير المؤمنين اهل ان يستفاد منه العلم .

وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله ، فيشتغل بها عن كل شيء من امور الدنيا ، فقالت امرأته يوما : والله لهذه الكتب اشد علي من ثلاث ضرائر .

وكان ابو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدراً ، وكان احد النفر الذين تعاقدوا يوم احد لئن رأوا رسول الله (ص) ليقتلنه او ليقتلن دونه.

وروي انه قيل للزهري : هل شهد جدك بدراً ؟ فقال : نعم ، ولكن مع عبد الملك ، ثم مع هشام بن عبد الملك .

وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه .

وتوفى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة اربع وعشرين ومائة . وقيل : خمس ومائة ، وهو ابن اثنتين ، وقيل : ثلاث وسبعين سنة . ودفن في ضيعة أداما ـ بفتح الهمزة والدال المهملة وبعد الالف ميم مفتوحة ايضاً ـ .

وقيل: ادمى مثل الاول لكنها بغير الف وهي خلف شغب، وبدا، وهما واديان.

وقيل : قريتان بين الحجاز والشام ، في موضع هو آخر الحجاز ، وأول عمل فلسطين ، وقبره على الطريق ليدعو له كل من يمر به ويترحم عليه .

والزهري ـ بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء ـ هذه النسبة إلى زهرة ابن كلاب بن مرة ، وهي قبيلة كبيرة من قريش ، ومنها آمنة ام رسول الله (ص) وخلق كثير من الصحابة وغيرهم .

وشغب ـ بفتح الشين المعجمة وسكون الغين المعجمة وبعدها باء موحدة ـ .

وبدا بفتح الباء الموحدة والدال المهملة وبعدها الف وفيهما يقول كثير عزة :

وانت الذي حببت شغباً إلى بدا ... إلي واوطاني بلاد سواهما

إذا ذرفت عيناي اعتل بالقذا ... وعزة لو تدري الطبيب قذاهما

قال ابن خلكان : وهذا الشعر يدل على انهما واديان ، والله اعلم بما يكون وما كان .

﴿ مسألة ﴾

تقول : اكلت السمكة حتى رأسها ، برفع الرأس ونصبه وجره ، فالرفع على ان تجعل حتى حرف ابتداء والخبر محذوف دل عليه اكلت تقديره رأسها مأكول والنصب على ان تكون حتى عاطفة ، فالرأس مأكول ايضاً ، وذكر لحقارته والجر على ان حتى جارة ، فالرأس غير مأكول ، ومثل ذلك قول الشاعر :

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله ... والزاد حتى نعله القاها

وكان الفراء يقول : اموت وفي نفسي شيء من حتى لانها ترفع وتنصب وتجر .

وقال الشيخ بدر الدين بن مالك : دلالة حتى وإلى ، على انتهاء الغاية كثير بخلاف اللام ، إلا ان إلى امكن في ذلك انتهى .

﴿ سؤال ﴾

يا كاسرا قلبي المعنى ... وليس فيه سواه ثاني

لأي شيء كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان

﴿ جواب ﴾

كسرته حين قلت قلبي ولم تضفه إلى فلان

قال بعض الحكماء : ينبغي للعاقل ان يتخذ صديقاً ينبهه على عثرته وعيوبه فان الانسان لا يرى عيب نفسه .

أقول : رأيت في بعض المجاميع الادبية ان السلطان صلاح الدين يوسف قال : يوما للقاضي الفاضل لنا مدة ما رأينا فيها العماد الكاتب ، فلعله ضعيف فامض اليه وتفقد احواله ، فلما دخل الفاضل إلى دار العماد وجد اشياء انكرها في نفسه مثل آثار مجلس انس وطيب من رائحة خمر وآلات طرب ، فانشد :

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى ان تطاوعني بأن اراك على شيء من الزلل

وأقول ' واقل الاصدقاء حالة من إذا شكوت اليه سمع الشكوى واصغى لها لان سماع الشكوى وبثها فيه تخفيف عن المكروب والنفس تتروح اليه ، ولهذا قال الشاعر :

ولا بد من شكوى إلى ذي مروة يواسيك او يسليك او يتوجع

لانك ان شكوت أما يواسيك في غمك ، وهذه الرتبة العليا وهو الصديق الحميم ، ذو المروة ، وأما ان يسليك وهى الرتبة الوسطى وهو الصديق الحميم المهذب ذو التجارب الذي جرب صروف الدهر ، وأما ان يتوجع وهذه الرتبة السفلى وهو الصديق العاجز ، فان خلا الصديق من هذه الثلاث كان عدمه ووجوده سواء .

أقول : بل عدمه خير من وجوده البتة :

إذا كنت لا علم لديك تفيدنا ولا انت ذو دين فنرجوك للدين
ولا انت ممن يرتجى لكريهة عملنا مثالا مثل شخصك من طين

قال الصلاح الصفدي : لو ان لي في هذين البيتين حكما لاهتدمت القافية وجعلت عوض قوله للدين قولي للقرا ، وبدل قوله من طين ، خرا ، فانى لا ارى ان يضيع الطين في عثاله .

﴿ فائدة ﴾

النار عند العرب اربعة عشر ناراً ، نار مزدلفة توقد حتى يراها من رجع من عرفة ، واول من اوقدها قصى بن كلاب .

ونار الاستسقاء كانوا في الجاهلية إذا تتابع عليهم السنوات جمعوا ما قدروا عليه من البقر ، وعلقوا في عراقبها واذنابها العشر والسلع ويصعدون بها على جبل وعر ويضرمون فيها النار ويعجون في الدعاء فيمطرون بذلك .

ونار التحالف : لايعقدون الحلف إلا عليها ويطرحون فيها الملح والكبريت فاذا اشتاطت قالوا هذه النار قد تهددك .

ونار الغدر : كانوا إذا غدر الرجل بجاره اوقدوا ناراً بمنى ايام الحج ، ثم قالوا هذا غدر فلان .

ونار السلامة : توقد للقادم من سفره سالماً غانماً .

ونار الزائر والمسافر : وذلك إذا أراد ان الزائر او المسافر لا يرجعان اوقدوا خلفه ناراً وقالوا : أبعده الله واسحقه .

ونار الحرب ، وتسمى نار اللاهبة : يوقدونها اعلاما لمن بعد عنهم .

ونار الصيد ، يوقدونها للظباء فتتغشى ابصارهم .

ونار الاسد : يوقدونها إذا خافوه لانه إذا رآها حدق اليها وتأملها وهرب

ونار السليم : توقد للملسوع إذا سهر ، والمجروح إذا نزف ، ومن عضة الكلب ، فيوقدونها حتى لا يناموا .

ونار الفدا : كانت ملوك العرب إذا سبوا قبيلة وطلبوا منهم الفداء كرهوا

ان يعرضوا النساء نهاراً لئلا يفتضحن .

ونار الوسم : التي يسمون بها الابل لتعرف ابل الملوك ، فترد الماء اولا .

ونار القرى والضيف : وهو اعظم النيران .

ونار الحرتين : وهي التي اطفأها الله لخالد بن سنان العبسي ، احتفر لها بئر وادخلها ، والناس يرون ، ثم اقتحم فيها حتى غيبها وخرج منها .

الانسان أما ان يكون ناقصاً وهو ادنى الدرجات ، وأما ان يكون كاملا في ذاته ، وهم الاولياء . وأما ان يكون كاملا في ذاته قادراً على تكميل غيره ، وهم الانبياء وهم في الدرجة العالية . ثم ان هذا الكمال والتكميل انما يعتبر في القوة الفطرية ، والقوة العملية . ورئيس الكمالات المعتبرة في القوة الفطرية معرفة الله تعالى ، ورئيس الكمالات المعتبرة في القوة العملية طاعة الله تعالى . وكل من كانت درجاته في كمالات هاتين المرتبتين اعلى كانت درجات ولايته اكمل ، وكل من كانت درجاته في تكميل الغير في هاتين المرتبتين اعلى كانت درجات نبوته اكمل .

فاذا عرفت هذا فنقول انه عند مقدم محمد صلى الله عليه وآله كان العالم مملوأ من الكفر والشرك والفسق .

أما اليهود فكانوا من المذاهب الباطلة في التشبيه والافتراء على الانبياء وتحريف التوراة ، وقد بلغوا الغاية .

وأما النصارى فقد كانوا في اثبات الالهين ووقوع المحاربة بينهما في تحليل نكاح الامهات والبنات ، وقد بلغوا الغاية .

وأما العرب فقد كانوا في عبادة الاصنام وفي النهب والغارة ، وقد بلغت النهاية ، وكانت الدنيا مملوءة من هذه الاباطيل ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وقام بدعوة الخلق ، انقلبت الدنيا من الباطل إلى الحق ، ومن الكذب إلى الصدق ومن الظلام إلى النور ، وبطلت هذه الكفريات ، وزالت هذه الجهالات ، في اكثر بلاد العالم ، وفي وسط المعمور وانطلقت الالسن بتوحيد الله تعالى ، واستنارت العقول

بمعرفة الله تعالى ، ورجع الخلق من حب الدنيا إلى حب المولى بقدر الامكان .

وإذا كان لا معنى للنبوة إلا تكميل الناقصين في القوة الفطرية والقوة العملية ورأينا ان هذا الاثر حصل بمقدم محمـــد ﷺ اكمل واكثر مما ظهر بسبب مقدم موسى وعيسى عليهم السلام .

علمنا ان محمداً سيد الانبياء وقدوة الاصفياء .

اللهم احشرنا وامة محمد في زمرة محمد وآل محمد .

فلما كان عصر خامس ذي الحجة الحرام سنة الف ومائة واربعين من هجرة خير الانام عليه وعلى آله وصحبه افضل الصلاة وازكى السلام توكلنا على الله وسرنا من الطائف قاصدين حج بيت الله صحبة السيد الشريف باز بن المرحوم الشريف شبير واخيه عبد المحسن وسعد وابن عمه الشريف مبارك بن بشير والشريف ابراهيم ابن محمد الشنبري ، وجمع كثير من اهل الطائف ، فاتينا بعد المغرب ارض الهدا وبتنا هناك ، وفي الصبح نزلنا من جبل كرا ، وقيلنا في الكرا إلى بعد الظهر .

فلما اضاء فجر سابع ذي الحجة وردنا مكة المشرفة ، فطفنا وسعينا ودعونا الله وصلينا ومناسكنا قضينا .

فلما كان عصر ثامن ذي الحجة صعدنا عرفة ، في ساعة مشرفة ، وفي تاسع الشهر وقفنا مع الناس واتينا مزدلفة وبتنا بها ، ثم سرنا إلى منى ، وقد بلغنا المنى وأقمنا بها ايام التشريق ، ثم اتينا مكة وقد قضينا جميع المناسك .

فلما كان ثامن عشر محرم الحرام عام الف ومائة واحدى واربعين من هجرة الشفيع يوم الزحام رحلنا من مكة المشرفة إلى الطائف صحبة الجناب الاجل الملاذ الامثل مولانا السيد محمد بن السيد طه القادري من طريق اليمانية ، فاتينا البرود وهي ارض قفراء وبها بئر ماؤها عذب لطيف جداً .

ثم رحلنا فاتينا الزيما وهي ارض لطيفة انيسة شريفة ، للشريفة عنبرة ابنة ملك مكة المعظمة الشريف المرحوم سعيد بن سعد ، بها الاشجار الفائحة ، والمياه

السائحة ، وبها الموز والليمون الحلو والحامض ، والنارنج والاترج ، وهي في غاية الشراحة جداً .

ثم رحلنا فاتينا ارض السيل ، وقد مضى الثلث من الليل ، وهي ارض يسكن اطرافها اعراب عتيبة ، وهم لصوص اسرق خلق الله واشرهم ، وبها واد عظيم .

ثم رحلنا فأتينا القديرة وهي بلاد عظيمة ، اغلبها للوالد المرحوم مبارك بن شربي ، وهي ارض يعجز عن وصفها الواصفون بها المياه العذبة والاشجار والفواكه المختلفة ، والاطيار والازهار والشموس والاقمار .

فلما كان عصر سادس محرم دخلنا الطائف في يوم شديد البرد غزير المطر ونزلنا بدار الشريف ذي المكارم السيد احمد بن حازم ، وأقمنا في الطائف إلى رابع ربيع الاول . ثم رحلنا إلى مكة المشرفة وأقمنا بها إلى العيد ، ثم سرنا إلى بندر جدة في وقت سعيد ، لقضاء بعض الاغراض . وأقمت إلى غرة ربيع الثاني ثم توجهت إلى زيارة الحبيب المخصوص بالمثاني .

فلما وصلنا إلى بدر مأوى الشهداء ذوي القدر ذهب مني ما كان من الدراهم فاحتجت إلى السفر إلى ينبع البحر قاصداً عمدة آل هاشم الكريم ، نجل الاكارم مولانا الشريف الهمام ، الغطريف السيد عبد المعين بن مبارك الهجاري الحسني فقصدته في ارض حبي وهي ارض على مسيرة يوم من ينبع البحر ، فحباني بافضاله وعمني بنواله . حتى خلت أني من آله وامتدحته بقولي :

نسيم الصبا ربع الاحبة عما	وحي به صحبي الكرام وسلما
سلاما زكياً طيباً متعطراً	تمسك بالبيت العتيق وسلما
ولاذ باكناف المقام وبالصفا	وبالحجر السر المصون تذمما
تصاعد من تلقاء طيبة نشره	وقبل اعتاب البقيع وعظما
وخبر أهيل الود عن ذي صبابة	سقاه الهوى من اكؤس البين علقما
وبث لهم شكوى غريب فؤاده	أقام به الهم الشديد وخيما

وقل لاخلاء الوفا بعـد بعدكم ... على ناظري اضحى الرقاد محرما
اخلاي جفني لا يمل من البكا ... وناري لا تزداد إلا تضرما
بمكة نصف القلب والنصف عندكم ... فما حال صب قلبه قد تقسما
رعى الله اياما تقضت بلعلع ... فما كان احلاها لدي وانعما
وحيا الحيا تلك المعاهد والربى ... وجاد ثراها صوب غادية هما
فكم لي فيها من اخ وابن والد ... وخل صديق بعده القلب كلما
وصحب كرام ماتناسيت ودهم ... وجيران انس فضلهم قد تقدما
فلله كم يوم قضيت بقربهم ... بكرم وبستان به الطير نغما
وكم قد حللنا روضة سندسية ... بها زهر المنثور اضحى منظما
بكى في نواحيها السحاب عشية ... فاصبح يزهو زهرها متبسما
عسى من قضى بالبعد يا اهل لعلع ... يمن لنا بالقرب منكم تكرما
كما من لي حتى انخت مطيتي ... برحب الشريف الشهم من قدره سما
حليف الندى عبد المعين ابي السخا ... سهام العدا موقي الردى حامي الحما
جواد علا دراً غلا مفرد الملا ... حسام سطا بحر العطا عارض هما
حوى كل وصف ليس يحويه غيره ... ومن شك في هذا الحديث له العمى
ذكاء اياس في شجاعة حيدر ... وفي الرأي قيس الرأي ماقط اخيا
ومجد ابن كلثوم وحلم ابن عاصم ... وحاتم منه المكرمات تعلما
كذا عدل كسرى وافتخار ابن منذر ... وغيرة جساس بن شيبان في الحمى
شريف له يومان يوم لباسه ... فيسقي الاعادي فيه كاسا من الدما
ويوم الرضى يعطي ويكرم كل من ... اتاه فيمسي في حماه منعما
حماه إله العرش من كل طارق ... ولا عاش شانيه البغيض ولا نما
أياقلب صرح بالمديح بحب من ... رقى ذكره حتى تجاوز للسما

أيا قلب لذ بالهاشمي فمن يلذ — بهذا الهمام الندب نال التكرما
ايا نسل طه يا اخا الفضل والوفا — ويا ذا المرجى للخطوب وكلما
قصدتك من ام القرى يا اباالقرى — ويا خير من اعطى وجاد وانعما
وقصدي ازور الطهر نور الهدى ومن — عليه إله الناس صلى وسلما
وما قل جودي يا شريف وهمتي — نعم قل موجودي وصبحي اظلما
ألا فانظرونا نقتبس نور جودكم — فانت كبير القوم ادرى بكل ما
أأقنع بالمر النقيع وارتوى — وبحرك عذب بالمواهب قد طما
أأصبر تحت الذل بين عشيرتى — وارشق من ايدى النوائب اسهما
وقد سمعت اذنى مرارا كثيرة — بجودك يا من بالعطايا تكرما
اليك عقيد الخيل وجهت حاجتي — وما خاب من زار الكريم ويمما
ولا شك من أم الكرام فانه — تلاحظه عين العناية حيثما
ودم آمناً من طارق وملمة — مليكا عزيزاً في الانام معظما
مدى الدهر ماسح الغمام بطيبة — وما زمزم الحادي بسلع ونغما
وما انشد المشتاق من فرط شوقه — نسيم الصبا ربع الاحبة يمما

واقمت عند الشريف يحي ثلاثة ايام ، وحيانى بالعز والانعام .

﴿ فائدة ﴾

ينبع البحر : مدينة صغيرة ، وهى بندر المكاسب ، وبها امير مثل مكة وهو ممدوحي هذا ، ولها وزير من طرف شريف مكة ، وبها دور وحواصل وحوانيت وسرحات واهلها مميانون ، وفيهم البخل الزائد . حتى قال فيهم القائل :

يا اهل ينبع انتم اخس من في البريه
لاضيف يقرى ومع ذا لكم عيون قويه

ثم توجهت منها إلى ينبع النخل .

﴿ فائدة ﴾

ينبع النخل على سبع مراحل من المدينة المنورة ، وهي تحت جبل رضوى وفيها شعاب واودية ونخيل كثيرة ، ومياه غزيرة وثمار واشجار واهلها بخلاء اشرار ، ثم سرت منها إلى المدينة ، مأوى صاحب السكينة ، وأقمت بها في نعمة ابدية وسعادة سرمدية ، وعيشة مرضية إلى ان زرت زيارة الرجبية ، ثم سرت من مدينة خير الانام إلى بيت الله الحرام ، وأقمت هناك بعض ايام ثم سرت إلى الطائف صحبة الجناب ذي الاحسان الجلبي جعفر بن محمد حميدان ، وصمت هناك شهر رمضان . وفي سادس عيد الفطر قيلنا في الواسطة صحبة الجناب عين الاعيان الجلبي زين العابدين بن المرحوم مصطفى حميدان ، وبعض الاخوان اهل الفضل والاحسان والواسطة بستان ، للجناب العزيز الركن الحريز ، رئيس الزمان ، ووحيد الاقران ، بحر الكرم الرابي ، مولانا الشيخ سليمان بن احمد العرابي ، وسمي هذا البستان بالواسطة ، لانه بين ارض المثناة والسلامة . وارخته بقولي :

صاح شاهد مقعد العز الذي	قد حوى الافراح حقاً والتصابي
وسط بستان انيس زاهر	كامل الاوصاف من غير تغابي
وبه الاشجار قد شبهتها	غادة ماست بالوان الثياب
وطيور السعد تشدو فوقها	بالزهاوي والحسيني والحرابي
وعيون الخير تجري تحتها	والهنا حف بها من كل باب
كيف لا وهي لمن حاز العلى	وتردى بالتقى عالي الجناب
ولسان الحال قد ارخه	بيت شعر فاق لطفاً يا صحابي
مجلس الانس وقد اسسه	كيمياء الجود سليمان العرابي

﴿ ترجمة أبي السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن ﴾
(عبد الكريم بن الواحد الشيباني ، المعروف بابن)
(الاثير الجزري الملقب ، نجم الدين)

قال ابن خلكان : قال ابو البركات المستوفى في تاريخ اربل في حقه: اشهر العلماء ذكراً ، واكبر النبلاء قدراً ، واحد الافاضل المشار اليهم ، وافضل الاماثل ، المعتمد في الامور عليهم ، أخذ النحو عن شيخه ابي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان ، وسمع الحديث متأخراً ، ولم تتقدم روايته .

وله المصنفات البديعة ، والرسائل الوسيمة ، منها جامع الاصول في احاديث الرسول ﷺ جمع فيه بين الصحاح الستة ، وهو على وضع كتاب ابن رزين ، إلا ان فيه زيادة كثيرة عليه ، ومنها كتاب النهاية في غريب الحديث في خمس مجلدات وكتاب الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في تفسير القرآن الكريم ، اخذه من تفسير الثعلبي والزمخشري ، وله كتاب المصطفى والمختار في الادعية والاذكار ، وله كتاب لطيف في صنعة الكتابة ، وكتاب البديع في شرح مسند الامام الشافعي رضى الله عنه ، وغير ذلك من التصانيف .

وكانت ولادته بجزيرة ابن عمر في احد الربيعين سنة اربع واربعين وخمسمائة ونشأ بها ثم انتقل إلى الموصل واتصل بخدمة الامير مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الخادم الزيني ، وكان نائب المملكة فكتب بين يديه منشئاً إلى ان قبض على الامير المذكور ، فاتصل بخدمة عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل ، وتولى ديوان رسائله ، وكتب له إلى ان توفى .

ثم اتصل بولده نور الدين ارسلان شاه فحظى عنده وتوفرت حرمته لديه وكتب له مدة ، ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقاً واقام في داره تغشاه الاكابر والعلماء ، وانشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل ، سمي

قصر حرب وقف املاكه عليه وعلى داره التي كان يسكنها بالموصل .

قال ابن خلكان : وبلغني انه صنف هذه الكتب كلها في مدة المطلة ، فانه تفرغ لها ، وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الاختيار والكتابة .

وله شعر يسير ، فمن جملة ما انشده لاتابيك صاحب الموصل ، وقد زلت به بغلتـه :

ان زلت البغلة من تحته   فان في زلتها عذرا
حملها من حمله شاهقاً   ومن ندى راحته بحرا

وهذا المعنى مطروق وقد جاء في الشعر كثيراً .

وحكى اخوه عز الدين ابو الحسن علي انه لما اقعد جاءهم رجل مغربي والتزم انه يداويه ، ويبريه مما هو فيه ، ولا يأخذ اجراً إلا بعد برئه ، قال : فملنا إلى قوله واخذ في معالجته بدهن صنعه ، وظهرت ثمرة صنعته ، ولانت رجلاه وصار يتمكن من مدها واشرف على كمال البرء ، فقال لي : اعط هذا المغربي شيئاً يرضيه واصرفه فقلت له : لماذا وقد ظهر نجح معاناته ، فقال : الامر كما تقول ولـكني في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء والالتزام باحضارهم ، وقد سكنت روحي إلى الانقطاع والدعة ، وقد كنت بالامس وانا معافى اذل في نفسي بالسعي اليهم وها انا اليوم قاعد في منزلي وإذا طرأت لهم امور ضرورية جاؤني بانفسهم رفقاً بي وبين هذا وذلك فرق كثير ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض ، فما ارى زواله ولا معالجته ، ولم يبق من العمر إلا القليل ، فدعني اعيش باقيه حراً سليما من الذل ، فقد اخذت منه اوفر حظ .

قال عز الدين : فقبلت قوله وصرفت الرجل باحسان .

وكانت وفاة مجد الدين المذكور بالموصل يوم الخميس سلخ ذي الحجـة سنة ستمائة ودفن برباطه بدرب دراج داخل الموصل رحمه الله تعالى والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب .

قال بعض الحكماء : اربعة لا طمع لعاقل فيها ، غلبة القضاء ، ونصيحة الاعداء ، وتغير الخلق ، ورضى الخلق .

وقال فيلسوف : اربعة لا يخلو منها جاهل قول بلا معنى ، وفعل بلا جدوى وخصومة على غير طائل ، ومناظرة بغير حاصل .

وقال سقراط : اربعة لا مرد لها ، القول المحكى ، والسهم الوفاق المرمي ، والقدر الجاري ، والزمن الماضي .

واربعة توجب المحبة : حسن البشر ، وبذل البر ، وقصد الوفاق. وترك النفاق

واربعة من علامات الكرم : بذل الندى ، وكف الأذى ، وتعجيل المثوبة وتأخير العقوبة .

واربعة من علامات الايمان : حسن العفاف ، والرضى بالكفاف ، وحفظ اللسان ، واعتقاد الاحسان .

واربعة من علامات النفاق : قلة الديانة ، وعدم الامانة ، وغش الصديق ونقض المواثيق .

واربعة يستدل بها على اربعة : العفة على الديانة ، والنصيحة على الامانة ، والصمت على العقل ، والعدل على الفضل .

واربعة لا تخلو من اربعة : الجهول من السقط ، والقؤول من الغلط ، والعجول من الزلل ، والملول من الملل .

واربعة تزري بأربعة : النعمة بالكفران ، والقدرة بالعدوان ، والدولة بالاغفال ، والحظوة بالاذلال .

واربعة تتولد من اربعة : الشر من الممازحة ، والبغض من المكادحة ، والوحشة من الخلاف ، والنبوة من الاستخفاف .

واربعة ترق بها إلى اربعة : بالعقل إلى الرياسة ، وبالرأي إلى السياسة . وبالعلم إلى التقدير ، وبالحلم إلى التوقير .

واربعة تؤدي إلى اربعة : الصمت إلى السلامة ، والبر إلى الكرامة، والجود إلى السيادة ، والشكر إلى الزيادة .

واربعة تعرف باربعة : الكاتب بكتابه ، والعالم بجوابه ، والحكيم بافعاله والحليم باحتماله .

واربعة تدل على الجهل : صحبة الجهول ، وكثرة الفضول ، وطاعة الهوى ومصاحبة الحمق .

واربعة تدل على السعادة : حب العلم ، وحسن العمل ، وصحة الجواب . والقول الصواب .

واربعة توصل إلى اربعة : الصبر إلى لقاء المحبوب ، والجد إلى نيل المطلوب والزهد إلى التقى ، والقناعة إلى الغنى .

واربعة تحفظك من اربعة : العفة من الحرام ، والمعرفة من الآثام ، والمروءة من الغدر ، والديانة من الشر . انتهى .

قال صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى: وللتراجمة في النقل طريقان احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما ، وهو ان ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية ، وما تدل عليه من المعنى فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها من الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الاخرى كذلك حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه .

وهذه الطريقة رديئة بوجهين ، احدهما : انه لا يوجد في الكلمات العربية ما يقابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الالفاظ اليونانية على حالها .

الثانى في التعريب طريق حنين بن اسحاق ، والجوهرى وغيرهما ، وهو ان يأتى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ ام خالفتها . وهذا الطريق اجود ولهذا لم تحتج .

كتب حنين بن اسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لانه لم يكن فهيماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والالهي فان الذي عربه لم يحتج إلى اصلاح.

وأما كتاب اقليدس فقد هذبه ثابت بن قرة الحرانى وكذلك المجسطي والمتوسطات بينهما .

يعجبني قول من قال :

ان الامير هو الذي اضحى اميراً يوم عزله
ان زال سلطان الولاية لم يزل سلطان فضله

ولله در من قال :

قالوا احب حبيباً ما تأمله فكيف حل به للسقم تأثير
فقلت قد يعمل المعنى بقوته في ظاهر اللفظ رفعاً وهو مستور

﴿ ترجمة الإمام عبد القادر محي الدين بن محمد يحي ﴾
(الطبرى الحسينى الشافعى)

قال صاحب السلافة : امام تصدر في محراب العلم والامامة وهمام تسنم صهوة جموح الفضل فملك زمامه ، رفع للعلوم ارفع رايه ، وجمع بين الرواية والدرايه فاصبح وهو كاسر الوسادة ، بين الأئمة والسادة ، يشنف المسامع بفرائد كلامه ، ويبهج النواظر بما تدبجه انامل اقلامه ، إذا انفهقت بشقاشق قاله لهاته ، ثبت حق افصاح النطق وبطلت ترهاته ، إلى نسب في صميم الشرف عريق ، وحسب غصن مجده بالمعالي وريق ، وبيت علم ليس منه إلا امام او خطيب واديب فتى ، فضله في رياض الادب رطيب . والطبريون سادة من غير الفضل يربون ، وهذا الامام واسطة عقدهم ، ورابطة عقدهم ، ومحي آثارهم ، والآخذ من الدهر بثارهم ، صنف والف ، وسبق وما تخلف .

وأما الأدب فروضه الممطور وحوضه الراوية منه الطروس والسطور، وكانت له الهمة العليا التي تضيق عن اذهان الدنيا ، وانفة نفسه كان سبب ذهابها وانتزاع لطيفة روحه من اهابها .

ومن خبره انه انتابت خطبة الفطر احد ولديه ، وكانت اول خطبة حصلت بها النوبة لديه ، فتهيأ للقيام بادائها ، وارهف عضب لسانه لابدائها ، فمنعه بعض امراء الاروام ، الواردين إلى مكة المشرفة في تلك الاعوام ، ورغب في ان يكون الخطيب حنفي المذهب ، واخاف من تعرض لرد امره وارهب ، فضاق بالامام لذلك نجده ووهده ، وجهد في ازالة هـذا المانع فلم يجده جهده ، ولما لم يحصل إلا على الياس ، ولم يلف اضنى دائه من آس صعد كرسيه ، وتنفس الصعدا ، ففاضت نفسه لوقته كدا وألق على كرسيه جسدا .

ومن العجيب ان قدمت جنازته ذلك اليوم للصلاة عليه ، والخطيب يخطب على المنبر ناظراً اليه ، وذلك عام ثلاثين والف .

قلت : لم يذكر صاحب السلافة رحمه الله تعالى اسم هذا الامير المعتدي على هذا الامام الكبير ، والفاضل الشهير ، والمحقق النحرير .

وقد ذكر هذه الواقعة العلامة المؤرخ السيد محمد الشبلي في تاريخه عقد الجواهر والدرر في اخبار القرن الحادي عشر ، ونسبها إلى حيدر باشا متولي اليمن الذي طرده من اليمن الامام الامجد القاسم بن محمد .

﴿ وهذا اثبات شيء من نثره الفائق ونظمه الشائق الرائق ﴾

فمن انشائه ما كتبه إلى الشيخ عبد الرحمن المرشدي المتقدم :

من الطائف المحفوف باللطائف ، قبلت ارضاً نيطت بها تمائمي ، وحنت لها إذا أنت لفراقها حمائمي ، اول ارض مس جلدي ترابها ، وغذاني بلبان الادب اترابها ، وقوم لحن الجاني اعرابها ، وكفلني قبل ما كلفني اعرابها ، ونعق بسعادتي

مذ ولدت غرابها ، هي الحرم الآمن من كل خيفة ومخافة ، والمعقل الذي ينتقم الله ممن اذعر حاله واخافه ، والعصمة التي كحل طرف النائم بها أعد الرحمة ، والمأمن الذي اتسع بالرحمة اتساع الرحم ، فلاضيق بنازليه وان كثروا ، ولا زحمة لايضار بحره وقلة مائه ، ولا يعاب بانقطاع سفائف الارزاق بعخائه وخليصائه ، فهو جنة من شأنها ان تحف بالمكاره ، ومن الناس من يقاد إلى الجنة وهو كاره ، بينا هي كذلك اذ غشيتها من الله الكريم نظره ، وانكشف عنها ما يخشى ويكره ، ولكل بكرة اصيل ، ولكل اصيل بكره ، فاسأل الله الذي بيده المن والمنون ، وامره مقدر بين الكاف والنون ، ان يقر العيون باجراء العيون ، وهذا عندي من نوع الاستخدام ، ويمتع النواظر بوجوه احبابنا النواضر ويحرسهم في الانفس والاهل والاخدام ، سيما الخدن الصديق والخل الشفيق المقدم في حقوق الاخاء على الاخ الشقيق ، مظهر القول بالوحده ، حيث لا اثنينية بيني وبينه ، مصداق القول بالحلول إذ كان لساني وعيني ، وكنت لسانه وعينه ، شيخ الاسلام ناشر علوم الفتوى والفتوة على مفارق الانام ، نائل كنانة الفرائد في قبائل المستفيدين عما يبلغ قصي المطالب لمن سام وحام ، الامام المقتدى به في الصلاة والصلات ، المفزوع اليه إذا نزلت المشكلات وحلت المعضلات ، القائم بالحجه ، والدال على المحجة الثابت تفرده في علمي المعقول والمنقول بأصدق ثبت واصح حجه العالم النحرير العامل بالاحتياط والتحرير ، خطيب المسلمين المدره المفوه ، المؤيد بحول الله والقوه ، مولانا الشيخ عبد الرحمن بن عيسى لا زال عباب فضله قاموسا ، ولا برح علمه في دياجي المشكلات قابوسا ، وانهيت إلى حضرته التي تفقأت علماً ، وامتلأت ذكاء وفهما وتعبيري عن المضارع بالماضي مجاز مرسل لما تقدم من الاتحاد والحلول والاستطراد نوع بديعي ، وحديثه مسلسل شوقا ، أذهل العبد عن المكاتبة واشغله ، عمن لم يكاتبه وعمن كاتبه ، فان البعد عن مولانا بالجسد ، من اعظم موجبات الكمد ومقتضيات النكد ، فالله تعالى يقرب سويعات الاجتماع بخير البقاع ، وقد كتبت

بغاية العجلة عند توجه السفاره ، وتوجههم مما هو اشق من نقب سماره ، فليعذر مولانا عما بها من التقصير ، وليتفضل بابلاغ السلام للصديق الكبير والعالم الشهير العالم العلامة الحجة الفهامه ، مولانا الصنو الشيخ احمد لا زال في معارج المعالي يصعد ، والسلام .

أقول : تأمل في اوائل هذا الانشاء عند قوله اول ارض مس جلدي ترابها إلى قوله : ونعق بسعادتي مذ ولدت غرابها ، هكذا نقلته بالعين المهملة من سلافة العصر من نسخة صحيحة مضبوطة للمرحوم الاديب الشيخ محمد صالح بن المرحوم الشيخ محمد علي القاضي الحكيم رحمه الله تعالى .

واغلب ظني ان هذا تحريف من الكاتب والله اعلم . لان نعق بالمهملة لغة نادرة ، كيف والامام المشار اليه امام اللغة والعربية .

يقال نغق الغراب بالمعجمة ، أي قال غاق غاق وينغق بالكسر نغيقاً بغين معجمة وحكي ابن كيسان : نعق الغراب بالمهملة إلا انه نادر .

وقال الامام العلامة الزمخشري في مستقصاه : وزعموا ان نعيبه يتطير منه وهو أن يقول غيق غيق ونغيقه يتفاءل به وهو ان يقول غاق غاق يقال نغق بخير واوردوا شواهد على ذلك ، ولا يقال نغق ببين جريا على ما قرره امام العربية الزمخشري بل لا يقال إلا نغق بفرح او بسرور ونعب بفرقة او بكدر ، انتهى .

فكتب اليه الشيخ عبد الرحمن مراجعاً بما صورته ان ارضا نيطت بها تمائمك لجديرة بالتقبيل ، ورياضاً تغنت بها حمائمك ، لحقيقة بالتعظيم والتبجيل ، كيف وقد انبتت دوحتك التي تفرعت منها فتأصلت ، وانبتت سرحتك التي اثمرت مثلك فوجدت بهذا الوجود وتحصلت ، وهي دوحة النبوة التي بها فضلت مكة على المدينة على ما اخترته وبينت دلائله ، وشرحت الرسالة التي طالما ملأ المولى عند الاملاء على الملأ بتفضيلها ، تصانيفه ورسائله ، ارضاً صدح بها طائر سعدك ، وما نعق إلا ببين ضدك الغراب ، وكفلك بها اوانس مهدك ، مبعديك عن جفا طبائع

الاعراب ، واجير الحانك عن لحن يفتقر إلى تقويمه بالاعراب ، اللهم إلا ان يكون هذا في قوة السالبة وعدم اقتضائها وجود الموضوع مقرر عند اولى الباب .

فيا ايها المشوق إلى معاهده ومسقط رأسه والمعوق عنه لقلة موارده وحرارة انفاسه ، المتعطش إلى لقاء خدنه المتطلع إلى الاجتماع بقرمه وقرنه ، لعمرك انه اليك لاشوق ، وبقول المتقدم اجدر وأليق :

يا من له بين الضلوع مراتع   اناشيق اناشيق اناشيق

فاسأل الله ان يطوى شقة البين ، ويكحل بأثمد الاجتماع منا العين ، لتقر برؤية هذا الامام الجهبذ ، والهمام الذى تتشنف المسامع بفرائده وتلتذ ، المفوه الذى إذا قال لم يترك مقالا لقائل ، والمدره الذى اذا أطال لم يأت غيره بطائل ذى التآليف التي طبق الارض صيتها ، والتصانيف التي وقع الاتفاق على انها للواهيت التحقيق نواسيتها ، والفتاوى التي على اساليب اولى الاجتهاد في النص والاستدلال والتقارير التي يوضح بها ما في مغلق العبارات من التعقيد والاشكال شيخ الاسلام بل شيخ مشايخه الاجله ، مقتدى الانام في كل عصر ومدينة وقرية وحله ، الامام المتصدر في مقام ابراهيم ، الخطيب الذى تكاد القلوب من مواعظه تتصدع والعقول بها تهيم ، مالك زمام البلاغة والفصاحة ، الناظم الناثر الذى لا يدرك البليغ شأوه ولا يجترى البديع ان يحل له بساحه ، المدره المصقع اللسن السرى ، مولانا الامام محيي الدين عبد القادر بن محمد الطبرى ، جمل الله باخمصه هامات المنابر ، وكل به صدور المحاريب الشريفة المآثر واعاده الى معاد ، واعاذه من غائلة كل معاد ، ويهدى اليه سلاما يهزأ عرفه بالعنبر الاشهب ، ويسخر وصفه بالعبهر اذاهب ، مكتسباً الطيب من شمائله ، منتسباً في اللطف الى خلاله الشريفة وخصائله .

وينهى اليه شوقا يكاد ان يأخذ القلب بشغافه ، ويبدل العقل بشعافه ، فلولا ان الرحمن لطف بعبده ، وداركه من بعد بعد صديقه وصده ، بوصول كتابه الذى نسخ مذ نسخ كتب الفصاحه والبلاغة ، وفسخ عقود عقودها لما تحلى من شذورها

بالوجد في الصناعة والصياغة ، فيا له من كتاب تفصلت آيات فرقانه ، وخطاب لو اوحى إلى المتنبي لتحدى به والغى سفاسف قرآنه ، ورد من بحر يلفظ الجواهر إلى ساحله ، وحبر يحفظ الجواهر لالزام مساجله فدهشت عند وروده .

وقلت : ما هذا قول البشر ، ونفث في روعي ان هذا إلا سحر يؤثر فلو لا اساءة الظن بي ما نبست في جوابه ببنت شفه ، ولقضيت بالحجر على نفسي ، وقلت ان معارضة مثله سخف وسفه ، لكن بحكم ما لايدرك لا يترك .

بعثت هذه البطاقة التي تلطفت وعلى فضلك تطفلت ، وتكلفت لما سئمت اجابة رسالتك وبها تكفلت وانى لها بمعارضتها ، وكيف لها بمساجلتها ومقارضتها وقد انشئت تلك بين رياض وغياض ، وانتشت من انهار مدفقة في حياض وانتشقت نوافح ازهار تفوح من رياض تلك الخمائل ، وانتسقت في مسامعها صوادح تهيج بلابلها البلابل ، ويحيي النفوس نفس نسيمها الرطب السجسج ، ويملأ الكؤس اسفنط تسنيمها الذي يحاك زردها الفضي بيد الريح فلا يحاكى اذ ينسج، إلى غير ذلك من تنعم بفاكهة جنية شهية ، ومفاكهة عـــذبة عذية ، ومجيبها يتقلى ما بين طحر وسموم ، وماء بحر كانه اليحموم في قطر فقد منه نصف العناصر ، وصقع هب فيه من العناصر قد ابدل عن نغمات الصوادح بنغام الصوادي ، وعن نسمات البوارح بسمائم الوادي ، واشد من ذلك كله واشق بما هو بالتشكي منه اجدر واحق ، وهو فقد انيس بمجاورته يتسلى ، وعدم جليس بمحاورته تذهب الهموم وتنجلي ، قد اصبح غريباً ، وان كان في الوطن مقيم ، وكئيباً حيث لم يلق صديقاً وحميم ، فهو يشغل طرفي نهاره بالافتاء والتدريس ، ويأوي ما بينهما إلى غير انيس ، ينتابه جماعة هم من اللطف مفاليس ، ويرتاده اناس لا يلاحظون سوى وضع اليد في الكيس ، إلى غير ذلك من سماع اخبار مقسية ، وحوادث مذهلة للعقل ومنسيه فتارة يسمع خبر سفينة اغرقها اليم وآونة ان اخرى ادخلت المخا قهراً وانقضى امرها وتم ، وافظع من ذلك امر الماء الذي احرق الاكباد واعطش ، واوقع امره في

الحيرة وادهش ، بلغ ثمن الوعل منه خمسة وستة وسبعة وثمانية ، وبهذه الغاية تباع في بعض الاحيان بخمسة قربة الجارية .

﴿ تنبيه ﴾

قوله : وستة وسبعة وثمانية ، هذا هو المذهب القوي ولم يلتفت إلى قول من زعم ان العرب إذا عدوا وقالوا ستة سبعة وثمانية ، ويسمونها واو الثمانية . وهو ضعيف كما نبه عنه عمي العلامـــة السيد محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه الطاهرة في حاشيته على القاموس في باب الالف اللينـة عند قول صاحب القاموس ، الواو المفردة أقسام ، الاول : العاطفة لمطلق الجمع ، الى ان قال : التاسع واو الثمانية ، يقال ستة سبعة وثمانية ، ومنه (سبعة وثامنهم كلبهم) ما هذا لفظه .

أقول : قال ابن هشام في المغني : واو الثمانية ذكرها جماعة من الادباء كالحريري ، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه ، وزعموا ان العرب إذا عدوا قالوا ستة سبعة وثمانية أيذاناً بان السبعة عدد تام وان ما بعده عدد مستأنف واستدلوا على ذلك بآيات ، وذكروا ، اولها : الآية المذكورة في القاموس ، وذكر وجوه هذه الآية القوية ، إلى ان قال : وذهب ابو البقا على امامته في هذه الآية مذهب الضعفاء إلى آخر كلامه .

فاقول : ليس العجب من مثل الحريري في درة الغواص ان يعتمد مـذهب الضعفاء ، اعنى واو الثمانية ، ولـكن العجب من صاحب القاموس على امامته وبراعته في اللغة وتأخره عن ابن هشام ، وعن الزمخشري المضرب في الـكشاف عن ذكر واو الثمانية ، وعدوله في الآية عنها إلى الوجه القوى الذي ذكره .

ثم ان صاحب القاموس لم يرد فيما ذكره على ما نقله ابن هشام عن الضعفاء ، ثم هو نقل غير تام كما ظهر لك بعد الوقوف على عبارة ابن هشام والله اعلم .

عود . . .

فلاتسل عما الناس فيه من الشدة والكربة ، وقد لحقهم من ذلك عرق القربة وقد وزعت منافذ الماء ما بين اهل الشوكة والجاهات ، وقررت الوعول لذوى المنايات والوجاهات واغتنى من في بيته حاصل من تحصيل الثمن الزائد ، وسر بذلك فان مصائب قوم عند قوم فوائد ، فلو ترى الحلائل المخدرات ، وقد ابرزهن الحال في جنح الليالي الحالك ، والعذارى المحررات يتهادين بالدوارق هنالك لرأيت ما يهول ، ويرمي العقول بالذهول ، فكم من حرة هتكت وعذراء ثقبت درتها وسلكت وعزيز قوم في تلك المواقف ذل ، وجليل قدر لايلتفت اليه ، وان عظم قدراً وجل فهذه نازلة اشد من احتباس قطر الغمام .

فيتعين على الشافعية القنوت لها ولو فرادى ان لم يتهيأ ذلك مع امام ، هذا والامر افظع واهول والخطب اعظم من ان يعبر عنه مقول ، فاياكم والمبادرة بالقفول إلى هذه البلاد ، وعليكم بالاقامة حيث انتم ريثما تجري الطاف الله في العباد فالعارف لا يصل إلا الى ما عرفه ، والمبادر ينسب الى غفلة وعدم معرفة ، ولكون الذين النصيحة ابديت ذلك مع انه خلاف هواي ، اذ الغرض الأهم اجتماعي باهل خالصتي وأوادى ، فها انا قد بذلت النصح ، وان كان خلاف الهوى ، فلاتذرني انشد (بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى) ومما قضى الله على شمس الامل بالافول ما وقع من غرق مركب الفول ، وفيه من حب الجراية الف ومائتا اردب .

ومن حب سليم وصراد الف وثمانمائة ، هذا نوع الحب ، وفيه من الفول الفان ، غير الجمل المحزوم من سائر ما يتقوت به الانسان ، وقد وصل ركبته وليس معهم سوى ما عليهم من الثياب ، ووردوا على جمال خالية مما سوى الاقتاب .

هذا بعد ان هلك منهم من هلك ، وادرك الغرق من انتهى اجله ، اطال الله اجلك ، فالله يلطف بالناس ، ويزيل عنهم البؤس والباس ، وتفضلوا بتبليغ سلامنا للنجلين السعيدين والشبلين السديدين ، اقر الله بهما العين ، وكفاهما شرها ، واجرى لهما عذبها ، واكثرلديهما تبرها ، وعلى من شئتم من المخاديم شرائف التحية والتسليم

أقول : قد استخدم العين هنا لأربعة اشياء ، فانه قال : اقربهما العين ، وهو من القرة لعين الانسان التي في الوجـه ، ثم قال : وكفاها شرها والناس المعيانون مشهورون . ثم قال : واجرى لهما عذبها ، أي عين الماء الجارية ، ثم قال : واكثر لديهما تبرها ، فان الذهب وكذلك الفضة يسميان عيناً . والاستخدام هذا نوع جليل من اجل انواع البديع .

قال الصفي الحلي في شرح بديعيته : الاستخدام نوع عزيز الوقوع صعب على الناظم شديد الالتباس بالتورية ، فلما تكلفه بليغ وصح معه شروطه لصعوبته وقلة انقياده ولعمري انه كما ذكر هو عبارة عن ان يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين او اكثر اشتراكا اصلياً ، وتكون هنا قرينتان يستخدم كل قرينة منها بتلك اللفظة لمعنى يناسبها ، واصحه واتمه ما كان في القرينة الاخيرة ضمير يعود إلى تلك اللفظة ، كقول البحتري :

فسقى الغضا والساكنيه وان هم شبوه بين جوانحي وضلوعي

وقال الامام الجهبذ شرف الدين اسماعيل بن رضى الدين بن ابى بكر بن عبد الله المقري الشافعي من بديعيته في مدح سيد الانام عند ذكر الاستخدام :

أقر عيناً واجراها ندى واباها عسجداً وحكاها في دجى الظلم

فاستخدم لفظة العين لاربعة اشياء ، قوله : اقر عيناً ، اراد العين المعروفة في الوجه ، ثم قال : واجراها ندى . فاستخدمها للعين الجارية ، لانه اراد ان يقول : واجرى عيناً من الندى فاكتفى بالاولى واعاد الضمير اليها مستخدما لها ، ثم قال : واباها عسجداً ، فان الذهب والفضة يسميان عيناً ، والنبي ﷺ عرضت عليه جبال تهامة ذهباً فاباها ، وكذلك قوله : وحكاها في دجى الظلم ، اراد الشمس فانها تسمى عيناً فاستخدم اللفظة للاربعة المعاني ، وهذا غاية من فضل ابن المقري رحمه الله تعالى

عدنا إلى ترجمة الامام عبد القادر رحمه الله . . .

ومن شعره قوله مادحا الشريف محسن بن الحسين بن الحسن سلطان الحرمين :

لا والنواعم من خدود العين ما احتجت في حمل الهوى لمعين
وبما لهن علي من خلع العذار إذا سفرن بطرة وجبين
يلعبن بالالباب عند تمايس بمعاطف تزري الغصون بلين
أنا ذلك الصب الذي قد ماصبا بصبا الصبا وإلى الغرام حنيني
غيث السحائب مدمعي وهوى لظى نفسي ورعد الصاعقات انيني
يبريني التجدي من ألم النوى وتذيبني وجداً ظباً يبريني
لا يعذل المشتاق إلا جاهل هيهات ذلك فهو بئس قرين
ما مر بي في العشق إلا ما حلا لفؤاد كل موله وحزين
شرع الهوى فرضي وحسن تهتكي نفلي ومدحي محسناً من ديني

ما احلى هذا التخلص العجيب الذي لا يأتي إلا من مثل ذلك الفاضل الحسيب الشريف الاديب :

ابن الحسين ابو الحسين اخو التقى من ليس يرضى في العلى بالدون
عالي الجناب إذا انتخى وإذا انتحى سهل الحجاب بغاب ليث عرين
ذو هيبة حلت قلوب عدائه لو انهم حلوا أقاصي الصين
من عزمه ساح الحديد وسال ذا سلت فحاكى السيح من سيحون
يروي الاسنة والشوازب من دم الاعداء لا يرضى لها بمعين
ويرى المنى نزع النفوس بما بها من كل غل في الصدور دفين
الله ما اعلى مرامى ظنه طبق القضا في شأن كل ظنين
وأمه في الامر قبل وقوعه وخطوره في عالم التكوين
يرضيك ان هز القنا بشماله وإذا انتضى سيف القنا بيمين
فيريك لمع البرق في ظلم الحشا سيل العقيق ومدهق الزرجون
علت به عللا رؤس رماحه فبدت معربدة بقطع وتين

وصحت فانهلها الظهور فحطمت اضلاع كل مجدل وطعين
وبها حمى ام القرى فدع القرى متسفلا في الاتقا بجتين
من ذا يقاومه إذا اشتد الوغى إلا فتى يرجو لقاه منون
هذا التقي الطاهر الذيل الذي يسمو بعرض في الانام مصون
مولى الجميل وباذل الفضل الجزيل وكاشف الخطب الجليل لحين
حكت السحائب كفه فبكت على ما فاتها من سحه بهتون
قسما به لم يحكه في جوده إلا الذى اضمرت طي يميني
فهم هم بيت النبوة والحجى والبر أرباب التقى والدين
إضمنهم لم تلق إلا محسناً من محسن من محسن لضمين
واعقد يمينك انه من عقدهم عين القلادة فصلت بثمين
من رام عزاً فلينخ برحابه املا فيذهب عند ذل الهون
ما سام مرعى خصبه متضائل إلا تبدل غثه بسمين
يا ابن النبي اليكها من مخلص بالكاف قدرها القضا والنون
خذ فالها الحسن الجميل وقولها كن كيف شئت بغاية التمكين
وافتك كالطاووس تزهو عزة مذ دبجت بغلائل التلوين
فالطرس منها اخضر والسطر فيه اسود يستل بيض جفون

ما احسن هذا التدبيج :

اثنت عليك ببعض حقك فاغتفر تقصيرها في المدح لا التحسين
لا زلت في اوج السعادة راقيا بدوام عز في الفخار مكين

وقوله مشجراً في احمد :

استودع الله ظبياً في مدينتكم سلامه كان لي في الحال توديعا
حلو المراشف إلا ان مبسمه قد رصعته لآلى الثغر ترصيعا
مهفهف القد إلا ان عاشقه على الوداد له ما زال مطبوعا

دنوت منه فحاباني بمنطقه   فأنتج الفكر تأصيلا وتفريعا

وقوله في بعض المدائح :

فتى يروى المكارم عن يديه   زكى عن زكي عن زكي
سيول عن حياء عن بحور   عن الافضال عن كف ملي

وهذا من قول ابن رشيق في الامير تميم :

اصح واقوى ماروبناه في الندى   عن الخبر المأثور منذ قديم
احاديث ترويها السيول عن الحيا   عن البحر عن كف الامير تميم

ولكن اين الثريا واين الثرى ولما خدم الامام المذكور الشريف حسن سلطان الحرمين الشريفين بشرح الدريدية التي سماها الآيات المقصورة على الابيات المقصورة قال في ديباجته مادحاً له :

سليل النبي المصطفى خير صفوة   مهذبة قد انتجتها العناصر
هو الحسن الممدود في الناس اولا   لذا عقدت حقاً عليه الخناصر
فلا زال منصور اللواء مؤيدا   وانت له يا مالك الملك ناصر

اتفق ان حكم له تاريخ تأليفه في بيتين كتبهما على ظهره وهما :

ارخني   مؤلفي   ببيت شعر ما ذهب
احمد جود ماجد   اجازني الف ذهب

فانعم له بما طلب واجازه الف ذهب .

ومن غريب ما يحكى من بديهته انه ام ذات يوم بالمسجد الحرام ، فلما خرج من المقام اعترضه رجل من زهاد الغربا ، وقال له : يا مولانا أئمة مكة لا يجيدون مخرج الذال المعجمة ، فقال له : نحن ، قال : نعم ، قال : تكذب تكذب . وبالغ في ابانة الذال ، وقال : اسمع الآن هل نجيد مخرجها ام لا ، فانقطع الرجل خجلا والله اعلم .

قدم رجل من سفر فلق غلاما له فقال له : ما فعل ابي ؟ قال : مات ، قال : ملكت امري ، قال : فما فعلت امي ؟ قال : ماتت ، قال : سترت عورتي ، قال : فما فعلت امرأتي ؟ قال : ماتت ، قال : جددت فراشي ، قال : فما فعل اخي ؟ قال: مات قال : آه انقطع ظهري .

﴿ نظم للجمل التي لها محل من الاعراب ، والتي لا لها محل من الاعراب ﴾

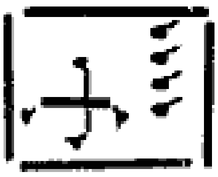
وخذ جملا عشراً وستاً ونصفها ... لها موضع الاعراب جاء مبيناً
فوصفية حالية خبرية ... مضاف اليها واحك بالقول فاعلنا
كذلك في التعليق والشرط والجزا ... إذا عامل يأتي بلا عمل هنا
وفي غير هذا لا محل لها كما ... اتت صلة مبدوأة تترك المنى
وفي الشرط لا تمهل كذاك جوابه ... جواب يمين قادره فاتك المنا
مفسرة ايضاً وحشو كذا اتت ... كذلك في التخصيص نلت به الغنى

الوصفية نحو : مررت برجل ابوه قائم ، والحالية نحو : جاء زيد يضحك ، والخبرية نحو : زيد ابوه منطلق ، والمضاف اليها نحو : هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، والمحكية بالقول نحو : قلت زيد قائم ، والمعلق منها العامل نحو : علمت ما زيد منطلق ، وعلمت لزيد منطلق ، والشرط والجزاء نحو : ان قام زيد قام عمرو والصلة نحو: جاء الذى هو قائم والمبدأة نحو: زيد قائم ، والتي في الشرط والجواب نحو : إذا قام زيد قام عمرو ، والتي في اليمين نحو : والله ان زيداً قائم ، والمفسرة نحو : زيداً ضربته ، والتي في الحشو نحو قول الشاعر :

ان الثمانين وبلغتها ... قد احوجت سمعي إلى ترجمان

والتي في التخصيص نحو : هذا زيد ضربته .

﴿ فائدة مجربة لطرد الفار ﴾



تكتب هذه الاحرف في شقفة طاهرة ، وتدفنها في الموضع الذي تريد طرد الفيران عنه فانها تهرب منه ولا تقربه ابداً .

وهذه الاحرف : حمر لا طام لامه ط

﴿ فائدة لبكاء الطفل مجربة ﴾

و	ح	ه
و	ح	ه
و	ح	ه

تكتب هـذا الوفق في قرطاس وتعلقه في عنق الطفل وهو نافع مجرب .

﴿ فائدة مجربة للملسوع من الحنش ﴾

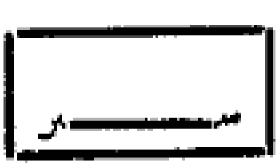
١١٢ه١٦

هـــــه

تكتب هذا الاسم ويمحى ويشربه الملسوع ، وان كان الملسوع بعيداً يشربه رسوله ، وهذا ما تكتبه :

﴿ فائدة للعرق المدني مجربة ﴾

يكتب لصاحبه اربعة عشرة ورقة ، ويبلع كل يوم ورقة وقت الصبح ، فهو نافع ان شاء الله تعالى . وهـذا الذي يكتب في الورقة :



﴿ ترجمة أبي الحسين محمد بن أحمد بن ايوب بن الصلت بن شنبوذ ﴾
(المقرى البغدادى)

كان من مشاهير القراء واعيانهم ، وتفرد بقراءة من الشواذ ، وكان يقرأ بها في المحراب فانكرت عليه ، وبلغ ذلك الوزير ابا علي محمد بن مقلة الكاتب المشهور .

وقيل انه يغير حروفاً من القرآن ، ويقرأ بخلاف ما انزل ، فاستحضره الوزير في اول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، واعتقله في داره اياما .

ولما وكان يوم الاحد لسبع خلون من الشهر المذكور استحضر الوزير المذكور القاضى ابا الحسين عمر بن محمد وابا بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرى ، وجماعة من اهل القرآن واحضر ابن شنبوذ المذكور ونوظر بحضرة الوزير واغلظ في الجواب للوزير والقاضي وابى بكر بن مجاهد ونسبهم إلى قلة المعرفة ، وعيرهم بانهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر .

واستصبي ابا الحسين المذكور فامر الوزير ابو علي بضربه فأقيم وضرب سبع درر فدعا على الوزير ابن مقلة وهو يضرب بقوله : ان الله يقطع يده ويشتت شمله ، فكان الامر كذلك ـ وسيأتى خبر ابن مقلة في ترجمته ان شاء الله تعالى .

ثم انهم اوقفوه على الحروف التي قيل انه يقرأ بها فانكر ما كان شنيعاً ، وقال فيما سواه انه قرأ به قوم فاستتابوه ، فتاب . فقالوا للوزير : انه قد رجع عما كان يقرأه وانه لا يقرأ إلا بمصحف عثمان رضى الله عنه ، وبالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس ، وكتب عليه الوزير محضراً بما قاله وامره ان يكتب خطه فى آخره ، فكتب ما يدل على توبته ، وهذه نسخة المحضر .

سئل محمد بن احمد المعروف بابن شنبوذ عما حكي عنه انه يقرأه وهو (يا ايها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله) فأعترف به .

وعن (افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون شكركم انكم تكذبون) فاعترف به.

وعن (تبت يدا ابي لهب وقد تب) فأعترف به ، وعن (وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) فأعترف به .

وعن (وتكون الجبال كالصوف المنفوش) فأعترف به وعن (فاليوم ننجيك ببدنك) فاعترف به .

وعن (فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا كاملا في العذاب المهين) فاعترف به .

وعن (فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما) فاعترف به .

وعن (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلي والذكر والانثى) فأعترف به .

وعن (ولتكن منكم امة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما اصابهم اولئك هم المفلحون) فاعترف به .

وعن (ان لا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد عريض) فأعترف به .

وكتب الشهود الحاضرون شهاداتهم في المحضر حسبما سمعوه من لفظه .

وكتب ابن شنبوذ بخطه ماصورته : يقول محمد بن احمد بن ايوب المعروف بابن شنبوذ ما في هـذا الرقعة صحيح وهو قولي واعتقادي واشهد الله عز وجـل وسائر من حضر على نفسي بذلك .

وكتب بخطه : فتى خالفت ذلك او بان مني غيره فأمير المؤمنين في حل من دمي وسعة ، وذلك يوم الاحـد لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة في مجلس الوزير ابي علي محمد بن علي بن محمد بن مقلة وكلم ابو ايوب السمار الوزير ابا علي في امره وسأله اطلاقه وعرفه انه ان ظهر نهاراً قتلته العامة ، وسأله ان ينفذه ليلا سراً إلى المدائن ليقيم بها ايام ، ثم يدخل إلى منزله ببغداد مستخفياً ولا يظهر بها اياماً فاجابه الوزير إلى ذلك وانفذه إلى المدائن .

وتوفى يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر سنة اربع وعشرين وثلثمائة ببغداد وقيل : انه توفي في محبسه بدار السلطان .

وشنبوذ ـ بفتح الشين المعجمة والنون وضم الباء الموحـدة وسكون الواو وبعدها ذال معجمة ـ لقب له ، والله الهادي ، انتهى .

مما قيل في الاهاجي والمجون والهزل وما اشبه ذلك، ابو الحسن اللحامي الحراني:

اني اعتللت علة سقطت منها في يدي
وكان في الاخوان من لم ارهم في العوّد
فقلت فيهم كلهم قول امرىء مقتصد
.. الذي قد عادنا في است الذي لم يعد

الصاحب ابن عباد الآتي ذكر ترجمته يهجو ابن متويه :

سبط متويه رقيع سفله ابداً يبذل فينا اسفله
اعتزلنا .. في دبره فلهذا يلعن المعتزله

وله فيه :

هـذا ابن متويه له فتحة تبتلع .. واقصى الخصا
يكفر بالرسل جميعاً سوى موسى بن عمران لاجل العصا

وله غيره :

ابو العباس قد اضحى فقيها يتيه بفقهه في الناس تيها
وذلك ان لحيته انتنى تناظر فقحتي فخريت فيها

وله فيه :

ابو العباس تحضره جموع من الفقهاء لجوا في الغواء
كأنهم إذا اجتمعوا لديه ذباب قد جمعن على خراء

ابو القاسم يهجو القويضى :

رجلي .. وبيضى في است ام القويضى
لما اراد هجائي وفيضه دون فيضى
ورام تدنيس عرضى فصار خرقة حيض

﴿ ترجمة ابي بكر محمد بن سيرين البصري ﴾

كان ابوه عبداً لأنس بن مالك رضي الله عنه كاتبه على اربعين درهما ، وقيل عشرين الف درهم ، وادى المكاتبة ، وكان من سبي ميسان . ويقال من سبي عين التمر . وقيل كان ابوه سيرين من اهل جن جرايا .

وكنيته ابو عمرو ، وكان يعمل قدور النحاس ، فجاء إلى عين التمر ليعمل بها ، فسباه خالد بن الوليد في اربعين غلاما مختتنين فانكرهم ، فقالوا انا كنا من اهل مملكة ، ففرقهم بين الناس .

وكانت امه صفية مولاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه طيبها ثلاث من أزواج رسول الله ﷺ ودعون لها وحضر املاكها ثمانية عشر بدريا فيهم أُبي بن كعب يدعو وهم يؤمنون .

وروى محمد المذكور عن ابي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصين وانس بن مالك رضي الله عنهم ، وغيرهم من الأئمة ، وهو احد الفقهاء السبعة من اهل البصرة والمذكور بالورع في وقته ، وقدم المدائن على عبيدة السلماني ، وقال : صليت معه ، فلما قضى صلاته دعا بدعائه ، وأتى بخبز ولبن وسمن فأكل واكلنا معه ، ثم حدثنا حتى حضرت العصر فيما بين الصلاتين .

وكان محمد المذكور صاحب الحسن البصري ، ثم تهاجرا في آخر الامر ولما مات الحسن لم يشهد ابن سيرين جنازته .

وكان الشعبي يقول : عليكم بذلك الرجل الذميم ، يعني ابن سيرين لانه كان في اذنيه صمم .

وكانت له اليد الطولى في تفسير الرؤيا ، وكان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وتوفي في تاسع شوال يوم الجمعة سنة عشر ومائة بالبصرة بعد الحسن البصري بمائة يوم .

وكان بزازاً ، وحبس بدين كان عليه ، وولد له ثلاثون ولداً من امرأة غريبة ، ولم يبق منهم غير عبد الله ، فمات عبد الله حتى قوم ماله ثلثمائة الف درهم .

وكان محمد المذكور كاتب انس بن مالك بفارس .

وكان الاصمعي يقول : الحسن البصري سيد سمح ، وإذا حدث الاصم بشيء - يعني ابن سيرين - فاشدد يديك - وقتاده حاطب ليل .

وميسان - بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحت وفتح السين وبعد الالف نون - وهي : بليدة بأسفل البصرة ، وبالله التوفيق .

قيل : ان عبد الملك بن مروان كان شديد الشغف بالنساء ، فلما اسن ضعف عن الجماع فازداد غرامه بهن ، فدخل عليه ايمن بن خزيم بن فاتك الاسدي ، فقال له : كيف انت يا ايمن ؟ قال : بخير ، قال كيف قواك ؟ قال : كما احب والحمد لله اني لآكل الجذع من الضأن ، والصاع من التمر ، واشرب العس المملوء اعبه عبا . وارتحل الجمل الصعب فاحمله ، وارتكب المهر الارن فاذلله ، وافترع العذراء لا يقعدني عنها الكبر ، فغاظ ذلك عبد الملك وحسده ، فجفاه وحجبه ومنعه عطاءه ، حتى اثر ذلك في حاله ، فقالت له امرأته : اصدقني هل لك جرم ؟ فقال : لا والله ، قالت : فاي شي دار بينك وبين عبد الملك آخر ما لقيته ؟ فأخبرها ، فقالت : من ها هنا اتيت ، وانا احتال لك ، فتهيأت ودخلت على عاتكة بنت يزيد زوجته ، فقالت : أسألك ان تستعدي لي الخليفة على زوجي ؟ قالت : فيم ؟ قالت : لا ادري انا مع رجل او حائط فان له سنين ما يعرف فراشي ! فخرجت عاتكة واخبرت عبد الملك فوجه اليه وسأله عما ذكرت ، فاعترف بذلك ، فقال : اولم اسألك عام اول عن حالك فوصفت كيت وكيت ، فقال : يا خليفة ان الرجل ليتجمل عند سلطانه ، ويتجلد لاعدائه بأكثر مما وصفت به نفسي وانا القائل :

لقيت من الغانيات العجابا	لو ادرك مني العذارى الشبابا
علام يكحلن سود العيون	ويحدثن فوق الخضاب الخضابا

ويبرقن إلا لما تعلمون فلا تمنعوا المؤمنات الضرابا
ولو كلت بالمد للغانيات وضاعفت فوق الثياب الثيابا
إذا لم تنلهن من ذات ذاك يغنيك عند الامير الكذابا
إذا لم يخالطن كل الخلاط اصبحن مخرنطمات غضابا

فجعل عبد الملك يضحك من قوله ، ثم قال له : اولى لك يا ابن حزيم لقد لقيت منهن برحا فما ترى ان نصنع بينك وبين زوجك ، قال : تستأجلها أجل العنين واداريها لعلي استطيع امساكها ، قال : افعل وردها اليه ، وامر له بما فات من عطائه وزاد في بره وتقريبه .

ومن هذه المادة قول السراج الوراق :

إذا أيس المرء من ... رأت عرسه اليأس من خيره
ومن كان في سنه طاعنا فقد عدم الطعن في غيره

وقال ايضاً :

رب بكر اصبتها اول العمر وقد حي من الشباب المعلى
طلبت ذلك النشاط فاجلت لها القول حين قصرت فملا
كنت ترساً وكان رمحاً فلما صرت بئراً ياستنا صار حبلا

وهذا النوع من البديع بديع يسمى مراعاة النظير بين الترس والرمح والبئر والحبل وله وفيه التورية :

طوت الزيارة إذ رأت عصر الشباب طوى الزياره
وبقيت اهرب وهي تسأل جارة من بعد جاره
وتقول يا ستي استرحنا لا سراج ولا مناره

أقول : ستي وكذا ياستنا في الابيات التي قبل هذه ليس هو من كلام العرب بل هو لحن كما اشار اليه علامة عصره عمي السيد محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه في حاشيته على القاموس المتقدم ذكرها عند قول صاحب القاموس في باب التاء

فصل السين : الست بالكسر اصله سدس ، فأبدال السين تاء وادغم فيه الدال إلى قوله : وستي للمرأة ، أي يا ست جهاتي او لحن ، والصواب سيدتي ما هذا نصه :

أقول : قال الفاضل المحي صاحب النفحة في ترجمة عبد الباقي الاسحاقي في أهل مصر قولهم : ستي بمعنى سيدتي خطأ ، وهي عامية مبتذلة .

ذكره ابن الاعرابي وتأوله ابن الانباري يريدون ست جهاتي .

وتبعه في القاموس ، فقال : وستي للمرأة ، أي يا ست جهاتي ، كناية عن تملكها له ، ولا ريب انه تكلف وتمحل ، واليه اشار بهاء الدين زهير بقوله :

بروحي من اسميها بستي فتنظرني النحاة بعين مقت

يرون بأنني قد قلت لحنا وكيف وانني لزهير وقتي

ولكن غادة ملكت جهاتي فلا لحن إذا ما قلت ستي

وأقول : هذا الذي ذكره نقله ابو منصور الجواليقي في كتاب ما تغلط فيه العامة ، وهي رسالة مفيدة شريفة .

قال : ويقولون فعلت ستي ، وقالت ستي ، والصواب ان يقال سيدتي ، لانه تأنيث السيد .

وقرأت بخط ابي الحسن علي بن محمد الكوفي حدثني عبد الله بن عمار الطحني قال حدثني الزغل قال : رأيت ابن الاعرابي في منزلنا فقالت عجوز لنا ستي تقول كذا وكذا ، فقال ابن الاعرابي ان كان من السؤدد فسيدتي وان كان من العدد ، فستي لا اعرف في اللغة لستي معنى .

وتأوله ابن الانباري فقال : يريدون يا ست جهاتي وهو تأويل بعيد مخالف للمراد ، انتهى كلام الجواليقي .

فقد ظهر ضعف قول القاموس وستي للمرأة الخ ، وتقديمه هذا التأويل يقتضي انه يقويه فذلك خطأ ، ثم الايراد على عبارته أن يقال قولهم ستي بمعنى سيدتي ليس من كلام العرب ، كما ينبه عليه ، فقالت عجوز في الدار إذ لو كانت تلك

المجوز فصيحة لم يرد عليها ابن الاعرابي ، ولو كان من كلام العرب لوجب قبوله وجعل (س ت ت) مادة له مثل (س و د) مادة للسيد يجعل بمعناه ، او يجعل مادة (س د س) كما جعلت مادة الست بمعنى العدد حيث ثبت من كلام العرب ، وإذا لم يكن الست بمعنى السيدة من كلام العرب ، فكيف يقول : وستي للمرأة الخ . . .

وذلك يقتضي انه من كلام العرب إذ موضوع كتب اللغة كلامهم ولا ريب ان التقدير ، وقولهم : ستي للمرأة . . الخ . .

فالظاهر عود الضمير إلى العرب وذلك خطأ ، فهـــذا هو الايراد مضافاً إلى التخطئة في تقوية الضعيف ، والله تعالى اعلم .

عود على بدء . . .

وقال ابن حجاج :

اسفي عليه ممدداً فوق الحصى قتل العليل فديته من نائم
طمع الغواني في انتظار قيامه طمع العوالم في انتظار . .

وقال ايضاً :

قالت وقد قلت اعبثي لي به يوما وقد قامت وقد ناما
لو ان اسرافيل في راحتي ينفخ في . . ما قاما

هذا معنى عجيب ، وتشبيه غريب !

وله من المعاني الغريبة :

تقول لي وهي غضبى في تدللها وقد دعتني إلى شيء فما كانا
إذا لم تنكني نيك المرء زوجته فلا تلمني إذا اصبحت قرنانا
كأن . . من شمع رخاوته وكلما حركته راحتي لانا

وقال السراج الوراق :

لا بارك الله في . . وبارك لي فيه فمدحي وذمي فيه سيان
له قيام معي في واحد ابداً ويثنني عند ما ادعوه للثاني

يصير طاقين في كفي وحسرته وحسرتي في السراويلات طاقان
والشيء في نظري شيئان انظره كذاك .. يثني فهو ..

وقال غيره مضمناً :

عهدي .. وهو فيه تيقظ كم قام منتصباً وما نبهته
واليوم كالطفل الصغير بمهده يزداد نوما كلما حركته

وقال ابن ابي الصقر الواسطي بسبب انه اتهم بغلام له :

ابن ابي الصقر افتكر وقال في حال الكبر
والله لو لا بولة تلحقني عند السحر
لما ذكرت ان لي ما بين فخذي ذكر

ابو حكيمة وهو معنى غريب :

ينام على كف الفتاة وتارة له حركات ما يحس بها الكف
كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسه إلى ابويه ثم يدركه الضعف

قلت : ويعجبني في هذا المعنى قول الاديب الفاضل السيد تاج الدين العاملي وهي قصيدة طويلة استحسنت ايرادها هنا للطف معانيها ، وهي :

لم يشجني لاعج من لاعج الحرق ولا بكيت على قان ولا يقق
لكن بكيت أخالي حاول امرأة ورام منها لقاء الرمح بالدرق
يظن في .. ما في الا.. على جهل ويحجوسراب البرمن غدق
حتى إذا كشفا بعض الستور إذا بايره ميت ثاو على الطرق
لهفي له وهو ملق فوق بقحته مسترسل الجلدفوق الرأس والعنق
لهفي لصاحبه يغريه مبتغيا لدفعه دفعة في ذلك الغسق
يقول يا .. قم حتى اجيلك في رياضه جولان الطير في الافق
وقد غدا فضلة من قطن غازلة ودون نيل اللآلي عاجل الغرق
يدنو ويرنو إلى دكانها فاذا رآه اوشك ان يقضي من الحنق

كم نبهته وقالت عند ذاك له جكى جكى كار كن برخز فلم يفق
نرجو لذا الكير في ذا الكار مشتلقا وهل لاهل البلا نفع بمشتلق
لو انها ذات يوم الخطب شاعرة لانشدت بلسان ناطق ذلق
قد رمت شربا فلم ابلغ سوى شرق ورمت مشياً فلم ابلغ سوى الزلق
حتى إذا ايسا منه ولم يريا في ذلك الا.. من حس ولا رمق
جاآ بلمس وتقبيل وجوههما تعوضاً عن سمين اللحم بالمرق
وقام من بعد يمشي في الازقة لا يدري إلى اين يمضي وهو في قلق
معاتباً ٠٠ مخف مصيبتـــه على العباد حزيناً سيء الخلق
وسائل لي عن اوصافه عبثاً فقلت مختلفاً في زي متفق
أما الفتى وهو المسؤل عنه له شأن سعيد وأما ٠٠ فشق
اراه من فرقة لا شك ناجية وا٠٠ كأن من هالك الفرق
ومن رجال القوى والشغل صاحبه وا٠٠ من ٠٠ العجز والفنق
يمسي ويصبح في ضدين منقسما فالا٠٠ في وسن والعين في ارق
اخي صبراً فكم عين غدت اثراً لكن با٠٠ بعد اليوم لاتثق
لشارب الراح صحو بعد سكرته فسل لا٠٠ اي المسكرات سق
وللمصابين صبر في مصائبهم فليت شعري اي القادحات لق
فان يرم منك امراً بعد فعلته فدقه والوه والففه في الخرق
وشده في خيوط غير لينة وقل له طا لما عذبتني فذق
فان تشأ فاختبره ثانياً فعسى يتوب مما جنى من موجب الرتق
فان يتب فاعف عنه واحترمه وان يعد فهدده بالمنشار والنجق
وان يدم فعله هذا إلى سنة فدعه فهو لغير البول لم يلق
وكلما توفى الدنيا لك امرأة فقل اعوذ برب الناس والفلق
ودع مقال اطباء الا٠٠ر وما قد هيؤه لاجل الرتق في الورق

فليس ينشر .. ميتاً احد | إلا الذي خلق الانسان من علق
عجبت ان قيود الخلق من حلق | وان .. في قيد عن الحلق
لا عاش .. رمى في وجه صاحبه | قهراً وفجر منه ابحر العرق
يا ذا المتاع المعنى قلب صاحبه | يا جامعاً بين سوء الحمق والخرق
اصبحت لا تعرف الفردوس من سقر | ولا تميز بين الفجر والشفق
رمت استبا قابلا روح ولا بدن | وليس من مات من دهر بمستبق
لكن اشد جنوناً منك ذو امل | مسابق بك يرجو الفوز بالسبق
ما للنساء .. لا يرام به | دخول حصن ولا نفع من الشبق
قد صار للخير بابا غير منفتح | كلا وللشر بابا غير منغلق
جزاؤه عند قاضي الغانيات بان | يهدى إلى كلبة جرباء في طبق
فهو البلاء وتاريخ البلاء ألا | قبحاً .. لطمن الرح لم يفق

قيل : ان امرأة من اهل الحذاقة والظرافة مرت على بعضهم وهي ملفوفة بكساء ، فقال لها : من انت ؟ قالت : انا السادس في السابع ـ اشارة إلى قول ابن سكرة المشهور في بيته ـ فكأنما قالت انا .. في الكساء .

أقول : وهذا نوع من البديع ، يسمى التلميح ، وقيل التمليح ، وقيل التلويح ونظم بعضهم هذا المعنى فقال :

رأيتها ملفوفة في كسا | خوفا من الكاشح والطامع
قلت لها من انت يا هذه | قالت انا السادس فى السابع

ومن غرائب التلميح ماحكاه ابن الجوزي فى كتاب « الاذكياء » قال : قعد رجل على جسر بغداد فاقبلت امرأة بارعة فى الجمال من جهة الرصافة إلى الجانب الغربي ، فاستقبلها شاب فقال : يرحم الله علي بن الجهم ، فقالت المرأة : يرحم الله ابا العلا المعري ، وما وقفا ، بل سارا مشرقا ومغربة .

قال الرجل : فتبعت المرأة ، وقلت : والله ان لم تخبريني ما اراد وما اردت

وإلا فضحتك ، قالت : اراد بعلي بن الجهم قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري

واردت بقولي ابي العلا المعرى قوله :

ايا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك اهوال

﴿ ترجمة أبي بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد المقرى ﴾
(المعروف بالنقاش ، الموصلى الأصل)
(البغدادى المولد والمنشأ)

كان عالماً بالقرآن والتفسير ، وصنف في التفسير كتابا سماه شفاء الصدور ، وصنف غيره .

وسافر البلاد الكثيرة ، شرقا وغربا ، وسمع بالكوفة وبمكة والبصرة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجبال وخراسان ، وما وراء النهر .

وفي حديثه مناكير باسانيد مشهورة . وروى عن جماعة من اجلة العلماء . ورووا عنه .

وقال البرقاني: كل حديث النقاش رجاله مناكير ، وليس في تفسيره حديث صحيح.

وكانت ولادته سنة ست وستين ومائتين ، وتوفي يوم الثلاثاء ، ودفن يوم الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة احدى وخمسين وثلاثمائة .

والنقاش ـ بفتح النون والقاف المشددة وبعد الالف شين معجمة ـ نسبة إلى من ينقش السقوف والحيطان وغيرها . وكان ابو بكر المذكور في مبدأ امره يتعاطى هذه الصنعة ، فعرف بها والله الموفق للصواب .

فلما كان يوم الجمعة بعد الزوال لتسع بقين من شوال ، عام الف ومائة واحد واربعين خرجنا من الطائف قاصدين يمن الحجاز ، فاتينا على ارض ليه ، وهي قرية

بها اشجار مؤتلفة ، واثمار مختلفة . ثم اتينا على الصخيرة عند الغروب وبتنا بها ، وبها اشجار تين ومزارع وآبار .

وفي الصبح رحلنا فاتينا عباسة قبيل الظهر وهي قرية بها اشجار وآبار واثمار ثم اتينا ام شرم ، وهي قرية بها اشجار واثمار وآبار ، ثم اتينا الحواك وهي كذلك ، ثم اتينا بقران وهي كذلك .

فلما كان عند العشاء اتينا بعون مالك الرقاب ، إلى سوق الضراب ، وهو سوق بأعلى ربع صغير ، وفيه حوانيت موضومة بالصخر ، وتحته بساتين واشجار وفواكه وآبار ، وبتنا هناك .

وفي الصبح رحلنا فاتينا على المهضم ، وفيه بساتين ومزارع وآبار ، ثم اتينا جدارة ، وهي قرية محاسنها اصلية لامستعارة ، اشجارها مثمرة ، وبدور محاسنها مسفرة ، وهزارها على الورود يغرد ، وشحرورها فوق الاغصان يردد ، والبلابل هيجت الاشواق والبلابل ، وعيون ازهارها لوجه الوافدين شاخصة ، ومياه آبارها مصفقة وراقصة :

والسرور في رياضها المعطره كغادة اذيالها مشمره

ثم اتينا السراة ، وهي قرية كبيرة ، وبها من ارع كثيرة ، ومياه غزيرة واشجاره نضيرة ، وحصون شواهق ، ترى الحصن كانه بالفلك الاطلس لاحق .

أقول : السراة متصلة إلى ديار بجيلة وزهران وعنز وبني القرن وبنى شبابة والمغافر ، وفيها قرى عظيمة وجبال .

والسراة تصدق ايضاً على اعلى عقبة كرا وغيره كالمسمى في هذا الزمان بيعرج ـ بفتح الياء وكسر الراء ـ والمسمى بمفار ـ بفتح العين والفاء ـ والمسمى بخروب ـ بضم الخاء المعجمة والراء المهملة ـ والمسمى بكنفعر ـ بضم الكاف وسكون النون ، وفتح الفاء وسكون العين المهملة وبعدها راء ـ وغير هذه المذكورات مما هي كلها سراة الجبل المسمى بالطود .

ذكره في القاموس في (ط و د) وقال انه ينقاد إلى صنعاء ، فاعرف ذلك .

والسراة ايضاً اعلى كل شيء ذكر ذلك العلامة عمي السيد محمد بن علي بن حيدر في حاشيته على القاموس المتقدم ذكرها ، انتهى .

ثم اتينا الحدب ، وهي قرية ذات بساتين واشجار. ثم اتينا عتمة وهي كذلك

فلما كان يوم الاحد عند غروب الشمس دخلنا ارض ناصره ، ونزلنا بقرية تسمى بالمخرة ، وأقمنا بحصن الحباب بدار محمد بن الشيخ ضيف الله القرشي الناصري ورأيت من اهلها المحبة والاكرام ، دون غيرهم من الانام .

فلما كان ضحى يوم الثلاثاء مشينا من حصن الحباب ، إلى حصن السماب لملاقاة الجناب الكريم ، بحر الجود الرائي ، مولانا الشيخ احمد بن الشيخ حسن المرابي ، فلاقانا بالقبول والاكرام ، وأقمنا بداره العامرة خير مقام .

فلما كان تاسع وعشرين شوال سرنا من دار الشماب ، إلى دار الحباب وأقمنا بدار الفقيه موسى القرشي .

فلما كان يوم السبت صبح خامس ذى الحجة الحرام صلينا على المظال بالغمامة وسرنا إلى تهامة ، فأتينا على عقبة ذي قين ، وهي عقبة ما رأت مثلها في الطول عين صعبة السلوك جداً ويسكنها عرب يقال لهم الغميات ، أخبث العرب والئمهم جنساً وذات ، يقطعون الطريق ، ولا يألفون برفيق ولا صديق ، يسكنون الكهوف وكل منهم بالخبث والغدر موصوف ، فخرجنا منهم بالسلامة ، ولم ينالوا منا قلامة ثم لما نزلنا من العقبة ، اتينا ارض تهامة ، ونزلنا بمراح الشيخ علي بن هلال ، وفي هذه الارض انواع الحيات ، والافعوان مختلفة الاشكال والالوان ، ونوع منها يسمى الفاسق لونه كالليل الغاسق ينشط بانيابه ، وينكز بانفه ووسطه وذيله ، ثم اتينا على مراح اولاد الشيخ ابراهيم السني ، وهم من كرام العرب ، أهل شيمة وأدب ونسب .

ثم اتينا على سماح آل صلاح ، وهم كذلك من اولاد الشيخ ، اهل همة واريحية ، ونفوس حاتمية .

وفي يوم الاحد أتينا سوق الاحد ، وهواول ارض بنى سليم وهم عرب لئام البخل فيهم عام ، وفي يوم الاثنين اتينا سوق الاثنين .

وفي صبح يوم الثلاثاء اتينا في وقت شريف على قريـة الخليف ، وهي قرية الشيخ الولي ابراهيم الخليفي ، وضريحه بها وعليه قبة فريدة الوجود ، وهو صاحب كرامات ظاهرة ، واشارات باهرة . واولاده اهل همم وسماح ، ووقار وصلاح .

ثم سرنا من ارض الخليف ، وتوكلنا على الرب اللطيف ، فأتينا ارض دوقة وقد اظهر القلب لليمن حنينه وشوقه ، ونزلنا بفريق اولاد الشيخ ابراهيم الخليفي المتقدم ذكره ، ثم خرجنا من دوقة في ساعة مسعدة ، ودخلنا القنفدة ، فرأيتها قرية الفقر بها قاطن ، قبيحة الظاهر والباطن ، اهلها ما في خلقهم فائدة ، ابخل من كل بني زائدة :

قوم إذا استنبح الاضياف كلبهم قالوا لامهم بولي على النار
فضيقت فرجها بخلا ببولتها كي لا تبول لهم إلا بمقدار

كأن سورة عبس انزلت فيهم ، وعلى كل حال فاللسان يكل عن وصف مساوئهم :

لما اتيت القنفده تباً لها من قنفده
رأيتها بليـدة من كل خير مبعده
واهلها شبهتهم ثعـالباً وقرده
ثلاث ايام مضت بحالة منكـده
مكثت فيها طاويا والجوع نار موصده
ولم اجد فيها فتى ذا همـة مسدده
إلا الوزير الشهم من شاد العلى وايده
رضوان مأوى الضيف ما اعزه وارشده

فهو الذي احلني جنته المخلده
من بعد نار مالك اعني بلاد القنفده
ابقاه رب العرش في رياسة مؤبده
وحفه بلطفه طول المدى واسعده

فلما كان عصر الثلاثاء تاسع وعشرين ذي الحجة ركبنا السفينة في ساعة سعيدة بهية ، وسرنا في البحر قاصدين بندر اللحية :

خل الديار بما فيها لاهليها وقل سلام على الدنيا وما فيها
والق معتصما تلك السفينة في بحر التوكل بسم الله مجريها

وفي صبح الجمعة محرم الحرام عام الف ومائة واثنين واربعين من هجرة خير الانام دخلنا في ساعة مرضية ، بندر اللحية ، فالقينا العصا يا اخوان وشكرنا الله إذ نجانا من شر اولئك الاعراب الغيلان ، وتشرفنا بزيارة الزيلعي وجيرانه ، والحمد لله على وافر فضله وامتنانه .

قال الشرجي في طبقاته : هو احمد بن عمر الزيلعي العقيلي صاحب المحمول ، وهي قرية من قرى وادي مور ، كان من كبار عباد الله الصالحين ، والاولياء المقربين ، ومن اعظمهم مجاهدة وعبادة وزهادة .

وكان له مع ذلك معرفة تامة في العلوم لاسيما علم الحقائق ، وله مصنف حسن سماه ثمرة الحقيقة ، ومرشد السالكين إلى اوضح الطريقة ، يدل على تمكنه في هذا العلم وكمال معرفته .

يقال : ان خروجه من بلده بر العجم وسنه يومئذ سبع عشرة سنة ، فجاء إلى هذه الناحية المذكورة ، فكان يتخلى في مواضع متعددة منها ، وكان تمر عليه الاشهر الخمس والست ما يرى مضطجعاً .

وكان يمكث الايام العديدة لا يأكل ولا يشرب ، بل لا يزال مستغرقاً في العبادة والذكر .

ثم فتح عليه بعد ذلك ونال مرتبة عظيمة ، واقبل عليه الناس من كل ناحية وكانت له زاوية بقرية المحمول ، واخرى بقرية اللحية ـ بضم اللام الثانية المشددة وفتح الحاء وتشديد الياء ـ وكان له في كل موضع منهما اصحاب وفقراء يجتمعون عقيب الصلاة لتلاوة القرآن والذكر وغير ذلك .

وظهرت له كرامات كثيرة لا تنحصر ، منها ما يروى انه وصل من قرية اللحية إلى قرية المحمول وقد اجدبوا مدة طويله ، فعند ان وصل اليهم جاءت اليه بهيمة وجعلت تخور بين يديه ، فدخل المسجد ودعا الله تعالى ، ثم قال يا ميكائل كل فاجتمع السحاب للفور من كل ناحية ، ومطروا مطراً عظيما باذن الله تعالى .

وكان اهل وادي خلب ـ بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وآخره باء موحدة ـ يصحبونه ويعتقدونه ، فجاء اليهم مرة وهم مجدبون ، فجعلوا يلازمونه في السيل فقال لفقير له : اذهب إلى رأس الوادي وقل : يقول لك الفقيه سل الآن ، ففعل الفقير ذلك ، فسال الوادي من ساعته ، وسقوا سقياً هنياً بفضل الله تعالى .

ومن كراماته انه قدم عليه جماعة يزورونه ومعهم دراهم ـ على سبيل النذر ـ فلما وضعوها بين يديه جعل يقلبها بسواكه درهما درهما ، واخرج منها ثلاثة دراهم ردها على واحد منهم ، واخرج ستة عشر درهما ردها على آخر ، ثم امر خادمه بقبض الباقي ، فسأل بعض من كان عنده صاحب الثلاثة دراهم عن رد الفقيه لها فقال ليست لي ، ولكن ارسلت بها معي عجوز تحت يدها ايتام خشية ان تأتي بها اليه فيعرفها ، فلا يأخذ منها شيئاً ، فجعلتها بين دراهمي ، فاخرجها الفقيه باعيانها !

وسأل ايضاً صاحب الستة عشر درهما عن حاله ، فقال : هي من شيخ الصميين كان مرض له فرس فنذر للفقيه بهذا القدر ، فلما شفي فرسه ارسل بها معي لعلمه انه لو وصل بها هو لم يقبلها منه ، فاخرجها من دراهمي بعينها ، كما رأيت !

والصميون عرب هناك قريبون من موضع الفقيه ، اهل جهل لا يتحرزون عن النهب وغيره .

ومنها انه لما ولد ولده عيسى بكى ثم ضحك ، فسئل عن ذلك ، فقال: اعلمت انه يموت غريقاً فبكيت ، ثم اعلمت انه يكون له ولد بدايته كنهايتي ، فضحكت فكان كما قال ، مات ولده عيسى غريقاً ، وظهر ولده الفقيه محمد بن عيسى المشهور فكان منه ما كان ، وكراماته مشهورة .

ومن كرامات الفقيه ايضاً انه قال يوما لابن ابنه احمد بن ابراهيم : ان ولدي هذا خلق من الوجد ويعيش في الوجد ، ويموت بالوجد ، فكان المذكور كذلك كثير الوجد حتى سمع يوما منشداً ينشد :

أهلا وسهلا بكم يا جيرة الحلل ومرحباً بحداة الميس والكلل

فوجد حتى مات رحمه الله تعالى ، وكرامات الفقيه من هذا القبيل لا تحصى حياً وميتاً .

وكان لا يشغل بشيء من امور الدنيا ، ولا يكتسب ولا يطلب من احد شيئاً ، وإذا علم باحد من اصحابه يطلب من الناس طرده ، وكان إذا فتح عليه بشيء من طلب انفقه على الفقراء والوافدين ، ولا يأخذ إلا على تثبت وبصيرة كما سبق .

وكانت وفاته سنة اربع وسبعمائة ، ودفن بقرية اللحية ـ المتقدم ذكرها ـ وهي على ساحل البحر مشهورة ، وقبره فيها مقصود للزيارة والتبرك من الاماكن البعيدة ، ومن استجار به في القرية فضلا عن البرية لا يقدر احد من ارباب الدولة ان يتعرض له بما يكره .

وله ذرية مشهورة ، اهل علم وصلاح ، ونسبهم يرجع إلى عقيل بن ابي طالب رضى الله عنهم اجمعين انتهى .

كان بعض العلويين نازلا ببلخ وله امرأة ولها بنات ، وقد اصابهم الفقر ومات الرجل وخرجت المرأة بالبنات إلى سمر قند فاتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلوا البلد أدخلت البنات بعض المساجد ومضت تحتال لهم فى القوت فاتت إلى

رجل مسلم هو شيخ البلد وعلى مجوسي هو ضامن البلد فبدأت بالمسلم فشرحت له حالها وقالت اريد قوت الليلة ، قال : اقيمي عندي البينة بانك علوية ، فقالت : مافي البلد من يعرفني ، فأعرض عنها فمضت إلى المجوسي فاخبرته بالخبر ، وحدثته بما جرى لها مع المسلم ، فبعث معها رجلا من اصحابه ، فجاء بالاولاد إلى داره فالبسهم افخر الحلل ، واطعمهم اطيب الطعام ، فلما انتصف الليل رأى ذلك المسلم في منامه ان القيامة قد قامت ، واللواء منشور على رأس محمد ﷺ ورأى قصراً من الزمرد الاخضر فقال يارسول الله لمن هذا القصر؟ فقال لرجل مسلم موحد فقال يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد ، فقال : اقم البينة عندي انك مسلم موحد ، فبقي الرجل متحيراً ، فقال له : قصدتك العلوية فقلت لها اقيمي عندي البينة ، فهكذا انت ! فانتبه الرجل يبكي ويلطم وجهه ، وخرج يطوف البلاد على العلوية حتى عرف اين هي فارسل إلى المجوسي فاتاه ، فقال له : اين العلوية ؟ قال : عندي ، قال : اريدها قال: ما لي إلى ذلك سبيل ، فقال : خذ مني الف دينار وارسلهم إلي ، قال : ماافعل فانهم قد استضافوني ولحقني الخير من بركاتهم ، قال : لا بد منهم ، قال : الذي تطلبه انت انا احق به منك ، والقصر الذي رأيته لي خلق ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله .

كان الاديب ابو الحسن السلامي من اعيان البلغاء وفد على الصاحب بن عباد فبالغ في اكرامه ، ثم توجه من عنده قاصداً عضد الدولة بن بويه ، فزوده الصاحب كتابا بخطه إلى الوزير عبد العزيز بن يوسف الكاتب ، وكان من خواصه ، ونسخة الكتاب هذه :

قد علم مولاي ان باعث الشعر أكثر من عدد الشعر ومن يوثق به ، وان حليته التي يهديها من ضوع طبعه ، وحلته التي يؤديها من نسج فكره اكثر من ذلك ، وممن خبرته بالامتحان فاحمدته ، وقررته بالاختبار فاخترته ابو الحسن محمد ابن عبد الله السلامي ، وله بديهة قوية ، توفي على الروية ، ومذهب في الاجادة

يهتش السمع لسماعه ، كما يرتاح الطرف لرعيه ، وقد امتطى امله زميله ، وخير له إلى الحضرة الجليلة ، رجاء ان يحصل في سواد امثاله ، ويظهر معهم بياض حاله ، فجهزت معه امير الشعر في موكبه ، وحليت افراس البلاغة بمركبه .

وكان كتابى هذا إلى القطر بل إلى مشرعـة البحر ، فان رأى مولاي ان يراعي كلامي في بابه ، ويجعل ذلك من ذرائع ايجابه ، فعل ان شاء الله تعالى .

فلما ورد عليه اكرمه غاية الاكرام ، وادخله على عضد الدولة ، حتى مدحه بالقصيدة التي منها :

اليك طوى عرض البسيطة جاعلا　　قصار المطايا ان يلوح لها القصر

فكنت وعزمى في الظلام وصارمى　　ثلاثة اشياء كما اجتمع النشر

وبشرت آمالي بملك هو الورى　　ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

واختص بخدمة عضد الدولة والقبول عنده حتى انه كان يقول : إذا رأيت السلامى في مجلسي ظننت ان عطارد انزل من الفلك إلي ووقف بين يدي .

﴿ ترجمة الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن أبي الحسن بن عباد ﴾
(ابن الحسن بن عباد بن ادريس الوزير الكبير)
(الشاعر الشهير الطالقانى)

فاضل تجمعت الخصائل الحميـدة كلها فيه ورئيس جليل يشهد له قول الرستمي وهو من بعض ما دحيه :

ورث الوزارة كابراً عن كابر　　موصولة الاسناد بالاسناد

يروي عن العباس عباد وزارته　　واسماعيل عن عباد

وان اردت الاطلاع على اكثر صفاته الكريمة ، وطباعه السليمة ، ومناقبه العظيمة ، فانظر إلى ما عده له الثعالبي النيسابوري في اليتيمة .

وقال ابن خلكان في وفيات الاعيان: كان الصاحب نادرة الدهر واعجوبة العصر في فضائله ومكارمه .

وقال ابو اسحاق الصابي : انما قيل له الصاحب ، لانه صحب مؤيد الدولة ابا منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ، تولى وزارته بعد ابي الفتح علي بن ابي الفضل بن العميد .

فلما توفي المؤيد في شعبان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة بجرجان استولى على مملكة اخيه فخر الدولة ابي الحسن علي ، فاستعفاه الصاحب من الوزارة ، فقال له فخر الدولة: لك في هذه الدولة من ارث الوزارة ما لي فيها من ارث الامارة فسبيل كل منا ان يحتفظ بحقه، واقره على وزارته، وكان مبجلا عنده معظما مكرما نافذ الامر.

وقال ابو منصور الثعالبي من جملة ترجمته واحتف به من نجوم الارض وافراد العصر وابناء الفضل وفرسان الشعر من يربو عددهم على شعراء الرشيد ولا يقصر عنهم في الأخذ برقاب القوافي ، وملك رق المعاني ، فانه لم يجتمع بباب احد من الخلفاء والملوك ، مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحول الشعراء المذكورين كابي نواس ، وابي العتاهية ، والعتابي ، والنميري ، والاصمعي ، ومسلم بن الوليد وابي الشيص ، ومروان بن ابي حفصة ، ومحمـــد بن ابي مناذر ، وجماعة حضرة الصاحب باصفهان والري وجرجان مثل ابي الحسن السلامي ، وابي بكر الخوارزمي وابي طالب المأموني ، وابي الحسن الديهي ، وابي سعيد الرستمي ، وابي القاسم الزعفراني ، وابي العباس الضبي ، وابي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني ، وابي القاسم بن ابي العلا، وابي محمد الخازن ، وابي هاشم العلوي، وابي الحسن الجوهري وابن المنجم ، وابن بابك ، وابن القاساني ، وابي الفضل بن الهمداني ، واسماعيل الشاشي ، وابي العلا الاسدي ، وابي الحسن الغويري ، وابي دلف الخزرجي ، وابي مفضل الشهرزوري ، وابي معمر الاسماعيلي ، وابي الفياض فلطبري وغيرهم ممن لم يبلغني ذكره ، او ذهب عني اسمه .

ومدحه مكاتبة ابن الموسوي ، وابو اسحاق الصابي ، وابن الحجاج وابن سكرة ، وابن نباتة . وما احسن واصدق قول الصاحب :

ان خير المداح من مدحته شعراء البلاد في كل ناد

قال : وحدثني عوف بن الحسين الهمداني التميمي قال : كنت يوما في خزانة الخلع للصاحب فرأيت في ثبت حسبانات كاتبها ، وكان صديقي مبلغ خلع الخز التي صرفت في تلك السنة في خلع العلويين والفقهاء والشعراء خارجة عن خلع الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين .

قال : وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره ، فنظر ابو القاسم الزعفراني يوما إلى جميع من في الدار من الخدم والحاشية عليهم الخز الفاخر الملون فاعتزل ناحية واخذ يكتب شيئاً ، فسأل الصاحب عنه ، فقيل : انه في مجلس كذا يكتب ، فقال علي به فاستمهل الزعفراني ريثما يتم مكتوبه ، واعجله الصاحب وامر ان يؤخذ ما في يده من الدرج ، فقام الزعفراني اليه ، وقال ايد الله الصاحب :

اسمعه ممن قاله تزدد به عجباً فحسن الورد في اغصانه

فقال هات يا ابا القاسم فانشده ابياتاً منها :

سواك يعد الغنى ما اقتنى ويأمره الحرص ان يخزنا

وانت ابن عباد المرتجى تعد نوالك نيل المنى

وخيرك من باسط كفه وممن تنا اي قريب الجنى

غمرت الورى بصنوف الندى فاصغر ما ملكوه الغنى

وغادرت اشعرهم مفحما واشكرهم عاجزاً ألكنا

أيا من عطاياه تهدي الغنى إلى راحتي ما نأى او دنا

كسوت المقيمين والزائرين كسى لم يخل مثلها ممكنا

وحاشية الدار يمشون في ضروب من الخز إلا انا

فقال الصاحب : وقرأت في اخبار معن بن زائدة ان رجلا قال له احملني ايها الامير ، قال فامر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال : لو علمت ان الله خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد امرنا لك من الخز بجبة وقميص ودارعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس بيت :

رويت في السنة المشهورة البركه ان الهدية في الاخوان مشتركه

قال : وحدثني ابو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي قال : سمعت الصاحب يقول انفذ إلي ابو العباس باش الحاجب رقعة في السر بخط صاحبه نوح ابن منصور الساماني ملك خراسان ، وما وراء النهر يريدوني فيها على الانحياز إلى حضرته ليلقي إلي مقاليد ملكه ، ويعتمدني لوزارته ، ويحكمني في ثمرات بلاده فكان فيما اعتذرت به من ترك امتثال امره والصدر عن رأيه ، ذكر طول ذيلي وكثرة حاشيتي ، وصيتي وحاجتي لنقل كتبي خاصة إلى اربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من تجمل مثلي .

قال : وحدثني ايضاً قال : سمعت الصاحب يقول حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وانا إذ ذاك في ريعان شبابي ، فلما تقوض المجلس وانصرف القوم وقد حل الافطار ، انكرت ذلك فيما بيني وبين نفسي واستقبحت اغفاله الامر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته واتساع حاله ، واعتقدت ان لا اخل بما أخل به إذا قمت يوما مقامه .

قال : وكان الصاحب لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر احد كائناً من كان ، فيخرج من داره إلا بعد الافطار عنده ، وكانت داره لا تخلو في كل ليلة من ليالي شهر رمضان من الف نفس مفطرة فيها .

وكانت صلاته وصدقاته وقرباته في هذا الشهر تبلغ مبلغ لا يطلق منها في جميع شهور السنة .

قال : وحدثني بديع الزمان ابو الفضل الهمداني قال : لما ادخلني والدي إلى

الصاحب ووصلت إلى مجلسه واصلت الخـدمة بتقبيل الارض ، فقال : يا بني اقعد كم تسجد كأنك هدهد .

وقال يوما لبعض من تأخرعن مجلسه لعلة وجدها: ماالذى كنت تشتكيه؟ فقال : الحمى، فقال الصاحب: قه ، فقال: النديم: وه ، فاستحسن الصاحب ذلك وخلع عليه .

قال : واستأذن عليه الحاجب يوما لانسان طرسوسى ، فقال : الطر في لحيته والسوس فى حنطته .

وحدثني ابو منصور البيمي قال : دخلت يوما على الصاحب فطاولت الحديث فلما ازدت القيام ، قلت لعلي طولت ، فقال : لا بل تطولت ، قلت : لعل الشاعر اخذ هذا المعنى من قول الصاحب فانه قال :

قلت ثقلت إذ أتيت مراراً	قال ثقلت كاهلي بالايادي
قلت طولت قال لا بل تطولت	وابرمت قال حبل ودادي

قال الثعالبي وحدثني ابو منصور الخيمي الدينوري قال : اهدى القميري قاضي قزوين إلى الصاحب كتبا ومعها شعراً :

القميري عبدكم في الـكفاة	ومن اعتد في وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب	مفعمات من حسنها مترعات

فوقع تحتها :

قد قبلنا من الجميع كتابا	ورددنا لو قتها الباقيات
لست استغنم الكثير فطبعي	قول خذليس مذهبي قول هات

وقيل : ان الخطير الوراق دخل على الصاحب يوما فقام فضرط ، فقال : يا مولانا هذا صرير التخت ، فقال له الصاحب : بل صفير التحت فاستحى وانقطع عنه فكتب الصاحب اليه :

قل للخطيري لاتذهب على خجل	من ضرطة اشبهت نايا على عود
فانها الريح لا تستطيع تمسكها	إذ لست انت سليمان بن داود

وقال محمد بن المرزبان : كنت بين يدي الصاحب ليلة فنمس واخذ انسان يقرأ والصافات ، واتفق ان بعض هؤلاء الاجلاف من ما وراء النهر نمس ايضاً وضرط طرطة منكرة ، فانتبه الصاحب وقال يا اصحابنا نمنا على الصافات ، وانتبهنا على المرسلات .

قال : وكتب اليه بعض العلوية يخبره بانه رزق مولوداً ويسأله ان يسميه ويكنيه ، فوقع في رقعته اسعدك الله بالنظام الجديد ، والفارس والسعيد ، فقد والله ملأ العين قرة ، والنفس مسرة مستقرة ، والاسم علي ليعلي الله ذكره والكنية ابو الحسن ليحسن الله امره فاني ارجو له فضل جده ، وسعادة جده ، وقد بعثت التعويذة ديناراً من مائة مثقال ، فقصد فيه مقصد الفال ، رجاء ان يعيش مائة عام ويخلص خلاص الذهب الابريز من تعب الايام والسلام .

قال : وكتب اليه ابو منصور بن الحيان :

قل للوزير المرتجى كافي الكفاة الملتجى
اني رزقت ولدا كالصبح إذ تبلجا
لا زال في ظلك ظل المكرمات والحجى
فسمه وكنه مشرفا متوجا

فوقع تحتها :

هنيته هنيته شمس الضحى بدر الدجى
فسمه بمحسن وكنه ابا الرجا

قال : وعرض على بعض الاصبهانيين رقعة لابي حفص الاصبهاني قد اخذه منها البلاء ، وفيها توقيع للصاحب ، وهذه نسخة الرقعة :

لو لا ان الذكرى اطال الله بقاء مولانا الصاحب تنفع المؤمنين ، وهذه الصمصامة تعين المصلتين لما ذكرت ذاكراً ولا هززت ماضياً ، ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ، ويكره الجواد الشح ، وحال عبد مولانا ادام الله تأييده

في الحنطة مختلفة ، وجرذان داره عنها منصرفة ، فان رأى ان يخلط عبده بمن اخصب رحله ، ولم يشد رحله ، فعل ان شاء الله تعالى .

وهذه نسخة التوقيع : احسنت ابا حفص قولا ، وستحسن فعلا فبشر جرذان دارك بالخصب ، وامنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك في الاسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ان شاء الله .

قال : وسمعت ابا النصر محمد بن عبد الجبار العيني يقول : كتب بعض اصحاب الصاحب رقعة اليه في حاجة ، فوقع فيها ، فلما ردت اليه لم ير فيها توقيعاً وقد تواترت الاخبار بوقوع التوقيع فيها فعرض ذلك على ابي العباس الضبي ، فما زال يتفحص في الرقعة حتى عثر بالتوقيع ، وهو الف واحدة .

وكان في الرقعة : فان رأى مولانا ان ينعم بكذا فعل ، فاثبت الصاحب امام فعل الفا ، يعني افعل .

قال وسمعت الامير ابا الفضل الميكالي يقول : كتب بعض العمال إلى الصاحب رقعة في التماس شغل ، وفي الرقعة ان مولانا ان رأى يأمر باشغالي ببعض اشغاله فوقع تحتها من كتب إلى اشغاله لا يصلح لاشغالي .

قال : وحدثني ابو الحسن علي بن محمد الحميري قال : رفع الضرابون من دار الضرب قصة إلى الصاحب في ظلامة لهم ، فوقع تحتها في حديد بارد .

قال : وحدثني ابو سعد نصر بن يعقوب قال : كان الصاحب يقول بالليالي لجلسائه إذا اراد ان يبسطهم ويونسهم : نحن بالنهار سلطان وبالليل اخوان .

قال : وحدثني ابو الحسين النحوي قال : كان مكي المنشد قديم الخدمة للصاحب ، فاساء ادبه غير مرة ، فامر الصاحب بحبسه فحبس في دار الضرب ، وهو بجرجان فاتفق ان صعد الصاحب يوماً سطح داره لحاجة في نفسه واشرف على دار الضرب ، فلما رآه مكي نادى باعلى صوته فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، فضحك الصاحب وقال اخسئوا فيها ولا تكلمون ، ثم امر باطلاقه .

وحدث ابو نصر النحيري بجرجان قال : سمعت القاضي ابا الحسن علي بن عبدالعزيز يقول انصرفت يوما من دارالصاحب وذلك قبيل العيد ، فجاءني رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه ، فيها هذان البيتان :

يا ايها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
اهديت عطراً مثل طيب لقائه فكأنما اهدى له اخلاقه

قال : وسمعته يقول ان الصاحب يقسم لي من اقباله واكرامه بجرجان اكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيته يوما من فرط تحفيه بي وتواضعه لي فانشدني :

اكرم اخاك بارض مولده وامده من فعلك الحسن
فالعز مطلوب وملتمس واعزه ما نيل في الوطن

ثم قال لي : فرغت من هذا المعنى في الميمية ، فقلت انا : تريد قولي :

وشيدت مجدي بين قومي ولم اقل الا ليت قومي يعلمون صنيعي

فقال : ما اردت غيره .

والاصل فيه قول الله تعالى (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لى ربي وجعلني من المكرمين) .

وحدث عون بن الحسين الهمداني قال سمعت ابا عيسى المنجم يقول : سمعت الصاحب يقول ما استأذنا على فخر الدولة وهو في مجلس الانس إلا تنقل إلى مجلس الحشمة فيأذن لى فيه وما اذكر انه تبدل بين يدي وما زاحني قط إلا مرة واحدة فانه قال لى في شجون الحديث بلغنى انك تقول : المذهب مذهب الاعتزال والنيك نيك الرجال ، فاظهرت الكراهة لانبساطه ، وقلت : بنا من الجد ما لا نفرغ معه للهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إلى مراسلة حتى عاودت مجلسه ولم يعد بعدها لما يجري مجرى الغزل والمدح .

وحدث غيره قال : كتب انسان إلى الصاحب رقعة ، وقد اغار فيها على

رسائله ، وسرق جملة من الفاظه ، فوقع فيها : هذه بضاعتنا ردت الينا .

ووقع في رقعة استحسنها: (افسحر هذا أم انتم لا تبصرون).

ووقع في كتاب بعض مخالفيه : فويل لهم مما كسبت ايديهم ، وويل لهم مما يكسبون .

ووقع في رقعة ابي محمد الخازن ، وكان قد ذهب مغاضباً ، ثم كتب اليه يستأذنه في معاودة حضرته ألم نر بك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت .

وكان الصاحب قد ولى القاضي عبد الجبار الاسترابادي قضاء القضاة بهمدان الجبال فاستقبله يوما ولم يترجل له ، وقال ايها الصاحب اريد الترجل للخدمة ولكن العلم يأبى ذلك .

وكان يكتب في عنوان كتابه من الصاحب عبد الجبار بن احمد ، ثم كتب من وليه عبد الجبار بن احمد ، ثم كتب من عبد الجبار بن احمد ، فقال الصاحب : اظن القاضي يؤل امره إلى ان يكتب من الجبار !

وقال الصاحب: ماقطعني إلاشاب بغدادي ورد علينا اصبهان فقصدني فاذنت له ، وكان عليه مرقعة وفي رجليه نعل طاف ، فنظرت إلى حاجبي ، فقال له وهو يصعد إلي: اخلع نعلك فقال له ولعلي احتاج اليها بعد ساعة فغلبني الضحك وقلت تراه يريد ان يصفعني .

وكان الصاحب في الصغر إذا اراد ان يمضي إلى المسجد تعطيه والدته ديناراً اودرهما كل يوم وتقول له: تصدق به على اول فقير يلقاك فجعل هذا دأبه في شبابه إلى ان كبر وماتت والدته وهو على هـذا يقول للفراش كل ليلة اطرح تحت المطرح ديناراً او درهما لئلا ينسى ، فبقي على هذه مدة ثم ان الفراش نسي ذلك ليلة من الليالي فانتبه الصاحب وصلى وقلب المطرح ليأخذ الدينار والدرهم فما رآهما ، فتطير من ذلك وظن انه لقرب اجله ، وقال للفراشين : شيلوا كل ما هنا من الفراش

واخرجوه واعطوه لاول فقير تلقونه ، حتى يكون كفارة لتأخير هذا ، فلقوا فقير أعمى هاشمياً على يد امرأة وهو يبكي ، فقالوا له : تقبل هذا فقال : ما هو؟ قالوا : مطرح ديباج ومخاد ديباج ، فاغمي عليه ، فاعلموا الصاحب بامره ، واحضره ورش عليه ماء الورد ، وسقاه شرابا من السكر ، فلما افاق سأله عن امره ، فقال : سلوا هذه المرأة ان لم تصدقوني ، فقال له : اشرح ، فقال : انا رجل شريف ولي ابنة من هذه المرأة خطبها رجل فزوجناه ، ولي سنتان آخذ القدر الذي يفضل من قوتنا واشترى به قطعة صفر وما اشبه ذلك ، فلما كانت البارحة قالت امها اشتهيت لها مطرح ديباج ومخاد ديباج ، فقلت من اين لي ذلك؟ وجرى بيني وبينها خصومة إلى ان سألتها ان تأخذ بيدي وتخرجني امضى على وجهي ، فلما قال لي هؤلاء هذا الكلام حق لي ان يغشى علي ، فقال الصاحب : لا يكون الديباج إلا مع ما يليق به ، هاتوا الأنماطيين ، فجيء بهم واشترى منهم الجهاز الذي يليق بذلك واحضر زوج الصبية ودفع اليه بضاعة سنية .

وحكى الثعالبي : ان الصاحب استدعى شرابا فناوله غلام قدح شراب مسموم فقال احد خواصه انه مسموم، وكان الغلام الذي ناوله واقفاً فقال له الصاحب ما دليلك قال : جربه في الذي ناولك ، فقال لا استجيز ذلك ولا استحله قال : جربه في دجاجة قال التمثيل بالحيوان لا يجوز ، ورد القدح وامر بصبه ، وقال للغلام : انصرف عني ولا تدخل داري ، وامر باجراء رزقه ، وقال : لا ندفع اليقين بالشك والعقوبة بقطع الرزق نذالة .

ولما حصل الصاحب في رقعة جرجان على الفيل الذي كان في عسكر خراسان امر من بحضرته من الشعراء ان يصفوه في تشبيب قصيدة على وزن وقافية قول عمرو بن معدي كرب :

اعددت للحدثان سابغة لها وعداً علندا

فقال ابو القاسم عبد الصمد بن بابك :

قسما لقد نشر الحيا بمناكب العلمين بردا
وتنفست يمنيـــة تستضحك الزهر المندى
وجريحة اللبنات تنشر من سقيط الدمع عقدا
نازعتها قلب الشؤون وقلما استعبرت وجدا
ومساجل لي قد شققت لدائه في فيّ لحدا
لا ترم بي فانا الذي صيرت حر الشعر عبدا
بشوارد شمس القياد يزدن عند القرب بعدا
ومسك البردين في شبه النقا شبته وقدا
فـكأنما نسجت عليه يد الغمام الجون جلدا
وإذا كوتك صفاته اعطاك مس الروع نقدا
فـكأن معصم غادة في ما ضغيه إذا تصدا
وكأن عوداً عاطلا في صفحتيـه إذا تبدى
يحدوا قوائم اربعـاً يتركن بالتلعات وهدا
جابى المطرق قد تفرد بالـكراهة واستبدا
وإذا تحلل هضبـة فكأن ظل الليل مدا
وإذا هوى فكأن ركناً من عماية قد تردى
وإذا استقل رأيت في اعطافه هزلا وجدا
متقرر أذنانـه في زجر الغسوف إذا تعدا
خرقاء لا يجد السرار إذا تولجها مهدا
اوطأته مرعى نسيبي واجتنيت وصال سعدى
ملك رأى الاحسان من عدد المواقب فاستعدا
كافي الكفاة إذا انثنت مقل القنا الخطار رمدا

تكسوه نشر العرف كف من جفون الطل اندى
لا زلت يا امل العفاة لفارط الآمال وردا
وابق الليالى لابساً عيشاً برود الظل رغدا

قلت : لقد احسن وصف الفيل في هذه القصيدة التي ليس لها مثيل .

والفيل : حيوان يوجد بارض الهند والحبشة ، وكنيته ابو الحجاج ، والانثى ام شبل ، وهو ينزو على انثاه إذا بلغ من العمر خمس سنين ، وتحمل انثاه سنتين ، ثم تضع ولا يقربها الذكر في حملها ، ولا بعده ثلاث سنين ، وهو لا يلقح إلا ببلده ، وإذا ارادت الوضع دخلت النهر ، وهو يحرسها خوفاً على ولده من الحيات لانها تأكله ، وهو عند غلمته شديد كالجمل ، ويهيج في زمن الربيع .

وزعم اهل الهند ان لسانه مقلوب ، ولو لا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه .

وقيل : ان يديه فى صدره كالانسان ، وهو اضخم الحيوان واعظمه جرماً وما ظنك بخلق ربما كان فى نابه اكثر من ثلثمائة من ، وهو مع ذلك املح واظرف من كل خفيف الجسم رشيق .

وأهل الهند يزعمون ان انياب الفيل قرناه ، وخرطومه انفه ، ويده وبه يتناول الطعام إلى جوفه ، وبه يقاتل ، ومنه يصيح وصياحه ليس فى مقدار جرمه .

وقيل : ان الفيل جيد السباحة وإذا سبح رفع خرطومه ، ويقوم خرطومه ايضاً مقام عنقه ، والخرق الذي فى خرطومه لا ينفذ انما هو وعاء إذا ملأه من طعام او ماء اولجه فى فيه ، لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى .

وأهل الهند تجمله فى القتال ، وهو ايضاً يتقابل مع جنسه ، فمن غلب دخلوا تحت امره .

وقيل : جعل فى طبعه الهرب من السنور .

وحكى عن هارون مولى الازد انه جاء ومعه هر أسود ومشى بسيف إلى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فادبر هارباً ، وكبر المسلمون وظنوا انه هرب منه .

قال ابو الشمقمق فى الفيل :

يا قوم انى رأيت الفيل بعدكم   فبارك الله لي فى رؤية الفيل
رأيت شيئاً له شيء يحركه   فكدت اصنع شيئاً فى السراويل

وقيل : إذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسسه همة إلا الهرب منه باتفسهم .

ومن اعاجيب الفيل ان سوطه الذي يضرب به سائسه محجن حديد ، احد طرفيه فى جبهته ، والآخر فى يد راكبه ، فاذا اراد منه شيئاً غمزه فى محجنه واول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملوك .

وخرج ابرويز لبعض الاعياد وقد وصفوا له الف فيل ، واحدقت بهم وبه ثلاثون الف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن

ويزعم اهـل الهند ان جبهة الفيل تعرق كل سنة عرقا عظيما سائلا اطيب من رائحة المسك ، ولا يعرق الفيل ذلك العرق إلا فى بلاده خاصة .

وعظام الفيل كلها عاج الا ان جوهر نابه اكرم وامن ، ولو لا شرف العاج وقـدره لما افتخر الاحنف بن قيس على اهل الكوفة فى قوله : نحن اكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا وخراجا ، انتهى .

﴿ رجع إلى خبر سبطه الشريف ابى الحسن عباد بن علي الحسيني ﴾

لما اتت الصاحب البشارة بسبطه ابى الحسن عباد انشأ يقول :

احمد الله ببشرى   اقبلت عند العشي
إذ حبانى الله سبطاً   هو سبط الحسني
مرحباً ثمت اهلا   بغـلام هـاشمي
نبوي عـلوي   حسني صـاحبي

ثم قال :

الحمد لله حمداً دائماً ابدا   اذ صار سبط رسول الله لي ولدا

فقال ابو محمد الخازن قصيدة على وزنه ورويه :

بشرا فقد انجز الاقبال ماوعدا وكوكب المجد في افق العلى صعدا
وقد تفرع في ارض الوزارة عن دوح الرسالة غصن مورق رشدا
لله ما انت شمس للعلى ولدت نجما وغابة عز اطلعت اسدا
وعنصر من رسول الله اوشجه كريم عنصر اسماعيل فاتحدا
وبضعة من امير المؤمنين زكت اصلا وفرعا وصحت لحمة وسدا
ومثل هذي السعادات القوية لا يحوزها غيره دامت له ابدا
يا دهره حق ان تزهى بمولده فمثله منذ كان الدهر ما ولدا
تعجبوا من هلال العيد يطلع في شعبان امر عجيب قط ما عهدا
فمن موال يوالى الحمد مبتهلا ومخلص يستديم الشكر مجتهدا
وكادت الغادة الهيفاء من طرب تعطي مبشرها الاهياف والغيدا
فلا رعى الله نفساً ان تسر بها ولا وقاها وغشاها رداه ردا
وذي ضغائن طارت روحه شغفا منه وطاحت شظايا نفسه قددا
علماً بأن الحسام الصاحبي غدا مجرداً والشهاب الفاطمي بدا
وانه انسد شعب كان منصدعا به وامرع شعب كان مختصدا
وارفع المجد اعياناً واسبقه مجد يناسب فيه الوالد الولدا
فليهنىء الصاحب المولود ولترد السعود تجلو عليه الفارس النجدا
لم يتخذ ولداً إلا مبلغة في صدق توحيد من لم يتخذ ولدا

ما اشرف معنى هذا البيت وابدعه واترعه :

وخذ اليك عروساً بنت ليلتها من خادم مخلص وداً ومعتقدا
اهديتها عفوطبعي وانتخبت بها سحراً وان كنت لم انفث له عقدا
وازنت ما قلته شكراً لربك إذ جاء المبشر بيتاً سار واطردا
الحمد لله حمداً دائماً ابدا إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

قال الثعالبي : وكان الصاحب إذا ذكر عبادا أنشد :

يارب لاتخلنى من صنعك الحسن يا رب حطنى في عباد الحسني

قال : ولما فطم قال فيه :

فطمت ابا عباد يا ابن الفواهم فقال لك السادات من آل هاشم
لئن فطموه عن رضاع لبانه فما فطموه عن رضاع المكارم

قال : ولما ملك عباد بكريمة بعض اقرباء فخر الدولة ابى الحسن قال ابو ابراهيم اسماعيل بن احمد الشاشى قصيدة منها :

المجد ما حرست اولاه اخراه والفخر ما التف اقصاه بادناه
والسعي اجلبه للحمد اصعبه والذكر اعلاه في الاسماع اغلاه
والفرع اذهبه في الجو انضره والاصل ارسخه في الارض ابقاه
اليوم انجزت الآمال ما وعدت وادرك المجد اقصى ما تمناه
اليوم اسفر وجه الملك مبتسما واقبلت ببريد السعد بشراه
اليوم ردت على الدنيا بشاشتها فأرضى الملك والاسلام والله
والملك شدت عراه والنبوة فارتزت دعائمه واشتد ركناه
وصار يعزى بنوساسان في مضر صنعاً من الله اسداه فأسناه
قد زف من جده كافي الكفاة إلى من خاله ملك الدنيا شهنشاه
سبطان سدى رسول الله سلكها فالحمد لله ما قد كان سداه
اولاد احمد ريحان الزمان ومولانا العزيز من الريحان رباه
اولاد احمد منه لا يعوزهم عنه جلال ولا مال ولا جاه
متى ابتنى واحد منهم بواحدة فانما صافحت يمناه يسراه

ثم قال الثعالبي في اليتيمة : وهذه غرر من فقر الفاظ الصاحب تجري مجرى الامثال من طالت يده بالمواهب ، امتدت اليه ألسنة المطالب ، من كفر النعمة ، استوجب النقمة ، من نبت لحمه على الحرام ، لم يحصده غير الحسام ، من غرته ايام

السلامة ، حدثته السن الندامة ، من لم يهزه يسير الاشارة ، لم ينفعه كثير العبارة ، رب لطائف اقوال ، تنوب عن وظائف اموال ، الصدر يطفح بما جمعه ، وكل اناء مودع ما اودعه ، اللبيب تكفيه اللمحة ، وتغنيه اللحظة عن اللفظة ، الشمس قد تغيب ثم تشرق ، والروض قد يذبل ثم يورق ، والبدر يأفل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع ، العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر ، إذا تكرر الكلام على السمع تقرر في القلب ، الضمائر الصحاح ، ابلغ من الألسنة الفصاح ، عقد المنن في الرقاب لا يبلغ إلا بركوب الصعاب ، بعض الحلم مذله ، وبعض الاستقامة مزلة ، انجاز الوعد ، من دلائل المجد ، واعتراض المطل ، من امارات البخل ، خير البر ما صفا وطفا ، وشره ما تأخر وتكدر ، فراسة الكريم لا تبطي ، وقيافة الشر لا تخطي ما كل طالب حق يعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه ، اطع سلطان النهى ، دون شيطان الهوى .

﴿ فصل في الملاطفة والمداعبة ﴾

من كتاب له إلى ابي العلاء الاسدي : ذكرت ان وهمك قطع الدهر رباطه او قطع الموت نياطه ووضعت الحمار الذي استمضته ، فلا ادرى اقرظته ام عضضته وقد كتبت بابتياع مركوب لك يعبوب او يعسوب او حرجوب ، بل رسمت ان يعاد اليك في كيس الحجر ، فاتركه عندك اشهب وإلا فابتع به ادهم او اشقر والتوقيع درج كتابي فليؤمل ، فالنقد عند الحافر ، وبه يعلك الخف والحافر ، ويحبب الاغر السائل ، والاقرح النادر .

﴿ فصل ﴾

وما الشأن إلا في انك تنتقل في الهوى ، تنقل الافياء ، وتتميل فى الحب كشارب الصهباء ، فرة للفضائرى حتى إذا حسبناك قد صرت له وصار لك ، وعلق بك امله وبه املك ، بعت قديماً بحديث ، وتليداً بطريف ، واستهوتك حبائل القمي

فقمت تبتل في حبله ، وتحرص على وصله ، ثم تطمع ان تضم ضداً إلى ضد ، وتجمع سيفين إلى غمد ، وهيهات ان الفضاري قد بلغه ذلك فازور وتنمر ، وغار وتنكر ، وقد كان له عزم في المسير إلى اصبهان ، ففتر بفتور صبوتك ، وخف بظهور نبوتك

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الاول

وقد جعله الشعراء للحبيب الآخر ، فاما نحن فننشد :

إذا ما ارادت خلة ان تزيلنا ابينا وقلنا الحاجبيـة اول

والله يسقي عهدك صوب العهاد ، ويعيذنا واياك البعاد .

رقعة استزارة : نحن يا سيدي في مجلس غنى إلا بك ، شاكراً لأمنك ، قـد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت خـدود البنفسج ، وفاحت مجامر الاترج ، وفتقت فارات النارنج ، ونطقت السنة العيدان ، وقام خطباء الاوتار ، وهبت رياح الاقداح ، ونفقت سوق الانس ، ونادى منادي الطرب ، وطلعت كواكب الندماء وعبقت سماء الند ، فبحياتي لما حضرت لنحصل بك في جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقـد .

وله من كتاب مداعبة :

الله الله في اخيك لاتظهر كتابه ، فيحكم عليه بالماليخوليا وبالتخاييل الفاسدة فقد ذكر جالينوس ان قوما بلغ بهم سوء التخييل ان يقدروا اجسامهم زجاجا فيخشوا ملامسة الحيطان خشية ان ينكسروا .

وحكي ان قوما يظنون انفسهم طيوراً فلا يتغذون إلا القرطم .

وألمح كتابي دفعة ثم مزقه فلا طائل فيه ولا فرج عنده .

قال الثعالبي : وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمدان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية ، وخطبها ابوعلي كاتب بكر ، فلما الح عليها والحف بها كتبت اليه تقول :

.. ك .. ما له عند حرى هذا فرج

فاصرفه عن باب حرى وادخله من حيث خرج

هذه والله في هذين البيتين اشعر من كبشة ام عمرو، والخنساء واخت صخر ومن كعوب الهذلية وليلى الاخيلية .

قال الثعالبي : وهذا ما اخرجته من ملح شعره في الغزل وما يتعلق به .

قال : ومن ذلك :

تسحب ما اردت على الصباح فهم ليل وانت اخو الصباح
لقد اولاك ربك كل حسن وقد ولاك مملكة الملاح
وبعد فليس يحضرني شراب فانعم من رضابك لي براح
وليس لدي نقل فارتهني بنقل من ثناياك الوضاح

وروي ان الصاحب اخر جائزة بعض الشعراء فاهدى الشاعر له نرجساً فقال الصاحب :

لما اطلنا عنه تغميضا اهدى لنا النرجس تعريضا
فدلنا ذاك على انه قد اقتضانا الصفر والبيضا

وقوله :

علي كالغزال او الغزاله رأيت به هلالا في غلاله
كأن بياض غرته رشاد كأن سواد طرته ضلاله
كأن الله ارسله نبياً وصير حسنه اقوى دلاله

وقوله :

وشادن اصبح فوق الصفه قد ظلم الصب وما انصفه
كم قلت إذ قبل كفي وقد تيمني ياليت كفي شفه

وقوله :

دعتني عيناك نحو الصبا دعاء يكرر في كل ساعه
ولو لا تقادم عهد الصبا لقلت لعينيك سمعاً وطاعه

وقوله :

وشادن في الحسن كالطاووس اخلاقه كليلة العروس
قد نال باللحظ من النفوس مالم تنله الروم من طرسوسي

وقوله :

يا قمراً عارضني على وجل وصاله يشبه تأخير الاجل
وقال تبغي قبلة على عجل قلت اجل ثم اجل ثم اجل

وقوله :

بدا لنا كالبدر في شروقه يشكو غزالا لج في عقوقه
يا عجباً والدهر في طروقه من عاشق احسن من معشوقه

وقوله :

وعهدي بالعقارب حين تشتو تخفف لدغها وتقل ضرا
فما بال الشتاء اتى وهذي عقارب صدغه تزداد شرا

وقوله :

دب العذار على ميدان وجنته حتى إذا كاد ان يسعى به وقفا
كأنه كاتب عز المداد له اراد يكتب لاماً فابتدا الفا

وقوله في صباح الحاجب :

خداه ورد وصدغه سبج ومقلتاه الغناء والراح
ان هز اطرافه على نغم شقت جيوب وطاح ارواح
وجملة القول في محاسنه ان امير الصباح صباح

ملح له في الخمريات ، فمنها قوله :

رق الزجاج ورقت الخمر وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وقال :

متغايرات قد جمعن وكلها متشا كل اشباحها ارواح
وإذا اردت مصرحا تفسيرها فالراح والمصباح والتفاح
لم يعلم الساقى وقد جمعن لى من اى هذي تملأ الاقداح

وقوله من قصيدة :

ولما بدا التفاح احمر مشرقا دعوت بكاس وهو ملأ من الشفق
وقلت لساقينا ادرها فانها خدود عذارى قد جلين على طبق

قال الثعالبي : وهذه ملح له في الاوصاف والتشبيهات ، قال في الثلج :

أقبل الثلج فانبسط للسرور ولشرب الكبير بعد الصغير
اقبل الجو في غلائل نور وتهادى بلؤلؤ منثور
فكأن السماء صاهرت الارض فصار النثار من كافور

أخذه من ابن المعتز حيث يقول :

وكأن الربيع يجلو عروساً وكأنا من قطره في نثار

وقوله :

هات المدامة يا غلام معجلا فالنفس في قيد الهوى مأسوره
او ما ترى الكانون ينثر ورده وكأنما الدنيا به كافوره

وقوله فيه :

هات المدامة يا غلام مصيرا نقلي عليها قبلة او عضه
اوماترى الكانون ينثر ورده وكأنما الدنيا سبيكة فضة

وقوله في الند :

ند لفخر الدولة استعماله قد زاد عرفا من نسيم يديه
فكأنما تجنوه من اخلاقه وكأنه طيب الثناء عليه

وله في حبة عنب :

وحبة من عنب من المنى متخذه
كأنها لؤلؤة في وسطها زمرذه

وقال في الشمع :

ورائق القد مستحب يجمع اوصاف كل صب
صفرة لون وسكب دمع وذوب جسم وحرقلب

قال الثعالبي وهذه ملح من اخوانياته ، كتب إلى ابي الفضل بن شعيب :

يا ابا الفضل لم تأخرت عنا فأسأنا بحسن عهدك ظنا
كم تمنت نفسي صديقاً صدوقا فاذا انت ذلك المتمنى
فبغصن الشباب لما تثنى وبعهد الصبا وان بان منا
كن جوابي إذا قرأت كتابي لا تقل للرسول كان وكنا

وكتب إلى ابي الحسن الطيب :

انا دعوناك على انبساط والجوع قد اثر في الاخلاط
فان عسى ملت إلى التباطي صفعت بالنعل قفا بقراط

وكتب إلى ابي تميم الخوارزمي :

اسعدك الله بيوم الفصح وعشت ما شئت بيوم سمح
يارأس مالي في الورى وربحي وظفرتي ونصرتي ونجحي
سكر النصارى في غداة الفصح

قال الثعالبي : ان الصاحب وجد خفة في مرض موته فاذن للناس ونهى وامر ووقع في الرقاع ، ثم انشد :

كلامنا من غرر وعيشنا من غرر
اني وحق خالقي على جناح السفر

وكانت ولادته لأربع عشرة ليلة بقين من ذي القعدة سنة ست وعشرين

وثلاثمائة بمدينة اصطخر ، وقيل : بالطالقان ، وتوفى ليلة الجمعه الرابع والعشرين من شهر صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالري ، ثم انتقل إلى اصفهان ، ودفن بباب درية بقبة ، رحمه الله تعالى .

ولما مات امر فخر الدولة فاغلقت له مدينـة الري ، واجتمع الناس على باب قصر ينتظرون خروج جنازته، وحضر السلطان فخر الدولة وسائر القواد والأمراء وقد غيروا لباسهم ، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس باجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس ، وقعد للعزاء اياما ورثاه الشعراء جميعهم ببلاد العجم ، وبلاد العراق ومنهم الشريف الرضي .

وما احسن قول ابي سعيد الرستمي يرثيه :

أبعد ابن عباد يهش إلى السرى أخو أمل او يستماح جواد

ابى الله إلا ان يموتا بموته فما لهـما حتى المعاد معاد

والظاهر ان مصابه عم الجن مع الانس ، ويؤيد ذلك ما رواه ابو القاسم غانم ابن ابي العلا الاصبهاني ، قال : رأيت في منامي قائلا يقول لي : لم لا ترثي الصاحب مع فضلك وادبك ؟ قلت : الجتني كثرة محاسنه ، فلم ادر بما ابدأ منها وخفت ان اقصر وقد ظن بي الاستيفاء بها ، فقال الهاتف : اجز ما اقول ؟ قلت هات ؟ فقال :

ثوى الجود والكافي معاً في حفيرة

فقلت : ليأنس كل منهما بأخيـــه

فقال : هما اصطحبا حيين ثم تعانقا

فقلت : ضجيعين في لحد بباب دريه

فقال : إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم

فقلت : اقاما إلى يوم القيامـة فيـه

وتوفى فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه مخدوم الصاحب في شعبان سنة

تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان ملك الاهواز وبلاد الجبال التي هي عراق العجم .

وكان ملوك بويه جميعهم شيعة ، وأما الصاحب فكان فارسي الاصل من الطالقان وهي مدينة من اعمال قزوين غيرمدينة الطالقان الاخرى التي هي بخراسان وكان يبغض من يفضل العجم على العرب ، رحمه الله تعالى .

﴿ فائدة مجربة للسارق نافعة ان شاء الله تعالى ﴾

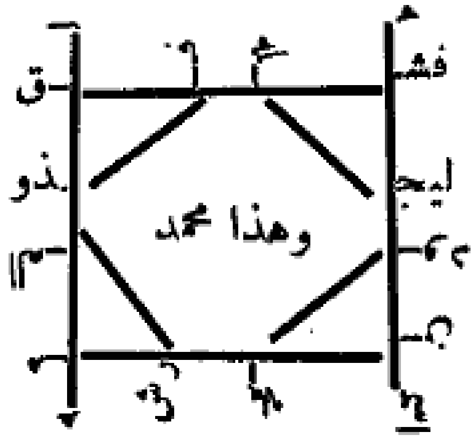
تكتب هذه الآيات الشريفة على خبز وتطعم المتهومين ، فلا يقدر السارق على اكله بحول الله وقوته ، وهي هذه : بسم الله الرحمن الرحيم وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان ، وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ الله الذي يخرج الخبأ في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون وبالحق انزلناه ، وبالحق نزل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ فائدة مجربة لمن له حاجة عند انسان واراد ان يكتب اليه رقعة في شأنها ﴾

فليكتب هذه الحروف في القلم الذي يريد ان يكتب به ، ولا يطمسها بيده وكذلك يكتبها في رأس الرقعة ، فهي مجربة ، وقد جربتها أنا مراراً فصحت ، وإنما الاعمال بالنيات ، والحروف هي هذه (أ ع ه ط ح و س)

﴿ فائدة مجربة لعسر الولادة ﴾

تكتب هذا الاسم الشريف في ورقة وتربطها على فخذها الايسر تسهل بحول الله ، فاذا وضعت حلها سريعاً ، وهو هذا :



﴿ فائدة مجربة للحمى ﴾

تكتب وتعلق على عضد المحموم اليمنى ، بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، لا إله إلا الله امنت بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ان رحمة الله قريب من المحسنين ، اللهم انت الشافي ولا شافي سواك ، اللهم اشفه شفاء لا يغادره سقم يا الله يا الله يا الله .

﴿ فائدة مجربة لحمى الثلاث ﴾

تكتب بعود نقم يابس على يده اليمنى : بسم الله القوي ، العظمة لله .

وفي يده اليسرى : بسم الله المعين ، السلطان لله .

وفي رجله اليمنى : بسم الله القادر ، الكبرياء لله .

وفي رجله اليسرى : بسم الله القاهر ، القدرة لله .

وفي ظهره: لا إله إلا الله . وفي بطنه محمد رسول الله نافع مجرب ان شاء الله

﴿ ذكر ابن هرمة الشاعر ﴾

قال ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني : انشد ابن هرمة الشاعر المنصور شعراً له فيه ، فاستحسنه فأمر له بعشرة آلاف درهم فقال : لا تقع هذه مني ، قال ويحك انها كثيرة ، قال : فانها تكون سبب هلاكي وقتلي ، فقال : وكيف ؟ قال : لا ازال أشرب منها فاحدّ حتى اتلف فان اردت ان تهنيني فابح لي الشراب فاني به مغرم: قال ويحك انه حد من حدود الله ، قال : فاحتل لي ، فكتب إلى والي المدينة من اتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة واضرب ابن هرمة ثمانين ، فجعل العساس إذا مر بابن هرمة يقول : من يشتري ثمانين بمائة .

وقيل ان ابامحمد الحسن بن زيد بن الحسن لما تولى المدينة لابي جعفر المنصور

دخل عليه ابن هرمة فقال له : انى لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، وخوف ذمك ، فقد رزقني الله بولادة نبيه ﷺ المادح وجنبني المقابح ، وان من حقه ان لا اغضي له على تقصير في حق ، وانا اقسم بالله لئن اتيت بك سكران لاضربنك حد الخمر ، ولازيدن لموضع حرمتك لي ، فليكن تركك لها لله تعز عليها ولا تدعها للناس فتوكل عليهم ، فنهض ابن هرمة وهو يقول :

نهاني ابن الرسول عن المدام وادبني بتأديب الكرام
وقال لي اصطبر عنها ودعها لخوف الله لا خوف الانام
وكيف تصبري عنها وحبي لها حب تمكن في عظامي
ارى طيب الحلال علي خبثاً وطيب العيش في حب الحرام

قلت : ذكر الحكاية هذه صاحب الجليس الممتع ، وأنا أقول ان الحسن لا يجسر بذم المنصور وهو عامله ، ثم ان المنصور سخط على ابى محمد الحسن وسجنه ببغداد حتى توفى في السجن .

وكان شيخاً كبيراً يوالى المنصور ولما توالى الخلافة المهدي رد لاولاد الحسن ضياعهم واموالهم التى كان المنصور اخذها :

والحسن هو والد السيدة نفيسة الصالحة صاحبة المشهد المشهور بمصر .

وقال الشريف النسابة محمد بن اسعد المالكي في كتابه (الزورة الانيسة بفضل مشهد السيدة نفيسة) : كان الحسن والد السيدة نفيسة فاضلا اديباً عالماً وامه ام ولد ، توفى ابوه وهو غلام وترك عليه اربعة آلاف دينار ديناً ، فحلف ولده الحسن ان لا يظل رأسه بسقف إلا سقف مسجد رسول الله ﷺ او ببيت رجل يكلمه في حاجته حتى يقضي دين ابيه ، فوفاه وقضاه .

ومن كرمه : انه اتى بشاب شارب متأدب ايام عمله بالمدينة ، فقال له : يا ابن بنت رسول الله انى لا اعود ، وقد قال رسول الله : اقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم ، وأنا ابن ابى امامة بن سهل بن حنيف ، وقد كان ابى مع ابيك كما علمت فان

صدقت فهل انت عائد ؟ قال : لا والله ، وامر له بخمسين ديناراً ، وقال له تزوج بها وعد إلي . فتاب للرب ، واجرى له الحسن النفقة .

قال : ودخلت السيدة نفيسة مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق وكان صالحاً من اهل الفضل والدين عالماً اخذت عنه الاحاديث ، ويلقب بالمؤتمن .

وكان ابن مكاسب إذا حدث عنه يقول حدثني الثقة المؤتمن الرضي اسحاق ابن جعفر ، وله عقب بمصر وحلب .

وأما السيدة نفيسة فكانت من الصلاح الزاهدين على الحد الذي لا مزيد عليه ، فيقال انها حجت ثلاثين حجة ، وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار ، فقيل لها : ألا ترفقي بنفسك ، فقالت : كيف ارفق وامامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون ، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره ، ولا تأكل في كل ثلاث ليال إلا اكلة واحدة ، ولا تأكل من غير زوجها شيئاً .

وتوفت في رمضان سنة ثمان ومائتين ودفنت بخط درب السباع حيث المشهد اليوم ، وأراد زوجها ان ينقلها إلى المدينة فالتمس المصريون ان يتركها ببلدهم لاجل البركة ، ويقال انها حفرت قبرها ، وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة . ولما حضرتها الوفاة خرجت من الدنيا وقد انتهت إلى قوله تعالى (قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة) ففاضت نفسها رحمها الله ونفعنا ببركتها .

ومن كراماتها ما ذكره المقريزي في الخطط : انها لما نزلت مصر مع زوجها نزلت بالمصوصة ، وكان بجوارها دار فيها قوم من اهل الذمة ، ولهم ابنة مقعدة لم تمش قط ، فلما كان في بعض الايام ذهب اهلها في بعض حاجاتهم واقعدوا المقعدة عند السيدة نفيسة ، فتوضأت وصبت من فضل وضوئها على المقعدة وسمت الله فقامت تمشي على قدميها ليس بها بأس البتة ، فلما قدم اهلها وعاينوها تمشي أتوا إلى باب السيدة نفيسة وقد تيقنوا أن مشي ابنتهم كان ببركة دعائها ، واسلموا باجمعهم على يديها فاشتهر ذلك بمصر وعرفوا انه ببركتها .

قيل : وتوقف النيل عن الزيادة في زمنها فحضر اليها الناس وشكوا اليها ما حصل من توقف النيل ، فدفعت قناعها اليهم وقالت : القوه في النيل ، فالقوه فيه فزاد حتى بلغ الله به المنافع .

قيل : واسر ابن لامرأة ذمية ببلاد الروم فاتت الى السيدة نفيسة وسألتها الدعاء فدعت الله ان يرد ابنها عليها ، فلما كان الليل لم تشعر الذمية إلا بابنها وقد هجم عليها دارها ، فسألته عن خبره فقال : يا اماه لم اشعر إلا ويد قد وقعت على القيد الذي في رجلي وقائل يقول اطلقوه فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت الحسن ، فوالذي يحلف به يا اماه لقد كسر قيدي وما شعرت بنفسي إلا وانا واقف على باب هذه الدار ، فلما اصبحت الذمية اتت إلى السيدة نفيسة وقصت عليها الخبر واسلمت هي وابنها وحسن اسلامهما .

وأول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبد الله بن السري بن الحكم امير مصر من قبل المأمون .

قال المقريزي : ومكتوب في اللوح الرخام الذي على باب ضريحها وهو الذي كان مصفحاً بالحديد بعد البسملة ما نصه (نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد بن ابي تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه المكرمين ، امر بعمارة هذا الباب السيد الاجل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين ، ومتع بطول بقائه امير المؤمنين ، وأدام قدرته واعلى كلمته وشد عضده بولده الاجل الافضل سيف الامام ، جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل امير المؤمنين زاد الله في علائه ، ومتع امير المؤمنين بطول بقائه ، في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين واربعمائة) .

قلت : وامير الجيوش المذكور هو بدر الجمالي الذي جدد دولة المستنصر بعد خرابها بالقحط ـ وقد تقدم ذكره ـ .

قال المقريزى: والقبة التي على الضريح جددها الحافظ لدين الله في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وامر بعمل الرخام الذي في المحراب.

وهنا تعلق بعض الكلام ببعضه فلنعد إلى ذكر ابن هرمة..

قال الاصبهاني: كان ابن هرمة يوما قاعداً مع محمد بن عبد العزيز الزهري فمر بهما ابل لمحمد بن عمران تحمل علفاً، فقال الزهري لابن هرمة: ألا تستعلف محمد بن عمران وهو يريد ان يعرضه لمنعه فيهجوه، فارسل ابن هرمة في اثر الحمولة رسولا إلى ابن عمران يسأله علفاً، فرد عليه الابل بما عليها وقال: ان احتجت إلى غيرها زدناك، فاقبل ابن هرمة على الزهرى وقال: اغسلها عني فانه ان علم اني استعلفته ولا دابة عندي وقعت منه في سوأة! قال: عماذا؟ قال: تعطيني حمارك، قال: هو لك بسرجه ولجامه، فقال ابن هرمة: من حفر حفرة سوء وقع فيها.

ولابن هرمة في السرى بن عبد الله، وكان والي اليمامة:

أفي طلل قفر تحمل اهله وقفت وماء العين ينهل هامله

فقل للسري الواصل البر بالندى مديحاً إذا ما بث صدق قائله

جواد على العلات يهتز للندي كما اهتز عضب اخلصته صياقله

نفى الظلم عن اهل اليمامة عدله فعاشوا ومات الجوع عنهم وباطله

وقد علم المعروف انك خدنه وايقن هذا الجوع انك قاتله

وكان ابن هرمة المذكور شيعياً وله:

ومهما ألام على حبه فاني احب بني فاطمه

بني بنت من جاء بالمحكمات وبالدين والسنة القائمه

قال ابو الفرج: فسأله رجل بعد ذلك من القائل لهذين البيتين؟ قال من عض بظر امه، فقال له ابنه: يا ابت ألست قائلهما؟ قال: بلى، قال: فلم شتمت نفسك؟ قال: اليس المرأ يعض بظر امه خير من ان يأخذه ابن قحطبة.

قلت: ولابن هرمة قصيدة نحو اربعين بيتاً جيمها مهملة الحروف وهي مرمة

في التكلف واولها :

ارسم سوداء امسى دارس الطلل معطلا رده الاحوال كالحلل

لما رأى اهلها سدوا مطالمها رام الصدود وعاد الود كالوهل

وعاد ودك داء لا دواء له ولو دعاك طوال الدهر للرحل

وفيها تمسف والتزام هذه الطريق نوع من البديع وقد استعمله الصاحب والصفي والحلي ، وقبله ابو محمد الحريري في النثر والنظم .

وحدث عمرو بن ابي ايوب الليثي قال : شرب ابن هرمة يوما عندنا فسكر ونام ؟ فلما حضرت الصلاة تحرك او حركته ، فقال وهو يتوضأ : ما كان من حديثكم اليوم ؟ قلت : يزعمون ان الوليد قتل ، فرفع رأسه إلى وقال :

وكانت امور الناس موهنة القوى فشد يزيد بن الوليد نظامها

خليفة حق لا خليفة باطل رمى عن قناة الدين حتى اقامها

ثم قال لي : اياك ان تذكر من هذا شيئاً فانى لا ادرى ما يكون .

قلت : وكان الامر كذلك فتولى يزيد بن الوليد الناقص .

قال : ومر ابن هرمة يوماً على جيرانه ـ وهو ميت سكراً ـ فحملوه حتى ادخلوه منزله ، فلما كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه ، فقال لهم : أنا في طلب هذه السكرة منذ زمان ، أما سمعتم قولي :

أسأل الله سكرة قبل موتي وصياح الصبيان يا سكران

فخرجوا وقد أيسوا من فلاحه . .

وحدث الزبير بن بكار قال انشدني عمي لابن هرمة :

ما اظن الزمان يا ام عمرو تاركا ان هلكت من يبكيني

قال : فكان والله كذلك ولقد اخبرني من رأى جنازته وما يحملها إلا اربعة نفر حتى دفنوه بالبقيع سامحه الله تعالى .

وكانت ولادته سنة تسعين .

وانشد المنصور سنة اربعين ومائة :

ان الغواني قد أعرضن مقلية   لما رمى هدف الخمسين ميلادي

ثم عمر بعد ذلك مدة طويلة . .

﴿ ترجمة أبى نصر الفارابى التركى الحكيم المشهور ﴾
(صاحب التصانيف المشهورة فى المنطق والموسيقى)
(وغيرهما من العلوم)

واسمه محمد بن محمد ابن طرخان ـ بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الالف نون ـ هكذا ذكره ابن خلكان .

وطرخان بن اوزلغ ـ بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاى واللام وبعدها غين معجمة ـ وهما من اسماء الاتراك .

والفارابى ـ بفتح الفاء والراء وبعد الالف الثانية باء موحدة ـ هذه النسبة إلى فاراب ، وهي مدينة بالقرب من مدينة بلا ساغون في اطراف بلاد فارس ، وهي قاعدة من قواعد مدن الترك ، وجميع اهلها شوافع .

وكان ابو نصر الفارابى من اكبر فلاسفة المسلمين ، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه .

والرئيس ابو علي بن سينا ـ المتقدم ذكره ـ انتفع بكتبه وتخرج بكلامه وانتفع بتصانيفه .

وكان الفارابى المذكور رجلا تركياً ولد في بلده المذكورة ونشأ بها ، ثم خرج من بلده وتنقل في الاسفار إلى ان وصل إلى بغداد وهو يعرف اللسان التركى وعدة لغات غير العربى ، فشرع في اللسان العربى فتعلمه في اسرع مدة واتقنه غاية الاتقان ، ثم اشتغل بعلوم الحكمة في بغداد على ابى بشر متى بن يونس الحكيم المشهور ، ثم اشتغل بعلوم المنطق في مدينة حران على ابى حيان الحكيم النصرانى

ثم اشتغل بقراءة كتب ارسطا طاليس ، وتمهد في استخراج معانيها والوقوف على اغراضه منها .

ويروى انه سئل من اعلم الناس بهذا الشأن أنت ام ارسطا طاليس ؟ فقال : لو ادركته لكنت اكبر تلامذته .

وشرح غوامض علوم المنطق ، وكشف أسرارها ، وقرب متناولها ، وافاد وجوه الانتفاع ، وعرف طرق استعمالها ، وكيف تصور صورة القياس في كل مادة منها ، فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافلة والنهاية الفاصلة .

هكذا ذكره ابن صاعد ، ثم انه دخل الشام فورد على سيف الدولة بن حمدان ـ المقدم ذكره ـ وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فدخل عليه وهو بزي الاتراك ، وكان ذلك زيه دائماً لا يغيره ، فوقف فقال له سيف الدولة : اجلس ، فقال : حيث انا ام حيث انت ؟ فقال: حيث انت ، فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى مجلس سيف الدولة فزاحمه حتى اخرجه عنه وجلس ، وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص لا يعرفه غيرهم ، فقال لهم بذلك اللسان : ان هذا الشيخ قد اساء الادب بحضرتي واني سائله عن اشياء فان لم يجبني بها فاستخفوا به واخرجوه ، فقال له ابو نصر بذلك اللسان : ايها الامير اصبر فان الامور بعواقبها فتعجب سيف الدولة منه وبهت وقال له : اتحسن هذا اللسان ؟ فقال : نعم احسنه واحسن سبعين لساناً غيره بل اكثر ، فعظم عنده ، ثم شرع يتكلم مع العلماء في مجلس سيف الدولة في كل فن ، فلم يزل كلامه عندهم يعلو ، وكلامهم عنده يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ، ثم صاروا يكتبون ما يقوله ، ثم ان سيف الدولة صرف اولئك العلماء وخلا بأبي نصر الفارابي ، فقال له : هل لك ان تأكل ؟ قال : لا ، فقال : تشرب ، قال : لا ، فقال : تسمع الغناء ، قال : نعم ، فأمر سيف الدولة باحضار المغنين فحضر جمع من اهل هذه الصناعة بأنواع الآلات ، فلم يحرك احد منهم آلته إلا وعابه ابو نصر وقال له : اخطأت ، إلى ان خطأهم جميعهم فقال

له سيف الدولة ، فهل تحسن في هذه الصناعة شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم اخرج من وسطه جرابا صغيراً ففتحه ، واخرج منه عيداناً فركبها ، ثم جس بها فضحك كل من في المجلس ، ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب بها فبكى كل من في المجلس ثم فكها وركبها تركيباً آخر ، وحمل بها فنام كل من في المجلس ، فتركهم نياما وخرج .

وهو اول من وضع الآلة المسماة بالقانون ، والآلة المسماة بالعود ، وركبهما هذا التركيب .

وكان زاهداً منفرداً بنفسه ، لا يجالس الناس ، وكان لا يجلس إلا بين الزهور والرياحين والمياه والبساتين ، ويؤلف كتبه هناك وهناك يشتغل المشتغلون عليه في العلوم .

وكان اكثر تصنيفه في الرقاع ولم يصنف في الكراريس إلا القليل ، ولهذا جاءت كتبه ، واكثر تصانيفه فصولا وتعاليق ، يوجد بعضها ناقصاً مبتوراً .

وكان متقشفاً لا يحتفل بامر مكسب ولا مسكن ، واجرى عليه سيف الدولة بعد غاية الالتماس كل يوم اربعة دراهم وهي التي اقتصر عليها لقناعته ، ولم يزل على ذلك إلى ان توفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة بدمشق ، فصلى عليه سيف الدولة مع خواصه ، وقد ناهز ثمانين سنة ، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب رحمه الله تعالى.

ومن شعره قوله :

أخي كل ذي حيز باطل فكن للحقائق في حيز
فما الدار دار مقام لنا ولا المرء في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على أقل من الكلم الموجز
وهل نحن إلا خطوط وقعن على نقطة وقع مستوفز
محيط السموات اولى بنا فماذا التنافس في المركز

والله بكل شيء عليم انه بكل شيء محيط .

﴿ فائدة ﴾

عيسى عليه السلام مشتق من عاس المال ، يعوس إذا اصلحه ، سمي به ﷺ لانه اصلح دينه ، فكان اصله عوسى قلبت الواو ياء للكسرة ، وهذا على فرض ان لو كان عربياً وإلا فهو اعجمي ، ويأتي لفظ عاس بمعنى طاف .

وقيل : سمي عيسى عليه السلام لبياضه .

والعيس من كرام الابل بيض يخلطها شقرة ، أي حمرة شديدة ، يقال للذكر اعيس ، وللانثى عيساء ، مثل بيض وبيضاء ، وكسرت العين من عيسى لمناسبة الياء كما في بيع وأصل عينه الضم ، كحمر من احمر .

قال الزمخشري : عيسى عليه السلام معرب من ايشوع ، والمسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة ، كالصديق والفاروق ، واصله بالعبرانية (مشيحا) ومعناه المبارك ، قال : ومشتقهما من العيس والمسح ، كالراقم في الماء .

﴿ فائدة اخرى ﴾

موسى عليه السلام مفعل من اوسيت رأسه إذا حلقته ، او فعلى من ماس يميس إذا تبخترا ومن مأس يمأس بين القوم إذا افسد بينهم ، ومنه قولهم زمان مؤس .

وقيل : هو تعريب موشى وهو الماء والشجر بالعبرانية ، فلما وجد بين الماء والشجر سمي موسى .

وانكر بعضهم ممن يعرف العبرانية هذا ، وقال : انما سمي موسى لانه لما رفع من بين الماء والشجر .

قالوا : موشا كا معناه منشولا ، اي نشلوه كما ينشل اللحم من القدر ، فاما الماء والشجر فلا يسمى عندهم موشى ، انتهى .

فلما كان ليلة الاربع رابع عشر محرم الحرام سنة الف ومائة واثنتين واربعين من هجرة الشفيع يوم الزحام خرجنا من اللحية في وقت سعيد وجيه ، ورحلنا قاصدين بيت الفقيه ، فاتينا نصف الليل على قرية تسمى دير القادري ، وبتنا بها ورحلنا عند الصباح فاتينا على قرية تسمى دير المغيدفيه ، فبتنا بها .

فلما اسفر صبح الجمعة عن سادس عشر محرم الحرام خرجنا من دير المغيد فيه ودخلنا الزيدية وهي بلدة بها قلعة محكمة ، من عمل الاتراك ، واجتمعت بحاكمها الفقيه ابي الغيث .

ثم رحلنا من الزيدية واتينا الضحي ـ بفتح الضاد المعجمة وكسر الحاء المهملة وبعدها ياء ساكنة ـ وهي بلدة لطيفة من اعمال مدينة المهجم ، وتشرفنا فيها بزيارة ابي الفدا اسماعيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن اسماعيل بن احمد بن ميمون الحضرمي الملقب قطب الدين .

قال الشرجي في طبقاته : هو الامام الكبير ، العارف بالله تعالى ، قدوة الفريقين، وعمدة أهل الطريقين ، كان اماماً من ائمة المسلمين مذكوراً، وعلماً من اعلام الولاية مشهوراً ، وجده اسماعيل من حضرموت ، وكان رجلا صالحاً كثير العلم والتعليم ، للقرآن الكريم ، حتى كان يعرف بالمعلم ، وكان الفقيه محمد بن اسماعيل من كبار عباد الله الصالحين .

ويروى عنه انه قيل له : يا محمد يولد لك ولدان محدث ومحدث ـ الاول بفتح الدال ، والثاني بكسرها ـ فكان الاول هو الفقيه اسماعيل المذكور، والثاني اخوه ابراهيم ، ونسبهم يرجع إلى سيف بن ذي يزن الحميري .

وكان مولد الفقيه محمد المذكور ومنشأه بقرية الضحي المشهورة المذكورة وبها كان مولد ولده الفقيه اسماعيل المذكور .

وكان الفقيه اسماعيل المذكور في بدايته يعتزل الناس ويؤثر الخلوة والوحدة ثم اشتغل بالعلم حتى برع فيه ، وكان تفقهه بوالده ، ثم بعمه علي بن اسماعيل ، ثم

بغيرها حتى صار فقيهاً محققاً نقالا لدقائق الفقه . وله عدة مصنفات تدل على ذلك منها شرح المهذب ، ومختصر مسلم ، ومختصر بهجة المجالس في ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وآله .

وله ايضاً كلام حسن في التصوف يدل على تمكنه وكمال معرفته ، انتفع به جماعة من الاعيان كالفقيه عبد الله بن ابي بكر الخطيب وهو اول من اخذ عنه .

ثم انتقل الفقيه اسماعيل إلى مدينة زبيد وغلب عليه حبها فاستوطنها ، وكان الملك المظفر بن رسول يجله ويعظمه ويجتمع به كثيراً وسمع عليه مرة صحيح البخاري ، فلما بلغ القارى إلى ابواب الخمر وتحريمها أشار الفقيه إلى القاري ان يعيد ذلك فاعاده مراراً بحيث فهم السلطان مراده ، فقال له : يا فقيه قد فهمنا غرضك ونحن نأمر بابطال الخمر ان شاء الله .

وكان الملك المظفر قد ولاه قضاء الاقضية ، فقام في ذلك اتم قيام ، واظهر الانكار في الخمر وغيرها ، وكان لا يولي القضاء إلا من تحقق صلاحه وورعه .

وكان من جملة من ولى بزبيد صهر له من بقية بنى عقامة فاتفق انه دخل عليه يوما فوجد عنده ثياباً فاخرة واشياء لم يعرفها معه ، فقال له : من اين لك هذه الثياب ؟ فقال له : هذه من بركاتك يا ابا الذبيح ، فقال : ذبحني الله ان لم اعز لك ثم عزله وعزل نفسه بعد ذلك .

ويقال : انما عزل نفسه لانه خوطب ارضيت بالنزول عن التسمي بالفقيه إلى التسمي بالقاضي .

ويقال : انما عزل نفسه لما بلغه ان السلطان رجع عن ابطال الخمر .

وله كرامات خارقة مشهورة منها ما روى الفقيه محمد بن ممطي ، وكان من الصالحين الكبار ، قال: بينما انا في بلدى وهى قرية الرقبة من وادي رمع إذ رأيت في المنام كأن قائلا يقول لي : اذهب إلى الفقيه اسماعيل الحضرمى واقرأ عليه النحو فلما استيقظت تعجبت من ذلك ، لان المشهوران الفقيه اسماعيل قليل المعرفة في علم

النحو ، ثم قلت في نفسي : هذه اشارة ولابد من العمل بها فتقدمت إلى بلد الفقيه اسماعيل ، فلما دخلت عليه وجدت عنده جماعة يقرؤن في الفقه ، فرحب بي وقال لي يا فقيه قد اجزتك في جميع كتب النحو فاخذت ذلك منه بقبول ، إذ كان من باب الكشف ، وعدت إلى بلدي ، فما طالعت شيئاً من كتب النحو إلا عرفته وعرفت مضمونه حتى يظن من يذاكرني اني قد قرأت عدة من كتب النحو .

ومن ذلك مايحكي انه قصد مدينة زبيد في بعض الايام ، وقد قاربت الشمس الغروب ، وهو بعيد عن المدينة ، فخشي ان تغلق الابواب دونه ، فأشار إلى الشمس ان تقف ، فوقفت حتى بلغ مقصده ، وهذه الكرامة مشهورة بين الناس مستفيضة ، وهو مشهور بموقف الشمس ، وإلى ذلك اشار الامام اليافعي بقوله :

هو الحضرمي نجل الولي محمد امام الهدى نجل الامام الممجد
ومن جاهه اومى إلى الشمس ان قفي فلم تمش حتى انزلوه بمقعد

وله كلام في الحقائق مشهور مدون ، فمنه قوله : ان احببت مزاحمة الرجال فاعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك فخذ بقوائمها الاربع وارمها عجلا إلى مذبح القربان ، واشهر سكين عزمك الماضية على اوداجها الطاغية ، واسل دم الشهوات ودعها تضطرب في دمائها ، ولا تأخذك بها رأفة في دين الله ، عسى ان تكون من المفلحين .

وكان مع جلالة قدره وحاله كثير التزوج حتى كان يقول لاولاده : تزوجوا من نساء زبيد الابكار ، فاني اخشى ان تقعوا مع بعض من قد تزوجت بها .

وكان يقول زهدت في كل شيء إلا المرأة الحسناء ، والدابة النفيسة .

وبالجملة فاحوال الفقيه وكراماته لا تنحصر ، وفيما ذكرناه كفاية .

وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ست وسبعين وستمائة ، ودفن بقرية الضحى ـ المتقدم ذكرها ـ وقبره هناك مشهور ، مقصود للزيارة والتبرك من جميع نواحي المدن ، وله ذرية اخيار مباركون .

واجتمعت في الضحى بحاكمها داود سليمان ، ثم رحلنا فاتينا بندر الحديدة ثم رحلنا منه ، وقيلنا بقهوة اللاوية .

فلما أسفر صبح الثلاثاء عن عشرين محرم الحرام دخلنا بيت الفقيه بلدة الخير والانعام ـ وقد تقدم ذكرها ـ يا كرام ، .

فلما كان صبح يوم الجمعة عن ثالث وعشرين محرم الحرام توكلنا على الذي اخرج المرعى ورحلنا من بيت الفقيه قاصدين مدينة صنعا ، فاتينا على قرية تسمى شجينة ، وهي قرية صغيرة لطيفة وتشرفنا فيها بزيارة الشيخ الحكمي الولي والشيخ البجلي ذي البرهان الواضح الجلي .

قال الشرجي في طبقاته هو ابو الحسن علي بن الفقيه الكبير محمد بن حسين البجلي ، كان فقيهاً عالماً كاملا زاهداً ورعا أخذ عن جماعة من الاعيان كالفقيه احمد ابن موسى بن عجيل وغيره .

وكان يحفظ المهذب عن ظهر الغيب حفظاً ميزبين الفاء والواو وتخرج به جماعة نحو مائة مدرس ولم يكن احد من الفقهاء اكثر اصحاباً منه ولزم طريق الزهد والورع ، وشهر بالعلم والصلاح وفعل المعروف حتى قصده الناس من كل مكان وسكن معه في قرية شجينة خلق كبير حتى صارت قرية كبيرة وهي ـ بضم الشين المعجمة وفتح الجيم وسكون المثناة من تحت ثم نون وهاء تأنيث ـ

قال الجندي في طبقاته: اخبرني الفقيه عبد الله بن محمد الاحمر احد المدرسين بمدينة زبيد قال : صحبت الفقيه علياً المذكور عشرين سنة ما اعلم ان سائلا سأله شيئاً فاعتذر منه . قال : واخبرني الفقيه محمد بن علي الحضرمي فقيه مدينة زبيد في عصره ، قال: لما جئت الفقيه علي بن ابراهيم اريد ان اقرأ عليه شيئاً ، وانا مشتغل القلب متفرق الخاطر ، واحب ان اجمع قلبي على طلب العلم ، فبأول درسة قرأتها عليه ، قمت وانا بخلاف ما كنت عليه من اضطراب الخاطر ، وكان في نفسي عدة مسائل قد اشكلت علي ، فزال عني جميع ذلك الاشكال ، فعرفت أن ذلك ببركته .

ثم ما زلت اجد الزيادة في فهمي بعـد ذلك ، وكان الفقيه علي كثير الحج ، بلغت حجاته نيفاً وثلاثين حجة .

وكان كثير البر وفعل المعروف ان اقام في بيته اطعم الوافدين ، والطلبة المنقطعين وغيرهم ، وان سافر للحج انفق في طريق مكة وغيرها ما يجاوز الحد عطاء موقن بالخلف .

وكانت له مع ذلك كرامات كثيرة منها : ما حكاه الامام اليافعي في تاريخه قال : ومن كرامات الفقيه على المذكور ان بعض الناس اودع عند امرأة وديعـة وسافر ، فتوفيت المرأة وهو غائب ، ولم يعرف احد اين جعلت الوديعة ، فلما جاء الرجل لم يجد من يعلمه بذلك ، فذكر ذلك للفقيه على المذكور ، فقال ارني قبرها فلما رآه وقف عليه ساعة ، ثم استدعى بابن المرأة ، وقال له : هل في بيتكم شجرة حناء ؟ قال : نعم قال : احفروا تحتها فالوديعة هناك ، فحفروا فوجدوها كما ذكر.

وبالجملة فكراماته كثيرة ، وكانت وفاته سنة عشرين وسبعمائة .

وبنو البجلي كافـة بيت علم وصلاح ، وشهرتهم تغنى عن التعريف بحالهم وهم من بجيلة بن عبس بن عك بن عدنان .

ثم رحلنا من شجينة وسرنا فى هياج عظيمة إلى الغروب وبتنا في قهوة تسمى بحرة ، وكان لنا ليلة يا لها من ليلة ، بردها شديد هالك ، وظلامها غاسق حالك ، وصب المطر كافواه القرب علينا ، وسالت السيول من حوالينا .

ما اعذب قول الصاحب بن عباد ـ المتقدم ذكره ـ :

اقول وقد رأيت لها سحابا   من الهجران مقبلة الينا
وقد صبت عزاليها بهطل   حوالينا الصدود ولا علينا

ثم اتينا بعون من خلق الانسان على قرية لمسان ، وهي قرية صغيرة وغالب اهلها اخدام ، واكرمنا واليها اسماعيل بن حسين بن عجم غاية الاكرام .

ثم اتينا بعون الغفور على قرية صنفور ، وهي قرية صغيرة باعلى عقبة وغالب

اهلها اخدام ، ثم اتينا بعون الملك السبحان على قرية صيحان ، وهي قرية صغيرة باعلى عقبة . ثم اتينا بعون الملك الحق على قرية مفحق وهي قرية صغيرة باعلى عقبة وبهاحصن حصين لاحق بالافلاك ، وبها سمسرة واسعة قد ملئت من البراغيث فبتنا بها ونحن من البرغوث نستغيث .

﴿ فائدة ﴾

البرغوث ـ بفتح الباء وضمها ـ وكنيته ابوطائر ، وابو عدى ، وابو وثاب وهو يثب إلى ورائه .

وقيل : انه يعرض له الطيران كالنمل ، وهو يبيض ويفرخ ، واصله من التراب لا سيما الاماكن المظلمة ، وسلطانه في اواخر الشتاء ، واول فصل الربيع ، وهو على صورة الفيل ، وله انياب وخرطوم .

وكان ابو هريرة يفلي ثيابه فيلقط البراغيث ويدع القمل ، فسئل عن ذلك فقال : ابدأ بالفرسان ثم اعطف على الرجالة .

وقال بعضهم : دبيب البرغوث من تحتي اشد من عضها ، وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على قفاه ويرفع قوائمه فيزعزع بها فيظن من لا علم له انه يمشي تحته . وقال اعرابي :

ليل البراغيث اعياني واسهرني ... لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي إذ خلون به ... أيتام سوء اغاروا في المواريث

وقال السودي :

لا تكرهوا البراغوث ان اسمه ... بروغورث إذ به تدري
فبره مص دم فاسد ... وغوثه الايقاظ للفجر

والبرغوث لا يسب لما روى الامام احمد والبزاز والبخاري عن انس رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ سمع رجلا يسب برغوثاً فقال له : لا تسبه فانه ايقظ

نبياً لصلاة الفجر ، وسئل انس بن مالك عن البرغوث من يقبض روحه ؟ فقال : أله نفس ؟ قيل : نعم ، فقال : الله يتوفى الانفس حين موتها .

وفي الخميس اتينا سوق الخميس ، ومررنا في طريقنا على قرية صغيرة يقال لها الحوضين ، ثم اتينا على قرية يقال لها منذ .

فلما كان يوم السبت غرة صفر المقرون بالظفر دخلنا بعون رب الصفا والمروة والمسعى إلى مدينة صنعا .

﴿ فائدة ﴾

قال النبي ﷺ: ثلاث جنان في الدنيا مصر وخراسان، ودمشق الشام، وصنعاء اليمن ، وجنة هذه الجنان صنعاء اليمن .

واليمن اسم لولد قحطان بن الهميسع بن يمن بن ثابت بن اسماعيل الخليل ابن ابراهيم الخليل عليه‌السلام سموا بابيهم يمن ، وبه سميت الناحية التي سكنوها.

وقيل : سمي اليمن يمناً ليمنه ، وقيل : لانه عن يمين الكعبة ، وعلى يمينها ركناها الايمنان ، وهما الركن اليماني وركن الحجر الاسود .

قالوا : وسمي الشام شاماً لشامات سود وبيض في ارضه ، وذلك لاختلاف البقع والترب .

وقيل : سمي به لشؤمه ، وقيل : لانه على شمال الكعبة .

قالوا : سمي الحجاز حجازاً لانه حجز بين الشام واليمن .

قيل : اول بنيان رفع على وجه الارض بعد الطوفان مسجد صنعاء ، وقيل : ان صنعاء مدينة لا يعرف بانيها .

وعن وهب بن منبه : ان سام بن نوح ارتاد مكاناً طيباً فوجد اليمن اطيب مكان ، ووجد صنعاء اطيبه ، فبنى صنعاء اليمن ، ثم اسس قصر غمدان وحفر بئره وهي التي تسمى بئر كرامة ، وهي مقابلة الباب الاول من باب الجامع من ناحية

الشرق ، وصنعاء هى قاعدة بلاد اليمن ، واحسن مدنها واصحها هواء واعذبها ماء واطيبها تربة ، وهى قليلة الهوام والذباب .

وفيها في كل سنة شتاآن وصيفان ، فاذا نزلت الشمس اول نقطة في الحمل صار الحر عندهم مفرطاً جداً ، فاذا نزلت اول السرطان زالت عن سمت رؤسهم فيكون شتاء ، فاذا نزلت اول الميزان يعود الحر اليهم مرة ثانية فيكون صيفاً فاذا صارت إلى الجدى صار شتاء مرة ثانية غير ان شتاءهم قريب من الصيف في كيفية الهواء ، هكذا ذكره ابن اياس في نشق الازهار ، وليس في اليمن بلدة اكبر من صنعاء ، وتسمى ازالا ، وهى قريبة من خط الاستواء .

وفي خارج صنعاء ارض تسمى الروضة ذات قصور عالية ومياه جارية وبساتين مشتبكة مزهرة ، واشجار مثمرة .

وبخارج صنعاء بئر العزب ايضاً ، وهى تشبه الروضة ، وما احسن قول من قال فيها :

ان شرق ازال جنة انسها يسترقص القلب طرب

طلق الهم بها ساكنها فلهذا سميت بئر العزب

وبخارج صنعاء ايضاً ارض يقال لها حده ، وصفها يجل عن الحد ، وبها عين عظيمة تسمى عين حميس .

وما الطف قول الاديب الفاضل السيد عبده الوزير فيها وفيه تورية لطيفة :

ولما جئت حدة اكرمتني وادنت بين من اهوى وبيني

فقلت لها اتيتك من ازال فأين اقيم قالت فوق عيني

﴿ تنبيه ﴾

اختلف في سمك قصر غمدان الذي بناه سام بن نوح عليه السلام بعد ان زاد فيه التبابعة من ملوك حمير ، وكان من المباني العجيبة ، فأصح ما قيل انه كان

عشرين سقفاً ، بين كل سقفين عشرون ذراعا ، وعرضه كذلك ، وكان بسط ظله على ثلاثة فراسخ .

ولم يزل قائما إلى ان هدمه فروة بن مسيك المرادي في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل هدم في خلافة ابي بكر ، وقيل في خلافة عمر ، وقيل في خلافة عثمان.

رجع . . . .

وفي صنعاء بدور باهرة ، وقصور عاليـة فاخرة ، واسواق عظيمة عامرة ومساجد واسعة زاهرة وحمامات نظيفة طاهرة .

روي ابن عبد المجيد في كتابه بهجة الزمن في اخبار اليمن : ان دور صنعاء بلغت مائة وعشرين الف دار وتلاشت في ايام احمد بن الضحاك سنة ثمانين وثلثمائة فـكانت الفا واربعين داراً ، ومساجدها كانت ثلاثة عشر الف مسجد ، وحماماتها كانت ثلاثة عشر الف حمام .

قلت : وتلاشت الآن حتى لم يبق من تلك الحمامات إلا حمام البكيلية ، وحمام السوق ، وحمام الطواشي ، وحمام سبا ، وحمام القوعة ، وحمام شكر ، وحمام الابهر وحمام في بستان الامام خاصة ، وحمام الحميدي قريب من باب اليمن ، وحمام دار شعبان انشأ عمارته الامام المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله .

وبها سماسر عظيمة ، انيسة وسيمة ، اعظمها سمسرة المتوكل ، ثم سمسرة محمد بن الحسن ، وسمسرة السيد حسين الاخفش .

وعلى صنعاء سور عظيم محكم ، وله اربعة ابواب ، باب اليمن ، وباب السبح وباب ستران ، وباب شعوب ، وبها . . وبها .

﴿ حكاية ﴾

حكي يحيي بن معاذ الصنعاني قال : خرجت من مكة وتوجهت إلى صنعاء فلما

كان بيننا وبين صنعاء خمس مراحل رأيت الناس ينزلون عن رواحلهم ، فقلت : إلى اين تريدون ؟ قالوا: زيارة قبر عروة وعفراء ، فقلت : خذوني معكم ، فلما توجهت معهم انتهينا إلى واد هناك ، وإذا بقبرين متلاصقين ، وقد خرج من هذا القبر ساق شجرة ، ومن الآخر مثله فلما سارا على قدر قامة التف بعضهما ببعض ، وعلى القبر لوح رخام ابيض ، وعليه مكتوب هذه الابيات :

غصنان من دوحة طال اعتناقهما   فحاولتها صروف الدهر فافترقا
فصار ذا في يد تحويه ليس له   منها براح وهذا في الفلاة لقا
حتى إذا ذويا يوما وضمهما   بعد التفرق بطن الارض فاتفقا

وإلى صنعاء ينسب ابو عبد الله وهب بن منبه الصنعاني ـ وقد تقدم ذكره.

وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين دخل القرامطة صنعاء ، وكان واليها الامير اسعد بن ابي يعفر من صوب المكتفي بن المعتضد العباسي ، فانحاز إلى ثلا وقدم .

قلت : والقرمطي هو علي بن الفضل رجل من اهل اليمن ، خنفري النسب من ولد خنفر بن سبأ الاصغر ، كان صاحب مذهب خبيث ودين مشؤم ارتكب محظورات الشرع وادعى النبوة ، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه اشهد ان علي بن الفضل رسول الله ، واباح لاصحابه شرب الخمر ، ونكاح البنات ، وسائر المحرمات.

وكان عنوان كتابه إذا كتب : من باسط الارض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده فلان .

وأنشد ابياته المشهورة على منبر صنعاء ، وقيل : على منبر الجند ، وهي التي يقول فيها ـ اصلاه الله ناراً خالداً فيها ـ :

خذي الدف يا هذه واضربي   وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم   وهذا نبي بني يعرب
احل البنات مع الامهات   ومن فضله زاد حل الصبي
وقد حط عنا فروض الصلاة   وحط الصيام ولم يتعب

إذا الناس صلوا فلا تنهضي   وان امسكوا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا   ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك الناكحين   من الاقربين او الاجنبي
فلم ذا حللت لهذا الغريب   وصرت محرمة للاب
أليس الغراس لمن ربه   واسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السما   حلال فقدست من مذهب

قلت : بل لعنه الله ولعن مذهبه ، وهي طويلة حلل فيها سائر المحرمات فلعنه الله ما اجرأه على الكفريات .

ثم ان اللعين قصده بعض اشراف بغداد ، وكان المبضع مسموماً ، فهلك لعنه الله ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثمائة .

وكانت مدة محنته وكفره تسع عشرة سنة ، فلا رحمه الله وجعل في الدرك الاسفل من الجحيم مثواه .

رجع إلى صنعاء . . .

واجتمعت فيها بالجناب العزيز الركن الحريز الذهب الابريز ، الكريم الذي ضربت الامثال بحديث كرمه ، وقلد اعناق الرجال بمننه ونعمه :

ما قلت في وصفه شيئاً لأمدحه   إلا وجدت ثناه فوق ما اصف

الجليل الرئيس ، نجل الجليل الرئيس ، الجوهر الغالي النفيس ، عمدتي وعدتي وسندي وصاحبي وابن بلدي ، قرة العيون ، وكهف الغريب المحزون ، الشيخ النجيب الحبيب عمر بن المرحوم حسن المدعون ، لا زالت رايات سعده منشورة واحاديث مجده ونجده في الدنيا مشهورة ، وبيوت عزه بالخيرات الوافرة معمورة ، وجميع محبيه بعطاياه الجسيمة مغمورة ، وقلوب اهله لبقاء ذاته الكريمة مجبورة وجميع اعاديه وحاسديه مقهورة ، ورقاب باغضيه مكسورة ، بحرمة من انزلت عليه بمائة واربع عشرة سورة ، فكم له علينا من حسنات يعجز عن وصفها اللسان واعظم

حسناته معي في صنعاء يا اخوان ، فاني نزلت على غرة مني وعدم خبرة بتلك البلاد في سمسرة المفناء واظنها اسست على نجاسة وادبار وفساد ، فرأيت ساكنيها بعضهم من العسكر الاجناد ، وبعضهم من السفلة الاوغاد ، وما رأيت فيها من اخاطبه ، او اجلس معه او اصاحبه ، سوى البرغوث والقمل والبق ، الذى انحل الجسم بأذيته ودق ، ومكثت في تلك السمسرة في اشد تعب وضيق ، كأنني مصحف في دار زنديق ، ثم انى مع هذه المحنة والبلوى ، اختلف الماء علي والهوا ومرضت مرضاً صعباً ، وما وجدت فيها من يزيل عنى كرباً ، سوى هذا الكريم الشهم ، نجل الكريم الشهم ، فهو الذي سعى في ايصال قصيدتى الآتى ذكرها إلى ابراهيم بن المهدي ، لكنه لئيم لايؤثر المدح فيه ولايجدي ، فاوعدنى عند سماع هذه القصيدة الوفية بصلة سنية ، وكسوة بهية ، فالكسوة باقية عند الخياط ، والدراهم في دار الضرب ، من عام اثنين واربعين إلى عامنا هذا .

فلما رأى سيدي الشيخ عمر ان ابراهيم هذا البخل من مادر المشتهر ، قام هو إذ ذاك بحق وواجبي ، وما احوجنى إلى مراجعة هذا الغر الغبي واهبنى من عنده وارسلنى إلى المخا ، لا زال مشهوراً بالاريحية والسخا .

قل لمن في مديحه يتغالى هكذا هكذا وإلا فلا لا

غيره :

ولا زال مشهوراً بكل فضيلة ويحفظه الرحمن في المال والاهل

واجتمعت بالجناب الرئيس الشيخ على المنوفي ، والسيد عبيد ركن الدين ، وعثمان السنانيكي ، واجتمعت فيها بسيدي وولدي ومنجدي وعاضدي الرئيس المكين كهف الغرباء والمساكين ، الجناب الكريم الحاج محمد يس ، لا زال ثغر الدنيا بوجوده ضاحكا ، ولا برح على نهج آبائه الكرام سالكا .

وقلت في صنعاء مادحاً ابراهيم بن المهدي ومؤرخاداره الجديدة بمدينة صنعاء بقصيدة فريدة ، لكني لم اظفر منه بعائد ، وضاع تغزلي في البارد ، لانه مشهور

بالبخل بين الناس ، وما على من هجاه اثم ولا باس ، والقصيدة هذه :

يا خليلي قد بلغت الاماني هنياني ببغيتي هنياني
وحبيبي وافى وبالوصل لاقى اين عين المحسود حتى تراني
وطوى باللقا بساط التجافي وحباني بقربه ورعاني
واعتنقنا على فراش التصافي ثم عشنا بعفة في امان
قال لي الخل نلت ما ترتجيه من ضروب الاحسان والامتنان
انت في جنتي سرور وحسن وجنى جنيتهما لك دان
ما الذي انت تشتهي غير هذا قلت مدح الفتى جليل المعاني
الشريف الغطريف مولاي ابراهيم نجل المهدي امام الزمان
الشجاع الغضنفر الصادق الضرب بسمر القنا وبيض اليماني
الهمام المزبر في حومة الميدان وهو المبيد للاقران
معدن الصدق كامل الخلق والخلق حليف الندى له يومان
يوم بؤس ويوم جود فهذا للمنايا وذاك للاحسان
كم له من مواهب وعطايا حدثوا عنهما بكل لسان
كم له من فضائل ليس تحصى ذكرها سار بين قاص ودان
هكذا هكذا وإلا فلا لا طرق المجد غير طرق الدهان
زاده الله رفعة وكمالا وحماه من طارق الازمان
يا ذوى المقل من اناخت عليه في دناه كلاكل الحدثان
فليعرج بداره ملجأ العافين يلقى امانه والاماني
ما ترى داره الجديدة تزهو كعروس تجلى لاهل المعاني
دار انس ونعمة وسرور وبهاء وفرحة وتهاني
دار سعد ودولة واحتشام وافتخار وعزة وامان
كتب الحسن والصفا في علاها ادخلوني وشاهدوا بنياني

ثم صلوا وعوذوا حسن وصفي بالنبي المشفع المدناني
أنا دار الكريم كنز العطايا من يلذ بي لا يختشي من هوان
انا قصر كجنة الخلد ازهو فيه من كل نعمة زوجان
أذهبت صنعتي محاسن صنعا هكذا النور مخمد النيران
ارخ السعد لي باثبات ود أنا مأوى الافراح دار التهاني
سنة ١١٤٢

وهذا النوع يسمى التاريخ المستثنى ، وقد قدمت بيانه في ترجمة عمي وابن عمي ، وقد القيت في المزابل جوهري المكنون ، ولم ار من هذا الممدوح سوى وعد الكمون ، وحسبنا الله عليه يتوكل المتوكلون .

﴿ فائدة ﴾

قال عمي طاب ثراه في حاشيته على القاموس في باب النون ، فصل الكاف عند قوله (كمن كنصر وسمع كمونا) استخفى قوله والكمون كتنور حب مدر مجشى هاضم طارد للرياح ما هـذا نصه اقول في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي مواعيد الكمون ، يضرب مثلا للمواعيد الكاذبة ، وذلك ان الكمون لا يسقى بل يقال له : غداً نسقيك ، وبعـد غـد نكفيك ، فهو ينمو بالتنمية على المواعيد الكاذبة .

قال الشاعر :

لا تجعلني ككمون بمزرعة ان فاته السقي اغنته المواعيد

وأورد لابن الرومي :

كم شامخ باذخ بثروته اضله قبلي المضلونا
جعلته بالهجاء فلفلة إذ جعلتني مناه كمونا

والظاهر أن التمثيل بمواعيد الكمون وارد عن العرب ، وإلا لنبه الثعالبي

على انه من المولدين ونحوهم ، فكان ينبغي ان يذكر هذه الخاصية العجيبة كما لا يزال يذكر الطبيات والخواص ، وهي ليست من وظيفة اللغة ، ويشير إلى المثل بمواعيده فانه من وظيفته ان ثبت عن العرب ، وإلا فهي فائدة ادبية مرتبة على خاصية الكمون العجيبة . وقد قال الشيخ داود في تذكرته في الكمون وقد تواتر انه ينمو إذا مشت فيه النساء ، وانه يروى إذا وعد بالماء كذا قال بزرعه انتهى .

وهو يؤنس بظن ان التمثيل بمواعيده عربي لان الاستصحاب المسمى بالمقلوب المبين في اصول الفقه .

وذكره السبكي في جمع الجوامع واعتمده ، يقتضي استمرار تواتر ان الكمون يروى إذا وعد بالماء في مواضي الازمان إلى ما قبل فساد اللسان العربي ، وحينئذ يغلب على الظن ان العرب تمثلت بمواعيده ، لكن على هذا اثبات اللغة بالاستدلال وفيه ما فيه ويمكن ان يجاب عن ذلك فتأمل . . . انتهى .

﴿ فائدة ﴾

يروى انه اتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت : يا رسول الله خفيلي عنسج ليس له سفرجلتان اشتهى طرطباً ، وليس له قرقب ، فأمر علياً عليه السلام ان يعطيها عشرة دراهم ، فقالت الصحابة : يا رسول الله ما ذا قالت ؟ قال : ان لها زوجاً احمى اشتهى لحماً قديداً وليس له درهم .

ويروى ان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين تكلموا يوما في فصاحة العرب ، فجاء النبي (ص) وقال لهم : فيم تتكلمون ؟ فقالوا : في فصاحة العرب ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : انا افصح العرب ، ان اخى نوحا آذته الدبابة فدعا ربه فأمره فأمر يده على فم الورد فأولده الضيون فكفاه شره ، فقالوا : يا رسول الله ما ندري ما تقول ؟ فقال : صدقتم انا افصح العرب ، ان اخي نوحا آذته المليصاء ، فشكا إلى ربه فامره فأمر يده على فم العرباض فاولده السمسم فأكل

السمسم السقطم ، فكفاه شره . فقالوا : يا رسول الله ما نعلم ما تقول ؟ فقال : صدقتم انا افصح العرب ان اخي نوحا آذته الفارة فشكا إلى ربه فأمره فمسح يده على فم السبع فأولده السنور فكفاه شره ، فقالوا : يا رسول الله ان هذه لغة لم نسمعها من غيرك ، فقال : ان هذه لغة ابي اسماعيل يأتيني بها جبرائيل فيذكرنيها انتهى . . .

قال بعضهم : كنت في مجلس فيه عمر بن ربيعة المخزومي فقلنا له يا اباالخطاب ان لك مع النساء احاديث عجيبة قد نقلها الرواة ، وسار بها الركبان ، فحدثنا بأعجبها قال : بينما انا ذات ليلة بمنى إذ دخل علي الحاجب فاعلمني ان بالباب عجوزاً عليها مسحة من جمال وكسوة فاخرة ، فخرجت اليها وسلمت عليها ، وسألتني عن نسبي فاخبرتها ، فقالت : فتى من بني مخزوم ، قلت : نعم ، فقالت : هل لك ان اريك احسن خلق الله وجهاً ، قلت : فداك ابي وامي ، وكيف لي بذلك ؟ فقالت : انت ناظر اليها على شرط ، قلت : وما هو ؟ قالت : ان لا تريها إلا العفاف ولا تتعرض لها بسوء ، قلت لك ذلك فأخرجت مصحفاً وحلفتني عليه ، ثم قالت : وان البسك لباس النساء واعصب عينيك إلى الموضع ، قلت : ولك ذلك ، فأخرجت عصابة وعصبتني ، والبستني ازاراً وخفا ، ثم اخذت بيدي تقودني إلى ان ادخلتني إلى مضرب فاخذني من يدها وصائف ، ثم حللن العصابة عن عيني ، وإذا انا في مكان قد فرش بالديباج الاحمر والوشي المنسوج بالذهب وإذا فيه جوار ابهى من البدور فاجلستني على سرير ووقفن على رأسي يروحنني ، فبينما انا جالس على تلك الحالة وإذا أنا بجارية قد طلعت من باب من المضرب ازهى من الشمس ، فسلمت علي وجلست إلى جانبي واقبلت علي تحدثني وتسائلني ، وانا والله منها في غمرات شديدة وقد زال عقلي لما شاهدت من جمالها ، فاستطردت بالحديث إلى ان قالت يا عمر من الذي يقول ، وانشدت :

وناهدة الثديين قلت لها اتكي   على الرمل من جبانة لم توسد

فقالت على اسم الله سمعاً وطاعة   وان كنت قد كلفت ما لم اعود
فلما دنا الاصباح قالت فضحتني   فقم غير مطرود وان شئت فازدد
فزودت منها واتشحت بمرطها   وقلت لعيني اسكبي الدمع في غد
وقامت تعفي بالرداء مكانها   وتنثر دمعاً كالجمان المنضد

فقلت : أنا القائل ذلك ، فقالت : من هـذه الناهدة الثديين التي جرى لك معها ما ذكرت ؟ فقلت : اطال الله بقاءك ما كان هـذا مني على قصد ولا في امرأة بعينها ، ولـكني احب الغزل والتشبب بالنساء ، قالت : بل انت كذاب مفتر على الحرائر فاضح للمصونات قد فشا شعرك بين بالعراق والحجاز وكل مكان ياوصائف اخرجوه عني مهاناً فاحـدقن بي بدفع وضرب وصفع ، ثم عصبوا عيني ودفعوني للعجوز ، فاخذت تقودني إلى مضربي ، ثم قالت : يا ابا الخطاب لا تيأس ، فبقيت ليلتي قلقاً لم اذق مناماً .

فلما كان الغد وحضر الوقت الذي جاءتني فيه العجوز إذا بالحاجب يقول لي ان العجوز التي جاءت بالامس في باب الدار ، فقلت : ائذن لها ، فدخلت وسلمت وقالت : هل لك في ان تراها ثانية قلت: نعم ، ثم فعلت بي كفعلها الاول والبستني الازار وعصبت عيني وقادتني حتى اتت بي الموضع فدفعتني إلى الوصائف فاخذتني وحللن العصابة عن عيني ، وإذا انا في مضرب بسط فيه الحرير ، وهو من الديباج الاسود ومنسوج بالذهب الاحمر وفيه جوار كالظباء النوافر ، فجلست على السرير وإذا بها قد طلعت علي كانها البدر ليلة تمامـه ، فسلمت علي وصافحتني فوجدت برد كفها على كبدي ، ثم جلست تحادثني وسألتني عن خبري ، وكيف كان مبيتي ، وعاطتني الاشعار فما رأيت اطيب من حديثها ، ثم قالت : يا ابا الخطاب من الذي يقول وانشدت :

بينما ينعتنني ابصرنني   دون قيد الميل يعدو بي الاغر
قالت الـكبرى اتعرفن الفتى   قالت الوسطى نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفي القمر
وإذا ما عثرت في مرطها ندبت باسمي وقالت يا عمر

قلت : انا القائل ذلك فداك ابي وامي ، قالت : من هذه الكبرى والوسطى والصغرى التي إذا عثرت قالت يا عمر ، فقلت : اطال الله بقاءك قد تقدم العذر في هذا امس وانه لم يكن مني على قصد ولا في امرأة بعينها ، فقالت : يا كذاب ما الذي يحملك على هتك استار اسرار الحرائر ، وان تقول عليهن ما لم يكن حقاً فيشيع في الارض ويظنه الناس صحيحاً ، يا وصائف عزرن هذا الفاسق على كذبه فابتدرن إلي الوصائف وضربنني على وجهي ضربات ، ثم شددن العصابة على عيني ودفعنني إلى العجوز ، فعادت بي إلى مضربي ، ثم قالت يا عمر لا تيأس .

فبت ليلتي قلقاً متفكراً لم اذق مناماً حتى اسفر الصبح ، فلما طلعت الشمس وحضر الوقت المعلوم إذا بالحاجب يخبرني بالعجوز ، فقلت اشغلها عني ساعة حتى يأتيك رسولي ، ثم امرت جارية ان تضرب خلوقاً في باطية ، ففعلت فغمست يدي إلى معصمي في ذلك الخلوق ثم سدلت ردائي عليها وامرت بادخال العجوز فدخلت فسلمت وسألتني عن حالي ، ثم قالت : هل لك ان تراها ثالثاً ، قلت : فداك ابي وامي وكيف لي ولم ابت وليلتي إلا على جمر الغضا ، فقالت : فنحن معك على الشريطة ، قلت : نعم ، فاستحلفتني ثم البستني الازار وعصبتني وقادتني إلى الموضع ، فلما احسست بالوصول إلى باب المضرب اخرجت يدي وضربت بها باب المضرب ، وكان من الديباج الابيض منقوشاً بالذهب مفروشا بالحرير ، ثم جعلت امسك الاطناب بكفي كأني اتوكأ عليها ، ثم تناولتني الوصائف فاجلسنني وحللن العصابة عن عيني ، فجلست على السرير ، فاذا بها قد طلعت ، فلما رأيتها سقطت مغشيا علي ، فلما افقت من غشيتي تناولت كفي وجعلت تغمزه ، ثم قالت : كيف حالك يا ابا الخطاب ، فقلت بسوء حال شديد ، والنظر يغني عن الخبر ، فتبسمت فما رأيت احسن من ثغرها ، واخذت تسألني عن اخبار العرب وايامها ، وأهل

المشق ، وانا والله يخيل لي كأنى في بعض قصور الجنة مع حورها ، فبينما انا كذلك في اسر عيش وأهنأه إذا التفتت إلي وقالت : يا ابا الخطاب من الذي يقول وانشدت :

سحج الغراب ببين ذات الدملج ليت الغراب بينها لم يسحج
ما زلت اتبعهم لاسمع حدوهم حتى دخلت على ربيبة هودج
قالت وحق ابي وحرمة والدي لأنبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة اهلها فتبسمت فعلمت ان يمينها لم تحرج
فتناولت كفي لتعلم مسه بمخضب الاطراف غير مشنج
فلثمت فاها آخذاً بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

النزيف : الذي يبس فمه وشفتاه من الظمأ . والحشرج : نقب في الجبل فيه ماء صاف ، فقلت : انا يا سيدتي عذري قد تقدم ، والمحنة فيه واحدة ، فقالت : واراك مقيما على الكذب وفضيحة النساء وهتك استار الحرائر يا وصائف اخرجن هذا الفاسق مجروراً مدحوراً معزراً على كذبه وافترائه ، فبادرن إلي وسحبنني على وجهي وضربنني بايديهن ضربا موجعا ، ثم عصبن عيني ودفعنني إلى العجوز فاخرجتني وأنا لا اعقل من شدة الضرب .

فلما كنا بوسط الطريق رأت رجلا حماراً مجتازاً ، فقالت له : خذ هذه الدريهمات واوصل هذه المرأة الضريرة إلى مضرب عمر بن ابي ربيعة المخزومي فاخذني من يدها وهو يظن اني امرأة ، حتى وصل بي إلى مضربي فاخذني بعض غلماني ودخلت المضرب ، ونزعت ما علي ولبست ثيابي وانا في اسوء حال من شدة ما لاقيت من الصفع والضرب ، ثم امرت بادخال الناس علي وطلبت غلماني وقلت لهم اي غلام وجد لي بابا مضروبا عليه بكف خلوق فهو حر لوجه الله تعالى ، واي رجل وجد ذلك فله عندي الف درهم ، فانبثوا في طلب ذلك وغابوا ساعة ، فعاد إلي بعض الغلمان وقال يا سيدي عرفت المضرب وصاحبه ، فقلت له : ان كنت صادقا

فأنت حر لوجه الله تعالى، فقمت معه إلى الموضع فرأيت موضع كفي في الباب ، فاذا هومضرب مروة بنت عبدالملك بن مروان ، فامرت ان يقلع مضربي ويضرب حذاء مضربها ، فلما رأت ذلك علمت اني عرفتها ، فجزعت من ذلك ثم اسدلت الستور بيني وبينها .

وكان لعبد الملك بن مروان جواسيس فكتبوا له بذلك ، فقلت شعراً فشاع في الناس واشتهر وهو :

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظر لو لا التحرج عازم

فقلت اشمس ام محاريب بيعة بدت لك خلف الستر أم انت حالم

بعيدة مهوى القرط امانوفل ابوها واما عبد شمس وهاشم

فوصل إلى عبد الملك هـذا الشعر أيضاً ، ثم انها زمت متوجهة إلى الشام فرحلت لرحيلها ، فكنت انزل لنزولها وارحل لرحيلها ، واشتد وجدي والد نوبها حتى ركبت بالعمارية من شدة ضعفي ، وأنا مع ذلك اكتم سري عن اهلي وعوادي ولم افش سري إلى احـد من اصحابي إلى ان صرنا من دمشق بمرحلتين ، فتلقاها رسول عبد الملك يأمرها بالمقام في موضعها إلى ان يخرج اليها ويستقبلها ، فاقبل عبد الملك نحوها في سادات بني امية ووجوه القواد ، حتى إذا صار قريباً من مضربها عدل عن الناس ودخل عليها وبارك لها في حجها ، وهنأها بقدومها ، وقال : يا مروة ألم انهك عن الطواف نهاراً حتى لا تقع عليك عين ؟ فقالت : والله ما طفت نهاراً ، فخرج من عندها فحانت منه التفاتة فرأى مضربي فسأل عنه ، فقيل لعمر ابن ربيعة المخزومي ، فقال : علي به ، فلما جئت اليه سلمت عليه ، فقال : لا سلم الله عليك ولا اقر لك عيناً ، فقلت : بئس التحية يا ابن العم على بعد المزار ، فقال: أليس انت القائل : (نظرت اليها بالمحصب من منى) ـ الابيات المتقدمة ـ قاتلك الله أما كان ذلك نداوة وجـه عن بنت عمك حتى تشببت بها في شعرك ، قلت : يا ابن العم ألم اقل ذلك في امرأة معينة ولا كان ذلك مني على قصد ، قال : كذبت

يا فاسق ، ثم اطرق ساعة ورفع رأسه إلي وقال : يا عمر هل لك في واحدة ؟ قلت : وما هي فداك ابي وامي ؟ قال : ازوجك مروة ، قلت : انما انا عبد من عبيدك وطاعتك علي واجبة ، كما انه لا يجوز لي مخالفتك وعدم امتثال امرك فاصنع ما شئت ، فاحضر خمسمائة الف درهم ، ثم دعا وجوه بني امية وبني هاشم ، ثم خطب خطبة وعقد نكاحي على ابنته مروة على المال الحاضر ثم قال لي قم وادخل على اهلك فقمت من عنده ودخلت على مروة ، فلما رأتني نفرت مني نفور الظبي ، وقالت : من انت ويحاً لك ، ثكلتك امك ، وعدمك قومك ، قلت : انا بعلك وابن عمك عمر بن ابى ربيعة ، صبرت وفقدرت ، وجاءها الخبر بتزويجي منها فأنست إلي فعادلتها في هودجها إلى دمشق واقر الله عيني بها ، انتهى .

﴿ ترجمة أمين الدين ياقوت بن عبد الملك الموصلي الكاتب ﴾
(المعروف بالملكي نسبة إلى السلطان ملك)
(شاه السلجوقي)

نزل بالموصل واخذ النحو عن ابن الدهان النحوي ، وقرأ عليه ديوان المتنبي ومقامات الحريري ، وغير ذلك .

وكان حسن الخط ، انتشر خطه في الآفاق ، ولم يكن في زمانه من يقارنه في حسن الخط . وكان ذا فضل غزير ، ونباهة تامة . وكان مولعاً بنقل (صحاح الجوهري) فكتب منه نسخاً كثيرة .

قال ابن خلكان في تاريخه : كانت تباع كل نسخة من خطه بمائة دينار ، وكتب عليه اناس كثيرة ، وقصده الناس من سائر البلدان .

وارسل اليه من بغداد عبد الله الواسطى قصيدة امتدحه بها ، ولم يكن رآه بل كاتبه على السماع ، والقصيدة طويلة ، فمنها قوله بعد ان وصف بلدة بغداد

وماءها وهواءها وازهارها ونساءها :

بلدة تستفاد منها المعالي والمعاني علما وجداً وهزلا
لم يفتها من الكمال سوى ياقوت لو انها به تتحلى
من لها ان يضوع نشر امين الدين فيها وحسنها ذاك فضلا
لورجت ان يزورها لانبرى الصامت منها يقول اهلا وسهلا
ولئن وافت الرواة برياه اليها فان رؤياه احلى
بحر جود له المكارم تتلو وجواد عنه المكارم تتلى
جامع شارد العلوم ولو لاه لكانت ام الفضائل ثكلى
ذو يراع تخاف سطوته الاسد وتعنوا له الكتائب ذلا
وإذا افتر ثغره عن سواد في بياض فالبيض والسمر خجلى
يقظ في حراسة الملك لا يعمل سهما ولا يجرد نصلا
انما يبعث البلاغة ارسالا إذا كانت الصحائف رسلا
فيعبد الجبار ممتثلا خوفا لما قد امل فيها واملى
وتراه طوراً يجيل يديه بقداح العلوم فصلا ففصلا
مثل وشي الرياض او كنضيم الدر يزهى خطاً ولفظا ونقلا
فأتنا يا بريد مثل امين الدين مهلا اتعبت نفسك مهلا

وهي بليغة بديعة في نهاية الحسن ، ولو لا خوف الاطالة لأوردتها بتمامها .

وتوفى امين الدين ياقوت المذكور بالموصل سنة ثماني عشرة وستمائة ، وكان قد اسن ، وتغير خطه من الكبر رحمه الله تعالى ، والله الموفق والمعين ، وهو ارحم الراحمين .

كتب هرقل ملك الروم إلى معاوية بن ابي سفيان يسأله عن الشيء ، وعن لا شيء ، وعن دين لا يقبل الله غيره ، وعن مفتاح الصلاة ، وعن غرس الجنة ، وعن صلاة كل شيء ، وعن اربعة فيهم الروح ولم يركضوا في اصلاب الرجال ولا

ارحام النساء ، وعن رجل لا اب له ، وعن رجل لا قوم له ، وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ما هو ، وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها سابقاً ولا لاحقاً ، وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها ، وعن شجرة نبتت من غير ماء ، وعن شيء يتنفس ولا له روح ، وعن اليوم وامس وغد وبعد غد ، وعن البرق والرعد وصوته ، وعن المحو الذي في القمر .

فقيل لمعاوية : لست هناك ومتى اخطأت في شيء من ذلك تسقط من عينه ، وانما اكتب إلى عبد الله بن العباس يخبرك عن هذه المسائل ، فـكتب اليه ، فأجابه أما الشيء قال الله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) وأما لا شيء فانها الدنيا لأنها تبيد وتفنى وأما دين لايقبل‌الله غيره فلا إله إلا الله محمدرسول‌الله وأما مفتاح الصلاة فالله اكبر ، وأما غرس الجنة ، فلا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، وأما صلاة كل شيء فسبحان الله وبحمده ، وأما الاربعة التي فيهم الروح ، ولم يركضوا في اصلاب الرجال ولا ارحام النساء فآدم وحواء وعصى موسى وكبش اسماعيل ، وأما الرجل الذي لا اب له فالمسيح عليه السلام ، وأما الرجل الذي لا قوم له فآدم عليه السلام ، واما القبر الذي جرى بصاحبه فالحوت الذي سار بيونس عليه السلام في البحر ، وأما قوس قزح فامان الله لعباده من الغرق ، وأما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها سابقاً ولا لاحقاً فالبحر الذي انفلق لبني اسرائيل ، وأما الظاعن الذي ظعن مرة واحـدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء ، كان بينه وبين الارض المقدسة اربعة ليال ، فلما عصت بنو اسرائيل اطاره الله بجناحيه ونادى مناد من السماء ان قبلتم التوراة كشفته عنكم وإلا القيته عليكم ، فقبلوا التوراة معتذرين فرده الله عز وجل إلى موضعه ، وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التي انبتها الله على يونس عليه السلام ، واما الذي يتنفس ولا له روح فالصبح ، وأما اليوم فعمل ، وأما امس فمثل ، وأما غد فاجل ، وأما بعد غد فامل ، وأما البرق فمخاريق بايدي الملائكة تضرب به السحاب ، وأما

الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب ، وصوته زجره للسحاب ، وهو كالزنبور ، وأما المحو الذي فى القمر ، فقول الله عز وجل (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) ولو لا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل .

﴿ لطيفة ﴾

مرض رجل وعنده امرأة قد مات عنها خمسة ازواج فقعدت عند رأسه تبكي وتقول : على من تتركنى ، فرفع رأسه وقال لها ، على الزوج السابع الشقي .

﴿ لطيفة ﴾

اركض رجل دابته وهو يقول : الطريق الطريق ، فاصابت رجلا ، فذهب إلى القاضى فتخارس الرجل ، فقال القاضى : هو اخرس ؟ فقال المدعي : انه يكذب يا مولاي القاضى لا يزال يقول : الطريق الطريق ، فقال له الرجل : فما تريد مني وقد سمعتنى اقول الطريق الطريق ، فخلى القاضى سبيله .

﴿ حكاية ادبية ﴾

قال بعضهم : خرجت يوما من مجلس المبرد فمررت بخربة فاذا شيخ قد خرج منها وفي يده حجر فهم ان يرميني فسترت بالمحبرة والدفتر ، فقال : مرحبا بالشيخ فقلت : وبك ، فقال : من اين اقبلت ؟ قلت : من مجلس المبرد ، فقال: المبرد البارد ثم قال : فما الذي انشدكم ؟ قلت : انشدنا :

اعار الغيث نائله إذا ما ماؤه نفدا
وان اسد شكا جبناً أعار فؤاده الاسدا

فقال : اخطأ القائل لهذا الشعر ، واكل من خراي رطلين بالبغدادي !

قلت : فكيف كان يقول ؟ قال : ألا تعلم انه إذا أعار الغيث نائله بقي

بلا نيل ، وإذا أعار الاسد فؤاده بقي بلا فؤاد ، ولكن يقول :

علم الغيث الندي حتى إذا ما وعاه علم البأس الاسد
فاذا الغيث مقر بالندى وإذا الليث مقر بالجلد

قال : فكتبتهما وانصرفت .

فلما كان اليوم الثاني مررت بالخربة ايضاً فخرج علي وكاد يرميني فتسترت منه ايضاً ، وضحك فقال : مرحباً بالشيخ ، فقلت : وبك ، فقال : من اين اقبلت قلت : من مجلس المبرد ، قال : ما انشدكم ؟ قلت : انشدنا :

ان السماحة والمروأة والندى قبر بعمرو على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجياد وكل طرف سابح

فقال : اخطأ هذا القائل وصفع في قفاه ، قلت : كيف ؟ قال : ويحك لو نحر كوم الجياد بخراسان لما اثر في حقه ، قلت : فكيف كان يقول فانشد :

احملاني فان يكن بكما عقر إلى جنب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كان دمي من نداه لو تعلمان

فلما عدت إلى المبرد قصصت عليه القصة ، فقال : أتعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هذا خالد الكاتب الشاعر ، تأخذه السوداء في ايام الباذنجان .

﴿ حكاية ﴾

وفد ملاعب الاسنة عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب واخوته طفيل ومعاوية وعبيدة ومعهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو غلام ، على الملك النعمان بن المنذر فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي ، وكان الربيع هذا ينادم النعمان مع رجل من اهل الشام تاجر يسمى سرحون بن نوفيل ، وكان تاجراً للنعمان المذكور اديباً حسن الحديث والمنادمة ، وكان النعمان يعجب به ، فاذا اراد ان يخلو على شربه ولهوه بعث اليه وإلى طبيب له يسمي النطاسي وإلى الربيع بن زياد ، وكان

الربيع يسمى الكامل ، فلما قدم ملاعب الاسنة واخوته على النعمان اكرمهم واحسن نزلهم .

فلما خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم ، وذكر معايبهم ، وقد كان فعل بهم ذلك مراراً ، وكان بنو جعفر اعداءه ، فصد النعمان عنهم ، ثم دخلوا عليه يوما فانكروا منه تغيراً وجفاء ، فخرجوا من عنده غضاباً .

وكان لبيد في رحالهم يحفظ امتعتهم ، ويغدو بابلهم كل صباح فيرعاها فاذا امسى انصرف بابلهم اليهم ، فاتاهم ذات ليلة فالفاهم يتذاكرون فعل الربيع بن زياد وما يقاسونه منه فسألهم لبيد عن امرهم فكتموه عليه ، لان ام لبيد هذا كانت امرأة من بني عبس ، وكانت يتيمة في بيت الربيع بن زياد المذكور ، فقال لهم لبيد حين كتموا امرهم عنه : والله لا احفظ لكم متاعا ، ولا اسرح لكم ابلا ، حتى تخبروني بخبركم ، فقالوا له : خالك قد تكلم علينا عند الملك وغيره عنا ، فقال لهم لبيد : هل تقدرون على ان تجمعوا بيني وبينه ، فازجره عنكم بكلام ممض مؤلم لا يلتفت النعمان اليه بعده ابداً ماعاش ، فقالوا له : وهل انت قادر على ما قلت ؟ قال : نعم ، قالوا : فانا نمتحنك على ان تشتم هذه البقلة ، وكانت قدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالارض ، تسمى التربة .

فقال : هذه التربة كالكربة لا تذكي ناراً ولا توهل داراً ولا تسر جاراً عودها ضئيل وفرعها ذليل ، وخيرها قليل ، بلدها شاسع ، ونبتها خاشع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها ضائع ، اقصر البقول فرعا واخبثها مرعى ، واقلها نفعاً واشدها قلعاً ، فحر بانفها جدعا ، ألقوني اخا عبس ، ارده عنكم بتعس ، واتركه من امره في لبس . فقالوا له : نصبح فنرى فيك رأينا ، فقال لهم : ملاعب الاسنة انظروا إلى غلامكم هذا فان رأيتموه نائماً فليس امره بشيء انما يتكلم بما جاء على لسانه ، وان رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم وصاحبه ، فرمقوه بالليل فوجدوه قد ركب بعيراً وظل يحرسهم إلى الصبح ولم يرقد .

فلما اصبحوا قالوا : انه والله صاحبنا وصاحبه فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حلة وغدوا به معهم إلى مجلس النعمان فوجدوه يتغدى مع الربيع وهما يأكلان رطبا في طبق ، وليس معه غيره يواكله ، والمجلس محفوف بالوفود .

فلما فرغ من الغداء اذن لعامر وجماعته فدخلوا عليه وذكروا له حوائجهم فاعترضهم الربيع في كلامهم ونقص بهم عند النعمان ، فقال لبيد رجزا :

يا رب هيجا هي خير من دعه ... أكل يوم هامتي مقرعه

نحن بنو ام البنين الاربعه ... ومن خيار عامر بن صعصعه

المطعمون الجفنة المدعدعه ... والضاربون الهام تحت الخيضعة

يا واهب الخير الكثير من سعه ... اليسك جاوزنا بلاداً مسبعه

يخبر عن هذا خبير فاسمعه ... مهلا ابيت اللعن لا تأكل معه

ان استه من برص ملمعه ... وانه يدخل فيها اصبعه

يدخلها حتى يواري اشجعه ... كأنه يطلب شيئا اودعه

فلما فرغ لبيد من انشاده التفت النعمان إلى الربيع بن زياد وقال له : اهكذا انت ؟ قال : لا والله ايها الملك ، لقد كذب علي هذا الاحمق اللئيم ، فقال : الملك النعمان : والله لقد خبث علي طعامي وشرابي ، ثم قام النعمان وقام الربيع وانصرف إلى منزله ، وامره النعمان بالانصراف إلى بلده ، فكتب الربيع والله لست بذاهب حتى تبعث إلى من تأمنه فيجردني عن اثوابي ويراني لكي يعلم كل من حضرك من الناس اني لست كما قال لبيد ، فكتب اليه النعمان انك لست قادراً على رد ما تكلمت به الالسن فالحق باهلك ، فقال الربيع :

لئن رحلت ركابي ان لي سعة ... ما مثلها سعة عرضا ولا طولا

ولو جمعت بني لخم باجمعها ... لم يعدلوا ريشةمن ريش شمويلا

ترعى الروائم احرار البقول بها ... لامثل رعيكم ملحا وعسويلا

فابرح بارضك يا نعمان متكئا ... مع النطاسي يوما وابن توفيلا

فكتب اليه النعمان مجيبا :

شرد برحلك عنى حيث شئت ولا	تكثر علي ودع عنك الاباطيلا
فقد رميت بداء لست غاسله	ما جاوز النيل يوما اهل ابليلا
فما انتفاؤك منه بعد ما جزعت	اوج المطى به ابراق شمويلا
فالحق بحيث رأيت الارض واسعة	وانشر بهاالطرف ان عرضا وان طولا
قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا	فما اعتذارك من شيء إذا قيلا

فأرسل النعمان هذا البيت الاخير مثلا .

﴿ ترجمة ابي الفرج الببغا عبد الواحد بن نصر المخزومى ﴾

(من أهل نصيبين)

قال الثعالبي في اليتيمة : هو نجم الآفاق ، وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ، واحد افراد الدهر ، في النظم والنثر ، له كلام بلا مدام بل نظام من الياقوت ، بل حب الغمام ، ونثره مستوف اقسام العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمه كانه روضة منورة تجمع طيبا ومنظراً حسنا .

وقد اخرجت من شعره ، ما يشهد بالذي اجريت من ذكره ، وانما لقب بالببغا للثغة فيه فيجرى وصفها في ذكر ما دار بينه وبين ابي اسحاق الصابى من طرف المكاتبات ، وملح المحاورات .

وكان في عنفوان امره وريعان شبابه متصلا بالامير سيف الدولة ومقيما في جملته ، ثم تنقلت به بعد صاحبه الاحوال ، في وروده إلى الموصل وبغداد ومنادمته الملوك والوزراء والرؤساء ، واخفاقه مرة وانجاحه اخرى .

وآخر ما بلغني من خبره ما سمعت الامير اباالفضل عبد الله بن احمد الميكالي يورده عند التقائه معه عند صدوره من الحج وحصوله ببغداد في سنة تسعين

وثلثمائة ، ورأيته بها شيخاً عالي السن متطاول الامد ، نظيف اللبسة بهي الركبة مليح الاشغة ، ظريف الجملة ، قد اخذت الايام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من ظرفه وادبه ، ومدح الامير ابا نصر بقصيدة فريدة اجزل عليها صلته ، ثم السلامي وغيره من شعراء العراق ، ثم عرض على القاضي ابي بشر الفضل بن محمد بجرجان سنة احدى وتسعين كتاب ابي الفرج الوارد عليه من بغداد ، وكان مشتملا من النظم والنثر على ما اثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف على ثنية الوداع ولست ادري ما فعل الدهر به بعد ذلك ، واغلب ظني فيه انه الآن ، قد لحق باللطيف الخبير ، وانا ابدأ بسياقة قصة له من عبارته ، وحكاية لم اسمع اظرف منها ولا الطف ، ولا اعذب منها ولا اخف ، وان كان فيها بعض الطول ، فالبديع غير مطول .

قال ابو الفرج : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة مكرها وقد سار عنها في بعض وقائعه ، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من اصحابه ، حتى ان ذلك كان مؤديا إلى النهب وطول الاعتقال ، فاضطررت إلى اعمال الحيلة في التخلص والسلامة بخدمة من بها من رؤساء الدولة الاخشيدية ، وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة ، فكان انقطاعي منهم إلى ابي بكر علي بن صالح الروذبادي لتقدمه في الرياسة ، ومكانه من الفضل والصناعة ، فاحسن تقبلي ، وبالغ في الاحسان إلي وحصلت تحت الضرورة في المقام ، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة ، والمتنزهات المطرفة ، تسلياً وتعللا .

فلما كان في بعض الايام عملت على قصد دير مران وهذا الدير مشهور والموقع منها في الجلالة وحسن المنظر فاستصحبت بعض من كنت آنس به وتقدمت بحمل ما يصلح لنا وتوجهنا نحوه ، فلما نزلنا اخذنا في شأننا ، وقد اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسجاحة الخلق حسبا جرى به الرسم في غشيان الاعمار ، وطروق الديرة من النظر ، وبعشرة اهلها ، والانسة بسكانها

ولم تزل الاقداح دائرة ، بين مطرب الغنا وزاهر المذاكرة ، إلى ان فض اللهو ختامه ولوح السكر لصحبي اعلامه ، وحانت مني نظرة إلى بعض الرهبان ، فوجدته إلى خطابي متوثباً ، ولنظري اليه مترقباً ، فلما اخذته عيني اكب يزجني بخفي الغمز ووحى الايماء ، فاستوحشت من ذلك وانكرته ، ونهضت عجلا واستحضرته فاخرج إلي رقعة مختومة وقال لي : قد لزمك فرض الامانة فيما تتضمنته هذه الرقعة دونى وسقط ذمام كاتبها في سترها بك عني ، ففضضتها فاذا فيها باحسن خط واملحه ، واقواه واوضحه : (بسم الله الرحمن الرحيم لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يامولاي بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض على التسامح بنفس الحظ منك ، إلى ان استنزلتني الرغبة فيك ، على حكم الثقة بك ، من غير خبرة ، فرفعت بيني وبينك سجف الحشمة ، واطعت بالانبساط اوامر الانسة ، في التوصل إلى مودتك ، فابت الفرصة والمستماح منك جملني الله فداك زورة ارتجع بها مااغتصبتنيه الايام من المسرة مهناة بالانفراد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك :

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ولكن لأخذ الاحتياط على حالي

فان صادف ما خطبته منك ايدك الله قبولا ولديك نفاقاً فمنية غفل الزمان والدهر عنها ، وفارق مذهبه فيما اهداه إلى منها ، وان جرى على رسمه في مخالفة ما اوثره واهواه ، واترقبه من قربك وآمناه ، فذمام المروة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها ، وتناسيها واطراح ذكرها ، ان شاء الله تعالى) .

وإذا بابيات تتلو الخطاب وهي :

هل لك في صاحب يناسب في الغربة	اخلاقه وبالادب
اوحشه الدهر فاستراح إلى	قربك مستنصراً على النوب
فان تقبلت ما اتاك بـه	لم تسيء الظن فيك بالكذب
وان ابى الدهر دون رغبتنا	فكن كمن لم يقل ولم يجب

قال ابو الفرج : فورد علي ما حيرني ، واسترد مني ما كان الشراب حازه

من تمييزي وحصل لي في الجملة ان اغلب الاوصاف على صاحبها الكتابة خطاً وترسلا ونظما ، فشاهدته بالفراسة من الفاظه ، وحمدت اخلاقه قبل الاختبار من رقعتــه ، وقلت للراهب : من هذا ويحك ، وكيف السبيل اليه ؟ فقال : أما ذكر حاله فاليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى القائه فسهل ان شئت ، قلت : دلني ، فقال تظهر فتوراً ، وتنصب عذراً ، تفارق به اصحابك منصرفاً ، فاذا وصلت إلى باب الدير عدلت بك إلى باب خفي تدخل منه .

فرددت الرقعة عليه ، وقلت : ادفعها اليه ليتأكد انسه بي ، وسكونه إلي وعرفه ان التوفر على اعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته ، على ما آثره من ضرر الانفراد اولى من التشاغل برد جواب ، وقطع وقت بمكاتبته .

ومضى الراهب وعدت إلى اصحابي بغير النشاط الذي نهضت به ، فانكروا ذلك ، فاعتذرت اليهم بشيء عرض لي فاستدعيت ما اركبه ، وتقدمت إلى من كان معي ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كنا عملنا على المبيت فاجمعوا على تعجل السكر والانصراف ، وخرجت من باب الدير ومعي صبي كنت آنس اليه وبخدمته وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي .

وتلقاني الراهب وعدل بي إلى الطريق في مضيق ، وادخلني إلى الدير من باب غامض وصار بي الى باب قلاية يفوق عما يجاوره من الابواب نظافة وحسناً فقرعه بحركات مختلفة كالعلامـة فابتدرنا غلام كأن البدر ، ركب على ازراره مهفهف الكشح مخطفه معتدل القوام اهيفه ، تخال الشمس برقمت غرته والليل ناسب اصداغه وطرته في غلالة تنم على ماتستره وتخفو مع رقتها عما تظهره وعلى رأسه مجلية مصمت فبهر عقلي ، واستوقف نظري ، ثم اجفل كالظبي المذعور ، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية ، فاذا أنا ببيت فضي الحيطان ، رخامي الاركان ، يضم طارمة خشب مفروشة بحصير مستعمل ، فوثب الينا منه فتى مقتبل الشبيبة ، حسن الصورة ظاهر النبل والهيبة ، متزيي من اللباس بزي غلامه فلقيني حافياً يعثر في سراويله واعتنقني

ثم قال : انما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدى لاجمل ما لعلك استحسنته من وجهه مصانعاً على ما يرد عليك من مشاهدتي فاستحسنت واستظرفت اختصاره الظريف إلى بسطي وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً على تأنيسي، وافاض في شكري على المسارعة إلى امره ، وأنا اواصل في خلال سكناته البالغة في الاعتذار به .

ثم قال لي : انت يا سيدي مكدود بمن كان معك والاستمتاع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى راحتك .

وقد كان الامر على ما ذكر فاستلقيت يسيراً ، ثم نهضت فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي الفتها في دور اكابر الملوك واجلة الرؤسا واحضرنا خادم له لم أر أحسن منه وجها طبقاً يضم مما يتخذ للمشاء ماخف ولطف ، فقال : ألا كل مني يا سيدى للحاجة ومنك للمماحـة والمساعدة فأكلنا شيئاً ، واقبل الليل فطلع القمر ففتح مناظر ذلك البيت إلى فضاء ادى الينا محاسن الغوطة وحبانا بذخائر رياضها من المنظر الجنانى والنسيم العطري .

وجاءنا الراهب من الاشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منـه ، ثم اقتعدنا غارب اللذة وجرينا في ميدان المفاوضة ، ولم يزل يناهبني من نوادر الاخبار وملح الاشعار ، ونخلط ذلك المزح باظرفه ، ومن التودد بالطفه ، إلى ان توسطنا الشراب ، فالتفت إلى غلامـه فقال : يا مترف ان مولاك ما ادخر علينا السرور بحضوره وما يجب ان ندخره ممكناً في مسرته ، فتبقم وجه الغلام حياء وخفراً فاقسم عليه بحياتي ، وأنا لا اعلم ما يريد فمضى وعاد يحمل طنبوراً وجلس ، فقال يا سيدي تأذن لي في خـدمتك ، فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من عظيم المسرة بذلك ، فاصلح الغلام ما بيده وضرب فقال :

يا مالـكي وهو ملـكي وسالبي ثوب نسكي
نزه يقين الهوى فيك عن تعرض شك
لو لاك ما كنت اشكي إلى الصباح وابـكي

قال : فنظر الغلام إلي وتبسم ، فعلمت ان الشعر له ، وكدت والله اطير طربا وفرحا بملاحة خلقه ، وجودة ضربه ، وعذوبة الفاظه وتكامل حسنه .

فاستدعيت كثيراً من الشراب ، فاحضر الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد الشراب المحكم ، فشربت سروراً بوجهه ، وشرب بمثل ما شربت . ثم قال لي انا والله يا سيدي احب ترفهك ولا اقطعك عما انت فيه متوفر عليه ، ولكن إذا عرفت الاسم والنسب ، والصناعة واللقب ، فلا بد ان تسم ليلتنا بشيء يكون لها طرازاً او لذكرها معلماً ، فجذبت الدواة وقد اخذ الشراب مني ، فكتبت ارتجالا :

وليلة اوسعتني حسناً ولهواً وانسا

ما زلت الثم بدراً بها واشرب شمسا

إذ أطلع الدير سعداً لم يبق مذ غاب نحسا

فصار للروح مني روحا وللنفس نفساً

فطرب على قولي (الثم بدراً واشرب شمساً) وجذب غلامه فقبله ، وقال : ما جهلت ما يجب لك ياسيدي من التوقير ، وانما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته ، فبحياتك إلا ما فعلت مثل ذلك بغلامك ، فاتبعت اشارته خوفا من احتشامه ، واخذ الابيات وجعل يرددها ، واخذ الدواة وكتب اجازة لها :

ولم اكن لغريمي والله ابذل فلسا

لو ارتضى لي غريمي بدير مران حبسا

فقلت له: إذاً والله ما كان يؤدي احد حقاً ولا باطلا، وداعبته في هذا المعنى بما حضر ، وعرفت في الجملة انه مستتر من دين قد ركبه . وقال لي : قد خرج لك اكثر الحديث ، فان عذرت وإلا ذكرت الحال لتعرفها على صورتها ، فتبينت ما يؤثره من كتمان امره ، فقلت له : يا سيدي كل من لا يتعرف بك ذكره ، وقد اغنت المشاهدة عن الاعتذار ونابت الخبره عن الاستخبار، وجعل يشرب وينتخب على من غير اكراه ولا حث ولا استبطاء إلى ان رأيت الشراب قد دب فيه فاكب

على محادثة غلامه والفطنة تثنيه في الوقت بعد الوقت فاظهرت السكر وحاوات النوم وجاء الغلام ببردعة ففرشها لي بازاء بردعتـه ، فنهضت اليها ، وكان يتفقد امري بنفسه ، فقلت له : ان لي مذهباً في تقريب غلامى منى ، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره هذه من الحلل في غلامه فتبسم وقال: بسكر جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لي بك واظهرت النوم ، وعاد يحادث غلامه باعذب لفظ واحلي معاتبة ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة حال وانبساط يد ، وغـــلامه تارة يقبل يده ، وتارة فمه وغلبتني عيناي إلى ان ايقظني هواء السحر فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس فاردت توديعه ، وحاذرت انباهه وازعاجه ، فخرجت ولقيني الخادم يريد ايقاظه وتعريفه بانصرافي ، فاقسمت عليه أن لا يفعل ، ووجدت غلامى قد بكر بما اركبه ، كما كنت امرته ، فركبت منصرفا وعامداً على العود اليـه والتوفر على مواصلته ، واخذ الحظ منه في معاشرته ، ومتوهما ان ما كنت فيه منام لطيبه وقرب اوله من آخره ، واعترضتني اسباب ادت إلى اللحاق بسيف الدولة ، وسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه ، وقلت في ذلك :

ويوم كأن الدهر سامحنى به ... فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر

جرت فيه انفاس الصبا بارتياحنا ... إلى دير مران المعظم في العمر

بحيث هواء الغوطتين معطر ... النسيم بانفاس الرياحين والزهر

فكم روضة بالحسن ترفد روضة ... ومن نهر بالفيض يجري إلى النهر

وفي الهيكل المعمور منه افترعتها ... وصحبي حلالا بعد توفية المهر

فاهدت لي الايام فيه مودة ... دعتني في ستر فلبيت في ستر

أتى من شريف الطبع اصدق رغبة ... يخاطبني عن معدن النظم والنثر

فكان جوابى طاعة لا مقالة ... ومن ذا الذى لا يستجيب إلى اليسر

فلاقيت ملء العين نبلا وهمة ... فحلى السجايا بالطلاقة والبشر

واحشمني بالبر حتى حسبته ... يريد اختداعي عن حياتي ولا ادري

ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا	فكنت واياه كقلبين في صدر
وشاء السرور ان بلينا بثالث	فلا طفنا بالبدر او بأخي البدر
بمعطي العيون ما اشتهت من جماله	ومضنى القلوب بالتجنب والهجر
جنينا جنى الورد من غير وقته	وزهر الربى من روض خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه	بشمسين في جنحي دجى الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف آخذا	بأوفر حظ من محاسنه الزهر
وامتعنا من وجنتيه بمثل ما	تمزج كفاه من الماء والخمر
سرور شكرنا منة الصحو إذ دعا	اليه ولم نشكر به منة السكر
كأن الليالي نمن عنه فمنذ ما	تنبهن نكبن الوفاء إلى الغدر
مضى فكأني كنت فيه مهوما	تحدث عن طيف الخيال الذي يسري
ونزهت عن غير الدنانير قدرها	فما زلت منها اشرب التبر بالتبر
وهل يحصل الانسان من كل ما به	تسامحه الايام إلا على الذكر

ولم ازل على أتم قلق واعظم حسرة ، واشد أسف على ما سلبته من عظيم النعمة بفراق الفتى ، لا سيما ولم احصل منه على حقيقة علم ولا يقين ، خبر يؤديني إلى الطمع بلقائه إلى ان عاد سيف الدولة إلى دمشق ، وأنا في جملته ، فما بدأت بشيء قبل السير إلى الراهب ، وقد كنت حفظت اسمه ، فخرج إلي مذعوراً مرعوبا وهو لا يعرف السبب ، فلما رآني استطار فرحا ، واقسم لا يخاطبني إلا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك ، ففعلت فلما جلسنا للمحادثة قال مالي: لا اراك تسألني عن صديقك ، قلت : والله ما لي فكر ينصرف عنه ولا اسف يتجاوز ما حرمته منه ولا سررت في عودي إلى هذا البلد إلا من اجله ، ولذلك بدأت بقصدك ، فاذكر لي خبره ، فقال : اما الآن ، فنعم هذا فتى من المادرانيين ، جليل القدر عظيم النعمة ، كان قد ضمن في سلطانه بمصر ضياعا كثيرة فخان به ضمان المقور السعر واشرف علي الخروج من نعمته فاستتر .

ولما اشتد البحث عنه خرج مختفياً إلى ان ورد دمشق بزى تاجر ، وكان استتاره عند بعض اخوانه ممن اخدمه ، فأني كنت عنده يوما إذ ظهر لى وقال لصديقه انى اريد الانتقال إلى هذا الراهب ان كان علي مأموناً . فذكر له صديقه مذهبي ، واظهرت السرور بما رغب فيه من الانس بى ، وانا لا اعرفه ، غير ان صديقى قد امرنى بخدمته وحصل في قلايتي يواصل الصوم .

فلما كان بعد ايام جاءنا الرسول من عند صديقنا ، ومعه الغلام والخادم قد لحقا به ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة .

قلت : السفتجة كقرطفة ان يعطي مالا لأحد ، وللآخذ مال من بلد المعطى فيوفيه اياها ، ثم فيستفيد امن الطريق ، والآن في عرف تجار الهند يسمى هندوى وفي عرف تجار العرب حوالة .

فلما نظر إلى الغلام قال : يا راهب قد حل الفطر ، وجاء العيد ووثب إلى الغلام فاعتنقه ، وجعل يقبل عينيه ويبكي ، ووقف على السفاتج فانفذها مع درج رقعة منها إلى صديقه .

فلما كان بعد يومين حمل إلى الفي دينار ، فدفع اليه منها ثلاثمائة دينار وقال ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيفة ، فابتاع آلة وفرشاً ، ولم يزل مكباً على ما رأيت إلى ان ورد عليه بالبغال والآلات الحسنة باجتماعهم إلى صاحب مصر ، وتعريفهم اياه الحال من بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع بحطيطة المال عنه مقترن بالكتب .

فلما عمل على المسير قال لغلامه : سلم جميع ما بقى من نفقتنا إلى الراهب يصرفه في مصالح الدير إلى ان نواصل تفقده من مستقرنا وسار وما له حسرة غيرك ولا آسف إلا عليك ، وكان يقطع الاوقات بذكرك ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك ، وهو الآن بمصر على أحسن الاحوال واجلها ما يبخل بتفقدى ولا يغب برى ، فتعجلت بعض السلوة بما عرفته من حقيقة خبره ،

واتممت يومي عند الراهب ، وكان آخر العهد به ، انتهى .

﴿ غرر من رسائله الموصولة بشعره ﴾

كتب الى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً ومقامه على ابن الزيات صاحبه ، وقد عصى عليه واخذه اياه وانكفاءه بعد ذلك الى حلب :

الرياسة ايده الله سيدنا خلة موموقة ، ومرتبة مرموقة ، يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم ، ويتناولونها بحسب مراتبهم من الكرم ، فما تدرك الا بالسماح ، ولا تملك الا باطراف الرماح ، ولا تتقمص الا بالحمد ، ولا تخطب الا بلسان المجد ، فكل من ادركها طلباً واستحقها بافعاله لقباً من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد ورق الاخلاص لا التودد ، فقد حرم نيل الكمال وعدل عن الحقيقة الى المحال :

لانه الغاية القصوى التي عجزت عن ان تؤمل ادراكا لها الهمم
ما تستحق ملوك الارض مرتبة في الفضل الا له من فوقها قدم
ذكاؤه ان دجاليل الشكوك ضحى وظله ان خطا صرف الردى حرم
فلوعدا الكرم الموصوف راحته عن ان يجاوره لم يكرم الكرم

الشجاعة اقل ادواته ، والبلاغة اصغر صفاته ، يطرق الدهر اذا نطق ، وينطق المجد اذا افتخر ، فالآمال والثناء اجمع مصروف اليه ينهض بما قعدت به همم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر من معاناة مثله ، بهمم سيفية ، وعزائم علوية ، ورد شمل الدهر جديدا ، وذميم الايام حميدا ، بحق اوضحه ، وخلل اصلحه ، وهدى اعاده وضلال اباده :

فلا انتزع الله المدا حد بأسه ولا انتزع الله المدا عز نصره
واحسن عن حفظ النبي وآله ورمي رموم الدين توفير شكره
فما يدرك المداح ادنى حقوقه بأغراك منظوم الكلام ونثره

الآن ادنى نعمة تستغرق جميع الشكر وايسر منة تفوت المبالغة في جميل

الذكر ، فأما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد اثره ، المشهور بلاؤه ، الواجب ثناؤه ، الباسق فرعه ، العام نفعه ، فاشرف من أن تحده الصفات او يعد بافصح العبارات لاجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الارادة ، على مشكور العرف والمادة فيما ابتسم به من ثغر الدين ، وشمل صلاحه كافة المسلمين :

كانما ادخر الدنيا معظمه دون الملوك بسيف الدولة البطل
رآه اكرمهم في الجود ان ذكروا وصفا وافضلهم في القول والعمل
فهزه وظبا الاسياف مغمدة واستله غير منسوب الى الملل
حتى غدا الدين من بعد العبوس به جذلان يرفل من نعماه في حلل
فلو تكلم في حال وقيل له من خير هذا الورى لم يسم غير علي

وهي طويلة ، وفيما كتبته للانموذج كفاية ، والله ولي الهداية .

وله رسالة اخرى كتبها بعد وفاة سيف الدولة الى عدة الدولة ابي تغلب بن ناصر الدولة يذكر رغبته في قصده وايثاره ، الانقطاع اليه ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة :

ومن ابرز بسيدنا صفحة رجائه ، ووقف للانقطاع الى سمة نعمائه فقد استظهر لما بقي من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره فقال :

فما يقدح الفقر في حاله ولا يطمع الضر في قصده
وكيف وقد صار ضيف الغمام وهو قريب على بعده
ومن علقت بابي تغلب يداه اجتدى البدر من سعده
همام قضى الله من عرشه له بالامارة في مهده
فطود السيادة في دسته وشمس الرياسة في برده

ولما ورد الجواب عن مكتوبه مقترناً بازاحة العلة في جميع ما يحتاج اليه في سفره ، والتوقيع بالمبادرة في المسير إلى الموصل وردها ولقي ابا تغلب برسالة طويلة ، منها : أفصح دلائل الاقبال ، واصدق براهين السعادة ، أطال الله تعالى

عمر سيدنا ما شهدت العقول بصحته ، ونطقت البصائر بحقيقته ونعمة الله تعالى على الدين والدنيا بما اولاهما من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما بظل عـدله ، مفصحة بتكامل الاقبال ، مبشرة بتصديق الآمال :

محروسة ضمن الشكر الوفي لها عن الزيادة نيل السؤل والدرك
تحقق العصر ان الملك منذ نشا له ابو تغلب اسم غير مشترك
واستخلف الفلك الدوار همتـه فلو دنا اغنت الدنيا عن الفلك

موفر الحسنات ، مأمون الهفوات متناصر النصفات ربعي النفاسة ، حمداني السياسة ، ناصري الرياسة ، عطاردي الذكاء ، موفق الآراء ، شمسي التأثير ، قمري التصوير ، فلكي التدبير ، للصدق كلامه ، وللعدل احكامه والوفاء ذمامه ، وللحسام غناؤه ، وللقدر مضاؤه ، وللسحاب عطاؤه :

دعوته فأجابتني مـكارمه ولو دعوت سوى نعماه لم يجب
وجدته الغيث مشفوعاً بعادته والروض تحيا بها في عادة السحب
لو فاته النسب الوضاح كان له من فضله نسب يغنيه عن نسب
إذا دعته ملوك الارض سيدها طراً دعته المعالي سيد العرب

فاجمل بره وتقبله مدة بقائه بحضرته إلى ان سار منها إلى مدينة السلام يعني بغداد ، سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .

وجعل يعاود الموصل مرة ومدينة السلام اخرى .

﴿ ذكر ما دار بينه وبين ابي اسحاق الصابي ﴾

كان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فاتفق ان ابا الفرج قدم مرة بغداد وابو اسحاق الصابي معتقل بها منذ مدة بعيدة ولم يصبر عنه فزاره في محبسه ، ثم انصرف عنه ، ولم يعاوده ، فكتب اليه ابو اسحاق :

ابا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزل يزيدك صرف الدهر حظاً اذا نقص

مضى زمن تستام ودى غالياً فأرخصته والبيع غال ومرتخص
وآنستني في محبسي بزيارة شفت كمداً من صاحب لك قدخلص
ولكنها كانت كحسوة طائر فوافى كما يستفرص السارق الفرص
واحسبك استوحشت من ضيق محبسي واوجست خوفا من تذكرك القفص
كذا الكرز اللماح ينجو بنفسه إذا عاين الاشراك تنصب للقنص
فحوشيت يا قس الطيور بلاغة إذا أنشد المنظوم او درس القصص
من المنسر الاسنى ومن حزة المدى ومن بندق الرامي ومن قصة المقص
ومن صعدة فيها من الدبق لهذم لفرسانكم عند الطراد بها قنص
فهذي دواهي الطير وقيت شرها إذا الدهر من احداثه جرع الغصص

فأجابه ابو الفرج في الحال مع رسوله :

ايا ماجداً مذ عم الجود ما نكص وبدر تمام مذ تكامل ما نقص
ستخلص من هذا السرار وانما هلال توارى بالسرار فما خلص
برأفة تاج الملة الملك الذى لسودده في خطة المشتري حصص
تقنصت بالالطاف شكرى ولم اكن علمت بان الحر بالبر يقتنص
وصادفت ادنى فرصة فانتهزتها بلقياك إذ بالحزم تنتهز الفرص
اتتنى القوافي الباهرات تحملت بدائع من مستحسن الجد والرخص
فقابلت زهر الروض منها ولم ارع واحرزت در البحر منها ولم اغص
فان كنت بالببغاء قدماً ملقباً فكم لقب بالجور لا العدل مخترص
وبعد فما اخشى تقنص جارح وقلبك لي وكر ورأيك لي قفص

فأنهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة ، فاعجب بهما فاستظرفهما ، وكان ذلك احد اسباب اطلاق ابى اسحاق من اعتقاله .

ثم اتصلت بينهما المودة والمكاتبة وكتب ابو اسحاق إلى ابى الفرج ابياتاً في صفة القبج والخطاطيف .

ثم كتب اليه هذه الارجوزة في صفة الببغا :

انعتها صبيحة مليحه	ناطقة باللغة الفصيحة
عدت من الاطيار واللسان	موهم لي انها انسان
تنهي إلى صاحبها الاخبارا	وتكشف الاسرار والاستارا
سكاء إلا انها سميعه	تعيد ما تسمعه طبيعه

قلت : قوله سكاء ، أي لا اذن لها ، وكل الطير سك

وربما لقنت المضيهه	فتغتدي بزية سفيهه
زارتك من بلادها البعيده	واستوطنت عندك كالقعيده
ضيف قراه الجوز والارز	والضيف في ابياتنا يعز
تراه في منقارها الخلوق	كلؤلؤ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصين	في النور والظلماء بصاصين
تميس في حلتها الخضراء	مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدة خدورها الاقفاص	ليس لها من حبسها خلاص
نحبسها وما لها من ذنب	وانما نحبسها للحب
تلك التي قلبي بها مشغوف	كنيت عنها واسمها معروف
تشرك منها شاعر الزمان	والكاتب المعروف بالبيان
ذلك عبد الواحد بن نصر	تقيه نفسي حادثات الدهر

فأجابه ابو الفرج بهذه الارجوزة :

من منصفي من حكم الكتاب	شمس الشموس قمر الآداب
اضحى لاوصاف الكمال محرزا	وسام ان يلحق لا يبرزا
وهل يجاري السابق المقصر	ام هل يساوي المدرك المقدر
ما زارني عن عرض ممرضا	ولي بما يصدره مستنهضا
فتارة يعتمد الخطافا	ببدع تستغرق الاوصافا

وتارة يعني بنعت القبج ... من منطق لفضله محتج
يحوم حول غرض معلوم ... ومقصد في شعره مفهوم
حتى تجلت رغوة الصريح ... وسلم التلويح للتصريح
وصح ان الببغاء مقصده ... بكل ما كان قديماً يورده
فلم يدع لقائل مقالا ... فيها ولا لخاطر مجالا
اهدى لها من كل نعت احسنه ... وصاغ من حلى المعاني ازينه
احال بالريش الاثيث الاخضر ... وباحمرار طوقها والمنقر
حكى اختلاط الروض بالشقيق ... واحمر المياه بالعقيق
تزهى بدراج من الزمرد ... ومقلة في كسبج فى عسجد
وحسن منقار اشم قاني ... كأنما صيغ من المرجان
صيرها انفرادها في الجنس ... بنطقها من فصحاء الانس
عيزت في الطير بالبيان ... عن كل مخلوق سوى الانسان
تحكي الذي تسمعه بلا كذب ... من غير تغيير بجد او لعب
غذاؤها ازكى طعام وغدا ... لاتشرب الماء ولا تخشى الصدا
ذات شفا تحسبه يا قوتا ... لا ترتضي غير الارز قوتا
كأنما الحبة في منقارها ... حبابة تطفو على عقارها
اقدامها ببأسها الشديد ... اسكنها في قفص الحديد
فهى كخود في لباس اخضر ... تأوى إلى خركاهة لم تستر
ووصفها المعجز ما لا يدرك ... ومثله من غيرها لا يملك
لو لم تكن لي لقباً لم اختصر ... لكن خشيت ان يقال منتصر
وانما تبعت باستحقاق ... لوصفها حذو أبي اسحاق
شرفها وزاد في تشريفها ... بحكم ابدع في تفويفها
فكيف اجزي بالثناء واللقب ... من صرح المدح إلى اسمي واللقب

وكتب اليه ابو اسحاق بأحسن ما قيل في مدح الالثغ :

ابا الفرج استحققت نعتاً لاجله ... تسميت من بين الخلائق ببغا
بياناً منيراً كالجبين مضمناً ... نضاراً من المعنى اذيبا وافرغا
فلولامرىء القيس ابتدأت مجاريا ... كبا او لقيس في فصاحته صغا
متى ما يرم ذا الاسم غيرك رائم ... ليبلغ من غايات فضلك مبلغا
فانى اسميه به ثم انثني ... فأسلبه باء من الاسم إذ بغى
إذا انا سامت البلاغة طائعاً ... اليك فأي الناس خالفني طغى
كفتك على رغم الحسود شهادتي ... بان كنت منه ثم مني ابلغا
وما هجنت منك المحاسن لثغة ... وليس سوى الانسان تلفاه الثغا
انعرفها فيما تقدم حاكياً ... لعير إذا ما صاح او جمل رغا
فيالك حرفاً زدت فضلا بنقصه ... فاصبحت منه بالكمال مسوغا
بقيت ولا تعدم بقاء مرفهاً ... وعشت ولا تفقد معاشاً مرفغا

ما يتغنى به من شعر ابي الفرج :

لقد عز العزاء علي لما ... تصدى لي ليقتلني الصدود
إذا بعد الحبيب فكل شيء ... من الدنيا ولذتها بعيد

وقوله :

يا سادتي هذه روحي تودعكم ... إذ كان لاالصبر يسليها ولاالجزع
قد كنت اطمع في روح الحياة لها ... فالآن إذ بنتم لم يبق لي طمع
لا عذب الله روحي في المقام فما ... اظنها بعـــدكم بالعيش تنتفع

وقوله :

او ليس من احد العجائب انني ... فارقته فحييت بعـد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه ... ارحم فتى يحكيه عند محاقه

﴿ غرر من شعره في الغزل ﴾

قال الثعالبي : انشدت لابي الفرج في رمد المحبوب ، وهو احسن ما سمعته في معناه :

بنفسي مايشكوه من راح طرفه ونرجسه مما دهى حسنه ورد
اراقت دمى ظلماً محاسن وجهه فأضحت وفي عينيه آثارها تبدو
غدت عينه كالخد حتى كأنما سق عينه من ماء توريده الخد
لئن اصبحت رمداء مقلة مالكي لقد طالما استشفت بها مقل رمد

وله في الفصد :

بابي الغائب الذي لم يغب عني فاشكو اليه هم المغيب
باشرته يد الطبيب فلو نلت الاماني قيدت كف الطبيب
فعلت في ذراعه ظبة المبضع افعال لحظه في القلوب
فاسالت دماً كأن جفوني عصفرته بدمعها المسكوب
طاب جداً فلو به سمح الدهر لامسى عطري واصبح طيبي

وله في غلام خرج غازيا :

يا غازيا اتت الاحزان غازية إلى فؤادي والاحشاء حين غزا
ان بارزتك كماة الروم فارمهم بسهم عينيك تقتل كل من برزا

وله في صفة معصرة :

ومعصرة انخت بها وقرن الشمس لم يغب
فخلت قرارها بالراح بعض معادن الذهب
وقد ذرفت لفقد الكرم فيها اعين النهب
وجاش عباب واديها بمنهل ومنسكب
وياقوت العصير بها يلاعب لؤلؤ الحبب

فيا عجباً لعاصرها وما يغني به عجبي
وكيف يعيش وهو يخوض في بحر من اللهب

وله في عتيق الخمرة ، وهو ابلغ ما قيل :

وعريقة الانساب والشيم موجودة والخلق في العدم
قدمت فما تعزى إلى حدث إلا إذا عزيت الى الهرم
هي آدم الكرم المولد في الدنيا وحوا الخمر في القدم
كملت فضائلها وقصر عن اوصافها الاغراق في الكلم
ظهرت ونور الصبح عن فلك من قبل خلق الصبح والظلم
فانهل جوهرها بمنسكب لم يعتصر بيد ولا قدم
واثبتوا معنى السلاف لها من كونها في سالف الامم
فكأنها في صفوها خلق وكأنها في عتقها كرم

وله في الورد :

زمن الورد اظرف الازمان واوان الربيع خير اوان
اشرف الزهر زار في اشرف الدهر فصل فيه اشرف الاخوان
أدرك النرجس الجني وفزنا منهما بالخدود والاجفان
واجل شمس العقار في يد بدر الحسن يخدمك منهما النيران
ما تراه كالخوط يزهي على الورد بورد بستانه الوجنتان
وادرها عذراء وانتهز الامكان من قبل عائق الامكان
في كؤس كأنها زهر الخشخاش ضمت شقائق النعمان
واختدعها عند النزال بالفاظ المثانى ومطربات الاغانى
فهي اولى من العرائس ان زفت بعزف النايات والميدان

وله في النرجس :

ونرجس لم يعد مبيضه الكاس البهى والاصفر الراحا

تخال اقحاف لجين حوت من اصفر المسجد اقداحا
كأنها تهدي انتخابا به لطفاً الى الارواح ارواحا
تلهى عن الورد إذا ما دنا ويخلف المسك اذا فاحا
احبب به من زائر راحل عوض بالاحزان افراحا
فانتهز الفرصة في قربه وكن الى اللذات مرتاحا
وهاتها عذراء لم تفترع في الليل الا عاد اصباحا
كأنما كل بنان حوت كاساتها تحمل مصباحا
واجن بالحائط من وجنتي مديرها ورداً وتفاحا

﴿ غرر من شعره في سائر الفنون ، قوله : ﴾

صحبت الدهر في سهل وحزن وجربت الامور وجربتني
فلم ار مذ عرفت محل نفسي بلوغ غنى يساوى حمل من
ولم تتضمن الدنيا لحظي منال مسرة الا بحزن
حملت على السوابق ثقل همي وشاهدت العواقب صفو ذهني
وشمت بوارق الآمال دهراً فلم اظفر على ظمأ بمزن
ولم أر كالجياد اصح ودا اذا عدل الودود الى التضني
نـكلفها عزائمنا فتـكفي ونستدنى الحظوظ بها فتدنى
وهبت لمثل قطع الليل منها اغر كمثل ضوء الصبح مسني
فكنت بحيث ظن من اعتزام وكان من المضاء بحيث ظني
وثالثنا ابن جد لا يرى ان يصاحب في تصرفه ابن وهن
حجبت بجفنه الابصار عنـه ومن لي ان يكون الجفن جفني
سقيت نداى ما انسى محلى وارفع همتي واعز ركني
رسا في تربة العلياء اصلي واينع فى مروج العز غصني

وليس علي غير الجد فيما سميت له لأستغنى واغني

فان احرم فلم احرم لعجز وان ابلغ فنفسي بلغتني

وله من اخرى :

ما الذل إلا تحمل المنن فكن عزيزاً ان شئت او فهن

إذا اقتصرنا على اليسير فما العلة في عتبنا على الزمن

وله من اخرى في سعد الدولة بن سيف الدولة :

لا غيث نعماه في الورى خلب البرق ولا ورد جوده وشل

جاد إلى ان لم يبق نائله مالا ولم يبق للورى امل

وله من اخرى رحمه الله تعالى :

من كل متسم الاخلاق متسم للخطب ان ضاقت الاخلاق والحيل

يسعى به البرق إلا انه فرس من فوقه الموت إلا انه رجل

يلقى الرماح بصدر ليس له ظهر وهادي جواد ما له كفل

وله من اخرى :

قادوا الجياد إلى الجياد عوابسا شعثاً ولو لا بأسه لم تنقد

في جحفل كالسيل او كالليل او كالقطر صافح موج بحر مزبد

متوقد الجنبات تعتنق القنا فيه اعتناق تواصل وتودد

مثعنجر بظبى الصوارم مبرق تحت العجاجة بالصواهل مرعد

رد الظلام على الضحى واسترجع الاظلام من ليل العجاج الاربد

وكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين اهلة في الجلمد

وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الاثمد

ما احسن هذا التشبيه واوقعه ، وكل هذه الاوصاف ما لا يزيد عليها حسناً وبراعة ، والله اعلم .

هذه قصيدة (بانت سعاد) في مدح خير العباد ، لكعب بن زهير بن ابي

سلمى المزني ، انشدها بحضرة سيد البشر ، وقصته مشهورة في السير :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم اثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا ... إلا اغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يشتكي قصر منها ولا طول

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول

شجت بذي شبم من ماء محنية ... صاف بابطح اضحى وهو مشمول

تنفي الرياح القذى عنه وافرطه ... من صوب سارية بيض يعاليل

سقياً لها خلة لو انها صدقت ... موعودها او لون النصح مقبول

لكنها خلة قد سيط من دمها ... فجع وولع واخلاف وتبديل

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تلون في اثوابها الغول

اصله تتلون بتاءين ، حذف احدهما للوزن ، والغول السعالي وهو نوع من الجن واحدها : سعلاة ــ بكسر المهملة ــ يقال انها تظهر في صفات مختلفة .

وقيل السعلاة تتراآي بالنهار ، والغول : هي التي تتراآى بالليل .

قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا تغولت الغيلان فارفعوا أصواتكم بالاذان

وما تمسك بالوعد الذي زعمت ... إلا كما يمسك الماء الغرابيل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيدها إلا الاباطيل

عرقوب هذا قدمنا ذكره وقصته في اول هذا الكتاب .

والاباطيل جمع ابطيل ، كاكليل ، وتحرير مبالغة من الباطل .

ارجو وآمل ان تدنو مودتها ... وما اخال لدينا منك تنويل

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... ان الاماني والاحلام تضليل

امست سعاد بارض لا تبلغها ... إلا العتاق النجيبات المراسيل

ولن يبلغها إلا عذافرة ... فيها على الاين ارقال وتبغيل

الارقال : الاسراع ، والتبغيل : مشي يشبه سير البغال .

من كل نضاحة الذفرى إذا عرقت　　عرضتها طامس الاعلام مجهول

ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق　　إذا توقدت الحزان والميل

ضخم مقلدها طهم مقيدها　　في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

غلباء وجناء علكوم مذكرة　　في دفها سمة قدامها ميل

وجلدها من اطوم لا يؤيسه　　طلح بضاحية المتنين مهزول

حرف اخوها ابوها من مهجنة　　وعمها خالها قوداء شمليل

قوله : حرف ، أي ناقة عظيمة تشبه حرف الجبل ، أي جانبه ، وهذا أنسب من قول بعضهم : هي الناقة الضامرة ، شبهها بحرف الكتابة .

وقوله : ابوها اخوها من مهجنة ، ابل منسوبة إلى الهجان ، وهي البيض والنجابة تكون في البيض غالباً .

وقوله : وعمها خالها ، اراد ان فحلاً نزا على بنت فجاءت منه بفحلين فنزا احدهما على امه فجاءت منه بهذه الناقة ، فالذي نزا بها هو ابوها واخوها لامها واخوه الذي لم ينز عمها لكونه اخا ابيها لابيه وامه ، وهو خالها ايضاً لانه اخو امها لابيها ، لان اباه وابا امها الفحل الاكبر ، وهذا من اكرم النتاج لانها من جنس واحد في الكرم ، ولا يتصور هذا في الآدميين إلا المجوس ، نعوذ بالله من حالهم.

يمشي القراد عليها ثم يزلقه　　عنها لبان واقراب زهاليل

عيرانة قذفت بالنحض عن عرض　　مرفقها عن بنات الزور مفتول

كأنما قاب عينيها ومذبحها　　من خطمها ومن اللحيين برطيل

تمر مثل عسيب النخل ذا خصل　　في غارز لم تخونه الاحاليل

الاحاليل : جمع احليل بكسر الهمزة ، كاكليل وهو مخرج اللبن من الضرع .

قنواء في حدبتيها للبصير بها　　عتق مبين وفي الخدين تسهيل

يروى انه ﷺ لما سمع هذا البيت قال لاصحابه : ما معنى حدبتيها ؟ قال بعضهم العينان ، وسكت بعضهم ، فقال ﷺ حدبتاها اذناها .

تخدى على يسرات وهي لاحقة ذوابل وقعهن الارض تحليل

سمر العجايات يتركن الحصار بما لم يوقهن رؤوس الاكم تنعيل

كأن اوب ذراعيها إذا عرقت وقد تلفع بالقور المساقيل

يوما يظل به الحرباء مصطخدا كان ضاحيه بالنار مملول

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا

شد النهار ذراعا عيطل نصف قامت فجاء بها نكد مثاكيل

نواحة رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول

تفرى اللبان بكفيها ومدرعها مشقق عن تراقيها رعابيل

تسعى الوشاة بجنبيها وقولهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول

اشار بذلك إلى ما كتب به اليه اخوه بجير بان رسول الله ﷺ قد اهدر دمك وماحسبك ناجياً إلا إذا أتيته مسلما فانه ماجاء مسلم إلاقبله ولم يطالبه بدمه

وقال كل خليل كنت آمله لا ألهينك اني عنك مشغول

أي مشغول فيما انا فيه من الهم والخوف ، لان العرب كلها قد خافت رسول الله ﷺ أي بمقتضى قوله صلى الله عليه وآله وعلى اصحابه وسلم نصرت بالرعب .

فقلت خلوا سبيلي لا اباً لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

أراد بالآلة الحدباء النعش ، وسميت حدباء لارتفاعها على المناكب غالباً ، والحدب المكان المرتفع من الارض ، ومنه قوله تعالى (وهم من كل حدب ينسلون) أي يخرجون ويسمى المرتفع من الارض حدبا لخروجه عن استوائها ، فصار في معنى الاعوجاج ، اي كل حي لا بد ان تصيبه مصيبة الموت بمقتضى قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) سواء كانت نفس الآدمي او غيره ، فيصعب عليه خروج روحه ويصير بحيث يحتاج ان يحمل على النعش وان لم يحمل :

نبئت ان رسول الله اوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

يقال في الشر اوعد ، وفي الخير وعد .

مهلا هداك الذي اعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني باقوال الوشاة ولم اذنب ولو كثرت في الاقاويل
لقد اقوم مقاماً لو يقوم به اری واسمع ما لو يسمع الفيل
لظل ترعد من خوف بوادره ان لم يكن من رسول الله تنويل
حتى وضعت يميني لا انازعه في كف ذي نقمات قيله قيل
فلهو اخوف عندي إذ أكلمه وقيل انك منسوب ومسئول
من خادر من ليوث الاسد منزله ببطن عثر غيل دونه غيل
يعدو فيلحم ضرغامين عيشهما لحم من القوم معفور خراديل
إذا يساور قرناً لا يحل له ان يترك القرن إلا وهو مفلول
منه تظل حمير الوحش نافرة ولا تمشي بواديه الاراجيل
ولا يزال بواديه اخو ثقة مضرج البز والدرسين مأكول
ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

أي نور يستضاء به صلى الله عليه وآله وسلم في ظلال الشرك ومشكلات العلوم وعبر بالنور لا بالشمس والقمر ، لما يطرأ عليهما من الكسوف والخسوف ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم سيف مشهور على اعدائه ، وانما سماه سيفاً على سبيل المجاز ، وإلا فهو عليه الصلاة والسلام اعظم من ذلك ، وسيف شريعته مسلول على اعدائه إلى يوم القيامة .

روي انه صلى الله عليه وآله وسلم التفت إلى اصحابه حين انشد هذا البيت كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر ، وانه صلى الله عليه وآله وسلم خلع عليه بردته ، فمن ثم صارت الملوك تخلع على من مدحهم .

في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما اسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل

شم العرانين ابطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل

بيض سوابغ قد شكت لها حلق كأنها حلق القفعاء مجدول

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابيل

ولما فهم صلى الله عليه وآله انه عرض بالانصار في هذا البيت حتى قال بعضهم قبل ذلك دعني اضرب عنقه يارسول الله ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : هلا ذكرت الانصار بخير فانهم أهل لذلك ، فانشد بعد ذلك قصيدته الرائية التي يقول فيها :

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالح الانصار

ثم اخذ يمدحهم إلى ان قال :

ضربوا عديا يوم بدر ضربة ذلت لوقعتها جميع نزار

عود . . . .

لا يفرحون إذا نالت رماحهم يوما وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

لا يقطع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

أي مالهم نكوص عن الموت وجبن ، يقال هلل من كذا إذا نكص وتأخرعنه وكني عن حومة الحرب بحياض الموت لان الحرب من لوازمها الموت غالباً من الطرفين او احدهما ، وسماها حياضه اشارة إلى انهم يشتاقون اليها كما تشتاق الابل العطاش إلى حياض الماء ، والله اعلم وصلى الله على النبي المكرم وآله وصحبه وسلم .

ذكر الشيخ برهان الدين الموصلي وكان رجلا عالماً صالحاً ورعا ، قال : توجهنا من مصر إلى مكة المشرفة آمين البيت الحرام ، فلما كنا في اثناء الطريق نزلنا منزلا فخرج علينا ثعبان عظيم ، فتبادر اليه الناس لقتله وسبقهم اليه ابن عمي فقتله فخطف ابن عمي في الحال ، ونحن ننظره ونرى سعيه ، ولا نرى الجنى ، فتبادر الناس على الخيل والركاب يريدون رده فلم يقدروا على ذلك بل راح سعياً وهم ينظرون اليه فحصل لنا من ذلك امر عظيم .

فلما ان كان آخر النهار لم نشعر إلا وقد اقبل علينا وعليه السكينة والوقار

فلقيناه وسألناه عن حاله فقال لنا : ما هو إلا ان قتلت الثعبان الذي رأيتموه فصنع بى ما رأيتم ، وإذا انا بين قوم من الجن يقول لي بعضهم: قتلت ابى و بعضهم يقول : قتلت اخي ، وبعضهم يقول: قلت ابن عمي ، وتكاثروا علي ، وإذا برجل آتى إلى جانبي وقال خفيـــــة : قل لهم انا بالله وبالشريعة المحمدية ، فقلت لهم ذلك فأشار ذلك الرجل اليهم ان سيروا به إلى الشرع ، فسرنا حتى وصلنا إلى شيخ كبير جالس على مرتبة ، فلما صرنا بين يديه قالوا خلوا سبيله وادعوا عليه ، فقال الاولاد ندعي عليه انه قتل ابانا ، فنظر إلى القاضى وقال : ما تقول ؟ فقلت : حاشا وكلا انما نحن وفد بيت الله الحرام نزلنا هـذا المنزل فخرج علينا ثعبان عظيم فتبادر الناس إلى قتله فسبقتهم انا بضربة فقتلته .

فلما ان سمع القاضى مقالتي قال لهم : خلوا سبيله وردوه إلى مأمنه فانى سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ليلة نخلة وهو يقول من تزيا بغير زيه فقتل فلا دية ولا قود .

قال : فتبادروا إلي وحملوني من مكانهم إلى ان جاؤا بي إلى المنزل واروني القافلة ، فهذه قصتي والحمد لله رب العالمين .

للامام الرازى :

نهاية اقدام العقول عقال ... وغاية سعى العالمين ضلال
ولم نستفد من سعينا طول عمرنا ... سوى ان جمعنا فيه قيل وقال
وارواحنا محبوسة في جسومنا ... وحاصل دنيانا اذى ووبال

للامام الشافعي :

لا يدرك الحكمة من عمره ... يكدح في مصلحة الاهل
ولا ينال العلم إلا فتى ... خال من الافكار والشغل
لو ان لقمان الحكيم الذي ... سارت به الركبان بالفضل
بلي بفقر وعيال لما ... فرق بين التيس والبغـــــل

للسراج الوراق في جوخة بالية قلبها :

يا صاح جوختي الزرقاء تحسبها　　من نسج داود في سرد واتقان
قلبتها فغدت اذ ذاك قائلة　　سبحان من قدبلى قلبي وابلاني
ان النفاق قديماً لست اعرفه　　فكيف يطلب مني الآن وجهان

لابن دانيال في المجون :

ما عاينت عيناي في عطلتي　　أقل من حظي ومن بختي
قد بعت عبدي وحماري وقد　　اصبحت لا فوق ولا تحتي

لما احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه تحسر عند موته ، فقيل له : على ما ذا تأسف يا ابا عبد الله ؟ فقال : ليس تأسفي على الدنيا ، ولكن رسول الله (ص) عهد الينا وقال ليكن بلغة احـدكم كزاد الراكب ، وأخاف ان نكون جاوزنا امره وحولي هذه الاشياء ـ واشار الى ما في بيته ـ فاذا هو سيف ودست وجفنة .

قال علي بن بسام البغدادي : كنت اعشق غـلاماً جميلا لخالي ابن حمدون فنمت ليلة عنده وقمت لادب عليه فلسعتني عقرب ، فصحت فانتبه خالي وقال لي : ما اتى بك الى هنا ؟ فقلت : قمت لابول ، فقال : صدقت ولـكن في است غلامي فحضرني اذ ذاك هذه الابيات فقلت :

ولقد سريت مع الظلام لموعد　　حصلتـه من غادر كذاب
فاذا بعقرب في الطريق كبيرة　　سوداء قد علمت اوان ذهابي
لا بارك الرحمن فيها انها　　دبابة دبت على دباب

من عيون اخبار الرضى ما انشده علي بن موسى الرضا عليه السلام للمأمون هذه الابيات :

اذا كان دوني من بليت بجهله　　ابيت لنفسي ان تقابل بالجهل
وان كان مثلي في محلي من النهى　　اخذت بحلمي كي اجل عن المثل
وان كنت ادنى منه في الفضل والحجى　　عرفت له حق التقدم والفضل

اورد بعض المفسرين عند قوله تعالى : (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) ان العمل الصالح يقول لصاحبه يوم القيامة عند مشاهدة الاهوال اركبني ، فطالما ركبتك في الدنيا ، فيركبه ويتخطى به شدائد يوم القيامة .

قال علي بن ابي طالب عليه السلام : لا ينال العبد الكرامة حتى يكون على احد صنفين: أما ان يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالقه ، وان احداً لا يقدر على ان يضره او ينفعه ، وأما ان يسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي بأي حال يراه الناس .

اوحى الله سبحانه إلى عزير : ان لم تطب نفساً بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين .

الخطاف : لا يتغذى إلا بالشعر ، ولا يأكل شيئاً مما يأكله بنو آدم ، وما احسن ما قال الشاعر في هذا المعنى :

كن زاهداً فيما حوته يد الورى   تضحى إلى كل الانام حبيبا
او ما ترى الخطاف حرم زادهم   فغدا مقيما في البيوت ربيبا

وقال علي عليه السلام : اشد الاعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ومواسات الاخوان بالمال ، وانصاف الناس من نفسك .

﴿ في آخر كتاب من لا يحضره الفقيه ﴾

روى الحسن بن محبوب عن الهيثم بن واقد قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول : من اخرجه الله عز وجل من ذل المعاصي إلى عز التقوى اغناه بلا مال واعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا انيس ، ومن خاف الله عزوجل اخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله عز وجل اخافه الله من كل شيء ، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضى الله منه باليسير من العمل ، ومن زهد في الدنيا اثبت

الله الحكمة في قلبه ، وانطق بها لسانه ، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام .

روى عن ابى عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام قال: من قرأ في المصحف متع ببصره وخفف عن والديه ، ولو كانا كافرين .

وروي عنه ايضاً حين سأله اسحاق بن بكار قال له : جعلت فداك انى احفظ القرآن على ظهر قلبي افأقرأه على ظهر قلبي افضل او انظر في المصحف ، قال : بل اقرأه وانظر في المصحف أما علمت ان النظر في المصحف عبادة .

ولله در من قال :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ما دام حياً فاذا ما ذهب
جد به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب

قال علي عليه السلام : إذا ملىء البطن من المباح ، عمي القلب من الصلاح ، إذا أتتك المحن اقعد لها ، فان قيامك زيادة لها ، إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك البلاء فقد ايقظك، إذا لم يكن ما تريد فارض بما يريد، إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، استشر اعداءك تعرف من رأيهم مقدار عداوتهم ومواضع مقاصدهم.

قال بعض الملوك : من والانا اخذنا ماله ، ومن عادانا اخذنا رأسه .

وقيل في الملوك : هم جماعة يستكثرون من الكلام الجواب ، ويستقلون من العقاب ضرب الرقاب .

وقال بعض العارفين : السلطان والمال والجند والرعية كالخيمة والعمود والاطناب والاوتاد .

قال بعض الحكماء لابنه : يا بنى خذ العلم من افواه الرجال ، فانهم يكتبون احسن ما يسمعون ، ويحفظون احسن ما يكتبون ، ويوردون احسن ما يحفظون .

قال ابو ذر رضي الله عنه : يومك جملك إذا قدت رأسه اتبعك سائر

جسده ، معناه : إذا عملت في اول نهارك خيراً كان ذلك متصلا إلى آخره .

قال مسلم بن الوليد يمدح يزيد بن مزيد الشيباني :

تراه في الامن في درع مضاعفة   لا يأمن الدهر ان يدعى على عجل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه   ولا يمسح عينيه من الكحل

يقال : ان هارون الرشيد لما سمع البيت الاول ، وفهم انه لمن وفيمن طلب يزيد بن مزيد المذكور فاحضر وعليه ثياب ملونة معطرة ، فلما نظره الرشيد في تلك الحالة قال له : اكذبت شاعرك يا يزيد ؟ قال : فيم يا امير المؤمنين ؟ قال : في قوله : (تراه في الأمن . . . الخ . .) فقال : لا والله ما اكذبته ، وان الدرع مايفارقني ابداً ، وكشف ثيابه فاذا عليه درع ، فامر الرشيد بحمل خمسين الف درهم إلى مسلم المذكور .

ويقال : ان يزيد المذكور لما سمع البيت الثاني قال : منعني مسلم من الطيب فما رؤي بعد ذلك ظاهر الطيب ومكحلا بعد ان كان اعطر الناس في زمانه ، وكان يقول : الله بيني وبين مسلم حرمني احب الاشياء إلي .

قال علي عليه السلام : ابن آدم اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما يحمل العذرة . وقد نظمه الشاعر فقال :

عجبت من معجب بصورته   وكان من قبل نطفة مذره

وفي غد بعد حسن منظره   يصير في الارض جيفة قذره

وهو على عجبه ونخوته   ما بين هذين يحمل العذره

لما ظلم احمد بن طولون قبل ان يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة فشكوه اليها فقالت لهم : متى يركب ؟ قالوا : في غد ، فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت : يا احمد بن طولون ، فلما رآها عرفها وترجل عن فرسه واخذ الرقعة منها وقرأها ، فاذا فيها مكتوب : ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم، وددت عليكم الارزاق فقطعتم ، هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار

نافذة سيما من قلوب اجعتموها ، واجساداً عريتموها ، اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا مستجيرون ، واظلموا فانا متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، قال : فعدل من وقته وساعته . . انتهى .

﴿ ترجمة أبي علي محمد بن الحسين بن مقلة الكاتب ﴾

قال ابن خلكان : كان ابن مقلة اول امره يتولى بعض اعمال فارس يجبي خراجها ، وترقت حاله إلى ان استوزره الامام المقتدر بالله وخلع عليه لاربع عشرة ليلة بقيت من ربيع سنة ست وثلثمائة ، ثم نفاه إلى فارس بعد ان صادره .

ثم استوزره الامام القاهر بالله فارسل اليه رسولا إلى بلاد فارس يجيء به ورتب نائباً عنه ، فوصل ابن مقلة من فارس بكرة يوم الاضحى من سنة عشرين وثلثمائة ، وخلع عليه ، ولم يزل وزيره حتى اتهمه ، فامر علي بن ياقوت بالفتك به وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر في داره اول شعبان سنة احدى وعشرين وثلثمائة .

ولما ولى الراضي بالله لست خلون من جمادي الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة كان المظفر وابن ياقوت مستحوذين على امور الراضي بالله ، وكان بينهما وبين ابن مقلة وحشة ، فقرر ابن ياقوت جماعة من الغلمان الحجرية انه إذا جاء ابن مقلة اقبضوا عليه ، وان الخليفة لا يخالفهم في ذلك ، وربما سره هذا الامر ، فلما حصل الوزير في دهليز دار الخلافة وثب الغلمان عليه ومعهما ابن ياقوت المذكور فقبضوه وارسلوه إلى الراضي يعرفوه صورة الحال ، وعددوا له ذنوبا واسبابا تقتضي ذلك ، فرد جوابهم وهو يستصوب رأيهم فيما فعلوه ، وذلك يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادي الاولى سنة اربع وعشرين وثلثمائة .

واتفق رأيهم على تفويض الوزارة لابي علي عبد الرحمن بن عيسى بن داود الجراح فقلده الراضي الوزارة ، وسلم اليه ابا علي بن مقلة ، فضربه بالمقارع وجرى

عليه من المكاره بالتعليق ، وغيره من العقوبة شيء كثير واخذ خطه بالف الف دينار ، ثم خلص وجلس بطالا في داره .

ثم ان ابا بكر محمد بن دايف استولى على الخلافة وخرج عن طاعتها ، فانفذ اليه الراضي واستماله وفوض اليه تدبير المملكة وجعله امير الامراء ، ورد اليه تدبير امر الخراج والضياع في جميع النواحي ، وامر ان يخطب له على جميع المنابر فقوي امره وعظم شأنه ، وتصرف على حسب اختياره ، واحتاط على املاك ابن مقلة وضياعه واملاك ولده ابي الحسين ، فحضر اليه ابن مقلة وإلى كاتبه وتذلل لهما في الافراج في املاكه ، فلم يقع منهما إلا على المواعيد .

فلما رأى ابن مقله ذلك اخذ في السعي لابن رائق المذكور من كل جهة فكتب إلى الراضي يشير عليه بامساكه والقبض عليه ، وضمن له انه متى ما فعل ذلك وولاه الراضي استخرج له ثلثمائة الف الف دينار .

وكانت مكاتيبه على يد هارون المنجم النديم فاطمعه الراضي بالاجابة إلى ما سأل ، وترددت الرسل بينهما في ذلك ، فلما استوثق ابن مقلة من الراضي واتفق ان ينحدر اليه سر او يقيم عنده إلى ان يتم التدبير .

فركب من داره وقد بقي من شهر رمضان ليلة واحدة ، فاختار هذا الطالع ان القمر يكون تحت الشعاع ، وهو يصلح للامور المستورة .

فلما وصل إلى دار الخليفة لم يمكنه الوصول اليه ، فاعتقله في حجرة ووجه الراضي من غد إلى ابن رائق واخبره بما جرى ، وانه احتال على ابن مقلة حتى حصل في اسره وترددت بينهما المراسلات في ذلك .

فلما كان رابع عشر شوال سنة ست وعشرين وثلثمائة اظهر الراضي ، امر ابن مقلة واخرجه من الاعتقال وحضر حاجب ابن رائق وجماعة من القواد وتقابلا.

وكان ابن رائق قد التمس من الراضي قطع يد ابن مقلة اليمنى التي كتب بها المطالعة ، فلما انتهى كلامهما في المقابلة قطعت يده اليمنى ورد إلى محبسه .

ثم ندم الراضي على ذلك وامر الاطباء بملازمته للمداوات ، فلازموه حتى برى وكان ذلك بنتيجة دعاء ابي الحسن محمد بن شنبوذ بقطع يده ـ وقد تقدم لك ذكره ـ فكان من عجيب الاتفاق .

وقال الحسن بن ثابت بن قرة الطبيب كنت ادخل لمعالجته وهو في تلك الحالة فكان يسألني عن ابنه ابي الحسن فاعرفه ايساره وسلامته ، فتطيب نفسه ثم ينوح على يده ، ويبكي ويقول : خدمت بها الخلفاء ، وكتبت بها القرآن العظيم دفعتين تقطع كما تقطع ايدي اللصوص ، فاسليه ، وأقول هذا انتهاء المكروه فينشد :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فان البعض من بعض قريب

ثم عاد وارسل إلى الراضي من الحبس واطمعه في المال ، وطلب الوزارة وقال ان قطع اليد ليس مما يمنع الوزارة ، وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به .

ولما قدم محمد التركي من بغداد ، وكان من المنتمين إلى ابن رائق امر بقطع لسانه ايضاً فقطع واقام في الحبس مدة طويلة ولم يكن له من يخدمه فكان يستقي الماء لنفسه من البئر بيده اليسرى جذبة وبفمه جذبة اخرى .

وله اشعار في شرح حاله وما انتهى اليه امره ورثاء يده والشكوى من المناصحة وعدم تلقيه بالقبول ، فمن ذلك قوله :

ما سئمت الحياة لكن توثقت بأيمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى حرموني دنياهم بعد ديني
فلقد حطت بعد ما استطعت جهدي حفظ ارواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياتي بانت يميني فبيني

ولم يزل على هذه الحال إلى ان توفي بموضعه يوم الاحد عاشر شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ودفن مكانه ، ثم نبش بعد مضي زمان وسلم إلى اهله .

وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع بقين من شوال سنة اثنتين وتسعين ومائتين ببغداد رحمه الله تعالى .

ولابن مقلة الفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله : انى إذا احببت تهالكت وإذا بغضت هلكت ، وإذا رضيت آثرت ، وإذا غضبت اثرت .

وأما خطه فكان يضرب به المثل في فرط حسنه ، قال الشاعر :

سق الله عيشاً مضى وانقضى بلا رجمة ارتجيها ونقله
كوجه الحبيب وقلب الاديب وشمر الوليد بخط ابن مقله

وقال الصاحب ابن عباد :

خط الوزير ابن مقله بستان قلب ومقله

وكتب الوزير ابن مقلة كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطه فهو عندهم إلى اليوم فى كنيسة قسطنطينية يبرزونه في الاعياد ويعلقونه في اخص بيوتهم للمبادات ويتعجبون من فرط حسنه .

ومن عجيب خبره انه كتب المصحف الكريم ثلاث مرات ، وسافر ثلاث مرات وتوزر لثلاثة من الخلفاء، المقتدر والقاهر والراضى. ودفن بعد موته ثلاث مرات وذلك انه لما قطعت يده ومات في السجن دفن في دار السلطان ثم سأل اهله بعد مدة تسليمه اليهم ، فنبش وسلم اليهم دفن في دار ابنه ابى الحسين ، ثم نبشته زوجته المعروفة بالدينارية ودفنته في دارها بقصر ام حبيب .

وقد ذكر له الثعالبي في اليتيمة ترجمة طويلة .

ومن كلامه : يعجبني من يقول الشعر تأدباً لا تكسباً ، يغنى طرباً لا تطلباً وله كل معنى مليح في النظم والنثر ، والله ولي الامر .

هذا البيت لا يتحرك به اللسان :

آب همي وهم بي احبابى همهم ما بهم وهمي ما بى

وهذا البيت لا يتحرك به الشفتان :

قطعنا على قطع القطا قطع ليلة سراعا على الخيل العتاق اللواحق

﴿ ذكر تاريخ الخلفاء ﴾

توفي ابو بكر الصديق رضي الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء ، لثمان بقين من جمادي الآخرة لثلاث عشرة من الهجرة ، وله ثلاث وستون سنة ، ودفن في حجرة عائشة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر .

ثم بويع لعمر بن الخطاب في اليوم الذي مات فيه ابو بكر ، ومات لاربعة عشر ليلة مضت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، عن ثلاث وستين سنة ودفن مع صاحبه في الحجرة وكان سبب موته انه طعنه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بخنجر فمات ، وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر وخمس ليال .

ثم بويع لعثمان بن عفان بعد دفن عمر بثلاثة ايام ، وقتل يوم الاربعاء بعد العصر ، ودفن بالبقيع يوم السبت قبل الظهر لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، وهو ابن ثمانين سنة ، وخلافته احدى عشر سنة واحد عشر شهراً .

ثم بويع لعلي بن ابي طالب عليه السلام يوم قتل عثمان ، ثم طعنه عبد الرحمن ابن ملجم المرادي لعنه الله ليلة الجمعة لسابع عشرة من شهر رمضان سنة اربعين في الكوفة ، وتوفي بعد يومين ودفن بالنجف على اشهر الاقوال ، وله ثلاث وستون سنة ، وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر .

ثم بويع للحسن عليه السلام بعد وفاة والده ، وخلع الخلافة ومات مسموما في شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين ، اوخمسين ودفن بالبقيع ، وعمره سبع واربعون سنة ، وكانت خلافته ستة اشهر إلا اياماً .

ثم تم الامر لمعاوية بن ابي سفيان لانه كان قد بايعه اهل الشام يوم التحكيم واختلف عليه اهل العراق ، وتوفي بدمشق في آخر شهر رجب سنة ستين وعمره خمس وسبعون سنة ، وقيل : خمس وثمانون ، وقيل : اثنان وثمانون وقيل : تسعون سنة.

وكانت خلافته منذ خلص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر .

ثم بويع ليزيد بن معاوية ـ عليه ما عليه ـ يوم مات ابوه ، وهلك في ربيع الثاني او الاول سنة اربع وستين ، وله تسع وثلاثون ، وكانت خلافته سنتين .

ثم بويع لمعاوية بن يزيد يوم موت ابيه ، فأقام اربعين يوما ، وقيل : خمسة اشهر واياما وخلع نفسه ، وتوفي بعد ذلك باربعين ليلة ، وقيل : تسعين ليلة وعمره ثلاث وعشرون سنة ، وقيل : احدى وعشرون سنة ، وقيل : ثماني عشرة سنة .

ثم بويع لمروان بن الحكم بعد خلع معاوية بن يزيد ، ومات سنة خمس وستين وقيل ان زوجته وضعت على وجهه مخدة وهو نائم وقعدت هي وجواريها فوقها حتى مات وعمره ثلاث وثمانون سنة ، وكانت خلافته عشرة اشهر .

ثم بويع لعبد الملك بن مروان يوم موت ابيه ، وهو اول من سمي عبدالملك في الاسلام ، وتوفي في شوال سنة ست وثمانين وعمره ثلاث وستون ، وقيل ستون سنة وكانت خلافته احدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوما ، منها ثمان سنين مزاحماً لابن الزبير ، ثم انفرد بمملكة الدنيا إلى مات .

وكان قد بويع لعبد الله بن الزبير بمكة لسبع بقين من شهر رجب سنة اربع وستين في ايام يزيد بن معاوية فجهز عبد الملك الحجاج في سنة ثلاث وسبعين إلى عبد الله بن الزبير فحصره بمكة ورمى البيت بالمنجنيق ، ثم ظفر به فقتله واحتز رأسه وصلبه منتكساً ـ وقد تقدم ذكر ذلك في هذا الكتاب ـ وكانت خلافته بالحجاز والعراق تسع سنين واثنين وعشرين يوماً ، وعمره ثلاث وسبعون سنة .

ثم بويع للوليد بن عبد الملك يوم موت ابيه ، ومات في خامس عشر من جمادي الآخر سنة ست وتسعين ، وهو ابن ست واربعين ، وقيل ثمان واربعين ، وقيل : خمسين ، وكانت خلافته تسع سنين وثمانية عشر يوماً وقيل عشر سنين .

ثم بويع لسليمان بن عبد الملك يوم موت اخيه ، وتوفي في شهر صفر سنة

ثمان وتسعين ، وقيل : سنة تسع وتسعين بمرج دابق من ارض قنسرين وله تسع وثلاثون ، وقيل : خمس واربعون سنة ، وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر .

ثم بويع لعمر بن عبد العزيز يوم مات سليمان ، وتوفى لخمس ، وقيل : لست مضين ، وقيل : لعشر بقين من شهر رجب سنة احدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة واشهر ، وقيل ابن اربعين سنة ، وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر .

ثم بويع ليزيد بن عبد الملك يوم مات ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، وتوفى بالرصافة في شهر ربيع الآخر في سنة خمس ومائة وله تسع وعشرون سنة ، وقيل : ثمان وثلاثون سنة وشهراً ، وكانت خلافته اربع سنين وشهراً .

ثم بويع لهشام بن عبد الملك يوم موت اخيه يزيد ، وتوفى بالرصافة ايضاً في شهر ربيع الآخر بدمشق سنة خمس عشرة ومائة ، وهو ابن ثلاث وخمسين وقيل اربع وخمسين سنة ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة اشهر وقيل عشرين عاما.

ثم بويع للوليد بن يزيد الفاسق الكافر يوم موت عمه هشام ، وقتل في جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وكانت خلافته سنة واحدة ، وقيل : سنة وشهرين .

قلت : وكان الوليد هذا زنديقاً ملحداً منهمكا فى الشراب ، متظاهراً بالالحاد والكفر ، وله اشعار كثيرة تشهد عليه بكفره لعنه الله واخزاه ، منها انه استفتح يوما بالقرآن فطلع قوله تعالى : (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فغضب ونصب المصحف الشريف على خشبة مرتفعة ومزقه بالسهام وانشد يقول :

اتوعد كل جبار عنيد   فها انا ذاك جبار عنيد

إذا لاقيت ربك يوم حشر   فقل يا رب مزقنى الوليد

وأيضاً قوله لعنه الله :

يذكرنى الحساب ولست ادري   احقاً ما يقول من الحساب

فقل لله يمنعني طعامي   وقل لله يمنعني شرابى

وأيضاً قوله لعنه الله :

اسقياني وابن حرب . واستراني بازاري
واتركا من يطلب الجنة يسعى في خسار
سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار

لعنه الله تعالى :

ثم بويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك يوم قتل ابن عمه الوليد بن يزيد وتوفي في تاسع عشر جمادي الآخرة من السنة المذكورة ، وهو ابن اربعين سنة ، وقيل : ست وثلاثين سنة ، وكانت خلافته خمسة اشهر ونصف .

ثم بويع لابراهيم بن الوليد يوم موت اخيه يزيد ، وقتله مروان بن محمد وصلبه ، واختلف الناس في مدة ولايته ، فقيل شهران وعشر ليال ، وقيل اكثر .

ثم بويع لمروان بن محمد المنبوز بالحمار ، وقتله بنو العباس ببوصير قرية من قرى الصعيد بعد ان هرب من دمشق ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وهو ابن ست وخمسين سنة ، وكانت خلافته خمس سنين وشهرين وعشرة ايام ، وهو آخر خلفاء بني امية ، وهم اربعة عشر خليفة ، اولهم معاوية بن ابي سفيان وآخرهم مروان الجعدي ، الملقب بالحمار .

وكان مدة ولايتهم نيفاً وثمانين سنة ، وهي الف شهر .

ثم أتت الدولة العباسية وأولهم السفاح بويع له في سنة اثنتين وثلاثين ومائة في يوم الجمعة ثالث وعشرين ربيع الاول ، وتوفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بحمى الجدري بالانبار ، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ونصف سنة ، وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر .

ثم بويع لاخيه المنصور يوم موته ، وتوفي في سنة ثمان وخمسين ومائة ببئر ميمون على اميال من مكة وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكانت خلافته احدى وعشرين سنة ولما استقرامره اتي اليه بخواص مروان الحمار وفيهم عبد الحميد بن يحيي

ابن سعيد مولى العلاء بن وهب العامري وكان اولا معلماً ، ثم صار كاتباً وبلغ من البلاغة مبلغاً يضرب به المثل ، وفيهم البعلبكي المؤذن وسلام الحادي ، فهم بقتلهم جميعاً فقال سلام: استبقني يا امير المؤمنين فاني احسن الحداء قال: ما بلغ من حدائك قال : تعمد إلى ابل فتظميها ثلاثة ايام ثم توردها الماء ، فاذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء ، فترفع رؤسها وتدع الشرب ، ثم لا تشرب حتى اسكت ، فامر المنصور بابل ففعل بها ذلك ، فكان الامر على ما قال فاستبقاه واجازه واجرى عليه.

وقال البعلبكي : استبقني يا امير المؤمنين فاني مؤذن منقطع النظير ، قال : وما بلغ من تأذينك ؟ قال : تأمر جارية فتقدم اليك طشتاً وتأخذ بيدها ابريقاً وتصب على يدك الماء فابتدىء بالاذان فتدهش الجارية ويذهب عقلها إذا سمعت إذاني حتى تلقي الابريق من يدها ، وهي لا تعلم فأمر المنصور جارية ففعلت ذلك ، وأخذ في الاذان ، فكان حالها كما وصف ، فاستبقاه وأجازه واجرى عليه .

وقال له عبد الحميد : استبقني يا امير المؤمنين فاني فرد الدهر في الكتابة والبلاغة ، فقال له المنصور : ما اعرفني بك انت الذي فعلت بنا الأفاعيل وحملت بنا الدواهي ، فامر به فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه .

وقيل : بل سلمه إلى عبد الجبار ، فكان يحمي له طشتاً ويضعه على بطنه حتى قتله .

ثم بويع لابنه محمد الملقب بالمهدي يوم وفاته ، وتوفي لثمان بقين من محرم سنة تسع وستين ومائة ، وله اثنان واربعون سنة ونصف ، وقيل : ثلاث واربعون سنة ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً .

ثم بويع لابنه موسى الهادي بعد موت ابيه ، وتوفي في رابع عشر ربيع الاول سنة سبعين ومائة ، وله اربع وعشرون سنة ، وقيل : نحو عن خمس وعشرين سنة ، وكانت خلافته سنة واحدة وخمسة واربعين يوما ، : وقيل : شهران .

ثم بويع لهارون الرشيد بن المهدي في الليلة التي مات فيها اخوه ، وتوفي

بطوس في سنة ثلاث وتسعين ومائة لثلاث خلون من جمادي الآخرة ، وهو ابن سبع واربعين ، وقيل : خمس واربعين ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة .

ثم بويع لابنه محمد الأمين بعد موت الرشيد فجهز المأمون اليه طاهر بن الحسين وهرثمة بن اعين من خراسان ، فظفر به طاهر وقتله وحز رأسه ، وجهزه إلى المأمون وذلك في يوم الخميس لخمس بقين من محرم سنة ثمان وتسعين ومائة وله ثمان وقيل : سبع وعشرون سنة ، وكانت خلافته إلى يوم قتله خمس سنين خلا اشهر .

وكان يقال لكل من محمد الأمين واخيه ابي عيسى ابني الرشيد يوسف الزمان لفرط جمالهما ، حتى قيل ان جمال اولاد الخلفاء انتهى اليهما ، فما رأى الناس قبلهما ولا بعدهما مثلهما إلا ابن المعتز .

وحكي ان الأمين نظر إلى ابي نواس في بعض ليالي منادمته اياه وهو ينظر اليه نظرة ذي علق ، فقال له : يا حسن هل تشتهيني ؟ فقال: معاذ الله ، ومن تحدثه نفسه بمثل هذا ؟ فقال له : أقسمت عليك بحياتي إلا ما اخبرتني ، فقال : يا سيدي والله ان الاموات يشتهونك ، فكيف الاحياء ، فأمر بقتله ، فلما جيء بالنطع والسيف انشأ ابو نواس يقول :

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب ... فعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف

فضحك منه ووصله وعفا عنه .

وكان الرشيد يقول للمأمون : احب المحاسن كلها لك حتى لو امكنني ان اجعل وجه ابي عيسى لك لفعلت .

وقال يوما لابي عيسى وهو صبي ليت جمالك هذا لعبد الله ـ يعني المأمون ـ فقال له ابو عيسي : ليت حظه منك لي ، فعجب الرشيد من جوابه له على صباه

وضمه اليه وقبله وادناه .

ثم بويع للمأمون بعد قتل اخيه ، وتوفي بنهر النديد في شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، واختلف في مدة عمره ، فقيل : تسع ، وقيل : ثمان واربعون وقيل تسع وثلاثون ، والأول اصح ، وكانت خلافته عشرين سنة .

ثم بويع المعتصم يوم موت اخيه المأمون ومات لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول بسر من رأى وله ثمان او سبع واربعون سنة ، وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام .

ثم بويع لهارون بن المعتصم الملقب بالواثق بالله يوم موت ابيه ، توفي بسر من رأى في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وله ست وثلاثون سنة واشهر وكانت خلافته خمس سنين وتسعة اشهر .

ثم بويع لجعفر المتوكل بعد موت اخيه الواثق فقتله ابنه المنتصر في شوال سنة سبع واربعين ومائتين وعمره اربعون سنة ، وكانت خلافته اربع عشرة سنة وعشرة اشهر ، وقيل : خمس عشرة سنة .

ثم بويع للمنتصر في الليلة التي قتل فيها ابوه ، ومات بعد ستة اشهر وله ست وعشرون سنة .

ثم بويع لاحمد المستعين بن محمد المعتصم بعد موت ابن اخيه ، وخلع من الخلافة ، وقتل في اول شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين ومائتين بواسط ، وكانت خلافته سنتين وتسعة اشهر وعمره احدى وثلاثون سنة ، ومما قيل : في حق المستعين وذلك انه لما ولي الخلافة لم يكن له إلا اسمها .

وكان وصيف التركي وبغامستوليين عليه فلا يقدر على امر إلا بمشاورتهما وارادتهما فقيل فيه .

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

والببغا طائر اخضر بالهند مشهور ، والعوام يسمونه الدرة .

ثم بويع لمحمد المعتز بن المتوكل لما خلع المستعين نفسه في اول سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، واخلع الخلافة ، ومات بعد ذلك بخمسة ايام بالحمام من العطش في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وله ثلاث وعشرون سنة . وكانت خلافته اربع سنين واربعة اشهر .

ثم بويع لجعفر المهتدي بالله بن هارون الواثق بعد ابن عمه ، وقتله الاتراك في رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وكانت خلافته احد عشر شهراً ، وقيل : سنة ، وقيل : كان عمره ثماني وثلاثين سنة .

ثم بويع للمعتمد بن المتوكل يوم قتل ابن عمه في سر من رأى ، ومات من فرط الشراب ، في شوال سنة تسع وسبعين ومائتين ، وله خمسون سنة ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة .

ثم بويع لاحمد المعتضد بن الموفق يوم موت عمه وتوفى سنة تسعين ومائتين لسبع بقين من شهر ربيع الآخر ، وله اربعون سنة ، وكانت خلافته تسع سنين وتسعة اشهر .

ثم بويع لابنه المكتفي على الله يوم توفي ابوه ، وتوفى ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين ، وهو ابن اربع وثلاثين سنة ، وقيل : ثلاثين سنة ، وخلافته ستة وثمانية اشهر ، وقيل: كان عمره احدى وثلاثين سنة ، وخلافته ست سنين ونصف.

قلت : دخل زيادة الله بن عبد الله التميمي صاحب القيروان في طاعة المكتفي وأهدى اليه هدايا من جملتها عشرة آلاف درهم في كل درهم عشرة دراهم والف دينار في كل دينار ، وفي كل دينار عشرة دنانير ، وكتب على كل درهم في احد وجهيه :

يا سائراً نحو الخليفة قل له ان قد كفاك الله امرك كله
بزيادة الله ابن عبد الله سيف الله من دون الخليفة سله

وفي الوجه الآخر :

ماينبري لك بالشقاق مخالف	إلا استباح حريمه وأذله
من لم يرى لك طاعة فالله قد	اعماه عن سبل الهدى واضله

ثم بويع لاخيه جعفر المقتدر ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة واربعين يوماً ، ثم وثب الجند على العباس وزيره فقتلوه ، واحضروا عبد الله بن المعتز فبايعوه ولقبوه بالمرتضى ، وخلعوا المقتدر بعد ان شرط عليهم ان لا يكون في ذلك حرب ولا سفك دم ، ثم جرى بينهما قتال ، وظهر اصحاب المقتدر وانهزم ابن المعتز ، ولم يكن له امر غير يوم وليلة ، وادركته حرفة الأدب ، وضربت بخلافته المثل لمن لا تطول له مدة ويسرع انقضاؤه وانحل امره وذلك لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين ، ولقب بالمنتصف بالله ، وقد كان بايعه كثير من الناس .

واول كلمة تكلم بها ان قال : قد حان للحق ان يتضح وللباطل ان يفتضح ، ثم جرت عليه اتفاقات شؤم منها انه لما ركب إلى دار الخلافـة اختلف عليه اهل بغداد ، فقال : ليس يومي بواحد ، ثم هرب من الدار متلثما ، فعرف وقبض عليـه ووجه به إلى الحبس ، فمات او أميت بعد ايام ، ولم يجسر احد على رثائه سوى ابن بسام فانه قال :

لله درك من ميت بمضيعة	ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لو لا ولا ليت فينقصه	وانما ادركته حرفـة الأدب

وقال ابو بكر بن الملافة قصيدته المشهورة في الهر ، وانما وري بها عن ابن المعتز فقضى بها الوطر من حيث لم تلزمه حجة ولا خطر ، وهي :

يا هر فارقتنا ولم تعد	وكنت منا بمنزل الولد
فكيف ننحل عن هواك وقد	كنت لنا عقدة من العقد
يا من لذيذ الفراخ اوقعه	ويحك هل قنعت بالغـدد
اطعمك الغي لحمها فرأى	قتلك اربابها من الرشد

أما تخاف وثبة الزمان كما وثبت في البرج وثبة الأسد

تدخل برج الحمام متئداً وتخرج الفرخ غير متئد

وتطرح الريش في الطريق لهم وتبلع اللحم بلع مزدرد

وكان قلبي عليك مرتعداً وانت تنساب غير مرتعد

عاقبة الظلم لا تنام وان تأخرت مدة من المدد

لا بارك الله في الطعام إذا كان هلاك النفوس في المعد

كم اكلة خامرت حشا شره فاخرجت روحه من الجسد

ماكان اغناك عن تسورك البرج ولو كان جنة الخلد

ثم شفوا بالحديد انفسهم منك ولم يربعوا على احد

كانهم يذبحون طائفة كانت لطاغوتها من العبد

لم يرحموا صوتك الضعيف كما لم ترث منها لصوتها الغرد

اذاقك الموت من اذاق كما اذقت اطياره يداً بيد

كأن حبلا حوى بجودته جيدك للذبح كان من مسد

كأن عيني تراك مضطربا فيه وفي فيك رغوة الزبد

وقد طلبت الخلاص منه ولم تقدر على حيلة ولم تجد

فاذهب من البيت خير مفتقد واذهب من البرج شر مفتقد

ثم عاد المقتدر إلى ما كان عليه وقتل ابن المعتز ـ كما مر ـ واظهر انه مات حتف انفه ، وكان عمره خمسين سنة .

ثم خلع المقتدر وقتل يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشر وثلثمائة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وكانت خلافته اربعاً وعشرين سنة .

ثم بويع لاخيه محمد القاهر بن المعتضد بعد قتل اخيه ، ثم ثار عليه الجند ، وقبضوه وحبسوه وخلعوه من الخلافة وسملوا عينيه ، وذلك في جمادي الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، وكانت خلافته ست سنين وستة اشهر وسبعة ايام .

ثم بويع لأحمد الراضي بن المقتدر بن المعتضد يوم خلع عمه القاهر ، ومات في خامس عشر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة اشهر ، وخلافته ست سنين وعشرة ايام .

ثم بويع لأخيه ابراهيم المتقي بن المقتدر وخلع في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهراً ، وكان مولده في سنة سبع وتسعين ومائتين .

ثم بويع لعبد الله المستكفي بن المكتفي يوم خلع ابن عمه المتقي ، ثم خلع وسملت عيناه وذلك لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وتوفى في دار معز الدولة في سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة ، وهو ابن ست واربعين سنة وكانت خلافته سنة واربعة اشهر .

ثم بويع للمطيع لله بن المعتضد يوم خلع ابن عمه فرض في ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، فخلع نفسه وله ثلاث وستون سنة ، وكانت خلافته تسعة وعشرين سنة ، ومات بعد ان خلع نفسه بشهرين .

ثم بويع لعبد الكريم الطائع لله يوم خلع ابيه المطيع ، فخلع في شعبان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة اشهر ، وعاش ثلاثاً وسبعين سنة .

ثم بويع لأبي العباس احمد القادر بالله ليلة خلع الطايع وعمره اربع واربعون سنة ، وتوفى في ذي القعدة ؛ وقيل : في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وكانت خلافته احدى واربعين سنة وشهوراً .

ثم بويع لابي جعفر عبد الله القائم بالله يوم موت ابيه القادر ، وتوفى سنة سبع وستين واربعمائة لعشر ليال مضت من شعبان ، وكانت خلافته اربعاً واربعين سنة وثمانية اشهر .

ثم بويع لابي القاسم عبد الله المقتدي ، بامر الله محمد بن القائم يوم موت

جده القائم في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين واربعمائة ومات فجأة في محرم سنة سبع وثمانين واربعمائة وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة واشهر .

ثم بويع لابى العباس المستظهر بالله احمد يوم مات والده ، وتوفى سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وله احدى وخمسون سنة وكانت خلافته اربعاً وقيل خمساً وعشرون سنة واشهر .

ثم بويع لابى منصور المسترشد بالله يوم موت والده ، وسنه سبع وعشرون سنة ، وقتل في سابع وعشرين ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية اشهر ، وقيل : سبعة او ستة اشهر .

ثم بويع لابى منصور جعفر الراشد بالله يوم وفاة والده المسترشد بالله وخلع لاربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة ، وقد اختلف في مدة عمره وهو ما بين العشرين والثلاثين ، وقتل : في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، وكانت خلافته إلى ان خلع سنة إلا اياماً .

ثم بويع لابى عبد الله محمد المقتفى لأمر الله بن المستظهر بن المقتدر ، يوم خلع ابن اخيه ، ومات في شهر ربيع الاول ، سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وهو ابن ست وستين سنة ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة .

ثم بويع لابى المظفر يوسف المستنجد بالله بعد موت ابيه بيوم ، ومات في ثامن ربيع الثاني سنة ست وستين وخمسمائة ، حبس في الحمام وله من العمر ثمان واربعون سنة ، وكانت خلافته احدى عشرة سنة واياما .

ثم بويع للمستضى بالله بعد ابيه ، وتوفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة وكانت خلافته تسع سنين ونصف سنة ، وعمره تسع وثلاثون سنة .

ثم بويع لابى العباس احمد الناصر لدين الله يوم وفاة ابيه ، وعمره ثلاث وعشرون سنة ، وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وله سبعون سنة إلا شهراً

وكانت خلافته سبعاً واربعين سنة .

ثم بويع لمحمد الظاهر بامر الله يوم موت ابيه الناصر ، وخلع وقتل في رابع عشر شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وكانت خلافته تسعة اشهر واربعة عشر يوما .

ثم بويع لابي جعفر منصور المستنصر بالله بعد وفاة ابيه ، وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، ومات يوم الجمعة عاشر جمادي الآخرة سنة اربعين وستمائة ، وعمره احدى وخمسون سنة واربعة اشهر وسبعة ايام ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة إلا ثلاثة وثلاثين يوما .

ثم بويع للمستعصم بالله وهو ابو احمد عبد الله بن المستنصر ، وهو السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، وبهلاكه انقرضت دولتهم في العراق ، وذلك انه خرج عليه هلاكو خان فقبض عليه وقتله في الثامن والعشرين من محرم سنة ست وخمسين وستمائة ، سبحان من لا يزول ملكه وسلطانه جلت قدرته ما اعظم شأنه وابين برهانه .

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكأنهم احلام

﴿ ذكر قيام الدولة العباسية بالديار المصرية مختصراً ﴾

لما استولى هلاكو خان على بغداد ، وقتل المعتصم هرب ابو العباس احمد ابن الظاهر بن الناصر وهو عم المستعصم ، وكان معتقلا عند ابن اخيه ، فوصل إلى القاهرة فبايعه السلطان الظاهر بيبرس الصالحي بعد ان اثبت نسبه بمحضر جم غفير من الاعيان والعلماء والأمراء ، وذلك في يوم الاثنين ثالث عشر شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة ، وخطب الناس في يوم الجمعة في السابع عشر من الشهر وخلع على السلطان وطوقه واستخدم السلطان للخليفة من يحتاج اليه من ارباب الوظائف والامراء والجند والغلمان والخدم ، ولقبه المستنصر بالله بلقب اخيه .

ثم سار الخليفة والسلطان إلى الشام ، ودخلا دمشق سابع ذي القعدة ، ثم توجه الخليفة إلى العراق فمده السلطان بعسكر فسار حتى وصل الرحبة ، ومنها إلى عانة فوافوا فيها الحاكم بامر الله ـ وسنذكر ان شاء الله تعالى بعد المستنصر نبذة من اخباره ـ فبعث المستنصر إلى الحاكم يطلبه ويؤمنه على نفسه ، ولاطفه فانضم اليه بمن معه ، وهم سبعمائة فارس .

ثم سار مجداً حتى نزل على الحديثة ففتحها ونزل على شط قرية تسمى الناووسة .

ثم رحل مجد السير حتى وصل إلى هيت فاغلق اهلها دونه الابواب ، ففتحها عنوة في التاسع والعشرين من ذي الحجة، ونهب من فيها من اليهود والنصارى. ثم رحل عنها فلما وصل الانبار استقبله عسكر التتار ، فاقتتلوا وانكسر بها در مقدم التتار ووقع اعظم عسكره في الماء ، ثم خرج كمين من عسكر التتار فانهزم من كان مع الخليفة من التركمان والاعراب ، والتقى الكمين بعسكر الخليفة ، واشتد القتال ففرج لهم التتار ، فنجا الحاكم بامر الله وجماعة من الامراء والجند .

وأما المستنصر فاختلف في امره ، فقيل : انه قتل ، وقيل : نجا في جماعة من الاعراب وغير ذلك والله اعلم .

وأما الحاكم بامر الله وهو ابو العباس احمد بن محمد بن الحسن بن ابي بكر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الخليفة الراشد لله بن المسترشد بالله وبقية نسبه معروف فانه لما استولى التتار على بغداد اختفى بها إلى اوائل سنة سبع وخمسين . ثم خرج منها وصحبه جماعة ، وتوجه إلى الشام ، واتصل خبره بالملك الناصر صاحب الشام فامر باحضاره ، فاتفق وصول التتار إلى بلاد الجزيرة ، ثم إلى الشام ، فحصل الاشتغال عنه .

ولم يزل عند الامير شرف الدين عيسى بن مهنى إلى ان كسر الملك الناصر التتار على عين جالوت في سنة ثمان وخمسين ، فحضر ابن مهنى اليه واخبره بالحاكم

فارسل اليه سيف الدين قلج البغدادي ، وأمره باستصحابه ، فتوجه قلج اليه وبايعه على الخلافة .

فتوجه الحاكم وفي خدمته ابن مهنى وغير ففتحوا قلعة الحديثة ، وهيت والانبار ، والتقوا بطائفة من عسكر التتار عند الفلوجة في آخر ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وقتلوا من عسكر التتار نحو الف وخمسمائة ، منهم بهادر مقدم التتار وثمانمائة من الامراء ، ولم يقتل من المسلمين غير ستة انفس .

ثم وصل نفر ايغا كبير عسكر التتار ، فعلم الحاكم ان لا قبل له بهم فعاد وتبعه التتار إلى هيت ، ثم رجع عنه وسار إلى دمشق ، ومنها إلى الديار المصرية وكان المستنصر - المتقدم ذكره - قد تقدمه بثلاثة ايام ، فخاف ان هو دخل مصر أن يقبض على احدهما ويبايع الآخر ، وان يكون هو المقبوض عليه ، فعاد راحلا وصحبته رجلان وقصدوا دمشق ، ثم قصد الحاكم للامير شمس الدين التركي فبايعه على الخلافة هو وجميع من في حلب ، وجمع للحاكم جمعاً كثيراً من الترك والعرب وتوجهوا إلى العراق ، فلما وصلوا إلى عانة وافوا المستنصر بها ، وكان من خبرهما ما مر ذكره .

ولما خرج الحاكم من المعركة قصد الرحبة فاتصل خبره بالملك الظاهر فاستدعاه فتوجه نحو الديار المصرية ، وكان وصوله إلى القاهرة في السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ستين وستمائة ، وتلقاه الملك الظاهر ورتب له ما يحتاج اليه وزيادة .

فلما كان في يوم الخميس ثاني محرم ، وقيل : تاسعه بايعه السلطان والامراء واعيان المملكة ، وخطب للخليفة يوم الجمعة سادس عشر محرم .

ثم قلده السلطان امور البلاد والجيوش ، وكانت وفاته في ليلة الجمعة المسفرة عن ثامن جمادي الاول سنة احدى وسبعمائة ، وكان مدة خلافته اربعين سنة واربعة اشهر واياما .

ثم بويع لابنه المستكفي بالله يوم الخميس رابع وعشرين جمادي الاولى واجرى

عليه وعلى اخيه وعلى حاشيته ما كان للحاكم وزيادة ، وكان ابوه قد جعله ولي عهده ، ومات في شعبان سنة اربعين وسبعمائة في قوص ، لان السلطان كان قد نفاه اليها .

ثم بويع لابن اخيه الواثق بالله ابراهيم بن ابي عبد الله محمد بن الحاكم وكان الحاكم قد عهد إلى ابيه محمد ولقبه المستمسك فمات في حياته ، فعهد لابنه ابراهيم هذا ، ثم رآه غير صالح للخلافـــة ، فعدل عنه ، وعهد إلى المستكفى ، ولما مات المستكفى بقوص عهد إلى ابنه احمد فلم يلتفت السلطان إلى ذلك ، وبايع ابراهيم هذا ولقبه بالواثق .

فلما حضرت السلطان الوفاة ندم على ما صدر منه ، وعزل ابراهيم وبايع ولي العهد احمد ولقبه بالحاكم ، وذلك في اول محرم سنة اثنتين واربعين وسبعمائة .

ومات الحاكم ابن المستكفى بالطاعون في نصف سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة.

ثم بويع للمعتضد بالله ابى الفتح ابى بكر بن المستكفى بعد موت اخيه ومات في جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

ثم بويع للمتوكل على الله عبد الله بن محمد بن المعتضد بعد موت ابيه وكان عهد اليه وامتدت ايامه خمساً واربعين سنة بما تخللها من خلع وحبس واعقب اولاداً كثيرة ، ولي الخلافة منهم خمسة المستعين والمعتضد والمستكفي والقائم والمستنجد .

وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة احدثت العلامة الخضراء على عمائم الشرفاء ليتميزوا بها بامر السلطان الاشرف ، فقال فى ذلك ابوعبد الله جابر الاعمى صاحب الالفية المشهورة بالاعمى والبصير .

جعلوا لأولاد الرسول علامة ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوهم يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال آخر .

أطراف تيجان اتت من سندس بعصائب خضر على الاشراف

والاشرف السلطان خصهم بها شرفا ليفرقهم من الاطراف

وفى سنة اربع وثمانين خلع السلطان ، وتسلطن برقوق ولقب بالظاهر ، وهو اول من تسلطن في مصر من الجراكسة .

وفي سنة خمس وثمانين قبض برقوق على المتوكل وخلعه وحبسه .

وبويع للواثق بالله عمر بن ابراهيم بن المستمسك بن الحاكم بعد خلع المتوكل في رجب سنة خمس وثمانين ومات يوم الاربعاء تاسع عشر شوال سنة ثمان وثمانين.

ثم بويع للمعتصم بالله زكريا بعد موت الواثق ، وخلع سنة احدى وتسعين . واعيد المتوكل على الله بن المعتضد ، ومات ليلة الثلاثاء ثامن وعشرين رجب سنة ثمان وثمانمائة .

ثم بويع للمستعين بالله ابى الفضل العباس بن المتوكل بعهد من ابيه والسلطان يومئذ الناصر .

فلما قتل الناصر كلف الملك شيخ الخليفة بالسلطنة مضافة إلى الخلافة وذلك في محرم سنة خمس عشرة وضربت السكة باسمه وتصرف بالولاية والعزل ولم يغير لقبه وعمل في ذلك شيخ الاسلام قصيدة اولها :

الملك اصبح ثابت الاساس بالمستعين العادل العباسى
رجعت مكانة آل عم المصطفى لمحلها من بعد طول تناسى
ثانى ربيع الآخر الميمون في يوم الثلاثا حف بالاعراسي

ثم ان شيخ الاسلام تغلب على السلطنة وتلقب بالمؤيد وخلع المستعين وسيره إلى الاسكندرية ، فاعتقل بها .

فلما تولى قطز اطلقه واذن له في المجيء إلى القاهرة فاختار سكنى الاسكندرية ومات بها في جمادي الآخرة سنة ثلاث وثلاثين .

ثم بويع للمعتضد بالله ابى الفتح داود بن المتوكل بعد خلع اخية سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ومات في يوم الأحد رابع ربيع الأول سنة خمس واربعين .

وفي ايامه ولدت ببليس سنة إحدى وعشرين جاموسة مولودة برأسين وعنقين واربعة ايدي وسلسلتي ظهر ودبر واحد ورجلين وفرج واحد انثى ، والذنب مفروق باثنين .

وفي سنة ستين ولدت فاطمة بنت القاضي جلال الدين البلقيني ولداً خنثى ، له ذكر وفرج ، وله يدان زائدتان في كتفه ، وفي رأسه قرنان كقرني الثور .

ثم بويع للمستكفي بالله ابي الربيع سليمان بن المتوكل بعد موت اخيه المعتضد وكان قد عهد اليه اخوه وهو شقيقه ، ومات في يوم الجمعة سلخ ذي الحجة سنة اربع وخمسين ، وله ثلاث وستون سنة .

ثم بويع للقائم بامر الله ابى البقاء حمزة بن المتوكل بعد اخيه ، ولم يكن عهد اليه ولا إلى غيره ، وخلع من الخلافة سنة تسع وخمسين ، وسير إلى الاسكندرية واعتقل بها إلى ان مات سنة ثلاث وستين ، ودفن عند شقيقه المستعين .

ثم بويع للمستنجد بالله ابى المحاسن يوسف بن المتوكل بعد خلع اخيه والسلطان يومئذ الملك الأشرف ، ومات يوم رابع وعشرين محرم سنة اربع وثمانين وثمانمائة ، وقد جاوز التسعين .

ثم المتوكل على الله ابو العز عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل بويع بعد موت عمه المستنجد ، وكان قد عهد اليه يوم الاثنين سادس المحرم من السنة ، ومات يوم الاربعاء سنة ثلاث وتسعمائة ، وعهد إلى ابنه يعقوب ولقبه المستمسك بالله .

وهذا آخر ما تيسر مضمونه وتلخيصه من بعض التواريخ . . . والحمد لله اولا وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله الأئمة المعصومين واصحابه الخلفاء الراشدين إلى يوم الدين آمين .

﴿ ترجمة أبي محفوظ الشيخ معروف بن فيروز الكرخي ﴾
(الصالح المشهور وهو موالى الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام)
(المتقدم ذكره)

وكان ابواه نصرانيين ، فاسلماه إلى مؤدبهم وهو صبي ، فكان المؤدب يقول له قل : هو ثالث ثلاثة ، فيقول بل هو الواحد الاحد الفرد الصمد ، فضربه المؤدب على ذلك ضربا شديداً مؤلماً فهرب منه ، وكان ابوه يقول له ليته جاء الينا على أي دين شاء فوافقه عليه . ثم اسلم على يد علي بن موسى الرضا عليه السلام ورجع إلى ابويه فدق الباب ، فقيل له : من بالباب ؟ فقال : معروف ، فقيل له : على أي دين اتيت ؟ قال على دين الاسلام ، فاسلم ابواه .

وكان مشهوراً باجابة الدعاء ، واهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون قبر معروف درياق مجرب . وكان سري السقطي تلميذه ، وقال له يوما : إذا كان لك حاجة فاقسم عليه بي .

وقال سري السقطي : رأيت معروف الكرخي في النوم كأنه تحت العرش والباري جل وعلا يقول للملائكة : من هذا ؟ وهم يقولون : انت اعلم به منا يا رب فقال : هذا معروف الكرخي الذي سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي .

وقال معروف : قال لي بعض اصحاب داود الطائي يا معروف اياك ان تترك العمل فهو الذي يقربك إلى رضاه مولاك ، فقلت : وما ذاك العمل ؟ قال : دوام طاعة مولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم .

وقال محمد بن الحسين سمعت ابي يقول رأيت معروف الكرخي في النوم بعد موته ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقلت : بزهدك وورعك فقال : لا بل هو بقبول موعظة ابن السماك ، ولزوم الفقر ومحبة الفقراء .

وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف الكرخي ، قال : كنت ماراً

بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس ، فقال في اثناء كلامه : من اعرض عن الله بكليته ، اعرض الله عنه بجملته ، ومن اقبل على الله بقلبه اقبل الله عليه برحمته واقبل بوجوه الخلق اليه ، ومن كان مرة ومرة ، فالله يرحمه وقتاً وقتاً ، فوقع كلامه في قلبي ، واقبلت على الله وتركت جميع ما كنت فيه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام ، وذكرت هذا الكلام له ، فقال لي : يكفيك هذا موعظة ان اتعظت .

وقيل لمعروف في مرض موته : اوص ، فقال : إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا فاني اريد ان اخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً .

ومر معروف بسقاء وهو يقول رحم الله من يشرب ، فتقدم وشرب ، وكان صائماً ، فقيل له : ألم تك صائماً ، قال : بلى ولكن رجوت دعاءه .

واخباره كثيرة لا تحصر .

وتوفى معروف سنة مائتين ، وقيل : سنة اربع ومائتين ببغداد ، وقبره مشهور بها يزار رحمه الله .

والكرخ ـ بفتح الكاف وسكون الراء وبعدها خاء معجمة ـ وهذه النسبة إلى الكرخ ، وهو اسم لتسع مواضع ذكرها ياقوت الحموي في كتابه ، واشهرها كرخ بغداد ، والصحيح ان معروف الكرخي منه ، والله سبحانه أعلم .

وما احسن هذه الارجوزة على مثلثة قطرب :

أربح ما يخطر في الجنان	وخير ما يجري على اللسان
الحمد والايمان بالمنان	منزل الآيات فينا والسور
سألتني نظم كتاب قطرب	لتغتدي في اللفظ غير متعب
فاسمع بني من اب خير اب	حباك بالفضل لتسمو في البشر
منازل الاعراب قد نزلته	والضم قبل الفتح قد جعلته
والكسر من بعدها نظمته	ولم ابق غاية ولم اذر

وكل حرف جاء مع اخيه مبينا للقدم والنبيه
مميز عن عالم سفيـه يقاس بين العالمين بالبقر
فالاول البئر العتيق جد والبخت والذكر الجميل جد
والضد للهزل المشير جد يبدي على المرء من التقوى اثر
وكل جيل لنبي امـه والشجة المرتاع منها امـه
ونعمة تولى السرور امه يديمها الله على عبد شكر
والقمح في كل اللغات بر والبر مع ضد لبحر بر
ومصدر الفعل بررت بر وفقنا الله لصبر يدخر
وكل صوت ان علا جوار والسفن في تيارها جوار
والقرب من دار الفتى جوار وعن اذى الجار الهي قد زجر
والظرف ان ملأته جمام وكل اقداح الورى جمام
والماء فى كثرته جمام وأي صفو لم يغيره كـدر
والترس في كل اللغات جنه وذات اشجار وماء جنه
والجن والجنون قيل جنه نعوذ من هذا الاخير ذي الضرر
واسم فتى كان قديماً حجر ومقدم الثوب لدينا حجر
والعقل عند العارفين حجر له إله العرش في الذكر ذكر
ثم الحما في ابل حمام والطير في اوكارها حمام
والموت ما بين الورى حمام يأتي عليهم بقضاء وقـدر
وبعض رؤيا النائمين حلم ومفسد الجلد الاديم حلم
والصفح عن جرم المسيء حلم يا حسنه إذا اتاه من قدر
والكاعب الخود الحسان حره وكل ارض ذات سهل حره
والظمأ المردى النفوس حره اعده الله لجبار كفر
واحمق القوم الجهول خرق والمهمه الارض الفضاء خرق

والسيد السمح الجواد خرق ... يثني عليه بالذي يثني البشر
والصوت من داعي النفوس دعوه ... وصوت من يدعو الإله دعوه
والانتساب في الرجال دعوه ... سيان في ذلك انثى وذكر
وذرة البحر العظيم دره ... وحلبة الضرع العجيب دره
وآلة الصفح تسمى دره ... يصحبها محتسب إذا اعتبر
وبعض اخبار الورى رقاق ... والرمل إذ يتصل الرقاق
وكل شاطي دجلة رقاق ... يدعرها الماء إذا الماء جزر
والجمع للرشوة في القول رشا ... والطفل للظبية مقصور رشا
والحبل تسميه ذووا الفضل رشا ... فالويل للمرء إذا الحبل انتشر
ثم القوارير هي الزجاج ... وبعده القرنفل الزجاج
والزج نصل جمعه زجاج ... أخرس ان زل عن القول ظفر
والخر ما لم تصف فهو سقط ... والثلج في اعلا الجبال سقط
والولد المولود ميتاً سقط ... ليس عليه في الحساب من وزر
وعرق ظهر الراحة السلام ... والبشر والتحيـة السلام
والصخرة الناتئة السلام ... تبـدو كمود بارز لمن حفر
ثم لعاب الشمس هي سهام ... والبرد في فصل الشتا سهام
والنبل في يوم الوغى سهام ... ترشق عن قسيها مثل المطر
والثلج ما يقطر منه سبت ... وآخر الاسبوع فهو سبت
والنعل من ارض اليمان سبت ... زين من يمشي عليه إذ خطر
والنشط للخيل الجياد شكل ... والمثل في كل الامور شكل
والغنج والدل جميعاً شكل ... كما يضاهي الشمس في الحسن القمر
والشرب للماء الزلال شرب ... والجمع في شرب المدام شرب
وكل مجري فيه ماء شرب ... إلى زروع وكروم وشجر

وموضع الماء النصيب صل　　والوقع من صوت الحديد صل
وحية الرمـل القتول صل　　وكل من ينظره على خطر
وكل مال صر فهو صره　　والعشر من جمع النساء صره
وليلة البرد الشديد صره　　لانها مانعة عن السفر
وقيل للنحاس صاف صفر　　وزور بطن الحيوان صفر
وما خلا من كل شيء صفر　　جنبنا الله الخلو من عبر
والجمع في الاعناق للناس طلا　　وكل ما تلده الريم طـلا
والخمر ان كان عتيقاً فطلا　　يبدو لها عند المزاج كالشرر
وفعل ما لا يستجار ظلم　　وكل عـذب للثغور ظـلم
وجمع ظلمان النعام ظلم　　واقعة بين رمال ومدر
والخمر من اسمائها عقار　　وكل املاك الورى عقار
ثم جراحات الفتى عقار　　يؤخذ فيها بالقصاص من عقر
وكل معروف الـكلام عرف　　والنشر في طي النسيم عرف
والصبر في كل الامور عرف　　ولايفت نيل الاماني من صبر
والجمع في وقت الزفاف عرس　　والكاعب الخود الحسان عرس
وموضع الليث الحصور عرس　　تسفر كالبدر إذا البدر سفر
والعازب الرأى الجبان غمر　　والماء ان كان كثيراً غمر
والحقد في سر القلوب غمر　　يوحش ما بين الرجال في السفر
والعود ان طراه قوم قطر　　والمطر الهامي اليسير قطر
والمهل من ذوب النحاس قطر　　تشوي به الاوجه في قعر سقر
وبعض اجناس البخور قسط　　والجور في حكم الولاة قسط
والعدل في امر القضاة قسط　　به الهى لذوي الامر امر
والجمع للقرية في اللفظ قرى　　والصلب للانسان والشيب قري

والجود بالزاد لدى الجوع قرى يكسب مجداً بين بدو وحضر
وكل ما يسمى سواراً قلب ولا خفا ان الفؤاد قلب
والطير كالعصفور مثل قلب لانه يحكيه لون وصغر
وشفة النعجة فهي قمه وعضة الليث المزبر قمه
وكل عال من سنام قمه وهي من الرأس السبول والشعر
والعود إذ ينحت للعب قلا والعقد للقمة في الرأس قلا
والبغض والهجر لدى الناس قلا ومن رماه الناس بالهجر هجر
والارض أما غلظت كلام واللفظ ما بين الورى كلام
وكل جرح مؤلم كلام يتابع الصحة في الجسم الضرر
والكورة الجمع لها حقاً كرى والنوم للاجفان تسميه كرى
وقال قوم انه ايضاً كرى وكلهم في ذاك للحق ذكر
وكلية المرء لها الجمع كلا وكل نبت تنبت الارض كلا
والحفظ والرعى من الله كلا وليس يدهى من له الله نصر
وكل عظم ينبت اللحم لحا والجمع للحية في اللفظ لحا
ثم اللجاج والملاحاة لحا يعقب غيظا وصداعا وضجر
والاشتباك في اللقاء لمه والعقل ان خالط جهل لمه
وجمة الرأس تسمى لمه ان نشرت او ان لها المرء ظفر
والمنح والاعطاء والبذل لها وهي لهاة المرء والجمع لها
وقبضة الكف لدى الطحن لها يقذفها قاذفها تحت الحجر
وجمع ما يلبسه الناس ملا وكل جمع ضمه الشمل ملا
والارض ان اوسعها وسع ملا يقتلها ان سار فيها من خبر
وماسك الروح فذاك مسك وكل جلد الحيوان مسك
والطيب عند الغانيات مسك يا طيبه ان شانه نشر عطر

وقوة النفس تسمى منة وحية تحكي السواد منه
ومصدر للامتنان منه يكسبها عند الحياة من عقر
فهذه الابيات للكتاب محكمة عند ذوي الالباب
جامعة لسائر الابواب مشروحة شرحا جلياً مختصر

﴿ ترجمة أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي ﴾

قال ابن خلكان : الامير الكبير في الحديث والتفسير والنحو واللغة وعلم البيان ، وكان امام عصره من غير مدافع ، تشد إلى بابه الرحال في فنونه .

أخذ النحو عن ابي منصور مضر ، وصنف التصانيف الحسنة البديعة ، منها الكشاف في تفسير القرآن العزيز ـ لم يصنف قبله ولا بعده مثله ـ والفائق في تفسير الحديث ، واساس البلاغة في اللغة ، وربيع الابرار ، وفصوص الاخبار ، ومتشابه اسامي الرواة ، والنصائح الكبار ، والنصائح الصغار ، وضالة الناشد . والرائض في علم الفرائض ، والمفصل في النحو ـ وقد شرحه خلق كثير ـ والانموذج في النحو والمفرد ، والمؤلف في النحو ، ورؤس المسائل في الفقه ، وشرح ابيات سيبويه ، والمستقصى في امثال العرب ، وصميم العربية وسوائر الامثال ، وديوان التمثل وشقائق النعمان في حقائق النعمان ، وشافي العي من كلام الشافعي ، والقسطاط في العروض، ومعجم الحدود، والمنهاج في الاصول، ومقدمة الأدب، وديوان الرسائل وديوان الشعر ، والرسالة الناصحة ، والامالي في كل فن . وغير ذلك .

وكان شروعه في تأليف المفصل في غرة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسائة ، وفرغ منه في غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسائة .

وكان قد سافر إلى مكة شرفها الله تعالى ، وجاور بها زمناً طويلا حتى صار يقال له جار الله لذلك . وكان هذا الاسم علما عليه .

قال ابن خلكان . وسمعت من بعض المشايخ ان احدى رجليه كانت ساقطة

وانه كان يمشي في جاون خشب ، وكان سبب سقوطها انه اصابه ثلج وبرد كثير فى بلاد خوارزم فسقطت منه رجله ، وقلت لا يستبعد ذلك في اراضي العجم .

وكان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على ذلك خوفا من ظن الغي انها قطعت لريبة .

وقيل ان الزمخشري لما دخل بغداد اجتمع بالفقيه الحنفى الدامغانى فسأله عن سبب قطع رجله ، فقال : بسبب دعاء الوالده ، وذلك انى كنت في صغرى امسكت عصفوراً وربطته بخيط في رجله ، فانفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله في الخيط فتألمت والدتى لذلك وقالت : قطع الله رجل الابعد كما قطع رجل العصفور ، فلما وصلت إلى سن الطلب دخلت إلى بخارى لطلب العلم فسقطت من دابة فانكسرت رجلي .

وكان الزمخشرى معتزلي الاعتقاد ظاهراً به حتى قيل عنه : إذا كان قاصداً صاحباً له استأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن قل له ان ابا القاسم المعتزلي بالباب ، وأول ما صنف كتاب الكشاف كتب استفتاح الخطبة الحمد لله الذي خلق القرآن . فقيل له : ان تركته هكذا هجره الناس ، فغيره وجعله الحمد لله الذي جعل القرآن ، وجعل عندهم بمعنى خلق ، والشرح في ذلك يطول .

ومن شعره السائر قوله :

ألا قل لسعدى مالنا فيك من وطر	وما تنظرين النجل من اعين البقر
فانا اقتصرنا بالذين تضايقت	عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة	ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس إذ غازلته قرب روضة	إلى جنب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئني بورد وانما	أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرني رجع طرفي اجيء به	فقلت له هيهات ما لي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر	فقلت له انى قنعت بما حضر

وقال محمد بن مسعود السعيدي الخوارزمي انشدني مولانا جار الله شيخ العرب والعجم الزمخشري فخر خوارزم لنفسه :

كل النفوس إلى المقدار مطروده شريعة لجميع الخلق مورودة
من اين ينفق فيما ليس ينفعه ما عاند المرء والانفاس معدوده
ما بال من يبتني قصراً ليسكنه عدوه وهو في غبراء ملحوده
كدودة القز تكسو غيرها حللا بهمة وأحاط الهلك بالدوده
طرق السداد على افراط مسحبها كانما هي دون المرء مسدوده
يجري إلى الشر كالمهلاج في طلق ورجله في مساعي الخير مصفوده
موحد ربه في زعمه ويرى اهواءه دون وجه الله معبوده
يرعى حقوق اناس فهو معترف بحفظها وحقوق الله مجحوده
دنياك غالية في جاهليتها فالان والبنت موؤد وموؤده
خصوا بناتهم وهي التي وأدت بجهلها كل مولود ومولوده

ومن شعره يرثي شيخه ابا مضر منصوراً :

وقائلة ما هذه الدرر التي تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذي كان قد حشا ابو مضر اذني تساقط من عيني

هذا يشبه قول الارجاني وكانا متعاصرين والله اعلم من الاقدم :

لم يبكني إلا حديث فراقهم لما اسر به إلي مودعي
هو ذلك الدر الذي اودعتم في مسمعي اجريته في مدمعي

وقال الآخر من هذا المعنى :

لا تزدني نظرة ثانية كفت الاولى ورقت ثمني
لك في قلبي حديث مودع لا جحدت الحب ما اودعني
خذه من جفني عقوداً انه بعض ما اودعته في اذني

ومما انشده الزمخشري في الكشاف لغيره عند قوله تعالى في سورة البقرة (ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) :

يا من يرى مد البعوض جناحها　　في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها في نحرها　　والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته　　ما كان منه في الزمان الاول

واوصى الزمخشري ان تكتب هذه الابيات على قبره .

ووجد بجزيرة سواكن مكتوب على قبر ملكها عزيز الدولة ريحان هذه الابيات :

يا ايها الناس كان لي امل　　قصرني عن بلوغه الاجل
فليتق الله ربه رجل　　امكنه قبل موته العمل
ما انا وحدي نقلت حيث ترى　　كل إلى نقلت ينتقل

وكانت ولادة الزمخشري يوم الاربعاء في السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين واربعمائة بزمخشر ، وتوفي ليلة الاربعاء سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة المشرفة ، ورثاه بعضهم بابيات منها :

فأرض مكة تذر الدمع مقلتها　　حزناً لفرقة جار الله محمود

وزمخشر ـ بفتح الزاي والميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الشين المعجمة وبعدها راء هي قرية كبيرة من قرى خوارزم .

والجرجانية ـ بضم الجيم الاولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الألف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة تحتية مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهي قصبة خوارزم .

قال ياقوت الحموي في كتاب البلدان : يقال لها في لغتهم كركانج ، وقد عربت فقيل لها الجرجانية ، وهي على شاطىء جيحون ، والله اعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب .

﴿ فائدة ﴾

الجنة مكنة التجرد عن الضرورات البشرية ، ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحي .

والجحيم محض غلبة الضرورات البشرية على النفس المدركة ، ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع في سموم وحميم وظل من يحموم آكلون من شجرة من زقوم فمالئون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم قطعت لهم ثياب من نار سرابيلهم من قطران وبالجملة فهم في ضرورات لا ترتفع وهموم لا تندفع وكل حاصل من الضرورة البشرية في شيء فهو من الجحيم في مقدار ما حصل فيه وكل من تجرد عن شيء منها فهو من النعيم في مقدار تجرده وربما دخل قوم الجحيم لاخراج آخرين ، ولا بد من شفاعة الراحمين ، ولذلك تنزل الحق المبين في بشريات العارفين ، فافهم والله اعلى واعلم .

﴿ فائدة ﴾

الخط المستقيم عبارة عن الكمال الوسطي الحقيق الذي لا يشوبه ميل ، وذلك لا يكون إلا للوحدة المطلقة التي هي حكم وجود الواحد من كل جهاته ، وعلى صورة الخط المستقيم خلق الله آدم على صورة الرحمن ، فان مال يميناً او شمالا او أي ميل كان فهو مما مال اليه لا من المرتبة المخصوصة بآدم الانسان فافهم والله اعلى واعلم .

ومن كلام ارسطا طاليس : إذا اردت ان تعرف هل يضبط الانسان شهواته فانظر إلى ضبط منطقه .

ومنه : ليست النفس في البدن بل البدن في النفس لانها اوسع منه .

ومن كلامهم : إذا رأيت العالم يلازم السلطان فاعلم انه لص ، واياك ان يخدعك بما يقال انه يرد مظلمة او يدفع عن مظلوم ، فان هذه خدعة ابليس اتخذها فجار العلماء سلما .

سؤال!

رمضان أتى وكلنا نهواه	من اجل قيام
ما قولك يا فقيه في فتواه	مجمل بكلام
من بات معانقاً لمن يهواه	في شهر صيام
هل يفطر عند ما يقبل فاه	ام صام عام

جواب :

يامن سأل الفقيه عن فتواه	الشرع فسيح
اسمع لكلامنا وخذ معناه	ان كنت فصيح
من بات معانقاً لمن يهواه	ان كان مليح
لا يفطر عند ما يقبل فاه	والصوم صحيح

المهتارسين :

شهر الصيام تقضى	فراقه يوم عيد
قيل اتبعوه بست	فقلت ايضاً وسيد

وله :

شهر الصيام تقضت	ايامه بالامانه
قيل اتبعوه بست	فقلت ستي فلانه

قال القاضي يحي بن بنده الاصفهاني : كثرة الضحك من امارة الحمق ، والعجلة من ضعف العقل وضعف العقل من قلة الرأي ، وقلة الرأي من سوء الأدب وسوء الأدب يورث المهانة ، والمجون طرف من الجنون ، والحسد داء لا دواء له والنمائم تورث الضغائن .

ومن كلامهم : النصائح مرة المذاق حلوة العواقب فهي كالأدوية يسوء استعمالها ويسر مآلها ، ويذم اولها ، كما يحمد آخرها .

ومن كلامهم : لا تطأ ارضاً وطئها عدوك إلا على توق واحتراس ، ولا

يغرك خروجه منها وبعده عنها ، فربما رتب لك شباكا ونصب لك فيها اشراكا .

﴿ سؤال ﴾

العقل في حد ذاته ـ ولو انه في احكام الاله جل شأنه ـ ناقص غير تام لكنه كيف يقدر من بعد حصول التصفية والتزكية ان يحصل مناسبة واتصالا غير متكيف بمرتبة الوجوب تعالت وتقدست لكي يأخذ الاحكام من هناك بسبب تلك المناسبة والاتصال ، ولا يحتاج إلى البعثة التي بتوسط الملك .

﴿ جواب ﴾

ولو ان العقل يحصر تلك المناسبة والاتصال لكن التعلق الذي له بهذا الشكل الهيولاني لم يزله بالكلية ولم يحصل له تمام التجرد فاذن تكون الواهمة دائماً لازمة بذيله ، والمتخيلة دائماً لم تترك خياله ، وقوة الشهوة دائماً مصاحبته ، ورذيلة الحرص والشره كل وقت ندعيته ، ولم ينفك عنه السهو والنسيان الذي هو من لوازم نوع الانسان ، ولم ينفك عنه الخطأ ، والغلط الذي هو من خواص هذه النشأة ، فالعقل حينئذ لا يكون محل الاعتماد ، ولم تكن احكامه المأخوذة مصونة من سلطان الوهم وتصرف الخيال ، ولم يكن محفوظاً من شائبة النسيان .

ومظنة الخطأ بخلاف الملك الطاهر من هذه الاوصاف ، المبرء من هذه الرذائل ، فلا جرم ان يكون إذ ذاك محل الاعتماد ، وتكون احكامه المأخوذة مصونة من شائبة الوهم والخيال ، ومظنة الخطأ والنسيان ، فافهم والله بكل شيء عليم انه بكل شيء محيط .

﴿ فائدة ﴾

إذا حسنت الملاحظة في كل مسألة من المسائل المختلف فيها عند العلماء والصوفية ترى الحق بجانب العلماء ، واصل ذلك ان نظر العلماء قد نفذ في كمالات

النبوة وعلومها بواسطة متابعة الانبياء الكرام على نبينا وعليهم الصلاة والسلام .

ونظر الصوفية قد وقع على كمالات الولاية ومعارفها فقط ، فلا جرم حينئذ ان يكون العلم المقتبس من مشكاة النبوة اصوب واحق من الذي اخذ من مرتبة الولاية ، فافهم والله بكل شيء عليم .

فلما كان عصر ثاني وعشرين صفر المقرون بالظفر خرجنا من صنعاء قاصدين المخا بندر الخير والرخا ، فلم نزل نسير بين قرى عامرة ، ومزارع بالخيرات وافرة ومررنا على سيان وزلاجة ودمار وبريم ، ومن هذه القرية اتينا على عقبة سمارة وهي عقبة يضرب المثل بها في طولها إلا ان اغلب طريقها مرصوف بالاحجار ، وبها انواع الاشجار والزهور ، والمياه والطيور .

ومن سمارة اتينا إلى المخا درو إب والرباط والعماق ، وبهذا العماق بنات نهد في غاية الحسن يأتين بالليل ويسمرن مع المسافرين ويتكئن على الرجال ويلاعبنهم ويعاجنهم ، والمشهور عنهن انهن ابكار ، والله اعلم بحقيقة ذلك .

فلما كان عصر تاسع وعشرين من صفر دخلنا مدينة تعز ، وهي مدينة لطيفة واهلها غلاظ شداد ، وبها قصور عالية ومياه جارية وبساتين واشجار ، وفواكه واطيار ، وبها قلعة على رأس جبل شاهق تسمي القاهرة وبها مساجد وسماسر وحوانيت وحمامات وبهامدرسة الاتابكية وبهاقبر الملك المنصور عمر بن علي بن رسول وهو اول ملوك بني غسان ، وبها مدرسة الوزيرية نسبة إلى مدرسها الوزيري ومدرسة الغرابية نسبة إلى مؤذنها غراب ، بناها الملك المنصور المذكور ، ومدرسة في مغربة تعز بناها الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني ومدرسة الأشرفية بناها الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني في حافة الملح من مغربة تعز ، وبها قبره ، ومدرسة الزينية المؤيدية بناها الملك المؤيد اخو الملك الأشرف الغساني وبها قبره ، ومدرسة دار الاسد بنتها كريمة الملك المؤيد ومدرسة بناها الملك المجاهد بن المؤيد جعلها جامعاً بناحية الجبل ومدرسة الأفضلية

بناها الملك الافضل العباس بن المجاهد بن المؤيد الغساني وبها قبره ، ومدرسة الزينية بناحية الجبل بناها الملك الافضل ـ المتقدم ذكره ـ وفيها منارة عجيبة المنظر فريدة البناء ، طبقة منها مربعة الشكل ، والثانية مثلثة الاركان ، والثالثة مسدسة الشكل ، ودرجها من اسفلها إلى اعلاها مبنية على عقود لطيفة ، وهي من المنائر العجيبة ، ومدرسة الدينية بناها الملك الأشرف اسماعيل بن الافضل الغساني .

ومدرسة الأشرفيه وبها قبر الأشرف المذكور وابنه الملك الناصر احمد وابنه الملك المنصور عبد الله بن احمد ، ومدرسة الظاهرية بناها الملك الظاهر يحيي بن اسماعيل الاشرف بن العباس الافضل الغساني وبها قبره وقبر ابنه الملك الأشرف اسماعيل بن يحيي بن اسماعيل المذكور .

وكانت مدة خلافة بني رسول الغسانيين من اولها إلى آخرها مائتين وثلاثين سنة إلا شهراً .

وبتعز مدرسة بناها الملك المجاهد شمس الدين علي بن ظاهر ، وهو اول ملوك بني ظاهر ، ومدرستان بناهما الملك الظاهر عامر بن عبد الوهاب بن داود بن ظاهر وهو آخر ملوك بني ظاهر ، وكانت مدة خلافتهم خمساً وستين سنة .

فاقمنا بتعز ثلاثة ايام ورحلنا إلى المخا بسلام ، فمررنا على القرعا والرمادة والربيعي ، وخزيجة والضريبات والمنصري والبرح والعريش وموزع وهي قرية لطيفة وهواؤها وماؤها لطيف جداً .

فلما اسفر الصباح عن ثامن ربيع الأول عام الف ومائة واثنين واربعين من هجرة الكامل المكمل دخلنا بندر المخا ، بندر المحبة والاخا ، ونزلت بدار المرحوم المبرور ، الرئيس المشهور ، الماجد العظيم ، الشهم الكريم ، سيدي ووالدي الشيخ محمد بن صالح بن المرحوم الشيخ محمد علي القاضي الحكيم رحمه الله تعالى وافاض وابل غفرانه على ضريحه ووالى .

ثم اني ما زلت اتردد من المخا إلى مكة المشرفة ومنها إلى المخا إلى عام الف

ومائة وخمس واربعين من هجرة صفوة الرب المعين ، فحينئذ اذن الرب الخلاق الكريم الرزاق لكوكب نحوسي بالافول والمحاق ، وشمس سعودي بالبزوغ والاشراق ، فتمطف على الخاطر العاطر، من جناب مولانا الوزير الكريم ذي المآثر الحاوي للرياسة ، كابراً عن كابر، عين الاعيان، فريدالأقران، وحيدالزمان ، رحيب الصدر والمكان، رفيع القدر والجناب، الغني بذاته الحميدة عن الاوصاف والاطناب الرئيس الذي إلى بابه تحث الخيل والركاب ، مولانا الفقيه احمد بن يحي خزندار المؤلف لجنابه هذا الكتاب :

وقاه إله العرش شر المكاره ولا دار خطب الدهر يوما بداره

وكذلك الفخر نجله الرئيس ، الدر الغالي النفيس ، المقدام إذا حمي الوطيس والتقى الخميس مع الخميس ، بلا تدليس ولا تلبيس ، رفيع المنار ، نسل الرؤساء الاعاظم الكبار الاكارم الاخيار ، مولانا الفقيه النبيه عبد الله بن احمد بن يحيى الخزندار لازالا محروساً من طوارق الليل والنهار بحرمة محمد وآله وصحبه الأطهار

ورث الرياسة كابراً عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد

اكرمني مولاي الفقيه احمد واسعفني بفضله في غربتي وانجد ، ورتب لي من بيت مال المسلمين عدداً وسبارا ، وغمرني بعطاه العميم سراً وجهارا ، وها انا ما زلت اشكر فضله ليلا ونهارا ، لا زال فضل ربي عليه مدرارا .

وكتبت يوما من الايام لابنه عبد الله فخر الاسلام ، اشكو اليه من ابن الجبلي الكيال ، وكان يعطيني السبار بعد مشقة وتعب حال ، فارسلت هذه القصيدة اليه اسبل الله ستره الضافي عليه وعلى والديه وهي :

قل للرئيس المفدى من عزة قد تمكن

فخر العلى ذي المعالي ومن له السعد أعلن

نجل الصفى المرجى في ليل خطب إذا جن

ومن به يا صحابي من المخاوف نأمن

أبقاهما الله ربي لنا بخير ومأمن

يا فخر أهل المطايا ومن علينا تحنن

قررتما لي سبارا من غير بخل ولا من

جزاكم الله خيراً بالعز والسعد مقرن

فكم شكوت اليكم يا ذا الذكاء المفطن

كيال سوء لئيم مارق قط ولا احسن

يعطي لنا البر رطلا ويعطي لغيري بالمن

بالمن احرق قلبي واحر قلباه من من

فطلب الكيال ، واوعده بالحبس والنكال ، ان هو لم يستقم معي على احسن طريق وحال . . . . بيت :

هكذا شيمة الملوك بالمماليك يرفقوا

فلما رأيت توجههم إلي ، وبرهم بي واحسانهم علي ، استخرت الله تعالى ونويت الاقامة ببندر المخا ، ومجاورة اهل الكرم والسخا ، المعتمد عليهم في الشدة والرخا ، واقمت والحمد لله في ظلال عدلهم ، وتزوجت وذلك من فضل الله وفضلهم ورزقت ولداً بقدرت الله ، وسميته عبد الله ، وذلك وقت الشروق يوم الاثنين غرة ذى القعدة الحرام سنة الف ومائة وست واربعين من هجرة الشفيع يوم الزحام عليه وعلى آله واصحابه افضل الصلاة واكمل السلام ، وارخت ولادته بقولي وبالله قوتي وحولي :

قد حباني خالق رب السما بغلام طاب اصلا وعما

وهو عبد الله قد سميته راجياً من فضله ان يسلما

فلربي الحمد والشكر فكم منى فضلا وكم قد انعما

وأتى التاريخ في مولده بيت شعر مثل در نظما

ابقه يا رب لي طول الزمان في سعود وصعود قد سما

ثم توفى ذلك المولود في صبح رابع عشر من صفر في تلك السنة المقرونة بالظفر ، رحمه الله تعالى وغفر .

ثم رزقني الله بعد ذلك الولد ولداً ، وسميته محمداً ، وكانت ولادته في نصف الليل ، من ليلة الاربعا ، عند ما ذكر المذكر في السحر ودعا ، فى سادس عشر محرم الحرام سنة الف ومائة وثمانية واربعين من هجرة سيد الاولين ، والحمد لله ذي الفضل والانعام ، وهذا كله من فضل ربى توكلت عليه ، وفضل مولانا الفقيه احمد المشار اليه ، لا زال لواء الدولة والاقبال منشوراً عليه وعلى اولاده وكل من لديه .

وهذا دعاء لا يرد لانه إذا ما دعونا أمنته الملائك

فها انا بحمد الرب العلام ، مقيم ببندر المخا بعز واحترام ، ولائذ بالله وبذلك المقام ، وختمت رحلتي يا كرام والسلام :

والقت عصاها واستقر بها النوى كما قرَّ عينا بالاياب المسافر

﴿ فائدة ـ طبقات الولايات ﴾

طبقات الولايات خمسة ، الاول الوزارة ، والثانى ولاية الانشاء والمكاتبات الثالثة ولاية الجيش والجند ، الرابعة ولاية ديوان الاموال ، الخامسة ولاية سائر الحاشية ، والوزير هو قطب الدولة ومدارها ، وزند المملكة وسوارها ، يستضيء السلطان في ظلم المامه بانوار تدبيره ، ويحمل عنه اعباء ما يحدث من قليل الخطب وكثيره وجليله وحقيره وفتيله ونقيره ، فعليه بذل مجهوده لصيب الصواب بسهام همه ، ويصوب انواء رأيه فتنبجس من حسن تدبيره عيون ديمه ، ولا بد للملك من وزير يعضده ومدبر عاقل يرشده ويؤيده .

وقد صرح الكتاب والسنة باتخاذ الوزير والاستظهار به في التدبير ، فقال سبحانه وتعالى في قصة موسى عليه السلام (واجعل لي وزيراً من اهلي) وقال عز وجل: (لقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيراً) .

وقال النبي ﷺ : من ولي شيئاً من امور الناس واراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً ان نسي ذكره ، وان ذكر اعانه ، وإذا أراد الله غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره ، وان ذكر لم يعنه .

واختلف الناس في اشتقاق هذا الاسم على ثلاثة اوجه احدها انه مشتق من الوزر ، وهو الثقل ، فان الوزير يحمل عن الملك اثقاله ، ومنه قوله تعالى (ووضعنا عنده وزرك) .

وثانيها : انه مشتق من الوزر وهو الملجأ ، ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر) أي لا ملجأ ، والملك يلجأ إلى رأي الوزير ومعرفته وتدبيره .

وثالثها : انه مشتق من الازر وهو الظهر ، ومنه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (اشدد به ازري) اي قو به ظهري .

والملك يقوى بالوزير كقوة البدن بالظهر ، ولما كان المنصب في نفسه جليلا كان المتأهل للقيام بوظائفه قليلا فان المتقلدين من الفضلاء العظماء ذكروا في صفات مباشرته شرحا طويلا ، وحملوا من طلب الوزارة من الاوصاف المعتبرة عبأ ثقيلا .

(والخصها) ما كتبه المأمون في اختيار وزير له ليرتاد له ، فقال : اني التمس لامري رجلا جامعاً لخصال الخير ، ذا عفة في خلائقه ، واستقامة في طرائقه ، قد هذبته الآداب وحنكته الوقائع واحكمته التجارب ان ائتمن على الاسرار ، قام بها وان قلد مهمات الامور نهض فيها ، نسيكته الحلم ومنطقه العلم تكفيه اللحظه وتغنيه اللمحة ، له صولة الامرا ، واناة الحكما ، وتواضع العلما ، وفهم الفقها ، ان احسن اليه شكر ، وان ابتلي بالاساءة صبر ، لا يبيع نصيباً من يومه بحرمان غده يسترق القلوب بحلاوة لسانه ، وحسن بيانه .

فهذه صورة ما نقل من كتاب المأمون ، ولقد اشار في هذه الكلمات الموجزة والألفاظ المختصرة إلى رموز تحسبها كنوزاً في رمزه المسطور ، ووصفه للرجل المذكور ونهوضه بمهمات الامور ، من نهض بمهمات الدولة وامور المملكة

وانتصب لها لزمه ان يحمل اثقالها ، ويزيح اختلالها ويصلح احوالها ، ويحفظ رجالها ، ويثمر اموالها ، ويستخدم الكفاة الثقاة ويوليهم اعمالها ويلزمهم محجة المعدلة واعتدالها ، ويحذر عاقبة المظالم ووبالها ، وينذرهم نكال الظلمة الخونة ومآلها ، ثم يتفقد تفاصيل احوالهم ، ويراعي تصرفهم في اشغالهم ، ويتطلع سراً وجهراً إلى اقوالهم واعمالهم ، فمن وجده قد نسي منهم ذكره ، او غفل عن شيء بصره ، او اخطأ عن اللازم عذره ، ومن احسن منهم في عمله وثمره ، قام فيه بواجب حقه ووفره ، وخصه بزيادة عنايته ، واعلاه على ما كان من مكانته ، ومن خان عهد امانته وفرط في ولايته عاقبه وعزله وعزره وخذله .

وينبغي للوزير ان يعتني بجهات الاموال وحراسة اسبابها ، وفتح ابوابها وضبط حسابها وحفظ حسابها ، وبث الاحسان في مظان اكتسابها ، واعتماد العدل والانصاف في اخراجها واجتذابها فان كثرة الاموال وقلتها بقدر المعرفة باجتذابها من شعابها من جزية مقدرة ، وتجارة معشرة ، واخرجة محضره ، وعشور محررة وقسم مقررة ، وغنائم موفرة ، وفيء من جهات منحصرة ، هذا إلى زكاة واجبة واجور لازمة لازبة ، ووظائف على اكرية عاملة ناصبة ، إلى غير ذلك من تربيع مزارع ، وتوزيع قطائع ، وتوسيع شرائع ، وتفريغ مواضع ، وترجيع طوائع .

فهذه جهات ابواب الاموال التي جعل الشرع بيد السلطنة زمام استخراجها ومكن لهم من استيفائها بسلوك طريقتها ومنهاجها وفرض فيها حقوقاً تجب رعايتها عند صروفها واخراجها فاذا قام وزير المملكة من جهة الاموال وعرفهم الطرق المفضية اليها لئلا يشتبه الحرام بالحلال ، وامرهم باتباع الحق واجتناب الباطل على كل حال .

ثم ان وزير الدولة والمملكة لا يخلو من ان يكون وزير تفويض او وزير تنفيذ ، فان لكل واحد من هذين القسمين حكماً يخصه ، ووضعاً يلزمه ، فان وزارة التفويض اعلى المرتبتين ، واعظم المنزلتين ، وهي ان يفوض السلطان إلى الوزير تدبير المملكة والدولة برأيه وسداده ، ويجعل اليه امضاء امورها بمقتضى نظره

واجتهاده ، فهذه ولاية لا يكفي فيها مجرد الأذن ، بل لا بد من عقد وتصريح فيقول له : قد قلدتك ما لي نيابة عني او قد استنبتك فيما لي ، وما يقوم مقام ذلك فلو قال : قد فوضت اليك وزارتي او ذكره بصيغة الجمع للتعظيم ، وقال : قد فوضنا اليك الوزارة ، ففي انعقاد وزارة التفويض بهذا القول وحده خلاف المختار انها تنعقد وتحصل الولاية به ، فيستفيد بهذه الولاية بسط اليد ونفاذ الحكم في امور المملكة والتصرف في احوال الدولة بما يقتضيه نظره واجتهاده من تولية وعزل واطلاق وبذل واستخدام وقطع ، واعطاء ومنع ، ونقص وزيادة ، وايتاء واعادة ، وتسلط على كل ما للسلطان فعله من امور المملكة إلا على شيئين ، فانه ليس له فعلهما ولا يستفيدهما بمطلق هذه الوزارة .

احدهما اقامة ولي العهد ، الثاني عزل من ولاه السلطان واقامه ، فان فعل ذلك واقدم عليه فانه لا ينفذ ولا يعتبر شرعاً .

ووزير التفويض وان عمت ولايته وشارك السلطان في حكمه ، فعليه وظيفة لا بد له من اقامتها ، ويجب عليه فعلها ، وهو ان يطلع السلطان بما امضاه من عمل وما انفذه من ولاية وتقليد ، وعلى السلطان ان يتأمل اعمال الوزير ، وما قد اصدره على الرأي والتدبير ، ويتفقد ذلك فما وجده على وفق الصواب اقره وتركه وما وجده على خلاف ذلك رده واستدركه .

فهذه زبد ملخصة ، ونبذة مختصرة في وزارة التفويض .

وأما وزارة التنفيذ وهي دون وزارة التفويض وحكمها اضعف ، وشرطها أقل إذا السلطان هو القائم في المعنى بالتدبير فيها والقضايا صادرة عن نظره ورأيه وهي ان يقيمه السلطان واسطة بينه وبين الناس ويؤدي عنه ما امره وينفذ ما قرره ويطالعه بما يرد عليه ، ويسمع جوابه فينقله كما ذكره .

وهذه الوزارة لا يفتقر في صحتها إلى عقد او تقليد ، بل يكفي فيها مجرد الاذن ، ولا يعتبر في المؤهل لها من الشروط ما يعتبر في القسم الاول ، لكن لا بد

من ان يكون اميناً ، فان الخائن لا يعتمد عليه ولا يركن اليه ، وان يكون صادقا بحيث يعتمد على انهائه ، ويعتقد قوله في اعادته وابدائه ، فان الكاذب لا يوثق به ، وان يكون قليل الطمع حتى لا يستمال بالرشا والهدايا ، ولا يخدع بالتحف في شيء من القضايا وان لايكون بينه وبين الناس تشاجر وتباغض يحمله على ترك الانصاف ويجرئه على الاجحاف والاعتساف ، وان يكون عنده ، فطنه وحسن تيقظ نفس ليأمن التدليس عليه ، واشتباه الامور لديه ، وان يكون خالياً عن الاهواء ، فان الهوى خادع الالباب ، قاطع طرق الصواب .

وفي الحديث النبوي ما يكمل به هذا الغرض ويتم ، وهو قوله ﷺ (حبك للشيء يعمي ويصم) فوزير التنفيذ لا يجوز له التعرض لمباشرة الحكم ، ولا النظر في المظالم ، ولا تقليد متولى ولا اقامة متصرف ولا تدبير جيش ولا حرب ولا تصرف في اموال بيت المال بقبض المستحق منها وصرف الواجب فيها .

فهذه كلها يملكها وزير التفويض ولأجل التفاوت بين الولايتين ، والفرق بين المنزلتين ، جاز ان يكون وزير التنفيذ مملوكا ، ولا يشترط ان يكون حراً وجاز ان لايكون عالماً باحكام الشريعة ، وجاز ان يكون جاهلا بامر الحرب ، والخراج غير عارف به إذ هو سفير بين السلطان والرعية ، مظهر ومخبر ، ولا يشترط في قبول الخبر الحرية ، ولا المعرفة المذكورة ، ولا العلم بتفاصيل الشريعة ، وهل يشترط في هذا الوزير الاسلام حتى لو اقام السلطان وزير تنفيذ من اهل الذمة ، كان جائزاً ام لا ؟ اختلفت آراء الأئمة في ذلك ، فذهب عالم العراق الامام ابو الحسن علي بن حبيب البصري رحمه الله إلى جوازه .

وذهب عالم خراسان الامام ابو المعالي الجويني رحمه الله إلى منعه ، وعد تجويز ذلك من عالم العراق عثرة لاتقال ، وخطأه فيما قال .

وهذا بخلاف وزارة التفويض ، فان هذه الشروط معتبرة فيها من جملة ما تقدم بيانه من الاوصاف في حق المباشر لها . . انتهى .

﴿ ترجمة أبي العباس ابراهيم بن العباس بن صول بن يشتكين الصولى ﴾
(البغدادى الدار مولى آل المهلب الكاتب ، الشاعر المشهور)

قال صاحب نسمة السحر : فاضل سخرت له القوافي ، وهو ابراهيم تسخير الرخاء لسليمان ، فيلعب بالمعانى السحارة تلعب الصبا بالافنان ، فاق بسحر نظامه القائلين ، ولا غرو فهو من الكرام الكاتبين ، وله ديوان شعر ، وديوان رسائل .

وكان كاتباً في ايام المأمون وايام المعتصم والواثق والمتوكل .

وكان شيعياً يستعمل التقية في ايام المتوكل ويعد من شعراء ابى الحسن الرضا عليه السلام ، وله فيه مدائح اشهرها حين عهد له المأمون بالخلافة .

وله قصيدة رثى فيها ابا عبدالله الحسين عليه السلام وأنشدها بين يدى الرضا «ع» ولم يذكر الاصبهاني إلا مطلعها وهو :

ازالت عزاء القلب بعد التجلد مصارع ابناء النبي محمد

فاجازه الرضا بعشرة آلاف درهم مما ضربت باسمه .

وقال ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المحدث الشيعي في عيون اخبار الرضا التي صنفها للصاحب ، حدثنا الحسين بن ابراهيم الباقطانى قال : كان ابراهيم ابن العباس صديقاً لاسحاق بن ابراهيم اخي زيدان الكاتب المعروف بالزمن فنسخ له شعره في الرضا وقت منصرفه من خراسان ، وفيه شيء بخطه ، فكانت النسخة عنده إلى ان ولى ابراهيم ديوان الضياع للمتوكل ، وكان قد تباعد بينه وبين ابراهيم ، فعزله ابراهيم عن ضياع كانت بيده وطالبه بمال وشدد عليه فدعا اسحاق بعض من يثق به ، وقال له : امض إلى ابراهيم واعلمه ان شعره في الرضا كله عندي بخطه وغير خطه ، فان لم يترك المطالبة عني لأوصلنه إلى المتوكل ، فسار الرجل إلى ابراهيم برسالته ، فضاقت به الدنيا حتى اسقط عنه المطالب واحرق هو جميع ما عنده من شعره بعد ان حلف كل منهما لصاحبه .

قال الباقطاني فحدثني علي بن يحيي المنجم قال : قال لي ابي انا كنت السفير بينهما حتى اخذت الشعر واحرقه ابراهيم بحضرتي ، قال : وحدثني احمد بن ملحان : قال كان لابراهيم ابنان اسمهما الحسن والحسين يكنيان بابي محمد وابي عبد الله ، فلما ولي المتوكل سمي الاكبر اسحاق وكناه ابا محمد ، وسمي الآخر عباساً وكناه ابا الفضل ، كل ذلك فزعا من المتوكل .

قال الصولي : وهو غير ابراهيم .

حدثني أحمد بن اسماعيل بن الخصيب قال : ماشرب ابراهيم بن العباس ولاموسى ابن عبد الملك الاصفهاني الكاتب النبيذ قط ، حتى ولي المتوكل فشرباه فكانا يتعمدان ان يجمعا القينات والمخنثين ويشربان بين ايديهم كل يوم ثلاثاً ليشيع الخبر بشربهما ، وله اخبار كثيرة في تقيته ليس هذا موضع ذكرها .

حدثنا احمد بن اسماعيل بن الخصيب قال : لما ولي الرضا العهد خرج اليه ابراهيم بن العباس ودعبل واخوه رزين وكانوا لا يفترقون ، فقطعت عليهم الطرق فالتجؤا إلى ان ركبوا إلى بعض المنازل حميراً كانت تحمل الشوك ، فقال ابراهيم :

اعيدت بعد حمل الشوك ... حمالا من الحرف
نشاوى لا من الخمر ... بل من شدة الضعف

ثم قال لرزين اجز انت فقال :

فلو كنتم على ذا كم ... تصيرون إلى النصف
تساوت حالكم فيه ... ولم تبقوا على الخسف

ثم قالا لدعبل اجز قولنا ، فقال :

إذا فات الذي فاتا ... فكونوا من بني الظرف
وخفوا بنصيف اليوم ... انى بائع خفي

وقال ابو الفرج علي بن الحسين الاموي الاصفهاني : وكان محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها .

وأما ابراهيم بن العباس واخوه عبد الله فكانا من وجوه الكتاب ، وكان عبد الله اسنهما واشدهما ، وابراهيم آدبهما واحسنهما شعراً .

وكان يقول الشعر ويختاره ، ويسقط اوله ثم يسقط الوسط ، ويسقط ما سبق اليه ، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير ، وربما لم يدع إلا بيتاً او بيتين .

وكان ابراهيم واخوه من صنائع ذي الرياستين .

وتنقل ابراهيم في الاعمال الجليلة إلى ان ملت بسر من رأي .

وكان دعبل يقول : لو تكسب ابراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء .

واخبر ابو بكر الصولى قال : انصرف ابراهيم بن العباس من دار المتوكل يوما ، فقال لنا : انا والله مسرور بشيء ، فقلت : وما ذاك اعزك الله ؟ قال : كان احمد بن المدبر رفع إلى امير المؤمنين ان بعض عمالى اقتطع مالا ، وكان صادقاً فيما قال ، وما كنت رأيت الهلال على وجه امير المؤمنين إلا تلك الساعة ، فدعوت له وضحك إلى ، فقال لى : ان احمد بن المدبر قد رفع على عاملك انه اقتطع من المال كذا . . وكذا . . فعلمت انه صادق ، وضاقت علي الحجة ، وخفت ان احقق قوله ذلك ان اعترفت ، ثم لا ارجع منه إلى شيء فيعود علي العزم ، فعدلت عن اقامة الحجة إلى تدبير الحيلة ، فقلت :

رد قولى وصدق الاقوالا   واطاع الوشاة والعذالا

اتراه يكون شهر صدود   وعلى وجهه رأيت الهلالا

فتهلل وقال : لا يكون والله كذا ، فبحياتى يا ابراهيم زدها بيتين حتى يغنى فيهما ، فقلت : نعم يا سيدي على ان لا يطالب صاحبي بقول احمد ، فقال للوزير : يقبل في المال قول صاحبه ، فسررت للظفر واغتممت لبطلان هذا المال وذهابه بهذه الحيلة ، ولعله قد جمع في زمن طويل ، وبعد تعب شديد .

قلت : وهذا من سحر الشعر ، ومن الحيلة بالشعر ماحكي ان محمد بن السائب الشاعر الانطاكى قال : كنت مع جماعة من الشعراء قصدوا اسحاق بن ايوب الثعلبي

امير الموصل والجزيرة مادحين له ومؤملين فضله فلم يعطنا شيئاً ، وطال مقامنا لديه وكان يعشق بدعة جارية غريب المأمونية ، فقلت : والله لأخدعنه ، وتوصلت حتى وقفت بين يديه فقلت :

تدرون ما قالت لأترابها   في السر منا بدعة العالم

قال : فاقبل علي وهش إلي وقال : ويلك ما قالت ، فقلت :

بالله ان صغتن لي خاتماً   فانقشن اسحاق على الخاتم

فارتاح وطرب واهتز وقال : مليح والله قالت ، ثم امر لي بمائة دينار وحملني على فرس رائع بموكب ثقيل ، والبسني خلعة سنية ، وقال : هذا لك في كل سنة ، ولم يعط احداً من الشعراء غيري .

وكان اسحاق قد أسر صبياً من ابناء بطارقة الروم ، بديع الجمال ، فاهداه إلى بدعة ، فكان يحمل عودها ويحضر معها ، فقال فيه بعض شعراء وقته :

عجب الناس من رقاعة اسحاق   وفعل اتاه غير جميل
حين اهدى إلى الغزالة ظبياً   ذا قوام لدن وخد اسيل
اتراها تعف عنه إذا ما   خلوا للعناق والتقبيل
فكأني بذيل بدعة قد صار   لصيقاً للقرطق المحلول
قلت لا تنكروا فان له عذراً   صحيح القياس غير عليل
بعدت دارها وقام عليه   فاشتهى ان ينيكها برسول

ومن شعر ابراهيم وهو معنى غريب :

ان امرء أضن بمعروفه   مني لمبذول له عذرى
ما انا بالراغب في عرفه   ان كان لا يرغب في شكرى

وقال لابي جعفر محمد بن عبد الملك الزيات وزير الامام الواثق وكان يعادي إبراهيم

ابا جعفر خف خفضة بعد رفعة   وقصر قليلا من مدى غلوائكا
لئن كان هذا اليوم يوما رجوته   فان رجائي في غد كرجائكا

وله من الحكم :

خل النفاق لاهله وعليك فالتمس الطريقا
واذهب بنفسك لاترى إلا عدواً او صديقا

وقوله :

اميل مع الذمام على ابن امى وآخذ للصديق من الشقيق
افرق بين معروفي وبيني واجمع بين مالى والحقوق
فان الفيتني حراً مطاعا فانك واجدي عبد الصديق

وقد اجاد ماشاء ، وفيه من صناعة البديع المقابلة . وكتب إلى ابن الزيات يعاتبه:

وكنت اخي باخاء الزمان فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت أذم اليك الزمان فاصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت اعدك للنائبات فاصبحت اطلب منك الامانا

وله فى الفضل بن سهل :

اسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا
يعرف الابعد ان اثرى وما يعرف الادنى إذا ما افتقرا

وهذان البيتان يطرب لهما الجاد ، ولم اسمع في الشعر بامدح منهما ولا اجزل مع حسن الصناعة في المقابلة .

وله يهنى ذا الرياستين الحسن بن سهل بمصاهرة المأمون :

هنتك اكرومة جالت نعمتها سرت وليك واجتثت اعاديكا
ما كان يحيي بها إلا الامام وما كانت إذا قرنت بالخلق تمدوكا

وقال صاحب الاغاني : ان ابراهيم صنع ثلاثة ابيات ونحلها النابغة ، فلم يشك من سمعها انها للنابغة إلا من روى جميع شعره حتى اخبرهم انها له ، وهي :

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا وتفتر عنها ارضها وسماؤها
فمن دونها ان تستباح دماؤنا ومن دوننا ان تستباح دماؤها

حمى وقرى فالموت دون لقائها واهون شيء يوم حق فناؤها

قلت : لا يشتبه شعر شاعر بشعر النابغة إلا وهو في طبقته .

وقال ابو الفرج : لما انحرف محمد بن عبد الملك الزيات عن ابراهيم تحاماه الناس ، وكان الحارث بن تسخير صديقه فهجره ايضاً ، فكتب اليه :

تغير لي فيمن تغير حارث وكم من اخ قد غيرته الحوادث

أحارث ان شوركت فيك فطالما غنينا وما بيني وبينك ثالث

وقال : لما اتاه خبر موت ابن الزيات في تنور العذاب :

لما اتاني خبر الزيات وانه قد صار في الاموات

ايقنت ان موته حياتي

قال صاحب نسمة السحر : وشعره لا يخلو عن البديع ، وقد ذكرت منه ما لو تلي لافاق به الصريع .

وروى ابو الفرج في الاغاني : ان المتوكل بعث إلى ابراهيم يأمره ان يصف له القدور الابراهيمية ، وهو كان ابدع صنعتها على عادته في الابداع ، وقدرته على الاختراع ، فكتب له صنعتها ، وكتب له في ذكر الابازير وزن دانق وانسى أي شيء هو ، فلما وصلت اليه الصفة اغتاظ ، ثم قال : لعلي بن يحيى صاحب المصلى احلف بحياتي ان تقول له ما آمرك به ، ففعل ، فقال له ارجع اليه وقل له : وزن دانق من أي شيء من بظر امك ؟ قال علي : فدخلت عليه فقلت : اتيتك في رسالة عزيز علي ان اؤديها ، قال : هاتها فأديتها ، فقال : ارجع اليه فقل له يا سيدى ان علي بن يحيى صديقي واخي ، وقد ادى الرسالة ، فان رأيت ان تجعل الدانق من بظر امي وامه ، تفضلت بذلك ، فقلت : قبحك الله ، وانا ايش ذنبي ، قال: قد أديت الرسالة وهذا جوابها ، فوصلت إلى المتوكل ، فلما رآني قال ايه ما قال لك ؟ قلت : قبح الله ما جئتك به واخبرته بالجواب ، فضحك حتى فحص برجليه وجعل يشرب عليه بقية يومه ، فاذا لقيته قال لي : يا علي وزن دانق من اي

شيء ؟ فأقول : لعنة الله على ابراهيم .

وقال ابو الفرج : واخبر من رأى ابراهيم وقد لبس سواده يقول لغلامه هات ذاك السيف الذي ما ضر الله به احداً غيري .

وهذا دليل لطفه ودمائة خلقه والعرس الذي عني به ابراهيم ذا الرياستين الحسن بن سهل لما زوج ابنته خديجة الملقبة بوران بالمأمون في شهر رمضان بفم الصلح ، وهو عرس لم يعمل مثله ملك في الاسلام صار تاريخاً ، وأوقد لما جليت عليه من جملة الشموع شمعة عنبر وزنها اربعون مناً بالبغدادي في نور ذهب فامتلأ المجلس من دخانها حتى ضج الخليفة ، وقال : هذا سرف .

وكان الفرش من ذهب منسوج له بريق مع الشموع ، فكانه برق تلألأ ونثرت جدتها ام الحسن عليها مائة حبة در من الكبار النفائس .

وكان من حضر من بنات الخلفاء : كعلية بنت المهدي ، وحمدونة بنت الرشيد ، وعدة منهن زبيدة ، والبستها زبيدة البدلة الجوهر التي وهبها لها الرشيد ولم تمد واحدة منهن يدها إلى النثار ، فقال المأمون : شرفن ابا محمد واكرمنها ، فأخذت كل واحدة منهن حبة وبقي سائره يلوح على الحصير الذهب ، فقال المأمون قاتل الله الحسن بن هانيء ، كأنه شاهد هذا حين يقول في الحباب :

كان كبرى وصغرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب

ثم جمعه كله بيده ووضعه في حجرها وقال لها: سليني حوائجك فصمتت فقالت لها جدتها كلمي سيدك ، فسألته ان يرضى عن ابراهيم بن المهدي ، فقال : قد فعلت وسألته ان يأذن لزبيدة في الحج ، فاذن لها .

وقيل : ان المأمون لما خلا بها ارادها ، فقالت : أتى امر الله فلا تستعجلوه فعرف انها حاضت .

فلما اصبح دخل عليه احمد بن يوسف الكاتب ، فقال: هنى الله امير المؤمنين بما اخذ من الامير باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر في المعركة .

فانشده المأمون يعرض بحيضها :

فارس ماض بحربته　　عارف بالطعن في الظلم
رام ان يدمي فريسته　　فاتقته من دم بدم

فعرض له باحسن ما يكون من التعريض .

ورأيت في تاريخ القاضي الفاضل الأديب احمد بن خلكان : ان ابا اسحاق ابراهيم بن عرفة المنبوز بنفطويه النحوي الاديب قال : كنت عند الوزير القاسم ابن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير الامام المقتدر مع جماعة من الاعيان فجاء اليه غلام أسر اليه شيئاً ، فتهلل وجهه وقام مسرعا إلى دار الحرم ، فلبث قليلا ، ثم عاد الينا منكسر ، فلما قعد سألناه ، فقال : ان فلانة المغنية كانت تتردد الينا ولها جارية من جواريها اعجبتني ، فسألتها ان تبيعها مني بما احتكمت ، فلم تفعل وألححت فلم تجب فجاء الغلام الذي رأيتم الساعة واخبرني انها اهدتها إلي فاخذني السرور . ولم املك نفسي ونهضت مبادراً لافتضاضها وإذا بها حاضت ساعة دخولها فاصابني غم شديد على ما فاتني منها ، فانشدته ارتجالا : (فارس ماض بحربتـه) فانجلى همه ، وامر لي بجائزة .

قلت : يمكن ان نفطويه انشده بيتي المأمون لتشابه الواقعتين لان الرواة اطبقوا انهما للمأمون .

وكان الحسن بن سهل ينفق مدة اقامة المأمون عنده بفم الصلح اربعين يوماً على ستة وثلاثين الف ملاح ، فما الظن بغيرهم من الروساء والجند والرعية ، ونادى برئت الذمة ممن اضرم ناراً في مضربة لطبيخ ، وقام بالجمع من ماله ، ولما عز الحطب امرهم بغمس الحصير في حياض الزيت وايقاده . . أقول :

تلك المكارم لاقعبان من لبن　　شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وعتبه المأمون في كثرة الانفاق ، فقال : يا امير المؤمنين ان الله رفع قدرك فوق كل احد ، فاردت ان يكون نكاحك بقدر رفعتك ، وليس ما انفقه من مال

سهل ، انما جميع ذلك مما انعمت به من مالك .

قال الثعالبي وغيره : ونثر الحسن رقاعا باسم ضياع له وعقار وبساتين على الكتاب والحاشية والعامة فكل من اصاب رقعة منها شهد له بما فيها وسجل له .

وبلغت نفقة الحسن عشرة آلاف الف دينار ، فلما ارتحل المأمون امر له بعشرة آلاف الف دينار واقطعه الصلح وسوغ له خراج مصر .

وقال روح بن مقاتل : لما عرس المأمون ببوران كتبت اليه حظيته غريب المغنية الاديبة تهنيه بقولها :

انعم تخطتك عيون الردى	بزف بوران مدى الدهر
بيضة خدر لم يزل نجمها	بنجم مأمون الورى يجري
حتى استقر الملك في حجرها	بورك في ذلك من حجر
ياسيدي لاتنس عهدي وما	اطلب شيئاً غير ما تدري

فوقعت بوران على الرقعة ، فقالت : قد عرفت ما تريد .

ثم قالت : يا امير المؤمنين انعم بالاذن في زفها اليك ، فهو والله مكافأتها على شعرها ، فقال : ذلك اليك ، فزفت غريب اليه ، فسر المأمون بما اجتمع له من الالف بين حظيته وزوجته ـ وقد تقدم ذكر غريب هذه ـ

وأما ذو الرياستين ابو محمد الحسن بن سهل واخوه الفضل : فكانا من الكرم والفضل وبسطة الايدي في الدنيا ، والحظ عندالخليفة والشجاعة والعلم ، خاصة علم النجوم ، فان الفضل كان اماماً مبرزاً فيه واستوزر المأمون الفضل وهو يومئذ امير بخراسان قبل ان يلي الخلافة ، ثم مدة فتنة الامين وبعد قتله .

ثم استوزر الحسن بعد قتل الفضل ، وكان الحسن شديد الشفقة على الفضل فلما قتل الفضل اصاب الحسن سوداء حتى قيد بسببها .

وكان الفضل متشيعاً وهو الذي حسن للمأمون عقد العهد للرضى عليه السلام ثم عظم حاله حتى ضاق المأمون في جارية اراد شراءها ، فقتله غيلة وهو بالحمام في

في مدينة سرخس يوم الخميس ثاني شعبان سنة اثنتين ، وقيل : سنة ثلاث ومائتين ثم اظهر عليه الحزن ، وقتل قتلته .

ومما يؤثر من اصابته في النجوم: انه عقد لواء لذي اليمينين طاهر بن الحسين لما وجهه المأمون لقتال اخيه الامين ، وهو يومئذ بمدينة مرو ، وقال : عقدت لك لواء لا يحل خمساً وستين سنة ، فخرج طاهر في اربعة آلاف فارس ، فلقيه علي ابن عيسى بن ماهان في مائة الف فارس او يزيدون بالسيوف المحلاة والعدة المذهبة حتى ان الارض لتشرق بهم ، فقتله طاهر وفض جيشه اللهام واستباحه ، ولم يبرح طاهر وبنوه في ولايات وسيادات ، حتى نجم الصفار فازال ملكهم من ساذياخ نيشابور ، وقبض على اولاد اولاده يوم الاحد الثاني من شهر شوال سنة تسع وخمسين ومائة ، وهي آخر تلك المدة التي حدها الفضل .

والعجب الاخير من اصابته : ان المأمون طالب والدته بما خلف ، فاحضرت اليه صندوقا من جملة المخلف ، وإذا داخله صندوق صغير ففتحه ، فاذا فيه درج من حرير ، وداخله رقعة مكتوب عليها بخطه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماقضاه الفضل بن سهل على نفسه ، قضى انه يعيش ثمانياً واربعين سنة ثم يقتل ما بين ماء ونار ، وكان عمره ما ذكر .

وسرخس ـ بفتح المهملة والراء واسكان الخاء المعجمة وبعدها سين مهملة ـ مدينة مشهورة من اقليم خراسان .

ومرو : مشهور منه ايضاً وهما مروان ، احدهما : مرو الرود اضيف إلى نهر بشطها ، والأخرى وهي العظمى مرو الشاه جهان : وهي احدى قواعد المملكة فانها متسعة .

والصلح ـ بفتح الصاد المهملة واسكان اللام وبعدها حاء مهملة ـ نهر كبير بناحية بغداد عليه قرى عامرة كبيرة وضياع .

وخراسان : من الاقليم الخامس .

وذكر الاصبهانى : ان ابراهيم الصولى توفى بسر من رأى في نصف شعبان سنة ثلاث واربعين ومائتين رحمه الله .

قال ابن ابي الحديد في الفلك الدائر : الفاء ليست للفور بل هي للتعقيب على حسب ما يصح ، أما عقلا او عادة ، ولهذا صح ان يقال دخلت البصرة فبغداد وان كان بينهما زمان كثير لكن يعقب دخول هذه دخول تلك على ما يمكن بمعنى انه لم يمكث بواسط مثلا مدة اقامة يخرج بها عن حد السفر إلى ان دخل بغداد. هذا الذي يقوله اهل اللغة ، واهل الاصول وليست الفاء للفور الحقيق الذي معناه حصول ، هذا بعد هذا بغير فصل ولا تعب ، ألا ترى قوله تعالى (لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) فان العذاب متراخ عن الافتراء .

قال الصفدي رحمه الله : قد تحذف الفاء مع المعطوف بها إذا أمن اللبس وكذلك الواو ، فمن حذف الفاء قوله تعالى (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم) وقوله تعالى (فمن كان منكم مريضاً اوعلى سفر فعدة من ايام أخر) معناه فافطر فعليه عدة .

وهذه الفاء العاطفة يسميها ارباب المعاني الفاء الفصيحة ، فاعرف ذلك .

(فائدة)

الجبن والبخل صفتان محمودتان في النساء ، مذمومتان في الرجال ، لان المرأة إذا كان فيها شجاعة ربما كرهت بعلها فاوقعت به فعلا ادى إلى الهلاك ، اوتمكنت من الخروج من مكانها على ما تراه ، لانها لا عقل لها يمنعها مما تحاوله ، وانما يصدها عن ذلك الجبن ، إذا كان عندها .

وفي كتاب الفرج بعد الشدة : حكاية غريبة جرت لبعض الغرباء مع ابنة القاضي بمدينة الرملة امسكها بالليل وهي تنبش القبور ، وكانت بكراً فضاربته فضربها بالسيف فقطع يدها وهربت منه ، فلما اصبح الصبح رأى كفها ملق وفيه

النقش والخواتم ، فعلم انها امرأة ، فتتبع اثر الدم إلى ان رآه دخل بيت القاضي فما زال يتبع حتى عرف انها ابنة القاضي وتزوجها .

فلما كان بعض الليالي لم يشعر بها إلا وهي على صدره وبيدها سكين عظيمة فما زال بها حتى قام لها بطلاقها وخروجه من البلد في وقته ، فامسكت عنه وخرج من البلد وكفاه الله شرها .

وإذا كانت المرأة سخية جادت بما في بيتها ، فاضر ذلك بحال زوجها ، ولان المرأة ربما جادت بالشيء في غير موضعه ، وقال الله تعالى : (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم) قيل : هم النساء والصبيان والله اعلم .

هذه القصيدة للفاضل الأديب جمال البلغاء علي المغربي ، والمصراع الاول هذيان جرى على لسانه وهو محموم :

درن درن درن دبى انا علي المغربي
صناجق تهيء عساكرى تأهبي
ها قد ركبت المسير في البلاد فاركبي
انا الذي اسد الشرى في الحرب لا تحفل بي
إذا عطيت وقرقمت عليهم ذنبي
أنا امرؤ انكر ما يعرف اهل الادب
ولي كلام نحوه ليس كنحو العرب
يصانم القراء في النحو بجلد الثعلب
ويقصد التثليث في نتف سبال قطرب
فان سألت مذهبي فذاك خير مذهب
آكل ما احبه ورغبتي في الطيب
والبس القطن ولا اكره لبس القصب
وليس عشقي مثل عشق الجاهل الغر الغبي

احب من يحبنى لا من غدا معذبي
وكل قصدي خلوة اكون فيها مع صبي
فنجتلي بنت الكروم او بني العنب
ونبتدي نأخذ في الشكوى وفي التعتب
حتى إذا ما جاد لى برشف ذاك الشنب
حكمته في الرأس إذ حكمني في الذنب
ونلت ما ارومه منه ببذل النهب
هذا هو المذهب ان سألتنى عن مذهبي
ما انا ذا ترفض كلا ولا تنصب
ولا هوى نفسي في الجدال والتعصب
ولا جلست جاثيا في الجمع فوق الركب
بين امريء مصدق وآخر مكذب
كلا ولا فاخرت بالنفس ولا بالنسب
ما قلت قط ها انا ولم اقل كان ابى
ولم ازاحم ابدا على علو منصب
ولا دخلت قط في عمري بيت الكتب
كلا ولا كررت درسى في ظلام غيهب
ولا عرفت النحو غير الجر بالمنتصب
كلا ولا اجتهدت في حفظ لغات العرب
ولا عرفت من عروض الشعر غير السبب
ولا بحثت منه في المجتث والمقتضب
كلا ولا اشتغلت بالنجوم والتطبب
وليس في المنطق والحكمة اضحي اربى

وأين مني البحث في البسيط والمركب
والسحر ما عرفته معرفة المجرب
ولا ربطت ضفدع الماء بصوف الارنب
ولا كتبت اسم من اهوى بماء الطحلب
ولا سحرت باللبان مع قشور المحلب
ولا طلبت السيمياء من فتى يسخر بي
ولست آتي قط في فصل الشتا بالرطب
والكيمياء لم اكن اتفق فيها نشبي
وليس في التقطير والتكليس اضحى تعبي
ولا طمعت في المحال قط مثل اشعب
كلا ولا مخرقت للناس لأجل الطلب
ولا ضربت مندلا لجاهل يمر بي
ولا حملت طاسة اقرعها بالقضب
كلا ولا اظهرت في المندل رأس قهرب
ولا دعوت الشيبان دعوة لم يجب
كلا ولا ذكرته عهد سليمان النبي
ولم اقل لامرأة في حلقتي قومي اذهبي
ولم اقل بينكم ابن الزنا مخيب
اريد ان اطرده عني إلى ذي لعب
أوهمهم كي لا يروح جمعهم في شغبي
ولا كتبت الهذيان شهلب بن شهلب
في كاغد باحمر واسود مكتتب
أقول هذا للسلاطين واهل الرتب

يصلح للمحبوس او لمن غدا في كرب
ارد يا قوم به مسافراً لم يؤب
كتبت فيه دعوة عن ذي العلى لم تحجب
والسر في طلسمه المبغض المحبب
ولا اتخذت حيلة لأجملنها مسبي
اقول يا قوم انظروا عندي فنون العجب
فحيتي هذي لها رأس كرأس الارنب
قد كان قدماً صادها في بلد الغرب ابي
كلا ولا بعث المعاجين على الغر الغبي
أقول اين طالب الباه وراجي العقب
هذا الذي يجعل متن ايره كالخشب
كلا ولا خاطبتكم بلفظ اهل المغرب
أقول هذا مقصدي اليكم من يثرب
وقد صحبت حاجة زارت معي قبر النبي
ولم احدثكم بما رأيته من عجب
واني سافرت في البحر لأجل المكسب
فعاندتنا حوتة تروم كسر المركب
حتى إذا ما غرق المركب بالتقلب
طفوت فوق ماجه وذو العلى يلطف بي
ولاح لي جزيرة تلوح مثل كوكب
لما وصلت ارضها بعد العنا والتعب
صعدت ارعى في رياض ارضها والعشب
اصطاد من طيورها في ارضها بالقصب

آكل من ثمارها ما طعمه كالرطب
ومشربي من مائها العذب النمير الطيب
بينا انا في صعد من ارضها او صبب
لقيت شيخاً جالساً في ظل كرم العنب
لوح لي بكفه يعني به تقربي
فرحت امشي نحوه أنظر ما يريد بي
فسلم الشيخ سلام مؤذن بالرحب
وقال لي اجلس بكلام غير لفظ العرب
لما هممت بالجلوس صار فوق منكبي
مطوق منه بساقات بغير ركب
طويلة مثل السواري او حبال القنب

﴿ ترجمة الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب ﴾
(أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم الأصغر ابن موسى)
(الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي)
(ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام)

وقد تقدم ذكر اخيه الشريف الرضي ، وكان هذا الشريف نقيب الطالبيين . وكانت ولادته في سنة خمس وخمسين وثلثمائة .

وكان إماماً في علم الكلام والأدب ، وله تصانيف على مذهب الشيعة ، ومقالات في اصول الدين ، وله ديوان شعر كبير ، وكان مجيداً في وصف الطيف وله الكتاب الذي سماه الدرر والغرر ، وهي مجالس املاها تشتمل على فنون من معاني الأدب ، تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك .

وهو كتاب عزيز الوجود يدل على فضل كبير وتوسع في الاطلاع على العلوم .

وقال ابن بسام في اواخر كتاب الذخيرة : كان الشريف المرتضى إمام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق اليه انتمى علماؤها ، وعنه اخذ فضلاؤها صاحب مدارسها ، وجماع شاردها ، ومعمر دارسها ، ممن سادت اخباره ، وعرفت به اشعاره ، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره ، وتآليفه في الدين ، وتصانيفه في احكام المسلمين ، مما تشهد على انه فرع تلك الاصول ، ومن اهل ذلك البيت الجليل بيت الرسول ، ومن مقاطيعه رحمه الله تعالى قوله :

ضن عني بالنزر إذ كنت يقظان واعطى كثيره في المنام
والتقينا كما اشتهينا ولا عتب سوى ان ذاك في الاحلام
وإذا كانت الملاقات ليلا فالليالي خير من الايام

ومن شعره ايضاً :

ولما تفرقنا كما شاءه النوى تبين ود خالص وتودد
كأني وقد سار الخليط عشية اخو جنة مما اقوم واقعد

وحكي الخطيب ابو زكريا يحي بن عيسي التبريزي : ان ابا الحسن علي بن احمد بن علي بن سلك القالي الاديب كان له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة ، فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها ، فاشتراها الشريف المرتضى المذكور بستين ديناراً فتصفحها فوجد فيها أبياتاً بخط بائعها المذكور ، وهي :

أنست بها عشرين حولا وبعتها فقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني انني سأبيعها ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية صغار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم املك سوابق عبرتي مقالة مكوي الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا ام مالك كرائم من رب بهن ضنين

فارجع النسخة اليه ، وتكرم بالدنانير عليه رحمة الله عليه وعلى والديه .

وكانت وفاة الشريف المرتضى عليه الرحمة والرضى يوم الاحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين واربعمائة ببغداد ، ودفن في داره عشية ذلك النهار رحمه الله تعالى ، وافاض وابل غفرانه على ضريحه المقدس ووالى .

﴿ فائدة ﴾

اعلم ان حقيقة الهوى هو الدليل إلى الباطل ، وهو خلق النفس وسجيتها ، فجميع ماتميل اليه النفس من الاباطيل فهو الهوى ، وإذا نظرت في الاشياء وميزتها وجدت الهوى اصل كل فتنة وبلية على اختلاف احواله ، وتنوع اطواره لانه مصدر الاباطيل ، ومنشأ الاضاليل ، وله حالة شبيهة بالسكر تعتري الانسان فتمنعه من التميز لما قد غلب على عقله من نشوة الهوى ، فجانب الهوى ونزه فؤادك عنه فانه يشينك في دينك ومروتك كما قيل :

إذا تابعت الهوى قادك الهوى ... إلى كل ما فيه عليك مقال

ولابن الخيمي :

يا طالباً للعز هاك نصيحتي ... لفظاً على المعنى البديع وجيزا

ما الذل إلا في مطاوعة الهوى ... فاذا عصيت هواك كنت عزيزا

وقال عبد الله بن المقنع : إذا عرض لك ابداء امرين لم تدر ايهما اصوب فانظر ايهما اقرب إلى هواك فخالفه ، فان اكثر الصواب في مخالفة الهوى كما قيل :

إذا حار وهمك في معنيين ... واعياك غي الهوى والصواب

فخالف هواك فان الهوى ... يقود النفوس إلى ما يعاب

وقال الآخر :

إذا مادعتك النفس يوماً بشهوة ... وكان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فانما ... هواك عدو والخلاف صديق

قيل : من تدنى بالركون إلى السفليات ، دنت همته بالانحطاط عن العلويات وان كان من ارباب المقامات ، وذوي النهايات ، بل تكون المؤاخذة في حق هؤلاء اشد وتعجيل اسرع فيحجبون عن مكاشفاتهم ، وينزلون عن مراتبهم ، ويفقدون منزلتهم ، بهفوة تصدر منهم في بعض الاحوال ، من جنس حديث النفس المعفو عن المؤاخذة به غيرهم ، وغير ذلك من الصغائر التي يعدها منصبهم لجلالته من الكبائر كما قيل :

إذا ما سما الاواب حالا وهمة إلى الملإ الأعلى واثبته النص

هناك تخاف العين طمساً لانه صغيرته محو وهفوته نقص

قال رسول الله ﷺ : من تكفل لي ما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة فاللسان اخص بالقلب من جميع الجوارح ، لانه المعبر عنه ، فمن تكلم في شيء من الفضول وهو غني عنه اسود بذلك وجه قلبه واظلم حتى ينتهي الظلام إلى اماتة قلبه ، فكل متكلم على حافظية علي ، فمن شاء فليقلل ، ومن شاء فليكثر فتحفظ من ذلك جهدك . قال الله تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) .

وفي الحديث (ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيهوى بها في النار سبعين خريفاً وقتل شهيد في المعركة) فقيل : هنيئاً له بالجنة ، فقال رسول الله ﷺ : ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ، او يبخل بما يعنيه .

وقال رسول الله (ص) : رحم الله امرأ امسك فضل لسانه وعلم ان كلامه محصى عليه .

وقيل : لو قيل للطمع من ابوك ؟ قال : الشك في المقدور ، ولو قيل له : ما حرفتك ؟ قال : اكتساب الذل ، ولو قيل له : ما غايتك ؟ قال : الحرمان ، وهذا في الدنيا .

وأما في الآخرة فان الله سبحانه وتعالى امر بالزهد في الدنيا والقناعة بما قسم من الرزق واظهار التعفف والاستغناء عن الخلق ، وقطع النظر عنهم والطمع يناقض

هذا كله ، واحسن ما قيل في المعنى قول السبتي :

كفى من العيش ما قد سد من عوز ... وفيه للحرص فينان وعيان

وذو القناعة راض عن معيشته ... وصاحب الحرص ان اثرى فغضبان

وأنشد الشيخ العارف بالله ابن عطاء الله الشاذلي :

بكرت تلوم على زمان اجحفا ... فصدفت عنها علها ان تصدفا

لا تكثري عتباً لدهرك انه ... ما ان يطالب بالوفاء ولا الصفا

ما ضرني ان كنت فيه خاملا ... فالبدر بدر ان بدا او ان خفي

الله يعلم انني ذو همة ... تأبى الدنايا عفة وتطرفا

لم لا اصون عن الورى ديباجتي ... واريهم عز الملوك تشرفا

أ أريهم اني الفقير اليهم ... وجميعهم لا يستطيع تصرفا

أم كيف اسأل رزقه من خلقه ... هذا لعمري ان فعلت هو الجفا

شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله ... عجز أقام بحامليه على شفا

فاسترزق الله الذي احسانه ... عم البرية منة وتلطفا

والجأ اليه تجده فيما ترتجي ... لا تغد عن ابوابه متحرفا

وأما المشغول بما لا يعنيه ، فحسبه من المقت والخسران باشتغاله بما لا يعنيه من امر دنياه وآخرته بفوته ما يعنيه ويحتاج اليه من امرها ، فيندم على تضييع الانفاس في وقت يبين له فيه الافلاس ، ولا ينفعه حينئذ ندمه ، بل يتأسف على ما فرط فيه وقدمه :

واعلم ان الشيطان إذا عجز عن استعمال الانسان ألهاه في قبيح شغله بما لا يعنيه ، مما لا نفع فيه ، فيلهو بذلك من الاشتغال بما ينفعه من الطاعات والاعمال الصالحة ، فان الشيطان يرضى منه بتضييع عمره في غير فائدة ، لعلمه ان عمره جوهر نفيس بل كل نفس منه جوهر لا قيمة له ، فيذهب في غير شيء ، فهذا خسران فانه لو صرفه في طاعة لربح فاياك وما لا يعني ، فانه من اشتغل بغير المهم اضر بالمهم .

واعلم ان عمرك انفاس معدودة ، وكل نفس من انفاسك جوهرة لا قيمة لها فالمشتغل بالفضول كمن اخذ جوهرة نفيسة ورمى بها في مزبلة ، فهو ظالم لان معنى الظلم وضع الشيء في غير موضعه . قال القائل :

نفائس انفاس اضعت وانها لمثمنة لو لم يكن عرفان

قال معروف الكرخي : علامة مقت الله للعبد ان يراه مشتغلا بما لا يعنيه من امر نفسه .

وفي الحديث : من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، أي وهو ما لا حاجة له به .

وقال بعضهم : طلبت الراحة لنفسي فلم اجد شيئاً اروح لها من تركها ما لا يعنيها ، جعلنا الله واياكم ممن اشتغل بما يعنيه ، وترك ما لا يعنيه .

كتب علي بن صلاح الدين يونس ملك الشام إلى الامام الناصر لدين الله يشكو اليه اخويه ابا بكر وعثمان وكانا قد خالفا وصية ابيهما له :

مولاي ان ابا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وكان بالامس قد ولاه والده في عهده فاضاعا الامر حين ولي
وخالفاه وحلا عقد بيعته والامر بينهما والنص فيه جلي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي من الاواخر ما لاقى من الاول

فوقع الخليفة الناصر على ظهر كتابه بهذه الابيات .

وافى كتابك يا ابن يونس منطقاً بالحق يخبر ان اصلك طاهر
منعوا علياً ارثه إذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا عليه حسابهم وابشر فناصرك الامام الناصر

قيل : البليغ من يحول الكلام على حسب الاماني ، ويخيط الالفاظ على قدر المعاني ، والكلام البليغ هو ما كان لفظه فحلا ومعناه بكراً .

وقيل لاعرابي : من ابلغ الناس ؟ قال : اقلهم لفظاً ، واحسنهم بديهة .

وقال الامام فخرالدين الرازي في حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما يقول في قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل .

وقال فيلسوف : كما ان الآنية تمتحن باطنانها فيعرف صحيحها ومكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله بمنطقه .

وحكي ان رجلا شاعراً كان له عدو كبير فبينما هو سائر في البر ذات يوم من الايام وإذا بعدوه يمشي إلى جانبه ، فعلم الشاعر ان عدوه قاتله لا محالة ، فقال له : يا هـذا انا اعلم ان المنية قد حضرت ، ولـكن سألتك بالله إذا انت قتلتني فامض إلى داري وقف بالباب وناد : ألا ايهـا البنتان ان اباكما ـ وكان للشاعر ابنتان ـ فلما اتى اليهما الرجل وسمعتا قوله ألا ايها البنتان ان اباكما ، اجابتاه : قتيل خذ الثار ممن اتاكما ، ثم تعلقا بالرجل وحملاه إلى الحاكم ، فاستقره فاقر ، فأمر بقتله ، فقتل بابيهما .

ومن حكايات الفصحا ما حكي ان عبد الملك بن مروان جلس يوماً وعنده جماعة من خواصه واهل مسامرته ، فقال : ايكم يأتيني بحروف المعجم من بدنه وله علي ما يتمناه ، فقام اليه سويد بن عقلة ، وقال : انا يا امير المؤمنين ، قال : هات ، فقال : انف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حلق ، خد ، دماغ ، ذكر ، رقبة زند ، ساق ، شفة ، صدر ، ضلع ، طيز ، ظهر ، عين ، غببة ، فم ، قفا ، كف ، لسان منخر ، ناب ، ورك ، هامة ، يد .

فهذه آخر حروف المعجم والسلام على امير المؤمنين ، فقام بعض عبيد الملك فقال : يا امير المؤمنين انا اقول في جسد الانسان مرتين مثل ما قال سويد فضحك عبد الملك وقال لسويد : اما سمعت ما قال ؟ قال : نعم انا اقولها ثلاثاً ، فقال له : لك ما تتمنى ، فقال سويد : انف اذن اسنان ، بطن بظر بصر ، ترقوة ثمرة تينة ، ثغر ثنايا ثدي ، جمجمة جنب جبهة ، حلق حنك حاجب ، خـد خاصرة خصر ، دبر دماغ دردر ، ذكر ذقن ذراع ، رقبة رأس رجل ، زرذمة زند زب .

فضحك عبد الملك من قوله ، ثم قال سويد : ساق سرة سبابة ، شفة شعر

شارب ، صدر صدغ صلمة ، ضلع ضفيرة ضرس ، طحال طرة طيز .

فضحك عبد الملك من قوله ، ثم قال سويد : ظهر ظنبوب ظفر ، عين عنق عاتق ، غبية غلصمة غنصة ، فم فك فؤاد ، قدم قفا قلب ، كتف كف كعب ، لسان لحية لوح ، مرفق منكب منخر ، نغنوغ ناب هامة وجنة ورك ، يمين يسار يافوخ . ثم نهض سويد مسرعا وقبل الارض بين يدي عبد الملك، فقال الحاضرون والله ما احد زاد على سويد فاعطه يا امير المؤمنين ما يتمناه فاجازه عبد الملك وانعم عليه ، وبالغ في الاحسان اليه .

قال ابن حجة في خزانة الأدب شرح بديعيته : وإذ وصلنا في القسم إلى باب الهزل الذى يراد به الجد فمهذب الدين احمد بن منير الطرابلسى قائد هذا العنان وفارس هذا الميدان ، وما ذاك إلا انه هاجر إلى بغداد .

والشريف الموسوى نقيب الاشراف بها ، وبابه حرم الوافدين ، وبه ينابيع الفضل التي هي مناهل الواردين .

وكان يقال : ان الشريف المشار اليه من كبار الشيعة ببغداد ، وعلى هذا اجمع غالب الناس ، فجهز اليه منير عند قدومه بغداد هدية مع مملوكه تتر الذي اشتهر به في الخافقين غرامه ، وابدع في اوصافه الجميلة نظامه ، فقبل الشريف هديته واستحسن المملوك فابقاه ، وقصد ان يعوضه عن ذلك باضعافه ، فلما شعر ابن منير بذلك التهب على مملوكه ، بل معشوقه تتر ، وكتب إلى الشريف :

عذبت قلبي يا تتر واطرت نومي بالفكر
ومزجت صفو مودتى من بعد بعدك بالكدر
وجفوت صبا ما له من حسن وجهك مصطبر
يا قلب ويلك كم تخادع بالغرور وكم تغر
ريم يفوق ان رماك بسهم ناظره النظر
تركتك اسهم ريشها من بأسهن على خطر

ورمت فأصمت عن قسي لا يناط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخيط بالخيوط ولا الأبر
كم ذا تلاعب بالعقول عيون ابناء الخزر
فكأنهن صوالج وكأنهن لها اكر
تخفي الهوى وتسره وخفي وجدك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى يفضي اليه فينتظر
نفسي الفداء لشادن انا من هواه على خطر
رشأ تغازله النواظر ان تثنى او خطر
عذل العذول وما رآه فحين عاينه عذر
قمر يزين ضوء صبح جبينه ليل الشعر
ترمى اللواحظ خده فترى لها فيه اثر
هو كالهلال ملثما والبدر حسناً ان سفر
ويلاه ما احلاه في قلبي الشجي وما امر
نومي المحرم بعده وربيع لذاتي صفر
بالمشعرين وبالصفا والبيت اقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطاف به ولبى واعتمر
لئن الشريف الموسوي ابو الرضى بن ابي مضر
ابدى الجحود ولم يرد إلي مملوكي تتر
آليت آل أمية الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر وعدلت عنه إلى عمر
وإذا جرى ذكر الصحابة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيم ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبي على آل النبي ولا شهر

كلا ولا صد البتول عن التراث ولا زجر
واثابها الخمس وما شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته جنح الظلام المعتكر
وقرأت من اوراق مصحفه البراءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وازور قبرهما وازجر من نهاني او زجر
واقول ام المؤمنين عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصلح من بنيها في زمر
واتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر
واتى ابو حسن وسل حسامه وسطا وكر
واذاق اخوته الردى وبعير امهم عقر
ما ضره لو كان كف وعف عنهم إذ قدر
واقول ان امامكم ولى بصفين وفر
وأقول ان اخطا معاوية فما اخطا القدر
هذا ولم يغدر معاوية ولا عمرو مكر
بطل بسوأته يقاتل لا بصارمه الذكر
وجنيت من ثمر النوى صب ما تثمر واختمر
واقول ذنب الخارجين على علي يغتفر
لا ثائر لقتالهم في النهروان ولا اثر
والاشعري بما يؤل اليه امرهما شعر
قال انصبوا لي منبراً فانا البري من الخطر
فعلا وقال خلعت صاحبكم واوجز واختصر

واقول ان يزيد ما شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن ابناء فاطمة امر
وحلقت في عشر المحرم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره وصيام ايام اخر
ولبست فيه اجل ثوب للملابس يدخر
وسهرت في طبخ الحبوب من العشاء إلى السحر
وغدوت مكتحلا اصافح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريق اقص شارب من عبر
وغسلت رجلي كلها ومسحتها وقت السفر
آمين اجهر في الصلاة كمن بها قبلي جهر
واسن تسنيم القبور لكل قبر يحتفر
وإذا جرى ذكر الغدير اقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملابس ما اضمحل وما دثر
وسكنت جلق واقتديت بهم وان كانوا بقر
واقول مثل مقالهم بالفاشري ما قد فشر
مصطيحتي مكسورة وفطيرتي فيها قطر
بقريري تركيبهم طلس الظليم إذا نفر
وخفيفهم مستثقل وصواب قولهم هدر
وطباعهم كجبالهم جبلت وقدت من حجر
ما يترك التشبيب تغريد البلابل في السحر
واقول في يوم تحار له البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف اضلني بعد الهداية والنظر

فيقال خذ بيد الشريف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما تبقى عليه ولا تذر
والله يغفر المسيء إذا تنصل واعتذر
فاخش الإله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية راقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها قس الفصاحة لافتخر
ودرى وايقن انني بحر والفاظي درر
وبديعة كبديعة عذراء ترفل في الحبر
حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر
وإلى الشريف بعثتها لما قراها وابتهر
رد السلام وما استمر على الجحود وما اصر
واثابني وجزيته شكراً وقال لقد صبر

﴿ ترجمة أبي محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم ﴾
(الشهرزوري ، كان من المشهورين بالفضل والدين)

أقام ببغداد مدة مشتغلا بالفقه والحديث ، وتولى القضاء بالموصل ، وكانت ولادته في شعبان سنة احدى عشرة واربعمائة وتوفي بالموصل سنة احدى وعشرين وخمسمائة ، ودفن بها ، وله شعر رائق ، فمن شعره هذه القصيدة التي على طريق الصوفية ، هكذا ذكره ابن خلكان .

وبعضهم ينسب هذه القصيدة المذكورة للسهروردي ، والله اعلم والقصيدة هذه :

لمعت نارهم وقد عسعس الليل ومل الحادي وحار الدليل
فتأملتها وفكري من البين عليل ولحظ عيني كليل

وفؤادي ذاك الفؤاد المعنى   وغرامي ذاك الغرام الدخيل
ثم قابلتها وقلت لصحبي   هـذه النار نار ليلى فميلوا
فرموا نحوها لحاظاً صحيحات فعادت خواسئاً وهي حول
ثم مالوا إلى المـلام وقالوا   خلب ما رأيت او تخييل
فتجنبتهم وملت اليها   والهوى مركبي وشوق الزميل
ومعي صاحب اتى يقتفي الآثار والحب شرطه التطفيل
وهي تعلو ونحن ندنو اليها   حجزت بيننا طلول محول
فدنونا من الطلول فحالت   زفرات من دونها وعويل
قلت من بالديار قالت جريح   واسير مكبل وقتيـــل
ماالذي جئت تبتغي قلت ضيف   جاء يبغي القرى فاين النزول
فاشارت بالرحب دونك فاعقلها فما عندنا لضيف رحيل
من اتانا نلق عصا السير عنه   قلت من لي بذا واين السبيل
فحططنا إلى منازل قوم   صرعتهم قبل المذاق الشمول
درس الوجد منهم كل رسم   فهو رسم والقوم فيه حلول
منهم من عفا ولم يبق للشكوى ولا للدموع فيه مقيل
ليس إلا الانفاض تخبر عنه   وهو عنها مبرأ معزول
ومن القوم من يشير إلى وجـد يبقى عليه منه القليل
ولـكل رأيت منهم مقاما   شرحه في الـكتاب مما يطول
قلت اهل الهوى سلام عليكم   لي فؤاد عنكم بـكم مشغول
وجفون قـد اقرحتها من الدمع حنيناً إلى لقاكم سيول
لم يزل بي حاد من الشوق يحدو   بي اليـكم والحادثات تحول
واعتذاري ذنب فهل عندمن يعلم عذري في ترك عذرى قبول
جئت كي اصطلي فهل لي إلى نيرانكم هذه الغـداة سبيل

فاجابت شواهد الحال عنهم كل حد من دونها مفلول
لا تغرنك الرياض الانيقات فمن دونها ربى وذحول
كم اتاها قوم على غرة منها وراموا قرى فمز النزيل
وقفوا شاخصين حتى إذا ما لاح للوصل غرة وحجول
وبدت راية الوفا بيد الوجد ونودي اهل العزائم حولوا
اين من كان يدعينا فهذا اليوم فيه صبغ الدعاوي يحول
حملوا حملة الفحول ولا يصرع يوم اللقاء إلا الفحول
بذلوا انفساً سخت حين شحت بوصال واستصغر المبذول
ثم غابوا من بعد ما اقتحموها بين امواجها وجاءت سيول
قذفتهم إلى الرسول فكل دمه في طلولها مطلول
نارها هذه تضيء لمن يسري بليل لكنها لا تنيل
منتهى الحظ من تزود منها اللحظ والمدركون ذاك قليل
جاءها من عرفت يبغي اقتباساً وله البسط والمنى والسول
فتعالت عن المنال وعزت عن دنو اليه وهو رسول
فوقفنا كما عهدت حيارى كل عزم من دونها مخذول
ندفع الوقت بالرجاء وناهيك بقلب غذاؤها التعليل
كلما ذاق كأس يأس مرير جاء كأس من الرجا معسول
فاذا سولت له النفس امراً حيد عنه وقيل صبر جميل
هذه حالنا وما وصل العلم اليها وكل حال يحول

وهذه القصيدة قليلة الوجود مطلوبة .

وحكي ان بعض المشايخ رأى في النوم قائلا يقول له ما قيل في طريق القوم مثل هذه القصيدة ابداً ، ومن شعره أيضاً :

بقلبي منكم علق ودمعي فيكم علق

ونحن ببابكم فرق　　أذاب قلوبنا الفرق
فلا وصل ولا هجر　　ولا نوم ولا ارق
فليتهم وقد قطعوا　　ولم يبقوا على بقوا
أ أفنى في محبتهم　　وطيب محبتي عبق
كمثل الشمع يمتع من　　ينادمه ويحترق

وله ايضاً :

يا ليل ما جئتكم زائراً　　إلا رأيت الأرض تطوي لي
ولا ثنيت العزم عن بابكم　　إلا تعثرت باذيالي

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(فائدة)

من حاشية ملا خسرو على البيضاوي عند قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) اختلف في اجناس عدد العالم ، فقيل لله تعالى الف عالم ستمائة في البحر واربعمائة في البر ، وقيل : ثمانية الف عالم ، الدنيا عالم واحد منها ، وما العمران في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء .

وقيل : اربعون الف عالم من مشرقها إلى مغربها عالم واحد ، وقيل : ثمانون الف عالم اربعون الفاً في البر ، واربعون الفاً في البحر ، وقيل : مائة الف عالم ، إذ روي ان الله تعالى خلق مائة الف قنديل وعلقها بالعرش والسموات والارض ، وما فيهما حتى الجنة والنار كلها في قنديل واحد ، ولا يعلم احد ما في القناديل إلا الله تعالى ، وقال كعب الاحبار : ولا يحصي عدد العالمين احد إلا الله ، وما يعلم جنود ربك إلا هو .

﴿ هذه ارجوزة الفاضل الأديب ابن مكانس رحمه الله وهي مشهورة ﴾

هل من فتى ظريف … معاشر لطيف

يسمع من مقالي … ما يبهر اللآلي

امنحه وصية … سارية سريه

تنير في الدياجي … كلمعة السراج

جالبة الاسراء … جلية الانباء

ما جنة خليعة … بليغة مطيعه

رشيقة الالفاظ … تسهل للحفاظ

جادت بها القريحه … في معرض النصيحه

أنا الشفيق الناصح … أنا المجد المازح

اسلك للجماعه … في طرق الخلاعه

اجد للاكياس … عهد ابى نواس

ان تبتغي الكرامه … وتطلب السلامه

اسلك مع الناس الأدب … ترى من الدهر العجب

لن لهم الخطابا … واعتمد الآدابا

تنل بها الطلابا … وتسحر الالبابا

البس حلي الخلاعه … واخلع رد الرقاعه

ولا تطاول بنسب … ولا تفاخر بنشب

فالمرء ابن اليوم … والعقل زين القوم

ما اروض السياسه … لجامع الرياسه

ان شئت تبقى محسناً … فلا تقل قط انا

وان اردت لا تهن … إذا ائتمنت لا تخن

العز في الامانه ... والكيس في الفطانه
القصد باب البركه ... والخرق داعي الهلكه
لا تغضب الجليسا ... لا توحش الانيسا
لا تصحب الخسيسا ... لا تسخط الرئيسا
لا تكثر العتابا ... تنفر الاصحابا
فكثرة المعاتبه ... تدعو إلى المجانبه
وان حللت مجلساً ... بين سراة رؤسا
اقصد رضا الجماعه ... وكن غلام الطاعه
ودارهم باللطف ... واحذر وبال الخسف
لا تلفين كاذبا ... لا تعمل المداعبا
قرب الندامى يلعبي ... للنرد والشطرنج
واختصر السؤالا ... وقلل المقالا
ولا تكن معربدا ... ولا بغيضاً نكدا
ولا تكن مقداما ... تسطو على الندامى
لا تمسك الاقداحا ... تنغص الافراحا
لا تقطع الطرافه ... لا تهجر السلافه
لا تحمل الطعاما ... والنقل والمداما
فذاك في الوليمه ... شنيمة عظيمه
لا يرتضيها آدمي ... غير وضيع عادم
وقل من الكلام ... ما لاق بالمدام
كرائق الاشعار ... وطيب الاخبار
واترك كلام السفله ... والنكت المبتذله
وقالت الاكياس ... إذا ارتق الكاس

بادره بالمنديل في غاية التعجيل
فشملة الكرام سفتجة المدام
وان رقدت عندهم فلا تشاكل عبدهم
فان سلمت مره فلا تعد يا غره
لا تأمنن الثانيه فان تلك القاضية
وآخر الامر الرضا وكل مفعول مضى
فعصبة العوام ضرب من الانعام
وان صحبت تركي فاصبر لاكل الصك
هذا إذا تلطفا ولم يكن منة جفا
وان يكن ذا عربده وبدعة منكده
قام إلى الجلوس بالسيف والدبوس
فابشر بقتل القوم وشؤم ذاك اليوم
ان رام منك المسخره فانهض إلى المبادره
وسموا تمسخر وقد وان خلصت لا تعد
واعمل له معرضا اولا قتلت يا خصا
فاقبل كلامي واعتمد وصيتي واوص وقد
ولا تخالف تندم ولا تغير تغرم
فالشؤم في اللجاج والحر لا يداجي
فهذه الوصيه للانفس الابيه
اخترتها لنفسي واخوتي وجنسي
لا تركب الجمالا لا تصعد الجبالا
لا تنكح الغيلانا لا تقتل الديدانا
لا تصحب السباعا لا تطلع القلاعا

لا تركب البحارا — لا تسلك القفارا
لا تترك الاريافا — لا تهجر السلافا
لا تندب الطلولا — ولا تكن مهبولا
اياك جرب الادويه — اياك سوء الاغذيه
لا تأكل الضبابا — لا تلج اليبابا
أترك لاهل العرب — وللجياع الغرب
أكالة القنافد — في البيد والفدافد
وثب إلى الرياض — وثبة ذي انتهاض
أما ترى الربيعا — ونوره المريعا
من يعد عن طريق — غاب عن التوفيق
أما سمعت باسمي — اما عرفت رسمي
سل الندامى عني — وان تشا فسلني
وان حللت مشربه — مع سوقة وكتبه
فاقلل من المدام — في مجلس العوام
ولا تكن ملحاحا — واجتنب المزاحا
لانهم ان مزحوا — انتدبوا وافتتحوا
وذقنوا ومرخصوا — واتصفوا واحصوا
صركابن حجاج ولا — ترتد واصفع بالدلا
فكثرة المجون — نوع من الجنون
والامر فيه يحتمل — وكل من شاء فعل
ولا تقل لمن يحب — ضيف الكرام يصطحب
فهذه امثال — غالبها محال
سيرها الاعراب — الجاعة السغاب

قدوضعوهافي الورى صيداً لاولاد الحرا
وان دعاك الاخوه إلى ارتشاف القهوه
فلا تصفع ذقنكا ولا تزرم بابنكا
ولا بجار الدار ولا بشخص طاري
ولا بخل تألفه ولا صديق تصدفه
اياك والتطفيلا وسوئه الويبلا
تباً لها من محنه وثلمة وهجنه
لا تقرب الاطاعه فانها دلاعه
ولا تكن مبذولا ولا تكن ملولا
وكم فتى من دبه اصبح مفضى ثقبه
جازوه من مثل العمل وصارفي الناس مثل
ليس له من آس كمثل بعض الناس
كفته تلك شهره ومثلة وعبره
والدب فاحذره حذر فانه احدى الكبر
فيا لها فضيحه ومحنة قبيحه
فاعلها لا يكرم وان ذوى لا يرحم
كم اسكن الترابا ذو عثرة دبابا
أنا الفتى المجرب انا الحريف الطيب
انا ابو المدام أنا اخو الكرام
كأنني ابليس للهو مغناطيس
امشي على اعطافي في طاعة الخلاف
اسعى إلى الازهار في زمن النوار
أروى من الورود في زمن الورود

اغيب يا فلان ان قيل آن البان
تحت سماء الزهر مع النجوم الزهر
كم ليلة ارقتها مع غادة علقتها
وطفاء مثل الريم ترفل في النعيم
لم انسها لما بكت مثل اللآلي وشكت
بغنجها ودلها أذى سراري بعلها
قلت اتركيه والاما في التعس يابدر السما
واستوطني في داري نكفى اذى السراري
يا طيبها من ليله لو انها طويله
ساعاتها قصار وكلها انوار
بدا بها الهلال يزينه الجمال
من جانب الغمامه كالحبك في العمامه
ولمعة السراج والصدع في الزجاج
وجانب المرآة والنعل في الفلاة
وكشفاه الاكؤس والحاجب المقوس
قلت له حين وفى ورق لي وانعطفا
كالغصن لدن اعوج كالفخ او كالدملج
معوجا كالنون وهيئة العرجون
يشبه لون الدره في الصحو بين الخضره
يا صفوة الاقار يا مبدع الانوار
قم بادر التغزلا واستجل كاسك الملا
فانما الدنيا فرص ان تركت عادت غصص
فيا لها وصيه تصحبها التحيه

تحملها الكرام إليك والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول مؤلف هذا الكتاب الراجي رحمة الرحيم الوهاب : كنا في عام الف ومائة وسبع واربعين من هجرة سيد المرسلين ، نصلي المغرب في الجامع الكبير المشهور ببندر المخا الشهير ، ونتلو القرآن مع صحب كرام واخوان ، إلى ان نصلي المشاء صحبة سيدي المالك السالك في نهج الرياسة والاريحية أقوم المسالك ، فخر الزمان ، منبع الفضل ، معدن الاحسان ، البحر العباب الزخار ، مولانا الفقيه النبيه عبد الله بن مولانا الفقيه النبيه احمد الخزندار لا زالا محروسين من شر حوادث الليل والنهار .

وكان يحضر معنا مولانا القاضي الواقع على فضله وصلاحه التراضي ، المجتهد العلامة ، الحبر الفهامة ، مولانا القاضي محمد بن زيد الاكوع لا زال نور فضله يسطع ويلمع ، وكذلك الضوء الكامل ، الصالح الفاضل ، الذكي النبيه مولانا الخطيب محمد بن القاسم الوجيه .

وكذلك المرحوم برحمة الله الشيخ علي نعمة الله ، والشيخ الصالح الحافظ الفالح الشيخ عبد الوهاب بن عبد اللطيف الفتني لا زال لدرر الفوائد والموائد يقتني ، فوصلنا ليلة من تلك الليال ، إلى قول الرب المتعال (ان هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله) برفع اسم الذات وكان القياس ان يكون منصوبا فسألني الضوء محمد الوجيه عن كيفية هذا الاستثناء وكيف الوجه فيه فاجبته بهذا البيان وبالله المستعان .

الاستثناء هو اخراج شيء مما دخل فيه غيره ، او ادخاله من غيره ، وهو اقسام ، وأول اقسامه إلا وهو حرف باتفاق النحويين ، والثاني هو الاسم المتفق عليه النحاة ، مثل غير وسوا وسواه وسواء . وقسم متردد بين الفعلية والحرفية مثل خلا وعدا وحاشا ، ومنه مايخفض دائماً مثل غير وسوى ، ومنه ما ينصب دائماً مثل ليس ، ولا يكون وما خلا وما عدا .

ومنه ما ينصب تارة ويخفض اخرى مثل خلا وعدا وحاشا ، ولا يخفى ذلك على سيدي المالك .

ونرجع يا من بالفضائل تحلى ، إلى بيان الاستثناء بالا ، فهو ينصب وجوبا إذا كان الكلام قبل إلا تاما ، والمراد بالتام الموجب ان يذكر فيه ، المستثنى منه وان لايسبقه نفي ولا شبهة مثل قولك قام القوم إلا زيداً ، فقام : فعل ماض والقوم فاعل ، وإلا حرف استثناء ، وزيداً منصوب بالاعلى الاستثناء وما اشبه ذلك .

فالاستثناء في هذا المثال من كلام تام موجب ، فتمامه ذكر المستثني الذي هو القوم ، ووجوبه عدم سبقه بنفي ، وشبهه وان كان الكلام الذى قبل إلا منفياً بأن تقدم عليه النفي ، وكان تاما بان ذكر المستثني منه ، جاز فيه البدل من المستثنى منه بدل بعض من كل ، سواء كان المستثنى منه مرفوعاً او منصوبا او مخفوضاً ، وجاز فيه الرفع بالاعلى الاستثناء نحو ما قام القوم إلا زيد بالرفع على البدل من القوم وفي هذه الآية الشريفة التي نحن بصددها وقعت ما النافية قبل إلا فحينئذ جاز الرفع في اسم الذات جل شأنه على انه بدل من الآلهة المنفيين ، ويكون التقدير وما من إله يعبد من هؤلاء الآلهة إلا الله سبحانه وتعالى بالرفع .

وقال ابن مالك ان إلا تنصب وجوبا ولا تحتاج إلى تقدير ضمير .

وقال ابن هشام في شرح قطر الندا وبل الصدا : إذا كان الاستثناء بالا وكانت مسبوقة بكلام تام موجب وجب نصبه ، سواء كان الاستثناء متصلا نحو قوله تعالى : (فشربوا منه إلا قليلا منهم) او منقطعاً نحو قوله تعالى : (فسجد الملائكة كلهم اجمعون إلا ابليس) وكان الاستثناء منقطعاً .

فاهل الحجاز يوجبون النصب فيه ، فيقولون ما فيها احد إلا حماراً وبلغتهم جاء التنزيل ، قال الله تعالى (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) بالنصب .

وبنو تميم يجيزون النصب والابدال ويقرؤن إلا اتباع الظن بالرفع على انه بدل من العلم باعتبار الموضع ولا يجوز ان يقرأ بالخفض على الابدال منه باعتبار

اللفظ ، فيكون اعراب الآية التي نحن بصددها بالرفع على انه بدل من الآلهة على لغة التميميين كما تقدم .

وقال الحريري رحمه الله : ولا يخلو حال الكلام قبل ان ينطق بالا من قسمين احدهما ان يكون الاستثناء منقطعاً ، والثانى ان يكون تاماً فان كان منقطعاً مرتبطاً بما بعد إلا لم تعمل شيئاً من الاعراب بل يكون اعراب ما بعدها كاعرابه مثل قولك : ما قام إلا زيد ، وما ضربت إلا زيداً ، وما مررت إلا بزيد ، فالا ها هنا افادت اثبات القيام لزيد ، وايقاع الضرب به ، وحصول المرور به من غير ان احدثت اعرابا ، ومن هذا القبيل قوله تعالى (وماأضلنا إلا المجرمون) وكان قولك ما قام إلا زيد ، بمنزلة قولك ما قام زيد إلا ان بينهما فرقا لطيفاً ، وهو انك إذا قلت قام زيد ، فقد اثبت له القيام ، واثبت ذكر غيره ، وإذا قلت ما قام إلا زيد فقد اثبت له القيام ، ونفيته عن غيره ويسمى هذا الاسم المفرغ لما بعد إلا .

فعلى هذا التقدير يكون اسم الذات الذى نحن بصدده اسماً مفرغا لما بعدإلا

وقال الرضى رحمه الله : وإذا اتى الاستثناء غير موجب بان كان الكلام نفياً او استفهاماً او نهياً ، فالأجود ان يعرب ما بعد إلا باعراب ما قبلها على سبيل البدل

وعند الفقير الحقير المقر بالتقصير ان هذا هو الوجه الصحيح الثابت الرجيح تقول ماقال احد إلا زيد ، وما ضربت احد إلا زيداً ، وما مررت باحد إلا زيد فيعرف زيد في المواطن الثلاثة باعراب احد على سبيل البدل ، لكنه يدل باعتبار الموضع لا باعتبار اللفظ ، ولك ايضاً ان تنصب الاسم المستثنى على الاصل ، فتقول ما قام احد إلا زيد او ما مررت باحد إلا زيد اوعلى اللغتين قوله تعالى (ما فعلوه إلا قليل منهم) برفع قليل ونصبه ، وان كان اكثر القراء على رفعه ، والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب .

﴿ الفقيه على بن صالح بن ابى الرجال ﴾

ارسل الفقيه علي بن صالح بن ابي الرجال إلى السيد محمد العارضة وكلاهما كانا بضوران بحضرة المتوكل على الله اسماعيل امام اليمن المؤتمن بهذه الملحونة العجيبة وهي :

لبس العباءة البيضا يعد عندي تقصير
واحذر بأنك ترضى تفعل لنفسك تغرير
واترك وحاذر ايضا نشر العذب والتكبير
إذا مرادك يقضي دينك فهذا التدبير

بيت :

واسلك طريق الغفله وخل هذا التمييز
واجعل عباتك شمله ولا تحب التركيز
واعرف بطبع الدوله إذا دخلت الدهليز
إذا مرادك يقضى دينك فهذا التدبير

بيت :

ان سرت فاخلع خفك والبس حذا إهل الشام
ولا تحني كفك إذا دخلت الحمام
واترك حصانك خلفك واركب حمار التشام
إذا مرادك يقضى دينك فهذا التدبير

بيت :

واترك عباة المشلح ويافتك والشبراز
واحذر بانك تسمح بشاربك للجزاز
ولا تكن شي تفرح بالطبطة والركاز

إذا مرادك يقضى دينك فهذا التدبير

بيت :

واخضع لامر البواب إذا دخلت الديوان
ولا تخاصم في الباب تفتح لصدرك دكان
والدقدقه للابواب تضر بك يا انسان
إذا مرادك يقضى دينك فهذا التدبير

بيت :

عمامتك لا تلقط وخلها كالخبشه
واحذر بانك تمشط دقنك وخليه عشه
ولا تكن شي تبسط في وسط بيتك كهه
إذا مرادك يقضى دينك فهذا التدبير

بيت :

ولا تغسل بالصابون وكن كانك سلاط
واجعل قميصك عرجون ونصف كمك مخاط
قد الوسخ به معجون هذى نصيحة بقراط
إذا مرادك يقضى دينك فهذا التدبير

بيت :

واصنع ودقق حيله تخلصك من ضوران
ولا تقف به ليله فقد تقضى شعبان
وخل ذي التكحيله ودهن هذي الاوجان
إذا مرادك يقضى دينك فهذا التدبير

بيت :

إذا سمعت المرفع يضرب وقالوا ركبه

فاحـذر بانك تطلم بالسيف او بالحربـه
واترك ثانك واصنع لباس فوق الركبـه
إذا مرادك يقضى دينك فهذا التدبير

بيت :

فـكم مهذب طهره قد بات مثلك مكروب
وكم منشف عـذره قد نال كل المطلوب
سلم لهـذا القـدره واخضع لهذا المكتوب
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

بيت :

وقهوتـك بالدله تجلب عليك الوسواس
فخـذ عوضها قبله ولا تبالغ في الكاس
واجعل مكانه بالله فنجان مكسور الراس
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

بيت :

وان مرادك تسـلا سليت نفسك بالقات
ولا تسب المـولى ولو يفتك ما فات
فـكم بفضله جلى عنا جميع الآفات
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

بيت :

واسلم فهذا المسطور انشاه مثلك مديون
اضحى بفوران مأسور وهو بصنما مفتون
فلا تـكن شي تنور دائم زمانك مجنون
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

وله مشتكى إلى الامام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله ومعاتباً له سامحه الله :

سمحت لنا يا ابن الخليفة بالذي ... طلبناه من كفيك في ساعة العسر
وعجلت بالامر الشريف ولم ترد ... مطالا لجاه المطل من حيث لاندري
وجادت اياديك الكريمة بعد ما ... تخيرت في مدحي لها محكم الشعر
بكبش مع الجزار لا شك انه ... حليف هوى مضني الفؤاد من الهجر
ضعيف نحيل الجسم صادت فؤاده ... عيون المها بين الرصافة والجسر
يحاكي خيال الطيف في سقم جسمه ... ويهتز من مر النسيم إذا يسري
طواه الهوى حتى انحنى وهو ابيض ... يحاكي هلال الشك في اول الشهر
ولم يبق فيه قوت يوم لنملة ... ولا ما يطفي الجمر إن حط في الجمر
ولا ما يجر المرء منه بظفره ... فقد صار منه العظم الق من الظفر
حكى في نحول الجسم قيس بن عامر ... ومن دونه قيس بن عامر في الصبر
فيا طالما امسى واصبح طاويا ... ومربطه خال من البول والبعر
وكيف يرجى بعر كبش طعامه ... نسيم الصبا ان مر في ساعة الفجر
ولما درى الجزار انى رددته ... واوسعته عتباً وكررت في الزجر
أتانى بصوام من الضان عابد ... كثير قيام الليل في جانب القصر
نحيف براه الخوف حتى بدا لنا ... بعظم بلا لحم وجلد بلا شعر
له فضلة عن جسمه في اهابه ... ولكنه عاري المناكب والظهر
قضى برهة في سفح قموان صائماً ... ووافى إلى مغنى في اول العشر
فلاق مرير العيش حين وكلته ... إلى جابر رب الخديعة والمكر
فتى لا يرى حقاً لديك لطالب ... سواه ولا يرضى لمثلك بالأجر
ولو لا بنيات صغار وصبية ... كزغب القطا الكدري يدرجن في الوكر
وجور الزمان قبح الله صرفه ... سريعاً ولاحياه ذوالعرش من دهر
لما جئت ابغى الفضل من كف جابر ... ولا رحت استجدي بنظمي ولا نثري

ولكنها الايام لا در درها فيا ويحها كم تبدل اليسر بالعسر
واني وان عزت علي مطالبي ولاقيت احوالا يضيق بها صدري
سأصبر حتى ينتهي امر جابر إلى الكسر بعد الجبر والنهي والامر
وأنشد في وصف الكباش قصائداً نسير بها الركبان في البر والبحر
ودم في ألذ العيش ما قام عابد من الضان جنح الليل في جانب القصر
وما سار مسكين إلى باب جابر فعاد بنقصان واقصى إلى خسر
وما حن كبش في حماه تشوقا إلى علف في ليلة العيد والعشر

وله سامحه الله معاتباً السيد صلاح بن عز الدين وزير الامام المهـــــدي رحمهم الله اجمعين :

أما والمثريات من الضحايا تحث السير في قاع الحباب
تجوب البر قاصـدة لصنعا كخوض الحوت امواج العباب
وتحكي الحوت في شحم ولحم وتشبه فعله في الاضطراب
تخال شحومها إذ ما تهادت تـكاد تزل من تحت الاهاب
تسد الافق ان طلعت صباحا ومرت في الفضا مر السحاب
تمد لها قدور راسيات وتلق في جفان كالجواب
لقد اصبحت انظرها بعين نشاهد لحمها عند الحجاب
ولي قلب لفرط الشوق اضحى للقياها شديد الالتهاب
ولكني حليف العسر ضلت كمثل المشرفي بلا قراب
واشعب قد تعرض لي قديماً وارشدني إلى غير الصواب
وقد سمح الصنو لنا بوعـد واكد وعده عند الطلاب
وانت وزيره واليك القى مقاليد الامور بلا ارتياب
والزمك الجواب فلت تيها إلى رفض التحية والجواب
ولم تعلم بان التيه شين وعيش الكبر ليس بمستطاب

فخذ ما استطعت من كسب المعالي	وتقليد الصنائع في الرقاب
ولا تركن إلى مال وملك	عظيم فالزمان إلى انقلاب
ولو أني استطعت على وصول	إلى ملك تملل بالحجاب
لما سددت نحوك سهم عتبي	ولا قرعت مثلك بالعتاب
ولكن البعاد قضى بأني	أعاتبكم واغلظ في الخطاب
ولو لا اصلك السامي محلا	وكونك تنتمي لابي تراب
لا ترعت المسامع فيك هجوا	وملت عن العتاب إلى السباب
واصبحت الدواة اليك تملي	قريضاً جاء بالعجب العجاب
وهذا بعض عتبك من محب	نجيب غره لمع السراب
ودم في نعمة ما دمت تسمى	إلى نقم القرابة والصحاب

(نكتة)

نكتة عجيبة ، وقصة غريبة ، مشهورة بأراضي اليمن البعيدة منها والقريبة عن القاضي صالح ابي الرجال : انه كان له ولد واحد لا غير ، فلما شب الولد واراد ان يختنه صنع وليمة عظيمة ودعا لها الرجال والنساء اياما .

فلما كان يوم الختان وكان الولد نائما إذ خرجت عليه من جدار البيت حية فلسعته فمات لوقته واطلعت والدته على هذا الحال ، فارسلت إلى والده سراً وقالت له : معي سؤال ، فقال لها : سلي ما بدا لك ، فقالت له : لو اودع انسان عند انسان وديعة إلى اجل معلوم ، ثم جاء ذلك الرجل وطلب امانته فهل له ان يأخذها ام يمنع منها ؟ فقال لها : لا يجوز منعه من اخذ وديعته ، فقالت له : فاذن اخبرك بان الله تعالى قد اخذ وديعته التي اودعنا اياها ، واخبرته بالقصة ، فلم يجزعا وحمدا ربهما وطلبا من فضله العوض ، ولم يظهرا لمن حضر شيئاً من الحزن والكدر إلى ان انقضى ذلك اليوم بالفرح والسرور ، ثم غسلا ميتهما ودفناه .

فما مضت إلا ايام قلائل حتى حملت امرأته ، فلما آن وقت وضعها القت شيئاً كالكيس ، فشق وخرج منه اربعون ولداً بقدر الشبر ، فلما وقعوا على الارض انتشوا قليلا قليلا في يومهم ذلك إلى ان صاروا على قياس الطفل المولود بعون الملك المعبود ، فاخذهم المراضع وارضعتهم فطلعوا اربعين رجلا كلهم فضلاء ادباء .

وهذه القصة ليس فيها شك ولا لبس ، وهي ببلاد اليمن مشهورة ، اظهر من الشمس ، والله على كل شيء قدير ، وبالاجابة جدير ولهذا كني ابوهم بابى الرجال والامر لله الكريم المتعال .

﴿ حكاية يعجب بها أرباب الجمال والدراية ﴾

لما عزم سابور بن هرمز على الدخول إلى بلاد الروم متنكراً نهاه ارباب دولته وعظماؤها ونصحوه وحذروه من الغره بنفسه والمخاطرة في امر يمكنه يستنيب فيه احد ثقاته ، فعصى نصحهم وتوجه متنكراً نحو بلاد الروم واستصحب وزيراً كان له ولابيه من قبله ذا دهاء وحزم ، وعزم وسداد ورأي بصيراً بالامور موسوما بالديانات ، حافظاً لغالب اللغات ، متبحراً في العلوم ، ذا خبرة بالمكائد والمخاتل والمصائد ، فسلم اليه سابور احواله بالتمام ، وتوجها نحو الشام ، فتزيا ذلك الوزير بزي الرهبان ، وتكلم بكلام الجلالقة ، وتحرف بصناعة الطب والجراح وصحب معه دهن الصيني الذي اذا دهن به الجراحات ابرأها حالا .

وكان الوزير في مسيره الى بلاد الروم يداوي الجراحات بأدوية ، وكان يضيف اليها شيئاً من ذلك الدهن فتبرأ الجراحات بسرعة ، واذا عنى بواحد من ذوي الاقدار داواه بذلك الدهن صرفا فيبرأ حالا ، ولا يأخذ على المداواة اجرة .

فانتشر له في بلاد الروم صيت وشهرة بالحكمة والجراحات والعلم والزهد والكرم ، وكان سابور ووزيره المذكور قد سارا منفردين إلا ان الوزير كان يرعي احوال سابور اشد المراعاة ، فلم يزالا حتى خلفا الشام وراءهما وتجاوزا

الدروب ، وقصدا قسطنطينية حتى قدماها ، فذهب الوزير إلى البترك ، ومعناه ابو الآباء فاستأذن عليه فاذن له ، فدخل عليه فسأله البترك عما يريد فاخبره انه هاجر من ارض الجلالقة ليتشرف بخدمته ، ويدخل في اتباعه واهدى اليه هدية نفيسة حسن عند البترك موقعها فقربه واكرمه ، وانزله احسن منزل واتحفه واختبره ، فوجده عاقلا لبيباً اديباً ، فاعجب به غاية الاعجاب ، فجعل الوزير يتأمل اخلاق البترك وصفاته ، ليصحبه بما يوافق حاله ، فوجده مائلا إلى الفكاهة والاخبار ، فاخذ في اتحافه بكل نادرة غريبة ، فسلبه بملحه حتى ملك قلبه ، وهو مع ذلك يعالج المجروحين بذلك المرهم من غير اجرة ـ كما تقدم ـ فعظم قدره في اعين الناس ، وهو مع ذلك يتفقد احوال سابور في كل ساعة ، واتفق ان قيصر ملك الروم صنع وليمة ، واجمع عليها جميع مملكته فنازعه سابور نفسه في الدخول مع الناس والمخاطرة بنفسه فمنعه الوزير عن ذلك فلم يقبل نصحه ، بل تزيا بزي ظن انه يستتر به ، ودخل قصر قيصر مع من حضر .

وقد كان قيصر لما بلغته قوة سابور وفطنته وشدة بأسه وهمته ، حذره اشد الحذر ، ونقش صورته وجعلها في فرشه وستوره ، وآلات اكله وشربه ولهوه ولعبه ، فدخل سابور دار قيصر ، واكل مع من حضر ، فلما اتوا بالشراب كان في المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم ، فوقعت عينه على سابور ، فلما رآه سابور نكس رأسه ، فجعل ذلك الحكيم يتأمل شخصه واماراته ، فرأى عليه علامة الرياسة والسلطنة ، فجاء الساقي إلى ذلك الحكيم بكاس خمر من ذهب وفيه صورة سابور فتأملها وتأمله ، فطابقت صورته تلك الصورة ، فصاح وقال : ان هذه الصورة التي في هذا الكاس تخبرني ان صاحبها معنا في هذا المجلس ، ونظر إلى سابور فرآه قد تغير لونه ، فتحقق فيه ظنه ، فاعاد القول على قيصر وأراه سابور فأمر قيصر بقبضه ، وسأله عن نفسه فانكره ، فأمر بقتله ، فاعترف له بصدق قول ذلك الحكيم ، فحبسه إذ ذلك قيصر مكرماً وامر فصنع له صورة بقرة من جلود

البقر عظيمة ، وجعل لها باباً من اعلاها للدخول ، وباباً من اسفلها إذا أراد ان يبول وامر بسابور فجممت يداه إلى عنقه بسلسلة من ذهب ، وادخله في جوف تلك الصورة ،

ثم ان قيصر جيش الجيوش وسار مغتنما الفرصة لغزو بلاد فارس ، ووكل بتلك الصورة التي سجن فيها سابوراً مائة رجل اهل قوة وباس شديد يحملونها بينهم ، وجعل على كل خمسة منهم رئيساً يضبطهم وصرف جميع امرهم إلى المطران يعني صاحب البلدة ، وهو خليفة البترك ، فكانت تلك الصورة تحمل بين يدي المطران ، فاذا نزلوا تلك الصورة جعلوها متوسطة بين العسكر ، وضربت حولها عشرة خيام مستديرة بها ، وطاف بها خمسون من الموكلين بها ، وضرب للمطران خيمة إلى جانب خيمة سابور وضرب خارج الخيام كلها خيمة يصنع فيها الطعام للموكلين بخيمة سابور على حسب قدارهم .

ثم سار قيصر بجنوده عازما على تخريب بلاد الفرس لعلمه ان لا دافع يدفعه عنهم ، فقال وزير سابور للبترك ان مما استفدت من خدمتك والقرب منك الرغبة في صلاح الاعمال ، وانه لا عمل اصلح من تنفيس كربة عن مجهود وجر نفع إلى مضطر ، وقد علمت كفاءتي في صنعة الطب والجراحات ، وان نفسي تنازعني إلى صحبة الملك قيصر في سفره هذا فلعلي ان استنقذ نفساً صالحة يترحم علي من اجلها ، فكره البترك منه ذلك ، وقال له : قد علمت انى لا استطيع فراقك ساعة واحدة ، فكيف بالسفر الطويل البعيد ، وما ظننت منك انك تخاطبني بما يشق علي كما لم اظن انك تؤثر شيئا على صحبتي :

فلم يزل الوزير يتضرع اليه ويقرب له العود اليه ، إلى ان سمح له بذلك وزوده ، وكتب معه كتابا إلى المطران ، واخبره انه قد بعث اليه سويداء قلبه ونور بصره فليحله اعلى المراتب ، ويستضيء برأيه الصائب .

فقدم سابور على المطران فعرف حقه وانزله معه ، وجعل بيده زمام امره

ونهيه ، فصار الوزير يتقرب إلى المطران بما يعجبه ، ويتحفه كل ليلة باخبار عجيبة رافعا صوته ليسمع سابور حديثه ، فيتسلى بذلك ، ويدس في اثناء حديثه ما يجب ان يعلمه سابور من الاخبار ، فيجد سابور بذلك راحة .

وكان الوزير قد اعد لخلاص سابور ، ورتب جملة من المكايد عند ما قدم ان على هذا المطران :

منها : انه امتنع عن مؤاكلة المطران ، واوهمه انه لايريد ان يخلط بالطعام الذي زوده اياه البترك ـ المتقدم ذكره ـ طعاما آخر لما فيه من البركة ، فكان إذا حضر طعام المطران اخرج هو من ذلك الطعام وانفرد بالاكل منه .

فلم يزل قيصر سائراً بجنوده حتى بلغ ارض فارس ، فاكثر فيها القتل والسبي وتغوير المياه ، وقطع الاشجار ، وخراب القرى والامصار والحصون والاسوار ، وهو مع ذلك يواصل السير للاستيلاء على دار مملكة سابور ، ويباعث من بها من رؤساء المملكة لكي لا يملكوا عليهم ملكا غير سابور .

فلم يكن للفرس همة إلا الفرار بين يديه ، حتى بلغ مدينة سابور ودار تخته فاحاط بها ونصب عليها المنجنيق ، فلم يكن عند عظماء دولة الفرس حيلة في دفعه باكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها .

وكان سابور قد علم كل ذلك بالتفصيل من حكايات وزيره مع المطران ورموزه ، فلما تحقق ان قيصر قد تغلب على مدينته وثلم الاسوار بالمنجنيق وقد اشرف على افتتاح المدينة عيل عند ذلك صبره ، وضاق ذرعه وساء ظنه بوزيره وأيس من نجاته ، فلما جاءه الموكل عليه بطعامه قال له : ان القيد الذهب هذا قد اذاني ، وقد ضعفت عن احتماله ، فان كنتم تريدون بقاء نفسي فنفسوا عن حلقي ورجلي ، واجعلوا بينه وبين حلقي ورجلي خرقا من حرير لاستريح قليلا .

فجاء الموكل واخبر المطران ، وسمعه الوزير ، فعلم ان سابور قد جزع وساء ظنه به ، وفطن لما قصده سابور .

فلما جن الليل جلس الوزير لمسامرة المطران فآنسه قليلا بالحديث ، ثم قال له لقد ذكرت هـذه الليلة حديثاً عجيباً ، ما ذكرته منذ كذا وكذا سنة ولو ددت لو انى حدثته البترك قبل سفري عنه ، لـكن سوف احدثه إذا عدت اليه .

فقال له المطران انى اتوسل اليك ان تحدثني هـذه الليلة به بحق عليك ايها الحـكيم الماهر العظيم ، فقال له الوزير : حباً وكرامة ، ثم شرع يحدثه رافعاً صوته ليسمع سابور فيطمئن قليلا .

فقال : اعلم انه كان عندنا بجليقة فتاة وفتى في نهاية الحسن والظرف ، اسم الفتى عين اهله ، واسم الفتاة سيدة النار ، وكانا زوجين مؤتلفين ، فبغى احـدهما على الآخر بدلا ، وان عين اهله جلس يوما مع اصحاب له يتحدثون ، فتذاكروا حديث النساء ، إلى ان وصف احدهما امرأة بجمال بارع اسمها سيدة الذهب ، فمال قلب عين اهله اليها ، فسأل الواصف لها عن منزلها فاخبره انها ببلدة بعيده فطمحت نفسه اليها وانطلق إلى بلدتها وعرف منزلها فلم يزل يتردداليه حتى نظرها فرأى منظراً حسناً غير انها لم تكن احسن من زوجته سيدة النار ، فنازعته نفسه إلى التمتع بها.

فلم يزل يعاود منزلها حتى فطن به زوجها ، وكان فظاً غليظ القلب يسمى الذئب الازرق ، فلما رآه وثب عليه ، فقتل فرسه ومزق اثوابه ، واستعان باصحابه فلزموه وادخلوه إلى الدار ، وربطوه إلى جنب عمود البيت ، ووكل به عجوزاً مقطوعة اليد ، مجدوعة الانف ، عوراء العين ، شوهاء الوجه .

فلما جن الليل اوقدت تلك العجوز ناراً بالقرب منه ، وجلست تصطلي فتذكر عين اهله ما كان فيه من العز والسلامة والرفاهية ، فزفر زفرة عظيمة فاقبلت عليه العجوز وقالت : ايها الفتى ما ذنبك الذي اوقعك في مورد الذل هذا ، فقال : ما علمت لي ذنباً ، فقالت العجوز : هكذا قال الحصان للخنزير ، فقال لها عين اهله فـكيف كان حديثهما ؟ فقالت له العجوز : ذكروا ان حصاناً كان لرجل من الشجعان وكان ذلك الرجل يكرم ذلك الحصان ويتفقده في جميع اوقاته ، ويمـده

لمهماته ، وكان كل يوم يخرج به إلى برأفيح ، فيحل عنه سرجه ويدعه يتمرغ في ذلك البر ويمرح ، فاذا ارتفعت الشمس رده إلى موضعه .

فخرج به يوما على عادته ، فلما نزل عنه نفر الحصان ومر يعدو بسرجه ولجامه ، فطلبه الفارس طول يومه ذلك ، فاعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس فرجع ذلك الفارس وقد قطع امله منه .

فلما اظلم الليل على الحصان وقد انقطع عنه الطلب جاع ، فرام ان يرعى فمنعه اللجام ، ورام ان يتمرغ فمنعه السرج ، ورام ان يستقر على احد جنبيه فمنعه الركاب ، فبات بأسوء حالة ، فلما اصبح ذهب يبتغي لنفسه خلاصا مما هو فيه فاعترضه نهر ، فدخله ليقطعه إلى طرفه الآخر ، فاذا هو بعيد العمق ، فسبح فيه . وكان حزامه ولببه من جلد لم يبالغ في دبغه ، فلما خرج من النهر وحميت الشمس يبس اللبب والحزام واشتد عليه ، فورم لببه ومحزمه ، واشتد عليه الوجع والجوع فلبث على تلك الحالة اياما إلى ان ذهبت قواه ، وضعف عن المشي ، فمر خنزير كبير فرام ان يقتله ، ثم شفق عليه لما رآه على تلك الحالة ، فاقبل عليه وسأله عن حاله فاخبره بما هو فيه من ضرر اللجام واللبب والحزام ، وسأله ان يصنع معه معروفا ويخلصه مما هو فيه من الشدة ، فقال له الخنزير : الك ذنب حتى وقعت في هذه العقوبة ؟ فقال له الحصان : ليس لي ذنب استحق به ذلك ، فقال له الخنزير ما انت إلا كاذب في قولك او جاهل بذنبك ، فان كنت كاذبا فما ينبغي لي ان انفس عنك كربك او اعمل معك صنيعا ، ولا اتخذك خليلا ، فحدثني عن ابتداء امرك لاعلم حالك ، ومن اين اصبت ؟

فحدثه بجميع امره ، وكيف كان عزيزاً عند صاحبه ، وكيف فارقه ، ومالقى في طريقه بعد فراق صاحبه ، فقال له الخنزير : الآن قد ظهر لي انك جاهل بذنبك وان لك ذنوبا شتى ، اولها : خذلانك لصاحبك الذي احسن اليك ورباك ، وكفرك لاحسانه اليك ، واضرارك له في طلبك ، وتعديك على ماليس لك وطلبك التوحش

الذي لا لك قدرة عليه ولا انت من اهله ، واصرارك على ذنبك ، وقد كنت قادراً على العودة اليه قبل ان يوهنك اللجام واللبب والحزام ، فقال الحصان للخنزير فاذا كنت قد عرفتني بذنوبي فنفس عني ما انا فيه من الضيق الكبير ، فقال له الخنزير : فاذا عرفت بذنبك فقد وجب علي ان انفس عنك ، ثم قطع عنه الحزام واللجام فسقط السرج عن ظهره وتنفس بعد ان كان حائراً في امره .

فلما سمع عين اهله كلام العجوز أقبل عليها وقال لها : صدقت فيما به نطقت فقد افدتيني حكما عجيبة ، ثم حدثها بحديثه وسألها ان تصنع معه الاحسان ، كما صنع الخنزير بالحصان ، فقالت له : انك بصير بالامور والذي سألتني عنه لا يمكن الآن ، ولكن اصبر إلى ان اجد لخلاصك حيلة اخلصك بها وسكتت عن مخاطبته

فلما انتهى الوزير في حديثه إلى هنا اقبل على المطران وقال له : اني احس في رأسي صداعا ولا يمكنني اتمام الحديث ، ولعلي ان اتمه في الليلة الآتية .

ثم نهض الوزير إلى مضجعه ، فجعل سابور يتأمل حديث وزيره وامثاله ، فعلم ان الوزير كنى عنه بعين اهله لانه ملك ، وكنى عن مملكة فارس بسيدة النار وعن مملكة الروم بسيدة الذهب ، وعن قيصر بالذئب الازرق ، وكنى عن طموح سابور إلى مملكة الروم بطموح عين اهله إلى سيدة الذهب، وعن قيصر بالذئب بعل سيدة الذهب . وقصد بهذه الامثال تأديب سابور لما غرر بنفسه ، ولم يسمع لنصح وكنى عن نفسه وعجزه وذله في خدمة المطران وتعلقه له بالعجوز القطماء الشوهاء وعرفه انه لا يمكنه تخليصه إلا بعد الصبر والتدبير في الحيلة ، وعرفه انه ساع في خلاصه.

فطابت نفس سابور وتوثق بوزيره وشم رائحة الفرج بعد الشدة .

فلما كانت الليلة الثانية تمشى وزير سابور وجلس للمسامرة ، فقال له المطران ايها الحكيم الماهر اخبرني ما فعل عين اهله ، وهل خلصته العجوز من الذئب الازرق أم لا ؟ فقال الوزير : نعم ايها المطران الشفوق . ثم ان عين اهله اقام ليلته في وثاقه ، فلما اصبح دخل عليه الذئب وهدده بالقتل وزاد في وثاقه ، وخرج عنه

فبقي نهاره على حاله ، فلما امسى استوحش وبكى ، وجاءت العجوز اليه وقالت له : اصبر ولا تجزع ، فقال لها عين اهله : لقد صدق القائل حيث قال (هان على الطليق ما لقي الاسير) فقالت العجوز : ان حداثة السن قصرت بك عن ادراك حقائق الامور ، ولكن اسمع حديثا لك فيه سلوة .

ذكروا أن تاجراً كان له ولد وليس له غيره ، وكان شديد المحبة له ، فأتحفه صديق له بغزال صغير ، فعلق قلب ابن التاجر به ، وكان لا يفارقه ابداً وجعل له حلياً نفيساً وارتبط له شاة ترضعه ، فلما اشتد الغزال نجم له قرنان ، فقال الولد لاهله : ما هـــذا في رأس الغزالة ، قالوا : قرناه فأعجبه سوادهما ، وقيل له : انهما سيكبران ويطولان ، فقال الولد لابيه : ان رأيت يا ابت ان تشتري لي ظبياً كبيراً فاشترى له ظبياً ثني السن ، فأعجب به الولد ، والف الغزال بالظبي للمجانسة الطبيعية فقال الغزال للظبي : ما ظننت قبل ان ادرك ان لي في الارض شكلا ، ثم لما رأيتك وقع في نفسي ان لي اشكالا سواك ، فقال له الظبي : نعم ان اشكالك كثيرة فقال له الغزال : فاين هي ؟ فاخبره الظبي بتوحشها في الفلاة وانفرادها عن الناس وحدثه بمراتعها ومواردها وتناسلها فارتاح الغزال بما سمع من الظبي وعني ان يراها فيكون معها ، فقال له الظبي : لا خير لك في هذه الامنية ، فانك قد نشأت في رفاهية ، فقال الغزال : لا بد لي ان ارى اشكالي ولا ابالي .

فلما علم الظبي ان الغزال غير منتبه إلى قوله ، ولا يعرف التحرز من مكايد الانس لم يجد بداً من قضاء خدمته وحق الفته ، فرأى يوما فرصة وخرجا معاً إلى الصحراء ، فلما عاين الغزال الغزلان فرح ومرح ، وطفق يعدو ولا يثنيه شيء فسقط في واد ضيق قد قطعه السيل ، فنشب فيه وانتظر ان يأتيه الظبي فيخلصه ، فلم يأته ، فبقي هناك .

وأما ولد التاجر فانه لما اصبح تفقد الظبي والغزال فلم يجدهما ، فحزن لفقدهما واشفق عليه ابوه ، فطلب ابوه الصيادين وعرفهم الخبر والقصة ، ووعد كل من اتاه

بهما بالجائزة والعطية ، فتفرق الصيادون في سهل الارض ووعرها في طلبهما .

وركب التاجر دابته ، وفرق عبيده على ابواب المدينة ينتظرون من يأتي بهما من الصيادين ، وانطلق هو وعبدان من عبيده إلى الصحراء ، فرأى التاجر على بعد رجلا متكئاً على شيء بين يديه ، فاسرع نحوه فاذا هو صياد غريب قد اصطاد ظبياً وهو يريد ذبحه ، فتأمله التاجر فاذا هو ظبيه الذي يطلبه فاستخلصه من يد الصياد ، وأمر عبديه ، ففتشاه فوجدا معه الحلي الذي كان على ذلك الظبي فسأله كيف ظفرت به ، فقال : اني بت اتصيد في البر ، فنصبت شركاً وكنت قريباً منه ، فلما اصبحت جاء هذا الظبي ومعه غزال يسرح ويمرح في جهة غير جهة الشرك ، وجاء هذا الظبي يمشي حتى وقع في الشرك ، فاخذته وقصدت به المدينة .

فلما وصلت إلى هذا المحل ظهر لي من الرأي اني مخطيء في ادخال الظبي إلى المدينة حياً لانه ظهر لي انه ربي في البيوت ، وربما اطالب بالحلي الذي كان عليه فاردت ان اذبحه وادخل بلحمه إلى المدينة فهذا خبري .

فاخذه منه التاجر وبعث به إلى ولده مع احد عبيده ، وقال للصياد : ارجع معي فارني الجهة التي كان الغزال يمرح فيها ، فسار به اليها وجعل يفتش عليه في المواضع المرتفعة ، فسمع التاجر صوت الغزال ، فصاح به ، فلما سمع الغزال صوته عرفه ، فصوت فاتبع التاجر صوته حتى وجده في ذلك الوادي ، فاخرجه منه ووهب للصياد درهمين ورجع بالغزال إلى ابنه ففرح الولد به ، وجعل الغزال يتجنب الظبي إذا رآه ولا يألف به كما كان سابقاً ، فتنغص الغلام من ذلك وجهد ان يجمع بين الغزال والظبي فلم يمكنه ذلك .

فدخل الظبي ذات يوم على الغزال وعاتبه على تنفره منه ، فقال له الغزال انسيت غدرك بي فقال له الضبي اني لم اغدر بك وانما اعجزني عن خلاصك وقوعي في الشرك وقص عليه قصته ، فعلم الغزال صحة قوله وعادا إلى تآلفهما .

فلما سمع عين اهله حديث العجوز وفهم ارادتها امسك عن خطابها .

قيل : فلما انتهى وزير سابور في حديثه إلى هنا سكت ، فقال له المطران : ايها الحكيم ما هذا السكوت ، او لعلك تريد تأخير الخبر عما كان من عاقبة عين اهله ، وما لقي من الذئب وما صنعت معه العجوز ، فقال له الوزير : اني لعازم على ذلك ، ولكني اجد الليلة هذه فتوراً في بدني ، فقال له المطران : ايها الحكيم اني راغب هذه الليلة في حديثك ، فقال له الوزير : نعم ايها المطران .

ثم ان عين اهله لما سمع كلام العجوز وفهم مرادها امسك عنها ونام ليلته تلك باسوء حال ، فلما اصبح دخل عليه الذئب وهدده بالقتل وزاده قيداً آخر ، وعرفه انه لا مناص له منه ، وخرج من عنده ، فجعل عين اهله يمني نفسه بقية ذلك النهار بالفرج ، فلما جن عليه الليل استوحش ، وانتظر العجوز ، فلم تصل لمحادثته بل كانت تكثر الدخول والخروج إلى البيت الذي فيه عين اهله ، ولا تستقر فيه فساء ظنه وأيقن بالهلاك من الذئب ، فاقبل يبكي ، ثم قال للعجوز : ما لك لا تؤانسيني في هذه الليلة بحديثك ؟ فجلست عنده وقالت له : أما كان لك في رؤيتي عبرة ، فاني قطماء جدعاء عوراء سيئة الحال ، فاشكر الله على سلامة نفسك من بلاء هو اعظم من بلائك ، ولو علمت باطن امري لعلمت ان امري اشد من امرك .

اعلم ايها الفتى اني كنت زوجة رجل وكان لي محباً ومحسناً ، وكنت معه في ارغد عيش ، فلبثت معه مدة ، وولدت له اولاداً ذكوراً واناثا ، فكبروا في نعمة فغضب الملك على زوجي فقتله وقتل اولادي ، وباعني انا وبناتي ، فاشتراني هذا الفارس الذى انت في قيده وعاقبني من غير ذنب لقساوة قلبه فتوسلت اليه باخوانه ان يرفق بي ، فلم يزدد إلا قسوة ، فلبثت عنده بهذه الحالة سبعة اعوام ، ثم فررت على غفلته منه ، فلحقني وجدع انفي ، فمكثت عنده سبعة اعوام اخر ، ثم فررت فظفر بي وقطع يدي وقلع عيني الواحدة ، ثم حلف ان هربت بعدها ليقطعن رجلي وقد عزمت الليلة هذه على خلاصك ، واقتل نفسي بيدي كرامة لك وقد طابت نفسي بالموت .

ثم انها فكت قيوده وتناولت سكيناً لتقتل نفسها ، فقال لها عين اهله : لئن تركتك تقتلين نفسك فقد شاركتك في ذنبك . ثم انتزع السكين من يدها ، وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجو معاً فقالت له : ان كبر سني وضعف بدني يمنعاني عن اتباعك ، فقال لها : الليل متسع ، وموضع أمننا قريب ، وأنا أقدر ان احملك إذا عجزت عن المشي ، فقالت له العجوز : إذا كنت قد عزمت على ذلك فاني لم احوجك إلى حملي .

ثم اخذها وخرجا معاً ، فلم تمض إلا ساعة من الليل حتى وصلا محل الامن فأخذها عين اهله معه إلى بيته وجازاها بما صنعت ، واتخذها اماً يسمع لها ويطيعها فهذا ما بلغني .

فقال المطران للوزير : ما اعجب احاديثك ايها الحكيم الماهر ، ولقد وددت ان لا افارقك ابداً ، ثم نهض كل منهما إلى مضجعه .

وبات سابور يتصفح كلام وزيره ويتأمل امثاله ، ففهم ان مراد وزيره بالغزال هو سابور ، وان الظبي مثل الوزير ، وان خروج الظبي مع الغزال إلى البر مثل صحبة سابور وزيره ، حتى حصل سابور في قيد قيصر ، وان نفار الغزال عن الظبي مثل سوء ظن سابور بوزيره لتأخره عن خلاصه ، وعلم سابور ان الوزير قد عزم على خلاصه والخروج به ليلا ، وان المدينة قريبة منهما ، وانه يحمله ان عجز عن المشي ، وايقن سابور بقرب الفرج .

فلما كانت الليلة الثانية تلطف وزير سابور واحتال حتى دخل مطبخ المطران على خلوة من الطباخين فطرح في جميع الطعام مرقداً قويا كان قد اعده واحكمه فلما حضر طعام المطران واكل هو والموكلون بسابور لم يلبثوا إلا ساعة حتى وقعوا صرعى في مراقدهم لا يتحركون ، فبادر الوزير إلى الجلد الذي حبس فيه سابور فشقه واخرج سابور منه وحله من وثاقه واخرجه عن عسكر قيصر وقصد به المدينة . فلما انتهيا إلى سور المدينة صاح عليهما الحرس ، فتقدم اليهم الوزير

وعرفهم بنفسه ، ففتحوا لهما ودخلا ، وامرهم سابور بالاجتماع اليه ، وفرق فيهم المال والسلاح ، وتم الامر بينهم بانه إذا ضرب الروم نواقيسهم الضربة الاولى يخرجون من المدينة ، فاذا ضربوا الضربة الثانية يحملون من جهة .

وقصد سابور خيمة قيصر ، ولم يكن الروم متأهبين ليقينهم بضعف الفرس واخذ سابور قيصر اسيراً ، وقتل عسكره واحتوى على خزانته ، ولم ينج من جنوده إلا من كانت فرسه سابقة .

وعاد سابور إلى ملكه مؤيداً منصورا ، فقسم الغنائم بين عسكره وافاض الصلاة على من في جميع مدينته واحسن إلى حفظة ملكه وشرفهم وفوض جميع امره إلى وزيره الذي خلصه من اسر قيصر ، ثم انه احضر قيصر واكرمه ولاطفه وقال له اني سأبقي عليك كما ابقيت علي، ولا اجازيك بضيق حبسي، ولكني الزمك باصلاح ما افسدت في جميع مملكتي وتبني جميع ما هدمته ، وتغرس مكان كل نخلة قلعتها من بلادي شجرة زيتون ، وتطلق كل من في مملكتك من اسرى الفرس ، فضمن له قيصر ذلك ، ووفى له باضعافه ، واصلح جميع ما اتلفه .

ولما بلغ سابور المراد من كل ما طلب احسن إلى قيصر واطلقه وارسله إلى ملكه ، وقال له : تأهب واستعد فأني سأغزوا ارضك عن قريب ، والحمد لله السميع المجيب .

الجبري في مليح يسمى علياً :

بعلي هممت ما بين الورى ۝ وبه قلبي المعنى قد بلي
وإذا ما غاب عني شخصه ۝ صاح قلبي بعده ياعلي

ابن المعمار :

باكر لكرم العنب المجتنى ۝ واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه ۝ لكي تزيل الهم عنا به

وله واحسن ما شاء :

نديمتي جارية ساقية ونزهتي ساقية جاريه
جارية اعينها جنـة وجنة اعينها جاريه

الفخري صاحب ديوان الانشاء بدمشق ، وقد اجاد في توريته :

من شرطنا ان اسكرتنا الطلى صرفا تداوينا برشف اللمى
نعاف مزج الماء في شربها لا آخذ الله السكارى بما

وله ايضاً وفيه التورية العجيبة والاكتفاء والاقتباس :

ضلوا عن الماء لما ان سروا سحرا قومي وظلوا حيارى يلهثون ظما
والله اكرمني بالورد دونهـم فقلت يا ليت قومي يعلمون بما

ولبعض المذربين :

ان السلام وان اهداه صاحبه وزاده رونقاً فيه وتحسينا
لم يبلغ العشر من قول تبلغه أذن المحبة افواه المحبينا

ولبعضهم في الشيب :

ولما رأى شيبي الغوانى ثنا فروا فقلت هلمو اانها شيبة الحمـد
ألم تعلموا انى امير ذوي الهوى وان ولاة الحب كلهم جندي
فقالوا نعم ندري ولكن من غدا به شيبة فالقرب من شيبه يعدي

لغز لبعض المتقدمين :

يا ايها المولى الذي قد جد في الفقه وجد
ما ذات حسن زوجت سبعين زوجاً في البلد
مهراً بعقد واحد عقد صحيح لا يرد
ومن عجيب انها بين الذكور قد تعد
امرأة ان اقبلت او ادبرت فهي ولد
امهلـتكم في حلها إلى غد او بعد غد

الجواب لعبد الرحمن الوزير المتقدم ذكر ترجمته :

اللغز في مؤنث سماعه عنهم ورد
وان ترد ايضاحه فانه عكس ولد
وقوله ثلثاه ثلث بين لمن وجب
فاثنان منها عشرة دال وواو في المدد
واللام ثلث وبها عد الثلاثين يحد
وفي الكتاب ذكره إذ قال يا بشرى فقد
ولي اليه حاجة في البحر من اوفى المدد
هذا الذي فهمته على قصوري في المدد
فاعذر محبا قلبه في شغل للفكر صد
وسد ما تراه من عيب فمن ابصر سد
ولا برحت ابدا في دعة الفرد الصمد

أرسل قيصر ملك الروم والشام رسولا إلى ملك فارس كسرى انوشروان صاحب الايوان ، فلما وصل اليه ورأى عظمة الايوان ، وعظمة كسرى على كبر سنه ، والملوك في خدمته .

نظر إلى الايوان فرأى في بعض جوانبه اعوجاجاً ، فسأل الترجمان عن ذلك الاعوجاج الذي في الايوان ، فقال له : كان ذلك بسبب بيت لامرأة عجوز كرهت بيعه عند عمارة الايوان ، فلم ير ملك الزمان ان يجبرها على بيع بيتها فابقى بيتها في جانب الايوان ، فذلك الذي رأيت وسألت ، فقال الرومي : وحق دينه ان هذا الاعوجاج بالعدل ، احسن من الاستقامة بالظلم ، وحق دينه ان فعل ملك الزمان هذا لم يؤرخ فيا مضى لملك ولا فيا بقي لملك .

فاعجب كسرى من كلامه ورده مسروراً محبورا . ولما افتتح كسرى بلاد العجم واحكم البنيان ، وشيد الحصون ، ومهد البلاد ، ونشر العدل في العباد وجند

الجنود ، سار إلى بحر الجزيرة وآمد وافتتح ما هناك من البلاد إلا آمد ، فانه عجز عنها لتشييد سورها ، وتحكيم بنائها ، فرحل عنها إلى الفرات ، وافتتح حماة واعمالها وكثيراً من الشام ، وغدر بقيصر وقتل ابن اخيه بحمص ، وما افتتحها .

ثم سار إلى انطاكيـة وقتل صاحبها وافتتحها ، فخاف قيصر منه وهاداه وحمل اليه الخراج ، وكان ذلك في زمن النبي ﷺ وفي نزول قوله تعالى (ألم غلبت الروم في ادنى الارض) والقصة مشهورة ، ليس هذا موضع ذكرها .

وحمل كسرى من الشام من اعاجيب الرخام وبدائع المرمر وانواع البلاط المجزع والاحجار البهجة ، فبني بالعراق مدينة رومية وزخرفها . وكان اراد ان يصنع ذلك بآمد فلم يقدر على فتحها ، فجعل رومية على شكلها .

واشتد سلطان كسرى وعظم ملكه وهابته ملوك الارض وهادته وحملت اليه الخراج ، وتزوج بشاروق ابنة خاقان ملك الترك ، ولم يكن في زمانها احسن منها ، ولا ابدع من صورتها .

وكتب اليه ملك الصين : من يغفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذي يجري في ساحة قصره نهران يسقيان العود والكافور ، والذي يشم عرف ازهار قصره من فرسخين ، وتخدمه بنات الف ملك ، والذي في مربطه الف فيل ابيض ، إلى اخيه كسرى انوشروان ، واهدى اليه فارساً وفرسه من الدر المنضود وعيناها من الياقوت الاحمر ، واهدى اليه ثوبا من الحرير الصيني فيه صورة كسرى وهو جالس على كرسيه في ايوانه والتاج على رأسه ، والملوك في خدمته والخدام بايديهم المراوح المصورة المنسوجة من الذهب في ارض لا زوردية في صندوق من الذهب مرصع بانواع اليواقيت التي لا قيمة لها .

واهدى اليه جارية تغيب في شعرها الحالك إذا اسبلته ، وغير ذلك من اعاجيب الصين .

وكتب اليه ملك الهند : من ملك الهند صاحب القصر الذهب المرصع

بالزمرد والياقوت والزبرجد الذي ابواب قصره من الزمرد الذبابي ، إلى اخيه كسرى انوشروان ، واهدى اليه الف من من العود الهندي الذى يذوب على النار كالشمع ويمهر فتبين فيه كتابة المهر .

واهدى اليه جاماً من الياقوت الاحمر البهرمان سعته شبر في شبر وسمكه عرض اصبعين ، واهدى اليه عشرة امنان من الكافور كالفستق واكبر .

واهدى اليه اربعين درة يتيمة كل واحدة تزيد على ثلاثة مثاقيل ، واهدى اليه جارية طولها عشرة اشبار إلى صدرها ، وخمسة اشبار إلى فوقها تصل اهداب عينيها إلى خدها ، وكان بين اجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها وسوادها مع صفاء لونها ، ورقة خصرها ، واتقان شكلها .

واهدي اليه اربعة آلاف منٍّ من المسك .

واهدى اليه ملك تبت ـ مدينة فوق كشمير بخمسة عشر يوما ـ وكانت هداياه مائة جوشن تبتيه ، ومائة درع على شكل البرنوس ، كل واحد منها يستر الفارس وفرسه ، ومائة ترس لا تعمل في هذه الاتراس والدروع عوامل الرماح ولا بواتر الصفاح ، وزنة كل قطعة من هذه الاشياء المذكورة ما بين اربعين درهما إلى ستين .

واهدى اليه اربعة آلاف منّ من المسك التبتي ، وتسعين غزالا من غزلان المسك بالحياة وسفرة عظيمة من الذهب مرصعة بانواع الجواهر الفاخرة ، يجلس حولها اكثر من ثلاثين رجلا قد كتب على اطرافها (خير الانام من اطعم الطعام وجاد على ذى الفاقة من غير كلام ، ما اكلته وانت تشتهيه فقد اكلته ، وما اكلته وانت لا تشتهيه فقد اكلك .

وكان لكسرى خواتيم اربعة ، خاتم للخراج فصه يا قوت يشتعل كالنار مكتوب عليه : العدل العدل .

والثاني للضياع فصه فيروزج مكتوب عليه : العمارة العمارة .

والثالث للضرب والعقوبة ، فصه زمرد مكتوب عليه : التأني التأني .

والرابع للرسل ، فصه درة بيضاء مكتوب عليه : العجل العجل .

وكانت لكسرى ايضاً سفرة من العنبر الاشهب ، اهداها اليه قيصر ملك الروم ، سعتها ثلاثة اذرع بثلاثة قوائم من الذهب المرصع بالجواهر الفاخرة ، منها قائمة على صورة كف اسد وساعده ، وقائمة ساق وعل وظلفه ، وقائمة كف عقاب ومخلبه وثلاثون جاماً من الجزع اليماني ، سعة كل واحد شبر في شبر .

وكان عند كسرى ثلاثة آلاف درة كل واحدة منها ثلاثة مثاقيل .

وكان يقول : خير الكنوز ما اودعته صدور الاحرار ، وعلم يتوارثه الاعقاب ، واطول الناس عمراً من كثر عمله فانتفع به من بعده .

وكان يقوم حول كسرى عشرة آلاف من الترك والخطا ، وهم في غاية الحسن، وفي آذانهم اقراط الذهب بالدر والجوهر ولباسهم الديباج ، عشرة صفوف كل صف على قد وشكل ولباس واحد ومهما التحى واحد منهم او مات اتى بغيره

وكان في مربطه تسعة آلاف فيل ، منها الف وسبعمائة اشد بياضاً من الثلج ومنها ما طوله اربعون شبراً ، ومنها مائة فيل زنة احد نابيه مائة واربعون مناً بالبغدادي ، انتهى ما نقلته من الذهب المسبوك في اخبار الملوك لابي الفرج ابن الجوزي .

مدّ السماط بين يدي كسرى انوشروان فلما صفت الصحون انقلب من بعضها شيء على السفرة ، فنظر كسرى إلى ماد السماط شزراً فعلم انه يقتله البتة فاكفأ الصحن باجمعه على السفرة ، فقال له كسرى: ما هذا الفعل ؟ فقال ايها الملك تيقنت انك قاتلي لا محالة على ذلك الامر الحقير الذي لا يوجب القتل ، فتكون مذموماً عند الناس فاردت ان افعل ما لو قتلتني به لم تذم عليه فعفا عنه وقربه .

لما ملك الاسكندر فارس والغرب والشام وهي اسكندرية ودمشق وغيرها وقصته مشهورة ، فلما ملكها ارتحل إلى الهند والسند والصين فوطيء اراضيها

وذلل ملوكها ، واهديت اليه الهدايا من تبت والترك وغير ذلك إلى ان انتهى إلى مطلع الشمس من العمران .

وكان معلمه ارسطا طاليس ، ووزيره الخضر ، فبلغه ان باقصى الهند ملكا عادلا ذا حكمة وديانة وسياسة ، متحلياً بكل خلق كريم ، فكتب اليه الاسكندر يقول : إذا اتاك كتابي فلا تقعد ، ولو كنت تأكل حتى تأتيني وإلا مزقت ملكك ، فلما ورد كتاب الاسكندر عليه أجابه باحسن جواب ، ولقبه بملك الملوك العادلة ، واعلمه في كتابه انه قد اجتمع عنده اربعة اشياء لم تجتمع عند ملوك الدنيا ، منها : ابنة لم تطلع الشمس على احسن منها ، ومنها فيلسوف يخبرك عن امرك من قبل ان تسأله ، ومنها طبيب لا يخشي معه على شيء من العوارض والامراض إلا مرض الموت ، ومنها قدح إذا ملأته شرب منه جميع عسكرك ولا ينقص منه شيء ، وأنا مهد ذلك كله إلى ملك العصر وسائر اليه عقيبه .

فلما قرأ الاسكندر الجواب وسمع بذكر هذه الاشياء ، تولع بسماعها ولما عظيما وارسل اليه جماعة من الحكماء يأتون بهذه الاشياء المذكورة ، فمضى القوم إلى ملك الهند فاكرمهم واحسن مثواهم .

فلما كان اليوم الرابع جلس لهم مجلساً عظيما واقبل على الحكماء وباحثهم وملأ صدورهم من العلوم والحكمة ، ثم اخرج ابنته ، فلما رأوها غشى عليهم وخافوا على عقولهم من الزوال ، فسير الجميع معهم وودعهم مسافة ثلاثة ايام .

فلما وردوا على الاسكندر امر بانزال الفيلسوف في دار الضيافة ونظر إلى الجارية فطاش عقله عند مشاهدتها .

وكان الاسكندر إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة فاحترمها وقدمها على سائر حرمه ، ثم ملأ القدح فشرب منه جميع عسكره ولم ينقص منه شيء ، قيل انه قدح آدم عليه السلام ، معمول من الخواص والروحانية .

وشاهد من طب الطبيب ما بهر عقله من عجائب علاجه للامراض ، ثم ارسل

في الحال إلى الفيلسوف قدحا مملوأ سمناً جامداً ووضعه بين يديه ، ولم يخبره بشيء فاخذه الفيلسوف وغرز في السمن ابراً صغاراً كثيرة وسيرها إلى الاسكندر .

فلما رآها الاسكندر حرك رأسه ، ثم امر فجعلت تلك الابر كرة حديد وارسلها إلى الفيلسوف فلما رآها جعلها مرآة مصقولة صافية وردها إلى الاسكندر وجعلها في طشت فيه ماء يسير وارسلها إلى الفيلسوف ، فلما رآها جعلها كرة مقعرة حتى طفت على وجه الماء ، وارسلها إلى الاسكندر ، فلما رآها الاسكندر ثقبها وملأها ترابا، وردها إلى الفيلسوف فلما رآها تغير لونه ، وارسلها إلى الاسكندر من غير ان يحدث في التراب شيئاً .

فلما كان اليوم الثاني جلس الاسكندر مجلساً حافلا واحضر الفيلسوف فرآه شابا حسن الصورة ، فتعجب من حسن صورته ، فوضع الفيلسوف يده على انفه ثم حياه بتحية الملوك ، فاشار اليه الاسكندر بالجلوس على كرسي وضع له فجلس عليه ، فقال له الاسكندر : ايها الفيلسوف ما بالك لما ان نظرت اليك وضعت يدك على انفك ؟ فقال : ايها الملك المعظم دام لك المجد لما نظرت إلي استحسنت صورتي وخطر بخاطرك هل حكمة هذا الشاب على قدر صورته ، فوضعت يدي على انفي اخبر الملك انه ليس في جميع ارض الهند والسند مثلي ، فقال له الاسكندر صدقت ثم قال له : فحدثني بما كان بيني وبينك من الرسائل ؟ فقال: ايها الملك ارسلت إلي بقدح مملوء سمناً لا يمكن ان يزاد فيه تخبرني على ان عندك من الحكمة شيئاً لا يحصى وانك قد امتلأت حكمة ، فاخبرتك ان عندي من لطائف الحكمة ما ينفذ في حكمتك ، كما نفذت الابر في السمن .

ثم ارسلت إلي الكرة الحديد فاخبرتني ان نفسك قدعلاها من وسخ الصدأ بقتل العدا ، وسفك الدما ، كما علا هذه الكرة ، فاخبرتك ان عندي من العلاج والملاطفة ما يجعل نفسك مثل هذه المرآة المصقولة حتى تشرق على الموجودات .

ثم ارسلت إلي بالطشت والماء تخبرني بان الليالي والايام قد قصرت عن ذلك

فاخبرتك اني سأعمل لك من الحيلة الى ايصالك إلى العلم الكثير في العمر القصير كما صيرت الحديد الذي في طبعه الرسوب في الماء على وجه الماء . ثم ثقبت القعر وملأته ترابا تخبرني بالموت والقبر ، فلم اغيره وخبرت الملك ان لا حيلة في الموت .

فعجب الاسكندر منه ، قال : والله لقد حكيت بكل ما خطر ببالي ، ثم امر له باموال جزيلة وخلعة جليلة فأبى وقال : ايها الملك انا طالب لما يزيد في عقلي فكيف ادخل على عقلي ما ينقصه ، وانما تفضل ايها الملك واحسن إلى اهل الهند وكف عن معارضتهم . فكف ورحل عنهم .

لمؤلف هذا الكتاب غفر الله له ولجميع الاخوان والاصحاب من بحر السلسلة :

ادميت بسهم من اللواحظ فتاك	قلبي وفؤادي فمن بذلك افتاك
يا بدر كمال بدا بحسن دلال	اسمح بوصال فان قلبي يهواك
لاعاش حسودي فقد اطال نكودي	يغري بصدودي وانت تأنس من ذاك
ما احسن ليلا اتيت تسحب ذيلا	نحوي وانار المكان نور محياك
الجسم طريح بباب حبك ملقى	والقلب ذبيح واصل ذلك عيناك
والخد جريح لفرط طول بكائي	يا يوسف حسن متى افوز بلقياك
فانعم وتعطف وعاطني وتلطف	كاسات رضاب هي الشفاء لمضناك
فالقرب دوائي وطول بعدك دائي	فاسرع بشفائي بحق من هو عافاك
اخلفت وعودي وما طفيت وقودي	فاحفظ لعهودي عسى إلهي يرعاك
لا زلت حبيبي من الانام نصيبي	لا تخش رقيبي ففي فؤادي مثواك

ما الطف قول صاحب الحلبة في العذار :

بدا ليل العذار فلمت قلبي	وقلت سلوت إذ طلع العذار
فاشرق صبح غرته ينادي	كلام الليل يمحوه النهار

وقال فضل الله المقرى وأجاد :

يقول سواد شعري سوف ابقى	على حالي وان بعد المزار

فقال بياض شيبي إذ تبدي — كلام الليل يمحوه النهار

الاكتفاء نوع ظريف ، وهو ينقسم إلى قسمين : قسم يكون بجميع الكلمة كقول الملا يوسف بن علي الكوكباني ، وفيه ايهام التورية ايضاً وهو :

يقول لي المذول وقد رآني — حليف هوى بمن حاز الجمالا
ابن لي هل انا لك ما تمنى — وهل تسلوه قلت له انا لا

وقسم يكون ببعضها وهو اصعب مسلكاً لكنه احلى موقعاً كقول الشاعر :

هو يتهم فاستلبوا نهيتي — وعادة الحب استلاب النهى
وتقروا نومي عن مقلتي — ووكلوني ابداً بالسها

السراج الوراق :

عندي فديتك رآت ثمانية — انفي بها الهم ان وافى وان وردا
راح وروح وريحان وريق رشا — وزخرف ورياض ناعم وردا

قال عبد العزيز خان سلطان بخارى لما ترك ملكه ابتغاء مرضاة الله ، وقد حج بيت الله وزيارة رسول الله ، وهو بالفارسية ، يا صاحب الرتبة العلية :

ياد ايامي كه ماهم روز كاري داشتم — شهريار شهرخود بودم وياري داشتم
تير بختي كرد مارا اين چنين بي‌اعتبار — ورنه ماهم بيش مردم اعتباري‌داشتم
برسرير مملكت بودم وخوش عبدالعزيز — در ميان مردم عالم دياري داشتم

ولمؤلف هذا الكتاب :

بشنواز كنجشك اين نقل وخبر — با سليمان نبي خير البشر
بايكي عصفور ماده عشق داشت — واز فراق هجراً وطاقت نداشت
كاه ميكردي جدل كه كفتكو — نه براى دولت دنيا باو
كفت بامن باز كوچون ازوصال — ميكني منعم كجا باشد حلال
تومبندار اينچنينم كر ضعيف — برتوانا يان خود هستم شريف
قوتي دارم كه بر منقار خود — ميكنم هفت اسمان سربار خود

آنچه باشد باسلیمان در زمان میتوا نم بردنش تا آسمان
آنچه اومیکفت از تعریف خود بادد رکوش سلیمان زود برد
حکم بر احضار شان فرمود زود رفت بیکی هردو راحاضر نمود
کرداز کنجشک نرحضرت سؤال کر توقوت داری ای نیکوخصال
قوت منقار بنما یک نظر تخت ما رایك وجب بالا ببر
آن زمان عصفور تسلیمات کرد هیبتش دردل فتاد ولرزه کرد
کفت ای نور خد ابشنوز من ما جری ما بیننا از مردوزن
مرد باید خود نمایها کند بیش زن تا او وفاییدا کند
بیش زن تعریف خودرا کرده ایم لیك قوت از کجا آورده ایم
باز چون عصفور عذرش رانمود نیز بیغمبر تبسم رانمود
باز عصفور ماده آن دم هم بایست کفت این جور وجفااز بهر چیست
باتو کو یا عشق او صادق بود بیوفائی از توکی لائق بود
آن زمان عصفور عرض حال کرد کهای سخنها مشنو از کنجشك مرد
زانکه با کنجشك دیکر عشق داشت زین سبب از وصل ماقسمت نداشت
بر سلیمان این سخن کردی اثر جونکه از عصفور بشنید این خبر
تاجهل ایام در عزلت نشست غیر حق بر روی عالم در ببست
کفت یارب ای کریم کردکار حب دنیا ازدلم بیرون برار
دور کن از من غم طول امل صادقم در حب خود کن ازازل
درسر شتم عشق صادق کن کرم تاشوم دربیش فضلت محترم
هر که دارد در محبت راشریك اونبا شددر خلائق مردنیك
هر کر از اسرار حق نبود خبر نفع کی او رابود غیر از ضرر
ای برادرعزت اندر عزلت است کوشه کیری سالکانرا عزت است
دست ازین دنیای بی عقبی بشوی بی تأمل کرتو هستی نیك خوی

كوش كن در كفتهاي مولوي از نصيحت در كتاب مثنوي
اي برا در توهمه انديشه ما بقى تو استخوان وريشه
بس كن اى عباس مكي تابكي در هوس مانى ميان ليت وكي
فكر كن درنكته حب الوطن دل منور كن زمعناى سخن
سكرغفلت رابكن بيرون زسر سنك فرش كعبه شواى بى خبر
تا بطوف كعبه هر كس رو كند بيندت آنجا ترايا هو كند

وقلت ايضاً معارضاً قصيدة السيد على المهري الملمعة التى اولها :

اي دلبر آب الحيات معتق بدهانه
الماه طرة وجهه والدر من دندانه

وهي طويلة مشتملة على الفاظ فارسية وعربية وتركية ، وهذا النوع في اصطلاح الفارسى التلميع ، فقلت وان لم يدرك الظالم شأو الضليع :

لي شادن اضنى الحشا بالسحر من چشمانه
اصمى الفؤاد وصادنى بالتير من مجكانه
بي شك انى ذائب من حسنه اهوى الحما
مذ صرت صباً هائما من سرو قد روانه
شوخ يذيب حشاشة الدلها برقـة نازه
تاكي اقاسى هجره فرياد من هجرانه
ديوانه كشتم عندما شاهدت ماه جماله
ارخى سلاسل زلفه المشكي على اعكانه
في الروز والليل البهيم إذا ذكرت صدوده
اجرى عليه الاشك حتى ان أذوب لشانه
اشتاق تلك الغمزهاء اذا بدت من جشمه
يرمى الفؤاد باسهم من ابر وان كمانه

مردم زتيغ لحاظه لما به نحوى رنا
كالبدر يسبي للعقول بقـــده وميانه
اضحيت قرباناً له لما بدا في حلة
كالارغوان يفوح منها المسك من دامانه
ترك إذا ناديتـه بنعاشقمسن رحم كن
خنديد مني معجباً واجابني بزبانـــه
سن صبردن كتي اولر بوراه مشكل كتمه سن
بو عشق درمحنت اولر ما انت من مردانه
حاز الجمال ويمذل العشاق عن راه الهوى
دلدار من يا غي شده بيداد من طغيانه
قسما بطيب خويه وبحسن روشن رويه
وبحمرة اللبها إذا تفتر عن دندانه
وبما اقاسي من حريق العشق مع فرط الجوى
وبخش وصال نلته من دلبري بأمانه
انى مقيم لم احل عن راه حب جماله
تاروز محشر داعاً قسما به وبجانه
إذ لم يزل ذا الدرد عن قلب المتيم في الهوى
ويواصل الصب الذي در أسره ورهانه
فلا كرين عليه تا معلوم هركس ميشود
واقول هذا جان من قد زاد في هجرانه

ابن سكرة الهاشمي في مليح بيده قضيب لوز منقوش :

غصن بان بدا وفي اليد منه غصن فيه لؤلؤ منظوم
فتحيرت بين غصنين في ذا قمر طالع وهـذا نجوم

ابن خفاجة الاندلسي في مليح حسن الوجه والصوت :

امسى يقر لحسنه قمر الدجا وغدا يذوب لصوته الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف وإذا تلا فكأنه داود

الصفي الحلي :

كف عينيك عن دماء البريه فهي خصمي في ذاك دون البريه
من يسل عن دمي فان عليه شاهداً من خدودك العندميه
يالقومي ما ان افيق من العشق وفيه لي المنى والمنيه
ونهاني عنه المشيب ولكن ما احتيالي والنفس منه صبيه
حيرتني بفترة الاعين النجل فتاة كأنها حوريه
طفلة غضة الحياء من الدل ولكن خدودها ورديه
ذات غنج لها على القحب فضل وعلى سائر البغايا مزيه
وهي مع حسنها جريرية الجسم ولكن اشفارها صوفيه
ذات ردف كأنه دعص كافور وثغر كالوردة الجوريه
لو رأى عطر شقها حسن المسكي لسوى من بعرها عنبريه
شغفت بي وكنت اشغف بالمرد فصارت بالحسن عندي حظيه
وصبت بي فذ صبوت اليها واطمأنت معي باخلاص نيه
حلفتني ان لا .. غلاما فتجرعتها امر اليه
ثم لما مضت شهور ولا تنظر مني سوى لزوم التقيه
ظفرت بي في البيت يوما وعندي شادن رب بهجة يوسفيه
جذبت خفها علي من الباب ونادت يا اقذر اللوطية
لا عين ولا حياء ولا دين ولا نخوة ولا عصبيه
أفسوقا من بعد حجك للبيت وقصد المشاعر القدسيه
عقر الله ناقة حملت شخصك في البيد نحو تلك البنيه

فاستشاط الغلام منها وابدى منه في القول قوة عصبيه
وتهزى بها وقال اصار البظر يعدو على الا٠٠ القويه
انت تهوين اول العدد المغلي واسم المليح بالعجسميه
فاستشاطت عليه غيظاً وقالت انت من اين والنفوس الابيه
أتعرضت لي وانك عندي انا حمل بمنطق التركيه
انت آنارجيد بالكرخيه ثم واسم السكين بالارمنيه
قلت لا تكثري النزاع فاني لست اهوى الفقاح النقيه
قالت اكفف يا فاسد الرأي والعقل فما انت من ذوي الالمعيه
ان يكن محقن الخراء لذيذاً فاجعل الا٠٠ منك في قصريه
وإذا لم يكن من المرد بدا فاقسم ٠٠ بيننا بالسويه
قلت تمطين من وراء فقالت ان ارادته نفسك الكلبيه
قلت دوري فاتحفتني بردف يطبخ الا٠٠ حره لبنيه
فهو مثل البلور لوناً ولكن يصبغ الا٠٠ صبغة كهربيه
جلت فيه فبادرت بفساء ينشق الا٠٠ منه ريحاً ذكيه
وضراط لوهب في شارع الموصل طارت بعرشها القمريه
ثم جادت بسلحة ذات لين صبغت نصف جبتي جيفيه
ثم ولت تصيح تالله ياكاب شبيه الغناء بالمغليه
جل مولى اعلى مقامك في ٠٠ واعطاك كل هذي المطيه
قلت ارضاك ما فعلت فقالت لا ولكن حملت منك الاذيه
كل يوم امسي بقلب حزين من اذى المرد قلت انت بريه
قالت الحال قد مضى فاسخ بالمال فقصدى منك المطايا السنيه
قلت مالي الذى عهدتيه بالامس وكانت به النفوس قويه
اخذت بعضه اللصوص جهاراً والموالي تقاسموا بالبقيه

قالت الويل لى حسبتك اثريت وانى اروح منك غنيه
قلت لا تجزعي علي فانى لى التزام بالدولة الصالحيه
فمآلي في حضرة الملك الصالح فيه لى الحمى والحميه
ذي الاياد نجل الاكارم شمس الدين رب المكارم الحاتميه
سوف يرعى جارى ويحفظ حق ان حفظ الجوار منه سجيه
فهو ظل المولى المديد على الارض ورب الانصاف والاريحيه
بسط العذر لى فاوجب بسط القول في مثل هذه الهزليه
كيف لا اغتدى به سهل المنطق وهى الرسالة الشمسيه

﴿ دقيقة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا مولاي يا واحد يا مولاى يا دايم يا علي يا حليم ، العدم عبارة عن كتم الصفات في الذات ، والوجود عبارة عن تجلي الذات بالصفات فالصفات عين الوجود ، فهو الواحد ، والذات عين العدم فهو الاحد بلا زائد الأول حقيقة التعين والتحقق والتقيد .

والثانى حقيقة المفارقة والاطلاق والتجرد ، وحقيقة الشيء ما منه بدا ، وبه قام واليه رجع فافهم .

ولم نقل عين العدم إلا لأنا نترجم بلسان الوجود الذي ليس إلا به نتكلم وإلا فالمعجوز عنه كيف يخبر عنه ولا بأنه معجوز عنه ، لان كل مقول حكم ، حتى قولنا الذات والعدم ، وإذا أنعدم التصور عاد المتكلم ابكم ، والله اعلى واعلم .

ولا فرق بين كلام الحكيم وتغريد الحمامة ، إلا في عقول الفرقان ، وارواح الامامة ، الكل تجليات باسماء وصفات ، وليس الذات إلا الذات ، والله بكل شيء عليم انه بكل شيء محيط ، وهو هو بما هو ، هو هو سيدى وربى ، وهو مولاي وحسبى ، ليس إلا هو .

قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجملة كما هي وتوفيها اماتتها ، وهو ان يسلب ما هي به حية حساسة دراكة والتي لم تمت في منامها ، اي يتوفاها حين تنام تشبيهاً للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك .

ومنه قوله تعالى : (وهو الذى يتوفاكم بالليل) فيمسك الانفس التي قضي عليها الموت الحقيق ان لا يردها في وقتها حية . ويرسل الاخرى النائمة إلى اجل مسمى ، اى وقت موتها .

وقيل: يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهى الانفس التي تكون معها الحياة والحركة ، ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها ، وهى انفس التمييز ، قالوا : فالذى تتوفى في النوم هى نفس التمييز لا نفس الحياة ، لان نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس ، والنائم يتنفس ، ولكل انسان نفسان ، احداهما نفس الحياة ، وهى التي تفارقه عند الموت ، والاخرى نفس التمييز وهى التي تفارقه إذا نام .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفساً وروحا ، مثل شعاع الشمس ، فالنفس التى بها العقل والتمييز ، والروح التي بها النفس والتحرك ، فاذا نام العبد قبض الله نفسه ، ولم يقبض روحه .

والصحيح هو الاول، لان الله علق التوفى والموت والمنام جميعها بالانفس وما علق بنفس الحياة والحركة ، ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم ، وانما الجملة هى التي تموت وهى التي تنام .

وعن علي عليه السلام قال : تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا ، فاذا انتبه من النوم عادت الروح إلى جسده باسرع من لحظة .

وعنه عليه السلام : ما رآه نفس النائم في السماء فهي الرؤيا الصادقة ، وما رآه بعد الارسال يلقيها الشيطان فهي كاذبة .

وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه : ان ارواح الاحياء وارواح الاموات

تلتق في المنام فتتعارف فيها ما شاء الله ان تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى إلى اجسادها إلى انقضاء مدة حياتها .

وروي ان ارواح المؤمنين تعرج عند النوم في السماء ، فمن كان منهم طاهر أذن له في السجود ومن لم يكن طاهراً لم يؤذن له فيه .

(في ان ذلك) اي ان فى توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها (لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون والله اعلم وادرى واحكم . ابن مطروح :

خذوا قودي من اسير الكلل فوا عجباً من اسير قتل
ونادوا علي إذا نحتم طعين القدود جريح المقل
ولي جلد عند بيض الظباة وبالاعين النجل مالي قبل
ولي قمر ما بدا في الظلام وأبصره البدر إلا افل
يضل بطرته من يشاء ويهدي بغرته من اضل
وجاد الزمان به ليلة وعما جرى بيننا لا تسل
فانحلت قامته بالعناق واذبلت مرشفه بالقبل
وكم تهت في غور خصر له واشرفت في نجد ذاك الكفل
وأذنت حين تجلى الصباح بحي على خير ذاك العمل
وقد علم الناس انى امرؤ احب الغزال واهوى الغزل
فها اثر المسك في راحتى وهذا فمي فيه طعم العسل

الشيخ قطب الدين معارضاً :

ألا فلل الله سيف المقل فكم ذا اباد وكم ذا قتل
وما من قتيل له في الهوى سوى الف راض بما قد فعل
لقد نصر الله جيش الملاح ببدر لنا حسنه قد كمل
وما بطل في الوغى فارس إذا قابل الغيد إلا بطل

إذا فتنتني عيون الظبا فيا فرحي قد بلغت الامل
رعى الله ليلة زار الحبيب وغاب الرقيب إلى حيث أل
فاجلسته في سواد العيون وقد غسل الدمع ذاك المحل
والصقت خدي باقدامه واذيلت اخمصه بالقبل
فرق ومال باعطافه فديت بروحي ذاك الميل
فعانقته وخلعت العذار ومزقت ثوب الحيا والخجل
وما زلت اشغله بالحديث وستر الظلام علينا انسدل
إلى ان غفا جفنه ناعساً وعني تغافل او قد غفل
فحليت عن خصره بنده وأنضيت عن معطفيه الحلل
وبت اشاهد صنع الإله تبارك رب البرايا وجل
فظن بنا الخير او لا تظن فما انت تسأل عما فعل

الشيخ حسن البوريني :

إذا لمعت بوارق ثغر بدري تصب دموع عيني كالرباب
ويشجيني الحمام إذا تغنى غراما نحو سكان الرباب
وان غاب الاحبة عن عياني حملت من النوى مثل الرباب
وقلبي لا يزال يطير وجداً إذا ما شاقه صوت الرباب
ويشهد لي بصدق الود دمعي كما صدقت روايات الرباب
وحين سمعت لفظاً من حبيبي نسيت حديث زينب والرباب

الاول : السحاب ، والثاني : موضع بمكة المشرفة شرفها الله ، والثالث : جبل معروف ، والرابع : آلة معروفة ، والخامس : رجل محدث ، والسادس : محبوبة معروفة بين العرب .

الصفي الحلي :

قالت كحلت العيون بالوسن قلت ارتقا بالوجهك الحسن

قالت تسليت بعد فرقتنا فقلت عن مسكني وعن سكني
قالت تشاغلت عن محبتنا قلت بفرط البكاء والحزن
قالت تناسيت قلت عافيتي قالت تحولت قلت عن وطني
قالت تخليت قلت عن جلدي قالت تغيرت قلت عن بدني
قالت اذعت الاسرار قلت لها صير سري هواك كالعلن
قالت فما تريد قلت لها ساعة سعد بالوصال تسعدني
قالت فمين الرقيب ترصدنا قلت فاني للعين لم ابن
انحلتني بالصدود منك فلو ترصدتني المنون لم ترني

وقال الآخر وأجاد :

قالت لقد اشمت بي حسدي مذ بحت بالسر لهم معلنا
اهكذا تفعل في حقنا وتظهر الاعدا على سرنا
قلت انا قالت وإلا فمن قلت انا قالت وإلا انا
قلت نعم انت التي صيرت اجفانك الصب حليف الضنا
قالت فلم طرفك فهو الذي جنى على جسمك ما قدجنى
قلت فقد كان الذى كان من طرفي فكوني انت من احسنا
قالت فما الاحسان قلت اللقا قالت لقانا عز أن يمكنا
قلت فمنيني بتقبيلة قالت امنيك بطول المنا
من يعشق الالحاظ مكحولة بالغنج لا يأمن ان يفتنا

وهـذا القول والذى قبله يسمى المراجعـة عند علماء البديع ، وسماه قوم السؤال والجواب ، وهو الاحسن ، وهو عبارة عن حـكاية مراجعة جرت بالفاظ موجزة بليغة والله اعلم .

فلك القمر ثخنه وبعده ما بين سطحه الاعلى وسطحه الادنى مائة الف وثمانية عشر الفاً وستة وثلاثون ميلا .

والقمر جزء من تسعة وثلاثين جزأ من جرم الارض ، ودورة القمر اربعمائة واثنان وخمسون ميلا ، وقطر جرم القمر مائة واربعون ميلا ، هـذا قول العلماء القدماء ومن قال بحكم المقدمات الحاسية .

وأما الشمس فهي اعظم الكواكب جرماً ، واشدها ضوءاً ، ومكانها الطبيعي في الكرة الرابعة .

وزعم المنجمون ان الشمس من الكواكب كالملك وسائر الكواكب كالجنود والاعوان ، والقمر كالوزير وولي العهد ، وعطارد كالكاتب ، والمريخ كصاحب الجيش ، والمشترى كالحاكم ، وزحل كصاحب الخزائن ، والزهرة كالخدم والجواري ، والافلاك كالاقاليم ، والبروج كالبلدان ، والحدود والوجوه كالمدن والدرجات كالقرى ، والدقائق كالمحالي والثواني كالمنازل ، وهذا تشبيه جيد .

ومن عجائب حكمة الباري ان جعل الشمس في وسط الكواكب السبعة لتبقى الطبائع والمطبوعات في هذا العالم بحركاتها على حد الاعتدال ، إذ لو كانت في فلك الثوابت لفسدت الطبائع من شدة البرد ، ولو انها انحدرت إلى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية ، وأيضاً خلقتها سائرة غير واقفة وإلا لاشتدت السخونة في موضع والبرودة في غيره ، فلا يخفى فساد ذلك بل تطلع كل يوم من المشرق ، ولا تزال تمشي موضعاً بعد موضع حتى تنتهي إلى المغرب ، فلا يبقى موضع مكشوف إلا واخذ حظاً من شعاعها .

وأما جرمها فبقدر جرم الارض مائة وستة وستين مرة .

برج الحمل : له من بلاد بابل وفرغانه وفارس وآذربايجان وفلسطين .

الثور : له من البلاد السودان وهمدان وبلاد الاكراد .

الجوزاء : لها من البلاد جرجان وارمينية وجيلان ومصر وروميه .

السرطان : له من البلاد ارمينية الصغرى وشرقي خراسان والصين .

الإسد : له من البلاد الترك إلى نهاية العمران التي تليه ونيسابور وصعيد

مصر وطوس .

السنبلة : لها من البلاد الشام والفرات والجزيرة ومما يلي كرمان ،

الميزان : له من البلاد الحبش وكرمان وسجستان وكابل وبلخ .

العقرب : له من البلاد الحجاز وبادية العرب واليمن وطنجة .

القوس : له من البلاد بغداد والجبال والري واصفهان .

الجدي : له من البلاد مكران والهند والسند وعمان والبحرين .

الدلو : له من البلاد الخليل والكوفة والقبط .

الحوت : له من البلاد الشمال وحران واسكندرية .

من الكشاف في تفسير قوله تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) قال : واعلم ان مقالات المنجمة على طريقتين ، فمن الناس من يكد بهم ، وقد استدل بهذه الآية ، وبقوله عليه الصلاة والسلام : من اتى كاهنا او عرافاً فصدقه ، فقد كفر بما انزل على محمد .

ومنهم من قال بالتفصيل ، فان المنجم لا يخلو من ان يقول ان هذه الكواكب مخلوقات او غير مخلوقات ، الثاني كفر صريح ، وأما الاول : فاما ان يقول انها مختارات فاعلات بنفسها ، فهذا ايضاً كفر صريح ، وان قال انها مخلوقات مسخرات ادلة على بعض الاشياء ولها اثر ، يخلق الله تعالى ذلك كالنور والنار ونحوها وان استخرجوا ذلك بالحساب ، فذلك لا يكون غيباً ، لان الغيب لا يدل عليه بالحساب وأما الآية والحديث فهما محمولان على علم الغيب والله اعلم .

قوله تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) رد انكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم إذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها ـ اي شقوها ـ وخلوا سبيلها ، فلا تركب ولا تحلب .

وكان الرجل منهم يقول : ان شفيت من مرضي فناقتي سائبة ، ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها .

وإذا ولدت الشاة انثى فهي لهم ، وان ولدت ذكراً فهولآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح الذكر .

وإذا انتجت الناقة من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى .

وقالوا : قد حمى ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ، ولذلك تعدى إلى مفعول واحد وهو البحيرة ، ومن مزيدة .

من خزانة الروايات في باب التعزير : قال اعلم ان التعزير قد يكون بالحبس وقد يكون بالصفع ، وتعريك الاذن ، وقد يكون بالكلام العنيف ، وقد يكون بالضرب ، وقد يكون بنظر القاضي اليه بوجه عبوس .

وقد روى عن ابي يوسف : الزجر والتعزير من السلطان بأخذ المال جائز ان رأى المصلحة ، وكذلك جائز للقاضي لانه كالوالي ، وبين معنى قوله تعالى : (واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) قال الامام والقاضي والمحتسب ويجوز للقاضي التعزير بالشتم المشروع كالشق ونحوه .

البطريق : ككبريت القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ثم الطرخان على خمسة آلاف ، ثم القومس على مائتين ، والرجل المختال المزهو والسمين من الطير ، والجمع بطارقة .

قوله تعالى (اقتربت الساعة) أي قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقريء وقد انشق القمر ، أي اقتربت الساعة ، وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق ، كما تقول اقبل الامير ، وقد جاء المبشر بقدومه .

قال ابن مسعود : لقيت حراء بين فلقتي القمر ، وقيل : معناه ينشق يوم القيامة ، والجمهور على الاول ، وهو المروي في الصحيحين ، ولا يقال لو انشق لما خفي على اهل الاقطار ، ولو ظهر عندهم لنقلوه متواتراً ، لان الطباع جلبت على نشر العجائب ، لانه لا يجوز ان يحجب الله ذلك عنهم بغيم وغيره .

في المثل (اشأم من البسوس) والبسوس: امرأة مشؤمة اعطي زوجها ثلاث دعوات مستجابات فقالت : اجعل لي واحدة منهن ، قال : فلك ما تريدين ، قالت: ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل ، ففعل فرغبت عنه إلى غيره وارادت شيئاً ، فدعا الله ان يجعلها كلبة نباحة ، فجاء بنوها فقالوا : ليس لنا قرار على هذا ، يعيرنا الناس ادع الله ان يردها إلى حالها الاول، ففعل فذهبت الدعوات هباء بشؤمها .

ليت شعري : كلمة تقولها العرب عند الشيء تحب عمله ، وتسأل عنه .

سئل ابو عبيدة ما اصل ليت شعري ؟ فقال : كأنه قال : ليتني شعرت بكذا وكذا ، أي ليتني علمت بحقيقته .

﴿ خاتمة من كتاب المجالس من الادعية المستجابة ﴾

إذا حصل للشخص امر يطبق اصابع يده اليمنى ، ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم لك الحمد ومنك الفرج ، واليك المشتكى ، وبك المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولنختم هذه الرحله بهذه الخاتمة ، واسأل الله من فضله لي ولكافة المسلمين حسن الخاتمة ، واستغفره من قول بلا عمل ، واعوذ به من جميع الخطايا والزلل ، وارجو من كرمه ان يهديني وجميع المسلمين إلى طريق النجح والصواب ، ويمن علينا بجزيل الاجر والثواب ، وينطق السنتنا عند السؤال باصدق الجواب ، ويهون علينا هول يوم الحساب ، فانه اليه المرجع والمآب ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت واليه متاب ، وصلى الله على الشفيع يوم المعاد ، محمد افصح من نطق بالضاد وعلى آله الغر الميامين ، عماد الدنيا والدين ، واصحابه منهج الشريعة والايمان ، ومن تبعهم باحسان .

وكان قد ذهب مني نبذة مليحة في كل فن من العلوم ، كنت جمعتها قصداً

لننظمها في سلك هذا الدر المنظوم ، فظفرت بها والحمد لله ، والحقتها به بحول الله وجملته باسم مولانا الفقيه المشار اليه ، اسبل الله ستره الضافي عليه ، وعلى من لديه وغفر له ورحم والديه ، ولم اجمله باسم احد غيره ، لما ترادف علي من وافر احسانه وخيره ، خصوصاً نجله السعيد ، الموفق الرشيد الرئيس المجيد الكامل المجيد المفضال على الكبار والصغار في السر والاجهار ، مولانا الفقيه العاقل النبيه عبد الله ابن الفقيه احمد الخزندار لا زال في كنف الخالق ، من شر كل غاشم وطارق ، فكم له علينا من فضل وايد ، وكم اغنانا عن بذل ماء الوجه لعمرو وزيد ، فلعمري والله انه الرئيس الذي لم يسمح الزمان بمثله ، والعاقل الذي لو صور العقل لكان على شكله ، ان تلقه تلق مبتسما باش ، كريماً هشاش ، ولا عجب فالمؤمن بشاش ، إلى خلق عظيم ، وهمة وحسن خيم ، ذلك تقدير العزيز العليم .

فلهذا ختمت هذا الكتاب بذكر جنابه المستطاب الذي هو انس القلوب وقرة العيون ، ولان يكون ختامه مسكاً ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

وقلت فيه مؤرخا دخوله الميمون الذي هو بالعز والفرح مقرون ، إلى بندر المخا من مدينة صنعاء سنة الف ومائة وثمان واربعين من هجرة سيد الاولين والآخرين

أتانا السعد يخبر مذ تقدم ... بمقدم سيدي الفخر المقدم

رئيس الوقت عبد الله من قد ... سما قدراً وفي العليا تقدم

كريم ما رأت عيني شبيها ... له فيمن تأخر او تقدم

فكم اعطى النوال بلا سؤال ... وكم من صالح الاعمال قدم

وطالع اصله لا زال يعلو ... على الفرع المؤخر والمقدم

ولما ان اتى في خير وقت ... أتى التأريخ يقدم خير مقدم

لا زال في عز وسلامة ، ونعمة مدامة ، إلى يوم القيامة ، بحرمة محمد وآله وصحبه اهل الكرامة :

من قال آمين ابقى الله مهجته ... فان هذا دعاء يشمل البشرا

ومن الله المأمول ان يلاحظ تأليفي هذا بعين الرضا والقبول ، بلغهما الله كل سؤل ، بل اقول لجنابهما معدن الشهامة ، ولا اخشى ملامة :

جميع الكتب يدرك من قراها ملال او فتور او سآمه
سوى هذا الكتاب فان فيه بدائع لا تمل إلى القيامه

وأقول يا من عز قدره وعلا :

ان تجد عيباً فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وازكى السلام والتسليم ، على نبينا الكريم وآله وصحبه اهل الفضل والتعظيم .

وكان الفراغ من تأليفه « ببندر المخا » في رابع شوال سنة الف ومائة وثمان واربعين من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين .

بحمد من عم فضله السهل والوعر ، وجرت جواري لطفه في البر والبحر ، قد
تم طبع هذا الكتاب المستطاب ، البديع اسلوبه في كل باب ، الذي
بلغ من تخوم البيان اقصاها ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة
إلا احصاها ، فما احلى اراجيزه ، وما أحسن
نكته الدقيقة الوجيزه ، يظل من طالع
رياض حسنه كالنشوان ، يميل
من نسيم سحره كالاغصان ، ومن اقتناه
من ذوى المعارف والالباب ، لم يحتج إلى غيره
من كتب الآداب

فهرست الجزء الثاني

من نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب
١٧٨	قصيدة الحارث بن حلزة اليشكري ، وهي آخر السبع المعلقات .
١٨٣	فائدة ـ الطعوم تسعة وهي الحلو والمر والحامض والمز والمالح والحريف والعفص والدسم والتفه .
١٨٤	ترجمة ابي محمد الامام الحسن العسكري بن علي الهادي عليهم السلام .
١٨٨	فائدة ـ الابعاد ترى من المواضع البعيدة أقصر الخ . . .
١٨٩	ترجمة صاحب القاموس .
١٩٤	فائدة ـ وفق آية الكرسي وما كان يدعو به بعض الحكماء .
١٩٧	ملتقطات من الباب الأخير من كتاب نهج البلاغة .
١٩٧	ترجمة الامام المهدي المنتظر عجل الله فرجه .
٢٠١	ذكر الجراد وما حدث في اثناء رحلة المؤلف سنة ١١٨٨
٢٠٧	ترجمة الامام الشافعي (رض) .
٢١٢	فائدة ـ اعلم ان عزيز مصر اشترى يوسف الصديق عليه السلام .
٢١٦	ترجمة الامام مالك بن انس (رض)
٢١٩	حكاية ـ ان الرشيد كان يخلع على عبيده وجواريه يوم العيد .
٢٢٣	ترجمة الأمير سيف الدولة ابي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان .
٢٢٦	فصل في انفجار ينابيع جوده على الشعراء .
٢٢٩	نبذ من ذكر وقائعه وغزواته .
٢٣٣	ملح من شعر سيف الدولة .
٢٣٧	ترجمة الامام احمد بن حنبل (رض)
٢٣٩	ذكر من لعب بالشطرنج غائباً
٢٧١	اعرف هذه الفائدة (فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على انفسكم) الآية
٢٧٢	فائدة ـ لأرسطو في كتابه الموسوم باثولوجيا الخ

صفحة	مواضيع الكتاب

فهرس القسم الثاني من الجزء الثاني

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب

صفحة	مواضيع الكتاب
٥٧٤	سؤال عن العقل في حد ذاته
٥٧٤	الجواب ـ ان العقل يحصر تلك المناسبة والاتصال
٥٧٤	فائدة ـ إذا حسنت الملاحظة في كل مسألة
٥٧٩	فائدة ـ في طبقات الولايات الخمسة
٥٨٤	ترجمة ابي العباس ابراهيم الصولي الكاتب والشاعر المشهور البغدادي
٥٩٤	فائدة ـ الجبن والبخل صفتان محمودتان في النساء
٥٩٥	قصيدة في الهذيان للشاعر علي المغربي
٥٩٩	ترجمة الشريف المرتضى ابي القاسم علي بن طاهر نقيب الطالبيين ببغداد
٦٠١	فائدة ـ في حقيقة الهوى هو الدليل إلى الباطل
٦٠٦	القصيدة التترية المشهورة
٦١٠	ترجمة ابي محمد عبد الله بن القاسم الشهرزوري
٦١٣	فائدة ـ من حاشية ملا خسرو على البيضاوي (الحمد لله رب العالمين)
٦١٤	هذه ارجوزة للفاضل ابن مكانس المشهور
٦٢٣	الفقيه علي بن صالح بن ابي الرجال
٦٢٨	نكتة عجيبة بأراضي اليمن
٦٢٩	حكاية يعجب بها ارباب الجمال والدراية فيما وقع لسابور بن هرمز مع قيصر ملك الروم
٦٤٢	ارسال قيصر رسولا إلى كسرى انو شيروان
٦٤٨	قصائد لمؤلف هذا الكتاب وغيره ، عربية وفارسية
٦٥٥	خاتمة الكتاب

المطبعة الحيدرية ومكتبتها